إتحاف السادة المتقين

بشرح إحياء علوم الدين

تصنيف خاتمة المحققين وعمدة ذوي الفضائل من المدققين
العلامـة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى
رحمه الله وأثابه من فيض فضله جزيل الرضا آمين .

تنبيـــه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الأحياء في بعض مواضع من شرحه فتتميماً للفائدة وضعنا الأحياء المذكور في هامش هذا الشرح ولأجل زيادة الفائدة بدأنا في أول الهامش بوضع كتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحياء للأستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبد القادر بن شيخ عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي قدس الله سره .

وبالهامش أيضاً بعد تمام الكتاب المذكور كتاب الاملا عن اشكالات الاحيا تصنيف الامام الغزالي رد به على بعض اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الاحيا وقد صار وضع كتاب الاملا بأول هامش الصحيفة ومتن الاحيا بآخره وفصل بينها بجلية .

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أحيا بذكره قلوب عباده العارفين * وأماط عن بواطنهم حجب الخفاء فقاموا لاحياء علوم الدين * والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد الاولين والآخرين * وصفوة الانبياء والمرسلين * وقائد الغر المحجلين * وخلاصة الله من خلقه أجمعين * وعلى آله السادة الاكرمين * وأصحابه الغر الميامين * وأتباعهم باحسان الى يوم الدين * وبعد فهذه تقريرات شريفة * وتحريرات منيفة * امليتها على كتاب الاحيا للامام حجة الاسلام أبى حامد الغزالى رحمه الله تعالى حين سئلت فى اقرائه * مستعينا بحول الله شاكرا لحسن بلائه * جانحا فيه الى حل عباراته * مشيرا الى كشف الغموض عن رموزه واشاراته * مخرجا أحاديثه على طريقة حفاظ المحدثين * مبينا لأسانيد مافيه من أقوال العلماء والعارفين * ولم آل جهدا فى تهذيبه وترتيبه * وتسهيله وتقريبه * ولم أتعرض للغاته * الا ما احتيج اليه * ولا لبيان فائدة سوى ما عول عليه * وذلك لانى لو تتبعت جميع ألفاظه الشائقة * واشاراته التى انتثلتها من أفكاره الفائقة * طال الكلام * وصعب المرام * وكلت دون محاولته الافهام * اذ مآخذه رحمه الله تعالى فيه بعيدة الغور استنباطا واستكشافا * حتى كأنه يغترف من البحر المحيط اغترافا * وأنى لمثل العاجز القاصر عن تساجله * وحسبى أن أقف لهذا البحر عند ساحله * على انى لم أر أحدا من العلماء قديما وحديثا مع كثرة تداول هذا الكتاب بين أيديهم وتبركهم بقراءته فى سائر الاقطار * خصوصا فى قطر اليمن المأنوس بالاخيار * اعتنى بضبط ألفاظه المشكلة * ولا فصل بنود عقوده المجملة * وقد شرح الله صدرى لشرحه بالهام * وسعى يعبوب فكرى لتحصيله باهتمام * فجاء بحمد الله جامعا للشوارد * مكملا للفوائد * ضابطا لما أهمل * مفصلا لما أجمل * مبينا لما استشكل من اللغات * مقربا لما استبهم من الاشارات * كافلا لبيان ما فرق فيه من الاقوال * معينا لأهل التدريس فى سائر الاحوال * بفوائد تقر بها العين * ويقول الغائص من أين أجد مثل درره من أين * اشتمل على فقه وحديث ورقائق * وضوابط ودقائق * وتاريخ وأدب * تنسل اليه الرغبات من كل

هذا كتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وفق لنشر المحاسن وطيها فى أحسن كتاب وجعل ذلك قرة لاعين الاحباب وذخيرة ليوم المآب والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أحيا باحياء شريعته وطريقته قلوب ذوى الالباب وعلى آله الطيبين الطاهرين وجميع الاصحاب ما أشرقت شمس الاحياء للقلوب وتوجهت همة روحانية مصنفه الولى الموهوب الى اسعاف ملازمى مطالعته ومحبيه بالمطلوب *(وبعد)* فان الكتاب العظيم الشان المسمى باحياء علوم الدين المشهور بالجمع والبركة والنفع بين العلماء العاملين وأهل طريق الله السالكين والمشايخ العارفين المنسوب الى الامام الغزالى رضى الله عنه عالم العلماء وارث الانبياء حجة الاسلام حسنة الدهور والاعوام تاج المجتهدين سراج المتهجدين مقتدى الائمة مبين الحل والحرمة زين الملة والدين الذى باهى به سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء ورضى عن

حدب * ولست أقول ذلك لانفاق البضاعة * بل لاشوّق أرباب الصناعة * وأجمع على حب هذا الكتاب أهل السنة والجماعة * وأعرف المريدين طرق الطريقه * وأشير لهم الى كمال تحقيقه وتدقيقه * وان صح فضله طلع فاستغلظ فاستوى على سوقه * ونادانى لسان الانصاف غير متلبث * قل وأما بنعمة ربك فحدث * فقد روى الترمذى من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده فعند ذلك قلت لا للفخر والسمعة * بل لابانة الحق وحسن الصنعة * ان هذا المجموع شمس عوارف المعارف * وقرطائف الظرائف * ونجم سماء العلى والناس تلقاء حرمه بين عاكف وطائف * من شاهده قال هكذا هكذا والا فلالا * ومن أنفق من خزائن علمه لم يخش من ذى العرش اقلالا * ومن تأمله منصفا جبن عن معارضته وأنشد * اهابك اجلالا * ومن لم يغترف من بحر درره ولم يعترف برفع قدره فهو المحروم نوالا

ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به ماء زلالا

ولكانى بمن يحسد شمس ضوئه و يجتهد أن يأتى له بنظير * و يطاول الثريا وما أبعدها عن المتناول فيرجع اليه بصره خاسئا وهو حسير * وأتعب خلق الله من زاد همه * وقصر عما تشتهى النفس وجده * واستخرت الله تعالى فى أن أسميه اتحاف السادة المتقين * بشرح اسرار احياء علوم الدين * وأنا مع وضعى هذا الكتاب ما أبرئ نفسى ولا كتابى من خلل وريب * ولا أبيعه بشرط البراءة من كل عيب * بل أعترف بكمال القصور * وأسأل الله الصفح عما جرى به القلم بهذه السطور * وأقول لناظر جمعى هذا لا تأخذن فى نفسك على شئ وجدته فيه مغايرا للفهم فان الفهوم قد تختلف * ومن صنف فقد استهدف * وأعتذر لك ايها المنصف من خطا أو زلة فالجواد قد يكبو * والفتى قد يصبو * ولا بعد الافضولات العارف * وتدخل الزيوف على أعلى الصيارف * ولا يخفى عليك أن التعقب على الكتب سيما الطويلة سهل بالنسبة الى تأليفها * ووضعها وترصيفها * كما يشاهد فى الابنية القديمة * والهياكل العظيمة * حيث يعترض على بانيها من عرى فى فنه عن القوى والقدر * بحيث لا يقدر على وضع حجر على حجر * هذا جوابى * عما يرد على كتابى * وقد كتب أستاذ البلغاء القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى * الى العماد الكاتب الاصبهانى * معتذرا عن كلام استدركه عليه انه وقع لى شئ ولا أدرى أوقع لك أم لا وها أنا أخبرك به وذلك انى رأيت انه لا يكتب انسان كتابا فى يومه الا قال فى غده لو غير هذا لكان أحسن * ولو زيد لكان يستحسن * ولو قدم هذا لكان أفضل * ولو ترك هذا لكان أجل * وهذا من أعظم العبر * وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر * فأرجو مسامحة ناظر به فهم أهلوها * وأؤمل جبلهم فهم أحسن الناس وجوها * وهذا حين الشروع فى المقصود ولا ينبغى أن يمل الناظر فى هذا الكتاب كثرة الكلام على تخريج حديث بذكر الاسانيد * والاستطراد المزيد * فى بعض المسائل والتراجم فانه لذلك وضع * وعلى أعواد هذه القواعد رفع * وسترى فيه من الفوائد ما لا يوجد فى مجموع * ومن الزوائد ما هو فوق الفرقد مرفوع * والله المسؤل أن يتقبله بقبول حسن * وأن يعيننى على اكماله فى أقرب زمن * على نهج يرتضيه أهل الحق بالوجه المستحسن * وهو المعين المجيب * عليه توكلت واليه أنيب وهذا بيان الكتب التى منها أخذت * وعنها بلا واسطة نقلت واستفدت * فمن ذلك فى علم اللغة شرحى على القاموس الذى أحاط بجيد اللغة ٢ وحوشيها الذى اذا رآه المنصف البعيد عن المرا * قال كل الصيد فى جوف الفرا * فاستغنيت بمراجعته عن جملة من الكتب المؤلفة فى الفن * وأوردت منه كل مستحسن * ولم أخل مع ذلك نظرى فى كتاب النهاية لابن الاثير والفائق للزمخشرى والمفردات لابى القاسم الراغب وعمدة الحفاظ للسمين الحلبى والتوقيف للمناوى وكتاب الزينة لابى حاتم الرازى ومشكل القرآن لابن قتيبة فربما استفدت منها جملا كثيرة أوردتها مع مناسباتها فى مواضعها ومن كتب أصول الفقه التوضيح لصدر الشريعة وشرحاه التنقيح للسيد الجرجانى والتلويح للسعد التفتازانى والمنهاج للبيضاوى وشرحه لمحمد بن طاهر القزوينى وشفاء الغليل فى مسالك التعليل للمصنف ومن كتب الحديث التى احتاج الامر الى مراجعته شرح البخارى للحافظ ابن حجر العسقلانى المسمى بفتح البارى وهو البحر الذى تقف عنده الانهام وتعترف

٢ قوله وحوشيها فى القاموس الحوشى بالضم الغامض من الكلام اه

الغزالى وعن سائر العلماء المجتهدين لما كان عظيم الوقع كثير النفع جليل المقدار ليس له نظير فى بابه ولم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله مشتملا على الشريعة والطريقة والحقيقة كاشفا عن الغوامض الخفية مبينا للاسرار الدقيقة رأيت ان أضع رسالة تكون كالعنوان والدلالة على صبابة من فضله وشرفه ورشحة من فضل جامعه ومصنفه (ورتبته على مقدمة ومقصد وخاتمة) فالمقدمة فى عنوان الكتاب والمقصد فى فضائله و بعض المدائح والثناء من الاكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطعن بسببه فيه والخاتمة فى ترجمة المصنف رضى الله عنه وسبب رجوعه الى هذه الطريقة (المقدمة فى عنوان الكتاب) اعلم ان علوم المعاملة التى يتقرب بها الى الله تعالى تنقسم الى ظاهرة و باطنة والظاهرة قسمان معاملة بين العبد و بين الله تعالى ومعاملة بين العبد و بين الخلق والباطنة أيضا قسمان ما يجب تزكية القلب عنه من الصفات المذمومة وما يجب تحلية القلب به من الصفات المحمودة وقد بنى الامام الغزالى رحمه الله

من فيوضاته الاعلام مع اعادة النظر في كل من شروح القسطلاني وابن الملقن والكوراني والزركشي والسيوطي والسندي وشرح الجامع الصغير للمناوي والسنن لكل من البيهقي والدارقطني وشرح السيوطي على الترمذي ومن المسانيد للامام أحمد وعبد بن حميد ومسدد وابن أبي شيبة والديلمي ومن المعاجم الكبير والاوسط للطبراني ولابن جميع الغساني ومن الكتب التي أعتمد على تخريج أحاديث الكتاب عليها المغني عن حمل الاسفار للحافظ العراقي في مجلد فأذكر كلامه عقيب الحديث ثم أزيد عليه حسبما فتح الله علي في مطالعتي لكتب الفن وربما نقلت في بعض المواضع من تخريجه الكبير عليه ولم أظفر منه الا على كراريس ومن ذلك الجامع الكبير والصغير والذيل عليه الثلاثة للسيوطي وموضوعات ابن الجوزي واللآلي المصنوعة في الاحاديث الموضوعة استدراكا على ابن الجوزي للسيوطي مع الذيل عليه له ونوادر الاصول للحكيم أبي عبد الله محمد بن علي الترمذي والعلل للدارقطني اثنا عشر مجلدا والكامل لابن عدي ونحو ذلك والاصلاح على المستدرك للعراقي الحافظ بخطه واقتضاء العلم العمل وشرف أصحاب الحديث كلاهما لابي بكر الخطيب الحافظ وتاريخه الكبير الحافل في عشر مجلدات والذيل عليه للبنداري في مجلد وأيضا لابن النجار الحنبلي في مجلدات وتجريد الصحاح والسنن لرزين بن معاوية العبدري السرقسطي والقول المسدد في الذب عن مسند الامام أحمد للحافظ ابن حجر وتخريج أحاديث الاذكار له وحلية الاولياء للحافظ أبي نعيم الاصبهاني وتخريج أحاديث المنهاج الاصولي لكل من التاج السبكي وابن الملقن والتذكرة للبدر الزركشي والمقاصد الحسنة للحافظ السخاوي والامالي على مسانيد أبي حنيفة للزين قاسم بن قطلوبغا الحنفي الحافظ واللآلي المتناثرة في الاحاديث المتواترة لابن طولون الحنفي وأطراف المسانيد العشرة للشهاب البوصيري وجمع الفوائد لمحمد بن سليمان وكتاب العلم لابن خيثمة زهير بن حرب النسائي الى غير ذلك مما استفدت من معانيها وأسرارها كشرح المنلا علي على مختصر هذا الكتاب المسمى بعين العلم والذريعة الى محاسن الشريعة للقفال الشاشي والذريعة الى مكارم الشريعة لابي القاسم الراغب والبحر الزاخر لابي الطيب حمدان بن حمدويه وجواهر القرآن للمصنف وفضائل القرآن للقرطبي وأما ما يتعلق بأصول الدين والاعتقاد والفقه وفروعه فسيأتي بيان مآخذ كل ذلك في مواضعه على ما يسر الله تعالى علي في مراجعته والكشف عن مظانه فأذكر في كتاب العقائد ما تحصل لدي وفي العبادات كذلك وأما التصوف والرقائق فقد طالعت عليه كتبا كثيرة وأجلها مقدارا الرسالة للامام أبي القاسم القشيري وشرحاها لابي محمد عبد المعطي بن محمود اللخمي ولشيخ الاسلام زكريا وقوت القلوب لابي طالب المكي وعليهما مدار كتاب الشيخ غالبا ومنازل السائرين لشيخ الاسلام الهروي وعوارف المعارف للشهاب السهروردي والتعرف لابي نصر الكلاباذي وتأييد الحقيقة العلية للحافظ السيوطي ومنارات السائرين ومقامات الطائرين للشيخ نجم الدين دايه ومفيد العلوم لابي بكر الخوارزمي والذهب الابريز في مناقب سيدي عبد العزيز تأليف أفضل المتأخرين أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي ومن كتب التواريخ الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي والطبقات الكبرى لابن السبكي وطبقات القطب الخيضري والحافظ عماد الدين بن كثير الدمشقي وفي أسماء الرجال الكاشف للحافظ الذهبي والديوان له والمشتبه له والكنى لابن المهندس والتبصير للحافظ ابن حجر وأما ما نقلت منه مسئلة أو فائدة أو كلمة غريبة أو نادرة عجيبة من أجزاء ومعاجم ومسانيد ومشيخات ورسائل وأمالي ومستخرجات فشيء لا احصيه الآن كما ستقف عليه عند رفع الستور عن وجه البيان ولنصرف عنان الهمة عن ذكر المآخذ الى بيان الباعث الاعظم على جمع هذا الشرح وترتيبه وتنسيقه على هذا المنوال وتهذيبه بعد اشارات صدرت من بعض العلماء وتكرار الحاحهم علي فيه فأقول * اعلم أن الباعث لي على الاقدام في شرح هذا الكتاب أمور ثلاثة * الاول الاكثار من ذكر الصالحين وأولي الخير والدين وسياق أطراف من أحوالهم فان ذلك من أكبر الاسباب الباعثة على محبتهم

كتابه احياء علوم الدين على هذه الاربعة الاقسام فقال في خطبته ولقد أسسته على أربعة أرباع ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات فأما ربع العبادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب العلم كتاب قواعد العقائد كتاب أسرار الطهارة كتاب أسرار الصلاة كتاب أسرار الزكاة كتاب أسرار الصيام كتاب أسرار الحج كتاب تلاوة القرآن كتاب الاذكار والدعوات كتاب ترتيب الاوراد في الاوقات وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب آداب الاكل كتاب آداب النكاح كتاب آداب الكسب كتاب الحلال والحرام كتاب آداب الصحبة كتاب العزلة كتاب آداب السفر كتاب آداب السماع والوجد كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كتاب أخلاق النبوة وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب كتاب شرح عجائب القلب كتاب رياضة النفس كتاب آفة الشهوتين البطن والفرج كتاب آفة اللسان كتاب آفة الغضب والحقد والحسد كتاب ذم الدنيا كتاب ذم المال والبخل كتاب ذم الجاه والرياء كتاب الكبر والعجب كتاب

وهي أحد أسباب الفوز لما أخبرنا به شيخنا المسند الجليل عمر بن أحمد بن عقيل فيما شافهني فيه أخبرنا الامام المحدث عبدالله بن سالم بن محمد بن عيسى أخبرنا الشمس محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا النور علي بن يحيى أخبرنا يوسف بن عبدالله أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ أخبرنا أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الحافظ أخبرنا الشهاب أحمد بن خليل العلائي أخبرنا والدي أخبرنا أبو الربيع سليمان بن حمزة أخبرنا محمد بن عبد الواحد الحافظ أخبرنا أحمد بن محمد بن نصر أخبرنا الحسن بن أحمد المقرى حضورا أخبرنا أحمد بن عبدالله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن خلاد أخبرنا الحرث بن أبي أسامة حدثنا عبدالله بن بكر السهمي حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقام النبي صلى الله عليه وسلم الى الصلاة ثم صلى ثم قال أين السائل عن الساعة قال الرجل أنا قال ما أعددت لها قال يا رسول الله ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام الا أني أحب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وأنت مع من أحببت قال أنس فما رأيت المسلمين فرحوا بشئ بعد الاسلام فرحهم بها رواه الترمذي من حديث اسمعيل بن جعفر عن حميد به وقد روى عن أنس هذا الحديث خلق كثير غير حميد منهم الزهري وسالم بن أبي الجعد فالبخاري رواه من طريق سالم ومسلم من طريق معمر وسفيان كلاهما عن الزهري وقد روى أيضا عن أبي موسى الاشعري وأبي ذر الغفاري وأبي مسعود البدري رضي الله عنهم والحديث مشهور جدا أو متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم لكثرة طرقه وليس هذا موضع سياقها * الثاني من البواعث على جمع هذا الشرح رجاء الانتفاع به لمن ينظر فيه من الامة وذلك من الاعمال الصالحة والامور المهمة وقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم فاعله بمساهمة المهتدي به من الثواب وناهيك بذلك من عمل يتجدد للمرء بعد موته مدى الاحقاب أخبرنا عبد الخالق بن أبي بكر بن المزين ومحمد بن علاء الدين ابن عبد الباقي واسمعيل بن عبدالله بن علي الحنفيون ومحمد بن الطيب بن محمد وآخرون سماعا عليهم قالوا أخبرنا أبو طاهر محمد بن ابراهيم بن حسن أخبرنا والدي أخبرنا القطب أحمد بن عبد النبي أخبرنا أبو المواهب أحمد بن علي بن عبد القدوس أخبرنا والدي أخبرنا القطب عبد الوهاب بن أحمد أخبرنا زكريا بن محمد أخبرنا أبو الفضل أحمد بن علي الحافظ أخبرنا أبو الخير بن أبي سعيد أخبرنا أبي أخبرنا أبو بكر بن أحمد أخبرنا محمد الازبلي أخبرتنا شهدة الكاتبة أخبرنا أحمد بن بندار أخبرنا محمد بن بكير أخبرنا أبو محمد بن بكير أخبرنا أبو محمد ابن ماسي أخبرنا يوسف القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن المنذر بن جرير عن أبيه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شئ ومن استسن سنة سيئة فعمل بها كان عليه وزرها ومثل أوزار من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شئ هذا حديث حسن الاسناد بل صحيح أخرجه مسلم من طرق والامام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي وأبو عوانة وابن حبان كلهم عن جرير وقد روى أيضا من طريق حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وفيه قصة وفي الباب عن أبي هريرة وأبي جحيفة وواثلة رضي الله عنهم * الثالث منها حث النفس على سلوك هذه الامور واتباعها والكف عن مذموم كل الاخلاق وارتداعها واصغائها الى ما يقربها الى مولاها وحسن استماعها ومجاهدتها على طلب الفوز في الآخرة لعل صفقتها تكون رابحة لا خاسرة فان النفس أمارة بالسوء الا أن يتداركها الله برحمته والشيطان حريص على اهلاكها بالغواية ولا عاصم لها منه الا الله سبحانه بلطفه واعانته ومجاهدة النفس في أعمال الطاعات والانكفاف عن المخالفات الى الامور المطلوبة بالذات قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا أخبرنا السيد المحدث سليمان بن يحيى بن عمر بن عبد القادر الحسيني الزبيدي سماعا والسيد القطب أبو المراحم وجيه الدين عبد الرحمن بن السيد مصطفى العيدروسي اجازة مشافهة قالا أخبرنا السيد الوجيه عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد العلوي الترخمي قال الاول اجازة مكاتبة وقال الثاني مشافهة أخبرنا خالي

الغرور وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب كتاب التوبة كتاب الصبر والشكر كتاب الخوف والرجاء كتاب الفقر والزهد كتاب التوحيد والتوكل كتاب المحبة والشوق والرضا كتاب النية والصدق والاخلاص كتاب المراقبة والمحاسبة كتاب التفكر كتاب ذكر الموت ثم قال رحمه الله فأما ربع العبادات فاذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها واسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليها بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليها وأكثر ذلك مما أهمل في الفقهيات وأما ربع العادات فاذكر فيه اسرار المعاملات الجارية بين الخلق ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني المتدين عنها وأما ربع المهلكات فاذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه واذكر في كل واحد من هذه الاخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها يترتب ثم العلامات التي بها يتعرف ثم طرق المعالجة التي منها يتخلص

السيد الوجيه عبد الرحمن بن محمد العيدروسى ح وأخبرنا أعلى من ذلك عمر بن أحمد بن عقيل سماعا فى آخرين أخبرنا عبد الله بن سالم وأحمد بن محمد النخلى قالوا أخبرنا المسند أحمد بن عبد اللطيف الازهرى أخبرنا البرهان ابراهيم بن ابراهيم المالكى ح قالا أى سالم والنخلى وأخبرنا أعلى من ذلك الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء قال أخبرنا سالم بن محمد بن محمد والنور على بن يحيي قالا أخبرنا أحمد بن محمد بن ابى بكر ويوسف بن زكريا ويوسف بن عبد الله قالوا أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ أخبرنا رضوان بن محمد بن يوسف الحافظ أخبرنا ابو الحسن على بن محمد بن أبى المجد الدمشقى قدم علينا أخبرنا التقى سليمان بن حمزة الدمشقى أخبرنا عبد الله بن عمر بن زيد حدثنا محمد بن محمد بن النحاس حدثنا على بن أحمد بن السدى حدثنا أحمد بن محمد بن الصلت حدثنا ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمى حدثنا أبو مصعب يعنى أحمد بن أبى بكر عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب رواه البخارى ومسلم والنسائى من حديث مالك به فهذه الامور الثلاثة التى ذكرتها لك هى الباعثة لى على الاقدام فى شرح هذا الكتاب وجلب فرائد الفوائد اليه من كل باب

(الاحوال المتعلقة بمصنف هذا الكتاب وهى مشتملة على احد وعشرين فصلا وخاتمة)

(الفصل الاول فى ترجمته)

قال ابن السبكى فى طبقاته هو الامام الجليل محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسى أبو حامد الغزالى حجة الاسلام ومحجة الدين التى يتوصل بها الى دار السلام جامع أشتات العلوم والمبرز فى المنطوق فيها والمفهوم جرت الائمة قبله بشأو ولم تقع منه بالغاية ولا وقف عند مطلب وراءه مطلب لاصحاب النهاية والبداية حتى أخمد من القرناء كل خصم بلغ مبلغ السها وأخمد من نيران البدع كل ما لا يستطيع أيدى المجالدين مسها كان ضرغاما الا أن الاسود تتضاءل بين يديه وتتوارى وبدرا تماما الا ان هذا لا يشرق نهارا وبشرا من الخلق ولكنه الطود العظيم وبعض الخلق ولكن مثل ما بعض الحجر الدر النظيم جاء والناس الى رد فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصابيح السماء وأفقر من الجدباء الى قطرات الماء فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفى بجلاد مقاله ويحمى حوزته ولا يلطخ بدم المعتدين حد نصاله حتى أصبح الدين وثيق العرا وانكشفت غياهب الشكوك وما كانت الاحديثا يفترى هذا مع ورع طوى عليه ضميره وخلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميره وتجريد تراه به وقد توحد فى بحر التوحيد وباهى

ألقى الصحيفة كى يخفف رحله * والزاد حتى نعله ألقاها

ترك الدنيا وراء ظهره وأقبل على الله تعالى يعامله فى سره وجهره وزاد المناوى فى طبقاته بعد قوله فى أول الترجمة فى المنطوق منها والمفهوم ما نصه بحر ليس للبحر ما عنده من الجواهر وحبر سما على السماء وأين للسماء مثل ماله من الزواهر وروضة علم تستقل الرياض فنشرها ان تحكى ما لديه من الازاهر انتظمت بقدره العظيم عقود الملة الاسلامية وابتسمت بدره النظيم ثغور الشريعة المحمدية فغاص من العلوم فى بحار عميقه وروض نفسه فى دفع أهل البدع وسلوك الطريقه وقال أبو ابراهيم الفتح بن على البغدادى فى ذيله على تاريخ بغداد هو من لم تر العيون مثله لسانا ونطقا وبيانا وخاطرا وذكاء وطبعا وقال ابن المقرى فى تحفة الارشاد الى سبيل الرشاد ما نصه باسمه تنشرح الصدور وتحيا النفوس وبرسمه تفتخر المحابر وتشتهر الطروس ولسماعه تخشع الاصوات وتخضع الرؤس وترجمه الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه فأطال فيها وكذا الحافظ ابن السمعانى نحوا منه وقال الحافظ محب الدين بن النجار الحنبلى فى ذيله على تاريخ بغداد ما نصه امام الفقهاء على الاطلاق وربانى الامة بالاتفاق ومجتهد زمانه وعين وقته وأوانه ومن شاع ذكره فى البلاد واشتهر فضله بين العباد واتفقت الطوائف على تبجيله وتعظيمه وتوقيره

كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والاخبار والآثار وأما ربع المنجيات فاذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التى يتقرب بها العبد من رب العالمين واذكر فى كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذى به تجتلب وثمرتها التى منها تستفاد وعلامتها التى بها تعرف وفضيلتها التى لاجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل (المقصد فى فضل الكتاب المشار اليه وبعض المدائح والثناء من الاكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطعن بسببه فيه) اعلم ان فضائل الاحياء لا تحصى بل كل فضيلة له باعتبار حيثياتها لا تستقصى جمع الناس مناقبه فقصروا وما قصروا وغاب عنهم أكثر مما أبصروا وعز من أفردها فيما علمت بتأليف وهى جديرة بالتصنيف غاص مؤلفه رضى الله عنه فى بحار الحقائق واستخرج جواهر المعانى ثم لم يرض الابكارها وجال فى بساتين العلوم فاجتنى ثمارها بعد ان اقتطف من أزهارها وسما الى سماء المعانى فلم يصطف من كواكبها الا السياره

وتكرمه وخافه المخالفون وانقهر بحججه المناظرون وظهر بتنقيحاته فضائح المبتدعة والمخالفين وقام بنصر السنة واظهار الدين وسارت مؤلفاته في الدنيا مسير الشمس في البهجة والجمال وشهد له الموافق والمخالف بالتقدم والكمال

(الفصل الثاني في بيان مولده وشيء من أخبار نشأته)

قالوا ولد بطوس سنة خمسين وار بعمائة وكان والده يغزل الصوف و يبيعه في دكانه بطوس فلما حضرته الوفاة أوصى به و بأخيه أحمد الى صديق له متصوف من أهل الخير وقال ان لي لتأسفا عظيما على تعلم الخط واشتهى استدراك مافاتني في ولدي هذين فأقام بهما وعلمهما الخط وأدبهما الى ان فني ذلك النزر اليسير الذي كان خلفه لهما أبوهما وتعذر على الصوفي القيام بقوتهما فقال لهما اعلما اني قد أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل من أهل التجريد بحيث لامال لي فأواسيكما به وأصلح ما أرى لكما أن تلجآ الى مدرسة فانكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما ففعلا ذلك وكان هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما وكان الغزالي يحكي هذا و يقول طلبنا العلم لغير الله فأبا أن يكون الا لله

(الفصل الثالث في بيان مبدأ طلبه للعلم)

قرأ في صباه طرفا من الفقه ببلده على أحمد بن محمد الراذكاني ثم سافر الى جرجان الى الامام أبي نصر الاسماعيلي وعلق عنه التعليقة ثم رجع الى طوس قال الامام أسعد الميهني فسمعته يقول قطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع مامعي ومضوا فتبعتهم فالتفت الى مقدمهم وقال ارجع والا هلكت فقلت له أسألك بالذي ترجو السلامة منه ان ترد على تعليقتي فقط فما هي بشيء تنتفعون به فقال لي وما هي تعليقتك فقلت كتب في تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها فضحك وقال كيف تدعي انك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها و بقيت بلا علم ثم أمر بعض أصحابه فسلم الى المخلاة فقال الغزالي هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدني به في أمري فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ماعلقته وصرت بحيث لو قطع على الطريق لم أتجرد من علمي ثم قدم نيسابور ولازم امام الحرمين حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والاصلين والمنطق وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم كل ذلك وفهم كلام أرباب هذه العلوم وتصدى للرد على مبطليهم وابطال دعاويهم وصنف في كل فن من هذه العلوم كتبا أحسن تأليفها وأجاد وضعها وترصيفها وكان شديد الذكاء سديد النظر عجيب الفطرة مفرط الادراك قوي الحافظة بعيد الغور غواصا على المعاني الدقيقة جبل علم مناظرا محجاجا وكان امام الحرمين يصف تلامذته فيقول الغزالي بحر مغرق والكيا أسد مخرق والخوافي نار تحرق و يقال كان الامام يظهر في الظاهر الافتخار به وعنده في الباطن منه شيء لما ظهر منه من انيق العبارة ورقيق الاشارة وصحة السماع وقوة الطباع

(الفصل الرابع في بيان ما آل اليه أمره)

لما مات امام الحرمين خرج الغزالي الى المعسكر قاصدا للوزير نظام الملك اذ كان مجلسه مجلس أهل العلم ومحط رحالهم فناظر الأئمة العلماء في مجلسه وقهر الخصوم وظهر كلامه عليهم واعترفوا بفضله فتلقاه الصاحب بالتعظيم وطار اسمه في الآفاق واشتهر في الاقطار وولاه تدريس مدرسته ببغداد وأمرها بالتوجه اليها فقدمها في سنة أربع وثمانين وأربعمائة في تجمل كثير وتلقاه الناس ونفذت كلمته حتى غلبت حشمته الامراء والملوك والوزراء وأقام على تدريس العلم ونشره بالتعليم والفتيا والتصنيف حتى ضربت به الامثال وشدت اليه الرحال الى ان عزفت نفسه عن رذائل الدنيا فرفض مافيها من التقدم والجاه وترك كل ذلك وراء ظهره وقصد بيت الله الحرام فخرج الى الحج في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين واستناب أخاه في التدريس ودخل دمشق سنة تسع وثمانين فلبث فيها أوياما يسيرة على قدم الفقر ثم توجه الى بيت المقدس فجاور به مدة ثم عاد الى دمشق واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع بها

وجليت عليه عرائس أسرار المعاني فلم ترق في عينه منهن الابادية النضارة جمع رضي الله عنه فأوعى وسعى في احياء علوم الدين فشكر الله له ذلك المسعى فلله دره من عالم محقق مجيد وامام جامع لشتات الفضائل محرر فريد لقد أبدع فيما أودع كتابه من الفوائد الشوارد وقد أغرب فيما أعرب فيه من الامثلة والشواهد وقد أحاط فيما أفاد فيه وأملى بيد أنه في العلوم صاحب القدح المعلى اذ كان رضي الله عنه من أسرار العلوم بمحل لايدرك وأين مثله وأصله أصله وفضله فضله

هيهات لايأتي الزمان بمثله
ان الزمان بمثله لشحيح

وما عسيت أن أقول فيمن جمع أطراف المحاسن ونظم أشتات الفضائل وأخذ برقاب المحامد واستولى على غايات المناقب فشجرته في فوارة العلم والعمل والعلا والفهم والذكا أصلها ثابت وفرعها في السماء مع كونه رضي الله عنه ذا الصدر الرحيب والقريحة الثاقبة والدراية الصائبة والنفس السامية والهمة العالية ذكر الشيخ عبد الله ابن أسعد اليافعي رحمة الله عليه ان الفقيه العلامة

وكانت اقامته على ماذكرا الحافظ ابن عساكر فيما انقله عنه الذهبى ولم أجده فى كلامه وكان الغزالى يكثر الجلوس فى زاوية الشيخ نصر المقدسى بالجامع الاموى المعروفة اليوم بالغزالية نسبة اليه قال ابن عساكر أقام الغزالى بالشام نحوا من عشر سنين ونقل الذهبى انه صادف دخوله يوما المدرسة الامينية فوجد المدرس يقول قال الغزالى فخشى الغزالى على نفسه العجب ففارق دمشق وأخذ يجول فى البلاد فدخل منها الى مصر وتوجه منها الى الاسكندرية فأقام بها مدة وقيل انه عزم على المضى الى السلطان يوسف بن تاشفين سلطان الغرب لما بلغه من عدله فبلغه موته واستمر يجول فى البلدان ويتردد الى المشاهد ويطوف على الترب والمساجد ويأوى القفار ويروض نفسه ويجاهدها جهاد الابرار ويكلفها مشاق العبادات ويبلوها بأنواع القرب والطاعات الى ان صار قطب الوجود والبركة العامة لكل موجود والطريق الموصلة الى رضا الرحمن والسبيل المنصوب الى مركز الايمان ثم رجع الى بغداد وعقد بها مجالس الوعظ وتكلم على لسان أهل الحقيقة وحدث بكتاب الاحياء ورأيت فى بعض المجاميع ان سبب سياحته وزهده انه كان يوما يعظ الناس فدخل عليه أخوه أحمد فأنشده

أخذت بأعضادهم اذونوا * وخلفك الجهد اذ أسرعوا
وأصبحت تهدى ولا تهتدى * وتسمع وعظا ولا تسمع
فيا حجر الشحذ حتى متى * تسن الحديد ولا تقطع

فكان ذلك سببا لتركه علائق الدنيا وذكر عبد الغافر بن اسمعيل الفارسى خطيب نيسابور فى ترجمته بعد ان وصفه قال وسلك طريق الزهد والتاله وترك الحشمة وطرح ما نال من الدرجة والاشتغال بأسباب التقوى وزاد الآخرة وقصد حج بيت الله الحرام ثم دخل الشام وأقام فى تلك الديار قريبا من عشر سنين يطوف ويزور المشاهد وأخذ فى التصانيف المشهورة التى لم يسبق اليها مثل احياء علوم الدين والكتب المختصرة منها مثل الاربعين وغيرها من الرسائل التى من تأملها علم محل الرجل من فنون العلم وأخذ فى مجاهدة النفس وتغيير الاخلاق وتحسين الشمائل وتهذيب المعاش والتزيى بزى الصالحين وقصر الامل ووقف الاوقات على هداية الخلق ودعائهم الى مايعنيهم من أمر الآخرة وتبغيض الدنيا والاستعداد للرحيل الى الدار الباقية والانقياد لكل من يتوسم فيه أو يشم منه رائحة المعرفة أو التيقظ بشئ من أنوار المشاهدة حتى مرن على ذلك ولان ثم عاد الى وطنه لازما بيته مشتغلا بالتفكر ملازما للوقت مقصودا وذخرا لكل من يقصده ويدخل عليه الى ان أتى على ذلك مدة وظهرت التصانيف وفشت الكتب ولم تبد فى أيامه مناقضة لما كان فيه ولا اعتراض لاحد على مآثره حتى انتهت نوبة الوزارة الى فخر الملك جمال الشهداء تغمده الله برحمته وتزينت خراسان بحشمته ودولته وقد سمع وتحقق بمكان الغزالى ودرجته وكمال فضله وحالته وصفاء عقيدته ونقاء سريرته فتبرك به وحضره وسمع كلامه فاستدعى منه أن لا يبقى أنفاسه وفوائده عقيمة لا استفادة منها ولا اقتباس من أنوارها وألح عليه كل الالحاح وتشدد فى الاقتراح الى أن أجاب الى الخروج وحمل الى نيسابور وأشير عليه بالتدريس فى المدرسة الميمونة النظامية فلم يجد بدا من الاذعان للولاة ونوى باظهار ما اشتغل به افادة القاصدين دون الرجوع الى ما انخلع عنه وكم قرع عصاه بالخلاف والوقوع فيه والسعاية به والتشنيع عليه فما تأثر به ولا اشتغل بجواب الطاعنين ولقد زرته مرارا وما كنت أحدس فى نفسى ما عهدته فى سالف الزمان عليه من الذعارة وايحاش الناس والنظر اليهم بعين الازدراء اغترارا بما رزق من البسطة فى النطق والخاطر والعبارة وطلب الجاه والعلو فى المنزلة انه صار على الضد وتصفى عن تلك الكدورات وكنت أظن انه متلفع بجلباب التكلف فتحققت بعد التنقير أن الامر على خلاف المظنون وان الرجل أفاق بعد الجنون وحكى لنا عن كيفية أحواله من ابتداء ما ظهر له سلوك طريق التأله وغلبة الحال عليه بعد تبحره فى العلوم والاستعداد الذى خصه الله به فى تحصيل أنواع المعارف وتمكنه من البحث والنظر

حتى

قطب اليمن اسمعيل بن محمد الحضرمى ثم اليمنى سئل عن تصانيف الغزالى فقال من جملة جوابه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم سيد الانبياء ومحمد بن ادريس الشافعى سيد الائمة ومحمد ابن محمد بن محمد الغزالى سيد المصنفين وذكر اليافعى أيضا ان الشيخ الامام الكبير أبا الحسن على بن حرزهم الفقيه المشهور المغربى كان بالغ فى الانكار على كتاب احياء علوم الدين وكان مطاعا مسموع الكلمة فأمر بجمع ما ظفر به من نسخ الاحياء وهم باحراقها فى الجامع يوم الجمعة فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع فاذا هو بالنبى صلى الله عليه وسلم فيه ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما والامام الغزالى قائم بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فلما أقبل ابن حرزهم قال الغزالى هذا خصمى يارسول الله فان كان الامر كما زعم تبت الى الله وان كان شيأ حصل لى من بركتك واتباع سنتك فخذلى حقى من خصمى ثم ناول النبى صلى الله عليه وسلم كتاب الاحياء فتصفحه النبى صلى الله عليه وسلم ورقة ورقة من أوله الى آخره ثم قال والله ان هذا لشئ

حتى تبرم من الاشتغال بالعلوم الغريبة عن المعاملة وتفكر فى العاقبة وما يجدى و ينفع فى الآخرة فاقتدى بصحبة الفارمدى واستفتح منه الطريقة وامتثل ما كان يشير عليه من القيام بوظائف العبادات والامعان فى النوافل واستدامة الاذكار والجد والاجتهاد الى ان جاز تلك العقبات وتكلف تلك المشاق وما تحصل على ما كان يطلبه من مقصوده ثم حكى انه راجع العلوم وخاض فى الفنون وعاود الاجتهاد فى كتب العلوم الدقيقة حتى انفتحت له أبوابها وبقى مدة فى الوقائع وتكافؤ الادلة وأطراف المسائل ثم حكى انه فتح عليه باب من الخوف بحيث شغله عن كل شئ وحمله على الاعراض عما سواه حتى سهل ذلك وهكذا وهكذا الى ان ارتاض كل الرياضة وظهرت له الحقائق وصار ما كنا نظن به ناموسا وتخلقا طبعا وتحققا وان ذلك أثر السعادة المقدرة له من الله تعالى ثم سألناه عن كيفية رغبته فى الخروج من بيته والرجوع الى ما دعى اليه من أمر نيسابور فقال معتذرا عنه ما كنت أجوز فى دينى أن أقف عن الدعوة ومنفعة الطالبين بالافادة وقد حق على أن أبوح بالحق وأنطق به وادعو اليه وكان صادقا فى ذلك ثم ترك ذلك وعاد الى بيته فاتخذ فى جواره مدرسة لطلبة العلم وخانقاه للصوفية وكان قد وزع أوقاته على وظائف الحاضرين من ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب والقعود للتدريس بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته ولحظات من معه عن فائدة ومما وجد بخط الزاهد قطب الدين محمد بن الاردبيلى قال قال حجة الاسلام كنت فى بداية أمرى منكرا لاحوال الصالحين ومقامات العارفين حتى صحبت شيخى يوسف النساج بطوس فلم يزل يصقلنى بالمجاهدة حتى حظيت بالواردات فرأيت الله فى المنام فقال لى يا أبا حامد قلت أو الشيطان يكلمنى قال لا بل أنا الله المحيط بجهاتك الست ثم قال يا أبا حامد ذر مساطرك واصحب أقواما جعلتهم فى أرضى محل نظرى وهم الذين باعوا الدارين بحبى فقلت بعزتك الا أذقتنى برد حسن الظن بهم فقال قد فعلت والقاطع بينك وبينهم تشاغلك بحب الدنيا فاخرج منها مختارا قبل أن تخرج منها صاغرا فقد أفضت عليك أنوارا من جوار قدسى فقم وقل فاستيقظت فرحا مسرورا وجئت الى شيخى يوسف النساج فقصصت عليه المنام فتبسم فقال يا أبا حامد هذه ألواحنا فى البداية محوناها بأرجلنا بل ان صحبتنى سيكحل بصر بصيرتك باثمد التأييد حتى ترى العرش ومن حوله ثم لا ترضى بذلك حتى تشاهد ما لا تدركه الابصار فتصفو من كدر طبيعتك وترقى على طور عقلك وتسمع الخطاب من الله تعالى كموسى انى أنا الله رب العالمين ونقل القطب سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه الاجوبة المرضية عن الشيخ الاكبر ما نصه وكان الغزالى يقول لما أردت أن أنخرط فى سلك القوم وأشرب من شرابهم نظرت الى نفسى فرأيت كثرة حجبها ولم يكن له شيخ اذ ذاك فدخلت الخلوة واشتغلت بالرياضة والمجاهدة أربعين يوما فانقدح لى من العلم ما لم يكن عندى أصفى وأرق مما كنت أعرفه فنظرت فيه فاذا فيه قوة فقهية فرجعت الى الخلوة واشتغلت بالرياضة والمجاهدة أربعين يوما فانقدح لى علم آخر أرق وأصفى مما حصل عندى أولا ففرحت به ثم نظرت فيه فاذا فيه قوة نظرية فرجعت الى الخلوة ثالثا أربعين يوما فانقدح لى علم آخر هو أرق وأصفى فنظرت فيه فاذا فيه قوة ممزوجة بعلم ولم ألحق بأهل العلوم اللدنية فعلمت أن الكتابة على المحو ليست كالكتابة على الصفاء الاول والطهارة الاولى ولم أتميز عن النظار الا ببعض أمور ثم قال الشيخ الاكبر رحم الله أبا حامد ما كان أكثر انصافه وتحرزه من الدعوى اه

(الفصل الخامس فى ثناء الاكابر عليه من مشايخه وممن عاصره وممن أتى بعده)

قال ابن السبكى حكى عن الشيخ العارف أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه وكان سيد عصره ولسان وقته وبركة زمانه انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم وقد باهى عليه الصلاة والسلام موسى وعيسى عليهما السلام بالامام الغزالى وقال أفى أمتكما حبر مثل هذا قالا لا وسئل السيد العارف بالله سيد وقته أيضا أبو العباس المرسى عن الغزالى فقال أنا أشهد له بالصديقية العظمى ونقل المناوى فى طبقاته عن القطب اليافعى عن بعض العلماء الجامعين بين علم الظاهر والباطن انه قال لو كان نبى بعد النبى لكان الغزالى

حسن ثم ناوله الصديق رضى الله عنه فنظر فيه فاستجاده ثم قال نعم والذى بعثك بالحق انه لشئ حسن ثم ناوله الفاروق عمر رضى الله عنه فنظر فيه واثنى عليه كما قال الصديق فامر النبى صلى الله عليه وسلم بتجريد الفقيه على بن حرزهم عن القميص وان يضرب و يحد حد المفترى فجرد وضرب فلما ضرب خمسة أسواط تشفع فيه الصديق رضى الله عنه وقال يا رسول الله لعله ظن خلاف سنتك فاخطأ فى ظنه فرضى الامام الغزالى وقبل شفاعة الصديق ثم استيقظ ابن حرزهم وأثر السياط فى ظهره وأعلم أصحابه وتاب الى الله عن انكاره على الامام الغزالى واستغفر ولكنه بقى مدة طويلة متألما من أثر السياط وهو يتضرع الى الله تعالى و يتشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان رأى النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليه ومسح بيده الكريمة على ظهره فعوفى وشفى باذن الله تعالى ثم لازم مطالعة احياء علوم الدين ففتح الله عليه فيه ونال المعرفة بالله وصار من أكابر المشايخ اهل العلم الباطن والظاهر رحمه الله تعالى قال اليافعى ر وينا

وشهد له القطب سيدى محيي الدين بن عربي وناهيك به انه من رؤساء الطريقة وساداتهم ونقل عنه انه كان يرى المناسبة ويقول بها فرأى في بيت المقدس حمامة وغرابا لصق أحدهما بالآخر وأنس به ولم يستوحش منه فقال اجتماعهما لمناسبة فأشار اليهما بيده فدرجا فاذا بكل منهما عرج قال والمناسبة في مساق الاشياء صحيحة ومعرفتها من مقامات خواص أهل الطريقة وهي غامضة موجودة في كل شئ حتى بين الاسم والمسمى قال والقائلون بها من طريقتنا عظماء أهل المراقبة والادب ولا تكون الا بعد كشف علمي ومشهد ملكوتي ويروى عن بعضهم قال الاقطاب ثلاثة قطب العلوم كحجة الاسلام الغزالى وقطب الاحوال كأبي يزيد البسطامي وقطب المقامات كعبد القادر الجيلانى نقلته من كتاب القصد والسداد في مناقب القطب السيد عبد الله باحداد وفيه أيضا من كلمات المترجم قدس سره هذا الثوب نسجه الغزالى وقصره عبد القادر الجيلانى أو قال الشعرانى أوهما ونحن خيطناه ونقشناه وأين من يلبسه قال ففيه اشارة الى أن الغزالى والشعرانى قد بلغا في العلوم اللدنية المبلغ الذى فاقا به الكل وقال السبكي في جواب كتاب أبي العفيف المطرى وقد سأله عن الغزالى ما نصه وماذا يقول الانسان وفضله واسمه قد طبق الارض ومن خبر كلامه عرف انه فوق اسمه وقال محمد بن يحيى النيسابورى تلميذ الغزالى لا يعرف الغزالى وفضله الا من بلغ أو كاد أن يبلغ الكمال في عقله قال ابن السبكي يعجبنى هذا الكلام فان الذى يجب أن يطلع على منزلة من هو أعلى منه في العقل يحتاج الى العقل والفهم فبالعقل يميز وبالفهم يقضي ولما كان علم الغزالى في الغاية القصوى احتاج من يريد الاطلاع على مقداره أن يكون هو تام العقل وأقول لا بد مع تمام العقل من مداناة مرتبته في العلم لمرتبة الآخر وحينئذ فلا يعرف أحد ممن جاء بعد الغزالى قدر الغزالى الا بمقدار علم الغزالى اذ لم يجئ بعده مثله ثم المدانى له انما يعرف قدره بقدر ما عنده لا بقدر الغزالى نفسه سمعت الشيخ الامام الوالد يقول لا يعرف قدر الشخص في العلم الا من ساواه في رتبته وخالطه مع ذلك قال وانما يعرف قدره بمقدار ما أوتيه هو وكان يقول لنا لا احد من الاصحاب يعرف قدر الشافعي كما يعرفه المزنى قال وانما يعرف المزنى من قدر الشافعي بمقدار قوى المزنى والزائد عليها من قوى الشافعي لم يدركه المزنى وكان يقول أيضا لا يقدر أحد النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره الا الله تعالى وانما يعرف كل واحد من مقداره بمقدار ما عنده هو قال فأعرف الامة بقدره صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضى الله عنه لانه أفضل الامة قال وانما يعرف أبو بكر من مقدار المصطفى صلى الله عليه وسلم ما تصل اليه قوى أبي بكر وثم أمور تقصر عنها قواه لم يحط بها علمه ومحيط بها علم الله وهو كلام نفيس وقد قدمنا كلام شيخه امام الحرمين فيه وناهيك به جلالة وقدرا ان الغزالى بحر مغرق وقال الحافظ أبو طاهر السلفي سمعت الفقهاء يقولون كان الجوينى يعنى امام الحرمين يقول في تلامذته اذا ناظروا التحقيق للخوافى والجربيات للغزالى والبيان للكيا

(الفصل السادس في ذكر شئ من كراماته)

يحكى أن السلطان على بن يوسف بن تاشفين صاحب المغرب الملقب بأمير المسلمين وكان أميرا عادلا نزها فاضلا عارفا بمذهب مالك خيل اليه لما دخلت مصنفات الغزالى الى المغرب انها مشتملة على الفلسفة المحضة وكان المذكور يكره هذه العلوم فأمر باحراق كتب الغزالى وتوعد بالقتل من وجد عنده شئ منها فاختلت حاله وظهرت في بلاده مناكر كثيرة وقويت عليه الجند وعلم من نفسه العجز بحيث كان يدعو الله بأن يقيض للمسلمين سلطانا يقوى على أمرهم وقوى عليه عبد المؤمن بن على ولم يزل من حين فعل بكتب الغزالى ما فعل في عكس ونكد الى أن توفى وقال أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد المنعم العبدرى المؤذن رأيت بالاسكندرية سنة خمسمائة في احدى عشرة من المحرم أو صفر فيما يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها فعبر ذلك بعض المعبرين ببدعة تحدث فيهم فبعد أيام وصلت المراكب باحراق كتب الامام أبي حامد الغزالى بالمرية وذكر الامام فخر الدين أبو بكر الشاشي انه كان في زماننا رجل يكره الغزالى يذمه ويستغيبه في الديار المصرية

ذلك بالاسانيد الصحيحة فاخبرنى بذلك ولى الله عن ولى الله عن ولى الله عن ولى الله الشيخ الكبير القطب شهاب الدين أحمد بن الميلق الشاذلى عن شيخه الشيخ الكبير العارف بالله ياقوت الشاذلى عن شيخه الشيخ الكبير العارف بالله أبي العباس المرسى عن شيخه الشيخ الكبير شيخ الشيوخ أبي الحسن الشاذلى قدس الله أرواحهم وكان معاصرا لابن حرزهم قال وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى ولقد مات الشيخ أبو الحسن ابن حرزهم رحمه الله يوم مات وأثر السياط ظاهر على ظهره وقال الحافظ ابن عساكر رحمه الله وكان أدرك الامام الغزالى واجتمع به قال سمعت الامام الفقيه الصوفى سعد بن على بن أبي هريرة الاسفرايينى يقول سمعت الشيخ الامام الاوحد زين القراء جمال الحرم أبا الفتح الشاوى بمكة المشرفة يقول دخلت المسجد الحرام يوما فطرأ على حال وأخذنى عن نفسى فلم أقدر ان أقف ولا أجلس لشدة ما بي فوقعت على جنبي الايمن تجاه الكعبة المعظمة وأنا على طهارة وكنت أطرد عن نفسى النوم فاخذتنى سنة بين النوم

فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام وأبابكر وعمر رضى الله عنهما بجانبه والغزالى جالس بين يديه وهو يقول يارسول الله هذا يتكلم فى فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قال هاتوا السياط وأمر به فضرب لاجل الغزالى وقام هذا الرجل من النوم وأثر السياط على ظهره لم يزل وكان يبكى ويحكيه للناس ولهذه القصة نظيرة وقعت لابن حرزهم المغربى يأتى ذكرها عند ذكر كتاب الاحياء وقال ابن السبكى وحكى لى بعض الفقهاء أهل الخير بالديار المصرية ان شخصا تكلم فى الغزالى فى درس الشافعية وسبه فحمل هذا الحاكى من ذلك همامفرطا وبات تلك الليلة فرأى الغزالى فى النوم فذكر له ماوجد من ذلك فقال لاتحمل هما غدا يموت فلما أصبح توجه الى درس الشافعى فوجد ذلك الفقيه قد حضر طيبا فى عافية ثم خرج من الدرس فلم يصل الى بيته الا وقد وقع من على الدابة ودخل بيته فى حال التلف وتوفى آخر ذلك النهار

(الفصل السابع فى انتقاله من دار الدنيا الى دار الآخرة)

قالوا ولم يزل موزعا أوقاته على تلاوة القرآن ومجالسة أرباب القلوب وادامة الصيام والقيام حتى كان فى جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة وفى كتاب الثبات عند الممات لابن الجوزى قال أحمد أخو الغزالى لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخى وصلى وقال على بالكفن فأخذه وقبله ووضعه على عينيه وقال سمعا وطاعة للدخول على الملك ثم مد رجليه واستقبل فانتقل الى رضوان الله تعالى قبل الاسفار طيب الثناء أعلى منزلة من نجم السماء لايكرهه الاحاسد أو زنديق ولا يسومه بالسوء الامن كان فى قلبه ريب أوحاد عن سواء الطريق وقال فخر الدين بن عساكر مضى الى رحمة الله يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة ودفن بظاهر قصبة طابران والله يخصه بأنواع الكرامة فى أخراه كما خصه بفنون العلم فى دنياه بمنه ولم يعقب الا البنات وكان له من الاسباب ارثا وكسبا مايقوم بكفايته ونفقة أهله وأولاده فما كان يباسط أحدا فى الامور الدنيوية وقد عرضت عليه فما قبلها وأعرض عنها واكتفى بالقدر الذى يصون به دينه ولا يحتاج معه الى التعرض للسؤال والنوال من غيره قال ابن السمعانى وقد زرت قبره بالطابران قصبة طوس سمعت أباجعفر عمر بن محمد بن أحمد الطوسى مذاكرة يقول تمثل الامام اسمعيل الحاكمى بعد وفاة الامام أبى حامد الغزالى بهذا البيت

عجبت لصبرى بعده وهوميت * وكنت امرأ أبكى دما وهو غائب

ووجدت فى كتاب بهجة الناظر من وأنس العارفين للعارف بالله محمد بن عبد العظيم الزمورى مانصه ومما حدثنا به من أدركنا من المشيخة ان الامام أباحامد الغزالى لما حضرته الوفاة أوصى رجلا من أهل الفضل والدين كان يخدمه أن يحفر قبره فى موضع بيته ويستوصى أهل القرى التى كانت قريبة الى موضعه ذلك بحضور جنازته وأن لايباشره أحد حتى يصل ثلاثة نفر من الفلاة لايعرفون فى بلاد العراق يغسله اثنان منهما ويتقدم الثالث بالصلاة عليه بغير أمر أحد ولا مشورة فلما توفى فعل الخديم كل ما أمره به وحضر الناس فلما اجتمعوا لحضور جنازته رأوا ثلاثة رجال خرجوا من الفلاة فعمد اثنان منهم الى غسله واختفى الثالث ولم يظهر فلما غسل وأدرج فى أكفانه وحملت جنازته ووضعت على شفير قبره ظهر الرجل الثالث ملتفا فى كسائه فى جانبيه علم أسود معمما بعمامة صوف وصلى عليه وصلى الناس بصلاته ثم سلم وانصرف فتوارى عن الناس وكان بعض الفضلاء من أهل العراق ممن حضر الجنازة ميزه بصفاته ولم يعرفه الى ان سمع بعضهم بالليل هاتفا يقول لهم ان ذلك الرجل الذى صلى بالناس هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن اسحق امغار الشريف جاء من المغرب الاقصى من عين القطروان اللذين غسلاه هما صاحباه أبو شعيب أيوب بن سعيد بن دازمور وأبو عيسى وازجيج فلما سمعوا بذلك عملوا الرحلة من العراق الى صنهاجة أزمور بالمغرب الاقصى فلما وصلوا اليهم واستوهبوا منهم الدعاء انصرفوا الى العراق وأخبروا متصوفة العراق وأشاعوا كراماتهم ثم ان جماعة منهم لما سمعوا بذلك أتوا الى زيارتهم فوجدوهم أولئك الذين ميزوا واستوهبوا منهم الدعاء وهو سياق غريب

واليقظة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى أكمل صورة وأحسن زى من القميص والعمامة ورأيت الائمة الشافعى ومالكا وأباحنيفة وأحمد رحمهم الله يعرضون عليه مذاهبهم واحدا بعد واحد وهو صلى الله عليه وسلم يقررهم عليها ثم جاء شخص من رؤساء المبتدعة ليدخل الحلقة فامر النبي صلى الله عليه وسلم بطرده واهانته فتقدمت أنا وقلت يارسول الله هذا الكتاب أعنى احياء علوم الدين معتقدى ومعتقد أهل السنة والجماعة فلو أذنت لى حتى أقرأه عليك فاذن لى فقرأت عليه من كتاب قواعد العقائد بسم الله الرحمن الرحيم كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول الفصل الاول فى ترجمة عقيدة أهل السنة حتى انتهيت الى قول الغزالى وأنه تعالى بعث النبي الامى القرشى محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة العرب والعجم والجن والانس فرأيت البشاشة فى وجهه صلى الله عليه وسلم ثم التفت وقال اين الغزالى واذا بالغزالى واقف بين يديه فقال هاأنا ذا يارسول الله وتقدم وسلم فرد عليه السلام عليه الصلاة والسلام وناوله يده الكريمة فاكب

(الفصل الثامن فى ذكر شئ مما رثى به بعد موته)

فمن ذلك قول أبى المظفر الابيوردى قال يرثيه

بكى على حجة الاسلام حين ثوى * من كل حى عظيم القدر أشرفه
فما لمن يمترى فى الله عبرته * على أبى حامد لاح يعنفه
تلك الرزية تستوهى قوى جلدى * والطرف تسهره والدمع تنزفه
فماله خلة فى الزهد تنكرها * وماله شبه فى العلم تعرفه
مضى فأعظم مفقود فجعت به * من لا نظير له فى الناس يخلفه

وقال القاضى عبد الملك بن أحمد بن محمد بن المعافى

بكيت بعين واجم القلب واله * فتى لم يوال الحق من لم يواله
وسيبت دمعا طالما قد حبسته * وقلت لجفنى واله ثم واله
أبا حامد محيى العلوم ومن بقى * لشد عرا الاسلام وفق مقاله

وفى بعض النسخ ومن بقى صدا الدين والاسلام وفق صقاله

(الفصل التاسع فى ذكر شئ من رسائله ومكاتباته الى أصحابه)

قال ابن السمعانى قرأت فى كتاب كتبه الغزالى الى أبى حامد أحمد بن سلامة بالموصل فقال فى خلال فصوله اما الوعظ فلا أرى نفسى أهلا له لان الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد الثوب كيف يستتر به غيره *ومتى يستقيم الظل والعود أعوج *وقد أوحى الله الى عيسى عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى وقال ابن السمعانى أيضا سمعت أبا نصر الفضل بن الحسن بن على المقرى مذاكرة يقول دخلت على الامام أبى حامد مودعا فقال لى احمل هذا الكتاب الى المعين أبى القاسم البيهقى ثم قال وفيه شكاية على العز المتولى للاوقاف بطوس وكان ابن أخى المعين فقلت له كنت بهراة عند عمه المعين وكان العمان الطوسى جاء بمحضر فى الثناء ٧ على المعين وعليه خطك وكان عمه قد طرده وهجره فلما رأى خطك وثناءك عليه قربه ورضى عنه فقال الامام الغزالى سلم الكتاب الى المعين واقرأ عليه هذا البيت وأنشد

ولم أر ظلما مثل ظلم ينالنا * يساء الينا ثم نؤمر بالشكر

ذكر الرسالة التى كتبها الى بعض أهل عصره مانصه بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين والصلاة على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد فقد انتسج بينى وبين الشيخ الاجل معتمد الملك أمير الدولة غرس الله تأييده بواسطة القاضى الجليل الامام مروان زاده الله توفيقا من الوداد وحسن الاعتقاد ما يجرى مجرى القرابة ويقتضى دوام المكاتبة والمواصلة وانى لا أصله بصلة أفضل من نصيحة توصله الى الله وتقربه اليه زلفى وتحله الفردوس الاعلى فالنصيحة هى هدية العلماء وانه لن يهدى الى تحفة أكرم من قبوله لها واصغائه بقلب فارغ عن ظلمات الدنيا اليها وانى أحذره اذا ميزت عنده أرباب القلوب أحرار الناس أن يكون الا فى زمرة الكرام الاكياس وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس فقال أتقاهم فقيل من أكيس الناس فقال أكثرهم للموت ذكرا وأشدهم استعدادا وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله المغفرة وأشد الناس غباوة وجهلا من تهمه أمور دنياه التى تختطف عند الموت ولا يهمه أن يعرف أنه من أهل الجنة أو النار وقد عرفه الله تعالى ذلك حيث قال ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم وقال فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى وقال من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها الى قوله وباطل ما كانوا يعملون وانى أوصيه أن يصرف الى هذا المهم همته وأن

عليها الغزالى يقبلها ويتبرك بها وما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم أشد سرورا بقراءة أحد عليه مثل ما كان بقراءتى عليه الاحياء ثم انتبهت والدمع يجرى من عينى من أثر تلك الاحوال والكرامات وكان تقريره صلى الله عليه وسلم لمذاهب أئمة السنة واستبشاره بعقيدة الغزالى وتقريرها نعمة من الله عظيمة ومنة جسيمة نسأل الله تعالى ان يحيينا على سنته ويتوفانا على ملته آمين

*(فصل) أثنى على الاحياء عالم من علماء الاسلام وغير واحد من عارفى الانام بل جمع أقطاب وأفراد فقال فيه الحافظ الامام الفقيه أبو الفضل العراقى فى تخريجه انه من أجل كتب الاسلام فى معرفة الحلال والحرام جمع فيه بين ظواهر الاحكام ونزع الى سرائر دقت عن الافهام لم يقتصر فيه على مجرد الفروع والمسائل ولم يتبحر فى اللجة بحيث يتعذر الرجوع الى الساحل بل مزج فيه علمى الظاهر والباطن ومزج معانيها فى أحسن المواطن وسبك فيه نفائس اللفظ وضبطه وسلك فيه من النمط أوسطه مقتديا بقول على كرم الله وجهه خير هذه

٧ قوله على المعين لعله العزيز كذا بهامش اهـ

يحاسب نفسه قبل أن يحاسب و يراقب سر يرته وعلانيته وقصده وهمته وأفعاله وأقواله واصداره وايراده أهي مقصورة على ما يقربه من الله تعالى و يوصله الى سعادة الابد أوهي مصروفة الى ما يعمر دنياه و يصلحها له اصلاحا منغصا مشوبا بالكدورات مشحونا بالهموم والغموم ثم يختمها بالشقاوة والعياذ بالله فليفتح عين بصيرته ولتنظر نفس ما قدمت لغد وليعلم انه لامشفق ولا ناظر لنفسه سواه وليتدبر ماهو بصدده فان كان مشغولا بعمارة ضيعة فلينظر كم من قرية أهلكها الله وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها بعد عمالها وان كان مقبلا على استخراج ماء أو عمارة نهر فليتفكر كم من بئر معطلة بعد عمارها وان كان مهتما بتأسيس بناء فليتأمل كم من قصور مشيدة البنيان محكمة القواعد والاركان أظلمت بعد سكانها وان كان معتنيا بعمارة الحدائق والبساتين فليعتبر كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم الآية وليقرأ قوله تعالى أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وان كان مشغوفا والعياذ بالله بخدمة سلطان فليذكر ما ورد في الخبر انه ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأعوانهم فلا يبقى أحد منهم مد لهم دواة أو برى لهم قلما فما فوق ذلك الا أحضروا فيجمعون في تابوت من نار فيلقون في جهنم وعلى الجملة فالناس كلهم الا من عصم الله نسوا الله فنسيهم فأعرضوا عن التزود للآخرة وأقبلوا على طلب أمرين الجاه والمال فان كان هو في طلب جاه ورياسة فليتذكر ما ورد به الخبر ان الامراء والرؤساء يحشرون يوم القيامة في صور الذر تحت أقدام الناس يطؤنهم بأقدامهم وليقرأ ما قال تعالى في كل متكبر جبار وقد قال صلى الله عليه وسلم يكتب الرجل جبارا وما علك الا أهل بيته أي اذا طلب الرياسة بينهم وتكبر عليهم وقد قال عليه السلام ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فسادا من حب الشرف في دين الرجل المسلم وان كان في طلب المال وجمعه فليتأمل قول عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين مسرة في الدنيا مضرة في الآخرة بحق أقول لا تدخل الاغنياء ملكوت السماء وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم يحشر الاغنياء أربع فرق رجل جمع مالا من حرام وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ورجل جمع مالا من حرام وأنفقه في حلال فيقال اذهبوا به الى النار ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه في حلال فيقال قفوا هذا واسألوه لعله ضيع بسبب غناه فيما فرضناه عليه أو قصر في الصلاة أو في وضوئها أو في ركوعها أو سجودها أو خشوعها أو ضيع شيأ من فرض الزكاة والحج فيقول الرجل جمعت المال من حلال وأنفقته في حلال وما ضيعت شيأ من حدود الفرائض بل أتيت بتمامها فيقال لعلك باهيت بمالك واختلت في شيء من ثيابك فيقول يارب ما باهيت بمالي ولا اختلت في ثيابي فيقال لعلك فرطت فيما أمرناك من صلة الرحم وحق الجيران والمساكين وقصرت في التقديم والتأخير والتفضيل والتعديل ويحيط به هؤلاء فيقولون ربنا أغنيته بين أظهرنا وأحوجتنا اليه فقصر في حقنا فان ظهر تقصير ذهب به الى النار والا قيل له قف هات الآن شكر كل نعمة وكل شربة وكل أكلة وكل لذة فلا يزال يسئل و يسئل فهذه حال الاغنياء الصالحين المصلحين القائمين بحقوق الله أن يطول وقوفهم في العرصات فكيف حال المفرطين المنهمكين في الحرام والشبهات المكاثرين به المتبعين لشهواتهم الذين قيل لهم ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر فهذه المطالب الفاسدة هي التي استولت على قلوب الخلق تسخرها للشيطان وتجعلها ضحكة له فعليه وعلى كل مستمر في عداوة نفسه أن يتعلم علاج هذا المرض الذي حل بالقلوب فعلاج مرض القلوب أهم من علاج مرض الابدان ولا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم وله دواآن أحدهما ملازمة ذكر الموت وطول التأمل فيه مع الاعتبار بخاتمة الملوك وأرباب الدنيا كيف جمعوا كثيرا وبنوا قصورا وفرحوا بالدنيا بطرا وغرورا فصارت قصورهم قبورا وأصبح جمعهم هباء منثورا وكان أمر الله قدرا مقدورا أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون فقصورهم وأملاكهم ومساكنهم صوامت ناطقة تشهد بلسان حالها على غرور عمالها فانظر الآن في

الامة النمط الاوسط يلحق بهم التالي ويرجع اليهم الغالي الى آخر ما ذكره مما الاولى بنا في هذا المحل طيه ثم الانتقال الى نشر محاسن الاحياء ليظهر للمحب والمبغض رشده وغيه وقال عبد الغافر الفارسي في مثال الاحياء انه من تصانيفه المشهورة التي لم يسبق اليها وقال فيه النووي كاد الاحياء ان يكون قرآنا وقال الشيخ أبو محمد الكازروني لو محيت جميع العلوم لاستخرجت من الاحياء وقال بعض علماء المالكية الناس في فضلة علوم الغزالي اي والاحياء جامعها كما سيأتي انه البحر المحيط وكان السيد الجليل كبير الشان تاج العارفين وقطب الاولياء الشيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه يكاد يحفظه نقلا وروى عنه أنه قال مكثت سنين أطالع كتاب الاحياء كل فصل وحرف منه وأعاوده وأتدبره فيظهر لي منه في كل يوم علوم وأسرار عظيمة ومفهومات غزيرة غير التي قبلها ولم يسبقه أحد ويلحقه أحد أثنى على كتاب الاحياء بما أثنى عليه ودعا الناس بقوله وفعله اليه وحث على التزام مطالعته والعمل بما فيه ومن

جميعهم هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا * الدواء الثانى تدبر كتاب الله تعالى ففيه شفاء ورحمة للعالمين وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بملازمة هذين الواعظين فقال تركت فيكم واعظين صامتا وناطقا الصامت الموت والناطق القرآن وقد أصبح أكثر الناس أمواتا عن كتاب الله تعالى وان كانوا أحياء فى معايشهم وبكما عن كتاب الله وان كانوا يتلونه بألسنتهم وصما عن سماعه وان كانوا يسمعونه بآذانهم وعميا عن عجائبه وان كانوا ينظرون اليه فى مصاحفهم وامين فى أسراره ومعانيه وان كانوا يشرحونه فى تفاسيرهم فاحذر أن تكون منهم وتدبر أمرك وأمر من لم يتدبر كيف ندم وتحسر وانظر فى أمرك وأمر من لم ينظر فى أمر نفسه كيف خاب عند الموت وخسر واتعظ بآية واحدة فى كتاب الله ففيه مقنع وبلاغ لكل ذى بصيرة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون الى آخرها واياك ثم اياك أن تشتغل بجمع المال فان فرحك به ينسيك أمر الآخرة وينزع حلاوة الايمان من قلبك قال عيسى عليه السلام لا تنظروا الى أموال أهل الدنيا فان بريق أموالهم يذهب بحلاوة ايمانكم وهذه ثمرة مجرد النظر فكيف عاقبة الجمع والطغيان والبطر وأما القاضى الجليل الامام مروان أكثر الله فى أهل العلم أمثاله فهو قرة العين وقد جمع بين الفضيلتين العلم والتقوى ولكن الاستتمام بالدوام ولا يتم الدوام الا بمساعدة من جهة ومعاونة له عليه بما يزيد فى رغبته ومن أنعم الله عليه بمثل هذا الولد النجيب فينبغى أن يتخذه ذخرا للآخرة ووسيلة الى الله تعالى وأن يسعى فى فراغ قلبه لعبادة الله تعالى ولا يقطع عليه الطريق الى الله تعالى وأول الطريق الى الله تعالى طلب الحلال والقناعة بقدر القوت من المال وسلوك سبيل التواضع والنزوع من رعونات أهل الدنيا التى هى مصائد الشيطان هذا مع الهرب من مخالطة الامراء والسلاطين ففى الخبران الفقهاء أمناء الله مالم يدخلوا فى الدنيا فاذا دخلوا فيها فاتهموهم على دينكم وهذه أمور قد هداه الله اليها ويسرها عليه فينبغى أن يمده ببركة الرضا ويمده بالدعاء فدعاء الوالد أعظم ذخر وعدة فى الآخرة والاولى وينبغى أن يقتدى به فيما يأمره من النزوع عن الدنيا والولد وان كان فرعا فرب فرع صار بمزيد العلم أصلا ولذلك قال ابراهيم عليه السلام يا أبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك الآية وليجتهد أن يجبر تقصيره فى القيامة بتوقيره ولده الذى هو فلذة كبده فأعظم حسرة أهل النار فى القيامة فقدهم فى القيامة حميما يشفع لهم قال الله تعالى فليس له اليوم ههنا حميم أسأل الله أن يصغر فى عينه الدنيا التى هى صغيرة عند الله وأن يعظم فى عينه الذى هو عظيم عنده وأن يوفقنا واياه لمرضاته ويحله الفردوس الاعلى من جناته بمنه وفضله وكرمه

(الفصل العاشر فى ذكر شئ من فتاويه غير ما تضمنته فتاويه المشهورة)

سئل ما قوله فيمن يغتاب كافرا أيأثم بذلك أم لا وهل يفترق الحال بين الذمى والحربى وفيمن يغتاب مبتدعا بغير بدعته أيحرم أم لا الجواب وبالله التوفيق الغيبة المنهى عنها هى أن يذكر المغتاب بما يكرهه اذا سمعه وان كان صادقا وهو فى حق المسلم محذور لثلاث علل احداها ما فيه من الايذاء ان سمعه أو يضيق بسببه ان لم يسمعه والثانية ان فيه تنقص ما هو فعل الله تعالى فان الله عز وجل هو خالق الخلق وهو خالق صفاتهم وأفعالهم وأخلاقهم حتى ينهى بسبب هذا عن مذمة الاطعمة الرديئة وتنقصها والثالثة انه يضيع الوقت بما لا يعنى وهو جار فى النطق بما ليس فيه غرض صحيح والعلة الاولى تقتضى التحريم فان ايذاء المسلم حرام والثانية تقتضى الكراهة وهو يطرد فى الاطعمة والحيوانات والثالثة يقال ان تركه أولى وهو رتبة دون الكراهة فهم ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فاذا فهم هذا فى المسلم فالكافر ان كان حربيا فايذاؤه ليس بحرام اذ لا عصمة له فتزول علة التحريم ويبقى انه تنقص لما هو من خلق الله تعالى فان كان ذلك تعرضا للذميم أخلاقه لا لنشأة خلقته وانضم اليه الاشعار وقال ذلك من أمر ضلاله وكفره تنفيرا عن الكفر وتحقيرا له ببيان انه مما ينتج الاخلاق السيئة فهذا لا كراهية فيه وان لم يكن

على

كلامه رضى الله عنه عليكم يا اخوانى بمتابعة الكتاب والسنة أعنى الشريعة المشروحة فى الكتب الغزالية خصوصا كتاب ذكر الموت وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوبة وكتاب رياضة النفس ومن كلامه عليكم بالكتاب والسنة أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وفكرا واعتبارا واعتقادا وشرح الكتاب والسنة مستوفى فى كتاب احياء علوم الدين للامام حجة الاسلام الغزالى رحمه الله ونفعنا به ومن كلامه وبعد ابليس لنا طريق ومنهاج سوى الكتاب والسنة وقد شرح ذلك كله سيد المصنفين وبقية المجتهدين حجة الاسلام الغزالى فى كتابه العظيم الشان الملقب أعجوبة الزمان احياء علوم الدين الذى هو عبارة عن شرح الكتاب والسنة والطريقة ومن كلامه عليكم بملازمة كتاب احياء علوم الدين فهو موضع نظر الله وموضع رضا الله فمن أحبه وطالعه وعمل بما فيه فقد استوجب محبة الله ومحبة رسول الله ومحبة ملائكة الله وأنبيائه وأوليائه وجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة فى الدنيا والآخرة وصار عالما فى

على هذا القصد ولا مع هذا الاشعار ولم تكن فيه فائدة التنبيه من تحذير وتحقير فالكراهة فيها أخف وانما
لا تستشعر النفس فيها كراهة لانه سبق الى الهاتان مذمته مذمة الكفر واشارة اليه وقد سبق ان ذلك
لا بأس به وهذا بأن يكون مندوبا أشبه من أن يكون مكروها وأما التعرض لبشرة خلقته فالكراهة فيها
أخف من التعرض للاطعمة والبهائم لانه مما استحق ايذاؤه ويمكن أيضا أن يوهم ان ذلك من شؤم ضلاله
وانه عذاب له على كفره وأما الذمي فهو كالمسلم فيما يرجع الى المنع من الايذاء لان الشرع عصم عرضهم
كما عصم دمهم وأموالهم وأما المبتدع ان كفر فهو كالحربي وان لم يكفر فهو كالمسلم وأما ذكره ببدعته
فليس مكروها وكذا ذكر أخلاقه في معرض التعليل بشؤم البدعة فلا بأس به فأما ذكر خلقته فلا وجه
له والله أعلم كتبه الغزالي وسئل ما يقول أدام الله علاه هل يجوز الغرس في المسجد أم لا وان غرس
فالفاكهة الحاصلة منها من يملكها وان غرس على أن تكون الفاكهة مباحة للمسلمين هل يجوز أم لا
الجواب وبالله التوفيق ينظر الى الغارس فان غرس لنفسه منع منه مهما كان قصده الانتفاع بالمسجد فان
فعل وحصلت الفاكهة فهي له وعليه أجرة المثل للمسجد لانه استوفى منافعه فهو كما لو أحرق خشبا من المسجد
تلزمه الغرامة ويجوز الاكل من الفاكهة باذن المالك ما دام حيا فاذا مات قبل اداء الاجرة تعلق حق الاجرة
بالشجرة والثمرة وصار مرهونا فلا يجوز الاكل منه بالاذن السابق فانه متعلق بحق المسجد وان غرس على أن
يكون الغراس للمسجد ويصرف الريع الى مصالحه فذلك غير جائز الا أن يكون المسجد واسعا وتكون
فيه فائدة للمصلين بالاستظلال ان لم يكن فيه ما يجمع من الطيور وما ينجس المسجد فيرخص فيه كما في بناء
السقف فان فائدة الاستظلال من الشمس مقصودة وما يشغله الشجر من عرصة المسجد أقل مما تشغله
الحيطان فأما اذا غرس على أن يكون وقفا على قوم لا تعلق لهم بالمسجد فيمنع منه كما لو غرس لنفسه اذ لا يجوز
صرف منافع المسجد الا الى مصلحة المسجد ومصلحة قيام الصلاة فيه وان غرس على أن يكون وقفا على
المجاورين والمصلين فيه فهذا له تعلق بالمسجد يحتمل جوازه ويمكن أن لا يجوز صرف مال المسجد اذا فضل من
مصالحها الى المجاورين وان جاز صرفها الى الامام والمؤذن فمن هذا الوجه يكاد يلتحق المجاور بسائر المسلمين
وان أشكل الامر ولم يدر أنه على نية قصد فالاصل بقاؤه على ملكه فيجعل كأنه غرسه لنفسه فعلى المتولي
قلعه لانه لا سبيل الى تركه مجانا ولا الى تركه للاجرة فان ذلك اختيار لبيع المنفعة في المستقبل بخلاف ما حصل
فواته في الماضي فان غرامة ذلك تشبه غرامة اتلاف الوقف والمستولدة وأما التبقية اختيارا بالاجرة فتشبه
اجارة المسجد وبيع الوقف والمستولدة فينبغي أن يرد ما فضل من الاجرة بعد القلع الى المالك أو وارثه وان
كان الغارس قد مات ولم يبق له وارث فهو ومتعلق أجرة المسجد فيؤخذ للمسجد بدل ما وجب من الاجرة
فان فضل شئ أو لم تكن أجرة باقية فهو مال المصالح فان رأى القاضي من المصلحة أن يتركه ويجعله وقفا
على المسجد فله ذلك وان كان في المصالح ما هو أهم من المسجد وكان للمسجد فائدة بابقائه للاستظلال وأراد
بقاءه ليأخذ من فاكهته للمسجد بقدر الاجرة ويصرف الفاضل الى المصالح فهذا قد يصادم فيه محذوران
أحدهما قلعه مع انه فيه فائدة للاستظلال كما في البناء والآخر ابقاؤه بالاجرة وكأنه اجارة والاليق بمصلحة
الجوانب الرخصة في الابقاء اذ ليس في قلعه للمسجد فائدة وله في ابقائه فائدة ومع هذا فلو اتسع خطة المسجد
وأراد المتولي أن يزرع بعض جوانب المسجد فيتخذه مستغلا للمسجد أو يجعل بعض بيوته مستغلا لم يجز
لان ذلك اكتساب مال المسجد وليس في نفس الزرع للمصلين فائدة بخلاف الشجرة ذات الظل فانها تقوم في
دفع حر الشمس عن المصلين مقام السقف فلاجل ذلك نرخص في غرسه وابقائه عند اتساع المسجد والله
أعلم كتبه الغزالي وسئل ما قوله دام علاه في المصلى المبني لصلاة العيد خارج البلد أله حكم المسجد في الاحكام
أم لا وان لم يكن فما سببه ولم يبن الا للصلاة الجواب وبالله التوفيق لا يثبت له حكم المسجد في الاعتكاف
ومكث الجنب وغيره من الاحكام لان المسجد هو الذي أعد لرواتب الصلاة وعين لها حتى لا ينتفع به في غيرها

الملك والملكوت ومن
كلامه الوجيز العزيز لو
بعث الله الموتى لما أوصوا
الاحياء الا بما في الاحياء
ومن كلامه اعلموا ان
مطالعة الاحياء تحضر
القلب الغافل في لحظة
كحضور سواد الحبر بوقوع
الزاج في العفص والماء
وتأثير كتب الغزالي واضح
ظاهر مجرب عند كل مؤمن
ومن كلامه أجمع العلماء
العارفون بالله على انه
لا شئ أنفع للقلب وأقرب
الى رضا الرب من متابعة
حجة الاسلام الغزالي ومحبة
كتبه فان كتب الامام
الغزالي لباب الكتاب
والسنة ولباب المعقول
والمنقول والله وكيل على
ما أقول ومن كلامه أنا
أشهد سرا وعلانية ان
من طالع كتاب احياء علوم
الدين فهو من المهتدين ومن
كلامه من أراد طريق الله
وطريق رسول الله وطريق
العارفين بالله وطريق
العلماء بالله أهل الظاهر
والباطن فعليه بمطالعة
كتب الغزالي خصوصا
احياء علوم الدين فهو
البحر المحيط ومن كلامه
اشهدوا على أن من وقع
على كتب الغزالي فقد وقع
على عين الشريعة والطريقة
والحقيقة ومن كلامه من
أراد طريق الله ورسوله

وموضع صلاة العيد معد للاجتماعات ولنزول القوافل ولركوب الدواب ولعب الصبيان ولم تجر عادة من سلف بالمنع من شيء من ذلك فيه فلو اعتقدوه مسجدا لصانوه عن هذه الاسباب ولقصد لاقامة سائر الصلوات فصلاة العيد تطوع وهو أيضا لا يكثر تكرره ولا يبنى ذلك لقصد الصلاة بل للاجتماع وتكون كالتبع في القصد والله أعلم كتبه الغزالي وسئل ما قوله دام علوه فيما أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم تميما الداري رضي الله عنه من الشام قبل ان ملكه أهل الاسلام ما وجه صحته مع انه جرى قبل الملك ولم يتصل به القبض ولم يجر تحديد محل الاقطاع وهل يجوز للامام أن ينتزع ذلك من يد أولاده ومتى يحصل الملك للمقطع يتفضل بشرح القول فيه الجواب وبالله التوفيق ذلك الاقطاع صحيح والملك حاصل لتميم الداري ومنتقل الى أعقابه بالوراثة ووقت حصول الملك عند تسليم الامام المستولي عليه اليه ووجه صحته انه كان صلى الله عليه وسلم مختصا بالصفايا من المغنم حتى كان يختار من المغنم ما يريد ويرفع ملك المسلمين عنه بعد استيلائهم وكذلك له أن يستثني نفعه من ديار الكفار عن ملك المسلمين ويعينه لبعضهم فيصير ملكا له ويكون سبب الملك تسليم الامام أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتسليم وقد نقل أمثال ذلك من التخصيصات قبل الاستيلاء وليس ذلك لغيره من الائمة فانه كان صلى الله عليه وسلم مطلعا بالوحي على ما سيملك في المستقبل وعلى وجه المصلحة في التخصيص والاستثناء وغيره لا يطلع عليه وأما قول من قال لا يصح اقطاعه لانه قبل الملك فهو كفر محض اذ يقال له هل حل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعله أو كان ظالما بتصرفه قبل الملك فان جعله ظالما فقد كفر وان قال حل له ذلك ولكن الملك لا يحصل به فيقال وهل علم ان الملك لا يحصل به أم لا فان قال انه لم يعلم فقد جهله بحكم الشرع وهذا كفر وان قال علم ذلك فيقال علم ذلك لا يبقى لاقدامه عليه مع العلم ببطلانه الا تطييب قلب تميم الداري بما لا حاصل له ولا طائل تحته وهو محض الخداع والتلبيس ومن نسبه الى شيء من ذلك فهو كافر وأما قوله ان القبض لم يتصل به فهو باطل من وجهين أحدهما ان أفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة تتعرف بها شروط الافعال فاما أن يتحكم عليها بالشرط فلا ففعله يبين ان ذلك ليس بشرط وهو كما لو نكح بغير ولي ولا شهود أو يبين به ان ذلك خاصيته ونكاح تسع نسوة من هذا القبيل بل لو أقطع مثلا زوجة مسلم لمسلم آخر لوجب أن يقال قد أوحى اليه انها حرمت على زوجها وحلت للآخر فان فعله صلى الله عليه وسلم نص في الجواز والثاني ان الاقطاع ليس بتمليك في الحال حتى يشترط اتصاله بالقبض بل هو كما لو أقطع الامام بعض أراضي الموات ليحييه المقطع فانه لا يملكه الا بالاحياء وفي الحال لا يملكه والقبض ليس شرطا في صحة هذا التخصيص وأما ذكر الحد فليس شرطا للصحة لا سيما في الامور السلطانية وانما يشترط للتسليم وللامام عند التسليم أن يعول فيه على الاشتهار وله أن يسامح فيما يقع منه في محل الاشتباه فان مبنى هذه الامور على المساهلات بخلاف التصرفات الجزئية والله أعلم كتبه الغزالي وسئل ما قوله دام علوه فيمن له ادرار من سلطان العصر أتقبل شهادته أم لا فان لم تقبل فما حكم القضاة الذين لهم ادرار من السلطان أمنعزلون أم لا الجواب وبالله التوفيق ادرار السلطان منقسم الى ما هو حلال كالجزية والفيء فأخذ ذلك لا يوجب الفسق ان كان الآخذ ممن تقتضي مصلحة بوجه من الوجوه أن يصرف اليه ومهما كان من مظنة المصلحة واتصل به اجتهاد السلطان فلا يفسق فأما الذي ليس بفقير ولا مرتب لعمل ولا مصلحة للناس مثل كونه فقيها أو طبيبا أو معلما أو غيره بل هو بطال في نفسه عن هذه الاشغال غير مفتقر أيضا اليه فأخذ ذلك لا رخصة فيه وآخذه فاسق لا تقبل شهادته وأما الفقيه ومن يجري في مجراه فهو على الجملة من قبيل من يصرف اليه مال المصالح وان كتب له ادرار على ملك السلطان أحياه أو اشتراه لم يفسق بأخذه وان لم يكن من أهل مال المصالح فان ذلك ينزع وما ينبت عن ملك اشتراه السلطان في الذمة هو ملكه وان كان الثمن الذي فيه لم يكن من حله فالثمن في ذمته بعد والنابت من الارض ملكه وانما اجتنابه من الورع وان كتب الادرار على الخزانة وهي جامعة للخراج المأخوذ من المسلمين وهو حرام وللجزية والفيء والمواريث وهي حلال

وللهدايا

ورضاهما فعليه بمطالعة كتب الغزالي وخصوصا البحر المحيط احياؤه أعجوبة الزمان ومن كلامه نطاق معاني معنوي القرآن ولسان حال قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الرسل والانبياء وجميع العلماء بالله وجميع العلماء بأمر الله الاتقياء بل جميع أرواح الملائكة بل جميع فرق الصوفية مثل العارفين والملامتية بل جميع سر حقائق الكائنات والمعقولات وما يناسب رضا الذات والصفات أجمع هؤلاء المذكورون ان لا شيء أرفع وأنفع وأبهى وأبهج وأتقى وأقرب الى رضا الرب كمتابعة الغزالي ومحبة كتبه وكتب الغزالي قلب الكتاب والسنة بل قلب المعقول والمنقول وانفع يوم ينفخ اسرافيل في الصور وفي يوم نقر الناقور والله وكيل على ما أقول وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ومن كلامه كتاب احياء علوم الدين فيه جميع الاسرار وكتاب بداية الهداية فيه التقوى وكتاب الاربعين الاصل فيه شرح الصراط المستقيم وكتاب منهاج العابدين فيه الطريق الى الله وكتاب الخلاصة في الفقه فيه النور ومن كلامه

والهدايا وهى فى محل الاجتهاد أعنى هدايا الملوك فان كان الغالب على مال ذلك السلطان جهات الحل لم يفسق بأخذه وكذا اذا لم يكن جانب التحريم غالبا الا أن يعلم عين ما يأخذه على الخصوص من جهة محرمة وان كان الغالب الحرام ولكن احتمل أن يكون ما يأخذه قد وقع من جملة ما يحل فهذا أصل قد عارضه غالب اذ الاصل فى الاموال الحل وفى الايدى الدلالة على الملك وقد عارضه الغالب فهو قريب من قول الشافعى رضى الله عنه فى تعارض الاصل والغالب فى النجاسات كطين الشوارع وغيره ولكن لما توضأ عمر رضى الله عنه من ماء فى جرة نصرانية والغالب النجاسة ثم كانوا اذا رأوا احتمال التحريم فى المأكول الى هذا الحد يتفحصون عنه دل على ان الامر فى الحل والحرمة أضيق منه فى الطهارة والنجاسة فهذا فى محل الاجتهاد والرأى فيه الى القاضى والاولى أن لا ترد شهادته ان كان يأخذ مثل ذلك عن حاجة وان ترد شهادته ان كان يأخذ مع الاستغناء واذا أخذ القاضى من الادرار ما قضينا بالتفسيق فيه فيتعين على السلطان عزله ولكن لا يحكم بانعزاله لاجل المصلحة فان استمرار الولاية لو اشترط فيه استمرار العصمة من موجبات الفسق مع ان الشهوات غالبة والشيطان بالمرصاد لادى ذلك الى أن لا يدوم قضاء قاض الا ساعة قريبة فنقضى باطراد الولاية ووجب العزل والاستبدال مهما ظهر ذلك للسلطان والله أعلم كتبه الغزالى وسئل ما قوله دام علوه فى المنتصبين على أبواب السلاطين والوزراء من أرباب الحشمة والجاه من العلماء وغيرهم لقبض ادرارات الناس وتسويغاتهم ودفع ظلاماتهم وقضاء حقوقهم طمعا فى مال صاحب الحق اذا قضى حقه أيحل له ذلك المال أولا وكيف يحل له وربما لم تصدر منه الا كلمة واحدة استشفع بها الى السلطان فقط فهذا مقابلة الجاه والحشمة بالمال فما طريق حله وما معنى الرشوة المحرمة فى الشرع وان لم يحل لهم هذا أصلا فربما أفضى ذلك الى حرج اذ لا غنية بالناس عن ذلك وهل يفترق الحال بين أن يتعب هذا الرجل فى قبض الادرار فى تكرير المراجعة والمطالبة وتكثير التقاضى والالحاح أو لا يتعب بل يتكلم على سبيل الشفاعة الجواب وبالله التوفيق انه ان كان السعى الملتمس منه حراما لم يحل أخذ المال عليه وان كان فرض عين عليه مثل اقامة الشهادة على من ظلمه أو ما يجرى مجراه لم يحل أخذ المال وان كان من قبيل فرض الكفايات فى دفع الظلامات أو كان مباحا نظر فان كان فيه تعب بحيث لو كان الفعل معلوما لصح الاستئجار عليه جاز أخذ المال عليه بطريق الجعالة وان لم يكن فيه تعب نظر فان لم يكن فيه ابتذال حشمة وجاه لم يحل أخذ المال فان مقابلة ما لا يتقوم بالمال غير جائز وان كان المتبادل يحتاج اليه حتى لو اشترى حبة حنطة ليجعلها فى فخ طائر حيث لا يجد غيرها لم يجز وصورة هذا ان لا يلتمس منه الا وضع القصة بين يدى السلطان أو ان يقول للبواب لا تغلق الباب دونه فهذه الكلمة الخفيفة لا يجوز أخذ جعل عليها وان كان فيه تبذل من حيث الحشمة ولكن الفعل قليل فى نفسه فهذا فى محل النظر والاشبه المنع من مشارطة الجعل عليه فان تجوزه لا مستند له الا تخيلة الناس والتراضى فى المعاوضات وبذل المال فى مقابلة ما فيه عوض ولا خلاف فى انه لا يجوز مقابلة المال باسقاط حق الشفعة وخيار الرد وأمور أخر فيها اعراض فهذا يدل على ان المال انما يشترط فى مقابلة بضع أو مال أو عمل متقوم والجاه ليس من هذا القبيل وأما مسيس الحاجة اليه فالطريق فيه ترك المشارطة للجعل وهو العادة ولا يمتنع على ذى الجاه أن يقبل هدية من المحتاج بطريق الهبة وان كان يعلم انه لم يبذله الا طمعا فى معونة ولكن قوله عليه السلام تهادوا تحابوا وقوله تعالى فحيوا بأحسن منها أو ردوها أوجب الرخصة فان المهدى يستجلب محبة المهدى اليه بواسطة المحبة يستحثه على بذل الجاه فى مقابلته فهذه هبة تقتضى ثوابا بقرينة الحال والصحيح ان ذلك جائز وان الثواب واجب فى مثل هذه الصورة فلربما يهدى الفقير الى ذى الجاه طمعا فى أن يمكنه من أن يمشى بين يدى فرسه فى معرض الغلمان ليكون له بالانتساب اليه جاه فيحصل لذى الجاه بخدمته زيادة جاه مع المال ولا يمكن أن يجعل ذلك معاوضة ولا يمتنع التوصل الى مثل ذلك بالهدية بل أقول يحل للقاضى أن يقبل الهدية وان كانت لا تهدى اليه لو لم يكن قاضيا ولكن انما يجوز اذا علم أن المهدى يبغى مودته وحشمته وعنايته فى

السر كله فى اتباع الكتاب والسنة وهو اتباع الشريعة والشريعة مشروحة فى كتاب احياء علوم الدين المسمى أعجوبة الزمان ومن كلامه بخ بخ لمن طالع احياء علوم الدين أو كتبه أو سمعه ومن كلامه رضى الله عنه فى تصانيفه وغيرها مشحون من الثناء على الامام الغزالى وكتبه والحث على العمل بها خصوصا احياء علوم الدين وقد كان سيدى ووالدى الشيخ العارف بالله تعالى شيخ بن عبد الله العيدروس رضى الله عنه يقول ان أمهل الزمان جمعت كلام الشيخ عبد الله فى الغزالى وسميته الجوهر المتلالئ خصوصا من كلام الشيخ عبد الله فى الغزالى فلم يتيسر له وارجو ان يوفقنى الله لذلك تحقيقا لرجائه ورجاء ان يتناولنى دعاء الشيخ عبد الله رضى الله عنه فانه قال غفر الله لمن يكتب كلامى فى الغزالى وناهيك ببشارة فى هذه العبارة التى برزت من ولى عارف وقطب مكاشف لا يجازف فى مقال ولا ينطق الا عن حال وفى هذا من الشرف للغزالى وكتبه ما لا يحتاج معه الى مزيد ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو

أمور لا تحرم عليه ولا تجب وجوب عين بحكم القضاء وانما الرشوة المحرمة التي يبذلها صاحبها جعلا على حكم بالحق واجب أو ميل بالظلم محرم ولذلك قال عمر رضي الله عنه لابن مسعود وقد ولاه بلدا أجب الداعي ولا تقبل الهدية وليس بحرام ولكني أخشى عليك القيل والقال واذا منعنا المشارطة بطريق الجعالة في مثل هذا فيتعدى النظر في مثل بذل الجعل على فعل لا تعب فيه ولكنه عظيم الجدوى بسبب علم صاحبه فرب سيف ومنواله معوج تتضاعف قيمته بدقة واحدة من بصير بمحل الدق والاشبه ان انضمام العلم الى الفعل القليل لا يكون كانضمام الجاه وان أخذ الجعل على هذا يجوز فان هذه صناعة مكتسب لكسب المال ودون هذا مالو علم الطبيب دواء ولم يذكره الا بجعل فأخذ المال على مجرد التنبيه عليه من غير عمل باليد فيه نظر وهو بين مسئلة السيف ومسئلة بذل الجاه في كلمة والله أعلم كتبه الغزالي نقلت هذه الفتاوى أجمعها من خط الامام أبي الفضل محمد بن محمد بن الفضل بن المظفر العبدي البحراني وقال فرغت من نسخه في تاسع محرم سنة ٥٦٤ بدمشق

(الفصل الحادي عشر في بيان حال المنتسب اليه)

قال صاحب تحفة الارشاد نقلا عن الامام النووي في دقائق الروضة التشديد في الغزالي هو المعروف الذي ذكره ابن الاثير و بلغنا انه قال منسوب الى غزالة بتخفيف الزاي قرية من قرى طوس قلت وهكذا ذكره النووي أيضا في التبيان وقال الذهبي في العبر وابن خلكان في التاريخ عادة أهل خوارزم وجرجان يقولون القصاري والخباري بالياء فيهما فنسبوه للغزل وقالوا الغزالي ومثل ذلك الشحامي وأشار لذلك ابن السمعاني أيضا وأنكر التخفيف وقال سألت أهل طوس عن هذه القرية فأنكروها وزيادة هذه الياء قالوا للتأكيد وفي تقرير بعض شيوخنا التمييز بين المنسوب الى نفس الصنعة و بين المنسوب الى من كان صنعته كذلك وهذا ظاهر في الغزالي فانه لم يكن ممن يغزل الصوف و يبيعه وانما هي صنعة والده وجده ولكن في المصباح للفيومي ما يؤيد التخفيف وان غزالة قرية بطوس واليها نسب الامام أبو حامد قال أخبرني بذلك الشيخ مجد الدين بن محمد بن أبي الطاهر شروان شاه بن أبي الفضائل فخراور بن عبيد الله ابن ست المنا بنت أبي حامد الغزالي ببغداد سنة عشر وسبعمائة وقال لي أخطأ الناس في تثقيل جدنا وانما هو مخفف وقال الشهاب الخفاجي في آخر شرح الشفا و يقال انه منسوب الى غزالة ابنة كعب الاحبار وهذا ان صح فلا محيد عنه والمعتمد الآن عند المتأخرين من أئمة التاريخ والانساب ان القول قول ابن الاثير انه بالتشديد وسمعت شيخنا القطب السيد العيدروس نفع الله به يقول انه هكذا سمعه من لسان النبي صلى الله عليه وسلم في واقعة منامية وعليه أنشدنا شيخنا المرحوم عبد الخالق بن أبي بكر الزجاجي بزبيد لاحد شعراء اليمن وقد أجاد

ما للعواذل في هواك ومالي * روحي فداك يا حبيب ومالي
غزال طرفك ان رنا أحيا به * وكذلك الاحياء للغزالي

(الفصل الثاني عشر في بيان من تكنى بأبي حامد من شيوخ مذهبه قبله)

أول من رأيت ممن تكنى به منهم أحمد بن بشر بن عامر العامري القاضي أبو حامد المروزي توفي سنة ٣٦٢ وأحمد بن محمد بن اسمعيل بن نعيم الفقيه أبو حامد الطوسي الاسمعيلي حدث بالطابران قصبة طوس توفي سنة ٣٤٥ وأحمد بن محمد بن الحسن الحافظ أبو حامد أبي الشرقين صاحب مسلم توفي سنة ٣٢٥ وأحمد بن محمد بن شارك الفقيه أبو حامد الشاركي الهروي توفي سنة ٣٥٥ وأحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر الفقيه أبو حامد الهمداني توفي سنة ٤٩١ وأحمد بن علي بن حامد البيهقي أبو حامد توفي سنة ٤٨٣ وأحمد بن محمد بن أحمد الشيخ أبو حامد الاسفرايني شيخ طريقة العراق توفي سنة ٤٠٨ وأحمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن شجاع الشجاعي السرخسي أبو حامد توفي سنة ٤٥٨ وأحمد بن محمد الشيخ أبو حامد الغزالي الكبير قال ابن السبكي وقع الخبط في أمر هذا الرجل وجهل أكثر الخلق حاله وقد سألت عنه

شهيد فان العظيم لا يعظم في عينه الاعظيم ولا يعرف الفضل لاهل الفضل الا أهل الفضل واذا تصدى العيدروس لتعريفه فقد أغنى تعريفه عن كل تعريف ووصف والشهادة منه خير من شهادة ألف ألف وحصل من الاحياء في زمانه بسببه نسخ عديدة حتى ان بعض العوام حصلها لما رأى من ترغيبه فيه وألزم أخاه الشيخ عليا قراءته فقرأه عليه مدة حياته خمسا وعشرين مرة وكان يصنع عند كل ختم ضيافة عامة للفقراء وطلبة العلم الشريف ثم ان الشيخ عليا ألزم ولده عبد الرحمن قراءته عليه مدة حياته فختمه عليه أيضا خمسا وعشرين مرة وكان والده سيدي الشيخ أبو بكر العيدروس صاحب عدن التزم بطريقة النذر على نفسه مطالعة شئ منه كل يوم وكان لا يزال يحصل منه نسخة بعد نسخة و يقول لا أترك تحصيل الاحياء أبدا ما عشت حتى اجتمع عنده منه نحو عشر نسخ قلت وكذلك كان سيدي الشيخ الوالد شيخ بن عبد الله بن شيخ ابن الشيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه مدمنا على مطالعته وحصل منه نسخا عديدة

شيخنا الذهبي ممن هذا لما كنت أقرأ عليه طبقات الشيخ أبي اسحق وذكره في قدماء الشيوخ فقال هذا
زيادة من الناسخ فانا لا نعرف غزالي الباغير حجة الاسلام وأخيه ويبعد كل البعد أن يكون ثم آخر فقلت ثم
دليل قاطع على انه لم يرد حجة الاسلام فقال ماهو قلت قوله لم يحضرني تاريخ وفاته فان هذا دليل منه على انه لم
يرد حجة الاسلام لانه كان موجودا بعد موت الشيخ قال صحيح ثم ذكرت ذلك لوالدي فذكر نحو ما ذكره
الذهبي حتى وقفت على كتاب الانساب لابن السمعاني في ترجمة الزاهد أبي علي الفارمدي على انه تفقه على
أبي حامد الغزالي الكبير ثم رأيت كتاب المطوعي في شيوخ أبي علي الفارمدي ذكر أباحامد هذا ووصفه
بالتقدم قال وله ابن اسمه أحمد وكنيته أبو حامد فاق والده في العلم ثم بلغني انه قريب حجة الاسلام عم أبيه أخو
جده وحكى محمد بن محمد الجالي ان قبره هذا معروف بمقبرة طوس وانهم يسمونه الغزالي الكبير يستجاب
عنده الدعاء ومنهم أحمد بن محمد أبو حامد الرازكاني الطوسي أحد أشياخ المصنف *(تنبيه)* قد عرف
مما تقدم انه لا يعرف بالغزالي الا الشيخ وعمه الكبير وقد وجدت آثار رجلين من أهل عصره يعرفان بذلك
أحدهما عبد الباقي بن محمد بن عبد الواحد الفقيه أبو منصور الغزالي تفقه على الكيا الهراسي وروى عنه
الحافظ أبو طاهر السلفي توفي سنة ٥١٣ والثاني علي بن معصوم بن أبي ذر أبو الحسن الغزالي من أهل
المغرب شافعي المذهب ولد سنة ٤٩٦ وتوفي باسفراين سنة ٥٥٥ ثم وجدت رجلا آخر تأخر زمانه وهو
العلاء علي بن أحمد الغزالي مؤلف ميزان الاستقامة لأهل القرب والكرامة توفي سنة ٧٢١

(الفصل الثالث عشر في شيوخه في الفقه والتصوف والحديث)

أول مشايخه في الفقه كما تقدم الامام أبو حامد أحمد بن محمد الرازكاني الطوسي ثم أبو نصر الاسمعيلي ثم امام
الحرمين قرأ على الاول بطوس وعلى الثاني بجرجان وعلى الثالث بنيسابور وفي التصوف الامام الزاهد أبو
علي الفضل بن محمد بن علي الفارمدي الطوسي من أعيان تلامذة أبي القاسم القشيري صاحب الرسالة توفي
بطوس سنة ٤٧٧ ومن مشايخه أيضا يوسف النساج وفي الحديث أبو سهل محمد بن أحمد بن عبيد الله
الحفصي المروزي والحاكم أبو الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي وأبو محمد عبد الله بن محمد بن
أحمد الخواري خوار طبران ومحمد بن يحيى بن محمد السجاعي الزوزني والحافظ أبو الفتيان عمر بن أبي الحسن
الرؤاسي الدهستاني ونصر بن ابراهيم المقدسي على قول الذهبي وقال غيره لم يدركه فهؤلاء شيوخه في العلوم
الثلاثة ولم أطلع على أسماء شيوخه الذين قرأ عليهم في الكلام أو الجدل فان عثرت على شئ من ذلك بعد
ألحقت به ان شاء الله تعالى وأما علوم الفلسفة فلا شيخ له فيها كما صرح بذلك في كتابه المنقذ من الضلال

(الفصل الرابع عشر في تفصيل ما سمع من هؤلاء ورواه عنهم)

قال ابن السمعاني لما عاد الى وطنه كانت خاتمة أمره الاقبال على طلب الحديث ومجالس أهله وقراءته
ونسخه واستدعى الحافظ أبا الفتيان عمر بن أبي الحسن الرؤاسي الى طوس وأكرمه واغتنم أيامه وسمع منه
الصحيحين وما أظن انه حدث بشئ وان حدث فيسير لان رواية الحديث ما انتشرت عنه وذكر الحافظ
ابن عساكر انه سمع صحيح البخاري عن ابي اسمعيل الحفصي وقال ابن النجار في تاريخه ولم يكن له اسناد ولا
طلب شيأ من الحديث ولم أر له الا حديثا واحدا وقول ابن النجار كأنه يشير الى أول أمره فان اقباله كان
اذ ذاك على تحصيل الفنون وفي سياق الذهبي في ترجمته ثم رجع الى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ وتكلم على
لسان أهل الحقيقة وحدث بكتاب الاحياء وقال عبد الغافر وكانت خاتمة أمره اقباله على حديث المصطفى
صلى الله عليه وسلم ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم الذين هما حجة الاسلام ولو عاش لسبق
الكل في ذلك الفن بيسير من الايام ليستفرغ في تحصيله ولا شك انه سمع الحديث في الايام الماضية واشتغل
في آخر عمره بسماعها ولم تتفق له الرواية ولا ضرر فيما خلفه من الكتب المصنفة في الاصول والفروع وسائر
الانواع يخلد ذكره وتقرر عند المطالعين المستفيدين منها انه لم يخلف مثله بعده قال وسمعت انه سمع من سنن

نحو السبع وأمر بقراءته
عليه غير مرة وكان يعمل
في ختمه ضيافة عامة فلازمته
ميراث عبدروسي
وتوفيق قدوسي فمن وفقه
الله لامتثاله والعمل بما فيه
واستعماله بلغ الرتبة العليا
وحاز شرف الآخرة والدنيا
وقال السيد الكبير
العارف بالله الشهير علي بن
أبي بكر بن الشيخ عبد
الرحمن السقاف لو قلب
أوراق الاحياء كافر لاسلم
ففيه سر خفي يجذب القلوب
شبه المغناطيس قلت وهو
صحيح فاني مع خسيس
قصدي وقساوة قلبي أجد
عند مطالعته من انبعاث
الهمة وعزوف النفس
عن الدنيا مالا مزيد عليه ثم
يفتر برجوعي الى ما أنا فيه
ومخالطة أهل الكثافات
ولا أجد ذلك عند مطالعة
غيره من كتب الوعظ
والرقائق وما ذاك الا لشئ
أودعه الله فيه وسر نفس
مصنفه وحسن قصده والمراد
بالكافر هنا فيما يظهر
الجاهل بعيوب النفس
المحجوب عن ادراك الحق
أي فبمجرد مطالعته
للكتاب المذكور يشرح
الله صدره وينور قلبه
وذلك لان الوعظ اذا صدر
عن قلب متعظ كان حريا
ان يتعظ به سامعه وكان
ان الله تعالى جعل لعباده

أبي داود السجستاني عن الحاكم أبي الفتح الحاكمي الطوسي وما عثرت على سماعه وسمع من الاحاديث المتفرقة أيضا اتفاقا مع الفقهاء فما عثرت عليه مما سمعه من كتاب مولد النبي صلى الله عليه وسلم من تأليف أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني رواية الشيخ أبي بكر أحمد بن محمد بن الحرث الاصبهاني عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان عن المصنف وقد سمعه الغزالي من الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد الحواري مع ابنيه الشيخين عبد الجبار وعبد الحميد وجماعة من الفقهاء ومن الرواية عن حجة الاسلام اخبرنا المسند عمر بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبد الله بن سالم بن محمد وأحمد بن محمد بن أحمد والحسن بن علي بن يحيي قالوا أخبرنا الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء أخبرنا النور علي بن يحيي أخبرنا يوسف بن عبد الله الارميوني ويوسف بن زكريا وأحمد بن محمد بن أبي بكر قالوا أخبرنا الحافظ محمد بن عبد الرحمن أخبرنا محمد بن عبد الرحيم ابن محمد الحاكم أخبرنا أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي قرأت على أبي عبد الله محمد بن أحمد الحافظ في سنة ٧٤٣ أخبرني الحافظ أبو محمد الدمياطي عن الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أنبأنا أبو المنصور فتح بن خلف السعدي أخبرنا الامام شهاب الدين أبو الفتح محمد بن محمود الطوسي أخبرنا محيي الدين محمد بن يحيي الفقيه أخبرنا حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي حدثنا الشيخ محمد بن يحيي بن محمد السجاعي الزوزني بزوزن في داره قراءة عليه حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد حدثنا أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عامر الطائي بالبصرة حدثني أبي في سنة ٢٦٠ حدثني علي بن موسى الرضي في سنة ١٦٤ حدثني أبي موسى بن جعفر حدثني أبي جعفر بن محمد حدثني أبي محمد بن علي حدثني أبي علي بن الحسين حدثني أبي الحسين بن علي حدثني أبي علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر قوم لا خلاق لهم في الدنيا شابهم فاسق وشيخهم مارق وصبيهم عارم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بينهم مستضعف والفاسق والمنافق بينهم مشرف ان كنت غنيا وقربوك وان كنت فقيرا حقروك همازون لمازون يمشون بالنميمة ويدسون بالخديعة أولئك فراش نار وذباب طمع وعند ذلك يوليهم الله أمراء ظلمة ووزراء خونة ورفقاء غشمة وتوقع عند ذلك جرادا شاملا وغلاء متلفا ورخصا مجحفا ويتتابع البلاء كما يتتابع الخرز من الخيط اذا انقطع قال ابن السبكي هذا حديث ضعيف واه قلت ذكر ابن النجار في تاريخه عن الدارقطني عن أبي حاتم البستي في كتابه قال علي بن موسى الرضي يروي عن أبيه العجائب وكان يهم ويخطئ وقال الذهبي في الديوان علي بن موسى له عجائب عن أبيه عن جده وقال في الذيل مثل هذه المقالة عن ابن طاهر ثم قال قلت الشان في صحة الاسناد اليه رحمة الله عليه ومن مرويات الغزالي من نسخة المولد بالسند اليه قال أخبرنا أبو عبد الله الحواري أخبرنا أبو بكر الاصبهاني أخبرنا أبو محمد بن حيان أخبرنا أبو بكر بن أبي عاصم حدثنا ابراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت حدثنا الزبير بن موسى عن أبي الحويرث قال سمعت عبد الملك بن مروان قال قيل لغياث بن أشيم الكناني أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أسن منه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل هكذا نقله عبد الغافر قال وتمام الكتاب في جزأين مسموع له وقال الحافظ عماد الدين بن كثير في طبقاته قرأت على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزني قلت أخبرنا الشمس أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم المقدسي قراءة عليه أنبأنا أبو المظفر عبد الرحيم بن السمعاني اذنا أخبرنا السيد أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين الحسني الكوفي قراءة عليه أخبرنا أبو علي الفضل بن محمد الفارمدي أخبرنا الامام أبو حامد أحمد بن محمد الغزالي الفقيه أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد القطان حدثنا أبو سعد اسمعيل بن محمد بن عبد العزيز الخلال الجرجاني حدثنا أبو العباس محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا محمد بن أبي الليث العسقلاني حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن سليمان بن مهران عن زيد بن وهب عن ابن مسعود رضي الله عنه حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق هكذا وقع في روايتنا وهو

الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون رتبة فوق غيرهم كذلك جعل لما يبرز منهم ويؤخذ عنهم بركة زائدة على غيره لان ألسنتهم كريمة وأنوار قلوبهم عظيمة وهممهم علية واشاراتهم سنية حتى يكون للقرآن أثر عظيم عند سماعه منهم وللاحاديث بهجة وجلالة زائدة اذا أخذت عنهم وللمواعظ منهم تاثير في القلوب ظاهر ولعلومهم وفقههم أنوار ونفع متظاهر حتى تجد الرجل له العلم القليل وبعد ذلك ينتفع به كثير لحسن نيته ووجود بركته وغيره له أكثر من ذلك العلم ولم ينتفع به مثله لانه دونه في منزلته ومن تامل ذلك وجده أمرا ظاهرا معهودا وشيا مجربا موجودا فانظر الى نفع الناس بكتاب الخلاف في مذهب مالك رحمه الله تعالى والتنبيه في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى والجمل في العربية والارشاد في علم الكلام وانتشارها مع ان ما حوت من العلم في فنونها قليل وقد جمع غير هؤلاء في هذه الفنون في مثل أجرام هذه الكتب أضعاف ما فيها مع تحقيق تحرير العبارة وتشقيق المعاني وتلخيص الحدود وبعد هذا فالنفع بهذه أكثر

حديث متفق على صحته رواه الستة من طرق متعددة من حديث سليمان بن مهران الاعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة ثم ساق الحديث قلت ولي مؤاخذتان على الحافظ ابن كثير الاولى هذا الحديث من رواية أبي حامد الغزالي الكبير وهو عم أبي حامد صاحب الترجمة فكيف يورده في عداد مرويات حجة الاسلام ومن الدليل على ذلك ان هذا اسمه أحمد وحجة الاسلام اسمه محمد وثانيا فان أبا علي الفارمدي شيخ حجة الاسلام لا تلميذه والثانية أورد في السند محمد بن أبي الليث العسقلاني وهو غلط صوابه محمد بن أبي السري والحديث المذكور خرجه الحافظ بن حجر في جزء مستقل ثم قال ابن كثير وبالاسناد المتقدم الى الغزالي حدثنا أحمد بن محمد بن عمر الخفاف حدثنا أبو العباس السراج حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا أبو الوليد حدثنا أبو عوانة عن هلال الوزان عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد الحديث قال شيخنا المزي كذا وقع في سماعنا ليس بين ابي حامد وبين الخفاف أحد وهو خطأ قد سقط منه شيء قلت وهذا كذلك من رواية عم حجة الاسلام وهو يروي عن الخفاف بلا واسطة ولم يسقط من الاسناد شيء وانما يكون ذلك اذا ادعى انه من رواية حجة الاسلام وليس كذلك

(الفصل الخامس عشر في ذكر شيء من كلماته المنثورة البديعة مما نقلتها من طبقات المناوي وغيرها)

قال رحمه الله الدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها أدنى المنزلتين وقال رحمه الله ربما وجد بعضهم في نفسه انسا وتقربيا في عبادته ومجالسه فظن ان بها يغفر لجميع من حضره فضلا عنه ولو انه تعالى عامله بما يستحقه على سوء أدبه في ذلك لأهلكه وقال رحمه الله انما تفرق كل سالك بالمنزل الذي يبلغه في سلوكه وما خلفه من المنازل وأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما بل قد يصدق به ايمانا بالغيب وقال رحمه الله أنوار العلوم لم تحتجب من القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن ذلك بل لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فانها كالاواني ما دامت مملوأة بالماء لا يدخلها الهواء والقلب المشغول بغير الله لا تدخله المعرفة بجلاله وقال رحمه الله أشرف أنواع العلم العلم بالله عز وجل وصفاته وأفعاله وفيه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه بجوار حضرة الجلال والكمال وقال رحمه الله جلاء القلوب والابصار يحصل بالذكر ولا يتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وقال رحمه الله من ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى له الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرضها السموات والارض وقال رحمه الله عالم الملكوت هو الاسرار ٧ المشاهدة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصر وجملة عالم الملك والملكوت تسمى الحضرة الربوبية لانها محيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود سوى الله وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله وقال رحمه الله مدار الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكية اشراق نور المعرفة وقال رحمه الله الايمان ثلاث مراتب الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض والثانية ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال والثالثة ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين وقال رحمه الله ظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه والعلوم العقلية دنيوية وأخروية فالدنيوية كالطب والحساب والنجوم والحرف والصنائع والاخروية كعلم أحوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته وأفعاله وهما علمان متناقضان أعني من صرف عنايته الى أحدهما حتى يعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الاكثر وقال رحمه الله مهما سمعت أمرا غريبا من أمور الدين جحده أهل الكياسة من سائر العلوم فلا ينفرنك جحودهم عن قبولها اذ محال أن يظفر سالك طريق الشرق بما في الغرب وقال رحمه الله تهب رياح الالطاف فتكشف الحجب عن أعين القلوب فيتجلى لها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ وقال رحمه الله ميل أهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية

وهي أظهر وأشهر لان العلم يزيد التقوى وقوة سر الايمان لا بكثرة الذكاء وفصاحة اللسان كما بين ذلك مالك رحمه الله تعالى بقوله ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يضعه الله في القلب قلت ومما أنشده الشيخ علي بن أبي بكر رضي الله عنه لنفسه فيه قوله

أخي انتبه والزم سلوك الطرائق
وسارع الى المولى بجد وسابق
أيا طالبا شرح الكتاب وسنة * وقانون آداب القلب بحر الرقائق
وايضاح منهج للحقيقة مشرق
وشرب حميا صفو راح الحقائق
واجلاء أذكار المعاني ضواحكا
بباهج حسن جاذب للخلائق
عليك باحياء العلوم ولبها
واسرارها كم قد حوى من دقائق
وكم من لطيفات لذي اللب منهل
وكم من مليحات ست لب حاذق
كتاب جليل لم يصنف قبله
ولا بعده مثل له في الطرائق
فكم في بديع اللفظ يجلى عرائسا
وكم من شموس في حماه شوارق
معانيه أضحت كالبدور سواطعا

ولذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ماصنف المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة وقال رحمه الله ليس الورع فى الجبهة حتى تقطب ولا فى الخد حتى يصفر ولا فى الظهر حتى ينحنى ولا فى الرقبة حتى تطأطئ ولا فى الذيل حتى يضم انما الورع فى القلوب امامن تلقاه ببشر فيلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا أكثر الله فى المسلمين من مثله وقال رحمه الله قلب المؤمن لا يموت وعلمه عند الموت لا ينمحى وصفاؤه لا يتكدر واليه أشار الحسن بقوله التراب لا يأكل محل الايمان اما ماحصله من نفس العلم أو ماحصله من الصفاء والاستعداد بقبوله وقال رحمه الله العلم الباطن سر من أسرار الله تعالى يقذفه فى قلوب أحبابه وقال رحمه الله القرآن مصرح بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم وقال رحمه الله العلم اللدنى الذى ينفتح فى سر القلب من غير سبب مأوى ٧ من خارج وقال رحمه الله اذا حضر فى القلب ذكر شئ انعدم عنه ما كان فيه من قبل وقال أعظم أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل جند وقد أهمله الخلق واستقلوا بعلوم تجر اليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وقال رحمه الله مهمارأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتأنسون فاعلم انهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم خاسرون وقال رحمه الله كل من ادعى مذهب امام ولا يسير بسيرته فذلك الامام خصمه يقول له كان مذهبى العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا للهذيان فمابالك خالفتنى فى العمل والسيرة التى هى مذهبى الذى سلكته وذهبت فيه الى الله ثم ادعيت مذهبى كاذبا فهذا مدخل من مداخل الشيطان أهلك به أكثر العالم وقال رحمه الله أشد الناس حماقة أقواهم اعتقادا فى فضل نفسه وأثبت الناس عقلا أشدهم اتهاما لنفسه وقال رحمه الله العاصى اذا زنى أوسرق خير له من أن يتكلم فى العلم فانه من تكلم فيه من غير اتقان العلم فى الله وفى دينه وقع فى الكفر من حيث لا يدرى كمن ركب فى البحر ولا يعرف السباحة وقال رحمه الله أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم من لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعضهم بعين الرضا وبعضهم بعين السخط *وعين الرضا عن كل عيب كليلة* وقال رحمه الله مهمارأيت انسانا سيئ الظن بالله طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث فى الباطن والمؤمن سليم الصدر فى حق كافة الخلق وقال رحمه الله حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب الا بعد عمارته بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس ولا سلطان له على القلب ولا يدفع الشيطان وقال رحمه الله الروح أمر ربانى ومعنى كونه ربانيا انه من أسرار علوم من المكاشفة ولا رخصة فى اظهاره اذ لم يظهره الرسول صلى الله عليه وسلم وقال رحمه الله الشهوة اذا غلبت على القلب ولم تتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان فى سويدائه وأما القلوب الخالية من الصفات المذمومة فيطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر واذا عاد للذكر خنس وقال رحمه الله كما أنك تدعو ولا يستجاب لك لفقد شرط الدعاء فكذا تذكر الله ولا يهرب الشيطان لفقد شروط الذكر وقال رحمه الله الشياطين جنود مجندة ولكل نوع من المعاصى شيطان يخصه ويدعو اليه وقال رحمه الله الصورة فى عالم الملكوت تابعة للصفة فلا يرى المعنى القبيح الا فى الصورة القبيحة فيرى الشيطان فى صورة نحو الكلب والضفدع والخنزير والملك فى صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعانى ومحاكية لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير فى النوم على انسان خبيث والشاة على انسان سليم الباطن وكذا كل أنواع التعبير وقال رحمه الله خالص الرياضة وسرها أن لا تتمتع النفس بشئ لا يوجد فى القبر الا بقدر الضرورة فيقتصر من أكله ونكاحه ولباسه ومسكنه على قدر الحاجة والضرورة فانه لو تمتع بشئ منه ألفه واذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا ولا يتمنى الرجوع اليها الا من لا حظ له فى الآخرة وقال رحمه الله النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت فى المحظورات وقال رحمه الله المستقل بنفسه من غير شيخ كشجرة تنبت بنفسها فانها تجف عن قرب وان بقيت مدة وأورقت لم تثمر وقال رحمه الله النوم يقسى القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سببا لمكاشفة أسرار الغيب وقال رحمه الله لابد للسالك من ضبط الحواس الا من

علی درلفظ للمعانی مطابق
وكم من عزيزات زهت فى قبابها
محجبة عن غير كفؤ مسابق
وكم من لطيف مع بديع وتحفة
حلاوتها كالشهد تحلو لذائق
بساتين عرفان وروض لطائف
وجنة أنواع العلوم الفوائق
رعى الله صبارا تعافى جنانها
يروح ويغدو بين تلك الحدائق
ويقطف من زاكى جناها فواكها
بساحل بحر بالجواهر دافق
خضم طمى حتى علا فوق من علا
بشامخ مجد مشرق بالحقائق
فان لم بهذا القول تؤمن بجفر بن
وأقبل على تلك المعانى وعانق
وارجع طرفا فى بديع جمالها
وطف فى حماها منشدا كل سابق
ترى فى بدور الجى أقمارا قد بدت
بعالى جمال مدهش لب عاشق
فكم انهلت صبا وكم قشعت عمى
وكم قد سعت فى غربها والمشارق
فيضحى براح الحب سكران مغرما
أصم عن العذال غير موافق

قدر الضرورة وليس ذلك الا بالخلوة فى مكان مظلم فان لم يكن فيلف رأسه فى الجيب أو يتدثر بكساء أو ازار مثل هذه الحالة ليسمع نداء الحق و يشاهد جلال حضرة الربوبية أما ترى أن نداء المصطفى صلى الله عليه وسلم بلغه وهو بهذه الصفة فقيل يا أيها المدثر يا أيها المزمل وقال رحمه الله البطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع والذل والانكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع ومن غلق بابا من أبواب النار فقد فتح بابا من أبواب الجنة لتقابلهما فالقرب من أحدهما بعد عن الآخر وقال رحمه الله السعادة كلها فى أن علك الرجل نفسه والشقاوة فى أن تملكه نفسه وقال رحمه الله الشبع يمنع العبادة واشراق القلب والفكر و ينغص العيش والجوع يدفع ذلك كله لان قلة الاكل تصحح البدن و بكثرته تحصل فضلة الاخلاط فى المعدة والعروق وقال رحمه الله حد المراء كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه والمجادلة قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح فى كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وقال رحمه الله من عود نفسه الفكر فى جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك عنده ألذ من كل نعيم فلذة هذا فى عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر الى أثمار الجنة و بساتينها بالعين الظاهرة هذا حالهم وهم فى الدنيا فما الظن بهم عند انكشاف الغطاء فى العقبى وقال رحمه الله ان كنت لا تشتاق الى معرفة الله فأنت معذور فالعنين لا تشتاق الى لذة الوقاع والصبى لا يشتاق للملك والشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقى من المحرومين فى أسفل سافلين وقال رحمه الله من فاته اللحاق بدرجة الاكابر فى الدين لم يفته ثواب حبه لهم مهما أحب ذلك وقال رحمه الله الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل معصية بينك و بين الله وانما يجب الاستحلال مما يجب على الجوارح وقال رحمه الله دنياك وآخرتك عبارتان عن حالتين من أحوال قلبك فالطرف الدانى منهما يسمى دنيا وهى كلها قبل الموت والمتأخر يسمى آخرة وهى ما بعده وكل مالك فيه حظ وشهوة عاجلة قبل الوفاة فهى الدنيا فى حقك وقال رحمه الله لا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات صفاء القلب أعنى طهارته من أدناس الدنيا وانسه بذكر الله وحبه لله وطهارة القلب لا تحصل الا بالكف عن شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بكثرة الذكر والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله الا بدوام الفكر وقال رحمه الله ليس الموت عدما وانما هو الفراق لمحاب الفه للقدوم وقال رحمه الله معنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال والمنفرد بالوجود هو الله اذ لا موجود معه سواه فان ماسواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به وقال رحمه الله من لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع تفوت عليه الدنيا و يخسر فى الآخرة وقال رحمه الله الكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد وقال رحمه الله من أدوية الكبر أن يجتمع مع أقرانه فى المحافل ويقدمهم و يجلس تحتهم وللشيطان هنا مكيدة وهو أن يقعد فى صف النعال أو يجعل بينه و بين أقرانه بعض الارذال فيظن انه متواضع وهو عين التكبر لايهامه انه ترك مكانه بالاستحقاق فيكون تكبرا باظهار التواضع بل يقدم أقرانه و يجلس تحتهم ولا ينحط الى صف النعال وقال رحمه الله أساس السعادات كلها العقل والكياسة والذكاء وصحة غريزة العقل نعمة من الله فى أصل الفطرة فاذا ماتت ببلادة أو حماقة فتداركه وقال رحمه الله كن من شياطين الجن فى الامان واحذر شياطين الانس فانهم أراحوا شياطين الجن من التعب فى الاغواء والاضلال وقال رحمه الله ما من أحد الا وهو راض عن الله فى كمال عقله وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا أفرحهم بكمال عقله وقال رحمه الله علماء الآخرة يعرفون بسيماهم من السكينة والذلة والتواضع أما التشدق والاستغراق فى الضحك والحدة فى الحركة والنطق فمن آثار البطر والغفلة وذلك من دأب أبناء الدنيا وقال رحمه الله من شرط من له حاجة أن لا يفطر ذلك النهار حتى تقضى ولو عند الغروب قال بعضهم وقد جربناه فصح لان الانسان اذا شبع فدعاؤه كسهم يخرج من غير وتر مشدود وقال رحمه الله من الذنوب ما يورث سوء الخاتمة وهو ادعاء الرجل الولاية

و عسى بناد بها طرب حبابها
منهم عيش فى الربوع الغوادق
صلاة على سر الوجود شفيعنا
محمد المختار خير الخلائق
وأصحابه أهل المكارم والعلا
وعترته و رّاث علم الحقائق

(فصل) واما ما أنكر عليه فيه من مواضع مشكلة الظاهر وفى التحقيق لا اشكال أو اخبار وآثار تكلم فى سندها فاما من جهة تلك المواضع فمن أجاب المصنف نفسه فى كتابه المسمى بالاجوبة وأسوق نبذا من ذلك هنا قال رحمه الله سألت يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقيها وقرب لك مقامات الاولياء تحل معاليها عن بعض ما وقع فى الاملاء الملقب بالاحياء عما أشكل على من حجب وقصر فهمه ولم يفز بشئ من الحظوظ الملكية قدحه وسهمه وأظهرت التحزن لما شاهدته من شركاء الطعام وأمثال الانعام واتباع العوام وسفهاء الاحلام وعار أهل الاسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته وأفتوا بالهوى مجردا على غير بصيرة باطراحه ومنابذته ونسبوا ممليه الى ضلال واضلال و رموا قراءه ومنتحليه بزيغ عن

مع فقدها منه وقال رحمه الله ليس كل أحد له قلب وقد سئل عن تفسير هذا القول القطب السيد عبد الله باحداد شيخ بعض شيوخنا فأجاب بما فيه غاية التحقيق تركته لطوله وهو مذكور في آخر كتاب القصد والسداد وله رحمه الله دعاء عجيب الشأن جربه أهل العرفان عند حلول الفاقة وهو هذا اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغنني بحلالك عن حرامك و بطاعتك عن معصيتك و بفضلك عمن سواك قال من ذكره بعد صلاة الجمعة وداوم عليه أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ورؤي رحمه الله في النوم فسئل عن حاله فقال لولا هذا العلم الغريب لكنا على خير كثير قال ابن عربي فتأوله علماء الرسوم على ما كان عليه من علم هذا الطريق قصد ابليس بهذا الطريق الذي زينه لهم أن يعرضوا عن هذا العلم فيحرموا هذه الدرجات أتراه أمر بان يطالب الحجاب عن الله تعالى

(الفصل السادس عشر في بيان شئ من الشعر المنسوب له وما أنشده لنفسه)

قال ابن السبكي أخبرنا الحافظ أبو العباس الاشعري اذنا خاصا عن أبي الفضل أحمد بن هبة الله بن عساكر عن أبي المظفر عبد الرحيم أخبرنا والدي الحافظ أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور أنشدنا أبو سعيد محمد بن أبي العباس الخليلي املاء بنوقان في الجامع أنشدنا الامام أبو حامد الغزالي رحمه الله

ارفد ببال امرئ عسى على ثقة * ان الذي خلق الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها * لم يلق في دهره شيأ يؤرقه

قال وكتب الى أحمد بن أبي طالب المسند عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن محمود عن أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن سليمان الزهري أنشدني أبو محمد عبد الحق بن عبد الملك العبدري أنشدني أبو بكر بن العربي أنشدني أبو حامد الغزالي لنفسه رحمة الله عليه

سقمي في الحب عافيتي * ووجودي في الهوى عدمي
وعذاب ترتضون به * في فمي أحلى من النعم
ما لضر في محبتكم * عندنا والله من ألم

ومما ينسب للامام الغزالي أنه قال في أيام سياحته

قد كنت عبدا والهوى مالكي * فصرت حرا والهوى خادمي
وصرت بالوحدة مستأنسا * من شر أصناف بني آدم
ما في اختلاط الناس خير ولا * ذو الجهل بالاشياء كالعالم
يا لائمي في تركهم جاهلا * عذري منقوش على الخاتم

وكان نقش خاتمه وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين و بالسند الى الحافظ أبي عبد الله قال قرأت على أبي القاسم بن أسعد البزار عن يوسف بن أحمد الحافظ أنشدنا محمد بن أبي عبد الله الجوهري قال أنشدنا لابي حامد الغزالي رحمه الله

فقهاؤنا كذبالة النبراس * هي في الحريق وضوءها للناس
حبر دميم تحت رائق منظر * كالفضة البيضاء فوق نحاس

وقال ابن السبكي أيضا أخبرنا علي بن الفضل الحافظ أنشدني أبو محمد عبد الله بن يوسف الابدي أنشدني أمية ابن أبي الصلت أنشدني أبو محمد التكريتي أنشدني أبو حامد الغزالي لنفسه

حلت عقارب صدغه في خده * قمرا يجل بها عن التشبيه
ولقد عهدناه يحل ببرجها * ومن العجائب كيف حلت فيه

وذكر ابن السمعاني في الذيل والعماد في الخريدة له

حلت

الشريعة واختلال الى أن قال ستكتب شهادتهم ويسئلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ثم ذكر آيات أخرى في المعنى ثم وصف الدهر وأهله وذهاب العلم وفضله ثم ذكر عذر المعترضين بما يرجع حاصلها الى الحسد والى الجهل وقلة الدين بل أفصح بذلك في الآخر حيث قال حجبوا عن الحقيقة بأربعة الجهل والاصرار ومحبة الدنيا واظهار الدعوى ثم بين ما أورثوه عن الاربعة المذكورة فقال فالجهل أورثهم السخف الى آخر ما ذكره واما ما اعترض به من تضمينه أخبارا وآثارا موضوعة أو ضعيفة واكثاره من الاخبار والآثار والاكثار يتحاشى منه المتورع لئلا يقع في الموضوع وحاصل ما أجيب به عن الغزالي ومن المجيبين الحافظ العراقي ان أكثر ما ذكره الغزالي ليس بموضوع كما برهن عليه في التخريج وغير الاكثر وهو في غاية القلة رواه عن غيره أو تبع فيه غيره متبرئا منه بنحو صيغة روي وأما الاعتراض عليه ان فيما ذكره الضعيف بكثرة فهو اعتراض ساقط لما تقرر انه يعمل به في الفضائل وكتابه في الرقائق

حلت عقارب صدغه فى خده * وحظيت منه بلثم خد أزهر
انى اعتزلت فلاتلوموا انه * أضحى يقابلنى بوجه أشعر

قلت ولشيخنا السيد القطب عبد الرحمن بن السيد مصطفى العيدروس أمتع الله به فى هذا المعنى بيت واحد وهو مما سمعناه من لفظه وكتبته عنه بالطائف وقد أجاد

وقيل لم اعتزلت فقلت لما * يقابلنى بوجه أشعرى

ومما أنشده الغزالى ببغداد فى أثناء درس الاحياء ورواه عنه أبو سعيد النوقانى الآتى ذكره فى الرواية عنه

وحبب أوطار الرجال اليهم * مآرب قضاها الفؤاد هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

قال فبكى وأبكى الحاضرين وراه بعضهم فى البرية عليه مرقعة وبيده ركوة وعكاز بعد ان كان رآه يحضر فى مجلسه ثلاثمائة مدرس ومائة من أمراء بغداد فقال يا امام أليس تدريس العلم أولى فنظر اليه شزرا وقال لما بزغ بدر السعادة فى فلك الارادة جنحت شمس الافول الى مغرب الوصول وأنشد

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل * وعدت الى مصحوب أول منزل
فنادت بى الاشواق مهلا فهذه * منازل من تهوى رويدك فانزل

ومما ينسب اليه هذه الابيات فى أسرار الفاتحة رحمة الله عليه

اذا ما كنت ملتمسا لرزق * ونيل القصد من عبد وحر
وتظفر بالذى ترجو وسر بما * وتأمن من مخالفة وغدر
ففاتحة الكتاب فان فيها * لما أملت سرا أى سر
فالزم ذكرها عقبى مساء * وفى صبح وفى ظهر وعصر
وتمسى مقريا فى كل ليل * الى التسعين تتبعها بعشر
تنل ما شئت من عز وجاه * وعظم مهابة وعلو قدر
وستر لا تغيره الليالى * بحادثة من النقصان تجرى
وتوقير وأفراح دواما * وتأمن من مخاوف كل شر
ومن عرى وجوع وانقطاع * ومن بطش لذى نهى وأمر

(الفصل السابع عشر فى بيان بعض ما اعترض عليه والجواب عنه)

قال الفخر ابن عساكر ومما كان يعترض به عليه وقوع خلل من جهة النحو يقع فى أثناء كلامه وروجع فيه فانصف من نفسه واعترف بانه مامارس ذلك الفن واكتفى بما يحتاج اليه من كلامه مع انه كان يؤلف الخطب ويشرح الكتب بالعبارات الرائقة التى تعجز الادباء والفصحاء عن أمثالها وأذن للذين يطالعون كتبه فيعثرون على خلل فيها من جهة اللفظ أن يصلحوه ويعذروه فما كان قصده الا المعانى وتحقيقها دون الالفاظ وتلفيقها ومما نقم عليه مما ذكر من الالفاظ المستبشعة بالفارسية فى كتابه كيمياء السعادة والعلوم وشرح بعض الصور والمسائل بحيث لا توافق مراسم الشرع وظواهر ما عليه قواعد الاسلام وكان الاولى والحق أحق ما يقال ترك ذلك التصنيف والاعراض عن الشرح به فان العوام ربما لا يحكمون أصول القواعد بالبراهين والحجج فاذا سمعوا شيأ من ذلك تخيلوا منه ما هو المضر بعقائدهم وينسبون ذلك الى مذاهب الاوائل على أن المنصف اللبيب اذا رجع الى نفسه علم ان أكثر ما ذكره مما رمز اليه اشارات الشرع وان لم يبح به ويوجد أمثاله فى كلام مشايخ الطريقة مرموزة ومصرحا بها متفرقة وليس لفظ منه الا وكما يشعر أحد وجوهه بكلام موهم فانه يشعر سائر وجوهه بما يوافق عقائد أهل الملة فلا يجب اذا حمله الا على ما يوافق ولا ينبغى أن يتعلق به فى الرد عليه متعلق ان أمكنه أن يبين له وجها فى الصحة يوافق الاصول على أن هذا القدر

فهو من قبيلها ولا له أسوة بأئمة الائمة الحفاظ فى اشتمال كتبهم على الضعيف بكثرة المنبه على ضعفه تارة والسكوت عنه أخرى وهذه كتب الفقه للمتقدمين وهى كتب الاحكام لا الفضائل يوردون فيها الاحاديث الضعيفة ساكتين عليها حتى جاء النووى رحمه الله فى المتأخرين ونبه على ضعف الحديث وخلافه كما أشار الى ذلك كله العراقى قال عبد الغافر الفارسى سبط القشيرى ظهرت تصانيف الغزالى وفشت ولم يبد فى أيامه مناقضة لما كان فيه ولا لما آثره الى آخر ما ذكره ومما يدلك على جلالة كتب الغزالى ما نقل ابن السمعانى من رؤيا بعضهم فيما يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها مع تعبير ثقات المعبرين ببدعة تحدث فحدثت فى جميع المغرب بدعة الامر باحراق كتبه ومن أنه لما دخلت مصنفاته الى المغرب أمر سلطانه على ابن يوسف باحراقها لتوهمه اشتمالها على الفلسفة وتوعد بالقتل من وجدت عنده بعد ذلك فظهر بسبب أمره فى مملكته منا كير ووثب عليه الجند ولم يزل من وقت الامر والتوعد فى عكس ونكد بعد ان كان عادلا *(خاتمة فى الاشارة الى ترجمة المصنف رضى الله عنه وعنابه ونفعنا

يحتاج الى من يظهره ويقوم به وكان الاولى أن يترك الافصاح بذلك والله أعلم هذا ما يتعلق بالطعن عليه مجملا في سائر كتبه وكذلك أنكر عليه ابن الصلاح على قوله في أول المستصفى هذه مقدمة العلوم كلها ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلا وقد نحا منحاه ابن القيم في مفتاح دار السعادة وأقام النكير عليه وعلى من يقول بعلم المنطق مما سيأتي بعضه في الباب الثاني وقد أجاب عنه التقي السبكي وأوسع فيه نقله عنه ولده التاج في الطبقات فراجعه وأما ما يتعلق بكتابه الاحياء فسيأتي كلام المنكرين عليه والجواب عنه عند ذكر هذا الكتاب في مصنفاته

(الفصل الثامن عشر في بيان كونه مجددا للقرن الخامس)

ولنذكر أولا الحديث الذي استنبط منه العلماء التجديد روى أبو داود في الملاحم والحاكم في الفتن وصححه والبيهقي في كتاب المعرفة كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه ان الله تعالى يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها قال العراقي وغيره سنده صحيح أي يقيض لها على رأس كل مائة من الهجرة أو غيرها رجلا كان أو أكثر من يبين السنة من البدعة ويكثر العلم وينصر أهله ويذل أهل البدعة قالوا ولا يكون الا عالما بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة فكان في المائة الاولى عمر بن عبد العزيز والثانية الشافعي والثالثة الاشعري أو ابن سريج والرابعة الاسفرايني أو الصعلوكي أو الباقلاني والخامسة حجة الاسلام الغزالي وقال ابن السبكي يتعين عندي تقديم ابن سريج في الثالثة على الاشعري فان الاشعري وان كان أيضا شافعي المذهب الا انه رجل متكلم كان قيامه للذب عن أصول العقائد دون فروعها وكان ابن سريج فقيها وقيامه للذب عن فروع هذا المذهب فكان أولى بهذه المرتبة لاسيما ووفاة الاشعري تأخرت عن رأس القرن الى بعد العشرين وقد صح أن هذا الحديث ذكر في مجلس ابن سريج فقام شيخ من أهل العلم فقال أبشر أيها القاضي بان الله بعث على رأس المائة عمر بن عبد العزيز وعلى الثانية الشافعي وبعثك على رأس الثلاثمائة ثم أنشأ يقول

اثنان قد مضيا فبورك فيهما * عمر الخليفة ثم خلف السودد
الشافعي الالمعي محمد * ارث النبوة وابن عم محمد
أرجو أبا العباس أنك ثالث * من بعدهم سقيا لتربة أحمد

فصاح ابن سريج فيما يحكى وبكى وقال لقد نعى الي نفسي وقيل انه مات في تلك السنة قال وأما الرابعة فقد قيل ان الشيخ أبا حامد الاسفرايني هو المبعوث فيها وقيل بل الاستاذ سهل الصعلوكي وقد كان ممن لا يدفع عن هذا المقام بوجه يتضح لمشاركة الشيخ أبي حامد في الفقه وقرب الوفاة من رأس المائة بخلاف الاشعري مع ابن سريج قال والخامس الغزالي وقد قال في قصيدة نظمها في أسمائهم والخامس الحبر الامام محمد * هو حجة الاسلام دون تردد وكذلك ذكره الحافظ جلال الدين السيوطي في أرجوزة له فقال

والخامس الحبر هو الغزالي * وعده ما فيه من جدال

وقال فيها

والشرط في ذلك أن تمضي المائة * وهو على حياته بين الفئة
يشار بالعلم الى مقامه * وينصر السنة في كلامه
وأن يكون جامعا لكل فن * وان يعم علمه أهل الزمن
وان يكون في حديث قد روى * من أهل بيت المصطفى وقد قوى
وكونه فردا هو المشهور * قد نطق الحديث والجمهور

ونقل العراقي عن البعض انه جعل في الرابعة أبا اسحق الشيرازي والخامسة أبا طاهر السلفي ولا مانع من الجمع فقد يكون المجدد أكثر من واحد قال الذهبي من هنا للجمع لا للمفرد فنقول مثلا على رأس الثلاثمائة ابن سريج في الفقه والاشعري في الاصول والنسائي في الحديث وقال في جامع الاصول قد تكلموا في

بعلومه وأسراره وسبب رجوعه الى طريقة الصوفية رضي الله عنهم)* أما ترجمته رضي الله عنه فهو الامام زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي الاشعري الذي انتشر فضله في الآفاق وفاق ورزق الحظ الاوفر في حسن التصانيف وجودتها والنصيب الاكبر في جزالة العبارة وسهولتها وحسن الاشارة وكشف المعضلات والتبحر في أصناف العلوم فروعها وأصولها ورسوخ القدم في منقولها ومعقولها والتحكم والاستيلاء على اجمالها وتفصيلها مع ما خصه الله به من الكرامة وحسن السيرة والاستقامة والزهد والعزوف عن زهرة الدنيا والاعراض عن الجهات الفانية واطراح الحشمة والتكلف قال الحافظ العلامة ابن عساكر والشيخ عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي والفقيه جمال الدين عبد الرحيم الاسنوي رحمهم الله تعالى ولد الامام الغزالي بطوس سنة خمسين وأربعمائة وابتدأ في صباه بطرف من الفقه ثم قدم نيسابور ولازم دروس امام الحرمين وجد واجتهد حتى تخرج في مدة قريبة وصار أنظر أهل زمانه وأوحد أقرانه وجلس

تأويل

تأويل هذا الحديث فكل أشار الى العالم الذي هو في مذهبه وحمل الحديث عليه والاولى العموم فان من
يقع على الواحد والجمع ولا يختص أيضا بالفقهاء فان انتفاع الامة أيضا يكون باولى الامر وأهل الحديث
والقراء والوعاظ لكن المبعوث ينبغي أن يكون مشارا اليه في كل من هذه الفنون ففي رأس الاولى من
أولى الامر عمر بن عبد العزيز ومن الفقهاء محمد الباقر والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله والحسن وابن
سيرين ومن القراء ابن كثير ومن المحدثين الزهري وفي رأس الثانية من أولى الامر المأمون ومن الفقهاء
الشافعي واللؤلؤي من الحنفية وأشهب من المالكية وعلي بن موسى الرضى من الامامية والحضرمي من
القراء وابن معين من المحدثين والكرخي من الزهاد وفي الثالثة من أولى الامر المقتدر ومن الفقهاء ابن
سريج ومن الحنفية الطحاوي ومن المتكلمين الاشعري ومن المحدثين النسائي وفي الرابعة من أولى الامر
القادر بالله ومن الفقهاء الاسفرايني ومن الحنفية الخوارزمي ومن المالكية عبد الوهاب ومن الحنابلة
الحسين الفراء ومن المتكلمين الباقلاني وابن فورك ومن المحدثين الحاكم ومن الزهاد الدينوري وهكذا
يقال في بقية القرون وفي كلام النووي ما يشير الى ذلك وأيده الحافظ ابن حجر في الفتح وقال كل من اتصف
بشئ من تلك الاوصاف عند رأس المائة هو المراد تعدد أم لا والبحث في هذا المقام يستدعي لذكر مهمات
ولكن اقتصرنا على المقصود منه

(الفصل التاسع عشر في ذكر مصنفاته التي سارت بها الركبان)

قال المناوي نقل النووي في بستانه عن شيخه التفليسي قال نقلا عن بعضهم انه أحصيت كتب الغزالي التي
صنفها ووزعت على عمره فخص كل يوم أربعة كراريس قلت وهذا من قبيل نشر الزمان لهم وهو من أعظم
الكرامات وقد وقع كذلك لغير واحد من الائمة كابن جرير الطبري وابن شاهين وابن النقيب والنووي
والسبكي والسيوطي وغيرهم ثم ان الامام الغزالي رحمه الله تعالى له تصانيف في غالب الفنون حتى في علوم
الحرف وأسرار الروحانيات وخواص الاعداد ولطائف الاسماء الالهية وفي السيمياء وغيرها على ما سيأتي
بيانها قريبا ان شاء الله تعالى فمن أشرف مصنفاته وأشهرها ذكرا وأعظمها قدرا هذا الكتاب المسمى باحياء
علوم الدين فنشرح حاله ونتكلم على ما يتعلق به وبغيره على ترتيب حروف المعجم لاجل سهولة الكشف
والمعرفة فاقتضى تقديم هذا الكتاب في الذكر لوجوه الاول ان اسمه مبدوء بالالف الثاني شرفه على غيره لما
فيه من علوم الآخرة والثالث شهرته في الآفاق وسيرورته مسير الشمس في الاختراق حتى قيل انه
لو ذهبت كتب الاسلام وبقي الاحياء لاغنى عما ذهب وهو مرتب على أربعة أقسام ربع العبادات وربع
العادات وربع المهلكات وربع المنجيات في كل منها عشرة كتب فالجملة أربعون نقل في لطائف المنن عن
القطب أبي الحسن الشاذلي انه قال كتاب الاحياء يورثك العلم وكتاب القوت يورثك النور وقال ابن السبكي
وهو من الكتب التي ينبغي للمسلمين الاعتناء بها واشاعتها ليهتدي بها كثير من الخلق وقل ما ينظر فيه ناظر
الا وتيقظ له في الحال وقال أيضا ولو لم يكن للناس في الكتب التي صنفها أهل العلم الا الاحياء لكفاهم وأنا
لا أعرف له نظيرا في الكتب التي صنفها الفقهاء الجامعون في تصانيفهم بين النقل والنظر والفكر والاثر
ونقل المناوي عن لواقح الانوار للشعراني قالوا ولما أفتى القاضي عياض باحراق كتاب الاحياء بلغه ذلك فدعا
عليه فمات وقت الدعوة في حمام فجأة وقيل بل أمر المهدي بقتله بعد ان ادعى عليه أهل بلده وزعموا انه
يهودي لانه كان لا يخرج يوم السبت لكونه كان يصنف كتاب الشفاء وعندي في قوله فمات وقت الدعوة توقف
فان وفاة القاضي بمراكش يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة وقيل في رمضان سنة ٥٤٤ فتامل ذلك
وروى الامام اليافعي عن ابن الميلق عن ياقوت العرشي عن أبي العباس المرسي عن القطب الشاذلي أن الشيخ
ابن حرزهم خرج على أصحابه يوما ومعه كتاب فقال أتعرفونه قال هذا الاحياء وكان الشيخ المذكور يطعن
في الغزالي وينهى عن قراءة الاحياء فكشف لهم عن جسمه فاذا هو مضروب بالسياط وقال أتاني الغزالي

للاقراء وارشاد الطلبة في
أيام امامه وصنف وكان
الامام يتبجح به ويعتد بمكانه
منه ثم خرج من نيسابور
وحضر مجلس الوزير نظام
الملك فاقبل عليه وحل منه
محلا لاعظم العلو درجته
وحسن مناظرته وكانت
حضرة نظام الملك محطا
لرحال العلماء ومقصد
الائمة والفضلاء ووقع
للامام الغزالي فيها اتفاقات
حسنة من مناظرة الفحول
فظهر اسمه وطار صيته فرسم
عليه نظام الملك بالمسير الى
بغداد للقيام بتدريس
المدرسة النظامية فسار
اليها وأعجب الكل تدريسه
ومناظرته فصار امام العراق
بعد ان حاز امامة خراسان
ارتفعت درجته في بغداد
على الامراء والوزراء
والاكابر وأهل دار الخلافة
ثم انقلب الامر من جهة
أخرى فترك بغداد وخرج
عما كان فيه من الجاه
والحشمة مشتغلا باسباب
التقوى وأخذ في التصانيف
المشهورة التي لم يسبق اليها
مثل احياء علوم الدين
وغيره التي من تاملها عرف
محل مصنفها من العلم قيل
ان تصانيفه وزعت على أيام
عمره فاصاب كل يوم كراس
ثم سار الى القدس مقبلا
على مجاهدة النفس وتبديل
الاخلاق وتحسين الشمائل
حتى مرن على ذلك ثم عاد
الى وطنه طوس لازما بيته

في النوم ودعاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقفنا بين يديه قال يا رسول الله هذا يزعم اني أقول عليك مالم تقل فأمر بضربي فضربت وأخبر القطب محيي الدين بن عربي عن نفسه انه كان يقرأ كتاب الاحياء تجاه الكعبة وقال المولى أبو الخير أول ما دخل الاحياء المغرب أنكر عليه بعض المغاربة أشياء فصنف الاملاء في الرد عن الاحياء ثم رأى ذلك المصنف رؤيا ظهرت فيها كرامة الشيخ وصدق نيته فتاب عن ذلك وقال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بضاعة الغزالي في الحديث مزجاة وقال أبو الفرج بن الجوزي قد جمعت اغلاط في الاحياء كتاب وسميته اعلام الأحياء باغلاط الاحياء وأشرت الى بعض ذلك في كتاب تلبيس ابليس وقال سبطه أبو المظفر وضعه على مذاهب الصوفية وترك فيه قانون الفقه فأنكروا عليه ما فيه من الاحاديث التي لم تصح قال المولى أبو الخير وأما الاحاديث التي لم تصح فلا ينكر عليه في ايرادها لجوازه في الترغيب والترهيب قال صاحب كشف الظنون وليس ذلك على اطلاقه بل بشرط أن لا يكون موضوعا قلت والامر كذلك فان الاحاديث التي ذكرها المصنف ما بين متفق عليه من صحيح وحسن بأقسامهما وفيه الضعيف والشاذ والمنكر والموضوع على قلة كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى

(ذكر طعن أبي عبد الله المازري وأبي الوليد الطرطوشي وغيرهما فيه والجواب عن ذلك)

اما المازري فقال مجيبا لمن سأله عن حاله وحال كتابه الاحياء ما نصه هذا الرجل يعني الغزالي وان لم أكن قرأت كتابه فقد رأيت تلامذته وأصحابه فكل منهم يحكي لي نوعا من حاله وطريقته فأتلوح بها من سيرته ومذهبه فأقام لي مقام العيان فانا أقتصر على ذكر حال الرجل وحال كتابه وذكر جمل من مذاهب الموحدين والفلاسفة والمتصوفة وأصحاب الاشارات فان كتابه متردد بين هذه الطوائف لا يعدوها ثم اتبع ذلك بذكر جمل أهل مذهب على أهل مذهب آخر ثم أبين عن طرق الغرور وأكشف عما دفن من خيال الباطل ليحذر من الوقوع في حبال صائده ثم أثنى على الغزالي بالفقه وقال هو بالفقه أعرف منه باصوله وأما علم الكلام الذي هو أصول الدين فانه صنف فيه أيضا وليس بالمستبحر فيها ولقد فطنت لسبب عدم استبحاره فيها وذلك انه قرأ علم الفلسفة قبل استبحاره في فن الاصول فكسبته قراءة الفلسفة جراءة على المعاني وتسهيلا للهجوم على الحقائق لان الفلاسفة تمر مع خواطرها وليس لها حكم شرع يزعها ولا يخاف من مخالفة أئمة يتبعها وعرفني بعض أصحابه انه كان له عكوف على رسائل اخوان الصفا وهي احدى وخمسون رسالة ومصنفها فيلسوف قد خاض في علم الشرع والنقل فمزج ما بين العلمين وذكر الفلسفة وحسنها في قلوب أهل الشرع بآيات يتلوها عندها وأحاديث يذكرها ثم كان في هذا الزمان المتأخر رجل من الفلاسفة يعرف بابن سينا ملأ الدنيا تآليفا في علم الفلسفة وهو فيها امام كبير وقد أداه قوته في الفلسفة الى ان حاول رد أصول العقائد الى علم الفلسفة وتلطف جهده حتى تم له ما لم يتم لغيره وقد رأيت جملا من دواوينه ورأيت هذا الغزالي يعول عليه في أكثر ما يشير اليه من الفلسفة ثم قال وأما مذاهب الصوفية فلست أدري على من عول فيها ثم أشار الى انه عول على أبي حيان التوحيدي ثم ذكر توهية أكثر ما في الاحياء من الاحاديث وقال عادة المتورعين أن لا يقولوا قال مالك قال الشافعي فيما لم يثبت عندهم ثم أشار الى انه يستحسن أشياء مبناها على ما لا حقيقة له مثل قوله في قص الاظفار تبدأ بالسبابة لان لها الفضل على بقية الاصابع لكونها المسبحة الى آخر ما ذكره من الكيفية وذكر فيه أثرا وقال من مات بعد بلوغه ولم يعلم ان الباري قديم مات مسلما اجماعا قال ومن تساهل في حكاية هذا الاجماع الذي الاقرب أن يكون الاجماع فيه بعكس ما قال فحقيق أن لا يوثق بما نقل وقد رأيت له انه ذكر أن في علومه هذه ما لا يسوغ أن يودع في كتاب فليت شعري أحق هو أم باطل فان كان باطلا فصدق وان كان حقا وهو مراده بلا شك فلم لا يودع في الكتب ألغموضه ودقته فان كان هو فهمه فما المانع أن يفهمه غيره هذا ملخص كلام المازري وسبقه الى قريب منه من المالكية الامام أبو الوليد الطرطوشي نزيل الاسكندرية فذكر في رسالة الى ابن مظفر فأما ما ذكرت من

مقبلا على العبادة ونصح العباد وارشادهم ودعائهم الى الله تعالى والاستعداد للدار الآخرة مرشد الضالين ويفيد الطالبين دون ان يرجع الى ما انخلع عنه من الجاه والمباهاة وكان معظم تدريسه في التفسير والحديث والتصوف حتى انتقل الى رحمة الله تعالى يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الاولى سنة خمس وخمسمائة خصه الله تعالى بانواع الكرامة في أخراه كما خصه بها في دنياه قيل وكانت مدة القطبية للغزالي ثلاثة أيام على ما حكي في كرامات الشيخ سعيد العمودي نفع الله به وذكر الشيخ عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله تعالى باسناده الثابت الى الشيخ الكبير القطب الرباني شهاب الدين أحمد الصياد اليمني الزبيدي وكان معاصرا للغزالي نفع الله بهما قال بينما أنا ذات يوم قاعدا اذ نظرت الى أبواب السماء مفتحة واذا عصبة من الملائكة الكرام قد نزلوا ومعهم خلع خضر ومركوب نفيس فوقفوا على قبر من القبور وأخرجوا صاحبه وألبسوه الخلع وأركبوه وصعدوا به من سماء الى سماء الى ان جاوز السموات السبع وخرق بعدها ستين حجابا ولا أعلم أين بلغ انتهاؤه فسألت

أمر الغزالى فرأيت الرجل وكلمته فرأيته من أهل العلم قد نهضت به فضائله واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم طول عمره وكان على ذلك طول زمانه ثم بدا له عن طريق العلماء فدخل فى غمار العمال ثم تصوف فهجر العلوم وأهلها ودخل فى علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين فلقد كاد ينسلخ من الدين فلما عمل الاحياء عمد يتكلم فى علوم الاحوال ومرامز الصوفية وكان غير أنيس بها ولا خبير بمعرفتها فسقط على أم رأسه وشحن كتابه بالموضوعات قال ابن السبكى عقب هذا الكلام وأنا أتكلم على كلامهما ثم أذكر كلام غيرهما وأتعقبه أيضا واجتهد أن لا أتعدى طور الانصاف وأسأل الله الامداد بذلك والاسعاف فما أحد منهم معاصر لنا ولا قريب ولا بيننا الا وصلة العلم ودعوة الخلق الى جناب الحق فأقول أما المازرى فقبل الخوض معه فى الكلام أقدم لك مقدمة وهى ان هذا الرجل كان من أذكى المغاربة قريحة وأحدهم ذهنا بحيث اجترأ على شرح البرهان لامام الحرمين وهو لغز الامة الذى لا يحوم نحو حماه ولا يدنو حول أثره الاغواص على المعانى ثاقب الذهن فبرز فى العلم وكان مصمما على مقالات الشيخ أبى الحسن الاشعرى جليلها ودقيقها لا يتعداها خطوة و يبدع من خالفه ولو فى النزر اليسير وهو مع ذلك مالكى المذهب شديد الميل الى مذهبه كثير المناضلة عنه وهذان الامامان أعنى امام الحرمين وتلميذه الغزالى وصلا من التحقيق وسعة الدائرة فى العلم الى المبلغ الذى يعلم كل منصف بانه ما انتهى اليه أحد بعدهما وربما خالفا أبا الحسن فى مسائل من علم الكلام والقوم أعنى الاشاعرة لاسيما المغاربة منهم يستصعبون هذا الصنع ولا يرون مخالفة أبى الحسن فى نقير ولا قطمير وربما خالفا مذهب مالك فى كثير من المسائل كما فعلا فى مسئلة المصالح المرسلة وعند ذكر الترجيح بين المذاهب فهذان أمران بغض المازرى منهما وينضم الى ذلك أن الطرق شتى مختلفة وقلما رأيت سالك طريق الا ويستقبح الطريق التى لم يسلكها ولم يفتح عليه من قبلها ويضع عند ذلك من أهلها الا ينجو من ذلك الا القليل من أهل المعرفة والتمكن ولقد وجدت هذا واعتبرته حتى فى مشايخ الطريقة ولا يخفى ان طريقة الغزالى التصوف والتعمق فى الحقائق ومحبة اشارات القوم وطريقة المازرى الجمود على العبارات الظاهرة والوقوف معها والكل حسن ولله الحمد الا ان اختلاف الطريقين يوجب تباين المزاحين و بعد ما بين القلبين لاسيما وقد انضم اليه ما ذكرناه من المخالفة فى المذهب وتوهم المازرى انه يضع من مذهبه وانه يخالف شيخ السنة الاشعرى حتى رأيته أعنى المازرى قال فى شرح البرهان فى مسئلة خالف فيها امام الحرمين أبا الحسن الاشعرى ليست من القواعد المعتبرة والا المسائل المهمة من خطأ شيخ السنة أبا الحسن الاشعرى فهو المخطئ وأطال فى هذا وقال فى الكلام على ماهية العقل فى أوائل البرهان وقد حكى ان الاشعرى يقول العقل العلم وان الامام رضى مقالة الحرث المحاسبى انه غريزة بعد ان كان فى الشامل أنكرها انه ما رضيها لكونه فى آخر عمره قرع باب قوم آخرين يعنى يشير الى الفلاسفة فليت شعرى ما فى هذه المقالة مما يدل على ذلك وأعجب من هذا انه أعنى المازرى فى آخر كلامه اعترف بأن الامام لا ينحو نحوهم وأخذ يحل من قدره وله من هذا الجنس كثير فهذه أمور توجب التنافر بينهم وتحمل المنصف على أن لا يسمع كلام المازرى فيهما الا بعد حجة ظاهرة ولا تحسب أن نفعل ذلك ازراء بالمازرى وحطا من قدره لا والله بل تبيينا الطريق الوهم عليه وهو فى الحقيقة بيان لعذره فان المرء اذا ظن بشخص سوأ قلما أمعن النظر بعد ذلك فى كلامه بل يصير بأدنى لمحة يحمل أمره على السوء ويكون مخطئا فى ذلك الا من وفق الله ممن برئ من الاغراض ولم يظن الا الخير وتوقف عند سماع كل كلمة وذلك مقام لم يصل اليه الا الآحاد من الخلق وليس المازرى بالنسبة الى هذين الامامين من هذا القبيل وقد رأيت ما فعله فى حق الامام فى مسئلة الاسترسال وكيف وهم على الامام وفهم عنه ما لا تفهمه العوام وفوق نحوه سهم الملام فاذا عرفت ذلك فاعلم أن ما ادعاه انه عرف مذهبه بحيث قام له مقام العيان كلام عجيب فانا لا نجيز أن نحكم

عنه فقيل لى هذا الامام الغزالى وكان ذلك عقب موته رحمه الله تعالى ورأى فى النوم السيد الجليل أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم وقد باهى موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بالامام الغزالى وقال أفى أمتكما حبر كهذا قالا لا وكان الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه يقول لاصحابه من كانت له منكم الى الله حاجة فليتوسل بالغزالى وقال جماعة من العلماء رضى الله عنهم منهم الشيخ الامام الحافظ ابن عساكر فى الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ان الله تعالى يحدث لهذه الامة من يجدد لها دينها على رأس كل مائة سنة انه كان على رأس المائة الاولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وعلى رأس المائة الثانية الامام الشافعى رضى الله عنه وعلى رأس المائة الثالثة الامام أبو الحسن الاشعرى رضى الله عنه وعلى رأس المائة الرابعة أبو بكر الباقلانى رضى الله عنه وعلى رأس المائة الخامسة أبو حامد الغزالى رضى الله عنه وروى ذلك عن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى الامامين الاولين أعنى عمر بن عبد العزيز والشافعى ومناقبه رضى الله عنه أكثر من أن تحصر وفيما أوردناه

على عقيدة أحد بهذا الحكم فان ذلك لا يطلع عليه الا الله ولن تنتهي اليها القرائن والاخبار أبدا وقد وقفنا نحن
على غالب كلام الغزالي وتأملنا كتب أصحابه الذين شاهدوه وتناقلوا أخباره وهم به أعرف من المازري
ثم لم ننتبه الى أكثر من غلبة الظن بأنه رجل أشعري العقيدة خاض في كلام الصوفية وأما قوله وذكر جملا
من مذاهب الموحدين والفلاسفة والمتصوفة وأصحاب الاشارات فأقول ان عنى بالموحدين الذين يوحدون
الله فالمسلمون أول داخل فيهم ثم عطف الصوفية عليهم يوهم انهم ليسوا مسلمين وحاش لله وان عنى بهم أهل
التوكل على الله فهم من خير فرق الصوفية الذين هم من خير المسلمين فما وجه عطف الصوفية عليهم بعد ذلك
وان أراد أهل الوحدة المطلقة المنسوب كثير منهم الى الاتحاد والحلول فمعاذ الله ليس الرجل في هذا الصوب وهو
مصرح بتكفير هذه الفئة وليس في كتابه شئ من معتقداتهم وأما قوله انه ليس بالمتبحر في علم الكلام فأنا
أوافقه على ذلك لكن أقول ان قدمه فيه راسخ ولكن لا بالنسبة الى قدمه في بقية علومه هذا ظني وأما قوله
انه اشتغل بالفلسفة قبل استبحاره في فن الاصول فليس الامر كذلك بل لم ينظر في الفلسفة الا بعدما استبحر في
فن الاصول وقد أشار هو أعني الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال وصرح بانه توغل في علم الكلام قبل
الفلسفة ثم قول المازري قرأ علم الفلسفة قبل استبحاره في علم الاصول بعد قوله انه لم يكن بالمستبحر في
الاصول كلام يناقض أوله آخره وأما دعواه انه تجرأ على المعاني فليست له جراءة الا حيث دله الشرع
ومدعي خلاف ذلك لا يعرف الغزالي ولا يدري مع من يتحدث ومن الجهل بحاله دعوى انه اعتمد على كتب
أبي حيان التوحيدي والامر بخلاف ذلك ولم يكن عمدته في الاحياء بعد معارفه وعلومه وتحقيقاته التي جمع
بها شمل الكتاب ونظم بها محاسنه الا على كتاب قوت القلوب لابي طالب المكي وكتاب الرسالة للاستاذ أبي
القاسم القشيري المجمع على جلالتهما وجلالة مصنفيهما وأما ابن سينا فالغزالي يكفره فكيف يقال انه
يقتدي به ولقد صرح في كتابه المنقذ من الضلال انه لا شيخ له في الفلسفة وانه أطلعه الله على هذه العلوم
بمجرد المطالعة في أقل من سنتين ببغداد مع اشتغاله بالافادة والتدريس وقوله لا أدري على من عول في
التصوف قلت عول على كتاب القوت والرسالة مع ما ضم اليه من كلام مشايخه أبي علي الفارمدي وأمثاله
ومع ما زاده من قبل نفسه بفكره ونظره وما فتح به عليه وهو عندي أغلب ما في الكتاب وليس في الكتاب
للفلاسفة مدخل ولم يصنفه الا بعدما ازدرى علومهم ونهى عن النظر في كتبهم وقد أشار الى ذلك في غير
موضع من الاحياء ثم في كتاب المنقذ من الضلال فهذا رجل ينادي على كافة الفلاسفة بالكفر وله في الرد
عليهم الكتب الفائقة وفي الذب عن حريم الاسلام الكلمات الرائقة ثم يقال انه بنى كتابه على مقالاتهم
فبالله وللمسلمين نعوذ بالله من تعصب يحمل على الوقيعة في أئمة الدين وأما ما عاب به الاحياء من توهية بعض
الاحاديث فالغزالي معترف بأنه لم تكن له في الحديث يد باسطة وعامة ما في الاحياء من الاخبار والآثار
مبدد في كتب من سبقه من الصوفية والفقهاء ولم يستبد الرجل بحديث واحد وقد اعتنى بتخريج
أحاديث الاحياء بعض أصحابنا فلم يشذ عنه الا اليسير وأما ما ذكره في قص الاظفار فالاثر المشار اليه عن
علي كرم الله وجهه غير انه لم يثبت وليس في ذلك كبير أمر ولا يخالفه شرع وقد سمعت جماعة من الفقراء
يذكرون انهم جربوه فوجدوه لا يخطئ من داومه أمن من وجع العين وأما قول المازري عادة المتورعين
أن لا يقولوا قال مالك الخ فقلما قال الغزالي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الجزم وانما يقول عن
وبتقدير الجزم فلو لم يغلب على ظنه لم يقله وغايته انه ليس الامر على ما ظن وأما مسئلة من مات ولم يعلم قدم
الباري ففرق بين انتفاء اعتقاده بالقدم واعتقاده أن لا قدم والثاني هو الذي أجمعوا على تكفير من اعتقده
فمن استحضر بذهنه صفة القدم ونفاها عن الباري أو حسبها منفية أو شك في انتفائها كان كافرا وأما
الساذج من مسئلة القدم الخالي الجلف المؤمن بالله على الجملة فهو الذي ادعى الغزالي الاجماع على انه مؤمن
على الجملة ناج من حيث مطلق الايمان الجلي ومن البلية لعظمى أن يقال عن مثل الغزالي انه غير موثوق

مقنع وبلاغ ومن مشهورات
مصنفاته البسيط والوسيط
والوجيز والخلاصة في
الفقه واحياء علوم الدين
وهو من أنفس الكتب
وأجلها وله في أصول الفقه
المستصفى والمنخول والمنتحل
في علم الجدل وتهافت
الفلاسفة ومحك النظر
ومعيار العلم والمقاصد
والمضنون به على غير أهله
ومشكاة الانوار والمنقذ
من الضلال وحقيقة القولين
وكتاب ياقوت التأويل في
تفسير التنزيل أربعين
مجلدا وكتاب أسرار علم
الدين وكتاب منهاج العابدين
والدرة الفاخرة في كشف
علوم الآخرة وكتاب
الانيس في الوحدة وكتاب
القربة الى الله عز وجل
وكتاب اخلاق الابرار
والنجاة من الاشرار وكتاب
بداية الهداية وكتاب
جواهر القرآن والاربعين
في أصول الدين وكتاب
المقصد الاسنى في شرح
اسماء الله الحسنى وكتاب
ميزان العمل وكتاب
القسطاس المستقيم وكتاب
التفرقة بين الاسلام
والزندقة وكتاب الذريعة
الى مكارم الشريعة وكتاب
المبادي والغايات وكتاب
كيمياء السعادة وكتاب
تلبيس ابليس وكتاب نصيحة
الملوك وكتاب الاقتصاد في
الاعتقاد وكتاب شفاء
العليل في القياس والتعليل
وكتاب المقاصد وكتاب الجام

به فى نقله فما أدرى ما أقول ولا بأى وجه يلقى الله تعالى من يعتقد ذلك فى هذا الامام وأما تقسيم المازرى فى العلم الذى أشار حجة الاسلام انه لا يودع فى كتاب فوددت لو لم يذكره فانه شبه عليه وهذا المازرى كان رجلا فاضلا ذكيا وما كنت أحسبه يقع فى مثل هذا أوخفى عليه ان العلوم دقائق نهى العلماء عن الافصاح بها خشية على ضعفاء الخلق وأمور أخر لا تحيط بها العبارات ولا يعرفها الا أهل الذوق وأمور أخر لم يأذن الله فى اظهارها وماذا يقول المازرى فيما أخرجه البخارى فى صحيحه من حديث الطفيل سمعت عليا رضى الله عنه يقول حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله وكم مسئلة نص العلماء على عدم الافصاح بها خشية على افهام من لا يفهمها و ربما وقع السكوت عن بعض العلم خشية من الوقوع فى محذور وأمثلته تكثر وأما كلام الطرطوشى فمن الدعاوى العارية عن الدلالة ولا أدرى كيف استجاز فى دينه أن ينسب هذا الحبر الى أنه دخل فى وساوس الشيطان ولا من أين اطلع على ذلك وأما قوله شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج فلا أدرى أى رموز فى هذا الكتاب غير اشارات القوم التى لا ينكرها عارف وليس للحلاج رموز يعرف بها وأما قوله كاد ينسلخ من الدين فيالها كلمة وقاه الله شرها وأما دعواه انه غير أنيس بعلوم الصوفية فمن الكلام البارد فانه لا يرتاب ذو نظر بان الغزالى كان ذا قدم راسخ فى التصوف وليت شعرى ان لم يكن الغزالى يدرى التصوف فمن يدريه وأما دعواه انه سقط على أم رأسه فوقعة فى العلماء بغير دليل فانه لم يذكر لنا بماذا سقط كفاه الله وايانا غائلة التعصب وأما الموضوعات فى كتابه فليت شعرى أهو واضعها حتى ينكر عليه ان هذا الا تعصب بارد وتشنيع بما لا يرتضيه ناقد وممن تكلم عليه أيضا وبسط لسانه فيه ابن الصلاح قال التقى السبكى فى جواب كتبه للعفيف المطرى المقيم بالمدينة المنورة ما نصه ماذا يقول الانسان فى الغزالى وفضله واسمه قد طبق الارض ومن خبر كلامه عرف أنه فوق اسمه وأما ما ذكره ابن الصلاح من عند نفسه ومن كلام يوسف الدمشقى والمازرى فما أشبه هؤلاء الجماعة رحمهم الله الا بقوم متعبدين سليمة قلوبهم قد ركنوا الى الهوينا رأوا فارسا عظيما من المسلمين قد رأى عدوا عظيما لاهل الاسلام فحمل عليهم وانغمس فى صفوفهم وما زال فى غمراتهم حتى فل شوكتهم وكسرهم وفرق جموعهم شذر مذر وفلق هام كثير منهم فأصابه يسير من دمائهم وعاد سالما فرأوه وهو يغسل الدم عنه ثم دخل معهم فى صلاتهم وعباداتهم فتوهموا ابقاء أثر دم عليه فأنكروا عليه هذا حال الغزالى وحالهم والكل ان شاء الله مجتمعون فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وأما المازرى فمعذور لانه مغربى وكانت المغاربة لما وقع بهم كتاب الاحياء لم يفهموه فحرقوه فمن تلك الحالة تكلم المازرى ثم ان المغاربة بعد ذلك أقبلوا عليه ومدحوه بقصائد منها قصيدة أوّلها

أباحامد أنت المخصص بالحمد * وأنت الذى علمتنا سنن الرشد
وضعت لنا الاحياء يحيى نفوسنا * وينقذنا من ربقة المارد المردى

وهى طويلة وان كنت لا أرضى بقوله أنت المخصص بالحمد وبتأوّل لقائله انه أراد من بين أقرانه أو من بين من يتكلم فيه وأين نحن ومن فوقنا ومن فوقهم من فهم كلام الغزالى والوقوف على مرتبته فى العلم والدين والتأله ولا ينكر فضل الشيخ ابن الصلاح وفقهه وحديثه ودينه وقصده الخير ولكن لكل عمل رجال ولا ينكر علو رتبة المازرى ولكن كل حال لا يعرفه من لم يذقه أو يشرف عليه وكل أحد انما يتكيف بما نشأ عليه ووصل اليه ثم قال وان كان فى الاحياء أشياء يسيرة تنتقد لا ترفع محاسن أكثره التى لا توجد فى كتاب غيره وكم من منقبة للغزالى وقد أطال فى الكلام فراجعه فى طبقات ولده فانه نفيس فى الباب وفى الجزء التاسع عشر من تذكرة الحافظ جلال الدين السيوطى قال وما وقع للعلماء من ضرب المثل لاهل عصرهم بالآيات ما وقع لحجة الاسلام الغزالى فى كتابه الانتصار لما فى الاحياء من الاسرار حين أنكر عليه علماء عصره مواضع منه ألف الكتاب المذكور لجواب ما أنكروه فقال فى أوّله ما نصه سألت يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقيها وقرب لك مقامات الولاية تحل معاليها فى بعض ما وقع فى الاملاء الملقب بالاحياء مما

العوام عن علم الكلام وكتاب الانتصار وكتاب الرسالة اللدنية وكتاب الرسالة القدسية وكتاب اثبات النظر وكتاب المأخذ وكتاب القول الجميل فى الرد على من غير الانجيل وكتاب المستظهرى وكتاب الامالى وكتاب فى علم أعداد الوفق وحدوده وكتاب مقصد الخلاف وجزء فى الرد على المنكرين فى بعض ألفاظ احياء علوم الدين وكتبه كثيرة وكلها نافعة وقال يمدحه تلميذه الشيخ الامام أبو العباس الاقليشى المحدث الصوفى صاحب كتاب النجم والكواكب شعر

أباحامد أنت المخصص بالمجد
وأنت الذى علمتنا سنن الرشد
وضعت لنا الاحياء تحيى نفوسنا
وتنقذنا من طاعة النازغ المردى
فربع عبادات وعاداته التى * تعاقبها كالدر نظم فى العقد
وثالثها فى المهلكات وانه لمنج من الهلاك المبرح والبعد
ورابعها فى المنجيات وانه ليسرح بالارواح فى جنة الخلد
ومنها ابتهاج للجوارح ظاهر
ومنها صلاح للقلوب من الحقد

واما سبب رجوعه الى هذه الطريقة واستحسانه لها فذكر رحمه الله فى كتابه المنقذ من الضلال ما صورته اما بعد فقد سألتنى أيها الاخ

أشكل على من حجب فهمه وقصر علمه ولم يفز بشئ من الحظوظ الملكية قدحه وسهمه وأظهرت التحزن لما شاش به شركاء الطعام وأمثال الانعام واجماع العوام وسفهاء الاحلام وذعار أهل الاسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته وأفتوا بمجرد الهوى على غير بصيرة باطراحه ومنابذته ونسبوا ممليه الى ضلال واضلال ونبذوا قراءه ومنتحليه بزيغ فى الشريعة واختلال فالى الله انصرافهم وما بهم وعليه فى العرض الاكبر ايقافهم وحسابهم فستكتب شهادتهم ويسئلون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه واذلم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ولو ردّوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولكن الظالمون فى شقاق بعيد ولا عجب فقد توى أدلاء الطريق وذهب أرباب التحقيق فلم يبق فى الغالب الا أهل الزور والفسوق متشبثين بدعاوى كاذبة متصفين بحكايات موضوعة متزينين بصفات ممنقة متظاهرين بظواهر بالعلم فاسدة ومتقاطعين بحجج غير صادقة كل ذلك لطلب دنيا أو محبة ثناء أو مغالبة نظراء فقد ذهبت المواصلة بينهم بالبر وتألفوا جميعا على الفعل المنكر وعدمت النصائح منهم فى الامر وتصافوا باسرهم على الخديعة والمكر ان نصحتهم العلماء أغروا بهم وان صمت عنهم العقلاء أزروا عليهم أولئك الجهال فى علمهم الفقراء فى طولهم البخلاء عن الله عز وجل بأنفسهم لا يفلحون ولا ينجح تابعهم ولذلك لا تظهر عليهم موارثة الصدق ولا تسطع حولهم أنوار الولاية ولا تحقق لديهم اعلام المعرفة ولا يسترعوراتهم لباس الخشية لانهم لم ينالوا أحوال النقباء ومراتب النجباء وخصوصية البدلاء وكرامات الاوتاد وفوائد القطب وفى هذه أسباب السعادة وتتمة الطهارة لو عرفوا أنفسهم لظهر لهم الحق وعلموا علة أهل الباطن وداء أهل الغضب ودواء أهل القوة ولكن ليس هذا من بضائعهم حجبوا عن الحقيقة بأربعة بالجهل والاصرار ومحبة الدنيا واظهار الدعوى فالجهل أورثهم السخف والاصرار أورثهم التهاون ومحبة الدنيا أورثتهم طول الغفلة واظهار الدعوى أورثهم الكبر والاعجاب والرياء والله من ورائهم محيط وهو على كل شئ شهيد فلا يغرنك أعاذنا الله واياك من أحوالهم شأنهم ولا يذهلنك عن الاشتغال بصلاح نفسك تمردهم وطغيانهم ولا يغوينك بمازين لهم من سوء أعمالهم شيطانهم فكان قد جمع الخلائق فى صعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وتلى لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فياله موقفا قد أذهل ذوى العقول من القال والقيل ومتابعة الاباطيل فأعرض عن الجاهلين ولا تطع كل أفاك أثيم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة فاصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون الى هنا كلام الغزالى *(تنبيه)* وقد أنكر على الامام الغزالى فى مواضع من الاحياء منها ما هو قول منسوب اليه ومنها ما نقله عن غيره من العارفين وأثبته وسكت عليه فمن ذلك قوله فيه ليس فى الامكان أبدع مما كان قالوا هذا يفهم منه العجز فى الجناب الالهى وهو كفر صريح وقد أجاب عنه القطب سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه الاجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية بثلاثة أجوبة الاول نقلا عن القطب بن عربى والثانى نقلا عن عبد الكريم الجيلى والثالث نقلا عن الشيخ محمد المغربى شيخ الجلال السيوطى وكل من الاجوبة الثلاثة قد أوردها شيخ مشايخنا سيدى أحمد بن مبارك السجلماسى فى كتابه الذهب الابريز وبسط الكلام عليه ورأيت ذلك بعينه فى تأليف الشعرانى المذكور بخط أحد تلامذته قال أحمد بن مبارك وقلت لبعض الفقهاء ما قولك فى قول أبى حامد ليس فى الامكان أبدع مما كان فقال قد تكلم عليه الشعرانى وغيره فقلت انما أسألك عما عندك فيه فقال لى وأى شئ عندى فيه فقلت ويحك انها عقيدة أرأيت لو قال القائل هل يقدر ربنا جل جلاله على ايجاد أفضل من هذا الخلق فقال أقول له ان مقدورات الله لا تتناهى فيقدر على ايجاد أفضل من هذا الخلق بألف درجة وأفضل من هذا الافضل وهكذا الى ما لا نهاية له فقلت وقوله ليس فى الامكان أبدع مما كان ينافى ذلك فتفطن عند ذلك للعبارة المنسوبة

لابى

فى الدين ان أبث لك غاية العلوم وأسرارها وغاية المذاهب وأغوارها وأحكى لك ما قاسيته فى استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق وما استجرأت عليه من الارتفاع من حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار وما استفدته أولا من علم الكلام وما احتويته من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تعليم الامام وما ازدريته ثالثا من طرق أهل التفلسف وما ارتضيته آخرا من طرق أهل التصوّف وما انحل لى فى تضاعيف تفتيشى عن أقاويل أهل الحق وما صرفنى عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة وما دعانى الى معاودته بنيسابور بعد طول المدة فابتدرت لاجابتك الى طلبتك بعد الوقوف على صدق رغبتك فقلت مستعينا بالله تعالى ومتوكلا عليه ومستوفقا منه وملتجئا اليه اعلموا أحسن الله ارشادكم وألان الى قبول الحق انقيادكم ان اختلاف الخلق فى الاديان والملل ثم اختلاف الائمة فى المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بحر عميق غرق فيه الا الاكثرون وما نجا منه الا الاقلون وكل فريق يزعم انه الناجى وكل حزب بما لديهم فرحون ولم أزل فى عنفوان شبابى مذ راهقت البلوغ قبل بلوغ

لابي حامد رحمه الله تعالى وهكذا وقع لى مع كثير من الفقهاء فاذا سألتهم عن عبارة أبي حامد استشعروا جلالة قدره فتوقفوا فاذا بدلت العبارة وعبرت بما سبق في سؤالنا للعامة جزموا بعموم القدرة وعدم نهاية المقدورات قال وقد اختلف العلماء في هذه المقالة المنسوبة الى أبي حامد على ثلاث طرائق فطائفة أنكرتها وردتها وطائفة أولتها وطائفة كذبت النسبة الى أبي حامد ونزهت مقامه عنها والاولى هم المحققون من أهل عصره ومن بعدهم الى هلم جرا منهم أبو بكر بن العربي تلميذه فيما نقله أبو عبد الله القرطبي في شرح أسماء الله الحسنى مانصه قال شيخنا أبو حامد الغزالي قولا عظيما انتقده عليه أهل العراق وهو بشهادة الله موضع انتقاد قال ليس في القدرة أبدع من هذا العالم في الاتقان والحكمة ولو كان في القدرة أبدع منه وادخره لكان ذلك منافيا للجود وأخذ ابن العربي في الرد عليه الى أن قال ونحن وان كنا قطرة في بحره فانا لانرد عليه الا بقوله ثم قال فسبحان من أكمل بشيخنا هذا فواضل الخلائق ثم صرف به عن هذه الواضحة في الطرائق وممن سلك هذا المسلك ناصر الدين بن المنير الاسكندري وصنف في ذلك رسالة سماها الضياء المتلالي في تعقب الاحياء للغزالي وقال المسئلة المذكورة لاتتمشى الا على قواعد الفلاسفة والمعتزلة وفي مناقضة هذه الرسالة ألف السيد السمهودي رسالة عظيمة نحو سبعة كراريس وممن نقل عنه انكاره الحافظ الذهبي في تاريخ الاسلام والامام بدر الدين الزركشي وقال هذا من الكلمات العقم التي لاينبغي اطلاق مثلها في حق الصانع والكمال بن أبي شريف والبرهان البقاعي وألف رسالة في المسئلة سماها تهديم الاركان وغيرهم والطائفة الثانية وهم المنتصرون لابي حامد والمؤولون لكلامه على وجه صحيح في ظنهم فأول ذلك الامام أبو حامد نفسه فانه سئل في زمانه عن هذه المسئلة فأجاب بما هو مسطور في الاجوبة المسكتة ومنهم محيي الدين بن عربي وعبد الكريم الجيلي ومحمد المغربي نقل عنهم الشعراني كما سبقت الاشارة اليه ومنهم الامام جلال الدين أبو البقاء محمد البكري الشافعي والبدر الزركشي أيضا والشيخ سيدي أحمد زروق في شرح قواعد العقائد للمصنف والبرهان بن أبي شريف أخو الكمال المتقدم في الطائفة الاولى والشيخ أبو المواهب التونسي وشيخ الاسلام زكريا الانصاري والحافظ جلال الدين السيوطي وألف رسالة ناقض بها على البرهان البقاعي سماها تشييد الاركان قلت وقد سئل عن هذه المسئلة كل من مشايخنا القطب نجم الدين أبي المكارم محمد بن سالم الحفني الشافعي نفعنا الله به والسيد القطب أبي المراحم عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس نفعنا الله به فأجابا بتأويل كلامه على أحسن المظنات والطائفة الثالثة وهم الذاهبون الى عدم نسبة المقالة الى أبي حامد وانها مدسوسة في كتبه ومستندهم في ذلك انهم عرضوها على كلامه في كتبه فوجدوها مع كلامه على طرفي النقيض والعاقل لايعتقد النقيض فضلا عن أبي حامد وعباراته التي هي مناقضة لتلك المقالة في مواضع من كتابه الاحياء وفي المنقذ من الضلال وفي المستصفى مما تصدى لجمعها جميعا البرهان البقاعي في رسالته المذكورة هذا خلاصة ما أشار اليه سيدي أحمد بن مبارك السجلماسي ولم نطول بنصوص الاجوبة وما نوقضت به لما فيه من الاسهاب المخل في هذه المقدمة امام الكتاب وعسى أن نلم بتفصيل كلامهم ان شاء الله تعالى في كتاب التوكل والله على مايشاء قدير وقال القطب الشعراني في كتابه الاجوبة المرضية ومما أنكروه على الغزالي قوله يباح للصوفية تمزيق ثيابهم عند غلبة الحال ان قطعت قطعا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات كما يجوز تمزيق الثوب ليرقع به قميص آخر قال المنكر ولقد عجبت من هذا الرجل يعني الغزالي كيف استلبه حب مذهب الصوفية حتى ذهل عن أصول الفقه ومذهب الشافعي واختار بدع الصوفية على مذاهب الائمة والجواب انه لاينبغي الانكار عليه بموافقة الصوفية في هذه المسئلة فان ذلك غرض صحيح في معاملة أرباب القلوب فان الصوفي لولا رأى صلاح قلبه وحضور قلبه مع الله تعالى بذلك مامزق ثوبه بل كان هو ينكر على من فعل ذلك وبالجملة فلو كان جميع أموال الدنيا وأمتعتها بيد الفقير ورأى حضور قلبه مع الله تعالى لحظة باتلافها كلها بحرقها أو رميها في بحر لكان له ذلك بطريق

العشرين الى أن أناف السن على الخمسين اقتحم لجة البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور لاخوض الجبان الحذور وأتوغل في كل مظلمة وأهجم على كل مشكلة وأتقحم كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة وأتكشف أسرار مذاهب كل طائفة لاميز بين كل محق ومبطل ومستن ومبتدع لاأغادر باطنيا الا وأحب ان أطلع على باطنيته ولا ظاهريا الا وأريد ان أعلم حاصل ظاهريته ولا فلسفيا الا وأقصد الوقوف على فلسفته ولا متكلما الا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ولا صوفيا الا وأحرص على العثور على سر صوفيته ولا متعبدا الا وأريد ماير جع اليه حاصل عبادته ولا زنديقا معطلا الا وأتجسس وراءه للتنبه لاسباب جراءته في تعطيله وزندقته وقد كان التعطش الى درك حقائق الامور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري غريزة من الله وفطرة وضعها الله في جبلتي لاباختياري وحيلتي حتى انحلت عني رابطة التقليد وانكسرت عني العقائد الموروثة على قرب عهد مني بالصبا اذ رأيت صبيان النصارى لايكون لهم نشوء الا على التنصر وصبيان اليهود لايكون

الاجتهاد ولا لوم الاعلى من عزق ثيابه و يتلف ماله اسرافا وسطها ولكل مقام رجال وأنشدوا

لو ذاق عاذلى صبابتى صبا * معى لكنه ماذاقها

فاعلم ذلك والزم الادب مع حجة الاسلام فى دوائى الظاهر والباطن قال ومما أنكروا عليه قوله فى الاحياء المقصود بالرياضة تفريغ القلب وليس ذلك الا بالخلوة والجلوس فى مكان مظلم فان لم يكن مظلما الف رأسه فى جيبه أو تدثر بكساء أورداء فانه فى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق تعالى ويشاهد جلال الربوبية قال المنكر انظروا الى هذه الترهات العجيبة وكيف صدرت من فقيه ومن أين له ان الذى يسمعه اذذاك هو نداء الحق تعالى أوان الذى يشاهده جلال الربوبية ومايؤمنه أن يكون مايجده هو من الوساوس والخيالات الفاسدة وهذا هو الغالب ممن يستعمل التقلل فى المطعم فانه يغلب عليه الماليخوليا والجواب أن ماقاله الغزالى تبعا لغيره صحيح لكن له شروط عند أهل الطريق من بلوغه فى الورع الغاية القصوى ومداومة مراقبة الله مع الانفاس وعدم شغل قلبه بنعيم الدنيا والآخرة وهناك يخرج العبد من مواطن التلبيس من النفس والشيطان وتصير روحه ملكية فيشاهد جلال الربوبية كما تشاهده الملائكة وكل من دخل الخلوة على مصطلح أهل الله عرف ماأقول ومن لم يدخل فهو معذور فى انكاره لعدم وجدانه ماذكره الغزالى فى نفسه ومما أنكروا عليه أيضا تقريره فى الاحياء قول أبى سليمان الدارانى اذا طلب الرجل الحديث أو سافر فى طلب المعاش أو تزوج فقد ركن الى الدنيا قال المنكر هذه الثلاثة أشياء مخالفة لقواعد الشريعة وكيف لايطلب الحديث وقد وردوان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم وكيف لايطلب المعاش وقد قال عمر رضى الله عنه لان أموت من سعى رجلى اطلب كفاف وجهى أحب الى من أن أموت غازيا فى سبيل الله وكيف لايطلب التزويج وصاحب الشرع صلى الله عليه وسلم يقول تناكحوا تناسلوا فما أدرى هذه الاوضاع من الصوفية الاعلى خلاف الشرع والجواب ان مثل الامام الغزالى لايجهل مثل هذه الامور بدليل مدحها فى مواضع اخر من كتاب الاحياء وانما مراده ان الدخول فى هذه الامور من لازمه غالبا دخول الآفات التى تحبطها فان من طلب الحديث لزمته الرياسة وصار مقدما عند الناس فى التعظيم والاكرام على من لم يطلبه وقل من يتخلص من الميل أو المحبة لمثل ذلك وأما التجارة والبيع والشراء مع الخلاص من الميل الى الدنيا فلايكون الا ممن كمل سلوكه ودخل حضرة الله وعرف المواقع كلها فكلام أبى سليمان جرى على الغالب فلا لوم على الغزالى فى تقريره اياه وأما كون التزويج من جملة الميل الى الدنيا فهو ظاهر لانه فى الغالب يطلب للاستمتاع وذلك لايحصل الا بالوقوع فى الآفات التى كان عنها بمعزل أيام عزوبته لاسيما ان كان متجردا عن القيام فى الاسباب التى تجلب له أمر معاشه فانه يتلف بالكلية ويلزمه الرياء لكل من أحسن اليه بلقمة أو خرقة أو غيرهما فأبغض الخلق اليه من يذمه عنده خوفا أن يتغير اعتقاده فيه فيقطع عنه بره فكان عبادة هذا كلها لاجل الذى أحسن اليه وفى الحديث خيركم بعد المائتين الخفيف الحاذ أى الذى لازوجة له ولاولد وفى الحديث أيضا يأتى على أمتى زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وولده فذكر الحديث الى أن قال وذلك انهم يعيرونه بضيق المعيشة الى أن يوردوه موارد الهلاك وقد استشار شخص سيدى عليا الخواص فى التزويج فقال له شاورغيرى فقال له فقيه مامنعك أن تشير عليه بفعل السنة فقال له الشيخ أنت ماحفظت الا كونه سنة أما تنظر الآفات المترتبة عليه من هلاك الدين وأكل الحرام والشبهات فاعلم ذلك ومما أنكروه عليه تقريره قول الجنيد اذا كان الاولاد عقوبة شهوة الحلال فماظنكم بعقوبة شهوة الحرام قال ابن القيم هذا غلط من الجنيد ومن أقره على ذلك فان الجماع سنة أومباح وكلاهما لاعقوبة على فاعله جريا على قواعد الشريعة والجواب ان مراد الجنيد العقوبة التى تحصل بلازم ذلك لابعينه قال الله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوّا لكم فاحذروهم ولايحذر الله تعالى الا مافيه رائحة الاثم ومن مصطلح القوم أن يؤاخذوا المريد على فعل المباح

ويعاقبوه

لهم نشؤ الاعلى التهوّد وصبيان الاسلام لايكون لهم نشؤ الاعلى الاسلام وسمعت الحديث المروى عن النبى صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه وينصرانه ويمجسانه فتحرك باطنى الى طلب الفطرة الاصلية وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والاستاذين والتمييز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات وفى تمييز الحق منها من الباطل اختلافات فقلت فى نفسى أولا انما مطلوبى العلم بحقائق الامور ولابد من طلب حقيقة العلم ماهى فظهر لى ان العلم اليقين هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لايبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط كالوهم ولايتسع العقل لتقدير ذلك بل الامان من الخطأ ينبغى أن يكون مقارنا للنفس مقارنة لو تحدى باظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا لم يورث ذلك شكا وامكانا فانى اذا علمت ان العشرة أكثر من الواحد لو قال لى قائل الواحد أكثر من العشرة بدليل أنى أقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها وشاهدت ذلك منه لم أشك فى معرفتى لكذبه ولم يحصل معى منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه وأما الشك فيما علمته فلا ثم علمت

و يعاقبوه عليه من حيث كونه يوقف عن الترقي ولكل مقام رجال ومما أنكروه عليه أيضا تقريره قول أبي حمزة البغدادي اني لأستحيي من الله أن أدخل البادية وأنا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون شبعي زادا اتزودت به قال المنكر ومن العجب اعتذاره عن أبي حمزة بقوله كلام أبي حمزة صحيح لكن محتاج الى شرطين أحدهما أن تكون للانسان قدرة من نفسه بحيث يمكنه الصبر عن الطعام أسبوعا ونحوه * الثاني أن يمكنه التقوت بالحشيش ولا تخلو البادية من أن يلقاه الذي معه طعام بعد أسبوع أو ينتهي الى محلة أو حشيش يجد به ما يقوته قال ابن القيم أقبح ما في هذا القول صدوره من فقيه فانه قد لا يلقى أحدا وقد يضل وقد يمرض فلا يصلح له الحشيش وقد يلقاه من لا يطعمه وقد يموت فلا يدفنه أحد والجواب أما كلام أبي حمزة فهو في نهاية الاخلاص وكذلك ما شرطه الغزالي هو صحيح يمشي على قواعد الفقه وأما ماذكره ابن القيم فلا ينهض حجة واضحة على أبي حمزة والغزالي لانه لو حمل أيضا الزاد يجوز أن يقع له ما يقع ان لم يحمله من الاحوال التي ذكرها لكن لا يخفى ان حمل الزاد سنة ومن فعل السنة كان تحت نظر الله تعالى بالامداد واللطف لانه فعل ما كلفه بخلاف من لم يحمل زادا فانه موكول الى نفسه ولو كان ممن صحت تجربته للحق تعالى فان الحق جل وعلا لا تقييد عليه يفعل ما يشاء الا ان قيد على نفسه بشئ فالعبد طلبه منه عبودية وقد قال رجل للحسن البصري اني أريد أن أجلس في مسجد وأترك السبب لاعتقادي ان الله لا يضيعني فقال له الحسن البصري ان كنت على يقين السيد ابراهيم الخليل عليه السلام فافعل والا فالزم الحرفة والله أعلم

* ومما أنكروه عليه أيضا تقريره ما حكاه عن بعضهم انه بات عند السباع في برية ليمتحن توكله على الله تعالى هل صح أم لا قال المنكر كيف يجوز للغزالي أن يسكت على ما فعله هذا الرجل مع تعرضه لاسباب الهلاك بيباته عند السباع لاسيما ان كانت جيعانة وقد قال تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والجواب ان ذلك في حق أرباب الاحوال الذين يغلب حالهم حال السبع و يركبونه و يعركون اذنه و ينقاد لهم بل يخاف هو منهم وهذا مقام يبلغه المريد بأوائل دخوله في الطريق فيمسح الله من قلبه الخوف من شئ من المخلوقات جملة واحدة وقد وقع ذلك لجملة من الاولياء وفوق هذا المقام مقام أرفع من هذا وهو الخوف من كل شئ يؤذي والتباعد عنه ولو علمنا ان الحق تعالى قدر علينا ما يؤذينا فنتحفظ من الاذى حسب طاقتنا و يفعل الله بعد ذلك ما يشاء و يثاب على ذلك الحذر لاسيما ان كان مشهد أحدنا ان نفسنا وديعة عند الله تعالى وقد أمرنا بمدافعة الاقدار عنها والله أعلم ومما أنكروه عليه أيضا تقريره ما حكاه عن أبي الحسن الدينوري انه حج اثنتي عشرة حجة وهو حاف مكشوف الرأس قال ابن القيم هذا من أعظم الجهل لما في ذلك من الاذى للرأس والرجلين ولا تسلم الارض من الشوك والوعر وكان هؤلاء الصوفية ابتكروا من عند أنفسهم شريعة سموها بالتصوف وتركوا شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بجانب فنعوذ بالله من تلبيس ابليس فان مثل هذه الحكايات تفسد عقائد العوام و يظنون ان فعله من الصواب والجواب لا ينبغي المبادرة بالانكار على من أتلف جسمه في مرضاة الله تعالى وتعظيم حرماته وربما كان من خرج للحج حافيا مكشوف الرأس وقع في ذنب عظيم عنده وظن ان الحق تعالى قد سخط عليه بسببه فخرج بتلك الهيئة يطلب التنصل من ذنوبه على وجه الذل والانكسار وقد وقع لسفيان الثوري انه حج من البصرة حافيا فتلقاه الفضيل بن عياض وابن أدهم وابن عيينة من خارج مكة فقالوا له يا أبا عبد الله أما كان من الرفق بذاتك ان تركب ولو حمارا فقال أما يرضى العبد الآبق من سيده أن يأتي الى مصالحته الا راكبا فبكى الفضيل والجماعة فانظر ذلك واقتد به والله أعلم ومما أنكروا عليه أيضا ما أجاب به من سأله عن رجل يدخل البادية بلا زاد من قوله هذا من فعل رجال الله قيل له فان مات قال الدية على العاقلة قال المنكر هذه فتوى جاهل بقواعد الشريعة اذ لا خلاف بين فقهاء الاسلام انه لا يجوز لاحد دخول البادية بغير زاد وان كل فعل ذلك ومات بالجوع فهو عاص مستحق للعقوبة في الآخرة والجواب يحتمل أن يكون مراد الغزالي من رجال الله أرباب الاحوال الذين غلبت

ان كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه من هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به وكل علم لا أمان معه ليس بعلم يقيني ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلا عن علم موصوف بهذه الصفة الا في الحسيات والضروريات فقلت الآن بعد حصول اليأس لا مطمع في اقتباس المستيقنات الا من الجليات وهي الحسيات والضروريات فلا بد من احكامها أولا لأتبين ان يقيني بالمحسوسات وأماني من الغلط في الضروريات من جنس أماني الذي كان من قبل في التقليدات أو من جنس أمان أكثر الخلق في النظريات وهو أمان محقق لا تجوز فيه ولا غائلة له فاقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات انظر هل يمكنني أن أشكك نفسي فيها فانتهى بعد طول التشكك بي الى انه لم تسمح نفسي بتسليم الامان في المحسوسات وأخذ يتسع الشك فيها ثم اني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت ما أردت ان أصنفه فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي ولم أزل أتفكر فيه مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم عزمي على الخروج عن بغداد ومفارقة تلك الاحوال

عليهم أحوالهم لا العارفين من مشايخ الطريق بقرينة ما مر في الجواب قبله فلا لوم على الغزالي الا لو جعل ذلك شائعا في حق كل الناس ومما أنكروا عليه أيضا تقريره عن أبي الخير الاقطع التيناتي قوله اني عقدت مع الله عهدا أن لا آكل شيأ من الشهوات فمددت يدي الى ثمرة في شجرة فقطعتها فبينما أنا أمضغها اذ ذكرت العهد فرميت بها من فيّ فدار بي فرسان وقالوا اقم وأخرجوني الى ساحل بحر اسكندرية واذا أمير وحوله خيل وجند فقالوا أنت من اللصوص واذا معهم جماعة من لصوص السودان فسألوهم عني فقالوا لا نعرفه فكذبهم الامير وشرع يقدم يدا ويقطعها الى أن وصل اليّ وقال لي تقدم ومد يدك فمددتها فقطعت الى آخرها قال قال المنكر فانظروا الى هذا الجهل العظيم ما فعل بصاحبه ولو أن عند التيناتي رائحة علم لعلم ان ما فعله حرام عليه وليس لابليس عون على الزهاد والعباد أكثر من الجهل وما أظن غالب ما يقع لهؤلاء الا من الماليخوليات والجواب لا ينبغي الانكار على أبي الخير ولا على الغزالي فانهما مجتهدان في ذلك فرأيا أن نقض العهد عند الاكابر أعظم من سرقة ربع دينار وأيضا فان مشهد الاكابر حضرة التقدير الالهي فهم مع الذي قدر القطع لا مع الجلاد الذي يقطع اليد مثلا فكلام الغزالي في حق الاكابر وقول المنكر في حق الاصاغر فانه كان يكفي عقوبة أحدهم أن يتوب ويستغفر من نقض العهد وليس له أن يمكن الجلاد من قطع يده ما أمكن لان ذلك لم يأمر به الشرع والله أعلم ومما أنكروا عليه أيضا قوله ان الاشتغال بعلم الظاهر بطالة قال ابن القيم هذا جهل مفرط منه وأصل ذم الصوفية العلم انهم رأوا طريق الاشتغال به لا يوصلهم الى الرياسة الا بعد طول زمان بخلاف طريقتهم المبتدعة من لبسهم الزي وصلاتهم بالليل وصيامهم بالنهار وتقصير الثياب والاكمام والجواب لا ينكر عليه ذلك فان مراده الاشتغال به على طريق الجدال بطالة بالنسبة الى طريق العلماء العاملين لا أن مراده بطالة من كل وجه وكيف يظن به أن يريد ما فهمه المنكر وهو يعلم ان علم الشريعة هو أساس علم الحقيقة اذ الشريعة لها تقويم صور العبادات الظاهرة والحقيقة لها تقويم صور العبادات الباطنة بحيث تستحق أن يقبلها الله تفضلا منه وقد بلغنا ان الغزالي ما قال ذلك الا في حق نفسه لما دخل طريق القوم ورأى كمالها وآدابها فقال ضيعنا عمرنا في البطالة والله أعلم * ومما أنكروا عليه أيضا قوله اعلم أن ميل قلوب أهل التصوف انما هو الى تحصيل العلوم اللدنية دون العلوم النقلية ولذلك لم يحضوا على دراسة العلم ولا تحصيل ما صنفه المصنفون وانما حضوا على الاشتغال بالله تعالى وحده والاشتغال بذكر الله فقط الى آخر ما قال وعد المنكرون ذلك من جملة ما غلط فيه الغزالي وقالوا قد حث الشارع على طلب العلم فكيف يمدح من لم يحض على تحصيله من الصوفية وقالوا عز هذا الكلام أن يصدر من متشرع فانه لا يخفى قبحه وهو كالطي لبساط الشريعة حقيقة ثم على هذا المذهب فقد فاتت الفضائل علماء الامصار كلهم فانهم لم يسلكوا طريق الصوفية على هذا النحو الذي ذكره الغزالي واذا ترك الانسان الاشتغال بعلم الشريعة تدخلت النفس بوساوسها وخيالاتها ولم يبق عنده من العلم ما يطرد ذلك فيلعب بها ابليس أي ملعب والجواب ان مراد الغزالي فيما حكاه عنهم انما هو بعد احكام الفقير علم الشريعة فانه حكى اجماع القوم على انه لا ينبغي لاحد أن يدخل طريق القوم الا بعد تضلعه من علوم الشريعة بحيث يصير يقطع علماء الشريعة بالحجج في مجالس المناظرة فلا ينبغي حمل مثل كلامه على ان مراده مدح الاشتغال بأحوال طريق القوم من غير تقدم علمهم للشريعة فان ذلك أبعد من البعيد فالغزالي في واد والمنكر في واد والله أعلم ومما أنكروه عليه أيضا في تفسير قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام واجنبني وبنيّ أن نعبد الاصنام ان الاصنام هو الذهب والفضة وعبادتهما حبهما والاغترار بهما قال ابن القيم وهذا تفسير لم يقل به أحد من المفسرين والجواب لا ينبغي أن ينكر عليه بسبب ذلك فقد ورد في الحديث تعس عبد الدينار والدرهم وعبد الخميصة فسمى محب هذه الامور عبدا لها مع انها لا تعقل ولا تدري من يحبها ولا من يبغضها فكانت كالاصنام والعبادة في اللغة الميل للشيء والطاعة له قال تعالى يا بني آدم

يوما واحل العزم يوما وأقدم فيه رجلا وأؤخر فيه أخرى ولا تصدق لي رغبة في طلب الآخرة الا حل عليها جند الشهوة حملة فيغيرها عشية فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسبب ميلها الى المقام ومنادي الايمان ينادي الرحيل الرحيل فلم يبق من العمر الا القليل وبين يديك السفر الطويل وجميع ما أنت فيه من العمل رياء وتخييل وان لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد وان لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطعها فعند ذلك تنبعث الرغبة وينجزم الامر على الهرب والفرار ثم يعود الشيطان ويقول هذه حالة عارضة اياك ان تطاوعها فانها سريعة الزوال وان اذعنت لها وتركت هذا الجاه الطويل العريض والشان العظيم الخالي عن التكدير والتنغيص والامر السالم الخالي عن منازعة الخصوم ربما التفتت اليه نفسك ولا تيسر لك المعاودة فلم أزل أتردد بين التجاذب بين شهوات الدنيا والدواعي قريبا من ستة أشهر أولها رجب من سنة ست وثمانين وأربعمائة وفي هذا الشهر جاوز الامر حد الاختيار الى الاضطرار اذ قفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوما واحدا

لا تعبدوا الشيطان أى لا تطيعوه فى وسوسته لكم بالسوء فانما كنى الحق تعالى عن طاعة ابليس بالعبادة
له استعارة مجازية كذلك صح للغزالى استعارة العبادة للذهب والفضة الذى هو عبارة عن شدة محبتهما
ومقاتلة الناس لأجلهما بجامع ان القلب يشتغل بهما عن الله تعالى كما يشتغل عباد الاصنام بها عن الله
تعالى والله أعلم ومما أنكروه عليه تقريره فى الاحياء قول سهل التسترى ان للربوبية سرا لو ظهر لبطلت
النبوة وان للنبوة سرا لو ظهر لبطل العلم وان للعلماء بالله سرا لو ظهر لبطلت الاحكام والشرائع قال ابن القيم
انظر الى هذا التخليط القبيح ودعواه ان باطن الشريعة يخالف ظاهرها وذلك من الهذيان والجواب
لا ينكر على سهل ولا على الغزالى لان ما ذكراه انما هو على سبيل الفرض والتقدير أى ان لله تعالى فى عباده
وشرائعه أسرارا اختص بها دون خلقه لشدة حجابهم ولو رفع ذلك الحجاب لتساوى علمهم وعلم سيدهم ولا قائل
بذلك ومن أراد أن يشم رائحة ما ذكرناه فلينظر الى حضرة ربه سبحانه قبل خلقه الخلق يجده احدا فردا لا ثانى
معه يشهد أبدا ثم يستصحب هذا المشهد وهو نازل فى المراتب من غير تخلل غفلة أو حجاب وأكثر من هذا
لا يقال واذا لم يكن الا واحد لا خلق معه ذهبت الرسالة والرسول لعدم وجود من تتوجه عليهم الاحكام فكان
بقاء الرسالة واحكامها بعدم كشف أسرار الربوبية فافهمه والله أعلم ومما أنكروا عليه أيضا قوله ضاع لبعض
الصوفية ولد صغير فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعتراضى عليه أشد من ذهاب ولدى قال
ابن القيم لقد طال تعجبى من أبى حامد هذا كيف يحكى هذه الحكايات على وجه الاستحسان لها والرضا عن
أصحابها وبعد الدعاء والسؤال لله تعالى اعتراضا لقد طوى هذا بساط الشريعة طيا اذ الدعاء مشروع
بالاجماع والجواب ان مراد الغزالى ان ذلك فيه معنى الاعتراض لا انه اعتراض وايضاحه ان الاعتراض
يرجع الى تمنى غير ما سبق فى علم الله عز وجل وقد سبق فى علمه تعالى ضياع ولد هذا الصوفى فرضى بقضاء ربه
ولم يطلب رجوع ولده ليتساوى وجود ولده وعدمه عنده فى أى مكان كان ولا فرق بين كونه فى داره أو
أقصى الارض لانه عبد لله تعالى لا عبد لولده فافهمه ومما أنكروا عليه أيضا قوله فى الاحياء كان بعض
الشيوخ فى بدايته يكسل عن قيام الليل فالزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتصير نفسه تجيبه الى قيام
الليل اختيارا وكذلك عالج بعضهم حب المال فباع جميع أمتعته ورمى ثمنها فى البحر خوفا من أن يقع فى حب
تزكية الناس له ووصفه بالجود والرياء فى فعلها المذكور ولذلك كان بعضهم يستأجر من يشتمه على رؤس
الاشهاد ليعود نفسه الحلم وكان آخر يركب البحر فى الشتاء عند اضطراب الموج ليعود نفسه الشجاعة
وكان بعضهم اذا خاف النوم يقف على رأس حائط عال حتى لا يأخذه النوم قال المنكر أعجب من جميع هؤلاء
عندى أبو حامد كيف حكى هذه الاشياء ولم ينكرها ولكن كيف ينكرها وقد أتى بها فى معرض التعليم
ولم يزنها بميزان الشريعة وقبل أن يورد هذه الحكايات قال ينبغى للشيخ أن ينظر حال المبتدى فان رأى معه
مالا حاضرا زائدا عن حاجته أخذه فصرفه فى الخير وفرغ قلب المريد منه حتى لا يلتفت اليه وان رأى الكبر قد
غلب عليه أمره أن يخرج الى السوق بالحرفة والسؤال بالالحاح ويكلفه المواظبة على ذلك وان رأى الغالب
عليه البطالة استخدمه فى تعهد الاخلية وتنظيفها من القذر وملازمة المطبخ وكنس القاذورات ومواضع
الدخان وان رأى شره حب الطعام غالبا عليه ألزمه الصوم وان رآه عزبا ولم تنكسر شهوته بالصوم
أمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم رأسا قال ابن القيم وانى
لا أعجب من أبى حامد هذا كيف يأمر بهذه الامور التى تخالف ظاهر الشريعة وكيف يحل لاحد أن يقوم
على رأسه طول الليل وكيف يحل رمى المال فى البحر وكيف يحل سب المسلم بلا سبب وهل يجوز لمسلم أن
يستأجر من يشتمه وهل يجوز لاحد أن يقوم على رأس جدار عال ويعرض نفسه للوقوع بالنوم فتنكسر
رقبته فيموت فما أرخص ما باع أبو حامد الفقه بالتصوف الذى يراه والجواب ان أهل الطريق فى جميع ذلك
مجتهدون لاسيما فى ترجيح الاعمال بعضها على بعض فكلما أدى اجتهادهم الى انه أرضى لله تعالى أوفى به

تطبيبا للقلوب المختلفة الى
فكان لا ينطق لسانى بكلمة
ولا أستطيعها البتة حتى
أورثت هذه العقلة فى
اللسان حزنا فى القلب بطلت
معه قوة الهضم ومرى
الطعام والشراب وكان
لا تنساغ لى شربة ولا تنهضم
لى لقمة وتعدى ذلك الى
ضعف القوى حتى قطع
الاطباء طمعهم فى العلاج
وقالوا هذا أمر نزل بالقلب
ومنه سرى الى المزاج فلا
سبيل اليه بالعلاج الا بان
يتروح السر عن الهم الملم
ثم لما أحسست بعجزى
وسقط بالكلية اختيارى
التجأت الى الله التجاء المضطر
الذى لا حيلة له فاجابنى
الذى يجيب المضطر اذا دعاه
وسهل على قلبى الاعراض
عن المال والجاه والاهل
والاولاد وأظهرت غرض
الخروج الى مكة وأنا أدبر
فى نفسى سفر الشام حذرا
من ان يطلع الخليفة وجملة
الاصحاب على غرضى فى
المقام بالشام فتلطفت
بلطائف الحيل فى الخروج
من بغداد على عزم ان
لا أعاودها أبدا واستهزأ
بى أئمة العراق كافة اذ لم
يكن فيهم من يجوز ان يكون
الاعراض عما كنت فيه
سببا دينيا اذ ظنوا ان ذلك
هو المنصب الاعلى فى الدين
فكان ذلك هو مبلغهم من
العلم ثم ارتبك الناس فى
الاستنباطات فظن من بعد

تقريب للطريق على المريدين قدموه على انه يحتمل أن الشيخ كان ممن أقدره الله تعالى على جمع ذلك المال الذى أمر مريده برميه فى البحر وكذلك يحتمل أن الشيخ ما أمره بالوقوف على رأسه أو على رأس جدار الا بعد ان علم قدرته على ذلك ولو بادمان سابق والله أعلم ومما أنكروا عليه أيضا حكايته عن أبى تراب النخشبى انه قال لمريد له لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله عز وجل سبعين مرة قال ابن القيم هذا الكلام فوق الجنون بدرجات والجواب لا ينكر تقريره أبا تراب على مقالته لان مراده ان ذلك المريد يجهل مقام الادب والمعرفة لله تعالى فهو لا ينتفع برؤيته ولا يصح أن تمحه الحق تعالى بشئ من الآداب بخلاف رؤية أبى يزيد فانها تعلمه طريق الادب مع الله تعالى ومع خلقه فكانت أنفع له من رؤية ربه وهو لا يعرف انه هو وهذا شأن أكثر الناس اليوم فلا يصح لهم الاخذ عن الله تعالى لكثرة حجبهم التى بينهم وبينه فهذا معنى قول أبى تراب وليس مراده أن رؤية أبى يزيد أفضل من رؤية الله تعالى لمن يعرفه فافهمه والله أعلم ومما أنكروا عليه أيضا فى حكايته عن ابن الكريتى شيخ الجنيد انه قال نزلت فى محلة فعرفت فيها بالصلاح فشت قلبى ونفرمنى فدخلت الحمام وسرقت ثيابا فاخرة ولبستها ثم لبست مرقعتى فوقها وخرجت فجعلت أمشى قليلا قليلا فلحقونى وأخذوا منى الثياب وصفعونى وسمونى لص الحمام فسكنت نفسى قال الغزالى فهكذا كانوا يروضون نفوسهم حتى يخلصهم الله تعالى من فتنة النظر الى الخلق ومراعاتهم لهم ثم أهل النظر الى النفس وأرباب الاحوال ربما عالجوا أنفسهم بما لا يفتى به الفقيه مهما رأوا اصلاح قلوبهم بذلك ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل هذا فى الحمام قال ابن القيم سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الاحياء فليته لم يحك فيه مثل هذه الامور التى لا يحل لاحد السكوت عليها والعجب انه يحكى هذه الامور ويستحسنها ويسمى أصحابها أرباب الاحوال وأى حالة أقبح من حال من خالف الشريعة ورأى المصلحة فى النهى عن اتباعها وكيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصى ثم كيف يجوز التصرف فى مال الغير بغير اذنه فان فى نص الامام أحمد والشافعى ان من سرق من الحمام ثيابا عليها حافظ وجب قطع يده ثم أين أرباب الاحوال أولا حتى يعمل العبد على وفاقهم من الرياضة كلا والله انها شريعة لو رام مثل أبى بكر رضى الله عنه أن يخرج عنها ما وجد لذلك مساغا ولو انه خالفها وعمل برأيه لكان عمله مردودا عليه اذ الحق تعالى لا يقبل من الاعمال الا ما كان على وفق الشريعة المطهرة قال وتعجبى من هذا الفقيه الذى استلب التصوف علمه وعقله أكثر من تعجبى من هذا المستلب للثياب من الحمام فياليت أبا حامد بقى مع قواعد الفقه واستغنى عن هذه الهذيانات والجواب عن هذا كله كما سبق قريبا ان القوم مجتهدون فى أحكام الطريق فكلما رأوه أصلح لقلوبهم عملوا به وذلك من باب تعارض المفسدتين فيجب ارتكاب الاخف منهما وأما ما يترتب على ذلك الفعل شرعا فقد حرم واجبايتهم من وقوع العقوبة لهم بسببه بل تعرفهم الناس بعد ذلك ويقبلون أيديهم فاعلم ذلك قلت وقد نقل الغزالى مثل هذه الحكاية التى جرت فى الحمام لابن الكريتى عن ابراهيم الخواص وأنكر عليه ابن القيم كانكاره من الاول وتعجب من أبى حامد وقال فياليته لم يتصوف والجواب واحد وان للفقير أن يداوى قلبه ببعض المحرمات ليدفع عنه محرما آخر هو أشد منه قياسا على مداواة الاجسام والامراض انما تداوى باضداد عللها وأين هلاك الابدان من هلاك القلوب ومما أنكروا عليه أيضا فى تقريره الشبلى على رمى ما كان معه من الدنانير فى الدجلة وقال ما أعزك عبد الا أذله الله تعالى وقال ابن القيم وأنا أتعجب من أبى حامد أكثر من تعجبى من هؤلاء الجهلة بالشريعة كيف يحكى ذلك عنهم على وجه المدح لهم لا على وجه الانكار وأى رائحة بقيت من الفقه عند أبى حامد حتى يكتب عنه شئ من العلم فان الفقهاء كلهم يقولون ان رمى المال فى البحر لا يجوز والجواب قد تقدم مرارا ان أهل الطريق مجتهدون فى أحوالها وان من قواعد أهل الشريعة ارتكاب أخف الضررين اذا تعارض معنا مفسدتان وقد تعارض هنا أمران أحدهما مفسدة الدين فقدموه على المفسد للدنيا فافهم والله أعلم

ومما .

عن العراق ان ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة وأمامن قرب منهم فكان يشاهد لجاجهم فى التعلق بى والانكار على واعراضى عنهم وعن الالتفات الى قولهم فيقولون هذا أمر سماوى ليس له سبب الا عينا أصابت أهل الاسلام وزمرة العلم ففارقت بغداد وفارقت ما كان معى من مال ولم أدخر من ذلك الاقدر الكفاف وقوت الاطفال ترخصا بان مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفا على المسلمين ولم أر فى العالم ما يأخذ العالم لعياله أصلح منه ثم دخلت الشام وأقمت فيه قريبا من سنتين لا شغل لى الا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلته من علم الصوفية وكنت أعتكف مدة بمسجد دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسى ثم تحرك بى داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة النبى صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه وسلامه ثم سرت الى الحجاز ثم جذبتنى الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن وعاودته بعد ان كنت أبعد الخلق عن ان

ومما أنكروا عليه أيضا ماحكاه عن شقيق البلخي انه رأى مع شخص رغيفا يفطر عليه من صومه فهجره وقال تمسك رغيفا الى الليل قال ابن القيم انظروا الى هذا الجهل العظيم بالشريعة كيف يجعل محرما الاجل أمر مباح وكيف يجوز هجر المسلم بغير سبب مسوّغ لذلك والذي عندي أن هؤلاء لما قل علمهم بالشرع صدرت منهم هذه الاقوال والافعال المخالفة للشريعة وقد كان يحيى بن يحيى يقول عندي ان مخالفة الصوفية من جملة طاعة الله عز وجل ولكن اصطلح الذئب والغنم وقد أنكر الفقهاء بمصر على ذي النون وأخرجوه من اخميم الى الجزيرة الى بغداد وكذلك أنكروا على أبي يزيد البسطامي وعلى أبي سليمان الداراني وأحمد بن أبي الحواري وسهل التستري وغيرهم كل ذلك لما كانوا يقعون فيه من مخالفة ظاهر الشرع قال وكانت الزنادقة في العصر الاوّل يكتمون حالهم ولم يتجاسروا على اظهار ماعندهم حتى جاءت الصوفية فرفضوا الشريعة جهرا وتستروا بمسمى الحقيقة وصاروا يقولون هذا شريعة وهذا حقيقة وهذا من أقبح الامور لان الشريعة قد وضعها الحق تعالى لاصلاح العباد في الدارين فما الحقيقة بعد ذلك الا القاء الشيطان في النفس وقد تمادى هؤلاء الجهلة في غيهم حتى صار أحدهم يقول حدثني قلبي عن ربي وفي ذلك تصريح بالاستغناء عن بعثة الرسل وهو كفر وهي حكمة مدسوسة في الشريعة تحتها هذه الزندقة ولكن قد صار الخوارج عن الشريعة كثيرا بالسكوت على هؤلاء الجهال الذين سموا انفوسهم صوفية وأطال في ذلك والجواب أما هجر شقيق لمن أمسك الرغيف الى آخر النهار فهو جائز ليخرجه من ورطة الحرص وطول الامل والوقوع في رائحة الاتهام للحق جل وعلا في انه يضيعه ويميته جوعا اذا لم يمسك الرغيف ولو انه قوي يقينه لكان تركه امساك الرغيف وطلبه وقت الحاجة اليه فقط واستراح من الوقوع في الحرص والشك في ان الله تعالى يضيعه فان ذلك الرغيف لايخلو اما أن يكون مقسوماله فلا يقدر أحد أن يأكله فهو ولو رماه في السوق يعود اليه واما أن لايكون مقسوما له فاى فائدة في امساكه فانه اذا أمسكه الى وقت الفطر لا يقدر على أكله بل يأكله غيره فتأمل ثم ان العلة في تحريم الهجر انما هو الاذى للمسلم بغير طريق شرعي كأن يكون لحظ نفس وأما هجر الشيخ للمريد ليقبح في عينه المباح الذي يجره الى حرام فلا منع منه لانه بطيب نفس من الشيخ والمريد وقد كان تابعه على امتثال أمره والرضا بما يفعله معه من العقوبات على أعماله الرديئة فافهم وأما قول ابن القيم ان مخالفة الصوفية من طاعة الله فهو في غاية القبح فان حقيقة الصوفي انه عالم عمل بعلمه على وجه الاخلاص فكيف يكون مخالفة مثل هذا في أفعاله وأقواله من طاعة الله تعالى والاطلاق في محل التفصيل خطأ وكان الواجب عليه أن يقول ان مخالفة من انتسب الى الصوفية وليس هو منهم طاعة وقربة الى الله تعالى ليخرج أئمة الطريق وأما انكاره على أهل الحقيقة وقوله ان الشريعة كانت كافية عن الحقيقة فهو كلام صدر بلا تأمل فقد قدمنا أن الحقيقة غاية مرتبة الشريعة وذلك أن الناس في مرتبة الشريعة على مرتبتين احداهما من عمل بالشريعة تقليدا من غير أن يصل الى مقام اليقين والثانية من عمل بها بعد وصوله الى مقام اليقين فليست الحقيقة بأمر زائد على الشريعة لان الحقيقة هي الاخبار بالامور على ماهي عليه في نفسها وهذا هو حقيقة الشريعة فان الشارع لايخبر الا بالواقع فغاية أمر التصوّف الوصول بالرياضات والمجاهدات الى مقام العلم واليقين وأما قوله ان من قال حدثني قلبي عن ربي يكفر فليس بمسلم لقائله على الاطلاق انما يكون كفرا لو قال أعطاني الله أمرا يخالف الشريعة وصار يتدين به وأما اذا أطلعه الله من طريق الالهام والتحديث الذي هو مقام سيدنا عمر رضي الله عنه على أسرار الشريعة ودقائقها وعلى زيادة آداب في العمل بها فلا منع من ذلك وما بلغنا ان أحدا من الاولياء ادعى انه خرج من التقليد للشارع أو خرج عن دائرة علمه صلى الله عليه وسلم أبدا بل كلهم مجمعون على أن جميع علومهم من باطن شرعه صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لاحد منهم العمل بما فهمه منها الا بعد عرضه على الكتاب والسنة وموافقته لهما فاعلمه والله يغفر لابن القيم ماظنه بالصوفية فانه ذب على الشريعة بحسب فهمه ومما أنكروا عليه قوله لاوجه لتحريم سماع الاصوات المطربة مع الضرب بالقضيب

أرجع اليه وآثرت العزلة حرصا على الخلوة وتصفية القلب للذكر وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعيشة تغير في وجه المراد وتشوّش صفوة الخلق وكان لايصفو لى الحال الا في أوقات متفرقة لكني مع ذلك لاأقطع طمعي عنها فيدفعني عنها العوائق وأعود اليها ودمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لى في اثناء هذه الخلوات أمور لايمكن احصاؤها واستقصاؤها والقدر الذي ينبغي أن نذكره لينتفع به أني علمت يقينا ان الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة وان سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الاخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيأ من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا فان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوّة وليس وراء نور النبوّة على وجه الارض نور يستضاء به وبالجملة ماذا يقول القائل في طريقة أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجاري منها مجرى التحرم

والتصفيق فان آحاد هذه الامور حلال فكذلك اذا اجتمعت تكون مباحة ولا دليل على تحريم السماع من نص ولا قياس واذا كان الصوت موزونا فلا تحريم قال ابن القيم لقد نزل أبو حامد بهذا الاحتجاج عن رتبة الفهم الصحيح واني لاتعجب من انسلاخه عن الفقه الى مثل هذه الهذيانات والجواب ان الغزالي رحمه الله كان مجتهدا في مثل ذلك فلا لوم عليه من قوله باباحة اجتماع هذه الامور قال ابن القيم وقد بلغنا عن الغزالي ماهو أقبح من القول باباحة الغناء مع الآلة المطربة وهو قوله من أحب الله تعالى وعشقه واشتاق الى لقائه فالسماع في حقه مؤكد لعشقه قال وهذا خطأ لايجوز اطلاق العشق على الله تعالى لانه يقتضي مماسة العاشق لله تعالى وذلك محال ثم اي توكيد لعشقه في نحو قول المغني

ذهبي اللون تحسب من * وجنتيه النار تنقدح

وما وجه المناسبة بين الماء والطين وبين خالق السموات والارضين حتى يعشق تعالى الله عن قول هؤلاء الملحدين علوا كبيرا قال ثم العجب من الصوفية باباحة مثل ذلك مع دعواهم انهم أعرف بالله تعالى من غيرهم هذا من أدل دليل على جهلهم بالله تعالى قال وكثيرا ما يقولون عن بعض الناس سلم له حاله وليس لنا أحد من الخلق يسلم له ما يفعل الا الشارع صلى الله عليه وسلم لا غير لعصمته بخلاف غير المعصوم والجواب انه لا انكار على الغزالي وغيره في تسمية محبة الله عشقا لانه لم يرد لنا نهي عن ذلك وأيضا فان العشق أوائل مقدمات المحبة فلو سمينا العاشق لله تعالى محباله كان كذبا فالعاشق يطلب القرب من حضرة محبوبه لا الاتصال به لانه يعلم ان ذلك محال فلا اعتراض على الغزالي ولا لوم عليه في قوله بأخذ الاشارات من الاشعار وغيرها فان كل ما في الوجود دليل على الله تعالى فلا فرق بين أن يأخذ تلك الاشارات المحركة للوجد من نفسه أو من غيره كله على حد سواء وتقدم أن القوم يتكلمون غالبا بلسان السكر والشوق لا بلسان الصحو والعلم وان جميع ما تجده في كلامهم لا ينبغي لنا انكاره الا اذا وجدنا أحدهم صاحيا من سكر الحال فهذا ما تيسر بيانه مما أنكر على أبي حامد الغزالي في كتابه الاحياء وهم أي المنكرون من طوائف شتى ما بين مغاربة ومشارقة ومالكية وشافعية وحنابلة فمن الاولى ابن العربي والمازري والطرطوشي والقاضي عياض وابن المنير ومن الثانية ابن الصلاح و يوسف الدمشقي والبدر الزركشي والبرهان البقاعي ومن الثالثة ابن الجوزي وابن تيمية وابن القيم وآخرون وقد أوردنا اعتراضاتهم و بينا وجه الجوابات والاعتذار عن الغزالي حسبما نقلناه عن الاثبات المتقنين وأما المحبون لطريقته والمهتدون بهديه فكثيرون وجلالة قدره وفخامة كتابه أشهر من الشمس في رابعة النهار وما أحاط بمقام كتابه الا من أفاض الله على قلبه الانوار اذ كتابه متكفل ببيان العلوم الشرعية التي هي علم العقل وعلم الاحوال وعلم الاسرار وما فيه من علم الاحوال فلا سبيل الى معرفته الا بالذوق ولا يقدر عاقل على ذوقه ولا وجدانه ولا أن يقيم على معرفته دليلا وهو متوسط بين علم العقل وعلم الاسرار وهو الى علم الاسرار أقرب منه الى علم العقل النظري ولا يكاد يلتذ به اذا جاء من غير نبي الا أصحاب الاذواق السليمة وعلامة هذا الذوق كونه خارجا عن موازين العقول عكس العلم المكتسب اذ العلم المكتسب من شأنه أن يكون داخلا في ميزان العقول ولذلك لا تتسارع الناس الى انكاره وعلم الاذواق لما كان خارجا عن موازين العقول تسارعت الناس الى انكاره ورده وهذا القدر كاف في بيان المقصود والله أعلم *(عود وانعطاف الى بيان ما يتعلق بكتاب الاحياء)*

(بيان من خدم الاحياء)

لم أر من شرح هذا الكتاب ولا تعرض أحد لايضاح سياقه المستطاب الا ما كان من المصنف نفسه لما بلغه انكار بعض المنكرين على مواضع منه كتب في الرد عليهم كتابا صغيرا سماه الأملاء على الاحياء وسيأتي ذكره في تعداد مصنفاته وانما خرج أحاديثه الامام الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي رحمه الله تعالى في كتابين أحدهما كبير الحجم في مجلدات وهو الذي صنفه في سنة ٧٥١ وقد تعذر

في الصلاة استغراق القلب بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله تعالى وهو أقواها بالاضافة الى ما تحت الاختيار انتهى قال العراقي فلما نفذت كلمته وبعد صيته وعلت منزلته وشدت اليه الرحال وأذعنت له الرجال شرفت نفسه عن الدنيا واشتاقت الى الاخرى فاطرحها وسعى في طلب الباقية وكذلك النفوس الزكية كما قال عمر بن عبد العزيز ان لي نفسا توّاقة لما نالت الدنيا تاقت الى الآخرة قال بعض العلماء رأيت الغزالي رضي الله عنه في البرية وعليه مرقعة وبيده عكاز وركوة فقلت له يا امام أليس التدريس ببغداد أفضل من هذا فنظر الى شذرا وقال لما بزغ بدر السعادة في فلك الارادة وظهرت شموس الوصل

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل
وعدت الى مصحوب أول منزل
ونادتني الاشواق مهلا فهذه
منازل من تهوى رويدك فانزل

تم كتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحياء بحمد الله وعونه * ويليه كتاب الاملاء في اشكالات الاحياء للامام الغزالي ويسمى أيضا الاجوبة المسكتة عن الاسئلة المبهتة

الوقوف فيه على بعض أحاديثه ثم ظفر بكثير مما عزب عنه الى سنة ٧٦٠ ثم اختصره فى مجلد وسماه المغنى عن حمل الاسفار اقتصر فيه على ذكر طريق الحديث وصحابيه ومخرجه وبيان صحته وضعف مخرجه وحيث كرر المصنف الحديث اكتفى بذكره فى أول مرة وربما أعاده لغرض من الاغراض ثم أتى تلميذه الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلانى فاستدرك عليه مافاته فى مجلد وصنف الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفى كتابا سماه تحفة الأحياء فيما فات من تخريج أحاديث الاحياء ولابن السبكى كلام على بعض أحاديثه المتكلم فيها سرده على ترتيب الابواب فى آخر ترجمته من طبقاته الكبرى

(بيان من اختصر كتاب الاحياء)

أول من اختصره أخو المصنف وهو أبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالى توفى بقزوين سنة ٥٢٠ وسماه لباب الاحياء ثم اختصره أحمد بن موسى الموصلى المتوفى سنة ٦٢٢ ثم محمد بن سعيد اليمنى ويحيى بن أبى الخير اليمنى ومحمد بن عمر بن عثمان البلخى وسماه عين العلم وعبد الوهاب بن على الخطيب المراغى وسماه لباب الاحياء ألفه فى بيت المقدس وهو عندى والشمس محمد بن على بن جعفر العجلونى المشهور بالبلالى وهو شيخ خانقاه سعيد السعداء بمصر توفى سنة ٨٢٠ قال الحافظ السخاوى وهو أحسن المختصرات والجلال السيوطى الحافظ وآخرون *(عود وانعطاف الى ذكر بقية مصنفاته)*

الاملاء على مشكل الاحياء أجاب فيه عن بعض مااعترض عليه فى كتابه ويسمى أيضا الاجوبة المسكتة عن الاسئلة المبهتة وهو مؤلف لطيف عندى ومنها الاربعين وهو قسم من كتابه المسمى بجواهر القرآن وقد أجاز أن يكتب مفردا فكتبوه وجعلوه مستقلا وهو عندى ومنها كتاب الاسماء الحسنى ومنها الاقتصاد فى الاعتقاد ومنها الجام العوام عن علم الكلام ومنها أسرار معاملات الدين ومنها أسرار الانوار الالهية بالآيات المتلوة وهو مرتب على ثلاثة فصول ومنها أخلاق الابرار والنجاة من الاشرار ومنها أسرار اتباع السنة ومنها أسرار الحروف والكلمات ومنها أيها الولد وهى فارسية عربها بعض العلماء وسماه بهذا الاسم مشهور *حرف الباء* بداية الهداية وهو مختصر فى الموعظة ذكر فيه مالا بد منه للعامة من المكلفين من العادات والعبادات ومنها البسيط فى فروع المذهب وهو كالمختصر لنهاية المطلب لشيخه امام الحرمين الذى قال فيه ابن خلكان ماصنف فى الاسلام مثله ومنها بيان القولين للشافعى ومنها بيان فضائح الاباحية ومنها بدائع الصنيع *حرف التاء* تنبيه الغافلين ومنها تلبيس ابليس ومنها تهافت الفلاسفة صدره بأربع مقدمات رد فيها على الفلاسفة ثم ذكر بعدها المسائل التى تناقض مذهبهم فيها وهى عشرون مسئلة وذكر فى خاتمته مايقطع القول بكفرهم من ثلاثة وجوه وقد صنف فى الرد عليه أحد علماء الاندلس القاضى أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد قال فيه فى آخره لا شك ان هذا الرجل أخطأ على الشريعة كما أخطأ على الحكمة ولولا ضرورة طلب الحق ماتكلمت فى ذلك ثم تكلم فيما بعد فى المحاكمة بينهما من علماء الروم مصطفى بن يوسف البرسونى المعروف بخواجه زاده والمولى علاء الدين على الطرسوسى وعلى الاول منهما تعليقة لابن كمال باشا ومنها التعليقة فى فروع المذهب كتبها بجرجان عن الاسماعيلى ومنها تحصين المآخذ ومنها تحصين الادلة ومنها تفسير القرآن العظيم ومنها التفرقة بين الايمان والزندقة ذكره عياض فى آخر الشفاء *حرف الجيم* جواهر القرآن ذكر فيه انه ينقسم الى علوم وأعمال ظاهرة وباطنة والباطنة الى تزكية وتحلية فهى أربعة أقسام وكل قسم يرجع الى عشرة أصول فيشتمل على زبدة القرآن وهو عندى *حرف الحاء* حجة الحق ومنها حقيقة الروح ومنها حقيقة القولين *حرف الخاء* خلاصة الرسائل الى علم المسائل فى فروع المذهب أحد الكتب المشهورة ذكر فيه انه اختصره من مختصر المزنى وزاد عليه *حرف الراء* رسالة الاقطاب ومنها رسالة الطير ومنها الرد على من طعن ومنها الرسالة القدسية بأدلتها البرهانية فى علم الكلام كتبها لاهل القدس وقد شرحها المصنف *حرف السين* السر المصون وهو مؤلف صغير رتب فيه الابيات

(هذا كتاب الاملاء فى اشكالات الاحياء)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ماخصص وعمم وصلى الله على سيد جميع الانبياء المبعوث الى العرب والعجم وعلى آله وعترته وسلم كثيرا وكرم سألت يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقيها وقرب لك مقامات الولاية تحل معاليها عن بعض ماوقع فى الاملاء الملقب بالاحياء مما أشكل على من حجب فهمه وقصر علمه ولم يفز بشئ من الحظوظ الملكية قدحه وسهمه وأظهرت التحزن لما شاش به شركاء الطغام وأمثال الانعام وأجناس العوام وسفهاء الاحلام وذعار أهل الاسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته وأفتوا بمجرد الهوى على غير بصيرة باطراحه ومنابذته ونسبوا ممليه الى ضلال واضلال ونبذوا قراءه ومنتحليه بزيغ فى الشريعة واختلال فالى الله انصرافهم ومآبهم وعليه فى العرض الاكبر ايقافهم وحسابهم فستكتب شهادتهم ويسألون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون بل كذبوا بما لم يحيطوا

القرآنية على أسلوب غريب يذكر بعد كل جملة منها أعداؤنا لن يصلوا الينا بالنفس ولا بالواسطة لا قدرة لهم على ايصال السوء الينا بحال من الاحوال * حرف الشين * شرح دائرة على بن أبي طالب المسماة نخبة الاسماء وهو مشهور بين أيدي الناس ومنها شفاء الغليل في بيان مسئلة التعليل رتبه على مقدمة وخمسة أركان وهو عندي المقدمة في بيان معاني القياس والعلة والدلالة الركن الاول في اثبات علة الاصل الثاني في العلة الثالث في الحكم الرابع في القياس الخامس في الفرع الملحق بالاصل * حرف العين * عقيدة المصباح ومنها عجائب صنع الله ومنها عنقود المختصر وهو تلخيص المختصر المقتصر من المزني لابي محمد الجويني * حرف الغين * غاية الغور في مسائل الدور ألفها في المسئلة السريجية على عدم وقوع الطلاق ثم رجع وأفتى بوقوعه ومنها غور الدور في المسئلة المذكورة وهو المختصر الاخير ألفه ببغداد في سنة ٤٨٤ * حرف الفاء * الفتاوى مشتملة على مائة وتسعين مسئلة غير مرتب فاتحة العلوم وهو مشتمل على فصلين فضائح الاباحية الفكرة والعبرة فواتح السور والفرق بين الصالح وغير الصالح ذكره في كتابه نصيحة الملوك * حرف القاف * القانون الكلي ومنها قانون الرسول ومنها القربة الى الله عز وجل ومنها القسطاس المستقيم مختصر جعله ميزانا لادراك حقيقة المعرفة قواعد العقائد وهو في علم الكلام شرحه السيد ركن الدين الاسترابادي والعلامة محمد أمين بن صدر الدين الشرواني القول الجميل في الرد على من غير الانجيل * حرف الكاف * كيمياء السعادة والعلوم بالفارسية وهو كتاب كبير يقال انه ترجم فيه كتابه الاحياء وقد رأيته بمكة وقد تكلم عليه في مواضع منه تقدمت الاشارة اليه وكتاب آخر صغير بالعربية نحو أربعة كراريس سماه كذلك وهو عندي ومنها كشف علوم الآخرة ومنها كنز العدة * حرف اللام * اللباب المنتخل في الجدل * حرف الميم * المستصفى في أصول الفقه مؤلف ضخم رتبه على مقدمة وأربعة اقطار وخاتمة فالمقدمة فيها التوطئة والتمهيد والقطر الاول في الاحكام المشتملة على لباب المقصود الثاني في الادلة الحكمية الثالث في ذكر الاشتهار والمناسبة الرابع في الاستمرارات والخاتمة في الايقاعات وذكر في أوله انه صنفه قبل الاحياء واختصره أبو العباس أحمد بن محمد الاشبيلي المتوفى سنة ٦٥١ وشرحه الفاضل أبو علي الحسن بن عبد العزيز الفهري المتوفى سنة ٧٧٦ وعليه تعليقة لسليمان بن داود الغرناطي المتوفى سنة ٨٣٢ ومنها المنخول في الاصول قال ابن السبكي ألفه في حياة أستاذه امام الحرمين قلت والذي يقتضي سياق عبارة المستصفى في أوله انه متأخر عن الاحياء وكيمياء السعادة وجواهر القرآن لانه بعد ما ذكر هذه الكتب الثلاثة قال ثم ساقني التقدير الالهي الى التصدر للتدريس فكتب من تقر بري في علم أصول الفقه فحصلوا تصنيفا على طريق لم يقع مثله في تهذيب الاصول فلما أكملوه عرضوه علي ولم أخيب سعيهم وسميته المنخول وللشيخ شمس الائمة الكردي الحنفي في الرد عليه مصنف لطيف وهو عندي ومنها المأخذ في الخلافيات بين الحنفية والشافعية ومنها المبادي والغايات في أسرار الحرف المكنونات ومنها المجالس الغزالية ذكر ابن السبكي انه لما عقد مجلس الوعظ ببغداد ازدحم الناس عليه فكان يدون مجالس وعظه من وراء الناس الشيخ صاعد بن فارس المعروف بابن اللبان فبلغت مائة وثلاثة وثمانين مجلسا ثم قرأها بعد ذلك عليه فأجازه بها بعد ان صححها فبيضها في مجلدين ضخمين ومنها مقاصد الفلاسفة عرف فيه مقاصدهم وحكى من معلوماتهم ومنها المنقذ من الضلال والمفصح عن الاحوال بث فيه غاية العلوم وأسرارها والمذاهب وأغوارها وورد فيه على الحكماء الفلاسفة ونسبهم الى الكفر والضلال وهو عندي ومنها معيار النظر ومنها معيار العلم في المنطق ومنها محك النظر ومنها مشكاة الانوار في لطائف الاخبار في الموعظة حصر مقصوده في ثمانية وأربعين بابا قال في أوله انكشف لارباب القلوب ان لا وصول الى السعادة للانسان الا باخلاص العلم والعمل للرحمن فسنح في خاطري ان أجمع كتابا

بعلمه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولكن الظالمون في شقاق بعيد ولا عجب فقد توى أدلاء الطريق وذهب أرباب التحقيق ولم يبق في الغالب الا أهل الزور والفسوق متشبثين بدعاوى كاذبه متصفين بحكايات موضوعه متزينين بصفات منمقه متظاهرين بظواهر من العلم فاسده متعاطين لحجج غير صادقه كل ذلك لطلب الدنيا أو محبة ثناء أو مغالبة نظراء قد ذهبت المواصلة بينهم بالبر وتالفوا جميعا على المنكر وعدمت النصائح بينهم في الامر وتصافوا باسرهم على الخديعة والمكر ان نصحتهم العلماء أغروا بهم وان صمت عنهم العقلاء ازروا عليهم أولئك الجهال في علمهم الفقراء في طولهم البخلاء عن الله عز وجل بانفسهم لا يفلحون ولا ينجح تابعهم ولذلك لا تظهر عليهم مواريث الصدق ولا تسطع حولهم أنوار الولاية ولا تحقق لديهم أعلام المعرفة ولا يستر عوراتهم لباس الخشية لانهم لم ينالوا أحوال النقباء ومراتب النجباء وخصوصية البدلاء

جامعا لجمع أشياء من آيات القرآن العظيم وسنن الرسول عليه الصلاة والسلام وكلمات الاولياء ونكت المشايخ رحمهم الله تعالى وحكم أهل العرفان وأخذت من كل ما يشوق القلب اليه سبحانه وطاعته ويقطع لذة النفس عن الدنيا وشهواتها ويرغبها فى الآخرة ودرجاتها الى آخر ما قال وهو عندى ومنها المستظهرى فى الرد على الباطنية ومنها ميزان العمل ومنها مواهم الباطنية قال ابن السبكى وهو غير المستظهرى فى الرد عليهم ومنها المنهج الاعلى ومنها معراج السالكين وهو مختصر أورد فيه المواعظ والتذكير ومنها المكنون فى الاصول ومنها مسلم السلاطين ومنها مفصل الخلاف فى أصول القياس ومنها منهاج العابدين الى جنة رب العالمين قيل هو آخر تأليفه رتبه على سبع عقبات وقال فى أوله صنفنا فى قطع طريق الآخرة وما يحتاج اليه من علم وعمل كتبا كاحياء العلوم والقربة الى الله عز وجل فلم يحسنوها فانما كلام أفصح من كلام رب العالمين فقد قالوا أساطير الاولين واقتضت الحال النظر الى كافة خلق الله بعين الرحمة وترك المارات فابتهلت الى الله سبحانه أن يوفقنى لتأليف كتاب يقع عليه الاجماع ويحصل بقراءته الانتفاع فأجابنى وأطلعنى بفضله وكرمه على أسرار ذلك وألهمنى ترتيبا عجيبا لم أذكره فى التى تقدمت وقد شرحه شمس الدين البلاطنسى شرحين كبيرا وصغيرا ثم اختصر المنهاج فى جزء سماه بغية الطالبين قلت ولم يذكره ابن السبكى فى تعداد مصنفاته ورأيت فى كتاب المسامرة للشيخ الاكبر محيى الدين بن عربى قدس سره ما نصه ان الشيخ أبا الحسن على بن خليل السبتى كان عالما بالحقيقة عارفا مجهول الذكر رأيته بسبتة وتباحثت معه ورأيت له تصانيف منها منهاج العابدين الذى يعزى لابى حامد الغزالى وليس له وهو غريب يستفاد * حرف النون * نصيحة الملوك فارسى نقله بعضهم الى العربية وسماه التبر المسبوك * حرف الواو * الوجيز فى الفروع أخذه من البسيط والوسيط له وزاد فيه أمورا وهو كتاب جليل عمدة فى المذهب شرحه الفخر الرازى وأبو الثناء محمود بن أبى بكر الارموى والعماد أبو حامد محمد بن يونس الاربلى وأبو الفتوح العجلى وأبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزوينى الرافعى وسماه العزيز على الوجيز وقد تورع بعضهم فسماه فتح العزيز وقد اختصر النووى من شرح الرافعى كتابا سماه الروضة وقد خدم الوجيز علماء كثيرون يقال ان له نحو سبعين شرحا وقد قيل لو كان الغزالى نبيا لكان معجزته الوجيز وأما من خرج أحاديثه فابن الملقن فى سبع مجلدات سماه البدر المنير ثم اختصره فى أربع مجلدات سماه الخلاصة ثم لخصه وسماه المنتقى فى جزء وهو عندى ولخصه أيضا الحافظ ابن حجر ومنهم البدر بن جماعة والبدر الزركشى والشهاب البوصيرى والجلال السيوطى وآخرون ومنها الوسيط فى فروع الفقه وهو ملخص من بسيطه مع زيادات وهو أحد الكتب الخمس المتداولة شرحه تلميذه محمد بن يحيى النيسابورى سماه المحيط فى ستة عشر مجلدا وشرحه نجم الدين أحمد بن على بن الرفعة فى ستين مجلدا وسماه المطلب وشرحه النجم القمولى وسماه البحر المحيط وشرحه الظهير جعفر بن يحيى التزمنتى ومحمد بن عبد الحاكم والعز عمر بن أحمد المدلجى وأبو الفتوح العجلى وابراهيم ابن عبد الله بن أبى الدم وابن الصلاح على الربع الاول فى ضربين والكمال أحمد بن عبد الله الحلبى الشهير بابن الاستاذ فى أربع مجلدات ويحيى بن أبى الخير اليمنى وعليه حواش للعماد عبد الرحمن بن على المصرى القاضى وخرج أحاديث الوسيط السراج ابن الملقن سماه تذكرة الاخيار بما فى الوسيط من الاخبار فى مختصر واختصره النور ابراهيم بن هبة الله الاسنوى وشرح فرائضه فقط ابراهيم بن اسحق المناوى وقد مدح كتبه الاربعة أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن يوسف الطرابلسى فقال

هذب المذهب حبر * أحسن الله خلاصه ببسيط ووسيط * ووجيز وخلاصه

* حرف الياء * ياقوت التأويل فى تفسير التنزيل أربعون مجلدا * (تنبيه) * اعلم انه قد عزى الى الشيخ أبى حامد الغزالى كتب وقد صرح أهل التحقيق انها ليست له من جملتها السر المكتوم فى أسرار النجوم

وكرامة الأوتاد وفوائد الاقطاب وفى هذه أسباب السعادة وتتمة الطهارة لو عرفوا أنفسهم لظهر لهم الحق وعلموا علة أهل الباطن وداء أهل الضعف ودواء أهل القوة ولكن ليس هذا من بضائعهم حجبوا عن الحقيقة باربع بالجهل والاصرار ومحبة الدنيا واظهار الدعوى فالجهل أورثهم السخف والاصرار أورثهم التهاون ومحبة الدنيا أورثتهم طول الغفلة واظهار الدعوى أورثهم الكبر والاعجاب والرياء والله من ورائهم محيط وهو على كل شئ شهيد فلا يغرنك أعاذنا الله واياك من أحوالهم شأنهم ولا يذهلنك عن الاشتغال بصلاح نفسك تمردهم وطغيانهم ولا يغوينك بما زين لهم من سوء أعمالهم شيطانهم فكأن قد جمع الخلائق فى صعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ونادى لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فياله من موقف قد أذهل ذوى العقول عن القال والقيل ومتابعة الاباطيل فاعرض عن الجاهلين ولا تطع كل أفاك أثيم وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغى

ونسب هذا الكتاب الى الامام الفخر فأنكر كونه له أيضا لكن أصحاب الروحانيين وأهل التصحيح ينقلون منه أشياء كثيرة بقولهم قال الفخر الرازي فى كتابه السر المكتوم فى أسرار النجوم كذا وكذا قال صاحب تحفة الارشاد هو موضوع عليه ومنها كتاب تحسين الظنون وله فيه

لاتظنوا الموت موتا انه * لحياة وهي غايات المنى
أحسنوا الظن برب راحم * تشكروا السعي وتأتوا أمنا
ماأرى نفسى الا أنتم * واعتقادى انكم أنتم أنا

وقد صرح الشيخ الاكبر انه موضوع ومنها كتاب النفخ والتسوية فانه كذلك موضوع عليه ومنها المضنون به على غير أهله قال ابن السبكى ذكر ابن الصلاح انه منسوب اليه وقال معاذ الله أن يكون له وبين سبب كونه مختلقا موضوعا عليه والامر كما قال وقد اشتمل على التصريح بقدم العالم ونفى علم القديم بالجزئيات وكل واحد من هذه يكفر الغزالى قائلها هو وأهل السنة أجمعون فكيف يتصور انه يقولها وهو عندى وفى المسامرة انه من تأليف على بن خليل السبتى وكذلك صرح صاحب تحفة الارشاد بانه موضوع عليه وقد صنف أبو بكر محمد بن عبد الله المالقى كتابا فى رده وتوفى سنة ٧٥٠

(الفصل العشرون فى بيان من تلمذ عليه وتفقه به وصحبه وروى عنه وفى أثناء ذلك نورد بعض أسانيدنا الى المصنف)

فنهم القاضى أبو نصر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الخفرى منسوب الى خمس قرى التى تعرف بسبخ ريه ولد سنة ٤٦٦ وتفقه بطوس على أبى حامد الغزالى وسمع الحديث من آخرين توفى سنة ٥٤٤ ومنهم الامام أبو الفتح أحمد بن على بن محمد بن برهان بفتح الموحدة الاصولى كان حنبليا ثم انتقل وتفقه على الشاشى وأبى حامد الغزالى والكيا وكان يدرس فى النظامية فى أنواع العلوم وكان يدرس لهم فى الاحياء فى نصف الليل وقد سمع الحديث من ابن البطر وأبى عبد الله النعالى وسمع البخارى قراءة على أبى طالب الزينبى ولد سنة ٤٧٦ وتوفى سنة ٥١٨ ومنهم أبو منصور محمد بن اسمعيل بن الحسين بن القاسم العطارى الطوسى الواعظ الملقب بحفدة ٧ توفى سنة ٤٨٦ وتفقه بطوس على أبى حامد الغزالى وبمرو على أبى بكر السمعانى وسمع من البغوى كتبه وأبى الفتيان الدهستانى الحافظ توفى بمرو سنة ٥٧٣ ومنهم السديد أبو سعيد محمد بن أسعد بن محمد النوقانى تفقه على أبى حامد الغزالى وقتل فى مشهد على بن موسى الرضى فى سنة ٥٥٤ فى واقعة الغز ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودى الملقب بالمهدى صاحب دعوة سلطان المسلمين عبد المؤمن بن على ملك المغرب دخل المشرق فتفقه على أبى حامد الغزالى والكيا وأخباره طويلة ذكرها الاخباريون ومنهم أبو حامد محمد بن عبد الملك بن محمد الجوزقانى الاسفراينى تفقه على أبى حامد الغزالى ببغداد وسمع ابن أبى عبد الله الحميدى الحافظ لقيه ابن السمعانى باسفراين ومنهم أبو عبد الله محمد بن على بن عبد الله العراقى البغدادى تفقه على أبى حامد الغزالى والكيا والشاشى وبقى بعد الاربعين وخمسمائة ومنهم أبو سعيد محمد بن على الجاوانى الكردى حدث بكتاب الجام العوام للغزالى عنه وقرأ المقامات الحريرية على مؤلفها ومنهم الامام أبو سعيد محمد بن يحيى بن منصور النيسابورى ولد سنة ٤٧٦ وهو من أشهر تلامذة أبى حامد الغزالى تفقه عليه وشرح كتابه البسيط وسمع الحديث من أبى حامد بن عبدوس ونصر الله الخشنانى وعليه تفقه الموفق الخوشانى المدفون تحت رجلى الامام الشافعى بمصر استشهد فى رمضان سنة ٥٤٨ فى واقعة الغز ومنهم أبو طاهر ابراهيم بن المطهر الشيبانى حضر دروس امام الحرمين بنيسابور ثم صحب الغزالى وسافر معه الى العراق والحجاز والشام ثم عاد الى وطنه بجرجان وأخذ فى التدريس والوعظ قتل شهيدا سنة ٥١٣ ومنهم أبو الفتح نصر بن محمد بن ابراهيم الاذربيجانى المراغى الصوفى حكى عن أبى حامد الغزالى وغيره حكى عنه أبو سعد بن السمعانى قال

نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة فاصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ولقد جئناك بحول الله وقوته وبعد استخارته عما سألت عنه وخاصة مازعمت فيه من تخصيص الكلام بالمثل الذى ذكر فيه الاقلام اذ قد اتفق ان يكون أشهر مافى الكتاب وأكثر تصرفا على السنة الصدور والاصحاب حتى لقد صار المثل المذكور فى المجالس تحية الداخل وحديث الجالس فساعدتنا أمنيتك ولولا العجلة والاشتغال لاضفنا الى املائنا هذا بيانا غيره مما عدوه مشكلا وصار لعقولهم الضعيفة مخبلا ومضلا ونحن نستعيذ بالله من الشيطان ونستعصم به من جراءة فقهاء الزمان ونتضرع اليه فى المزيد من الاحسان انه الجواد المنان (ذكر مراسم الاسئلة فى المثل) ذكرت رزقك الله ذكره وجعلك تعقل نهيه وأمره كيف جاز انقسام التوحيد على أربعة مراتب ولفظة التوحيد تنافى التقسيم فى

سمعت أبا الفتوح نصر بن محمد بن ابراهيم المراغي املاء بأصل طبرستان يقول اجتمع الائمة أبو حامد الغزالي واسمعيل الحاكمي وابراهيم الشباكي وأبو الحسن البصري وجماعة كثيرة من أكابر الغرباء في مهد عيسى عليه السلام ببيت المقدس وأنشد فقال هذين البيتين

فديتك لولا الحب كنت فديتني * ولكن بسحر المقلتين سبيتني

أتيتك لما ضاق صدري من الهوى * ولو كنت تدري كيف شوقي أتيتني

فتواجد أبو الحسن البصري وجدا أثر في الحاضرين ودمعت العيون ومزقت الجيوب وتوفي محمد الكازروني من بين الجماعة في الوجد قال المراغي وكنت معهم حاضرا وشاهدت ذلك ومنهم الامام أبو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن الحسين الجهني الموصلي تفقه على الغزالي وسمع من طراد الزينبي وابن البطر توفي سنة ٥٥٢ ومنهم خلف بن أحمد النيسابوري ممن تفقه على الغزالي وله عنه تعليقة ذكره ابن الصلاح في مشكل الوسيط وقال بلغني انه توفي قبل الغزالي ومنهم أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد الانصاري البلنسي المحدث أحد السياحين تفقه ببغداد على الغزالي وسمع بها من طراد وابن البطر روى عنه السمعاني وابن الجوزي وابنته فاطمة بنت سعد توفي سنة ٥٤١ ومنهم أبو عبد الله شافع بن عبد الرشيد بن القاسم الجيلي تفقه على الكيا والغزالي وسمع الحديث بالبصرة روى عنه ابن السمعاني توفي سنة ٥٤١ ومنهم أبو عامر دغش بن علي بن أبي العباس النعيمي الموفقي خرج الى طوس وأقام عند أبي حامد الغزالي مدة وأخذ عنه توفي سنة ٥٤٢ ومنهم الاستاذ أبو طالب عبد الكريم بن علي بن أبي طالب الرازي تفقه على الغزالي ببغداد والكيا ومحمد بن ثابت الخجندي روى عنه أبو النضر الفامي مؤرخ هراة وكان أبو طالب يحفظ الاحياء سردا على القلب توفي بمرو الروذ سنة ٥٢٨ ومنهم الامام أبو منصور سعيد بن محمد بن عمر بن منصور الرزاز ولد سنة ٤٦٢ وتفقه على الشاشي والغزالي والمتولي والطبري والكيا ودرس بالنظامية توفي سنة ٥٠٣ وولده سعيد وحفيده سعيد بن محمد وحفيد حفيده سعيد بن محمد بن سعيد كلهم حدثوا ذكرتهم في شرح القاموس ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن حمويه الجويني الصوفي صحب الامام الغزالي بطوس وتفقه عليه وروى الحديث عن عبد الغفار الشيروي ومنهم أبو محمد صالح بن محمد بن عبد الله بن حازم لقبه بالقوس وصحبه واتفقت له معه غريبة حكاها الشهاب أحمد ابن عبد الله بن القاضي السجلماسي في كتابه الاصليت ومنهم أبو الحسن علي بن المطهر بن مكي بن مقلاص الدينوري من كبار تلامذة الغزالي في الفقه وسمع الحديث من ابن البطر وطبقته روى عنه ابن عساكر توفي سنة ٥٣٣ ومنهم مروان بن علي بن سلامة بن مروان بن عبد الله الطنزي من قرية بديار بكر وورد بغداد وتفقه بها على الغزالي والشاشي روى عنه ابن عساكر توفي بعد سنة ٥٤٠ ومنهم أبو الحسن علي بن مسلم ابن محمد بن علي السلمي جمال الاسلام لازم الغزالي مدة مقامه بدمشق وأخذ عنه يحكى ان الغزالي قال بعد خروجه من الشام خلفت بالشام شابا ان عاش كان له شأن يعني جمال الاسلام هذا فكان كما تفرس فيه وممن روى عنه الحافظ أبو القاسم بن عساكر والحافظ السلفي وبركات الخشوعي والقاسم بن عساكر آخرهم وفاة القاضي عبد الصمد الحرستاني توفي سنة ٤٣٣ وقعت لنا رواية الكتاب من طريقه أخبرناه غير واحد من الشيوخ كالسيد ابن المعمر بن عبد الحي بن الحسن بن زين العابدين ومحمد بن محمد الحسنيان اجازة منهما شفاها عن محمد بن عبد الباقي بن يوسف ومحمد بن القاسم بن اسمعيل قال الاول أخبرنا أبو الحسن علي ابن علي الازهري أخبرنا أحمد بن خليل أخبرنا محمد بن أحمد بن علي وقال الثاني وهو أعلى أخبرنا عمي موسى ابن اسمعيل أخبرنا عبد الوهاب بن أحمد قالا أخبرنا قاضي القضاة أبو يحيى الانصاري أخبرنا الحافظان أبو الفضل بن حجر وأبو النعيم العقبي قال أخبرنا الحافظان الزين العراقي والنور علي بن سليمان الهيثمي قالا أخبرنا مسند الشام أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم الدمشقي أخبرنا أبو محمد اسمعيل بن ابراهيم بن أبي

المشهود كما بينا في التكرير التعديد وان صح انقسامه على وجه لا يندفع فهل تصح تلك القسمة فيما يوجد أو فيما يقدر ورغبت مزيد البيان في تحقيق كل مرتبة وانقسام طبقات أهلها فيها ان كان يقع بينهم التفاوت وما وجه تمثيلها بالجوز في القشور واللبوب ولم كان الاول لا ينفع والآخر الذي هو الرابع لا يحل افشاؤه وما معنى قول أهل هذا الشان افشاء سر الربوبية كفر أين أصل ما قالوه في الشرع اذ الايمان والكفر والهداية والضلال والتقريب والتبعيد والصديقية وسائر مقامات الولاية ودركات المخالفة انما هي مأخذ شرعية وأحكام نبوية وكيف يتصور مخاطبة العقلاء الجمادات ومخاطبة الجمادات للعقلاء وبماذا تسمع تلك المخاطبة أبحاسة الآذان أم بسمع القلب وما الفرق بين القلم المحسوس والقلم الالهي وما حد عالم الملك وعالم الجبروت وحد عالم الملكوت وما معنى ان الله تعالى خلق آدم على صورته وما الفرق بين الصورة الظاهرة التي يكون معتقدها منزها بجلالها

البسر حضورا فى الرابعة أخبرنا أبو طاهر بركات بن ابراهيم الخشوعى قال أخبرنا جمال الاسلام على بن
المسلم بن محمد بن على السلمى قال أخبرنا مؤلفه فذكره ومن روى عنه كتاب الاحياء عبد الخالق بن أحمد
ابن عبد القادر بن يوسف البغدادى وقعت لنا روايته من طريقه أخبرنا السيد المسند عمر بن أحمد بن عقيل
الحسنى اذنا خاصا أخبرنى خالى محدث الحجاز عبد الله بن سالم بن محمد بن عيسى البصرى أخبرنا الحافظ
شمس الدين محمد بن العلاء قراءة عليه وأنا أسمع من أوله الى كتاب العلم ومن أول بداية الهداية الى القسم
الاول فى الطاعات واجازة لسائره وسائر تصانيفه عن سليمان بن عبد الدائم البابلى عن النجم محمد بن أحمد
عن الامين محمد بن أحمد بن عيسى بن النجار البدرانى عن الشيخ جلال الدين بن الملقن عن أبى اسحق ابراهيم
ابن أحمد التنوخى عن التقى سليمان بن حمزة عن عمر بن كرم الدينورى عن عبد الخالق بن أحمد عن مؤلفها
ومن روى عنه كتاب الاحياء محمد بن ثابت بن الحسن بن على الخجندى من ولد المهلب بن أبى صفرة وقد روى
عنه الحافظ أبو سعد بن السمعانى وعبد الكريم بن أبى طالب الرازى ومن أحفاده محمد بن عبد اللطيف
ابن محمد كان رئيس أصبهان وتوفى سنة ٥٥٢ وولده عبد اللطيف سمع من أبى الوقت توفى سنة ٥٦٥
وولده محمد انتهت اليه الرياسة بأصبهان توفى سنة ٥٧٢ وقعت لنا روايته من طريقه أخبرنا
الشيخ المحدث الصوفى رضى الدين عبد الخالق بن أبى بكر بن الزين المزجاجى الحنفى الزبيدى والسيد
العارف الصوفى عبد الله بن أحمد بن دامل الحسينى قال الاول أخبرنا السيد المحدث عماد الدين يحيى
ابن عمر بن عبد القادر الحسينى أخبرنا أبو الاسرار الحسن بن على بن يحيى الحنفى المكى أخبرنا البرهان
ابراهيم بن محمد الميمونى أخبرنا الشمس محمد بن أحمد بن حمزة الرملى ح وقال شيخنا الثانى وهو أعلى
أخبرنا عبد الخالق بن الزين المزجاجى الحنفى نزيل صنعاء أخبرنا أبو الوفاء أحمد بن محمد بن العجيل المعمر
أخبرنا يحيى بن مكرم الطبرى اجازة قالا أخبرنا شيخ الاسلام زكريا بن محمد الانصارى زاد الطبرى
فقال والحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى قالا أخبرنا الحافظان الشهاب أبو
الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى وأبو النعيم رضوان بن محمد بن يوسف العقبى مشافهة قالا أخبرنا
أبو الحسن على بن محمد بن أبى المجد الدمشقى قدم علينا حدثنا التقى سليمان بن حمزة الحاكم حدثنا
محمد بن عماد الحرانى فى كتابه حدثنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعانى الحافظ فى كتابه حدثنا
محمد بن ثابت أخبرنا مؤلفه وبالسند الى الحافظ السخاوى وشيخ الاسلام قالا أخبرنا أبو محمد عبد
الرحيم بن محمد بن الفرات الحنفى أخبرنا التاج أبو نصر عبد الوهاب بن على بن عبد الكافى أخبرنا
الشمس أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ أخبرنا مؤرخ هراة أبو النضر الفامى أخبرنا عبد الكريم بن
أبى طالب الرازى أخبرنا محمد بن ثابت وأعلى من ذلك رواه الرازى عن مؤلفه وكتب الى نفر الديار الشامية
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم الحنبلى أنبأنا أبو المواهب محمد بن عبد الباقى وأبو التقى عمر بن أبى تغلب
الشيبانى وعبد الغنى بن اسمعيل النابلسى والمعمر بن عبد الرحمن بن محيى الدين السليمى قالوا أخبرنا أبو التقى
عبد الباقى بن عبد الباقى البعلى وهو والد الاول أخبرنا الشمس محمد بن يوسف الميدانى عن الشهاب أحمد
ابن بدر الطيبى عن الكمال محمد بن حمزة الحسينى عن أبى حفص الحنبلى عن سليمان بن حمزة بسنده المتقدم
قال شيخنا وروى أكثر الاحياء سماعا عن الشيخ اسمعيل العجلونى عن أبى المواهب عن والده بسنده
المذكور ومن روى عنه كتاب الاحياء أبو الفتوح أسعد بن أحمد الاسفراينى وقعت لنا روايته من
طريقه أخبرنا شيخنا العلامة شمس الدين محمد بن علاء الدين المزجاجى الحنفى الزبيدى وشيخنا سيدى
عبد الخالق قالا أخبرنا علاء الدين بن عبد الباقى المزجاجى وهو والد الاول عن أخيه عبد الله بن عبد الباقى
عن عبد الهادى بن عبد الجبار بن موسى بن جنيد القرشى عن البرهان ابراهيم بن أبى القاسم بن
جعمان الزبيدى أخبرنا الشريف طاهر بن الحسين الاهدل أخبرنا الوجيه عبد الرحمن بن على بن محمد

ومامعنى الطريق فى فانك بالواد المقدس طوى ولعله ببغداد أو اصبهان أو نيسابور أو طبرستان فى غير الوادى الذى سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى ومامعنى فاستمع بسر قليل لما يوحى وهل يكون سماع القلب بغير سره وكيف يسمع لما يوحى من ليس بنبى أذلك على طريق التسليم أم على سبيل التخصيص ومن له بالتسلق الى مثل ذلك المقام حتى يسمع اسرار الاله وان كان على سبيل التخصيص والنبوة ليست محجورة على أحد الا على من قصر عن سلوك تلك الطريق ومايسمع فى النداء اذا سمع هل أسمع موسى أو أسمع نفسه ومامعنى الامر للسالك بالرجوع من عالم القدرة ونهيه عن ان يتخطى رقاب الصديقين وما الذى أوصله الى مقامهم وهو فى المرتبة الثالثة وهى توحيد المقربين ومامعنى انصراف السالك بعد وصوله الى ذلك الرفيق والى أين وجهته فى الانصراف وكيف صفة انصرافه وما الذى يمنعه من البقاء فى الموضع الذى وصل اليه وهو أرفع من الذى خلفه وأين هذا من قول ابى سليمان الدارانى المذكور فى غير الاحياء لو وصلوا ما رجعوا بما وصل من رجع ومامعنى

ابن الربيع الشيبانى الزبيدى أخبرنا الشهاب أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجى أخبرنا النفيس سليمان بن ابراهيم العلوى أخبرنا موفق الدين على بن أبى بكر بن شداد المقرى أخبرنا الشهاب أحمد بن أبى الخير الشماخى السعدى أخبرنا العز الفاروثى أخبرنا أبو الفضل الموفق البوشنجى أخبرنا أبو الفتوح الاسفراينى أخبرنا مؤلفه اجازة مناولة ومن روى عنه كتاب الاحياء أبو عبد الله محمد اللبنى المالكى تفقه على الغزالى وروى الحديث روى عنه ولده الفقيه أبو محمد عبد المولى أحد مشايخ ابن الجوانى النسابة بمصر وقعت لنا روايته وكذا بداية الهداية له من طريقه وبالسند الى الحافظ البابلى أخبرنا أبو محمد عبد الرؤف بن محمد المناوى أخبرنا الشمس محمد بن عبد الرحمن العلقمى أخبرنا الحافظ السيوطى أخبرتنى أم الفضل هاجر بنت الشرف محمد القدسية اجازة أخبرنا أبو الفرج القرى سماعا فى الخامسة أخبرنا أبو الحسن على بن قريش أخبرنا الكمال أبو الحسن على بن شجاع الضرير أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد المولى اللبنى أخبرنا أبى عن المؤلف ومن روى عنه كتاب الاحياء القاضى أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربى وقعت لنا رواية من طريقه أخبرنا شيخنا السيد عمر بن أحمد بن عقيل وشيخنا الفقيه المحدث أبو العباس أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الخالدى والعلامة المعمر بركة الوجود أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف المجيرى والاستاذ الاجل عبد الله بن محمد بن عامر الشافعيون اذ نامنهم لى خاصا قالوا أخبرنا محدث الحجاز عبد الله بن سالم بن محمد والشهاب أحمد بن محمد بن أحمد المكى ح وأخبرنا الامام الصوفى العارف عبد الله بن ابراهيم بن حسن الحسينى النسفى أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد المكى ح وأخبرنا الامام أبو المعالى الحسن بن على بن أحمد بن عبد الله القاهرى أخبرنا المحدث أبو العز محمد بن أحمد بن أحمد القاهرى قالوا وهم ثلاثة أخبرنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان السوسى أخبرنا أبو الحسن على بن محمد الاجهورى والشهاب أحمد بن محمد الخفاجى كلاهما عن الشمس محمد بن أحمد الرملى والسراج عمر بن الجاى والبدر الكرخى قالوا أخبرنا شيخ الاسلام زكريا الانصارى ح وأخبرنا ذو الفنون محمد بن الطيب بن محمد الفاسى واسمعيل بن عبد الله بن على فى آخرين قالوا أخبرنا محمد بن ابراهيم بن حسن أخبرنا والدى أخبرنا القطب صفى الدين أحمد بن محمد القشاشى أخبرنا أبو المواهب أحمد بن على بن عبد القدوس أخبرنا والدى أخبرنا القطب سيدى عبد الوهاب الشعرانى أخبرنا شيخ الاسلام أخبرنا الحافظ أبو الفضل بن حجر ح زاد ابن سليمان وأخبرنا أبو عثمان سعيد بن ابراهيم الجزائرى أخبرنا أبو عثمان سعيد بن أحمد التلمسانى عن أبى زيد عبد الرحمن بن على بن أحمد العاصمى عن البرهان القلقشندى أخبرنا الحافظ ابن حجر عن أبى حيان محمد بن حيان عن جده أبى حيان محمد بن يوسف بن حيان الاندلسى عن الحسن بن أبى الاحوص الفهرى عن أحمد بن محمد الخزرجى عن القاضى أبى بكر بن العربى عن مؤلفه ومن روى عنه كتاب الاحياء والبداية أبو العباس أحمد بن محمد المنداى وقعت لنا روايتهما من طريقه وبالسند الى الحافظ السخاوى أخبرنا المسند محمد بن مقبل الحلبى أخبرنا محمد بن على الحراوى أخبرنا الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطى أخبرنا المسند المعمر أبو الحسن على بن محمد البغدادى الشهير بابن المغير أخبرنا أبو العباس المنداى عن مصنفه ومن روى عنه كتابه الاحياء اجازة الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن ابراهيم السلفى نزيل الاسكندرية وقعت لنا روايته من طريقه وبالسند الى النور الاجهورى قال أخبرنا البدر محمد بن يحيى القرافى أخبرنا الحافظ جلال الدين السيوطى أنبأنى أبو الفرج محمد بن أبى بكر المراغى عن أبيه ح وبالسند المتقدم الى ابن الفرات عن التاج عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى ح وبالسند الى الحافظ ابن حجر وأبى النعيم العقبى قال أخبرنا البرهان ابراهيم بن عبد الواحد التنوخى قالوا وهم ثلاثة أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبى طالب الصالحى عن جعفر بن على الهمدانى أخبرنا الحافظ أبو طاهر السلفى أنبأنا الامام أبو حامد

بان ليس فى الامكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيبا ولا أكمل صنعا ولو كان وادخره مع القدرة عليه كان ذلك بخلا يناقض الجود وعجزا يناقض القدرة الالهية وما حكم هذه العلوم المكنونة هل طلبها فرض ومندوب اليه أو غير ذلك ولم كسيت المشكل من الالفاظ والغز من العبارات وان جاز ذلك للشارع فماله ان يختبر به ويمتحن فما بال من ليس شارعا انتهى جملة مراسم الاسئلة فى المثل فاسال الله تعالى ان يملى علينا ماهو الحق عنده فى ذلك وان يجرى على السنتنا مايستضاء به فى ظلمات المسالك وان يعم بنفعه أهل المبادى والمدارك ثم لابد ان أمهد مقدمة وأؤكد قاعدة وأؤكد وصية أما المقدمة فالغرض بها تبيين عبارات انفرد بها أرباب الطريق تغمض معانيها على أهل القصور فنذكر ما يغمض منها ونذكر المقصد بها عندهم فرب واقف على ما يكون من كلامنا مختصا بهذا الفن فى هذا أو غيره فيتوقف عليه فهم معناه من جهة اللفظ وأما القاعدة فنذكر فيها الاسم الذى يكون سلوكا فى هذه العلوم عليه والسمت الذى ننوى بقصدنا اليه ليكون

الغزالي اجازة مراسلة ومن روى عنه كتابه الاحياء أبو سعيد محمد بن أسعد بن محمد الخليل النوقاني وقعت لنا روايته من طريقه وبالسند المتقدم الى ابن السمعاني قال سمعت أبا سعيد النوقاني عمرو يقول حضرت درس الامام أبي حامد الغزالي لكتاب احياء علوم الدين وذكر الانشاد الذي قدمناه آنفا

(الفصل الحادي والعشرون)

وهو خاتمة الفصول في الاعتذار عن المصنف في ايثاره الرخصة والسعة في النقل والرواية في كتابه هذا من الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم الآثار عن الاصحاب وعن التابعين وتابعيهم ثم عمن بعدهم من متقدمي السلف فانه قد يتفق له في سياقه مخالفة الالفاظ والتقديم والتأخير والزيادة والنقص مع موافقة المعنى ولم يعتبر رحمه الله تعالى في بعض المواضع ألفاظ الاخبار والآثار اذ لم يكن تحرير الالفاظ عنده واجبا اذا أتى بالمعنى بعد علمه بتصريف الكلام وبتفاوت وجوه المعاني واجتنابه لما يكون به تحريف أو احالة بين لفظتين وقد رخص في سوق الحديث بالمعنى دون سياقه على اللفظ جماعة منهم علي وابن عباس وأنس بن مالك وأبو الدرداء وواثلة بن الاسقع وأبو هريرة رضي الله عنهم ثم جماعة من التابعين يكثر عددهم منهم امام الائمة الحسن البصري ثم الشعبي وعمرو بن دينار وابراهيم النخعي ومجاهد وعكرمة نقل ذلك عنهم في كتب سيرهم بأخبار مختلفة الالفاظ وقال ابن سيرين كنت أسمع الحديث من عشرة المعنى واحد والالفاظ مختلفة وكذلك اختلفت ألفاظ الصحابة في رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم من يرويه تاما ومنهم من يأتي بالمعنى ومنهم من يورده مختصرا وبعضهم يغاير بين اللفظين ويراه واسعا اذا لم يخالف المعنى وكلهم لا يتعمد الكذب وجميعهم يقصد الصدق ومعنى ما سمع فلذلك وسعهم وكانوا يقولون انما الكذب على من تعمده وقد روى عن عمران ابن مسلم قال قال رجل للحسن يا أبا سعيد انك تحدث بالحديث أنت أحسن له سياقا وأجود تحبيرا وأفصح به لسانا منه اذا حدثنا به فقال اذا أصبت المعنى فلا بأس بذلك وقد قال النضر بن شميل كان هشيم لحانا فكسوت لكم حديثه كسوة حسنة يعني بالاعراب وكان النضر نحويا وكان سفيان يقول اذا رأيتم الرجل يشدد في ألفاظ الحديث في المجلس فاعلم انه يقول اعرفوني قال وجعل رجل يسأل يحيى بن سعيد القطان عن حرف في الحديث على لفظه فقال له يحيى يا هذا ليس في الدنيا أجل من كتاب الله تعالى قد رخص للقراءة فيه بالكلمة على سبعة أحرف فلا تشدد وفي شرح التقريب للحافظ السيوطي في النوع السادس والعشرين في الفرع الرابع منه ما نصه مع بعض اختصار ان لم يكن الراوي عالما بالالفاظ خبيرا بما يحيل معانيها لم تجز له الرواية لما سمعه بالمعنى بلا خلاف بل يتعين اللفظ الذي سمعه فان كان عالما بذلك فقالت طائفة من أهل الحديث والفقه والاصول لا يجوز الا بلفظه واليه ذهب ابن سيرين وثعلب وأبو بكر الرازي من الحنفية وروى عن ابن عمر وقال جمهور السلف والخلف من الطوائف منهم الائمة الاربعة يجوز بالمعنى في جميع ذلك اذا قطع باداء المعنى لان ذلك هو الذي يشهد به أحوال الصحابة والسلف ويدل عليه روايتهم اللفظة الواحدة بألفاظ مختلفة وقد ورد في المسئلة حديث مرفوع رواه ابن منده في معرفة الصحابة والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن سليمان بن أكثم الليثي قال قلت يا رسول الله اني اذا سمعت منك الحديث لا أستطيع أن أرويه كما أسمع منك يزيد حرفا أو ينقص حرفا فقال اذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس فذكر ذلك للحسن فقال لولا هذا ما حدثنا وقد استدل الشافعي لذلك بحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف وروى البيهقي عن مكحول قال دخلت أنا وأبو الازهر على واثلة بن الاسقع فقلنا له حدثنا بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه وهم ولا تزيد ولا نسيان فقال هل قرأ أحد منكم من القرآن شيأ فقلنا نعم وما نحن له بحافظين جدا انا لنزيد الواو والالف وننقص قال فهذا القرآن مكتوب بين أظهركم لا تألونه حفظا

ذلك أقرب على المتامل وأسهل على الناظر المتفهم وأما الوصية فنقصد فيها تعريف ما على من نظر في كلام الناس وآخذ نفسه بالاطلاع على أغراضهم فيما ألفوه من تصانيفهم وكيف يكون نظره فيها واطلاعه عليها واقتباسه منها فذلك أوكد عليه ان يتعلمه من ظهورها فشردوا عنها وغلقت في وجوههم الابواب واسدل دونهم الحجاب ولو أتوها من أبوابها بالترحيب وولجوا على الرضا بالحبيب لكشف لهم كثير من حجب الغيوب والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (المقدمة) اعلم ان الالفاظ المستعملة منها ما يستعمله الجماهير والعموم ومنها ما يستعمله أرباب الصنائع والصنائع على ضربين علمية وعملية فالعملية كالمهن والحرف ولاهل كل صناعة منهم ألفاظ يتفاهمون بها آلاتهم ويتعاطون أصول صناعتهم والعلمية هي العلوم المحفوظة بالقوانين المعدلة بما تحرر من الموازين ولاهل كل علم أيضا ألفاظ اختصوا بها لا يشاركهم فيها غيرهم الا أن يكون ذلك بالاتفاق من غير قصد وتكون المشاركة اذا اتفقت

وانكم

وانكم تزعمون انكم تزيدون وتنقصون فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله صلى الله عليه وسلم عسى أن لا يكون سمعنا لها منه الا مرة واحدة حسبكم اذا حدثنا كم بالحديث على المعنى وأسند أيضا فى المدخل عن جابر بن عبدالله قال قال حذيفة انا قوم عرب نورد الحديث فنقدم ونؤخر وأسند أيضا عن شعيب بن الحجاب قال دخلت أنا وعبدان على الحسن فقلنا يا أبا سعيد الرجل يحدث بالحديث فيزيد فيه أو ينتقص منه قال انما الكذب من تعمد ذلك وأسند أيضا عن جرير بن حازم قال سمعت الحسن يحدث بأحاديث الاصل واحد والكلام مختلف وأسند عن ابن عون قال كان الحسن وابراهيم والشعبي يأتون بالحديث على المعانى وأسند عن أويس قال سألنا الزهرى عن التقديم والتأخير فى الحديث فقال هذا يجوز فى القرآن فكيف به فى الحديث واذا أصيب معنى الحديث فلم يحل به حراما ولم يحرم به حلالا فلا بأس ونقل ذلك سفيان عن عمرو بن دينار وأسند عن وكيع قال ان لم يكن المعنى واسعا فقد هلك الناس اه ما تعلق الغرض به وقوله فى أول سياقه منهم الائمة الاربعة أى أئمة المذاهب والمشهور عن امامنا الاعظم أبى حنيفة رحمه الله تعالى عند الاصحاب انه لا يجوز نقل الحديث الا باللفظ دون المعنى قالوا وبهذا الاعتبار قلت روايته للحديث وروينا عن الامام أبى جعفر الطحاوى انه قال حدثنا سليمان بن شعيب حدثنا أبى قال أملى علينا أبو يوسف قال قال أبو حنيفة رضى الله عنه لا ينبغى للرجل أن يحدث من الحديث الا بما حفظه من يوم سمعه الى يوم يحدث به وهكذا ذكره الحافظ الذهبى فى ترجمة الامام من تاريخه عن أبى يوسف عنه فافهمه فان اطلاقه فى العبارة ربما يوهم خلاف ما ذكرناه واليه ذهب القاضى عياض من المالكية حيث قال فيما نقله السيوطى فى شرح الكتاب المذكور ينبغى سد باب الرواية بالمعنى لئلا يتسلط من لا يحسن ممن يظن انه يحسن كما وقع للرواة كثيرا قديما وحديثا وعلى الجواز الاولى ايراد الحديث بلفظه دون التصرف فيه ثم ان المصنف قد روى فى كتابه هذا مراسيل ومقاطيع ومنها ما فى سنده مقال وربما كان المقطوع والمرسل أصح من بعض المسند اذ رواه الائمة وجاز لهم رسم ذلك فى الورع لمعان أحدها يقول انا لسنا على يقين من باطلها والثانى يقول ان معناه حجة بذلك وهو رواية أصحاب الحديث له وهم قد سمعوه فان أخطؤا الحقيقة عند الله تعالى فذلك ساقط عنهم والثالث يقول ان الاخبار الضعاف غير مخالفة للكتاب والسنة فلا يلزمنا ردها بل فيهما ما يدل عليها والرابع يقول انا متعبدون بحسن الظن منهيون عن كثير من الظن والخامس يقول انه لا يتوصل الى حقيقة ذلك الا من طريق المعاينة ولا سبيل اليها فاضطررنا الى التقليد والتصديق لحسن الظن بالنقلة مع ما تسكن اليه قلوبنا وتلين له أبشارنا ونرى انه حق كما جاء فى الخبر ويقول أيضا انه ينبغى أن نعتقد فى سلفنا المؤمنين انهم خير منا ثم يقول نحن لا نكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على التابعين فكيف يظن بهم أن يكذبوا وهم فوقنا على انه قد جاءت أحاديث ضعاف بأسانيد صحاح فكذلك يصلح أن ترد أحاديث صحاح بسند ضعيف لاحتمال أن يكون قد روى من وجه صحيح اذ لم نحط بحملة العلم أولا ن بعض ما تضعف به رواة الحديث وتعطل به أحاديثهم لا يكون تعليلا ولا جرحا عند الفقهاء ولا عند العلماء بالله تعالى مثل أن يكون الراوى مجهولا لا يشاره الخمول وقد ندب اليه أو لقلة الاتباع له اذ لم يقم لهم الاثرة عنه أو ينفرد بلفظ أو حديث حفظه أو خص به دون غيره من الثقات أو يكون غير سائق للحديث على لفظه أولا يكون معتنيا بدرسه وحفظه أو يسمع منه كلام لا يجرحه عند الفقهاء علله به بعض المجرحين من الرواة وان بعض من يضعفه أصحاب الحديث هو من علماء الآخرة ومن أهل المعرفة بالله تعالى وله فى الرواية والحديث مذهب غير طريقة بعض أصحاب الحديث فيعمل فى روايته بمذهبه فلا يكون أصحاب الحديث حجة عليه بل هو حجة عليهم اذ ليس هو عند أصحابه من العلماء دون أصحاب الحديث فى ضعفه اذ رأى غير مذهبه

اما فى صورة اللفظ دون المعنى أو فى المعنى وصورة اللفظ جميعا وهذا يعرفه من بحث عن مجارى الالفاظ عند الجمهور وأرباب الصنائع وانما سمينا من العلوم صنائع ما تقصد فيها التصنع بالترتيب فى التقسيم واختيار لفظ دون غيره وحده بطرفين مبدأ وغاية وما لم يكن كذلك فلا نسميه صناعة كعلوم الانبياء صلوات الله عليهم والصحابة رضى الله عنهم فانهم لم يكونوا فيما عندهم من العلم على طريق من بعدهم ولا كانت العلوم عندهم بالرسم الذى هو عند من خلفهم ومثل ذلك علوم العرب ولسانها لا نسميها عندهم صناعة ونسميها بذلك عند ضبطها بما اشتهر من القوانين وتقرر من الحصر والترتيب ولارباب العلوم الروحانية وأهل الاشارات الى الحقائق والمسلمين بالسادة والملقبين بالصوفية والمتشبهين بالفقراء والمعروفين بالرقة والعزى اليهم العلم والعمل ألفاظ جرى رسمهم بالتخاطب بها فيما يتذاكرون أو يذكرونه ونحن ان شاء الله نذكر ما نغمض منها اذ قد يقع منا عند ما نذكر شيأ من علومهم ونشير الى غرض

وقد يتكلم بعض الحفاظ كابن الجوزى واضرابه بالاقدام والجراءة فيجاوز الحد فى الجرح و يتعدى فى اللفظ و يكون المتكلم فيه أفضل منه وعند العلماء بالله تعالى أعلى درجة فيعود الجرح على الجارح وان بعض من يضعفه أهل الحديث يقويه بعضهم وبعض من يجرحه و يذمه واحد يعد له و يمدحه آخر فصار مختلفا فيه فلم يرد حديثه بقول واحد دون من فوقه أو مثله وقال بعض العلماء الحديث وان كان شهادة فقد وسع فيه بحسن الظن كما جوّز فيه قبول شاهد واحد أى للضرورة كشهادة القابلة ونحوها و روى بمعناه عن الامام أحمد والحديث اذا لم ينافه كتاب أوسنة وان لم يشهدا له أولم يخرج تأويله عن اجماع الامة فانه يوجب القبول والعمل لقوله صلى الله عليه وسلم كيف وقد قيل والحديث الضعيف عن الامام أحمد آثر من الرأى والقياس وقال محمد بن حزم جميع الحنفية مجمعون على ان مذهب أبى حنيفة ان ضعيف الحديث عنده أولى من القياس والرأى نقله الذهبى والحديث اذا تداوله عصران أو رواه القرون الثلاثة أودار فى العصر الواحد ولم ينكره علماؤه أوكان مشهورا لا ينكره الطبقة من المسلمين احتمل ووقع به حجة وان كان فى سنده قول الا ما خالف الكتاب والسنة الصحيحة أواجماع الامة أوظهر كذب ناقليه بشهادة الصادقين من الائمة وذكر رجل عند الزهرى حديثا قال ما سمعنا بهذا فقال أكل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت قال لا قال فثلثاه قال لا قال فنصفه فسكت فقال عد هذا من النصف الذى لم تسمعه نقله صاحب القوت وهو فى الحلية لابى نعيم فى ترجمة الزهرى وأخرج ابن عساكر فى التاريخ فى ترجمة أبى سهيل نافع بن مالك عم مالك بن أنس من رواية أبى أسامة عن جرير بن حازم عن الزبير بن سعيد الهاشمى عنه قال قلت للزهرى اما بلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من طلب شيأ من هذا العلم الذى يراد به وجه الله ليطلب به شيأ من عرض الدنيا دخل النار فقال الزهرى لا ما بلغنى هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له وكل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغك قال لا قلت فنصفه قال عسى قلت فهذا من النصف الذى لم يبلغك وقال وكيع بن الجراح ما ينبغى لاحد أن يقول هذا الحديث باطل لان الحديث أكثر من ذلك وقال أبو داود قال أبو زرعة الرازى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألف عين فطرته كل واحد قد روى عنه ولو حديثا ولو كلمة ٧ رواية فحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من ذلك قال أحمد بن حنبل كان يزيد بن هرون يكتب عن الرجل و يعلم انه ضعيف وكان له ذكاء وعلم بالحديث وقال اسحق بن راهويه قيل لاحمد هذه الفوائد التى فيها المناكير ترى أن يكتب الجيد منها فقال المنكر أبدا منكر قيل فالضعفاء قال يحتاج اليهم فى وقت كأنه لم ير بالكتابة عنهم بأسا وقال أبو بكر المروزى عنه ان الحديث عن الضعفاء قد يحتاج اليه ومما يدلك على مذهبه فى التوسعة انه أخرج حديثه كله فى المسند المأثور عنه ولم يعتبر الصحيح منه وفيه أحاديث يعلم النقاد انها ضعيفة وهو أعلم بضعفها منهم ثم أدخلها فى مسنده لانه أراد تخريج المسند ولم يقصد صحيح السند فاستجازروا تها وقد أخرج ابن الجوزى بعضا منها فى الموضوعات وافقه على بعضها الحافظ العراقى فى جزء لطيف ورد عليهما تلميذه الحافظ بن حجر فاوسع الكلام على تلك الاحاديث التى طعن عليها ابن الجوزى فى جزء سماه القول المسدد فى الذب عن مسند الامام أحمد كلاهما عندى وكان الامام أحمد قد قطع أن يحدث الناس فى سنة ثمان وعشرين وتوفى سنة احدى وأربعين فلم يسمع أحد منه فى هذه المدة الا ابن منيع جزأ واحدا بشفاعة جده أحمد بن منيع و يروى عنه قال كان عبد الرحمن ينكر الحديث ثم يخرج الينا بعد فى وقت فيقول هو صحيح قد وجدته قال وأما وكيع فلم يكن ينكر ولكن كان يقول ان سئل عنه لا أحفظ و يروى عن ابن اخت عبد الرحمن بن مهدى قال كان خالى قد خط على أحاديث ثم صحح عليها بعد ذلك وقرأتها عليه فقلت قد كنت خططت عليها فقال نعم ثم تفكرت انى اذا ضعفتها أسقطت عدالة ناقلها فان حاجانى بين يدى الله

من اغراضهم فلم نر أن يكون ذلك بغير ما عرف من الفاظهم وعباراتهم ولا حرج فى ذلك عقلا وشرعا ونحن بحكم مصرف التقدير وهو على كل شئ قدير * فمن ذلك السفر والسالك والمسافر والحال والمقام والمكان والشطح والطوالع و الذهاب والنفس والسر والوصل والفصل والادب والرياضة والتحلى والتخلى والتجلى والعلة والانزعاج والمشاهدة والمكاشفة واللوائح والتلوين والغيرة والحرية واللطيفة والفتوح والوسم والرسم والبسط والقبض والفناء والبقاء والجمع والتفرقة وعين التحكم والزوائد والارادة والمريد والمراد والهمة والغربة والمكر والاصطلام والرغبة والرهبة والوجد والوجود والتواجد فنذكر شرح هذه على أوجز ما يمكن بمشيئة الله تعالى وان كانت ألفاظهم المصرفة بينهم فى علومهم أكثر مما ذكرنا فانما قصدنا ان نريك منها أنموذجا ودستورا تتعلم به اذا طرأ عليك ما لم نذكره لك ههنا اذ لها مباحث والهاسيل فتطلبه بعد ذلك على وجهه (فاما السفر والطريق) فالمراد بهما سفر القلب بآلة الفكر

تعالى وقال لى أسقطت عدالتى رأيتنى سمعت كلاما محالم يكن لى حجة كان هذا مذهب الورعين من السلف
وقال بعضهم فى تضعيف الرواة ان خلصت نيتك يعنى ان أردت الله تعالى والدين بذلك لم يكن لك ولا عليك
فهذا الذى ذكرت لك هو أصل فى معرفة الحديث وهو علم لاهله وطريق هم سالكوه وماقصدت بذلك
الازراء ولا التنقيص لمقام أصحاب الحديث كلا والله بل انى محب لهم ومعتقد حسن طريقتهم وانما
أوسعت فى الكلام ليظهر بذلك علو نظر الامام أبى حامد وان أكثر ماقيل فيه من جهة ايراده الاحاديث
الضعيفة فى كتابه غير متجه اذ مقصده جميل لا يتعدى عن حسن الظن بهؤلاء الذين رووها فى كتبهم
ونقل هو عن تلك المصنفات والله تعالى يجعل ما كتبته خالصا لوجهه الكريم ومقربا الى جنات
النعيم آمين آمين آمين

(خاتمة الفصول فى بيان الجرح والتعديل)

ومعرفة هذه المسئلة مهمة قال ابن السبكى فى الطبقات فى ترجمة أبى جعفر أحمد بن صالح من الطبقة الاولى
من أصحاب الشافعى مانصه ننبهك هنا على قاعدة عظيمة فى الجرح والتعديل ضرورية نافعة لاتراها فى
شئ من كتب الاصول قلت وقد انتقيت من كلامه فى هذه المسئلة مايدل على المقصود منه قال فانك اذا
سمعت أن الجرح مقدم على التعديل ورأيت الجرح والتعديل فى الانسان وكنت غرا بالامور وقاما
مقتصرا على منقول الاصول حسبت أن العمل على جرحه فاياك ثم اياك والحذر كل الحذر من هذا الحسبان
بل الصواب ان من ثبتت امامته وعدالته وكثر مادحوه ومزكوه وندر جارحوه وكانت هناك قرينة دالة
على سبب جرحه من تعصب مذهبى أوغيره فلا يلتفت الى الجرح فيه ويعمل فيه بالعدالة والا لوفتحنا هذا الباب
واخذنا بتقديم الجرح على اطلاقه لما سلم لنا أحد من الائمة اذ مامن امام الا وقد طعن فيه طاعنون وهلك
فيه هالكون وقد أشار لذلك ابن عبد البر فى كتاب العلم واستدل أن السلف تكلم بعضهم فى بعض بكلام
منه ماحمل عليه التعصب والحسد ومنه مادعا اليه التأويل واختلاف الاجتهاد كما لا يلزم المقول فيه
ماقال القائل فيه وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف تأويلا واجتهادا قال ومما نقم به على يحيى بن معين
وعيب به كلامه فى الشافعى وهو لايعرف الشافعى ولايعرف ماقاله الشافعى ومن جهل شيأ عاداه وكلام
ابن أبى ذئب وابراهيم بن سعد وعبد العزيز بن أبى سلمة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ومحمد بن اسحق وابن
أبى يحيى وابن أبى الزناد فى مالك بن أنس وعابوا عليه أشياء وقد برأه الله عز وجل مماقالوا قال ومامثل
من تكلم فى مالك والشافعى ونظائرهما الا كما قال الاعشى

كناطح صخرة يوما ليفلقها * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

أوكما قال الحسن بن حميد

يا ناطح الجبل العالى ليكلمه * أشفق على الرأس لاتشفق على الجبل

ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول

ومن ذا الذى ينجو من الناس سالما * وللناس قال بالظنون وقيل

وقيل لابن المبارك فلان يتكلم فى أبى حنيفة فأنشد

حسدوك لما رأوك فضلك الله بما فضلت به النجباء

وقيل لابى عاصم النبيل فلان يتكلم فى أبى حنيفة فقال هو كما قال نصيب

سلمت وهل حى من الناس سالم * وقال أبو الاسود الديلى

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه * فالقوم أعداء له وخصوم

هذا كله كلام ابن عبد البر وفصل الخطاب فيه ان الجارح لا يقبل منه الجرح وان فسره فى حق من غلبت
طاعته على معاصيه ومادحوه على ذاميه ومزكوه على جارحيه اذا كانت هناك قرينة يشهد العقل

فى طريق المعقولات وعلى ذلك ابتنى نمط السالك والمسافر فى لغتهم ولم يرد بذلك سلوك الاقدام التى بها يقطع مسافات الاجسام فان ذلك مما شاركه فيه البهائم والانعام وأول مسالك السفر الى الله تعالى عز وجل معرفة قواعد الشرع وخرق حجب الامر والنهى وتعلق الغرض فيهما والمراد بهما ومنهما فاذا خلفوا نواحيها وقطعوا معاطبها أشرفوا على مفاوز وسيعة وبرزت لهم مهامه أعرض وأطول من ذلك معرفة أركان المعارف النبوية النفس والعدو والدنيا فاذا تخلصوا من أوعارها أشرفوا على غيرها أعظم منها فى الانتساب وأعرض بغير حساب من ذلك سر القدر وكيف خفى بحكم فى الخلائق وقادهم بلطف فى عنف وشدة فى لين وبقوة فى ضعف وباختيار فى جبر الى ماهو فى مجاريه لا يخرج المخلوقون عنه طرفة عين ولا يتقدمون ولا يتأخرون عنه والاشراف على الملكوت الاعظم ورؤية عجائب ومشاهدة غرائب مثل العلم الالهى واللوح المحفوظ واليمين الكاتبة وملائكة الله يطوفون حول العرش وبالبيت المعمور وهم

ان ذلك من تعصب مذهبي أو منافسة دنيوية كما يكون بين النظراء فلا يلتفت الى كلام ابن أبي ذئب في مالك وابن معين في الشافعي والنسائي في أحمد بن صالح لان هؤلاء مشهورون وصار الجارح لهم كالآتي بخبر غريب لو صح لتوفرت الدواعي على نقله فكان القاطع قائما على كذبه فيما قاله ومما ينبغي أن يتفقد عند الجرح حال العقائد واختلافها بالنسبة الى الجارح والمجروح فربما خالف الجارح المجروح في العقيدة فجرحه لذلك وقد وقع هذا لكثير من الائمة جرحوا بناء على معتقدهم وهم المخطئون والمجروح مصيب والى هذا أشار ابن دقيق العيد في الاقتراح وقال اعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها طائفتان من الناس المحدثون والحكام اه ثم قال ومن شهد على آخر وهو مخالف له في العقيدة أوجبت مخالفته له ريبة عند الحاكم المتبصر لا يجدها اذا كانت الشهادة صادرة من غير مخالف في العقيدة ثم المشهود به يختلف باختلاف الاغراض والاحوال فربما وضح غرض الشاهد على المشهود عليه ايضاحا لا يخفى على أحد وذلك لقربه من نص معتقده أو ما أشبه ذلك وربما دق وغمض بحيث لا يدركه الا الفطن من الحكام ورب شاهد من أهل السنة ساذج قد مقت المبتدع مقتا زائدا على ما يطلبه الله منه وأساء الظن به اساءة أوجبت له تصديق ما يبلغه عنه فبلغه عنه شيء فغلب على ظنه صدقه كما قدمناه فشهد به فسبيل الحاكم التوقف في مثل هذا الى أن يتبين له الحال فيه وسبيل الشاهد الورع ولو كان من أصلب أهل السنة أن يعرض على نفسه ما نقل له عن هذا المبتدع وقد صدقه وعزم على أن يشهد عليه به ويعرض على نفسه مثل هذا الخبر بعينه ان لو كان عن شخص من أهل عقيدته هل كان يصدقه وبتقدير ان لو كان يصدقه فهل كان يبادر الى الشهادة عليه به وبتقدير انه كان يبادر فليوازن ما بين المبادرتين فان وجدهما سواء فدونه والا فليعلم ان حظ النفس داخله وأزيد من ذلك ان الشيطان استولى عليه فخيل له ان هذه قربة وقيام في نصر الحق وليعلم من هذه سبيله انه أتى من جهل وقلة دين هذا قولنا في سني يجرح مبتدعا فما الظن بمبتدع يجرح سنيا وفي المبتدعة زيادة لا توجد في غيرهم وهو انهم يرون الكذب لنصرتهم والشهادة على من يخالفهم في العقيدة بما يسوءه في نفسه وماله بالكذب تأييدا لاعتقادهم ويزداد حنقهم وتقربهم الى الله بالكذب عليه بمقدار زيادته في النيل منهم فهؤلاء لا يحل لمسلم أن يعتبر كلامهم ثم قال ومما ينبغي أن يتفقد عند الجرح أيضا حال الجارح في الخبرة بمدلولات الالفاظ ولاسيما العرفية التي تختلف باختلاف عرف الناس ويكون في بعض الازمنة مدحا وفي بعضها ذما وهذا أمر شديد لا يدركه الا فقيه بالعلم ويعتبر ايضا حاله في العلم بالاحكام الشرعية فرب جاهل ظن الحلال حراما فجرح به ومن هنا أوجب الفقهاء التفسير ليتضح الحال قال صاحب البحر حكي أن رجلا جرح رجلا وقال انه طين سطحه بطين استخرج من حوض السبيل ومما ينبغي أيضا تفقده الخلاف الواقع بين كثير من الصوفية وأصحاب الحديث فقد أوجب كلام بعضهم في بعض كما تكلم بعضهم في حق الحرث المحاسبي وغيره وهذا في الحقيقة داخل في قسم مخالفة العقائد والطامة الكبرى انما هي في العقائد المثيرة للتعصب والهوى نعم وفي المنافسات الدنيوية على حطام الدنيا وهذا في المتأخرين أكثر منه في المتقدمين وأمر العقائد سواء في الفريقين ثم قال لا شك ان من تكلم في امام استقر في الاذهان عظمته وتناقلت الرواة ممادحه فقد جر الملام الى نفسه ولكنا لا نقضي أيضا على من عرفت عدالته اذا جرح من لم يقبل منه جرحه اياه بالفسق بل نجوز أمورا أحدها أن يكون واهما ومن ذا الذي لا يهم والثاني أن يكون مؤولا قد جرح بشيء ظنه جارحا ولا يراه المجروح كذلك كاختلاف المجتهدين والثالث أن يكون نقله اليه من يراه هو صادقا ونحن نراه كاذبا وهذا الاختلاف في الجرح والتعديل فرب مجروح عند عالم معدل عند غيره فيقع الاختلاف في الاحتجاج حسب الاختلاف في تزكيته فلم يتعين أن يكون الحامل للجارح على الجرح مجرد التعصب والهوى حتى يجرحه بالجرح ومعنا أصلان نستصحبهما الى ان نتيقن خلافهما أصل عدالة الامام

المجروح

يسبحونه ويقدسونه ويفهم كلام المخلوقات من الحيوانات والجمادات ثم التخطي منها الى معرفة الخالق للكل والمالك للجميع والقادر على كل شيء فتغشاهم الانوار المحرقة ويتجلى لمرآة قلوبهم الحقائق المحتجبة فيعلمون الصفات ويشاهدون الموصوف ويحضرون حيث غاب أهل الدعوى ويبصرون ما عمي عنه أولو الابصار الضعيفة بحجب الهوى (والحال) منزلة العبد في الحين فيصفو له في الوقت حاله ووقته وقيل هو ما يتحول فيه قلبه ويتغير بما يرد على قلبه فاذا صفا تارة وتغير أخرى قيل له حال وقال بعضهم الحال لا يزول فاذا زال لم يكن حالا (والمقام) هو الذي يقوم به العبد في الاوقات من انواع المعاملات وصنوف المجاهدات فمتى أقيم العبد بشيء منها على التمام والكمال فهو مقامه حتى ينقل منه الى غيره (والمكان) هو لاهل الكمال والتمكين والنهاية فاذا أكمل العبد في معانيه فقد تمكن من المكان وعبر المقامات والاحوال فيكون صاحب مكان كما قال بعضهم

مكانك من قلبي هو القلب كله
فليس لشيء فيه غيرك موضع

المجروح الذى قد استقرت عظمته وأصل عدالة الجارح الذى ثبتت فلا يلتفت الى جرحه ولانجرحه بجرحه ثم قال وقولهم ان الجرح مقدم انما يعنون به حالة تعارض الجرح والتعديل فاذا تعارضا عند الترجيح قدمنا الجرح لما فيه من زيادة العلم وتعارضهما هو استواء الظن عندهما لان هذا شأن المتعارضين أما اذا لم يقع استواء الظن عندهما فلا تعارض بل العمل بأقوى الظنين من جرح أو تعديل وفيما نحن فيه لم يتعارضا لان غلبة الظن بالعدالة قائمة وهذا كما ان عدد الجارح اذا كان أكثر قدم الجرح اجماعا لانه لا تعارض والحالة هذه ولا يقول هنا أحد بتقديم التعديل لا من قال بتقديمه عند التعارض ولا غيره فظهر بهذا انه ليس كل جرح مقدما ثم قال ولنختم هذه القاعدة بفائدتين عظيمتين احداهما أن قولهم لا يقبل الجرح الا مفسرا انما هو أيضا فى جرح من ثبتت عدالة صاحبه واستقرت فاذا أراد رافع رفعها بالجرح قيل له ائت ببرهان على هذا أو مبهم لم يعرف حاله ولكن ابتدأه جارحان ومن كان فيقال اذ ذاك للجارحين فسرا ما رميتماه به أما من ثبت انه مجروح فيقبل قول من أطلق جرحه لجريانه على الاصل المقرر عندنا ولا نطالبه بالتفسير اذ لا حاجة الى طلبه * والفائدة الثانية انا لا نطلب التفسير من كل أحد بل انما نطلبه حيث يحتمل الحال شكا اما للاختلاف فى الاجتهاد أو لتهمة فى الجارح أو نحو ذلك مما لا يوجب سقوط قول الجارح ولا ينتهى الى الاعتبار به على الاطلاق بل يكون بين بين أما اذا انتفت الظنون واندفعت التهم وكان الجارح حبرا من أحبار الامة مبرأ عن مظان التهمة أو كان المجروح مشهورا بالضعف متروكا بين النقاد فلا يتلعثم عند جرحه ولا يحوج الجارح الى تفسير بل طلب التفسير منه والحالة هذه طلب لغيبة لا حاجة اليها هذا خلاصة ما ذكره فافهمه فهذا ما تيسر لنا جمعه من أحواله ومشايخه ومن صحبه وروى عنه أو تفقه عليه وما يتعلق بكتابه وما اعترض عليه فيه والجواب عنه على قدر الامكان مع الاختصار الزائد وعسى ان وقفت على زيادة على ما ذكرت ألحقتها به وقد عن لنا أن نرخى العنان الى المقصود الاعظم * الذى هو شرح أسرار كتابه المعظم * والله أسأل أن يوفقنى لاتمامه على نهج يرتضيه أهل الحق * ويستحسنه من كشف له على الجمع والفرق * وان يرزقه القبول كأصله * وان يوقعه موقع الرضا عند أهله * انه بالاجابة جدير وعلى ما يشاء قدير وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته وسلم *(تنبيه)* اعلم أن مختار السيد الجرجانى ان أسماء الكتب والتراجم موضوعة للالفاظ باعتبار دلالتها على المعانى لا المعانى والنقوش لان النقوش غير متيسرة لكل أحد ولا فى كل وقت فلا يناسب أن تكون مدلولا ولا جزء مدلول ككتب العلم المحمولة لاهلها الى قيام الساعة ولم تكن للمعانى لان الغالب فيها ان ادراكها متوقف على ادراك دوالها التى هى الالفاظ فلا تناسب أن تكون مدلولا ولا جزء مدلول فتعين أن تكون الالفاظ وانما قيل باعتبار دلالتها على المعانى لان الالفاظ وحدها غير مقصودة بالذات كذا فى تقرير شيخنا المرحوم الشيخ عطية الاجهورى فى بعض مؤلفاته وتقرير شيخنا السيد محمد البليدى فى أثناء درس البيضاوى تغمدهما الله برحمته قال المصنف رحمه الله تعالى بعد قوله (بسم الله الرحمن الرحيم أحمد الله تعالى) اعلم انهم ذكروا ان من الواجب على كل مصنف كتاب ثلاثة أشياء وهى البسملة والحمدلة والصلاة ومن الطرق الجائزة أربعة أشياء وهى مدح الفن وذكر الباعث وتسمية الكتاب وبيان كيفية الكتاب من التبويب والتفصيل فهى سبعة أشياء أما البسملة والحمدلة فان كتاب الله مفتوح بهما ولقوله صلى الله عليه وسلم كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بذكر الله وببسم الله الرحمن الرحيم أقطع رواه الحافظ عبد القادر بن محمد الرهاوى فى أربعينه وقوله عليه السلام كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم رواه أبو داود والنسائى وفى رواية ابن ماجه كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد أقطع ورواه ابن حبان وأبو عوانة فى صحيحهما وقال ابن الصلاح هذا حديث حسن بل صحيح وأما الصلاة فلان ذكره صلى الله عليه وسلم مقرون بذكره تعالى ولهذا قال مجاهد فى تفسير قوله تعالى ورفعنا

(والشطح) كلام يترجم به اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقرون بالدعوى الا أن يكون صاحبه محفوظا (والطوالع) أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة تشعشعها فيطمس سلطان نورها الالوان كأن نور الشمس يمحو أنوار الكواكب (والذهاب) هو أن يغيب القلب عن حس كل محسوس بمشاهدة محبوبها (والنفس) روح سلطه الله على نار القلب ليطفئ شررها (والسر) ما خفى عن الخلق فلا يعلم به الا الحق وسر السر ما لا يحس به السر والسر ثلاثة سر العلم وسر الحال وسر الحقيقة فسر العلم حقيقة العالمين بالله عز وجل وسر الحال معرفة مراد الله فى الحال من الله وسر الحقيقة ما وقعت به الاشارة (والوصل) ادراك الغائب (والفصل) فوت ما ترجوه من محبوبك (والادب) ثلاثة أدب الشريعة وهو التعلق بأحكام العلم بصحة عزم الخدمة والثانى أدب الخدمة وهو التشمر عن العلامات والتجرد عن الملاحظات والثالث أدب

هذا اول الاحيا

بسم الله الرحمن الرحيم
أحمد الله

لك ذكرك لأذكر الا ذكرت ومعنى البسملة أى باستعانة المعبود بالحق الواجب الوجود المطلق المبدع للعالم أصنف هذا الكتاب اجمالا وأؤلف بين كل باب وباب تفصيلا وفى تأخير المتعلق ايماء لافادة الاختصاص واشعار باستحقاق تقديم ذكر اسمه الخاص ولابتداء بالبسملة حقيقى وبالحمدلة اضافى وكل حقيقى اضافى ولا عكس فبينهما عموم وخصوص مطلق اذ الحقيقى مالم يسبق بشئ أصلا والاضافى ماتقدم امام المقصود سبق بشئ أم لا ثم الحمد لغوى وعرفى فالاول هو الوصف بفضيلة على فضيلة على جهة التعظيم باللسان فقط والثانى فعل يشعر بتعظيم المنعم لكونه منعما به فعل اللسان أو الاركان أو الجنان فهو ينقسم الى قولى وفعلى وحالى فالقولى حمد اللسان وثناؤه على الحق بما أثنى به على نفسه على لسان أنبيائه ورسله والفعلى الاتيان بالاعمال البدنية ابتغاء لوجه الله والحالى ما يكون بحسب الروح والقلب كاعتقاد الاتصاف بالكمالات العلمية والعملية والتخلق بالاخلاق الالهية والشكر اللغوى فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب الانعام سواء كان ذكرا أو اعتقادا أو محبة بالجنان أو عملا وخدمة بالاركان والعرفى صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه من السمع والبصر وغيرهما لما خلق له وآثر الجملة الانشائية على الخبرية لكونها لدلالتها على الحدوث والتجدد تقتضى الاثوبة والحسنات المنظور اليها فى الاعمال قال ابن الهمام فى بعض رسائله لو كان الحمد خبرا محضا لما لاق وحسن تكراره فى مجلس واحد لان من كرر خبرا واحدا فى مجلس عد أحمق ناقص الغريزة وقد علم من السنة الشريفة الترغيب فى تكرير الحمد والتكبير وغيرهما من الكلمات الصالحات فيناسب ذلك كله الانشاء لا الاخبار اذ فى الانشاء تجديد ومغايرات للكلمات يقتضى بحسبها تعدد الاثوبة والحسنات ولهذا نقل الشرع كثيرا من الكلمات اللغوية كالصلاة والزكاة وغير ذلك الى معان أخر غير ما وضعت له فى اللغة فان الصلاة مثلا وضعت للدعاء فقط وقد وضعها الشارع للافعال المخصوصة مما يدل عليه التجديدات العملية الشرعية فيكون الحمد كذلك فكان من باب الانشاء فمن قال خبر قصر نظره على اللغة ومن قال انشاء نظر الى الشرع فكان لفظيا اه وجملة تعالى فعلية معترضة (أولا) هو نقيض الآخر وأصله أوأل على وزن افعل مهموز الاوسط قلبت الهمزة واوا وأدغم يدل على ذلك قولهم هذا أول منك والجمع الاوائل والاوالى أيضا على القلب وقال قوم أصله وول على فوعل فقلبت الواو الاولى همزة وانما لم يجمع على أواول لاستثقالهم اجتماع الواوين بينهما ألف الجمع وانتصاب أولا وكذا ثانيا وثالثا ورابعا على الظرفية وأما التنوين فى أولا مع انه أفعل التفضيل بدليل الاولى والاوائل كالفضلى والافاضل فلانه هنا ظرف بمعنى قبل وهو حينئذ منصرف لاوصفية له أصلا وهذا معنى ماقال الجوهرى فى الصحاح اذا جعلته صفة لم تصرفه تقول لقيته عام أول واذا لم تجعله صفة صرفته تقول لقيته عاما أولا ومعناه فى الاول أول من هذا العام وفى الثانى قبل هذا العام أشار لذلك السعد فى أوائل التلويح وقد نظر فيه بعضهم فقال يصير صفة أيضا وانما معناه على الثانى أول هذا العام على أن يكون منصوبا على الظرفية بدلا منه فتكون الملاقاة فى جزء أول من هذا العام بخلاف المعنى الاول (حمدا كثيرا متواليا) أى متتابعا فى كل آن ليس بين كل من افراده ماليس منه (وان كان يتضاءل) أى يتصاغر من ضئل كفرح اذا لصق بالارض من حقارة وفى الحديث ان العرش على منكب اسرافيل وانه ليتضاءل من خشية الله حتى يصير ٣ مثل الوصع أى يتصاغر ويدق تواضعا قاله ابن الاثير (دون) حق (جلاله) أى ما يليق من عظمته وكبريائه (حمد الحامدين) ولو بلغوا الى أقصى مراتب الحمد (وأصلى على رسوله) لما كان أجل النعم الواصلة الى العبد هو دين الاسلام وبه التوصل الى النعيم الدائم فى دار السلام وذلك بتوسط رسله عليهم الصلاة والسلام وجب ارداف الصلاة والسلام عليهم بعد الحمد والصلاة من الله لعباده تزكية لهم وبركته عليهم ومن الملائكة استغفار ومن الناس الدعاء وأصل الرسل الانبعاث على تؤدة ومنه ناقة رسلة أى سهلة الانقياد وابل مراسيل ويصدر منه تارة الرفق وتارة الانبعاث ومنه اشتق

الحق وهو موافقة الحق بالمعرفة والرياضة) اثنان رياضة الادب وهو الخروج عن طبع النفس ورياضة الطلب وهو صحة المراد (والتحلى) التشبه باحوال الصادقين بالاحوال واظهار الاعمال (والتخلى) اختيار الخلوة والاعراض عن كل مايشغل عن الحق (والتجلى) هو ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب (والعلة) تنبيه عن الحق (والانزعاج) انتباه القلب من سنة الغفلة والتحرك للانس والوحدة (والمشاهدة) ثلاثة مشاهدة بالحق وهى رؤية الاشياء بدلائل التوحيد ومشاهدة للحق وهى رؤية الحق فى الاشياء ومشاهدة الحق وهى حقيقة اليقين بلا ارتياب (والمكاشفة) أتم من المشاهدة وهى ثلاثة مكاشفة بالعلم وهى تحقيق الاصابة بالفهم ومكاشفة بالحال وهى تحقيق رؤية زيادة الحال ومكاشفة بالتوحيد وهى تحقيق صحة الاشارة (واللوائح) مايلوح الاسرار الظاهرة

أولا حمدا كثيرا متواليا وان كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين وأصلى وأسلم على رسله ثانيا

٣ قوله الوصع طائر أصغر من العصفور قاله فى المختار

الرسول

الرسول والجمع رسل بضمتين و يطلق الرسول تارة على المتحمل بالرسالة وتارة على القول المتحمل وتارة
يطابق ما يراد به وتارة يفرد وان أريد به غير الواحد وقد يراد بالرسل الملائكة وفي الاصطلاح انسان بعثه
الله لتبليغ الاحكام (ثانيا) منصوب على الظرفية كما تقدم (صلاة تستغرق) أي تعم فالسين ليست
للطلب (مع) للمصاحبة واختلف في كونه اسما أو حرف خفض وقيل ان مع المتحركة تكون اسما
وحرفا وساكنة العين حرف لا غير وأنشد سيبويه

وريشي منكم وهواي معكم * وان كانت زيارتكم لماما

وحكى الكسائي عن ربيعة انهم يسكنون العين في مع فيقولون معكم ومعنا فاذا جاء الالف واللام أو ألف
الوصل اختلفوا فيها فبعضهم يفتح العين وبعضهم يكسرها فيقولون مع القوم ومع ابنك و بعضهم يقول
مع القوم ومع ابنك قال وكلام عامة العرب بفتح العين مع ألف الوصل وأما من سكن فقال معكم كسر عند
ألف الوصل لانه أخرجه مخرج الادوات مثل هل و بل وقد وكم فقال مع القوم كقولك كم القوم وقد ينون
فيقال جاؤا معا نقله الازهري في التهذيب وقال الراغب والسمين مع تقتضي الاجتماع أما في المكان
نحو هما معا في الدار أو في الزمان نحو ولدا معا أو في المعنى كالمتضايفين نحو الاخ مع الاخ كأن أحدهما
صار أخا للآخر في حال ما صار الآخر أخاه وأما في الشرف والرتبة نحو هما معا في العلو وتقتضي معنى النصرة
فان المضاف اليه لفظ مع هو المنصور نحو قوله تعالى ان الله معنا وان معي ربي سيهدين ونظائر ذلك اه والمراد
هنا معية الشرف والرتبة ولا يلزم منه التساوي في سائر وجوه الشرف كما لا يخفى على المتأمل (سيد البشر)
هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثبتت سيادته على البشر بنص الكتاب و بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه
البخاري في صحيحه أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وعبر عن عالم الانسان بالبشر اعتبارا بظهور جلده من الشعر
بخلاف الحيوان الذي عليه نحو صوف ووبر (سائر المرسلين) جميعهم أو باقيهم على اختلاف مشهور في
اشتقاقه ثم اني رأيت سياق هذه العبارة التي أتى بها المصنف في جملة الحمد والصلاة في أول الجزء الرابع من
تجريد الصحاح لابي الحسن رزين بن معاوية العبدري فقال ما نصه أحمد الله حمدا يتضاءل دون بلوغ مداه
حمد الحامدين وأصلي على سيدنا محمد نبيه ورسوله وخيرته من خلقه صلاة تعم مع سيد البشر جميع الملائكة
والنبيين والمرسلين صلاة الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وعلى آله وأصحابه وعلى التابعين لهم باحسان
الى يوم الدين اه فلعل ذلك من وقع الحافر على الحافر وتوارد الخاطر على الخاطر (واستخيره سبحانه)
أي أطلب منه الخيرة فالسين والتاء للطلب وهو أصل هذا الباب الا ماشذ كاستخرج واستحجر واستحلاه
فانه في الاول بمعنى خرج وفي الثاني بمعنى الصيرورة وفي الثالث بمعنى الوجدان وأتى بصيغة المضارع اتباعا
للجملتين السابقتين ليكن على نسق واحد وكذا الحكم فيما بعدها مع الاشارة الى شدة الاستحضار
في الذهن ثم الاستخارة مطلوبة شرعا وقد وردفيها أحاديث سيأتي بيانها والضمير راجع لله تعالى (ثالثا)
منصوب على الظرفية كما تقدم (فيما انبعث) أي تحرك وانبسط (له عزمي) هو عقد القلب على
امضاء الامر (في تحرير) أي تأليف (كتاب احياء علوم الدين) فيه أربع اضافات وفيه براعة الاستهلال
(وانتدب) أي أسارع يقال انتدب له اذا أجابه بسرعة ومنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه انتدب الله
لمن خرج في سبيله الخ أي سارع بثوابه وحسن جزائه أو أجابه الى غفرانه أو أوجب تفضلا أن يجزله
ذلك نقله ابن الاثير (لقطع تعجبك رابعا أيها العاذل) أي اللائم وقد عذله اذا لامه والاسم العذل بالتحريك
وقال ابن الاعرابي العذل الاحراق فكان اللائم يحرق بعذله قلب المعذول (المتغالي) أي المتجاوز عن الحد
(من بين زمرة) طائفة (الجاحدين) المنكرين للحق (المسرف) المبعد في مجاوزة الحد (في التقريع)
التعنيف والتوبيخ والعذل وقيل هو الايجاع باللوم وقيل هو النصح بين الملا (و) على المعنى الاخير
يكون عطف (الانكار) عليه من باب عطف العام على الخاص (من بين طبقات المنكرين الغافلين)

الصافية من السموم من حالة الى حالة أتم منها والارتقاء من درجة الى ماهو أعلى منها (والتلوين) تلوين العبد في أحواله وقالت طائفة علامة الحقيقة رفع التلوين بظهور الاستقامة وقال آخرون علامة الحقيقة التلوين لانه يظهر فيه قدرة القادر فيكسب منه العبد الغيرة (والغيرة) غيرة في الحق وغيرة على الحق وغيرة من الحق فالغيرة في الحق برؤية الفواحش والمناهي وغيرة على الحق هي كتمان السرائر والغيرة من الحق ضنه على أوليائه (والحرية) اقامة حقوق العبودية فتكون لله عبدا وعند غيره حرا (واللطيفة) اشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم ولا يسعها العبارة (والفتوح) ثلاثة فتوح العبادة في الظاهر وذلك

صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين وأستخيره تعالى ثالثا فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في احياء علوم الدين وأنتدب لقطع تعجبك رابعا أيها العاذل المتغالي في العذل من بين زمرة الجاحدين المسرف في التقريع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين

ثم من قوله أحمد الله الى هنا خمس سجعات الاولى متعلقة بالله تعالى والثانيـة متعلقة بالنبي صلى الله عليه وسلم والثلاثة بعدهما متعلقات بنفسـه الاولى منها فى الابتهال الى الله تعالى وطلب الخيرة منه وحسن المعونة والثنتان فى تبكيت الخصم المعاند وكل واحـدة من الثلاثة الاول أشرف مما بعـدها وأشار لذلك بالترتيب والسجع توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد وفى الجهرة هو موالاة الكلام على روى واحد كقولهم فى صفة بستان ماؤها وشل ولصها بطل وتمرها دقل ان كثر الجيش بها جاعوا وان قلوا ضاعوا نقله الليث وهو على أقسام مطرف ومرصع ومتواز فالمطرف ما اتفقت فاصلتاه فى حرف السجع لا فى الوزن كالرمم والامم والمرصع ماوافق جميع مافى الفقرة الثانية أو أكثره بالاولى والمتوازى ماروعى فى الكلمتين الوزن وحرف السجع كالقلم والنسم فتأمل وهنا على المصنف مؤاخذتان الاولى أفرد الصلاة عن السـلام وهو مكروه فى مذهبه صرح به غـير واحد منهم الامام النووى والجواب أن المصنف ممن لا يوافقهم على كراهة الافراد مطلقا على أن بعضـهم حمل الكراهة هنا على خـلاف الاولى لعدم النهى المخصوص وأجاب بعضهم فقال انه أراد بالصلاة مايشمل السلام أيضا كأن يراد مطلق الاكرام فيكون من عموم المجاز أو الجمع بين الحقيقة والمجاز وهذا قدرده بعض المحققين فقال هذا لايظهر الا اذا لم تكن الصلاة والسلام من الالفاظ المتعبد بها بخصوصـها أما اذا كان منها وهو الاظهر فلا وعبارة النووى فى الاذكار اذا صليت على النبى صلى الله عليه وسلم فاجمع بين الصلاة والسلام ولا تقتصر على أحدهما فلا تقل صلى الله عليه ولا عليه السلام فقط اه والصحيح ماذكره ابن الجزرى فى مفتاح الحصن ان الجمع بين الصلاة والسلام هو الاولى ولو اقتصر على أحدهما جاز من غير كراهة وقد جرى عليه جماعة من السلف والخلف منهم الامام مسلم فى أول صحيحه وهلم جرا حتى الامام ولى الله الشاطبى فى قصيدته الرائية واللامية وأما قول النووى وقد نص العلماء على كراهة الاقتصار على الصلاة من غير السلام فليس كذلك فانى لا أعلم أحدا نص على ذلك من العلماء ولا من غيرهم اه الثانية لم يذكر الصلاة على الآل والاصحاب وقد قال ابن القيم المختار الذى عليه المحققون ان الصلاة والسلام على الانبياء والملائكة وآل النبى وأزواجه وذريته وأهل الطاعة على سبيل الاجمال جائز ويكره فى غير الانبياء لشخص مفرد مفردا بحيث يصير شعارا ولا سيما اذا ترك فى حق مثله أو أفضل منه فلو اتفق وقوع ذلك فى بعض الاحايين من غير أن يتخـذ شعارا لم يكن به بأس عند عامة أهل العلم والجواب انه أراد من الرسـل المعنى الاعم فدخل فيه الملائكة وسائر الانبياء وجميع أتباعهم من العلماء والاصفياء فدخل آله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهم دخولا أوليا فتأمل ذلك (فلقد حل عن لسانى عقدة) اسم لما يعقده العاقد بين الطرفين المفترقين بحيث يشق حلها (الصمت) السكوت وقيل طوله ومنهم من فرق بينهما كما سيأتى فى محله وضم الصادلغة فيه (وطوقنى عهدة الكلام) أى جعله طوقا فى عنقى (وقلادة النطق) القلادة بالكسر اسم لما يشتمل على الشئ ويحيط به وتطويقها تعليقها شبه الطوق ومن أشهر الامثال حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق (ماأنت عليه مثابر) أى مواظب مداوم وحريص ملازم له (من العمى) المراد هنا ضد البصيرة وهو الجهل (عن جلية الحق) أى واضحه ومكشوفه (مع اللجاج) هو التمادى (فى) الفساد فى الفعل المزجور عنه الذى هو (نصرة الباطل) هو بالاثبات له عند التنفير عنه لانه نقيض الحق والحق هو الثابت ويقال ذلك بالاعتبار الى المقال والفعال (وتحسين الجهل) أى تزيينه والجهل التقدم فى الامور المنبهمة بغير علم ذكره الحرانى وهو على قسمين بسيط ومركب فالبسيط هو عدم العلم عما من شأنه أن يعلم والمركب اعتقاد جازم غير مطابق للواقع وقال الراغب والسمين الجهل ثلاثة الاول خلو النفس من العلم هذا أصله وقد جعله بعضهم معنى مقتضيا للافعال الخارجة عن النظام كما جعل العلم معنى مقتضيا للافعال الجارية على النظام الثانى اعتقاد الشئ بخلاف ما هو عليه الثالث فعل الشئ بخلاف ماحقه أن يفعل هو به اعتقد فيه اعتقادا صحيحا

سبب اخلاص القصـد وفتوح الحلاوة فى الباطن وهو سبب جـذب الحـق باعطافه وفتوح المكاشفة وهو سبب المعـرفة بالحق (والوسم والرسم) معنيان يجريان فى الابد بما جرى فى الازل (والبسط) عبارة عن حال الرجاء (والقبض) عبارة عـن حال الخوف (والفنا) فناء المعاصى ويكون فناء رؤية العبد لفـعله بقيام الله تعالى عـلى ذلك (والبقاء) بقاء الطاعات ويكون بقاء رؤية العبد قيام الله سبحانه على كل شئ (والجمع) التسوية فى أصل الخلق وعن آخرين معناه اشارة من اشار الى الحق بلا خلق (والتفرقة) اشارة الى اللون والخلق فمن أشار الى تفـرقة بلا جمع فقد جحـد البارى سبحانه ومن أشار الى جمع بـلا تفرقة فقـد أنكر قدرة القادر واذا جمع بينهـما فقد وحد (عين التحكم) اظهار غاية الخصوصـية بلسان الانبساط فى الدعاء (والزوائد) زيادات الايمان

فلقد حل عن لسانى عقدة الصمت وطوقنى عهـدة الكلام وقـلادة النطق ماأنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج فى نصرة الباطل وتحسين الجهل

أم فاسدا كترك الصلاة عمدا والجهل يذكر تارة للذم وهو الاكثر وتارة لاله نحو يحسبهم الجاهل أغنياء أى من لايعرف حالهم ونقل المناوى عن العضد أن الجهل البسيط أصحابه كالانعام لفقدهم مابه يمتاز الانسان عنها بل هم أضل لتوجهها نحو كمالاتها و يعالج بملازمة العلماء ليظهر له نقصه عند محاوراتهم والجهل المركب ان قبل العلاج فبملازمة الرياضات ليطعم لذة اليقين ثم التنبيه على كل مقدمة مقدمة بالتدريج (والتشغيب) هو تهييج الشر والفتنة والخصام (على من آثر) أى اختار (النزوع) بالعين المهملة هو الانتهاء عن الامر والكف عنه وماوجد فى بعض النسخ بالغين المعجمة خطأ لفساد المعنى (قليلا عن مراسم الخلق) جمع الرسم على خلاف القياس (ومال ميلا يسيرا) أى قليلا (عن ملازمة الرسم الظاهرى (الى العمل) الذى يوصله الى علوم الآخرة (بمقتضى العلم) الذى أوتيه وانكشف له عنه الغطاء (طمعا فى نيل) ادراك (ماتعبده الله تعالى به) أى ألزمه له عبادة (من تزكية النفس) أى تنميتها وتطهيرها من رعوناتها (واصلاح القلب) بتخليته عما سوى الحق (وتداركا) أى تلافيا (لبعض مافرط) أى سبق (من اضاعة العمر) فيما لايجدى نفعا (يا سا) وهو قطع الرجاء (من تمام التلافى) أى التدارك (والجبر) وفى بعض النسخ فى الحيرة وفى بعضها والحير بلفظ الجمع (وانحيازا) أى انضماما (عن غمار) بكسر الغين المعجمة جمع غمرة بالفتح هو مزدحم الناس (من قال فيهم) أى فى حقهم (صاحب الشرع صلوات الله عليه) وسلامه فيما رواه البيهقى فى شعب الايمان والطبرانى فى الصغير وابن عدى فى الكامل بسند ضعيف عن أبى هريرة رضى الله عنه (أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه) أى بان لم يعمل به لان عصيانه عن علم فهو أعظم جرما وأقبح اثما ممن عصاه من غير علم ولهذا كان المنافقون فى الدرك الاسفل من النار لكونهم جحدوا بعد العلم بالحق قاله المناوى وقيل معناه لم يوفق للعمل به ومن جملة عمله نفعه غيره ان احتاج الى علمه ثم ان لفظ الحديث عند المذكورين فيما رأيته لم ينفعه علمه وقد ضعف هذا الحديث المنذرى وغيره وقال الخطيب فى كتاب اقتضاء العلم العمل قال سهل ابن مزاحم الامر أضيق على العالم من ٧ التسعير مع أن الجاهل لايعذر بجهالته لكن العالم أشد عذابا اذا ترك ماعلم فلم يعمل به وأخرج أبو نعيم فى الحلية من طريق أبى كبشة السلولى قال سمعت أبا الدرداء رضى الله عنه يقول ان من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالما لاينتفع بعلمه وفيه أيضا من طريق ابراهيم بن الاشعث حدثنا سفيان قال كان يقال أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة رجل كان له عمل فجاء غيره يوم القيامة بأفضل عملا منه ورجل كان له مال فلم يتصدق منه فورثه غيره فتصدق منه ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فعلم غيره فانتفع به وسيأتى للمصنف عن أبى الدرداء ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات ثم ان من قوله فلقد حل عن لسانى الى قوله حلية الحق سجعتان متوازيتان ومن بعده استرسال فى الكلام من غير تقييد على روى (ولعمرى) أقسم بعيشه وبقائه وحياته ودوامه والعمر بالضم لغة فيه ولكن خص القسم بالمفتوحة (انه لاسبب لاصرارك) أى تماديك ولزومك (على التنكير) مصدر بمعنى الانكار (الا الداء الذى عم الجم الغفير) يقال جاؤا جما غفيرا وجم الغفير بالاضافة وجماء الغفير والجماء الغفير وجماء غفيرا ممدود فى الكل وجم الغفيرة وجماء الغفيرة الثلاثة ذكرها الصاغانى والجماء الغفيرة وجماء غفيرة وبجماء الغفير والغفيرة اذا جاؤا جميعا شريفهم ووضيعهم ولم يحك سيبويه الا الجماء الغفير قال وهو من الاحوال التى دخلها الالف واللام وهو نادر وقال الغفير وصف لازم للجماء يعنى ذلك لاتقول الجماء وتسكت فهو عنده اسم موضوع موضع المصدر وجعله غيره مصدرا وأجاز ابن الانبارى فيه الرفع على تقديرهم وقال الكسائى العرب تنصب الجماء الغفير فى التمام وترفعه فى النقصان (بل شمل الجماهير) جمع جمهور بالضم على ماهو المعروف وما حكى ابن التلمسانى فى شرح الشفاء وتبعه شيخ مشايخنا سيدى محمد الزرقانى من ان الفتح لغة فيه فقد رده الشهاب واستغربه ومعناه جل الناس (من

بالغيب واليقين (والارادات) ثلاثة ارادة الطلب من الله سبحانه وتعالى وذلك موضع التمنى وارادة الحظ منه وذلك موضع الطلب وارادة الله سبحانه وذلك موضع الاخلاص (والمريد) هو الذى صح له الابتلاء ودخل فى جملة المنقطعين الى الله عزوجل بالاسم (والمراد) هو العارف الذى لم يبق له ارادة وقد وصل الى النهاية وعبر الاحوال والمقامات (والهمة) ثلاثة همة منية وهى تحرك القلب للمنى وهمة ارادة وهى أول صدق المريد وهمة حقيقة

والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم الى العمل بمقتضى العلم طمعا فى نيل ماتعبده الله تعالى به من تزكية النفس واصلاح القلب وتداركا لبعض مافرط من اضاعة العمر يأسا من تمام التلافى والجبر وانحيازا عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه ولعمرى انه لاسبب لاصرارك على التنكير الا الداء الذى عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من

القصور) أي التأخر (عن ملاحظة ذروة هذا الامر) بكسر الذال المعجمة أي رأسه وملاكه (و) من (الجهل بان الامر اد) بالكسر أي عظيم أو فظيع أو منكر (والخطب) هو العظيم من الامور (جد) ضد الهزل أي فينبغي أن يجتهد له وأخرج ابن أبي الدنيا من طريق اسمعيل بن أمية قال كان الاسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة يقول لم تعذب هذا الجسد فكان الاسود يقول ان الامر جد فجدوا (والآخرة مقبلة) لامحيد عنها (والدنيا مدبرة) لامحالة (والاجل) المضروب (قريب) جدا (والسفر) الى الآخرة (بعيد) لكثرة عقباتها (والزاد) المحمول لاجله (طفيف) أي يسير من الطفافة اسم لما لا يعتد به وفي نسخة ضعيف بالضاد المعجمة أي قليل (والخطر عظيم والطريق سد) أي مسدود (وماسوى الخالص لوجه الله) سبحانه (من العلم والعمل عند الناقد البصير رد) أي مردود أي لا يقبل من العلوم والاعمال عند الله تعالى الا ما شابها الاخلاص وحسن اليقين (وسلوك طريق الآخرة) باستعمال علومها (مع كثرة الغوائل) أي المهالك جمع غائلة (من غير دليل) هو العلم النافع (ولا رفيق) هو العمل الصالح (متعب ومكد) عطف تفسير لمتعب (فأدلة الطريق) جمع دليل أي أدلة طرق الحق (هم العلماء) بالله خاصة (الذين هم) فيما رواه ابن النجار في تاريخه عن أنس رضي الله عنه رفعه (ورثة الانبياء) وسيأتي الكلام عليه (وقد شغر) كنصر أي خلا من شغرت الارض شغورا اذ خلت من الناس ولم يبق بها أحد يحميها ويضبطها فهي شاغرة (عنهم الزمان) بموتهم (ولم يبق الا المترسمون) المتشبهون برسومهم (وقد استحوذ) أي ساق مستوليا (على أكثرهم الشيطان) من حذا الابل يحذوها اذا ساقها سوقا عنيفا قال النحويون استحوذ خرج على أصله فمن قال حاذ يحوذ لم يقل الا استحاذ ومن قال أحوذ فاخرجه على الاصل قال استحوذ (واستغواهم) أي أضلهم (الطغيان) وهو مجاوزة الحد في كل شئ وغلب في تزايد العصيان قاله السمين (وأصبح كل واحد) منهم (بعاجل حظه) الدنيوي (مشغوفا) أي أصاب حبه شغاف قلبه وهو وسطه قاله أبو علي الفارسي أو باطنه قاله الحسن (فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا) هذا غاية النكير والاستقباح لما هم عليه فان كانت الرؤية اعتقادية فالامر أعظم (حتى ظل) أي صار (علم الدين) هو بالتحريك ماوضع علامة للاهتداء به (مندرسا) قد عفت آثاره (ومنار الهدى) هو كالعلم يهتدى به قال امرؤ القيس

على لاحب لايهتدى لمناره * اذا ساقه العود النباطي جرجرا

(في أقطار الارض) أطرافها (منطمسا) قد خفيت أنواره (ولقد خيلوا) أي أوهموا وأدخلوا في مخيلاتهم (الى الخلق ان لا علم) من حيث هو هو (الا فتوى حكومة) هو ما يكتب في أجوبة المسائل في الواقعات والنوازل من الحلال والحرام والاباحة والمنع والجمع الفتاوى بكسر الواو وفتحها (تستعين به القضاة) والحكام (على فصل الخصام) أي المخاصمة (عند تهارش) هو الافساد بين الناس وتحريش بعضهم على بعض (الطغام) بالفتح والغين معجمة هم الاغبياء والرذال (أو جدل) هو القياس المؤلف من المشهورات أو المسلمات والغرض منه الزام الخصم وافهام من هو قاصر عن ادراك مقدمات البرهان (يتدرع) أي يتلبس (به طالب المباهاة) أي المفاخرة (الى الغلبة) في الزام الخصم (والافحام) أي الاسكات (أو سجع) أي كلام مقفى (مزخرف) أي مزين (يتوصل به الواعظ الى استدراج) أي خديعة (العوام) روي عن أبي الهيثم قال امتنع فلان عن كذا وكذا حتى أتاه فلان فاستدرجه أي خدعه حتى حمله على ان درج في ذلك (اذ لم يروا ماسوى هذه الثلاثة) من الخصال (مصيدة للحرام) هي كمعيشة ما يصاد به وهو من بنات الياء المعتلة والجمع المصايد بلا همز كمعايش (وشبكة) بحركة شركة الصياد التي يصيد بها في البر ومنهم من خصه بمصيدة الماء (للحطام) هو المال الرذل والخبيث والحرام ودقاق التبر (فأما علم طريق الآخرة) الذي هو النافع للعبد (وما درج) سلك (عليه السلف الصالح) وهم

القصور عن ملاحظة ذروة
هذا الامر والجهل فان
الامر اد والخطب جد
والآخرة مقبلة والدنيا
مدبرة والاجل قريب
والسفر بعيد والزاد طفيف
والخطر عظيم والطريق
سد وما سوى الخالص
لوجه الله من العلم والعمل
عند الناقد البصير رد
وسلوك طريق الآخرة
مع كثرة الغوائل من غير
دليل ولا رفيق متعب ومكد
فأدلة الطريق هم العلماء
الذين هم ورثة الانبياء وقد
شغر منهم الزمان ولم يبق الا
المترسمون وقد استحوذ على
أكثرهم الشيطان
واستغواهم الطغيان
وأصبح كل واحد بعاجل
حظه مشغوفا فصار يرى
المعروف منكرا والمنكر
معروفا حتى ظل علم الدين
مندرسا ومنار الهدى في
أقطار الارض منطمسا
ولقد خيلوا الى الخلق أن
لا علم الا فتوى حكومة
تستعين به القضاة على فصل
الخصام عند تهارش الطغام
أو جدل يتدرع به طالب
المباهاة الى الغلبة والافحام
أو سجع مزخرف يتوسل
به الواعظ الى استدراج
العوام اذ لم يروا ما سوى
هذه الثلاثة مصيدة للحرام
وشبكة للحطام فأما علم
طريق الآخرة وما درج
عليه السلف الصالح

من

من سلفك من آبائك وذوى قرابتك الذين هم فوقك فى السن والفضل ومنه قول طفيل الغنوى يرثى قومه مضوا سلفا قصر السبيل عليهم * وصرف المنايا بالرجال تقلب
أراد انهم تقدمونا والمراد هنا الصدر الاول من التابعين وأتباعهم والجمع الاسلاف (مما اسماه الله سبحانه وتعالى (فى كتابه) العزيز (فقها) فى قوله لعلهم يتفقهون (وحكمة) فى قوله يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا (وعلما) فى قوله والراسخون فى العلم (وضياء) فى قوله وضياء وذكرا للمتقين (ونورا) فى قوله قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقوله فهو على نور من ربه (وهداية) فى قوله قل ان هدى الله هو الهدى (ورشدا) فى قوله لعلهم يرشدون اما الفقه فهو أخص من مطلق العلم والحكمة معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهذا هو الذى وصف به لقمان ثم الحكمة الالهية هى العلم بحقائق الاشياء على ماهى عليه والعمل بمقتضاها والحكمة المنطوق بها هى علوم الشريعة والطريقة والمسكوت عنها هى أسرار الحقيقة التى اذا اطلع عليها علماء الرسوم والعوام تضرهم أو تهلكهم والعلم معرفة الشئ على ماهو عليه والضياء أخص من النور والنور هو الضوء المنتشر وهو ضربان دنيوى وأخروى ثم الدنيوى ضربان معقول بعين البصيرة كنور العقل ومحسوس بعين البصر كنور الشمس والقمر وتخصيص الشمس بالضوء والقمر بالنور من حيث ان الضوء نور قوى والهداية سلوك طريق توصل الى المطلوب ويراد بها تارة الرشد وتارة البيان وتارة الدعاء وتارة الدلالة والرشد يستعمل استعمال الهداية وقد يراد به الاستقامة وسيأتى زيادة ايضاح لكل ماذكرناه فى الباب الرابع (فقد أصبح من بين الخلق مطويا) ذكره لعدم ميلهم الى تحصيله (وصار نسيا منسيا) أى شيأ تافها لا يؤبه له مما حقه أن ينسى ويترك لقلة مبالاتهم به والنسى فعل بمعنى مفعول والمنسى مبالغة فيه لم يكفه ان وصف تلك الاحوال بكونها تافهة حتى بالغ بوصفها لان النسى يقال لما لا اعتداد به وان لم ينس (ولما كان هذا) الذى ذكرت (ثلما) أى خللا (فى الدين ملما) أى مقاربا داخلا (وخطبا) أى أمرا عظيما (مدلهما) أى مظلما كثيفا شبه الخطب بالليل فى ابهامه ثم أثبت له ما يناسبه من الاظلام وكثافة السواد (ورأيت الاشتغال بتحرير) وفى بعض النسخ بتجريد (هذا الكتاب) يعنى الاحياء (حتما) واجبا (مهما) يهتم له ويعتنى بشأنه (احياء لعلوم الدين وكشفا لمناهج) أى سبل (الائمة المتقدمين) وفى بعض النسخ المتقين (وايضاحا لمناهى العلوم النافعة عند) النبيين (والسلف الصالحين) وهم اتباع الانبياء عليهم السلام (وقد أسسته) أى الكتاب (على أربعة أرباع) جمع ربع بضمتين أو بضم فسكون شبه الكتاب بقصر من جهة ان الملتجئ اليه يامن غوائل عدو الدين وعذاب النار فأضاف المشبه به الى المشبه كما فى لجين الماء والكتاب على كثرة مافيه من الاحكام الشرعية يرجع الى أربعة هى اركان ذلك القصر نذكرها فى أثناء الكلام على الترتيب فقال (وهو ربع العبادات) وقدمه على الذى يليه لشرفها (وربع العادات) لانه اذا تحقق بالعبادات وأسرارها لم يستغن عما تعوده مما هو لازم له من حيث قوام المعاش فناسب ذكرهذا الربع بعد ربع العبادات والعادة ما استمر الناس عليه وعادوا اليه مرة بعد أخرى (و) اذا اشتغل بها ربما استولى على هواه الاغفال عن رعونات النفس وآفاتها فناسب ذكر (ربع المهلكات) لما فيه من ذكر الآفات التى تهلك صاحبها وتلقيه فى هوة النار (و) اذا تحقق ذلك وتجنب عن تلك المسميات التى فى وسمها ناسب ذكر (ربع المنجيات) لما فيه من ذكر أوصاف المخلصين التى من تحلى بها أنجى نفسه من العتاب والعقاب فتقديم ربع المهلكات على المنجيات من باب تقديم التخلى على التحلى فان من لم يتخل عن رعوناته كيف يتحلى بحلية أهل الصدق والصفاء ثم ان تأسيس المصنف كتابه على هذه الارباع من باب الحصر الاستقرائى اذ الحصر هو ايراد الشئ على عدد معين والاستقراء هو الحكم على كلى لوجوده فى أكثر جزئياته ولعدده الاربعة سر غريب سار

وهى جمع الهمم بصفاء الالهام (والغربة) ثلاثة غربة عن الاوطان من أجل حقيقة القصد وغربة عن الاحوال من حقيقة التفرد بالاحوال وغربة عن الحق من حقيقة الدهش عن المعرفة والاصطلام) نعت وله يرد عن القلوب بقوة سلطان فيسكنها (والمكر) ثلاثة مكر عموم وهو الظاهر فى بعض الاحوال ومكر خصوص وهو فى سائر الاحوال ومكر خفى فى اظهار الآيات والكرامات (والرغبة) ثلاثة رغبة النفس فى الثواب ورغبة القلب فى الحقيقة ورغبة السر فى الحق (والرهبة)

مما سماه الله سبحانه فى كتاب فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد أصبح من بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ولما كان هذا ثلما فى الدين ملما وخطبا مدلهما رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب حتما مهما احياء لعلوم الدين وكشفا عن مناهج الائمة المتقدمين وايضاحا لمناهى العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين وقد أسسته على أربعة ارباع وهى ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات

في غالب الممكنات (وصـدرت الجملة بكتاب العلم) في فضله وفضل تعليمه وتعلمه (لانه) في الحقيقة (غاية المهم) أي غاية ما يقصده الانسان ويهتم له وينتهي اليه (لاكشف) بذكرى ذلك (أولا عن العلم الذي تعبد الله) عز وجل (على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الاعيان) الاشخاص من أمته (بطلبه اذ قال) فيما روى من طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه (طلب العلم فريضة على كل مسلم) وسيأتي ما يتعلق به قريبا (وأميز فيه العلم النافع) الذي ينفع صاحبه في الآخرة ويصحبه معه (من الضار) الذي يضر بصاحبه فيكون سببا الهلاكه (اذ قال صلى الله عليه وسلم) فيما رواه ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن (نعوذ بالله من علم لا ينفع) وفي بعض النسخ تعوذوا كما عند ابن ماجه من طريق جابر أيضا وقد يذكره المصنف أيضا في الباب الثالث ونذكر هنالك ما يتعلق به (واحقق ميل أهل العصر) من المشتغلين برسوم العلم (عن شاكلة الصواب) أي ناحيته ووجهته وطريقته (وانخداعهم بلامع السراب) هو ما يلمع في المفازة كالماء سمي به لانسرابه في رأي العين ويراد به ما لا حقيقة له وفي نسخة ببلاقع السراب (واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب) شبه العلوم التي يشتغلون بها بالقشر الذي لا ينتفع به الا كل وانما جعل غطاء وحفظا لما في باطنه وعلوم الآخرة باللباب لانها خلاصة المعارف ونقاوة الاسرار (واشتمل ربع العبادات على عشرة كتب) الاول (كتاب العلم) قدمه في البيان لشرفه الثاني (كتاب قواعد العقائد) لان المعلوم اما أن لا يفتقر الى عمل ظاهر أو يفتقر فالاول الاعتقاديات فلذا ذكر قواعدها بعد العلم والذي يفتقر يأتي ذكره بعد ذلك الثالث (كتاب أسرار الطهارة) لانه بها يدخل في حضرة الملك وهي من مقدمات الصلاة الرابع (كتاب أسرار الصـلاة) لانها معراج أهل الله والديوان العظيم الذي يحصـل للسالك فيه الشهود ولانها من آكد العبادات وأعظمها وألزمها حتى انها لا تسـقط بحال عن المكلف ولا بالعجز عن الايماء ولو بجفون العين على رأي الخامس (كتاب أسرار الزكاة) لانها أخت الصلاة وقرينتها في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم السادس (كتاب أسرار الصيام) لما فيه من المشقة الزائدة على النفس والزكاة مالية والمال شقيق النفس والروح فناسب ذكره بعدها السابع (كتاب أسرار الحج) لان العبادة على قسمين سرية وجهرية والصوم عبادة سرية لا يطلع على كنهها من العبد الا مولاه والحج عبادة جهرية يطلع على حقيقتها ولا محالة فقدم السر على الجهر على انه لو قدم الحج على الصوم لكان له أيضا وجه لما ان الحج جعل سببا للصوم كحج المتمتع والقارن بشرط عدم القدرة على الهدي والسبب مقـدم على المسبب وقوعا الا انه راعى موافقة الفقهاء في وضعهم كذلك في كتب الفروع الفقهية ثم وجدت مناسبة أخرى لتقديم الصوم على الحج هي انه لما كان الحج مشتملا على صفات جليلة عظيمة من الخروج عن الديار ومفارقة الاهل والتجرد عن ثياب الاحياء وكشف الرأس والدوران حول البيت كأنه خائف ولهان وكذا السعي بين المروتين مشابه بحال الهارب المستغيث الى غير ذلك من الامور الكثيرة المختلفة الحقائق التي لا يهتدي لمعرفتها الا الفحول من العلماء بخلاف الصوم فانه أمر واحد لا يخفى على العاقل والامر الواحد مقدم على الامور الكثيرة وأيضا فان رمضان قبل ذي الحجة الواقع فيه الحج فينبغي أن يقدم الصوم وضعا كما في كتب القوم وأيضا فان الصوم أعظم اهتماما من الحج بواسطة ان الصوم يتكرر على المكلف بتكرر الزمان فلا يسقط عنه بالكلية كما في الصلاة والمتكرر يهتم به للتعليم والتعلم الثامن (كتاب تلاوة القرآن) لشرفه وتضمنه تلك العبادات المذكورة فتفهمه حق التفهيم التاسع (كتاب الاذكار والدعوات) لكونها مأخوذة من القرآن غالبا العاشر (كتاب الاوراد في الاوقات) لانها من آخر وظائف المتعبدين (وأما ربع العبادات فيشتمل على عشرة كتب أيضا) رتب هذا الربع أيضا كذلك بترتيب لائق فقدم (كتاب آداب الاكل) لكونه مهما اذ به غذاء الاجسام وبقاؤها ثم (كتاب آداب النكاح) لما تنبعث الشهوات عقب الاكل ثم (كتاب أحكام الكسب)

رهبة الغيب لتحقيق أمر السبق (والوجد) مصادفة القلب بصفاء ذكر كان قد فقده (والوجود) تمام وجد الواجدين وهو أتم

وصدرت الجملة بكتاب العلم لانه غاية المهم لاكشف أولا عن العلم الذي تعبد الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم الاعيان بطلبه اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وأميز فيه العلم النافع من الضار اذ قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب

(واشتمل ربع العبادات على عشرة كتب)

كتاب العلم وكتاب قواعد العقائد وكتاب أسرار الطهارة وكتاب أسرار الصلاة وكتاب أسرار الزكاة وكتاب أسرار الصيام وكتاب أسرار الحج وكتاب آداب تلاوة القرآن وكتاب الاذكار والدعوات وكتاب ترتيب الاوراد في الاوقات

(وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب أيضا) كتاب آداب الاكل وكتاب آداب النكاح وكتاب أحكام الكسب

لاحتياجه

وكتاب الحلال والحرام وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق وكتاب العزلة وكتاب آداب السفر وكتاب السماع والوجد وكتاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة (٦١) *(وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب أيضا)*

لاحتياجه اليه حينئذ لامحالة ثم (كتاب الحلال والحرام) اذ يلزم معرفتهما للمكتسب ثم (كتاب آداب الصحبة والمعاشرة) مع (أصناف الخلق) لافتقار الكسب الى مخالطتهم ثم (كتاب العزلة) لانها ضد الصحبة فناسب ذكرها بعدها ثم (كتاب آداب السفر) لما فيه من البعد الظاهرى عن الاوطان وفراق الاهل والخلان ثم (كتاب السماع والوجد) لما فيه من التنشيط للارواح والاعانة على التجريد للمسافرين الى حضرة الله تعالى ثم (كتاب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر) لما فيه من ابقاء سلسلة الانتظام ومنع التعدى فى الحقوق ثم (كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة) لانها غاية كل كمال ونهاية الوصول لاهل الظاهر فى الحال والمآل وهو آخر درجات السالكين (وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب أيضا) رتبه كذلك على أبدع أسلوب فقدم (كتاب شرح عجائب القلب) لان بصلاحه صلاح كل الجسد وعجائبه فى الحقيقة لا انقضاء لها ثم (كتاب رياضة النفس) لتعلقها بالقلب شديدا ولان فى رياضتها تمام التصفية من الكدورات ثم (كتاب آفات الشهوتين) لانتشائهما عن النفس وهما (شهوة البطن وشهوة الفرج) ثم (كتاب آفات اللسان) لانه ثمر شهوة البطن خاصة ثم (كتاب آفات الغضب والحقد والحسد) لانها تنشأ غالبا عن حدة اللسان فيبوح بها ثم (كتاب ذم الدنيا) لانها السبب الاعظم لصدور تلك الآفات ثم (كتاب ذم المال والبخل) لان المال أعظم متاع الدنيا والبخل من لوازمه ثم (كتاب ذم الجاه والرياء) لان الجاه منشؤه المال والرياء يقع لتحصيله ثم (كتاب ذم الكبر والعجب) لانهما من لوازم الجاه والمال وما أشبه ذلك ثم (كتاب ذم الغرور) لكونه ينشأ من الكبر والعجب غالبا وهو آخر درجات المتقين (وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب أيضا) رتبه كذلك على ترتيب عجيب ووضع غريب فقدم (كتاب التوبة) لانها أشرف أعمال العبد وأقرب الى الوصول وأول فتح للباب ثم (كتاب الصبر والشكر) اذ هما نتيجتها وهما من علاماتها الدالة على صحتها ثم (كتاب الخوف والرجاء) لانهما ينشآن عن الصبر والشكر ثم (كتاب الفقر والزهد) لانهما رأس مال الخائفين ثم (كتاب التوحيد والتوكل) لان من شأن الفقير الزاهد التجرد عما سوى الله فناسبه التوحيد والتوكل على الله ثم (كتاب المحبة والشوق والرضا) لان الموحد المتوكل لا يصل الى مطلوبه الا اذا كان الحب دليله والشوق سائقه والرضا أمامه ثم (كتاب النية والصدق والاخلاص) لتوقف كل ما ذكر على النية مع الصدق فى ذلك واخلاصه وامحاضه ثم (كتاب المراقبة والمحاسبة) اذ هما من نتائج الاخلاص والصدق ثم (كتاب التفكر) لكونه ثمرة المراقبة والمحاسبة ثم (كتاب ذكر الموت) وهو آخر درجات المخلصين (فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها) التى لم يطلع عليها غالب العلماء (ودقائق سننها) التى خفيت على أكثرهم (وأسرار معانيها) التى استنبطها العارفون (ما يضطر) أى يحتاج ضرورة (العالم العامل اليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليه) لكونه من اللوازم الضرورية فى حقه (وأكثر) ذلك مما ذكرته (مما أهمل فى فن الفقهيات) ولم يتعرض له أصلا (وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق واغوارها) معطوف على أسرار جمع غور وهو ما خفى من الامور (ودقائق سننها) المستنبطة (وخفايا الورع) بأقسامه الاربعة (فى مجاريها) أى تلك المعاملات (وهى مما لا يستغنى متدين) وفى نسخة متدبر (عنها) اذ بها كماله (وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته) أى ازالته (وتزكية النفس) أى تطهيرها (عنه وتطهير القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الاخلاق حده) أى وصفه المحيط بمعناه سمى الحد حدا لكونه مانعا لفاعله عن معاودة مثله ولغيره عن سلوك منهجه (وحقيقته) هو اسم لما أريد به ما وضع له (ثم) أذكر (سببه) هو ما ظهر الحكم لاجله هبه شرطا أو دليلا أو علة (الذى

*كتاب شرح عجائب القلب وكتاب رياضة النفس وكتاب آفات الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج وكتاب آفات اللسان وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال والبخل وكتاب ذم الجاه والرياء وكتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغرور *(وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب أيضا)* كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة والشوق والانس والرضا وكتاب النية والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة والمحاسبة وكتاب التفكر وكتاب ذكر الموت *فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه وأكثر ذلك مما أهمل فى فن الفقهيات

وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع فى مجاريها وهى مما لا يستغنى عنه متدين وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الاخلاق حده وحقيقته ثم أذكر سببه الذى

منه يتولد) و ينشأ (ثم) اذكر (الآفات التى عليها تترتب ثم) اذكر (العلامات التى بها تتعرف ثم) اذكر (طرق المعالجة التى بها) أى باستعمالها (منها) أى من تلك الآفات (يتخلص) فذكر فى كل خلق من تلك الاخلاق ستة أشياء الحد والحقيقة والسبب الباعث لتولد الآفات ثم ما يترتب عليه من الآفات ثم العلامات ثم طرق المعالجة وهكذا شأن الطبيب الماهر اذا أراد تخليص مريض من علة يعرفه أولا حد العلة وحقيقتها ثم يذكر له سببها الذى تولدت منه ثم عوارضها ثم يستدرج الى ذكر علاماتها فاذا تأمل المريض ذلك كشف له الحجاب وطالبته النفس بما نزل بها فيرد عليه طريق المعالجة فيتلقاها المريض بقلب سليم وينجو من تلك العلة سريعا (كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات) جمع آية تطلق على جملة من القرآن سورة كانت أو فصولا أو فصلا من سورة ويقال لكل كلام منه منفصل بفصل لفظى آية وعليه اعتبار آيات السور التى تعد بها السورة عند الجمهور (والاخبار) جمع خبر وهو الحديث المنقول فهو مرادف للحديث عند الجمهور (والآثار) جمع أثر وهو من اصطلاح الفقهاء فانهم يستعملونه فى كلام السلف والحديث فى خبر الرسول صلى الله عليه وسلم وفى ذلك بحث طويل محله كتب أصول الحديث (وأما ربع المنجيات فاذكر فيه كل خلق محمود) ورد بمدحه القرآن (و) كل (خصلة) حسنة (مرغوب فيها) مطلوب تحصيلها (من) جملة (خصال المقربين) عند الله فى حظائر القدس (والصديقين) تخصيص بعد تعميم (التى بها يتقرب العبد) فى سلوكه (من رب العالمين وأذكر فى كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذى به تجتلب وثمرتها التى منها تستفاد وعلامتها التى بها تعرف وفضيلتها التى لاجلها يرغب فيها) ذكر فى هذا الربع فى كل خصلة ستة أشياء الحد والحقيقة والسبب والثمرة والعلامة والفضيلة وهى نظير الستة التى ذكرت فى ربع المهلكات فقابل الثلاثة الاول بالثلاثة الاول لان هنالك سبب تولد وهنا سبب اجتلاب ولا يخفى ما بين التولد والاجتلاب من الفرق وقابل استفادة الثمرة بترك الآفة والعلامة بالعلامة والفضيلة بالمعالجة لان تلك طرق التخلى وهذه أحوال التحلى ولكل مقام مقال (مع ما ورد فيها من شواهد الشرع) الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ومن بعدهم (والعقل) الادلة العقلية وما قالته الحكماء الاولون (ولقد صنف الناس) ممن تقدم (فى) تحقيق (بعض هذه المعانى) التى ذكرت (كتبا) كقوت القلوب والرعاية ومنازل السائرين والرسالة والتعرف وغيرها (ولكن يتميز هذا الكتاب عنها) عن تلك الكتب (بخمسة أمور الاول حل ما عقدوه) فى كتبهم (وكشف ما) ستروه وتفصيل ما (أجملوه الثانى ترتيب ما بددوه) أى فرقوه فى مواضع شتى (ونظم ما فرقوه) أى جمعه والجملة الثانية فى كل تفسير للاولى (الثالث ايجاز ما طولوه وضبط ما قرروه) والمراد بضبط المقرر تفسيره و بيانه بحيث ينكشف على مطالعه وأما الايجاز فهو أداء المقصود بأقل من العبارة المتعارفة (الرابع حذف ما كرروه) أى أعادوه مرارا والتكرار يشبه العموم من حيث التعدد و يفارقه بان العموم يتعدد فيه الحكم بتعدد افراد الشرط والتكرار يتعدد فيه الحكم بتعدد الصفة المتعلقة بالافراد (الخامس تحقيق أمور غامضة) خفية المدرك (اعتاصت) ضد انقادت (على الافهام) أى عسر كشفها عليها ومن ثم (لم يتعرض لها فى الكتب أصلا) لصعوبتها ولهذه الامور الخمسة التى ذكرها فوائد لا تخفى عند المنصفين اما الاول فلان الكلام اذا كان معقودا لا تظهر ثمرة نفعه وأما الثانى فلان المفرق فى مواضع يشتت أذهان المتأملين وأما الثالث فمن التطويل كلت الهمم وأما الرابع فلان المكرر من حيث هو مكرر مما يمل منه ذهن السامع وأما الخامس فلان الامور الخفية الصعبة التى تشتبه على الافهام وتلتبس على الاذهان فان التعرض لها والاهتمام بكشفها أكثر فائدة وأجل عائدة (الكل) من العلماء (وان تواردوا) أى أتوا على سبيل الموارده واحدا بعد واحد وأصل الورود ورود الابل على الماء ثم استعير (على منهج) أى طريق (واحد فلا مستنكر) اى لا انكار ولا بدع (أن ينفرد كل واحد من السالكين) و يتميز عن غيره (بالتنبيه لامر يخصه) فيكشف عنه

منه يتولد ثم الآفات التى عليها تترتب ثم العلامات التى بها تتعرف ثم طرق المعالجة التى بها منها يتخلص مقرونا بشواهد الآيات والاخبار والآثار وأما ربع المنجيات فاذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التى بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر فى كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذى به تجتلب وثمرتها التى منها تستفاد وعلامتها التى بها تتعرف وفضيلتها التى لاجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف الناس فى بعض هذه المعانى كتبا ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور الاول حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه الثانى ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه الثالث ايجاز ما طولوه وضبط ما قرروه الرابع حذف ما كرروه واثبات ما حرروه الخامس تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الافهام لم يتعرض لها فى الكتب أصلا اذ الكل وان تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن ينفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لامر يخصه

و يغفل عنه رفقاؤه أولا يغفل عن التنبه له ولكن يسهو عن ايراده فى الكتب أولا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم وانما حملنى على تأسيس هذا الكتاب على أربعة ارباع أمران (أحدهما) وهو الباعث الاصلى أن هذا الترتيب فى التحقيق والتفهيم كالضرورى لان العلم الذى يتوجه به الى الآخرة ينقسم الى علم المعاملة والى علم المكاشفة وأعنى بعلم المكاشفة مايطلب منه كشف المعلوم فقط وأعنى بعلم المعاملة مايطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التى لارخصة فى ايداعها الكتب وان كانت هى غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق اليه ولكن لم يتكلم الانبياء صلوات الله عليهم مع الخلق الافى علم الطريق والارشاد اليه وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الانبياء فمالهم سبيل الى العدول عن نهج التأسى والاقتداء فى كتمانه ثم ان علم المعاملة ينقسم الى علم ظاهر أعنى العلم بأعمال الجوارح والى علم باطن أعنى العلم بأعمال القلوب والجارى على الجوارح اما عبادة واما عادة والوارد على القلوب التى هى بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم الى شطرين ظاهر و باطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى عبادة وعادة والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب واخلاق النفس انقسم الى مذموم ومحمود فكان المجموع أربعة أقسام ولايشذ نظر فى علم المعاملة عن هذه الاقسام (الباعث الثانى) أنى رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة فى الفقه الذى صلح عند من لايخاف الله سبحانه وتعالى للتدرع به الى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته فى المنافسات وهو مرتب على أربعة أرباع والمتزيى بزى المحبوب محبوب فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب

(و يغفل عنه رفقاؤه) والله يختص برحمته من يشاء (أولا يغفل عن التنبه له ولكن يسهو عن ايراده فى الكتب) وهو معذور وفى الحديث رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه (أولا يسهو ولكن يصرفه) يمنعه (عن كشف الغطاء عنه صارف) أى مانع كعجز العامة عن فهمه أو صدور ملام اليه أو شبهه فقد ورد لاتطرحوا الدر فى أفواه الكلاب وقال أبو هريرة وأما الآخر لو بثثته لقطعتم بلعومى هذا (فهذه) الامور التى ذكرت (خواص هذا الكتاب) أى انه اشتمل على علوم خفية المجلى يكشف الغطاء عنها مما أغفلها كثير من المصنفين أولم يفسروها (مع كونه حاويا) جامعا (لمجامع هذه العلوم) الظاهرية والباطنية (وانما حملنى على تأسيس) هذا (الكتاب) ووضعه (على أربعة أرباع أمران) أكيدان (أحدهما وهو الباعث الاصلى ان هذا الترتيب فى التحقيق والتفهيم كالضرورى) الذى لايحتاج الى اقامة برهان (لان العلم الذى به يتوجه الى الآخرة ينقسم الى علم المعاملة والى علم المكاشفة وأعنى بالمكاشفة مايطلب منه كشف المعلوم فقط) وهو المعبر عنه بعلم الباطن وسيأتى تفصيله (وأعنى بعلم المعاملة مايطلب منه مع الكشف العمل به) أى من المأمورات والمنهيات (والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التى لارخصة) أى لاجواز (فى ايداعها) أى وضعها فى (الكتب) لفقد الرواية تصريحا وانما تروى احيانا تلويحا (وان كانت هى غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق اليه) أى ودليل عليه (ولكن لم يتكلم الانبياء عليهم السلام مع الخلق الافى علم الطريق والارشاد اليه وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الابالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال) لانه من الامور الوجدانية فان العاقل يكفيه الاشارة والغافل لايفيده صريح العبارة (علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال) أى عن احتمال ما يلقى اليهم لصعوبتها (والعلماء ورثة الانبياء) وهو حديث أبى الدرداء وسيأتى الكلام عليه (فمالهم) أى للعلماء (سبيل الى العدول) والتجاوز (عن نهج) أى طريق (التأسى) اتخاذه اسوة (والاقتداء) عطف تفسير (فى كتمانه) الا بالتلويح (ثم ان علم المعاملة ينقسم الى علم ظاهر أعنى العلم باعمال الجوارح والى علم باطن أعنى العلم باعمال القلوب والجارى على الجوارح اما عبادة أو عادة والوارد على القلوب التى هى بحكم الاحتجاب عن الحواس) الظاهرية (من عالم الملكوت) هو عالم الغيب المختص بأرواح النفوس (اما محمود واما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم الى شطرين ظاهر و باطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى عبادة وعادة والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب واخلاق النفوس انقسم الى مذموم ومحمود فكان الجميع أربعة أقسام ولايشذ) أى لايخرج (نظر فى علم المعاملة عن هذه الاقسام) فالحصر استقرائى (الباعث الثانى) فى تأسيس هذا الكتاب على الترتيب المذكور (انى رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة فى الفقه الذى صلح عند من لايخاف الله عز وجل للتدرع به) أى التلبس (الى المباهاة) أى المفاخرة (والاستظهار) أى الاستقرار (بجاهه ومنزلته فى المنافسات) وهى مجاهدة النفس للتشبه بالافاضل واللحوق بهم من غير ادخال ضرر على غيره (وهو مرتب على أربعة أرباع والمتزيى بزى المحبوب محبوب) أى المتشبه والزى بالكسر الهيئة الحسنة والآلات المجتمعة (فلم أبعد) فى المرمى (ان يكون تصوير) هذا (الكتاب)

النجوم موضوعا فى الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذبا لهم الى المطالعة والتلطف فى اجتذاب القلوب الى العلم الذى يفيد حياة الابد أهم من التلطف فى اجتذابها الى الطب الذى لا يفيد الا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والارواح المتوصل به الى حياة تدوم أبد الآباد فأين منه الطب الذى يعالج به الاجساد وهى معرضة بالضرورة للفساد فى أقرب الآماد فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد انه كريم جواد

(كتاب العلم وفيه سبعة أبواب)

(الباب الاول) فى فضل العلم والتعليم والتعلم (الباب الثانى) فى فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا (الباب الثالث) فيما تعده العامة من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره (الباب الرابع) فى آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل (الباب الخامس) فى آداب المعلم والمتعلم (الباب السادس) فى آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة (الباب السابع) فى العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الاخبار (الباب الاول) فى فضل العلم والتعليم وشواهده من النقل والعقل

اى تنزيله بهذه الصورة الموجودة (بصورة) تنزيل كتب (الفقه تلطفا) أى أخذا باللطافة (فى استدراج القلوب) أى خديعتها والدخول الها درجة درجة (ولهذا تلطف بعض من رام) أى طلب من الحكماء (استمالة قلوب الرؤساء) أى الامراء (الى) علم (الطب) لما رأى عدم اشتغالهم به ونزوع أنفسهم الى علم النجوم (فوضعه على هيئة تقويم النجوم) التى يألفونها (موضوعا فى الجداول) جمع جدول وهى الخطوط المتعارضة بعضها على بعض (والرقوم) جمع رقم والمراد به الحساب الهندى (وسماه تقويم الصحة) وكأنه عنى به كتاب المختار لابى الحسن بن عبدون المتطبب فانه سماه كذلك وعلى نهجه بنى ابن جزلة وابن البيطار كتابيهما (ليكون انسهم بذلك الجنس) وميلهم له (جاذبا) مشوقا (لهم الى المطالعة) فيه (والتلطف فى اجتذاب القلوب) وصرفها (الى العلم الذى يفيد) ويكسب (حياة الابد) فى الدنيا والآخرة (أهم) وأعنى (من التلطف فى اجتذابها الى) علم (الطب الذى لا يفيد الا صحة الجسد) فقط ولا ينظر الى ما دون ذلك (فثمرة هذا العلم) الذى هو علم الآخرة (طب القلوب) لمعرفة عجائبها وما يطرأ عليها (والارواح) بتزكيتها وتنميتها (المتوصل به الى) حد (حياة) حقيقة (تدوم) وتستمر (أبد الآباد فأين منه) علم (الطب الذى يعالج به الاجساد) الظاهرية بمعرفة الامزجة وتراكيب الادوية (وهى) أى الاجساد (معرضة بالضرورة للفساد) أى يعرضها الفساد والهرم بالموت ثم ان شرف الطب بحسب موضوعه وشرف العلم بالله بحسبه وبحسب ثمرته والجامع بين الشرفين يهتم لتحصيله أكثر مما فيه شرف واحد (فى اقرب الآماد) جمع أمد الغاية قال الراغب الامد والابد متقاربان لكن الابد عبارة عن مدة الزمان التى لا حد لها ولا تتقيد والامد مدة لها حد مجهول اذا أطلق وقد ينحصر فيقال أمد كذا كما يقال زمن كذا (ونسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد انه هو الكريم الجواد) وبه تم شرح خطبة الكتاب والحمد لمولانا الوهاب *(كتاب العلم وفيه سبعة أبواب)*

ومناسبة هذه الابواب لمن تأملها بفكره الثاقب ظاهرة فقدم بيان فضل العلم والتعلم والتعليم اهتماما بشأنه ثم بين فى الباب الثانى ما يفرض من ذلك على العين وعلى الكفاية وبين فيه ما هو من علوم الدنيا وما هو من علوم الآخرة ثم ذكر فى الثالث بيان علوم الدين واخراج ما ليس منها خلاف ما توهمه العامة ثم ما ينشأ من تلك العلوم المناظرة وآفاتها والجدل والخلاف ثم ذكر فى الرابع ما يقطع به تلك الآفات بمعرفة الآداب ثم بين فى السادس الآفات التى تعرض للعلم تارة وللعلماء أخرى والعلامات الفارقة بين العالمين ثم لما كان تحصيل ذلك كله وبيان التمييز بين تلك المقامات والعلامات متوقفا على موهبة عقل من الله تعالى فناسب ذكره فى الباب السابع

(الباب الاول فى فضل العلم والتعلم والتعليم وشواهده من العقل والنقل)

أورد فيه رحمه الله تعالى من شواهد القرآن ثلاث عشرة آية تدل على فضل العلم والعلماء ومن الاخبار ثمانية وعشرين حديثا ما بين صحاح وحسان وضعاف وليس فيها ما حكم عليه بالوضع فالحديث الاول صحيح متفق عليه والثانى صحيح أو حسن والثالث والتاسع متفق عليه والثانى عشر حسن أو صحيح والسابع عشر حسن أو صحيح والتاسع عشر حسن وما عداها ضعاف كما سيأتى بيان ذلك ثم اختلف فى ان تصور ماهية العلم المطلق هل هو ضرورى أو نظرى يعسر تعريفه أو نظرى غير عسير التعريف والاول مذهب الامام الرازى والثانى رأى امام الحرمين وتلميذه المصنف والثالث هو الراجح ولهم عليه تعريفات الاول اعتقاد الشئ على ما هو به وهو مدخول بالتقليد المطابق للواقع فزيد فيه قيد عن ضرورة أو دليل لكن لا يمنع الاعتقاد الراجح المطابق وهو الظن الحاصل عن ضرورة أو دليل الثانى معرفة المعلوم على ما هو به وهو مدخول أيضا لخروج علم الله تعالى اذ لا يسمى معرفة ولذكر المعلوم وهو مشتق من العلم فيكون دورا

ولان

ولان معنى ماهو به هومعنى المعرفة فيكون زائدا الثالث هو الذى يوجب كون من قام به عالما وهو مدخول أيضا لذكر العالم فى تعريف العلم وهودور الرابع هوادراك المعلوم على ماهو به وهو مدخول أيضا لما فيه من الدور والحشو كما مر ولان الادراك مجاز عن العلم الخامس هو مايصح لمن قام به اتقان الفعل وفيه انه تدخل القدرة ويخرج علمنا اذلا مدخل له فى صحة الاتقان فان افعالنا ليست بايجادنا السادس تبيين المعلوم على ماهو به وفيه الزيادة المذكورة والدور مع ان التبيين مشعر بالظهور بعد الخفاء فيخرج منه علم الله تعالى السابع اثبات المعلوم على ماهو به وفيه الزيادة والدور وأيضا الاثبات قد يطلق على العلم تجوزا فيلزم تعريف الشئ بنفسه الثامن الثقة بان المعلوم على ماهو به وفيه الزيادة والدور مع انه يلزم منه كون البارى واثقا بما هو عالم به وذلك مما يمتنع اطلاقه عليه شرعا التاسع اعتقاد جازم مطابق لموجب امامن ضرورة أودليل فيه وفيه انه يخرج عنه التصور لعدم اندراجه فى الاعتقاد مع انه علم ويخرج علم الله تعالى أيضا لان الاعتقاد لا يطلق عليه ولانه ليس بضرورة أودليل وهذا التعريف للفخر الرازى عرفه به بعد تنزيله كونه ضروريا العاشر حصول صورة الشئ فى العقل قال ابن صدر الدين هوأصح الحدود عند المحققين من الحكماء و بعض المتكلمين ولكن فيه انه يتناول الظن والجهل المركب والتقليد والشك والوهم الحادى عشر تمثيل ماهية المدرك فى نفس المدرك وفيه مافى العاشر وهذان التعريفان للحكماء مبنيان على الوجود الذهنى والعلم عندهم عبارة عنه فالاول يتناول ادراك الكليات والجزئيات والثانى ظاهره يفيد الاختصاص بالكليات الثانى عشر هوصفة توجب لمحلها تمييزا بين المعانى لايحتمل النقيض وهو الحد المختار عند المتكلمين الا انه يخرج عنه العلوم العادية كعلمنا مثلا بان الجبل الذى رأيناه فيما مضى لم ينقلب الآن ذهبا فانها تحتمل النقيض لجواز خرق العادة وأجيب عنه فى محله وقد يزاد فيه قيد بين المعانى الكلية وهذا مع الغنى عنه يخرج العلم بالجزئيات وهو المختار عند من يقول العلم صفة ذات تعلق بالمعلوم الثالث عشر تمييز معنى عند النفس تمييزا لايحتمل النقيض وهو الحد المختار عند من يقول من المتكلمين ان العلم نفس التعلق المخصوص بين العالم والمعلوم الرابع عشر هوصفة يتجلى بها المذكور لمن قامت هى به قال السيد الشريف وهوأحسن ماقيل فى الكشف عن ماهية العلم ومعناه انه صفة ينكشف بها لمن قامت به مامن شأنه ان يذكر انكشافا تاما لااشتباه فيه الخامس عشر حصول معنى فى النفس حصولا لايتطرق عليه فى النفس احتمال كونه على غير الوجه الذى حصل فيه وهو للآمدى قال ونعنى بحصول المعنى فى النفس تمييزه فى النفس عما سواه و يدخل فيه العلم بالاثبات والنفى والمفرد والمركب ويخرج عنه الاعتقادات اذلا يبعد فى النفس احتمال كون المعتقد والمظنون على غير الوجه الذى حصل فيها فهذه تعاريف العلم ثم اختلفوا فى ان العلم بالشئ هل يستلزم وجوده فى الذهن كما هومذهب الفلاسفة و بعض المتكلمين أو هو تعلق بين العالم والمعلوم فى الذهن كما ذهب اليه جمهور المتكلمين ثم انه على الاول لانزاع فى انا اذا علمنا شيأ فقد تحقق أمور ثلاثة صورة حاصلة فى الذهن وارتسام تلك الصورة فيه وانفعال النفس عنها بالقبول واختلف فى ان العلم هل هو من مقولة الكيف أو الانفعال أو الاضافة والاصح انه من مقولة الكيف على مابين فى محله ولهم فى تقسيم العلم آراء مختلفة فقال بعض أئمة الاشتقاق العلم ضربان ادراك ذات والثانى الحكم على الشئ بوجود شئ هو موجود له أونفى شئ هومنفى عنه فالاول يتعدى لواحد قال تعالى لاتعلمهم نحن نعلمهم والثانى يتعدى لاثنين قال تعالى فان علمتموهن مؤمنات وقال آخرون العلم من وجه آخر نوعان عملى ونظرى فالنظرى مااذا علم فقد كمل نحو العلم بموجودات العالم والعملى مالايتم الابان يعمل كالعلم بالعبادات ومن وجه آخر نوعان عقلى وسمعى وقد يتجوز به عن الظن كاستعار الظن للعلم ثم ان لفظ العلم كما يطلق على ماذكر يطلق على مارادفه وهو أسماء العلوم المدونة كالنحو والفقه فيطلق كاسماء العلوم تارة على المسائل المخصوصة كما يقال فلان

الوجد عندهم وسئل بعضهم عن الوجد والوجود فقال الوجد ماتطلبه فتجده بكسبك واجتهادك والوجود من تجده من الله الكريم والوجد عن غير تمكين والوجود مع التمكين (والتواجد) استدعاء الوجد والتشبه فى تكلفه بالصادقين من اهل الوجد (القاعدة) وأما القاعدة التى ينبنى عليها هذا الفن باسره فذلك اجتذاب أرواح المعانى والاشارة الى العبد فى القرب قصد الاستدلال بالاقوال والاعمال والاحوال على الله قصدا ذاتيا الاعلى ماسلكه أرباب علوم الظاهر ثم التصديق بالقوة والنظر الى الملكوت من كوة ومعرفة العلوم فى الانصراف ومصاحبة القدر بالمساعدة وبالمعروف ومعاطاة الوجودات الجنس الذاتى والحسى والخيالى والعقلى والشبهى حسبما فهم من الشرع وثبت معناه فى المحفوظ من الوحى وقلما أدرك شئ من العجز والعلم لاينال براحة الجسم ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله اليكم ومن يتوكل على الله فهوحسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا (والوصية) أيها

يعلم النحو وتارة على التصديقات بتلك المسائل عن دليلها وتارة على الملكة الحاصلة من تكرر تلك التصديقات أي ملكة استحضارها وقد تطلق الملكة على التهيؤ التام وهو ان يكون عنده ما يكفيه لاستعلام ما يراد والتحقيق ان المعنى الحقيقي للفظ العلم هو الادراك ولهذا المعنى متعلق هو المعلوم وله تابع في الحصول يكون وسيلة اليه في البقاء هو الملكة فاطلاق لفظ العلم على كل منهما اما حقيقة عرفية أو اصطلاحية أو مجاز مشهور وقد يطلق على مجموع المسائل والمبادى التصورية والمبادى التصديقية والموضوعات وقد تطلق أسماء العلوم على مفهوم كلي اجمالي يفصل في تعريفه فان فصل نفسه كان حدا رسميا وان بين لازمه كان رسما اسميا وأما حده الحقيقي فانما هو بتصور مسائله أو بتصور التصديقات المتعلقة بها فان حقيقة كل علم مسائل ذلك العلم أو التصديقات بها وأما المبادى وانية الموضوعات فانما عدت جزأ منها لشدة احتياجها اليها ثم ان الظاهر ان العلم المصدر به هنا هو الجامع بين علمي المكاشفة والمعاملة بل المستجمع بين علمي الشريعة والحقيقة المؤدى الى مرتبة الطريقة وأما التعليم والاعلام فهما واحد الا ان الاستعمال خص الاعلام باخبار سريع والتعليم بما يكون فيه تكرر وتكثير يحصل منه أثر في نفس المتعلم وقال بعضهم التعليم تنبيه النفس لتصور المعاني والتعلم تنبه النفس لتصور ذلك وربما استعمل في معنى الاعلام اذا كان فيه تكثير نحو قوله تعالى أتعلمون الله بدينكم وقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها فتعليمه الاسماء هو ان جعل له قوة بها نطق ووضع أسماء الاشياء وذلك بالقائه في روعه وكتعليمه الحيوانات كل واحد فعلا يتعاطاه وصوتا يتحراه قاله السمين وقد أجمع العلماء على فضل التعليم والتعلم من أفواه الشيوخ الا من كان من علي بن رضوان الطبيب المصري فانه صنف كتابا في اثبات ان التعلم من الكتب أوفق من المعلمين وكان رئيس الاطباء للحاكم بمصر ولم يكن له معلم في صناعة الطب ينسب اليه وهو كلام لا يعبأ به ولا يلتفت اليه قرأت في الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي ان ابن بطلان وغيره من أهل عصره ومن بعدهم قد ردوا عليه هذا القول وبينوه وشرحوه وذكروا العلل التي من أجلها صار التعلم من أفواه الرجال أفضل من التعلم من الصحف اذا كان قبولهما واحدا الاولى منها وصول المعاني من النسيب الى النسيب خلاف وصولها من غير النسيب والنسيب الناطق افهم للتعليم وهو المعلم وغير النسيب له جاد وهو الكتاب الثانية النفس العلامة علامة بالعقل وصدور العقل عنها يقال له التعليم والتعليم والتعلم من المضاف وكل ما هو للشيء بالطبع أخص مما ليس هو بالطبع والنفس المتعلمة علامة بالقوة وقبول العلم فيها يقال له تعلم والمضافان معا بالطبع فالتعليم من المعلم أخص بالمتعلم من الكتاب الثالثة المتعلم اذا استعجم عليه ما يفهمه المعلم من لفظه نقله الى لفظ آخر والكتاب لا ينقل من لفظ الى لفظ فالفهم من المعلم أصلح للمتعلم من الكتاب وكل ما هو بهذه الصفة فهو في ايصال العلم أصلح للمتعلم الرابعة موضوعه اللفظ واللفظ على ثلاثة أضرب قريب من العقل وهو الذي صاغه العقل مثالا لما عنده من المعاني ومتوسط وهو المتلفظ به بالصوت وهو مثال المثال وبعيد وهو المثبت في الكتاب وهو مثال ما خرج باللفظ فالكتاب مثال مثال مثال المعاني التي في العقل والمثال لا يقوم مقام الممثل فالمثال الاول هو اللفظ والثاني هو الكتاب فالفهم من لفظ المعلم أسهل من لفظ الكتاب الخامسة وصول اللفظ الدال على المعنى الى العقل يكون من جهة حاسة غريبة من اللفظ وهو البصر لان الحاسة النسيبة للفظ هي السمع لانه تصويت والشيء الواصل من النسيب وهو اللفظ أقرب من وصوله من الغريب وهو الكتابة فالفهم من المعلم باللفظ أسهل من الفهم من الكتابة بالخط السادسة يوجد في الكتاب أشياء تصد عن العلم وهي معدومة عند المعلم وهي التصحيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ والغلط بزوغان البصر وقلة الخبرة بالاعراب أو عدم وجوده مع الخبرة بالاعراب أو فساد الموجود منه واصلاح الكتاب وكتابة ما لا يقرأ وقراءة ما لا يكتب ومذهب صاحب الكتاب وسقم النسخ ورداءة النقل وادماج القارئ مواضع

الطالب للعلوم والناظر في التصانيف والمستشرف على كلام الناس وكتب الحكمة ليكن نظرك فيما تنظر فيه بالله ولله وفي الله لانه ان لم يكن نظرك به وكلك الى نفسك أو الى من جعلت نظرك به اذ كان غيره من فهم أو علم أو حفظ أو امام متبع أو صحة ميز أو ما شاكل ذلك وكذلك ان لم يكن نظرك له فقد صار علمك لغيره ونكصت على عقبيك وخسرت في الدارين صفقتك وعاد كل هول عليك فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وكذلك ان لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره ولاحظت بالحقيقة سواه ورؤية غيره دونه تعمي القلب وتهتك الستر وتحجب اللب واذا نظرت في كلام أحد من الناس ممن قد شهر بعلم فلا تنظر بازدراء كمن يستغني عنه في الظاهر وله اليه كثير حاجة في الباطن ولا يقف به حيث وقف به كلامه فالمعاني أوسع من العبارات والصدور أفسح من الكتب المؤلفات وكثير علم مما لم يعبر عنه وطمح بنظر قلبك في كلامه الى غاية ما يحتمل فذلك لمعرفتك قدره ويفتح باب

المقاطع

المقاطع وخلط مبادى التعليم وذكر ألفاظ مصطلح عليها فى تلك الصناعة وألفاظ يونانية لم يخرجها الناقل من اللغة كالثوروس فهذه كلها معوّقة عن العلم وقد يستراح المتعلم من تكلفها عند قراءته على المعلم واذا كان الامر على هذه الصورة فالقراءة على العلماء أجدى وأفضل من قراءة الانسان لنفسه وهو ماأردنا بيانه قال وانا آتيك ببيان شائع أظنه مصدقا لما عندك وهو ماقاله المفسدون فى الاعتياض عن السالبة البسيطة بالموجبة المعدولة فانهم مجمعون على ان هذا الفصل لولم يسمعه من ارسطو تلميذاه نامسطيوس وأوذيموس لمافهم قط اه كلام ابن بطلان قال الصفدى ولهذا قال العلماء لاتأخذ العلم من صحفى ولا من مصحفى يعنى لاتقرأ القرآن على من قرأ من المصحف ولا الحديث وغيره على من أخذ ذلك من الصحف وحسبك بماجرى لحماد لماقرأ فى الصحف وماصحفه وقد وقع لابن حزم وابن الجوزى أوهام وتصحيف معروفة عند أهلها فناهيك بهذين الاثنين وهذا الرئيس أبو على بن سينا وهو لما استبد بنفسه فى الادوية المفردة اتكالا على ذهنه لماسلم من سوء الفهم لم يسلم من التصحيف وهو أثبت ابنطافلن وهو بتقديم الباء على النون ومعناه ذوخمس أوراق فى حرف النون اه وهو كلام حسن ينبغى الاهتمام بمعرفته (الكلام فى فضل العلم شواهده من القرآن قوله عز وجل شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط) يحتمل ان يراد بذلك الاعلام أى أعلم الله وان يراد البيان اى بين وان يراد الحكم اى حكم بذلك وقال بعضهم ان شهد هنا قد استعمل فى معان مختلفة فاما ان يكون من باب الاشتراك أو الحقيقة والمجاز وكلاهما مقول به والاستدلال على ذلك فى غير هذا فشهادة الله بذلك اعلامه وبيانه وحكمه وشهادة الملائكة ومن معهم اقرارهم بذلك وقد بينها بعضهم بعبارة أخرى فقال شهادة الله بوحدانيته هى ايجاد مايدل على وحدانيته فى العالم وفى نفوسنا قال بعض الحكماء ان الله تعالى ماشهد لنفسه كان شهادته ان نطق خلقه بالشهادة له وأما شهادة الملائكة بذلك فهى اظهارهم افعالا يؤمرون بها وأما شهادة أولى العلم فهى اطلاعهم على تلك الحكم واقرارهم بذلك وانما خص أولى العلم لانهم هم المعتبرون وشهادتهم هى المعتبرة وأما الجهال فبعدون عنها وعلى ذلك نبه بقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وهؤلاء هم المعنيون بقوله والصديقين والشهداء والصالحين (فانظر كيف بدأ سبحانه بنفسه) فقال شهد الله (وثنى بالملائكة) أى ذكرهم ثانيا (وثلث بأهل العلم) فقال وأولو العلم (وناهيك بهذا شرفا واجلالا ونبلا) أى لكفايته كانه ينهاك عن طلب غيره استشهدهم على أجل مشهود عليه وهو توحيده قال ابن القيم وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه أحدها استشهادهم دون غيرهم من البشر والثانى اقتران شهادتهم بشهادته والثالث اقترانها بشهادة ملائكته والرابع ان هذا من تزكيتهم وتعديلهم فان الله لايستشهد من خلقه الا العدول والخامس انه وصفهم بكونهم أولى العلم وهذا يدل على اختصاصهم به وانهم أهله وأصحابه ليس بمستعار لهم والسادس انه سبحانه استشهد بنفسه وهو أجل شاهد ثم بخيار خلقه وهم الملائكة والعلماء من عباده ويكفى بهذا فضلا وشرفا والسابع انه استشهد بهم على أجل مشهود به وأعظمه وهو شهادة أن لا اله الا هو والعظيم القدر انما يستشهد على الامر العظيم أكابر الخلق وساداتهم والثامن انه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين فهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهينه الدالة على توحيده والتاسع انه سبحانه أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة من ملائكته ومنهم ولم يعطف شهادتهم بفعل آخر غير شهادته وهذا يدل على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته فكانه سبحانه شهد على نفسه بالتوحيد على ألسنتهم وأنطقهم بهذه الشهادة فكان هو الشاهد بها لنفسه اقامة وانطاقا وتعليما وهم الشاهدون بها له اقرارا واعترافا وتصديقا وايمانا والعاشر انه سبحانه جعلهم مؤدين لحقه عند عباده بهذه الشهادة فاذا أدوها فقد أدوا الحق المشهود به فثبت الحق المشهود به فوجب على الخلق الاقرار به وكان فى ذلك

قصده ولا يقطع له بصحة ولا يحكم عليه بفساد ولكن تحسين النظر أغلب عليك فيه حتى يزول الاشكال عنك بما يتيقن من معانيه واذا رأيت له حسنة وسيئة فانشر الحسنة واطلب المعاذير للسيئة ولا تكن كالذبابة تنزل على أقذر ماتجده ولا تعجل على أحد بالتخطئة ولا تبادر بالتجهيل فربما عاد عليك ذلك وأنت لاتشعر فما كل عالم عورة وله فى بعض مايأتى به احتجاج وناهيك ماجرى بين ولى الله تعالى الخضر وكليمه موسى على نبينا وعليهما السلام واذا عرض لك من كلام عالم اشكال يؤذن فى الظاهر بمحال أو اختلال فخذ ماظهر لك علمه ودع مااعتاص عليك فهمه وكل العلم فيه الى الله عز وجل فهذه وصيتى لك فاحفظها وتذكيرى اياك فلاتذهل عنه

اسمع وصيتى ان تحفظ حظيت بها

(فضيلة العلم)

شواهدها من القرآن قوله عز وجل شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث باهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا واجلالا ونبلا

غاية سعادتهم فى معاشهم ومعادهم وكل من ناله هدى بشهادتهم وأقر بهذا الحق بسبب شهادتهم ٧ وأقر لهذا فلهم الاجر مثل أجره وهذا فضل عظيم لايدرك قدره الاالله وكذلك كل من شهد بها عن شهادتهم فلهم من الاجر مثل أجره أيضا فهذه عشرة أوجه فى هذه الآية ولحظ الى ذلك الشيخ الاكبر قدس سره فقال

سائلى عن عقيدتى احسن الله ظنه * علم الله انها شهد الله انه

(وقال الله تعالى) يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) والله بما تعملون خبير تنبيه على تفاوت منازل العلوم وتفاوت أربابها ورفعة درجات أهل العلم والايمان وقد أخبر الله سبحانه فى كتابه برفعة الدرجات فى أربعة مواضع أحدها هذا والثانى قوله تعالى أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم والثالث قوله درجات منه ومغفرة ورحمة والرابع قوله فاولئك لهم الدرجات العلى فهذه أربعة مواضع فى ثلاثة منها الرفعة بالدرجات لاهل الايمان الذى هو العلم النافع والعمل الصالح والرابع الرفعة بالجهاد فعادت رفعة الدرجات كلها الى العلم والجهاد اللذين بهما قوام الدين (قال) عبد الله (بن عباس رضى الله عنهما) فى تفسير هذه الآية (للعلماء درجات فوق درجات المؤمنين بسبعمائة درجة) ولفظ القوت وقال ابن عباس فى قوله تعالى يرفع الله الذين الآية قال درجات العلماء فوق درجات الذين امنوا بسبعمائة درجة (مابين الدرجتين خمسمائة عام) اه والدرجة هى نحو المنزلة لكن يقال للمنزلة درجة اذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على البسيطة كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة وهى المراد هنا وروى للانبياء على العلماء فضل درجة وللعلماء على الشهداء فضل درجتين (وقال تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون) قال البيضاوى نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيها باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه أى كما لايستوى العالمون والجاهلون لايستوى القانتون والعاصون اه قال الشهاب فى حاشيته قوله وقيل تقرير للاول عطف على ماقبله بحسب المعنى اذ التقدير والذين يعلمون والذين لايعلمون هم القانتون وغيرهم فيتحدان بحسب المعنى أو المراد بالثانى غير الاول وانما ذكر على طريق التشبيه كانه قيل لايستوى القانت وغيره كما لايستوى العالم والجاهل فيكون ذكره على سبيل التمثيل ففيه تأكيد من وجه آخر (وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء) ان الله عزيز غفور الخشية أشد الخوف وقيل خوف يشوبه تعظيم المخوف منه وأكثر مايكون ذلك من علم مايخشى منه ولذلك خص العلماء فى هذه الآية أى انما يخافه من عباده العلماء الذين علموا قدرته وسلطانه فمن كان أعلم كان أخشى لله وقال ابن عباس فى تفسير هذه الآية أى من علم سلطانه وقدرته وهم العلماء وقال الزمخشرى المراد العلماء الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده ومايجوز عليه ومالا يجوز عليه فعظموه وقدروه وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا

على قدر علم المرء يعظم خوفه * فلا عالم الامن الله خائف
وآمن مكر الله بالله جاهل * وخائف مكر الله بالله عارف

قال النعمانى فى شرح البخارى لان من يفعل مايريد من غير مبالاة يجب ان يخاف منه قال الله تعالى لايسئل عما يفعل وهم يسئلون اه وروى عن ابن مسعود رأس الحكمة مخافة الله أى لانها تمنع النفس عن المخالفات وعنه أيضا كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وورد أيضا انما أخشاكم لله وأتقاكم أنا وقرئ انما يخشى الله برفع الجلالة ونصب العلماء وهى قراءة عمر بن عبد العزيز وأبى حنيفة الامام ولاعبرة بقول الحلبى وفى حفظى عن بعض العلماء انه أبو حنيفة الدينورى صاحب كتاب النبات فان صاحب كتاب النبات ليست عنه قراءة مشهورة ولا غيرها ولم يشتهر بها ثم ان وجه هذه القراءة ان

الخشية

وان خالف فقد بردى بك الخلف وأزيدك زيادة تقتضى التعريف باصناف العلماء لكى يعرف أهل الحقيقة من غيرهم فلك فى ذلك أكبر منفعة ولى فى وصفهم أبلغ غرض قال علماؤنا العلماء ثلاثة حجة وحجاج ومحجوج فالحجة عالم بالله وبأمره وبآياته مهتما بالخشية لله سبحانه والورع فى الدين والزهد فى الدنيا والايثار لله عزوجل المستقيم والحجاج مدفوع الى اقامة الحجة واطفاء نار البدعة قد أخرس المتكلمين وأفحم المتخرصين برهانه ساطع وبيانه قاطع وحفظه ماينازع شواهده بينة ونجومه نيرة قد حمى صراط الله المستقيم والمحجوج عالم بالله وبامره وباياته ولكنه فقد الخشية لله برؤيته

وقال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات قال ابن عباس رضى الله عنهما للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة مابين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال عزوجل قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء

الخشية فيها تكون استعارة والمعنى انما يجلهم و يعظمهم ومن لوازم الخشية التعظيم فيكون هذا من قبيل الملزوم وارادة اللازم قال العيني وفي أيام اشتغالي على الامام العلامة شرف الدين أبي الروح عيسى السرماوي حضر رجل في الدرس فقال خشية الله مقصورة على العلماء بقضية الكلام وقد ذكر الله في آية أخرى ان الجنة لمن يخشى الله وهو قوله تعالى ذلك لمن خشي ربه فيلزم من ذلك ان لا تكون الجنة الا للعلماء خاصة فسكت جميع من حضر من المتعلمين فأجاب الشيخ ان المراد من العلماء الموحدون وان الجنة ليست الا للموحدين الذين يخشون الله تعالى وفي القوت قال المهدي لسفيان ابن الحسين لما دخل عليه وكان أحد العلماء أعالم أنت فسكت فأعاد عليه فسكت فقيل الا تجيب أمير المؤمنين فقال سألتني عن مسئلة لا جواب لها ان قلت لست بعالم وقد قرأت كتاب الله كنت كاذبا وان قلت انى عالم كنت جاهلا اذ روى أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في قول الله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء قال من لم يخش الله عز وجل فليس بعالم (وقال الله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم) أي لا يفوت علمه شيء قال البيضاوي كفى بمعنى أقام من الحجج على صحة نبوتك ٧ عن الاستشهاد بغيره وقال السمين في كفى قولان أحدهما اسم فعل والثاني وهو الصحيح انها فعل وفي فاعلها قولان أحدهما وهو الصحيح انه المجرور بالباء والباء زائدة وفي فاعل مضارعه نحو أولم يكف بربك باطراد وقال أبو البقاء زيدت لتدل على معنى الامر اذ التقدير اكتف بالله والثاني مضمر والتقدير كفى الاكتفاء و بالله على هذا في موضع نصب لانه مفعول به في المعنى وهذا رأي ابن السراج ورد هذا بان اعمال المصدر المحذوف لا يجوز عند البصريين الا ضرورة وقال الزجاج الباء دخلت مؤكدة للمعنى أي اكتفوا بالله في شهادته وقوله شهيدا في نصبه وجهان أحدهما وهو الصحيح انه تمييز يدل على ذلك صلاحية دخول من عليه والثاني انه حال وتمام هذا البحث في حاشية عبد القادر عمر البغدادي على شرح بانت سعاد لابن هشام (ومن عنده علم الكتاب) هو العلم الخاص الخفي على البشر الذي يرونه مالم يعرفوه منكرا بدليل مارآه موسى عليه السلام من الخضر لما تابعه فانكره بظاهر شريعته حتى عرفه (وقال تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب) وهو وزير سيدنا سليمان عليه السلام واسمه آصف بن برخيا بن اشموئل (انا آتيك به) أي بالعرش (تنبيها على انه اقتدر عليه) أي على اتيان العرش في طرفة عين (بقوة) ذلك (العلم) الذي بيناه (وقال الله تعالى وقال الذين أوتوا العلم) أتاهم الله العلم والحكمة (و يلكم ثواب الله خير لمن آمن) أي جزاؤه بالعمل الصالح في الآخرة خير من هذه الزخارف (بين) في هذه الآية (ان عظيم قدر الآخرة) وما فيها من الثواب والعقاب لا (يعلم) الا (بالعلم وقال تعالى وتلك الامثال) المضروبة (نضربها) نبينها (للناس وما يعقلها) أي تلك الامثال وحسنها وفائدتها (الا العالمون) بكسر اللام أي المتدبرون فأخبر الله تعالى عن أمثاله التي يضربها لعباده يدلهم على صحة ما أخبر به ان أهل العلم هم المنتفعون بها المختصون بعلمها وفي القرآن بضعة وأربعون مثلا وكان بعض السلف اذا مر بمثل لا يعرفه يبكي و يقول لست من العالمين (وقال تعالى ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم) هم العلماء بما أنزل على الانبياء (لعلمه الذين يستنبطونه) أي يستخرجونه (منهم) فانظر كيف (رد حكمه في الوقائع) والنوازل (الى استنباطهم) أي العلماء (وألحق رتبتهم برتبة الانبياء) عليهم السلام في ذكرهم بعد الرسول (في كشف حكم الله) عز وجل (وقيل في قوله تعالى يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري) يستر (سوآتكم يعني العلم) عبر به عنه بضرب من المجاز لانه يغطي عن قبيح الجهل وأصل اللباس ما يلبس و يستتر به وقد يعبر عنه أيضا بالعمل الصالح و بستر العورة وهذا بطريق التلميح فانه يدل على أن جل المقصد من اللباس انما هو ستر العورة وما زاد فتحسين وتزين الا ما كان لدفع حر أو برد (وريشا يعني اليقين) مستعار من ريش الطائر وقال

لنفسه وحجبه عن الورع والزهد في الدنيا الرغبة والحرص وبعده من كان علمه محبة العلو والشرف وخوف السقوط والفقر فهو عبد لعبيد الدنيا خادم لخدمها مفتون بعد علمه مغتر بعد معرفته مخذول بعد نصرته شأنه الاحتقار لنعم الله والازدراء لاوليائه والاستخفاف بالجهال من عباده ونفره بلقاء أميره وصلة سلطانه وطاعة القاضي والوزير والحاجب

وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به تنبيها على انه اقتدر بقوة العلم وقال عز وجل وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال تعالى ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقائع الى استنباطهم والحق رتبتهم برتبة الانبياء في كشف حكم الله وقيل في قوله تعالى يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم يعني العلم وريشا يعني اليقين

أبو المنذر القارى الريش الزينة وقال غيره هو الجمال (ولباس التقوى أى الحياء) نقله ابن القطاع أو الايمان نقله السدى (وقال تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة وقال تعالى فلنقصن عليهم بعلم وقال تعالى بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وقال تعالى خلق الانسان علمه البيان) سمى الكلام بيانا لانه يكشف المقصود وهو أعم من النطق لان النطق مختص باللسان وفى الكشاف البيان المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير (وانما ذكر ذلك فى معرض الامتنان) وتعداد ونعمه عليه وفى كتاب الله عز وجل آيات دالة على فضل العلم سوى التى ذكرها المصنف منها قوله تعالى و يرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق وقوله تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقوله تعالى فالذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق وقوله تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم الآية وقوله تعالى بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وقوله تعالى وقل رب زدنى علما وكفى بهذا شرفا للعلم اذ أمر نبيه ان يسأله المزيد منه وقوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فسر فضل الله بالايمان ورحمته بالقرآن هما العلم النافع والعمل الصالح وقوله تعالى وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقوله تعالى ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون وقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها الآية وفيها شرف العلم من وجوه كثيرة وقوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا قال ابن قتيبة الحكمة اصابة الحق والعمل به وقوله تعالى اقرأ باسم ربك الآية وغير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على فضل العلم وفى هذا القدر كفاية والله تعالى أعلم (الاخبار) جمع خبر وقد تقدم الفرق بينه وبين الاثر الاول (قال الرسول صلى الله عليه وسلم) كذا فى النسخ ونقل التاج السبكى عن بعض الشافعية كراهة ذلك وانما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه أدل على التعظيم (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين) متفق عليه من حديث معاوية قاله العراقى قلت وكذا أخرجه الامام أحمد من طريقه والترمذى وأحمد أيضا عن ابن عباس وابن ماجه عن أبى هريرة قال الحافظ ابن حجر وقد أخرجه أبو يعلى من حديث معاوية من وجه آخر ضعيف وزاد فى آخره ومن لم يفقهه فى الدين لم يبال الله به قال العراقى وأما قوله ويلهمه رشده فعند الطبرانى فى الكبير اه قلت ورواه مع هذه الزيادة أيضا أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود وسنده حسن وفى الصحيحين ومسند أحمد بعد قوله فى الدين زيادة انما أنا قاسم والله يعطى ولن تزال هذه الامة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله عز وجل قال بعض الشراح ان لم نقل بعموم من فالامر واضح اذ هو فى قوة بعض من أريد له الخير وان قلنا بعمومها يصير المعنى كل من يراد به الخير وهو مشكل بمن مات قبل البلوغ مؤمنا ونحوه فانه قد أريد به الخير وليس بفقيه و يجاب بانه عام مخصوص كما هو أكثر العمومات أو المراد من يرد الله به خيرا خاصا على حذف الصفة اه قال شيخ مشايخنا أبو الحسن السندى فى حاشية البخارى الوجه حمل الخير على العظيم على ان التنكير للتعظيم فلا اشكال على انه يمكن حمل الخير على الاطلاق واعتبار تنزيل من لم يتفقه فى الدين منزلة العدم بنسبته الى الفقيه فى الدين فيكون الكلام مبنيا على المبالغة كان من لم يعط الفقه فى الدين ما أريد به الخير وماذكر من الوجوه لا يناسب المقصود ويمكن حمل من على المكلفين لان كلام الشارع غالبا يتعلق ببيان أحوالهم فلا يرد من مات قبل البلوغ أو أسلم ومات قبل مجىء وقت الصلاة مثلا أى قبل تقرر التكليف والله أعلم اه وقال القسطلانى قوله يفقهه أى يجعله فقيها فى الدين والفقه لغة الفهم والحمل عليه هنا أولى من الاصطلاحى ليعم فهم كل علم من علوم الدين ومن فى الحديث موصولة تضمنت معنى الشرط وخير نكرة فى سياق الشرط فتصير كالنكرة فى سياق النفى أى جميع الخيرات اه وفيه أمران الاول ماذكره فى أن من موصولة وانها تضمنت معنى الشرط وهو صريح فى انها عوملت معاملته فى الجزم بها وكلام المغنى صريح فى خلافه حيث قال من على أربعة أوجه شرطية

واستفهامية

له قد أهلك نفسه حين لم ينتفع بعلمه والاتباع له ومن يكون بعده قدوة به ومراده من الدنيا مثله فى مثل هذا ضرب الله المثل حين قال واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فويل لمن يحب مثل هذا فى دنياه وويل لمن تبعه فى دينه وهذا هو الذى أكل بدينه غير منصف لله سبحانه فى نفسه ولا ناصح له فى عباده تراه ان أعطى من الدنيا رضى بالمدحة لمن أعطاه وان منع رش بالذم لمن منعه وقد نسى من قسم

ولباس التقوى يعنى الحياء وقال عز وجل ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وقال تعالى فلنقصن عليهم بعلم وقال عز وجل بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وقال تعالى خلق الانسان علمه البيان وانما ذكر ذلك فى معرض الامتنان (الاخبار) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده

واستفهامية وموصولة ونكرة موصوفة ثم قال تقول من يكرمني أكرمه فيحتمل من الاوجه الاربعة فان قدرتها شرطية جزمت الفعلين أو موصولة أو موصوفة رفعتهما أو استفهامية رفعت الاول وجزمت الثاني لانه جواب بغير الفاء اهـ والحديث يحتمل الموصول والموصوف والنكرة الموصوفة أيضا فتأمل والثاني ان النكرة في سياق النفي أو الشرط لا تعم بهذا الوجه أي بان يراد بها جميع الافراد مرة واحدة وانما تعم بمعنى من يرد الله به خيرا أي خير كان كما يقال جاءني رجل أو أحد من الرجال وأيضا من يرد الله به جميع الخيرات يفقهه في الدين يفيد ان حيازة جميع الخيرات لا تتم بلا فقه في الدين فانه أمر ظاهر ولا يفيد ان الفقه في الدين لبيان كيفية اعطاء جميع الخيرات الذي يتضمنه الشرط والجزاء قد يقصد به ذلك فتأمل قال ابن القيم وهذا اذا أريد بالفقه العلم المستلزم للعمل وأما ان أريد به مجرد العلم فلا يدل على ان من فقه في الدين أراد به خيرا فان الفقه حينئذ يكون شرطا لارادة الخير وعلى الاول يكون موجبا الثاني (وقال عليه السلام العلماء ورثة الانبياء) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي الدرداء قاله العراقي وقال السخاوي في المقاصد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وآخرون عن أبي الدرداء به مرفوعا بزيادة ان العلماء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما وحسنه حمزة الكناني وضعفه غيرهم بالاضطراب في سنده لكن له شواهد يتقوى بها ولذا قال شيخنا له طرق يعرف بها ان للحديث أصلا اهـ ثم قال السخاوي ولفظ الترجمة عند الديلمي من حديث محمد بن مطرف عن شريك عن أبي اسحق عن البراء بن عازب بزيادة يحبهم أهل السماء ويستغفر لهم الحيتان في البحر اذا ماتوا وكذا ورد لفظ الترجمة بلا سند عن أنس بزيادة وانما العالم من عمل بعلمه اهـ قلت ومثل زيادة الديلمي عن البراء أورده ابن النجار في تاريخه عن أنس وقال البدر الزركشي في اللآلئ المنثورة هو بعض حديث أخرجه أصحاب السنن وأحمد في مسنده والطبراني في معجمه وابن حبان في صحيحه اهـ وفي كتاب الضعفاء للدارقطني من حديث جابر بن عبد الله رفعه أكرموا العلماء فانهم ورثة الانبياء قال فيه الضحاك بن ضمرة ولا يجوز الاحتجاج به وقد روى العلماء ورثة الانبياء بأسانيد صحيحة رواه أبو عمر من حديث الوليد بن مسلم عن خالد بن يزيد عن عثمان بن أيمن عن أبي الدرداء اهـ وأخرج الخطيب في تاريخه من حديث نافع عن ابن عمر رفعه حملة العلم في الدنيا خلفاء الانبياء وفي الآخرة من الشهداء قال حديث منكر لم نكتبه الا بهذا السند وهو غير ثابت وانما سمي العلماء ورثة الانبياء لقوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية اهـ قال الحافظ في الفتح أورده البخاري في صحيحه ولم يفصح بكونه حديثا فلهذا لا يعد في تعاليقه لكن ايراده في الترجمة يشعر بان له أصلا وشاهده في القرآن قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الآية وله شواهد يتقوى بها ومثله للعيني وزاد للعلل التي ذكرناها يعني ما ذكره في أول حديث فضل التعليم وخالفهما الكرماني في شرحه فقال أورده البخاري تعليقا لانه ليس على شرطه فتأمل (ومعلوم انه لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة) الثالث (وقال عليه السلام يستغفر للعالم ما في السموات والارض وأي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له) قال العراقي هو بعض حديث أبي الدرداء المتقدم قلت هذه الزيادة بمعناها أيضا في حديث البراء بن عازب كما عند الديلمي وأنس بن مالك كما عند ابن النجار وقد سبق قريبا وسيأتي له بمعناها من حديث الترمذي عن أبي امامة في الحديث الثاني عشر وأخرج ابن عبد البر في العلم من طريق أنس وان طالب العلم يستغفر له كل شئ حتى الحيتان في البحر يعني ان العالم لما كان سببا في حصول العلم الذي به نجاة النفوس من أنواع المهلكات وكان سعيه مقصورا على هذا وكانت نجاة العباد على يديه جوزي من جنس عمله وجعل من في السموات والارض ساعيا في نجاته من أسباب الهلاك

الارزاق وقدر الاقدار وأجرى الاسباب وفرغ من الخلق كلهم فنعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الضلالة بعد الهدى وانما زدتك هذه الزيادة وان ظهر لكثير انها ليست الغرض الذي نحن فيه فقصدي ان يعلم من ذهب من الناس ومن بقي ومن أبصر الحقائق ومن عمي ومن اهتدى على الصراط المستقيم ومن غوى فليعلم ان الصنفين الاولين من العلماء قد ذهبوا وان كان بقي منهم أحد فهو غير محسوس الناس ولا مدرك بالملاحظة شعر

غاب الذين اذا ما حدثوا صدقوا
وظنهم كيقين ان هم حدسوا

وذلك لما سبق في القضاء من ظهور الفساد وعدم أهل الصلاح والرشاد نعم

وقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال صلى الله عليه وسلم يستغفر للعالم ما في السموات والارض وأي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له

وعدم الصنف الثالث على غربة وأعز شئ على وجه الارض وفى الغالب ما يقع عليه فى الحقيقة اسم علم عند شخص مشهور به وانما الموجود اليوم أهل سخافة ودعوى وحماقة واجتراء وعجب بغير فضيلة ورياء يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا وهم أكثر من عمر الارض وصير وا أنفسهم أوتاد البلاد وارسان العوام وهم خلفاء ابليس وأعداء الحقائق وأخدان لعوائد السوء وعنهم يردعتب الحكم الشائعة وانتقاض أهل الارادة والدين شعر

مثل البهائم جهال بخالقهم لهم تصاوير لم يعرف لهن بحا
كل يروم على مقدار حيلته زوائر الاسد والنباحة اللهثا

فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أيمانهم

وقال صلى الله عليه وسلم ان الحكمة تزيد الشريف شرفا و ترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك وقد نبه بهذا على ثمرته فى الدنيا ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يكونان فى منافق حسن سمت وفقه فى الدين ولا تشككن فى الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فانه ما أراد به الفقه الذى ظننته

باستغفارهم وقوله من فى السموات والارض عام فى الحيوانات ناطقها وبهيمها طيرها وغيره الرابع (وقال عليه السلام ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك وقد نبه بهذا على ثمرته فى الدنيا ومعلوم ان الآخرة خير وأبقى) قال العراقى رواه أبو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى بيان العلم وعبد الغنى الازدى فى أدب المحدث من حديث أنس باسناد ضعيف اهـ قلت أورده الجلال فى ذيله وعزاه فيه الى أبى نعيم وفى الصغير اليه والى ابن عدى وكلاهما من طريق أنس بلفظ الحكمة تزيد الشريف شرفا والباقى سواء قال المناوى هو من حديث عمر بن حمزة عن صالح عن الحسن عن أنس وقال أبو نعيم غريب تفرد به عن صالح وقال العسكرى ليس هذا من المرفوع بل من كلام الحسن وأنس اهـ وأخرج الدينورى فى المجالسة قال حدثنا عبد الرحمن بن فراس حدثنا محمد بن الحرث المروزى حدثنا العلاء بن عمرو الحنفى حدثنا ابن أبى زائدة عن أبى خلدة عن أبى العالية قال كنت آتى ابن عباس وقريش حوله فيأخذ بيدى فيجلسنى معه على السرير فتغامزت فى قريش ففطن لهم ابن عباس فقال هكذا العلم يزيد الشريف شرفا و يجلس المملوك على الاسرة اهـ وهذا عطاء ابن أبى رباح أحد الموالى لما دخل على هشام بن عبد الملك كان عليه قميص دنس وجبة دنسة وقلنسوة لاطية دنسة على حمار اكافه خشب فلما رآه قال مرحبا مرحبا ههنا ههنا فرفعه حتى مست ركبته ركبته وعنده أشراف الناس يتحدثون فسكتوا وقال ابراهيم الحربى كان عطاء عبدا أسود كان أنفه باقلات قال وجاء سليمان بن عبد الملك اليه هو وابناه فجلسوا اليه وهو يصلى فلما صلى انفتل عليهم فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه اليهم ثم قال سليمان لابنيه قوما فقاما فقال يابنى لا تنيا فى طلب العلم فانى لا أنسى ذلنا بين يدى هذا العبد الاسود وقال أبو العالية كنت آتى ابن عباس وهو على سريره وحوله قريش فيأخذ بيدى فيجلسنى معه على السرير فتغامز فى قريش ففطن لهم ابن عباس فقال كذا هذا العلم يزيد الشريف شرفا و يجلس المملوك على الاسرة وكان محمد بن عبد الرحمن الاوقص عنقه داخل فى بدنه وكان منكباه خارجين كأنهما زجان فقالت أمه يابنى لا تكون فى مجلس الا كنت المضحوك المسخور به فعليك بطلب العلم فانه يرفعك فولى قضاء مكة عشرين سنة وكان الخصم اذا جلس بين يديه يرعد حتى يقوم الخامس (وقال عليه السلام خصلتان لا يكونان) وفى رواية لا يجتمعان (فى منافق حسن سمت) قال ابن الاثير أى حسن الهيئة والمنظر فى الدين وفى الفائق حسن السمت أخذ النهج ولزوم المحجة ثم قيل لكل طريقة ينتحيها الانسان فى تحرى الخير والتزيى فى زى الخير سمت (وفقه فى دين) وفى بعض الروايات فى الدين وفى أخرى ولا فقه فى الدين قال السيوطى حسن عطفه على ماقبله وهو مثبت لانه فى سياق النفى قال التوربشتى حقيقة الفقه فى الدين ما وقع فى القلب ثم ظهر على اللسان فأفاد العلم وأورث التقوى والخشية وأما ما يتدارسه المغرورون فانه بمعزل عن ذلك واليه أشار المصنف بقوله (ولا تشكن فى) هذا (الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان) من علماء الدنيا فانهم يبطنون من الحب والميل للدنيا والرياسة والجاه خلاف ما يظهرون من الزهد وشعار الورع (فانه ما أراد الفقه الذى ظننته) بل ماذكرناه قال ابن القيم وهذه شهادة بان من اجتمع فيه حسن السمت والفقه فى الدين من أخص علامات الايمان ولن يجمعهما الله فى منافق فان النفاق ينافيهما و ينافيانه وقال السيوطى ليس المراد ان واحدة منهما قد تحصل فى المنافق دون الاخرى بل هو تحريض للمؤمن على اتصافه بهما معا والاجتناب عن ضدهما فان المنافق من يكون عاريا عنهما وهذا من باب التغليظ اهـ قال العراقى أخرجه الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حديث غريب اهـ قلت قال الترمذى حدثنا أبو كريب حدثنا خلف بن أيوب عن عوف عن ابن سيرين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكره ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عوف الا

من

من هذا الشيخ خلف بن أيوب العامرى ولم أر أحدا روى عنه غير أبى كريب محمد بن العلاء ولا أدرى كيف هو اه ولذلك قال غير واحد ان اسناده ضعيف وأخرجه ابن المبارك فى الزهد من رواية محمد بن حمزة ابن عبد الله بن سلام مرسلا ولفظه لا يكونان كما فى سياق المصنف (وسيأتى بيان معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن تكون الآخرة عنده خيرا من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت تبرأ بها من النفاق والرياء) السادس (وقال عليه السلام الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم) أخرجه الحاكم فى تاريخ نيسابور عن أبى الدرداء باسناد ضعيف قاله العراقى قلت هو فى كتاب القوت لابى طالب عن وهب بن منبه قال وقد أسنده حمزة الخراسانى عن الثورى فرفعه الى عبيد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال وقد رويناه أيضا مسندا اه وأورده الراغب فى الذريعة من غير اسناد وكذا عبد الرحمن بن عبد السلام الصفورى فى كتابه نزهة المجالس عن وهب هكذا الا انه ذكر بدل الجملة الثالثة ورأس ماله الفقه قلت وحمزة الخراسانى الذى روى عن الثورى ان كان هو حمزة بن بهرام فقد قال الذهبى فى ذيل الديوان انه مجهول لا يعرف ثم رأيت الشهاب الابوصيرى أورد فى كتابه اتحاف المهرة عن مسدد فى مسنده حدثنا يحيى عن سفيان حدثنا عبد العزيز بن ربيع سمعت وهب بن منبه يقول الايمان عريان ولباسه التقوى السابع (وقال عليه السلام أفضل الناس المؤمن العالم الذى ان احتيج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه) أخرجه البيهقى فى شعب الايمان موقوفا على أبى الدرداء باسناد ضعيف ولم أره مرفوعا قاله العراقى وفى القوت انما العالم عندهم الغنى بعلمه لا بعلم غيره وكان الفقيه فيهم هو الفقيه بفقه علم وقلبه لا يحدث سواه كما جاء فى الاثر أى الناس أغنى قال العالم الغنى بعلمه ان احتيج اليه نفع والا اكتفى عن الناس بعلمه لان كل عالم بعلم غيره فانما صار عالما بمجموعه فمجموعه هم العلماء وكل فاضل بوصف سواه فموصوفه هم الفضلاء فاذا تركهم وانفرد سكت فلم يرجع الى علم لنفسه يختص به فصار فى الحقيقة موصوفا بالجهل واصفا الطريق أهل الفضل موسوما بعلم السمع والنقل ولا حال له ولا مقام اه وفى معناه ما أخرجه الخطيب فى تاريخه عن عبد الله بن عمر وأفضل المؤمنين ايمانا الذى اذا سئل أعطى واذا لم يعط استغنى وسنده ضعيف أيضا وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية محمد بن قدامة قال وسمعت سفيان بن عيينة يقول قال لقمان خير الناس الحيى العيى قيل العيى من المال قال ٧ الذى اذا احتيج اليه نفع واذا استغنى عنه قنع قيل فمن شر الناس قال من لا يبالى أن يراه الناس مسيئا الثامن (وقال عليه السلام أقرب الناس من درجة النبوّة أهل العلم وأهل الجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل) أخرجه أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس باسناد ضعيف قاله العراقى وأورده صاحب القوت فقال وقد روينا عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل رفعه فذكره ويروى ان أقرب الناس ثم قال ألا تراه كيف جعل العلم دالا على الله تعالى كالجهاد أخرجه ابن القيم هكذا فجعله من قول اسحق ابن عبد الله بن أبى فروة التاسع (وقال عليه السلام لموت قبيلة أيسر من موت عالم) أخرجه الطبرانى وابن عبد البر من حديث أبى الدرداء وأصل الحديث عند أبى داود قاله العراقى قلت الذى رواه الطبرانى عن أبى الدرداء ورفعه موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد وموت قبيلة أيسر من موت عالم وهو نجم طمس أورده السخاوى فى المقاصد وله شواهد منها ما أورده الزبير بن بكار فى الوقفيات عن محمد بن سلام الجمحى عن على بن أبى طالب من قوله اذا مات العالم أثلم فى الاسلام ثلمة لا يسدها شئ الى يوم القيامة وهو معضل وأخرج أبو بكر بن لال فى فوائده من حديث جابر مرفوعا موت العالم ثلمة فى الاسلام لا تسد ما اختلف الليل والنهار وأخرج الديلمى عن ابن عمر ما قبض الله عالما الا كان ثغرة فى الاسلام لا تسد والبيهقى من حديث معروف بن خربوذ عن أبى جعفر انه قال موت عالم أحب الى ابليس من

جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون

شعر

ولولا النفاق فان قلت اصدقوا كذبوا
من السفاه وان قلت اكذبوا صدقوا

(ولنأخذ) فى جواب ما سألت عنه على نحو ما رغبت فيه واستوهب الله نفوذ البصيرة وحسن السريرة وغفران الجريمة

وسيأتى معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت عليه برأ بها من النفاق والرياء وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الناس المؤمن العالم الذى ان احتيج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه وقال صلى الله عليه وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقال صلى الله عليه وسلم أقرب الناس من درجة النبوّة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل وقال صلى الله عليه وسلم لموت قبيلة أيسر من موت عالم

٧ هنا بياض بالاصل

وهو ربي ورب كل شيء واليه المصير (ابتداء الاجوبة عن مراسم الاسئلة) جرى الرسم في الاحياء بتقسيم التوحيد على أربع مراتب تشبيها لموافقة الغرض في التمثيل به وذكرت أن المعترض وسوس أو بالخواطر هجس بان لفظ التوحيد ينافي التقسيم اذ لايخلو اما أن يتعلق بوصف الواحد الذي ليس بزائد عليه فذلك لا ينقسم لا بالجنس ولا بالفصل ولا بغير ذلك واما أن يتعلق بوصف المكلفين الذين توجب لهم حكمة اذا وجد فيهم فذلك أيضا لا ينقسم من حيث انتسابهم اليه بالعقل وذلك لضيق المجال

وقال عليه الصلاة والسلام الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وقال صلى الله عليه وسلم يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء وقال صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من حمل من أمتي أربعين حديثا لقي الله عز وجل يوم القيامة فقيها عالما

موت سبعين عابدا وأخرج الحاكم من حديث عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى ننقصها من أطرافها قال بموت علمائها وفقهائها اهـ قلت وأخرج أبو يعلى في مسنده من طريق عثمان بن أعين عن أبي الدرداء بمثل ماقدمناه عن الطبراني وفيه زيادة ولكن في الاسناد رجل لم يسم العاشر (وقال عليه السلام الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا) متفق عليه من حديث أبي هريرة قاله العراقي قلت زاد مسلم والارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وأخرجه العسكري من حديث قيس بن الربيع عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه الناس معادن كمعادن الذهب والفضة قال السخاوي في المقاصد ولابي هريرة في المرفوع حديث آخر لفظه الناس معادن في الخير والشر خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا أخرجه الطيالسي وابن منيع والحرث بن أبي أسامة وغيرهم كالبيهقي من حديث ابن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة وأصله في الصحيح والديلمي عن ابن عباس مرفوعا الناس معادن والعرق دساس اهـ وأخرجه البيهقي أيضا عن ابن عباس وفيه وأدب السوء كعرق السوء وفقهوا بكسر القاف و بضمها يقال فقه كعلم زنة ومعنى وككرم صار فقيها وسيأتي الزيادة لبيانه في أول الباب السادس الحادي عشر (وقال عليه السلام يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء) أخرجه ابن عبد البر من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف قاله العراقي قلت وأخرجه الشيرازي في الالقاب من طريق أنس بزيادة فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء وأخرجه الذهبي في فضل العلم عن عمران بن حصين وابن الجوزي في العلل عن النعمان بن بشير والديلمي عن ابن عمر قال ابن الجوزي حديث لا يصح وهرون بن عنتر أحد رجاله قال ابن حبان لايجوز الاحتجاج به يروي المناكير ويعقوب القمي ضعيف وفي الميزان متنه موضوع وهذا الحديث مما احتج به على فضل العالم على الشهيد وقال ابن الزملكاني والانصاف ان ما ورد للشهيد من الخصائص وصح فيه من رفع العذاب وغفران النقائص لم يرد مثله للعالم لمجرد علمه ولا يمكن أحدا أن يقطع به في حكمه وقد يكون لمن هو أعلى درجة ماهو أفضل من ذلك وينبغي أن يتعين حال العالم وثمرة علمه ومازاد عليه وحال الشهيد وثمرة شهادته وماأحدث عليه فيقع التفضيل بحسب الاعمال والفوائد فكم من شاهد أوعالم هون أهوالا وفرج شدائد وعلى هذا فيتجه أن الشهيد الواحد أفضل من جماعة من العلماء والعالم الواحد أفضل من كثير من الشهداء كل بحسب حاله وما ترتب على علومه وأعماله وسيأتي الكلام على هذا الحديث قريبا الثاني عشر (وقال عليه السلام من حفظ على أمتي أربعين حديثا حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة) أخرجه ابن عبد البر في العلم من حديث ابن عمر وضعفه قاله العراقي قلت وأخرج ابن النجار في تاريخه عن أبي سعيد الخدري من حفظ على أمتي أربعين حديثا من سنتي أدخلته يوم القيامة في شفاعتي وهو شاهد قوي لحديث ابن عمر الا ان اسناده ضعيف كذلك والمراد بالحفظ النقل اليهم بطريق التخريج والاسناد صحاحا كن اوحسانا قيل أوضعافا يعمل بها في فضائل الاعمال وخص الاربعين لانها أقل عدد له ربع عشر صحيح وحفظ الحديث مطلقا فرض كفاية نقله المناوي وأخرج ابن عدي في الكامل عن ابن عباس من حفظ على أمتي أربعين حديثا من السنة كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وهو أيضا شاهد لما في الباب وسنده ضعيف كذلك الثالث عشر (وقال عليه السلام من حمل من أمتي أربعين حديثا لقي الله يوم القيامة فقيها عالما) أخرجه ابن عبد البر من رواية بقية عن المعلى عن السدي عن أنس وضعفه قاله العراقي قلت وأخرجه ابن عدي في الكامل من هذا الطريق أيضا وقال السخاوي في المقاصد أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود وابن عباس من حفظ على أمتي أربعين حديثا بعث يوم القيامة فقيها قال وفي الباب عن أنس ومعاذ وأبي هريرة وآخرين أخرجها ابن الجوزي في العلل

المتناهية

المتناهية قال النووى طرقه كلها ضعيفة وليس بثابت وكذا قال شيخنا جمعت طرقه فى جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة قال البيهقى فى الشعب عقيب حديث أبى الدرداء منها هذا متن مشهور بين الناس وليس له اسناد صحيح اه وقرأت فى كتاب الاربعين البلدانية للحافظ أبى طاهر السلفى ما نصه فان نفرا من العلماء لما رأوا ورووا قول أطهر منسل وأظهر مرسل من حفظ على أمتى أربعين حديثا بعثه الله يوم القيامة فقيها من طرق وثقوا بها وعولوا عليها وعرفوا صحتها وركنوا اليها حتى خرج كل منهم لنفسه أربعين حديثا حتى قال اسمعيل بن عبد الغافر الفارسى اجتمع عندى من الاربعينيات ما ينيف على السبعين وقد استفتيت شيخنا الامام أبا الحسن على بن محمد بن على الطبرى المعروف بالكيا ببغداد سنة خمس وتسعين وأربعمائة أو قبلها أو بعدها بقليل لكلام جرى بين الفقهاء فى المدرسة النظامية التى هو مدرسها اقتضى الاستفتاء ويجد المستفتى فيه الشفاء ما يقول الامام وفقه الله تعالى فى رجل وصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء هل يدخل كتبة الحديث فى هذه الوصية أم لا فكتب بخطه تحت السؤال نعم كيف لا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتى أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما الحديث فقد أخبرنا أبو عبد الله الثقفى ثم ساق سنده من طريق أبى بكر الآجرى حدثنا محمد بن مخلد العطار حدثنا أبو محمد جعفر بن محمد الخندقى وكان له حفظ حدثنا محمد بن ابراهيم السائح حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبى رواد عن أبيه عن عطاء ابن أبى رباح عن ابن عباس عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتى أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فى زمرة الفقهاء والعلماء ثم ساق حديثا آخر من طريق ابن أبى الدنيا حدثنا الفضل بن غانم حدثنا عبد الملك بن هرون بن عنترة عن أبيه عن جده عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتى أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله فقيها وكنت له يوم القيامة شافعا وشهيدا قال هذا ما رواه معاذ وأبو الدرداء وقد رواه أبو هريرة بلفظ هو أرجى للراوى من هذا اللفظ وللحصول على الاجر قبل الحفظ ثم ساقه من طريق أبى صالح حدثنا اسحق بن نجيح حدثنا عطاء عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من روى عنى أربعين حديثا جاء يوم القيامة فى زمرة العلماء قال ومن أحسن ما ذكرنا وأغربه ما كتب الى أبو الفتيان الدهستانى الحافظ من خراسان ثم ساقه من طريق محمد بن أيوب الهنائى حدثنا حميد بن أبى حميد عن عبد الرحمن بن دلهم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتى حديثا واحدا كان له أجر أحد وسبعين نبيا صديقا قال أبو الفتيان كتب عندى هذا الحديث الحافظ أبو بكر البغدادى الخطيب بصور وقد روى هذا الحديث غير النسائى عن حميد فقال أجر اثنين وسبعين ثم ساقه من طريق محمد بن موسى حدثنا حميد ولفظه من حفظ على أمتى حديثا واحدا من أمر دينهم أعطاه الله عز وجل أجر اثنين وسبعين صديقا ثم ساق من طريق الثورى عن ليث عن طاوس عن ابن عباس رفعه من أدى الى أمتى حديثا واحدا يقيم به سنة أو يرد به بدعة فله الجنة انتهى كلام السلفى وهذا الحديث الاخير قد أخرجه أبو نعيم فى الحلية وفى سنده كذاب وقرأت فى آخر كتاب الاربعين المتباينة الاسناد للحافظ ابن حجر وقد ذكر كلام السلفى من أوله وساق الحديث من طريق أبى الدرداء الذى ذكرناه وقال هذا حديث مشهور وله طرق كثيرة وهو غريب من هذا الوجه تفرد به عبد الملك بن هرون أخرجه ابن حبان فى كتاب الضعفاء له من طريق عبد الملك هذا واتهمه به وقال لا يحل كتب حديثه الا للاعتبار وضعفه غيره وباقى رجاله ثقات ولم يخرج هذا المتن أحد من الائمة فى الامهات المشهورة لا المخرجة على الابواب ولا المرتبة على المسانيد الا ان أبا يعلى رواه فى مسنده عن عمرو بن الحصين العقيلى عن محمد بن عبد الله بن علاثة عن خصيف

فيه ولهذا لا يتصور فيه مذاهب وانما التوحيد مسلك حق بين مسلكين باطلين أحدهما الشرك والثانى الالباس وكلا الطرفين كفر والوسط ايمان محض وهو أحد من السيف وأضيق من خط الفتل ولهذا قال أكثر المتكلمين بتماثل ايمان جميع المؤمنين والملائكة والنبيين والمرسلين وسائر عموم المسلمين وانما تختلف طرق ايمانهم التى هى علومهم ومذهبهم فى ذلك معروف ونحن لا نلم فى هذه الاجابة كلها بشئ من أنحاء الجدال ومقابلة الاقوال بالاقوال بل نقصد ازالة غير الاشكال ورد ما طعن به أهل الضلال والاضلال (واعلم) أن التقسيم على الاطلاق يستعمل على انحاء يتوجه ههنا بشئ أقدح به المعترض أو هجس به الخاطر وانما المستعمل ههنا من انحائه ما تميز به بعض الاشخاص بما اختصت به من الاحوال وكل حالة منها تسمى توحيدا على جهة تنفرد بها لا يشاركها فيها غيرها فمن وجد التوحيد بلسانه يسمى لاجله موحدا ما دام يظن ان قلبه موافق للسانه وان علم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه ما شرع فى الحكم ومن

عن مجاهد عن أبي هريرة وخصيف وابن علاثة صدوقان ليس فيهما مقال والآفة فيه من عمرو بن
الحصين فقد كذبه أحمد وابن معين وغيرهما ورواه الحسن بن سفيان في أربعينه عن علي بن حجر عن
اسحق بن نجيح عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس به ورجاله ثقات الا اسحق فقد اتهمه بالوضع
ابن معين وابن أبي شيبة والفلاس وغيرهم ولكن تابعه عليه عن ابن جريج جماعة منهم حميد بن مدرك
وخالد بن يزيد العمري وأبو البختري وهب بن وهب القاضي وروى عن بقية بن الوليد ومعمر أيضا
فأما رواية حميد بن مدرك فأخرجها الحافظ أبو بكر بن الجوزي في أربعينه وحميد مجهول وأما رواية
خالد بن يزيد فرواها ابن عدي في الكامل في ترجمته وضعفه واتهمه جماعة وأما رواية أبي البختري
فرواها ابن عدي أيضا في الكامل في ترجمته بابدال ابن عباس بأبي هريرة وأبو البختري أجمعوا على
تكذيبه وأما رواية بقية بن الوليد فرواها مظفر بن الياس السعدي في أربعينه من طريقه وبقية
صدوق مشهور بالتدليس عن الضعفاء فان كان محفوظا عنه فكأنه سمعه من انسان ضعيف عن ابن
جريج فأسقط الضعيف ودلسه وأما رواية معمر فرويناها في الاربعين للامام أبي المعالي اسمعيل بن
الحسن الحسيني قال حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد الغزي المعروف بابن بشت عن عبد المؤمن بن
خلف النسفي الحافظ عن اسحق بن ابراهيم عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن جريج وابن بشت
تكلموا في صحة سماعه من عبد المؤمن بن خلف وذكر الحافظ أبو صالح المؤذن انه سقط اسم شيخه
الذي حدثه عن عبد المؤمن بن خلف على كاتب الطبقة قلت الذي عندي في هذا انه دخل عليه
اسناد في اسناد والا فمعمر غير معروف بالرواية عن ابن جريج وعبد الرزاق معروف بالرواية عنهما
جميعا وللحديث طرق غير هذه منها ما أخرجه الجوزي من طريق زيد بن الحريش عن عبد الله بن
خواش عن عمه العوام بن حوشب عن ابراهيم التيمي عن أنس بن مالك به وعبد الله بن خواش وزيد
ابن الحريش ذكرهما ابن حبان في كتاب الثقات وقال في كل منهما ربما أخطأ قلت أخطأ ابن حبان
في توثيق عبد الله بن خواش فقد اتفق الائمة على تضعيفه واتهمه بعضهم ومنها ما رواه أبو ذر الهروي
في كتاب الجامع له عن شافع بن محمد بن أبي عوانة عن يعقوب بن اسحق العسقلاني عن حميد بن
زنجويه عن يحيى بن عبد الله بن بكير عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال ابن عبد البر روى
هذا عن مالك فقد أخطأ عليه وأضاف ما ليس من روايته اليه قلت ليس في رواته من ينظر في حاله
الا يعقوب بن اسحق فقد ذكر مسلمة عن القاسم انه لقيه والناس يختلفون فيه فبعضهم يوثقه وبعضهم
يضعفه والظاهر أنه دخل عليه حديث في حديث ومنها ما أخرجه الحافظ أبو بكر الآجري في كتاب
الاربعين له عن محمد بن مخلد عن جعفر بن محمد الخندقي عن محمد بن ابراهيم السائح عن عبد المجيد بن
عبد العزيز بن أبي رواد عن أبيه عن عطاء عن ابن عباس عن معاذ بن جبل وليس في رواته من ينظر
في حاله الا السائح فانه غير معروف وعندي أن هذه الطريق أجود طرق هذا المتن مع ضعفها وروى
أيضا من طرق ضعيفة عن علي بن أبي طالب وسلمان وعبد الله بن عمرو بن العاصي وأبي سعيد
الخدري وأبي أمامة الباهلي وجابر بن سمرة وجابر بن عبد الله ونويرة ولا يصح منها شئ قال أبو علي سعيد
ابن السكن الحافظ ليس يروى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق يثبت وقال
الدارقطني لا يثبت من طرقه شئ وقال البيهقي أسانيده كلها ضعيفة وقال ابن عساكر أسانيده كلها
فيها مقال ليس للتصحيح فيها مجال وقال عبد القادر الرهاوي طرقه كلها ضعاف اذ لا يخلو طريق منها
أن يكون فيها مجهول التصرف أو معروف مضعف وقال الحافظان رشيد الله بن العطار وزكي الدين
المنذري نحو ذلك فاتفاق هؤلاء الائمة على تضعيفه أولى من اشارة السلفي الى صحته قال المنذري لعل
السلفي كان يرى أن مطلق الاحاديث الضعيفة اذا انضم بعضها الى بعض أحدث قوة قلت لكن تلك

وجد بقلبه على طريق
الركون اليه والميل الى
اعتقاده والسكون نحوه
بلا علم يصحبه فيه ولا برهان
يربط به يسمى أيضا موحدا
على معنى انه يعتقد التوحيد
كما يسمى من يعتقد مذهب
الشافعي شافعيا والحنبلي
حنبليا ومن رزق علم
التوحيد وما يتحقق به عنده
وسعى من أجله بشكوكه
العارضة له فيسمى موحدا
لانه عارف به كما يقال جدلي
ونحوي وفقيه ومعناه
يعرف الجدل والفقه
والنحو (واما) من استغرق
علم التوحيد قلبه واستولى
على جملته حتى لا يجد فيه
فضلا لغيره الا على طريق
التبعية له ويكون شهود
التوحيد لكل ما عداه
سابقا له مع الذكر والفكر
مصاحبا من غير ان يعتريه
ذهول عنه ولا نسيان له
لاجل اشتغاله بغيره كالعادة
في سائر العلوم فهذا يسمى
موحدا ويكون القصد
بالمسمى من ذلك المبالغة
فيه (فاما) الصنف الاول
وهم أرباب النطق المفرد
فلا يضربون في التوحيد
بسهم ولا يفوزون منه
بنصيب ولا يكون لهم شئ
من أحكام أهله في الحياة
الا ما دام الظن بهم ان
قلب أحدهم موافق للسانه
كما يفرد القول عليه بعد

القوة لا تخرج هذا الحديث من مرتبة الضعف فالضعف يتفاوت فاذا كثرت طرق حديث رجحت على حديث فرد فيكون الضعيف الذى ضعفه ناشئ عن سوء حفظ رواته اذا كثرت رواته ارتقى الى مرتبة الحسن والذى ضعفه ناشئ عن تهمة أو جهالة اذا كثرت طرقه ارتقى عن مرتبة المردود والمنكر الذى لا يجوز العمل به بحال الى رتبة الضعيف الذى يجوز العمل به فى فضائل الاعمال وعلى ذلك يحمل ماقاله الامام النووى فى خطبة كتاب الاربعين له وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الاعمال وقال بعد ان ذكر هذا الحديث اتفق الحفاظ على انه حديث ضعيف وان كثرت طرقه اه سياق الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وقوله قلت الذى عندى فى هذا انه دخل عليه اسناد فى اسناد والا فعمر غير معروف بالرواية الخ وهو كما قال فقد أخرجه على الصواب أبو اسمعيل الهروى الانصارى من طريق على بن الحسين حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أبى غالب عن أبى أمامة كما ستأتى الاشارة اليه وقوله الا السائح فانه غير معروف قلت فقد ذكره ابن قطلوبغا فى أمالى المسانيد فقال فيه قال ابن عدى عامة أحاديثه غير محفوظة وقال الدارقطنى كذاب وقال أبو نعيم روى موضوعات وقوله وروى أيضا من طرق ضعيفة عن على بن أبى طالب الخ قلت أما حديث على فقد أخرجه الامام أبو سعد اسمعيل بن أبى صالح الحافظ والامام أبو بكر البيهقى بسندهما الى أبى القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائى حدثنا أبى حدثنا على بن موسى الرضا عن آبائه عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتى أربعين حديثا ينتفعون بها بعثه الله يوم القيامة فقيها عالما قال البيهقى هذا الاسناد من على بن موسى الخ كالشمس غير ان هذا الطائى لم يثبت عند أهل العلم بالحديث فى عدالته مايوجب قبول خبره وقد يكون ثقة على حسن الظن والله أعلم قلت وقد رأيت فى تاريخ ابن النجار فى ترجمة على بن موسى ذكر أحمد بن عامر ابن سليمان الطائى فى جملة الرواة عنه وساق من طريق ولده أبى القاسم عبد الله بن أحمد عن أبيه هذا قصة وقد روى عن أبى القاسم هرون الضبى وأما حديث أبى أمامة فقد أخرجه أبو اسمعيل الهروى من طريق عبد الرزاق حدثنا معمر عن أبى غالب عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتى أربعين حديثا فيما ينوبهم وينفعهم فى أمر دينهم حشره الله فى يوم القيامة فقيها

الرابع عشر (وقال عليه السلام من تفقه فى دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب) أخرجه الخطيب فى التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزبيدى باسناد ضعيف قاله العراقى وقال الحافظ ابن حجر وفى مسند أبى حنيفة عن أبى حنيفة عن عبد الله بن جزء ولا يصح اه قلت أخرجه ابن خسرو فى مسنده من طرق الاولى فيها مكرم بن أحمد عن محمد بن سماعة عن بشر بن الوليد عن أبى يوسف عن أبى حنيفة والثانية فيها أحمد بن محمد بن الصلت عن محمد بن أبى شجاع عن أبى يوسف والثالثة فيها أحمد بن محمد الحمانى عن محمد بن سماعة وأخرجه ابن المقرى فى مسنده وابن عبد البر فى العلم من رواية أبى على عبيد الله بن جعفر الرازى عن أبيه عن محمد بن سماعة عن أبى يوسف وأخرجه الحاكم فى تاريخه من طريق اسمعيل بن محمد الضرير عن أحمد بن الصلت ثم اتفقوا على أبى يوسف قال سمعت أبا حنيفة يقول حججت مع أبى سنة ست وتسعين ولى ستة عشر سنة فلما دخلت المسجد الحرام رأيت حلقة عظيمة فقلت لابى حلقة من هذه قال حلقة عبد الله بن جزء الزبيدى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدمت فسمعته يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تفقه الحديث قال ابن قطلوبغا فى أماليه هكذا رأيت الطريق الاولى عند كل هؤلاء المصنفين وعندى هو انه مكرم عن أحمد بن محمد عن ابن سماعة وأحمد بن محمد هذا هو ابن الصلت ويعرف أيضا بالحمانى وبابن المغلس كذاب وقال ابن عدى ما رأيت فى الكذابين أقل حياء منه وقال ابن حبان والدارقطنى كان يضع

هذا ان شاء الله عز وجل (واما) الصنف الثانى وهم أرباب الاعتقاد الذين سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم أو الوارث أو المبلغ يخبر عن توحيد الله عز وجل او يأمر به ويلزم البشر قول لا اله الا الله المنبئ عنه فقبلوا ذلك واعتقدوه على الجملة من غير تفصيل ولا دليل فنسبوا الى التوحيد وكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم الذى هو منهم بمنزلة من كثر سواد قوم فهم منهم (وأما الصنف الثالث والرابع) فهم أرباب البصائر السليمة الذين نظروا بها الى انفسهم ثم الى سائر أنواع المخلوقات فتأملوها فرأوا على كل منها خطا منطبعا فيها ليس بعربى ولا سريانى ولا عبرانى ولا غير ذلك من أجناس الخطوط فبادر الى قراءته من لم يستعجم عليه وتعلمه منهم من استعجم عليه فاذا هو الخط الالهى المكتوب على صفحة كل مخلوق المنطبع فيه من مركب ومفرد وصفة وموصوف وحى وجماد وناطق وصامت ومتحرك وساكن ومظلم

وقال صلى الله عليه وسلم من تفقه فى دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهمه ورزقه من حيث لا يحتسب

الحديث ثم قال وأما المسند الذي ساقه ابن المقرى هكذا رأيته في أصل شيخنا من مسنده وبين جعفر ومحمد ابن سماعة أحمد بن الصلت جاء مصرحا في رواية الخطيب ثم نقل عن الذهبي في الميزان هذا كذاب فابن جزء مات بمصر ولأبي حنيفة ست سنين وقال الحافظ بن حجر في اللسان وقد وقع لنا هذا الحديث من وجه آخر ثم ساق سنده قال وهو باطل أيضا وأورده ابن الجوزي في الواهيات وابن النجار في تاريخه والسيوطي في موضوعاته ونقل الكلام في ابن الصلت الذي قدمناه قال ابن قطلوبغا وفي مناقب أبي حنيفة للصعابي ان ابن جزء مات سنة ثمان وتسعين على خلاف ماذكره ابن يونس قال وأخرج أبو العباس المرهبي في فضل العلم من حديث زياد الصدائي رفعه من طلب العلم تكفل الله برزقه قلت رويناه في الجزء الثاني من معجم أبي علي الحداد من طريق يونس بن عطاء عن سفيان الثوري عن أبيه عن زياد الصدائي وقال ابن خسرو بعد ذكر الحديث المتقدم وأنشد أبو حنيفة من قوله

من طلب العلم للمعاد * فاز بفضل من الرشاد * وبالخسران من أتاه * لنيل فضل من العباد

قلت وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن مسعود رفعه من جعل الهم هما واحدا هم آخرته كفاه الله عز وجل ماهمه من أمر دنياه وأخرجه الرافعي من طريق أبي يوسف عن أبي حنيفة نبه عليه السيوطي في الجامع الكبير وهو عادل شاهد لحديث ابن جزء والله أعلم * الخامس عشر (وقال صلى الله عليه وسلم أوحى الله الى نبيه ابراهيم يا ابراهيم اني عليم أحب كل عليم) ذكره ابن عبد البر تعليقا ولم أظفر له باسناد قاله العراقي قلت العالم والعليم في وصفه تعالى هو الذي لا يخفى عليه شيء الا أن في العليم مبالغة وبه فسر قوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم اذ فسر بعضهم ان المراد بالعليم هنا هو الله تعالى وان كان لفظه منكرا اذ الموصوف بالعليم في الحقيقة هو الله تعالى وهناك في الآية وجه آخر ذكره الراغب والسمين * السادس عشر (وقال عليه السلام العالم أمين الله في الارض) أخرجه ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف قاله العراقي قلت رواه من رواية عيسى بن ابراهيم الهاشمي حدثنا الحكم بن عبد الله حدثنا عبادة بن نسي عن عبد الرحمن ابن علم عن معاذ مرفوعا وعيسى بن ابراهيم منكر الحديث قاله البخاري والنسائي وأورده الجلال في جامعه هكذا والفارقي في شرح عين العلم أيضا ومن شواهده ما أخرجه القضاعي وابن عساكر عن أنس العلماء أمناء الله على خلقه وأخرج الحسن بن سفيان والعقيلي عن أنس أيضا العلماء أمناء الرسل مالم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا وأخرج الديلمي في مسند الفردوس عن عثمان بن عفان العلماء أمناء أمتي وأخرج العسكري عن علي الفقهاء أمناء الرسل مالم يدخلوا في الدنيا ويتبعوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم والامين في اللغة هو الثقة المرضي عند الله والناس * السابع عشر (وقال عليه السلام صنفان من أمتي اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس الامراء والفقهاء) أخرجه ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف قاله العراقي قلت روياه من رواية محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس ولفظ أبي نعيم في الحلية صنفان من الناس اذا صلحا صلح الناس واذا فسدا فسد الناس العلماء والامراء وأخرجه الديلمي أيضا في الفردوس عن ابن عباس بهذا اللفظ ومحمد بن زياد هذا كذبه الامام أحمد والفلاس وفي هذا المعنى قال ابن المبارك

وهل أفسد الدين الا الملوك * وأحبار سوء ورهبانها

الثامن عشر (وقال عليه السلام اذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علما يقربني الى الله عز وجل فلا بورك لي في ذلك اليوم) أخرجه الطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الحلية وابن عبد البر في العلم من رواية الحكم بن عبد الله عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عائشة بسند ضعيف قاله العراقي قلت وأخرجه أيضا ابن عدي في الكامل من هذا الوجه ولكن لفظهم كلهم فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم كذا نص الجلال في جامعه وقال العراقي الحكم بن عبد الله الديلي متروك كذاب وأورده ابن الجوزي في الموضوعات

ونبر وهو الذي يسمى تارة بعلامة وتارة بسمة وتارة بأثر القدرة وتارة بآية كما قال الشاعر ولا أدري عن سماع أورؤية قلب

وفي كل شيء له آية * تدل على انه واحد

خلو قرؤا ذلك الخط وجدوا تفسير ذلك المكتوب عليه وشرحه أبدية مالكه والتصرف فيه له بالقدرة على حكم الارادة بما سبق في ثابت العلم من غير مزيد ولا تقصير فتركوا الكتابة والمكتوب وترقوا الى معرفة الكاتب الذي أحدث الاشياء وكونها ولا يخرج عن ملكه شيء منها ولا استغنت بانفسها عن حوله وقوته ولا انتقلت الى الحرية عن رق استعباده

وقال صلى الله عليه وسلم أوحى الله عز وجل الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم اني عليم أحب كل عليم وقال صلى الله عليه وسلم العالم أمين الله سبحانه في الارض وقال صلى الله عليه وسلم صنفان من أمتي اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس الامراء والفقهاء وقال عليه السلام اذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علما يقربني الى الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم

وحكى عن الصورى قال هذا حديث منكر لا أصل له عن الزهرى ولا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعلم أحدا حدث به غير الحكم اه قال المناوى وهو معلول من طرقه كلها بل فيه موضوع قال وقوله علما أى طائفة من العلم والتنكير للتفخيم وقوله فلا بورك الخ دعاء أو خبر وذلك لانه كان دائم الترقى فى كل لحة فالعلم كالعدالة ومقصوده تبعيد نفسه من ذلك و بيان أن عدم الازدياد ما وقع قط ولا يقع أبدا لما ذكر قال بعض العارفين وأراد بالعلم هنا علم التوحيد لا الاحكام فان الاحكام زيادة تكاليف على الامة وقد بعث صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وقال بعضهم أراد بذلك أن العارف دائم التطلع الى مواهب الحق فلا يقنع بما هو فيه وقد يكون دائم الطلب قارعا باب النفحات راجيا حصول المزيد ومواهبه تعالى لا تحصى ولا نهاية لها وهى متعلقة بكلماته التى ينفد البحر دون نفادها وتنفد الرمال دون اعدادها اه قلت ويشهد لهذا الحديث ما أخرجه الديلمى فى الفردوس عن على مرفوعا بسند ضعيف من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان آخر يوميه شرا فهو ملعون ومن لم يكن على الزيادة فهو فى النقصان * التاسع عشر (وقال عليه الصلاة والسلام فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى) أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامة وقال حسن صحيح قاله العراقى قلت الذى عزاه الجلال فى جامعه للترمذى لفظه كفضلى على أدناكم ومثله للدارمى لكن عزاه كالترمذى أيضا لابى الدرداء وعند الجلال فى رواية الترمذى فى الاول زيادة ان الله عز وجل وملائكته وأهل السموات والارضين حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير ومن شواهده ما أخرجه الحرث بن أبى أسامة عن أبى سعيد الخدرى فضل العالم على العابد كفضلى على أمتى وهكذا أخرجه ابن عبد البر أيضا وفيه زيد العمى مختلف فيه ورواه أبو طاهر السلفى من رواية مسلمة بن رجاء حدثنا جميل الدمشقى عن القاسم عن أبى هريرة ولفظه كفضلى عليكم والمعروف رواية سلمة عن رجاء عن الوليد عن جميل عن القاسم عن أبى أمامة كما عند الترمذى وأخرج الخطيب فى تاريخه عن أنس فضل العالم على غيره كفضل النبى على أمته وأخرج البزار فى مسنده والطبرانى فى الاوسط عن حذيفة بن اليمان باسناد حسن والحاكم عن سعد بن أبى وقاص فضل العلم أحب الى من فضل العبادة وخير دينكم الورع رواه الترمذى فى العلل عن حذيفة ثم ذكر انه سأل عنه البخارى فلم يجده محفوظا وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال لا يصح قال المناوى فى تفسير الحديث الذى صدره الشيخ ما نصه اى نسبة شرف العالم الى نسبة شرف العابد كنسبة شرف الرسول الى أدنى شرف الصحابة فان المخاطبين بقوله أدناكم الصحب وقد شبهوا بالنجوم فى حديث آخر وهذا التشبيه ينبه على انه لا بد للعالم من العبادة وللعابد من العلم لان تشبيههما بالمصطفى و بالعلم يستدعى المشاركة فيما فضلوا به من العلم والعمل كيف لا والعلم مقدمة للعمل وصحة العمل متوقفة عليه ذكره الطيبى وقال الذهبى انما كان العلم أفضل لان العالم اذا لم يكن عابدا فعلمه وبال عليه وأما العابد بغير فقه فمع نقصه هو أفضل بكثير من فقيه بلا تعبد كفقيه همته فى الشغل بالرياسة اه ولتفضيل العلم على العبادة بحث سيأتى فى كلام المصنف ونشرحه هنالك وقال السيوطى عن ابن الزملكانى فى كتابه تحقيق الاولى فى أهل الرفيق الاعلى اعلم أن التفضيل تارة يكون بين الصفتين وتارة يكون بين المتصفين ثم التفضيل بين المتصفين قد يراد به الاكثر منهما ثوابا وقد يراد به الاقرب الى الله تعالى وفى كلام كثير من العلماء الاشارة الى أن الفضيلة تكون بكثرة الثواب وهذا يحتاج الى تفصيل لانه ان أريد بكثرة الثواب ما يعطيه الله للعبد فى الآخرة من درجات الجنة ولذاتها ونعيمها الجسمانى فالمنع فى ذلك مجال وان أريد به مقامات القرب ولذة المشاهدة والمعارف الالهية التى تحصل عند كشف الغطاء فهو من القول الآخر والاقرب أن يقال ان الثوابين متلازمان فمن كان أرفع فى أحدهما فهو أرفع فى الآخر وفى ذلك نظر للمتأمل ثم قال والانصاف ان المفاضلة تارة تكون بكثرة الثواب وتارة بحسب مقاماتهما وتارة بحسب الوصفين بالنظر اليهما وتارة بحسب ثمرتهما وقد تكون بأمر

فوجدوه كما وصف نفسه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فخلصت لهم التفرقة والجمع وعقلت نفس كل واحد منهم توحيد خالقها باذنه وايجاده عن غيره وعقلت انها عقلت توحيده فسبحان من يسرها لذلك وفتح عليها بما ليس فى وسعها أن تدركه الا به وهو اللطيف الخبير لكن الصنف الثالث لم يقصر كل منهم أن يعرف نفسه موجدا لديه فيما لا يزال وهم المقربون والصنف الرابع لم يقصر كل واحد منهم ان عرف ربه موجدا لنفسه فيما لم يزل وهم الصديقون و بينهما تفاوت كثير (واما طريق) معرفة صحة هذا التقسيم فلان العقلاء باسرهم لا يخلو كل واحد منهم ان يوجد اثر التوحيد باحد الانحاء المذكورة عنده وأما من عدمت عنده فهو كافر ان كان فى زمن الدعوة أو على قرب يمكن وصول علمها اليه أو فى فترة يتوجه عليه فيها التكليف وهذا صنف مبعد عن مقام هذا الكلام وأما من يوجد عنده فلا

وقال صلى الله عليه وسلم فى تفضيل العلم على العبادة والشهادة فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من أصحابى

عرضى وأما المفاضلة بين الذاتين فقد تكون لامر يرجع الى الجنسين وقد تكون لامر يرجع الى التفضيل بالاوصاف ثم قال واعلم أن فضيلة العمل على العمل أو الوصف على الوصف أو الشخص على الشخص من الامور الدقيقة التى لا يسع الانسان الكلام فيها من قبل نفسه ولا ينبغى لاحد أن يحكم بتفضيل شخص على شخص ولا نوع على نوع الا بتوقيف ممن له التفضيل أو بدليل يستدل به من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو اجماع الامة ثم قال والدرجات تتفاوت تارة بحسب تفاوت الاعمال وتارة بحسب رتب الاعمال وتارة بحسب خصوصية عمل خاص ووقت خاص فاذا حاولنا الكلام فى تفضيل مرتبة على مرتبة أو عمل على عمل فلابد من ملاحظة ذلك فما لم يكن فيه نص بتفضيل فيحتاج الى الاجتهاد فى جهات الترجيح وأما ماورد النص بكونه أفضل من شئ آخر من غير معارض فلا معدل عن المنصوص عليه ولا حاكم سوى شريعة الله المأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اه وهو نفيس فاعرفه (فانظر كيف نزل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التى يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة) العشرون (وقال عليه الصلاة والسلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب) أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان وهو قطعة من حديث أبى الدرداء المتقدم قاله العراقى وقال السخاوى فى المقاصد روى عن أبى الدرداء مرفوعا عند أصحاب السنن الاربعة وعن عبد الله بن عمر وفى الترغيب للاصبهانى بهذا اللفظ وعن عبد الرحمن بن عوف نحوه أخرجه أبو يعلى اه قلت وفى مسند أبى يعلى أيضا من رواية عثمان بن أعين عن أبى الدرداء ولفظه للعالم من الفضل على العابد وفيه على أصغر كوكب فى السماء وأخرجه أبو نعيم فى الحلية عن معاذ كذا فى الجامع للجلال وهو من رواية عثمان بن عطاء الخراسانى عن أبيه عن معاذ وكذا أحمد فى مسنده والدارمى وفيه زيادة وان العلماء ورثة الانبياء وبه تعلم قصور الجلال حيث اقتصر على عزوه لابى نعيم فقط قال البيضاوى العبادة كمال ونور ملازم ذات العابد لا يتخطاه فشابه نور الكواكب والعلم كمال يوجب للعالم فى نفسه شرفا وفضلا ويتعدى منه الى غيره فيستضئ بنوره ويكمل بواسطته لكنه كمال ليس للعالم فى ذاته بل نور يتلقاه من المصطفى صلى الله عليه وسلم فلذلك شبه بالقمر قال الطيبى ولا تظنن أن العالم المفضل عار عن العمل ولا العابد عن العلم بل ان علم ذلك غالب على عمله وعمل هذا غالب على علمه ولذلك جعل العلماء ورثة الانبياء الذين فازوا بالحسنيين العلم والعمل وحازوا الفضيلتين الكمال والتكميل واذا عرفت ذلك ظهر لك سر قول المصنف فيما قبل وقال ابن الملقن فيه ان نور العلم يزيد على نور العبادة كما مثله بالقمر بالنسبة لسائر الكواكب اه ثم ان المراد فى هذه الاخبار بالعالم من صرف نفسه للتعليم والارشاد والتصنيف وبالعابد من انقطع للعبادة تاركا ذلك وان كان عالما فتأمل * الحادى والعشرون (وقال صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء) أخرجه ابن ماجه من حديث عثمان ابن عفان باسناد ضعيف قاله العراقى قلت أخرجه من طريق عنبسة بن عبد الرحمن القرشى عن علاق ابن أبى مسلم عن أبان عن عثمان وقد رمز لحسنه وهو عليه رد فقد أعله ابن عدى والعقيلى بعنبسة ونقلا عن البخارى انهم تركوه ومن ثم جزم العراقى بضعف الخبر قاله المناوى قلت عنبسة هذا هو ابن عبد الرحمن ابن عنبسة بن سعيد بن العاصى الاموى روى عنه اسحق بن أبى اسرائيل وعبد الواحد بن غياث وجمع وهو من رجال الترمذى والنسائى وابن ماجه قال الذهبى فى الديوان متروك متهم وعلاق ضعفه الازدى ولم يرو عنه غير عنبسة وبه تعلم ان قول العزيزى شارح الجامع انه حسن محل تأمل وأورده صاحب القوت من غير عزو وليس فيه لفظ ثلاثة ثم قال بعد ذلك فقدم العلماء على الشهداء لان العالم امام أمة فله مثل أجور أمته والشهيد عمله لنفسه اه قال القرطبى فأعظم منزلة هى بين النبوة والشهادة بشهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم ولما كان العلماء يحسنون الى الناس بعلمهم الذى أفنوا فيه نفائس أوقاتهم أكرمهم الله

تعالى

يخلو أن يكون مقلدا فى عقده أو عالما به والمقلدون هم العوام وهم أهل المرتبة الثانية فى الكتاب فاما العلماء بحقيقة عقدهم فلا يخلو كل واحد أن يكون بلغ الغاية التى أعدت لمثله دون النبوة أو لم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ فالذى لم يبلغ وكان على قرب هم المقربون وهم أهل المرتبة الثالثة والذين بلغوا الغاية التى أعدت لهم وهم الصديقون وهم أهل المرتبة الرابعة وهذا تقسيم ظاهر الصحة اذ هو دائر بين النفى والاثبات ومحصور بين المبادى والغايات ولم يدخل أهل المرتبة الاولى فى شئ من تصحيح هذا التقسيم اذ ليس هم من أهله الا بانتساب كاذب ودعوى غير صافية ثم لابد من الوفاء بما وعدناك به

فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التى يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء

تعالى ولاية مقام الاحسان الهم فى الآخرة بالشفاعة فهم جزاء وفاقا وقد أخذ بقضية هذا الخبر جمع فصرحوا بان العلم أفضل من القتل فى سبيل الله لان المجاهد وكل عامل انما يتلقى عمله من العالم فهو أصله واسه وعكس آخرون وقد رويت أحاديث من الجانبين وفيها مابدل للفريقين وقال ابن الزملكانى وعندى انه يجب التفصيل فى التفضيل وان حمل على بعض الاحوال أو بعض الاشخاص كل بدليل (فأعظم بمرتبة هى تلو النبوة وفوق الشهادة مع ماورد فى فضل الشهادة) * الثانى والعشرون (وقال عليه السلام ماعبد الله بشئ أفضل من فقه فى دين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شئ عماد وعماد الدين الفقه) أخرجه الطبرانى فى الاوسط وأبو بكر الآجرى فى فضل العلم وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث أبى هريرة باسناد ضعيف وعند الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد قاله العراقى قلت كل جملة من الثلاثة حديث مستقل أما الاولى منها فقد أخرج البيهقى فى شعب الايمان من رواية عيسى بن زياد الدورقى حدثنا مسلمة بن قعنب عن نافع عن ابن عمر رفعه ماعبد الله بشئ أفضل من فقه فى دين وقال تفرد به عيسى بن زياد بهذا الاسناد قال وروى من وجه آخر ضعيف والمحفوظ هذا اللفظ من قول الزهرى وفى بعض رواياته ماعبد الله بأفضل وأما قول الزهرى فقد أخرجه أبو نعيم فى الحلية من رواية هشام بن يوسف حدثنا معمر عن الزهرى قال ماعبد الله بشئ أفضل من العلم وأما الثانية فقد أخرجه الترمذى وابن ماجه عن ابن عباس كما قاله العراقى ولفظ ابن ماجه فقيه واحد من غير لام ولفظ الترمذى فقيه أشد من غير ذكر واحد أما الترمذى فأخرجه فى كتاب العلم وابن ماجه فى كتاب السنة من سننهما وقال الترمذى غريب لانعرفه الا من هذا الوجه أى من رواية الوليد بن مسلم عن روح بن جناح عن مجاهد عن ابن عباس وأورده ابن الجوزى فى العلل وقال لايصح والمتهم به روح بن جناح قال أبو حاتم يروى عن الثقات مالم يسمعه من ليس متبحرا فى صناعة الحديث شهد له بالوضع اهـ وأورد الحديثين معا جماعة وهم الثلاثة الذين ذكرهم العراقى آنفا والبيهقى فى الشعب والدارقطنى فى السنن والقضاعى فى مسند الشهاب وأحمد بن منيع فى مسنده كلهم من حديث يزيد بن عياض عن صفوان بن سليم عن سليمان بن يسار عن أبى هريرة مرفوعا ويزيد بن عياض قال فيه النسائى متروك وقال ابن معين لايكتب حديثه وقال الشيخان منكر الحديث وقال مالك هو أكذب من ابن سمعان وقال العدنى فى مسنده حدثنا يوسف بن خالد البصرى عن مسلم ابن قعنب عن نافع عن ابن عمر رفعه ماعبد الله بشئ أفضل من تفقه فى دين وفى المقاصد قال الطبرانى لم يروه عن صفوان الا يزيد وسنده ضعيف وللعسكرى من حديث الوليد بن مسلم حدثنا راشد بن جناح عن مجاهد عن ابن عباس رفعه الفقيه الواحد أشد على ابليس من ألف عابد ورواه الترمذى وقال غريب وابن ماجه والبيهقى ثلاثتهم من جهة الوليد بن مسلم فقال عن روح بن جناح بدل راشد ولفظه فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وسنده ضعيف لكن يتأكد أحدهما بالآخر وفى الفردوس للديلمى بلا سند عن ابن مسعود رفعه لعالم واحد أشد على ابليس من عشرين عابدا وفى الباب عن ابن عمرو عند الحكيم الترمذى فى التاسع عشر عن أبى هريرة رفعه لكل شئ دعامة ودعامة الانسان الفقه فى الدين والفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد رواه البيهقى وقال تفرد به أبو الربيع السمان عن أبى الزناد عن الاعرج عنه به مرفوعا اهـ وروى الخطيب فى تاريخه من طريق الاعرج عن أبى هريرة ولفظه ان لكل شئ دعامة ودعامة هذا الدين الفقه وأخرج أحمد بن منيع فى مسنده من طريق يزيد بن عياض عن صفوان بن سليم عن سليمان بن يسار عن أبى هريرة رفعه لكل شئ عماد وعماد الدين الفقه وأخرج أبو نعيم فى الحلية من هذه الطريق ولفظه ماعبد الله بشئ أفضل من فقه فى دين قال وقال أبو هريرة لان أتفقه ساعة أحب الى من أن أحيى ليلة حتى أصبح أصلها ولفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شئ

من ابداء بحث ومزيد شرح وبسط بيان تعرف منه باذن الله حقيقة كل مرتبة ومقام وانقسام أهله فيه بحيث الطاقة والامكان بما يجريه الواحد الحق على القلب واللسان (بيان مقام أهل النطق المجرد وتمييز فرقهم) فأقول أرباب النطق المجرد أربعة أصناف أحدهم نطقوا بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لم يعتقدوا معنى مانطقوا به لما لم يعلموه لايتصورون صحته ولافساده ولاصدقه ولا كذبه ولاخطأه ولا صوابه اذلم يحثوا عليه ولا أرادوا فهمه امالبعد همتهم وقلة اكتراثهم واما لنفورهم من التعب ونحو فهم أن لايكلفوا البحث عما نطقوا به أو يبدو لهم ما يلزمهم من الاعتقاد والعمل ومابعد ذلك فان التزموها فارقوا راحات أبدانهم العاجلة

فأعظم بمرتبة هى تلو النبوة وفوق الشهادة مع ماورد فى فضل الشهادة وقال صلى الله عليه وسلم ماعبد الله تعالى بشئ أفضل من فقه فى دين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شئ عماد وعماد هذا الدين الفقه

دعامة ودعامة الدين الفقه قال المناوي في شرح الحديث الاول ماعبد الله بأفضل من فقه في دين أي لان أداء العبادات يتوقف على معرفة الفقه اذ الجاهل لايدري كيف يتقي لا في جانب الامر ولا في جانب النهي و بذلك يظهر فضل الفقه وتميزه عن سائر العلوم بكونه أهمها وان كان غيره أشرف والمراد بالفقه المتوقف عليه ذلك مالا رخصة للمكلف في تركه دون مالا يقع الا نادرا أونحو ذلك وذهب بعض الصوفية الى أن المراد بالفقه هنا المعنى اللغوي فقال هو الفهم وانكشاف الامور والفهم هو العارض الذي يعترض في القلب من النور فاذا عرض انفتح بصر القلب فرأى صورة الشئ في صدره حسنا كان أو قبيحا فالانفتاح هو الفقه والعارض هو الفهم فاذا فهم سر معاملات الله هانت عليه الكلف وعبد الله بانشراح وانبساط وذلك أفضل العبادات بلا ريب وقال في شرح الحديث الثاني فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد أي لان الشيطان كلما فتح بابا على الناس من الهوى بين الفقيه العارف مكايده فيسد ذلك الباب ويرده خاسئا والعابد ربما اشتغل بالعبادة وهو في حبائل الشيطان ولا يدري وقال الذهبي هذا الحديث لوصح نص في الفقيه الذي تبصر في العلم ورقى الى درجة الاجتهاد وعمل بعلمه لا كفقيه اشتغل بمحض الدنيا * الثالث والعشرون (وقال عليه السلام خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه) أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف والشطر الاول عند أحمد من حديث محجن بن الادرع باسناد جيد والشطر الثاني عند الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف قاله العراقي قلت أما حديث محجن فقد أخرجه أبو داود والطيالسي في مسنده فقال حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن رجاء عن محجن قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي حتى انتهينا الى سدة المسجد فاذا رجل يركع و يسجد ويركع ويسجد فقال لي من هذا فقلت هذا فلان وجعلت أطريه وأقول له هذا هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسمعه فتهلكه ثم انطلق بي حتى بلغ باب حجرة أحدى نسائه ثم أرسل يده من بين يدي قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دينكم أيسره قالها ثلاثا وأخرجه مسدد في مسنده فقال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا يونس عن زياد بن مخراق عن رجل من أسلم قال كان منا ثلاثة صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم بريدة ومحجن ومسكبة فقال محجن لبريدة ألا تصلي كما يصلي مسكبة قال لا لقد رأيتني أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد نتماشى يدي في يده فرأى رجلا يصلي فقال أتراه جدا أتراه صادقا فذهبت أثني عليه قال فلما دنونا نزع يده من يدي وقال ويحك اسكت لا تسمعه فتهلكه ان خير دينكم أيسره وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده فقال حدثنا شبابة بن سوار حدثنا شعبة عن جعفر بن اياس عن عبد الله بن شقيق عن رجاء بن أبي رجاء قال دخل بريدة المسجد ومحجن على باب المسجد فقال بريدة وكان فيه مزاح يا محجن ألا تصلي كما يصلي مسكبة فقال نزل النبي صلى الله عليه وسلم من أحد وهو آخذ بيدي فدخل المسجد فاذا رجل يصلي فقال لي من هذا فأثنيت عليه خيرا فقال اسكت لا تسمعه فتهلكه ثم أتى على باب حجرة امرأة من نسائه فقبض يده من يدي ثم قال ان خير دينكم أيسره ان خير دينكم أيسره مرتين وقد علم مما سقناه ان الحديث يروى من طريق بريدة أيضا وقد أخرجه أيضا من طريق محجن البخاري في الادب والطبراني في الكبير و يروى من طريق عمران بن الحصين أخرجه الطبراني في الكبير وقال تفرد به اسمعيل بن يزيد ومن طريق أنس بن مالك أخرجه الطبراني في الاوسط وابن عدي في الكامل والضياء المقدسي في المختارة فاقتصار العراقي على محجن ومن مخرجيه على أحمد قصور ظاهر وقول العراقي باسناد جيد صحيح فان رجاله من الطرق التي سقناها ثقات ليس فيهم متهم أو متروك غير ان في سياق سند مسدد رجلا من أسلم لم يسم ومن شواهده ما أخرجه أحمد بن منيع في مسنده من طريق غاضرة بن عروة الفقيمي عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ان دين الله في يسر يا أيها الناس ان دين الله في يسر وقد رواه الامام أحمد أيضا من هذا

الطريق

وفراغ أنفسهم وان لم يلتزموا شيأ من ذلك وقد حصل لهم العلم فتكون عيشتهم منغصة وملاذهم مكدرة من خوف عقاب ترك ما علموا لزومه ومثل هؤلاء مثل من يريد قراءة الطب أو يعرض عليه ولكنه يمنعه عنه مخافة أن يطلع منه على ما يغير عنه بعض ملاذه من الاطعمة والاشربة والانكحة أو كثير منها فيحتاج الى أن يتركها أو يرتكبها على رقبه وخوف أن يصيبه صورة ما يعلم ضرورة منها فيدع قراءة الطب رأسا سئل هذا الصنف عن معنى ما نطقوا به وهل اعتقدوه فيقولون لا نعلم فيه ما يعتقد وما دعانا الى النطق الا مساعدة الجماهير انخراطا باظهار القول في الجم الغفير ولا يعرف هل ماقلناه بالحقيقة من قبل العرف والنكير ولا شك ان هذا الصنف الذي أخبر صلى الله عليه وسلم عن حاله بمسئلة الملكين أحدهم في القبر اذ يقولان من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون قولا فقلته فيقولان له لا دريت

وقال صلى الله عليه وسلم خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه

الطريق وغاضرة بن عروة ويقال ابن عمرو والفقيمي ذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن المديني مجهول وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة من طريق داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاديان أحب عند الله قال الحنيفية السمحة وقد أخرجه أحمد بن حنبل وعبد بن حميد في مسنديهما بهذا الطريق والسند فيه مقال وقول العراقي أخرجه ابن عبد البر عن أنس فقد وافقه على اخراجه ذلك أبو الشيخ في الثواب والديلمي في الفردوس كلهم من رواية عبد الرحيم بن مطرف حدثنا أبو عبد الله العذري عن يونس عن الزهري عن أنس ولفظهم وخير بدل وأفضل وأبو عبد الله العذري لا يدرى من هو وأما الشطر الثاني فقد أخرجه الطبراني في الصغير بزيادة وأفضل الدين الورع وله شاهد جيد من حديث سعد بن أبي وقاص أخرجه الحاكم في التاريخ ومن حديث حذيفة أخرجه الطبراني في الاوسط فضل العلم أحب الي من فضل العبادة وخير دينكم الورع وقد تقدم هذا والكلام عليه وأخرج الطبراني في الكبير والصغير من رواية محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الشعبي عن ابن عمر رفعه أفضل العبادة الفقه وأخرج الطبراني أيضا من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن عوف رفعه يسير الفقه خير من كثير العبادة وأفضل أعمالكم الفقه وفي اسناده خارجة بن مصعب وهو ضعيف جدا * الرابع والعشرون (وقال عليه السلام فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة) قال العراقي أخرجه ابن عدي من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف ولابي يعلى نحوه من حديث عبد الرحمن بن عوف اه قلت وأخرجه ابن عبد البر من حديث ابن عباس بسند ضعيف أخرجه من رواية يحيى بن بكير حدثنا يحيى بن صالح الايلي عن اسمعيل بن أمية عن عبد بن عمير عن ابن عباس رفعه بلفظ المصنف وزيادة لفظ المؤمن اشارة الى أن الكلام في عالم كامل الايمان عامل بعلمه وفي عابد كامل الايمان عارف بالفروض العينية والا فهو غير عابد وقول العراقي أخرجه ابن عدي قد أشار اليه السخاوي في المقاصد وأغفله الجلال أخرجه في الكامل ثم البيهقي من طريقه وابن السني وأبو نعيم في كتابيهما رياضة المتعلمين كلهم من رواية عمرو بن الحصين حدثنا ابن علاثة حدثنا خصيف عن مجاهد عن أبي هريرة وفي آخره الله أعلم ما بين كل درجتين وأما قوله ولابي يعلى نحوه أي في المعنى فقط دون اللفظ كما هو مقتضى قولهم نحوه وحديثه هذا أي الذي أخرجه أبو يعلى في مسنده قال حدثنا موسى بن محمد ابن حبان حدثني محمد بن عمرو بن عبد الله سمعت الخليل بن مرة يحدث عن ميسرة عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد سبعون درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال الهيثمي في سياق حديث أبي يعلى الخليل بن مرة قال البخاري منكر الحديث وقال ابن عدي هو ممن يكتب حديثه وليس بمتروك قلت هو من رجال الترمذي روى عنه الليث بن سعد جاء تضعيفه عن ابن معين وفي الكاشف الخليل بن مرة الضبعي نزيل الرقة عن أبي صالح وعكرمة وعنه ابن وهب ووكيع قال أبو حاتم ليس بقوي كان أحد الصالحين توفي سنة ١١٦ وأخرج أبو القاسم الاصبهاني في كتاب الترغيب والترهيب من رواية خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم عن عبد الرحمن أظنه ابن رافع عن عبد الله بن عمرو قال النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وفي آخره زيادة بين كل درجتين حضر الفرس سبعون عاما وسيأتي ذكره قريبا * الخامس والعشرون (وقال عليه السلام انكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه والعلم فيه خير من العمل) قال العراقي أخرجه الطبراني من حديث حزام بن حكيم عن عمه وقيل عن أبيه واسناده ضعيف اه قلت ورواه كذلك ابن عبد البر في كتاب العلم وأبو نعيم في كتاب رياضة المتعلمين كلهم من رواية صدقة بن عبد الله عن زيد بن واقد عن حزام بن حكيم عن عمه عن

ولا تليث وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الشالث والمرتاب والصنف الثاني نطق كما نطق الذين من قبلهم ولكنهم أضافوا الى قولهم ما لا يحصل معه الايمان ولا ينتظم به معنى التوحيد وذلك مثل ما قالت السبابية طائفة من الشيعة القدماء ان عليا هو الاله وبلغ أمرهم عليا رضي الله عنه وكانوا في زمنه فرق منهم جماعة وأمثال من نطق بالشهادتين كثير ثم أصحب نطقه مثل هذا النكير ويسمون الزنادقة وقد رأينا حديثا عنه صلى الله عليه وسلم في ذلك ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الجنة الا الزنادقة والصنف الثالث نطقوا كما نطق الصنفان المذكوران قبلهم ولكنهم آثروا التكذيب واعتقدوا

وقال صلى الله عليه وسلم فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة وقال صلى الله عليه وسلم انكم أصبحتم في زمن كثير فقهاؤه قليل قراؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل

الرد واستنبطوا خلاف ماظهر منهم من الاقران واذا رجعوا الى أهل الالحاد أعلنوا عندهم بكلمة الكفر فهؤلاء المنافقون الذين ذكرهم الله فى كتابه بقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون * الصنف الرابع قوم لم يعرفوا التوحيد ومانشؤا عليه ولا عرفوا أهله ولا سكنوا بين أظهرهم ولكنهم حين وصلوا الينا أو وصل اليهم أحد منا خوطبوا بالامر المقتضى للنطق بالشهادتين والاقرار بهما فقالوا لا نعلم مقتضى هذا اللفظ ولا نعقل معنى المأموربه من النطق فامروا أن يظهروا الرضا و يفهموا بلامهلة فسكنوا الى ماقيل لهم ونطقوا بالشهادتين ظاهرا وهم على الجهل بما يعتقدون فيها فاخترم أحدهم من حينه من قبل أن يأتى منه استفهام أوتصور يمكن أن يكون له معه معتقد فيرجى أن لاتضيق عنه سعة رحمة الله عز وجل والحكم

وقال صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة

رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ابن عبد البر بلفظ المصنف وفى رواية الآخرين تقديم وتأخير وصدقة بن عبد الله السمين ضعيف وحرام بفتح الحاء والراء مختلف فيه وعمه عبد الله بن سعد هكذا ورد مسمى منسوبا فى رواية أبى نعيم وفى كتاب العلم لابن خيثمة حدثنا جرير عن عبد الله بن يزيد عن سهيل بن زياد عن عبد الله بن مسعود قال انكم فى زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه وان بعدكم زمان كثير خطباؤه العلماء فيه قليل قال القارى فى شرح عين العلم المعنى اظهار العمل خير من اظهار العلم لتقتدى الناس فلا ينافيه ماسبق من الاحاديث الدالة على أفضلية العلم مطلقا اهـ وفى مسند الامام أحمد من رواية حجاج بن الاسود سمعت أبا الصديق يحدث ثابتا عن رجل عن أبى ذر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال انكم فى زمان علماؤه كثير وخطباؤه قليل من ترك فيه عشر مايعلم هوى أوقال هلك وسيأتى على الناس زمان يقل علماؤه ويكثر خطباؤه من تمسك فيه بعشر مايعلم نجا وللحديث المذكور شواهد منها عند الترمذى من حديث أبى هريرة انكم فى زمان من ترك فيه عشر ماأمر به هلك ثم يأتى زمان من عمل منهم عشر ماأمر به نجا وعند الطبرانى فى الاوسط والحاكم فى التاريخ عن أبى هريرة أيضا سيأتى زمان تكثر فيه القراء وتقل الفقهاء ويقبض العلم ويكثر الهرج ثم يأتى بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال من أمتى لايجاوز تراقيهم ثم يأتى بعد ذلك زمان يجادل المشرك بالله المؤمن فى مثل مايقول وأخرج أبو القاسم اللالكائى فى سننه من طريق علقمة عن عبد الله قال كيف أنتم اذا لبستم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير اذا ترك فيها شئ قيل ترك السنة قيل متى ذلك ياأبا عبد الرحمن قال ذلك اذا ذهب علماؤكم وكثرت جهالكم وكثرت قراؤكم وقلت فقهاؤكم * السادس والعشرون (وقال عليه السلام بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة) كذا وقع فى الروايات سبعين والتقدير مقدار سبعين وفى نسخة العراقى سبعون بالواو قال العراقى خرجه الاصبهانى فى الترغيب والترهيب من حديث عبد الله بن عمرو غير انه قال سبعون درجة بسند ضعيف وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبى هريرة اهـ قلت رواه أبو القاسم الاصبهانى فى كتاب الترغيب والترهيب من رواية خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم عن عبد الرحمن أظنه ابن رافع عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ولفظه فضل العالم على العابد سبعون درجة بين كل درجتين حضر الفرس سبعون عاما وذلك لان الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم فينهى عنها والعابد مقبل على عبادة ربه لايتوجه اليها ولا يعرفها وخارجة ضعيف وقد تقدم ذلك فى الحديث الرابع والعشرين وقال السخاوى فى المقاصد ولابى يعلى وابن عدى من رواية عبد الله بن محرز عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة مرفوعا بهذا اللفظ قال وقد ذكر ابن عبد البر فى العلم ان ابن عون رواه عن ابن سيرين عن أبى هريرة فينظر من خرجه اهـ ولفظ العراقى ذكره ابن عبد البر فى العلم من غير أن يوصله بالاسناد وقال ومن حديث ابن عون عن ابن سيرين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره الا انه قال درجة موضع سنة ثم قال ومن دون ابن عون لايحتج به اهـ وتقدم حديث عبد الرحمن بن عوف الذى أخرجه أبو يعلى الموصلى ولفظه فضل العالم على العابد سبعين درجة مابين كل درجتين كما بين السماء والارض وقول العراقى رواه صاحب مسند الفردوس يعنى به الديلمى واسناده ضعيف أشار الى انه رواه من طريق بقية عن عبد الله بن محرز عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رفعه وسياقه كسياق حديث عبد الله بن عمرو والمتقدم وعبد الله بن محرز قاضى الرقة ضعيف جدا وقد عنعن الحديث بقية وهو مدلس والظاهر أنه لم يسمعه من عبد الله وانما سمعه من غياث بن ابراهيم أحد الوضاعين فقد روى عنه بقية وقد روى أبو نعيم هذا الحديث مقتصرا على أوله من رواية غياث بن ابراهيم عن عبد الله بن محرز وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية سليمان الشاذكونى

حدثنا ابن عيان عن محمد بن عجلان عن الزهرى قال فضل العالم على المجتهد مائة درجة مابين كل درجة خمسمائة سنة حضر الفرس الجواد المضمر وبهذا وبما تقدم يسقط قول ملا على فى شرح عين العلم وأما مافى الاحياء مائة درجة لا أصل له والحضر بالضم وسكون الضاد نوع من أنواع سير الفرس وهو فوق الهملجة والمضمر هو الجواد المهيأ للحضر والركض * السابع والعشرون (وقال عليه السلام لما قيل له يارسول الله أى الاعمال أفضل فقال العلم بالله عز وجل فقيل الاعمال نريد فقال العلم بالله فقيل له نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل) قال العراقى أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف اه قلت هو من رواية الحسين ابن حميد حدثنا محمد بن روح بن عمران القشيرى حدثنا مؤمل بن عبد الرحمن عن عباد بن عبد الصمد عن أنس بتكرار أى الاعمال أفضل مرتين وفيه أسألك بدل نسألك وتخبرنى بدل تجيب والباقى سواء وعباد منكر الحديث ومؤمل ضعيف ومحمد بن روح منكر الحديث والحسين بن حميد المصرى تكلم فيه أيضا وأخرجه الحاكم والترمذى فى الاصل السادس والستين بعد المائتين من نوادر الاصول فقال حدثنا عيسى بن أحمد حدثنا المؤمل بن عبد الرحمن حدثنا عباد بن عبد الصمد عن أنس ابن مالك قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أى الاعمال أفضل قال العلم بالله ثم أتاه فسأله فقال مثل ذلك فقال يارسول الله أنا أسألك عن العمل قال ان العلم ينفعك معه قليل العمل وكثيره وان الجهل لا ينفعك معه قليله ولا كثيره وقوله ان قليل العمل ينفع مع العلم أى فانه يصححه وكثير العمل لا ينفع مع الجهل لان المتعبد من غير علم كالحمار فى الطاحون وقد أخرجه الديلمى فى الفردوس عن أنس أيضا ومن شواهده ما أخرجه أبو الشيخ عن عبادة العلم خير من العمل وملاك الدين الورع والعالم من يعمل وأخرج ابن عبد البر عن أبى هريرة العلم خير من العبادة وملاك الدين الورع وأخرج ابن أبى شيبة والحكيم عن الحسن مرسلا والخطيب عنه عن جابر العلم علمان فعلم فى القلب فذلك العلم النافع وعلم فى اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وسيأتى فى الباب الخامس * الثامن والعشرون (وقال عليه السلام يبعث الله يوم القيامة العباد ثم يبعث العلماء ثم يقول يامعشر العلماء انى لم أضع علمى بينكم الا لعلمى بكم ولم أضع علمى فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم) أخرجه الطبرانى من حديث أبى موسى بسند ضعيف قاله العراقى قلت وأخرجه أيضا يعقوب بن سفيان فى تاريخه قاله الحافظ بن حجر ولفظ الطبرانى فى الكبير عن أبى موسى يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول يامعشر العلماء انى لم أضع فيكم علمى الا وانا أريد ان لا أعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم قلت أخرجه الطبرانى فى الكبير والصغير من رواية عمرو بن أبى سلمة التنيسى وأبو الشيخ فى الثواب وابن عبد البر فى العلم من رواية منبه بن عثمان كلاهما عن صدقة بن عبد الله عن طلحة بن زيد عن موسى بن عبيدة عن سعيد بن أبى سعيد عن أبى موسى رفعه وصدقة وطلحة وموسى ضعفاء وأضعفهم طلحة وفى ترجمته أخرج ابن عدى هذا الحديث ويروى أيضا من حديث أبى امامة أو واثلة هكذا بالشك رواه ابن عدى فى ترجمة عثمان بن عبد الرحمن الجمحى عن مكحول عنه مرفوعا بلفظ اذا كان يوم القيامة جمع الله العلماء فقال انى لم استودع علمى فيكم وأنا أريد ان أعذبكم أدخلوا الجنة ويروى أيضا من حديث ثعلبة بن الحكم أخرجه الطبرانى من رواية سماك بن حرب عنه رفعه يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة اذا قعد على كرسيه لفصل عباده انى لم أجعل علمى وحكمى فيكم الا وأنا أريد ان أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالى ومن شواهده ما أخرجه ابن عدى فى الكامل والبيهقى بسند ضعيف عن جابر رفعه يبعث الله العالم والعابد فيقال للعابد أدخل الجنة ويقال للعالم أثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت من أدبهم وذكر أبو الطيب فى البحر الزاخر حكى ان اسمعيل بن أبى رجاء قال رأيت محمد ابن الحسن الشيبانى فى المنام فقلت له مافعل الله بك فقال غفر لى ثم قال لو أردت ان أعذبك ماجعلت هذا

عليه بالنار والخلود فيها مع الكفار تحكم على غيب الله سبحانه وربما كان من هذا الصنف فى الحكم عن الله عز وجل قوم رزقوا من بعد الفهم وغير الذهن وفرط البلادة أن يدعوا الى النفاق فيجيبوا مساعدة ومحاذاة ثم يدعوا الى تفهم المعنى بكل وجه فلا يتأتى منهم قبول لما يعرض عليهم تفهمه كأنما تخاطب بهيمة ومثل هذا أيضا فى الوجود كثير ولا أحكم على أحد مثله بخلود فى النار ولا بعد ان هذا الصنف باسره أعنى المخترم قبل تحصيله العقد مع هذا البليد البعيد بعض ماذكره النبى صلى

وقال عليه السلام لما قيل له يارسول الله أى الاعمال أفضل فقال العلم بالله عز وجل فقيل الاعمال نريد قال صلى الله عليه وسلم العلم بالله سبحانه فقيل له نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال صلى الله عليه وسلم ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وقال صلى الله عليه وسلم يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يامعشر العلماء انى لم أضع علمى فيكم الا لعلمى بكم ولم أضع علمى فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم

العلم فى جوفك وانما ختم المصنف بهذا الحديث تفاؤلا بقوله فقد غفرت لكم اشارة الى ان مآل العالم بالله العامل لله الغفران وهذا اختتام حسن نسأل الله حسن الخاتمة والوارد فى فضل العلم والعلماء أحاديث كثيرة ولو تتبعناها ذكرها الطال علينا الكتاب ولكن اقتصرنا على تبيين ماذكره الشيخ رحمه الله تعالى والله أعلم

(الآثار) جمع أثر تقدم تعريفه وكذا الفرق بينه وبين الخبر فى أول الكتاب أورد فيها رحمه الله تعالى أقوال بعض الصحابة كعلى وابن عباس وابن مسعود وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم وبعض التابعين كابى الاسود والحسن والاحنف والزهرى ومن بعدهم كابن المبارك والشافعى والزبير بن أبى بكر رحمهم الله تعالى ومن بعدهم من أهل الصلاح كفتح الموصلى وغيره من الحكماء (قال) أبو الحسن أمير المؤمنين (على) بن أبى طالب (رضى الله عنه) لتلميذه (يا كميل) بالتصغير هو كميل بن زياد النخعى من مشاهير أصحاب على رضى الله عنه وكان من أعيان الزهاد وللسادات الصوفية سند فى لبس الخرقة اليه أخرج أبو نعيم فى الحلية من طريق عاصم بن حميد الخناط حدثنا ثابت بن أبى صفية أبو حمزة الثمالى عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل ابن زياد قال أخذ على بن أبى طالب بيدى فاخرجنى الى ناحية الجبان فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال يا كميل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها فساق الحديث بطوله وفيه (العلم خير من المال) أشار الى فضل العلم ثم ذكر سببه فقال (العلم يحرسك وأنت تحرس المال) قال ابن القيم فى مفتاح دار السعادة فى شرح هذا الحديث يعنى ان العلم يحفظ صاحبه ويحميه من موارد الهلكة ومواقع العطب فان الانسان لا يلقى نفسه فى عطب وعقله معه ولا يعرضها للهلاك الا اذا كان جاهلا بذلك لا علم له به فهو كمن أكل طعاما مسموما فالعالم بالسم وضرره يحرسه علمه ويمتنع به من أكله والجاهل به يقتله جهله فهذا مثل حراسة العلم للعالم وكذا الطبيب الحاذق يمتنع بعلمه عن كثير مايجلب له الامراض وكذا العالم بمخاوف طريق سلكه يأخذ حذره منها فيحرسه علمه من الهلاك وهكذا العالم بالله وبامره وبعدوه ومكايده يحرسه علمه من وساوس الشيطان وخطراته فعلمه يحرسه منه وكلما جاء ليأخذه صاح به حرس العلم والايمان فيرجع خائبا فهذا السبب الذى من العبد والله وراء حراسته فمتى وكله الى نفسه طرفة عين تخطفه عدوه وهذا هو التوفيق اهـ (والعلم حاكم والمال محكوم عليه) وهذا هو الوجه الثانى لفضل العلم والمراد بالعلم هنا علم الباطن ففى القوت علم الظاهر حكم وعلم الباطن حاكم والحكم موقوف حتى يجىء الحاكم يحكم فيه وهذه الجملة فى الحديث ليست فى سياق الحلية ولا فى كتاب ابن القيم موجودة فى سياق القوت ثم قال رضى الله عنه (والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق) هكذا نص القوت وفى الحلية العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة قال ابن القيم فى كتابه المذكور العالم كلما بذل علمه للناس وانفق منه تفجرت ينابيعه وازداد كثرة وقوة ويقينا وظهورا فيكسب بتعليمه حفظ ماعلمه ويحصل له علم مالم يكن عنده وربما تكون المسألة فى نفسه غير مكشوفة فاذا تكلم بها وعلمها اتضحت له وأضاءت وانفتح له منها علوم اخر ثم قال ولزكاء العلم طريقان أحدهما تعليمه والثانى العمل به فان العمل به أيضا ينميه ويكثره وقوله والمال تنقصه النفقة لا ينافى قوله صلى الله عليه وسلم مانقصت صدقة من مال فان المال اذا تصدقت منه وأنفقت ذهب ذلك القدر وخلفه غيره وأما العلم فكالمقتبس من النار لو اقتبس منها العالم لم يذهب منها شئ بل يزيد ثم قال وفضل العلم على المال يعرف بوجوه سوى الاوجه الثلاثة التى ذكرها أمير المؤمنين * أحدها ان العلم ميراث الانبياء والمال ميراث الملوك والاغنياء * الثانى ان صاحب المال اذا مات فارقه ماله والعلم يدخل مع صاحبه قبره * الثالث ان المال يحصل للمؤمن والكافر والبر والفاجر والعلم النافع لا يحصل الا للمؤمن * الرابع ان العالم يحتاج اليه الملوك فمن دونهم وصاحب المال انما يحتاج اليه أهل العدم والفاقة * الخامس النفس تشرف وتزكو بجمع العلم وتحصيله وذلك من كمالها وشرفها والمال لا يزكيها ولا يكملها ولا يزيدها صفة كمال بل النفس تنقص وتشح وتبخل بجمعه والحرص عليه فحرصها على العلم عين كمالها وحرصها على المال عين نقصها * السادس المال يدعوها الى

الطغيان

الله عليه وسلم فى حديث الشفاعة الذين أخرجهم الله عز وجل من النار بشفاعته حين يقول تعالى فرغت شفاعة الملائكة والنبيين وبقيت شفاعتى وهو أرحم الراحمين فيخرج من النار أقواما لم يعملوا حسنة قط ويدخلون الجنة ويكون فى أعناقهم سمات ويسمون عتقاء الله عز وجل والحديث يطول وهو صحيح وانما اختصرت منه قدر الحاجة على المعنى وحكم الصنف الاول والثانى والثالث أجمعين أن لا يجب لهم حرمة ولا يكون لهم عصمة ولا ينسبون الى ايمان ولا اسلام بل هم أجمعون من زمرة الكافرين وجملة الهالكين فان عثر عليهم فى الدنيا قتلوا فيها بسيوف الموحدين وان لم يعثر عليهم فهم صائرون الى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون *(فصل)* ولما كان اللفظ المنبئ على التوحيد اذا انفرد عن العقد وتجرد

(الآثار) قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لكميل يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق

الطغيان والفخر والعلم يدعوها الى التواضع * السابع ان غنى العلم أجل من غنى المال فان المال لو ذهب فى ليلة أصبح صاحبه فقيرا معدما وغنى العلم لا يخشى عليه الفقر بل هو فى زيادة أبدا فهو الغنى العالى حقيقة كما قيل

غنيت بلا مال عن الناس كلهم * فان الغنى العالى عن الشئ لا به

* الثامن ان المال يستعبد صاحبه ومحبه فيجعله عبدا والعلم يستعبده لربه فهو لا يدعوه الا الى عبودية الله وحده * التاسع ان حب العلم وطلبه أصل كل طاعة وحب المال وطلبه اصل كل سيئة * العاشر قيمة الغنى ماله وقيمة العالم علمه فهذا متقوم بماله فاذا عدم ماله عدمت قيمته والعالم لا تزول قيمته بل هى فى تضاعيف دائما * الحادى عشر ان جوهر المال من جنس جوهر البدن وجوهر العلم من جنس جوهر الروح والفرق بينهما كالفرق بين الروح والجسد * الثانى عشر ان العالم اذا عرض عليه بحظه من العلم الدنيا بما فيها لم يرضها عوضا عن علمه والغنى العاقل اذا رأى شرف العالم وكماله به يود لو ان له علمه بغناه أجمع * الثالث عشر ان العالم يدعو الناس الى الله بعلمه وحاله وجامع المال يدعوهم الى الدنيا بحاله وقاله * الرابع عشر ان غنى المال قد يكون سبب هلاك صاحبه فانه معشوق النفوس فاذا رأت من يستأثر بمعشوقها عليها سعت فى هلاكه وأما غنى العلم فسبب حياة الرجل وحياة غيره والناس اذا رأوا من يستأثر عليهم به أحبوه وخدموه * الخامس عشر ان اللذة الحاصلة من غنى المال ان التذ صاحبه بنفس جمعه فوهمية وأما بانفاقه فى شهواته فبهيمية وأما لذة العلم فعقلية وفرق بينهما * السادس عشر ان المال انما يمدح صاحبه بتخليه عنه والعلم انما يمدح بتحليه به * السابع عشر ان طلب الكمال بغناء المال كالجامع بين الضدين وبيانه ان القدرة صفة كمال وصفة الكمال محبوبة بالذات والاستغناء عن الغير أيضا صفة كمال محبوبة بالذات فاذا مال الرجل بطبعه الى السخاء فهذا كمال مطلوب للعقلاء محبوب للنفوس واذا التفت الى ان ذلك يقتضى خروج المال من يده وذلك يوجب نقصه واحتياجه الى الغير وزوال قدرته نفرت نفسه عن فعل المكرمات وظن ان امساكه فى المال كماله فلاجل ميل الطبع الى المدح يحب الجود ولاجل فوت القدرة بسبب اخراجه يحب ابقاء ماله فيبقى القلب فى مقام المعارضة بينهما فمنهم من يترجح عنده جانب البذل ومنهم من يؤثر الامساك ومنهم من يلغ به الجهل الى الجمع بين الوجهين فيعد بالجود رجاء المدح وعند حضوره لا يفى فيقع فى أنواع الفضائح واذا تأملت أحوال الاغنياء تراهم يشكون ويبكون وأما غنى العلم فلا يعرض له شئ من ذلك وتعب جمعه أقل من تعب جمع المال * الثامن عشر ان اللذة الحاصلة من المال انما هى حال تجدده فقط وأما حال دوامه فاما ان تذهب أو تنقص لمحاولته تحصيل الزيادة دائما فهو فى فقر مستمر لبقاء حرصه بخلاف غنى العلم فان لذته فى حال بقائه مثلها فى حال تجدده بل أزيد * التاسع عشر ان غنى المال يستدعى الاحسان الى الناس فصاحبه ان سد على نفسه هذا الباب مقتوه فيتألم قلبه وان فتحه فلابد من الميل الى بعض وامساك عن بعض وهذا يفتح عليه باب العداوة والمذلة من المحروم والمرحوم فالمحروم يقول كيف جاد على غيرى والمرحوم دائما يستشرف لنظيره على الدوام وهذا قد يتعذر غالبا فيفضى الى ما ذكرنا ولذا قيل اتق شر من أحسنت اليه وصاحب العلم يمكنه بذله للكل من غير نقص فيه * العشرون ان غنى المال يبغض الموت للتمتع به وأما العلم فانه يحبب للعبد لقاء ربه ويزهده فى هذه الدنيا * الحادى والعشرون ان الاغنياء يموتون فيموت ذكرهم والعلماء بخلاف ذلك كما قال على رضى الله عنه (مات خزان المال) أى جماعه (وهم احياء) فهم أحياء كأموات (والعلماء باقون مابقى الدهر) أى بذكرهم الحسن على الالسنة وعلمهم الفائض فى القلوب خلفا عن سلف الى يوم القيامة فهم (أعيانهم) أى ذواتهم (مفقودة) بالموت الظاهر (وأمثالهم) أى علومهم وعوارفهم (فى القلوب) أى فى قلوب العلماء (موجودة) أبدا فهم كاحياء الناس بعد موتهم وهذا الحديث يأتى بطوله فى آخر الباب السادس من هذا الكتاب ولنا ان شاء الله تعالى بشرحه ماعدا هذه الكلمات بتوفيق من الله

عنه لم يقع به فى حكم الشرع منفعة ولا لصاحبه بسببه نجاة الامدة حياته عن السيف أن يراق دمه والبدان تسلط على ماله اذا لم يعلم خفى حاله حسن فيه أن يشبه بقشر الجوز الاعلى فهو لا يحتمل ولا يرفع فى البيوت ولا يحضر فى المجالس أى مجالس الطعام ولا تشتهيه النفوس الا مادام منطويا على مطعمه صونا على لبه فاذا أزيل عنه بكسر أو علم منه انه منطو على فراغ أو سوس أو طعمه فاسد لم يصلح لشئ ولم يبق فيه غرض لاحد وهذا الاخفاء فى صحته والغرض بالتمثيل تقريب ماغمض الى نفس الطالب وتسهيل ما اعتاص على المتعلم والسامع فهمه وليس من شرط المثال أن يطابق الممثل به من كل وجه وكان يكون هو ولكن من شرطه ان يكون مطابقا للواحد المراد منه

(فصل) فان قلت ماالذى صد هؤلاء الاصناف الثلاثة من أهل النطق عن النظر والبحث حتى تعلموا أو عن الاعتقاد حتى تخلصوا من عذاب الله وهم فى الظاهر قادرون على ذلك وما المانع الخفى الذى منعهم وأبعدهم عنه وهم يعلمون ان ماعليهم كبير مؤنة ولا

عز وجل (وقال رضى الله عنه العالم أفضل من الصائم القائم واذامات العالم ثلم فى الاسلام ثلمة لا يسدها الاخلف منه) هذا القول أخرجه الخطيب فى تاريخه ولفظه فان المؤمن العالم لاعظم أجرا من الصائم القائم الغازى فى سبيل الله تعالى فاذامات العالم انثلمت فى الاسلام ثلمة لا يسدها شئ الى يوم القيامة والثلمة بالضم الخلل فى حائط والخلف محركة من يخلف غيره فى الاعمال الصالحة وبسكون اللام بالعكس ومن شواهده ماتقدم فى الحديث الثامن عن جابر مرفوعا موت العالم ثلمة فى الاسلام لاتسد ما اختلف الليل والنهار وعن ابن عمر ماقبض الله عالما الا كان ثغرة فى الاسلام لاتسد وقوله الاخلف منه استثناء حسن لايخفى موقعه (وقال أيضا نظما) قال صاحب القاموس فى تركيب ودق نقلا عن أبى عثمان المازنى انه لم يصح عندنا ان عليا رضى الله عنه تكلم بشئ من الشعر غير هذين البيتين

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى * فلا وربك لابروا ولاظفروا
فان هلكت فرهن ذمتى لهم * بذات ودقين لايعفو لها أثر

ونقل الصغانى عن المازنى ذلك أيضا ونقله المرزبانى فى تاريخ النحاة عن يونس ماصح عندنا ولابلغنا انه قال شعرا الاهذين البيتين وصوبه الزمخشرى قال شيخنا فى حاشيته ولعل سند ذلك قوى عندهم والافقد روى عنه شعر كثير مما شاع وذاع لاسيما وقد قال الشعبى كان أبو بكر شاعرا وكان عمر شاعرا وكان على أشعر الثلاثة أنظر تمامه فى شرحى على القاموس وقد وجدت قبل هذه الابيات بيتين وهما قوله

الناس من جهة التمثال اكفاء * أبوهم آدم والام حواء
وان يكن لهم فى أصلهم شرف * يفاخرون به فالطين والماء
(ماالفخر الالاهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء)
(ووزن كل امرئ ماكان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم أعداء)
(ففز بعلم ولاتجهل مواضعه * فالناس موتى وأهل العلم احياء)

وقد أورد الشهاب أحمد بن ادريس بن الصلت القرافى المالكى هذه الابيات فى أول كتابه الذخيرة ولم يذكر البيت الاخير وقوله ووزن كل امرئ هو من جملة حكمه المأثورة قيمة كل امرئ مايحسنه وفى القوت وقدرويناعن على كرم الله وجهه فذكر البيتين ثم قال فمن كان عالما بعلم معلومه الله تعالى فمن أفضل منه واى قيمة تعرف له اذ كل علم قيمته معلومه ووزن كل عالم علمه اه وقوله الجاهلون مأخوذ من الحديث المشهور من جهل شيأ عاداه وقوله فالناس موتى هو مأخوذ من الحديث الناس هلكى الا الصالحون وقد أخرج الخطيب فى كتاب الاقتضاء مثل ذلك عن سهل التسترى كما سيأتى وفى الرسالة القشيرية سمعت محمد بن الحسن يقول سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول قال أبو يزيد البسطامى كنت ثنتى عشرة سنة حداد نفسى وخمس سنين مرآة قلبى وسنة أنظر فيما بينهما فعملت فى قطعه ثنتى عشرة سنة ثم نظرت فاذا فى باطنى زنار فعملت فى قطعه خمس سنين انظر كيف أقطع فنظرت الى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات قال النووى قوله فرأيتهم موتى فى غاية من النفاسة والحسن وقل ان يوجد فى غير كلام النبى صلى الله عليه وسلم كلام يحصل معناه (وقال أبو الاسود) ظالم بن عمرو أو عمرو بن ظالم الديلى معلم الحسنين أول من ابتكر علم النحو وتولى قضاء البصرة روى عنه ابنه حرب أخرج حديثه الاربعة توفى سنة ١٦٩ (ليس شئ) فى الدنيا (أعز) مقاما ورتبة (من العلم) وذلك لان (الملوك حكام على الناس) بسياستهم الظاهرة (والعلماء حكام على الملوك) بعلومهم بقوانين السياسة الشرعية وقد نظم ذلك بعضهم فقال

ان الاكابر يحكمون على الورى * وعلى الاكابر تحكم العلماء

واعلم ان العلم حاكم على ماسواه ولايحكم عليه شئ فكل شئ اختلف وجوده وعدمه وصحته وفساده ومنفعته

ومضرته

عظيم نفقة فاعلم ان هذا السؤال يفتح بابا عظيما ويهز قاعدة كبيرة يخاف من التوغل فيها ان يخرج من المقصد ولكن لابد اذا وقع فى الاسماع ووعته قلوب الطالبين واشتاقت الى سماع الجواب عنه ان نورد فى ذلك قدر ما يقع به الكفاية وتقنع به النفوس بحول الله وقوته نعم ماسبق فى العلم القديم لاتجرى بخلافه المقادير فعهم من ذلك بارادة الله عز وجل جاء الاختصاص قلوبهم بالاخلاق الكلابية والشيم الذئابية والطباع السبعية وغلبتها

وقال على ايضا رضى الله عنه العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد واذامات العالم ثلم فى الاسلام ثلمة لايسدها الاخلف منه

وقال رضى الله عنه نظما
ماالفخر الالأهل العلم انهم
على الهدى لمن استهدى
أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان
يحسنه
والجاهلون لاهل العلم
أعداء
ففز بعلم تعش حيابه أبدا
الناس موتى وأهل العلم
أحياء

وقال أبو الاسود ليس شئ أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك

ومضرته و رجحانه ونقصانه وكماله ونقصه ومدحه وذمه ومرتبته فى الخير وجودته ورداءته وقربه و بعده الى سائر جهات المعلومات فان العلم حاكم على ذلك كله فاذا حكم العلم انقطع النزاع ووجب الاتباع وهو الحاكم على الممالك والسياسات والاموال والاقلام فملك لا يتأيد بعلم لا يقوم وسيف بلا علم مخراق لاعب وقلم بلا علم حركة عابث والعلم مسلط حاكم على ذلك كله ولا يحكم شئ من ذلك على العلم وسيأتى من قول على رضى الله عنه العلم حاكم والمال محكوم عليه (وقال) ترجمان القرآن عبدالله (ابن عباس) رضى الله عنهما فيما روى عنه باسناد حسن (خير سليمان بن داود) بن ايشا (صلى الله عليه) وعلى نبينا وسلم (بين العلم والمال والملك فاختار العلم) دونهما لانه نظر الى العلم فرآه باقيا الى الابد ورأى المال والملك عارضين زائلين فاختار الباقى على الفانى (فاعطى العلم) كما اختار (و) أعطى (المال والملك معه) زيادة على مااختار وذلك لحسن نظره واخلاصه صلى الله عليه وسلم ولذلك أثنى الله عليه فى كتابه فقال و ورث سليمان داود واتفق المفسرون على ان هذه الوراثة هى النبوّة والعلم وهذا هو المناسب لجلالة مقام الانبياء (وسئل) أبو عبد الرحمن عبدالله (بن المبارك) بن واضح الحنظلى مولاهم المروزى شيخ خراسان روى عن سليمان التيمى وعاصم الاحول والربيع بن أنس وعنه ابن مهدى وابن معين وابن عرفة وأبوه تركى مولى تاجر وأمه خوارزمية ولد سنة ١١٦ وتوفى بهيت سنة ١٨١ قال أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا الفضل بن محمد البيهقى سمعت سعيد ابن داود يقول سألت ابن المبارك (عن الناس) أى الكمل منهم ورواية الحلية من الناس (فقال العلماء) أى بالله (فقيل من الملوك) ورواية الحلية قلت فمن الملوك (فقال الزهاد) زاد فى الحلية فمن الغوغاء قال خزيمة وأصحابه (فمن السفلة) ورواية الحلية قلت فمن السفلة قال الذين يعيشون بدينهم ثم قال أبو نعيم حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا ابراهيم بن محمد بن على حدثنا أحمد بن منصور حدثنا عابس بن عبد الله قال قيل لعبد الله بن المبارك من أئمة الناس قال سفيان وذووه فقيل من سفلة الناس (فقال من يأكل بدينه) ورواية الكتاب الذى يأكل بدينه ومارواه الشيخ هو نص أبى طالب فى القوت الا انه زاد فقال وقال مرة الذين يتلبسون و يتطيلسون و يتعرضون للشهادات والسفلة بكسر السين المهملة ٧ وفتح الفاء الارذال (ولم يجعل غير العالم من الناس) لما روى عن ابن مسعود مرفوعا الناس رجلان عالم ومتعلم ولاخير فيما سواهما (ولان الخاصية التى بها يتميز الناس عن) سائر (البهائم هو العلم) والبيان خاصة (والانسان انسان بما هو شريف لاجله) أى العلم (وليس ذلك) الشرف (بقوة شخصه) فيما يرى (فان الجمل) الذى ضرب به المثل فى عجيب خلقه (أقوى منه ولا) شرفه (بعظمه) أى كبر جثته (فان الفيل أعظم منه) جثة (ولا شجاعته) وقوته (فان الاسد) وفى نسخة السبع (أشجع منه) وأقوى (ولا) شرفه (ليأكل) كثيرا (فان الجمل أوسع منه بطنا) وأكثر أكلا وكذلك الفيل أيضا (ولا) شرفه (ليجامع) النساء (فان أخس العصافير) وهى الدورية (أقوى على السفاد منه) وهى جماع الطيور خاصة (بل لم يخلق الا للعلم) بالله ومعرفته وتوحيده لقوله تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون فبهذه الخاصية الخاصة يتميز عن غيره من البهائم فاذا عدم العلم بقى معه القدر المشترك بينه و بين سائر الدواب وهى الحيوانية المحضة فلا يبقى فيه فضل عليهم بل قد يبقى شرا منهم كما قال تعالى فى هذا الصنف من الناس ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون فهؤلاء هم الجهال الذين لم يحصل لهم حقيقة الانسانية التى يتميز بها صاحبها عن سائر الحيوان (وقال بعض العلماء) وفى نسخة الحكماء (ليت شعرى) أى علمى (أى شئ) وفى نسخة خير (أدرك من فاته العلم) لان العلم هو مصدر الخيور كلها فمن فاته لم يدرك شيأ من الخير وكان المراد هنا بالعلم التفقه فى الدين واليه يشير الحديث من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده كما سبق (وقال) أبو محمد (فتح) بن سعيد (الموصلى)

عليهم والملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب كذلك قال عليه السلام والقلوب بيوت تولى الله بناءها بيده

وقال ابن عباس رضى الله عنهما خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطى المال والملك معه وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية التى يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم فالانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل أقوى منه ولا بعظمه فان الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فان السبع أشجع منه ولا يأكله فان الثور أوسع بطنا منه ولا ليجامع فان أخس العصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم وقال بعض العلماء ليت شعرى أى شئ أدرك من فاته العلم وأى شئ فاته من أدرك العلم وقال عليه الصلاة والسلام من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى خيرا منه فقد حقر ماعظم الله تعالى وقال فتح الموصلى رحمه الله

---

٧ لعله وسكون الفاء كما فى القاموس اهـ مصححه

واعدها لان تكون خزائن علمه ومشارق مكنوناته ومهبط ملائكته ومغاشى أنواره ومهاب نفحاته ومجال مكاشفاته ومجارى رحمته وهيأها لتحصيل المعرفة به فمتى كان فيها شئ من تلك الاخلاق المذمومة لم يدخلها الملائكة ولم ينزل عليها شئ من الخير من قبله اذهى

أليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب اذ منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما أن غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها أبطل احساسه كما ان غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح فى الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه وتحسر تحسرا عظيما ثم لا ينفعه وذلك كاحساس الآمن من خوفه والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات فى حالة السكر أو الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن رحمه الله يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء

أحد الصوفيـة والزهاد صاحب الجد والاجتهاد من أقران بشر الحافى والسرى السقطى وكان كبير الشان فى الورع والمعاملات وسأل رجل المعافى بن عمران هل كان لفتح الموصلى كبير محل فقال كفاك بعلمه تركه للدنيا ترجمه الشعرانى زاد المناوى انه توفى سنة ١٣٠ (أليس المريض اذا منع الطعام والشراب) والدواء (يموت قالوا نعم) وعند ابن القيم قالوا بلى وذلك لان حكمة الله تعالى اقتضت بملاءمة الادوية للامراض بحسب طبائعها فاذا منع منه ذلك الدواء الملائم لمرضه فانه يكون سببا لازدياد المرض وازهاق الروح وأما الطعام والشراب فمن اللوازم للمريض وغيره ولكن معاهدته بهما أكثر اقتضاء فان الصحيح ربما يصبر عنهما بالرياضة مثلا (قال كذلك القلب) فانه كالمريض ودواؤه العلم والحكمة والمعارف الالهية (اذا منع منه) ذلك الدواء الذى هو (الحكمة والعلم ثلاثة أيام) فانه (يموت) والذى فى طبقات الشعرانى فى ترجمته وكان يقول القلب اذا منع الذكر مات كما ان الانسان اذا منع من الطعام والشراب يموت ولو على طول ويزول عنه احساسه (ولقد صدق) رحمه الله تعالى (فان غذاء القلب) وشرابه ودواءه (العلم والحكمة) والمعارف الالهية (وبهما حياته) وتوقده وذكاؤه (كما ان غذاء الجسد) وتقويته (الطعام) والشراب (ومن فقد العلم) بالله والحكمة (فقلبه مريض) بأمراض الجهل (وموته لازم) لعدم وصول ما يلائمه (ولكن لا يشعر به) أى لا يدرك موت قلبه (اذ شغل الدنيا وحبها) والميل الى ملاهيها وملاذها قد (أبطل) عنه (احساسه) بذلك وادراكه لهذا السر العظيم * وأخرج أبو نعيم فى الحلية بسنده الى مالك بن دينار قال ان العبد اذا سقم لم ينجع فيه لا طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة وكذلك القلب اذا علقه حب الدنيا لم تنجع فيه الموعظة (كما أن غلبة الخوف) من شئ اذا انتهى الى غاية (فقد تبطل احساس ألم الجراح فى الحال وان كان واقعا) ومنهم من يشتغل بالحرب فيقع عضو من أعضائه فلا يدرى منه ويمضى فى محاربته ولا يحس به الا اذا رجع عن شغله وهذا مشاهد وكذلك المحب والمفكر قد يبطل احساسهم بألم الجراحات فاذا صحوا وعادوا الى حالة الاعتدال أدركوا آلامها وكذلك العبد (فاذا حط الموت عنه اعباء الدنيا) أى احمالها الثقيلة وشواغلها (أحس) حينئذ (لهلاكه) وموت قلبه (وتحسر تحسرا لا ينفعه) اذ ذاك ولذا يتمنى أن يعود الى الدنيا (وذلك كاحساس الآمن من خوفه والمفيق من سكره) فانه مادام فى سكره لا يحس بشئ من الآلام فاذا أمن أو أفاق أحس (بما أصابه من الجراحات فى حالة السكر أو الخوف ونعوذ بالله من فضيحة يوم كشف الغطاء) اذ لا ينفع فيه الندم ولا التحسر وفى ذلك قيل

فحتام لا تصحو وقد قرب المدى * وحتام لا ينجاب من قلبك السكر

بلى سوف تصحو حين ينكشف الغطا * وتذكر قولى حين لا ينفع الذكر

فاذا كشف الغطاء وبرح الخفاء وبليت السرائر وبدت الضمائر وبعث ما فى القبور وحصل ما فى الصدور فحينئذ يكون الجهل ظلمة على الجاهلين والعلم حسرة على البطالين (فان) كما روى من قول على رضى الله عنه على ما حققه السخاوى فى المقاصد (الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا) أى أحسوا بما كانوا فيه وقد عزا الشيخ هذا القول الى النبى صلى الله عليه وسلم فى آخر الكتاب وتبعه على ذلك عبد الوهاب ابن محمود المراغى مختصر الكتاب ولم يعرج عليه العراقى وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله تعالى (وقال) أبو سعيد (الحسن) ابن يسار البصرى مولى زيد بن ثابت وقيل مولى جمل بن قطبة وأبوه يسار من سبى ميسان أعتقته بنت النضر ولد الحسن زمن عمر وسمع عثمان وشهد الدار ابن احدى عشرة سنة وروى عن عمران بن حصين وأبى موسى وابن عباس وجندب وعنه ابن عون ويونس كان كبير الشان رفيع الذكر رأسا فى العلم مات فى رجب سنة ١١٠ (يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء) قد روى ذلك مرفوعا عن أبى الدرداء كما تقدم ذكره فى الحديث العاشر وأخرجه الشيرازى

فى الالقاب من حديث أنس مرفوعا فلعل الحسن سمعه من أنس وقد اختلف فى تفضيل مداد العلماء على دم الشهداء وعكسه فذكر لكل قول وجوه من التراجيح والادلة ونفس هذا النزاع دليل على تفضيل العلم ومرتبته فان الحاكم فى هذه المسئلة هو العلم فيه واليه وعنده يقع التحاكم والتخاصم والمفضل منهما من حكم له بالفضل فان قيل فكيف يقبل حكمه لنفسه قيل وهذا أيضا دليل على تفضيله وعلو مرتبته وشرفه فان الحاكم انما لم يسغ أن يحكم لنفسه لاجل مظنة التهمة وأما العلم فلا يلحقه تهمة فى حكمه لنفسه فاذا حكم حكم بما تشهد العقول والنظر بصحته وتتلقاه بالقبول ويستحيل حكمه لتهمة فانه اذا حكم بها انعزل عن مرتبته وانحط عن درجته فهو الشاهد المزكى العدل والحاكم الذى لا يجور ولا يعزل فان قيل فماذا حكمه فى هذه المسئلة التى ذكرتموها قيل الذى يفصل النزاع ويعيد المسئلة الى مواقع الاجماع * الكلام فى أنواع مراتب الكمال وذكر الافضل منها والنظر فى أى هذين الامرين أولى به وأقرب اليه فهذه الاصول الثلاثة تبين الصواب ويقع بها فصل الخطاب فأما مراتب الكمال فأربع النبوّة والصديقية والشهادة والولاية كما هى فى الآية هكذا على هذا الترتيب فأعلى هذه النبوّة والرسالة ويليها الصديقية فالصديقون أئمة اتباع الرسل ودرجتهم أعلى بعد النبوّة فان جرى قلم العالم بالصديقية وسال مداده بها كان أفضل من دم الشهيد الذى لم يلحقه فى رتبة الصديقية وان سال دم الشهيد وقطر عليها كان أفضل من دم العالم الذى قصر عنها فأفضلها صديقها فان استويا فى الصديقية استويا فى المرتبة والله أعلم والصديقية فى كمال الايمان بما جاء به الرسول علما وتصديقا وقياما به فهى راجعة الى نفس العلم فكل من كان أعلم بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وأكمل تصديقا له كان أتم صديقية والصديقية شجرة أصولها العلم وفروعها التصديق وثمرتها العمل فهذه كلمات جامعة فى مسئلة العالم والشهيد وأيهما أفضل والله أعلم (وقال) أبو عبد الرحمن عبد الله (ابن مسعود) الهذلى حليف بنى زهرة أحد السابقين الاوّلين من الصحابة روى عنه علقمة والاسود وزر بن حبيش توفى سنة اثنين وثلاثين من الهجرة (عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه بهلاك رواته) وفى رواية ورفعه هلاك العلماء (فوالذى نفسى بيده ليودّن رجال قتلوا فى سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم وان أحدا لم يولد عالما) من بطن أمه (وانما العلم بالتعلم) هكذا أورده بتمامه ابن القيم وغيره وأخرج اللالكائى فى السنة من رواية أيوب عن أبى قلابة عن ابن مسعود قال عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله أو قال أصحابه قال وعليكم بالعلم فان أحدكم لا يدرى متى يفتقد أو يفتقر الى ما عنده الحديث وعند البيهقى فى المدخل من طريق على بن الاقمر والعسكرى من حديث أبى الزعراء كلاهما عن أبى الاحوص عن ابن مسعود قال ان الرجل لا يولد عالما وانما العلم بالتعلم وفى كتاب العلم من صحيح البخارى من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وانما العلم بالتعلم قال الحافظ فى مقدمة الفتح رواه ابن أبى عاصم فى كتاب العلم من حديث معاوية هاتين الجملتين اه أى مرفوعا وقال فى الفتح ورواه الطبرانى كذلك من طريقه بلفظ يا أيها الناس تعلموا انما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين واسناده حسن قال القسطلانى ورواه أبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث أبى الدرداء مرفوعا انما العلم بالتعلم وانما الحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه اه قلت وأخرجه الطبرانى فى الاوسط والخطيب عن أبى الدرداء بزيادة ومن يتق الشر يوقه ثلاث من كنّ فيه لم ينل الدرجات العلى ولا أقول لكم الجنة من تكهن أو استقسم أو رده من سفره تطير (وقال ابن عباس تذاكر العلم) أى مذاكرته مع نفسه ليرسخ فى ذهنه أو مع غيره بقصد الفائدة له أو لصاحبه أولهما (بعض ليلة أحب الىّ من احيائها) كلها بالصلاة ونحوها لتعدى النفع فى المذاكرة قال ابن القيم وفى مسائل اسحق بن منصور قلت لاحمد بن حنبل قوله تذاكر العلم بعض ليلة الخ أى علم

الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه وهم الوفود منه الخيرات والموصلون اليه وعنه بالباقيات الصالحات ولولا تلك الاخلاق المذمومة التى حلت فيهم وهى التى ذم الكلاب لاجلها لما احترست الملائكة باذن الله عن حلولها فيها وهى لا تخلو من خير تنزل به ويكون معها فحيثما حلت حل الخير فى ذلك القلب بحلولها وانما هى لها فحيثما وجدت قلبا خاليا ولو حينا من الدهر وزمنا نزلت عليه ودخلته وثبتت ما عندها من الخير عنده فان لم ٧ نطير على الملائكة ما زعجها عنه من تلك الاخلاق المذمومة بواسطة الشياطين الذين هم فى مقابلة الملائكة ثبتت عنده وسكنت فيه ولم تبرح عنه وعمرته بقدر سعة البيت وانشراحه من الخير فلن

وقال ابن مسعود رضى الله عنه عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه موت رواته فوالذى نفسى بيده ليودن رجال قتلوا فى سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم فان أحدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما تذاكر العلم بعض ليلة أحب الىّ من احيائها

أراد قال هو العلم الذى ينتفع به الناس فى أمر دينهم قلت فى الوضوء والصلاة والصوم والحج والطلاق ونحوها قال نعم وقال لى اسحق بن راهويه هو كما قال أحمد اهـ (وكذا روى عن أبى هريرة) رضى الله عنه لان أجلس ساعة فأتفقه فى دينى أحب الى من أن أحيى ليلة الى الصباح وهذا قد أخرجه أبو نعيم فى الحلية من رواية يزيد بن عياض عن صفوان بن سليم عن سليمان بن يسار عن أبى هريرة كما مر فى الحديث الحادى والعشرين (وأحمد بن حنبل) واسحق بن راهويه وغيرهم من العلماء فانهم نبهوا على ذلك فى أقاويلهم فمن ذلك ما أورده صاحب القوت عن وهب بن منبه مجلس يتنازع فيه العلم أحب الى من قدره صلاة لعل أحدهم يسمع الكلمة فينتفع بها السنة أوما بقى من عمره (وقال الحسن البصرى (فى) تفسير (قوله تعالى ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) قال (هى العلم والعبادة) أى العمل بما علم (وفى الآخرة حسنة) قال (هى الجنة) قال الراغب والسمين الحسنة يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الانسان فى نفسه وبدنه وأحواله والسيئة تضادها وهما من الالفاظ المشتركة تفسر فى كل موضع بما يليق به والحسنة ان كانت اسما يستعمل فى الاعيان والاحداث فلو صارت وصفا فالمتعارف انها فى الاحداث اهـ وانما سمى العلم المقرون بالعبادة حسنة لانه يبهج صاحبه ويرغب فيه ومن ذلك يفسرها بالجنة أيضا وقال غير الحسن المراد بالحسنة فى الموضعين النعمة والخصب (قيل لبعض العلماء أى الاشياء تقتنى) أى تحفظ وتدخر وتضن بها (قال الاشياء الذى اذا غرقت سفينتك) فى البحر (سبحت معك) أى عامت وسلمت من الغرق (يعنى العلم) وكونه محفوظا فى الصدور والاذهان ومن كان علمه من كتابه ربما غرق مع السفينة ومن هنا قالوا العلم ما دخل معك فى الحمام ويحكى عن بعض العلماء انه ركب مع تجار فى المركب فانكسرت بهم السفينة فأصبحوا بعد عز الغنى فى ذل الفقر ووصل العالم الى البلد فأكرم وقصد بأنواع التحف والكرامات فلما أرادوا الرجوع الى بلدهم قالوا هل لك الى قومك كتاب أو حاجة قال نعم تقولون لهم اذا اتخذتم مالا فاتخذوا مالا لا يغرق اذا انكسرت السفينة (وقيل أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت) أى ذكر السفينة كناية عن جسمه والموت كناية عن الغرق فى البحر فاذا عرض به عارض الموت بقى علمه حيا الى يوم القيامة (و) ذكر ابن الاثير فى النهاية ان الحكمة مأخوذة من الحكمة محركة وهى الحديدة التى فى فم الدابة المركوبة بها يحكم راكبها أمرها ومن هنا قال بعضهم (من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما) نقله النعمانى فى شرح البخارى وفى طبقات ابن السبكى فى ترجمة أبى الحسن الاشعرى دخل رجل على الجبائى فقال له هل يجوز أن يسمى الله تعالى عاقلا فقال الجبائى لا لان العقل مشتق من العقال وهو المانع والمنع فى حق الله محال فامتنع الاطلاق قال الشيخ أبو الحسن فقلت له فعلى قياسك لا يسمى الله تعالى حكيما لان هذا الوصف مشتق من حكمة اللجام وهى الحديدة المانعة للدابة عن الخروج ويشهد لذلك قول حسان

فنحكم بالقوافى من هجانا * ونضرب حين تختلط الدماء

أى نمنع بالقوافى من هجانا فاذا كان اللفظ مشتقا من المنع والمنع على الله محال لزمك أن تمنع اطلاق حكيم عليه سبحانه وتعالى قال فلم يحر جوابا (ومن عرف بالحكمة) فى القول والعمل (لاحظته العيون بالوقار) أى الهيبة والتعظيم (وقال الشافعى) فيما روى عنه باسناد حسن (من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو فى شئ حقير فرح) لاتصافه بما يتميز به عن غيره (ومن دفع عنه) بجهل أو نسيان (حزن وقال) أمير المؤمنين (عمر) ابن الخطاب العدوى القرشى (رضى الله عنه) فيما رواه الاسماعيلى والذهبى فى مناقبه (أيها الناس عليكم بالعلم) أى الاشتغال بطلبه (فان لله رداء يحبه) الرداء كالكساء ما يتردى به الانسان (فمن طلب بابا من) أبواب (العلم) باخلاص نيته (رداه بردائه) ذلك أى كساه به (فان أذنب ذنبا استعتبه) أى طلب رجوعه اليه واستقالته ومنه الحديث ولك العتبى

كان البيت كثير الانساع أى كثرت فيه من متاعها واستعانت بغيرها حتى عتلئ البيت من متاعها وجهازها وهو الايمان بالله والصلاح وضروب المعارف النافعة عند الله عز وجل فاذا طرق ذلك البيت طارق شيطان ليسرق من ذلك الخير الذى

كذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله وقال الحسن فى قوله تعالى ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ان الحسنة فى الدنيا هى العلم والعبادة وفى الآخرة هى الجنة وقيل لبعض الحكماء أى الاشياء تقتنى قال الاشياء التى اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعنى العلم وقيل أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار وقال الشافعى رحمة الله عليه من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو فى شئ حقير فرح ومن رفع عنه حزن وقال عمر رضى الله عنه يا أيها الناس عليكم بالعلم فان لله سبحانه رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه فان أذنب ذنبا استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك

حتى

حتى ترضى (وان تطاول به ذلك الذنب حتى يموت) هذا من شرف العلم وبركته هكذا فى سائر النسخ والذى فى المفتاح لابن القيم استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك حتى يموت به قال واستعتاب الله عبده أن يطلب منه أن يعتبه أى يزيل عتبه عليه بالتوبة والاستغفار والانابة فاذا أناب اليه رفع عنه عتبه فيكون قد أعتب ربه أى أزال عتبه عنه والرب تعالى قد استعتبه أى طلب منه أن يعتبه (وقال) أبو بحر (الاحنف) ابن قيس بن معاوية التميمى الغبرى من العلماء الاجلاء قيل اسمه صخر والاحنف لقب له وقيل اسمه الضحاك وبه جزم الحافظ ابن حجر ولد فى عهده صلى الله عليه وسلم ولم يدركه (كاد العلماء أن يكونوا أربابا) أى ملوكا وسادات لكثرة ما يخضع لهم وينقاد الى أوامرهم كقولهم كاد العروس أن يكون سلطانا (وكل عز لم يؤكد بعلم فالى ذل مصيره) أى مرجعه ومآله (وقال سالم ابن أبى الجعد) الاشجعى مولاهم الكوفى من كبار التابعين روى عن عمر وعائشة وهو مرسل وله حديث واحد فى الصحيحين عن أنس وروى أيضا عن ابن عمرو وابن عباس وعنه الاعمش وابن منصور توفى سنة مائة وهو ثقة (اشترانى مولاى) من بنى أشجع (بثلاثمائة درهم وأعتقنى فقلت) فى نفسى (بأى حرفة أحترف) أشتغل (فاحترفت بالعلم) واشتغلت به فى تحصيله (فما تمت لى سنة) واحدة (حتى أتانى أمين المدينة) أى حافظها ومالكها وفى نسخة أمير بالراء (زائرا) فاستأذن فى الدخول على (فلم آذن له) وهذا الهدهد مع حقارته أجاب سيدنا سليمان عليه السلام مع علو رتبته بصولة العلم بقوله أحطت بما لم تحط به غير مكترث بتهديده (وقال) أبو عبد الله (الزبير بن أبى بكر) ويعرف ببكار الزبيرى قاضى مكة ولد سنة ١٧٢ سمع عن ابن عيينة وأبى ضمرة وعنه ابن ماجه والمحاملى صدوق اخبارى علامة توفى سنة ٢٥٦ (كتب الى أبى) هو أبو بكر بن عبد الله بن الزبير روى عن جديه الزبير وأسماء وعنه عثمان بن أبى حكيم وابن أبى خيرة أخرج حديثه ابن ماجه (بالعراق) أى حالة كونه به (عليك بالعلم فانك ان كنت فقيرا كان) العلم (لك مالا) أى تحصل به المال (وان استغنيت وكنت عالما) (كان لك جمالا) وزينة وبهجة فان العلم للعلماء كالحلى للناهد وقد روى مثل ذلك فى فضل حسن الخط وليس اسناده بمستقيم (وحكى ذلك فى وصايا لقمان لابنه) وهو الذى أثنى الله تعالى عليه فى كتابه اختلف فى نبوته قيل كان حكيما وقيل كان رجلا صالحا وكان خياطا أو نجارا أو راعيا وقيل حبشيا وقيل نوبيا كل ذلك نقله الزجاج (وقال) أيضا كما فى الموطأ قال لقمان لابنه (يابنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك) اشارة الى شدة القرب وعدم الحياء فى التعلم فانه اذا تأخر عن مجالسهم ولم يقربهم لم يستفد وانظر الى حديث جبريل عليه السلام وأسند ركبتيه الى ركبتيه وهكذا شأن المتعلمين (فان الله يحيى القلوب بنور الحكمة) بعد أن ماتت بظلمات الجهل (كما يحيى الارض) الجدبة (بوابل المطر) فشبه القلب بالارض الجدبة التى لانبات بها بجامع عدم الانتفاع وشبه الحكمة بالمطر الغزير بجامع الانتفاع والارض انما تحتاج الى المطر فى بعض الاوقات فاذا تتابع عليها احتاجت الى انقطاعه وأما العلم فيحتاج اليه القلب بعدد الانفاس ولا يزيده كثرته الا صلاحا ونفعا (وقال بعض الحكماء اذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى الهواء) شاهده ما أخرجه ابن النجار عن أنس ويستغفر لهم الحيتان فى البحر اذا ماتوا الى يوم القيامة وقد تقدم شرحه فى الحديث الثانى والسر فى ذلك لان العلماء هم الذين يعلمون الناس أحكام الصيد والذبائح والاحسان فى الذبح والقتل ومايحل من الصيد ومالا يحل ونهى الجهلة العوام عن قتل مالا يؤذى وعن صيد مالا ينتفع به واشباه ذلك وهنالك وجه آخر سيأتى قريبا (ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره) شاهده كلام على رضى الله عنه فى أول هذا الباب العلماء باقون مابقى الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة (وقال) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب (الزهرى) روى عن ابن عمر وسهل وابن

هو متاع الملك ويثبت فيه خلقا مذموما لا يوجد الا فى الكلب وهو متاع الشيطان قاتله الله وطرده عن ذلك المحل فان جاء الشيطان بمدد من الهوى من قبل النفس ولم يجد الملك نصيره وهو عزم اليقين من قبل الروح انهزم الملك وأخلى البيت ونهب المتاع وخرب

وان تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الاحنف رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره وقال سالم بن أبى الجعد اشترانى مولاى بثلثمائة درهم وأعتقنى فقلت بأى شئ احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لى سنة حتى أتانى أمير المدينة زائرا فلم آذن له وقال الزبير بن أبى بكر كتب الى أبى بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا وحكى ذلك فى وصايا لقمان لابنه قال يابنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الارض بوابل السماء وقال بعض الحكماء اذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهرى رحمه الله

المسيب وحديثه عن أبي هريرة في الترمذي وعن رافع بن خديج في النسائي وعنه يونس ومعمر ومالك توفي سنة ١٢٤ في رمضان قال أبو نعيم في الحلية حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا أبو الطيب أحمد بن روح حدثنا السري بن عاصم حدثنا سفيان قال سمعت الزهري يقول (العلم ذكر ولا يحبه الا ذكران الرجال) ونص الحلية العلم ذكر لا يحبه الا الذكور من الرجال أي أقوياء الرجال وأخرجه الخطيب في كتابه أشرفية أصحاب الحديث من طريق محمد بن يونس قال حدثنا محمد بن عبيد الله العتبي حدثنا سعيد الخصاف عن الزهري فساقه وزاد ولا يزهد فيه الا اناثها والباقي سواء ومعنى قوله ذكر أي عظيم ومنه الحديث القرآن ذكر فذكروه أي عظموه ويعبر بالذكر أيضا عن القوي الجلد وقال أبو نعيم أيضا حدثنا محمد بن حميد حدثنا عبدالله بن أبي داود حدثنا سليمان بن سعيد حدثنا سعيد بن عامر عن أبي بكر الهذلي قال قال الزهري ياهذلي أيعجبك الحديث قلت نعم قال انما يعجبه مذكر والرجال ويكرهه مؤنثوهم وأخرجه الخطيب في كتاب شرف أهل الحديث من طريق بكر بن سلام أبي الهيثم حدثني أبو بكر الهذلي فساقه وفيه أما انه يحب ذكور الرجال والباقي سواء وأنشد العباس بن محمد الخراساني تغمده الله برحمته

لا يطلب العلم الا بازل ذكر * وليس يبغضه الا المخانيث

ورويناه أيضا في كتاب المجالسة للدينوري قال حدثنا عبدالله بن مسلم بن قتيبة حدثنا الرقاشي عن أبي يعقوب الخطابي عن عمه قال قال الزهري الحديث ذكر يحبه ذكور الرجال ويكرهه مؤنثوهم ورأيت في حواشي الزركشي على علوم ابن الصلاح ان بعض الناس ضبط في قول الزهري ذكر بالكسر وهو خطأ

(في فضيلة التعلم)

استدل فيها بآيتين من كتاب الله عز وجل فقال (أما الآيات) فانها في كتاب الله تعالى كثيرة مما يدل على فضيلته ولكن وقع الاقتصار منها على آيتين لاشتمالهما على المقصود الاعظم الاولى (قوله تعالى) وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة (ليتفقهوا في الدين) ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون أي ليتعلموا الفقه في الدين ندب الله تعالى المؤمنين الى التفقه في الدين وهو تعلمه وانذار قومهم اذا رجعوا اليهم وهو التعليم وسيأتي الكلام على هذه الآية في فضيلة التعليم فان الشيخ رحمه الله لما رأى الآية متضمنة على الفضيلتين أوردها في موضعين استدلالا على مطلوبه (والثانية) قوله تعالى (فاسئلوا أهل الذكر) أي تعلموا منهم ولا يكون التعليم الا بالسؤال (ان كنتم لا تعلمون) والمراد باهل الذكر أهل العلم من كل أمة وقيل أهل القرآن وقيل أهل الكتب القديمة أي ممن آمن منهم قاله السمين ثم ان التعلم هو تنبيه النفس لتصور المعاني كما ان التعليم تنبيهها لتصورها وقد تقدم بيان ذلك (وأما الاخبار) الدالة على فضيلة التعلم فهي كثيرة اقتصر منها الشيخ رضي الله عنه على عشرة أحاديث ما بين صحاح وحسان وضعاف وموضوعة على قول فالاول حسن أو صحيح والثاني صحيح والثامن موضوع والباقي ضعاف كما سيأتي بيان ذلك تفصيلا * أما الحديث الاول (فقوله عليه الصلاة و(السلام من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة) قال العراقي ورد من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة أما حديث أبي الدرداء فرواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه في أثناء حديث وقد تقدم في الحديث الثاني من هذا الباب وهذا لفظ الترمذي الا انه قال يبتغي به بدل يطلب فيه وتقدم لفظ أبي داود وقال ابن ماجه يلتمس بدل يطلب وقال سهل الله له وأما حديث أبي هريرة فرواه مسلم وابن ماجه من رواية أبي معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه بلفظه الا ان مسلما قال سهل الله له وقال ابن ماجه به وقال أيضا يلتمس بدل يطلب اه قلت وعزا الجلال في ذيله على الجامع الى الامام أحمد والاربعة وابن حبان كلهم عن أبي الدرداء بلفظ يطلب فيها علما سهل الله له طريقا من طرق الجنة ونص الترمذي في جامعه حدثنا محمود بن خداش عن محمد بن يزيد

البيت بعد عمارته وأظلم بعد نوره وضاق بعد انشراحه وهكذا حال من آمن وكفر وأطاع وعصى وضل واهتدى (فان قلت) فميز لي اصناف هذه الاخلاق المذمومة التي صدت هؤلاء الاصناف المذكورين عن اعتقاد الايمان ونفرت الملائكة عن النزول الى قلوبهم بكشف معاني التوحيد ومنعهم من الحلول فيها حتى لم ينالوا شيأ من الخيرات السكان معها فاعلم ان الاخلاق التي لا يجتمع معها الملائكة في قلب واحد كثيرة والتي في قلوب هؤلاء منها معظمها وهي الطمع في غير خطير والحرص على فان حقير (أما) الصنف الاول فانهم رجعوا وخافوا أن تبدو لهم صحة ما يشغلهم عن لذاتهم وينغص عليهم مارغبوا فيه من راحاتهم

العلم ذكر ولا يحبه الا ذكران الرجال

(فضيلة التعلم)

(أما الآيات) فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وقوله عز وجل فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون (وأما الاخبار) فقوله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة

الواسطى عن عاصم بن رجاء أبي حيوة عن قيس بن كثير عن أبي الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ثم ساق جملا مضى ذكر بعضها فى أحاديث فضل العلم و يأتى بعضها ثم قال كذا حدثنا محمود وانما يروى هذا الحديث عن عاصم عن داود بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء وهذا أصح من حديث محمود ولا يعرف هذا الحديث الا من حديث عاصم وفى العلل للدارقطنى رواه الاوزاعى عن كثير بن قيس عن يزيد بن سمرة وغيره من أهل العلم عن كثير بن قيس قال وعاصم بن رجاء ومن فوقه الى أبي الدرداء ضعفاء وقال البزار داود بن جميل وكثير بن قيس لا يعلمان فى غير هذا الحديث ولا نعلم روى عن كثير غير داود والوليد بن مرة ولا نعلم روى عن داود غير عاصم قال ابن القطان اضطرب فيه عاصم فعنه فى ذلك ثلاثة أقوال أحدها قول عبدالله بن داود عن عاصم عن واقد عن كثير بن قيس والثانى قول أبي نعيم عن عاصم عمن حدثه عن كثير والثالث قول محمد بن يزيد الواسطى عن عاصم عن كثير ولم يذكر بينهما أحدا والمتحصل من علة هذا الخبر هو الجهل بحال راويين من رواته والاضطراب فيه ممن لم تثبت عدالته اه وقد مر عند الترمذى فى رواية محمود بن خداش عن محمد بن يزيد فسماه قيس بن كثير فصار اضطرابا رابعا والخامس قال فى التهذيب داود بن جميل وقال بعضهم الوليد بن جميل وفى جامع العلم لابن عبد البر من رواية ابن عياش عن عاصم بن جميل بن قيس ثم قال قال حمزة بن محمد كذا قال ابن عياش فى هذا الخبر جميل ابن قيس وقال محمد بن يزيد وغيره عن عاصم عن كثير بن قيس قال والقلب الى ما قاله محمد بن يزيد أميل وهذا اضطراب سادس وسابع وثامن ذكره ابن قانع فى المعجم وزعم أن كثير بن قيس صحابى وانه هو الراوى عن النبي صلى الله عليه وسلم وتبعه ابن الاثير على هذا وقول ابن القطان لا يعرف كثير فى غير هذا الحديث يرده قول ابن عبد البر روى عن أبي الدرداء وعبدالله بن عمرو ومع ذلك فقد قال ابن عبد البر قال حمزة وهو حديث حسن غريب والتزم الحاكم صحته وكذا ابن حبان رواه عن محمد ابن اسحق الثقفى حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا عبدالله بن داود فذكره بطوله وقال الترمذى بعد اخراجه للجملة الاولى من الحديث عن أبي هريرة حسن قال القسطلانى وانما لم يقل صحيح لتدليس الاعمش لكن فى رواية مسلم عن الاعمش حدثنا أبو صالح فانتفت تهمة تدليسه اه وقال الحاكم فى المستدرك فهو صحيح على شرطهما رواه عن الاعمش جماعة منهم زائدة وأبو معاوية وابن نمير اه وأورده البخارى فى أول صحيحه ولفظه سهل الله له طريقا الى الجنة والباقى مثل سياق مسلم والحديث محفوظ وله أصل وقد تظاهر الشرع والعقل على أن الجزاء من جنس العمل فكما سلك طريقا يطلب فيه حياة قلبه ونجاته من الهلاك سلك الله به طريقا يحصل له ذلك وروى ابن عدى من حديث محمد بن عبد الملك الانصارى عن الزهرى عن عروة عن عائشة مرفوعا أوحى الى انه من سلك مسلكا يطلب العلم سهلت له طريقا الى الجنة قال العينى وابن حجر وانما لم يفصح البخارى بكونها تعليقا للعلل التى ذكرت وقال المناوى فى شرح الحديث طريقا أى حسية أو معنوية وعلما نكره ليعم كل علم شرعى وآلته ومعنى تسهيل الطريق فى الدنيا أن يوفقه للعمل الصالح وفى الآخرة بأن يسلك به طريقا لا صعوبة فيها ولا هول الى أن يدخله الجنة سالما الحديث الثانى (وقال صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب) وفى نسخة بما يصنع الاجنحة جمع جناح بالفتح وهو للطائر بمنزلة اليد للانسان ووضع أجنحتها عبارة عن حضورها مجلسه وتوقيره وتعظيمه أو اعانته على بلوغ مقاصده أو قيامهم فى تيد أعدائه وكفايته شرهم أو عن تواضعها ودعائها له يقال للرجل المتواضع خافض الجناح قال السيد السمهودى والاقرب كونه بمعنى ما ينظم هذه المعانى كلها كما يرشد اليه الجمع بين ألفاظ الروايات وروى النووى فى بستانه بسنده الى زكريا الساجى كنا نمشى فى أزقة البصرة الى بعض

وتكدر لديهم منال شهواتهم فابقوا أمرهم على ما هم عليه وأما الصنف الثانى والثالث فصدهم أيضا خوف وجزع وحرص على ما ألفوه من تبجيل أحدهم أن يزول ومؤانسة أشياعهم ان تتغير وتذهب ومواساة ايلافهم أن تنقطع واستثقالا لما يشاهدونه من اهل الايمان أن يلتزموه وفرارا من شرائطه وما يجب من الاعمال والوظائف أن يتمثلوا والكلب ماذم لصورته وانما ذم بهذه الاخلاق التى هى الطمع فى الخسائس والجزع من الصبر على ما بعده من الفضائل حتى احترمت الملائكة أن تدخل بيتا فيه كلب فان قلت فكيف آمن من كفر وأطاع من عصى واهتدى من ضل اذا كانت الشياطين لا تفارق قلب الكافر والعاصى والضال بما تثبتون من الاخلاق المذمومة التى هى كلاب نابحة وذئاب عادية وسباع ضارية وأصناف الخير انما ترد من الله عز وجل بواسطة الملائكة وهى لا تدخل موضعا يحل فيه شئ مما

وقال صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع

ذكرنا واذا لم تدخل لم يصل الى الخير الذى يكون معها ولم تصل اليه فعلى هذا يجب أن يبقى كل كافر على حاله ومن لم يخلق مؤمنا معصوما فلا سبيل له الى الايمان على هذا المفهوم فاعلم ان هذا يستدعى ٧ أصنافا من علم القلوب ولا سبيل الى ذلك فى مثل هذا المقام المعلوم والقول والمعنى فى جواب ما سألت عنه ان للشيطان غفلات وللاخلاق المذمومة عدمات كما ان الملائكة لها عن القلوب غيبات ولتواتر الخير عليها فترات فاذا وجد الملك كما أعلمتك قلبا خاليا ولو زمنا ما فرودخل فيه وأراه ما عنده من الخير فان صادف منه قبولا ولما عرض عليه من الخير تشوقا ونزوعا أورد عليه ما يملأ و يستغرق لبه وان صادف منه صحوا وسمع منه بجنود الشيطان استغاثة بالاخلاق الكلابية استعانة رحل عنه وتركه ولهذا قيل ما خلا لب عن لمة ملك أو نزغة شيطان (فان قلت) فاى بيت فهم عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الخطاب وأى كلب أذهل بيت القلب كلب الخلق أو بيت اللبن وكلب الحيوان فاعلم أن الحديث خارج

وقال صلى الله عليه وسلم لان تغدو فتتعلم بابا من العلم

الحدثين فأسرعنا المشى ومعنا رجل فاجر فقال ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لاتكسروها كالمستهزئ فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط وروى محمد بن طاهر المقدسى بسنده الى الامام أبى داود قال كان فى أصحاب الحديث خليع سمع بحديث ان الملائكة لتضع الخ فجعل فى نعله مسامير حديد وقال أريد أن أطأ أجنحة الملائكة فأصابته الاكلة فى رجله وفى رواية فشلت يداه ورجلاه وسائر أعضائه قال العراقى أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال وهذا اللفظ لاحمد وفى رواية له ما من خارج يخرج من بيته الا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع وهو لفظ ابن ماجه وقال الحاكم يضع وأخرجه الثلاثة وابن حبان من حديث أبى الدرداء وقالوا رضا لطالب العلم ليس فيه بما يضع وأخرجه الذهبى فى كتاب العلم من رواية زياد بن ميمون عن أنس بمثله اه قلت أما حديث أنس فقد أخرجه ابن عساكر والطيالسى والبزار والديلمى ولفظهم طالب العلم تبسط له الملائكة أجنحتها رضا بما يطلب وأما حديث أبى الدرداء فقد أخرجه الامام أحمد أيضا وابن ماجه وأما حديث صفوان فأخرجه الطيالسى أيضا ولفظه بما يطلب كالمصنف وقرأت فى اصلاح المستدرك للحافظ العراقى بخطه وقد ساق هذا الحديث من طريق الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا عمر عن عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبيش أتيت صفوان بن عسال المرادى فقال ما جاء بك قال فقلت جئت لاطلب العلم قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من خارج يخرج من بيته فى طلب العلم الا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع ثم قال وأخرجه الطبرانى عن اسحق بن ابراهيم عن عبد الرزاق مثله وهو حديث صحيح أخرجه ابن ماجه عن محمد بن يحيى عن عبد الرزاق مقتصرا على المرفوع منه دون سؤال صفوان لزر عما جاء به وجوابه ورواه ابن حبان فى صحيحه فى ثلاثة أنواع عن ابن خزيمة عن محمد بن يحيى ومحمد بن رافع عن عبد الرزاق وقال فى نوع منها وأخبرنا محمد بن اسحق بن خزيمة بخبر غريب ورواه الحاكم عن محمد بن يعقوب الاصم عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن ابن وهب عن معاوية بن صالح عن عبد الوهاب بن بخت عن زر عن صفوان قوله غير مرفوع وزاد فى آخره حتى يرجع وقال هذا اسناد صحيح فان عبد الوهاب ابن بخت من ثقات المصريين واثباتهم وقد احتجابه ولم يخرجا هذا الحديث قال ومدار هذا الحديث على عاصم عن زر وله عن زر شهود ثقات غير عاصم منهم المنهال بن عمرو وقد اتفقا عليه ثم رواه من رواية عارم عن الصعق بن حزن عن على بن الحكم عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش قال جاء رجل من مراد يقال له صفوان بن عسال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره مرفوعا لكنه مرسل كما سيذكره بعد ثم قال الحاكم وقد خالفه شيبان بن فروخ فقال حدثنا الصعق بن حزن حدثنا على بن الحكم البنانى عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال حديث صفوان بن عسال المرادى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قبة من ادم أحمر فقلت يارسول الله انى جئت أطلب العلم فقال مرحبا بطالب العلم ان طالب العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضها بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب قال هذا حديث رجاله محتج بهم فى الصحيح الا ان ذكر ابن مسعود فيه نوع من المزيد فى متصل الاسانيد وقال وقد صرح زر بسماعه له من صفوان ويحتمل انه سمعه من ابن مسعود عن صفوان ثم سمعه من صفوان ثم قال الحاكم وقد أوقف هذا الحديث جماعة منهم أبو خباب الكلبى عن طلحة بن مصرف عن زر ثم رواه من رواية الحسن ابن صالح عن أبى خباب موقوفا على صفوان والذى أسنده أحفظ والزيادة منهم مقبولة وهذا حديث صحيح وقد أورد العراقى على الحاكم فى هذا السياق ثمان مؤاخذات تركتها خوف الاطالة والله أعلم

* الحديث الثالث (وقال صلى الله عليه وسلم لان تغدو فتتعلم بابا من العلم) أى نوعا منه وفى بعض

الروايات بابا من الخير (خير من أن تصلى مائة ركعة) وفى بعض النسخ مائتا ركعة قال العراقى رواه ابن عبد البر من رواية على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره وابن جدعان ضعيف والحديث عند ابن ماجه من هذا الوجه الا انه قال ألف ركعة وزاد فيه عمل به أولم يعمل به وزاد فى أوله لان تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة واسناد ابن ماجه منقطع فانه عنده من رواية عبد الله بن غالب العبادانى عن عبد الله ابن زياد البحرانى هكذا معنعنا وفى رواية ابن عبد البر عبد الله بن غالب العبادانى قال حدثنا خلف ابن أعين عن عبد الله بن زياد فزاد فيه رجلا اهـ قلت قال ابن القيم أخرجه ابن عبد البر عن معاذ مرفوعا ولا يثبت رفعه هكذا قاله عن معاذ ولعله سهو من قلم الناسخ *وأما حديث ابن ماجه الطويل فأخرجه الحاكم أيضا فى تاريخه ويأتى بطوله فى الحديث التاسع ان شاء الله تعالى وروى الطبرانى فى الاوسط من رواية ابن جدعان عن ابن المسيب عن أبى ذر مرفوعا باب من العلم يتعلمه أحدكم خير له من مائة ركعة يصليها تطوّعا وروى المخلص فى فوائده عن ابن صاعد حدثنا القاسم بن الفضل حدثنا حجاج بن نصير حدثنا هلال بن عبد الرحمن عن عطاء بن أبى ميمونة عن أبى هريرة وأبى ذر انهما قالا باب من العلم نتعلمه أحب الينا من ألف ركعة تطوّعا وباب من العلم نتعلمه عمل به أولم يعمل أحب الينا من مائة ركعة تطوّعا وقالا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات شهيدا ورواه ابن أبى داود عن شاذان عن حجاج به وروى الخطيب عن أبى هريرة قال لان أعلم بابا من العلم فى أمر أونهى أحب الىّ من سبعين غزوة فى سبيل الله *الحديث الرابع (وقال صلى الله عليه وسلم باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ومافيها) قال العراقى لم أجده بهذا اللفظ مرفوعا وهو معروف هكذا من قول الحسن البصرى رويناه فى أمالى أبى عبد الله بن منده ورواه ابن عبد البر فى العلم وابن حبان فى روضة العقلاء موقوفا عن الحسن اهـ وروى عن الحسن لان أتعلم بابا من العلم فأعلمه مسلما أحب الىّ من أن يكون لى الدنيا كلها فى سبيل الله *الحديث الخامس (وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم) أخرجه ابن عدى والبيهقى عن أنس والطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود وفى الاوسط عن ابن عباس وفيه أيضا وكذا البيهقى عن أبى سعيد وتمام فى فوائده عن ابن عمر والخطيب فى تاريخه عن على قلت أما حديث أنس فأخرجه الخطيب فى رحلته من رواية طريق بن سليمان وأبو على الحداد فى معجم شيوخه من رواية هشام بن الصلت عن مسلم وابن خسرو فى مسنده من رواية أحمد بن الصلت عن بشر بن الوليد عن أبى يوسف عن أبى حنيفة وابن عدى فى الكامل من رواية معاذ بن رفاعة عن عبد الوهاب بن بخت وابن ماجه فى سننه من رواية محمد بن سيرين خمستهم عن أنس ورويناه فى الكامل من رواية أحمد بن عبد الملك عن نافع عن ابن عمر وعن محمد بن المنكدر عن جابر وفى مشيخة أبى على بن شاذان من طريق حماد عن أبى وائل عن ابن مسعود وفى معجم شيوخ الحداد من رواية الشعبى عن ابن عباس قال البيهقى فى الشعب متنه مشهور واسناده ضعيف وقد روى من أوجه كلها ضعيفة وقال النووى فى فتاويه هو حديث ضعيف وان كان معناه صحيحا وقال البزار أسانيده واهية وقال ابن القطان لم يصح فيه شئ وأحسن مافيه ضعيف وسكت عنه مغلطاى وقال البدر الزركشى روى عن عدة من الصحابة وفى كل طرقه مقال وأجودها طريق قتادة وثابت عن أنس وطريق مجاهد عن ابن عمر وقد أخرجه ابن ماجه فى سننه عن كثير بن شنظير عن ابن سيرين عن أنس وفيه زيادة وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب وكثير بن شنظير مختلف فيه فالحديث حسن قال ابن عبد البر روى من وجوه كلها معلولة ثم روى عن اسحق بن راهويه ما معناه أن فى أسانيده مقالا ولكن معناه صحيح عندهم وقال البزار أحسن

على سببه ومعناه وجملته ان المقصود بالاخبار هو بيت اللبن وكلب الحيوان معلوم ولا يبتك فى ذلك ولكن يستقرأ منه ما قلناه ويستنبط من مفهومه ماننبهناك عليه ويتخطى منه الى ما اشرنا لك نحوه ولا نكر فى ذلك اذا دل عليه العلم وجلة الاستنباط ولم تمجه القلوب المستضاءة ولم تصادم به شيأ من أركان الشريعة فلا تكن جاحدا ولا تجزع من تشنيع جاهل ولا من نفور مقلد فكثيرا ماورد شرع مقرون بسبب فرأى أهل الاعتبار وجه تعديه عن سببه الى مافى معناه ومشابه له من الجهة التى تصلح ان يعديها اليه ولولا ذلك لما قال النبى صلى الله عليه وسلم رب مبلغ أوعى من سامع وحامل فقه الى من هو أفقه منه (سؤال) فان قلت فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لاتدخل الملائكة بيتا فيه صورة وعلم السبب الذى جاء هذا الحديث عليه وفيه فهل يعدى عن سببه ويترقى منه الى مثل ماترقى من الحديث الآخر فهذا كما قيل الحديث شجون

خير من أن تصلى مائة ركعة وقال صلى الله عليه وسلم باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ومافيها

منه ويبعد علينا التخلص عنه نعم يترقى منه الى قريب من ذلك وشبهه ويكون هذا الحديث منها عليه وهوان الصورة المنحوتة قد اتخذت آلهة وعبدت من دون الله عز وجل وقد نبه الله عز وجل قلوب المؤمنين على عيب فعل من رضي بذلك ونقص ادراك من دان به حين قال مخبرا عن ابراهيم عليه السلام حيث قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون فكان امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة لاجل ان فيه ما عبد من دون الله سبحانه أوما حكى به ماهو على مثاله ويترقى من ذلك المعنى الى ان القلب الذي هو بيت بناه الله ليكون مهبطا للملائكة ومحلا للذكر ومعرفة عبادته وحده دون غيره فاذا حل فيه معبود غير الله سبحانه وهو الهوى لم تقر به الملائكة ايضا (فان قيل) فظاهر الحديث يقتضي منافرة الملائكة لكل صورة عموما وما ذكرته تعليلا

وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم

طرقه مارواه ابراهيم بن سلام عن حماد عن ابراهيم عن أنس قال ولا نعلم اسناد ابراهيم عن أنس سواه وابراهيم بن سلام لانعلم روى عنه الا أبو عاصم وأخرج ابن الجوزي في منهاج العابدين من رواية أبي بكر بن أبي داود حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا يحيي بن حسان عن سليمان بن قرم عن ثابت عن أنس فذكره ثم قال ابن أبي داود سمعت أبي يقول ليس في طرقه أصح من هذا وقال السخاوي في المقاصد أخرجه ابن ماجه وابن عبد البر في بيان العلم له من حديث حفص بن سليمان عن كثير بن شنظير عن ابن سيرين عن أنس مرفوعا بتلك الزيادة وحفص ضعيف جدا بل اتهمه بعضهم بالكذب والوضع ولكن له شاهد عند ابن شاهين في الافراد ورويناه في ثاني الشهونيات من حديث موسى بن داود حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس به وقال ابن شاهين انه غريب قال السخاوي ورجاله ثقات بل روى عن نحو عشرين تابعيا عن أنس كابراهيم النخعي وثابت واسحق ابن عبدالله بن أبي طلحة وله عنه طرق وحميد والزبير بن خريت وزياد بن ميمون بن عمار أو ابن عمار وسلام الطويل وطريق بن سليمان بن عاتكة وقتادة والمثنى بن دينار والزهري ومسلم الاعور كلهم عن أنس ولفظ حميد طلب الفقه حتم واجب على كل مسلم ولزياد والله يحب اغاثة اللهفان ولابي عاتكة في أوله اطلبوا العلم ولو بالصين وفي كل منهما مقال ولذا قال ابن عبد البر فساق ما أوردناه آنفا ثم نقل عن البزار ماقدمنا ذكره ثم قال وهو عند البيهقي في الشعب وابن عبد البر في العلم وتمام في فوائده من طريق عبد القدوس بن حبيب الوحاظي عن حماد ثم ساق طريق ابن أبي داود الذي قدمناه قال وكذا رواه ابن عبد البر من جهة جعفر بل وفي الباب عن أبي دحاور وحذيفة والحسين بن علي وسمان وسمرة وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وعلي ومعاوية بن حيوة ونبيط بن شريط وأبي أيوب وأبي سعيد وأبي هريرة وعائشة بنت قدامة وآخرين وقال أبو علي الحافظ انه لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ساق كلام ابن الجوزي في العلل ونقل عن الامام أحمد انه قال لايثبت عندنا في هذا الباب شئ ثم نقل كلام ابن راهويه وكلام القطان وكلام البيهقي ثم قال ومثل به ابن الصلاح للمشهور الذي ليس بصحيح وتبع في ذلك أيضا الحاكم ولكن قال العراقي قد صحح بعض الائمة طرقه اه كلام السخاوي وقال المزني هذا الحديث روى من طرق تبلغ رتبة الحسن وقال السيوطي في التعليقة المنيفة وعندي انه بلغ رتبة الصحيح لاني رأيت له نحو خمسين طريقا وقد جمعتها في جزء ونقل المناوي عنه قال جمعت له خمسين طريقا وحكمت بصحته لغيره ولم أصحح حديثا لم أسبق لتصحيحه سواه اه قلت ان أراد السيوطي بانه لكثرة طرقه ارتقى من الضعف الى الصحة فهذا منظور فيه لان كثرة الطرق لاترقي الحديث اذا كان فيها مقال كما صرح به الحافظ وغيره وتقدم ذلك في حديث من حفظ على أمتي وان كان اعتمد على طريق قتادة وثابت فالامر سهل قال السخاوي وقد ألحق بعض المصنفين في آخره ومسلمة وليس لها ذكر في شئ من طرقه وان كانت صحيحة المعنى والله أعلم * الحديث السادس (وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين) قال العراقي أخرجه ابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب والمدخل وابن عبد البر في العلم من رواية أبي عاتكة عن أنس وأبو عاتكة منكر الحديث وقال البيهقي هذا الحديث مشهور وأسانيده ضعيفة وأخرجه ابن عبد البر أيضا من رواية الزهري عن أنس وفي اسناده يعقوب بن اسحق العسقلاني فقد كذبه البيهقي قلت ورواه من طريق عبيد بن محمد عن ابن عيينة عن الزهري قاله السخاوي اه وأخرجه ابن عدي أيضا من رواية الفضل بن موسى عن محمد ابن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رفعه ثم قال هذا من وضع الجويباري لابن كرام باطل بهذا الاسناد اه قلت وحديث أنس أيضا أخرجه الخطيب في الرحلة والديلمي في مسند الفردوس وزادا كالبيهقي وابن عبد البر بآخره فان طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال الحافظ في اللسان وقد

روى أيضا من طريق النخعى سمعت أنسا وهو باطل أيضا فان النخعى لم يسمع من أنس اه وقد روى هذا الحديث عن أبى عاتكة ستة محمد بن غالب التمتام وجعفر بن هاشم والحسن بن على بن عباد وأبو بكر الاعين والعباس بن طالب والحسن بن عطية وقد خرج الخطيب هذا الحديث فى رحلته من طرق هؤلاء وكذا البيهقى والديلمى وابن عدى والعقيلى وتمام وقد ألفت فى تخريجه والحديث الذى قبله جزأ لطيفا أوردت فيه ماتيسر لى من الاسانيد * الحديث السابع (وقال صلى الله عليه وسلم العلم خزائن) جمع خزينة (مفاتحها) جمع مفتح ومفتاح كمنبر ومصباح وفى بعض النسخ مفاتيحها بزيادة التحتية وفى بعض الروايات ومفتاحها (السؤال) قال الماوردى حكى ان بعض الحكماء رأى شيخا يحب النظر فى العلم ويستحى من السؤال فقال ياهذا تستحى ان تكون فى آخر عمرك أفضل مما كنت فى أوله (فاسألوا) وفى بعض النسخ فسلوا وفى بعض الروايات هنا بزيادة يرحمكم الله (فانه يؤجر فيه أربعة) من الانفس (السائل والعالم) وفى بعض الروايات والمعلم بدل العالم (والمستمع والمحب لهم) وفى بعض النسخ والمجيب لهم والمراد بالسؤال سؤال تفهم لا تعنت فذلك منهى عنه قال العراقى أخرجه أبو نعيم فى الحلية من رواية داود بن سليمان الغازى عن على بن موسى عن آبائه عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ورواه الخطيب فى كتاب الفقيه والمتفقه من طريق الطبرانى عن عبد الله بن أحمد بن عامر عن أبيه عن على بن موسى قال فى الميزان ماينفك عن وضعه أو وضع أبيه وأيضا فداود الغازى كذبه ابن معين وله نسخة موضوعة عن أهل البيت وهذا الحديث معروف من قول الزهرى رواه عبد الغنى بن سعيد فى كتاب آداب الحديث والمحدث اه قلت وأخرجه العسكرى فى الامثال بمثل رواية الحلية وأورده صاحب القوت فقال وفى الخبر الذى رويناه من طريق أهل البيت وساقه وزاد فى الميزان ان تلك النسخة الموضوعة رواها عن داود الغازى على بن محمد بن مهرويه القزوينى العدوى فمنها هذا الحديث اه وأما عبد الله بن محمد بن عامر الطائى فقد ذكره ابن النجار فى تاريخه فى ترجمة على الرضا وذكر له جملة أحاديث رواها عنه بواسطة أبيه وأماقوله وهذا الحديث معروف من قول الزهرى فقد أخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال العلم خزائن وتفتحها المسائل وأخرج أيضا من رواية قتيبة بن سعيد حدثنا رشدين بن سعد عن ابن شهاب قال مثله وأخرج من رواية محمد بن اسحق عن الزهرى قال كان يصطاد العلم بالمسئلة كما يصطاد الوحش *الحديث الثامن (وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه) هكذا أورده صاحب القوت فقال وكذلك روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى للجاهل أن يستقر على جهله ولا ينبغى للعالم أن يسكت عن علمه وقد قال الله تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال العراقى رواه ابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما رياضة المتعلمين وأبو بكر بن مردويه فى تفسيره وأبو الشيخ فى كتاب الثواب من رواية محمد بن أبى حميد عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره وقدم ذكر العالم وفى آخره فان الله قال فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ومحمد بن أبى حميد منكر الحديث قاله البخارى وغيره اه قلت هو حماد بن أبى حميد ابراهيم الزرقى الانصارى أبو ابراهيم المدنى من رجال الترمذى وابن ماجه ضعيف وقد أخرجه الطبرانى فى الاوسط من هذا الطريق وسياقه كسياق الجماعة * الحديث التاسع (وفى حديث أبى ذر) جندب بن جنادة الغفارى رضى الله عنه رفعه (حضور مجلس عالم افضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة فقيل يارسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل ينفع القرآن الا بالعلم) قال العراقى هذا الحديث موضوع وانما أعرفه من حديث عمر لامن حديث أبى ذر كذا ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات فقال روى محمد بن على بن عمر المذكر قال حدثنا اسحق بن الجعد حدثنا أحمد بن عبد الله الهروى حدثنا اسحق بن نجيح حدثنا هشام

ينبغى ان لا يقتضى الا منافرة ماعبد أو مانحت على مثاله (قلنا) تشابهت الصور المنحوتة كلها فى المعنى الذى قصد بها التصوير لاجله وهو مضارعة ذى الارواح ومانحت للعبادة انما قصد به تشبيه ذى روح فلما كان هذا المعنى الجامع لها وجب تحريم كل صورة منافرة للملائكة (فان قيل) فما وجه الترخيص فيما رقم فى ثوب فذلك لانها ليست مقصودة فى نفسها وانما المقصود الثوب الذى رقمت فيه (فان قيل) فما بال الثياب رخص فى محا كاتها بالتصوير وذات انواط فى العرب مشهورة

وقال عليه الصلاة والسلام العلم خزائن مفاتيحها السؤال ألا فاسألوا فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة فقيل يارسول الله ومن قراءة القرآن فقال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن الا بالعلم

ابن حسان حدثنا محمد بن سيرين حدثنا عبيدة السلماني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شاهد فقال يارسول الله اذا حضرت جنازة وحضر مجلس عالم أيهما أحب اليك أن أشهده فقال ان كان للجنازة من يتبعها ويدفنها فان حضور مجلس عالم أفضل من حضور ألف جنازة تشيعها ومن حضور ألف مريض تعوده ومن قيام ألف ليلة للصلاة ومن ألف يوم تصومه ومن ألف درهم تتصدق بها ومن الف حجة سوى الفرض ومن ألف غزوة سوى الواجب تغزوها في سبيل الله بنفسك ومالك الحديث وفيه فقال رجل قراءة فقال ويحك وما قراءة القرآن بغير علم وما الحج بغير علم وما الجمعة بغير علم أما علمت أن السنة تقضي على القرآن والقرآن لا يقضي على السنة قال ابن الجوزي هذا حديث موضوع أما المذكر فقال أبو بكر الخطيب هو متروك وأما الهروي فهو الجويباري وهو الذي وضعه واسحق بن نجيح قال أحمد أكذب الناس اه قلت ونص ابن الجوزي بعد قوله بنفسك ومالك وأين تقع هذه المشاهد من مشهد عالم أما علمت ان الله يطاع بالعلم و يعبد بالعلم وخير الدنيا والآخرة في العلم وشر الدنيا والآخرة في الجهل فقال رجل الخ وقد أقره على كونه موضوعا الحافظ ابن حجر في اللسان وقال هذا من طامات الجويباري وتبعه الحافظ السيوطي في اللآلي المصنوعة وقد وجدت لحديث أبي ذر طريقا أخرى أخرجه ابن ماجه كما في الذيل للسيوطي والحاكم في تاريخه كما في الجامع الكبير له في مسند أبي ذر ولفظه يا أباذر لان تغدو في أن تتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة وان تغدو فتتعلم بابا من العلم عمل به أولم يعمل به خير من أن تصلي ألف ركعة تطوعا فيحتمل أن الشيخ أشار الى هذا والله أعلم وأخرج الخطيب وابن النجار في تاريخهما عن ابن عباس مرفوعا من تعلم بابا من العلم عمل به أولم يعمل به كان أفضل من صلاة ألف ركعة فان هو عمل به أو علمه كان له ثوابه وثواب من يعمل به الى يوم القيامة * الحديث العاشر (وقال صلى الله عليه وسلم من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه و بين الانبياء درجة واحدة) قال العراقي رواه أبو نعيم في فضل العالم العفيف والهروي في ذم الكلام من رواية عمرو بن أبي كثير عن أبي العلاء عن الحسين ابن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه الموت فذكره وزاد فيه فمات على ذلك وفي رواية الهروي عمرو بن كثير وهكذا رواه الدارمي في مسنده الا انه قال عن الحسن ولم ينسبه وأطلقه ابن السني في رياضة المتعلمين وابن عبد البر في العلم وقال بعد ذلك انه من مراسيل الحسن فجعله للحسن البصري وهذا هو الظاهر فقد ذكر ابن حبان أبا العلاء هذا في أتباع التابعين من الثقات وقال انه يروي عن الحسن وانه روى عنه ابن عيينة وقد اختلف فيه على عمرو بن أبي كثير فقصره بعضهم على الحسن وزاد بعضهم بعد الحسن ابن عباس وهو حديث مضطرب اه قلت ورواه يونس بن عبد الاعلى عن ابن أبي فديك قال حدثني عمرو بن كثير عن أبي العلاء عن الحسن مرسلا هكذا قال عمرو بن كثير وأخرجه ابن عساكر عن الحسن مرسلا وأخرجه ابن النجار عن الحسن عن أنس الا انهما قالا يحيي به الاسلام لم تكن بينه و بين الانبياء الادرجة في الجنة قال العراقي و يروى أيضا عن ابن عباس رواه ابن السني وأبو نعيم في كتابهما رياضة المتعلمين من رواية عمرو بن كثير عن أبي العلاء عن الحسن عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءه أجله وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام لم تفضله النبيون الا بدرجة واحدة وعمرو بن كثير لا أدري من هو وقد اختلف عليه فيه كما تقدم ورواه الازدي في الضعفاء وأبو نعيم في كتاب فضل العالم العفيف وابن عبد البر في العلم من رواية محمد بن الجعد عن الزهري وعلي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس ومحمد بن الجعد ضعفه الازدي اه قلت ومحمد بن كثير ذكره الذهبي في ذيل الديوان وقال يروي عن أبي الزناد مجهول وأخرج الطبراني في الاوسط عن ابن عباس من جاءه أجله وهو يطلب العلم لقي الله لم يكن بينه وبين

النبيين

معلومة فاعلم ان ذات انواط انما كانت شجرة في أيام العرب الجاهلية تعلق عليها يوما في السنة فاخر ثيابها وحلي نسائها لاجل اجتماعها عندها وراحتها في ذلك اليوم ولم يكونوا يقصدونها بالعبادة لما كانت بغير صفة التماثيل المنحوتة والاصنام ولو كان ذلك ماسال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات انواط حتى أنكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ولو عبدت فقد عبد كثير من خلق الله تعالى كالملائكة والشمس والقمر و بعض النجوم والمسيح عليه السلام وعلي رضي الله عنه ولم يعبدوا مانحت على شكل النبات فلاتعب من هذه الاذات روح فما أبعد عن دركها من حرمه الله تعالى اياها فله الحمد وهو أهله (بيان اصناف أهل الاعتقاد المجرد) وأما اهل الاعتقاد المجرد عن تحصينه بالعلم وتوثيقه بالادلة وشده بالبراهين فقد انقسموا في الوجود الى ثلاثة أصناف

وقال عليه الصلاة والسلام من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه و بين الانبياء في الجنة درجة واحدة

٦

النبيين الادرجة النبوة وأخرجه الخطيب من رواية سعيد بن المسيب عن ابن عباس من جاءه الموت
وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام لم يفضله النبيون وقال العراقي و روى من حديث أبي الدرداء رواه
أبو نعيم في كتاب فضل العالم العفيف من رواية عبدالله بن زياد عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن
المسيب عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب بابا من العلم ليحيي به الاسلام كان
بينه و بين الانبياء درجة واحدة في الجنة وابن جدعان مشهور بالضعف وعبدالله بن زياد البحراني قال
فيه الذهبي لا أدري من هو اه قلت وقد أخرجه كذلك ابن النجار في تاريخه وقال العراقي و روى من
حديث أنس رواه سليم الرازي في الترغيب والترهيب ولفظه من طلب يعني العلم حتى يأتيه الموت
لم يكن بينه و بين الانبياء الادرجة واحدة واسناده ضعيف اه قلت تقدم ان ابن النجار أخرجه من
رواية الحسين عن أنس وقال ابن عبد البر ومنهم من رواه عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وعن أبي
ذر ومنهم من يرسله عن سعيد وذكر أبو نعيم انه يروى من حديث معاوية بن حيدة أيضا ولم يوصل
اسناده والحديث مضطرب الاسناد جدا اه (وأما الآثار قال) عبدالله (ابن عباس) رضي الله عنهما
(ذللت طالبا) أي صرت ذليلا في حال الطلب للعلم كأنه يقول أهنت نفسي واخترت المشقة في طلب
العلم (فعززت مطلوبا) أي فصرت عزيزا في حال كوني مطلوبا و يدل لذلك ما أخرجه الحاكم في المستدرك
من رواية يزيد بن هرون والطبراني من رواية وهب بن جرير كلاهما عن جرير بن حازم وهو والد الاخير
قال سمعت يعلى بن حكيم يحدث عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
قلت لرجل هلم فلنتعلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كثير فقال العجب والله لك يا ابن عباس
أترى الناس يحتاجون اليك وفي الناس من ترى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركت ذلك
وأقبلت على المسئلة وتتبع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كنت لآتي الرجل في الحديث يبلغني
انه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجده قائلا فأتوسد ردائي على باب داره تسفي الرياح على
وجهي حتى يخرج الي فاذا رآني قال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك قلت حديث بلغني
انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحببت أن أسمعه منك فيقول هلا أرسلت الي
فآتيك فاقول أنا كنت أحق أن آتيك وكان ذلك الرجل يراني فذهب أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد احتاج الناس الي فيقول أنت كنت أعلم مني (ولذلك قال) أبو بكر عبدالله بن عبدالله (ابن
أبي مليكة) وأبو مليكة اسمه زهير بن عبدالله بن جدعان التيمي كان أبو بكر مؤذن ابن الزبير وقاضيه سمع
عائشة وابن عباس وعنه أيوب والليث قال بعثني ابن الزبير على قضاء الطائف فكنت أسأل ابن عباس
توفي سنة ثمانية عشر ومائة (ما رأيت مثل ابن عباس اذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها) وكان جميل
الصورة (كأبيه فاذا تكلم فاعرب الناس) أي أفصحهم وأظهرهم (لسانا) وبيانا (فاذا أفتى فأكثر
الناس علما) وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية يونس بن بكير حدثنا أبو حمزة الثمالي عن أبي صالح
قال لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخرا لقد رأيت الناس اجتمعوا
حتى ضاق بهم الطريق فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا يذهب قال فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم
على بابه فقال ضع لي وضوأ قال فتوضأ وجلس وقال اخرج فقل لهم من كان يريد أن يسأل عن القرآن
وحروفه فليدخل فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوه عن شئ الا أخبرهم عنه
وزادهم ثم قال اخوانكم فخرجوا ثم قال اخرج فقل من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله
فليدخل قال فخرجت فاذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوه عن شئ الا أخبرهم به وزادهم
ثم قال اخوانكم فخرجوا ثم قال أخرج فقل من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل فقلت
لهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوه عن شئ الا أخبرهم وزادهم ثم قال اخوانكم فخرجوا

احدهم صنف اعتقدوا مضمون ما اقروا به وحشوا به قلوبهم من غير تردد ولا تكذيب اسروه في انفسهم ولكنهم غير عارفين بالاستدلال على ما اعتقدوا وذلك لفرط بعدهم وغلظ طبائعهم واعتياص طرق ذلك عليهم و يقع عليهم اسم الموحدين وتحققنا وجود أمثالهم كثيرا على عهد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين رضي الله عنهم ثم لم يبلغنا انه اعترض احد اسلامهم ولا اوجب عليهم الخروج منه والمعروف عنه ولا كلفوا مع قصور فهمهم و بعدهم عن فهم ذلك بعلم الدلالة وقراءة طرق البراهين وترتيب الحجاج بل تركوا على ما هم عليه وهؤلاء عندي معذورون ببعدهم ومقبولون بما وافقوا عليه من اقرارهم وعقدهم والله سبحانه قد عذرهم مع

(وأما الآثار) فقال ابن عباس رضي الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا وكذلك قال ابن أبي مليكة رحمه الله ما رأيت مثل ابن عباس اذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها واذا تكلم فاعرب الناس لسانا واذا أفتى فاكثر الناس علما

ثم قال اخرج فقل لهم من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل فخرجت فاذنتهم فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوه عن شئ الا أخبرهم به وزادهم ثم قال اخوانكم فخرجوا ثم قال اخرج فقل من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل فدخلوا حتى ملؤا البيت والحجرة فما سألوه عن شئ الا أخبرهم به وزادهم قال أبو صالح فلو أن قريشا كلها فخرت بذلك لكان فخرا لها فما رأيت مثل هذا لاحد من الناس (وقال ابن المبارك) تقدمت ترجمته (عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة) بضم الراء واحد المكارم أى لان المكارم كلها فى طلب العلم فانه العز الباقى وما عداه يزول (وقال بعض الحكماء) وفى بعض النسخ العلماء (انى لا أرحم رجلا كرحمتى لاحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم) أى لا يتمكن من الفهم لاسراره وحقائقه فهو أبدا فى تعب حقيق أن يرحم (ورجل يفهم) أى أعطى ذهنا وقادا وفكرة قابلة للفهم (ولا يطلب) اما كبرا أو حياء أو غير ذلك فهو يضع نفسه حرى أن يرحم وقريب من هذين من طلب وفهم ولم يجد من يعلمه (وقال أبو الدرداء) عويمر بن عامر الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم عقب بدر وفرض له عمر فالحقه بالبدريين لجلالته مات سنة اثنين وثلاثين (لان أتعلم مسئلة) أى فى الدين أى مسائل العلم (أحب الى من قيام ليلة) وأخرج الخطيب بسنده اليه قال مذاكرة العلم ساعة خير من قيام ليلة وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية قيس بن عمار الرهينى عن سالم بن أبى الجعد عن معداد عن أبى الدرداء قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة (وقال) أبو الدرداء (أيضا العالم والمتعلم شريكان فى الخير وسائر الناس همج لاخير فيهم) الهمج محركة ذباب صغير كالبعوض يقع على وجوه الدواب ويقال للرعاع همج على التشبيه وهذا قد روى مرفوعا من حديثه أخرجه الطبرانى فى الكبير والديلمى فى مسند الفردوس بسند فيه معاوية بن يحيى الصدفى الا انه ليس فيه همج وقوله شريكان فى الخير أى لاشتراكهما فى نشر العلم ونشره أعظم أنواع البر وبه قوام الدنيا والدين وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية زائدة عن منصور عن سالم بن الجعد عن أبى الدرداء قال فانى أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون فان معلم الخير والمتعلم فى الاجر سواء ولا خير فى سائر الناس بعدهما وأخرج أبو خيثمة فى كتاب العلم عن جرير عن الاعمش عن سالم بن أبى الجعد فساقه الا انه قال وليس فى الناس خير بعده وأخرج أبو نعيم من رواية يحيى بن اسحق حدثنا فرج بن فضالة عن لقمان بن عامر عن أبى الدرداء قال الناس ثلاثة عالم أو متعلم والثالث همج لاخير فيه وأخرج أيضا من رواية شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبى الجعد قال قال أبو الدرداء تعلموا فان العالم والمتعلم فى الاجر سواء ولا خير فى سائر الناس بعدهما وأخرج أيضا من رواية يزيد بن هرون أخبرنا جويبر عن الضحاك قال قال أبو الدرداء يا أهل دمشق أنتم الاخوان فى الدين والجيران فى الدار والانصار على الاعداء الحديث وفيه ألا فتعلموا وعلموا فان العالم والمتعلم فى الاجر سواء ولاخير فى الناس بعدهما وأخرج أيضا من رواية الحجاج بن دينار عن معاوية بن قرة عن أبيه عن أبى الدرداء قال تعلموا قبل أن يرفع العلم ان رفع العلم ذهاب العلماء ان العالم والمتعلم فى الاجر سواء وانما الناس رجلان عالم ومتعلم ولاخير فيما بين ذلك (وقال) أبو الدرداء (أيضا كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن رابعا فتهلك) وفى بعض الروايات متبعا بدل متعلما وقد روى مثل ذلك عن ابن مسعود أيضا وأخرج البيهقى والطبرانى فى الاوسط والبزار فى مسنده من رواية عطاء بن مسلم الخفاف عن خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه رفعه أغد عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن خامسا فتهلك ثم قال البيهقى تفرد به عطاء عن خالد وانما روى عن ابن مسعود وأبى الدرداء من قولهما قال عطاء قال لى مسعر زدتنا خامسة لم تكن عندنا قال ابن عبد البر الخامسة معاداة العلماء وبغضهم ومن لم يحبهم فقد أبغضهم أو قارب وفيه الهلاك قال الهيثمى ورجال الحديث موثقون وتبعه السمهودى قال

المناوى

غيرهم بقوله سبحانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يخرجون عن مقتضى هذه الآيات بحال وسنبدى لك طريقا من الاعتبار تعرف به صحة اسلامهم وسلامة توحيدهم ان شاء الله عز وجل * والصنف الثالث اعتقدوا الحق مع ما ظهر منهم من النطق واعتقدت مع ذلك أنواعا من المخاييل قام فى مخيلتها انها أدلة وظنتها براهين وليست كذلك وقد وقع فى هذا كثير ممن يشار اليه فضلا عن دونهم فان وقع الى هذا الصنف من يزعزع عليهم تلك المخاييل بالقدح ويبطلها عليهم بالمعارضة أو الاعتراض لم يلتفتوا اليه ولا أصغوا الى ما يأتى به

وقال ابن المبارك رحمه الله عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة وقال بعض الحكماء انى لا أرحم رجالا كرحمتى لاحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم العلم ولا يطلبه وقال أبو الدرداء رضى الله عنه لان أتعلم مسئلة أحب الى من قيام ليلة وقال أيضا العالم والمتعلم شريكان فى الخير وسائر الناس همج لاخير فيهم وقال أيضا كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك

المناوى وهو غير مسلم فقد قال أبو زرعة العراقى الحافظ فى المجلس الثالث والاربعين بعد الخمسمائة من املائه هذا حديث فيه ضعف ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وعطاء بن مسلم مختلف فيه وقال عبيد عن أبى داود انه ضعيف وقال غيره انه ليس بشئ اه وأخرج أبو خيثمة فى كتاب العلم وهو أوّل حديث الكتاب فقال حدثنا وكيع حدثنا الاعمش عن عثمان بن سلمة عن أبى عبيدة قال قال عبدالله أغد عالما أو متعلما ولا تغدبن ذلك وقال حدثنا اسحق بن سليمان سمعت حنظلة يحدث عن عون عن عبدالله قال قلت لعمر بن عبد العزيز يقال ان استطعت أن تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع فكن متعلما فان لم تكن متعلما فأحبهم فان لم تحبهم فلا تبغضهم فقال عمر سبحان الله لقد جعل الله له مخرجا (ولنعم المجلس مجلس تذكر فيه الحكمة) أى يتذاكر بها فيه والمراد بها العلوم الشرعية (وتنشر فيه الرحمة) أى ما يكون سببا لنيل الرحمة وهذه الجملة بتمامها سقطت من بعض النسخ (وقال عطاء) هو أبو محمد عطاء بن أبى رباح القرشى مولاهم المكى أحد الاعلام روى عن عائشة وأبى هريرة وخلف وعنه الاوزاعى وابن جريج وأبو حنيفة والليث مات سنة خمسة عشر ومائتين عن ثمان وثمانين (مجلس ذكر) أعم من أن يكون مجلس علم أو اجتمعوا يذكرون الله (يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو) المراد به التكثير لا خصوص العدد وقد ورد فى كفارة المجالس أحاديث (وقال عمر) ابن الخطاب رضى الله عنه (موت ألف عابد قائم الليل والنهار) أى فى عبادة الله تعالى (أهون من موت عاقل بصير) أى كامل العقل تامه متبصر (بحلال الله وحرامه) أى بمعرفة ما أحل الله مما حرمه وذلك لان العابد نفعه من عبادته قاصر على نفسه وأما العالم فانه يفيد غيره فيكون سببا لبقاء هذا الدين والمراد بالعابد مع الجهل أو الذى اشتغل بالعبادة مع علمه وترك التعليم ويروى عنه موت ألف عابد أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه ووجهه ان هذا العالم يهدم على ابليس ما يبنيه بعلمه وارشاده والعابد علمه مقصور على نفسه (وقال) محمد بن ادريس (الشافعى) رحمه الله تعالى فيما أخرجه الخطيب فى شرف أصحاب الحديث من رواية الاصم قال سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعى يقول (طلب العلم أفضل من صلاة النافلة) وقال حرملة سمعت الشافعى يقول ما تقرب الى الله عز وجل بعد أداء الفرائض بأفضل من طلب العلم (وقال) الفقيه أبو محمد عبدالله (ابن عبد الحكم) بن أعين بن الليث مولى امرأة من موالى عثمان بن عفان وهو من الطبقة الصغرى من أصحاب مالك من أهل مصر أخذ عن مالك وروى عنه الاكابر واليه انتهت الرياسة والجاه بمصر وعليه نزل الامام الشافعى فأكرمه وعنده مات مات سنة ٢١٤ عن ستين سنة وأما ابنه محمد فقال ابن يونس كان مفتى مصر روى عن ابن وهب وطائفة وعنه النسائى وابن خزيمة والاصم وآخرون مات سنة ثمان وستين ومائتين (كنت عند مالك) ابن أنس الامام بالمدينة (أقرأ عليه العلم فدخل) وقت (الظهر فجمعت الكتب) وقمت (لاصلى) أى النافلة كما يدل له السياق (فقال) مالك (يا هذا ما الذى قمت اليه) من النافلة (بأفضل مما كنت فيه) من الاشتغال بالعلم (اذا صحت النية) بان يكون تعلمه للعمل به لله تعالى فنبه مالك بقوله هذا على فضل طلب العلم وشرط فيه صحة النية وهذه القصة نسبها ابن القيم الى ابن وهب ولفظه وقال ابن وهب كنت عند مالك فحانت صلاة الظهر أو العصر وأنا أقرأ وأنظر فى العلم بين يديه فجمعت كتبى وقمت لاركع فقال لى مالك ما هذا فقلت أقوم الى الصلاة فقال ان هذا لعجب ما الذى قمت اليه أفضل من الذى كنت فيه اذا صحت النية وبمثل هذا روى عن سفيان أخرجه الخطيب فى شرف أصحاب الحديث من رواية وكيع قال سمعت سفيان يقول لا نعلم شيأ من الاعمال أفضل من طلب العلم والحديث لمن حسنت فيه نيته (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (من رأى أن الغدو) أى الذهاب أوّل النهار وزاد فى رواية والرواح (الى) طلب (العلم) وتحصيله (ليس بجهاد) أى حقيقة أو قائما مقامه (فقد نقص فى

ويترفعوا الى أن يحاربوه لما يحملهم عليه من سوء الفهم أورداءة الاعتقاد وعندهم ان جميع تلك الخابيل فى باب الاستدلال أرسخ من شوامخ الجبال فمنهم من يعتقد دليله مذهب شيخه الرفيع القدر المطلع على العلوم ومنهم من يكون دليله خبرا له ومنهم من يكون دليله بعض محتملات آية أو حديث صحيح ولعمرى انهم ينبغى اذا صادفوا السنة باعتقادهم ولم يقعوا فى شئ من الضلال أن يتركوا على ما هم عليه ولا يحركوا بامر آخر بل يصدقوا بذلك وتسلم لهم لئلا يكون اذا

وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضى الله عنه موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعى رضى الله عنه طلب العلم أفضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لاصلى فقال يا هذا ما الذى قمت اليه بأفضل مما كنت فيه اذا صحت النية وقال أبو الدرداء رضى الله عنه من رأى ان الغدو الى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص

عقله ورأيه) بل هو المجاهد الاكبرلان الجهاد يقاتل قوما مخصوصين فى قطر مخصوص والعالم حجة الله على المعارض فى سائر الاقطار وبيده سلاح العلم يقاتل به فقد أخرج الديلمى وأبو نعيم عن عمار بن ياسر وأنس بن مالك رفعاه طالب العلم كالغادى والرائح فى سبيل الله عز وجل وأخرج الديلمى أيضا عن أنس طالب العلم أفضل عند الله من المجاهد فى سبيل الله ومثله قول كعب الاحبار طالب العلم كالغادى الرائح فى سبيل الله عز وجل

(فضيلة التعليم)

تقدم تعريفه والاختلاف فيه وانما قدم التعلم عليه لكونه أهم أورد فيها ست آيات فقال (أما الآيات فقوله تعالى) وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين (ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) قال (والمراد) من الانذار (هو التعليم والارشاد) قال ابن عرفة الانذار هو الاعلام بالشئ الذى يحذر منه وكل منذر معلم ولا عكس اهـ فحينئذ تفسيره بالتعليم هو المطابق كانه يأتى بمعنى الاعلام أيضا كما تقدم واما بالارشاد فهو تفسير باللازم كما لا يخفى ثم ان الانذار يتعدى باثنين لنفسه كقوله تعالى انا أنذرناكم عذابا قريبا ويجوز فى ثانى مفعوليه الحذف اقتصارا لا اختصارا كما هنا ونحو كلوا واشربوا وهذه الآية ندب الله تعالى بها المؤمنين الى التفقه فى الدين وهو تعلمه وقد تقدم ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وهو التعليم وقد اختلف فى الآية فقيل المعنى ان المؤمنين لم يكونوا لينفروا كلهم للتفقه والتعلم بل ينبغى أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة تتفقه تلك الطائفة ثم ترجع تعلم القاعدين فيكون النفير على هذا نفير تعلم والطائفة يقال على الواحد فما زاد قالوا فهو دليل على قبول خبر الواحد وعلى هذا حملها الشافعى وجماعة وقالت طائفة أخرى المعنى وما كان المؤمنون لينفروا الى الجهاد كلهم بل ينبغى أن ينفر منهم طائفة للجهاد وفرقة تقعد تتفقه فى الدين فاذا جاءت الطائفة التى نفرت فقهتها القاعدة وعلمتها ما أنزل من الدين والحلال والحرام وعلى هذا فيكون قوله ليتفقهوا ولينذروا للفرقة التى نفرت منها طائفة وهذا قول الاكثرين وعلى هذا فالنفير نفير جهاد على أصله فانه حيث استعمل انما يفهم منه الجهاد وعلى القولين فهو ترغيب فى التفقه فى الدين وتعلمه وتعليمه فان ذلك يعدل الجهاد بل ربما يكون أفضل منه كما تقدم (وقوله) تعالى (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) أى أعطوه (لتبيننه للناس) أى لتظهرنه بالاعلام والتعليم (ولا تكتمونه) قال (وهو ايجاب للتعليم) ويسمى هذا بيان الاختبار ومنه أيضا قوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم (وقال تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) قال (وهو تحريم للكتمان كما قال فى الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه) وحقيقة الكتم ستر الشئ وتغطيته وغلب فى الحديث وأخرج الطبرانى باسناد لا بأس به عن ابن عباس رفعه من كتم علما يعلمه ألجم بلجام من نار قال هى الشهادة تكون عند الرجل يدعى اليها أولا يدعى وهو يعلمها فلا يرشد صاحبها لها فهذا هو العلم وأخرج أيضا من حديث سعيد بن الدخاس من علم شيأ فلا يكتمه (وقال) تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا) وقال انى من المسلمين قال الحسن هو المؤمن أجاب الله فى دعوته ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا فى اجابته فهذا حبيب الله هذا ولى الله فمقام الدعوة الى الله أفضل مقامات العبد (وقال) تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة) الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن اعلم أن المنتفع بآيات الله من الناس نوعان أحدهما ذو القلب الواعى الذكى الذى يكتفى بهدايته بأدنى تنبيه فهذا لا يحتاج الا الى وصول الهدى اليه لكمال استعداده وصحة فطرته فاذا جاء الهدى سارع قلبه الى قبوله كأنه مكتوب فيه وهذه حال أكمل الخلق استجابة لدعوة الرسل كما هى حال الصديق رضى الله عنه *والنوع الثانى من ليس له هذا الاستعداد والقبول فاذا ورد عليه الهدى أصغى اليه سمعه وأحضر قلبه وعلم صحته وحسنه بنظره واستدلاله وهذه طريقة أكثر المستجيبين والاولون هم الذين يدعون بالحكمة

وهؤلاء

تتبع الحال معهم ربما لقنوا شبهة أو ترسخ فى نفوسهم بدعة يعسر انحلالها أو يقعوا فى تكفير مسلم وتضليله بل هناك أسباب كثيرة واعلم أن اعتقاد الخلائق وعلمها من أغذية النفوس فمن رغب فى التهالم يقنع بدونها واذا حصل له ذلك قوى به ومن قنع بايسرها ولم تطمح همته الى ما هو أعلى من ذلك ضعف ولكنه يعيش عيش الطفيف وانما يهلك من لا بلغة له لا يجدها

فى رأيه وعقله

(فضيلة التعليم)

(أما الآيات) فقوله عز وجل ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه وهو ايجاب للتعليم وقوله تعالى وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى فى الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ما آتى الله عالما الا وأخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه وقال تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال تعالى أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة فهؤلاء نوعا المستجيبين وأما المعارضون الدافعون للحق فنوعان نوع يدعون بالمجادلة بالتى هى أحسن فان استجابوا والا فالمجالدة فهؤلاء لابد لهم من جدال أوجلاد ومن تأمل دعوة القرآن وجدها شاملة لهؤلاء الاقسام كما بين ذلك قوله تعالى ادع الى سبيل ربك الآية وأما أهل الجلاد فهم الذين أمر الله تعالى بقتالهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وأما من فسر قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة انها القياس البرهانى والموعظة الحسنة القياس الخطابى وجادلهم بالتى هى أحسن القياس الجدلى فهذا ليس من تفسير الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة التفسير بل هو تحريف لكلام الله تعالى وحمل له على اصطلاح المنطقية وهذا من جنس تفاسير القرامطة والباطنية والمعتزلة والقرآن برىء من ذلك كله منزه عن هذه الهذايانات (وقال) تعالى (ويعلمهم الكتاب والحكمة) الحكمة فى معارف الشرع اسم للعلوم المدركة بالعقل وقد أفرد ذكرها فى عامة القرآن عن الكتاب فجعل الكتاب اسما لمالا يدرك الا من جهة النبوة والحكمة لما يدرك من جهة العقل وجعلا منزلين وان انزالهما من الله تعالى وقد يكونان مختلفين وجمع بينهما فى الذكر لحاجة كل واحد منهما الى الآخر فقد قيل لولا الكتاب لاصبح العقل حائرا ولولا العقل لم ينتفع بالكتاب وقيل الكتاب بمنزلة اليد والحكمة بمنزلة الميزان ولا تعرف المقادير الا بهما ولذلك عبر عن الحكمة بالميزان فى قوله تعالى الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان ولا يبلغ الحكمة الا أحد رجلين اما مهذب فى فهمه موفق فى فعله ساعده معلم ناصح وكفاية وعمر وأما الهى يصطفيه الله فتفتح عليه أبواب الحكمة بفيض الهى ويلقى اليه مقاليد جوده فيبلغه ذروة السعادة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (أما الاخبار فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما آتى الله عالما علما الا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيين أن يبينه للناس ولا يكتمه) قال العراقى روى عن أبى هريرة وابن مسعود أما حديث أبى هريرة فرويناه فى جزء ابن نظيف وفى فوائد الخلعى من طريقه من رواية موسى بن محمد عن زيد بن مسور عن ابن المسيب عن أبى هريرة رفعه وفيه أن لا يكتم وموسى بن محمد البلقاوى كذبه أبو زرعة وأبو حاتم وغيرهما ورواه ابن الجوزى فى العلل المتناهية من طريقه وأعله به وقد رواه الديلمى فى مسند الفردوس من رواية عبد الملك بن عطية عن ابن شهاب عن ابن المسيب عن أبى هريرة وعبد الملك بن عطية قال فيه الازدى ليس حديثه بالقائم وأما حديث ابن مسعود فرواه أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من رواية عبد الله ابن صالح عن محمد بن عبد الله الموصلى عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس من عالم الا وقد أخذ الله عليه ميثاقه يوم أخذ ميثاق النبيين وعبد الله بن صالح مختلف فى الاحتجاج به اه قلت أما حديث أبى هريرة فقد أخرجه العراقى فى جزء له ألفه فى الذب عن مسند الامام أحمد وساق سنده الى محمد بن الفضل بن نظيف أخبرنا أحمد بن الحسين الرازى أخبرنا بكر بن سهل الدمياطى حدثنا موسى بن محمد فذكره ثم قال موسى بن محمد هو البلقاوى متهم لكن له شاهد باسناد صالح من حديث ابن مسعود رويناه فى كتاب فضل العالم العفيف لابى نعيم وقال تلميذه الحافظ ابن حجر فى القول المسدد بعد ان نقل كلام شيخه هذا احتجاجه بهذا الحديث واعترافه بأن موسى البلقاوى متهم أى ان الحفاظ اتهموه بالكذب لا يصح لانه اذا الذلك لا يحتج بحديثه وقد أخرج أبو نعيم فى الحلية هذا الحديث من وجه آخر عن أبى هريرة وفيه من لا يعرف وهو من رواية محمد بن عبدة القاضى وكان يدعى سماع مالم يسمع وهو مشهور اه كلام الحافظ وقد أورد الديلمى فى الفردوس هذا الحديث عن أبى هريرة وساقه ثم قال وفى الباب عن ابن عباس وعلى بن أبى طالب ولفظ الاخير ما أخذ الله ميثاق الجاهل أن يتعلم حتى أخذ ميثاق العالم أن يعلمه (وقال صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من

أو بجدها ولكنها تكون ممن جاء بحضرة بدعة وسموم كفر فلا تذهل عما يشار لك اليه وانما المرغوب تنبهك والله المستعان وقل ما بين الصنف الثانى والاول من التفاوت من حيث ان أولئك مقلدون فيما يعتقدونه دليلا غير انهم اوثق رباطا من الاولين لان أولئك ان وقع اليهم من شككهم ربما شكوا وانحل رباط عقدهم وهؤلاء فى الاغلب لا سبيل الى انحلال عقودهم اذ لا يرون انفسهم انهم مقلدون وانما يظنون انهم مستدلون عارفون فلهذا كانوا احسن حالا والصنف الثالث أقروا واعتقدوا كما فعل الذين من قبلهم وقد عدموا النظر أيضا ولكنهم لعدم سلوكهم سبيله مع القدرة عليه ومعهم من الذكاء والفطنة والتيقظ مالو نظروا لعلموا ولو استدلوا لتحققوا ولو طلبوا الادركوا سبيل المعارف ووصلوا ولكنهم آثروا الراحة ومالوا الى الدعة واستبعدوا طريق العلم واستثقلوا الاعمال الموصلة

وقال تعالى ويعلمهم الكتاب والحكمة (وأما الاخبار) فقوله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا رضى الله عنه الى اليمن لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من

الدنيا وما فيها) وفى نسخة خير لك من حمر النعم قال العراقى رواه أحمد فى مسنده قال حدثنا حيوة بن شريح حدثنى بقية حدثنى ضبارة بن عبدالله عن دريد بن نافع عن معاذ بن نافع عن معاذ بن جبل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له يامعاذ لان يهدى الله على يديك رجلا من أهل الشرك خير لك من أن تكون لك حمر النعم واسناده منقطع لان دريد بن نافع لم يسمع من أحد من الصحابة انما أرسل عنهم اهـ قلت حمر النعم خيارها وأفضلها عند أهلها وفيه دليل على فضل العلم وجليل منزلة أهله حيث اذا اهتدى رجل واحد بالعلم خيرله من تلك فما الظن بمن يهتدى على يديه كل يوم طوائف من الناس قال العراقى وفى الباب عن سهل بن سعد رواه البخارى ومسلم والنسائى من رواية أبى حازم عن سهل بن سعد فى قصته بعث النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب الى خيبر وفى آخره فوالله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حمر النعم اهـ قلت ولفظ البخارى فى الصحيح حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبى حازم أخبرنى سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله و يحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فذكر الحديث فى طلبه عليا واعطائه الراية وفيه فقال على يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال اقعد على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لان يهدى بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حمر النعم وأخرج الطبرانى والترمذى الحكيم عن أبى رافع قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا الى اليمن فعقد له لواء فلما مضى قال يا أبا رافع الحقه ولا تدعه من خلفه وليقف ولا يلتفت حتى أجيئه فأتاه فأوصاه بما شاء وقال لان يهدى الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت قال البيهقى فيه يزيد بن أبى زياد مولى ابن عباس ذكره المزى فى الرواية عن أبى رافع وابن حبان فى الثقات وأخرج أبو داود عن سهل بن سعيد بلفظ والله لان يهدى بهداك رجل خير لك من حمر النعم (وقال صلى الله عليه وسلم من علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيما فى ملكوت السموات) لم يخرجه العراقى وفى بعض النسخ وقال عيسى عليه السلام وهكذا أخرجه أبو خيثمة زهير بن حرب النسائى فى كتاب العلم قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن بشير بن منصور عن ثور عن عبد العزيز بن ظبيان قال قال المسيح عيسى بن مريم عليه السلام من تعلم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيما فى ملكوت السماء وأخرج ابن الجوزى فى كتاب ترجمة سفيان الثورى بسنده الى شعيب بن حرب عن سفيان قال من علم وعمل وعلم دعى عظيما فى ملكوت السماء اهـ وقال الترمذى سمعت ابا عمار الحسين بن حريث الخزاعى قال سمعت الفضيل بن عياض يقول عالم عامل معلم يدعى كبيرا فى ملكوت السماء قلت وقد روى مرفوعا من حديث ابن عمر أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس ولفظه من تعلم لله وعمل لله كتب فى ملكوت السموات والارض عظيما (وقال صلى الله عليه وسلم من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقا) قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى عبد الله الحاكم قال حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا جعفر بن سهل المذكور حدثنا محمد بن مروان الاميدى حدثنا الجارود بن يزيد حدثنا محمد بن علاثة القاضى حدثنا عبدة بن أبى امامة عن الاسود بن يزيد عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم بابا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبيا كذا قال نبيا وهو منكر وجعفر ابن سهل والجارود بن سهل كذابان ومحمد بن عبدالله بن علاثة القاضى مختلف فى الاحتجاج به اهـ قلت وفى الفردوس للديلمى عن أنس من تعلم بابا من العلم وعمل به حشره الله يوم القيامة مع المتقدمين الاخيار الابرار الاتقياء وله فى الجنة سبعون قهرمانا قال العراقى والطبرانى فى المعجم الكبير من رواية يوسف بن عطية قال حدثنا مرزوق أبو عبدالله الحمصى عن مكحول عن أبى امامة رفعه أيما ناشئ نشأ فى طلب العلم

والعبادة

اليه وقنعوا بالقعود فى حضيض الجهل فهؤلاء فيهم اشكال عند كثير من الناس فى البديهة و يتردد فى حالهم النظار وهل يسمون عصاة أو غير ذلك يحتاج الى تمهيد آخر ليس هذا مقامه والالتفات (٧) الى الصنف أوجب خلاف المتكلمين فى العوام على الاطلاق من غير تفريق بين بليد ومتيقظ وفطن فمنهم من لم يرأنهم مؤمنون ولكن لم يحفظ عنهم انهم اطلقوا اسم الكفر عليهم و لعلك تقول ان مذهبهم المشهور ان المحل لا يخلو عن الصفات الا الى ضدها فمن لم يحكم له بالايمان حكم عليه بالكفر كما ان من لم يحكم له بالحركة حكم عليه بالسكون وكذلك الحياة والموت والعلم والجهل وسائر ماله من الصفات قلنا فلئن صح ذلك فى الصفات التى هى اعراض فقد لا يصح فى الاوصاف التى هى احكام الايمان والكفر والهداية والضلال والبدعة والسنة بما كانت ليست من

الدنيا ومافيها وقال صلى الله عليه وسلم من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقا وقال عيسى صلى الله عليه وسلم من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السموات

والعبادة حتى يكبر أعطاه الله يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صديقا ويوسف بن عطية الصفار منكر الحديث ورواه الطبراني في مسند الشاميين من رواية أبي سنان الشامي عن مكحول مقتصرا على ذكر العبادة وقال أجر تسعة وتسعين صديقا وأبو سنان هو القسملي مختلف فيه (وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله تعالى أنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة) قال العراقي رواه المرهبي في العلم عن رواية محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يجمع الله العلماء والغزاة والمرابطين وأهل الصوم والصلاة والزكاة والحج فيقول للمرابطين والغزاة وأصناف الخير ادخلوا الجنة فيصيح العلماء صيحة واحدة فيقولون يا ربنا بفضل علمنا جاهدوا ورابطوا وصاموا وصلوا وزكوا وحجوا فيقول الله عز وجل لستم عندي في عداد أولئك أنتم عندي في عداد الملائكة قفوا حتى تشفعوا لمن أحببتم ثم تدخلوا الجنة ومحمد ابن السائب الكلبي ضعيف جدا ورواه ابن السني مختصرا في رياضة المتعلمين من رواية حبيب بن أبي حبيب حدثنا شبل بن عباد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رفعه يبعث العالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم اثبت تشفع للناس كما أحسنت أدبهم وحبيب بن أبي حبيب هو كاتب مالك كذبه ابن معين وغيره وقد رواه ابن عبد البر في العلم فقال فيه حبيب بن ابراهيم قال حدثنا شبل بن العلاء عن محمد بن المنكدر والصواب ما تقدم من انه شبل بن عباد وهو القارئ المكي وقد أخرج له البخاري وحبيب بن ابراهيم هو كاتب مالك واسم أبيه ابراهيم على أحد الاقوال وقيل مرزوق وقيل زريق اه قلت وحديث جابر هذا قد أخرجه أيضا ابن عدي في الكامل والبيهقي وضعفه قال العراقي وروى الاصبهاني في الترغيب والترهيب من طريق ابن أبي عاصم حدثنا الحلواني حدثنا حازم بن خزيمة عن عثمان بن عمر القرشي عن مكحول عن أبي امامة رفعه يجاء بالعالم والعابد فيقال للعابد أدخل الجنة ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس وحازم بن خزيمة هو أبو خزيمة البخاري قال السليماني فيه نظر قلت ورواه ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس بلفظ اذا كان يوم القيامة يؤتى بالعابد والفقيه فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للفقيه اشفع تشفع ويروى أيضا اذا كان يوم القيامة يقول الله للعابد ادخل الجنة فانما كانت منفعتك لنفسك ويقال للعالم اشفع تشفع فانما كانت منفعتك للناس انتهى (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق الا رؤساء جهالا ان يسألوا أفتوا بغير علم فيضلون ويضلون) قال العراقي أخرجه الستة خلا أبا داود من رواية عروة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه ولفظهم ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا لفظ مسلم وقال البخاري من العباد بدل من الناس وقال حتى اذا لم يبق وفي رواية له ان الله لا ينتزع العلم بعد ان أعطاكموه انتزاعا ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون وفي لفظ لمسلم ان الله لا ينزع العلم انتزاعا ولكن يقبض العلماء فينتزع العلم معهم ويبقى في الناس رؤساء جهالا يفتونهم بغير علم فيضلون ويضلون وفي رواية لعبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة ان الله لا ينتزع العلم من الناس بعد ان يعطيهم اياه ولكن يذهب بالعلماء كلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم فيضلوا ويضلوا رواه النسائي اه قلت ورواه الامام أحمد في مسنده وسياقه كسياق البخاري وزاد الترمذي حسن صحيح وأخرجه الخلفي في فوائده وزاد في آخره عن سواء السبيل وأخرجه ابن عساكر برواية يحيى بن يحيى بن عبد الرحمن عن عباد بن عباد ومن طريق هشام بن عمار عن عبد الله بن الحرث الجمحي كلاهما

قبيل الاعراض وانما ذكرت لك هذا في معرض الشك في شعوب ما نورد على ذلك ومنهم من أوجب لهم الايمان ولكن أوجب لهم المعرفة وقدرها لهم وعجزهم عن العبادة ووجوب العبادة في الشرع جار على هذا النحو وهؤلاء لم يخالفوا المذكورين قبلهم لان أولئك سلبوا الايمان عمن لم يصدر اعتقاده عن دليل وهؤلاء أوجبوا الايمان لمن اضافوا اليه المعرفة المشروطة في

✽✽✽✽✽✽✽✽✽✽✽✽✽✽

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل أنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون بالعلم المتعدي بالتعليم لا العلم اللازم الذي لا يتعدى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد أن يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق الا رؤساء جهالا ان سئلوا أفتوا بغير علم فيضلون ويضلون

صحة الايمان وانما فروا عن
الشناعة الظاهرة فسروا
عن الجمهور بهذا الاحتمال
وزادوا على انفسهم انهم
ألموا بقول من جعل المعارف
كلها ضرورية ولم يشعروا
بذلك حين قالوا انما عجزت
العامة عن سرد الدليل
وتعظم العبارة عنه وأنه
لا تجب عليهم لانهم اذا نبهوا
وعرض عليهم ما قرب من
الالفاظ واعتادوا من
المخاطبات دلائل الحدوث
ووجوه الافتقار الى المحدث
بعد لاعتقدوا وعددوا
من هذه المعارف كثير
ووجدوا أنفسهم عارفين
بذلك واعلم أن من يقول
ان المعارف كلها ضرورية
هكذا يقول انما افتقر الناس
الى النسبية ولم يتمرنوا على
العبارة على مواضع العلوم
والا فهم اذا نبهوا عليها
وتلطف بهم في تفهيمها
بالزوال الى ما ألفوه من
العبارات وجدوا أنفسهم
غير مفكرة لما نبهوا عليه
وسارعوا الى الفيئة ومثال
هذا كمن نسي شيأ كان
معه أو انسان نحوه أو رآه
فنسيه وغفل عنه لاجل
غيبته ثم رآه بعد ذلك فذكر
فانه يقال بدا لا أنه كان
عارفا بما غاب عنه لكنه

وقال صلى الله عليه وسلم
من علم علما فكتمه ألجمه الله
يوم القيامة بلجام من نار

عن هشام بن عروة عن أبيه وقال الحافظ ابن حجر قد اشتهر هذا الحديث من رواية هشام فوقع لنا من روايه أكثر من سبعين نفسا عنه اهـ قلت منها ما أخرجه البخاري في العلم عن أبي اويس عن مالك عن هشام ورواه مسلم في القدر عن قتيبة عن جرير وعن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد وعن يحيى بن يحيى عن عباد بن عباد وأبي معاوية وعن أبي بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب كلاهما عن وكيع وعن أبي كريب عن أبي عبدالله بن ادريس وأبي اسامة وعبدالله بن نمير وعبدة بن سليمن وعن ابن أبي عمر عن سفيان بن عيينة وعن محمد بن حاتم عن يحيى بن سعيد وعن أبي بكر بن نافع عن عمر بن علي المديني وعن عبد بن حميد عن يزيد بن هرون وعن شعبة الثلاثة عشر كلهم عن هشام وروى أيضا من حديث عائشة وأبي هريرة وأبي سعيد فحديث عائشة عند البزار من رواية يونس عن الزهري عن عروة عنها وقال تفرد به يونس وأما حديث أبي هريرة فعند الطبراني في الاوسط من رواية العلاء بن سليمان الرقي عن الزهري عن أبي سلمة عنه وقال تفرد به العلاء وأما حديث أبي سعيد فرواه الطبراني فيه أيضا من رواية عمرو بن الحرث عن دراج عن أبي الهيثم عنه وقال تفرد به الحجاج بن رشدين عن أبيه عن عمرو بن الحرث وقد جمع في طرق هذا الحديث الحافظ أبو بكر الخطيب جزأ حافلا (وقال صلى الله عليه وسلم من علم علما فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار) روى هذا عن أبي هريرة وعبدالله بن عمرو وأبي سعيد وأنس بن مالك وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وطلق بن علي وجابر ولا يصح منها الا احاديث أبي هريرة وعبدالله ابن عمرو وابن عباس ولم أره بلفظ المصنف الا في تاريخ ابن النجار عن ابن عمرو الا ان فيه ثم كتمه أما حديث أبي هريرة قال العراقي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من رواية علي بن الحكم عن عطاء بن أبي رباح عنه رفعه ولفظه من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة لفظ أبي داود وقال الترمذي من سئل عن علم علمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار وقال حديث حسن وقال ابن ماجه ما من رجل يحفظ علما فيكتمه الا أتى يوم القيامة ملجما بلجام من نار وقال ابن حبان من كتم علما يلجم بلجام من نار يوم القيامة ورواه الحاكم في المستدرك من رواية القاسم بن محمد بن حماد عن أحمد ابن عبدالله بن يونس عن محمد بن ثور عن ابن جريج قال جاء الاعمش الى عطاء فسأله عن حديث فحدثه فقلنا له تحدث هذا وهو عراقي فقال لاني سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سئل عن علم فكتمه جيء به يوم القيامة ملجما بلجام من نار وقال هذا حديث حسن صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه قال العراقي لا يصح من هذا الطريق لضعف القاسم بن محمد بن حماد الدلال الكوفي قال الدارقطني حدثنا عنه وهو ضعيف فلهذا لم أخرجه من هذا الوجه قال الدارقطني في الجزء السابع من الافراد وانما يعرف هذا من حديث علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة ثم قال الحاكم ذاكرت شيخنا أبا علي بهذا الباب ثم سألته هل يصح شيء من هذه الاسانيد عن عطاء فقال لا قلت لم قال لان عطاء لم يسمعه من أبي هريرة ثم رواه أبو علي عن محمد بن أحمد بن سعيد الواسطي عن أزهر بن مروان عن عبد الوارث بن سعيد عن علي بن الحكم عن عطاء عن رجل عن أبي هريرة قال الحاكم فقلت له قد أخطأ فيه أزهر بن مروان أو شيخكم وغير مستبدع منهما الوهم ثم رواه الحاكم من رواية مسلم بن ابراهيم عن عبد الوارث عن علي بن الحكم عن رجل عن عطاء عن أبي هريرة قال فاستحسنه أبو علي واعترف لي به قال الحاكم ثم لما جمعت الباب وجدت جماعة ذكروا فيه سماع عطاء من أبي هريرة اهـ وقال العراقي في اصلاح المستدرك وقد رواه أبو داود الطيالسي فقال حدثنا عمارة بن زاذان حدثنا علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة رفعه من حفظ علما فسئل عنه فكتمه جيء به يوم القيامة ملجما بلجام من نار وقال هذا حديث حسن أخرجه الترمذي عن أحمد بن بديل اليامي عن عبدالله بن نمير وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن اسود بن عامر كلاهما عن عمارة بن زاذان وقد تابع عمارة عليه حماد بن سلمة أخرجه

أبوداود عن موسى بن اسمعيل عنه وأخرجه ابن حبان فى النوع التاسع والمائة من القسم الثالث عن عبد الله بن محمد الازدى عن اسحق بن ابراهيم عن النضر بن شميل عنه وتابع على بن الحكم على روايته سليمان التيمى وابن جريج قال العراقى قد أعله أبو الحسن القطان فى كتاب بيان الوهم والايهام برواية عبد الوارث وادخاله رجلا بين على بن الحكم وعطاء قال وقد قيل انه حجاج بن ارطاة قلت قد صح عن على ابن الحكم انه قال فى هذا الحديث حدثنا عطاء وهى رواية ابن ماجه فاتصل اسناده ثم وجدته عن جماعة صرحوا بالاتصال فى الموضعين وبيناه فى الجزء السادس والعشرين من فوائد تمام من رواية معاوية بن عبد الكريم والعلاء بن خالد الدارمى وسعيد بن راشد قالوا حدثنا عطاء قال سمعت أبا هريرة قال ابن القطان واعلم ان له اسنادا صحيحا ثم ذكره من طريق قاسم بن أصبغ من رواية معتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء عن أبى هريرة قال ابن القطان هؤلاء كلهم ثقات قال العراقى وله طريق آخر صحيح من رواية ابن سيرين عن أبى هريرة أورده ابن ماجه وقال الحافظ ابن حجر فى القول المسدد والحديث وان لم يكن فى نهاية الصحة لكنه صالح للحجة وهو على كل حال أولى من حديث البلقاوى يعنى الذى تقدم ذكره وأما حديث ابن عمرو فقال العراقى رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم فى المستدرك فابن حبان من طريق أبى الطاهر بن السرح والحاكم من رواية ابن عبد الحكم كلاهما عن ابن وهب عن عبد الله بن عياش عن أبيه عن أبى عبد الرحمن الجيلى عن عبد الله بن عمرو رفعه ولفظه من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار قال الحاكم هذا اسناد صحيح لاغبار عليه من حديث المصريين على شرط الشيخين وليس له علة قال العراقى فى اصلاح المستدرك أما على شرط الشيخين فلا وقد علله ابن الجوزى فى العلل المتناهية بان فيه عبد الله بن وهب النسوب قال ابن حبان دجال يضع الحديث قال العراقى وهذا تخليط من ابن الجوزى وانما هو عبد الله بن وهب الامام صاحب الامام مالك والاسناد مصريون فلا التفات الى كلام ابن الجوزى ولو أعله بعبد الله بن عياش لكان له وجه فقد ضعفه أبو داود والنسائى وهو قريب من ابن لهيعة وأخرج له مسلم حديثا واحدا ووثقه ابن حبان قلت وحديث ابن عمرو هذا قد أخرجه الطبرانى أيضا فى الكبير وأما حديث أبى سعيد الخدرى فقال العراقى رواه ابن ماجه من رواية محمد بن داب عن صفوان بن سليم عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه رفعه ولفظه من كتم علما مما ينفع الله به من أمر الناس فى الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ومحمد بن داب كذبه أبو زرعة اهـ قلت وفى بعض نسخ السنن مما ينفع الله به الناس من أمر الدين وأما حديث أنس قال العراقى رواه ابن ماجه أيضا من رواية يوسف بن ابراهيم قال سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سئل عن علم فكتمه الحديث ويوسف هذا ضعفه أبو حاتم والبخارى اهـ قلت وأخرج ابن عدى عن أنس من كتم علما عنده وأخذ عليه أجرة لقى الله يوم القيامة ملجما بلجام من نار وأما حديث ابن مسعود فرواه الطبرانى باسنادين ضعيفين قاله العراقى قلت ولفظه من كتم علما عن أهله ألجم يوم القيامة لجاما من نار هذا لفظ أبى داود وعند ابن عدى فى الكامل والسجزى فى الابانة والخطيب فى التاريخ من كتم علما ينتفع به ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار وأما حديث ابن عباس فرواه الطبرانى أيضا باسناد لابأس به وأبو يعلى باسناد جيد قاله العراقى قلت ولفظه من كتم علما ينتفع به بعلمه الحديث وفى آخره زيادة ذكرناها فى أول الفصل عند ذكر الآيات وأخرج ابن عساكر والخطيب والطبرانى أيضا بلفظ من سئل عن علم نافع فكتمه جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار وأما حديث ابن عمر فقال العراقى رواه ابن عدى فى الكامل من رواية حسان بن سياه عن الحسن بن ذكوان عن نافع عن ابن عمر وقال هذا الحديث عن نافع لاأعلم يروى الا من هذا الوجه وحسان ابن سياه له أحاديث عامتها لايتابعه غيره عليها والضعف بين على رواياته وحديثه اهـ قلت وأخرجه

ناس له أو غافل عنه ولولا عرفانه به ماوجد عدم الانكار وسرعة الالفة عنه وطائفة من المتكلمين أيضا أوجب لهم الايمان مع عدم المعرفة المشروطة عند أولئك وأى الآراء احق بالحق وأولى بالصواب ليس من غرضنا فى هذا المواضع وانما غرضنا تبعيد ماشاعه فى الاحياء أهل الغلول والاغلال فلا يفتح مثل هذا الباب وقد أبدينا من وجه ذلك فى مراقى الزلف مايغنى فيها باذن الله عزوجل

(فصل) فى بيان أصناف اهل الاعتقاد تفصيل آخر من جهة أخرى هو من تتمة ما جرى فلتعلم ان ما منهم صنف الاوله على التقريب ثلاثة احوال لايستبد أحدهم من احدها بحكم الاعتقاد الضرورى فاصل الحالات اهم ان يعتقد أحدهم جميع اركان الايمان على مايكمل عليه فى الغالب لكنه على طريق التفاوت كما سبق الحالة الثانية أن لايعتقدوا الابعض الاركان مما فيه خلاف اذا نفر ولم ينصف اليه فى اعتقاده سواء اهل يكون مؤمنا أو مسلما أن يعتقد وجود الواحد فقط او يعتقد انه موجود حى لاغير وأمثال هذه التقديرات ويخلو عن اعتقاد باقى الصفات خلوا

كذلك الطبرانى فى الاوسط والدارقطنى فى الافراد بلفظ حديث أبى هريرة وأما حديث طلق بن على فقال العراقى رواه ابن عدى أيضا والطبرانى من رواية أيوب بن عتبة عن قيس بن طلق عن أبيه قال ابن عدى وهذا الحديث بهذا الاسناد غريب جدا وأيوب ضعيف قاله ابن معين والبخارى اه قلت وأخرجه الخطيب أيضا من هذا الطريق وأما حديث جابر فأخرجه السجزى فى الابانة والخطيب فى التاريخ بلفظ من كتم علما نافعا عنده الخ وهذا قد أغفله العراقى كما أغفل فى تخريجى حديث أبى هريرة الامام أحمد والبيهقى (وقال صلى الله عليه وسلم نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها الى أخ لك مسلم فتعلمه اياها تعدل عبادة سنة) قال العراقى رواه ابن عدى فى العلم من حديث ابن عباس بهذا اللفظ ولم يذكر اسناده وقد أسنده الطبرانى فقال حدثنا حجاج بن عمران السدوسى كاتب بكار القاضى حدثنا عمرو بن الحصين العقيلى حدثنا ابراهيم بن عبد الملك السلمى عن قتادة عن عروة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه نعم العطية كلمة حق تسمعها ثم تحملها الى أخ لك مسلم فتعلمها اياه وعمرو ابن الحصين تركه أبو حاتم وغيره (وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة) أى مطرودة مبعودة من الله تعالى فانه لم ينظر اليها منذ خلقها (ملعون مافيها) ماشغل عن الله تعالى وأبعد عنه الا ماقرب اليه فانه محبوب محمود كما أشار اليه قوله (الاذكر الله وماوالاه) أى ماأحبه الله من الدنيا وهو العمل الصالح والموالاة المحبة بين اثنين وقد تكون من واحد وهو المراد هنا (أو معلم أو متعلم) قال ابن القيم لما كانت الدنيا حقيرة عند الله لا تساوى لديه جناح بعوضة كانت ومافيها فى غاية البعد منه وهذا هو حقيقة اللعنة وهو سبحانه انما خلقها مزرعة للآخرة ومعبرا اليها يتزود منها عباده اليها فلم يكن يقرب منها الا ما كان متضمنا لاقامة ذكره ومقتضيا الى محابه وهو الذى به يعرف ويعبد ويذكر ويثنى عليه ويحمد ولهذا خلقها وخلق أهلها وهو المطلوب وما كان طريقا اليه من العلم والتعلم فهو المستثنى من اللعنة واللعنة واقعة على ماعداه اذ هو بعيد عن الله وعن محابه وعن دينه فهو متعلق العقاب والله سبحانه انما يحب من عباده ذكره وعبادته ومعرفته ومحبته ولوازم ذلك وما أفضى اليه وماعداه فهو مبغوض له مذموم عنده وقال أبو العباس القرطبى لايفهم من هذا الحديث اباحة لعن الدنيا مطلقا لما روى من حديث أبى موسى الاشعرى رفعه لاتسبوا الدنيا قال العرقى رواه الترمذى وابن ماجه من رواية عطاء ابن قرة قال سمعت عبد الله بن حمزة قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الدنيا فذكره وقال وعالم أو متعلم لفظ الترمذى وقال حديث حسن غريب وقال ابن ماجة الدنيا وقال أو عالما أو متعلما اه قلت وأخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر من طريق وهيب عن عطاء بن قرة السلولى عن عبد الله بن حمزة ومن طريق ابراهيم الاسلمى عن رجل عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبى هريرة ولم يذكر قتيبة يعنى شيخه فى الاسناد الاول عن ابى هريرة وسياقه كسياق المصنف الا انه ليس فيه وماوالاه قال المناوى وعالما ومتعلما بنصبهما عطف على ذكر الله ووقع للترمذى وعالم ومتعلم لالكونهما مرفوعين لان الاستثناء من موجب بل ان طريقة كثير من المحدثين اسقاط الالف اه وفيه تأمل قال العراقى وفى الباب عن ابن مسعود ذكره الدارقطنى فى العلل فقال رواه أبو المطرف مغيرة بن مطرف عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عبدة بن أبى امامة عن شقيق عن عبد الله رفعه الدنيا ملعونة ملعون مافيها الاعالم أو متعلم وذكر الله وقال هذا اسناد مقلوب وانما رواه ابن ثوبان عن عطاء عن ابن ضمرة عن أبى هريرة وهو الصحيح (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته وأهل سماواته وأرضه حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير) قال العراقى أخرجه الترمذى من رواية القاسم عن أبى امامة رفعه فذكره ولم يقل فى البحر وقال هذا حديث حسن غريب صحيح وهو بعض الحديث التاسع عشر وقد تقدم وقد فصله الطبرانى منه

فعلهما

كاملا لايخطر بباله ولا يعتقد فيها حقا ولا باطلا ولا صوابا ولا خطا ولكن التقدير الذى يعتقده من الاركان الثلاثة موافق للحق غير منسوب بغيره الحالة الثالثة أن يعتقد الوجود كما قلنا والوجود والوحدانية والحياة ويكون فيما يعتقد فى باقى الصفات على مالا يوافق الحق ماهو عليه مما هو بدعة وضلالة وليس بكفر صريح فالذى يعدل عليه العلم ويستنبط من ظواهر الشرع ان أرباب الحالة الاولى والله أعلم على سبيل نجاة ومسالك خلاص ووصف ايمان أو اسلام وسواء فى ذلك الصنف الاول والثانى من أهل الاعتقاد ويبقى الصنف الثالث على

وقال صلى الله عليه وسلم نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها الى أخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون مافيها الاذكر الله سبحانه وماوالاه أو معلما أو متعلما وقال صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير

فجعلهما حديثين وقال فيه وحتى الحوت في البحر كما ذكره المصنف الا انه لم يقل وأهل السموات والارض و يروى عن أبي هريرة أيضا وقد تقدم في الحديث التاسع عشر قلت وحديث أبي هريرة أخرجه الطبراني في الكبير أيضا والضياء في المختارة وسياقه كسياق حديث أبي امامة (وقال صلى الله عليه وسلم ماأفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه) قال العراقي رواه ابن عبد البر مع اختلاف مرسلا من حديث محمد بن المنكدر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أفضل الفوائد حديث حسن يسمعه الرجل فيحدث به أخاه وهو مرسل حسن الاسناد قال ابن عيينة لم يدرك أحدا أجدر من ان يقبل الناس منه اذا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن المنكدر وروى أبو نعيم من رواية اسمعيل بن عياش عن عمارة عن غزية عن عبيد الله بن أبي جعفر عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأهدى مسلم لاخيه هدية أفضل من كلمة حكمة تزيده هدى أو ترده عن ردى ورويناه من طريق أبي يعلى الموصلي من هذا الوجه وهو منقطع فان عبيد الله بن أبي جعفر المصري لم يسمع من عبد الله بن عمرو شيأ انما روى عن التابعين اه قلت وأخرجه البيهقي في الشعب وتعقبه بان في اسناده ارسالا بين عبيد الله وعبد الله وأورده الديلمي في الفردوس بهذا اللفظ والضياء في المختارة ولفظه ماأهدى المرء المسلم لاخيه هدية وفيه يزيده الله بها هدى أو يرده بها عن ردى وقال الذهبي في الديوان عبيد الله بن أبي جعفر قال أحمد ليس بالقوي قال المناوي وفي اسناده أيضا اسمعيل ابن عياش قالوا ليس بالقوي وعمارة بن غزية ضعفه ابن حزم لكنه خولف وفي معنى الحديث قيل كلمة لك من أخيك خير لك من مال لان الحكمة تنجيك والمال يطغيك (وقال صلى الله عليه وسلم كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها) وفي بعض النسخ كلمة من الحكمة وسقطت الجملة الاخيرة من أكثر النسخ قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن محمد بن علي بن الاشعث حدثنا شريح بن عبد الكريم التميمي حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حدثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعي عن حسان بن عطية عن محمد بن أبي عائشة عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه فذكره دون قوله فيعمل بها ويعلمها وابن الاشعث هذا من الشيعة رماه ابن عدي والدارقطني بالوضع ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق مرسلا فقال أخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الرحمن بن زيد ضعفه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم اه قلت وروى الديلمي أيضا عن أبي هريرة كلمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم خير من عتق رقبة (وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله) وفي بعض النسخ الى الله (ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال أما هؤلاء فيسألون الله ان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم) هكذا أورده صاحب القوت بلا اسناد الا ان فيه والآخر يتفقهون في الدين ويعلمون الناس فوقف بينهما وقال العراقي رواه ابن ماجه من رواية داود بن الزبرقان عن بكر بن خنيس عن عبد الرحمن زياد بن أنعم عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من بعض حجره فدخل المسجد فاذا هو بحلقتين أحدهما كذا يقرؤن القرآن ويذكرون الله والآخر كذا يتعلمون ويعلمون فقال النبي صلى الله عليه وسلم كل على خير هؤلاء يقرؤن القرآن ويدعون الله فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وهؤلاء يتعلمون ويعلمون وانما بعثت معلما وجلس معهم ومداره على عبد الرحمن بن زياد وقد وثقه يحيى بن سعيد وقال البخاري مقارب الحديث وضعفه جماعة وابن الزبرقان وبكر بن خنيس ضعيفان وقد تابع بكر بن خنيس عليه زهير بن معاوية وعبد الله بن وهب وعبد الله بن المبارك الا

محتملات النظر كما نبهناك عليه وأما أهل الحالة الثانية وهي الاقتصار على الوجود المفرد أو الوجود ووصف آخر معه مع الخلو عن اعتقاد سائر الصفات التي للكمال والجدال وأركانها فالمتقدمون من السلف لم تشتهر عنهم في صورة المسئلة مايخرج صاحب هذا العقد عن حكم الايمان والاسلام والمتأخرون مختلفون فكثير خاف أن يخرج من اعتقاد وجود الله عز وجل واظهار الاقرار بنبيه صلى الله عليه وسلم من الاسلام ولا يبعد أن يكون كثير ممن أسلم من

وقال صلى الله عليه وسلم ماأفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقال صلى الله عليه وسلم كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم

انهم قالوا عنه عن عبد الرحمن بن رافع بدل عبد الله بن يزيد وقولهم أولى بالصواب من رواية بكر بن خنيس فأما رواية زهير فأخرجها الطبراني ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فرأى مجلسين أحد المجلسين يدعون الله و يرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه و يعلمون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير أحدهما أفضل من الآخر أما هؤلاء فيدعون الله و يرغبون اليه ان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيتعلمون و يعلمون الجاهل وانما بعثت معلما وهؤلاء أفضل فأتاهم حتى جلس اليهم وأما رواية عبد الله بن وهب فرواها ابن السني في رياضة المتعلمين وابن عبد البر في العلم بنحو لفظ الطبراني وأما رواية ابن المبارك فرواها أبو نعيم في رياضة المتعلمين نحوه وعبد الرحمن بن رافع هذا قال البخاري في حديثه مناكير وذكره ابن حبان في الثقات الا انه قال لا يحتج بخبره اذا كان من رواية ابن أنعم عنه اهـ وقال صاحب القوت بعد ما أورد الحديث و يحكى عن بعض السلف قال دخلت المسجد ذات يوم فاذا بحلقتين احداهما يقصون و يدعون والاخرى يتكلمون في العلم وفقه الاعمال قال فملت الى حلقة الدعاء فجلست اليهم فحملتني عيناي فنمت فهتف بي هاتف جلست الى هؤلاء وتركت مجلس العلم أما لو جلست اليهم لوجدت جبريل عليه السلام عندهم (وقال صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله بها الناس شربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلا) هكذا في النسخ وفي نسخة بعد قوله فانبتت الكلا والعشب وتصيب أرضا أخرى انما هي أجاذب أمسكت الماء ولم تنبت الكلا فحمل الناس عنها الماء الى غيرها فزرعوا عليها وسقوا وأسقوا وكانت منها بقعة لا تمسك ماء ولا تنبت كلا ونسخة العراقي بعد قوله والعشب الكثير وكانت منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلا (فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) قال العراقي رواه البخاري ومسلم من رواية بريد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم واللفظ للبخاري الا انه قال من الهدى والعلم وقال في الرواية المشهورة نقية بدل بقعة ولم يقل في الثانية بقعة وقال وأصاب منها طائفة أخرى انما هي قيعان وذكر بقية الحديث اهـ قلت البخاري في أول صحيحه ومسلم في فضائله صلى الله عليه وسلم والنسائي في العلم والرامهرمزي والعسكري في الامثال كلهم من رواية أبي اسامة حماد بن اسامة عن بريد ولفظ البخاري مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة أخرى منها انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به *شرح هذا الحديث قوله مثل هو بالتحريك قوله من الهدى والعلم بالجر عطف على الهدى من عطف المدلول على الدليل لان الهدى هو الدلالة الموصلة للمقصود والعلم هو المدلول وهو صفة توجب تميزا لا يحتمل النقيض والمراد به هنا الادلة الشرعية قاله القسطلاني ولا يخفى ان جعل العلم مرادا به الادلة الشرعية فيه مسامحة لظهور ان الادلة ليست مدلولا للدلالة وعليه فالمراد مدلول الادلة الشرعية وهو الاحكام الشرعية كوجوب الصلاة مثلا فتدبر قوله نقية من النقاء بالنون والقاف أي طيبة قوله قبلت الماء بكسر الموحدة من القبول وقال اسحق بن راهويه قيلت الماء بالتحتية المشددة والمعنى شربت القيل وهو شرب نصف النهار وجزم الأصيلي بانه تصحيف وذكر العشب بعد الكلا من باب ذكر الخاص بعد العام اذ الكلا النبات يابسا ورطبا والعشب

الرطب

الاجلاف والرعيان وضعفاء النساء والاتباع على هذا بلا مزيد عليه لو سئلوا واستكشفوا عن الله عز وجل هل له ارادة أو بقاء أو كلام أو ماشاكل ذلك وهل له صفات معنوية ليست هي هو ولا هي غيره ربما وجدوا يجهلون هذا ولا يعقلون وجه ما يخاطبون به وكيف يخرج من اعتقد وجود الله ووحدانيته مع الاقرار بالنبوة من حكم الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم قد رفع القتال والقتل واوجب حكم الايمان والاسلام لمن قال لا اله الا الله واعتقد عليها وهذه الكلمات لا تقتضي أكثر من اعتقاد الوجود مع الوحدة في الظاهر وعلى البديهة من غير نظر ثم سمعنا عمن قالها في صدر الاسلام

وقال صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا اهـ

الرطب منه وفى رواية الجيدى والخطابى ثغبة بالمثلثة مفتوحة وغين معجمة ساكنة وهو مستنقع الماء فى الجبال والاودية ورده عياض وحكم بتصحيفه وقلبه للتمثيل قال لانه انما جعل هذا المثل لما ينبت والثغاب لا ينبت وفى كتاب مسلم طائفة طيبة قبلت الماء قوله أجادب جمع جدب محركة على غير قياس وصوّبه الاصيلى وقيل بالذال المعجمة وهكذا ضبطه المازرى ووهمه عياض وفى رواية أجذرا خاذات بالكسر جمع اخاذة وهى الارض التى تمسك الماء كالغدير وعند الاسماعيلى أحارب بحاء مهملة وراء وآخره موحدة وفى المصابيح ويروى أجارد أى جرداء بارية لا يسترها النبات قوله ورعوا وفى رواية وزرعوا قوله وأصاب منها طائفة أخرى وللاصيلى وكريمة وأصابت ووقع كذلك عند النسائى (فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثانى للنافع والثالث للمحروم منهما) أى الاول هو العالم العامل المعلم وهو كالارض الطيبة شربت فانتفعت فى نفسها وأنبتت فنفعت غيرها * الثانى الجامع للعلم المستغرق زمانه المعلم غيره لكنه لم يعمل بنوافله أولم يتفقه فيما جمع فهو كالارض التى يستقر فيها الماء فينتفع الناس به وقوله فى الحديث ومثل من لم يرفع بذلك رأسا هو كناية عن تكبره وعدم التفاته وهو من دخل فى الدين ولم يسمع العلم أوسمعه ولم يعمل به ولم يعلمه فهو كالارض السبخة التى لا تقبل الماء أوتفسده على غيرها وأشار بقوله ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به الى من لم يدخل فى الدين أصلا بل بلغه فكفر به وهو كالارض الصماء الملساء المستوية التى يمر عليها الماء فلا تنتفع به وهذا هو المشار اليه بالقول الثالث فى كلام المصنف وقال الدمامينى فى المصابيح وتشبيه الهدى والعلم بالغيث الكريم المذكور تشبيه مفرد بمركب اذ الهدى مفرد وكذا العلم والمشبه به غيث كثير أصاب أرضا منها ماقبلت الماء فانبتت ومنها ماأمسكت خاصة ومنها مالم تنبت ولم تمسك مركب من عدة أمور كما تراه وشبه من انتفع بالعلم ونفع به بارض قبلت الماء وأنبتت وهو تمثيل لان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من قبول المحل لما يرد عليه من الخير مع ظهور اماراته وانتشارها على وجه عام الثمرة متعدى النفع ولا يخفى ان هذه الهيئة منتزعة من أمور متعددة ويجوز ان يشبه انتفاعه بقبول الارض الماء ونفعه المتعدى بانباتها الكلا والاول ادخل واجزل ثم قال قد وقع فى الحديث انه شبه من انتفع بالعلم فى خاصة نفسه ولم ينفع به أحدا بارض أمسكت الماء ولم تنبت شيأ أوشبه انتفاعه المجرد بامساك الارض للماء مع عدم انباتها وشبه من عدم فضيلتى النفع والانتفاع جميعا بارض لم تمسك ماء أصلا وشبه فوات ذلك له بعدم امساكها الماء وهذه الحالات الثلاث مستوفية لاقسام الناس ففيه من البديع التقسيم فان قلت ليس فى الحديث تعرض للقسم الثانى فانه قال فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم وهذا القسم الاول ثم قال ومثل من لم يرفع رأسا الخ هذا هو القسم الثالث فاين الثانى فالجواب ذكر من الاقسام أعلاها وأدناها وطوى ذكر مابينهما لفهمه من أقسام المشبه به المذكورة أوّلا أوان قوله ونفعه معطوف على الموصول الاول أى فذلك مثل من فقه فى دين الله ومثل من نفعه فتكون الاقسام الثلاثة مذكورة فمن فقه فى دين الله هو الثانى ومن نفعه الله من ذلك فعلم وعلم هو الاول ومن لم يرفع بذلك رأسا هو الثالث ففيه لف ونشر غير مرتب هذا كلام الدمامينى وقال ابن القيم شبه صلى الله عليه وسلم العلم والهدى الذى جاء به بالغيث لما يحصل بكل واحد منهما من الحياة والمنافع والاغذية والادوية وسائر مصالح العباد فانها بالعلم والمطر وشبه القلوب بالاراضى التى يقع عليها المطر لانها المحل الذى يمسك الماء فينبت سائر أنواع النبات النافع كما ان القلوب تعى العلم فتثمر وتزكو وتظهر بركته وثمرته ثم قسم الناس الى ثلاثة أقسام بحسب قبولهم واستعدادهم لحفظه وفهم معانيه واستنباط أحكامه واستخراج حكمه وفوائده * أحدها أهل الحفظ والفهم الذين حفظوه وعقلوه وفهموا معانيه واستنبطوا وجوه الاحكام والحكم والفوائد منه فهؤلاء بمنزلة الارض التى قبلت الماء وهذا بمنزلة الحفظ فأنبتت الكلا والعشب الكثير وهذا هو الفهم فيه والمعرفة والاستنباط فهو بمنزلة

انه لم يعلم بعدها الافرائض الوضوء والصلاة وهيا آت الاعمال البدنية والكف عن أذى المسلم ولم يبلغنا انهم درسوا علم الصفات واحوالها ولاهل الله تعالى عالم بعلم أوعالم لنفسه وهو باق ببقاء أو باق لنفسه وأشباه هذه المعارف ولا يدفع ظهور هذا الامعاند اوجاهل سيرة السلف وما جرى بينهم ويدل على قوة هذا الجانب فى الشرع ان من استكشف منه على هذه الحالة وتحققت منه وابى ان يذعن لتعلم مازاد على ماعنده لم يفت أحد بقتله ولا استرقاقه والحكم عليه بالخلود فى النار عسر جدا أو خطر عظيم مع ثبوت الشرع بان من قال لا اله الا الله دخل الجنة ولعلك تقول قد قال فى مواطن أخرى لا يحقها ثم تقول اعتقاد باقى الصفات التى بها يكون اعتقاد جلال الله جل وعز وكماله من حقها نعم هى من حقها عند من بلغه أمرها وسمع بها أن يعتقدها وأما من خلا من اعتقادها ولم يقوله أن يلقاها ولا يسمع بها ففيه رمى هذا النظر

فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثانى ذكره مثلا للنافع والثالث للمحروم منهما

الكلاء والعشب بالماء فهذا مثل الحفاظ الفقهاء أهل الرواية والدراية * القسم الثانى أهل الحفظ الذين رزقوا حفظه ونقله وضبطه ولم يرزقوا تفقها فى معانيه ولا استنباطا ولا استخراجا لوجوه الحكم والفوائد منه فهم بمنزلة من يقرأ القرآن ويحفظه ويراعى حروفه واعرابه ولم يرزق فيه فهما خاصا عن الله تعالى والناس متفاوتون فى الفهم عن الله تعالى ورسوله أعظم تفاوت فرب شخص يفهم من النص حكما أو حكمين ويفهم منه الآخر مائة أو مائتين فهؤلاء بمنزلة الارض التى أمسكت الماء للناس فانتفعوا به هذا يشرب منه وهذا يسقى وهذا يزرع فهؤلاء القسمان هم السعداء والاولون أرفع درجة وأعلى قدرا وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء * القسم الثالث الذين لانصيب لهم منه لاحفظا ولافهما ولا رواية ولا دراية بل هم بمنزلة الارض التى هى قيعان لاتنبت ولاتمسك الماء وهؤلاء هم الاشقياء والقسمان الاولان اشتركا فى العلم والتعليم كل بحسب ماقبله ووصل اليه فهذا يعلم ألفاظ القرآن ويحفظها وهذا يفهم معانيه وأحكامه وعلومه والقسم الثالث لاعلم ولاتعليم فهم الذين لم يرفعوا بهدى الله رأسا ولم يقبلوه وهؤلاء شر من الانعام وهم وقود النار فقد اشتمل هذا الحديث الشريف على التنبيه على شرف العلم وعظم موقعه وشقاء من ليس بأهله وذكر أقسام بنى آدم بالنسبة فيه الى شقيهم وسعيدهم وتقسيم سعيدهم الى سابق مقرب وصاحب يمين مقتصد وفيه دلالة على ان حاجة العباد الى العلم كحاجتهم الى المطر بل أعظم وانهم اذا فقدوا العلم فهم بمنزلة الارض التى فقدت الغيث قال الامام أحمد الناس يحتاجون الى العلم أكثر من حاجتهم الى الطعام والشراب لان الطعام والشراب يحتاج اليه فى اليوم مرة أو مرتين والعلم يحتاج اليه بعدد الانفاس (وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له) قال العراقى رواه مسلم وأبو داود والترمذى وقال حسن صحيح والنسائى من رواية العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه رفعه اذا مات الانسان وفيه تقديم صدقة جارية والباقى سواء اه قلت خرجه مسلم فى الوصايا والبخارى فى الادب المفرد ورواه الدارمى عن موسى بن اسمعيل حدثنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن ولفظه انقطع من عمله وباقى سياقه كسياق المصنف الا انه قال تجرى له بدل جارية قال العراقى وفى الباب عن جابر وأبى قتادة وأبى امامة وأنس فحديث أنس رواه أبو نعيم فى رياضة المتعلمين من رواية القاسم بن عبد الله عن محمد بن المنكدر عن جابر رفعه ثلاثة يدركون الميت رجل علم سنة هدى وعمل بها الحديث وحديث أبى قتادة رواه ابن ماجه من رواية زيد بن أبى أنيسة عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه رفعه خير مايخلف الرجل من بعده ثلاث ولد صالح يدعو له وصدقة تجرى يبلغه أجرها فعمل يعمل به من بعده واسناده جيد وزاد بين الزيدين فى رواية فليح بن سليمان اه قلت وأخرجه أيضا هكذا ابن خزيمة فى صحيحه وابن حبان والطبرانى فى الكبير والضياء فى المختارة ولفظهم خير مايخلف الانسان بعده قال العراقى وحديث أبى امامة رواه أحمد من رواية ابن لهيعة عن خالد بن أبى عمران عمن حدثه عن أبى امامة رفعه أربعة تجرى عليهم أجورهم بعد الموت مرابط فى سبيل الله ومن علم علما فأجره يجرى عليه ماعمل به الحديث قلت تمامه ومن تصدق بصدقة فأجرها يجرى ماوجدت ورجل ترك ولدا صالحا فهو يدعو له وقد أخرجه كذلك الطبرانى فى الكبير والبزار فى مسنده وأعله الهيثمى وغيره بابن لهيعة ورجل لم يسم ولكن صححه المنذرى قال العراقى وحديث أنس رواه أبو نعيم فى الحلية من رواية محمد بن عبيد الله المزرمى عن قتادة عن أنس رفعه سبع يجرى أجرهن للعبد بعد موته وهو فى قبره من علم علما أوكرى نهرا أوحفر بئرا أوغرس نخلا أوبنى مسجدا أوورث مصحفا أوترك ولدا يستغفر له بعد موته قال أبو نعيم هذا حديث غريب من حديث قتادة تفرد به أبو نعيم راويه عن المزرمى والمزرمى ضعيف اه قلت وكذلك رواه البزار فى مسنده وسمويه فى فوائده والديلمى فى

الفردوس

وعليه يقع مثل هذا الاحتفاظ وفى مثله يخاف أن يطلق عليه اسم الكفر هذا وأنت تسمع عن الله عزوجل يقول فى الآخرة أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة ايمان من وذكر من المثقال الى الذرة والخردلة من الايمان الى أن أخرج منها من لم يعمل حسنة قط فما يدريك أن يكونوا هؤلاء وأمثالهم المرادين لان التقدير وقع فى الايمان لافى الاعمال فان قلت فان من الناس وائمة العلماء من لم يوجب الايمان لمن اعتقد جميع الاركان اذا لم يصحبها معرفة ولم يقصدها دليل فكيف بمن فاته اعتقاد بعضها وكلها فلنا قد أريناك وجه الاعتراض على هذا المذهب ونبهناك على بعد أهله عن وجه الحق فيه وانهم أرباب تعسف ولو استقصى مع كثير منهم القول فى ذلك لبدا له انه تسبب الى مايظهر له من تصوره عن معرفة شرطها فى ايمان غيره ولا ترمن حسبه الركون الى ما رأينا أولى من رأيه وأحق بالصواب والعدل من

(وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به الحديث

الفردوس والبيهقي وقال كالمنذري اسناده ضعيف وتبعهما الذهبي في كتاب الموت والهيثمي وقد خالفهم السيوطي فرمز لصحته وفيه نظر ولاتعارض بين الحديث الذي ساقه المصنف و بين حديث أبي امامة أربعة الخ لان أعمال الثلاث متجددة وعمل المرابط ينموله وفرق بين ايجاد المعدوم وتكثير الموجود وكذا لامخالفة بينه وبين حديث أنس هذا فقد قال فيه الامن صدقة جارية وهي تجمع ماذكر من الزيادة أشارله البيهقي وروى الامام أبوحنيفة عن حماد بن ابراهيم قال ثلاثة يؤجرفيهن الميت بعد موته ولد له يدعوله بعد موته فهو مؤجر بدعائه ورجل علم علما يعمل به ويعلمه الناس فهو يؤجر على ما عمل وعلم ورجل ترك أرضا صدقة هكذا أورده محمد بن الحسن في الآثار قال ابن قطلوبغا في أماليه وهذا في حكم المرفوع اه قلت والمراد بالولد الفرع المسلم هبه ذكرا كان أوأنثى أوولد ولد كذلك وان سفل وجاء تقييده في الحديث الاول بالصالح وقوله يدعوله أي بالرحمة والمغفرة فان دعاءه أرجى للاجابة وأسرع قبولا من دعاء الاجنبي وقال الحافظ صلاح الدين العلائي في مقدمة الاربعين له لاتعارض بين هذا الحديث وبين ماروى من استن خيرا فاستن به فله أجره وأجر من عمل به الى يوم القيامة من غير ان ينقص من أجورهم شيأ الحديث بطوله لانه اما ان يجعل حديث من استن عاما في كل الامور وحديث اذا مات الانسان أخص منه فيحمل العام على الخاص ويقتصر على هذه الثلاثة أشياء أو يكون قوله اذا مات الخ منبهابها على ما عداها مما هو في معناها من كل مايدوم النفع به للغير فلا تعارض بينهما بل يبقى قوله من استن معمولا بعمومه والظاهر والله أعلم ان هذا أظهر الاحتمالين بدليل قوله من استن الخ فقد أخبر بتجدد الاوزار لهذا الميت لما يعمل بعده من السيآت التي سنها نعوذ بالله من ذلك وهو زائد على الثلاث التي في الحديث الآخر لان تلك من أعمال البر وهذه الجملة الثانية لا معارض لها وعلى كل تقدير فالعلم وتعليم الخير من جملة الاعمال الصالحة يبقى للمرء أجرها بعد موته بحسب تجدد العاملين به (وقال صلى الله عليه وسلم الدال على الخير كفاعله) قال العراقي أخرجه الترمذي من رواية شبيب بن بشر عن أنس بلفظ ان الدال وقال حديث غريب قال العراقي ورجاله ثقات اه قلت وفي الحديث قصة قال أنس جاء النبي صلى الله عليه وسلم رجل يستحمله فلم يجد مايحمله فدله على آخر فحمله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فذكر قال العراقي ورواه أحمد في مسنده من رواية سليمان بن بريدة عن أبيه بلفظ حديث أنس باسناد ضعيف ورواه ابن عدي في الكامل في ترجمة سليمان الشاذكوني ورواه مسلم وأبوداود والترمذي وقال حسن صحيح من رواية ابن عمرو الشيباني واسمه سعد بن اياس عن ابي مسعود البدري رفعه ولفظه من دل على خير فله مثل أجر فاعله وفي الباب عن سهل بن سعد وابن مسعود اه قلت وقد أخرجه كذلك الامام أحمد وابن حبان وفيه القصة التي تقدمت وقال السخاوي في المقاصد أخرجه العسكري وابن جميع ومن طريقه المنذري من حديث طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس رفعه كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان ومثله بل بطوله للدارقطني في المستجاد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به مرفوعا وللعسكري من حديث اسحق الازرق عن أبي حنيفة عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعا لفظ الترجمة وكذا هو عند البزار عن أنس ولابن عبد البر عن أبي الدرداء في قوله الدال على الخير وفاعله شريكان اه قلت أخرجه أبوالقاسم طلحة بن محمد ابن جعفر العدل في مسند أبي حنيفة من طريق صالح بن أحمد بن حنبل وأخرجه ابن خسرو في مسنده من طريق عبد الله بن أحمد قالا حدثنا أبي حدثنا اسحق بن يوسف أنبأنا أبوفلان كذا قال أي لم يسمه على عمد وسماه غيره فقال يعني أباحنيفة عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه بلفظ الترجمة وفي بعض رواياته قال له اذهب فان الدال الخ وأخرجه القضاعي أيضا من طريق اسحق بن يوسف

مذهبه ثم بعد ذلك نراهم حين أخبروا عن سلب الايمان عنهم ثم لم يبقوا اسم الكفر عليهم ثم يعرضوا على الاستتابة ان كانت من مذهبه ثم يحكم فيه بالقتل والاسترقاق فاذا تأملت هذا لم يخف عليك عيب ماقالوه ونقص مامالوا اليه فلنرجع الى ما نحن بسبيله ونستعين بالله عز وجل وأما أرباب الحالة الثالثة وهي اعتقاد البدعة في الصفات أو بعضها فان حكمنا بصحة ايمان أهل الحالة المذكورة قبل هذا أو اسلامهم حققنا أمر هؤلاء فيما اعتقدوه اذلم يقعوا فيه بوجه قصد يقطعهم عن ايصال العذر لان هؤلاء قد حصل لهم في العقد ماهو شرط الخلاص والنجاة من الهلاك الدائم وأصيبوا فيما وراء ذلك فان امكن ردهم في الدنيا وزجرهم عنه ان أظهروا والمنع عن الاقلاع والرجوع بالعقوبة المؤلمة دون قتل كان ذلك وان فاتوا بالموت لم نقصرهم في اعتقادنا عن أرباب الحالة الثانية المذكورة قبلهم والله أعلم بالناجي والهالك من خلقه والمطيع والعاصي من عباده غير هذا

وقال صلى الله عليه وسلم الدال على الخير كفاعله

الازرق عن أبي حنيفة به وأخرج ابن خسرو في مسنده من رواية أبي حنيفة عن أنس بزيادة والله يحب اغاثة اللهفان من طريق تدور على أحمد بن محمد بن الصلت ورواه العيني في شرحه على معاني الآثار للطحاوي بسنده وللحديث شاهد آخر مما أخرجه ابن عطاف في معجمه وابن النجار عن علي مرفوعا دليل الخير كفاعله قال الراغب والدلالة ما يتوصل به الى معرفة الشئ وقال الزمخشري دللته على الطريق أهديته اليه ومن المجاز الدال على الخير كفاعله ودله على الصراط المستقيم اهـ ويدخل في ذلك دخولا أوليا أولويا من يعلم الناس العلم الشرعي ويتحملون عنه (وقال صلى الله عليه وسلم لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله مالا وسلطه الله على هلكته في الحق فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار) قال العراقي رواه البخاري ومسلم والنسائي في الكبرى وابن ماجه من رواية قيس بن أبي حازم قال سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها وفي رواية البخاري الحكمة اهـ قلت أخرجاه من طريق الزهري سمعت قيس ابن أبي حازم ومن هذا الطريق أخرجه الامام أحمد وأبو داود وابن حبان وأخرجه البخاري في الاعتصام فقال الا في اثنين بغير تاء وفي رواية ابن ماجه رجل بالنصب على لغة ربيعة فانهم يرسمون المنصوب بالنون بغير ألف كما يقفون عليه كذلك وقال العراقي في الباب عن ابن عمر وأبي هريرة وأبي سعيد ويزيد ابن الاخنس قلت بقي ان البخاري رواه في صحيحه في مواضع في التوحيد وفي الاغتباط بالحكمة وفي الزكاة وفي الاحكام وفي الاعتصام وفي فضائل القرآن ففي التوحيد عن علي بن عبد الله عن سفيان عن الزهري عن سالم عن أبيه مختصرا وساقه مسلم تاما عن زهير بن حرب عن سفيان وأخرجه البخاري في فضائل القرآن تاما من طريق الزهري عن سالم وكذا الترمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجه ولفظهم لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار لفظ مسلم وفي رواية له الا على اثنتين وهكذا قال البخاري وقد آتاه الله الكتاب وقال مسلم هذا الكتاب والباقي سواء ومن طريق شعبة عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ومن طريق الاعمش سمعت ذكوان عن أبي هريرة وفي الزكاة عن محمد بن المثنى عن يحيى القطان وفي الاحكام وفي الاعتصام عن شهاب بن عباد عن ابراهيم بن حميد الرؤاسي وأخرجه مسلم في الصلاة عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن محمد بن عبد الله بن نمير عن أبيه ومحمد بن بشر وأخرجه النسائي في العلم عن اسحق بن ابراهيم بن جرير ووكيع عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك خمستهم عن اسمعيل بن أبي خالد عنه به وأخرجه ابن ماجه في الزهد عن محمد بن عبد الله بن نمير به وأما حديث أبي سعيد الخدري فقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف من رواية الاعمش عن أبي صالح عنه ولفظه لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار فسمعه جار له فقال ليتني أوتيت مثل ما أوتي به فلان فعملت مثل ما يعمل ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل وأخرجه كذلك أبو يعلى في مسنده والضياء في المختارة وأخرج أبو نصر في الصلاة عن عبد الله بن عمرو رفعه لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقرؤه في الليل والنهار ورجل أعطاه الله مالا فانفقه في سبيل الله وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة بلفظ لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فصرفه في سبيل الخير ورجل آتاه الله علما فعلمه وعمل به *شرح الحديث لا لنفي الجنس وحسد اسمه مبني معه على الفتح وخبره محذوف أي لاحسد جائز أو صالح أو نحو ذلك والحسد تمني الرجل ان تتحول اليه نعمة الآخر أو فضيلته ويسلبهما وهو مذموم والغبطة ان يتمنى مثل ماله من غير ان يفتقر وهو مباح ان كان من أمر الدنيا ومحمود ان كان من أمور الطاعات

ينبغي أن يكون مذهب من نظر في خلق الله تعالى بعين الرأفة والرحمة ولم يدخل بين الله عز وجل وبين عباده فيما غاب عنه علمه وعدم فيه سبيل اليقين وفهم معنى قوله عز وجل ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك عنه مسؤلا فان قلت وأين أنت من تكفير كثير من الناس والحديث لجميع أهل البدع عامة وخاصة وقول النبي صلى الله عليه وسلم في القدرية انهم مجوس هذه الامة وقوله صلى الله عليه وسلم ستفترق أمتي الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة وقال عن قوم يخرجون على حين فرقة من الناس يقولون بقول خير البرية أو من قول خير البرية يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية والاحاديث الواردة فيمن اعتقد شيأ من الاهواء والبدع كثيرة غير هذه مما توجب في الظاهر تكفيرهم بالاطلاق فاعلم أنه وان كان كفر هم كثير من العلماء

وقال صلى الله عليه وسلم لاحسد الا في اثنتين رجل آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الخير

والاول محرم اجماعا قاله النووى وأراد بالحسد هنا الغبطة مجازا من اطلاق اسم المسبب على السبب وقوله الا فى اثنين أى فى شيئين أو خصلتين وفيه قول بانه تخصيص لاباحة نوع من الحسد واخراج له من جملة ما حظر منه فالمعنى لا حسد محمود الا فى هذا أو استثناء منقطع بمعنى لكن وقوله رجل بالرفع أى خصلة رجل فلما حذف المضاف اكتسى المضاف اليه اعرابه والنصب على اضمار أعنى وهى رواية ابن ماجه وفيه وجه آخر تقدم بيانه و بالجر على انه بدل من اثنين وأما على رواية اثنتين بالتاء فهو بدل أيضا على تقدير حذف المضاف أى خصلة رجل وقوله رجل لا مفهوم له والا فالانثى تشترك معه قوله فسلط بالبناء للمفعول هى رواية أبى ذر وعند الباقين فسلطه وعبر بالتسليط لدلالته على قهر النفس المجبولة على الشح وفى هذه الجملة مبالغتان احداهما التسليط لانه يدل على قهر النفس والاخرى لفظ الهلكة والهلكة محركة الهلاك فانه يدل على انه لا يبقى من المال شيأ ولما أوهم اللفظان التبذير وهو صرف المال فيما لا يعنى ذكر قوله فى الحق دفعا لما يتوهم من ذلك والحكمة المراد منها القرآن وفيه اشارة الى الكمال العلمى وقوله يقضى بها اشارة الى الكمال العملى و بها التكميل والله أعلم (وقال صلى الله عليه وسلم على خلفائى رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحبون سنتى و يعلمونها عباد الله) قال العراقى رواه ابن عبد البر فى العلم والهروى فى ذم الكلام من رواية عمرو بن أبى كثير وقال الهروى عمرو بن كثير عن أبى العلاء عن الحسن زاد الهروى ابن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله على خلفائى مرتين ولم يكررها الهروى فجعله الهروى متصلا وقال ابن عبد البر انه من مرسلات الحسن فجعله البصرى وهو الصواب وعمرو لا أدرى من هو وقد تقدم الكلام عليه فى آخر الحديث الثامن والثلاثين وفى الباب عن على بن أبى طالب رواه الطبرانى فى الاوسط وابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما رياضة المتعلمين وأبو نعيم أيضا فى فضل العالم العفيف والرامهرمزى فى المحدث الفاضل والهروى فى ذم الكلام من رواية ابن عباس قال سمعت على بن أبى طالب يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ارحم خلفائى قلنا يا رسول الله من خلفاؤك قال الذى يأتون من بعدى يروون أحاديثى وسنتى و يعلمونها الناس وفى اسناده أبو الطاهر أحمد بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب وهو كذاب كما قاله الدارقطنى وقد رواه ابن عساكر فى أماليه من طريق آخر وفيه عبد السلام ابن عبيد نسبه ابن حبان الى سرقة الحديث واحتج به أبو عوانة فى صحيحه ولا يغتر برواية أبى المظفر هناد بن ابراهيم النسفى لهذا الحديث من طريق ابن داسة عن أبى داود عن عبيد بن هشام الحلبى فان هذا لم يروه أبو داود وهناد النسفى كان راوية للموضوعات كما قال صاحب الميزان انتهى قلت أما حديث على فقد أخرجه الخطيب فى شرف أصحاب الحديث والضياء المقدسى فى مناقب أصحاب الحديث كلاهما من رواية أحمد بن عيسى العلوى حدثنا ابن ابى فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن ابن عباس قال سمعت عليا يقول خرج النبى صلى الله عليه وسلم فساقه وأخرجه الضياء من رواية أبى القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائى حدثنى أبى حدثنى أبو الحسن على بن موسى الرضى عن آبائه عن على بلفظ اللهم ارحم خلفائى ثلاثا والباقى سواء وأخرج الخطيب والضياء أيضا من رواية سعيد بن عباس بن الخليل حدثنا عبد السلام بن عبيد حدثنا ابن أبى فديك فذكره وفى بعض طرق العلوى عند الخطيب عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال الخطيب والاول أشبه بالصواب وقال الطبرانى فى الاوسط بعد ما أخرجه تفرد به أحمد بن عيسى العلوى وفى الميزان هذا الحديث باطل وأحمد كذاب واستدل بهذا الحديث على جواز اطلاق لفظ الخلفاء على أصحاب الحديث ومثل ذلك ما مر فى حديث على رضى الله عنه أولئك خلفاء الله فى أرضه ودعاته الى دينه وفى قوله تعالى ويجعلكم خلفاء الارض وقال سهل التسترى من اراد أن ينظر الى مجالس الانبياء فلينظر الى مجالس العلماء فهم

فقد أبقى عليهم دينهم وتردد فيهم كثير أو أكثر منهم وكل فريق منهم فى مقابلة من خالفه فلتقع التحاكم عند العالم الاكبر المؤيد بالعصمة سيد البشر امام المتقين صلى الله عليه وسلم فهو عليه الصلاة والسلام حين قال مجوس هذه الامة أضافهم الى الامة وما حكمه ان لم يقل مجوس على الاطلاق وحين أخبر عن الفرق وانهم فى النار فمن أخبر انهم خالدون فيها وحين قال يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فقد قال متصلا بهذا القول وتتمارى فى الفرق وما موضع هذا التمارى من المثل الذى ضرب به فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمالى أراك تلاحظ جهة وتترك أخرى وتذكر شيأ وتذهل عن غيره عليك بالعدل تكن من أهله واستعمل التفطن تشاهد العجائب المعجبة وتفهم قول الله وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا

وقال صلى الله عليه وسلم على خلفائى رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحبون سنتى و يعلمونها عباد الله

خلفاء الرسل فى أممهم ووارثوهم فى علمهم فمجالسهم مجالس خلافة النبوّة وهو أحد الوجهين فى الاطلاق ومنعه آخرون وأوّلوا مافى الحديث والقرآن وأما احياء السنة فقد أخرج الترمذى من رواية على بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أنس رفعه من أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة وفى الحديث قصة وروى الدارمى من رواية مروان بن معاوية عن كثير بن عبدالله عن أبيه عن جده رفعه قال لبلال بن الحرث اعلم يابلال من أحيا سنة من سنتى قد أميتت بعدى فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شئ وكثير بن عبدالله مختلف فيه والله أعلم (الآثار) ذكر فيه من قول عمر وابن عباس رضى الله عنهم ومن قول عطاء والحسن وعكرمة وهؤلاء من التابعين ثم من قول يحيى بن معاذ و بعض الحكماء وأورد فيه قول معاذ بن جبل موقوفا عليه وقد روى مرفوعا أيضا كما سيأتى بيانه (قال عمر) ابن الخطاب رضى الله عنه (من حدث بحديث) أى بما فيه من الاحكام الشرعية (فعمل به) امتثالا للامر وتشوّقا لحصول الاجر (فله) أى للمحدث (مثل أجر ذلك العمل) وشاهده حديث بلال بن الحرث المتقدم قريبا (وقال ابن عباس) رضى الله عنهما (معلم الخير يستغفر له كل شئ حتى الحوت فى البحر) وهذا قد مر فى أثناء حديث أبى أمامة فيما رواه الترمذى ان الله وملائكته وأهل السموات والارض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير وفى حديث أبى الدرداء وصلت عليه ملائكة السماء وحيتان البحر و يروى أيضا ان العالم يستغفر له من فى السموات والارض وحتى الحيتان فى الماء وذلك لانه لما كان معلم الخير سببا فى حصول العلم الذى به نجاة النفوس من أنواع الهلكات وكان سعيه مقصورا على هذا وكانت نجاة العباد على يديه جوزى من جنس عمله وجعل من فى السموات والارض ساعيا فى نجاته من أسباب الهلكات باستغفارهم له وقد قيل ان قوله كل شئ عام فى الحيوانات ناطقها و بهيمها طيرها وغيره و يؤكده قوله حتى الحوت فى البحر والسر فيه ان العالم أشفق الناس على الحيوان وأقومهم ببيان ماخلق له فالعالم معرف لذلك فاستحق أن تستغفر له البهائم وذكر الاجهورى فى شرح مختصر البخارى مانصه انما خص الحوت بالذكر لكونه لالسان له ومالالسان له ربما يتوهم عدم استغفاره لمعلم الخير بخلاف غيره من الحيوان فانه وان صغر له لسان اهـ (وقال بعض العلماء العالم يدخل بين الله وبين خلقه) أى هو الواسطة فى وصول الخلق وارشادهم ودلالتهم على الحق (فلينظر كيف يدخل) أى فعليه بامحاض النية واستعمال الحشمة ليكون تعلمه على طبق المعرفة من غير كتمان ولابخس ونحوذلك أولينظر كيف تكون منزلته عندالله وليشكر على هذه النعمة التى أوتيها من بين العباد اذ صار من خلفاء الانبياء ووارث مقامهم للخاص والعام (وقدروى أن سفيان) ابن سعد (الثورى) ستأتى ترجمته فيما بعد (قدم عسقلان) وهى مدينة من أعمال فلسطين على البحر كانوا يرابطون بها وهذا قد أخرجه ابن الجوزى فى ترجمته من رواية داود ابن الجراح قال قدم الثورى عسقلان (فمكث) ثلاثا (لايسأله انسان) عن شئ (فقال اكتروا لى) ونص ابن الجوزى اكترلى خطاب لداود بن الجراح (لاخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم) أى لقلة سائليه عنه (وانما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء للعلم به) فان مذاكرة العلم ومساءلته حياة له وابقاء و يروى عن حمزة قال كان سفيان ربما حدث بعسقلان فربما اذا حدث الحديث قال للرجل هذا خير لك من ولايتك صور وعسقلان (وقال عطاء) هو عطاء بن أبى رباح (دخلت على) أبى محمد (سعيد بن المسيب) ابن حزن المخزومى القرشى أحد الاعلام وسيد التابعين ثقة حجة رفيع الذكر روى عن عمر وعثمان وسعد وعنه الزهرى وقتادة ويحيى بن سعيد توفى سنة أربع وتسعين عن ست وسبعين (وهو يبكى فقلت له مايبكيك فقال) يبكينى انه (ليس أحد يسألنى عن شئ) لحزنه على فوات فضيلة التعليم والارشاد ولولاخطر مقامه وعظيم منزلته لما بكى على فواته (وقال بعضهم

(فصل) ولما كان الاعتقاد المجرد عن العلم بحثه ضعيفا وتفرده عن المعرفة قريبا ممن رآه ألقى عليه شبه القشر الثانى من الجوز لان ذلك القشر يؤكل مع ماهو عليه صونا واذا انفرد أمكن أن يكون طعاما للمحتاج وبلاغا للجائع وبالجملة فهو لمن لاشئ معه خير من فقده وكذلك اعتقاد التوحيد وان كان مجردا عن سبيل المعرفة وغير منوط بشئ من

(وأما الآثار) فقد قال عمر رضى الله عنه من حدث حديثا فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل وقال ابن عباس رضى الله عنهما معلم الناس الخير يستغفر له كل شئ حتى الحوت فى البحر وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله و بين خلقه فلينظر كيف يدخل وروى ان سفيان الثورى رحمه الله قدم عسقلان فمكث لايسأله انسان فقال اكروا لى لاخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به وقال عطاء رضى الله عنه دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكى فقلت ما يبكيك قال ليس أحد يسألنى عن شئ وقال بعضهم

الادلة ضعيفا فهو فى الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عز وجل خير من التعطيل والكفر ومتى ركب أحد هذا فقد وقع فى أعظم الحرج والمنكر (بيان أرباب المرتبة الثالثة وهو توحيد المقربين) والكلام فى هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود احدها أن يتكلم فى الاسباب التى توصل اليه والمسالك التى تعبر عليها نحوه والاحوال التى يتخذها بحصوله كما قدره العزبن العلمى واختار ذلك ورضاه وسماه الصراط المستقيم والحد الثانى ان يكون الكلام فى عين ذلك التوحيد ونفسه وحقيقته وكيف يتصور للسالك اليه والطالب له قبل وصوله اليه وانكشافه له بالمشاهدة والحد الثالث فى ثمرات ذلك التوحيد وما يلق اهله به

العلماء سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه يستضىء به أهل عصره وقال الحسن رحمه الله لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم أى انهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمة الى حد الانسانية وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه

العلماء سرج الازمنة كل واحد منهم مصباح زمانه يستضىء به أهل عصره) السرج بضمتين جمع سراج هو والمصباح شئ واحد والازمنة جمع زمان هو والعصر شئ واحد قال صاحب المصباح السراج بالكسر المصباح وجمعه سرج ككتاب وكتب والمسرجة بالفتح التى فيها الفتيلة والدهن وبالكسر التى يوضع فيها المسرجة والجمع مسارج وأسرج السراج أوقد ثم قال والمصباح معروف والجمع مصابيح ثم قال والزمان مدة قابلة للقسمة ولهذا يطلق على الوقت القليل والكثير والجمع أزمنة والعصر الدهر والجمع عصور وأعصر فاذا عرفت ذلك فاعلم أن مغايرة التعبير مع اتحاد المعنى تفنن وهذا الذى ذكره عن البعض قد جاء مصداقه فى الحديث الذى أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس عن أنس رفعه بسند فيه القاسم بن ابراهيم الملطى قال الدارقطنى كذاب اتبعوا العلماء فانهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة والحديث وان كان أورده ابن الجوزى فى الموضوعات وجزم به السيوطى وغيره فالمعنى صحيح أى يستضاء بهم من ظلمات الجهل كما ينجلى ظلام الليل بالسراج المنير بالليل ويهتدى به فيه فمن اقتدى بهم اهتدى بنورهم وشبه العالم بالسراج لانه تقتبس منه الانوار بسهولة وتبقى فروعه بعده وكذا العالم ولان البيت اذا كان فيه سراج لم يتجاسر اللص على دخوله مخافة أن يفتضح وكذا العلماء اذا كانوا بين الناس اهتدوا بهم الى طلب الحق وازاحة ظلمة الجهل والبدعة ولانه اذا كان فى البيت سراج موضوع فى كوة مسدودة بزجاج أضاء داخل البيت وخارجه وكذا سراج العلم يضىء فى القلب وخارج القلب حتى يشرق نوره على الاذنين والعينين واللسان فتظهر فنون الطاعات من هذه الاعضاء ولان البيت الذى فيه السراج صاحبه متأنس مسرور فاذا طفئ استوحش فكذلك العلماء ماداموا فى الناس فهم مستأنسون مسرورون فاذا ماتوا صار الناس فى غم وحزن فان قلت ما الحكمة فى التشبيه بخصوص السراج وما المناسبة التامة بينهما قلت المصباح تضره الرياح والعلم يضره الوسواس والشبهات والسراج لا يبقى بغير دهن والعلم لا يبقى بغير توفيق ولابد للسراج من حافظ يتعهده ولابد لمصباح العلم من متعهد وهو فضل الله وهدايته ولان السراج يحتاج الى سبعة أشياء زناد وحجر وحراق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن والعبد اذا طلب ايقاد سراج العلم لابد من قدح زناد الفكر على حجر التضرع واحراق النفس بمنعها من شهواتها وكبريت الانابة ومسرجة الصبر وفتيلة الشكر ودهن الرضا وقد ورد أيضا تشبيه العلماء بالنجوم والكواكب وبالقمر تقدم ذلك فى حديث أبى الدرداء الطويل فلا يرد لم لم يشبههم بالقمرين والنجوم مع انهما أنور وأرفع فى المشارق والمغارب (وقال الحسن) البصرى (لولا العلماء) بالله وبأحكام الله (لصار الناس) فى جاهلية جهلاء (مثل البهائم) والانعام لا يهتدون سبيلا (لانهم) أى الناس وفى نسخة أى انهم (بالتعليم) لامور الدين (يخرجون الناس من حد البهيمة الى حد الانسانية) وتحقيق المقام ان الانسان وان كان هو بكونه انسانا أفضل موجود فذلك اذ يراعى ما به صار انسانا وهو العلم والعمل المحكم فبقدر وجود ذلك المعنى فيه يفضل وهذا لا سبيل اليه الا بالتعليم وأما هو من حيث ما يتغذى وينسل فنبات ومن حيث ما يحس ويتحرك فحيوان ومن حيث الصورة التخطيطية فكصورة فى جدار وانما فضيلته بالنطق وقواه ومقتضاه ولهذا قيل ما الانسان لولا اللسان الا بهيمة مهملة أو صورة ممثلة وهذه المراتب لا تحصل له الا بالتعليم وبه يتميز من الحيوانية ويخرج منها الى حد الانسانية فالعلماء هم الذين يعلمون الناس بما يصيرون به انسانا (وقال عكرمة) أبو عبد الله المفسر مولى ابن عباس روى عن مولاه وعائشة وأبى هريرة وطائفة وعنه أيوب وخالد الحذاء وخلف روى له مسلم مقرونا مات بعد المائة (ان لهذا العلم) أراد به العلم بالله وأوامره وأحكامه (ثمنا) أى قيمة وقدرا (قيل وما ذلك) الثمن قال (ان تضعه) فى موضعه (فيمن يحسن حمله) بان يكون مراده بذلك العمل به والنفع لغيره بايصاله اليه لا لقصد المباهاة وغير ذلك (ولا تضيعه) بعدم العمل به أو بوضعه فيمن لا يحسن حمله فواضع العلم فى غير أهله كمقلد الخنازير

ويطلعون عليه بسببه ويكرمون به من اجله ويتحققون من فوائد المزيد من جهته أما الحد الاول فالكلام عليه والبيان له والكشف له فائقة وتذلله للصغير والكبير مامور به مشدد في أمره متوعد بالنار على كتمه فيه بعث الانبياء ومن أجله ارسل الرسل وبيانه للناس كافة نزلت من عند الله عزوجل على أمنائه وجه الصحف والكتب وليقع التفقه في القلوب بتحقيقه ولتصديقه أيدت الرسل بالمعجزات والاولياء والانبياء بالكرامات لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وعليه أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه وفيه أنزل الله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته واياه عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من سئل

وقال يحيى بن معاذ العلماء أرحم بامة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم قيل وكيف ذلك قال لان آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة وقيل أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره

بالدر واليواقيت وسيأتي ذلك وفي قول النسابة البكري ان للعلم آفة ونكدا وهجنة فآفته نسيانه ونكده الكذب فيه وهجنته نشره عند غير أهله (وقال يحيى بن معاذ) الرازي أحد أعيان الصوفية المشاهير (العلماء أرحم) أي أكثر رحمة وشفقة وحنوا (بامة محمد) صلى الله عليه وسلم (من آبائهم وأمهاتهم قيل وكيف ذلك قال لان آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم) بمقتضى الشفقة المجبولين عليها (من نار الدنيا) أي من الوقوع فيها (وهم يحفظونهم) بمقتضى الرحمة التامة والهداية العامة (من نار الآخرة) أي يعلمونهم بما يكون سببا لنجاتهم منها وللعلماء في الارحمية بهم وجوه أخر كتغذيتهم اياهم بالحكمة التي بها قوام الروح والابوان يغذيانهم بما فيه قوام الجسد والعلماء يحلونهم بالحياء والسكينة والوقار والابوان يسترانهم بلباس الظاهر والعلماء بلباس الباطن (وقيل أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره) هذا القول روى عن كل من السفيانين فأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة ابن عيينة قال حدثنا ابراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن اسحق الثقفي سمعت بشر بن محمد الجرشي يقول سمعت ابن عيينة يقول أول العلم الاستماع ثم الانصات ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وأخرج ابن الجوزي في ترجمة سفيان الثوري فقال وروى عن سفيان بطرق انه قال أول العلم الصمت والثاني الاستماع له وحفظه والثالث العمل به والرابع نشره وتعليمه اه فالعلم مراتب خمس في قول ابن عيينة وأربعة على قول الثوري وفصل الخطاب في ذلك ان للعلم ست مراتب أولها حسن السؤال الثانية حسن الانصات والاستماع الثالثة حسن الفهم الرابعة الحفظ الخامسة التعليم السادسة وهي ثمرته هي العمل به ومراعاة حدوده فمن الناس من يحرمه لعدم حسن سؤاله اما انه لا يسأل بحال أو يسأل عن شئ وغيره أهم اليه منه كمن يسأل عن فصوله التي لا يضر جهله بها ويدع ما لا غنى له عن معرفته وهذه حال كثير من الجهال المتعاطين ومن الناس من يحرمه لسوء انصاته فيكون الكلام والمعاواة عنده آثر من حسن الاستماع وهذه آفة كائنة في أكثر النفوس الطالبة للعلم وهي تمنعهم علما كثيرا ولو كان حسن الفهم ذكر ابن عبد البر عن بعض السلف انه قال من كان حسن الفهم رديء الاستماع لم يقم خيره بشره وذكر عبد الله ابن أحمد في كتاب العلل له قال كان عبد الله بن الزبير يحب مماراة ابن عباس فكان يخزن علمه عنه وكان عبيد الله بن عبد الله يلطف له في السؤال فيعره بالعلم عراء وقال ابن جريج لم أستخرج العلم الذي استخرجت من عطاء الا برفقي به وقال بعض السلف اذا جالست العالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول وقد قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فتأمل ما تحت هذه الالفاظ من كنوز العلم وكيف تفتح مراعاتها للعبد أبواب العلم والهدى وكيف ينغلق باب العلم عنه من اهمالها وعدم مراعاتها فانه سبحانه ذكر ان آياته المسموعة والمرئية المشهودة انما تكون تذكرة لمن كان له قلب فان من عدم القلب الواعي عن الله لم ينتفع بكل آية تمر عليه ولو مرت به كل آية فاذا كان له قلب كان بمنزلة البصير اذا مرت به المرئيات فهو يراها ولكن صاحب القلب لا ينتفع بقلبه الا بأمرين أحدهما أن يحضره ويشهده لما يلقى اليه فاذا كان غائبا عنه مسافرا في الاماني والشهوات والخيالات لا ينتفع به فاذا أحضره وأشهده لم ينتفع الا بان يلقي سمعه ويصغي بكليته الى ما يوعظ به ويرشد اليه وهنا ثلاثة أمور أحدها سلامة القلب وصحته وقبوله الثاني احضاره وجمعه ومنعه من الشرود والتطرق الثالث القاء السمع واصغاؤه والاقبال على الذكر فذكر الله تعالى الامور الثلاثة في هذه الآية وفي الكشاف لمن كان له قلب واع لان من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له والقاء السمع الاصغاء وهو شهيد اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب اه والمقصود بيان حرمان العلم من هذه الوجوه الستة أحدها ترك السؤال الثاني سوء الانصات وعدم القاء السمع الثالث سوء الفهم الرابع عدم الحفظ الخامس عدم نشره وتعليمه فان من خزن علمه ولم ينشره ولم يعلمه ابتلاه الله بنسيانه وذهابه منه

جزاء من جنس عمله السادس من عدم العمل به فان العمل به يوجب تذكره وتدبره ومراعاته والنظر فيه فاذا أهمل العمل به نسيه قال بعض السلف كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به فالعمل به من أعظم أسباب حفظه وثباته والله أعلم (وقيل علم علمك من يجهل) أى ليكن تعليمك للجاهلين (وتعلم ممن يعلم) أى وتعلمك من العالمين أى اذا رأيت من دونك فافده بما عندك ولا تتكبر عليه واذا رأيت من فوقك فى العلم فاستفد منه بما ليس عندك (فانك اذا فعلت ذلك علمت ماجهلت) بتعلمك من العالم (وحفظت) أى أثبت واستوثقت (ماعلمت) بافادتك للغير والمدارسة توجب الرسوخ فى الذهن والثبات فى الفكرة (وقال معاذ بن جبل) ابن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشيم بن الخزرج الانصارى الخزرجى أبو عبد الرحمن المدنى الصحابى رضى الله عنه قال ابن الكلبى عن أبيه لم يبق من بنى أدى بن سعد أحد وعدادهم فى بنى سلمة بن سعد وكان آخر من بقى منهم عبد الرحمن بن معاذ بن جبل مات فى الشام بالطاعون فانقرضوا قال ابن عبد البر وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الانصار وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه و بين عبد الله بن مسعود وهو أعلم هذه الامة بالحلال والحرام مات فى طاعون عمواس وهو ابن ثلاث وثلاثين (فى التعليم والتعلم) أى فى فضلهما موقوفا عليه وهو الاشبه بالصواب كما ذهب اليه أبو طالب المكى وأبو نعيم فى الحلية والخطيب وابن القيم وغيرهم (ورأيته أيضا مرفوعا) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا رواه أبو نعيم فى المعجم ولا يثبت وحسبه أن يصل الى معاذ ورواه ابن عبد البر فى العلم من رواية موسى بن محمد بن عطاء القرشى حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمى عن أبيه عن الحسن بن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره هذا سند المرفوع وأما سند الموقوف فقال أبو طالب المكى فى الفصل الحادى والثلاثين من القوت وروينا فى فضل العلم بالله تعالى من رواية رجاء بن حيوة عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل قال فذكره وأورده أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة معاذ فلم يذكر بين رجاء ومعاذ عبد الرحمن فقال حدثنا أبى حدثنا محمد بن ابراهيم بن يحيى حدثنا يعقوب الدورقى حدثنا محمد ابن موسى المروزى أبو عبد الله قال قرأت هذا الحديث على هشام بن مخلد وكان ثقة فقال سمعته من ابن عصمة عن رجل سماه عن رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال (تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية) هكذا فى سائر الروايات وفى القوت حسنة وهو ان لم يكن تصحيفا فالمعنى صحيح (وطلبه عبادة) و يروى عنه من وجه آخر عليكم بالعلم فان طلبه لله عبادة (ومدارسته) وفى الحلية ومذاكرته وهكذا عند ابن عبد البر (تسبيح) أى مذاكرته مع الاخوان بقصد النفع يقوم مقام التسبيح فى حصول الاجور (والبحث عنه) فى الغدو والرواح فى تفحص أسراره وحكمه (جهاد) لما فيه من بذل قوة البدن والحواس والمال (وتعليمه لمن لا يعلمه) هكذا عند الجماعة وعند ابن القيم لمن لا يحسنه (صدقة) جارية الى يوم القيامة (وبذله) أى صرفه (لاهله) ممن يحسن حمله (قربة) أى سبب للقرب الى الله تعالى وعند ابن القيم بعد هذه الجملة به يعرف الله و يعبد و به يوحد و به يعرف الحلال والحرام وتوصل الارحام وفى الحلية وكذا عند ابن عبد البر بعد قوله قربة لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل أهل الجنة ثم اتفقوا فقالوا وهو الانيس فى الوحدة هكذا فى النسخ ومثله عند ابن القيم وفى نسخة العراقى وهو الانس فى الوحدة وفى الحلية والانس فى الوحشة أى يؤنس صاحبه فى وحدته أى فى القبر أو حال توحده عن الناس وتوحشه منهم (والرفيق فى الغربة) كذا فى النسخ وسقطت من بعض النسخ وفى الحلية والصاحب فى الغربة أى معين له فى أسفاره (والصاحب فى الخلوة) ونص الحلية وابن عبد البر والمحدث فى الخلوة أى مغن له عن اتخاذ أصحاب التسلية (والدليل على السراء والضراء) كذا فى النسخ وعند ابن القيم والمعين على الضراء وزاد فى الحلية بعدها والسلاح على الاعداء وكذا عند ابن عبد البر أيضا (والوزير

عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار وجميع ذلك مصور فى اثنتين العلم بالعبرة والعمل بالسنة وهما مبنيان على آيتين الحرص الشديد والنية الخالصة والسر فى تحصيلهما اثنان نظافة الباطن وسلامة الجوارح و يسمى جميع ذلك بعلم المعاملة وأما الحد الثانى فالكلام فيه أكثر ما يكون على طريقة ضرب الامثال تشبيها بالرمز تارة و بالتصريح أخرى ولكن على الجملة بما يناسب علوم الظواهر ولكن شرف بذلك اللبيب الحاذق على بعض المراد و يفهم منه كثيرا من المقصود و ينكشف له جل مايشار اليه اذا كان سالما

❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊

وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم ماتجهل فانك اذا فعلت ذلك علمت ماجهلت وحفظت ماعلمت وقال معاذ بن جبل فى التعليم والتعلم ورأيته أيضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة والدليل على الدين والمصبر على السراء والضراء والوزير

عند الاخلاء) كذا فى النسخ وعند ابن عبد البر والزين بدل الوزير ومثله فى الحلية (والقريب عند الغرباء) كذا نص القوت وابن القيم وليست هذه الجملة فى الحلية ولا عند ابن البر (ومنار سبيل الجنة) كذا هذه الجملة هنا فى رواية الخطيب وابن القيم وتقدمت بعد قوله قربة عند ابن عبد البر وأبى نعيم الا انهما قالا ومنار سبيل أهل الجنة (يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير) وفى الحلية و يجعلهم بالواو (قادة هداة) كذا فى القوت وليس فى الحلية هداة (يقتدى بهم) وعند الخطيب قادة وسادة يقتدى بهم وفى بعض النسخ يهتدى بهم (أدلة فى الخير) وفى بعض النسخ على الخير (تقتص) أى تتبع (آثارهم وترمق) أى تنظر (أفعالهم) ونص الحلية بعد قوله قادة وأئمة تقتبس آثارهم و يقتدى بفعالهم و ينتهى الى رأيهم ومثله عند ابن عبد البر الا انه قال تقتص بدل تقتبس (وترغب الملائكة فى خلتهم) أى مصادقتهم (وباجنحتها تمسحهم) تبركا بهم أو تحف عليهم بأجنحتها حفظا وصيانة (كل رطب ويابس) وفى بعض النسخ بزيادة واو العطف (لهم يستغفر) وفى بعض النسخ يستغفر لهم وعند ابن عبد البر يستغفر لهم كل رطب ويابس وكذا فى الحلية وعند الخطيب حتى حيتان البحر وفى الحلية حتى الحيتان فى البحر وعند ابن عبد البر بعد قوله ويابس وحيتان البحر (وهوامه) جمع هامة ماله سم يقتل كالحية وقد تطلق على ما يؤذى والضمير عائد الى البحر (وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها) وهذه الجملة الاخيرة ليست فى الحلية ولا عند ابن عبد البر (لان العلم حياة القلب من العمى) وفى الحلية من الجهل وعند ابن عبد البر حياة القلوب من الجهل وعند ابن القيم والعلم حياة القلوب من العمى (ونور الابصار) وعند ابن القيم ونور للابصار وفى الحلية ومصباح الابصار وعند ابن عبد البر ومصابيح الابصار (من الظلم) وفى الحلية من الظلمة (وقوة الابدان) وعند ابن القيم للابدان (من الضعف) وسقطت هذه الجملة الاخيرة من الحلية وعند ابن عبد البر (يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى) وعند ابن عبد البر وأبى نعيم الاخيار بدل الابرار وفى آخره فى الدنيا والآخرة الا أن أبا نعيم قال يبلغ بالعلم وقال الدرجات العليا (التفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام) وعند ابن عبد البر يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام (به يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد) وفى بعض النسخ يؤجر (وبه يتورع وبه توصل الارحام) هذه الجمل سقطت من الحلية وهى عند الخطيب وابن القيم فى أول الحديث كما أشرنا اليه والذى فى الحلية وكذا عند ابن عبد البر بعد قوله بالقيام وبه توصل الارحام وبه يعرف الحلال من الحرام وتحقيق هذا المحل ان كل ما سوى الله يفتقر الى العلم لا قوام له بدونه فان الوجود وجودان وجود الخلق ووجود الامر والخلق والامر مصدرهما علم الرب وحكمته فكل ما ضمه الوجود من خلقه وأمره صادر عن علمه وحكمته فما قامت السموات والارض وما بينهما الا بالعلم ولا بعثت الرسل وأنزلت الكتب الا بالعلم ولا عبد الله وحده وحمد وأثنى عليه ومجد الا بالعلم ولا عرف الحلال من الحرام الا بالعلم ولا عرف فضل الاسلام على غيره الا بالعلم (هو امام والعمل تابعه) وعند الخطيب للعمل والعمل تابعه وعند ابن عبد البر وأبى نعيم وهو امام العمل والعمل تابعه (يلهمه السعداء) أى من سبقت له السعادة الازلية الهم بالعلم (ويحرمه الاشقياء) أى ليس لهم نصيب منه هكذا رواه أبو نعيم فى الحلية وأبو طالب المكى فى القوت والخطيب وابن القيم وغيرهم موقوفا ورواه أبو نعيم فى المعجم وابن عبد البر كما تقدم مرفوعا وقال فى آخره وهو حديث حسن ولكن ليس له اسناد قوى وقد روينا من طرق شتى موقوفا ثم رواه من رواية أبى عصمة نوح بن أبى مريم عن رجاء بن حيوة عن معاذ موقوفا قال العراقى قوله حسن أراد به الحسن المعنوى لا الحسن المصطلح عليه بين أهل الحديث فان موسى بن محمد البلقاوى كذبه أبو زرعة وأبو حاتم ونسبه العقيلى وابن حبان الى وضع الحديث وعبد الرحيم بن زيد متروك وأبوه مختلف فيه والحسن لم يدرك معاذا وأبو عصمة المذكور فى الموقوف ضعيف أيضا

كان

من شرك التعصب بعيدا من هوة الهوى نظيفا من دنس التقليد وأما الحد الثالث فلا سبيل الى ذكر شئ منه الا مع أهله بعد علمهم به على سبيل التذكار لا على التعليم انما كانت أحكام هذه الحدود الثلاثة على ما وصفناه لان الحد الاول فيه محض النصح

عند الاخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة فى الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم وباجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها لان العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد وبه يمجد وبه يتورع وبه توصل الارحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء نسأل الله تعالى حسن التوفيق

للخلق واستنقاذهم من غمرات الجهل والتنكيب بهم من مهاوى العطب وقودهم الى معرفة هذا المقام وما وراءه مما هو أعلى منه مما الهم فيه الملك الاكبر وفوز الابد وقد بين لهم غاية البيان واقيم عليه

(الشواهد العقلية)

اعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته ومالم تفهم الفضيلة فى نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم اولغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيدا حكيم أم لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها والفضيلة مأخوذة من الفضل وهى الزيادة فاذا تشارك شيآن فى أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشئ كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه فى قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل انه أفضل لان تلك زيادة فى الجسم اونقصان فى المعنى وليست من الكمال فى شئ والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه

كان يقال له نوح الجامع قال ابن حبان جمع كل شئ الا الصدق ورجاء ابن حيوة أيضا لم يسمع من معاذ وروى الموقوف سليم الرازى فى الترغيب والترهيب من طريق آخر وفيه كنانة بن جبلة ضعيف جدا قلت ولكن صرح أبو طالب ان رجاء بن حيوة سمعه من عبد الرحمن بن غنم عن معاذ فهذا أشبه والله أعلم وقال العراقى فى تخريجه الصغير أخرجه بطوله أبو الشيخ فى كتاب الثواب له وقال فى تخريجه الكبير وفى الباب عن أنس وأبى هريرة وعبد الله بن أبى أوفى فحديث أنس رواه المرهبى فى العلم من رواية يزيد الرقاشى عن أنس رفعه والرقاشى ضعيف وحديث أبى هريرة رواه الخطيب فى كتاب الفقيه والمتفقه مع اختلاف باسناد ضعيف من رواية العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة وحديث ابن أبى أوفى رواه المظفر بن الحسين الغزنوى فى كتاب فضائل القرآن وقال تعلموا القرآن بدل العلم وزاد فيه زيادات منكرة وهو منكر جدا

(الشواهد العقلية)

لما فرغ من بيان الشواهد النقلية فى فضيلة العلم والتعلم والتعليم شرع فى بيان الشواهد العقلية والشاهد هو المعلوم المستدل به قبل العلم بالمستدل عليه سواء علم ضرورة أو استدلالا والمراد بالشواهد هنا الجزئيات التى يؤتى بها لاثبات القواعد (اعلم أن المطلوب من سياق هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته) أى خطره وعزة قدره (ومالم تفهم الفضيلة بنفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن يعلم وجودها صفة للعلم أولغيره من الخصال) فلابد من معرفتها باشتقاقها وحدودها أولا (ولقد ضل عن الطريق) أى طريق الرشد (من طمع أن يعرف ان زيدا) مثلا (حكيم أم لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها) واطلاقاتها وحيث كان الامر كذلك (فالفضيلة) فعيلة (مأخوذة من الفضل) ودائرة الاخذ أوسع من دائرة الاشتقاق ولذا لم يقل مشتقة (وهو) أى الفضل لغة (الزيادة) زاد الراغب فى مفرداته على الاقتصاد وهو اسم لما يتوصل به الى السعادة ويضادها الرذيلة وقال ابن السيد فى الفرق الفضل اذا كان يراد به الزيادة ففيه ثلاث لغات كنصر وعلم وكرم وأما الفضل الذى هو بمعنى الشرف فليس فيه الا لغة واحدة وهى فضل يفضل كقعد يقعد وتمام البحث فى شرحنا على القاموس (فاذا تشارك شيآن فى أمر) من الامور (واختص أحدهما بمزية) فعيلة من مزى وهى فضيلة يمتاز بها عن غيره قالوا ولا يبنى منه فعل (يقال فضله وله الفضل مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشئ) والبلوغ الى أقصى مراتبه (كما يقال الفرس أفضل من الحمار) يقال ذلك (بمعنى انه يشاركه) أى الفرس (فى قوة الحمل) أى ينهض بالحمل الثقيل فكل منهما مشاركان فى هذا الوصف (ويزيد عليه الفرس) بأوصاف أخرى (بقوة الكر) أى قوة اقدامه فى الكر أى الحمل على عدوه فانه ينقض عليه كالبازى (والفر) أى نهضته للفرار اذا لم يمكن صاحبه المقاتلة (وشدة العدو) أى الجرى مع سهولة فى الحالتين كما قالوا ان سبق لحق وان سبق لم يلحق (وحسن الصورة) مع ما فيه من الاوصاف قال الدميرى فى حياة الحيوان الفرس أشبه بالانسان لما فيه من الكرم وشرف النفس وعلو الهمة والزهو والخيلاء ومن شرفه أن لا يأكل بقية علف غيره ويرى المنامات كبنى آدم ويوصف بحدة البصر وربما يعيش الى تسعين سنة اه (فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة) وتغولى عنه (لم يقل انه أفضل) من الفرس (لان تلك زيادة فى الجسم وهو نقصان من المعنى وليس من الكمال فى شئ والحيوان مطلوب بمعناه وصفاته) التى منها حمل الاثقال والصبر والابلاغ (لا لجسمه) اعلم أن الفضل اذا استعمل لزيادة حسن أحد الشيئين على الآخر ثلاثة اضرب فضل من حيث الجنس كفضل جنس الحيوان على جنس النبات وفضل من حيث النوع كفضل الانسان على غيره من الحيوان وفضل من حيث الذات كفضل رجل على آخر فالاولان جوهران لا سبيل للناقص فيهما أن يزيل نقصه وأن يستفيد الفضل كالفرس والحمار لا يمكنهما اكتساب فضيلة

الانسان والثالث قد يكون عرضا يمكن اكتسابه ومن هذا النحو التفضيل المذكور في قوله تعالى
والله فضل بعضكم على بعض أي في المكنة والجاه والمال والقوة (واذا فهمت هذا لم يخف عليك ان
العلم فضيلة) على الاطلاق بل أصل كل الفضائل الداخلية (وان أخذته بالاضافة الى سائر الحيوانات
بل شدة العدو) أي الركض والجري (فضيلة في الفرس وليس فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة في
ذاته على الاطلاق من غير اضافة) ونسبة الى شئ آخر (فانه وصف لكمال الله تعالى وبه شرف
الملائكة والانبياء) اذ لم يبعث الرسل ولا أنزلت الكتب الا بالعلم بل ما قامت السموات والارض وما
بينهما الا بالعلم فكلما ضمه الوجود من خلقه وأمره صادر عن علمه وحكمته واختلف هنا في مسئلة
وهي هل العلم صفة فعلية أو انفعالية فقالت طائفة هو صفة فعلية لانه شرط أو جزء سبب في وجود
المفعول فان الفعل الاختياري يستند عن حياة الفاعل وعلمه وقدرته وارادته ولا يتصور وجوده بدون
هذه الصفات وقالت طائفة هو انفعالي فانه تابع للمعلوم يتعلق به على ما هو عليه فان العلم درك
المعلوم على ما هو به فادراكه تابع له فيكون متقدما عليه والصواب ان العلم قسمان فعلي وهو علم
الفاعل المختار بما يريد أن يفعله فانه موقوف على ارادته الموقوفة على تصور المراد والعلم به فهذا علم قبل
الفعل متقدم عليه مؤثر فيه وعلم انفعالي وهو العلم التابع للمعلوم الذي لا تأثير له فيه كعلمنا بوجود
الانبياء والملوك وسائر الموجودات فان هذا العلم لا يؤثر في المعلوم ولا هو شرط فيه فكل من الطائفتين
نظرت جزئيا وحكمت كليا وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس وكلا القسمين صفة كمال ونقصه من
أعظم النقص (بل الكيس) فيعل من الكياسة (من الفرس خير من البليد فهي فضيلة على الاطلاق
من غير اضافة) أعلم ان الله سبحانه خلق الموجودات وجعل لكل شئ منها كمالا يختص به هو غاية
شرفه فاذا عدم كماله انتقل الى الرتبة التي دونه واستعمل فيها فكان استعماله فيها كمال أمثاله فاذا
عدم تلك أيضا نقل الى ما دونها ولا تعطل وهكذا أبدا حتى اذا عدم كل فضيلة صار كالشوك والحطب
الذي لا يصلح الا للوقود فالفرس اذا كانت فيه فروسيته التامة أعد لمراكب الملوك وأكرم اكرام مثله
فاذا نزل عنها قليلا أعد لمن دون الملك فاذا زاد تقصيره أعد لآحاد الاجناد فان تقاصر عنها جملة استعمل
استعمال الحمار اما حول المدار واما لنقل الزبل ونحوه فان عدم ذلك استعمل استعمال الاغنام للذبح
والاعدام كما يقال في المثل ان فرسين التقيا أحدهما تحت الملك والآخر تحت الروايا فقال فرس الملك
أما أنت صاحبي وكنت أنا وأنت في مكان واحد فما الذي نزل بك الى هذه المرتبة فقال ما ذاك الا انك
هملجت قليلا وتكسعت أنا (واعلم أن الشئ النفيس المرغوب فيه) المعبر عنه بالخير (ينقسم) من
وجه (الى ما يطلب لغيره) أي تأثيره لغيره (والى ما يطلب لذاته) لكون تأثيره لذاته (والى ما يطلب
لذاته) تارة (ولغيره) تارة لكون تأثيره كذلك (و) القسم الثاني وهو (ما يطلب لذاته أفضل
وأشرف مما يطلب لغيره) اذ المؤثر لذاته أشرف من المؤثر لغيره (والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير)
جمع دينار ودرهم (فانهما) نظرا الى جرمهما (حجران) لتكونهما من المعادن (لا منفعة فيهما)
فانهما لا يشبعان ولا يرويان (ولولا ان الله تعالى يسر) أي سهل (قضاء الحاجة) الضرورية (بهما)
وارتفعت الضرورات التي تدفع بهما (لكانت) هي (والحصباء بمثابة) أي بمنزلة (واحدة) فهي خواتيم
الله في الارض خلقت لاستدفاع الضرورات بها فتأثيرها ليس لذاتها وأخرج أبو نعيم في الحلية فقال
حدثنا سليمان حدثنا علي بن المبارك حدثنا زيد بن المبارك حدثنا مرداس بن صافنة أبو عبيدة حدثنا
أبو رفيق قال سألت وهب بن منبه عن الدنانير والدراهم فقال الدنانير والدراهم خواتيم رب العالمين
في الارض لمعايش بني آدم لا تؤكل ولا تشرب فأين ذهبت بخاتم رب العالمين قضيت حاجتك وأخرج
الطبراني في الاوسط من رواية ابن عيينة وابن أبي فديك كلاهما عن محمد بن عمرو عن أبي لبيبة عن

واضح البرهان وهو يومئذ الطريق وأول سبيل السعادة فمن عجز عن ذلك كان عن غيره أعجز ومن سلكه على استقامة فالغالب عليه الوصول ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ومن وصل شاهد ومن شاهد علم وذلك غاية

فاذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة ان أخذته بالاضافة الى سائر الاوصاف كما أن للفرس فضيلة ان أخذته بالاضافة الى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليست فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الاطلاق من غير اضافة فانه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائكة والانبياء بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الاطلاق من غير اضافة واعلم أن الشئ النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لغيره ولذاته جميعا فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانهما حجران لا منفعة لهما ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة

أبيه عن أبي هريرة مرفوعا الدنانير والدراهم خواتيم الله في أرضه من جاء بخاتم ربه قضيت حاجته وأخرج في الاوسط أيضا والصغير عن المقدام بن معديكرب مرفوعا يأتي على الناس زمان لا ينفع فيه الا الدينار والدرهم (وأما الذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر الى وجه الله تعالى) وهو أعلى أنواع نعم الله الموهوبة والمكتسبة وأشرفها واياها قصد بقوله تعالى وأما الذين سعدوا ففي الجنة الآية وذلك هو الخير المحض والفضيلة الصرف وهو أربعة أشياء بقاء بلا فناء وقدرة بلا عجز وعلم بلا جهل وغناء بلا فقر ولا يمكن الوصول الى ذلك الا باكتساب لفضائل النفيسة واستعمالها كما قال تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها الآية (وأما الذي يطلب لذاته) تارة (ولغيره) تارة (فكسلامة البدن) وصحة الجسد (فان سلامة الرجل) بكسر الراء (مثلا مطلوب من حيث انه سلامة عن الالم ومطلوب للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات) بذلك المشي أي ان الرجل وان أريد للمشي فالانسان يريد أن يكون صحيح الرجل وان استغنى عن المشي (وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رأيته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته) فيكون أشرف بهذا الاعتبار (ووجدته وسيلة) موصلة (الى دار الآخرة وسعادتها) والمراد بسعادة الآخرة حسن الحياة فيها وهي الاربع التي تقدم ذكرها وقد يقال لما يتوصل به الى هذه السعادات الاربع أيضا سعادة كالعلم فانه يسمى سعادة بهذا الاعتبار وخيرا مطلقا (وذريعة) أي وسيلة (الى القرب من الله تعالى) في دار كرامته (ولا يتوصل الا به) أي بالعلم (وأعظم الاشياء رتبة) وأكبرها وأشرفها (في حق الآدمي) المنسوب الى جده آدم عليه السلام أي في حق الانسان (السعادة الابدية) وهي السعادة المطلوبة التي تقدم ذكرها (وأفضل الاشياء ما هو وسيلة اليها) أي الى الوصول بها (ولن يصل الى ذلك الا بـ)ـاكتساب الفضائل النفيسة واستعمالها وأصول ذلك أربعة أشياء العقل وكماله (العلم) والعفة وكمالها الورع والشجاعة وكمالها المجاهدة والعدالة وكمالها الانصاف (و) هذه الثلاثة هي (العمل) ويعبر عنها بالدين أيضا ويكمل ذلك بالفضائل البدنية وهي أربعة أشياء الصحة والقوة والجمال وطول العمر وبالفضائل المطيفة بالانسان وهي أربعة أشياء المال والاهل والعز وكرم العشيرة ولا سبيل الى ذلك الا بتوفيق الله عز وجل وذلك بأربعة أشياء هدايته ورشده وتسديده وتأييده فجميع ذلك خمسة أنواع وهي عشرون ضربا ليس للانسان مدخل في اكتسابها الا بما هو نفسي فقط (ولا يتوصل الى العمل أيضا الا بالعلم بكيفية العمل) فصار العمل متوقفا على العلم أيضا بهذا الاعتبار (فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذا أفضل الاعمال) واعلم أن السعادة الحقيقية هي الخيرات الاخروية وما عداها فتسميته بذلك اما لكونه معاونا في بلوغ ذلك أو نافعا فيه فكل ما أعان على خير سعادة والاشياء التي هي نافعة ومعينة في بلوغ السعادة الاخروية متفاوتة الاحوال فمنها ما هو نافع في جميع الاحوال وعلى كل وجه ومنها ما هو نافع في حال دون حال وعلى وجه دون وجه وربما يكون ضرره أكثر من نفعه فحق الانسان أن يعرفها بحقائقها حتى لا يقع الخطأ عليه في اختياره الوضيع على الرفيع وتقديمه الخسيس على النفيس (وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشئ أيضا بشرف ثمرته) ونتيجته (وقد عرفت ان ثمرة العلم) عظيمة شريفة هي (القرب من الله تعالى) وفي نسخة من رب العالمين أي في دار كرامته مع المشاهدة بالنظر (والالتحاق بأفق الملائكة) ويشير اليه ما تقدم في الحديث أنتم كبعض ملائكتي اشفعوا فيشفعون (ومقارنة الملا الاعلى) مع الملائكة حول العرش (هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالعز) والسعادة (والوقار) وهو الحلم والرزانة (ونفوذ الحكم) أي اجراؤه (على الملوك) فضلا عن غيرهم وقد تقدم ان العلم حاكم وما عداه محكوم عليه ولا يقطع النزاع الا العلم وقد شوهد من أحوال السلف من العلماء العارفين كأبي حازم وسفيان والفضيل ومن بعدهم كالعز بن عبد السلام

المطلوب ونهاية المرغوب والمحبوب ومن قعد حرم

والذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث انها سلامة للبدن عن الالم ومطلوبة للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رأيته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى دار الآخرة وسعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به وأعظم الاشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الابدية وأفضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولن يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل الا بالعلم بكيفية العمل فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذا أفضل الاعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشئ أيضا بشرف ثمرته وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الاعلى هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك

بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوزالدرجتها * هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتى بيانه وتتفاوت لامحالة فضائلها بتفاوتها وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه فان العلم اذا كان أفضل الامور كان تعلمه طلبا للافضل فكان تعليمه افادة للافضل وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة وهى الآلة الموصلة الى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا لالمن يتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم أمر الدنيا الا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر فى ثلاثة أقسام أحدها أصول لاقوام للعالم دونها وهى أربعة الزراعة وهى للمطعم والحياكة وهى للملبس والبناء وهو للمسكن والسياسة وهى للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها * الثانى ماهى مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلاتها وكالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد محلها الثالث ماهى متممة للاصول ومزينة كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام أمر العالم الارضى مثل أجزاء الشخص بالاضافة الى جملته

واضرابه مع ملوك زمانهم ما هو أشهر من أن يذكر (ولزوم الاحترام) والتعظيم (فى) أصل (الطباع) مركوزا ذلك فيها (حتى ان أغبياء) جمع غبى (الترك) بالضم قوم معروفون غباوتهم فى أصل جبلتهم لاتوصف (واجلاف العرب) الذين لايشهدون المدن والحضر ويتبعون مساقط الغيث وأذناب الانعام كما ان الترك لمجاورتهم الجبال الشواهق وبعدهم عن المدن صار وأغبياء كذلك العرب بذلك صاروا اجلافا لكنهم مع ذلك (يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير) والتعظيم (لشيوخهم) وكبارهم (لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة) ولولم يستفيدوا من الكتب والشيوخ بالتلقين فتراهم يصغون الى كلامهم ويعملون بما يأمرونهم فى القضايا والحوادث (بل البهيمة بطبعها) مع حيوانيتها (توقر الانسان) وتحتشمه بعض الاحتشام وتنزجر عنه بعض الانزجار (لشعورها) وعلمها (بتميز الانسان) عن غيره (بكمال مجاوز لدرجتها) وهذا الكلام بعينه يأتى للمصنف فى باب العقل والعقل والعلم من واد واحد لاطلاق كل واحد منهما على الآخر مع فرق سيذكر فيما بعد وأيضا فان العلم ثمرة العقل فما جاز على العقل جاز على العلم (وهذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم) بانقسامها الى ما يحمد ويذم (كما سيأتى بيانه وتتفاوت لامحالة فضائلها بتفاوتها) فى درجاتها (اما فضيلة التعليم والتعلم) بالشواهد العقلية (فظاهرة مما ذكرناه فان العلم اذا كان أفضل الامور) وأشرفها (كان تعلمه) والسعى فى تحصيله (طلبا للافضل وكان تعليمه افادة للافضل) وبذلا للاشرف (وبيانه ان مقاصد الخلق) سائرها (مجموعة فى الدين والدنيا) منوطة بهما معا (ولانظام للدين الابنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة) سيأتى للمصنف انه حديث وقال السخاوى لم أقف عليه مع ايراد الغزالى له فى الاحياء وفى الفردوس بلا سند عن ابن عمر مرفوعا الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها (وهى الآلة الموصلة الى الله تعالى لمن اتخذها آلة) يتوصل بها فلايتناول منها الابقدر الحاجة الضرورية له (و) اتخذها (منزلا) ينزل فيه ثم يسافر (ولم يتخذها مستقرا ووطنا) يطمئن اليه بكليته فكل مافيها من الاموال والاولاد والزينة عوار كما قال الشاعر

وما المال والاهلون الاودائع * ولابد يوما أن ترد الودائع

(وليس ينتظم أمر الدنيا الا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم) الحرف جمع حرفة وهى الاكتساب اسم من احترف لعياله والصناعة بالكسر اسم من صنعه صنعا (تنحصر فى ثلاثة أقسام أحدها أصول لاقوام للعالم دونها وهى أربعة) أولها (الزراعة) أى الحراثة (وهى للمطعم) بالنظر الى المآل (والحياكة) أى النساجة (وهى للملبس) تستر به العورة (والبناء) أى بناء البيوت والمنازل (وهى للمسكن) يأوى اليه (والسياسة) بالكسر وهى رعاية الامور (وهى للتأليف) بين الناس (والاجتماع) فى الكلمة (والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها) بحيث لايختل نظامها القسم (الثانى ماهى مهيئة) أى مرشحة (لكل واحد من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة) بالكسر (فانها تخدم الزراعة) وهى الضرب الاول من القسم الاول بل (وجملة من الصناعات باعداد آلاتها) مما تحتاج اليها ويتوقف وجوده على وجودها (وكالحلاجة) بالكسر (والغزل) أى غزل الكتان والقطن (فانها تخدم الحياكة باعداد محلها) فان القطن اذا لم يحلج والكتان اذا لم يغزل لم ينتفع الحائك بهما (القسم الثالث ما هى متممة للاصول) الاربعة التى ذكرت (ومزينة لها كالطحانة) بالكسر وفى نسخة كالطحن (والخبز للزراعة) فانه اذا حصد الزرع ولولا انه يطحن فيخبز لايتم الاكل (وكالقصارة والخياطة للحياكة) فان الحائك اذا تم من نسج ثوب فلابد من قصار يقصره فيخرج مافيه من الاوساخ ثم لابد من خياط يفصله حتى يتم به اللبس (و) مثل (ذلك بالاضافة الى قوام أمر العالم الارضى مثل أجزاء الشخص) الى

الشخص سواء (بعينه فانها) على (ثلاثة اضرب اما أصول) وهي ثلاثة (كالقلب والكبد والدماغ) وتسمى الاعضاء الرئيسة (واما خادمة لها) ومرشحة لها (كالمعدة) بفتح فكسر (والعروق والشرايين) جمع شريان عرق يخبر عن الكبد (والاعصاب) وهي اطناب المفاصل (والاوردة) جمع وريد عرق يخبر عن القلب فهذه كلها مرشحة لتلك الاصول (واما مكملة لها ومزينة لها كالاظفار والاصابع والحاجبين) ففي كل ذلك تكميل وتزيين ومنافع جليلة يأتي بيان ذلك كله في محله (وأشرف هذه الصناعات أصولها) التي لاقوام للعالم دونها (وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح) وهي القسم الرابع من الاصول (ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها) أي بخدمتها (ما لا استدعيه سائر الصناعات) المذكورة (ولذلك يستخدم لامحالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع) ويفضلهم (والسياسة في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على أربعة مراتب الاولى وهي العليا سياسة الانبياء) عليهم السلام (وحكمهم على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم) لما ان الله سبحانه قد أطلعهم على بواطنهم كما أطلعهم على ظواهرهم فهم يرشدونهم الى الطريق المستقيم وهم أفضل السواس (والثانية) سياسة ولاة الامور (الخلفاء) ممن استكملت فيه شروط الامامة من قريش كالخلفاء الاربعة ومن بعدهم من بني أمية وبني العباس (والملوك) هم نواب الخلفاء كآل سلجوق بالروم وآل رسول باليمن (والسلاطين) هم الذين يملكون البلاد بقهر وسطوة وغلبة وهم بهذا الترتيب وقد فرق ابن السبكي في الطبقات بين الملك والسلطان فقال السلطان يطلق على من ملك العراقين والملك من ملك دون ذلك أو نحو هذا (وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا لكن على ظاهرهم لا على باطنهم) ولو قال على ظاهر الخاصة والعامة لا باطنهم كان أخصر (والثالثة) سياسة (العلماء بالله وبدينه) وهم الحكماء (الذين هم ورثة الانبياء) ورثوا عنهم العلم والحكمة وهم الجامعون بين الحقيقة والشريعة (وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة منهم) لعدم المناسبة بينهما لان ما بين الحكيم والعامي من تنافي طبعهما وتنافر شكلهما من التفاوت قريب لما بين الماء والنار والليل والنهار وقد قيل لسلمة بن كهيل مالعلي رضي الله عنه وفقه العامة وله في كل خير ضرس قاطع فقال لان ضوء علومهم قصر عن نوره والناس الى اشكالهم أميل (ولا تنتهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع) والدفع والرفع (الرابعة) سياسة الفقهاء (والوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط) وليست لهم قوة الى التصرف في ظواهرهم وصلاح العالم ونظامه بمراعاة هذه السياسات لتخدم العامة الخاصة وتسوس الخاصة العامة ثم ان السياسة في حد ذاتها على قسمين سياسة الانسان نفسه وبدنه وما يختص به والثانية سياسته غيره من ذويه وبلده ولا يصلح لسياسة غيره من لا يصلح لسياسة نفسه لان السائس يجري على المسوس مجرى ذي الظل من الظل ومن المحال أن يستقيم الظل وذو الظل أعوج ويستحيل أن يهتدي المسوس مع كون السائس ضالا والناس ضربان خاص وعام فالخاص من يختص من البلد بما يخترم باقتقاده احدى السياستين البدنية والعام من لا يخترم باقتقاده شئ منها وهذا اذا اعتبرنا أمور الدنيا وهم من وجه آخر ثلاثة خاصة وعامة وأوساطهم المسمون في كلام العرب بالسوقة فالخاص هو الذي يسوس ولا يساس والعام الذي يساس ولا يسوس والوسط الذي يسوسه من فوقه وهو يسوس من دونه (وأشرف هذه السياسات الاربعة بعد النبوة) والرسالة وما يليها من الصديقية (افادة العلم) النافع (وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة) الرديئة (المهلكة وارشادهم الى الاخلاق المحمودة المسعدة) وهو مقام شريف لايعلوه مقام الا النبوة والرسالة والصديقية وأصحاب هذا المقام هم الجامعون بين علمي الشريعة والحقيقة فان افادة العلم ترجع الى العلوم الظاهرة وتهذيب النفوس والارشاد بعلماء الحقيقة المتصرفين في بواطن مريدهم (وهي المراد بالتعليم) ثم بين ذلك بقوله (وانما

مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين وأشرف هذه الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لامحالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع * والسياسة في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على أربع مراتب * الاولى وهي العليا سياسة الانبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا في ظاهرهم وباطنهم * والثانية الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم * والثالثة العلماء بالله عزوجل وبدينه الذين هم ورثة الانبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ولا تنتهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع والشرع والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط فأشرف هذه الصناعات الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم وانما

قلنا ان هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لان شرف الصناعات يعرف بثلاثة أمور اما بالالتفات الى الغريزة التى بها يتوصل الى معرفتها) أى بحسب النسبة الى القوة المبرزة لها (كفضل العلوم الحكمية (العقلية على) العلوم (اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل) أى هى متعلقة بالقوة العقلية (و) تدرك (اللغة بالسمع) أى متعلقة بالقوة الحسية (والعقل أشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة) فان الزراعة نفعها عام بخلاف الصياغة (واما بملاحظة المحل الذى فيه التصرف) أى بحسب شرف الموضوع المعمول فيه (كفضل الصياغة) وشرفها (على الدباغة اذ محل أحدهما الذهب) ولايخفى شرفه (ومحل الآخر جلد الميتة) فهى ثلاثة وجوه استبان بها شرف الصناعة واستعمل الالتفات فى الوجه الاول والنظر فى الثانى والملاحظة فى الثالث تفننا فى العبارة (وليس يخفى) على العاقل (أن العلوم الدينية) وهى الشرعية المعبرعنها بالحكمة (وهى فقه طريق الآخرة انما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء) وهى القوة المفكرة (و) هى أشرف قوة كما ان (العقل أشرف صفات الانسان) وأجلها (كما سيأتى بيانه) فى الباب السابع (اذ به قبل أمانة الله تعالى وبه يوصل الى جوار الله تعالى) وذلك أبلغ نفع (وأما عموم النفع فلا تسترتيب)٧ أى لاشك (فيه سعادة الآخرة) وهى الاشياء الاربعة المذكورة آنفا وذلك أبلغ كذلك (وأما شرف المحل) وموضوعه الذى يعمل فيه (فكيف يخفى والمعلم متصرف فى قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على وجه الارض جنس الانس وأشرف جزء من جوهر الانسان قلبه) الصنوبرى وهو مهبط ملائكة الرحمة فهو أشرف موضوع (والمعلم مشتغل بتكميله وتخليته) كذا بالخاء المعجمة وهو مناسب لقوله (وتطهيره) عن الاوصاف الذميمة وفى بعض النسخ بالجيم وهو التصفية (وسياقته الى القرب من الله تعالى) بتعليمه اياه بما يكون سببا لذلك (فتعليم العلم من وجه عبادة الله تعالى) لكونه ذكر الله تعالى (ومن وجه خلافة الله تعالى وهو أجل خلافة) وهل يجوز أن يقال فلان خليفة الله فى أرضه أم لا قولان واحتج المجيزون بقوله تعالى للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة وبقوله تعالى وهو الذى جعلكم خلائف و بقوله تعالى ويجعلكم خلفاء الارض وبقول على رضى الله عنه أولئك خلفاء الله فى أرضه ودعاته الى دينه واحتج الآخرون بان الخليفة انما يكون عمن يغيب و يخلفه غيره والله تعالى شاهد غير غائب قريب غير بعيد فمحال أن يخلفه غيره بل هو سبحانه الذى يخلف عبده المؤمن فيكون خليفته قالوا ولهذا أنكر الصديق على من قال ياخليفة الله قال لست بخليفة الله ولكن خليفة رسول الله وحسبى ذلك وأجابوا عن تلك الآيات والحق انه ان أريد بالاضافة الى الله تعالى انه خليفة عنه فالصواب قول الطائفة المانعة منها وان أريد بالاضافة ان الله استخلفه عن غيره ممن كان قبله فهذا لايمتنع فيه الاضافة وحقيقتها خليفة الله الذى جعله خلفا عن غيره وبهذا يخرج الجواب عن قول على رضى الله عنه أولئك خلفاء الله فى أرضه فان قيل هذا لامدح فيه لان هذا الاستخلاف عام فى الامة وخلافة الله التى ذكرنا فى قول على رضى الله عنه خاصة لخواص الخلق فالجواب أن الاختصاص المذكور أفاد اختصاص الاضافة فالاضافة هنا للشرف والتخصيص كما فى نظائره (فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذى هو أخص صفاته) وهذه مسئلة اختلف فيها فالمنقول عن الاشعرى أخص أوصاف البارى القدرة وقال المعتزلة انه القدم ورد بانه سلبى فكيف يكون نفسيا فكيف يكون أخص أوصافه ومنهم من زعم انه حال توجب له كونه حيا عالما قادرا مريدا ولا فصاح لى فى هذه المقالة عن هذه الحال واحتج الفخر لقول الاشعرى بجواب سيدنا موسى عليه السلام قال رب السموات والارض وما بينهما ورد ابن التلمسانى عليه وقال معنى كلام الاشعرى ان القدرة خاصة لله سبحانه وليس للعبد قدرة خلافا للمعتزلة وليس معنى كلام الاشعرى ان القدرة أخص الاوصاف كما فهمه عنه فاخص الاوصاف مجهول كما ان الاصح ان الذات العلية غير

٧ ونسخة فلا نسترتيب بصيغة المتكلم (فان نفعه وثمرته سعادة)

معروفة

قلنا ان هذا افضل من سائر الحرف والصناعات لان شرف الصناعة يعرف بثلاثة أمور واما بالالتفات الى الغريزة التى بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل الذى فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة وليس يخفى أن العلوم الدينية وهى فقه طريق الآخرة انما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الانسان كما سيأتى بيانه اذ به تقبل أمانة الله وبه يتوصل الى جوار الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الآخرة وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف فى قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على الارض جنس الانس وأشرف جزء من جواهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتحليته وتطهيره وسياقته الى القرب من الله عزوجل فتعليم العلم من وجه عبادة الله تعالى ومن وجه خلافة الله تعالى وهو من أجل خلافة الله فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذى هو أخص صفاته

فهو كالخازن لانفس خزائنه ثم هو ماذون له فى الانفاق منه على كل محتاج اليه فاى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه و بين خلقه فى تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم الى جنة المأوى جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى

(الباب الثانى) فى العلم المحمود و المذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين الى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة

(بيان العلم الذى هو فرض عين)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين واختلف الناس فى العلم الذى هو فرض على كل مسلم فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة ولا نطيل بنقل التفصيل ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد و يعلم به ذات الله سبحانه وصفاته

معروفة للبشر حتى فى الآخرة والخلاف فى حال لان الكل متفقون على أن الكنه لا يعرف وعلى انه معروف بالعلم والحياة الى آخرها واختار فى شرح الكبرى انه غير معروف كما ان الذات غير معروفة والذى اختاره الشريف زكريا فى شرح الاسرار العقلية ان الاخص غير موجود بالكلية واحتج على نفيه باستحالة اشتراك القديم مع الحادث فى حقيقة ما وزاد أحمد المجورى فى حاشية الكبرى ولاقتضائه التركيب فى حقيقة البارى جل وعز من جنس وفصل اذ الاخص هو الذاتى المميز للحقيقة عما يشاركها فى الجنس ولاخفاء فى بطلان هذا لانه لا جنس للبارى تعالى ولا تركيب فيه كذا فى تذكرة الجدولى (فهو كالخازن لانفس خزائنه) وأجلها (ثم هو مأذون فى الانفاق) والصرف منه (على كل محتاج اليه) وكلما كان انفاقه على ما يجب وكما يجب أكثر كان جاهه عند مستخلفه أكثر وأوفر (فاية رتبة أجل) وأعظم (من كون العبد واسطة بين ربه و بين خلقه) فى ايصالهم اليه وارشادهم له (وفى تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم الى الجنة المأوى) وقد أورد هذا البحث بطوله مع اختلاف يسير أبو القاسم الراغب فى الذريعة والله أعلم

(الباب الثانى)

(فى) بيان (العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان ان موقع الفقه والكلام من علم الدين الى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة) على علم الدنيا *(بيان العلم) وفى نسخة فى العلم (الذى هو فرض عين) على كل مكلف (قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم) تقدم الكلام عليه فى الباب الاول مفصلا قال السخاوى ويوجد فى بعض الكتب زيادة ومسلمة وليس لها أصل فى الرواية (وقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين) وهذا أيضا قد تقدم الكلام عليه مفصلا فى الباب الاول وذكرنا ان بعض الروايات هما حديث واحد ولفظه اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة وهكذا أورده صاحب القوت ووضع عليه الباب والمصنف تابع له فى سياقه فى غالب ما أورده فى هذا الباب والحديث وان كان اسناده ضعيفا فالمعنى صحيح فان الايمان فرض على كل أحد وهو ماهية مركبة من علم وعمل فلا يتصور وجود الايمان الا بالعلم والعمل ثم شرائع الاسلام واجبة على كل مسلم ولا يمكن اداؤها الا بعد معرفتها والعلم بها والله أخرج عباده من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيأ فطلب العلم فريضة على كل مسلم وهل تمكن عبادة الله التى هى حقه على العباد كلهم الا بالعلم وهل ينال العلم الا بطلبه (واختلف الناس فى العلم الذى هو فرض على كل مسلم وتحزبوا فيه أكثر من عشرين فرقة) أى صاروا أحزابا وقال ابن عبد البر فى بيان العلم للفظ العلم اطلاقات متباينة و يترتب على ذلك اختلاف الحد والحكم كلفظ العالم والعلماء ومن هنا اختلفوا فى فهم هذا الحديث وتجاذبوا معناه اه (ولا نطول الكلام بنقل التفصيل فى ذلك ولكن حاصله) ومجمله (ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده) وفى تحصيله (فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد و يعلم ذات الله وصفاته) وعزاه صاحب القوت الى بعض السلف ونصه وقال بعض السلف انما معناه طلب علم ما لا يسع جهله من علم التوحيد وأصول الامر والنهى والفرق بين الحلال والحرام اذ لا غاية لسائر العلوم بعد ذلك وكلها يقع عليها اسم علم من حيث هى معلومات اه والى هذا أشار البيهقى فى المدخل فقال أراد والله أعلم العلم العام الذى لا يسع العاقل البالغ جهله اه قال صاحب القوت ثم اختلف القائلون بأنه علم التوحيد فى كيفية الطلب وماهية الاضافة فنهم من قال من طريق الاستدلال والاعتبار ومنهم من قال من طريق البحث والنظر ومنهم من قال من طريق التوقيف والاثر وقالت طائفة من هؤلاء انما أراد طلب علم الشبهات المشكلات اذا سمعها العبد وابتلى بها وقد كان يسعه ترك الطلب اذا كان غافلا عنها على أصل التسليم ومعتقد جميع المسلمين لا يقع فى وهمه ولا يحيك

فى صدره شئ من الشبهات فيسعه ترك البحث فاذا وقع فى سمعه شئ من ذلك وقر فى قلبه ولم يكن عنده تعليل ذلك وقطعه ومعرفة تميز حقه من باطله لم يحل له أن يسكت عليه لئلا يعتقد باطلا أو ينفى حقا فافترض عليه طلب علم ذلك من العلماء به فيستكشفه حتى يكون على اليقين من أمره فيعتقد من ذلك الحق و ينفى الباطل ولا يقعد عن الطلب ليكون مقيما على شبهة فيتبع الهوى أو يكون شاكا فى الدين فيعدل عن طريق المؤمنين أو يعتقد بدعة فيخرج بذلك من السنة ومذهب الجماعة وهو لا يعلم ولهذا المعنى كان الصديق يقول اللهم أرنا الحق حقا فنتبعه وأرنا الباطل باطلا فنجتنبه وهذا مذهب أبى ثور ابراهيم بن خالد الكلبى وداود بن على والحسين الكرابيسى والحرث بن أسد المحاسبى ومن تبعهم من المتكلمين اهـ (وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به يعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به) أى أرادوا بذلك (ما يحتاج اليه الآحاد) من المسلمين (دون الوقائع النادرة الغريبة وهذا القول مشتمل على ثلاثة أقوال من حيث التفصيل فأما معرفة العبادات وهى أحكام الطهارة والصلاة والحج والزكاة وتوابعها وشروطها فهو قول مستقل لعامة الفقهاء وذكر البيهقى فى المدخل عن عبد الملك بن حبيب أنه سمع عبد الملك بن الماجشون قال سمعت مالكا وسئل عن طلب العلم أواجب قال أما معرفة شرائعه وسننه وفقهه الظاهر فواجب وغير ذلك من ضعف عنه فلا شئ عليه اهـ وان أريد بمعرفة الحلال والحرام ما يحل ويحرم فى عباداته فهو داخل فى القول الاول والا فهو قول مستقل لبعض صوفية الفقهاء كما سيأتى بيانه وأما معرفة ما يحل ويحرم من المعاملات فهو قول فقهاء الكوفة خاصة قال صاحب القوت وقال بعض فقهاء الكوفة معناه طلب علم البيع والشراء والنكاح والطلاق واذا أراد الدخول فيه افترض عليه مع دخوله فى ذلك طلب علمه لقول عمر رضى الله عنه لا يتجر فى سوقنا هذا الا من تفقه والا أكل الربا شاء أم أبى وكما قيل تفقه ثم اتجر ومال الى هذا سفيان الثورى وأبو حنيفة وأصحابهما (وقال المفسرون المحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها) هما قولان فالمفسرون قالوا هو علم الكتاب وقال المحدثون هو علم السنة ولما كانت العلة متحدة جمعهما فى قول واحد (وقال المتصوفة المراد به هذا العلم) أى علم التصوف ثم اختلفوا على أقوال (فقال بعضهم هو علم العبد بحاله وقوامه من الله تعالى) يعنى حال العبد من مقامه الذى أقيم فيه بأن يعلم أحدهم حاله بينه وبين الله تعالى فى دنياه وآخرته فيقوم بأحكام الله فى ذلك وهذا القول عزاه صاحب القوت الى سهل التسترى (وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص و) معرفة (آفات النفوس) ووساوسها ومعرفة مكايد العدو وخدعه ومكره وغروره وما يصلح الاعمال ويفسدها فريضة كله من حيث كان الاخلاص بالاعمال فريضة ومن حيث علم بعداوة ابليس ثم أمر بمعاداته وهذا القول ذهب اليه عبد الرحيم بن يحيى الارموى الشهير بالاسود من الشاميين ومن تابعه وقال بعض البصريين فى معناه طلب علم القلوب ومعرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لانها رسل الله تعالى الى العبد ووساوس العدو والنفس فيستحب اليه تنفيذها منه ومنها ابتلاء من الله للعبد واختبار تقتضيه مجاهدة نفسه فى نفيها ولانها أول النية التى أول كل عمل وعنها تظهر الافعال وعلى قدرها تضاعف الاعمال فيحتاج الى (تمييز لمة الملك من لمة الشيطان) وخاطر الروح ووسوسة النفس من علم اليقين وقوادح العقل ليميز بذلك الاحكام وهذا عند هؤلاء فريضة وهو مذهب مالك بن دينار وفرقد السنجى وعبد الواحد بن زيد وأتباعهم من نساك البصرة وقد كان أستاذهم الحسن البصرى يتكلم فى ذلك وعنه حملوا علم القلوب (وقال بعضهم هو) طلب (علم الباطن) فريضة على أهله قالوا (وذلك يجب على أقوام مخصوصين) من أهل القلوب فمن استعمل به واقتضى منه دون غيره من عوام المسلمين (هم أهل ذلك) العلم ولانه جاء فى لفظ الحديث تعلموا اليقين فمعناه اطلبوا علم اليقين وعلم اليقين لا يوجد الا عند الموقنين وهو من أعمال

الوصول وما بعده فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ومن غاب لم تنفعه الاخبار ولم يفده كثير من الاحاديث وأيضا فان الاخبار بما وراء الحد الاول والثانى على وجهه وكشف الخلق كافة لو أمكن بما وعدمن الكلام وجرى بين الناس من عرف التخاطب كان فيه زيادة محنة وسبب فيه اهلاك أكثرهم ممن ليس من أهل ذلك المقام وذلك لغرابة العلم وكثرة غموضه ودقة معناه وعلوه فى منازل الرفعة وبعده بالجملة والتفصيل من جميع معاهده فى عالم

وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الآحاد دون الوقائع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك

الموقنين المخصوصين فى قلوب العارفين وهو العلم النافع الذى هو حال العبد عند الله تعالى ومقامه من الله تعالى كما شهد به الخبر الآخر من قوله صلى الله عليه وسلم العلم علمان فذكر وعلم باطن فى القلب وهو العلم النافع فهذا تفسير ما أجمل فى غيره وقال جندب كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا وسيأتى قوم يتعلمون القرآن قبل الايمان يعنى تعلمنا علم الايمان وهذا مذهب بعض نساك البصرة (وهؤلاء صرفوا اللفظ عن عمومه) حيث خصوه بما ذكر وقد ظهر من سياق المصنف ذكر خمسة أقوال * الاول قول المتكلمين * والثانى قول الفقهاء * والثالث قول المفسرين والمحدثين * والرابع قول الصوفية ثم فصله الى قولين فصاروا خمسة سوى القول الاخير الذى نقله عن أبى طالب المكى وسيأتى بيانه وسنذكر لك تلك الاقوال بأحوالها بمجموعها على التفصيل الغريب ثم نتبعها بما ذكره أبو طالب ولم يذكره المصنف ثم ما ذكر غيره من العلماء فنقول اختلف العلماء فى تفسير هذا الحديث وفهم معناه على أقوال شتى فمن متكلم يحمله على علم الكلام ويحتج لذلك بأنه العلم المتقدم رتبة لانه علم التوحيد الذى هو المبنى والقائلون بهذا اختلفوا فى كيفية الطلب كما تقدم ويندرج فى هذا القول قول آخر وهو مستقل عما قبله الا أن قائله من المتكلمين هو طلب علم الشبهات والمشكلات من علم التوحيد وقد تقدم انه مذهب أبى ثور وداود الظاهرى والكرابيسى والمحاسبى ومن فقيه يحمله على علم الفقه مطلقا قال ابن عبد البر وذلك هو المتبادر من اطلاق العلم فى علم الشرع وتندرج فيه ثلاثة أقوال فمن قائل هو علم العبادات بشروطها وفرائضها وسننها وقد تقدمت الاشارة اليه من قول مالك ومن قائل هو معرفة الحلال من الحرام واستدل عليه بحديث ابن مسعود طلب الحلال فريضة بعد فريضة وبحديث أنس طلب الحلال واجب على كل مسلم وبحديث ابن عباس وابن عمر طلب الحلال جهاد ويروى ان من الذنوب ما لا يكفرها الا الهم فى طلب الحلال وعند البيهقى فى السنن والديلمى فى المسند طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة أى لان طلب كسب الحلال أصل الورع وأساس التقوى وروى النووى فى بستانه عن خلف بن تميم قال رأيت ابراهيم بن أدهم بالشام فقلت ما أقدمك قال لم أقدم لجهاد ولا لرباط ولكن لاشبع من خبز حلال وهذا قول عباد أهل الشام واليه مال يوسف بن أسباط وحبيب بن حرب ووهيب بن الورد وابراهيم بن أدهم وآخرون ومن قائل هو علم المعاملات وهو قول أهل الكوفة كسفيان الثورى وأبى حنيفة وأتباعهما ومن مفسر يحمله على علم التفسير ومن محدث يحمله على علم الحديث وقد ذكرت علة كل من ذلك ومن نحوى يحمله على علم العربية ويقول الشريعة انما تتلقى من الكتاب والسنة وقد قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فلابد من اتقان علم البيان ذكره ابن عبد البر ومن طبيب يحمله على علم الطب الذى يعرف به الصحة والمرض ويقول العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان وعلم الابدان مقدم على علم الاديان ذكره بعضهم وفيه نظر واراده فى فروض الكفايات أشبه كما سيأتى ومن صوفى يقول هو علم التصوّف خاصة وتندرج فى هذا القول خمسة أقوال الاول هو علم حال العبد من مقامه وهو قول سهل التسترى والثانى هو طلب علم المعرفة وقيام العبد بحكم ساعته وهو قول بعض العراقيين والثالث هو طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس وهو قول عبد الرحيم الاسود ومن تابعه من الشاميين نقله أبو طالب فى القوت والسهروردى فى عوارف المعارف والرابع طلب علم القلوب ومعرفة الخواطر وهو قول مالك بن دينار وفرقد السنجى وعبد الواحد بن زيد وأتباعهم نقله صاحب القوت والسهروردى والخامس هو علم الباطن نقله صاحب القوت عن نساك البصرة وقال السهروردى فى العوارف هو ما يزداد به العبد يقينا وهو الذى يكتسب بصحبة الاولياء فهم وارثو المصطفى صلى الله عليه وسلم فهذه الاقوال الخمسة مندرجة فى علم التصوّف وقال بعض المتقدمين من علماء خراسان

الملك والشهادة وخروجه عن تلك الحدود المألوفة ومباينته لكل ما نشؤا عليه ولم يشاهدوا غيره من محسوسات ومعقولات وضروريات ونظريات فلما كان لا يدرك شئ من ذلك بقياس ولا يتصور بواسطة لفظ ولا يحمل عليه مثل كما قال عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وحكى عن ابن عباس رحمه الله انه قال ليس عند الناس من علم الآخرة الا الاسماء وأراد من لم ينكشف له شئ من علمها وحقائقها فى الدنيا وأيضا فلو جاز الاخبار بها لغير أهلها لم يكن لهم سبيل الى تصورها الا على خلاف ما هى عليه بمجرد تقليد ويتطرق اليه من أهل الغفلة وذوى القصور جحود وتبعيد فلهذا أمروا بالكتم اشفاقا على من يحب من العلم ولهذا قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم أتريدون ان يكذب الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم ما حدث احدكم قوما بحديث لم تصله عقولهم الا كان عليهم فتنة وعلى هذا يخرج قول المشايخ افشاء سر الربوبية كفر رزقنا الله واياكم

وصرفوا اللفظ عن عمومه

قلوبا واعية الخبر انه ولى كل صالح واذا علمت ان الحد الاول قد تقرر علمه فى كتب الرواية والدراية وملئت منه الطروس وكثرت به فى المحافل الدروس وهو غير محجوب عن طالب ولا ممنوع عن راغب قد أمر الجهال به أن يتعلموه والعلماء ان يبذلوه ويعلموه فلا نعيد فيه ههنا قولا ولما كان حكم الحد الثالث الكتم تارة وتسكيت الكلام عنه مع غير أهله على كل حال لم يكن لنا سبيل الى تعدى الى محدودات الشرع فلنثن العنان الى الكلام بالذى يليق بهذا الحال والمقام فنقول أرباب المقام الثالث فى التوحيد وهم المقربون على ثلاثة اصناف وعلى الجملة فكلهم نظروا الى المخلوقات فرأوا علامات الحدوث فيها لائحة وعاينوا حالات الافتقار الى الله تعالى عليهم واضحة وسمعوا جميعها تدل على توحيده وتفرده مراشدة ناصحة ثم رأوا الله تعالى بإيمان قلوبهم وشاهدوه بغيب أرواحهم ولاحظوا جلاله وجماله بخفى أسرارهم وهم مع ذلك فى درجات القرب على قدر حظ كل واحد منهم فى اليقين وصفاء القلب وهؤلاء الاصناف الثلاثة انما عرفوا الله سبحانه بمخلوقاته وانقسامهم

هو أن يكون الرجل فى منزله فيريد أن يعمل شيأ من أمر الدين أو يخطر على قلبه مسئلة لله تعالى فيها حكم وتعبد وعلى العبد فى ذلك اعتقاد أو عمل فلا يسعه أن يسكت على ذلك ولا يجوز أن يعمل فيه برأيه ولا يحكم بهواه فعليه أن يلبس نعليه ويخرج فيسأل عن أعلم أهل بلده فيسأله عن ذلك عند النازلة فهذا فريضة وحكى هذا عن ابن المبارك وبعض أصحاب الحديث قاله أبو طالب وروى البيهقى فى المدخل بسنده الى ابن المبارك انه سئل عن تفسير هذا الحديث فقال ليس هو الذى يظنون انما طلب العلم فريضة أن يقع الرجل فى شئ من أمر دينه فيسأل عنه حتى يعلمه وروى ابن عبد البر فى كتابه بيان العلم عن ابن المبارك بمثل ما تقدم وقال بعضهم أراد به علم ما يطرأ للانسان خاصة ذكره البيهقى فى المدخل وهو قريب من قول ابن المبارك وروى عن أحمد بن محمد بن رشدين قال سمعت أحمد بن صالح وسئل عن هذا الحديث فقال معناه عندى اذا قام به قوم سقط عن الباقين مثل الجهاد ويقرب منه قول سفيان بن عيينة فيما رواه عنه أبو الفتح نصر بن المغيرة قال طلب العلم والجهاد فريضة على جماعتهم ويجزئ فيه بعضهم عن بعض وتلا هذه الآية فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الآية ويقرب منهما أيضا قول من يقول انه فريضة على كل مسلم حتى يقوم من فيه الكفاية ذكر هذه الاقوال الثلاثة البيهقى فى المدخل وأما الامام مالك رحمه الله فقد اختلف عنه فى تفسير هذا الحديث على ثلاثة أقوال الاول نقله ابن وهب قال سئل مالك عن طلب العلم أهو فريضة على الناس فقال لا ولكن يطلب منه المرء ما ينتفع به فى دينه الثانى رواه محمد ابن معاوية الحضرمى قال سئل مالك وأنا أسمع عن الحديث الذى يذكر فيه طلب العلم فريضة على كل مسلم فقال ما أحسن طلب العلم فأما فريضته فلا الثالث قول ابن الماجشون قال سمعت مالكا سئل عن طلب العلم أواجب هو فقال أما معرفة شرائعه وسننه وفقهه الظاهر فواجب وهذا قد قدمناذكره ويقرب من هذا الاخير قول اسحق بن راهويه فيما رواه عنه اسحق بن منصور الكوسج قال طلب العلم واجب ولم يصح فيه الخبر الا ان معناه انه يلزمه طلب علم ما يحتاج اليه من وضوئه وصلاته وزكاته ان كان له مال وكذلك الحج وغيره ومنهم من قال ان المراد به تعلم علم مكارم الاخلاق أى اسعوا الى تحصيله حتى لو لم يبق الا أهل الصين لوجب السفر اليهم وليس فى مكارم الاخلاق شئ يعادل الشفقة على المخلوقات على ما يليق بكل نوع وهذا القول ذكره العلاء على بن محمد الشيرازى فى كتابه سلم السلوك للرعايا والملوك فتحصل مما ذكرناه نحو عشرين قولا أو أزيد غير القول الاخير الذى نقله المصنف عن أبى طالب المكى فسيأتى بيانه وشرحه قال المناوى كل فرقة أقامت الادلة على علمها وكل لكل معارض وبعض لبعض مناقض وأجود ما قيل قول القاضى هو العلم الذى ما لنا مندوحة عن تعلمه كمعرفة الصانع ونبوة رسله وكيفية الصلاة ونحوها فان تعلمه فرض عين اه وقال المصنف فى كتابه المنهاج العلم المفروض فى الجملة ثلاثة علم التوحيد وعلم السر وهو ما يتعلق بالقلب وعلم الشريعة والذى يتعين فرضه من علم التوحيد ما يعرف به أصول الدين وهو أن تعلم أن لك الها قادرا حيا مريدا متكلما سميعا بصيرا لا شريك له متصفا بصفات الكمال منزها عن دلالات الحدوث منفردا بالقدرة وان محمدا رسوله الصادق فيما جاء به ومن علم السر معرفة مواجبه ومناهيه حتى يحصل لك الاخلاص والنية وسلامة العمل ومن علم الشريعة كل ما وجب عليك معرفته لتؤديه وما فوق ذلك من العلوم فرض كفاية اه وقال ابن القيم فى مفتاح دار السعادة العلم الذى هو فرض عين لا يسع مسلما جهله أنواع * النوع الاول علم أصول الايمان الخمسة الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فان من لم يؤمن بهذه الخمسة لم يدخل فى باب الايمان ولا يستحق اسم المؤمن قال الله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وقال ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ولما سأل جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان قال تؤمن بالله وملائكته واليوم الآخر وكتبه ورسله قال صدقت فالايمان

بهذه الاصول فرع معرفتها والعلم بها * النوع الثانى علم شرائع الاسلام واللازم منها ما يخص العبد من فعلها كعلم الوضوء والصلاة والصيام والحج والزكاة وتوابعها وشروطها ومبطلاتها * النوع الثالث علم المحرمات الخمس التى اتفقت عليها الرسل والشرائع والكتب الالهية وهى المذكورة فى قوله تعالى قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون فهذه محرمات على كل أحد فى كل حال على لسان كل رسول لا تباح قط ولهذا أتى فيها بانما المفيدة للحصر مطلقا وغيرها محرم فى وقت مباح فى غيره كالميتة والدم ولحم الخنزير ونحوه فهذه ليست محرمة على الاطلاق والدوام فلم تدخل فى التحريم المحصور المطلق * النوع الرابع علم أحكام المعاشرة والمعاملة التى تحصل بينه وبين الناس خصوصا وعموما والواجب فى هذا النوع يختلف باختلاف أحوال الناس ومنازلهم فليس الواجب على الامام مع رعيته كالواجب على الرجل مع أهله وجيرته وليس الواجب على من نصب نفسه لانواع التجارات من تعلم أحكام البياعات كالواجب على من لا يبيع ولا يشترى الا ما تدعو الحاجة اليه وتفصيل هذه الجملة لا ينضبط بحد لاختلاف الناس فى أسباب العلم الواجب وذلك يرجع الى ثلاثة أصول اعتقاد وفعل وترك فالواجب فى الاعتقاد مطابقته للحق فى نفسه والواجب فى العمل معرفة موافقة حركات العبد الظاهرة والباطنة الاختيارية للشرع أمرا أو اباحة والواجب فى الترك معرفة موافقة الكف والسكون لمرضاة الله تعالى وأن المطلوب منه ابقاء هذا الفعل على عدمه المستصحب فلا يتحرك فى طلبه أو كف النفس عن فعله على الطريقتين وقد دخل فى هذه الجملة علم حركات القلوب والابدان اه وهو نفيس وفى منية السالكين وبغية العارفين قد اختلف العلماء فى العلم الذى هو فريضة ولا يسع الانسان جهله وكثرت أقاويلهم فى ذلك وأقربها الى المقصود من قال هو علم الاوامر والنواهى والمأمور ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه والمأمورات والمنهيات منها ما هو لازم مستمر للعبد بحكم الاسلام ومنها ما يتوجه الامر فيه والنهى عنه عند وجود الحادثة فما هو لازم مستمر لزومه متوجه بحكم الاسلام علمه واجب من ضرورة الاسلام وما يتجدد بالحوادث ويتوجه الامر والنهى عنه علمه عند تجدده فرض لا يسع مسلما على الاطلاق أن يجهله وينحصر ذلك فى ثلاثة أنواع من العلوم علم بالاوامر الشرعية وعلم بالنواهى الشرعية وعلم بالمباحات الدنياوية ومدارك الحواس الضرورية والضرورة العقلية وتفصيل ذلك مستقصى فى كتب الفقه والاصول ولكن ننبهك بجملة يسيرة تقف بالاشارة منها على مجمله وتفصيله أما علم الاوامر فهو علم الفرائض والسنن والفضائل وأما علم النهى فهو علم الحلال والحرام والكراهة والتنزيه وأما علم المباحات فهو العلم بالدنيا وأهلها وكيفية آداب المخالطة واكتساب المعيشة وهذه الاقسام الثلاثة تعلم من طريق الشرع والسمع وأما مدارك الحواس والعلوم الضرورية فقد اشترك فيها الحيوان العاقل فلا يحتاج الى اكتساب وانما المراد هنا الكلام على الشرعية فقد عم العلم الظواهر كلها فلا يجوز لاحد أن يعمل عملا الا بعلم بعلم الامر الظاهر وهو موجود كله مضبوط فى كتب الفقه كالعلم بالاستنجاء والطهارة والصلاة وما يتعلق بها واختلاف أنواعها والزكاة وأنواعها ومصارفها وعلى من تجب والصوم والجهاد والحج وأنواعها وغير ذلك من الاحكام المأمور بها وأما علم النهى فالعلم بالمحرمات كلها على اختلاف أنواعها كالعلم بما يفسد الطهارة والصلاة والصوم والحج وغير ذلك وكالعلم بالاطعمة والاشربة المحرمة وأبواب الربا وغير ذلك وكالعلم بالمكروه كله وذلك كله موجود فى كتب الفقه وأما علم المباح وأمور الدنيا فكالعلم بالصيد وآداب الاكل والشرب والجماع والمخالطة ومعرفة الدنيا وأسبابها وهذا كله موجود فى الكتب محررا فاذا أراد العبد أن لا يتحرك بحركة الا بعلم وجد ذلك فى العلم لان العلم واسع جدا مثال ذلك اذا أراد أن يسبح أو يمشى فى السوق فيقول هل للسباحة والمشى فى السوق أصل فى العلم أم لا فيجد ذلك منصوصا عليه وكذا المزح واللعب

فى تلك المعرفة كانقسام حفاظ تلاوة القرآن مثلا فمن حافظ لبعضه ويكون ذلك البعض أكثر أو كثيرا منه دون كله ومن حافظ لجميعه لكنه متلعثم فيه متوقف على الانهمار فى قراءته ومن حافظ فى تلاوته غير متوقف فى شئ منه وكلهم ينسب اليه ويعد فى المشهد والمغيب من أهله وكذلك أهل هذه المرتبة أيضا منهم متوصل الى المعرفة من قراءة صحفات أكثر المخلوقات أو كثير منها وربما كان فيما يقرأ من الصفحات ما يغم عليه ومن قارئ لجميعها متفهم لها لكن بنوع تعب ولزوم فكرة ومداومة عبر ومن ماهر فى قراءتها مستخرج لرموزها ناقد البصيرة فى رؤية حقيقتها مفتوح السمع تناطقه الاشياء فى فراغه وشغله وبحسب ذلك اختلفت أحوالهم فى الخوف والرجاء والقبض والبسط والفناء والبقاء ولا مزيد على هذا المثال فهو أصلح لذوى الافهام من شمس النهار وقت الزوال وعلم لم سمى أهل هذه المرتبة مقربين فذلك لبعدهم عن ظلمات الجهل وقربهم من نيران المعرفة والعلم ولا أبعد من الجاهل ولا أقرب من العارف العالم والقرب والبعد ههنا عبارتان عن حالتين على

وغير ذلك لكن مع سعة العلم قد ترك العمل به وأوثر العمل بالجهل فعليك بالعلم فى جميع الحركات والسكنات وهو العصمة فى مواطن المهلكات وليكن سبيلك فى العلوم اختيار أشرفها منزلة والميل الى أنفعها ثمرة للدين والدنيا فتجعل نظرك فى نيل ذلك الفرع من العلم مما لابد لك منه ولاغنى لك عنه وتجعله مما ترضى أن ينسب اليك وتنسب اليه وتنزل غيرها من العلوم فى نفسك على قدر مراتبها ومواقع اقدارها من دينك ومنفعة نفسك فى دنياك وآخرتك الاوكد فالاوكد والانفع فالانفع وبالله التوفيق (وقال) الامام (أبو طالب) محمد بن على بن عطية الحارثى (المكى) فى كتابه قوت القلوب الى لقاء المحبوب ترجمه الخطيب فى التاريخ والذهبى فى الميزان فقال الزاهد الواعظ صاحب القوت حدث عن على بن أحمد المصيصى والمفيد وكان مجتهدا فى العبادة حدث عنه ابن عبد العزيز الازجى وغيره وقال الخطيب كان من أهل الجبل ونشأ بمكة ووعظ ببغداد مات سنة ست وثمانين وثلاثمائة اهـ قلت وأخذ عن أبى الحسن أحمد بن محمد ابن سالم وأبى سعيد بن الاعرابى وأبى عثمان المغربى وعنه ولده عمر بن أبى طالب وفى كتاب لطائف المنن نقلا عن الشاذلى ان كتاب الاحياء يورث العلم وكتاب القوت يورث النور وكان يقول عليكم بالقوت فانه قوت وتلقاه كل الصوفية بقبول وأثنوا عليه كسيدى عبد الجليل القصرى صاحب شعب الايمان وابن العريف وكان يسميه السهروردى ديوان الاسلام وأثنى على مؤلفه فى عوارفه وابن عباد فى رسائله قال رحمه الله فى كتابه المذكور بعد ان أورد الاقوال التى ذكرناها مانصه فهذه أقوال العلماء فى معنى هذا الخبر حكينا ذلك عن علمائنا بمذاهبهم على معنى مذهب كل طائفة واحتججنا لكل قول فالالفاظ لنا والمعنى لهم وهذا كله حسن ومحتمل وهؤلاء كلهم وان اختلفوا فى تفسير الحديث بألفاظ فانهم متقاربون فى المعنى الا أهل الظاهر منهم فانهم حملوه على مايعلمون وأهل الباطن تأولوه على علمهم ولعمرى ان الظاهر والباطن علمان لا يستغنى أحدهما عن صاحبه بمنزلة الاسلام والايمان مرتبط كل واحد منهما بالآخر كالجسم والقلب لاينفك أحدهما عن صاحبه وهؤلاء المختلفون فى الاقوال مجمعون على أنه صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك طلب علم الاقضية والفتاوى ولا علم اختلاف المذاهب ولا كتب الحديث مما لايتعين فرضه وان كان الله تعالى لايخلى من ذلك من يقيمه بحفظه والذى عندنا فى حقيقة هذا الخبر والله أعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة (هو العلم بما يتضمنه الحديث الذى) ذكرت فيه (مبانى الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس) هكذا فى النسخ وهى الرواية المشهورة وفى نسخة على خمسة وهى رواية لمسلم والتقدير خمسة أشياء أو أركان أو أصول وفى رواية عبد الرزاق على خمس دعائم ولنذكر أولا تخريج هذا الحديث ثم نلم ببقية كلام الامام أبى طالب قال العراقى رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من رواية عكرمة بن خالد عن ابن عمر رفعه بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان قال الترمذى حديث حسن صحيح وأخرجه مسلم أيضا من رواية عاصم بن زيد بن محمد ابن عمر عن أبيه عن ابن عمر ورواه الترمذى من رواية حبيب بن أبى ثابت عن ابن عمر وقال حسن صحيح اهـ قلت رواه البخارى فى أول صحيحه فقال حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا حنظلة بن أبى سفيان عن عكرمة بن أبى خالد عن ابن عمر ورواه فى التفسير وقال فيه وزاد عثمان بن وهب أخبرنى فلان وحيوة بن شريح عن بكر بن عمرو عن بكير بن عبد الله الاشج عن نافع عن ابن عمر وأخرجه مسلم فى الايمان عن محمد بن عبد الله بن نمير عن أبيه عن حنظلة وعن ابن معاذ عن أبيه عن عاصم بن محمد عن أبيه عن جده وعن ابن نمير عن أبى خالد الاحمر عن سعد بن طارق عن سعد بن عمير عن ابن عمر وعن سهل بن عثمان عن يحيى بن زكريا بن أبى زائدة عن سعد بن طارق به فوقع لمسلم من جميع طرقه خماسيا وللبخارى رباعيا وزاد مسلم فى روايته عن حنظلة قال سمعت عكرمة بن خالد يحدث طاوسا ان

رجلا

سبيل التجوز فى لسان الجمهور وعلى الحقيقة عند المستعملين لهما فى هذا الفن احد الحالتين عماء البصيرة وانطماس القلب والخلو عن معرفة الرب سبحانه وتعالى ويسمى هذا بعدا مأخوذ من البعد عن محل الراحة والمنزل الواجب وموضع العمارة والانس والانقطاع فى مهامه القفر وأمكنة الخوف ومظان الانفراد والوحشة والحالة الثانية عبارة عن اتقاد الباطن واشتعال القلب وانفساح الصدر بنور اليقين والمعرفة والعقل وعمارة البيت بمشاهدة ما غاب عنه أهل الغفلة واللهو ولكنه يدل على انه لم يصل * لعلك تقول أرى بعد أئمة الكلام عن ذوق هذا المقام كان لم يضربوا فيه بسهم ولم يفز قدحهم منه بحظ ولاسهم وأراهم عند الجمهور فى الظاهر وعند أنفسهم انهم أهل الدلالة على الله تعالى وقادة الخلق الى مراشدهم ومجاهدون أرباب النحل

وقال أبو طالب المكى هو العلم بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله الى آخر الحديث

رجلا قال لعبدالله بن عمر الا تغزوا فقال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وقال البيهقى اسم الرجل السائل حكيم كذا فى شرح العينى على البخارى قلت وفى الخلعيات من رواية يزيد بن بشر السكسكى عن سنى والدعبادة كنت عند ابن عمر فسأله رجل من أهل العراق فذكره ويزيد بن بشير مجهول ورواه كذلك الامام أحمد فى مسنده وممن روى عن حبيب بن أبى ثابت سعيد ابن الجس ومسعر بن كدام وهو فى الخلعيات من رواية محمد بن ميمون الخناط عن سفيان بن عيينة عنهما وأخرجه المدنى فى مسنده عن سفيان عن سعير وحده عنه وهو فى الغيلانيات من رواية حماد بن شعيب الحمانى عن حبيب بن أبى ثابت وأخرجه أبونعيم من رواية حجاج بن منهال حدثنا همام ابن يحيى عن محمد بن جحادة عن طلحة بن مصرف عن ابن عمر وفيه زيادة وليس لطلحة عن ابن عمر شئ فى الكتب الستة قال العراقى وروى عن جرير أيضا رواه أحمد وأبو يعلى فى مسنديهما والطبرانى فى الكبير من رواية عامر عن جرير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بنى الاسلام على خمس فذكرها ولم يقل ان محمدا رسول الله اه قلت والمعنى واحد لان الشهادة هى قولنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله كما عرفت (لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب) ونص القوت ثم ان العمل لا يصح الا بعلمه فأول العمل العلم به فصار علم العمل فرضا من حيث افترض العمل فلما لم يكن على المسلمين فرض من الاعمال الا هذه الخمس صار طلب علم هذه الخمس فرضا لانه فرض الفرض اه (والذى ينبغى أن يقطع به المحصل ولا يستريب) أى لا يشك (فيه) هو (ما نذكره) ونورده الآن وهذا الذى يذكره المصنف هو خلاصة ما ذكره أبو طالب فى كتابه مع زيادة ايضاح وبيان لتقريره كما يظهر لمن تأمل فى كلامهما (وهو ان العلم كما قدمناه فى خطبة الكتاب ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم الا علم المعاملة) أى علم المعاملة القلبية والقالبية واعلم أن الفرض بعد التوحيد نوعان أحدهما ما يكون فرضا على العبد بحكم الاسلام وهو علم المعاملة القلبية واصلاح الباطن لازدياد الانوار النفسية وازالة الاخلاق الردية واثبات الشمائل المرضية وثانيهما ما هو فرض عليه عند تجدد الحادثة كدخول وقت الصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها وأما العبد اذا أسلم فى وقت لم تجب عليه فيه هذه الاشياء فليس عليه أن يعلمها بفرض ٧ اد راك لانه لم يدرك وقتها وانما يكون الفرض عليه حينئذ علم المعاملة القلبية فلو وجد برهة بعد الاسلام وفراغا ولم يشتغل فى تحصيل علم المعاملة القلبية كان تاركا للفرض مسؤلا عنه يوم القيامة وان لم يتجدد له من تلك الفروض الظاهرة شئ كالصلاة ونحوها فتأمل فانه اجمال سيفصله المصنف فيما بعد (والمعاملة التى كلف العبد العاقل بها ثلاثة اعتقاد) هو عقد القلب على الشئ واثباته فى نفسه وسيأتى ذكره فى الباب السادس (وفعل) قال الراغب الفعل التأثير من جهة مؤثر وهو عام لما كان بايجاده أو بغيره ولما كان بعلم أو بغيره وبقصد أو بغيره ولما من الانسان والحيوان والعمل والصنع اخص منه (وترك) هو رفض الشئ قصدا واختيارا أو قهرا واضطرارا وهذا التقسيم فيه تصريح ان الترك غير الفعل كما صرح به غير واحد وقال ابن السبكى فى الطبقات لقد وقفت على ثلاثة أدلة تدل على أن الكف فعل لم أر أحدا عثر عليها أحدها قوله تعالى وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا وتقريره ان الاتخاذ افتعال من الاخذ وهو التناول والمهجور المتروك فصار المعنى تناولوه متروكا وفعلوا تركه وهذا واضح على جعل اتخذ فى الآية متعديا الى مفعولين والثانى حديث أبى جحيفة أى الاعمال أحب الى الله عز وجل قال فسكتوا فلم يجبه أحد قال حفظ اللسان والثالث قول قائل من الانصار والنبى صلى الله عليه وسلم يعمل بنفسه فى بناء مسجده لئن قعدنا والنبى يعمل لذاك هو العمل المضلل اه (فاذا بلغ الرجل) فيه المجاز بالاول وفى معناه المرأة

المردية والملل الضالة المهلكة وقد سبق فى الاحياء انهم مع العوام فى الاعتقاد سواء وانما فارقوهم باحسانهم حراسة عقودهم فاعلم ان ما رأيت فى الاحياء صحيح ولكن بقى فى كشفه أمر لا يخفى على المستبصرين ولا يغيب عن الشاذين اذا كانوا منصفين وهو ان المتكلمين من حيث صناعة الكلام فقط لم يفارقوا عقود العوام وانما حرسوهم بالجدل عن الانخرام والجدل علم لفظى وأكثره احتيال وهمى وهو عمل النفس وتخليق الفهم وليس بثمرة المشاهدة والكشف ولاجل هذا كان فيه السمين والغث وشاع فى حال النضال ايراد القطعى وما هو حكمه من غلبة الظن وابداء الصحيح

لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب والذى ينبغى أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما سنذكره وهو أن العلم كما قدمناه فى خطبة الكتاب ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم الا علم المعاملة والمعاملة التى كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل

والزام مذهب الخصم والمقام المشار اليه بالذكر وشبهه انما هو علم التوحيد وفهم الاحوال ومعرفته باليقين التام والعلم المضارع للضرورى بان لا اله الا الله اذ لا فاعل غيره ولا حاكم فى الدارين سواه ومشاهدة القلوب لما احتجب عن الغيوب ومن أين للنازل طى المنازل وما العلم الكلام مثل هذا المقام بل هو من خدام الشرع وحراس نوعيه من أهل الاختلاس والقطع وله مقام على قدره ويقطع به ولكن ليس عن مطالع الانوار ومدارك الاستبصار والمدار فى الاوقات الضرورات والاختيار وبين ما يراد لوقت حاجته ان دعت وخصام صاحب بدعة ومناضلة ذى ضلالة بما ينغص على ذوى اليقين العيش ويشغل الذهن ويكدر النفس وما أهله الذين حفظ عنهم ووقع علمه فيما مضى من الزمان اليهم لا نقول فى أكثرهم انهم لا يحسبون غيره ولا يختصون بالتوحيد بمقام سواه بما هو أعلى منه بل الظن بهم انهم علماء مثل ما ذكرنا فهم نصراء لكنهم لم يبدوا من العلم فى الظاهر الا ما كانت الحاجة

العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا

وسيأتى الاختلاف فيه (العاقل) لان المجنون لا تتوجه عليه الاحكام حتى يبرأ لما روى ابن ماجه من حديث عائشة مرفوعا رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يكبر وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق (بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا) قال التقى السبكى فى ابراز الحكم أجمع العلماء على أن الاحتلام يحصل به البلوغ فى حق الرجل ومن الدليل على ذلك قول الله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا والمراد بالاحتلام خروج المنى سواء كان فى اليقظة أم فى النوم بحلم أو غير حلم ولما كان فى الغالب لا يحصل الا فى النوم بحلم أطلق عليه الحلم والاحتلام ويكون الخروج بغير حلم مدلولا عليه باللفظ ان اختلف اللفظ على الاقسام الثلاثة لوجود المعنى فى جميعها أو لا يكون مدلولا عليه ولكن الحكم ثابت فيه اجماعا المشاركة فى المعنى لما دل اللفظ عليه ولو وجد الاحتلام من غير خروج منى فلا حكم له ثم قالوا ان وقت امكان خروج المنى باستكمال تسع سنين ولا عبرة بما ينفصل قبل ذلك وقبل مضى الامكان بستة أشهر من السنة العاشرة وقبل تمام العاشرة ثم قال واختلف أصحابنا فى بلوغ النساء بالاحتلام والصحيح انه بلوغ فى حقهن كالرجال وفيه وجه انه لا يوجب البلوغ فيهن لانه نادر فيهن ساقط العبرة وأما البلوغ بالسن فعن أبى حنيفة أن بلوغ الغلام بثمان عشرة سنة وفى الجارية عنه روايتان احداهما كذلك والثانية لسبع عشرة وقال الشافعى ان البلوغ فيهما بخمس عشرة واختلف أصحابه فى ضبطها فالمذهب المشهور أن المعتبر تمام السنة الخامسة عشر وفى وجه مشهور من طريق المراوزة انه بالطعن فيها وفى وجه غريب انه بمضى ستة أشهر منها واستدلوا فيه الى حديثين أحدهما عن ابن عمر قال عرضت على النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزنى وعرضت يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازنى متفق عليه قال نافع فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فى خلافته فقال ان هذا الحد بين الصغير والكبير وقيل ان عمر بن عبد العزيز أمر بذلك بعد وكان يجعل من دون خمس عشرة فى الذرية وكتب الى عماله ان افرضوا لابن خمس عشرة وما كان سوى ذلك فالحقوه بالعيال والمخالفون اعتذروا عن هذا الحديث بان الاجازة فى القتال منوطة باطاقته والقدرة عليه وان اجازة النبى صلى الله عليه وسلم لابن عمر فى الخمس عشرة لانه رآه مطيقا للقتال ولم يكن مطيقا له قبلها الا انه أراد الحكم على البلوغ وعدمه ولعمرى ان هذا العذر يلوح ولكن يرده ان جماعة مع ابن عمر اتفق لهم ذلك وأسنانهم متساوية وكان فيمن رد من يتشوق للقتال ويظهر من نفسه الجلادة والقوة وذكر ابن عمر السن فى المقامين دليل على انه فهم ان ذلك منوط بالسن ويعضد ذلك تفهم عمر بن عبد العزيز ومن وافقه والامر فيه محتمل وأمر عمر بن عبد العزيز بجعل من دون خمس عشرة فى الذرية ظاهر لما قدمناه وكذلك سحب حكم عدم البلوغ على ما قبل تمامها فلا بلوغ قبل استكمال خمس عشرة سنة بغير الاحتلام وانما النظر فى البلوغ بتمامها والاجازة فى القتال لا تدل على البلوغ لان الصبى القادر على القتال يجوز له الحضور وان لم يجب عليه وقد ذكر الرافعى فى هذا الحديث زيادة وهى قول ابن عمر فى المدة الاولى ولم يرنى بلغت وفى الخندق ورآنى قد بلغت وهذه الزيادة ان صحت كافية فى الاستدلال مع امكان أن يجعلها الخصم على بلوغ القتال ولكن الظاهر خلافه وبعض هذه الزيادة رواه البيهقى وهو قول ابن عمر فى يوم أحد ولم يرنى بلغت ورواه ابن جريج عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر وفى رواية جماعة عن عبد الله فاستصغرنى وأما الحديث الثانى فرواه الدارقطنى على ما نقله امام الحرمين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ماله وما عليه وأقيمت عليه الحدود وهذا الحديث نص فى المقصود فان الذى دلت عليه السير ان ابن عمر يوم الخندق كان فى ست عشرة سنة لكن لم يحسب تلك الزيادة فقال وأنا ابن خمس عشرة لانه كان أكملها وزاد عليها فاجازة النبى صلى الله عليه وسلم له يحتمل أن تكون لقدرته على القتال مع صباه ويحتمل أن تكون لاستكماله خمس عشرة ويحتمل أن تكون لبلوغه قبل ذلك أو بعده وأما هذا الحديث فنص فى اعتبار كمال

خمس

خمس عشرة سنة وصريح فى انه يكتب ماله وماعليه وتقام عليه الحدود وهذا معنى التكليف فان صح هذا الحديث فلا ريبة فى هذا الحكم والافنقول فى اعتبار أبى حنيفة أيضا لسبع عشرة أوثمان عشرة لادليل عليه وبقاء الصبا ابدا الا صائر اليه وربما لايحتلم شخص وقد دل القرآن على بلوغ النكاح وهو السن الذى تتوق فيه نفسه الى الجماع ويقدر عليه وهو يختلف باختلاف الاشخاص والغالب وجوده فى ابن خمس عشرة وماقاربها وقد شهد له حديث ابن عمر والحديث الآخر فهو أولى بالاعتبار واقامته مظنة فلذلك نختار موافقة الشافعى فى الحكم بالبلوغ باستكمال خمس عشرة ظاهرا لاقطعا أما اذا استكمل سبع عشرة أوثمان عشرة فيحكم بالبلوغ باتفاق منا ومن الحنفية ومخالفة مالك بعيدة لانه لاغاية بعدها ثم قال واختلف العلماء فى انبات العانة هل يقتضى الحكم بالبلوغ فن العلماء من أنكر ذلك وهو أبو حنيفة رحمه الله تعالى ومنهم من قال به فى حق المسلمين والكفار وهو أحد وجهين لاصحابنا بناء على انه بلوغ حقيقة كسائر أسباب البلوغ أوانه علامة يحتاج اليها عند الاشكال فيها وهو مذهب مالك ومنهم من قال فى حق الكفار خاصة وهو الصحيح عند أصحابنا بناء على انه ليس ببلوغ ولكنه دليل على البلوغ وأمارة لانه يستعجل بالمعالجة ولان تواريخ المواليد فى المسلمين يسهل الكشف عنها بخلاف الكفار فانه لااعتماد على قولهم فجعل علامة فى حق الكفار خاصة ثم قال واذا اعتبرنا البلوغ بخمس عشرة سنة فهو تحديد لان كل عدد نص الشارع عليه فهو تحديد وانما يختلف فيما ليس مقدرا من جهة الشارع هذا كله نص التقى السبكى نقلته برمته لمافيه من الفوائد قلت وماذكره عن أبى حنيفة فى بلوغ الغلام ثمان عشرة سنة هو الرواية المشهورة عنه وقد ذكر صاحب الدرر وغيره عنه رواية أخرى تسع عشرة سنة وقال بعضهم المراد من ذلك أن يطعن فى التاسع عشر فلا اختلاف بين الروايتين وحاصل ماذكره أصحابنا فى متونهم وأجمعوا عليه أن بلوغ الغلام باحدى ثلاث الاحتلام والاحبال والانزال لانها أمارات البلوغ والا فحتى يتم ثمان عشرة سنة وبلوغ الجارية بالحيض والاحتلام والحبل والا فحتى يتم لها ثمان عشرة سنة ويروى عن أبى حنيفة أيضا بلوغهما بخمس عشرة سنة وهو قول الصاحبين وعليه الفتوى قالوا وأدنى المدة فى حق الغلام اثنتا عشرة سنة وفى حقها تسع سنين فان راهقا الحلم وأقرا بالبلوغ صدقا بالاجماع (فأول واجب عليه تعلم كلمتى الشهادة وفهم معناهما) ولو اجمالا (وهو قوله لا اله الا الله محمد رسول الله) صار لفظ الشهادة علما عليه لقول القائل أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله والشهادة تطلق على معان كثيرة كما تقدم ولكن المناسب هنا هو الاخبار بمعرفة الشئ عن شهادة وعيان لا تخمين وحسبان ومعنى الشهادة فى أشهد أن لا اله الا الله تصديق بالجنان واقرار باللسان وهو مجاز لغوى وحقيقة شرعية شبه الاقرار والتصديق فى البيان والكشف فأطلق على ذلك الشهادة كما أطلق الاسد على الرجل الشجاع فتكون استعارة ثم أشهد هنا ان كان اخبارا عما مضى ففائدته أن يكون التصديق والاقرار نصب عين الجنان وورد اللسان بحيث يشغل المؤمن بهما ظاهره وباطنه وان كان انشاء ففائدته النجاة واستحقاق الاحسان والاعلام بالايمان حققه الكافيجى وقال ابن السبكى فى الطبقات واعلم أن جميع ماسقناه فى قول لا اله الا الله المراد به فى أكثر الاحاديث صيغة الشهادتين وقد صارا كالشئ الواحد لان الاعتبار باحدهما متوقف على الآخر ومن ثم قال القاضى أبو الطيب الطبرى وجماعة فى تلقين الميت يلقن الشهادتين لا اله الا الله محمد رسول الله وقد جاء مصرحا فى بعض ألفاظ الحديث ففى الصحيحين من حديث ابن عمر أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا الحديث وفى رواية أخرى عندهما لابى هريرة كذلك وفى رواية أخرى للبخارى والثلاثة من حديث أنس رفعه حتى يقولوا وفيه فاذا شهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله الحديث وكذلك حديث بنى الاسلام على خمس فجعل الشهادتين شيأ واحدا وهو الامر الذى بنى عليه الاسلام والا فلو كانا شيئين لكان الاسلام مبنيا على ست لا خمس (وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه

اليه أمس والمصلحة به لتوجه الضرورة أعم وأوكد ولما كان نجم فى وقتهم من البدع وظهر من الاهواء وشاع من تشتيت كلمة أهل الحق وتجرؤ العوام مع كل ناعق فرأوا الرد عليهم والمنازعة لهم والسعى فى اجتماع الكلمة على السنة بعد افتراقها واهلاك ذوى الكيد فى احتيالهم واخماد نارهم الذين هم أهل الاهواء والفتن وأولى بهم من الكلام بعلوم الاشارات وكشف أحوال أرباب المقامات ووصف فقه الارواح والنفوس وتفهم كل ناطق وجامد فان هذه كلها وان كانت أسنى وأعلى فان ذلك من علم الخواص وهم مكفيون المؤنة والعامة أحق بالحفظ وعقائدهم أولى بالحراسة واستنقاذ من يخاف عليه الهلاك أولى من مؤانسة وحيد والتصدق على ذى بلغة من العيش فكيف ان كان عن غناء وأيضا فان علم الكلام انما راد كما قلنا للجدال وهو يقع من العلماء العارفين مع أهل الالحاد والزيغ لقصورهم عن

فأول واجب عليه تعلم كلمتى الشهادة وفهم معناهما وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه

بالنظر)قد يراد به التأمل والفحص وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو أعم من القياس لان كل قياس نظر ولا عكس وعند الاصوليين هو الفكر المؤدى الى علم أوظن (والبحث) هو اثبات النسبة الايجابية أوالسلبية بين شيئين بطريق الاستدلال (وتحرير الادلة) والتحقيق فيها (بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزما) أى حتما يقال حكم جزم لا ينقض ولا يرد (من غير اختلاج ريب) أى شك (واضطراب نفس) والاختلاج هو الاضطراب (وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث وبرهان) أى يتبع غيره فيما يقوله معتقدا فيه من غير نظر وتأمل وبحث فى الدليل كأنه يجعل قول غيره قلادة فى عنقه والبرهان ما يفصل الحق من الباطل ويميز الصحيح من الفاسد بالبيان الذى فيه (اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب) وجفاتهم الذين لم يتزيوا بزى الحضر فى رفقهم ولين أخلاقهم (بالتصديق والاقرار) فقط (من غير تعليم دليل) قال العراقى هو مشهور فى كتب السير وفى الصحيح فمن ذلك حديث أنس المتفق عليه فى قصة ضمام بن ثعلبة وفيه جاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد أتانا رسولك فزعم انك تزعم ان الله أرسلك قال صدق الحديث وفى آخره فقال الرجل آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائى من قومى وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد ابن بكر وفى الصحيحين أيضا من حديث أبى أيوب ان اعرابيا عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال يارسول الله أو يا محمد أخبرنى بما يقربنى من الجنة وما يباعدنى من النار وفيه فقال تعبد الله ولا تشرك به شيأ الحديث زاد مسلم فقال ان تمسك بما أمر به دخل الجنة وفى الصحيحين أيضا من حديث أبى هريرة ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله دلنى على عمل اذا عملته دخلت الجنة قال تعبد الله ولا تشرك به شيأ الحديث وفيه فقال من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا والاحاديث فى هذا كثيرة مشهورة اه وقال صاحب القوت فاذا بطلت هذه الوجوه يعنى التى ذكرها فى حديث اطلبوا العلم الخ صح ان المراد به علم ما بنى الاسلام عليه فافترض على المسلمين علمه فريضة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم للاعرابى حين سأله ما افترض الله علىّ وفى لفظ آخر أخبرنا بالذى أرسلك الله الينا فاخبره بالشهادتين والصلوات الخمس والزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت فقال هل على غيرها فقال لا الا أن تتطوّع فقال والله لا أزيد عليه شيأ ولا أنقص منه شيأ فقال أفلح ودخل الجنة ان صدق فكان علم هذه الخمس الفريضة من حيث هى كمال معلوم وفريضة اذ لا عمل الا بعلم اه قلت وحديث ضمام فى أول كتاب البخارى رواه عن عبد الله بن يوسف التنيسى ورواه أبوداود والنسائى وابن ماجه جميعا عن عيسى بن حماد بن عتبة كلاهما عن الليث بن سعد عن سعيد المقبرى عن شريك بن عبدالله بن نمير عن أنس وأخرجه الترمذى عن محمد بن اسمعيل الترمذى عن على بن عبد الحميد والنسائى عن محمد بن محمد عن ابن عامر العقدى وعبد بن حميد عن أبى النضر هاشم بن القاسم وأبوعوانة فى صحيحه من رواية موسى بن اسمعيل خمستهم عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس وفى رواياتهم اختلاف فى اللفظ وأكمل الروايات لهذا الحديث حديث ابن عباس وهو بطوله فى الخلعيات من رواية محمد بن اسحق وحدثنى محمد بن الوليد عن كريب عنه وفى آخره يقول عبدالله بن عباس فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة وقد وقع فى هذه الطرق كلها ذكر الحج ماعدا رواية البخارى وقدوم ضمام كان فى سنة تسع وبه جزم ابن اسحق وأبوعبيد ووقع فى معجم الطبرانى من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس التصريح بان قدوم ضمام كان بمكة والله أعلم (فاذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذى هو فرض عين فى الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما) أى فهم معانيهما اجمالا (وليس يلزمه أمر وراء هذا فى ذلك الوقت بدليل انه لو مات) أى لو قدرموته (عقب

فلاحظة الحق وقع السيف للانبياء والمرسلين عليهم السلام بعد التبليغ مع أهل العناد والتمادى على الغى وسبيل الفساد فكما لا يقال السيف أبلغ حجة النبى صلى الله عليه وسلم كذلك لا يقال علم الكلام والجدال أبلغ مقام من ظهر منه من العلماء وكما لا يقال فى الصدر الاول فقهاء الامصار ومن قبلهم حين لم يحفظ عنهم فى الغالب الاعلوم أخر كالفقه والحديث والتفسير لان الخلق أحوج الى علم ما حفظ عنهم وذلك لغلبة الجهل على أكثرهم فلولا ان حفظ الله تعالى تلك

بالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولابرهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل فاذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذى هو فرض عين عليه فى الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه أمر وراء هذا فى الوقت بدليل أنه لو مات عقيب

ذلك مات مطيعا لله تعالى غير عاص) وكذلك من أيقن بالايمان وحال بينه وبين النطق به الموت فهو ناج استنبطه المصنف من قوله صلى الله عليه وسلم أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان قال وأما من قدر على النطق ولم يفعل حتى مات مع ايقانه بالايمان بقلبه فيحتمل أن يكون امتناعه منه بمنزلة امتناعه عن الصلاة فلا يخلد في النار ويحتمل خلافه ورجح غيره الثاني فيحتمل تأويله كذا نقله القسطلاني (وانما يجب غير ذلك بعارض يعرض) والعارض للشئ ما يكون محمولا عليه خارجا وهو أعم من العرض اذ يقال للجوهر عارض كالصورة تعرض للهيولى ولا يقال له عرض (وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنها) أي الانفصال (وتلك العوارض) التي تعرض على المكلف (اما أن تكون في الفعل أو في الترك واما في الاعتقاد) قدم الفعل والترك اهتماما بشأنهما لان غالب الشرائع مداره عليهما (أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة النهار) مثلا بعد أن يصير أهلا لوجوب الصلاة عليه ببلوغ واسلام (الى وقت الظهر) الغاية هنا داخلة تحت المغيا بقرينة قوله (فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة) من الاحداث والاخباث (والصلاة) أي صلاة الظهر وتقديم الطهارة لكونها من مقدمات الصلاة (وان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل) ولا من بعضهما (في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن نقول الظاهر بقاؤه) وهو الراجح (فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت) وانما عبر بقوله لا يبعد لانه لم ير فيه تصريحا وانما هو من تحقيقاته ويكون المراد بالتعلم الذي وجب تقدمه قدر ما يستطيعه ويسعه فهمه وان جعل التعلم شرطا للصلاة فلا محالة يقدم عليها تقدم العلة على المعلول (ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب) أي لا يستدعي وجوبه (قبل الزوال) ويقال هلا يكون المراد من قوله بعد وجوب العمل أي بعد معرفة وجوبه قبل دخول وقته فيكون مستندا عما تقدمه بالذات ولو لم يكن بالزمان فالعلم ليس مقارنا له في الوجوب بالزمان فتدبر (وهكذا) الحال (في بقية الصلوات) المفروضة (فان عاش الى رمضان) الشهر المعروف (تجدد بسببه) أي بسبب دخوله فيه (وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم ان وقته من) طلوع (الصبح الى غروب) قرص (الشمس وان الواجب النية) وهي اجماعية ولكن اختلفوا في تعيينها فقال مالك والشافعي وأحمد في أظهر روايتيه لابد من التعيين فان لم يعين لم يجز ولو نوى صوما مطلقا أو صوم التطوع لم يجز وقال أبو حنيفة لا يجب التعيين وان نوى مطلقا أو نفلا أجزأه وهي الرواية الاخرى عن أحمد ثم اختلفوا في وقت النية على ما يأتي بيانه في الكتاب الثالث ان شاء الله تعالى (والامساك) أي الامتناع (عن الاكل) والشرب (والوقاع) أي الجماع وما في معناه (وان ذلك يتمادى) أي تنتهي مدته (الى وقت رؤية الهلال) أي هلال شوال (فان تجدد له مال) بكسب أوهبة أو ارث والمراد بالمال النقدان (عند بلوغه) أو قبل أن يبلغ بقليل (لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة) أي من مسائلها (لكن لا تلزمه) الزكاة (في الحال انما تلزمه عند تمام الحول من الاسلام) بتحديد الشارع والمعتبر فيه الشهور القمرية كما في البلوغ لا الشمسية (فان لم يملك الا الابل لم يلزمه تعلم زكاة الغنم) وكذا في عكسه (وهكذا في سائر الاصناف) من الاموال (فاذا دخل أشهر الحج) وهي عند جمهور العلماء شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة سمي بعضه شهرا مجازا تسمية البعض باسم الكل والعرب تفعل ذلك كثيرا في الايام يقولون زرتك العام وزرتك الشهر والمراد وقت من ذلك قل أو كثر وهو من افانين الكلام وعن مالك ذوالحجة عملا بظاهر اللفظ لان أقله ثلاثة وعن ابن عمر والشعبي أربعة هذه الثلاثة والمحرم (فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج مع ان فعله على التراخي) أي امتداد الزمان (فلا يكون علمه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الاسلام أن ينبهوه

ذلك مات مطيعا لله عزوجل غير عاص له وانما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنها وتلك العوارض اما أن تكون في الفعل واما في الترك واما في الاعتقاد * أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فان عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح الى غروب الشمس وان الواجب فيه النية والامساك عن الاكل والشرب والوقاع وان ذلك يتمادى الى رؤية الهلال أو شاهدين فان تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه في الحال انما يلزمه عند تمام الحول من وقت الاسلام فان لم يملك الا الابل لم يلزمه الا تعلم زكاة الابل وكذلك في سائر الاصناف فاذا دخل في أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج مع أن فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الاسلام أن ينبهوه

على ان الحج فرض) على كل مسلم (على التراخي) هذا هو مذهب الشافعي وأحمد في رواية وقول لمحمد ابن الحسن قالوا لانه وظيفة العمر وظاهر المتون على الفور عند أبي حنيفة وهو مذهب مالك وقول لابي يوسف واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم من أراد الحج فليتعجل فانه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتعرض الحاجة رواه أحمد والبيهقي وابن ماجه قال العيني في شرح الكنز فان قلت حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة عشر وكان فرضه في سنة ست فهذا يدل على التراخي قلت الحج وجب بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت وهي نزلت سنة تسع والذي نزل في سنة ست قوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله وهو أمر باتمام ما شرع فيه وليس فيه دلالة على الايجاب من غير شروع وأما تأخيره عليه السلام الى السنة العاشرة فيحتمل أن يكون لعذر امالانها نزلت بعد فوات الوقت أو الخوف من المشركين على أهل المدينة أو على نفسه وأما ما قاله بعضهم انه عليه السلام كان قد علم انه يدرك الحج قبل موته فليس بشئ اهـ وقال مسكين البخاري في شرحه عليه ما نصه فرض مرة على الفور عند أبي يوسف ومحمد وهو احدى الروايتين عنه انه على التراخي وهو قول الشافعي الا انه يسعه التأخير بشرط أن لا يفوته بالموت فاذا أخر حتى مات أثم في التأخير وفي النهر لابن نجيم الحاصل أن الفورية واجبة احتياطا حتى لو أتى به متراخيا كان أداء اتفاقا وثمرة الخلاف انما تظهر في الفسق بالتأخير والاثم ورد الشهادة وقال أبو يوسف نعم ونفاه محمد وأجمعوا على انه لو حج في آخر عمره لم يأثم ولو مات ولم يحج أثم اهـ وقال صاحب الجوهرة عند أبي يوسف على الفور لانه يختص بوقت خاص والموت في سنة واحدة غير نادر وعند محمد على التراخي لانه وظيفة العمر والخلاف فيما اذا كان غالب ظنه السلامة أما اذا كان غالب ظنه الموت اما بسبب المرض أو الهرم فانه يتضيق عليه الوجوب اجماعا فعند أبي يوسف لا يباح له التأخير عند الامكان فان أخره كان آثما وعنه الحديث من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام فلا يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا ثم احتج لمحمد بما ذكره العيني في نزول الآية وقال صاحب الدرر وقت الحج في اصطلاح الاصوليين يسمى مشكلا لان فيه جهة المعيارية والظرفية فمن قال بالفور لا يقول بان من أخره يكون فعله قضاء ومن قال بالتراخي لا يقول بان من أخره عن العام الاول لا يأثم أصلا كما اذا أخر الصلاة عن الوقت الاول بل جهة المعيارية راجحة عند من يقول بالفور حتى ان من أخره يفسق وترد شهادته لكن اذا حج بالآخرة كان أداء لا قضاء وجهة الظرفية راجحة عند من يقول بخلافه حتى اذا أداه بعد العام الاول لا يأثم بالتأخير ولكن لو مات ولم يحج أثم عنده اهـ ورأيت لشمس الائمة الحلواني في رسالته الرد على من رد على أبي حنيفة في مسائل منها انه قال قال أبو حنيفة بوجوب الحج على الفور مع انه لم يرتبط به حاجة مسلم فنقول لا نص عن أبي حنيفة في الحج على انه على الفور أو على التراخي وانما أصحابه اختلفوا فيه فقال أبو سهل بن الزجاجي على قول أبي يوسف يجب على الفور وعلى قول محمد على التراخي وروى محمد بن شجاع عن أبي حنيفة انه من ملك ما يحج به فأراد أن يتزوج يحج به قيل هذا يدل على وجوبه على الفور عنده مع أن في كونه دليلا عليه احتمالا فان كان كذلك فمراده منه ما هو مراد أبي يوسف من وجوبه على الفور فان أبا يوسف نص على أن المراد به في حق الاداء احتياطا لئلا يؤدي الى الفوت لان موت المرء في السنة الواحدة لا يندر بخلاف وقت الصلاة يدل عليه انه قال التي يستفاد منها وجوب الحج مطلقا على الوقت فقضيتها الوجوب على التراخي الا انا أظهرنا التقييد بالسنة الاولى في حق الاداء احتياطا يدل على أن وجوبه على التراخي عندهم بالاجماع على انه لو أخر الحج عشر سنين ثم أدى يقع أداء لا قضاء فلو كان الوجوب على الفور لفات بالتأخير عن وقته في السنة الاولى فوقع أداؤه بعد ذلك قضاء فلما لم يقع الاداء دل على أن وجوبه على التراخي عندهم فلم يصح اضافة الوجوب على التراخي الى أبي حنيفة لانه نص عنده ولا الى أصحابنا لما بينا اهـ (على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو مالكا) وذلك مما فضل

العلوم بمن ذكرنا لجهلت العبارات وانقطاع علم الشرع ونحن مع هذه الحالة نعلم انهم عارفون بالتوحيد على جهة اليقين بغير طريق علم الكلام والجدل يتحلون بالمقامات المذكورة وان لم يشتهر عنهم ذلك اشتهار ما أخذه عنهم الخاص والعام ومثل ذلك حالة الصحابة رضي الله عنهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم لما خافوا دروس الاسلام وأن يضعف ويقل أهله ويرجع البلاد والعامة الى الكفر كما كانوا أول مرة فقد مات صاحب المعجزة صلى الله عليه وسلم والمبعوث لدعوة الحق عليه السلام رأوا ان الجهاد والرباط في ثغر العدو والغزو في سبيل الله وضرب وجوه الكفر بالسيف وادخال الناس في دين الله أولى بهم من سائر الاعمال وأحق من تدريس العلوم كلها ظاهرا وباطنا وانما كانت تؤخذ عنهم علوم الشرع على الاقل وهم في حال ذلك الشغل والنظر الى حال العموم أوكد من النظر الى الخصوص لان الخصوص يؤخذ فيهم

على ان الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو مالكا

حتى ربما يرى الحزم لنفسه فى المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفـل فعلمه أيضا نفل فلا يكون تعلمه فرض عين وفى تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج فى الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج فى علم سائر الافعال التى هى فرض عين * وأما التروك فيجب تعلم علم

ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الابكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوى تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير أو جالسا فى الغصب أو ناظرا الى غير ذى محرم فيجب تعريفه بذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالاكل والشرب فيجب تعليمه حتى اذا كان فى بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه * وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك فى المعانى التى تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم وانه مرئى وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك مما ذكر فى المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هـذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر بالسماع من أهل البلد فان كان فى بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغى أن يصان فى أول بلوغه عنها بتلقين الحق فانه لو ألقى اليه الباطل لوجبت ازالته عن قلبه

عن مسكنه وعما لا بد له منه وعلى نفقة مدة ذهابه وايابه ونفقة عياله كما سيأتى ذلك (حتى ربما يرى الحزم لنفسه فى المبادرة) اليه (فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم أركانه وواجباته) مما يصح به حجه ويفسد بدونه (دون نوافله فان فعل ذلك نفل فعلمه أيضا نفل فلا يكون فرض عين وفى تحريم السكوت عن) وفى بعض النسخ على (التنبيه على وجوب أصل الحج فى الحال نظر يليق بالفقه) وحكمه مبسوط فى كتبه (وكذا التدريج فى علم سائر الافعال التى هى فرض عين) قياسا على ما ذكر (وأما التروك فيجب علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص) أى باختلاف حاله (اذ لا يجب على الابكم) هو الذى لا يقدر على النطق (تعلم ما يحرم) عليه (من الكلام ولا على الاعمى) هو فاقد البصر (تعلم ما يحرم) عليه (من النظر ولا على البـدوى) ساكن القفار (تعلم ما يحل الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضا واجب) تعلمه (بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم انه ينفك عنه) وينفصل منه (لا يجب تعلمه وما هو ملابس له) غير منفك عنه (يجب) على العلماء (تنبيهه) وتعليمه وارشاده ليرتدع عما لا يجوز (كما لو كان عند) دخوله فى (الاسلام لابسا للحرير) مثلا (أو جالسا على الغصب) سواء كانت بقعة مغصوبة او ما فرش تحته كذلك وفى معناه ما اذا كان راكبا على دابة مغصوبة أو متصرفا فيما ليس له فيه حق شرعى (أو ناظرا الى غير محرم) هو من لا يحل له نكاحها أبدا برحم أو رضاع أو مصاهرة (فيجب تعريفه ذلك) وارشاده بان ذلك حرام فى الشرع (وما ليس ملابسا له) حالا (ولكنه بصدد التعرض له على القرب) منه بحيث انه كاد أن يقع فيه بان يكون حائما حول حماه (كالاكل) ونحوه (حتى اذا كان فى بلد يتعاطى) أى يتناول (فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك) بان تناول ذلك وتعاطيه حرام لا يجوز للمسلم (وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب تعلمه) هذا فى التروك (وأما الاعتقادات وأعمال القلوب) هو من عطف الخاص على العام أو عطف تفسير فان ما عقده القلب عمل له (فيجب علمها بحسب الخواطر) جمع خاطر اسم لما يتحرك فى القلب من رأى أو معنى ثم سمى محله باسم ذلك وهو من الصفات الغالبة يقال خطر ببالى وعلى بالى أمر وأصل التركيب يدل على الحركة والاضطراب قاله المطرزى (فان خطر له شك) وتردد (فى) فهم (المعانى التى تدل عليها كلمتا الشهادة) كلها أو بعضها (فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة) ذلك (الشك) والتردد ويكتفى على ذلك القدر ولا يتجاوز (وان لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله قديم) غير حادث (وانه) عز وجل (مرئى) أى يراه المؤمنون فى الآخرة بانظارهم (وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك) من المسائل الاعتقادية (مما ذكر فى المعتقدات) فى الكتاب الثانى (فقد مات على الاسلام اجماعا) من أهل السنة وان خالفهم المعتزلة والمبتدعة فقد صرح غير واحد من العلماء ان مخالفة ذوى البدع ونفاة القياس الجلى لا يعد خرقا فى الاجماع (ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع) والجبلة (وبعضها) يخطر (بالسماع) من أفواه الناس (من أهل البلد فان كان فى بلد شاع فيها الكلام) أى علمه (وتناطق الناس بالبدع) والامور المنكرة (فينبغى أن يصان) ويحفظ (فى أول بلوغه) بالسن أو بالاحتلام (عنها) أى عن تلك المقالات (بتلقين الحق) اياه والقائه له فى ذهنه كما قالوا

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

(لانه اذا ألقى) وفى نسخة فانه لو ألقى (اليه الباطل) ولقنه (لوجب ازالته) وابعاده (من قلبه) لئلا يرسخ

وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع فى البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق فى العلم الذى هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذى هو فرض عين وماذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمة الملك حق أيضا ولكن فى حق من يتصدى له فاذا كان الغالب أن الانسان لا ينفك عن دواعى الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا اليه وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه ولا ينفك عنها بشر وبقية ماسنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب واخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات وازالتها فرض عين ولا يمكن ازالتها الا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده

فيه (وربما عسر ذلك) وصعب لانه يصير كالطبع له (كما أنه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع فى البلد) الذى هو فيه (معاملة الربا) وتعاطيه (وجب عليه تعلم الحذر من الربا) لئلا يقع فيه (هذا هو الحق فى العلم الذى هو فرض عين) وعليه يحمل الحديث المذكور (ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب) اذ العلم لما كان روحه وثمرته العمل كان متقدم الوجود على العمل اذ لابد أن يحصل العلم أولا ثم بعد ذلك يقع التعبد بالعلم لان الجهل لا يوجب شيأ من العمل (فمن علم العمل الواجب ووقت وجوبه علم العلم الذى هو فرض عين وما ذكره) السادة (الصوفية) بان المراد بالعلم المفروض هو القدر الواجب (من فهم خاطر العدو) وهو الشيطان (ولمة الملك) والتمييز بينهما واعلم أن الخاطر عندهم ما يرد على القلب من الخطاب من غير اقامة وهو على أربعة أقسام ربانى وهو أول الخواطر ولا يخطئ أبدا وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الاندفاع وملكى وهو الباعث على مندوب أو مفروض ويسمى الهاما ونفسى وهو ما فيه حظ للنفس ويسمى هاجسا وشيطانى وهو ما يدعو الى مخالفة الحق فذلك (حق أيضا ولكن) ليس فى حق كل أحد انما هو (فى حق من يتصدى له) ويتعرض ممن هو فى سلوك طريق الحق (واذا كان الغالب) فى الاحوال (ان الانسان لا ينفك عن دواعى الشر والرياء والحسد) وغير ذلك من الاوصاف الذميمة (فيلزمه أن يتعلم من ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا اليه) غير مستغن عنه (وكيف لا يجب) عليه (وقد قال صلى الله عليه وسلم) فيما رواه أبو بكر البزار فى مسنده وأبو نعيم فى الحلية من رواية زائدة بن أبى الرقاد عن زياد النميرى عن أنس بن مالك رفعه ثلاث كفارات وثلاث درجات وثلاث منجيات و(ثلاث مهلكات) أى موقعات فى الهلاك لفاعلها أما الكفارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة واسباغ الوضوء فى البردات ونقل الاقدام الى الجماعات وأما الدرجات فاطعام الطعام وافشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام وأما المنجيات فالعدل فى الغضب والرضا والقصد فى الفقر والغنى وخشية الله فى السر والعلانية وأما المهلكات (فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه الحديث) أى الخ اشارة الى أن الحديث له بقية وهو الذى أوردناه والمراد بالشح المطاع هو البخل الذى يطيعه الناس فلا يؤدون الحقوق قال الراغب خص المطاع لينبه أن الشح فى النفس ليس مما يستحق به ذم اذ ليس هو من فعله وانما يذم بالانقياد له وقد أخرج هذا الحديث بتلك الزيادة أيضا أبو الشيخ فى التوبيخ وقد روى مقتصرا على ذكر المهلكات كما للمصنف من رواية أيوب بن عتبة عن الفضل بن بكر عن قتادة عن أنس وهكذا رواه البيهقى فى شعب الايمان وكلا الاسنادين ضعيف ورواه ابن حبان فى الضعفاء والطبرانى فى الاوسط من رواية حميد بن الحكم عن الحسن عن أنس ويروى أيضا عن ابن عمر أخرجه الطبرانى فى الاوسط من رواية ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير عنه وأخرج ابن حبان فى الضعفاء من رواية محمد بن عون الخراسانى عن محمد بن زيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه المهلكات ثلاث اعجاب المرء بنفسه وشح مطاع وهوى متبع ورواه ابن عدى من هذا الوجه ومن رواية عيسى بن ميمون عن محمد بن كعب عن ابن عباس وفى الباب عن أبى هريرة وابن أبى أوفى وابى ثعلبة (فلا ينفك عنها بشر وبقية ماسنذكره من مذمومات أحوال القلب) وصفاتها (كالكبر والعجب وأخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات) ولما كانت هذه الثلاث كالاصول لبقية المهلكات وقع الاقتصار عليها لانه ما من صفة ذميمة الا وأصلها احدى هذه الثلاثة (وازالتها) عن القلب (فرض عين ولا يمكن) ذلك (الا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاجها) وهذه الثلاثة قد أشار اليها فى أول كتابه (فان من لا يعرف الشر يقع فيه) وسيأتى للمصنف فى الباب السادس عند ذكر حذيفة بن اليمان وأنشد هناك قول بعضهم

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ✻ ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

(والعلاج) عندهم (هو مقابلة السبب بضده) هذا هو المشهور عند الاطباء وفى قول عندهم هو مقابلة

السبب

السبب بما يلائمه (فكيف يمكن) ذلك (دون معرفة السبب والمسبب) وهو ظاهر (فأكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الاعيان) التي ينبغي الاهتمام بمعرفتها (وقد تركه الناس كافة) جميعا (اشتغالا عنها (بما لا يغني) طائلا ولا يجدي نفعا (ومما ينبغي أن يبادر في القائه اليه) وتلقينه اياه (اذا لم يكن قد انتقل عن ملة أخرى الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر وعذاب القبر حتى يؤمن به ويصدق) ذلك بقلبه (وهو من تتمة كلمتي الشهادة) داخل في ضمنها في الايمان التفصيلي (فانه بعد التصديق بكونه صلى الله عليه وسلم رسولا) من الله تعالى (ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو) أي الرسول (مبلغها) اليهم (وهو ان من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاه فله النار) وضمير عصاه عائد الى الله أو الى الرسول ولم يات بضمير التثنية حذرا من جمع الله ورسوله في ضمير واحد نظرا الى انكاره صلى الله عليه وسلم على خطيب الانصار اذ قال من أطاع الله ورسوله فقد هدى ومن يعصهما فقد غوى فقال بئس خطيب القوم أنت (واذا انتهت لهذا التدريج) الذي ذكرناه (علمت أن المذهب الحق هو هذا) لا غير (وتحققت أن كل عبد) لله تعالى (فهو في مجاري أحواله في يومه وليلته لا يخلو عن وقائع) تقع له في عباداته وفي معاملاته (تجدد عليه لوازم فيلزم السؤال عن كل ما يقع له من النوادر) والوقائع (فيلزمه المبادرة والمسارعة الى علم ما يتوقع) و يرتجي (وقوعه على القرب غالبا فاذا تبين انه عليه) الصلاة و (السلام انه انما أراد بالعلم المعرف بالالف واللام) أي المعهود المعروف بادخال التعريف عليه (في قوله) صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير وقد اتضح وجه التدريج في وقت وجوبه) وفي القوت بعد ماذكر اختلاف الآراء في شرح الحديث المذكور مانصه وكلها ساقطة والخبر بلفظ العموم بذكر الكلية وبمعنى الاسم فقال طلب العلم فريضة ثم قال على كل مسلم بعد قوله اطلبوا العلم فكان هذا على الاعيان وكأنه ماوقع عليه اسم العلم ومعناه المعهود المعروف بادخال التعريف عليه فاشير بالالف واللام اليه اهـ وهذا آخر ماذكره المصنف في بيان العلم الذي هو فرض عين وقد قسم بعضهم العلم على ثلاثة أقسام قسم ظاهر في مقام الاسلام وعالم الحس وقسم باطن في مقام الايمان وعالم الغيب وقسم في مقام الاحسان وعالم الروح ثم العلم ليس هو الاقرار بأن الله بعث الرسل وأنزل الكتب وقولك بلسانك ان هذا القرآن حق وان الذي جاء به صدق والتزام الشرائع بالاستسلام اذ كل من انتسب الى الاسلام مقر بهذا ولكن لا يبلغ به منزلة العلم ولا يرتفع به عن منزلة الجهل وانما يفارق بذلك ملة الكفر ويحترم بحرمة الشريعة ثم يرتفع العالم عن الجهل بمعرفة حقائق ذلك معرفة يقين فالعلم هو اثبات صورة المعلوم في نفس العالم الا انه قد تتراءى وتثبت في النفس صورة ليس لها وجود في الحق فيحتاج أن ينظر في هذا الباب نظرا شافيا فان أكثر ما تدخل الشبهة من هذا الباب فأول طلب العلم أن يستمع الراغب فيه فيروي ما يسمعه بلسانه ويعي حروفه في حفظه أو صحيفته فعلم اللسان هو حجة الله على ابن آدم وعلم القلب هو العلم النافع فعلم اللسان والاذن ليس له حقيقة في نفع وضر حتى يستقر بأحد الجانبين ويسلك به احدى الجادتين ثم الطالب للعلم ان استلهاه علم اللسان بالشهوة في تعرف وجوه الاخبار سماعا ورواية وتراغبت نيته الى التزين بها في الناس والتشوق والتطاول عليهم حرم علم الحقيقة في ذلك وشغل عن علم النور به من جهة القلب فلم يعرف ما يشهد به قلبه فيعتقده مما ينفيه ويكذبه وان هو لم يستلهه علم اللسان ولم يفضل شهوة السمع والتلذذ بظاهر الخبر على شهوة الانتفاع والوصول الى ثمرة القلب فكلما روى شيأ عرضه على قلبه فان أدرك الحقيقة منه والا صبر على جادة الطريق في النظر حتى يعتقده صافيا قويا من جهة الخلاص قلبه وطمأنينته بلا ريب ولا تقليد فلا جرم ان الله يقبسه نور العلم في بصر قلبه فيدرك بقليل ذلك كثيرا ثم العلوم ثلاثة العلم الاعلى منها علم الدين وأفضله العلم بالله وأسمائه وصفاته وعلم الاوسط وهو علم الدنيا الذي يكون معرفة الشئ بمعرفة نظيره والعلم

وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب فأكثر ماذكرناه في ربع المهلكات من فروض الاعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعني ومما ينبغي أن يبادر في القائه اليه اذا لم يكن قد انتقل عن ملة الى ملة أخرى الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولا ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار فاذا انتهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا وتحققت أن كل عبد هو في مجاري أحواله في يومه وليلته لا يخلو من وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فاذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام انما أراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه والله أعلم

الاسفل وهو أحكام الصناعات والاعمال التى لانهاية لها وقال أبو عبد الله الخوارزمى فى كتابه مبيد الهموم ومفيد العلوم الفرائض الواجبة على قسمين منها ماهو فرض عين وهو أن يجب على كل آدمى خاص وعام أمير ووزير وحر وعبد شيخ وشاب مسلم وكافر ففرض العين ما يجب على كل مكلف ولا يسقط بفعل بعض الناس عن بعض وذلك معرفة الله تعالى بوحدانيته والتنزيه وانه بعث الانبياء وانه بعث نبينا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة فطاعته فريضة وشريعته مؤبدة وانه نبى فى قبره مابطلت رسالته فمعرفة فرض العين أركان الشريعة الخمسة وشرائط المعاملات ان كان تاجرا وأحكام النكاح ان كان متأهلا وأحكام الامارة والوزارة ان كان أميرا ويجب على الامير أن يعرف حقوق الرعية وشروط السياسة وكيف استيفاء الحقوق وعلى السوقى ما يحرم من البيع والشروط الفاسدة الى غير ذلك كل من يتولى أمرا فيجب عليه فرض عين أن يحصل لنفسه علم ذلك الشئ من الحلال والحرام الذى لا يسعه جهله ومن تركها فلا يعذر فى القيامة اهـ *(فى العلم الذى هو فرض كفاية)* اعلم (ان الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالاضافة الى الفرض الذى نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية وأعنى بالشرعية مااستفاد من الانبياء صلوات الله عليهم ولا يرشد العقل اليه مثل) علم (الحساب ولا) ترشد اليه (التجربة مثل) علم (الطب ولا) يرشد اليه (السماع) من الافواه (مثل) علم (اللغة) فهذه الثلاثة من العلوم لا يقال لها شرعية والشرعية المنسوبة الى الشرع باعتبار كون تعلقها مستفادا منه ومتوقفا عليه وفى التلويح مالا يدرك لولا خطاب الشارع بنفس الحكم أو بأصله المقيس هو عليه اهـ والعلوم الشرعية ثلاثة التفسير والحديث والفقه (والعلوم التى ليست شرعية تنقسم الى ماهو محمود والى ماهو مذموم والى ماهو مباح فالمحمود ما ترتبط به مصالح الدنيا) وتنتظم به أمورها (كالطب والحساب) أحدهما لانتظام الابدان والثانى لضبط الاموال (وذلك ينقسم الى ماهو فرض على الكفاية والى ماهو فضيلة وليس بفريضة) وسيأتى بيان ذلك ثم ان الفرض اصطلاحا الفعل المطلوب طلبا جازما ويرادفه الواجب عند المصنف ثم هو على قسمين كفاية وعين (أما فرض الكفاية فهو كل علم) مهم يقصد حصوله من غير نظر بالذات (ولا يستغنى عنه فى قوام أمر الدنيا) ونظامه (كالطب اذهو) أى العلم به (ضرورى فى حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانه ضرورى) أيضا فى (المعاملات الدنيوية (وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها) فان فى كل منها مسائل يحتاج فى معرفتها الى علم الحساب ولهذه الضرورة اللازمة أعد الملوك مواضع خاصة بالمرضى ورتبوا على ذلك أوقافا وأول من عمل ذلك فى الاسلام الوليد بن عبد الملك كذا ذكره أبو بكر أحمد بن على الحلوانى فى لطائف المعارف وعينوا لقسمة التركات والمواريث قضاة يتولون ذلك خاصة دون غيرهم (وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها) أى بخدمتها وتحصيلها (حرج أهل البلد) أى أفضوا الى الحرج المؤدى الى هلاك الابدان والاموال (واذا قام بها واحد كفى) واستغنى به (وسقط الفرض عن الآخرين) قال أبو عبد الله الخوارزمى فى مبيد الهموم فرض الكفاية ما يجب على كل الخليقة الا انه اذا قام به البعض سقط عن الباقين لدفع الحرج كرما ولطفا من الشارع كالجهاد والامر بالمعروف وتجهيز الموتى والفتوى والقضاء والامامة وعمارة المساجد والاذان وجواب السلام واشباع الجائع الى غير ذلك كل ذلك فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين واذا تركوا بأجمعهم أثموا جميعا اهـ (ولا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة) هى الزراعة (والحياكة) هى القزازة (والسياسة) بأقسامها وكذلك البناية (بل الحجامة) وهى اخراج الدم بالمحاجم وفى حكمه الفصادة (فلو خلا البلد عن الحجام تسارع الهلاك اليهم) بنبوغ الدماء (وحرجوا) أى وقعوا فى الحرج (بتعريضهم أنفسهم للهلاك) وهذا بالنسبة للبلاد الحارة

الذى نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية وأعنى بالشرعية مااستفيد من الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التى ليست بشرعية تنقسم الى ماهو محمود والى ماهو مذموم والى ماهو مباح فالمحمود ماترتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى ماهو فرض كفاية والى ماهو فضيلة وليس فريضة أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب اذهو ضرورى فى حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة فانه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك

كمكة واليمن والصعيد وأما أهل البلاد الباردة فقل ما يحتاجون الى الحجامة (فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء) لما روى ابن ماجه عن ابن مسعود رفعه ما أنزل الله داء الا أنزل له الدواء ورواه هو أيضا وأبو نعيم فى الطب عن أبى هريرة بلفظ الا أنزل الله له شفاء ورواه بهذا اللفظ الحاكم عن ابن مسعود وعند الخطيب فى حديث أبى هريرة زيادة وهى علمه من علمه وجهله من جهله وهو عند البخارى فى الطب بلفظ ابن ماجه وزاد مسلم فاذا أصيب دواء الداء برئ باذن الله تعالى واختلف فى معنى الانزال فقيل اعلامه عباده ومنع بان فى الحديث اخبارا بعموم الانزال وأكثر الخلق لا يعلمون ذلك وقيل انزال أسبابهما من مأكل ومشرب وقيل انزالهما خلقهما ووضعهما فى الارض كما يشير اليه خبر ان الله لم يضع داء الا وضع له دواء وتعقب بان لفظ الانزال أخص من لفظ الخلق والوضع واسقاط خصوصية الالفاظ بلا موجب غير لائق وقيل انزالهما بواسطة الملائكة الموكلين بتدبير النوع الانسانى وقيل علامة الادواء والادوية وهى بواسطة انزال الغيث الذى تتولد منه الاغذية والادوية وغيرها وقال بعضهم ان العلة تحصل بغلبة بعض الاخلاط والشفاء رجوعها الى الاعتدال بالتداوى وقد يحصل بمحض لطف الله تعالى بلا سبب ثم الموت ان كان داء فالخبر غير عام اذ لا دواء له ولذا وقع الاستثناء منه فى بعض الروايات (وارشد الى استعماله وأعد الاسباب لتعاطيه) وتناوله (ولا يجوز التعرض للهلاك باهماله) وتركه كما قال تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ثم ان هذا الذى ذكره المصنف فى بيان فرض الكفاية هو المشهور عند العلماء وقد وافقه الخوارزمى فى بعض ما ذكره وقال ابن القيم أما فرض الكفاية فلا أعلم فيه ضابطا صحيحا فان كل أحد يدخل فى ذلك ما يظنه فرضا فيدخل بعض الناس فى ذلك علم الطب وعلم الحساب وعلم الهندسة والمساحات وبعضهم يزيد على ذلك علم أصول الصناعات الفلاحة والحياكة والحدادة والخياطة ونحوها وبعضهم يزيد على ذلك علم المنطق وربما جعله فرض عين وبناه على عدم صحة ايمان المقلد وكل هذا هوس وخبط فلا فرض الا ما فرضه الله تعالى ورسوله فيا سبحان الله هل فرض الله على كل مسلم ان يكون طبيبا حجاما حاسبا مهندسا أوحائكا أو فلاحا أو نجارا أو خياطا فان فرض الكفاية كفرض العين فى تعلقه بعموم المكلفين وانما يخالفه فى سقوطه بفعل البعض ثم على قول هذا القائل يكون الله قد فرض على كل أحد جملة هذه الصنائع والعلم فانه ليس واحد منها فرضا على معين والآخر على معين آخر بل عموم فرضيتها مشتركة بين العموم فيجب على كل أحد ان يكون حاسبا أوحائكا خياطا نجارا فلاحا طبيبا مهندسا فان قال المجموع فرض على المجموع لم يكن قولنا ان كل واحد منها فرض كفاية صحيحا لان فرض الكفاية يجب على العموم وأما المنطق فلو كان علما صحيحا كان غايته ان يكون كالمساحة والهندسة ونحوها فكيف وباطله اضعاف حقه وفساده وتناقض أصوله واختلاف مبانيه توجب مراعاتها للذهن أن يزيغ فى فكره ولا يؤمن بهذا الامن قد عرفه وعرف فساده وتناقضه ومناقضة كثير منه للعقل الصريح ومن الناس من يقول ان علوم العربية من التصريف والنحو واللغة والمعانى والبيان ونحوها تعلمها فرض كفاية لتوقف فهم كلام الله ورسوله عليها ومن الناس من يقول تعلم أصول الفقه فرض كفاية لانه العلم الذى يعرف به الدليل ومرتبته وكيفية الاستدلال وهذه الاقوال وان كانت أقرب الى الصواب من القول الاول فليس وجوبها عاما على كل أحد ولا فى كل وقت وانما يجب وجوب الوسائل فى بعض الازمان وعلى بعض الاشخاص بخلاف الفرض الذى يعم وجوبه كل أحد وهو علم الايمان وشرائع الاسلام فهذا هو الواجب وأما ما عداه فان توقفت معرفته عليه فهو من باب ما لا يتم الواجب الا به ويكون الواجب منه القدر الموصل اليه دون المسائل التى هى فضلة لا يفتقر معرفة الخطاب وفهمه عليها فلا يطلق القول بان علم العربية واجب على الاطلاق اذ الكثير منه ومن مسائله وبحوثه

لانفسهم عناه ولهم بحالهم قيام والعموم ان لم يكن مشتغلا بهم وذائدا لهم عن هلكاتهم وسائقا بهم الى مراشدهم وصلاحهم كان الهلاك اليهم أسرع ثم لا يكون من بعد ذلك ان فسد حال العموم للخصوص قدر ولا يظهر لهم نور ولا يقدرون على شئ كامل من البر فلا خاصة الا بعامة ولقد كانت رعاية النبى صلى الله عليه وسلم بحال الجماهير أكثر والخوف عليهم من الزيغ والضلال والهلاك أشد والطف بهم فى تخفيف الوظائف والاخذ بالرفق أبلغ وكان أهل القوة وذوو البصائر فى الحقائق يأخذون به أنفسهم بالمشقات وكان هو صلى الله عليه وسلم يحب أن يعمل بالعمل من الطاعة فيمنعه منه أو من المداومة عليه الا خوف ان يفرض على أمته حين علم من أكثرهم الضعف ولم يكره لهم وفيه زيادة الاجر وكثرة الثواب والقرب من الله تعالى ولكن خاف عليهم ان يقعوا فى تضييع الفرض فيكون عليهم

فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد الى استعماله وأعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله

لايتوقف فهم كلام الله و رسوله عليها وكذلك أصول الفقه القدر الذى يتوقف فهم الخطاب عليه منه يجب معرفته دون المسائل المقدرة والابحاث التى هى فضلة فكيف يقال ان تعلمها واجب وبالجملة فالمطلوب الواجب من العبد من العلوم والاعمال اذا توقف على شئ منها كان ذلك الشئ واجبا وجوب الوسائل ومعلوم ان ذلك التوقف يختلف باختلاف الاشخاص والالسنة والاذهان فليس لذلك حد مقدر والله أعلم اه كلامه (وأما مايعد فضيلة لافريضة) اعلم ان العلم فريضة وفضيلة فالفريضة مالابد للانسان من معرفته ليقوم بواجب الدين والفضيلة مازاد على قدر حاجته مما يكسبه فضيلة فى النفس (فالتعمق فى دقائق) علم (الحساب) أى الدخول فى عمق الفن كالمسائل الملغزة (وخفايا) وفى نسخة وحقائق (الطب) و يلحق بذلك التوغل فى دقائق التشريح (وغيرذلك ممايستغنى عنه ولكنه يفيدزيادة قوة فى القدر المحتاج اليه) وشرط فيه موافقة الكتاب والسنة اذ كل علم لايوافق الكتاب والسنة وماهو مستفاد منهما أو يعين على فهمهما أو يستند اليهما كائنا ما كان فهو رذيلة وليس فضيلة يزداد الانسان به هوانا ورذالة فى الدنيا والآخرة (وأما المذموم منه فعلم السحر) وهو العمل بمايتقرب فيه الى الشيطان وبمعونة منه وأصله صرف الشئ عن حقيقته الى غيره فكان الساحر لما رأى الباطل فى صورة الحق وخيل الشئ على غيرحقيقته فقد سحر الشئ عن وجهه أى صرفه وقال الفخر الرازى فى الملخص السحر والعين لايكونان من فاضل ولا يقعان ولايصحان منه أبدا لان من شرط السحر الجزم بصدور التأثير وكذلك أكثر الاعمال من الممكنات من شرطها الجزم والفاضل المتبحر بالعلوم يرى وقوع ذلك من الممكنات التى يجوز أن توجد وأن لاتوجد فلا يصح له عمل أصلا وأما العين فانه لابد فيها من فرط التعظيم للمرئى والنفس الفاضلة لاتصل فى تعظيم ماتراه الى هذه الغاية فلذلك لايصح السحر الامن العجائز والتركمان والسودان ونحو ذلك من النفوس الجاهلة انتهى نقله شيخ مشايخنا مصطفى ابن فتح الله الحموى فى تاريخه (والطلسمات) جمع طلسم بكسر الطاء وفتح اللام المخففة وسكون السين وقد تشدد اللام وهو علم استنزال قوى الارواح العلوية وأجل كتاب ألف فيه السر المكتوم وهو للفخر الرازى ونهاية الحكيم للمجريطى وابن سينا و يجمع أيضا على الطلاسم (وعلم الشعبذة) هو بالدال المهملة والمعجمة خفة فى اليد وأخاريق واخذ كالسحر يرى الشئ بغيرما عليه أصله فى رأى العين وقال بعضهم هو تصوير الحق فى صورة الباطل و يقال فيه الشعوذة أيضا وأنكر الثعالبى فى مختصر ثمار القلوب قولهم مشعبذ وقال انما هو مشعوذ بالواو وأثبته الزمخشرى وغيره (والتلبيسات) وهى شبه ماتقدم فكل ماذكر من ذلك فهو مذموم شرعا لايباح الاشتغال به (وأما المباح منه فالعلم بالاشعار) جاهلية واسلاما (التى لاسخف فيها) أى لاهزل ولاسخرية فيها ولا المبالغة التى تدخل فى حد الكذب ولاهجر ولاغيبة ولاطعن فى الانسان ومااشبه ذلك فحسنها حسن وقبيحها قبيح (و) علم (تواريخ الاخبار) جاهلية واسلاما (وما يجرى مجراه) ممالاضرر فى معرفته (وأما العلوم الشرعية وهى المقصودة بالبيان فهى المحمودة كلها ولكن قد يلتبس بها مايظن فى بادئ الرأى انها شرعية و) الحال (هى مذمومة) باعتبار مايترتب عليها ومنها (فتنقسم) بهذا الاعتبار (الى المحمودة والمذمومة وأما المحمودة) منها (فلها أصول وفروع ومقدمات ومتممات فهى أربعة أضرب الضرب الاول الاصول) جمع أصل وهو فى اللغة مايبنى عليه غيره ابتناء حسيا بمعنى ان يكون المبنى عليه وغيره ابتناء حسيا لابمعنى ان نفس الابتناء حسى لان ابتناء الشئ على غيره اضافة بينهما وهو أمر عقلى كذا حققه السيد فى شرح التنقيح (وهى أربعة كتاب الله وسنة رسوله واجماع الامة وآثار الصحابة) والكتاب لغة اسم للمكتوب غلب فى عرف الشرع على كتاب الله المثبت فى المصاحف كما غلب فى عرف العربية على كتاب سيبويه والقرآن تفسيرله لاتعريف كما فى التلويح والمراد بسنة رسوله قوله وفعله وهما أصلان أصليان فى الدرجة الاولى والمراد بالاجماع

اجماع

كفل من الوزر الاترى كيف نهى الخلق عن قيام الليل كله وكان عثمان رضى الله عنه يقومه فلم ينهه ومنع السيف من كل من أراد أخذه بماشرط عليه فيه حتى جاء من علم منه القدرة على الوفاء بماشرط عليه فاعطاه اياه وقال لعائشة رضى الله عنها لولا حدثان عهد قومك بالكفر لرددت البيت على قواعد

وأما مايعد فضيلة لافريضة فالتعمق فى دقائق الحساب وحقائق الطب وغيرذلك ممايستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة فى القدر المحتاج اليه وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات وأما المباح منه فالعلم بالاشعار التى لاسخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجرى مجراه (أما العلوم الشرعية وهى المقصودة بالبيان) فهى محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها مايظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم الى المحمودة والمذمومة * أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتممات وهى أربعة أضرب (الضرب الاول الاصول) وهى أربعة كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام واجماع الامة وآثار الصحابة

اجماع الامة بعد وفاة نبيها فى عصر على أى شئ كان (والاجماع أصل من حيث انه يدل على السنة فهو أصل فى الدرجة الثانية) وهو على ثلاثة أقسام قطعى فلا يجوز خرقه وظنى وهو على قسمين استدلالى وهو السكوتى ان يقول بعض المجتهدين حكما و يسكت الباقون عليه بعد العلم به ومنقول على لسان الآحاد فيجوز خرقهما ونعنى بالاجماع الاتفاق وهو الاشتراك اما فى القول أو الفعل أو الاعتقاد وفى باب الاجماع مسائل ينبغى معرفتها اذا اختلف العصر الاول على قولين لا يجوز بعدهم احداث قول ثالث ان وقع مجمعا عليه والا فيجوز واذا اجتمعت الامة على عدم الفصل بين مسئلتين لا يجوز لمن بعدهم الفصل بينهما ان ارتضوا بعدم الفرق واتحاد الجامع والا فيجوز و يجوز حصول الاتفاق بعد الاختلاف فى العصر الواحد وفى اتفاقهم فى العصر الثانى قولان وانقراض العصر ليس شرطا خلافا لقوم واذا حكم بعض الائمة وسكت الباقون فليس باجماع ولا حجة وهو نص الشافعى فى الجديد اللهم الا اذا تكرر فى وقائع كثيرة فانه يكون اجماعا وحجة واذا اتفق أهل العصر الثانى على أحد قولى العصر الاول انعقد اجماعا والاجماع المروى بالآحاد حجة خلافا للاكثر واذا استدل أهل العصر بدليل آخر فلا يجوز ابطال الاول وأما الثانى فان لزم منه ابطال الاول بطل والا فلا وتعتبر مخالفة الواحد فى ابطال الاجماع و يجوز ان ينعقد الاجماع عن القياس والدلالة والامارة وجوزه قوم بغير دليل بل بمجرد الشبه والبحث ولا تعتبر فيه جملة الامة الى يوم القيامة والاعتبار فى كل فن بأهله فيعتبر فى الكلام المتكلمون وفى الفقه الفقهاء ولا عبرة بالفقيه الحافظ للاحكام والمذاهب اذا لم يكن مجتهدا والله أعلم ذكره اسمعيل بن على بن حسن الشافعى فى الليث العابس (وكذلك الاثر) عن الصحابة (فانه يدل) هو (أيضا على السنة لان الصحابة) رضوان الله عليهم (قد شاهدوا الوحى والتنزيل) أى نزولهما (وادركوا بقرائن الاحوال) ونظائرها (ماغاب عن غيرهم عيانة) أى معاينة (و ربما لا تحيط العبارات بما ادرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص وعلى وجه مخصوص عند من رآه) واعتقده وقد استدل اللالكائى فى كتاب السنة على صحة مذاهب أهل السنة بما ورد فى كتاب الله تعالى و بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان وجدت فيهما جميعا ذكرتهما جميعا وان وجدت فى أحدهما دون الآخر ذكرته وان لم أجد الا عن أحد الصحابة الذين أمر الله ورسوله ان يقتدى بهم و يهتدى بأقوالهم و يستضاء بأنوارهم لمشاهدتهم الوحى والتنزيل ومعرفتهم معانى التأويل احتججت بها فان لم يكن فيها أثر عن صحابى ففى التابعين لهم باحسان الذين فى قولهم الشفاء والهدى والتدين بقولهم القربة الى الله والزلفى فاذا رأيناهم قد أجمعوا على شئ عولنا عليه اه فهؤلاء الاربعة وهى التى جعلها أصولا ولم يذكر القياس فانه من وظيفة الاصوليين وهو فرع للثلاثة اذ العلة فيه مستنبطة من مواردها فيكون الحكم بالقياس ثابتا بتلك الادلة الثلاثة قال السيد فى شرح التنقيح وأثر القياس فى اظهار الحكم وتغيير وضعه من الخصوص الى العموم فالقياس أصل بالنسبة الى الحكم فرع بالنسبة الى الثلاثة بخلاف الثلاثة فانها أصول مطلقة لان كل واحد مثبت للحكم فان قلت يلزم من ذلك ان لا يكون الاجماع أصلا مطلقا لانه مفتقر الى السنة الجواب ان الاجماع انما يحتاج الى السنة فى تحققه وفى دلالته على الحكم فان المستدل به لا يحتاج الى ملاحظة السنة بخلاف المستدل بالقياس فانه لا يمكنه الاستدلال به بدون ملاحظة واحد من الاصول الثلاثة منها والعلة المستنبطة منها اه (ولا يليق بيانه بهذا الفن) لان اللائق به فن أصول الفقه (الضرب الثانى الفروع وهو ما فهم من هذه الاصول المذكورة) واستنبط منها (لا بموجب ألفاظها) وتراكيبها (بل بمعان تنبه لها) أى لادراكها (العقول المضيئة الراجحة (فاتسع بسببها الفهم) بالغوص عن أسرارها (حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله صلى الله عليه وسلم لا يقضى القاضى وهو غضبان انه لا يقضى وهو حاقن) أى حابس بول

ابراهيم وقال للانصار أما ترون ان يذهب الناس بالشاء والبعير فتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم الى رحالكم ومع ذلك فالذى حفظ عنه صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة من بعده وفقهاء الامصار وأعيان المتكلمين من الاشارات سائر العلوم المذكورة كثير لا يحصى وانما القليل من جملة اليوم

والاجماع أصل من حيث انه يدل على السنة فهو أصل فى الدرجة الثالثة وكذا الاثر فانه أيضا يدل على السنة لان الصحابة رضى الله عنهم قد شاهدوا الوحى والتنزيل وادركوا بقرائن الاحوال ماغاب عن غيرهم عيانه و ربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن (الضرب الثانى الفروع) وهو ما فهم من هذه الاصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام لا يقضى القاضى وهو غضبان انه لا يقضى اذا كان حاقنا

عنهم وتفقه مثلهم
فاقصد تجد وتصد
لاقتباس المعارف تعلم
وطالع كتب الحديث
والتواريخ ومصنفات
العلوم توقن ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيرا
كثيرا ومايذكر الا أولو
الالباب (بيان المرتبة
الرابعة) وهو توحيد
الصديقين واما أهل المرتبة
الرابعة فهم قوم رأوا الله
سبحانه وتعالى وحده ثم رأوا
الاشياء بعد ذلك به فلم يروا

أو جائع أو متألم بمرض
وهذا على ضربين أحدهما
يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه
كتب الفقه والمتكفل به
الفقهاء وهم علماء الدنيا
والثاني ما يتعلق بمصالح
الآخرة وهو علم أحوال
القلب وأخلاقه المحمودة
والمذمومة وما هو مرضي
عند الله تعالى وماهو مكروه
وهو الذي يحويه الشطر
الاخير من هذا الكتاب
أعني جملة كتاب احياء
علوم الدين ومنه العلم بما
يترشح من القلب على
الجوارح في عباداتها
وعاداتها وهو الذي يحويه
الشطر الاول من هذا
الكتاب (والضرب الثالث
المقدمات) وهي التي تجري
منه مجرى الآلات كعلم
اللغة والنحو فانهما آلة لعلم
كتاب الله تعالى وسنة

أو غائظ (أو جائع أو متألم بمرض) والكلام عليه من ثلاثة أوجه * الاول قال العراقي رواه الستة من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه وهذا لفظ النسائي وابن ماجه وزاد بين اثنين وقال البخاري لا يقضين حكم وقال مسلم لا يحكم أحد وقال أبو داود لا يقضي الحكم وقال الترمذي لا يحكم الحاكم وقال فهذا حديث حسن صحيح اهـ قلت وبمثل سياق ابن ماجه رواه الامام أحمد أيضا وكذا أبو داود وبمثل سياق مسلم رواه الترمذي والنسائي أيضا وبمثل سياق البخاري رواه أيضا الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه وأخرج ابن ماجه وضعفه والدارقطني في سننه والخطيب وسمويه في فوائده عن أبي سعيد رفعه لا يقضي القاضي بين اثنين الا وهو شبعان ريان وأخرج النسائي والطبراني في الكبير عن أبي بكرة لا يقضين أحد في قضاء بقضاءين ولا يقضي أحد بين خصمين وهو غضبان * الوجه الثاني القضاء يطلق على معان الانسب هنا معنى الحكم الشرعي والغضبان من قام به الغضب وهو في الاصل ثوران دم القلب ارادة الانتقام ومنه الحديث اتقوا الغضب فانه جمرة توقد في قلب ابن آدم ألم تروا الى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه وقيل الغضبان كالغضوب من صيغ المبالغة والحاقن من حقن بوله أي حصره وأمسكه وجمعه وقال ابن فارس يقال لما جمع من لبن وشد حقين ولذلك سمي حابس البول حاقنا اهـ ومنه لا رأي لحاقن ولا حاذق * الوجه الثالث ذكر صدر الشريعة من علمائنا في تنقيح الاصول في المسائل من كتاب الاجماع ما نصه وشرط بعضهم قيام النص في الحالين وانه لا حكم له نظيره ان المرء اذا قام الى الصلاة وهو متوضئ لا يجب الوضوء واذا قعد وهو محدث يجب فعلم ان الوجوب دائر مع الحدث وقوله عليه السلام لا يقضي القاضي وهو غضبان فانه يحل له القضاء وهو غضبان عند فراغ القلب ولا يحل له عند شغله بغير الغضب قال السيد في شرحه على قوله في الحالين أي في حال وجود الوصف وفي حال عدمه قال والحال انه لا حكم أي للنص وقال عند قوله عند فراغ القلب فالنص قائم في حالة عدم الغضب بدون شغل القلب مع عدم حكمه الذي هو حرمة القضاء وقال عند قوله بغير الغضب نحو جوع أو عطش مع عدم حكمه الذي هو اباحة القضاء عند عدم الغضب اما بطريق مفهوم المخالفة أو بالمخالفة الاصلية أو النصوص المطلقة في القضاء عند عدم الغضب اما بطريق مفهوم المخالفة أو بالاباحة الاصلية أو النصوص المطلقة اهـ وزاد السعد في التلويح بعد هذا ويجعل من حكم النص المذكور مجازا اهـ ومفهوم المخالفة هو ان يكون حكم المسكوت عنه مخالفا ويسمى دليل الخطاب (وهذا على ضربين أحدهما ما يتعلق بمصالح الدنيا) أي التي تصلح به أمورها ويعتدل نظامها (ويحويه) أي يجمعه (من الفقه) بتمامه (والمتكفل به) أي ببيانه واتقانه وشرح ما أبهم فيه السادة (الفقهاء) المدرسون وهم أصحاب الاساطين (وهم من علماء الدنيا) نظرا لما ذكرناه (والثاني ما يتعلق بالآخرة) أي بأمورها وأحوالها التي لا تعلق للدنيا بها (وهو علم أحوال القلب) وما يعتريه من اللمم الملكية والشيطانية (و) علم (أخلاقه المذمومة والمحمودة وماهو مرضي) مقبول (عند الله تعالى) كما يجب وكما ينبغي (وما هو مكروه) مسترذل (وهو الذي يحويه الشطر الاخير من هذا الكتاب يعني جملة كتاب احياء علوم الدين) فانه تكفل ببيان ما ذكر على وجه التفصيل كما سيأتي (ومنه العلم بما يترشح من القلب) أي يفيض منه (على الجوارح) أي الاعضاء (في عباداتها وعاداتها) وسائر حركاتها (وهو الذي يحويه الشطر الاول) من هذا الكتاب (الضرب الثالث المقدمات وهو الذي يجري مجرى الآلات) وتقدم امام العلوم المقصودة بالذات لارتباط لها بها وانتفاع بها فيها سواء توقفت عليها أم لا (كعلم اللغة) وهو علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيآتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي وعما حصل من تركيب كل جوهر وهيآتها من حيث الوضع والدلالة على المعاني الجزئية (و) علم (النحو) وهو علم بقوانين تعرف بها أحوال التراكيب العربية من الدعوات والبناء وغيرهما (فانهما) أي كلا منهما (آلة) موصلة (لعلم كتاب الله وسنة

رسوله

رسوله) صلى الله عليه وسلم فهما من المقدمات ويجرى مجراهما علم التصريف والاشتقاق (وليس اللغة والنحو من العلوم الشرعية فى أنفسهما) أى فى حدذاتهما (ولكن لزوم الخوض فيهما) والاشتغال بهما (بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب) بخلاف غيرها من الشرائع التى تقدمت فانها باللغة السريانية (وكل شريعة) من الله تعالى (فلا تظهر الابلغة خاصة) أى لغة كانت (فيصير تعلم تلك اللغة آلة) موصلة لفهمها (ومن جملة الآلات علم كتابة الخط) وهو معرفة كيفية تصوير اللفظ بحروف هجائية والحاجة اليه أكيدة لانه لايظهر فائدة التخاطب الابالالفاظ وأحوالها (الاان ذلك ليس ضروريا) فقد يستغنى عن أحواله التى هى النقوش والحركات والمدات والنقط والشكل والتركيب وغير ذلك (اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا) أى لايحسن الكتابة قيل نسبة الى الام لان الكتابة مكتسبة فهو على ما ولدته من الجهل بالكتابة وقيل نسبة الى أمة العرب لانه كان أكثرهم أميين كذا فى المصباح وروى انا أمة أمية لانكتب ولانحسب أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر أرادانهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الاولى وقيل له صلى الله عليه وسلم الامى لان أمة العرب لم تكن تكتب ولاتحسب وبعثه الله رسولا وهو لايكتب ولا يقرأ من كتاب كانت هذه الخلة احدى آياته المعجزة لانه صلى الله عليه وسلم تلا عليهم كتاب الله منظوما تارة بعد أخرى بالنظم الذى أنزل عليه فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه ففى ذلك أنزل الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك اذالارتاب المبطلون قال ابن مردويه فى تفسيره حدثنا أحمد بن كامل حدثنا محمد بن سعد حدثنا أبى حدثنا عمر حدثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس قال كان نبى الله صلى الله عليه وسلم أميالايقرأ شيأ ولا يكتب وروى أيضا من رواية ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاصى قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع فقال انا محمد النبى الامى انا محمد النبى الامى الحديث وهكذا أخرجه أحمد أيضا وروى البخارى من حديث البراء فى قصة صلح أهل مكة فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب الحديث وروى ابن حبان والدارقطنى والحاكم فى المستدرك والبيهقى من رواية محمد بن عبد الله بن زيد عن ابى مسعود البدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث قال اذا أنتم صليتم على فقولوا اللهم صل على محمد النبى الامى الحديث قال الدارقطنى اسناده حسن وقال الحاكم هو حديث صحيح وقال البيهقى فى المعرفة هذا اسناد صحيح وروى أحمد ومسلم والثلاثة من حديث أبى سعيد الانصارى مثله وقال الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الرافعى ان مما حرم عليه صلى الله عليه وسلم الخط والشعر وانما يتجه التحريم ان قلنا انه كان لايحسنهما ولكن يميز بين جيد الشعر ورديئه وتمام البحث فى شرحنا على القاموس (ولو تصور استقلال الحفظ بجميع مايسمع) ويروى (لاستغنى عن الكتابة والانهاء ولكنه صار بحكم العجز) عن ذلك (فى الغالب ضروريا) فانه بها تمام افادة أحد المتخاطبين (والضرب الرابع المتممات) لتلك الاصول والفروع والآلات قسم هذا الضرب على قسمين منهما قسم يتعلق بالقرآن وقسم يتعلق بالاخبار والآثار ثم قسم كلا منهما الى أقسام فقال (فذلك فى علم القرآن فانه ينقسم الى) ثلاثة أقسام منها (مايتعلق باللفظ) أى بلفظ القرآن (كعلم القراآت) وهو علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة الواصلة الى حد الشهرة (و) علم (مخارج الحروف) وهو من فروع علم القراءة والتصريف (والى مايتعلق بالمعنى) وهو القسم الثانى (كالتفسير) وهو علم باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية وبحسب ماتقتضيه القواعد العربية ومباديه العلوم العربية وأصول الكلام وأصول الفقه والجدل وغير ذلك والغرض منه معانى النظم وفائدته حصول القدرة على استنباط الاحكام الشرعية على وجه الصحة وموضوعه كلام الله سبحانه الذى هو منبع كل

فى الدار بن غيره ولا اطلعوا فى الوجود على سواه فقد كان بيان اشارة الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فيما اختصوا من المعرفة فى هجيراهم فكان هجير أبى بكر الصديق رضى الله عنه لااله الا الله وكان هجير عمر رضى الله عنه الله أكبر وكان هجير عثمان رضى الله عنه سبحان الله وكان هجير على رضى الله عنه الحمد لله فاستقرى السابقون من ذلك ان أبا بكر لم يشهد فى الدارين غير الله سبحانه

نبيه صلى الله عليه وسلم وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية فى أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لاتظهر الابلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط الاان ذلك ليس ضروريا اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع مايسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز فى الغالب ضروريا (الضرب الرابع المتممات) وذلك فى علم القرآن فانه ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراآت ومخارج الحروف والى مايتعلق بالمعنى كالتفسير

حكمة ومعدن كل فضيلة وغايته التوصل الى فهم معانى القرآن واستنباط حكمه للفوز الى السعادة الدنيوية والاخروية وشرف العلم وجلالته باعتبار شرف موضوعه وغايته فهو أشرف العلوم هكذا ذكره أبو الخير وابن صدر الدين (فان اعتماده أيضا على النقل) بالاسناد الصحيح الى أحد الائمة المشهورين فيه على اختلاف الطبقات (اذ اللغة بمجردها) أى وحدها (لا تستقل به) فلا بد من النقل فيه وللمفسرين طبقات فمن الاولى على وابن عباس وابن مسعود وأبى ودونهم كانس وأبى هريرة وابن عمر وابن عمرو وأبى موسى ولكل هؤلاء طرق مشهورة أما ابن عباس فمن الطرق الصحيحة اليه على بن أبى طلحة عنه وقيس بن مسلم عن عطاء بن السائب عنه وأوهى طرقه ابن الكلبى والسرى الصغير وسليمان بن بشير الازدى وطريق الضحاك بن مزاحم منقطعة فانه لم يلقه ورواية بشير بن عمارة ضعيفة جدا وأما أبى ابن كعب فعنه نسخة كبيرة رواها أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عنه صحيحة ومن الطبقة الثانية أصحاب هؤلاء فمن أصحاب ابن عباس مجاهد بن جبير المكى وسعيد بن جبير وعطاء ابن أبى رباح وعكرمة وطاوس بن كيسان ومن أصحاب ابن مسعود علقمة بن قيس والاسود بن يزيد وابراهيم النخعى والشعبى ثم من بعدهم طبقة اتباعهم وهم كثيرون ومن بعدهم كذلك ثم صنف من بعدهم قوم برعوا فى العلوم وملؤا كتبهم بما غلب على طبعهم من الفن واقتصروا فيه على ما تمهروا فيه كان القرآن أنزل لاجل هذا العلم لا غير مع ان فيه تبيان كل شئ وأما كلام الصوفية فى القرآن فليس بتفسير كما حققه ابن الصلاح وهذا العلم يستدعى التبحر فى كل الفنون فلذا قل أربابه وانقرض خطابه وقال بعضهم تفسير القرآن على ثلاثة أقسام * الاول علم ما لا يطلع عليه الله أحدا من خلقه وهذا لا يجوز لاحد الكلام فيه * والثانى ما اطلع عليه نبيه من أسراره واختص به فلا يجوز الكلام فيه الا له صلى الله عليه وسلم أو لمن أذن له فيه قيل وأوائل السور من هذا القسم وقيل من الاول والثالث ما اطلع عليه نبيه وأمره بتعليمه اياه وهو على قسمين منه ما لا يجوز الكلام فيه الا بطريق السمع كاسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراآت واللغات وقصص الامم وأخبار ما هو كائن ومنه ما يؤخذ بالنظر والاستنباط من الالفاظ وهو قسمان قسم اختلفوا فى جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الاحكام الاصلية والفرعية والاعرابية لان بناءها على الاقيسة وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والامثال والاشارات لا يمتنع استنباطها لمن له أهلية ذلك وما عدا هذه الامور هو التفسير بالرأى الذى نهى عنه وهو على خمسة أقسام * الاول التفسير من غير حصول العلوم التى يجوز معها التفسير * والثانى تفسير المتشابه الذى لا يعلمه الا الله سبحانه * والثالث التفسير المقرر لمذهبه الفاسد بان يجعل المذهب أصلا والتفسير تابعا له فيرد اليه بأى طريق أمكن وان كان ضعيفا * الرابع التفسير بان مراد الله كذا على القطع من غير دليل * الخامس التفسير بالاستحسان والهوى (والى ما يتعلق باحكامه) وهذا هو القسم الثالث (كمعرفة الناسخ والمنسوخ) ألف فيه جماعة كمكى بن أبى طالب القيسى وابن جعفر النحاس وأبى داود السجستانى وأبى بكر بن العربى والجلال السيوطى وغيرهم والنسخ هو رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متأخر وهو جائز عقلا وواقع سمعا ويجوز نسخ الشئ قبل وجود وقته ونسخ الشئ الى بدل ولا الى بدل ونسخ التلاوة دون الحكم ونسخ السنة بالسنة ونسخ الكتاب بالسنة المتواترة خلافا للشافعى وأصحابه وأما نسخ الكتاب بالآحاد فجائز عقلا غير واقع سمعا ويجوز نسخ الفحوى ويستلزمه نسخ الاصل ولا عكس خلافا لما فى منهاج البيضاوى وقال الكرخى نقصان ما يتوقف عليه الصلاة كالجزء والشرط لا يكون نسخا للعبادة بل لهما (و) معرفة (العام) هو لفظ وضع وضعا واحدا لكثير غير محصور يستغرق جميع ما يصلح له (والخاص) وهو كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الانفراد والمراد بالمعنى ما وضع له اللفظ عينا كان أو عرضا وبالانفراد

وتعالى فلذا وكان الصديق وسمى به كما علمت وكان يقول لا اله الا الله وكان عمر يرى ما دون الله صغيرا مع الله وفى جنب عظمته فيقول الله أكبر وكان عثمان لا يرى التنزيه الا لله تعالى اذ الكل قائم به غير معرى من النقصان والقائم بغيره معلول فكان يقول سبحان الله وعلى لا يرى نعمة فى الدفع والرفع والعطاء والمنع فى المكروه والمحبوب الا من الله سبحانه فكان يقول الحمد لله وأهل هذه المرتبة على الجملة فى حال خصوصهم فيها صنفان مريدون ومرادون فالمريدون فى الغالب لا بد لهم من أن يحلوا فى المرتبة الثالثة وهى توحيد المقربين ومنها ينتقلون وعليها يعبرون الى المرتبة الرابعة ويتمكنون فيها ومن أهل هذا المقام يكون القطب والاوتاد والبدلاء ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء والشهداء والصالحون والله أعلم فان قلت أليس الوجود مشتركا بين الحادث والقديم والمألوه والاله ثم معلوم ان

فان اعتماده أيضا على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص

اختصاص

اختصاص اللفظ بذلك المعنى وانما قيد بالانفراد ليتميز عن المشترك وألفاظ العموم كل والذى والتى وتثنيتهما وجمعهما وأى فى الشرط والاستفهام ومن وما ومتى وأين وحيثما ونحوها حقيقة وكذا الجمع المعرف باللام والاضافة مالم يتحقق عهد والمفرد المحلى مثله وجميع وسائر وان كانت بمعنى الباقى واسم الجنس والنكرة فى سياق الامتنان والامر تعم بخلاف وقوعها فى الخبر والفعل فى سياق النفى يعم والنكرة فى سياق الشرط أو النفى للعموم وضعا ان بنيت على الفتح وظاهرا ان لم تبن و يستثنى من قولنا النكرة فى سياق النفى تعم ما نقل عن العلماء نحو لا رجل بالرفع فانه لا عموم فيه وكذا سلب الحكم عن العمومات و يسمى رفع الايجاب الكلى نحو ليس كل بيع حلالا فانه نكرة فى سياق النفى ولا عموم له لانه سلب للحكم عن العموم لا حكم بالسلب على العموم حققه السبكى فى رسالة أحكام كل (و) معرفة (النص والظاهر) النص هو ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى فى المتكلم وهو سوق الكلام لاجل ذلك المعنى (وكيفية استعمال البعض منه) دون بعض (وهو العلم الذى يسمى أصول الفقه) يعرف منه استنباط الاحكام الشرعية من أدلتها الاجمالية والغرض منه تحصيل ملكة استنباط تلك الاحكام على وجه الصحة (ويتناول السنة أيضا) لاتحاد أحكامها مع أحكام الكتاب فى سائر ما ذكر (وأما المتممات فى الاخبار والآثار) وهذا هو القسم الثانى من القسمين الاولين (فالعلم بالرجال) الذين يروى من طريقهم (وأسمائهم) بألقابهم وكناهم وقد روى الحافظ بن ناصر الدين الدمشقى بسنده الى اسحق النخعى انه قال اولى الاشياء بالضبط أسماء الناس لانه شئ لا يدخله القياس ولا قبله شئ يدل عليه ولا بعده شئ يدل عليه (وبأسماء الصحابة وصفاتهم) وقد ألف فى كل من ذلك كتب مستقلة (والعلم بالعدالة فى الرواة) العدالة صفة توجب مراعاتها التحرز عما يخل بالمروءة ظاهرا فالمرة الواحدة من صغائر الهفوات وتحريف الكلام لا تخل بالمروءة ظاهر الاحتمال الغلط والسهو والتأويل بخلاف ما اذا عرف منه ذلك وتكرر فيكون الظاهر الاخلال و يعتبر عرف كل شخص وما يعتاد من لبسه وفى شرح جمع الجوامع العدالة ملكة فى النفس تمنع عن اقتراف كل فرد فرد من الكبائر وصغائر الخسة كسرقة لقمة وتطفيف تمرة والرذائل الجائزة كبول بطريق وأكل غير سوقى به (والعلم بأحوالهم) جرحا وتعديلا (ليتميز الضعيف) منهم (عن القوى) والمتروك من المقبول و يندرج فى ذلك علم عقائد الجارح والمجروح من التى تؤثر فى الجرح وما لا تؤثر وقد أورد ذلك الحافظ ابن حجر فى مقدمة فتح البارى (والعلم بأعمارهم) بمعرفة المواليد والوفيات (ليتميز المرسل من المسند) وهذا بالنسبة الى طبقة التابعين (وكذلك ما يتعلق به) من الفنون والانواع التى ذكرها أئمة المصطلح (فهذه هى العلوم الشرعية) المنسوبة الى الشرع (وكلها محمودة) شرعا (بل كلها من فروض الكفايات) وقال ابن السبكى علوم الشرع فى الحقيقة ثلاثة الفقه واليه الاشارة فى حديث ابن مسعود وابن عمر بالاسلام وأصول الدين واليه الاشارة بالايمان والتصوف واليه الاشارة بالاحسان وما عدا هذه العلوم اما راجع اليه واما خارج عن الشريعة قال فان قلت علماء الشرع أصحاب التفسير والحديث والفقه فمالك أهملت التفسير والحديث وذكرت بدلهما الاصول والتصوف وقد نص الفقهاء على خروج المتكلم من سمة العلماء قلت أما خروج المتكلم من اسم العلماء فقد أنكره الشيخ الامام والدى فى شرح المنهاج وقال الصواب دخوله اذا كان متكلما على قوانين الشريعة ودخول الصوفى اذا كان كذلك وهذا هو الرأى السديد عندنا وأما انا لم نعد أصحاب التفسير والحديث فما ذلك اخراج لهم معاذ الله بل نقول التفسير والحديث من أصول الدين وفروعه فهما داخلان فى العلمين اهـ (فان قلت فلم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء) المتكفلين بنشره (بعلماء الدنيا) ومعرفة الاحكام الشرعية هو المقصود الاعظم الذى ينال به الانسان السعادة فهلا يلحق بعلم الآخرة وحملتها بعلماء الآخرة (فاعلم ان الله) عز وجل (أخرج آدم) عليه السلام (من التراب)

الاله واحد والحوادث كثيرة فكيف يرى صاحب هذه المرتبة الاشياء شيأ واحدا أذلك على طريق قلب الاعيان فتعود الحوادث قديمة ثم تتحد بالواحد فتر جع هى هو وفى هذا من الاستحالة والمروق عن مصدر العقل ما يغنى عن اطالة القول فيه وان كان على طريق التخييل للولى لما لا حقيقة له فكيف يحتج به أو كيف يعد حالا للولى أو فضيلة لبشر (الجواب) عن ذلك ان الحوادث لم تنقلب الى

والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذى يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضا وأما المتممات فى الآثار والاخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة فى الرواة والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوى والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به فهذه هى العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات فان قلت لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء بعلماء الدنيا فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب

أى خلقه منه (وأخرج ذريته) ونسله (من سلالة) أى صفوة استلت من الارض (من طين ومن ماء دافق) أى النطفة (فأخرجهم من الاصلاب) أى من أصلاب الآباء (الى الارحام) أى أرحام الامهات (ومنها الى الدنيا) هذه الدار المحيط بها جبل قاف (ثم الى القبر) أول منازل الآخرة وآخر منازل الدنيا (ثم الى العرض) بين يدى الله تعالى فى المحشر (ثم الى الجنة) ان ختم له بصالح (أو الى النار) ان كان بغير ذلك (فهذا) أى خلقه من السلالة (مبدؤهم وهذا) أى خروجهم الى الدنيا ثم القبر ثم العرض (غايتهم) وفى نسخة نهايتهم (وهذه منازلهم) التى يستقرون بها أشار بتقريره الى الاسفار الستة فالاول سفر السلالة من الطين * الثانى سفر النطفة من الصلب الى الرحم * الثالث سفر الجنين من الرحم الى الدنيا الرابع سفره منها الى القبر * الخامس سفره من القبر الى العرض فى الموقف * السادس منه الى أحد المنزلين وبه يعلم ان الانسان اذا نظر اليه فى الحقيقة عابر سبيل (وخلق الدنيا زادا) يبلغ المسافر (للمعاد) ومن هنا قيل الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها (ليتناول منها ما يصلح للتزود) أى اتخاذ الزاد والمراد به الاعمال الصالحة (فلو تناولوها بالعدل) والسوية (انقطعت الخصومات) وارتفعت الظلامات (وتعطل الفقهاء) ولم يحتج اليهم (ولكن تناولوها) وتعاطوا أمورها (بالشهوات) مما تميل له النفوس وتشتهيه (فتولدت منها الخصومات) وكثرت الشكايات وانبحت الظلامات (فمست الحاجة الى) وجود (سلطان) أى حاكم متسلط (يسوسهم) يرعاهم وينظر أحوالهم فيما يختصمون فيه (واحتاج السلطان) نفسه (الى قانون) يرجع اليه (ويسوسهم به) والقانون هو الامر الكلى الذى ينطبق على جميع جزئياته التى تتعرف أحكامها منه (فالفقيه هو العالم بقانون السياسة) الشرعية (وطريق التوسط بين الخلق) فى محاكماتهم (اذا تنازعوا بحكم الشهوات) وتجاذبوا فيها (فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده) وهاديه (الى) معرفة (طريق سياسة الخلق وضبطهم لتنتظم استقامة أمورهم فى الدنيا) بالعدل والاصلاح والحلم والاحسان وفى نسخة لتنتظم باستقامتهم أمورهم فى الدنيا (ولعمرى) قسم بالعمر بالفتح وهو البقاء والحياة (هو متعلق أيضا بالدين) حيث ان ذلك القانون الذى يستقيم به أمر السلطان والرعية لا يخرج عن الاحكام الشرعية (ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا) فتعلقه بالدين فى الدرجة الثانية (فان الدنيا مزرعة الآخرة) وممر المعاد (ولا يتم) نظام (الدين الا بالدنيا) أى بعمارتها وصلاحها (والملك والدين توأمان) أى قرينان والتوأم أصله ووأم من الوئام وهو الموافقة والمشاكلة وهذا توأم هذا وهما توأمان وأبى الليث قولهم توأمان وخطاه الازهرى قال والقول ماقاله ابن السكيت وهو قول الفراء والنحويين الذين يوثق بعلمهم قالوا يقال للواحد توأم وهما توأمان اذا ولدا فى بطن واحد (والدين أصل والسلطان حارس) له وحامية (ومالا أصل له فهو مهدوم) اى ساقط (ومالا حارس له فضائع) وهالك (ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان) وأخرج أبو نعيم فى ترجمة عبد الله ابن المبارك من رواية أبى بكر الصولى عن بعضهم قال ورد على الرشيد كتاب صاحب الخبر من هيت انه مات رجل بهذا الموضع غريب فاجتمع الناس على جنازته فسألت عنه فقالوا عبد الله بن المبارك فقال الرشيد انا لله وانا اليه راجعون يا فضل يعنى وزيره فضل بن الربيع ائذن للناس يعزونا فاظهر الفضل تعجبا فقال ويحك ان عبد الله هو الذى يقول

الله يرفع بالسلطان معضلة * عن ديننا رحمة منه ورضوانا

لولا الائمة لم تأمن لنا سبل * وكان أضعفنا نهبا لاقوانا

من سمع هذا القول من ابن المبارك مع فضله وزهده وعظمه فى صدور العامة ولا يعرف حقنا قلت هذه الابيات من قصيدة له طويلة أوردها ابن السبكى فى أوائل الطبقات وفى كلام بعض الحكماء نظام الدين منوط بنظام الدنيا ونظامها بالمال والمال يحصل من الرعية ونظام الرعية بعدل الحكام والعدل

القدم ولم تعد بالفاعل ولا اعتبرى الولى تخييل فتخيل مالا حقيقة له وانما هو ولى

وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فاخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة أو الى النار فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجات الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم فى الدنيا ولعمرى انه متعلق أيضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس ومالا أصل له فهدوم ومالا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان

مجتبى وصديق مرتضى خصه الله تعالى بمعرفته على سبيل اليقين والكشف التام وكشف لقلبه ما وراءه ببصره عيانا ما ازداد الا

وطريق الضبط فى فصل الحكومات بالفقه وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين فى الدرجة الاولى بل هو معين على مالا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم أن الحج لايتم الا ببذرقة تحرس من العرب فى الطريق ولكن الحج شئ وسلوك الطريق الى الحج شئ ثان والقيام بالحراسة التى ولا يتم الحج الا بها شئ ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شئ رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ماروى مسندا لايفتى الناس الاثلاثة أمير أو مامور أو متكلف فالامير هو الامام وقد كانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذى يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لايحترزون لذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفى بعض الروايات بدل المتكلف المرائى

انما يتم بالعلم فنظام الدين منوط بالعلم (وطريق الضبط) والمراعاة (فى فصل الخصومات) والمنازعات (بالفقه فى الدين وكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين فى الدرجة الاولى بل هو معين على مالا يتم الدين الا به) فهو فى الدرجة الثانية نظرا الى هذا وقد يكون فى الدرجة الرابعة نظرا الى قول الحكماء السابق فكذلك معرفة طريق السياسة ليس من علم الدين فى الدرجة الاولى بل هو من متعلقاته فى الثانية (فمعلوم أن الحج لايتم الا ببذرقة) بالدال المهملة وقيل بالمعجمة الخفارة فارسى معرب كما فى المحكم وهو قول ابن دريد ومثله لابن خالويه الا انه أنكر اهمال الدال ومنه قول المتنبى

* ابذرق وسيفى معى وقاتل حتى قتل * والمبذرق الخفير نقله الصغانى (تحرس من) ذعار (العرب) وشياطينهم الذين يغيرون على ركب الحج فى الطريق (ولكن الحج شئ وسلوك الطريق الى الحج شئ ثان) أى فى الدرجة الثانية (والقيام بالحراسة التى لايتم الحج الا بها شئ ثالث) أى فى الدرجة الثالثة (ومعرفة طريق الحراسة وحيلها وقوانينها شئ رابع) أى فى الدرجة الرابعة (والحاصل فى الفقه معرفة طريق السياسة والحراسة) فهو بهذا الاعتبار فى الرابعة من درجات علوم الدين وهى دقيقة يتفطن لها (ويدل على ذلك ماروى مسندا) أى مرفوعا بالاسناد الى النبى صلى الله عليه وسلم (لايفتى الناس الاثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف) هكذا فى سائر نسخ الكتاب ومثله فى قوت القلوب لابى طالب والذى فى الاحاديث على ماسيأتى بيانه الا يقص بدل لايفتى ولكن المصنف تبع صاحب القوت أخرجه الطبرانى فى الاوسط من حديث عوف بن مالك الاشجعى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقص الا الأمير أو مأمور أو متكلف وفى المجلس الخامس عشر من أمالى عبد الله بن منده من رواية خالد بن عبد الرحمن حدثنا عمرو بن زر عن مجاهد عن أبى هريرة رفعه لايقص فى مسجدى هذا الا أمير أو مأمور أو متكلف وأخرج الطبرانى فى الكبير عن عبادة بن الصامت رفعه لايقص الا أمير أو مأمور أو متكلف (فالامير هو الامام) الاعظم الذى يتولى أمور المسلمين (وقد كانوا) أى الامراء (هم المفتون) فى الاقضية والاحكام قبل أن يشتغلوا بأمر الجهاد (والمأمور نائبه) الذى ينوب عنه قد أذن له فى ذلك وقال المناوى هو المأذون له فى القص عن الحاكم (والمتكلف غيرهما) أى لا أمير ولا مأمور (وهو الذى يتقلد تلك العهدة من غير حاجه) اليه ونص القوت الامير هو الذى يتكلم فى أمر الفتيا والاحكام وكذلك كان الامراء يسألون ويفتون والمأمور الذى يأمره الامير بذلك فيقيمه مقامه فيستعين به لشغله بالرعية والمتكلف هو القاص الذى يتكلم فى القصص السالفة وبعض أخبار من مضى لان ذلك لايحتاج اليه فى الحال ولم يندب المتكلم اليه وقد تدخله الزيادة والنقصان والاختلاف فلذلك كره القصص فصار القاص من المتكلفين اهـ ووجدت لسياق المصنف وهو قوله لايفتى شاهدا حسنا وهو ماأخرجه ابن عساكر من حديث حذيفة ابن اليمان انما يفتى أحد ثلاثة من عرف الناسخ من المنسوخ أو رجل ولى سلطانا فلا يجد بدا من ذلك أو متكلف وأيضا فالقص هو التكلم بالقصص والمواعظ والافتاء داخل فيها وحمل الزمخشرى القص فى خصوص الخطبة محل نظر (وقد كان الصحابة يحترزون عنه) أى عن الافتاء المفهوم من القص ولذا لم يظهر فى زمانهم وانما ظهر فى آخر زمان معاوية لما اختلفت الاحوال (حتى كان يحيل كل واحد منهم الفتيا على صاحبه) حتى تعود اليه وهذا قد يأتى التفصيل فيه فى الباب السادس من قول عبد الرحمن ابن أبى ليلى وغيره (وكانوا لايحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن) والايمان (وطريق الآخرة) وما أشبه ذلك ونص القوت ولم يكونوا يقولون ذلك فى علم القلوب ولا علم الايمان واليقين بل كتب عمر الى أمراء الاجناد احفظوا ماتسمعون من المطيعين لله عزوجل فانهم تجلى لهم أمور صادقة (وفى بعض الروايات بدل المتكلف المرائى) وهكذا رواه الامام أحمد وابن ماجه والترمذى والحاكم فى النوادر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه لايقص على الناس الا أمير أو مأمور أو مراء رواه الدارمى فى

يقينا و ان أنكرت أن يكون وهب الله المعرفة به على هذا السبيل حد من خلقه فما أعظم مصيبتك

فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به الا طلب الجاه والمال (فان قلت) هذا ان استقام لك فى أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الاعمال التى هى أعمال الآخرة ثلاثة الاسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام فاذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت انه لا يجاوز حدود الدنيا الى الآخرة واذا عرفت هذا فى هذه الثلاثة فهو فى غيرها أظهر * أما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفى شروطه وليس يلتفت فيه الا الى اللسان وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال هلا شققت عن قلبه للذى قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بانه قال ذلك من خوف السيف

مسنده وزاد فى آخره قلت لعمرو بن شعيب انا كنا نسمع متكلف فقال هذا ما سمعت قلت و يروى بدل المتكلف والمرائى المختال رواه أبو داود من حديث عوف بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقص الا أمير أو مأمور أو مختال وأخرجه الطبرانى فى الكبير مثله وأخرجه ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف وقال الامام أحمد فى مسنده حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا العوام حدثنى عبد الجبار الخولانى قال دخل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فاذا كعب يقص فقال من هذا قالوا كعب يقص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقص الا أمير أو مأمور أو مختال فبلغ ذلك كعبا فما رؤى يقص بعد وفى القوت وقد جاء فى لفظ الحديث الآخر بتأويل معناه لا يتكلم على الناس الا ثلاثة أمير أو مأمور أو مراء فكان قوله أمير هو المفتى فى الاحكام والاقضية ومعنى مامور هو العالم بالله عز وجل الزاهد فى الدنيا يتكلم فى علم الايمان واليقين وفى علم القرآن والحديث على صالح أعمال الدين بأمر من الله تعالى اذن الله فى ذلك بقوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآية و بقوله صلى الله عليه وسلم ما آتى الله عالما علما الا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينه ولا يكتمه وبقول أبى هريرة لولا آيتان فى كتاب الله تعالى ما حدثتكم حديثا وأما المرائى فهو المتكلم فى علوم الدنيا الناطق عن الهوى يستميل بذلك أهلها ويجتلب بكلامه المزيد منها والرفعة فيها اهـ واليه يشير قول المصنف (فان من يتكلف خطر الفتوى) أى يتحمل باعبائه (وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به الا طلب الجاه والمال) باستمالة قلوب أهل الدنيا بكلامه ووعظه وقال الراغب فى الذريعة لا يصلح الحكيم لوعظ العامة لا لنقص فيه بل لنقص فى العامة اذ بينهما من تنافى طبعهما وتنافر شكلهما من النفار كما بين الماء والنار والليل والنهار ثم قال يحق للواعظ أن يكون له نسبة الى الحكيم والى العامة يأخذ منهم و يعطيهم كنسبة الغضاريف الى اللحم والعظم جميعا ولولاها لم يكن للعظم اكتساب الغذاء من اللحم (فان قلت هذا ان استقام لك) واتضح أمره (فى أحكام الحدود والجراحات والغرامات وفصل الخصومات) فانها التى يحتاج الى الفقهاء فيها غالبا (فلا يستقيم) لك (فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة) وما يتعلق بهما من الاحكام (ولا فيما يشتمل عليه ربع المعاملات من بيان الحلال والحرام) وغير ذلك (فاعلم ان أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الاعمال التى هى أعمال الآخرة ثلاثة أقسام الاسلام) وهو أعظمها (والصلاة) لكونها شعار أهل الاسلام (والحلال والحرام واذا تأملت) منتهى (نظر الفقيه فيها) ومرمى ملحظه (علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا الى الآخرة) ولا يتعداها (فاذا عرفت هذا فى هذه الثلاثة فهى فى غيرها أظهر) وأوضح (أما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفى شروطه) من البلوغ وغير ذلك (وليس يلتفت فيه الا الى اللسان) فقط فمتى وجدت شروطه وسمع منه الاقرار حكم باسلامه (اما القلب) الذى هو محل التصديق (فخارج عن ولاية الفقيه) ليس له مدخل فيه ولا يحوم حماه (بعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم السيوف) وفى نسخة أرباب السيوف والسلطنة (عنه حيث قال هلا شققت عن قلبه) فنظرت أصادق هو أم كاذب قاله (فى الذى قتل من تكلم بكلمة الاسلام) أى كلمة الشهادة (معتذرا بانه) انما (قال ذلك من خوف السيف) أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والطبرانى فى الكبير وابن أبى شيبة فى المصنف من حديث جندب بن عبد الله البجلى رفعه وهكذا هو فى الجزء الرابع من فوائد أبى أحمد الحاكم بلفظ فهلا شققت على قلبه وفى اسناده شهر بن حوشب وثقه أحمد وابن معين وتكلم فيه غيرهما قال العراقى والحديث عند مسلم وليس فيه قوله هلا شققت على قلبه قال و يروى عن أسامة بن زيد أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى وكذا مالك فى الموطأ والامام أحمد وابن أبى شيبة والعدنى فى مسانيدهم وأبو عوانة فى صحيحه وابن حبان والحاكم والطحاوى والبيهقى كلهم من رواية أبى

ظبيان واسمه حصين بن جندب عن أسامة بن زيد قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلا فقال لااله الاالله فطعنته فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لااله الاالله وقتلته قال قلت يارسول الله انما قالها خوفا من السلاح قال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا من لك بلا اله الا الله يوم القيامة فمازال يكررها حتى تمنيت اني أسلمت يومئذ قال العراقي والحديث عند البخاري أيضا ولكن ليس فيه قوله أفلا شققت عن قلبه (بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف) كما حكم النبي صلى الله عليه وسلم بصحة اسلام هذا الرجل ولذا عاتب أسامة في قتله (مع انه يعلم) قطعا (ان السيف لم يكشف له عن شبهة) وريبة (ولم يرفع عن قلبه غباوة الجهل) وظلمته (ولا الحيرة) والتردد المستولي عليه (ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته) بالقتل (واليد ممتدة الى ماله) بالنهب (وهذه الكلمة) الشريفة (تعصم رقبته) عن السفك (وماله) عن النهب (مادامت له رقبة ومال وذلك في الدنيا) قال الفخر الرازي نقلا عن بعضهم ان الله تعالى جعل العذاب عذابين أحدهما السيف من يد المسلمين والثاني عذاب الآخرة فالسيف في غلاف لا يرى فقال لرسوله من أخرج لسانه من الغلاف المرئي وهو الفم فقال لااله الاالله أدخلنا السيف في الغمد الذي يرى ومن أخرج لسان القلب من الغلاف الذي لا يرى وهو السر فقال لااله الاالله أدخلنا سيف عذاب الآخرة في غمد الرحمة حتى يكون واحدا بواحد ولا ظلم ولا جور اه (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لااله الاالله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم) الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل قال المناوي قال الرافعي وبين الشافعي ان الحديث مخرجه عام ويراد به الخاص والقصد به أهل الاوثان وهو أصل من أصول الاسلام وفي بعض رواياته حتى يشهدوا أي يقروا ويبينوا وهذا الحديث رواه ستة عشر من الصحابة كما قاله العراقي وهم أبو هريرة وعمر وابن عمر وجابر وأنس ومعاذ وأوس بن أبي أوس وأبو بكر الصديق وسعد بن أبي وقاص وجرير بن عبد الله وسهل بن سعد وابن عباس وأبو بكرة وأبو مالك الاشجعي عن أبيه وسمرة بن جندب والنعمان بن بشير أما حديث أبي هريرة فأخرجه الائمة الستة وهذا لفظ الترمذي وابن ماجه في الفتن الا انهما لم يقولا فقد وكذا قال أبو داود الا أنه قال منعوا بدل عصموا وقال الشيخان فمن قال لااله الاالله قال مسلم عصم وقال البخاري فقد عصم مني نفسه وماله الا بحقه وحسابه على الله قلت وأخرجه أبو بكر بن مردويه من رواية الحسن بن عمرو عن منذر الثوري عن محمد بن الحنفية عن أبي هريرة رفعه كسياق المصنف وفي آخره قيل له طفت على أبيك قال اني لم أفعل ان الناس انطلقوا الى أبي فبايعوه طائعين غير مكرهين فنكث ناكث فقتله وبغى باغ فقتله ومرق مارق فقتله وابن الحنفية هذا لم يخرج له عن أبي هريرة في شئ من الكتب الستة وأخرجه الخلعي في فوائده من رواية مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة ثم قال وأما حديث عمر فرواه الستة خلا ابن ماجه من رواية أبي هريرة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه قلت أخرجه أحمد والبخاري قال أحمد حدثنا عاصم بن خالد وأبو اليمان وقال البخاري حدثنا أبو اليمان قال حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن الزهري حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ان أبا هريرة قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس الحديث بطوله ورواه البخاري أيضا ومسلم عن قتيبة عن الليث ورواه عمرو بن عاصم الكلابي عن عمران القطان عن معمر عن الزهري عن أنس عن أبي بكر مرفوعا أمرت أن أقاتل الناس الحديث قال ابن أبي حاتم سألت أبا زرعة عنه فقال هذا خطأ انما هو الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن

وما أعظم العزاء فيك حين فتشت الخلق بعيارك وكلتهم بمكيالك وفضلت نفسك على الجميع اذ لا سبب لانكارك ان صح الا انك تخيلت انه يرزق أحدا مالم ترزق أو يخص من المعرفة مالم تخص فاذا تقررت هذه القاعدة فصار ما كشف لقلبه لا يخرج منه وما اطلع عليه لا يغيب عنه وما ذكره من ذلك لا ينساه ولا في حال نومه وشغله وهذا موجود فيمن كثر اهتمامه بشئ وثبت في قلبه حاله انه اذا نام واشتغل لم يفقده في شغله ونومه كما لا يفقده في يقظته وفراغه ولهذا والله أعلم اذا رأى الولي المتمكن في رتبة الصديقين مخلوقا كان

بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد ممتد الى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله مادامت له رقبة ومال وذلك في الدنيا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لااله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم

جلياً أوجاد اصغيراً وكبيراً لم يره من حيث هو هو وانما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدرة وميزه بالارادة على سابق العلم القديم ثم أدام القهر عليه في الوجود ثم لما كانت الصفات المشهورة آثارها في المخلوقات ليست لغير الموصوف الذي هو الله عز وجل له في الولي عن غيره وصار لم يرسواه ومعنى ذلك انه لا يتميز بالذكر في سر القلب وخبر المعرفة ولا بالادراك في ظاهر الحس دون ما كان موجوداً به وصار عنه فانيا فبعد هذا على من أصحبه

جعل أثر ذلك في الدم والمال وأما الآخرة فلا تنفع فيها الاموال بل أنوار القلوب وأسرارها واخلاصها وليس ذلك من فن الفقه وان خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام والطب وكان خارجاً عن فنه وأما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة اذا أتى بصورة الاعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا في جميع صلاته من أولها الى آخرها مشغولا بالتفكر في حساب معاملاته في السوق الا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة كما أن القول باللسان في الاسلام لا ينفع ولكن

أبي هريرة أن عمر قال لابي بكر القصة قلت لابي زرعة الوهم ممن قال من عمران ثم قال العراقي وأما حديث ابن عمر فأخرجه الشيخان وقالا حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة قال البخاري فاذا فعلوا ذلك وقال مسلم فاذا فعلوه عصموا مني دماءهم وأموالهم الحديث وأما حديث جابر فرواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه ولفظ الترمذي كلفظ المصنف الا أنه لم يقل فقد وقال مسلم وابن ماجه فاذا قالوا لا اله الا الله وأما حديث أنس فرواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي زاد البخاري فاذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم الحديث وقال أبو داود والترمذي حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن يستقبلوا قبلتنا وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا فاذا فعلوا ذلك حرمت الحديث قلت وأخرجه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير قال وأما حديث معاذ فرواه ابن ماجه ولفظه حتى يشهدوا أن لا اله الا الله واني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وفي اسناده شهر بن حوشب وأما حديث أوس بن أبي أوس بن حذيفة فرواه النسائي وابن ماجه ورجاله رجال الصحيح قلت وأخرجه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير من طريق شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت أوس بن أبي أوس وقال سماك بن حرب عن النعمان بن سالم عن أوس وقال حاتم عن النعمان عن عمرو بن أوس عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أوحى الي أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الحديث قال أبو حاتم وشعبة احفظ القوم قال وأما حديث أبي بكر الصديق فرواه البزار في مسنده من رواية عمران القطان عن معمر عن الزهري عن أنس عن أبي بكر قال البزار أحسب ان عمران أخطأ في اسناده ولذا قال الترمذي في الجامع ان حديث عمران خطأ وكذا قال الدارقطني في العلل انه وهم فيه على معمر وان الصواب رواية الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة قال قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما قلت قد تقدم ان الذي رواه عن عمران القطان هو عمرو بن عاصم الكلابي وتقدم أيضاً سؤال ابن أبي حاتم لابي زرعة وجوابه له وان الوهم فيه من عمران القطان قال وأما حديث سعد فرواه الترمذي بقوله وفي الباب قال وأما حديث جرير وسهل وأبي مالك الاشجعي عن أبيه فرواهما الطبراني في المعجم الكبير وأما حديث سمرة فرواه الطبراني في الاوسط وحديث ابن عباس وأبي بكرة رواهما في الكبير والاوسط وحديث النعمان بن بشير رواه البزار وقال أخطأ فيه أسود بن عامر اه قلت وروى هذا الحديث أيضاً من رواية عياض الانصاري وهو صحابي أخرجه البزار في مسنده فتم العدد سبعة عشر وهو متواتر صرح به غير واحد من المحدثين فانظر كيف (جعل أثر ذلك في الدم والمال وأما الآخرة فلا تنفع فيها الاقوال) الظاهرة (بل أنوار القلوب) الحاصلة من الايمان الكامل (وأسرارها) الباهرة (وأخلاقها) المحمودة أخرج مسلم في الادب وابن ماجه في الزهد عن أبي هريرة رفعه ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن انما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم وسيأتي الكلام عليه (وليس ذلك من فن الفقه) في شئ (وان) قدر انه (خاض الفقيه فيه) واستعد لقبوله (كان كما لو خاض في الكلام والطب وان كان خارجاً عن فنه) لان كلاهما ذكر لا يتعلق به غرضه هذا حال الاسلام (وأما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة اذا أتى بصورة الاعمال مع) مراعاة (ظاهر الشروط) المذكورة في الكتب (وان كان غافلا) بقلبه (عن جميع صلاته من أولها الى آخرها) بغلبة الخواطر والوساوس والشواغل النفسانية (مشغولا في التفكر) والتدبير (في حساب معاملاته) ومشاركاته (في السوق) أو في البيت (الا عند التكبير) أي عند افتتاح الصلاة وهي تكبيرة الاحرام فانه يتعين احضار القلب حينئذ ولا يكلف ماعداه (وهذه الصلاة) بهذه الصفة (لا تنفع في الآخرة) لشوبها بالغفلة عن أعمال القلب (كما ان القول باللسان) فقط (في الاسلام لا ينفع) في الآخرة (ولكن

الفقيه

الفقيه يفتى بالصحة أى ان مافعله حصل به امتثال صيغة الامر وانقطع به عنه القتل والتعزير فأما الخشوع واحضار القلب الذى هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لايتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه * وأما الزكاة فالفقيه ينظر الى مايقطع به مطالبة السلطان حتى انه اذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهرا حكم بانه برئت ذمته * وحكى أن أبا يوسف القاضى كان يهب ماله لزوجته آخر الحول و يستوهب مالها اسقاطا للزكاة فحكى ذلك لابى حنيفة رحمه الله فقال ذلك من فقهه وصدق فان ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته فى الآخرة أعظم من كل جناية ومثل هذا هو العلم الضار * وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له أربع مراتب * الاولى الورع الذى يشترط فى عدالة الشهادة وهو الذى يخرج بتركه الانسان عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر * الثانية ورع الصالحين وهو التوقى من الشبهات التى يتقابل فيها الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى مالا يريبك

الفقيه يفتى بالصحة) و يقول (ان مافعله حصل به صيغة الامر) الدالة على الوجوب (وانقطع به عنه القتل والتعزير) وهو التأديب دون الحد والتأديب نصرة بقهر ما وفى بعض النسخ القتال أو التعزير (فأما الخشوع) والاطمئنان والاخبات (واحضار القلب) ولو تكلفا (الذى هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لايتعرض له الفقيه) الاقليلا (ولو تعرض له) بالفرض والتقدير (كان خارجا من فنه) و يقول انما كلفنا باصلاح الظاهر وأما الباطن فبيد الله تعالى وهو حق فيما يقول اذ التعرض لمثل ذلك ليس من فنه هذه حال الصلاة (وأما الزكاة) وهى قرينة الصلاة فى الذكر (فالفقيه ينظر الى ما يقطع به مطالبة السلطان) ونظره قاصر عليه (حتى انه اذا امتنع) من دفع الزكاة (يأخذ السلطان منه) ولو قهرا (فهو يحكم بانه برئت ذمته) بأخذه لها منه وهذا اذا أخذ السلطان منه مما يجب عليه من الزكاة امالو صادره بمال ثم حال عليه الحول لا تجب الزكاة على صاحب المال عند أبى حنيفة (وقد حكى ان أبا يوسف) يعقوب بن ابراهيم بن خنيس وقيل حبيب بن سعد بن حبتة بفتح الحاء المهملة وسكون الموحدة وفتح المثناة الفوقية القاضى صاحب الامام ولاه الهادى ثم الرشيد وروى عن يحيى بن سعيد الانصارى والاعمش وأبى اسحق الشيبانى وعنه محمد بن الحسن وغيره ولد سنة ١١٤ وتوفى ببغداد سنة ١٨٣ وحبتة فى نسبه هى ابنة مالك بن عمرو بن عوف الانصارية الصحابية (كان يهب ماله لزوجته فى آخر الحول و يستوهب مالها فحكى) ذلك (لابى حنيفة فقال ذلك من فقهه) أى من معرفته بالاحكام ومن هنا قول صاحب الملتقى من علمائنا وتكره الحيلة لاسقاطها عند محمد خلافا لابى يوسف قال شارحه محمد بن محمد البهنسى الحنفى انما تكره عند محمد لتضمنها ابطال حق الفقراء بعد انعقاد سبب الوجوب وعليه الفتوى خلافا لابى يوسف لانه امتناع عن الوجوب لا ابطال حق ثابت وعلى هذا الخلاف حيلة اسقاط الشفعة اهـ (وصدق) أبو حنيفة (فان ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته فى الآخرة أعظم من كل خيانة ومثل هذا العلم هو الضار) وقد أورد هذه الحكاية صاحب القوت فقال وقد حدثنا عن أبى يوسف انه كان اذا صار رأس الحول وهب ماله لامرأته واستوهبها مالها فسقط عنهما الزكاة فذكر ذلك لابى حنيفة فقال ذلك من فقهه وانما طلب العلم لمعرفة الورع والاحتياط للدين فهذا هو العلم النافع فاذا طلب لمثل هذا ولتأويل الهوى كان الجهل خيرا منه اهـ (وأما الحلال والحرام فالورع من الحرام من الدين) أى معرفته من جملة أمور الدين والورع محركة التقوى والتحرج والكف عن المحارم وقد ورع الرجل كورث وهى اللغة المشهورة وزاد اللحيانى مثل وجل ونقل سيبويه عن العرب مثل وضع ونقل عن غيره مثل كرم وراعة وورعا بالفتح ويحرك وورعا بفتح ويضم وأصل الورع الكف عن الحرام ثم استعير للكف عن الحلال والمباح هذا قول أئمة اللغة وأما عند الصوفية فهو توق مستقصى على حذر أو تحرج على تعظيم وهو آخر مقامات الزهد للمريد قاله الهروى فى منازل السائرين (ولكن الورع له أربع مراتب الاولى الورع الذى يشترط فى عدالة الشهادة) عند التزكية (وهو الذى يخرج به الانسان عن أهلية الشهادة) عند القضاة (والقضاء) على الاحكام الشرعية بالتولية عليها (والولاية) للمناصب الشرعية كالحسبة وغيرها (وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر) وقد تقدم تعريف العدالة وقد قسمه الهروى فى منازل السائرين على ثلاث درجات فقال الاولى تجنب القبائح لصون النفس وتوفير الحسنات وصيانة الايمان اهـ (الثانية ورع الصالحين وهو التوقى) أى التحفظ (من الشبهات التى تتقابل فيها الاحتمالات) هل هو حرام أم حلال وقال الهروى فى منازل السائرين الثانية حفظ الحدود عند مالا بأس به ابقاء على الصيانة والتقوى وصيانة عند الدناءة وتخلصا عند الاقتحام فى الحدود اهـ (قال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك) بفتح الياء وضمها والفتح أفصح أى مايوقعك فى الريب (الى مالا يريبك) والامر

للندب لما ان توقى الشبهات مندوب لا واجب على الاصح أى أترك ماتشك فيه واعدل الى مالا تشك فيه من الحلال البين لان من اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه والمعنى ان من أشكل عليه شئ والتبس ولم يتبين انه من أى القبيلين فليتأمل فيه ان كان من أهل الاجتهاد وليسأل المجتهدين ان كان من أهل التقليد فان وجد مايسكن به نفسه ويطمئن به قلبه وينشرح به صدره فليأخذه والا فليدعه وليأخذ بما لا شبهة فيه ولا ريبة هذا طريق الورع والاحتياط قال العراقى رواه الترمذى والنسائى من رواية أبى الجوزاء عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره زاد الترمذى فان الصدق طمانينة وان الكذب ريبة وقال هذا حديث حسن صحيح ورواه ابن حبان فى صحيحه اهـ قلت أخرجه من رواية شعبة أخبرنى بزيد بن أبى مريم سمعت أبا الجوزاء السعدى يقول قلت للحسن بن على ماتذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان يقول فذكره وأخرجه كذلك أحمد والدارمى وأبو يعلى والطيالسى بتلك الزيادة وعند الطبرانى فى الكبير والبيهقى والحاكم وان الشر ريبة بدل وان الكذب وعند ابن قانع بلفظ فان الصدق ينجى وقال الذهبى فى حديث الحسن هذا سنده قوى وأخرجه الحاكم فى التاريخ بهذا اللفظ عن أبى الدرداء ووقفه عليه ثم قال العراقى ورواه أيضا أبو يعلى الموصلى فى مسنده من رواية عبيد بن القاسم عن العلاء بن ثعلبة عن أبى المليح الهذلى عن واثلة ابن الاسقع عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أثناء حديث وعبيد بن القاسم ضعيف جدا منسوب الى الكذب والوضع ورواه الطبرانى فى الكبير من رواية بقية بن الوليد حدثنى اسمعيل بن عبد الله الكندى عن طاوس عن وثيلة قال قلت يانبى الله فذكر الحديث وفيه فان الخير طمأنينة والشك ريبة واسمعيل مجهول اهـ قلت وكذلك رواه أبو عبد الرحمن السلمى فى أماليه ثم قال العراقى ورواه الطبرانى فى الصغير من رواية عبد الله بن أبى رومان عن ابن وهب عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا أصل له من حديث مالك وابن أبى رومان ضعيف اهـ قلت وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من رواية أبى بكر بن راشد عن عبد الله بن أبى رومان وقال انه غريب من حديث مالك تفرد به ابن أبى رومان عن ابن وهب وأخرجه الخطيب فى التاريخ فى ترجمة الباغندى من حديث قتيبة عن مالك بزيادة فانك لن تجد فقد شئ تركته لله ثم قال هذا باطل بهذا الوجه وانما اشتهر به ابن أبى رومان عن ابن وهب عن مالك وهو ضعيف والصحيح عن مالك من قوله وقد سرقه ابن أبى رومان وقال الجلال فى جامعه الكبير نقلا عن الخليل الصواب وقفه على ابن عمر قال العراقى ورواه أبو الشيخ فى كتاب الطبقات من رواية صالح بن موسى عن المغيرة عن الشعبى عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره وصالح بن موسى القرشى منكر الحديث قاله البخارى ورواه الطبرانى فى الكبير من رواية طلحة بن زيد عن راشد بن أبى راشد قال سمعت وابصة بن معبد يقول سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل شئ حتى سألته عن الوسخ الذى يكون فى الاظفار فقال دع ما يريبك الى مالا يريبك وطلحة ضعيف ورواه أحمد فى مسنده من رواية أبى عبد الله الاسدى بسكون السين عن أنس رفعه فذكره وأبو عبد الله الاسدى قال أبو حاتم مجهول تفرد عنه يحيى بن أيوب المصرى وهو معروف وسماه بعضهم عيسى بن عبد الرحمن قلت وقال الهيثمى وهو رفيق العراقى فى الشيوخ أبو عبد الله الاسدى لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح ثم ان المصنف أورده فى المرتبة الثانية من الورع اشارة الى أن المعنى به هم أرباب الصلاح ذوو البصائر والعقول المرتاضة والقلوب السليمة كان نفوسهم بالطبع تصبو الى الخير وتنبو عن الشر فان الشئ يحبب الى ما يلائمه وينفر عما يخالفه فيكون بما يلهمه الصواب غالبا على انه يمكن حمل هذا الحديث على سائر مراتب الورع لان عمومه يقتضى وقوع الريبة فى العبادات والمعاملات وسائر أبواب الاحكام الظاهرة والباطنة وان ترك الريبة فى كل ذلك ورع قالوا وهذا الحديث

الله توفيقه وفتح له منهاجه وطريقه وعلى هذا جرى المثل فى الاحياء برؤية من يرى انسانا والانسان المرئى لاشك والاجزاء كثيرة ثم لا يراه الرائى مع ذلك الا واحدا ولا يخطر بباله شئ من أجزائه من حيث ان اجزاء الانسان الظاهرة لاحول فيها ولا سكون ولا قبض ولا بسط ولا تصرف فيما يظهر الا بمعانى ما كان انسانا من أجله وهو الراكب للجسد المتولى على سائر الاجزاء المصرف بقدرة الله تعالى الاعضاء يلقب بالروح تارة والقلب أخرى وقد يعبر عنه بالنفس فاذا رأى اليد من الانسان مثلا لم يرها من حيث انها لحم وعصب وعظم وغير ذلك من مجموع اشخاص الجواهر وانما يراها من حيث ماظهر عليها من آثار صفاته التى هى القدرة والعلم والارادة والحياة والصفات لا تقوم بنفسها دون الموصوف فلهذا لم يشاهد غير المعنى الحامل للصفات المشهود أثرها فى الاعضاء والجوارح فظهر صحة رؤية الرائى الانسان واحدا وهو ذو اجزاء كثيرة ومثل هذا قد يعترى الداخلين على الملوك والمحبين مع من قد شغفوا به من المخلوقين والامثال غير هذا كثير من هذا المعنى وأرجو

أن لا يحتاج البهامع هذا الوضوح ولا فهم الا بالله ولا شرح الا منه ولا نور الا من عنده وله الحول والقوة وهو العلي العظيم

(فصل) وأما معنى افشاء سر الربوبية كفر فيخرج على وجهين احدهما أن يكون المراد به كفرا دون كفر ويسمى بذلك تعظيما لما أتى به المفشي وتعظيما لما ارتكبه ويعترض هذا بان يقال لا يصح أن يسمى هذا

وقال صلى الله عليه وسلم الاثم حزاز القلوب* الثالثة ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه أداؤه الى الحرام قال صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع مالا باس به مخافة مما به باس وذلك مثل التورع عن التحدث باحوال الناس خيفة من الانجرار الى الغيبة والتورع عن أكل الشهوات خيفة هيجان النشاط والبطر المؤدي الى مقارفة المحظورات الرابعة ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر الى مالا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل وان كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضي الى حرام

قاعدة من قواعد الدين وأصل في الورع الذي عليه مدار اليقين وقال العسكري لو تأمل الحذاق هذا الحديث لتيقنوا انه استوعب كل ما يتجنب في الشبهات والله أعلم (وقال صلى الله عليه وسلم الاثم حزاز القلوب) هكذا في النسخ بزاءين مكررتين الاولى مشددة فعال من الحز حكاه ابن الاثير عن رواية شمر ويروى حواز القلوب بتخفيف الواو بعد الحاء وآخره زاي مشددة جمع حاز وبه جزم الهروي في الغريبين وصدر ابن الاثير به كلامه في النهاية وقال هي الامور التي تؤثر في الشئ كما يؤثر الحز في الشئ وهو ما يخطر فيها من أن يكون معاصي كفقد الطمأنينة اليها يقال اذا أصاب مرفق البعير طرف كركرته فقطعه وأدماه قيل به حاز وحكى الهروي عن الليث هو ما حز في صدرك وحك ولم يطمئن عليه القلب قال ابن الاثير ويروى بتشديد الواو وتخفيف الزاي حكاه عن شمر أيضا قلت وهذه أوردها الصغاني في التكملة وقال معناه ما يحوز القلب ويغلب عليها هذا ما يتعلق باللغة والروايات قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من طريق سعيد بن منصور وحدثنا سفيان عن منصور عن محمد بن عبد الرحمن ابن يزيد عن أبيه قال قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاثم حواز القلوب قال المعروف انه من قول ابن مسعود قال الاثم حواز القلوب وما كان من نظيره فان للشيطان فيها مطمعا واسناده صحيح ورويناه في مسند المدني حدثنا سفيان عن منصور عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن ابن مسعود وكذا رواه الطبراني في الكبير موقوفا اه قلت وأخرجه أبو نعيم في الحلية كذلك موقوفا على عبد الله رواه من رواية جرير عن منصور عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال قال عبد الله اياكم وحزائز القلوب وما حز في قلبك من شئ فدعه قال العراقي وقد ورد معناه مرفوعا في عدة أحاديث منها حديث النواس بن سمعان الاثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس ومنها حديث وابصة ابن معبد والاثم ما حاك في نفسك وتردد في الصدر ومنها حديث واثلة والاثم ما حاك في الصدر (الثالث ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض) أي الخالص الذي لا شبهة فيه ولا ريبة (الذي يخاف منه أداؤه) أي وقوعه وافضاؤه (الى الحرام) واطلاق الورع عليه بطريق الاستعارة كما تقدمت الاشارة اليه (قال صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع مالا بأس فيه حذرا مما به بأس) وفي رواية مخافة مما به بأس قال العراقي رواه الترمذي وابن ماجه من رواية عبد الله بن يزيد قال حدثني ربيعة بن يزيد وعطية بن قيس عن عطية السعدي وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين فذكره وقال لما به بأس قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ورواه الحاكم في المستدرك وقال حديث صحيح الاسناد اه قلت وأخرجه كذلك الطبراني في الكبير والبيهقي بهذا اللفظ (وذلك مثل التورع عن التحدث بأحوال الناس) وأمورهم التي تحدث لهم (خيفة من الانجرار) والانسحاب (الى الغيبة) المحرمة (و) مثل (التورع عن أكل الشهوات) أي مما تشتهيه النفس (خيفة من هيجان) أي ثوران (النشاط) أي الخفة والاسراع (والبطر) وهو أخف من النشاط لانه دهش يعتري الانسان من سوء احتمال النعمة وعدم القيام بحقها وصرفها عن وجهها (المؤدي) أي الموصل (الى مقارفة) أي ملابسة (المحظورات) الشرعية (الرابعة ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى) وترك النظر عن السوى بالكلية (خوفا من صرف ساعة من العمر الى مالا يفيد زيادة قرب عند الله تعالى) واليه الاشارة بالحديث المتقدم اذا أتى علي يوم لا أزداد فيه تقربا الى الله تعالى فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم (وان كان يعلم ويتحقق انه لا يفضي الى حرام) وجعل الهروي في منازل السائرين من هذه الرابعة ثالثة وفسرها بقوله هو التورع عن كل داعية تدعو الى شتات الوقت والتعلق بالتفرق وعارض يعارض الوقت واستدل على الكل بقوله تعالى وثيابك فطهر اه والمصنف جعل له أربع مراتب

وأضافها لار بابها فالاولى هى مرتبة أهل الظاهر من العلماء والثانية هى مرتبة الصالحين والثالثة هى مرتبة المتقين وهم أعلى درجة من الصالحين كما ان الصالحين أعلى رتبة من مطلق أهل العلم والرابعة هى مرتبة الصديقين وهى آخر المراتب الرفيعة ولذلك جاز أن يعنى بالصديقين ماهو أعم ليشمل النبيين اذ كل نبى صديق ولا عكس فتأمل (فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه) لا يتكلم عليها (الا الدرجة الاولى وهو ورع الشهود والقضاة) وولاة الاحكام الشرعية (ومايقدح فى العدالة) فان الفقيه يتكلم فيها (و) لايخفى ان (القيام بذلك لاينفى الاثم فى الآخرة) ولا يقبل عذره فى ترك التحقق ببقية المراتب (قال صلى الله عليه وسلم لوابصة) ابن معبد الازدى يكنى أباسالم وأبا الشعثاء وأباسعيد من خيار الصحابة ولد سنة تسع روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وابن مسعود وعنه ولداه سالم وعمر وزر بن حبيش وشداد مولى عياض وراشد بن سعد وزياد بن أبى الجعد نزل فى الجزيرة كذا فى الاصابة وقال بكار قبره بالرقة (استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وأفتوك) هكذا بالتكرار ثلاث مرات فى سائر النسخ قال العراقى رواه أحمد فى مسنده فقال حدثنا يزيد بن هرون حدثنا حماد ابن سلمة عن الزبير بن عبد السلام عن أيوب بن عبد الله بن مكرز عن وابصة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه ياوابصة استفت نفسك البر مااطمأن اليه القلب واطمأنت اليه النفس والاثم ماحاك فى القلب وتردد فى الصدر وان أفتاك الناس وأفتوك وقال فى رواية له عن الزبير عن أيوب ولم يسمعه منه قال حدثنى جلساؤه وقد رأيته عن وابصة وقال استفت نفسك واستفت نفسك ثلاث مرات الحديث اه قلت وهكذا أخرجه أيضا الدارمى وأبو يعلى فى مسنديهما والطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية من رواية أيوب وسياق سند الدارمى حسن نبه عليه النووى فى رياضه وفى سياق سند الطبرانى العلاء بن ثعلبة وهو مجهول وأخرجه أيضا البخارى فى التاريخ وله أشار الجلال فى جامعه الصغير مقتصرا عليه وهو قصور ولفظه استفت نفسك وان أفتاك المفتون ولم أر فى طرق المخرجين لهذا الحديث تكرار قوله وان أفتوك ثلاث مرات الا ان صاحب القوت بعد ماذكر الحديث بالسياق المشهور قال وقد جاء بلفظة مؤكدة بالتكرير والمبالغة فقال استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك والمصنف تبعه فى سياقه فتأمل وسيأتى للمصنف التعرض لهذا الحديث فيما بعد والمعنى استفت نفسك المطمئنة الموهوبة نورا يفرق بين الحق والباطل وعلى الرواية الثانية عوّل على مافى قلبك والتزم العمل بما أرشدك اليه وان أفتاك الناس بخلافه لانهم انما يطلعون على الظواهر والكلام فيمن شرح الله صدره بنور اليقين فافتاه غيره بمجرد حدس وتخمين من غير دليل شرعى والا لزمه اتباعه وان لم ينشرح له صدره وهذا اذا كان الخطاب عاما قال العراقى وفى الباب عن واثلة ولفظه بأبى أنت وأمى يارسول الله لتفتنا عن أمر نافا آخذه من بعدك قال لتفتك نفسك قال فقلت وكيف لى بذلك قال دع مايريبك الى مالا يريبك وان أفتاك المفتون الحديث وقال السخاوى وفى الباب عن النواس بن سمعان وغيره (والفقيه لايتكلم فى حزازات القلوب) التى تؤثر فيها (وكيفية العمل بها) ومعالجتها (بل فيما يقدح فى العدالة) الظاهرة مما يتعلق بالولايات فى سقوط الشهادة وعدمه (فاذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التى فيها صلاح طريق الآخرة) وفى بعض النسخ مرتبط وبها بدل فيها (فان تكلم يوما) (فى الاثم) وماينشأ منه (وصفات القلب) المحمودة والمذمومة (وأحكام الآخرة فذلك يدخل فى كلامه على سبيل التطفل) والاستتباع غير مقصود بالذات (كما قد يدخل فى كلامه) تارة (شئ من الطب والحساب والنحو وعلم الكلام) فكل ذلك على سبيل التبعية (وكما تدخل الحكمة فى النحو والشعر) استطرادا (وكان سفيان بن سعيد الثورى) رحمه الله تعالى يأتى ذكره قريبا (وهو امام فى علم الظاهر) جليل القدر صاحب فتوى وحديث يقول مع جلالة قدره فى العلم (ان طلب هذا) أى

كفرا لانه ضد الكفر اذ الكفر الذى سمى على معناه ساتر وهذا المفشى للسر ناشر وأين النشر والاظهار من التغطية والاعلان من الكتم واندفاع هذا هين بان يقال ليس الكفر الشرعى تابع الاشتقاق وانما هو حكم لمخالفة الامر وارتكاب

فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه الا الدرجة الاولى وهو ورع الشهود والقضاة ومايقدح فى العدالة والقيام بذلك لاينفى الاثم فى الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان أفتوك وان أفتوك وان أفتوك والفقيه لايتكلم فى حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح فى العدالة فقط فاذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التى بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم فى شئ من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل فى كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل فى كلامه شئ من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام وكما تدخل الحكمة فى النجوم والشعر وكان سفيان الثورى وهو امام فى علم الظاهر يقول ان طلب هذا

ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على ان الشرف فى العلم العمل به فكيف يظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الامور ليتقرب بها الى الله تعالى فهو مجنون وانما العمل بالقلب والجوارح (١٦١) فى الطاعات والشرف هو علم تلك الاعمال

(فان قلت لم سويت بين الفقه والطب اذ الطب أيضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف اجماع المسلمين فاعلم ان التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وان الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه * أحدها انه علم شرعى اذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فانه ليس من علم الشرع * والثانى انه لا يستغنى عنه أحد من سالكى طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض وأما الطب فلا يحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لانه نظر فى أعمال الجوارح ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب فالمحمود من الاعمال يصدر عن الاخلاق المحمودة المنجية فى الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب وأما الصحة والمرض فنشؤهما صفات فى المزاج والاخلاط وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فهما أضيف

الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا أضيف علم طريق الآخرة الى الفقه ظهر أيضا شرف علم طريق الآخرة (فان قلت) فصل لى علم طريق الآخرة تفصيلا يشير الى تراجمه وان لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم انه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة (فالقسم الاول) علم المكاشفة وهو علم

علم الحديث (ليس من زاد الآخرة) نقله صاحب القوت وانما قال ذلك سفيان لان حب الاسناد وشهوة الرواية غلبا على قلبه حتى كان يحدث عن الضعفاء ومن لا يحتج بروايته فمن اشتهر منهم باسمه ذكر كنيته تدليسا للرواية عنه نخاف على نفسه من ذلك ولم يجعله من زاد الآخرة وسيأتى الكلام عليه فى آخر الباب الخامس من هذا الكتاب (كيف وقد اتفقوا) وأجمعوا (على أن الشرف) المقصود لذاته (فى العلم ليعمل به) على وجهه (فكيف يظن انه علم اللعان والظهار والسلم والاجارة والصرف) وغيرها من أحكام المعاملات (ومن تعلم هذه الامور) وانفرد فى تدقيقاتها ومعرفة الراجح منها من المرجوح (ليتقرب بتعاطيها) وتناولها (الى الله تعالى فهو مجنون) غطى على عقله وشبه عليه (وانما الاعمال بالقلب) أى باحضاره (والجوارح) معا (فى) سائر (الطاعات) والتقربات (والشريف هو علم تلك الاعمال) وهذا تقرير واضح وقد أنكر عليه المغاربة لما وصل اليهم الكتاب وأقاموا عليه النكير وقالوا كيف يقول للعالم بالاحكام الشرعية انه مجنون (فان قلت قد سويت بين الفقه والطب اذ الطب أيضا يتعلق بالدنيا ومصالحها وهو صحة الجسد) التى فيها قوام المعاش (وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين) من جهة القيام بالاوامر والنواهى (وهذه التسوية) بينهما فى المنزلة (تخالف اجماع المسلمين) أى لما جعلت الفقه به نظام مصالح الدنيا المنوط به نظام مصالح الدين فهو فى الدرجة الثانية من علوم الآخرة وعلم الطب أيضا كذلك لان موضوعه بدن الانسان والبحث عن كيفية صحة المزاج وفساده فهو أيضا منوط به نظام مصالح الدنيا فيكون من علوم الآخرة بالمرتبة الثانية ولزم بذلك التسوية بينهما وهو خلاف ما عليه الناس من شرف علم الفقه وعلو منزلته فاذا ساواه علم الطب فى منزلته لزم أن يكون مثله وليس كذلك (فاعلم أن التسوية غير لازمة) أى اذا وجد التسوية بينهما من هذا الوجه فغير لازم أن يساويه فى سائر المراتب (بل بينهما فرق) بوجوه أخر وأشار لذلك بقوله (والفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه أحدها انه علم شرعى) مستنده الكتاب والسنة وآثار الصحابة والاجماع وهذا معنى قوله (أى مستفاد من النبوة بخلاف علم الطب فانه ليس هو من علم الشرع) بل مداره على التجارب وهى تختلف (والثانى انه لا يستغنى عنه أحد) فى سائر الاحوال (من سالكى طريق الآخرة ألبتة لا الصحيح والمريض وأما الطب فلا يحتاج اليه الا المرضى) خاصة (وهم الاقلون) أى بالنسبة الى الاصحاء ولا حكم للاقل (والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة) باعتبارات كثيرة (لانه نظر فى أعمال الجوارح ومصدر الاعمال ومنشؤها صفات القلوب والمحمود من الاعمال يصدر من الاخلاق المنجية) أى المخلصة (فى الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب) بهذا الاعتبار (وأما الصحة والمرض فنشؤهما صفات فى المزاج) وهى كيفية مشابهة من تفاعل عناصر متفقة الاجزاء المماسة بحيث يكسر سورة كل منها سورة الآخر (والاخلاط) جمع خلط وهى الطبائع الاربعة التى عليها بنية الانسان (وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فهما أضيف) أى نسب (الفقه الى الطب ظهر شرفه) ومزيته (واذا أضيف علم طريق الآخرة الى الفقه ظهر أيضا شرف علم الآخرة) وهو فرق ظاهر (فان قيل فصل لى علم الآخرة تفصيلا) يتضح للاذهان (يشير) بذلك (الى تراجمه) جمع ترجمة والتاء زائدة وقيل أصلية يقال ترجم كلام غيره اذا عبر عنه بلغة غير المتكلم واسم الفاعل ترجمان وفيه لغات (وان لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم انه) أى علم الآخرة (قسمان علم معاملة) وقد تقدم ذكره (وعلم مكاشفة وهو علم

الباطن) وهو العلم بالله عز وجل الدال عليه المراد اليه الشاهد بالتوحيد له من علم الايمان واليقين
وعلم المعرفة (وذلك غاية العلوم) كلها واليه تنتهى همم العارفين لا يوجد وراءه مرمى للانظار (فقد
قال بعض العارفين) فيما نقله صاحب القوت (من لم يكن له نصيب) أى حظ (من هذا العلم) أى علم
الباطن (أخاف عليه سوء الخاتمة) ولا سبيل الى معرفته الا بالذوق الصحيح ولا يكاد يلتذ به اذا جاء
من غير نبي الا أصحاب الاذواق السليمة وهو فوق طور العقل ولذا ربما مجته العقول الضعيفة التى لم
توف النظر والبحث حقه ولهذا كان صاحبه اذا أراد أن يفهم منه لاصحاب الظاهر فلابد له من ضرب
الامثال الكثيرة والمخاطبات الشعرية وقد يتسارع الى الانكار على صاحبه وذلك لانه فوق طور العقل
و يحصل من نفث روح القدس يختص به تعالى النبي والولى لا يكون لغيرهما وعلوم المجتهدين كلها
من هذا الباب لكنهم أفصحوا فى العبارة ففهمها الناس ولم ينكروها عليهم وقال القطب الشعرانى
رحمه الله تعالى وكان أخى أفضل الدين يتكلم على الآية من سبعين وجها و يقول حقيقة العلوم
التى تسمى باطنا انما هى من علوم الظاهر لانها ظهرت للقائل بها ولو انها بطنت منه لما اهتدى لفهمها
ولا لذكرها فقلت له صحيح ذلك ولكن ذلك خاص بأجل الكمل فقال نعم فان الظاهر هو المعقول
والمقبول الذى تكون منه العلوم النافعة والاعمال الصالحة وأما الباطن فانما هو المعارف الالهية التى
هى روح تلك العلوم والمعقولة المقبولة اهـ (وأدنى النصيب منه) اذا لم يمكنه التحلى به (التصديق
به) جزما من غير تردد ولا شك (وتسليمه لاهله) بعدم الانكار عليهم بقبول ما يرد من جهتهم بانشراح
صدر وعدم اختلاج باطن فيكون فى منزلة المحبين لهم فان من ينكر على أولياء الله الوارثين لعلوم
أنبياء الله يخاف عليه سوء الخاتمة والسلام على أهل التسليم (وقال آخر) فيما أورده أيضا صاحب
القوت (فمن كان فيه خصلتان) أى من وجدتا فيه (لم يفتح له شئ من هذا العلم) أى علم الباطن
(بدعة) وهى الفعلة المخالفة للسنة (أو كبر) ان يرى نفسه أكبر من غيره وقال الجنيد أعلى درجات
الكبر أن ترى نفسك وأدناها ان تخطر ببالك يعنى نفسك (وقيل من كان محبا للدنيا) مائلا الى شهواتها
وكذا محبا لاهلها والعلوم تقربه اليها (أو مصرا على هوى) نفسى أو شيطانى (لم يتحقق به) أى بعلم
الباطن ولا يكون له منه نصيب (وقد يتحقق بسائر العلوم الظاهرة وأقل عقوبة من ينكره أن لا يرزق)
وفى نسخة أن لا يذوق (منه شيأ) أى يكون سببا لحرمانه من هذا العلم وعبارة القوت ان لا يرزق منه
شيأ أبدا هكذا عن أبى محمد سهل التسترى اهـ وقال أبو تراب النخشبى وهو من رجال الرسالة اذا ألف
القلب الاعراض عن الله صحبته الوقيعة فى أولياء الله أى لانه أدبر عن النور وأقبل على الظلام
فقاس حال أهل الله على حال نفسه وفى القوت من لم يكن له مشاهدة من هذا العلم لم يعر عن شك
أو عن نفاق لانه عار عن علم اليقين ومن عرى عن علم اليقين وجد فيه دقائق الشك اهـ ونقل
الشعرانى عن القطب أبى الحسن الشاذلى قدس الله سره من لم يتغلغل فى علوم القوم مات على غير
سنة فيخشى عليه سوء الخاتمة اهـ وفى كتاب القصد والسداد لبعض السادة من أهل اليمن قال
القطب السيد عبد الله بن أبى بكر العيدروس قدس الله سره عليك بحسن الظن بالصالحين ومحب
محب محبهم فهو من أعلى المراتب وأجل المواهب ولصاحبه سابقة وعناية وتخصيص وهداية وسوء
الظن مذموم مطلقا وقال آخر عليك بحسن الظن فانه دليل على نور البصيرة وصلاح السريرة وكفى
به سببا لحصول السعادة ونيل الدرجات ومن فوائده فائدة يندرج فيها كل فائدة وهى انه يورث حسن
الخاتمة وثمرته قد لا تظهر الا عند خروج الروح فيفضى بصاحبه الى السعادة المتضمنة ما لاعين رأت
ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وهو علم الصديقين والمقربين) وعبارة القوت واتفقوا على
انه علم الصديقين وان من كان له نصيب منه فهو من المقربين فوق درجة أصحاب اليمين (أعنى علم

النهى فمن رد احسان محسن
أو جحد نعمة متفضل فيقال
عليه كافر لجهتين احداهما
من جهة الاشتقاق ويكون
اذ ذاك اسما ينبئ عن وصف
والثانية من جهة الشرع
ويكون اذ ذاك حكما
يوجب عقوبة والشرع
قد ورد بشكر المنعم فافهم
ولا تذهب مع الالفاظ ولا
يغرنك العبارات ولا
تحجبك التسميات وتفطن
لخداعها واحترس من
استدراجها فاذا من أظهر
ما أمر بكتمه كان كمن كتم
ما أمر بنشره وفى مخالفة
الامر فيهما حكم واحد
على هذا الاعتبار ويدل

الباطن وذلك غاية العلوم
فقد قال بعض العارفين
من لم يكن له نصيب من هذا
العلم أخاف عليه سوء
الخاتمة وأدنى نصيب منه
التصديق به وتسليمه لاهله
وقال آخر من كان فيه
خصلتان لم يفتح له بشئ من
هذا العلم بدعة أو كبر وقيل
من كان محبا للدنيا أو مصرا
على هوى لم يتحقق به وقد
يتحقق بسائر العلوم وأقل
عقوبة من ينكره أنه
لا يذوق منه شيأ و ينشد
على قوله
وارض لمن غاب عنك غيبته
فذاك ذنب عقابه فيه
وهو علم الصديقين
والمقربين أعنى علم

المكاشفة فهو عبارة عن نور) الهى (يظهر فى القلب) أى قلب العارف يقذفه فيه (عند تطهيره) من الادناس المعنوية واليه يشير قوله تعالى وثيابك فطهر عند من فسر الثياب بالقلب وعند تزكيته أى تصفيته (من صفاته المذمومة) وهذا القول من مختارات أقواله كما سبقت الاشارة اليه فى أول الكتاب وقال بعضهم المكاشفة الحضور بنعت البيان من غير افتقار الى تأمل البرهان فأضيف العلم اليه وقال الشيخ الاكبر قد تطلق المكاشفة بازاء تحقيق الامانة بالفهم وبازاء تحقيق زيادة الحال وبازاء تحقيق الاشارة (وتنكشف من ذلك النور) أى تتجلى له (أمور) تخلقا وتحققا (كان يسمع من قبل) ذلك (أسماءها) نقلا وتقليدا (فيتوهم لها) بحسب فهمه (معانى مجملة) غير مفصلة من غير تحقق فيها (غير متضحة) عن أسرارها وفى نسخة غير متضحة أى لغموضها ودقتها (فتتضح) وتنجلى (اذ ذاك) بعد تحققه بهذا العلم (حتى تحصل) له (المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى) وحقيقته (و بصفاته التامات) أى الكمالات الذاتية الثبوتية والسلبية والاضافية وغيرها (وبأفعاله) أشار بذلك الى توحيد الذات والصفات والافعال (و بحكمته فى خلق الدنيا والآخرة) وما فيهما من الاسرار العجيبة (و وجه ترتيبه للدنيا على الآخرة) وكونها مزرعة لها ومنظرة اليها (والمعرفة بمعنى النبوة والنبى و) يندرج فيه معرفة (معنى الوحى) وأقسامه ودرجاته الآتى بيانها فى آخر الباب السابع (ومعنى لفظ الملائكة) جملة الوحى وأقسامهم (والشياطين) ومراتبهم وكيفية معاداة الشيطان للانسان وما سببها وكيف التحرز منهم (و) يندرج فى معنى الوحى وحامله معرفة (كيفية ظهور الملك للانبياء) على الصور المختلفة ومخاطبتهم ومحادثتهم (وكيفية وصول الوحى اليهم) و ينتقل منه (الى المعرفة بملكوت السموات والارض) أى بحقيقة الاجرام العلوية وانها خادمة مستغنى عنها وما فيها من الملائكة الموكلين بها والكواكب التى خلقت فهاز ينة لها وهداية لخلقه وعلامات لحكم الهيته وكذلك الارض التى جعلها الله مقرا لعباده و بما فيها مما أودعه فيها من العجائب لا كما تزعم الفلاسفة من أمور مخرومة القواعد كثيرة المفاسد و يندرج فيها معرفة الخلق وسر التخليق مما تحار فيه العقول (و) يرجع بعد هذا الى (معرفة القلب) الذى هو انموذج لتلك العوالم وما فيه من العجائب (و) حينئذ تنكشف له (كيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه) فى تعميره بالانوار والفيوضات وافساده بالكلام والاوصاف الذميمة و يندرج فيه (معرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان) ففى بعض الاخبار ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق بالحق وأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر الآية وقال بعض الحكماء ان ولى الله اذا أتته لمة الشيطان انزعج لذلك ورأى ببصيرته ظلمة ووجد روعة فاذا أتته لمة الملك انشرح صدره وأولياء الشيطان بخلافه و يندرج فى هذا معرفة الخاطر الذى يعرض من جهة الهوى (و) يندرج بعد هذا الى (معرفة) دار (الآخرة) وعالمها وعجائبها و يندرج فى هذا العلم معرفة (الجنة والنار) ومالهما من الاحكام (و) ينكشف له هنا معرفة (عذاب القبر) الذى هو البرزخ بين العالمين (و) يندرج فى عالم الآخرة معرفة أسرار (الصراط والميزان والحوض والحساب) بكيفية المرور عليها واختلاف أحوال المارين (و) بحقيقة وزن الاعمال وما فيه من الاسرار وبحقيقة الحوض ومعرفة من يرد ممن يذاد عنه و بحقيقة الحساب وكيفيته ومن يؤتى كتابه باليمين أو بالشمال وحينئذ تنكشف له أسرار جملة من القرآن خصوصا (معنى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) أى محاسبا كالجليس بمعنى الجالس وقد يعبر به عن المكافئ بالحساب وقوله كفى بالله حسيبا أى محاسبا لهم لانه لا يخفى عليه من أعمالهم شئ (ومعنى قوله تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون) الحيوان فى الاصل مقر الحياة ثم يقال باعتبارين أحدهما ماله حاسة كالحيوانات الحساسة والثانى ماله بقاء سرمدى وهو

على ذلك من جهة الشرع قوله صلى الله عليه وسلم لا تحدثوا الناس

المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة و ينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معانى مجملة غير متضحة فتتضح اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه و بصفاته الباقيات التامات و بافعاله و بحكمه فى خلق الدنيا والآخرة و وجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبى ومعنى الوحى ومعنى الشيطان ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحى اليهم والمعرفة بملكوت السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون

ما وصفت به الآخرة فى قوله لهى الحيوان ونبه بعرفى التأكيد بان الحيوان الحقيقى السرمدى الذى لا يفنى لا ما يبقى مدة ثم يفنى وقيل الحيوان يقع على كل شئ حى ومعناه من صار الى الآخرة أفلح ببقاء الابد (و) يندرج فى عالم الآخرة (معرفة لقاء الله عز وجل) ومعنى (النظر الى وجهه الكريم) ولذته (و) معنى (القرب منه والنزول فى جواره و) معرفة معنى (حصول السعادة) الابدية المعبر عنها بثمانية أشياء كما تقدمت الاشارة اليه (بمرافقة الملأ الاعلى) والملأ جماعة تملأ العيون رواء والقلوب جلالة وبهاء (ومقارنة الملائكة) فيه تخصيص بعد تعميم (والنبيين) والصديقين (و) معرفة (معنى تفاوت درجات أهل الجنان) على اختلاف منازلهم (حتى يرى بعضهم البعض كما يرى) أحدنا (الكوكب الدرى) أى المضىء (فى جو السماء والى غير ذلك مما يطول تفصيله) فمما يندرج فيما ذكره علم العلوم التى تخلع على أهل الجنة اذا دخلوها وأهل النار اذا دخلوها وقليل من يكاشف بهذا العلم فى هذه الدار وعلم أحكام العوالم التى تحت الارض السابعة ومعرفة أحكامهم وطبائعهم وعلم أحكام الملائكة السفرة ومعرفة أماكنهم فى السموات ومعرفة علم أسباب العداوات وعلم كيفية الافلاك العلوية وهل السماء أكرة فى خيمة أو خيمة فى أكرة أو تشبه ذلك وهل تدور الارض بدورانها أم لا وهل النجوم سائرة تسرى فى السماء والسماء ساكنة أو السموات دائرة بما فيها وقليل من يكاشف بما الامر عليه فى نفسه وعلم المشيئة الالهية وكيف قبلها الوعيد فى عدم الخلود دون الوعد مع ان النصوص القطعية قد جاءت بعدم خروج الكفار من النار وعلم شهود سريان الجنة فى أجسام الموحدين وسريان النار فى أجسام المشركين وعلم أسباب الطارد عن دخول حضرة الله وعلم المشاهدات للاعمال الصالحة الصادرة من العبد وعلم أحكام الرؤية وكيف صح للبشر مع غلظ حجابه وعلم شهود الموت لسائر الجواهر والاعراض من جميع ما تضمنته هذه الدار وعلم معرفة أصناف المعذبين من هذه الامة ومعرفة من يعذب فى الدنيا والآخرة ومن يعذب فى الآخرة فقط وعلم الالهام والنفث فى الروع وعلم معرفة آداب الملائكة مع ربهم وعلم معرفة الشهود العام ومنه يعرف ان الوجود السفلى مرآة للعالم العلوى وعكسه ومنه يشهد العبد الجسم الواحد فى مكانين وفى ألف ألف مكان فيجد له صورة فى كل ذرة ولا يشهد صورة أحق به من صور وعلم انتقالات الارواح فى البرزخ وعلم مراتب الاعمال وشروطها وأركانها وسننها فى حضرة الاسلام وحضرة الايمان وحضرة الاحسان وحضرة الايقان وحضرة اسلام الاسلام وحضرة ايمان الايمان وحضرة احسان الاحسان وحضرة يقان الايقان وعلم معرفة الدوائر الالهية ومعرفة كاتبها وكيف يكتبون وعلم معرفة الاعمال التى يتوصل منها الى معرفة منطق الطيور وعلم الاستحالات الكونية فى سائر أحوالها وعلم التنزلات على القلوب والابصار والاسماع ومعرفة العلوم الخاصة بكل لطيفة من هذه الثلاث وعلم آداب المعارج الروحية فى حال الصلاة وما يصل اليه كل مؤمن فى معراجه القلبى من الاماكن السماوية وعلم آداب تلقى الملائكة المصاحبين للخواطر وعلم الحياة والاحياء وعلم أمهات عقائد الخلق من سائر الموحدين وعلم آداب الجلوس على المنصات الالهية حال التشهد فى الصلاة وهى مائة ألف خصلة وعلم التجليات الليلية والنهارية ومعرفة آدابها وهو خاص بأهل المراقبة وعلم خواص الاسماء الالهية وبيان ان كل اسم منها له خواص وان كان فى كل اسم قوة جميع الاسماء وانها كلها ترجع الى الاسم الله وهو علم شريف وعلم جواهر القرآن ودرره وعلم تلوينات النفوس والقلوب والاسرار وعلم الكشف الالهى وتمييزه من الكشف الشيطانى وسائر مراتبه وعلم ما ينفرد به الحق تعالى من العلم دون عباده وعلم ما ينفرد به النبى دون الولى والولى عن غيره من مسائل العبادات والمعاملات وعلم منازل أهل القربة والآداب المتعلقة بها وعلم مقامات الرسل وما يتميز بها عن غيره وعلم حضرات الاسماء وعلم الاخلاق

عالم تصله عقولهم وفى ارتكاب النهى عصيان ويسمى فى باب القياس على المذكور كفران البدن وقسمة أخرى وذلك ان العلم ان حلل الى ما علم من أجزائه بالاستقراء فرأس الانسان تشابه سماء العالم من حيث ان كل ما علا فهو سماء وحواسه تشابه الكواكب والنجوم من حيث ان الكواكب أجسام مشفة تستمد من نور الشمس فتضىء بها والحواس أجسام لطيفة مشفة تستمد من الروح فيضىء مسالك المدركات وروح الانسان مشابهة للشمس فضياء العالم ونور نباته وحركة ضواربه حيوانه وحياته فيها تظهر بتلك الشمس وكذلك روح الانسان به حصل فى الظاهر نمو أجزاء بدنه ونبات شعره

ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول فى جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملا الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدرى فى جوف السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله

الالهية وعلم آداب العبودية وعلم علامات الساعة وهى ألف علامة كبرى وعلم أصناف المقربين من جميع العالم حتى مراتب الجمادات كما أشار اليه الحديث أحد جبل يحبنا ونحبه وعلم تطورات الاعمال الحسنة والقبيحة وعلم أحكام الجنود فى السموات والارض وعلم الحياة الدنيا ولماذا اختصت الدار الآخرة باسم الحيوان مع أن الدنيا مثلها فى هذه الصفة عند أهل الكشف فهذه وأمثالها علوم شريفة لاتنكشف حقائقها الا لمن قذف له نور اليقين فى قلبه وكل هذه العلوم داخلة فى قسم علم المكاشفة (اذ للناس فى) معرفة (معانى هذه الامور بعد التصديق) الجازم (بأصولها مقامات ومراتب (فبعضهم يرى) ويعتقد (ان جميع ذلك أمثلة) وذلك انه لما رأى انه لايدرك شئ منها بقياس ولا يتصور بواسطة لفظ ولايحمل عليه حقيقة وذلك لغرابتها وكثرة غموضها ودقة معناها وخروجها عن الحدود المألوفة ومباينتها لكل مانشؤا عليه ولم يشاهدوا غيره من المحسوسات ومعقولات وضروريات ونظريات (وان الذى اعد) وهيأ (لعباد الله الصالحين مالاعين رأت ولا أذن سمعت) ولاخطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق (من الجنة) الا الصفات والاسماء فقط قال المصنف فى الاملاء ويحكى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ليس عند الناس من علم الآخرة الا الاسماء (وبعضهم يرى بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهوم من ألفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله الاعتراف بالعجز عن معرفته) ويقول العجز عن درك الادراك ادراك وهذه المقالة قد حكيت من حضرة الصديق رضى الله عنه ولفظه العجز عن الادراك ادراك (وبعضهم يدعى أمورا عظيمة فى المعرفة بالله) على قدر المقام الذى أقيم فيه وبحسب الفيض الذى أفيض عليه (وبعضهم يقول حد معرفة الله عزوجل ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو) معرفته بذاته وصفاته (انه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم) ويقتصر على ذلك (فنعنى بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء) وينكشف الحجاب الظلمانى ثم النورانى (حتى يتضح عنده) ما هو (الحق) وفى نسخة حتى تتضح جلية الحق (فى هذه الامور اتضاحا يجرى مجرى العيان) والمشاهدة (الذى لايشك فيها) ولا يمترى وهو مرتبة حق اليقين وقد ذكر خمسة أقوال فى هذا المجال الاول ان جميع ذلك أمثلة من غير حقيقة والثانى ان بعضها أمثلة وبعضها حقائق والثالث انه لا يعرف كنه ذلك من حيث الاحاطة لعجز عقول البشر والرابع الادعاء بالمعرفة من حيث الحقائق والخامس الاقتصار على ما انتهى اليه اعتقاد العوام ثم قال ولا يرفع الغطاء عن هذه الامور ويبين الحق على ما فى نفس الامر الا من رزق علم المكاشفة (وهذا ممكن فى جوهر الانسان) لما فيه من القابلية الذاتية التى أودعها (لولا أن مرآة القلب) المنيرة (قد تراكم صداها وخبثها) أى وسخها (بقاذورات الدنيا) أى نجاساتها وفى حكم ذلك الاشتغال بالاعمال التى ليس للآخرة فيها نصيب (وانما معنى علم طريق الآخرة) وفى نسخة وانما نعنى بتعلم طريق الآخرة (العلم بكيفية تصقيل هذه) المرآة (عن هذه الخبائث) والادناس (التى هى الحجاب) المانع (عن الله تعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله) كما هى وأسرارها وما يترتب عليها (وانما) يتم (تصفيته وتطهيره بالكف) أى المنع والاحتماء (عن الشهوات) التى للنفس فيها تمام الحظ وفى نسخة عن الشبهات وهذا هو التخلى (والاقتداء بالانبياء) عليهم السلام أى اتباع طريقتهم (فى جميع أحوالهم) وهذا هو التحلى (فبقدر ما ينجلى) وينكشف (من القلب ويحاذى) اى يقابل (به شطر الحق) نحوه (تتلألأ فيه) أى تظهر وتلمع (حقائقه) أى العلم المذكور (ولا سبيل اليه) أى الى انجلاء قلبه (الا بالرياضة التى يأتى تفصيلها) أى باذابة النفس فى المجاهدات وتذليلها ولها آداب وشروط يأتى بيانها فى هذا الكتاب (فى موضعه) اللائق به (وبالتعلم) من مرشد حق على حد قوله * ولابد من شيخ يريك شخوصها * وفى نسخة وبالعلم والتعليم (وهذه هى العلوم التى) أمر

ذ للناس فى معانى هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات شتى فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وان الذى أعده الله لعباده الصالحين مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء وبعضهم يرى ان بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عزوجل الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعى أمورا عظيمة فى المعرفة بالله عز وجل وبعضهم يقول حد معرفة الله عزوجل ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم فنعنى بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق فى هذه الامور اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لايشك فيه وهذا ممكن فى جوهر الانسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما نعنى بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التى هى الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وانما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء صلوات الله عليهم فى جميع أحوالهم فبقدر ماينجلى من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل اليه الا بالرياضة التى يأتى تفصيلها فى موضعها وبالعلم والتعليم وهذه هى العلوم التى

بكتمانها وانها (لاتسطر فى الكتب) لانها علوم ذوقية كشفية تدرك عن مشاهدة لاعن دليل و برهان ولان المسطور فى كتاب يقع فى يد الاهل وغير الاهل فان لم يكن أهلا لمعرفته يقع فى حيرة عظيمة تترتب عليها مفاسد (ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشئ منها الامع أهله) والافقد وضع الشئ فى غير محله وقد نهى عن ذلك (وهو) أى أهله (المشارك فيه) بذوقه السليم وفهمه المستقيم و يكون ذلك التحدث (على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار) وقال المصنف فى كتابه المنقذ من الضلال انما يجب على العلماء بيان ماتبين لهم من الحق لامالا يتبين لهم وليس لهم ان يبينوا لكل أحد مابين لهم الحق انما يبينون لكل أحد ما يبلغه عقله و ينتفع به لاغير اه وقال الشيخ الاكبر قدس سره فى رسالة أرسلها الى الشيخ فخر الدين الرازى يقول فيها وأيضا فان العلم بالله خلاف العلم بوحدانيته وغاية المعقول ان نعرف الله تعالى من حيث كونه موجودا أومن حيث السلب والاثبات وهو خلاف ما عليه الجماعة أصحاب المقامات العلية من العقلاء والمتكلمين الاسيدنا أباحامد الغزالى قدس الله سره ورو حه فانه معنا فى هذه القضية والله تعالى أجل ان يعرفه العقل بفكره و بنظره ولذلك ينبغى للعالى الهمة ان لايكون تلقيه عند هذا من عالم الخيال وهى الانوار المتجسدة الدالة على معان وراءها فان الخيال من شأنه ان ينزل المعانى العقلية فى القوالب الحسية بريك العلم فى صورة اللبن والقرآن فى صورة الحبل والدين فى صورة القيد ثم قال و ينبغى للعاقل ان لايطلب من العلوم الا ماتكمل به ذاته و ينتقل معه الى الدار الآخرة ليتأهب لها من هذه الدار بالايمان والتسليم والخوف الى آخر ما قال (وهذا هو العلم الخفى الذى أراده صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لايعرفه الاأهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الاأهل الاغترار به فلاتحقروا) بكسر القاف مخففا من حد ضرب (عالما آتاه الله علما فان الله لم يحقره اذ آتاه العلم) قال العراقى رواه أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى فى الاربعين التى جمعها فى التصوف من رواية عبد السلام بن صالح عن سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة المكنون لايعلمه الا العلماء بالله عز وجل فاذا نطقوا به لا ينكره الا أهل الغرة بالله عز وجل ومن طريق السلمى رواه الديلمى فى مسند الفردوس وعبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروى ضعيف جدا اه قلت وأورده السيوطى فى اللآلئ المصنوعة فقال أخرجه الطيبى فى ترغيبه فقال أخبرنا القاضى أبو بكر أحمد بن الحسن أبو على حامد بن محمد الرفاء أخبرنا نصر بن أحمد حدثنا عبد السلام بن صالح فساقه وزاد بعد قوله الاأهل الاغترار بالله ان الله جامع العلماء يوم القيامة فى صعيد واحد فيقول انى لم أودعكم علمى وأنا أريد أعذبكم وأورده كذلك فى كتابه تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية من هذه الطريق الا ان فيها الاأهل الغرة بالله عز وجل كما عند السلمى اه ثم قال وهذا اسناد ضعيف وعبد السلام بن صالح كان رجلا صالحا الا انه شيعى وهو من رجال ابن ماجه وقد اختلف فيه فقال أبو حاتم لم يكن عندى بصدوق وقال العقيلى رافضى خبيث وقال النسائى ليس بثقة وقال الدارقطنى رافضى متهم وقال عباس الدهرى سمعت يحيى يوثق أبا الصلت وقال ابن محرز عن يحيى ليس ممن يكذب وأثنى عليه أحمد بن يسار فى تاريخ مرو وقال السيوطى فالحاصل ان حديثه فى مرتبة الضعيف الذى ليس بموضوع قال وقد أورد القطب القسطلانى هذا الحديث فى كتابه فى التصوف وقال ان له شاهدا من مرسل سعيد بن المسيب اه قال العراقى وأما آخر الحديث فرواه أبو عبد الله الحسين بن فنجويه الدينورى فى كتاب المعلمين من رواية كثير بن سليم عن أنس فذكر حديثا طويلا فيه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول لاتحقروا عبدا أعطيته علما فانى لم أحقره حين وضعت ذلك العلم فى قلبه وكثير بن سليم ضعيف اه قلت وأخرجه ابن عدى فى الكامل فى ترجمة طلحة بن زيد من حديث

وحلو حياته وجعلت الشمس وسط العالم وهى تطلع بالنهار وتغرب بالليل وجعلت الروح وسط جسم الانسان وهى تغيب بالنوم و تطلع باليقظة و نفس الانسان تشابه القمر من حيث ان القمر يستمد من الشمس ونفسه تستمد من الروح والقمر خالف الشمس والروح خالف النفس والقمر آية محوة والنفس مثلها ومحو القمر فى آن لا يكون ضياؤه منه ومحو النفس فى آن ليس عقلها منها و يعترى الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوف وتعترى النفس والروح وسائر الحواس غيب وذهول وفى العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحيوان وفى الانسان

لاتسطر فى الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشئ منها الامع أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا هو العلم الخفى الذى أراده صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لايعلمه الاأهل المعرفة بالله تعالى فاذا نطقوا به لم يجهله الاأهل الاغترار بالله تعالى فلاتحقروا عالما آتاه الله تعالى علما منه فان الله عز وجل لم يحقره اذ آتاه اياه

أبي موسى الاشعرى رفعه ان الله تبارك وتعالى يقول لاتحقروا عبدا آتيته علما فانى لم أحقره حين علمته وطلحة بن زيد متروك قال السيوطى وقد أخرجه الطبرانى من طريق صدقة بن عبد الله عن طلحة بن زيد به قلت ووجدت فى كتاب تأليف الشيخ صفى الدين أبى عبد الله الحسين بن على بن أبى المنصور ظافر بن الحسين الازدى نازل القرافة فى ترجمة شيخه عتيق الدمشقى انه كان مع شيخه أبى النجاء بالموصل وذكر اجتماعه بقضيب البان فسأله عن الشيوخ الذين رآهم حال سياحته من المغرب فكان يقول قضيب البان عند ذكر رجل منهم هذا وزنه كذا حتى ذكر شيخا مشهورا ببلاد المشرق فقال له عند ذكره من الرجال من رفع صيته مابين المشرق والمغرب ولا يسوى عند الله جناح بعوضة ثم قال قضيب البان يا أبا النجاء ان من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه الا العلماء بالله ولا ينكره الا أهل الغرة ثم هذا الحديث قال له الشيخ ما أعرف له تماما قال قضيب البان تمامه فلا تحقرن عبدا آتاه الله علما فان الله لم يحقره حين آتاه ذلك العلم وودع الشيخ ومضى وسافر اه قلت وهذا الذى ذكره قضيب البان لقد جاء فى الخبر كما فى القوت ان العبد لينشر له من الثناء مابين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة (وأما القسم الثانى وهو علم المعاملة) فهو علم أحوال القلب مما يحمد منها ويذم قد سبق ان العلم منه المحمود والمذموم والمأمور بطلبه من العلوم قسمان علم بالله وعلم بأحكام الله ثم أحكام المكلفين على ضربين ظاهر وباطن والباطن على قسمين مكاشفة ومعاملة فلما فرغ من بيان علم المكاشفة شرع فى بيان علم المعاملة وقسمه كذلك على قسمين محمود ومذموم وذلك لان علم المعاملة عبارة عن علم بالنفوس ومراتبها وتمامها ونقصها ومحاسنها ومعايبها ولاجل هذا قال تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون وكانت أحكام النفوس منحصرة فى وصفين اما ازالة النقص أو تحصيل الكمال فالاول داخل فى المذموم نظرا الى تلك الاوصاف التى أمر بازالتها والثانى هو المحمود وقدم المصنف ما يحمد منها الذى يحصل به الكمال على مايذم نظرا الى ظاهر الاوصاف ولشرفها والافكان اللائق تقديم ماعنه يتخلى السالك على مابه يتحلى فقال (أما ما يحمد منها) أى يستحق الثناء على الاتصاف بها وبه تحصيل كمال كل سالك (فكالصبر والفكر) وفى نسخة والشكر بدل الفكر (والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى فى جميع الاحوال والاحسان) وفى نسخة والاحساس بدل والاحسان (وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص) وهى ستة عشر ولكل من ذلك مراتب وأقسام يأتى تفصيلها وبيانها فى مواضعها ويلحق بها أيضا مثل مجاهدة النفس والورع واليقين والتوكل والتفويض والتسليم والاحتساب فى الاعمال وسلامة الصدر والمبادرة للامر والمراقبة والمحاسبة وحسن الطاعة لله تعالى وحسن المعرفة بالله تعالى فهذه وأشباهها داخلة فى حد المحمود من علم المعاملة قال (فمعرفة حقائق هذه الاحوال وحدودها) التى تتميز بها عن غيرها (وأسبابها) الظاهرة والباطنة (التى بها تكتسب) وتحصل (و) معرفة (ثمرتها) الحاصلة منها (و) معرفة (علاماتها) الدالة عليها (و) معرفة طرق (معالجة ماضعف منها) بحسب ضعف السالك (حتى يقوى) ذلك الحال (ومازال) كذلك (حتى يعود من علم الآخرة وأما مايذم) منها ويسترذل عند أهل الحق (فخوف الفقر) ومنشؤه عدم اليقين بالله عز وجل (وسخط المقدور) ومنشؤه عدم التحلى بمقام الرضا (والغل) هو ندرع الخيانة (والحقد) هو الانطواء على العداوة (والحسد) تمنى زوال نعمة الغير (والغش) عدم الاخلاص فى النصيحة (وطلب العلو) والارتفاع والتميز عن الاخوان (وحب الثناء) لنفسه (وحب طول البقاء فى الدنيا للتمتع) بها والاشتغال بشهواتها ولذاتها (والكبر) على اخوانه فى سائر أحواله (والرياء) فى الاحوال والافعال والاقوال (والغضب) هو ثوران دم القلب ارادة الانتقام (والانفة) محركة هى الحمية بغير الحق (والعداوة) لاجل أمور الدنيا (والبغضاء)

نبات وهو الشعر ومياه وهو العروق والدموع والريق والدم وفيه جبال وهي العظام وحيوان وهي هوام الجسم فصلت المشابهة على كل حال ولما كانت أجزاء العالم كثيرة ومنها ماهى لنا غير معروفة ولا معلومة كان فى استقصاء مقابلة جميعها تطويل وفيما ذكرناه مايحصل به لذوى العقول تشبيه وتمثيل فان قلت أرأيت

(وأما القسم الثانى) وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب أما ما يحمد منها كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى فى جميع الاحوال والاحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص فمعرفة حقائق هذه الاحوال وحدودها وأسبابها التى بها تكتسب وثمرتها وعلاماتها ومعالجة ماضعف منها حتى يقوى ومازال حتى يعود من علم الآخرة وأما مايذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء فى الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضاء

هو نفار النفس عن الشئ الذى يرغب عنه (والطمع) نزوع النفس الى الشئ شهوة له (والبخل) وهو امساك المال عن مستحقيه (والرغبة) هى السعة فى الارادة وقد تطلق على الحرص والشدة (والبذخ) محركة هو التطاول بالكلام والافتخار (والاشر) محركة هو كفر النعمة (وتعظيم الاغنياء) لاجل غناهم (والاستهانة) أى الاذلال (بالفقراء) لاجل فقرهم (والفخر) بالاحساب والانساب (والخيلاء) بضم ففتح ممدودا هو التكبر عن تخيل فضيلة تتراءى للانسان فى ضمير نفسه (والتنافس) هو التعالى وقد يكون محمودا فيراد به مجاهدة النفس للتشبه بالافاضل من غير ادخال ضرر على غيره ويسمى حينئذ المنافسة (والمباهاة) أى المفاخرة بما عنده من المال أو العلم والجاه (والاستكبار) أى التأنف (عن) قبول (الحق) ومنشؤه من الاعجاب (والخوض فيما لايعنى) أى لايكون مقصودا مهما بشأنه (وحب كثرة الكلام) فى المجالس (والصلف) محركة هو التيه (والتزين للخلق) أى لاجل ارادتهم سواء كان فى العادات أو العبادات (والمداهنة) أى الملاينة (والعجب) بالضم تصور استحقاق رتبة لايكون مستحقا لها (والاشتغال عن عيوبه بعيوب الناس) ومنشؤه الغفلة والاعجاب (وزوال الحزن من القلب) ومنشؤه من عدم الاهتمام بأمور الآخرة (وخروج الخشية منه) ومنشؤه من عدم التقوى (وشدة الانتصار للنفس اذا نالها الذل) من أحد وهو الانتصاف وارادة الانتقام (وضعف الانتصار للحق) وعدم المبالاة به (واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر) أى الباطن (والامن من مكر الله فى سلب ماأعطى) من نعمة ظاهرة أو باطنة والمكر من جانب الحق هو ارداف النعم مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الادب والاتكال على الطاعة ومنشؤه من غرور النفس (والمكر) هو اعمال الحيلة فى هدم بناء باهر (والخيانة) هى مخالفة الحق بنقض العهد فى السر (والمخادعة) هو اظهار خلاف ماأبطنه (وطول الامل) فى توقع حصول الشئ والامل يستعمل فيما يستبعد حصوله بخلاف الطمع والرجاء بينهما (والقسوة والفظاظة) هما مترادفان بمعنى غلظة القلب (والفرح بالدنيا) وأحوالها مع الركون اليها (والاسف) محركة أى التحسر (على فواتها) وعدم ادراكها (والانس بالمخلوقين) ويدخل فيه عشق الصور الملاح ومنشؤه الغفلة (والجاب والوحشة لفراقهم) وهو من لازم الانس بهم فان من أنس بشئ استوحش عند فراقه (والجفاء) هو ترك الرفق فى الامور (والطيش) هو الخفة (والعجلة) أى فى الامور المذمومة (وقلة الحياء) ومنشؤها من ضعف الايمان (وقلة الرحمة) ومنشؤها من قساوة القلب (فهذه) سبعة وخمسون حالا فى ازالتها عن القلب تحصيل عين الكمال (وأمثالها) من الحرص والقحة وسوء الخلق واتباع الهوى والركون الى الدنيا والتجبر والظلم والعناد والبغى وغمص الحق والغيبة والنميمة وطلب المغالبة بالباطل والانكار على أهل الله والاعتراض فى المقادير وغير ذلك مما سيأتى شرحه فى ربع المهلكات (من صفات القلب) وأحواله التى تعتريه وتعرضه (مغارس الفواحش) اى بسببها تنبت فيه الفواحش أى القبائح وكل شئ جاوز الحد فهو فاحش والمغارس جمع مغرس على القياس أو جمع غرس (ومنابت الاعمال المحظورة) أى الممنوعة شرعا (وأضدادها وهى الاخلاق المحمودة) شرعا (منابع الطاعات والقربات) وفى تخصيص المغارس والمنابت بالاخلاق المذمومة والمنابع لاضدادها حسن لا يخفى على المتأمل (فالعلم بحدود هذه الامور) معرفة (حقائقها وأسبابها وثمرتها وعلاجها) ولم يذكر العلامات اكتفاء أو لوضوحها بخلاف الاحوال المحمودة (هو علم الآخرة) المأمور بمحافظته (وهو فرض عين فى فتوى علماء الآخرة) لا يتكلمون الا فيها واذا أشكل فى شئ منها يبادرون فى تفسيرها (فالمعرض عنها) الى غيرها (هالك بسطوة مالك الملك) وفى نسخة الملوك وفى أخرى ملك الملوك (فى الآخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة) من صلاة وصيام وحج وزكاة (هالك بسيف سلاطين الدنيا) اذا أنكر شيأ

منها

والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر و[illegible] الاغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لايعنى وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله سبحانه فى سلب ماأعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة * وأضدادها وهى الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين فى فتوى علماء الآخرة فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك فى الآخرة كما أن المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا

بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء فى فروض العين بالاضافة الى صلاح الدنيا وهـذا بالاضافه الى صلاح الآخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هـذه المعانى حتى عن الاخلاص مثـلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيـه مع أنه فرض عينه الذى فى اهـماله هلاكه فى الآخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمى لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التى تنقضى الدهور ولا يحتاج الى شئ منها وان احتيج لم تخـل البلد عمن يقوم بها ويكفيـه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهارا وفى حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه فى الدين واذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسـه وعلى غيره فى تعلمه والفطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الامر فى فرض الكفاية لقدم عليـه فرض العين بل قدم عليـه كثيرا من فـروض الكفايات فكم من بلدة ليس فيها طبيب الا من أهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من أحكام الفقه ثم لا نرى أحدا يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه لاسيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعرى كيف يرخص فقهاء الدين فى الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال ما لا قائم به هل لهـذا سبب الا أن الطب ليس يتيسر الوصول به الى تولى الاوقاف والوصايا وحيازة مال الايتام وتقلـد القضاء والحكومة والتقـدم به على

منها (بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء فى فروض العين بالاضافة الى صلاح) أمور (الدنيا) ونظامها على وجه الاستدلال والسوية (و) النظر (فى هذا بالاضافة الى صلاح أمور الآخرة) وانتظامها (ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعانى) المذكورة (حتى عن الاخلاص مثلا) الذى هو شرط فى الاعمال ويتعلق غرضهم به فى الاغلب وهو أول أحوال فقيه الآخرة وآخر أحوال فقيه الدنيا (أو عن التوكل) الذى هو من الامور الظواهر عندهم (أو عن وجه الاحتراز عن الرياء) فى الاعمال (لتوقف فيه) عن الخوض (مع انه فرض عينه الذى فى اهماله وتركه هلاكه فى الآخرة ولو سألته عن) مسئلة فى (اللعان والظهار) والسلم والاجارة والشفعة (والسبق والرمى) وما أشبه ذلك (لرد عليك) أى املاء من حفظه ما يكون (مجلدات) ان جمع (من التفريعات) الغريبة (الدقيقة) بحيث تحير العقول (التى تنقضى الدهور) وتمر الاعصار (ولا يحتاج الى شئ منها) لانها لم تقع (وان احتيج) اليها بفرض الوقوع (لم يخل البلد عمن يقوم بها) ويحررها (ويكفيه مؤنة) أى مشقة (التعب فيها) بالتحرير والنقل وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية ابن وهب قال أخبرنى موسى بن على انه سأل ابن شهاب عن شئ فقال ما سمعت فيه بشئ وما نزل بنا قلت انه قد نزل ببعض اخوانك فقال ما سمعت فيه بشئ وما نزل بنا وما أنا بقائل فيه شيأ اه فهذا كله كان تحرز السلف فى عدم الجواب لما لم يقع بهم (فلا يزال يتعب فيها) أى فى تلك التفريعات الغريبة وفى نسخة فيه (ليلا ونهارا و) يدأب (فى حفظه) على الغيب (ودرسه) وتكراره (ويغفل عما هو مهم نفسه فى الدين) ومقصود لذاته فيه (واذا روجع فيه) بالانكار عليه فيما هو عليه (قال) فى الجواب (اشتغلت به) كما ترى (لانه من) مسائل الفقه وهو (علم الدين) المتفق عليه فى ذلك (وفرض على الكفاية ويلبس) فى جوابه أى يغطى ويشبه (على نفسه وعلى غيره فى تعلله) وفى نسخة فى تعلمه وهذا ربما يروج عند الاغبياء (و) أما (الفطن) العاقل النبيه (يعلم) ويتحقق (انه لو كان) هذا (غرضه أداء حق الامر) الخاطب (فى فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين) واشتغل به ولكنه عرف ثم أنكر (بل قدم عليه كثيرا من فروض) توجهت عليه (من الكفايات) مما غيره ليس بقائم به فى عصره مع شدة الاحتياج اليه (فكم من بلدة من بلاد الاسلام ليس فيها طبيب) مطلقا اللهم (الا من أهل الذمة) كاليهود والنصارى وعبدة الاوثان على اختلاف مللهم (ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء فى أحكام الفقه) لفقدان الامانة والعدالة (ثم لا ترى رأسا أحدا يشتغل به) أى بالطب قراءة وتعليما وفى نسخة يستغل به (ويتهاترون) أى يتنافسون ويترامون بأنفسهم (على) تحصيل فروع (علم الفقه) وما يستنبط بها من النوادر التى لا تقع غالبا (لاسيما الخلافيات) فيه (والجدليات) التى الغرض منها الزام الخصم باقامة الحجة (والبلد مشحون) أى مملوء (من الفقهاء عمن يشتغل بالفتوى) أى يحمله استقلالا (والجواب عن الوقائع) والنوازل (فليت شعرى) أى ليت علمى حاضر أو محيط بما صنعوا وأصله شعرتى حذفت التاء مع الاضافة لكثرة الاستعمال (كيف يرخص فقهاء الدين) أى كيف يرون رخصة وجوازا (فى الاشتغال بفرض كفاية قام به جماعة) منهم (واهمال مالا قائم به) وتركه رأسا (هل لهذا سبب) لم نعلمه و (ليس الان) علم (الطب ليس يتيسر الوصول به الى تولى الاوقاف) قبضا واستحقاقا بنظارة أو تدريس أو تنزل فى احدى المدارس (والوصايا) أى الدخول فيها (وحيازة مال الايتام) بان يكون وصيا عليهم أو قيما على أموره نظرا الى ديانته (وتقلد) منصب (القضاء) العام والخاص وقد كان السلف يفرون من ذلك (و) تقلد (الحكومة) والرياسة على قوم (والتقدم على

الاقران) والاصحاب و يندرج فيه مشيخة الجوامع والخوانق والتسلطبه على الاعداء (بان ينتصف لنفسه منهم بجاه علمه هيهات هيهات) وهي كلمة تستعمل لتبعيد الشئ ومنه قول الشاعر

فهيهات هيهات العقيق ومن به * وهيهات خل بالعقيق نواصله

وفيها لغات ذكرتها في شرح القاموس (قداندرس علم الدين) وانطمس أثره (بتلبيس علماء السوء) وتخليطهم وتصويرهم الباطل بصورة الحق (فالله المستعان) لاغيره (واليه اللياذ) أى الالتجاء وأصله الواو وفي بعض النسخ الملاذ (في أن يعيذنا) أي يخلصنا (من هذا الغرور) وهو سكون النفس بما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع (الذي يسخط الرحمن) ويغضبه (ويضحك الشيطان) ويعجبه ثم لما أحس بان أهل الظاهر ينكرون ذلك وأشباهه على من يعظهم من أهل الباطن و ينسبونهم الى الجهل شرع في الرد عليهم فقال (وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب) وهذه العبارة منتزعة من القوت ونصه وقد كان علماء الظاهر اذا أشكل عليهم العلم في المسئلة لاختلاف الادلة سألوا أهل العلم بالله لانهم أقرب الى التوفيق عندهم وأبعد من الهوى والمعصية (وكان الشافعي) رحمه الله ونص القوت منهم الشافعي رحمه الله كان اذا اشتبهت عليه المسئلة لاختلاف العلماء فيها وتكافئ الاستدلال عليها رجع الى علماء أهل المعرفة فسأ لهم وكان (يجلس بين يدى شيبان الراعي) أحد الاولياء العارفين المشهورين بالصلاح والتقوى ترجمه الحافظ أبو نعيم باختصار جدا وكذا الحافظ الذهبي وهذا نصه شيبان الراعي عبد صالح زاهد قانت لله لا أعلم متى توفي ولا من حمل عنه ولا ذكر له أبو نعيم في الحلية الاحكاية واحدة عن محمد بن حمزة المرعشي قال كان شيبان الراعي اذا أجنب وليس عنده ماء دعا فجاءت سحابة فأظلته فاغتسل منها وكان يذهب الى الجمعة فيخط على غنمه فيجيء فيجدها على حالتها اه قلت مات بمصر ودفن بقرب المزني بينه و بين قبر الخياط أحد الصالحين وزعم أهل أسيوط انه مدفون عندهم وقد زرته حين دخلت بها وذكر المناوى في طبقاته ان أبا علي بن سينا كاتب شيبان الراعي بما نصه الحكمة صناعة نظرية يستفيد منها الانسان تحصيل ما عليه الوجود بأسره في نفسه وما عليه الواجب فيما ينبغي أن يكتسبه بعلمه فتفوق بذلك نفسه ويستكمل ويصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الموجود ويستعد للسعادة القصوى في الآخرة وذلك بحسب الطاقة الانسانية والعقل له مراتب وأسماء بحسب تلك المراتب فالاول هو الذي استعد به الانسان لقبول العلوم النظرية والصنائع الفكرية وحدة غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم النظرية ثم يترقى في معرفة المستحيل والممكن والواجب ثم ينتهي الى حد يقمع الشهوات البهيمية واللذات الحسية فتجلى له صورة الملائكة اذا تحلى بحلها وعلم بغايته وموضعه ولما خلق فأجاب من شيبان الابله الا لكن الى الحبر أبي علي وصل كتابك مشتملا على ماهية العقل وحقيقته وقد ألفيته وافيا بمقصود لا بمقصودى وما أظنه أدرك شيبان ولا طبقة من روى عنه فتأمل ذلك (كما يقعد الصبي في المكتب بين يدى المعلم) ونص القوت بين يدى المكتب (ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا) لمسائل يذكرها (فيقال له) يا أبا عبدالله (تسأل هذا البدوى) أى لانه كان على هيئتهم و يرعى الغنم ولا يخالط الناس ومعرفة العلوم بعيدة عن مثلهم (فيقول ان هذا وفق لما أغفلناه) وفي القوت لما علمناه أي قد كشف له الغطاء فصارت المعلومات عنده يقينية وفي المقاصد للحافظ السخاوى أنكر الامام ابن تيمية اجتماع الامام الشافعي مع شيبان الراعي فقال مانصه ما اشتهر بان الشافعي وأحمد اجتمعا بشيبان الراعي وسألاه فباطل باتفاق أهل المعرفة لانهما لم يدركاه اه أى لم يدركا عصره لتقدم وفاته وقد تقدم ان الذهبي قال لا أعلم متى توفي وقد أثبت لقيهما اياه غير واحد من العلماء ففي الفتوحات للشيخ الاكبر قدس سره مانصه لما سأله أحمد والشافعي عن زكاة

الغنم

فرقت بين النفس والروح وجعلت كل واحد منهما غير الآخر وهذا قل ماتساعد عليه اذ قد كثر الخلاف في ذلك فاعلم انه انما على الانسان أن يبني كلامه على مايعلم لا على مايجهل وأنت لو علمت النفس والروح علمت انهما اثنان فان قلت فقد سبق في الاحياء انهما شئ واحد وقلت في هذه الاجابة ان النفس من أسماء الروح فالذي سبق في الاحياء ورأيت في هذه الاجابة وهو شئ واحد لا يتناقض مع ماقلناه الآن وذلك

الاقران والتسلط به على الاعداء هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس علماء السوء فالله تعالى المستعان واليه الملاذ في أن يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب كان الامام الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدى شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوى فيقول ان هذا وفق لما أغفلناه

الغنم قال على مذهبنا أو مذهبكم ان كان على مذهبنا فالكل لله لاغلك شيأ وان كان على مذهبكم ففى كل أربعين شاة شاة وعمن نسى صلاة من الخمس لايدرى ماهى ما يلزمه قال هذا قلب غفل عن الله فيؤدب باعادة الخمس حتى لايغفل عن مولاه بعدها اه وزاد صاحب القوت وقد كان الشافعى اعتل علة شديدة وكان يقول اللهم ان كان فى هذا رضاك فزدنى منه فكتب اليه المعافرى من سواد مصر ياأبا عبدالله لست واياك من رجال البلاء فنسأل الرضا الاولى بنا ان نسأل الرفق والعافية فرجع الشافعى عن قوله هذا وقال أستغفر الله وأتوب اليه فكان بعد ذلك يقول اللهم اجعل خيرتى فيما أحب اه ثم قال صاحب القوت (و) قد (كان أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى (و) أبوزكريا (يحيى بن معين) بفتح الميم وكسر العين المهملة ابن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن وقيل يحيى بن معين بن غياث ابن زياد بن عون بن بسطام وقيل يحيى بن معين بن عون بن زياد بن نهار بن خيار بن نهار بن بسطام المرى الغطفانى البغدادى الحافظ مولى غطفان وهو من أهل الانبار قال أبو بكر الخطيب كان اماما ربانيا عالما حافظا ثبتا متقنا وقال أبو أحمد بن عدى أخبرنى شيخ كاتب ببغداد فى حلقة أبى عمران بن الاشيب ذكر انه ابن عم ليحيى بن معين قال كان معين على خراج الرى فمات فخلف لابنه يحيى ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم فانفقه كله على الحديث حتى لم يبق له نعل يلبسه وقال أبو عبيد القاسم ابن سلام انتهى العلم الى أربعة أبى بكر بن أبى شيبة أسردهم له وأحمد بن حنبل أفقههم فيه وعلى بن المدينى أعلمهم به ويحيى بن معين أكتبهم له وفى رواية أخرى ربانيو الحديث أربعة فأعلمهم بالحلال والحرام أحمد بن حنبل وأحسنهم سياقة للحديث وأداء له ابن المدينى وأحسنهم وضعا لكتابه ابن أبى شيبة وأعلمهم بصحيح الحديث وسقيمه يحيى بن معين وسئل أبو على من أعلم بالحديث ابن معين أو أحمد فقال اما أحمد فاعلم بالفقه والاختلاف وأما يحيى فاعلم بالرجال والكنى وقال هرون بن بشير الرازى كاتب ابن معين استقبل القبلة رافعا يديه يقول اللهم ان كنت تكلمت فى رجل وليس هو عندى كذابا فلاتغفرلى وقال أبو بكر محمد بن مهرويه سمعت على بن الحسين بن الجنيد يقول سمعت ابن معين يقول انا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم فى الجنة أكثر من مائتى سنة قال ابن مهرويه فدخلت على عبد الرحمن بن أبى حاتم وهو يقرأ على الناس كتاب الجرح والتعديل فحدثتهم بهذه الحكاية فبكى وارتعدت يداه حتى سقط الكتاب من يده وجعل يبكى و يستعيدنى الحكاية أوكما قال ولد سنة ثمان وخمسين ومائة ومات بالمدينة لسبع ليال بقين من ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وغسل على أعواد النبى صلى الله عليه وسلم وحمل على سريره ونودى بين يديه هذا الذى كان ينفى الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى له البخارى ومسلم وأبو داود وروى له الباقون (يختلفان) أى يترددان (الى) أبى محفوظ (معروف) ابن فيروز الكرخى من المشايخ الكبار مجاب الدعوة يستشفى بقبره يقول البغداديون قبر معروف ترياق مجرب وهو من موالى على بن موسى الرضا مات سنة مائتين وقيل احدى ومائتين وكان استاذ السرى السقطى كذا فى رسالة القشيرى وقيل فى سنة أربع والاول أصح والكرخ اسم لعدة مواضع ومعروف من كرخ بغداد موضع بجانبه الغربى وقيل هو من كرخ جداق وقد ذكرنا تفصيله فى شرح القاموس وكان اماما جليلا زاهدا سمع الحديث من بكر بن خنيس والربيع بن صبيح وعنه خلف بن هشام البزار وله ترجمة واسعة فى تاريخ الاسلام للذهبى وفى الحلية (ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما) أى لانه غلب عليه الزهد ونص القوت ولم يكن يحسن من العلم والسنن مايحسنانه (وكانا يسألانه) عن المسائل زاد صاحب القوت وحدثونا عن عبدالله بن أحمد قال قلت لابى بلغنى انك كنت تختلف الى معروف أكان عنده حديث فقال يابنى كان عنده رأس الامر تقوى الله عز وجل اه وقال الشعرانى فى الاجوبة المرضية عن العز بن عبد السلام فى رسالته مما

ان لها معنى يسمى بالروح تارة وبالنفس أخرى وبغير ذلك ثم لايبعد أن يكون لها معنى آخر ينفرد باسم النفس فقط ولا يسمى به روح ولاغير ذلك فهذا آخر الكلام فى أحد وجهى الاضافة التى فى ضمير صورته والوجه الآخر وهو ان من حمل اضافة الصورة الى الله تعالى على معنى التخصص به فذلك لان الله سبحانه نبأ بانه حى قادر سميع بصير عالم مريد متكلم فاعل وخلق آدم عليه السلام حيا قادرا عالما سميعا بصيرا مريدا متكلما فاعلا وكانت لآدم عليه السلام صورة محسوسة مكنونة مخلوقة مقدرة بالفعل وهى لله تعالى مضافة باللفظ وذلك ان هذه الاسماء لم يجتمع مع صفات آدم الا فى الاسماء التى هى عبارة تلفظ فقط ولا يفهم من ذلك نفى الصفات وليس هو مرادنا وانما مرادنا تباين مابين الصورتين بابعد وجوه الامكان حتى لم يجتمع صفات الله تعالى الا فى الاسماء الملفوظ بها لاغير وفرارا ان ثبت صورة الله

وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخى ولم يكن فى الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه

بدلك على ان القوم قعدوا على قواعد الشريعة وقعد غيرهم على الرسوم مايقع على يد أحدهم من الكرامات والخوارق ولايقع ذلك على يد فقيه قط ولو بلغ الغاية في العلم الا ان سلك طريقهم واعتقد صحتها وكان الشيخ قبل ذلك يقول وهل ثم طريق أو علم غير ماأبدينا من مسائل الشريعة وأصولها وينكر طريق الصوفية لعدم ذوقه لها واعتقاده فيها انها طريقة زائدة على الشريعة فلما اجتمع بالشيخ أبي الحسن الشاذلي وأخذ عنه قال ماقال وكان امام الحرمين ينكر على الصوفية أولا ثم لما رأى البرهان اعتقدهم ثم قال وقد كان الامام أحمد اذا أشكل عليه أمر سأل عنه أباحمزة البغدادي ويقول ماتقول في هذه المسئلة ياصوفي فاذا قال له معناه كذا وكذا رجع اليه وكان ابن سريج يتردد الى مجلس الجنيد والشبلي ويقول قد استفدت من هؤلاء علوما لم أجدها عند غيرهم وكانوا اذا سألوه عن شئ من مشكلات الطريق التي يسمعها من الجنيد والشبلي يقول لم أفهم منهما شيأ لكن صولة الكلام ليست بصولة مبطل اه وقال صاحب القوت قيل لاحد لاى شئ ذكر هؤلاء الائمة ووصفوا فقال ماهو الا الصدق الذى كان فيهم قيل له ماالصدق قال هو الاخلاص قيل له فما الاخلاص قال الزهد قيل وما الزهد فأطرق ثم قال سلوا الزهاد وسلوا بشر بن الحرث (كيف لا) والذى في القوت بعد قوله سلوا بشر بن الحرث (وقد قال صلى الله عليه وسلم لما قيل له كيف نفعل اذا جاءنا أمر لم نجده في كتاب الله ولا السنة) وفي نسخة في كتاب ولا سنة فقال في الجواب (سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم) الشورى بالضم فعلى من الشورة قال العراقي فيه عن على بن أبي طالب وابن عباس أما حديث على فرواه الطبراني في الاوسط من رواية الوليد بن صالح عن محمد بن الحنفية عن على قال قلت يارسول الله ان نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ولانهي فما تأمرنا قال تشاوروا الفقهاء والعابدين ولاتمضوا فيه رأى خاصة رجاله رجال الصحيح ورواه ابن عبد البر في العلم من رواية ابراهيم ابن أبي الفياض عن سليمان بن بزيع عن مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن على ابن أبي طالب رضي الله عنه قال قلت يارسول الله الامر ينزل بنا لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه منك سنة قال اجمعوا له العالمين أو قال العابدين من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم ولاتقضوا فيه برأى واحد وفي رواية له اجمعوا له العابدين من غير شك قال ابن عبد البر هذا حديث لايعرف من حديث مالك الا بهذا الاسناد ولا أصل له في حديث مالك عندهم ولا في حديث غيره وابراهيم وسليمان ليسا بالقويين والله أعلم اه وقال ابن يونس سليمان بن بزيع منكر الحديث وابراهيم بن أبي الفياض روى عن أشهب مناكير وأما حديث ابن عباس فرواه الطبراني من رواية اسحق بن عبد الله بن كيسان المروزي عن أبيه عن عكرمة فذكر حديثا قال فيه قال على يارسول الله أرأيت ان عرض لنا مالم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه سنة منك قال تجعلونه شورى بين العابدين من المؤمنين الحديث وعبد الله بن كيسان منكر الحديث قاله البخاري وابنه اسحق نسبه الحاكم وقد ورد من وجه آخر مرسلا رواه الدارمي في مسنده من حديث أبي سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الامر يحدث ليس في كتاب ولا سنة قال ينظر فيه العابدون من المؤمنين وهذا انما يصح من قول ابن مسعود موقوفا رواه الطبراني وابن عبد البر في اثر طويل وفيه فان أتاه أمر ليس في كتاب الله ولم يقض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون واسناده ثقات يحتج بهم اه وفي القوت وقد روينا في خبر قيل يارسول الله كيف نصنع فذكر مثل سياق المصنف وفي آخره ولاتقضوا فيه أمرا دونهم ثم قال وفي حديث معاذ فان جاءك ما ليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقض فيه بما قضى الصالحون فقال الحمد لله الذى وفق رسول رسوله وفي بعضها اجتهد رأيي وكان سهل يقول لا تقطعوا أغراض الدين والدنيا الا بمشورة العلماء تجدوا العاقبة عند الله تعالى قيل ياأبا محمد من العلماء قال الذين

تعالى ويطلق عليها حالة الوجود فافهم هذا فانه من أدق مايقرع سمعك ويلج قلبك ويظهر لعقلك ولهذا قيل لك فان كنت تعتقد الصورة الظاهرة ومعناه ان جلت احدى الصورتين على الاخرى في الوجود تكن مشبها مطلقا ومعناه لتتيقن انك من المشبهين لامن المنزهين على نفسك بالتشبيه معتقدا ولا ينكر كما قيل كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة أي تتلبس بدينهم وتريد أن لاتنسب اليهم أي تقرأ التورية ولا تعمل بها وان كنت تعتقد الصورة الباطنة منزها مجللا ومقدسا مخلصا أي ليس تعتقد من الاضافة في الضمير الى الله تعالى الا الاسماء دون المعاني فتلك المعاني المسماة لايقع عليها اسم صورة على حال وقد حفظ عن الشبلي رحمة الله عليه في معنى ماذكرناه من هذا الوجه قول بليغ مختصر حين سئل عن معنى الحديث فقال خلقه الله على الاسماء

وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قيل له كيف نفعل اذا جاءنا أمر لم نجده في كتاب ولا سنة فقال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم

يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله عز وجل على نفوسهم وقد قال عمر رضى الله عنه فى وصيته وشاور فى أمورك الذين يخشون الله عز وجل اهـ (ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الارض) كما أن الكواكب زينة السماء (و) زينة (الملك) وهو عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية (وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت) وهو عالم الغيب المختص بأرواح النفوس وفيه حسن المقابلة بين الارض والسماء والملك والملكوت والظاهر والباطن وقد أورده صاحب القوت فقال كانوا يقولون علم الظاهر من عالم الملك وعلم الباطن من عالم الملكوت يعنون ان ذلك من علم الدنيا لانه يحتاج اليه فى أمور الدنيا وهذا من علم الآخرة لانه من زادها وهذا هو كما قالوه لان اللسان ظاهر فهو من الملك وهو خزانة العلم الظاهر والقلب خزانة الملكوت وهو باب العلم الباطن فقد صار فضل العلم الباطن على الظاهر كفضل الملكوت على الملك وكفضل القلب على اللسان (وقال) أبو القاسم (الجنيد) محمد بن الجنيد النهاوندى الاصل البغدادى القواريرى سيد الطائفة ومقدم الجماعة وامام أهل الخرقة وشيخ طريقة التصوف وعلم الاولياء فى زمانه ومشهور العارفين تفقه على أبى ثور وكان يفتى فى حلقته وهو ابن عشرين سنة وسمع الحديث عن الحسن بن عرفة وغيره واختص بصحبة السرى السقطى والحرث بن أسد المحاسبى وأبى حمزة البغدادى وكان ورده كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة توفى سنة ٢٩٨ كما فى الطبقات لابن السبكى وفى الرسالة سنة ٢٩٧ (قال لى السرى) ابن المغلس أبو الحسن السقطى شيخى وهو خال الجنيد ومربيه صاحب معروف الكرخى وغيره توفى سنة ٢٥٧ (اذا قمت من عندى من تجالس فقلت المحاسبى) هو أبو عبدالله الحرث بن أسد عالم العارفين فى زمانه وأستاذ السائرين الجامع بين علمى الظاهر والباطن ويقال انما سمى بالمحاسبى لكثرة محاسبته لنفسه قال ابن السمعانى هو امام المسلمين فى الفقه والتصوف والحديث والكلام وكتبه فى هذه العلوم أصول من يصنف فيها واليه ينسب أكثر متكلمى الصفاتية قال ابن السبكى روى عن يزيد بن هرون وطبقته وعنه أبو العباس بن مسروق وأحمد بن الحسين بن عبد الجبار والشيخ الجنيد واسمعيل بن اسحق السراج وغيرهم قال الخطيب له كتب كثيرة فى الزهد وأصول الدين والرد على المعتزلة والرافضة وقال جمع من الصوفية كتبه تبلغ مائتى مصنف قال الاستاذ أبو عبدالله محمد بن خفيف الشيرازى اقتدوا بخمسة من مشايخنا والباقون سلموا اليهم أحوالهم الحرث بن أسد والجنيد بن محمد وأبو محمد رويم وأبو العباس بن عطاء وعمرو بن عثمان المكى لانهم جمعوا بين العلم والحقائق توفى سنة ٢٤٣ (فقال نعم خذ من أدبه وعلمه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين) قال ابن السبكى وكان الحرث قد تكلم فى شئ من المسائل فى الكلام فى الرد على المبتدعة قال أبو القاسم النصراباذى بلغنى ان الامام أحمد هجره لاجل هذا السبب أى لان الامام أحمد كان يشدد النكير على من يتكلم فى علم الكلام خوفا أن يجر ذلك الى مالا ينبغى قال ابن السبكى والظن بالحرث انه انما تكلم حيث دعت الحاجة ولكل مقصد (ثم لما وليت) عنه بظهرى (سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث) وهذا القول أورده صاحب القوت بلفظ كنت اذا قمت من عند السرى قال لى اذا فارقتنى من تجالس فساقه كسياق المصنف (أشار الى أن من حصل الحديث والعلم بالاحكام أولا ثم تصوف أفلح) لان التصوف عبارة عن تطهير السرائر وتزكيتها عن الاخلاق المذمومة وهو متوقف على تحصيل العلوم الشرعية يهتدى بها فى سلوكه والمراد من تحصيل الحديث أخذه عن الثقات وحفظه ثم العمل به والمراد بالعلم التفقه فى الدين فيكون من عطف العام على الخاص (ومن تصوف قبل) تحصيل (العلم) المعهود (خاطر بنفسه) أى أوقعها فى الخطر والهلاك ولا يفلح أبدا وفى القوت بعد ما أورد قول السرى هذا ما نصه يعنى انك اذا ابتدأت بعلم الحديث والاثر ومعرفة الاصول والسنن ثم تزهدت وتعبدت

والصفات لا على الذات فان قلت فكذا قال ابن قتيبة فى كتابه المعروف بتناقض الحديث حين قال هو صورة لا كالصور فلم أخذ عليه فى ذلك وأقيمت عليه الشناعة به واطرح قوله ولم يرضه أكثر العلماء وأهل التحقيق فاعلم ان الذى ارتكبه ابن قتيبة عفا الله عنه نحن اشد اعراضا عنه وأبلغ فى الانكار عليه وأبعد الناس عن تسويغ قوله وليس هو الذى ألممنا نحن به وأفدناك بحول الله وقوته اياه بل يدمنك انك لم تفهم غرضنا وذهلت عن عقل مرادنا ولم تفرق بين قولنا وبين ما قاله ابن قتيبة ألم أخبرك انا أثبتنا الصورة فى التسميات وهو أثبتها حالة للذات فاين من لب

ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت وقال الجنيد رحمه الله قال لى السرى شيخى يوما اذا قمت من عندى فمن تجالس قلت المحاسبى فقال نعم خذ من علمه وادبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث أشار الى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه

تقدمت في علم الصوفية وكنت صوفيا عارفا واذا ابتدأت بالتعبد والتقوى والحال شغلت به عن العلم والسنن فخرجت اما شاطحا أو غالطا لجهلك بالاصول والسنن فأحسن أحوالك أن ترجع الى العلم الظاهر وكتب الحديث لانه هو الاصل وقد قيل انما حرموا الوصول لتضييع الاصول هي كتب الاصول ومعرفة الآثار والسنن اهـ وفي الرسالة للقشيري ويحكى عن السري انه قال المتصوف اسم لثلاث معان وهو الذي لايطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله وقال الجنيد الطرق كلها مسدودة على الخلق الا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم قال وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا عمر الانماطي يقول سمعت الجنيد يقول من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لايهتدى به في هذا الامر لان علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا نصر الاصفهاني يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول عن الجنيد مذهبنا هذا مقيد بالاصول والكتاب والسنة اهـ فهذا وأمثال ذلك مما يؤيد قوله السابق في تقديم الحديث على التصوف ومن هنا قال بعضهم من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق (فان قلت فلم لم تورد في أقسام العلوم) علم (الكلام وعلم الفلسفة) مع شدة شهرتهما واكباب الناس على تحصيلهما (وتبين انهما مذمومان) فيتركان (أو محمودان) فيعتنى بهما (فاعلم ان) علم (الكلام) وهو علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها (وحاصل مايشتمل عليه) علم (الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار) النبوية (مشتملة عليه وما خرج عنهما) أي عن الكتاب والسنة (فهو) لايخلو من حالتين (اما مجادلة مذمومة) نهى الشارع عنها (وهي من البدع كما سيأتي بيانه واما مشاغبة) أي مخاصمة مع رفع الصوت (بالتعلق بمناقضات الفرق) أي المسائل التي ناقض بها بعضهم بعضا (وتطويل) وقت (بنقل المقالات) الكثيرة المختلفة (التي أكثرها ترهات) أي بواطل قال الزمخشري والترهات في الاصل للطرق الصغيرة المتشعبة من الجادة ثم استعيرت في الاقاويل الخالية عن طائل (وهذيانات) لامزية فيها (تزدريها) أي تحقرها (الطباع) السليمة (وتمجها) تلقيها (الاسماع) المستقيمة (وبعضها خوض) واشتغال (فيما لايتعلق بالدين) أصلا وفي سياق هذا الكلام رد على بعض جهال المناطقة الزاعمين ان الشريعة خطاب للجمهور ولا احتجاج فيها وان الانبياء دعوا الجمهور بطريق الخطاب والحجج للخواص وهم أهل البرهان يعنون نفوسهم ومن سلك طريقتهم وربما تعلق بعضهم بظاهر قوله تعالى وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم وهذا الذي فهموه ليس بشئ ومعنى الآية قد وضح الحق واستبان وظهر فلا خصومة بيننا وبينكم بعد ظهوره ولا مجادلة فان الجدال شريعة موضوعة للتعاون على اظهار الحق فاذا ظهر الحق ولم يبق به خفاء فلا فائدة في الخصومة والجدال على بصيرة فمخاصمة المنكر ومجادلته عناد لاغنى فيه هذا معنى هذه الآية وأما انكارهم الاحتجاج في القرآن فمن جهلهم بالشريعة والقرآن فان القرآن مملوء من الحجج والادلة والبراهين في مسائل التوحيد واثبات الصانع والمعاد وارسال الرسل وحدوث العالم فلايذكر المتكلمون وغيرهم دليلا صحيحا على ذلك الا وهو في القرآن بأفصح عبارة وأتم معنى وقد اعترف بذلك حذاقهم من المتقدمين والمتأخرين فمن ذلك تقرير المصنف السابق ومن ذلك قال الفخر الرازي في كتابه أقسام اللذات لقد تأملت الكتب الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تروى غليلا ورأيت أقرب الطريق طريقة القرآن أقرأ في الاثبات اليه يصعد الكلم الطيب الرحمن على العرش استوى وأقرأ في النفي ليس كمثله شئ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي وقال بعضهم أفنيت عمري في الكلام أطلب

الجوز قشور تفرقع والذى يغلب على الظن في ابن قتيبة انه لم يقرع سمعه هذه الدقائق التي أشرنا اليها واخرجناها الى حيز الوجود بتأييد الله تعالى بالعبارة عنها وانما ظهر له شئ لم يكن له به الف وعلاه الدهش فتوقف بين ظاهر الحديث الذي موجب عند ذوى القصور تشبيها وبين التأويل الذي ينفيه فاثبت المعنى المرغوب عنه وأراد نفي ماخاف من الوقوع فيه فلم يتأت له اجتماع مارام ولا نظام ما اقترف فهاهو صورة لا كالصورة ولكل ساقطة لاقطة فتبادر الناس الى الاخذ عنه

(فصل) ومعنى قاطع الطريق فانك بالواد المقدس طوى أى دم على ماأنت

فان قلت فلم لم تورد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذمومان أو محمودان فاعلم ان حاصل مايشتمل عليه علم الكلام من الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليه وماخرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سيأتي بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما لايتعلق بالدين

الدليل واذا أنا لا أزداد الا بعدا عنه فرجعت الى القرآن أتدبره وأتفكر فيه واذا أنا بالدليل حقا معى وأنا لا أشعر به فقلت والله ما مثلى الا كما قال القائل

ومن العجائب والعجائب جمة * قرب الحبيب وما اليه وصول
كالعيس فى البيداء يقتلها الظما * والماء فوق ظهورها محمول

واذا هو كما قيل بل فوق ما قيل

كفى وشفى ما فى الفؤاد فلم يدع * لذى أرب فى القول جدا ولا هزلا

والمقصود أن القرآن مملوء بالاحتجاج وفيه جميع أنواع الادلة والأقيسة الصحيحة وأمر صلى الله عليه وسلم فيه باقامتها وهذه مناظرات القرآن مع الكفار موجودة ومناظراته صلى الله عليه وسلم وأصحابه لخصومهم لا ينكرها الا جاهل مفرط فى الجهل كما سيأتى بيان ذلك فى كتاب قواعد العقائد ثم اعتذر المصنف فقال (ولم يكن شئ منه مألوفا فى العصر الاول) عند الصحابة والتابعين (فكان الخوض فيه بالكلية من البدع) والمنكرات (ولكن تغير الآن حكمه) باختلاف الازمنة (اذ حدثت البدع) من المبتدعة (الصارفة عن مقتضى نص القرآن والسنة) ومقتضى النص ما لا يدل اللفظ عليه ولا يكون ملفوظا لكن يكون من ضرورة اللفظ (ونبغت) أى ظهرت (جماعة لفقوا) أى جمعوا (لها) لتلك البدع (شبها) وايرادات (ورتبوا فيها كلاما مؤلفا) يقرؤه الناس (فصار ذلك المحذور) أى الممنوع منه (بحكم الضرورة) والاحتياج (مأذونا) بالتكلم (فيه) تعلما وتعليما (بل صار) القدر المحتاج اليه (من فروض الكفايات) وقال السبكى ولا شك أن السكوت عنه ما لم تدع اليه الحاجة أولى والكلام فيه عند فقد الحاجة بدعة وحيث دعت اليه الحاجة فلا بأس به (وهو القدر الذى يقابل به المبتدع اذا قصد الدعوة) أى دعاء الناس (الى البدعة) وحملهم عليها (وذلك الى حد محدود) معين وما زاد وتجاوز عن ذلك الحد فضر مذموم وذلك المحدود (سنذكره فى الباب الذى يلى هذا) ان شاء الله تعالى (وأما الفلسفة) وهى معرفة علوم يحصل بها التشبه بأخلاق الاله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الابدية فى زعمهم (فليست علما برأسها بل هى أربعة أجزاء) يطلق على الكل بهذا الاسم (أحدها الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق وما يمنع منهما الا من يخاف عليه أن يتجاوزهما الى علوم مذمومة) داخلة فيهما كما يأتى بيانه (فان أكثر الممارسين لهما) المشتغلين بهما (قد خرجوا منهما الى البدع) ولم يكتفوا بالوقوف عليهما (فيصان الضعيف) العقيدة (عنه لا لعينه كما يصان الصبى عن شاطئ النهر خيفة من الوقوع فى النهر) فيكون سببا لهلاكه (وكما يصان حديث العهد بالاسلام) قبل أن يتمكن الايمان فى قلبه (عن مخالطة الكفار ومخالتهم خوفا عليه) فى افساد عقيدته (مع ان القوى) فى اسلامه (لا يندب الى مخالطتهم) ولا يؤذن له مع أمنه على دينه وتحرير كلامه فيه ان أنواع الفلسفيات الاربعة رياضية ومنطقية والهية وطبيعية فالرياضة على أربعة أقسام الاول علم الارثماطيقى وهو معرفة خواص العدد وما يطابقها من معانى الموجودات التى ذكرها فيثاغورس وتحته علم الوفق وعلم الحساب الهندى وعلم الحساب القبطى والزنجى وعلم عقد الاصابع الثانى علم الجومطريا وهو علم الهندسة بالبراهين المذكورة فى اقليدس ومنها علمية وعملية وتحتها علم المساحة وعلم التكسير وعلم رفع الاثقال وعلم الحيل المائية والهوائية والمناظر والحرب الثالث علم الاسطرنوميا وهو علم النجوم بالبراهين المذكورة فى المجسطى وتحته علم الهيئة والميقات والزيج والتحويل الرابع علم الموسيقى وتحته علم الايقاع والعروض فهذا كله النوع الاول من الفلسفيات (والثانى المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه) وفى المنقذ من الضلال للمصنف وهو نظر فى طرق الادلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها وشروط الصحيح وكيفية ترتيبها اه وهذا باعتبار الموضوع وباعتبار الغاية

ولم يكن شئ منه مألوفا فى العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الآن حكمه اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مؤلفا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذى يقابل به المبتدع اذا قصد الدعوة الى البدعة وذلك الى حد محدود سنذكره فى الباب الذى يلى هذا ان شاء الله تعالى (وأما الفلسفة) فليست علما برأسها بل هى أربعة أجزاء * أحدها الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما الا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما الى علوم مذمومة فان أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما الى البدع فيصان الضعيف عنهما لا لعينهما كما يصان الصبى عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع فى النهر وكما يصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع أن القوى لا يندب الى مخالطتهم * الثانى المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان فى علم الكلام

آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ و يسمى أيضا علم الميزان وسماه أبونصر الفارابي رئيس العلوم ولكونه آلة في تحصيل العلوم الكسبية النظرية والعملية لامقصودا بالذات سماه ابن سينا خادم العلوم وهما داخلان في علم الكلام وقد اختلف في الاشتغال به على أقوال فمنهم من جعله فرض عين وبناه على عدم ايمان المقلد وهو أبعد الاقوال وأليق بان يقال لصاحبه

أوردها سعد وسعد مشتمل * ماهكذا يا سعد تورد الابل

ومنهم من قال فرض كفاية واليه أشار السيد الجرجاني وغيره وقد رده ابن القيم فقال لافرض الامافرضه الله ورسوله فيا سبحان الله هل فرض الله على كل مسلم أن يكون منطقيا فان فرض الكفاية كفرض العين في تعلقه بعموم المكلفين وانما يخالفه في سقوطه بفعل البعض والمنطق لو كان علما صحيحا كان غايته أن يكون كالمساحة والهندسة ونحوها فكيف وباطله اضعاف حقه وفاسده وتناقض أصوله واختلاف مبانيه يوجب مراعاتها للذهن أن يزيغ في فكره ولا يؤمن بهذا الامن قد عرفه وعرف فساده وتناقضه اه ونقل عن المصنف في كتابه المستصفى في أوله هذه مقدمة العلوم كلها ومن لا يحيط بها فلاثقة له بعلمه أصلا وهذا الذى رد عليه أبو عمرو بن الصلاح وأقام عليه النكير في ذلك وحرم الاشتغال به وتبعه الامام النووى وسيأتي الجواب عنه قريبا وأول من بين فساده وتناقضه ومناقضة كثير منه للعقل الصريح وألف فيه أبو سعيد السيرافى النحوى ثم القاضى أبو بكر بن الطيب والقاضى عبد الجبار والجبائى وابنه وأبو المعالى وأبو القاسم الانصارى وخلق لا يحصون وآخر من تجرد لذلك تقى الدين ابن تيمية الحافظ فانه أتى في كتابيه الكبير والصغير بالعجب العجاب وكشف أسرارهم وهتك أستارهم وبه أفتى الحافظ جلال الدين السيوطى وألف فيه القول المشرق في تحريم المنطق ونقل فيه عن الائمة الاربعة مايدل على تحريمه وهو في الحقيقة مختصر مافى كتابى ابن تيمية مع زيادات فرعية وقد رد عليه أبو عبدالله محمد بن عبد الكريم المغيلى من المغاربة وقال ابن القيم في الرد على المنطق نظما

واعجبا لمنطق اليونان * كم فيه من افك ومن بهتان * مخبط لجيد الاذهان
ومفسد لفطرة الانسان * ومبكم للقلب واللسان * مضطرب الاصول والمبانى
على شفاهار بناه البانى * أحوج ما كان عليه العانى * يخونه في السر والاعلان
عشى به اللسان في الميدان * مشى مقيد على صفوان * متصل العثار والتوانى
كأنه السراب من قيعان * بدا العين الظامئ الحيران * فأمه بالظن والحسبان
يرجو شفاء علة الظمآن * فلم يجد ثم سوى الحرمان * فعاد بالخيبة والخسران
يقرع سن نادم حيران * قد ضاع منه العمر في أمانى * وخانه الخفة في ميزان

ثم قال وما كان من هوس النفوس بهذه المنزلة فهو بان يكون جهلا أولى منه بان يكون علما تعلمه فرض كفاية أو فرض عين وهذا الشافعى وأحمد وسائر أئمة الاسلام وتصانيفهم وسائر أئمة العربية وتصانيفهم وأئمة التفسير وتصانيفهم لمن نظر فيها هل راعوا فيها حدود المنطق وأوضاعه وهل صح لهم علمهم بدونه أم لا بل كانوا أجل قدرا وأعظم عقولا من أن يشغلوا أفكارهم بهذيان المنطقيين وما دخل المنطق على علم الا وأفسده وغير أوضاعه وشوش قواعده اه وقال على القارى هو من العلوم المذمومة ويسمى دهليز الكفر ونقل عن ابن تيمية انه قال ماأظن الله عز وجل يغفل على المأمون ولا بد أن يعاقبه بما أدخل على الامة من نقل هذا العلم من اليونانية الى العربية اه وأما الجواب عن الغزالى فيما أورده عليه ابن الصلاح على مقالته التى سبقت في أول كتابه المستصفى فقال الشيخ تقى الدين السبكى بعد كلام طويل ولاننكر فضل الشيخ تقى الدين بن الصلاح وفقهه وحديثه وقيده الخير ولكن لكل عمل رجال وأما من ذكر أبا بكر وعمر رضى الله عنهما في هذا المقام فالله يوفقنا واياه لفهم مقامهما

عليه من البحث والطلب فانك على هداية ورشد والوادى المقدس عبارة عن مقام الكليم موسى عليه السلام مع الله تعالى في الوادى وانما تقدس الوادى بما أنزل فيه من الذكر وسمع كلام الله تعالى وأقيم ذكر الوادى مقام ماحصل فيه فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه والا فالمقصود ماحذف لا ما أظهر بالقول اذ المواضع لاتأثير لها وانما هى ظروف

(فصل) ومعنى فاستمع أى سر بقلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات العز تنادى بما نودى به موسى انى أنا ربك اى فرغ قلبك لما يرد عليك من فوائد المزيد وحوادث الصدق وثمار المعارف وارتياح سلوك الطريق واشارات قرب الوصول وسر القلب كما يقول أدن الرأس ووسع الآذان ومايوحى اى مايرد من الله تعالى بواسطة ملك أو القاء في روع اومكاشفة تحقيقه أوضرب مثل مع العلم بتأويله ومعنى لعلك حرف ترويج ومعنى ان لم تدركك آفة تقطعك عن سماع الوحى من اعجاب بحال أو اضافة دعوى الى النفس أوقنوع بماوصلت اليه واستبداد به عن غيره

على قدرنا وأما على قدرهما فمستحيل بل وسائر الصحابة لا يصل أحد ممن بعدهم الى مرتبتهم لان أكثر العلوم التي نحن نتبع وندأب فيها الليل والنهار حاصلة عندهم بأصل الخلقة من اللغة والنحو والتصريف وأصول الفقه وما عندهم من العقول الراجحة وما أفاض الله عليها من نور النبوّة العاصم من الخطأ في الفكر يغني عن المنطق وغيره من العلوم العقلية وما ألف الله بين قلوبهم حتى صاروا بنعمته اخوانا يغني عن الاستعداد في المناظرة والمجادلة فلم يكونوا يحتاجون في علمهم الا الى ما يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة فيفهمونه أحسن فهم ويحملونه على أحسن محمل وينزلونه منزلته وليس بينهم من يماري فيه ولا يجادل ولا بدعة ولا ضلالة ثم التابعون على منوالهم قريبا منهم ثم أتباعهم وهم القرون الثلاثة التي شهد النبي صلى الله عليه وسلم بانها خير القرون بعده ثم نشأ بعدهم وربما في أثناء الثاني والثالث أصحاب بدع وضلالات فاحتاج العلماء من أهل السنة الى مقاومتهم ومجادلتهم ومناظرتهم حتى لا يلبسوا على الضعفاء أمر دينهم ولا يدخلوا في الدين ما ليس منه ودخل في كلام أهل البدع من كلام المنطقيين وغيرهم من أهل الالحاد شئ كثير ورتبوا عليها شبها كثيرة فان تركاهم وما يصنعون استولوا على كثير من الضعفاء وعوام المسلمين والقاصرين من فقهائهم وعلمائهم فاضلوهم وغيروا ما عندهم من الاعتقادات الصحيحة وانتشرت البدع والحوادث ولم يكن كل واحد يقاومهم وقد لا يفهم كلامهم لعدم اشتغاله به وانما يرد على الكلام من يفهمه ومتى لم يرد عليه تعلو كلمته ويعتقد الجاهلون والامراء والملوك المستولون على الرعية صحة كلام ذلك المبتدع كما اتفق في كثير من الاعصار وقصرت همم الناس عما كان عليه المتقدمون فكان الواجب أن يكون في الناس من يحفظ الله به عقائد عباده الصالحين ويدفع به شبه الملحدين وأجره أعظم من أجر المجاهد بكثير وبه يحفظ أمر بقية الناس وعبادات المتعبدين واشتغال الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمقرين وانقطاع الزاهدين

لا يعرف الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعانيها

فاللائق بابن الصلاح وأمثاله أن يشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه من الخير وما قيض له الغزالي وأمثاله الذين تقدموه حتى حفظوا له ما يتعبد به وما يشتغل به اهـ وقال العلامة الحسن اليوسي في حاشيته على الكبرى مانصه وممن تفوّه بذمه السيوطي ذكر في كتابه الحاوي في الفتاوى انه سئل عن انسان كان يقول ان توحيد الله متوقف على علم المنطق وان علم المنطق فرض عين على كل مسلم وان لكل متعلم منه بكل حرف عشر حسنات ولا يصح توحيد من لا يعلمه وان أفتى وهو لا يعلمه فما يفتي به باطل فأجاب بان المنطق خبيث مذموم يحرم الاشتغال به وذكر انه لا ثمرة له دينية أصلا بل ولا دنيوية وذكر جماعة نقل عنهم ذلك ثم ذكر أن المنطق لو قدر انه لا ضرر فيه وانه حق لم ينفع في التوحيد أصلا ولا يظن انه ينفع فيه الا من هو جاهل بالمنطق لا يعرفه لان المنطق انما براهينه على الكليات والكليات لا وجود لها في الخارج ولا تدل على جزئي أصلا قال هكذا قرره المحققون والعارفون بالمنطق قال فهذا الكلام الذي ذكره القائل استدلالنا به على انه لا يعرف المنطق ولا يحسنه فلزم بمقتضى قوله انه مشرك لانه قال التوحيد متوقف على معرفته وهو لم يعرفه بعد هذا حاصل الغرض من كلامه وقد علمت مما مر سقوط هذا الكلام وما احتوى عليه من التخيلات والاوهام أما قوله انه خبيث مذموم فهو دعوى تقدم بيان فسادها وأما قوله انه لا منفعة له فانكار للمحسوس ولكن

ماضر شمس الضحى في الافق طالعة * أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وكيف يحكم عليه بعدم الفائدة وهو لا يعرفه لكن من جهل شيأ عاداه

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

* فاذا كنت بالمدارك غرا * ثم أبصرت حاذقا لا تمارى

ومرادفات الجد هي حجب الملكوت وما نودي به موسى هو علم التوحيد التي وسعت العبارة اللطيفة عنه بقوله حين قال له ياموسى اني أنا الله لا اله الا أنا والمنادى باسمه أزلا وأبدا هو اسم موسى لما سمي السالك الموجود في كلام الله تعالى في ازل الازل قبل أن يخلق موسى لا الى أول وكلام الله تعالى صفة له لا يتغير كما لا يتغير هو اذ ليست صفاته المعنوية لغيره وهو الذي لا يحول ولا يزول وقد زل قوم عظم افتراحهم وهو انهم حملوا صدور هذا القول على اعتقاد اكتساب النبوّة وعياذا بالله من أين يحتمل هذا القول ما حملوه من المذهب أليسوا وهم يعرفون ان كثيرا ممن يكون بحضرة ملك من ملوك الدنيا وهو يخاطب انسانا آخر قلد ولاية كثيرة وفوض اليه عملا عظيما وحباه حباء خطيرا وهو ينادي باسمه أو يأمره بما يمتثل من أمره ثم ان السامع للملك الحاضر معه غير المولى لم يشارك المولى المخلوع عليه والمفوض اليه في شئ مما ولي وأعطي ولم تجب له بسماعه ومشاهدته أكثر من حظوة القربة وشرف الحضور ومنزلة المكاشفة من غير وصول الى درجة

* واذا لم تر الهلال فسلم * لاناس رأوه بالابصار

وأما قوله ان الكليات لاوجود لها فى الخارج فاعجب أن يصدر هذا الكلام احتجاجا فى نحو هذا المقام عن عاقل فضلا عن فاضل وما كنت أحسبه بهذه المنزلة ولقد كنت أراه رحمه الله تعالى يرتفع عنها وعمن له مشاركة وهذا الكلام ينبئ أنه لم يشم رائحة المعقول وتلزمه عليه شناعات منها ان هذا الكلام الذى استدل به يستدعى ويقتضى انه يزعم أن جميع العلوم التى ينتحلها خارجية أى محسوسة وهذا مع بداهة بطلانه ومضاهاته قول السمنية وكونه من قبيل السوفطائية يقتضى انه لم يدرك قانونا فقهيا ولا أصوليا ولا نحويا ولا غير ذلك وان جميع مايدركه منها جزئيات خارجية اذلو كان غير ذلك لكان مما يفيده المنطق فتكون له ثمرة ولاخفاء ان من كان بهذه المثابة ليس له من العلوم مشاركة ولايستحق جوابا ويقتضى انه لم يدرك شيأ من العلوم أصلا لان جميع النسب ليست خارجية بل معان اما كلية أو جزئية وهذه المنزلة لم يكن فيها شئ من الحيوانات الناطقة ولا العجم أما الناطقة فلانها تدرك الثلاثة أعنى المعانى الكلية والصور الخارجية والمعانى الجزئية موجودة فى الصور أم لا وأما العجم فلانها تدرك الصور والمعانى الجزئية الموجودة فيها أما الحاضر المدرك فى الخارج فليس من الحيوانات أصلا ومنها أن هؤلاء العلماء الذين نقل عنهم هذا يلزمه أن لا يثق بنقلهم لانهم فساق حيث اشتغلوا بالمنطق المحرم لاعترافه انهم عارفون به ومنها مايفعله أئمة الاصول والكلام فى تآليفهم بتصدير الكتاب بجملة من المنطق كصاحب المختصر وصاحب الطوالع وغيرهما حرام ويلزمه أن لا يقرأ شيأ من هذه الكتب أو ان يتخطى ذلك الموضع ومنها انه يلزمه أن لا يدرك الا الكتاب والسنة ويحرم ما سواهما كما تقدم من مذهب الحشوية والظاهرية لان علم الكلام انما هو على منوال المنطق الى غير هذا من النكت السوء التى يسفر عنها وجه هذا الكلام مع ماقبله وما بعده ومفاسد قلة التأمل أكثر من أن يحيط بها نطاق البيان ومن ادعى على غير بصيرته فضحته شواهد العيان ولو تصدينا لهذه المسئلة لاسمعناك منها مايثلج الصدور ويطلع فى سمائها لوامع البدور ولكن أعرضنا عنها مخافة السآمة وقد كنت هممت لما اطلعت على ذلك الكلام أن أضع فيها جزأ مستقلا فرأيت ذلك كالبطالة ولولا أن يستميل البلداء مافى مقالتى من الاغراب ويظنوا انه هو فصل الخطاب لكان السكوت عن هذه المسئلة رأسا هو الصواب واعارتها اذنا صماء هو غاية الجواب

ورب كلام طار فوق مسامعى * كما طار فى لوح الهواء ذباب

وما قصدنا بهذا الكلام تنقيص العلماء ولا اهتضام الجلال السيوطى وانما ألزمناه ذلك لكلامه وانا نعلم انه من الفضلاء وانه ليس بتلك المنزلة التى ألزمناه لكن وان كان بعين التوقير والاجلال فالحق أحق أن يتبع ومن كلام ارسطو الحكيم فى حق شيخه افلاطون انا نحب الحق ونحب افلاطون ما اتفقا فاذا اختلفا كان الحق أولى منه هذا أن أراد تحريم المنطق رأسا وأما ان أراد الزجر عن التوغل فيه والافراط والاشتغال بتشدق فيه عن الكتاب والسنة أو أراد نهى البليد عن الخوض فيه فهذا مسلم صحيح وكذا بطلان ذلك الكلام المسؤل عنه وماذكر فى المنطق هو كذلك وبعد كتبى هذا رأيت كلام الشيخ الماهر الفقيه المتبحر أبى عبدالله محمد بن عبدالكريم المغيلى فى رده على السيوطى وكان السيوطى اذا ألف تأليفا بعثه ليه فلما ألف تأليفه الذى سماه القول المشرق فى تحريم المنطق بعثه اليه فرد عليه المغيلى غاية الرد وبالغ فى الانكار عليه وقال فى ذلك قصيدة منها

سمعت بأمر ما سمعت بمثله * وكل حديث حكمه حكم أصله
أيمكن ان المرء فى العلم حجة * وينهى عن الفرقان فى بعض قوله
هل المنطق المعنى الا عبارة * عن الحق أو تحقيقه حين جهله

معانيه

المخاطب بالولاية والمفوض اليه الامر ولذلك هذا السالك المذكور اذا وصل فى طريقه ذلك بحيث يصل بالمكاشفة والمشاهدة واليقين التام الذى يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل المعلوم فلا يمتنع أن يسمع مايوحى لغيره من غير أن يقصد هو بذلك اذ هو محل سماع الوحى على الدوام وموضع الملائكة وكفى بها انها الحضرة الربوبية وموسى عليه السلام استحق الرسالة والنبوة ولا استوجب التكليم وسماع الوحى مقصودا بذلك بحلوله فى هذا المقام الذى هو المرتبة الثالثة فقط بل قد استحق ذلك بفضل الله تعالى حين خصه بمعنى آخر ترقى الى ذلك المقام اضعافا فجاوز المرتبة الرابعة لان آخر مقامات الاولياء أول مقامات الانبياء وموسى عليه السلام نبى مرسل فمقامه أعلى بكثير مما نحن آخذون فى أطرافه لان هذا المقام الذى هو المرتبة الثالثة ليست من غايات مقام الولاية بل هو الى مباديها أقرب منه الى غاياتها فمن لم يفهم درجات المقام وخصائص النبوة وأحوال الولايات كيف يتعرض للكلام فيها والطعن على أهلها هذا لا يصلح الا لمن لا يعرف انه مؤاخذ بكلامه محاسب

معانيه في كل الكلام فهل ترى * دليلا صحيحا لا يرد لشكله
أو هل هداك الله منه قضية * عن غير هذا تنتهى عن محله
ودع عنك أبداه كفور وذمه * رجال وان اثبت حجة نقله
خذ العلم حتى من كفور ولا تقم * دليلا على شخص بمذهب مثله
عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن * به لا بهم اذهم هداة لاجله
لئن صح عنهم ماذكرت فكم هم * وكم عالم بالشرع باح بفضله

وأراد بالفرقان المنطق لانه يفرق بين الخطا والصواب وفي قوله ان أثبت حجة نقله مع قوله قبله ما سمعت وقوله عقبه لئن صح عنهم ماذكرت اشارة الى عدم تسليم صحة مانقله وتأمل ماأشار اليه رحمه الله تعالى في أبياته من الردود القاطعة والاجوبة القامعة ولولا خشية الاطالة لوشحنا هذه الابيات بما يحرر في هذا المبحث أقصى الغايات وتنصب على منهجه سواطع الآيات اه كلام اليوسي رحمه الله تعالى قال اعلم ان الشيخ أبا الوفاء الحسن بن مسعود اليوسي وأبا عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي لاينكر فضلهما ولا جلالة قدرهما وأين هما من معرفة مقام السيوطي فان لكل علم رجالا ولنقدم قبل الخوض في الكلام بمقدمة لطيفة ثم نتكلم معهما بالانصاف وان لم أبلغ شأوهما ان الانسان قد ينشأ في قطر ألف أهله فنا من الفنون وتعودوا على تحصيله فيربى عليه من الصغر حتى يصير ذلك عادة له وديدنا كما يتربى اللحم والعظام على القدر المعتاد والعادة اذا قويت غلبت حكم الطبيعة ولذا قيل هي طبيعة ثانية ثم يأتيه مايخالفه وهلة واحدة يريد ازالته واخراجه من قلبه وان يسكن موضعه فيعسر عليه الانتقال و يصعب عليه الزوال وهذا أغلب الاسباب على أرباب المقالات والنحل ليس على أكثرهم بل جميعهم الاماعسى ان يشذ الاعادة ومن تربى عليه طفلا لايعرف غيره ولايحس به فالانتقال عنه كالانفكاك عن الطبيعة الى طبيعة ثانية وكان قطر المغرب المحروس في أول ما نشا فيه الاسلام الغالب على أهله الميل الى علوم الشريعة وعدم الخوض في علوم الفلسفة رأسا فكان فيهم مثل الامام الحافظ بقي بن مخلد القرطبي صاحب المسند المشهور وابن حزم وابن عبد البر وأمثالهم ثم القاضي عياض وأبو عبد الله المازري والطرطوشي وأمثالهم فهؤلاء كانوا في غاية الصلابة في علوم الشريعة وذم الفلسفة وعدم النظر في كتبهم ولما كان القرن الخامس وفد جماعة منهم الى عراق العجم ونقلوا عنهم المنطق وغيره فكان من الامام المازري وابن حرزهم والقاضي عياض ما كان في افتائهم باحراق كتاب الاحياء لما رأوه على طريقة غريبة تخالف ظاهر طريقة الفقهاء وكان من ابن رشد ما كان من الطامات ثم في الاواخر ظهرت من جبال تقوسة والجربة قوم خوارج نظروا في الفلسفة وخالطوا علماء الاسلام وأوردوا عليهم شبها لفقوها فاحتاج علماء ذلك العصر الى الخوض في المنطق وتوغلوا في الكلام لاجل الرد عليهم خوفا منهم على ضعفاء العقائد من المؤمنين حتى جاء القطب الكامل أبو عبد الله سيدي محمد بن السنوسي الحسني نفع الله به فتصدى للرد عليهم و بالغ في الانكار والتعصيب لمدافعتهم فألف رسائل في المنطق والكلام وشغل الناس بها وفي آخر الامر دعا عليهم فأبادهم الله تعالى وكفى الله المؤمنين شرهم وكان قصده في ذلك جميلا لانه ذب عن عقائد المسلمين وحماها عن التسلط بايراد الشبه عليها وأتى من بعده من العلماء والفضلاء فولع بطريقته مع صلاح المشار اليه وشهرته بالكرامات في ذلك القطر وتلقاها خلف عن سلف وخاضوا فيها حتى صاروا أئمة في ذلك يشار اليهم بالبنان ثم اختلط الامر بعد ذلك ونشا بعدهم من تلقى عنهم ذلك فظن انه لا كمال الا فيما هو مشتغل به فصار ما يشتغل به من المنطق وغيره كالغذاء له فلا يسمع فيه عذل عاذل ولا لوم لائم حتى نزعت عنهم رواية الحديث والآثار الاخبارية بقيت على نهج الرعيل الاول حتى ترى عصر شيوخ مشايخنا منهم الذين وفدوا مصر لم يكن عندهم من الرواية الاشئ قليل

بفطنته ويقينه مكتوب عليه خطر انه محفوظ عليه لحظاته مخلصا منه بفطانته وغفلاته فما يلفظ من قول الالديه رقيب عتيد فان قلت أراك قد أوجبت له نداء الله تعالى ونداء كلامه والله تعالى يقول تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فقد نبه ان تكليم الله تعالى لمن كلمه من الرسل انما هو على سبيل المبالغة في التفضيل وهذا لايصلح أن يكون لغيره ممن ليس بنبي ولا رسول واذا ابتدأ السبب وقصد بادر الشك العارض في مسالك الحقائق فنقول ليس في الآية ما يردما قلنا ولايكسره لانا ما أوجبنا انه كلمه قصدا ولاتوخاه بالخطاب عمدا وانما قلنا يجوز أن يسمع مايخاطب الله تعالى به غيره مما هو أعلى منه أليس من يسمع كلام انسان مثلا مما يتكلم به غير السامع فيقال فيه انه كلمه وقد حكى ان طائفة من بني اسرائيل سمعوا كلام الله تعالى الذي خاطب به موسى حين كلمه ثم اذا ثبت ذلك لم يجب لهم به درجة موسى عليه السلام ولا المشاركة في نبوته ورسالته على انا نقول نفس ورود الخطاب الى السامعين من الله تعالى

فبسبب ذلك راج أمره فى مصر وكبوا على تحصيله بعد ان لم يكونوا يشتغلون به الا مذاكرة فى بعض الاحيان تشحيذا للاذهان وهذا هو السبب فى اضمحلال علم الحديث ودروس آثاره وقلة حملته وذهاب أحباره فاذا عرفت ماذكرناه لك اجمالا فاعلم ان قول السيوطى فى جواب السائل انه أى المنطق خبيث صحيح وتقرير ذلك ان القلب يعترضه مرضان يتواردان عليه اذا استحكما فيه كان هلاكه وموته وهما مرض الشهوات ومرض الشبهات وهو أصعبهما وأقتلهما للقلب واليه يشير قوله تعالى فى حق المنافقين فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا وقوله تعالى ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ومن أمراض القلب حب الرياسة والعلو فى الارض وهذا المرض مركب من مرض الشهوة والشبهة فانه لابد فيه من تخيل فاسد وارادة باطلة كالعجب والفخر والخيلاء والكبر المركب من تخيل عظمته وفضله وارادة تعظيم الخلق له ومحمدتهم فلا يخرج مرضه عن شهوة أو شبهة أو مركب منهما وهذه الامراض اذا تدبرتها بالفكر الصحيح مفسدة للقلب متولدة من المنطق فهو أحرى بان يسمى خبيثا لذلك فان الخبيث ضد الطيب وما يفسد القلب الذى هو خزانة الله لاسرار معرفته فهو خبيث مخبث واذا فسد القلب فسد الفكر فلا يخطر بباله سوى مناقضات ومجادلات مذمومة بينها وبين علماء الآخرة فرق كثير وأما قول السيوطى انه مذموم فصحيح أيضا نظرا لما ذكرنا وناهيك من ذمه من علماء الاسلام كابى سعيد السيرافى النحوى وأبى طالب المكى والقاضى أبى بكر بن الطيب والامام أبى المعالى وأبى القاسم الانصارى وأبى عمرو بن الصلاح والشرف النووى والحافظ بن تيمية وغيرهم وهم كثيرون فهؤلاء أساطين الاسلام وعمد الدين وكفى للسيوطى أسوة بهؤلاء من جالينوس وأفلاطون وكونه علما برأسه مسلم ولكن كم من علم هو معلوم لصاحبه وصاحبه يسمى بذلك عالما الا انه ليس من العلوم التى ينفع صاحبه فى الآخرة بل من علوم الدنيا المورث للصفات المتقدمة وكونه وسيلة الى العلوم مسلم ولكن أكثر بحوثه ومسائله فضلة لا يفتقر معرفة الخطاب وفهمه عليها بل أكثرها ترهات وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين أصلا فكيف يقال ان تعلمها واجب ونحن نقول ان المطلوب الواجب من العبد من العلوم والاعمال اذا توقف على شئ منها كان ذلك الشئ واجبا وجوب الوسائل ومعلوم ان ذلك التوقف يختلف باختلاف الاشخاص والالسنة والاذهان وليس لذلك حد مقدر ولعمرى ان الشيطان حريص على ايقاع العبد فى أسباب طرق الهلاك لا يفتر يقظة ولا مناما ولا بد له اذا أيس من ان يحول بينه وبين الايمان الذى هو غاية مراده ان يوقعه فى احدى هؤلاء اما ان يحرضه على البدعة وهى أحب اليه من المعصية فان المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها لان صاحبها يرى انه على هدى واما ان يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه واما ان يسلط عليه حزبه يرمونه بالعظائم ليشغل قلبه عما هو اهم وأيضا فان اشتغال الفكرة فى صدر تحصيله مرض للقلب وأمراض القلوب أصعب من أمراض الابدان لان غاية مرض البدن ان يفضى بصاحبه الى الموت وأما مرض القلب فيفضى بصاحبه الى الشقاء الابدى وأين هذا من قوله تعالى يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين بل جعل بعضهم الاشتغال به نوعا من الغفلة وبمنزلة عشق الصور الذى سئل عنه بعض العلماء فقال قلوب غفلت عن ذكر الله فابتلاها الله بعبودية غيره وأنت لا تجد فى كتب هؤلاء ذكر الله وذكر رسوله قط ما عدا الخطبة ولا تجد مجالسهم الا مشحونة بالجدال المذموم والخصام المنهى عنه والرد والتعبير والطعن والتحقير ومن مارسهم عرف منهم ذلك وما كان بهذه المثابة فاحرى ان يبذر فى القلب أنواع الامانى والشبهات والشهوات والخيالات فيثمر كل شوك وكل بلاء ولا يزال يمده بسقيه حتى ينطوى على القلب ويعميه وليس له دليل أوضح من المعاينة وانظر الى الحديث نعوذ بالله من علم لا ينفع والمنطق لا ينفع صاحبه

نعم

يمكن الاختلاف فيه فيكون النبى المرسل يسمع كلام الله تعالى عز وجل الذاتى القديم بلا حجاب فى السمع ولا واسطة بينه وبين القلب ومن دونه اسمعه على غير تلك الصورة مما يلقى فى روعه ومما ينادى به فى سمعه اوسره واشباه ذلك كما ذكر ان قوم موسى عليه السلام حين سمعوا كلام الله سبحانه مع موسى انهم سمعوا صوتا كالشبور ٧ وهو القرآن فاذا صح ذلك فبتباين المقامات اختلف ورود الخطاب فموسى سمع كلام الله بالحقيقة الذى هو صفة له بلا كيف ولا صورة نظم الحروف ولا أصوات والذين كانوا معه أيضا سمعوا صوتا مخلوقا جعل لهم علامة ودلالة على صحة التكليم وخلق الله سبحانه لهم بذلك العلم الضرورى وسمى ذلك الذى سمعوه كلامه اذ كان دلالة عليه كما تسمى التلاوة وهذه الحروف المتلوة بها القرآن كلام الله تعالى اذ هى دلالة عليه فان قلت فما يبقى على السامع اذا سمع كلام الله تعالى الذى يستفيد معرفة وحدانيته وفقه أمره ونهيه وفهم مراده وحكمه يلحقه العالم الضرورى فيما أرى فانه الشئ المرسل الا بان يشتغل باصلاح الخلق دونه ولو

نعم فى الدنيا لكونه يورثه الجاه والسمعة والرياسة والعلو على الاخوان وانظر الى الحديث من تعلم العلم ليمارى به السفهاء أو يجارى به العلماء أو يصرف وجوه الناس اليه لم يرح رائحة الجنة وهذه الاوصاف الثلاثة موجودة فى المنطق وأخرج أبونعيم فى الحلية من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يشم رائحة الجنة والمنطق ليس مما يبتغى به وجه الله وان فرض ذلك لكونه وسيلة فلا يتعلمه الانسان الا لاصابة غرض من الدنيا كالجاه والشهرة والرياسة وهذا فى علماء العجم المتأخرين الذين أكبوا على تحصيله ليلا ونهارا وصرفوا نفائس أعمارهم عليه معلوم لا يحتاج الى برهان وان كنت فى ريب من ذلك فطالع تراجمهم وأحوالهم ومناظراتهم فى مجالس الملوك وقول السيوطى انه لا ينفع فى التوحيد أصلا فصحيح أيضا فانه ليس المراد بقوة الايمان الحاصل من التوحيد ما كان موثقا بالبراهين المنطقية كما توهمه قولهم وانما هو هجوم العلم بصاحبه على حقيقة الامر وعلامته انشراح الصدر لمنازل الايمان وانفساحه وطمأنينة القلب لامر الله والانابة الى ذكر الله ومحبته والفوز بلقائه والتجافى عن دار الغرور كما فى الاثر المشهور اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قيل وما علامة ذلك قال التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وهذا هو العلم التام وهو العاصم من الخطأ فى الفكر وقال الحافظ الذهبى فى زغل العلم المنطق نفعه قليل وضرره وبيل وما هو من علوم الاسلام والحق منه كامن فى النفوس الزكية بعبارات غريبة والباطل منه فاهرب منه فانك تنقطع مع خصمك وأنت تعرف انك المحق وتقطع خصمك وتعرف انك على الخطأ فهى عبارات دهاشة ومقدمات دكاكة فنسأل الله السلامة وان قراءته للفرجة لا للحجة والدنيا لا للآخرة فقد عذبت الحيوان وضيعت الزمان والله المستعان وأما الثواب فتيأس منه ولا تأمن من العقاب الاعتاب اهـ واعلم انه انما يستعين العالم عند المشكلات فى الدين ويحتاج الى العارف عند شبهات حك الصدور كما قال ابن مسعود رضى الله عنه لا تزالون بخير ما اذا حاك فى صدر أحدكم شئ وجد من يخبره به ويشفيه منه وأيم الله أوشك ان لا تجدوا ذلك وقد حصلت فى زماننا هذا فى مثل ما خافه ابن مسعود لان مشكلة لو وردت فى معانى التوحيد وشبهة لو اختلجت فى صدر مؤمن من معانى صفة الموحد وأردت كشف ذلك على حقيقة الامر مما شهده القلب الموفق ويثلج له الصدر المشروح بالهدى لكان ذلك عزيزا فى وقتك هذا فانك ان استكشفتها من المتكلمين المناطقة الذين هم رؤساء علم التوحيد الآن افتاك بتصور عقله عن شهادة الموقنين وبقياس معقوله على ظاهر الدين وهذا شبهة فكيف تنكشف شبهة بشبهة ولقد أنكر أحمد بن حنبل على الحرث المحاسبى رحمهما الله تعالى فى الرد على المعتزلة فقال له الحرث الرد على المبتدعة فرض فقال له أحمد نعم ولكن حكيت شبهتهم أولا ثم أجبت عنها فبم تأمن ان يطالع الشبهة من يتعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت الى الجواب أو ينظر فى الجواب من لا يفهم كنهه وكذا أنكر على المصنف اذ كشف عن تحقيق مذاهب المبتدعة للرد عليهم وهو ببغداد وقالوا له هذا سعى لهم فانهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم بمثل هذه الشبهة لولا تحقيقك وبالجملة فالاشتغال بالمنطق اشتغال فى فضول العلوم وغرائب الفهوم فان المقصود بشهادة التوحيد الخالصة من خفايا الشرك وشعب النفاق هو حسن الادب فى المعاملة بمعرفة ويقين وذلك هو حال العبد من مقامه بينه وبين ربه عز وجل وحظه من مزيد آخرته والمشتغل به مشتغل بصلاح قالبه وظواهر أحواله عن باطن حاله وسبب ما بلى به حب الرياسة وطلب الجاه عند الناس والمنزلة بموجب السياسة والرغبة فى عاجل الدنيا فاذهب أيامه لايامهم واذهب عمره فى شهواتهم ليسمى عالما ويكون فى قلوب الطالبين عندهم فاضلا وقد جعل الله لكل عمل عاملا ولكل علم عالما أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب كل ميسر لما خلق له والمشتغل بالمنطق تراه فى أكثر مناظراته يتكلم فيما لم يتكلف ويجادل فيما لم ينطق فيه السلف ويتعلم ويعلم ما علمه بتكلف وقد ورد فى بعض

كان عوضا منه اخر عنه ومقامه مقامه فاعلم ان الذى أوجب عثورك ودوام زللك واعتراضك على العلوم بالجهل وعلى الحقائق بالخيال أنك بعيد عن غور المطالب فعيد فى شرك المطالب فعيد صوب الصوت عتيد صخب السحاب ان الذى استحق به الناظر السالك الواصل المرتبة الثالثة سماع نداء الله تعالى معنى ومقام وحال وخاصة أعلى من تلك الاولى أجل وأكبر وبينهما ما بين من استحق المواجهة بالخطاب والقصد به وبين من لا يستحق أكثر من سماعه من يخاطب به غيره فهذا من الاشارة باختلاف ورود الخطاب اليهما مما أوجب تطور اوتباين ما بينهما فان فهمت الآن والا فقد عنى لا ندر بحبال ٧ فان قيل ألم يقل الله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول وسماع كلام الله تعالى بحجاب أو بغير حجاب وعلم ما فى الملكوت ومشاهدة الملائكة وما غاب عن المشاهدة والحس من أجل الغيوب فكيف يطلع عليها من ليس برسول قلنا فى الكلام حذف يدل على صحة تقديره الشرع الصادق والمشاهدة النور به وهو أن يكون معناه الا من ارتضى من رسول ومن

الاخبار الحياء والعى شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق وفي بعضها مفسرا والعى عن اللسان لاعن القلب وفي خبر آخر ان الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل الكلام بلسانه كما تتخلل البقرة الخلا بلسانها والخلا الحشيش الرطب وقال الحافظ الذهبي في النصيحة وهي رسالة صغيرة أرسلها الى بعض أصحابه مانصه ما أحلى قول الاوزاعى عليك بآثار من سلف ولو رفضك الناس واياك وآراء الرجال وان زخرفوه لك بالقول فنبيك صلى الله عليه وسلم هو القائل تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يتنازعون في القدر فكانه فقئ في وجهه حب الرمان وقال أبهذا أمرتم وذكر الحديث فمن خاض في علم الكلام والجدل والمراء والمنطق طالبا لحقيقة معرفة حق الله تعالى فقد أخطأ الطريق وماله الى ثلاثة أحوال أردؤها ان يتزلزل ايمانه ويشك فيما كان مستيقنا من التوحيد الفطرى والايمان القرآنى وربما تزندق * والثانى ان يتحير ويظلم قلبه ويتنكر عيشه من تلك الشبه الرديئة التى لا تشفى غليلا في الغالب * والثالث انه لا يزداد بها ايمانا ويقبل النظر فيها فعلم الكلام داء الدين وعلم السنة دواء الدين وعلم الذكر والموعظة قوت الدين وحياة الدين فمن أدخل نفسه في مرض فاما ان يكون فيه خفة واما ان يصير جسده دائم العلة يفيق تارة وينتكس أخرى واما ان يعافى من مرضه فيقوم كما كان رأسا برأس اه ثم ذكر اليوسى رحمه الله تعالى انه تلزم السيوطى في جوابه شناعات فذكرها ومنها ان هؤلاء العلماء الذين نقل عنهم هذا يلزمه ان لا يثق بنقلهم الخ فالجواب عنه ان مثل هؤلاء الذين نقل عنهم يثق بنقلهم في خصوص ما يتعلق بهذا الفن لانهم زعماء فيه ولا يوثق بهم في علوم غيره وكما لا يوثق بنقل الطبيب في علم الطب ولا يوثق بنقله في غيره وكما يوثق بنقل بعض المبتدعة تقريرات قواعدهم لاجل الرد عليهم وهذا ظاهر ولكن شدة التعصب دعت الذاهبين عن الحق الى تطويل النزاع ثم قال ومنها ان ما يفعله أئمة الاصول والكلام في تآليفهم بتصدير الكتاب بجملة من المنطق كصاحب المختصر وصاحب الطوالع وغيرهما حرام ويلزمه ان لا يقرأ شيأ من هذه الكتب أو ان يتخطى ذلك الموضع فأقول صاحب المختصر والطوالع وأضرابهم انما صدروا كتبهم بجملة من المنطق لتوقف بعض مسائل كتبهم عليها ولا يعترى أحد منهم انه من جملة الفلسفة المنهى عن الاشتغال بها فلا يلزم السيوطى ان تخطى تلك الجمل واستفاد من بقية الكتاب فيأخذ منه ما صفا ويدع ما كدر ولان تركهما رأسا فانه ليس بمأمور في قراءتهما فان قلت كيف يستفيد من الكتاب مع توقف مسائله على تلك الجمل قلت يستفيد منه كما يستفيد الامام الشافعى رضى الله عنه الذى هو أول من استنبط علم أصول الفقه أتظن انه استعان في استنباطه ذلك على البراهين المنطقية أو خلطه حين أملاه بالجمل المنطقية فتأمل غاية التأمل ودع ما تطابق عليه الناس والحق أحق ان يتبع وانظر الى هؤلاء العلماء المتقنين الذين صنفوا في الاسلام كتبا هى مدار أهل الاسلام وعمدتهم في فنون شتى هل خلط أحد منهم بشئ من الجمل المنطقية وحشا فيه من العلوم الفلسفية ولا أراك تنكر ذلك فلماذا لا ترجع الى الحق الصريح ولا تجد في العصر الاول من القرن الرابع والخامس من كان يتكلم فيه الا القليل ممن أقامه الله لرد المبتدعة وضوال الفرق مع ان هؤلاء الفرق كانت في العصور الاول أكثر من هذا الزمان ومن قبل هذا بكثير ثم هؤلاء الذين اشتغلوا به لما فرغوا من القدر المحتاج اليه تنصلوا عنه وتباعدوا وانفصلوا واقبلوا على علوم الآخرة كما هو ظاهر من حال المصنف لمن طالع كتابه المنقذ من الضلال ومن حال الفخر الرازى وغيره ومن طالع تراجمهم وأحوالهم ظهر له ما ذكرت ثم قال ومنها انه يلزمه ان لا يدرك الا الكتاب والسنة ويحرم ما سواهما الخ فاعلم ان السيوطى لا يجهل ان مدارك العلوم بعد الكتاب والسنة آثار الصحابة والاجماع والقياس مثلا ولا يفهم من سياقه ما نسبه اليه الشيخ وأعيذه ان يوهمه بمجرد معنى يفهمه من لوازم منطوقه وقوله لان علم الكلام على منوال المنطق أى

اتبع الرسول بالاخلاص والاستقامة أو عمل بما جاء به لان النبى صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وهل يبقى الاما غاب عنه أن ينكشف اليه وقال ان يكن منكم محدثون فعمر أو كما قال المؤمن ينظر بنور الله وفى القرآن العزيز قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك بعلم ما غاب عن غيره من امكان بيان ما وعد به وأراد انه قدر عليه ولم يكن نبيا ولا رسولا وقد أنبأ الله سبحانه وتعالى عن ذى القرنين من اخباره عن العلوم الغيبية وصدقه فيه حين قال فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا وان كان وقع الاختلاف في نبوة ذى القرنين فالاجماع على انه ليس برسول وهو خلاف المسطور في الآية وان رام أحد المدافعة بالاحتيال لما أخبر به ذو القرنين وما ظهر على يدى الذى كان عنده علم من الكتاب وأراد أن يجوز على غير التشبه بالحقائق فما يصنع فيما جرى للخضر وما انبأ الله سبحانه وأظهر عليه من العلوم الغيبية وهو بعد ان يكون نبيا فليس برسول على الوفاق من الجميع والله تعالى يقول

داخل فى حده ولذلك ذم علم الكلام من ذم وأخرج الحاكم من رواية الربيع بن سليمان قال ناظر رجل الشافعى فى مسئلة فدقق والشافعى ثابت يجيب ويصيب فعدل الرجل الى الكلام فى مناظرته فقال له الشافعى هذا غير مانحن فيه هذا كلام لست أقول بالكلام واحدة فأخرى ٧ ليست المسئلة مقلوبة ثم أنشأ يقول

متى تعصبت بالباطل الحق يأبه * وان قدت بالحق الرواسى تنقد

اذا ما أتيت للامر من غير بابه * ضللت وان تقصد الى الباب تهتدى

وقال أبو يوسف رحمه الله من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الامام أحمد العلم انما هو ماجاء من فوق يعنى الهاما وقال أيضا علماء أهل الكلام زنادقة وغير ذلك مما سيأتى للمصنف فى قواعد العقائد فانما ذم الكلام لاجل هذه التهويلات والتشكيكات التى خالطت به حتى صار بعد ان كان شرعيا ملحقا بالفلسفيات ثم قال وماقصدنا بهذا الكلام تنقيص العلماء ولا اهتضام الجلال الخ قلت وهذا كما قال القاضى الحافظ أبو بكر فى تاريخه فى ترجمة الامام أبى حنيفة رحمه الله مانصه قد سقنا عن أيوب السختيانى وسفيان الثورى وابن عيينة وأبى بكر بن موسى وغيرهم من الائمة أخبارا كثيرة تتضمن تقريظ أبى حنيفة والمدح له والمحفوظ عند نقلة الحديث من أئمة المتقدمين وهؤلاء المذكورين منهم فى أبى حنيفة خلاف ذلك وكلامهم فيه كثير لامور حفظت عليه يتعلق بعضها بأصول الديانات وبعضها بالفروع نحن ذاكروها بمشيئة الله تعالى ومعتذرون الى من وقف عليها وكره سماعها بان أبا حنيفة عندنا مع جلالة قدره أسوة غيره من العلماء اه ولا يخفى ان قصده خلاف ماذكر من المعذرة وانما قصده الشناعة جراءة منه على هذا الشيخ وانى لا تعجب فى تقريره كلام المغيلى على تسميته بالفرقان غاية العجب كيف سماه بأسماء الكتب المنزلة الالهية وكذا أنكر على الامام أبى القاسم الرافعى حين سمى شرحه على الوجيز بالعزيز ولكن له أسوة بابن سينا حيث سماه رئيس العلوم وكذا فى قوله فى قصيدته ماسمعت بمثله وهذا يرشدك الى أن ما بلغه من كلام العلماء المحققين ممن ألف كتبا عديدة وبالغ فى ذمه حيث أفهم كلامه ان السيوطى هو الذى أبدع فى الذم وخالف كلمة الاجماع فانه لو بلغه كلامهم لم يقل ماقال وانما كلام السيوطى وتأليفه فيه نقطة فى بحر كلام السلف ولو علم بسبب قيام ابن الصلاح ويوسف الدمشقى وابن تيمية على المصنف لاعذر السيوطى فى تقريره مع ان المصنف قد أبدى عذرا لنفسه فى كتابه المنقذ من الضلال وذكر سبب خوضه فيه ثم التنصل عنه بعد ذلك ثم قول المغيلى فى قصيدته ودع عنك أبداه كفور وذمه ثم قوله خذ العلم حتى من كفور ممما تمجه الطباع وتنفر عنه الاسماع وكذا قوله لئن صح عنهم ماذكرت وقول اليوسى انه اشارة الى عدم تسليم صحة مانقله عجيب وهل يجوز العقل أن يتلقى كلام الحكماء ومدحهم فيه ومن تمذهب بمذهبهم ولا يسلم نقل حفاظ الاسلام ونقلة العلم وحماة الدين ويطرح كلامهم رأسا بمرة فتأمل فى هذا المقام غاية التأمل مع الانصاف ودع الاعتساف وفصل الخطاب فيه ماقاله المصنف فى المنقذ من الضلال فاعتمده واترك القيل والقال وهذا نصه بعد ان ذكر أقسام علوم الفلسفة وأما المنطقيات فلا يتعلق شئ منها بالدين نفيا واثباتا بل هو نظر فى طرق الادلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبها وان العلم بها اماتصور وسبيل معرفته الحد واما تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس فى هذا ماينبغى أن ينكر بل هو من جنس ماذكره المتكلمون وأهل النظر فى الادلة وانما يفارقونهم فى العبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء فى التفريقات والتشعيبات ومثال كلامهم فيه قولهم اذا ثبت ان كل ا ب لزم ان بعض ب ا فاذا ثبت ان كل انسان حيوان لزم ان بعض الحيوانات انسان ويعبرون عن هذا بان الموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية وأى تعلق لهذا بمهمات الدين حتى يجحد وينكر واذا أنكر لم يحصل من انكاره عند أهل المنطق الاسوء الاعتقاد فى عقل المنكر بل فى دينه الذى يزعم انه موقوف على

الامن ارتضى من رسول فدل على ان فى الآية حذف مضاف معناه وانظر الى ماظهر من كلام سعد رضى الله عنه انه يرى الملائكة وهو غيب الله واعلم أبو بكر بما فى البطن وهى من غير الله وشواهد الشرع كثيرة جدا يعجز المتأول ويلهو المعاند هذا والقول بتخصيص العموم أظهر من الجراءة وأشهر بما نقل الكافة ويحتمل ان يكون المراد فى الآية بالرسول المذكور فيها ملك الوحى الذى بواسطته يجلى العلوم وتنكشف الغيوب فتى لم يرسل الله ملكا باعلام غيب او يخاطب مشافهة أو القاء معنى فى روع أو ضرب مثل فى يقظة أو منام لم يكن الى علم ذلك الغيب سبيل ويكون تقدير الآية فلا يظهر على غيبه أحدا الامن ارتضى من رسول ان يرسله الى من يشاء من عباده فى يقظة أو منام فانه يطلع على ذلك ايضا ويكون فائدة الاخبار بهذا فى الآية الامتنان على من رزقه الله تعالى علم شئ من مكنوناته واعلامه به ان تصل اليها نفسه ولا مخلوق سواه الا بالله تعالى حين أرسل اليه الملك بذلك وبعثه الله حتى يتبرأ المؤمن من حوله ومن حول كل مخلوق وقوته ويرجع الى الله

مثل هذا الانكار نعم لهم نوع من الظلم فى هذا العلم وهو انهم يجمعون للبرهان شروطا تعلم انه يورث علم اليقين لامحالة لكنهم عند الانتهاء الى المقاصد الدينية ماامكنهم الوفاء بتلك الشروط بل يتساهلوا غاية التساهل فربما ينظر فى المنطق أيضا من يستحسنه ويراه واضحا فيظن ان ماينقل عنهم من الكفريات مؤيد بتلك البراهين فيستعجل الكفر قبل الانتهاء الى العلوم الالهية فهذه الآفة أيضا تتطرق اليه اهـ كلامه والله أعلم (والثالث الالهيات) وهى خمسة أنواع علم الواجب وصفته واليه الاشارة بقوله (وهو بحث عن ذات الله وصفاته) الثانى علم الروحانيات وهى معرفة الجواهر البسيطة العقلية العنانية التى هى الملائكة الثالث العلوم النفسانية وهى معرفة النفوس المتجسدة والارواح السارية فى الاجسام الملكية والطبيعية من الفلك المحيط الى مركز الارض الرابع علم السياسات وهى خمسة أنواع الاول علم سياسة النبوة الثانى علم سياسة الملك وتحته الفلاحة والرعاية الثالث علم قود الجيش ومكايد الحرب والبيطرة وآداب الملوك الرابع العلم المدنى كعلم سياسة العامة وعلم سياسة الخاصة وهى سياسة المنزل الخامس علم سياسة الذات وهو علم الاخلاق (وهو أيضا داخل فى الكلام) أى بالنظر الى النوع الاول من أنواعه الخمسة (والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها بدعة وبعضها كفر فكما ان الاعتزال ليس هو علم برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة) وقد أشبع المصنف فى هذا المقام فى كتابه المنقذ من الضلال فقال وأما الالهيات ففيها أكثر أغاليطهم وماقدروا على الوفاء بها بالبراهين على ماشرطوا فى المنطق ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيه ومجموع ماغلطوا فيه يرجع الى عشرين أصلا يجب تكفيرهم فى ثلاثة منها وتبديعهم فى سبعة عشر ولابطال مذهبهم فى هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب التهافت وأما المسائل الثلاث فقد خالفوا فيها كافة الاسلاميين وذلك فى قولهم ان الاجسام لاتحشر وان المثاب والمعاقب هى الارواح المجردة والعقوبات روحانية لاجسمانية وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به ومن ذلك قولهم ان الله يعلم الكليات دون الجزئيات وهذا أيضا كفر صريح بل الحق انه لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات ولافى الارض ومن ذلك قولهم بقدم العالم وأزليته فلم يذهب أحد من المسلمين الى شئ من ذلك وأما السياسات فجميع كلامهم يرجع الى الحكم المصلحية المتعلقة بالامور الدنيوية والامامة السلطانية وانما أخذوها من كتب الله المنزلة على الانبياء ومن الحكم المأثورة عن سلف الاولياء وأما الخلقية فجميع كلامهم فيها الى حصر صفات النفس وأخلاقها وذكر أجناسها وأنواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها وانما أخذوها من كلام الصوفية وهم المتألهون المثابرون على ذكر الله تعالى وعلى مخالفة الهوى وسلوك الطريق الى الله بالاعراض عن ملاذ الدنيا وقد انكشف فى حالاتهم من أخلاق النفس وعيوبها وآفات أعمالها ماصرحوا به فأخذتها الفلاسفة ومزجوا بها كلامهم توسلا بالتجمل الى ترويج كلامهم الباطل ولقد كان فى عصرهم بل فى كل عصر جماعة من المتألهين لايخلى الله سبحانه وتعالى العالم عنهم فانهم أوتاد الارض ببركاتهم تنزل الرحمة على أهل الارض كأصحاب الكهف فتولد من ٧ جهة كلام النبوة وكلام الصوفية فى كتبهم آفتان آفة فى حق القائل وآفة فى حق الراد ثم أطال فى ذلك بماليس موضع ذكره هنا (الرابع الطبيعيات) وهو النوع الرابع من علوم الفلسفة والطبيعى علم يبحث فيه عن أحوال سائر الاجسام الطبيعية وموضوعه الجسم وهو على سبعة أنواع علم المبادى وهو معرفة خمسة أشياء لاينفك عنها جسم وهى الهيولى والصورة والزمان والمكان والحكمة الثانى علم السماء والعالم ومافيه الثالث علم الكون والفساد الرابع علم حوادث الجو الخامس علم المعادن السادس علم النبات السابع علم الحيوان ويدخل فيه علم الطب وفروعه (وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد فى العلوم وبعضها بحث عن

تعالى وحده ويتحقق انه لايرد عليه شئ من علم أو معرفة أوغير ذلك الابارادته ومشيئته ويحتمل وجها آخر وهو ان يكون معناه والله اعلم فلايظهر على غيبه احدا الامن ارتضى يريد من سائر خلقه وأصناف عباده ويكون معنى من رسول اى عن يد رسول من الملائكة *(فصل)* ومعنى ولا يتخطى رقاب الصديقين ان قلت ماالذى أوصله الى مقامهم او جاوزبه ذلك وهو فى المرتبة الثالثة حال المقربين ماوصل حيث ظننت فكيف يجاوزه وانما خاصية من هو فى رتبة الصديقين عدم السؤال

* والثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وهو داخل فى الكلام أيضا والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما أن الاعتزال ليس علما برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة * والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد فى أقسام العلوم وبعضها بحث عن

صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء الا أن الطبيب ينظر فى بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض و يصح وهم ينظرون فى جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه) ومزية (وهو انه محتاج اليه) لتعلقه ببدن الانسان (وأما علومهم فى الطبيعيات فلاحاجة اليها) قال المصنف فى المنقذ من الضلال أما الطبيعيات فهو بحث عن أجسام العالم السموات وكواكبها وماتحتها من الاجسام المفردة كالسماء والهواء والتراب والنار ومن الاجسام المركبة كالحيوان والنبات والمعادن وعن أسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها وذلك يضاهى بحث الطبيب عن جسم الانسان وأعضائه الرئيسة والخادمة وأسباب استحالة مزاجها ولاينكر فيه الاعلى مسائل مبينة ذكرناها فى كتاب تهافت الفلاسفة وماعداها مما تجب المخالفة فيها فعند التأويل يتعين انها مندرجة تحتها وأصل جلتها أن تعلم ان الطبيعة مسخرة لله تعالى لاتعمل بنفسها بل مستعملة من جهة فاطرها والشمس والقمر والنجوم والطبائع مسخرات بأمره لاتعمل بنفسها بل لافعل لشئ منها بذاته عن ذاته اه (فاذا الكلام صار من جلة الصناعات الواجبة على الكفاية) وأيده ابن السبكى فى مواضع من طبقاته والمراد به علم العقائد بالحجج الشرعية والبراهين النقلية وهو أشرف العلوم الدينية لانه يبحث فيه عما يتوقف صحة الايمان عليه وتتماته اللازمة لديه وأما ما تنصب فيه الادلة العقلية وتنقل فيه أقوال الفلاسفة والحكماء الطبيعية فقد نقل ذمه نص الامام الشافعى رضى الله عنه لان يلقى الله العبد بكل ذنب ماخلا الشرك خيرله من أن يلقاه بشئ من علم الكلام وذكر فى غياث المفتى عن أبى يوسف انه لايجوز الصلاة خلف المتكلم وان تكلم بحق لانه مبتدع ولاتجوز خلف المبتدع وقال صاحب القوت اعلم أن علم الكلام ينقسم سبعة أقسام العلم منه قسم واحد وسائر الستة لغو مطروح يلتقطه من لايعرفه ولايفرق بين العلم والجهل والعرب تقول لكل ساقطة لاقطة ولكل قائلة ناقلة فالستة افك وسفه وخطأ وظن وزخرف ووسوسة هذه أسماؤها عند العلماء يفصلون ذلك مما فصل الله تعالى من بيانه واستحفظهم من كتابه وجعلهم شهداء على دينه وعباده والقسم السابع من أقسام الكلام هو ماعدا هذه الستة ولم يقع على اسم منها اسم مذموم فهو علم وهو نص القرآن والسنة أو مادلا عليه واستنبط منهما أو وجد فيهما اسمه ومعناه من قول وفعل والتأويل اذا لم يخرج من الاجماع داخل فى العلم والاستنباط اذا كان مستودعا فى الكتاب يشهد له المجمل ولاينافيه النص فهو علم اه (حراسة) أى حفظا (لقلوب العوام) فى اعتقاداتهم (عن تخيلات المبتدعة) وشبههم التى يلقونها (وانما حدث ذلك) بعد عصر السلف (بحدوث البدع) المستنكرة (كما حدث حاجة استئجار البدرقة) أى الخفراء (فى طريق الحج لحدوث ظلم العرب) وتعديهم (وقطعهم الطريق) على الحاج (ولو ترك العرب عدوانهم) وامتنعوا من قطع الطريق (لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج) اشارة الى ماقاله الفقهاء من شروط الحج أمن الطريق وهو أن يكون الغالب فيه السلامة وقد اختلف عندنا هل هو شرط الاداء أو شرط الوجوب وهو الصحيح وتظهر ثمرة الخلاف فى وجوب الايصاء على من لم يحج وأدركه الموت والطريق غيرمأمون فيجب على الثانى دون الاول ولو كان الطريق بحرا لايجب ولو كان نهرا أو كان الغالب فى البحر السلامة يجب كذا فى شرح الملتقى للبهنسى (وكذلك لو ترك المبتدع هذيانه) أى كلامه الذى لافائدة فيه (لما افتقر) أى مااحتاج (الى الزيادة على ماعهد فى عصر الصحابة) رضى الله عنهم اذ كان علمهم عن مشاهدة ويقين (فليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه موقع الحارس فى طريق الحج) فقط (فان تجرد الحارس للحراسة) أى نصب نفسه لها ولم ينو غيرها (لم يكن من جلة الحاج) قطعا (والمتكلم) كذلك (ان تجرد للمناظرة والمدافعة) عن العوام (ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه) من طرق الاوصاف الذميمة لم يكن

صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء الا أن الطبيب ينظر فى بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون فى جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج اليه وأما علومهم فى الطبيعيات فلاحاجة اليها فاذا الكلام صار من جلة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة وانما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة الانسان الى استئجار البذرقة فى طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فلذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ماعهد فى عصر الصحابة رضى الله عنهم فليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه منه موقع الحارس فى طريق الحج فاذا تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جلة الحاج والمتكلم اذا تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جلة علماء الدين أصلا

من جملة علماء الدين أصلا بهذا الاعتبار فظاهر كلام السبكى فى شرح المنهاج ان المتكلم من جملة علماء الدين اذا كان على قوانين الشرع ولم يخرج عنها الى الفلسفة (وليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التى يشاركه سائر العوام فيها وهى من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان وانما تميز عن العامى بصنعة المجادلة) والمناظرة (والحراسة) عما يرد عليها من الشكوك والشبهات (فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا اليه فى علم المكاشفة فلا يحصل من الكلام) ولا يثمره (بل يكاد يكون الكلام حجابا عليه وصادا عنه) فلا يتجاوز عن الحد الذى هو فيه (وانما الوصول اليه بالمجاهدة) وهى مدافعة النفس والشيطان باستفراغ الوسع فيها (التى جعلها الله سبحانه وتعالى مقدمة الهداية) الحقيقية (حيث قال والذين جاهدوا فينا) أى لاجلنا أى لا للرياء والسمعة أو غيرهما (لنهدينهم سبلنا) أى لنرشدنهم اليها وهو اشارة الى مجاهدة النفس والشيطان وهو أصعب وأشق و يعبر عنها بالجهاد الاكبر فان مراجعة النفس ومقاتلتها أصعب من قتال العدو وقال المصنف فى الاملاء فى الرد على من أنكر عليه هذا القول وهو ان أئمة الكلام فى الاعتقاد مع العوام سواء وانما فارقوهم فى حراسة عقائدهم ونصه ما رأيت فى الاحياء صحيح ولكن بقى فى كشفه أمر لا يخفى عن المستبصرين ولا يغيب عن الشاردين اذا كانوا منصفين وهو ان المتكلمين من حيث صناعة الكلام فقط لم يفارقوا عقائد العوام وانما حرسوها بالجدل عن الانخرام اذ الكلام والجدل علم لفظى وأكثره احتمال وهمى وهو عمل النفس وتخليق الفهم وليس بشدة المشاهدة والكشف ولهذا كان فيه السمين والغث وشاع فى حال انتضاله ايراد القطعى وما هو فى حكمه من غلبة الظن وابداء الصحيح والزام مذهب الخصم والمقام المشار اليه بالذكر وشبهه انما هو علم الوجود وفهم الاحوال ومعرفة اليقين التام والعلم المضارع للضرورى بان لا اله الا الله ولا فاعل غيره ولا حاكم سواه ومشاهدته بالقلوب لما حجبه عن العيون ومن أين المنازل طى المنازل واعلم الكلام مثل هذا المقام بل هو فى خدام الشرع وحراس نواحيه من أهل الاختلاس والقطع وله بركة على قدره ونفع ولكن شتان بين مطالع الانوار ومدارك الاستبصار والمراد فى أوقات الضرورات والاختيار وبين ما يراد لوقت حاجته ان عنت وخصام صاحب بدعة ومناضلة سخيف ذى ضلالة مما ينغص على ذى اليقين العيش ويشغل الذهن ويكدر النفس وأما أهله الذين حفظ عنهم ذلك لا تقول فى أكثرهم انهم لا يختصون فى التوحيد بمقام سواه مما هو أعلى منه بل الظن بهم انهم علماء بمثل ما ذكرنا لكنهم لم يعد لهم العلم فى الظاهر الا ما كانت الحاجة اليه أمس والمصلحة به لتوجه الضرورة أعم وآكد حين ظهر فى وقتهم من الاهواء والبدع فان ذلك كان أولى بهم من الاشتغال بفقه الارواح والنفوس فان هذه وان كانت أهنى فذلك من علم الخواص وهم مكفون المؤنة والعامة أحق بالحفظ وعقائدهم أولى بالحراسة ثم قال ولقد كانت رعاية رسول الله صلى الله عليه وسلم لحال الجماهير أكثر والخوف عليهم من الزيغ والهلاك أشد واللطف فى تخفيف الوظائف والاخذ بالرفق أبلغ وكان يكل أهل القوة وذوى البصائر بالحقائق الى ما كانوا يأخذون به أنفسهم ثم قال ومع ذلك فالذى حفظ عنه صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه من بعده وفقهاء الامصار وأعيان المتكلمين من الاشارات بتلك العلوم المذكورة كثير لا يحصى وانما القليل من جله اليوم عنهم وتفقه فيه مثلهم فابحث تجد وتصد لاقتباس المعارف تعلم وطالع كتب الحديث والتاريخ ومصنفات العلوم توقن ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب (فان قلت فقد رددت حد المتكلم الى حراسة العوام عن تشويش المبتدع) وايراده الشبه عليها (كما ان حد البذرقة حراسة أقمشة) جمع قماش بالضم وهو المتاع (الحجيج عن نهب العرب) وأخذهم اياها بالتعدى (ورددت حد الفقه الى حفظ القانون) السياسى (الذى به يكف السلطان) أى يمنع (شر بعض أهل العدوان) أى التعدى (عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان)

لكثرة التحقق بالاحوال وخاصية من هو فى رتبة القرب كثرة السؤال طمعا فى بلوغ الآمال ومثالهما فيما أشير اليه مثال انسانين دخلا فى بستان أحدهما يعرف جميع أنواع نبات البستان و يحقق أنواع

وليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التى يشاركه فيها سائر العوام وهى من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامى بصنعة المجادلة والحراسة فاما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا اليه فى علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد أن يكون الكلام حجابا عليه ومانعا عنه وانما الوصول اليه بالمجاهدة التى جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين فان قلت فقد رددت حد المتكلم الى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما ان حد البذرقة حراسة أقمشة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه الى حفظ القانون الذى به يكف السلطان شر بعض أهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان

سافلتان

سافلتان (بالاضافة الى علم الدين وعلماء الامة المشهورون بالفضل) والتقدم (هم الفقهاء والمتكلمون) وهم زعماؤه (وهم أفضل الخلق عند الله) لاقامتهم الدين وتصحيحهم عقائد المسلمين (فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة) أى المنحطة (بالاضافة الى علم الدين فاعلم ان) الحق لا يعرف بالرجال و (من عرف الحق بالرجال حار فى متاهات الضلال) والمتاهة ما يحملك على التيه وهو التحير (فاعرف الحق) حيث كان (تعرف أهله ان كنت سالكا طريق الحق) وفى المنقذ من الضلال للمصنف عادة ضعفاء العقول معرفة الحق بالرجال والعاقل يقتدى بقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب حيث قال لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله وهو ما روى انه قال ذلك لمن قال له أتظن ان طلحة والزبير كانا على الباطل فقال ياهذا انه ملبوس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله أى ان العاقل يسمع القول ثم ينظر فى نفس القول فان كان حقا قبله سواء كان قائله محقا أو مبطلا (وان قنعت بالتقليد) المحض وأخلدت اليه (و) الى (النظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن) أحوال (الصحابة) رضى الله عنهم (و) انظر الى (علو منصبهم) الذى أقامهم الله فيه (فقد أجمع الذين عرضت بذكرهم) من الفقهاء والمتكلمين (على تقدمهم ورفعة قدرهم وانه لا يدرك فى الدين شأوهم ولا يشق غبارهم) لما روى البخارى فى صحيحه من رواية شعبة عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد رفعه لا تسبوا أصحابى فلو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه تابعه جرير ومعاوية ومحاضر عن الاعمش (ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه) أى بهذين العلمين (بل بعلم الآخرة) الذى مداره على تطهير القلب واخلاص النية (وسلوك طريقها) بالصبر وقمع النفس (وما فضل أبو بكر) عبد الله بن عثمان التيمى الصديق (رضى الله عنه الناس بفضل صلاة ولا بكثرة صيام ولا بكثرة رواية) للحديث (وفتوى وكلام ولكن بسر) وفى بعض النسخ بشئ (وقر فى صدره كما شهد له سيد البشر صلوات الله عليه) وسلامه قال العراقى لا أصل لهذا مرفوعا وانما يعرف فى قول بكر بن عبد الله المزنى كذلك رواه الحكيم الترمذى فى نوادره اه قلت ولفظ الحكيم ما فضل أبو بكر بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ولكن بسر وقر فى صدره وبكر بن عبد الله المزنى ثقة سمع من ابن عباس وابن عمر وعنه سليمان التيمى ومبارك وخلق توفى سنة ١٨٠ وعزاه ابن القيم الى أبى بكر بن عياش من قوله ولفظه ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشئ وقر فى قلبه قال وهذا موضع المثل المشهور

من لى بمثل سيرك المذلل * تمشى رويدا وتجى فى الاول

أورد ذلك فى بحث أفضلية العلم فقال العلم يعرف مقادير الاعمال ومراتبها وفاضلها من مفضولها وراجحها من مرجوحها فصاحبه لا يختار لنفسه الا أفضل الاعمال والعامل بلا علم يظن أن الفضيلة فى كثرة المشقة فهو يتحمل المشاق وان كان ما يعانيه مفضولا ورب عمل فاضل والمفضول أكثر مشقة منه واعتبر هذا بحال الصديق رضى الله عنه فانه أفضل الامة ومعلوم أن فيهم من هو أكثر عملا وحجا وصوما وقراءة اه (فليكن حرصك) واجتهادك (فى طلب ذلك السر) المصون (فهو الجوهر النفيس والدر المكنون) وفى ذلك فليتنافس المتنافسون (ودع عنك ما تطابق) أى توافق (أكثر الناس على تفخيمه) وتبجيله (وتعظيمه لاسباب) ظاهرة (ودواع) متوافرة (يطول تفصيلها) فى هذا الموضع (فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آلاف) جمع ألف (من الصحابة) وعبارة القوت عن الوف من الصحابة وعد فى الاصابة من حضر معه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع من أهل مكة والمدينة والطائف وما بينها من الاعراب فكانوا أربعين ألفا وفى طبقات عبد القادر القرشى قال أبو زرعة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه قلت حكى ذلك ابن الصلاح وغيره قال السيوطى قال الحافظ العراقى وهذا القول عن أبى زرعة لم أقف له على اسناد ولا هو فى كتب

بالاضافة الى علم الدين وعلماء الامة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار فى متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف أهله ان كنت سالكا طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد أجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا يدرك فى الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها وما فضل أبو بكر رضى الله عنه الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ولكن بشئ وقر فى صدره كما شهد له سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فليكن حرصك فى طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق أكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لاسباب ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آلاف من الصحابة رضى الله عنهم

التواريخ المشهورة وانما ذكره أبوموسى المدينى فى الذيل بغير اسناد قال السيوطى وقد وقفت أنا على اسناده فى بعض كتب الخطيب البغدادى وأوردته فى شرح التقريب اه وفى الاكليل للحاكم عن أبى زرعة كانوا بتبوك سبعين ألفا ونقل ابن الاثير عن أبى زرعة وسئل عن عدة من روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال ومن يضبط هذا شهد معه حجة الوداع تسعون ألفا وشهد معه تبوك أربعون ألفا قال ابن السمعانى وكان بالشام عشرة آلاف عين رأت النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابن حزم قد غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم هوازن بحنين فى اثنى عشر ألف مقاتل كلهم يقع عليه اسم الصحبة ثم غزا تبوك فى أكثر من ذلك (كلهم علماء بالله) عز وجل (أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم) كما ورد ذلك فى عدة أخبار (ولم يكن فيهم احد يحسن صنعة الكلام) كما هو عليه الان (ولم ينصب نفسه للفتوى فيهم أحد) زاد فى القوت ولا حملت عنه القضايا والاحكام فى شئ (الا بضعة عشر رجلا) كابن عباس وابن مسعود وأبى الدرداء وعلى وحذيفة ومعاذ وأبى هريرة وأنس وزيد بن ثابت وعمر بن الخطاب وعائشة رضى الله عنهم وأما الذين كانوا يفتون فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد نظمهم السيوطى رحمه الله تعالى بمنه وكرمه فى قوله

وقد كان فى عصر النبى جماعة * يقومون بالافتاء قومة قانت
فأربعة أهل الخلافة معهم * معاذ أبى ابن عوف ابن ثابت

ونظمهم الشيخ نجم الدين قاضى عجلون صاحب تصحيح المنهاج فقال

لقد كان يفتى فى حياة نبينا * مع الخلفاء الراشدين أئمة
معاذ وعمار وزيد بن ثابت * أبى ابن مسعود ابن عوف حذيفة
ومعهم أبوموسى وسلمان والتقى * كذاك أبو الدرداء وهو تتمة
وأفتى بميراث أبو بكر الرضى * وصدقه فيها وتلك مزية

(وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما منهم) أى من الذين يفتون فى عصر الصحابة وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان عبد الله رجل صالح وقال جابر ما منا أحد الا مالت به الدنيا ومال لها الا عبد الله بن عمر قال ابن المسيب مات وما أحد أحب الى أن ألقى الله بمثل عمله مات سنة أربع وسبعين (فاذا سئل) ونص القوت وكان ابن عمر اذا سئل (عن الفتيا يقول) وفى القوت قال (اذهب الى هذا الامير الذى تقلد أمور الناس وضعها) وفى القوت فضعها (فى عنقه) وروى ذلك عن أنس بن مالك ثم عن جماعة من الصحابة والتابعين باحسان وكان من الفقهاء من يقول لا أدرى أكثر من أن يقول أدرى منهم سفيان الثورى ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحرث رضى الله عنهم وكانوا فى مجالسهم يجيبون عن بعض ويسكتون عن بعض ولم يكونوا يجيبون عن كل ما يسألون عنه وسيأتى ذلك فى الباب السادس بابسط من ذلك (اشارة الى أن الفتيا فى القضاء والاحكام) الشرعية (من توابع الولاية والسلطنة) لما مر لا يفتى الا أمير أو مأمور أو متكلف وتقدم الكلام عند بيان هذا الحديث (ولما مات) أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب رضى الله عنه) فى يوم الاربعاء لاربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين (قال) عبد الله (ابن مسعود) رضى الله عنه (مات تسعة أعشار العلم) أخرجه أبو خيثمة فى كتاب العلم عن جرير عن الاعمش عن ابراهيم بن عبد الله قال انى لاحسب عمر قد ذهب بتسعة أعشار العلم (فقيل له أتقول ذلك) وفى القوت تقول هذا (وفينا جلة الصحابة) أى عظماؤهم ونص القوت وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون (فقال لست أريد علم الفتيا والكلام انما أريد العلم بالله) ونص القوت فقال انى لست أعنى العلم الذين تذهبون اليه انما أعنى العلم بالله عز وجل (افترى) أى تظن (انه) أى ابن مسعود (أراد) بذلك العلم (صنعة الكلام والجدل)

ثالث الثمار ويعلم أسماءها ومنافعها فهو لا يسأل عن شئ مما يراه ولا يحتاج الى أن يخبر به والثانى لا يعرف مما رأى شيأ أو يعرف بعضا ويجهل أكثر مما يعرف فهو يسأل ليصل الى علم الباقى وذلك من تكلمنا عليه حين أكثر السؤال عما يبعد عنه حاله ويتخلف عن مقامه الى ما هو أعلى منه وكان غير مراد لذلك

كلهم علماء بالله أثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد الا بضعة عشر رجلا ولقد كان ابن عمر رضى الله عنهما منهم وكان اذا سئل عن الفتيا يقول للسائل اذهب الى فلان الامير الذى تقلد أمور الناس وضعها فى عنقه اشارة الى أن الفتيا فى القضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم فقيل له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لم أرد علم الفتيا والاحكام انما أريد العلم بالله تعالى افترى انه أراد صنعة الكلام والجدل

اما فى ذلك الوقت أو الابد و تلك العلوم متى كانت لا تنال بالكسب وانما تنال بالمنح فقيل له لا تتخطا رقاب الصديقين بالسؤال فذلك مما لا يخطر به وليس هو من الطرق الموصلة الى مقامهم فارجع الى الصديق الاكبر فاقتد به فى حاله وسيرته فعساك ترزق مقامه فان لم يكن فتبقى على حالة القرب وهى تتلو الصديقية فهذا معناه

(فصل) ومعنى انصراف السالك الناظر بعد وصوله الى ذلك الرفيق الاعلى اما انه لما وصل اليه بالسؤال صرف اليه مالاق به من الاحوال لتحكم ما بقى عليه من الاعمال كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم للذى

فما بالك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذى مات بموت عمر تسعة أعشاره وهو الذى سد باب الكلام والجدل وضرب صبيغا بالدرة لما أورد عليه سؤالا فى تعارض آيتين فى كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره وأما قولك ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم أن ماينال به الفضل عند الله شئ وما ينال به الشهرة عند الناس شئ آخر فلقد كان شهرة أبى بكر الصديق رضى الله

الذى هو معروف الآن (فما لك لا تحرص) أيها الانسان (على معرفة ذلك العلم الذى مات بموت عمر رضى الله عنه تسعة أعشاره) وهو العلم بالله عزوجل (وهو) أى سيدنا عمر الذى (سد باب الكلام والجدل) وحسم مادتهما (وضرب صبيغا بالدرة) بكسر الدال السوط جمعها درر كسدرة وسدر وصبيغ بالصاد المهملة المفتوحة وكسر الموحدة وسكون التحتية وآخره غين معجمة هو ابن عسل بكسر العين وسكون السين المهملتين هكذا ضبطه الحافظ ابن حجر فى التبصير ووقع فى نسخة القاموس عسيل فقيل هو كامير وقيل كزبير كلاهما غلط وهو رجل من بنى تميم ثم من يربوع حدث عنه ابن أخيه عسل ابن عبد الله بن عسل وقال ابن حصين هو صبيغ بن شريك قال الحافظ ابن حجر والقولان صحيحان هو شريك بن صبيغ بن المنذر بن قطن بن قشع بن عسل بن عمرو بن يربوع التميمى فمن قال صبيغ بن عسل فقد نسبه الى جده الاعلى وله أخ اسمه ربيعة شهد الجمل قال وهو الذى كان يعنت الناس بالغوامض والسؤالات فى متشابه القرآن (لما أورد عليه سؤالا فى تعارض آيتين من كتاب الله تعالى) فنفاه عمر الى البصرة (وهجره) بعد ضربه اياه (وأمر الناس بهجره) بان كتب الى والى البصرة أن لا يؤويه تأديبا له فرأيت بخط الحافظ الذهبى فى كتاب له سماه نعم السمر فى سيرة عمر مانصه حدثنا مكى بن ابراهيم حدثنا الجعد بن عبد الرحمن عن يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد قال أتى رجل عمر فقال يا أمير المؤمنين انا لقينا رجلا يسأل عن تأويل القرآن فقال اللهم أمكنى منه فبينا عمر جالس اذ جاءه وعليه عمامة وثياب فقال يا أمير المؤمنين والذاريات ذروا فالحاملات وقرا قال عمر أنت هو فقام اليه وحسر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته فقال والذى نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقا لضربت به رأسك ألبسوه ثيابه واحملوه على قتب وأخرجوه حتى تقدموا به بلاده ثم ليقم خطيبا فليقل ان صبيغا ابتغى العلم فأخطأه فلم يزل وضيعا فى قومه حتى هلك وكان سيد قومه قال يزيد بن هرون أخبرنا سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن صبيغ انه سأل عمر عن المرسلات والذاريات والنازعات فقال له عمر ألق ما على رأسك فاذا ليس له ضفران قال لو وجدتك محلوقا لضربت الذى فيه عيناك ثم كتب الى أهل البصرة أن لا تجالسوه قال أبو عثمان كان لو أتانا ونحن مائة تفرقنا عنه وقال أبو شهاب عن اسمعيل بن أبى خالد عن قيس قال جاء رجل الى عمر فسأله وقال جئت أبتغى العلم قال بل جئت تبتغى الضلالة ثم كشف عن رأسه فوجده ذا شعر فقال لو كنت محلوقا لضربت عنقك وقال الوليد بن مسلم عن الاوزاعى عن الزهرى ان عمر جلد صبيغا التميمى عن مسئلة حتى اضطربت الدماء فى جلده وقال حماد بن زيد عن يزيد بن حازم عن سليمان بن يسار ان صبيغ بن عسل قدم المدينة فجعل يسأل عن المتشابه فبعث اليه عمر واعد له عراجين النخل فلما حضر قال له من أنت قال عبد الله صبيغ قال وأنا عبد الله عمر ثم قام فضرب رأسه بعرجون فشجه ثم تابع ضربه حتى سال الدم على وجهه فقال حسبك يا أمير المؤمنين قد والله ذهب ما كنت أجد فى رأسى وقال حماد بن زيد عن قطن المغربى عن رجل عن أبيه قال لقد رأيت صبيغا وانه لمثل البعير الاجرب لا يجالس الى قوم الا تفرقوا وتركوه وحده وقال هشام عن ابن سيرين قال كتب عمر الى أبى موسى أن لا يجالس صبيغ وأن يحرم عطاءه ورزقه وروى عن ابراهيم التيمى انه كان لبث كذلك حولا ثم أصابه الجهد فقام الى اسطوانة أمير المؤمنين واستغاث وروجع عمر فكتب أن لا تخالطوه وان تكونوا منه على حذر وروى عن سعيد بن المسيب انه حلف لابى موسى الايمان المغلظة ما يجد فى نفسه مما كان شيأ فكتب فى ذلك الى عمر فأجابه أظنه محل صدق فخلى بينه وبين الناس (وأما قولك ان المشهورين من العلماء) الذين يقتدى بهم (هم الفقهاء والمتكلمون) خاصة (فاعلم أن ماينال به الفضل) والرتبة والشرف (عند الله) عزوجل (وما ينال به الشهرة) بالنشر والتعليم (عند الناس) عامتهم وخاصتهم (شئ آخر) وهما مفترقان (فلقد كان شهرة أبى بكر رضى الله

عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذى وقر فى قلبه وكان شهرة عمر رضى الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذى مات تسعة أعشاره بموته
و بقصده التقرب الى الله عز وجل فى ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو أمر باطن فى سره فاما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من
طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب فى الشهرة فتكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه أحد فالفقهاء

عنه بالخلافة) أى بانه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكان فضله بالسر الذى وقر فى صدره) وأودع فيه (وكان شهرة عمر) رضى الله عنه (بالسياسة) العامة فى انتظام أمور الاسلام وسد أفواه المجادلين (وكان فضله بالعلم بالله تعالى الذى) أشار ابن مسعود يوم موته الى انه (مات تسعة أعشار العلم بموته) وكذا (بقصده التقرب الى الله تعالى فى ولايته وعدله) فى الرعية (وشفقته على خلقه) مع كمال زهده وورعه واقتصاده فى المعيشة كما هو معروف فى مناقبه (وهو) أى قصده التقرب الى الله تعالى فى تلك الاحوال (أمر باطنى فى سره) لا يطلع عليه الا الله عز وجل (فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه) عند ذى الثروة (و) طالب (الاسم) ليقال انه كذا (و) طالب (السمعة) ليسمع به (و) من (الراغب فى الشهرة) الظاهرة (فتكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر) خفى (لا يطلع عليه أحد) لبطونه عن الادراك (فالفقهاء والمتكلمون) من طوائف العلماء (مثل الخلفاء والقضاة) فى السياسة واجراء الاحكام (وقد انقسموا) على أقسام (فمنهم من أراد) وجه (الله) تعالى فقط (بعلمه) الذى ينشره (وفتواه) فى الاحكام الشرعية (وذبه) أى دفعه (عن سنته) أى طريقة الله عز وجل (ولم يطلب فيه رياء ولا سمعة) ولا شهرة ولا جاها ولا غير ذلك (فأولئك أهل رضوان الله) الذين يحل عليهم رضاه فى دار كرامته (لعملهم بعلمهم) أى لم يكتفوا بعلمهم حتى عملوا به (ولارادتهم وجه الله) عز وجل (بفتواهم) عند ما احتاج الناس اليه (ونظرهم) وبحثهم (فان كل علم عمل به) أى بمقتضاه وفى نسخة فان كل علم عمل ولكن لا يلائمه قوله (فانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما) لصدور بعض الاعمال خالية عن الاخلاص والنية فلا يسمى علما حقيقة (و) ليس هذا الذى ذكرناه خاصا فى العلوم الشرعية بل (الطبيب) أيضا (يقدر على التقرب الى الله تعالى بعلمه) اذا أراد بذلك وجه الله تعالى (فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل لله) عز وجل (به و) كذلك (السلطان يتوسط بين الخلق لله عز وجل) فى سياسته بانتظام الخلق وأحوالهم (فيكون مرضيا عند الله لا من حيث انه متكفل بعلم الدين) ونشره وافادته وقائم بازائه (بل من حيث) (هو متقلد لعمل) السياسة (يقصد به التقرب الى الله تعالى) بامحاض النية فيه فهذه أقسام من يريد بعلمه وعمله وجه الله عز وجل من الفقهاء والسلاطين (وأقسام ما يتقرب به الى الله تعالى ثلاثة علم مجرد) عن العمل أى لا حظ له فيه (وهو علم المكاشفة وعمل مجرد) عن العلم لا ينظر اليه (كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس) بالسياسة (و) ما هو (مركب من علم وعمل) كل منهما ملاحظ (وهو علم طريق الآخرة) المنوط بهما (فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا) عالم بالله وبأمر الله وعامل بما علم لوجه الله (فانظر) أيها المتأمل (الى نفسك) تحب أن (تكون يوم القيامة فى حزب عمال الله) مع السلاطين (أو) حزب (علماء الله) مع أهل المكاشفة (أو فى حزبهما) معا (فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما) أى تأخذ بحظك مع كل منهما (فهذا) الذى ذكرناه لك (أهم) وأعلى (من التقليد) الصرف (بمجرد الاشتهار) فقط (كما قيل) فيما نص فى مثل هذا المقام

(خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل)

زحل كصرد ممنوعا من الصرف قال المبرد للمعرفة والعدل كوكب من الخنس سمى به لانه زحل أى بعد ويقال انه فى السماء السابعة وفى بعض النسخ فى طلعة البدر (على انا سننقل) فى هذا الكتاب (من سيرة فقهاء السلف) أى طريقتهم (ما يعلم به) ويتحقق (ان الذين انتحلوا) أى اتخذوا (مذاهبهم) نحلة لهم

والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء وقد انقسموا فمنهم من أراد الله سبحانه وتعالى بعلمه وفتواه وذبه عن سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولارادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم فان كل علم عمل فانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب الى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل لله سبحانه وتعالى به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله سبحانه ومثابا لا من حيث انه متكفل بعلم الدين بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب الى الله عز وجل بعلمه * وأقسام ما يتقرب به الى الله تعالى ثلاثة علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر الى نفسك أتكون يوم القيامة فى حزب علماء الله أو عمال الله تعالى أو فى حزبيهما فاضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا أهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار كما قيل خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل على أنا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به أن الذين انتحلوا مذاهبهم

ظلموهم وانهم من أشد خصمائهم يوم القيامة فانهم ماقصدوا بالعلم الاوجه الله تعالى وقد شوهد من أحوالهم ماهو من علامات علماء الآخرة كما سيأتى بيانه فى باب علامات علماء الآخرة فانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ماصرف الصحابة عن التصنيف والتدريس فى الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى والصوارف والدواعى متيقنة ولاحاجة الاذكرها ونحن الآن نذكر من أحوال فقهاء الاسلام ماتعلم به ان ماذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم فى أعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعنى الذين كثر أتباعهم فى المذاهب خمسة الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وسفيان الثورى رحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيها فى مصالح الخلق فى الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهى التشمير والمبالغة فى تفاريع الفقه لان الخصال الاربع لاتصلح الا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة ان أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا تشمروا لها وادعوا بها مشابهة أولئك الائمة وهيهات أن تقاس الملائكة بالحدادين فلنورد الآن من أحوالهم مايدل على هذه الخصال الاربع فان معرفتهم بالفقه ظاهرة أما الامام الشافعى رحمه الله تعالى

أى نسبة والانتحال الانتساب والاعتزاء (ظلموهم) ونقصوا من قدرهم (وانهم) أى أولئك الائمة (من أشد خصمائهم) وأكبر أعدائهم (يوم القيامة) حين العرض بين يدى الله تعالى (فانهم) أى الائمة (ماقصدوا بالعلم) الذى حصلوه (الاوجه الله تعالى) فقط (وقد شوهد من أحوالهم) الظاهرة فى حركاتهم وسكناتهم (ماهو علامات) دالة على (انهم من علماء الآخرة) وهو الباب السادس (وانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه) أى لم تكن همتهم مصروفة الى تحصيله فقط (بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب) الذى هو الاهم لسالك الآخرة (ومراقبين لها) أى للقلوب حافظين لها مما يطرأ عليها من اللمم المختلفة (ولكن صرفهم) أى منعهم (عن التصنيف) أى التأليف والتدريس أى التعليم والافادة لذلك (فيه) أى فى علم القلوب (ماصرف الصحابة) رضى الله عنهم (عن التصنيف والتدريس فى الفقه مع انهم كانوا فقهاء) عرفاء مستقلين (بعلم الفتاوى) تلقى عنهم الاحكام (والصوارف والدواعى متعينة ولاحاجة الى ذكرها) قال صاحب القوت كان العلماء الذين هم أئمة هؤلاء العلماء من طبقات الصحابة الاربعة ومن بعد الطبقة الاولى من خيار التابعين الذين انقرضوا قبل وضع الكتب كانوا يكرهون كتب الحديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل بها عن القرآن وعن التذكر والتفكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولئلا يشتغل عن الله برسم أو وسم وكذلك كانوا يتلقون العلم بعضهم من بعض ويحفظونه حفظا ظاهرا لطهارة القلوب من الريب وفراغها من أسباب الدنيا وقوة الايمان وصفاء اليقين وعلو الهمة وحسن النية وقوة العزيمة اه (ونحن الآن نورد من أحوال فقهاء الاسلام) المشهورين بتقليد مذاهبهم (مايعلم به ان ماذكرناه ليس طعنا فيهم) ولا ازدراء بشأنهم (بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بمذاهبهم) والاتباع لاقوالهم (منتحلا) أى منتسبا (مذهبهم وهو) مع ذلك مخالف (لهم فى علمهم وسيرتهم) أى طريقتهم (فالفقهاء) السادة (الذين هم زعماء الفقه) أى رؤساؤه (وقادة الخلق) بهم يقتدون (أعنى الذين كثر أتباعهم) ومقلدوهم (فى المذاهب خمسة) المشهور منهم (الآن) أربعة لاغير (الشافعى ومالك وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وسفيان الثورى رحمهم الله تعالى) وكان مذهب سفيان باقيا الى القرن الخامس وكان من ينتحله موجودا الى زمان المصنف وكان من مشاهير من كان على مذهبه أبو عبد الله الحسين ابن محمد بن الحسين الدينورى وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن الحسين الدوى الثوريان الاخير راوى سنن النسائى عن أبى نصر الكسار توفى سنة احدى وخمسمائة وأما الآن فلم يبق من تقيد مذهبه أو يعتزى اليه (وكل واحد منهم كان) متصفا بهذه الاوصاف الخمسة كان (عابدا) أى عاملا بعلمه (وزاهدا) فى الدنيا (وعالما بعلوم الآخرة وفقيها فى مصالح الخلق فى الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال) وهى العبادة والزهد والعلم الاخروى والعلم الدنيوى وحسن النية فى الاخير (اتبعهم فقهاء الفرق على كثرتهم من جملتها) أى من جملة تلك الخصال الخمس (على خصلة واحدة وهى التشمير) بذل الجهد (والمبالغة فى) حفظ (تفاريع الفقه) بأنواعها (لان الخصال الاربعة) وهى العبادة والزهد والعلم الاخروى وحسن النية (لاتصلح الا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة وان أريد بها الآخرة) اذ الاعمال بالنية (قل صلاحها) ولياقتها (بالدنيا) ومناسبتها (تشمروا لها) واجتهدوا فى تحصيلها (وادعوا بها مشابهة أولئك الائمة) فى سائر أحوالهم (وهيهات) أى بعيد ذلك (فلا يقاس الملائكة) وفى بعض النسخ الملوك (بالحدادين) وشتان ما بينهما لبعد ما بين المنزلتين (فلنورد من أحوالهم) وأخبارهم (ما يدل على هذه الخصال الاربعة) المذكورة (فان معرفتهم بالفقه) الظاهر (ظاهرة) فلا يحتاج الى ايراد أدلة لذلك (أما الشافعى رضى الله عنه) هو الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن

المطالب بن عبد مناف بن قصي يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف وجده شافع الذى ينسب اليه له رؤية للنبي صلى الله عليه وسلم ذكره جماعة من الصحابة وأبوه السائب أسر يوم بدر ففدى نفسه ثم أسلم وكان يشبه النبي صلى الله عليه وسلم وأما عثمان ولد شافع فعاش الى خلافة السفاح وأما أم الامام الشافعى فالصحيح انها ازدية وقيل هاشمية واسمها فاطمة بنت عبد الله بن الحسن ابن الحسن ولم يثبت هذا ولد بغزة سنة خمسين ومائة وحمل الى مكة وهو ابن سنتين وقيل بعسقلان والجمع بينهما ممكن وقال ابن طيش الذى عليه مجموع الروايات انه ولد بغزة ثم حمل منها الى عسقلان ثم الى مكة فنشأ بها وروى ابن أبي حاتم انه ولد باليمن قال الذهبي وهو خطأ ولعله أراد بالولادة النشأة وأما شيوخه الذين حمل عنهم العلم بالحرمين واليمن والعراق ومصر فكثيرون أوردهم الحافظ ابن حجر فى توالى التأنيس والقطب الخيضرى فى الالمعية وكذا من أخذ عنه فيهم كثرة أوردهم التاج السبكى فى طبقاته الكبرى والخيضرى وابن كثير وغيرهم وقال الربيع أقام الشافعى بمصر أربع سنين فأملى ألفا وخمسمائة ورقة وخرج كتاب الام ألفى ورقة وكتاب السنن وأشياء كثيرة كلها فى مدة أربع سنين وتوفى سنة أربع ومائتين رضى الله عنه قلت وأما المسند المنسوب اليه فمن تخريج أبي عمرو محمد بن جعفر بن مطر النيسابورى الاصم عن الربيع عنه والسنن المنسوب اليه فمن تخريج الحافظ أبي جعفر الطحاوى عن خاله المزنى عنه وكل منهما من مسموعاتنا بحمد الله تعالى ومن مصنفات الامام الرسالة الكبيرة فى أصول الفقه قال أبو ثور كتب عبد الرحمن بن مهدى الى الشافعى وهو شاب ان يضع له كتابا فيه معانى القرآن ويجمع قبول الاخبار فيه وحجة الاجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة فوضع له كتاب الرسالة (فيدل على كونه عابدا) وهى الخصلة الاولى من الخصال الاربعة (ماروى انه كان) كثير الصلاة بالليل (يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للعلم وثلثا للصلاة وثلثا للنوم) رواه البيهقى عن الحاكم حدثنى أبو بكر محمد بن محمد البغدادى حدثنا أبو الحسن على بن قرير عن الربيع فذكره بلفظ كان قد قسم الليل ثلاثة أجزاء فثلثه الاول للاشتغال والثانى للصلاة والثالث ينامه ليقوم الى صلاة الفجر نشيطا (وقال الربيع) ابن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادى مولاهم أبو محمد المؤذن صاحب الشافعى وراوية كتبه ولد سنة ١٧٤ واتصل بخدمة الشافعى وحمل عنه الكثير وحدث عنه به وروى عنه أبو داود والنسائى وابن ماجه وأبو زرعة الرازى وأبو حاتم وابنه وزكريا الساجى وأبو جعفر الطحاوى وأبو بكر بن زياد النيسابورى وأبو العباس الاصم وآخرون وآخرهم أبو الفوارس المسندى وروى عنه الترمذى بالاجازة وكان مؤذنا بجامع مصر وكان الشافعى يحبه كثيرا ويميل اليه قال الخليلى فى الارشاد ثقة متفق عليه توفى يوم الاثنين لاحدى وعشرين ليلة خلت من شوال سنة ٢٧٠ قال (كان الشافعى يختم القرآن فى كل شهر رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة) روى ذلك ابن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان المرادى المصرى قال كان الشافعى يختم القرآن فى رمضان ستين مرة كل ذلك فى صلاة وروى الخطيب البغدادى عن على بن الحسن القاضى عن أبي بكر محمد بن اسحق بن ابراهيم الصفار عن عبد الله بن محمد بن جعفر القزوينى عن الربيع قال كان الشافعى كثير التلاوة للقرآن ولا سيما فى شهر رمضان كان يقرأ فى اليوم والليلة ختمتين وفيما عداه فى كل يوم وليلة ختمة وقال البيهقى أخبرنا عبد الرحمن السلمى سمعت على بن عمر الحافظ سمعت أبا بكر النيسابورى سمعت الربيع قال كان الشافعى يختم فى كل شهر ثلاثين ختمة وفى رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ فى الصلاة (وكان) أبو يعقوب يوسف ابن يحيى (البويطى) المصرى (أحد أصحابه) المصريين منسوب الى بويط كزبير قرية بصعيد مصر كان اماما جليلا عابدا زاهدا متهجدا تاليا سريع الدمعة روى عنه وعن عبد الله بن وهب وعنه الربيع المرادى وهو رفيقه وابراهيم الحربى ومحمد بن اسمعيل الترمذى وأبو حاتم وقال صدوق مات

سأله ان يعلمه غرائب العلم اذهب فاحكم ما هنالك وكذلك أعلمك غرائب العلم وأما صفة انصرافه فانه نهض بالبحث ورجع بالتذكر وفوائد المزيد ووجهه ان من لم يستطع المقام فى ذلك الموضع بعد وصوله اليه فذلك لتعلق خبر المعرفة بالبدن ومسكنه عالم الملك ولم يفارقه بعد بالموت وطول الغيب عنه لا يمكن فى العادة ولو أمكن لهلك الجسم وتفرقت الاوصال والله تعالى أراد عمارة الدنيا قد سبق فى علمه ولن تجد لسنة الله تبديلا ومعنى قول ابى سليمان الدارانى لو وصلوا ما رجعوا ما رجع الى حالة الانتقاص من وصل الى حالة الاخلاص والذى طمع الناظر فى الحصول فيه سؤاله وتماديه الى حال القرب منه اذلم يصلح لذلك ولم يصف ولم يخلص أعماله

(فصل) ومعنى بان ليس فى الامكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن

فيدل على أنه كان عابدا ماروى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للعلم وثلثا للعبادة وثلثا للنوم قال الربيع كان الشافعى رحمه الله يختم القرآن فى رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة وكان البويطى أحد أصحابه

سنة

الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فاذا أكثر فمائة آية وكان لا يمر بآية رحمة الا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ولا يمر بآية عذاب الا تعوّذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكأنما جمع له الرجاء والخوف معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره فى أسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعى رحمه الله ماشبعت منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر الى حكمته فى ذكر آفات الشبع ثم فى جده فى العبادة اذ طرح الشبع لاجلها ورأس التعبد تقليل الطعام وقال الشافعى رحمه الله ماحلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا قط فانظر الى حرمته وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه وسئل الشافعى رضى الله عنه عن مسئلة فسكت فقيل له ألا تجيب رحمك الله فقال حتى أدرى الفضل فى سكوتى أو فى جوابى فانظر فى مراقبته للسانه مع أنه أشد الاعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر وبه يستبين أنه

سنة ٢٣١ فى سجن بغداد فى القيد (يختم القرآن فى كل يوم مرة) تبعا لاستاذه وقد نقل فى مناقب البويطى انه كان كثير التلاوة للقرآن لا يمر به يوم ولا ليلة غالبا حتى يختم مع اشتغاله بالفتوى ثم ان للسلف عادات مختلفة فى القدر الذى يختمون فيه فمنهم فى كل شهر ختمة وآخرون فى كل جمعة وآخرون فى كل يوم وليلة وآخرون فى كل ركعة أورد ذلك النووى فى الاذكار وسيأتى مايتعلق بذلك فى آداب تلاوة القرآن من هذا الكتاب (وقال) أبو على (الحسين بن على بن يزيد) الكرابيسى كان اماما جليلا تفقه أوّلا على مذهب أهل الرأى ثم للشافعى ولازمه واختص به وسمع منه الحديث ومن غيره وله مصنفات الا ان أحمد بن حنبل كان يتكلم فيه بسبب مسألة اللفظ وهو أيضا كان يتكلم فى أحمد فتجنب الناس الاخذ عنه لهذا السبب مات سنة ٢٤٥ قال (بت عند) وفى بعض النسخ مع (الشافعى غير ليلة) وثبت فى بعض الروايات التصريح بثمانين ليلة (فكان يصلى نحوا من ثلث الليل) وفى رواية نحو ثلث الليل (فما رأيته) وفى رواية وما رأيته (يزيد على خمسين آية) أى من القرآن فى الصلاة (فاذا أكثر فمائة) آية (فكان لا يمر بآية رحمة الا سأل الله لنفسه ولجميع المؤمنين) وفى رواية وللمؤمنين أجمعين (ولا) يمر (بآية عذاب الا تعوّذ بالله منه) أى من العذاب وفى غالب النسخ منها (وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين) أجمعين وفى بعض النسخ ولجميع المؤمنين (فكأنه جمع له الرجاء والرهبة) رواه زكريا الزاجى فى مناقب الشافعى حدثنى محمد بن اسمعيل حدثنا حسين بن على الكرابيسى قال بت مع الشافعى فكان يصلى فذكره وقال الحافظ ابن كثير بعد ايراده قول الكرابيسى مانصه هكذا يكون تمام العبادة ان يجمع الرغبة والرهبة كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا مر بآية رحمة وقف فسأل واذا مر بآية عذاب وقف وتعوّذ وقال تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه اه (فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية) خاصة (على تبحره) وسعته (فى معرفة أسرار القرآن وتدبره فيها) أى فى معانيها (وقال الشافعى) فيما رواه ابن أبى حاتم حدثنا الربيع قال قال الشافعى رضى الله عنه (ماشبعت منذ ست عشرة سنة) الاشبعة أطرحها يعنى فطرحتها (لان الشبع يثقل البدن) أى لامتلاء العروق بالطعام والشراب (ويقسى القلب) أى يغلظه (ويزيل الفطنة) ومنه قول الحكماء البطنة تذهب الفطنة (ويجلب النوم) أى لارتخاء العروق (ويضعف صاحبه عن العبادة) قال المصنف (فانظر الى حكمته فى ذكر آفات الشبع) الخمسة (ثم فى جده) وتشمره (للعبادة اذ طرح الشبع لاجله و) قد قالوا (رأس التعبد) وملاكه (تقليل الطعام) وافراغ الجوف منه (وقال الشافعى) فيما رواه عنه حرملة بن يحيى (ماحلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا قط) رواه هكذا الزبير بن عبد الواحد الاسداباذى سمعت ابراهيم بن الحسن الصوفى يقول سمعت حرملة يقول سمعت الشافعى يقول فذكره الا انه ليس فيه قط ورواه الربيع أيضا عنه فزاد بعد قوله ولا كاذبا جادا ولا هازلا ويروى عن الربيع عنه قال ماكذبت قط ولا حلفت بالله لا صادقا ولا كاذبا ولا تركت غسل الجمعة فى حر ولا برد ولا سفر ولا غيره (فانظر الى حرمته وتوقيره) أى تعظيمه (لله تعالى) حيث لم يحلف به قط (ودلالة ذلك على علمه بجلال الله) وعظمته (وسئل الشافعى) يوما (عن مسئلة فسكت) ولم يجب (فقيل له ألا تجيب رحمك الله فقال حتى أدرى الفضل فى سكوتى أو فى الجواب) وهكذا كان شأن الائمة يسكتون عن جملة من المسائل ويكلون علمها الى الله تعالى (فانظر الى مراقبته) أى محافظته (للسانه) بعدم النطق (مع انه) أى اللسان (أشد الاعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاها على الضبط والقهر) ومنه ماورد فى الحديث وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم وفى الاحاديث التى لا طرق لها من حفظ مابين لقلقه وذبذبه دخل الجنة (وبه تستبين انه كان لا يتكلم ولا يسكت الا لنيل الفضل وطلب الثواب) من الله تعالى (وقال) أبو عبد الله (أحمد بن سبط) يحيى بن (الوزير) بن سليمان بن المهاجر التجيبى المصرى الحافظ النحوى

 كان لا يتكلم ولا يسكت الا لنيل الفضل وطلب الثواب وقال أحمد بن يحيى بن الوزير

مولاهم أحد الائمة روى عن عبد الله بن وهب وشعيب بن الليث وأصبغ بن الفرج وعنه النسائى وقال ثقة وأبو بكر بن أبي داود ولد سنة ١٧١ وصحب الشافعى وتفقه له مات فى سجن أحمد بن محمد بن المدبر لست خلون من شوال سنة ٢٥١ (خرج الشافعى يوما من سوق القناديل) وكان بالقرب من جامع عمرو بمصر تباع فيه القناديل و باحدى أزقته ولد ابن الجوانى النسابة وقد اندثر رسمه الآن (فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم) أى يشتمه (فالتفت الشافعى الينا فقال نزهوا أسماعكم عن استماع الخنى) أى الفحش من الكلام (كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وان السفيه لينظر الى أخبث شئ فى وعائه) أى فى قلبه (فيحرص ان يفرغه فى أوعيتكم) أى فى قلوبكم (ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما يشقى قائلها) والى هذا نظر ابن المنير فقال وأجاد

الاذن كالوردة مفتوحة * فلا تمرن عليها الخنى

فانه أنتن من جيفة * فاحرص على الوردة أن تنتنا

(وقال الشافعى كتب حكيم الى حكيم) ياهذا (قد أوتيت علما) بالله تعالى (فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب) لان معاصى الله تعالى لها ظلمات فلا يستقر النور مع تلك الظلمات لكونهما ضدين (فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم) وذلك يوم العرض بين يدى الله تعالى فيفوز المقربون بانصبائهم ونور علمهم يدلهم الى طريق الجنة وأهل الذنوب يحتارون فى ذنوبهم فلا يهتدون سبيلا وأورده الدينورى فى المجالسة فقال حدثنا محمد بن عبد العزيز قال سمعت أبي يقول سمعت ابن السماك يقول كتب رجل الى أخ له يا أخى انك قد أوتيت علما فلا تطفئ نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم اه فهذا الذى ذكره متعلق بعبادته رضى الله عنه (وأما زهده) وهى الخصلة الثانية من الخصال الاربعة (فقد قال الشافعى من ادعى انه جمع بين حب الدنيا و بين خالقها فى قلبه فقد كذب) أى لانهما ضدان لا يجتمعان اذا نزل أحدهما بالقلب ارتحل الآخر عنه (وقال) أبو بكر عبد الله بن الزبير ابن عيسى القرشى الاسدى (الحميدى) المكى منسوب الى جده حميد بن زهير بن الحارث بن أسد روى عن الشافعى وتفقه عليه وذهب معه الى مصر وعن سفيان بن عيينة والداروردى وفضيل ابن عياض و وكيع وعنه البخارى ومحمد بن يحيى الذهلى وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان توفى بمكة فى سنة ٢١٩ (خرج الشافعى الى اليمن مع بعض الولاة) تقدم انه نشأ باليمن وولى نجران وبها بنو الحرث وموالى ثقيف فشكوه الى الخليفة فطالبه فدخل بغداد لاجل هذه الشكاية واجتمع حينئذ بمحمد بن الحسن ثم رجع الى اليمن (وانصرف الى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب خباءه فى موضع خارج من مكة فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه حتى فرقها كلها) وقد اختلف فى قول الحميدى هذا فقال ابن عساكر أخبرنا أبو الحسن القرطبى حدثنا أبو نصر الخطيب حدثنا أبو بكر بن الحديد أخبرنا محمد بن بشر البكرى سمعت الربيع يقول سمعت الحميدى يقول قدم علينا الشافعى من صنعاء فضربت له الخيمة ومعه عشرة آلاف دينار فجاء قوم وسألوه فما قلعت الخيمة ومعه منها شئ ثم روى من طريق أبي جعفر الترمذى عن الربيع عن الحميدى قال قدم الشافعى بثلاثة آلاف دينار فدخل عليه بنو عمه وغيرهم فجعل يعطيهم حتى قام وليس معه شئ وقال البيهقى أخبرنا الحاكم سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب الاصم سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الحميدى يقول قدم الشافعى من صنعاء الى مكة بعشرة آلاف دينار فى منديل فضرب خباءه فى موضع خارجا عن مكة وكان الناس يأتونه فيه فما برحت حتى ذهبت كلها قال البيهقى وقال غيره عن الربيع فى هذه الحكاية وفرق المال كله فى قريش ثم دخل مكة قلت وروى ابن خزيمة عن الربيع بمثل رواية البيهقى الاولى وفيه معه عشرون ألف دينار وفيه وأقام حتى فرقها وقال الزبير بن عبد الواحد الاسداباذى وأخبرنى أبو محمد البستى السجستانى فيما كتب الى قال حدثنى أبو ثور قال أراد الشافعى ان يخرج الى مكة

ترتيبا ولا أكمل صنعا ولو كان وادخره مع القدرة كان ذلك بخلا يناقض الكرم الالهى وان لم يكن قادرا عليه كان ذلك

خرج الشافعى رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعى الينا وقال نزهوا أسماعكم عن استماع الخنى كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وان السفيه لينظر الى أخبث شئ فى انائه فيحرص أن يفرغه فى أوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقى بها قائلها وقال الشافعى رضى الله عنه كتب حكيم الى حكيم قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم وأما زهده رضى الله عنه فقد قال الشافعى رحمه الله من ادعى انه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فى قلبه فقد كذب وقال الحميدى خرج الشافعى رحمه الله الى اليمن مع بعض الولاة فانصرف الى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب له خباء فى موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها

ومعه مال فقلت له وقاما كان عسك الشئ من سماحته ينبغي ان تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك من بعدك فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال مافعل به فقال ماوجدت بمكة ضيعة يمكنني ان أشتريها لمعرفتي بأصلها أكثرها قد وقفت ولكن قد بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا اذا حجوا ينزلون فيه ورواه أبو عبد الله محمد بن أحمد غنجار الحافظ البخاري حدثنا خلف بن محمد حدثنا ابراهيم ابن محمود بن حمزة حدثني داود بن علي بن خلف حدثني ابراهيم بن خالد الكلبي يعني أبا ثور الشافعي بهذا وزاد بعد قوله ينزلون فيه قال فكأني اهتممت فأنشد الشافعي قول ابن أبي حازم

اذا أصبحت عندي قوت يوم * فخل الهم عني ياسعيد * ولم تخطر هموم غد ببالي
لان غدا له رزق جديد * أسلم ان أراد الله أمرا * وأترك ما أريد لما يريد
وما لارادتي وجه اذا ما * أراد الله لي مالا أريد

(وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامي مالا كثيرا) قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم حدثنا محمد بن روح حدثنا الزبير بن سليمان القرشي عن الشافعي قال خرج هرثمة فاقرأني سلام أمير المؤمنين هرون وقال قد أمر لك بخمسة آلاف دينار قال فحمل اليه المال فدعا الحجام فأخذ من شعره فأعطاه خمسين دينارا ثم أخذ رقاعا فصر من تلك الدنانير صررا ففرقها في القرشيين الذين هم في الحضرة ومن هم بمكة حتى ما رجع الى بيته الا بأقل من مائة دينار وقال ابن عساكر قرأت بخط أبي الحسين الرازي عن الزبير بن عبد الواحد الاسداباذي حدثني أحمد بن مروان حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحنفي قال سمعت أبي يقول قال خرجنا من بغداد مع الشافعي نريد مصر فدخلنا حران وكان قد طال شعره فدعا حجاما فاخذ من شعره فوهب له خمسين دينارا (وسقط سوطه من يده فدفعه له انسان فأعطى جزاء عليه خمسين دينارا) قال البيهقي أخبرنا الحاكم أخبرنا نصر بن محمد حدثنا أبو علي الحسن بن حبيب بن عبد الملك بدمشق قال سمعت الربيع بن سليمان يقول رأيت الشافعي راكب حمار فمر على سوق الحدادين فسقط سوطه من يده فوثب غلام من الحدادين فأخذ السوط ومسحه بكمه وناوله اياه فقال الشافعي لغلامه ادفع تلك الدنانير التي معك الى هذا الفتى قال الربيع قلت لا أدري كانت تسعة دنانير أو سبعة دنانير (وسخاوة الشافعي أكثر من ان تحصى) وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال كان الشافعي أسخى الناس بما يجد وقال داود بن علي الظاهري حدثنا أبو ثور قال كان الشافعي من أجود الناس وأسمحهم كفا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي سمعت عمرو بن سواد الدحي قال كان الشافعي أسخى الناس على الدينار والدرهم والطعام وقال محمد بن عبيد الله بن محمد أخبرنا أبو عمر محمد بن الحسين البسطامي أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن بن الجارود سمعت المزني سمعت الشافعي يقول السخاء والكرم يغطيان عيوب الدنيا والآخرة بعد ان لا يلحقها بدعة (ورأس الزهد السخاء) بما ملكته يداك من مال وطعام وملبوس (لان من أحب شيأ أمسكه ولا يفارقه فلا يفارق المال الا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد) كما سيأتي بيان ذلك في باب الزهد (و) مما (يدل على قوة زهده) عن الدنيا (وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همه بالآخرة ما روي انه روى سفيان بن عيينة) هو أبو محمد الهلالي مولاهم الكوفي أحد الاعلام روى عن الزهري وعمرو بن دينار وعنه أحمد وعلي الزعفراني ثقة ثبت حافظ امام مات في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة (حديثا من الرقائق) وروى أبو سعيد بن زياد حدثنا تميم بن عبد الله أبو محمد سمعت سويد بن سعيد يقول كنا عند سفيان بن عيينة بمكة فجاء الشافعي فسلم وجلس فروى ابن عيينة حديثا رقيقا (فغشي على الشافعي فقيل له) يا أبا محمد (قد مات) ابن ادريس (فقال) ابن عيينة (ان مات) ابن ادريس (فقد مات أفضل أهل زمانه) هكذا رواه الحافظ ابن كثير (وما روى عبد الله بن محمد البلوى) في كتابه رحلة الشافعي قال ابن كثير هو كذاب وضاع اختلق

عجزا يناقض القدرة الالهية فكيف يقضي عليه بالعجز فيما لم يخلقه اختيارا كان ذلك ولم ينسب اليه ذلك قبل خلق العالم ويقال ادخار اخراج العالم من العدم الى الوجود عجز مثل ماقيل فيماذكرناوما الفرق بينهما وذلك لان تاخيره بالعالم قبل خلقه عن أن يخرجه من العدم الى الوجود يقع تحت الاختيار الممكن من حيث ان الفاعل المختار له أن يفعل وان لا يفعل فاذا فعل فليس في الامكان أن يفعل الانهاية ماتقتضيها الحكمة

وخرج من الحمام مرة فاعطى الحامي مالا كثيرا وسقط سوطه من يده مرة فرفعه انسان اليه فاعطاه جزاء عليه خمسين دينارا وسخاوة الشافعي رحمه الله أشهر من أن تحكى ورأس الزهد السخاء لان من أحب شيأ أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال الا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة ماروي أنه روى سفيان بن عيينه حديثا في الرقائق فغشي على الشافعي فقيل له قدمات فقال ان مات فقدمات أفضل أهل زمانه وماروى عبد الله بن محمد البلوي

قال كنت أنا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه خرجت أنا وهو والحرث بن لبيد الى الصفا وكان الحرث تلميذ الصالح المري فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت فقرأ هذه الآية عليه هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الشافعي رحمه الله وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما أفاق جعل يقول أعوذ بك من مقام الكاذبين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين الهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال ثم مشى وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة اذ مر بي رجل فقال لي يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله اليك في الدنيا والآخرة فالتفت فاذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت في وضوئي وجعلت أقفو أثره فالتفت الي فقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله شيأ

في كتابه أشياء لا أصل لها فمن ذلك مناظرة الشافعي أبا يوسف بحضرة الرشيد وتأليب أبي يوسف عليه فهو مكذوب باطل اختلقه هذا البلوي قبحه الله تعالى فان الشافعي قدم بغداد أول قدمته سنة أربع وثمانين ومائة بعد موت أبي يوسف بسنتين فلم يدركه ولا رآه وأبو يوسف كان أجل قدرا وأعلى منزلة مما نسب اليه وانما أدرك في هذه القدمة محمد بن الحسن الشيباني فأنزله في داره وأجرى اليه نفقته وأحسن اليه بالكتب وغير ذلك وكانا يتناظران فيما بينهما كما جرت عادة الفقهاء هذا على مذهب أهل الحجاز وهذا على مذهب أهل العراق وكلاهما بحر لا يكدره الدلاء اهـ وقال الذهبي في الميزان في ترجمة أحمد بن موسى النجار ما لفظه حيوان وحشي قال قال محمد بن سهل الاموي حدثنا عبد الله بن محمد البلوي فذكر محنة مكذوبة للشافعي فضيحة لمن تدبرها وذكر في ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد البلوي انه روى عن عمارة بن زيد بخبر منكر ذكره ابن الجوزي وكذبه (قال كنت أنا وعمر بن نباتة) لم أعرف من حاله شيأ ولا وجدت له ذكرا في طبقة أصحاب الشافعي ولا غيرها وان كان هو والد أبي نصر بن عبد العزيز فبعيد لان هذا متأخر الوفاة في سنة ٤٠٥ فليحقق من حاله (جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد بن ادريس الشافعي خرجت أنا وهو والحرث ابن أسد) هو أبو عبد الله المحاسبي المتقدم ذكره وقد ذكره السمعاني في الطبقة الاولى من أصحاب الشافعي ممن صحبه وقد رده ابن الصلاح فقال وصحبته للشافعي لم أر أحدا ذكرها سواه وليس يعتمد على قول السمعاني فيما تفرد به والقرائن شاهدة بانتفائها اهـ قال ابن السبكي ان كان السمعاني صرح بانه صحب الشافعي فالاعتراض عليه لائح والا فقد يكون أراد بالطبقة الاولى ممن عاصر الشافعي وكان في طبقة الآخذين عنه وقد ذكره في الطبقة الاولى أيضا أبو عاصم العبادي وقال كان ممن عاصر الشافعي واختار مذهبه ولم يقل كان ممن صحبه فلعل هذا القدر مراد السمعاني اهـ وقد تقدم ان وفاته ببغداد سنة ٢٤٣ (الى الصفا) وهو الجبل المطل على الحرم (وكان الحرث تلميذ الصالح المري) هو الصالح بن بشير بن وادع ابن أبي الاقعس أبو بشر القاضي المعروف بالمري روى عن الحسن وابن سيرين وقتادة وغيرهم وعنه سيار ابن حاتم ويونس بن محمد وعفان وغيرهم اختلف كلام ابن معين فيه وقال ابن عدي هو رجل قاص حسن الصوت وعامة أحاديثه منا كير وعندي مع هذا انه لا يتعمد الكذب بل يغلط شيأ نقله الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب وفي الكاشف للذهبي صالح بن بشير أبو بشر المري الواعظ الزاهد روى عن الحسن ومحمد وعنه يونس المؤدب ويحيى بن يحيى وخالد بن خراش ضعفوه وقال أبو داود لا يكتب حديثه توفي سنة ١٧٨ اهـ وذكره العراقي في كتابه الباعث على الخلاص من حوادث القصاص في عدد يزيد الرقاشي والحرث بن أسد من المشهورين بالصلاح والزهد المعروفين بالضعف في رواية الحديث (فافتتح) أي الحرث (يقرأ) حزبا من القرآن (وكان حسن الصوت فقرأ) قوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الشافعي قد تغير لونه واقشعر جلده فاضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه) خوفا من هول الموقف (فلما أفاق قال أعوذ بالله من مقام الكذابين) بين يديك (واعراض الغافلين) عنك (اللهم لك خضعت قلوب العارفين و) لك (ذلت هيبة المشتاقين) وفي نسخة رقاب المشتاقين (الهي هب لي جودك وجللني) أي غطني (بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال) أي عمر بن نباتة (ثم قمنا) من المجلس (فانصرفنا) من مكة (فلما دخلت بغداد وكان هو) أي الشافعي بالعراق اقليم معروف يذكر ويؤنث وهما عراقان عراق العرب وعراق العجم وبغداد والكوفة من عراق العرب (فقعدت على الشط) أي شط دجلة (أتهيأ للصلاة) بالوضوء (اذ مر بي رجل فقال يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله اليك في الدنيا والآخرة فالتفت فاذا أنا برجل تتبعه جماعة فأسرعت في وضوئي وجعلت أقفو) أي أتتبع (أثره) خلفه (فالتفت الي فقال هل من حاجة قلت نعم تعلمني مما علمك الله شيأ) أراد النصيحة

(فقال

فقال لى اعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غدا أفلا أزيدك
قلت نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الايمان من أمر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ

على حدود الله تعالى ألا أزيدك قلت بلى فقال كن فى الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا وأصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت من هذا فقالوا هو الشافعى فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد الا من معرفة الله عز وجل فانه انما يخشى الله من عباده العلماء ولم يستفد الشافعى رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والاجارة وسائر كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والاخبار اذ حكم الاولين والآخرين مودعة فيهما * وأما كونه عالما باسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه روى أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فاحبطت أعمالهم وقال الشافعى رحمه الله اذا أنت خفت على عملك العجب فانظر رضا من تطلب وفى أى ثواب ترغب ومن أى عقاب ترهب وأى عافية تشكر وأى بلاء تذكر فانك اذا تفكرت فى واحدة من هذه الخصال صغر فى عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب وقال الشافعى رضى الله عنه من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وقال رحمه الله من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره

(فقال لى اعلم ان من صدق الله) أى فى معاملاته (نجا) أى من عذابه (ومن أشفق) أى خاف (على دينه سلم من الردى) أى الهلاك (ومن زهد فى الدنيا) بالاعراض عن لذاتها (قرت عيناه مما يرى من ثواب الله غدا) ثم قال لما رأى من حرصه على الملتقى (أفلا أزيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الايمان من أمر) غيره (بالمعروف) هو كل ما عرف فى الشرع (وائتمر) بنفسه (ونهى) غيره (عن المنكر) هو كل ما أنكره الشرع (وانتهى) بنفسه (وحافظ على حدود الله تعالى) فلم يتجاوزها ثم قال (الا أزيدك قلت نعم قال كن فى الدنيا زاهدا) أى مقللا منها (وفى الآخرة راغبا واصدق الله فى جميع أمورك) سرا وعلانية (تنج مع الناجين ثم مضى فسألت من هذا فقالوا هو الشافعى) وفى هذه الحكاية نظر من وجوه أما أولا اجتماع الحرث بالشافعى وقد تقدم انه لم يثبت وثانيا كون الحرث تلميذا للمزى وسنة وفاة المزى كان الحرث لم يولد أو كان رضيعا وثالثا قوله فسألت من هذا بعد قوله أولا ما رأيت أورع ولا أفصح الخ وعند التأمل يظهر فيها غير ما ذكرت والآفة فيها من البلوى فانه اختلقها وفى الصحيح من الاقوال الدالة على زهد الشافعى وخشيته مما نقله غير واحد من أصحابه مقنع عن هذا الذى اختلقه البلوى (فانظر الى سقوطه) على الارض (مغشيا عليه ثم) قال (انظر الى وعظه) لعمر (كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه) من الله تعالى (ولا يحصل هذا الخوف والزهد الا من معرفة الله تعالى فانما يخشى الله من عباده العلماء) وكان الشافعى أخشى الناس لانه كان أعلم الناس ومن كان أعلم الناس كان أخشى الناس وهذا مركب من الضرب الاول من الشكل الاول والمقدمة الصغرى ينبغى أن تكون محققة باتفاق أو غيره فكان كونه أعلم الناس أمر مفروغ منه حتى استنتج منه كان أخشى الناس (ولم يستفد الشافعى هذا الخوف) والخشية والزهد (من علم كتاب السلم والاجارة وسائر كتب الفقه بل) استفاده (من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والاخبار اذ حكم الاولين والآخرين مودعة فيهما) أى فى الكتاب والسنة علمها من علمها وجهلها من جهلها (واما كونه عالما بأسرار القلب) وعجائبه (وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه) مما جمعها غير واحد كالبيهقى والخطيب والحاكم وقد أفردت بتآليف (روى عنه انه سئل عن الرياء) أى عن حقيقته (فقال) فى الجواب (على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى) أى هوى النفس وميلها الى الشهوات (حيال) بالكسر أى تجاه (أبصار قلوب العلماء) أثبت للقلوب أبصارا على سبيل المجاز (فنظروا اليها) أى تلك الفتنة (بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم) أى أفسدت وأهدرت ويروى عنه أيضا انه قال لا يعرف الرياء الا مخلص قال النووى أى لا يتمكن فى معرفة حقيقته والاطلاع على غوامض خفياته ودقائقه الا من أراد الاخلاص فانه يجتهد أزمانا متطاولة فى البحث والفكر والتفتيش عليه حتى يعرفه أو يعرف بعضه ولا يحصل هذا لكل أحد وانما يحصل للخواص ومن يزعم من آحاد الناس انه يعرف الرياء فهو جاهل بحقيقته (وقال الشافعى اذا أنت خفت على عملك العجب فاذكر رضا من تطلب وفى أى نعيم ترغب ومن أى عقاب ترهب وأى عاقبة تشكر وأى بلاء تذكر فانك اذا فكرت فى واحدة من هذه الخصال) الخمسة (صغر فى عينيك عملك) أورده ابن كثير فى ترجمته الى قوله ترهب وقال بعده فحينئذ يصغر عندك عملك (فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب) فدل ذلك على تبحره فى معرفة علوم الآخرة (وقال الشافعى) من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن نظر فى الفقه نبل قدره ومن كتب الحديث قويت حجته ومن نظر فى الفقه رق طبعه ومن نظر فى الحساب جزل رأيه (ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وقال) أيضا (ومن أطاع الله بالعلم تنبه سره) وفى نسخة

نفعه سره وفي أخرى تفقه سره (وقال) أيضا (مامن أحد الا له محب ومبغض فاذا كان) الامر (كذلك فكن من أهل طاعة الله) مصلحا بينك وبين الله فالمحب لك يسعد ويرحم والمبغض يمقت ويرجم (وروى أن عبد القادر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا) لم أعرف من حاله شيأ (وكان يسأل الشافعي عن مسائل في الورع) والاحتياط (والشافعي يقبل عليه لورعه) وصلاحه (فقال) له يوما (أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين) وهو ثلاث مقامات للعارفين (فقال الشافعي التمكين درجة الانبياء) عليهم الصلاة والسلام وهو غاية قصد الكاملين ويعبر عنه بالاستقامة أيضا (ولا يكون التمكين الا بعد المحنة) والابتلاء (فاذا امتحن) العبد (صبر) على المحنة (واذا صبر تمكن) وفي نسخة مكن ثم استدل عليه فقال (ألا ترى أن الله تعالى امتحن ابراهيم) عليه السلام بأنواع المحن (ثم مكنه) بعد (وامتحن موسى) عليه السلام كذلك (ثم مكنه وامتحن أيوب) عليه السلام كذلك (ثم مكنه وامتحن سليمان) عليه السلام كذلك (ثم آتاه ملكا) ومكنه فيه (صلوات الله عليهم أجمعين) واليه يشير قوله تعالى ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا الآية (والتمكين أفضل الدرجات) لانه حال أهل الوصول (قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض) يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء وذلك بعد ان امتحن بالسجن والجب والاسر وغير ذلك (وأيوب) عليه السلام (بعد المحنة العظيمة) المشهورة في كتب النفائس (مكن قال الله تعالى وآتيناه أهله ومثلهم معهم) الى آخر (الآية) وهو قوله عز وجل رحمة من عندنا وذكرى للعابدين (فهذا الكلام من الشافعي يدل على تبحره في) معرفة (أسرار القرآن) وروى الربيع قال كنت يوما عند الشافعي اذ جاءه كتاب من الصعيد يسألونه عن قوله عز وجل كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فكتب لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا قلت له أوتدين بهذا يا سيدي فقال والله لو لم يوقن محمد بن ادريس انه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا وقد رواه ابراهيم بن محمد بن هرم عن الشافعي فهذا أيضا يدل على تبحره في أسرار القرآن (و) يدل ذلك أيضا على (اطلاعه على مقامات السائرين الى الله عز وجل من الانبياء والاولياء وغير ذلك وكل ذلك من علوم الآخرة) لا تعلق له بعلوم الدنيا أصلا (وقيل للشافعي متى يكون الرجل عالما) أي كاملا في العلم (قال اذا تحقق في علم يعلمه) أي عرفه معرفة جيدة (وتعرض) بعد ذلك (لسائر العلوم فنظر فيها) بامعان (فانه قيل لجالينوس) أحد حكماء اليونان (انك تأمر للداء الواحد بالادوية الكثيرة المجتمعة) مع اختلاف طبائعها (قال انما المقصود منها) أي من تلك الادوية (واحد) أي جزء واحد مضاد لذلك الداء (وانما يجعل معه غيره) بالاضافة عليه (ليسكن حدته) وقوته ولقد صدق فيما قال (لان الافراد قاتل) بما فيه من الحدة والقوة فاذا لاقى الدواء الواحد حدة الداء تصاكا وعجز المريض عن تحمله وانما يداوى بما يلائم المريض فكذلك الانفراد في العلم الواحد يورث حدة المزاج فاذا صاحبته علوم أخر فانما تكون ملائمة له مسكنة لحدته ولكن الواحد هو المقصود بالذات (فهذا وأمثاله مما لا يحصى) مما نقل عنه (يدل على عظم رتبته) وجلالة قدره (في معرفة الله سبحانه و) في (علوم الآخرة وأما ارادته) بالفقه خاصة وبالمناظرة فيه) مع الاقران (وجه الله) تعالى وهي الخصلة الرابعة (يدل عليه ماروى عنه انه قال وددت ان الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب الى منه شئ) قال ابن حاتم حدثنا الربيع قال سمعت الشافعي ودخلت عليه وهو مريض فذكر ما وضع من كتبه فقال وددت ان الخلق تعلمه ولا ينسب الى منه شئ أبدا وحدثنا أبي قال حدثنا حرملة قال سمعت الشافعي يقول وددت أن كل علم أعلمه يعلمه الناس أوجر عليه ولا يحمدوني

أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين فقال الشافعي رحمه الله التمكين درجة الانبياء ولا يكون التمكين الا بعد المحنة فاذا امتحن صبر واذا صبر مكن ألا ترى ان الله عز وجل امتحن ابراهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكا والتمكين أفضل الدرجات قال الله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف في الارض وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن قال الله تعالى وآتيناه أهله ومثلهم معهم الآية فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبحره في أسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين الى الله تعالى من الانبياء والاولياء وكل ذلك من علوم الآخرة وقيل للشافعي رحمه الله متى يكون الرجل عالما قال اذا تحقق في علم فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيها فانه فعند ذلك يكون عالما فانه قيل لجالينوس انك تأمر للداء الواحد بالادوية الكثيرة المجمعة فقال انما المقصود منها واحد وانما يجعل معه

غيره لتسكن حدته لان الافراد قاتل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة وأما ارادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ماروى عنه أنه قال وددت ان الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب الى شئ منه

التي عرفنا انها حاكمة ولم يعرفنا بذلك الا النعلم بمجاري أفعاله ومصادر أموره وأن نتحقق ان كل ما اقتضاه

فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له وكيف كان منزه القلب عن الالتفات اليه بمجرد النية فيه لوجه الله تعالى وقال الشافعي رضي الله عنه ما ناظرت أحدا قط فاحببت أن يخطئ وقال ما كلمت أحدا قط الا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كلمت أحدا قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه وقال ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلهامني الاهبته واعتقدت محبته ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة الاسقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على ارادة الله تعالى بالفقه والمناظرة تنظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها أيضا ولهذا قال أبو ثور رحمه الله ما رأيت ولا رأى الراؤن مثل الشافعي رحمه الله تعالى وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما صليت صلاة منذ أربعين سنة الا وأنا ادعو للشافعي رحمه الله تعالى

يحمدوني (فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم به وكيف كان منزه القلب عن الالتفات اليه بمجرد النية فيه لوجه الله تعالى وقال الشافعي ما ناظرت احدا قط فأحببت أن يخطأ) وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب يقول سمعت الربيع بن سليمان المرادي يقول دخلت على الشافعي وهو مريض فسألني عن أصحابنا فقلت له انهم يتكلمون فقال لي الشافعي ما ناظرت أحدا قط على الغلبة وبودّي أن جميع الخلق تعلموا هذا الكتاب يعني كتبه على ان لا ينسب الى منه شئ قال هذا الكلام يوم الاحد ومات هو يوم الخميس وانصرفنا من جنازته ليلة الجمعة فرأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين (وقال) أيضا (ما كلمت أحدا قط الا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ) أورده النووي في بعض مصنفاته بأسناد صحيح قال (وما كلمت أحدا قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو لسانه) وروى النووي باسناد له وددت اذا ناظرت أحدا أن يظهر الحق على يديه (وقال) أيضا في مسئلة (ما أوردت الحق والحجة) أي الدليل على اثبات ذلك الحق (على أحد فقبلهامني) بالانصاف وحسن القبول (الاهبته) أي وقعت هيبته في قلبي (واعتقدت محبته) لخلوص نيته وميله الى الحق وفي نسخة مودته (ولا كابرني) أي نازعني (أحد على الحق ودافع الحجة) عنادا وتعنتا (الاسقط) مقامه (عن عيني ورفضته) أي تركت صحبته والمكابرة هي المنازعة في مسئلة لا لاظهار الصواب بل لالزام الخصم وروى من وجه آخر قال ما عرضت الحجة على أحد فقبلها الاعظم في عيني ولا عرضتها على أحد فردها الاسقط من عيني (فهذه العلامات هي التي تدل على ارادته وجه الله تعالى بالفقه والمناظرة) دون غيره (فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط) وهي التشمر والمبالغة في تفاريع الفقه (ثم كيف خالفوه فيها) بعدم الاخلاص (ولهذا قال أبو ثور) ابراهيم بن خالد بن اليمان الكلبي البغدادي ويقال كنيته أبو عبد الله ولقبه أبو ثور روى عن سفيان بن عيينة وابن علية وعبد بن حميد ووكيع وعبد الرحمن بن مهدي والشافعي ويزيد بن معروف وعنه مسلم خارج الصحيح وأبو داود وابن ماجه وأبو القاسم البغوي ومحمد ابن اسحق والسراج قال ابن حبان كان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا توفي سنة ٢٤٠ (ما رأيت ولا رأى الراؤن مثل الشافعي) أخرجه البيهقي عن الحاكم سمعت اسحق بن سعد بن الحسن بن سفيان يقول سمعت أبا ثور يقول ما رأينا مثل الشافعي ولا رأى الشافعي مثل نفسه وذكر ابن السبكي في ترجمة أبي ثور من طبقاته بمثل سياق المصنف وزاد كان أصحاب الحديث ونقاده يجيؤن اليه فيعرضون عليه فربما وقفهم على غوامض الحديث لم يقفوا عليها فيقومون وهم يتعجبون وقال الخطيب أخبرنا محمد بن علي المقرى أخبرنا محمد بن جعفر التميمي بالكوفة أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن حاتم بن ادريس البلخي أخبرنا نصر بن المكى حدثنا ابن عبد الحكم قال ما رأينا مثل الشافعي كان أصحاب الحديث ونقاده يجيؤن فسافه مثل قول أبي ثور وزاد بعد قوله وهم يتعجبون ويأتيه أصحاب الفقه المخالفون والموافقون فلا يقومون الاوهم مذعنون له بالحذق والدراية ويجيئه أصحاب الادب فيقرؤن عليه الشعر فيفسره ولقد كان يحفظ عشرة آلاف بيت شعر من أشعار هذيل باعرابها وغريبها ومعانيها وكان من أضبط الناس للتاريخ وكان يعينه على ذلك شيآن وفور عقل وصحة دين وكان ملاك أمره صحة العمل لله تعالى وأخرج الخطيب من رواية الزبير بن بكار قال قال لي عمي مصعب لم ترعيناي مثل الشافعي قال قلت ياعم أنت تقول لم ترعيناي مثل الشافعي قال نعم لم ترعيناي مثله وقد روى مثل هذا عن أيوب بن سويد وكان قد رأى الاوزاعي وروى ذلك أيضا عن ابن عبد الحكم والزعفراني وغيرهم (وقال أحمد بن حنبل) الامام (ما صليت صلاة منذ أربعين سنة الا وأنا أدعو للشافعي) قال زكريا بن يحيى الساجي حدثني محمد بن خلاد البغدادي حدثني الفضل بن زياد عن أحمد بن حنبل

قال هذا الذى ترون كله أو عامته من الشافعى ومابت منذ ثلاثين سنة الا وأنا أدعو الله للشافعى وأستغفر له وأخرج الخطيب من رواية أبى عثمان محمد بن محمد بن ادريس الشافعى قال قال لى أحمد بن حنبل أبوك أحد الستة الذين أدعو لهم فى السجود قلت وقال الميمون قال أحمد ستة ادعو لهم سحرا منهم الشافعى وأخرج الخطيب أيضا من رواية خطاب بن بشر قال سمعت أحمد بن حنبل يذكر أبا عثمان أمر أبيه فقال يرحم الله أبا عبد الله ما أصلى صلاة الا دعوت فيها لخمسة هو أحدهم وما يتقدمه منهم أحد وروى مثل هذا القول عن عبد الرحمن بن مهدى قال ما أصلى صلاة الا وأنا أدعو للشافعى فيها (فانظر الى انصاف الداعى) فى نفسه (والى درجة المدعوّ له) عند الله تعالى مع معرفة كل منهما قدر صاحبه فقد روى حرملة عن الشافعى قال خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أورع ولا أزهد ولا أعلم من أحمد رضى الله عنه (وقس به الاقران والامثال من العلماء فى هذه الاعصار وما) يجرى (بينهم (من المشاحنة) والعداوة (والبغضاء) وقلة المعاونة (لتعلم تقصيرهم فى دعوى الاقتداء بهؤلاء) الائمة (ولكثرة دعائه له قال له ابنه) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل ولد فى سنة ٢١٣ وحدث عن أبيه وعبد الاعلى بن حماد وكامل بن طلحة ويحيى بن معين وأبى بكر وعثمان ابنى أبى شيبة وشيبان بن فروخ وعباس بن الوليد النرسى وابن خيثمة وزهير بن حرب وسويد بن سعيد وأبى الربيع الروانى وعلى بن حكيم الاودى ومحمد بن جعفر الوركانى ويحيى بن عبدربه وزكريا بن يحيى ابن حويه وعبد الله بن عمر بن أبان الجعفى ومحمد بن أبى بكر وسفيان بن وكيع وسلمة بن شبيب وداود بن عمر الضبى ومن فى طبقتهم وروى عنه أبو القاسم البغوى وعبد الله بن اسحق المدائنى ومحمد بن خلف ووكيع ويحيى بن صاعد وعبد الله النيسابورى والقاضيان والمحاملى وأحمد بن كامل وأبو على بن الصوّاف وأبو بكر النجاد وأبو الحسين ابن المنادى ومحمد بن مخلد وأبو بكر الخلال وآخرون وكان ثبتا فهما ثقة (أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال أحمد يابنى كان الشافعى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس) وفى نسخة للابدان (وانظر هل لهذين) أى الشمس والعافية (من خلف) أى عوض (وقال أحمد) فيما أخرجه الحاكم فقال حدثنى أبو الحسن أحمد ابن محمد بن السرى المقرى حدثنا أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الاشعرى البغدادى سمعت الفضل بن زياد العطار يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول (ما مس) وفى رواية الحاكم ما مس (أحد محبرة) زاد الحاكم ولا قلما والمحبرة الدواة (الا وللشافعى فى عنقه منة) ويقرب منه قول أبى زرعة الرازى ما أعلم أحدا أعظم منة على أهل الاسلام من الشافعى (وقال) أبو سعيد (يحيى بن سعيد) ابن فروخ التميمى مولاهم (القطان) الحافظ أحد الاعلام روى عن هشام وحميد والاعمش وعنه أحمد وابن معين وابن المدينى قال أحمد ما رأت عيناى مثله وكان رأسا فى العلم والعمل ولد سنة ١٥٨ وتوفى سنة ١٩٨ (ما صليت صلاة منذ أربعين سنة الا وأنا أدعو فيها للشافعى لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه) رواه ابن أبى حاتم عن الزعفرانى قال أخبرت عن يحيى بن سعيد القطان قال انى لادعو الله للشافعى فى كل صلاة أو فى كل يوم لما فتح الله عليه من العلم ووفقه للسداد فيه (ولنقتصر على) ذكر هذه (النبذة) المختصرة (من أحواله) رضى الله عنه (فان ذلك خارج عن الحصر) والتعداد (وأكثر هذه المناقب نقلناها من الكتاب الذى صنفه الشيخ) الفقيه الزاهد أبو الفتح (نصر بن ابراهيم) ابن داود (المقدسى) تفقه على الفقيه سليم بصور ثم رحل الى ديار بكر وتفقه على محمد بن نبات الكازرونى ودرس ببيت المقدس مرة ثم انتقل الى صور وأقام بها عشر سنين ينشر العلم ثم الى دمشق فأقام بها تسع سنين يحدث ويفتى ويدرس وهو على طريقة واحدة من الزهد والتصنيف وسلوك منهاج السلف ومن تصانيفه كتاب الحجة على تارك المحجة والتهذيب والكافى والمقصود وشرح

لا يقضيه من خلقه بعلمه وارادته وقدرته ان ذلك على غاية الحكمة ونهاية الاتقان ومبلغ جودة الصنع ليجعل كمال ما خلق دليلا قاطعا وبرهانا على كماله فى صفات جلاله الموجبة لاجلاله فلو كان ما خلق

فانظر الى انصاف الداعى والى درجة المدعوّ له وقس به الاقران والامثال من العلماء فى هذه الاعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم فى دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال أحمد يابنى كان الشافعى رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وكان احمد رحمه الله يقول ما مس أحد بيده محبرة الا وللشافعى رحمه الله فى عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ أربعين سنة الا وأنا أدعو فيها للشافعى لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من أحواله فان ذلك خارج عن الحصر وأكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذى صنفه الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسى رحمه الله تعالى

الاشارة لشيخه سليم الرازى ومن شيوخه فى الحديث عبد الرحمن بن الطبيز وعلى بن السمسار ومحمد ابن عوف المزنى وابن سلوان وأبو على الاهوازى هؤلاء بدمشق وسمع بغزة من محمد بن جعفر الميماسى وبآمد من هبة الله بن سليمان وبصور من الفقيه سليم وآخرون وأملى مجالس روى عنه أبو بكر الخطيب وهو من شيوخه وأبو القاسم النسيب وأبو الفضل يحيى بن على وجمال الاسلام أبو الحسن السلمى وأبو الفتح نصر الله المصيصى وهما من أخص تلامذته وأبو على حمزة الجنبوبى توفى يوم الثلاثاء تاسع محرم سنة ٥٠٦ بدمشق وقبره معروف فى باب الصغير تحت قبر معاوية رضى الله عنه قال النووى سمعت الشيوخ يقولون الدعاء عند قبره يوم السبت مستجاب (فى مناقب الشافعى رحمه الله تعالى) وهذا بيان من صنف فى مناقبه فأولهم داود بن على الظاهرى ثم زكريا بن يحيى الساجى وعبد الرحمن ابن أبى حاتم وأبو الحسن محمد بن الحسين الهمدانى المعروف بابن جهكان قال ابن كثير وهو ضعيف وفيما ينقله نكارة ولا يكاد يخلو مارواه عن غرابة ونكارة وأبو الحسين الرازى والدتمام وأبو عبد الله ابن شاكر القطان والزاهد اسمعيل بن محمد السرخسى وعبد القاهر بن طاهر البغدادى والحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى والحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخه والحافظ أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبى زيد الاصبهانى المعروف ٧ بابن المقرى وأبو الحسن بن أبى القاسم البيهقى والفقيه نصر المقدسى والحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه ذكر ترجمة بليغة أطنب فيها وذكر أشياء من ترجمة ابن جهكان وهو ضعيف وأشياء من كتاب البلوى وهو وضاع كذاب وكذلك جمع فى مناقب الامام أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازى أستاذ المتكلمين فى زمانه فى مجلد وأطال العبارة فيها قال ابن كثير ولكنه اعتمد على منقولات كثيرة مكذوبة ولا معتمد عنده فى ذلك فلهذا كثر فيها الغرائب وكذلك الحافظ الذهبى فى تاريخ الاسلام والحافظ عماد الدين بن كثير فى أول ٧ طبقاته والتاج السبكى فى أول طبقاته الكبرى والحافظ ابن حجر فى كلام مستقل سماه توالى التأنيس والحافظ قطب الدين الخيضرى فى أول كتابه اللمع الالمعية والحافظ السيوطى فى كتاب سماه شافى العى بمناقب الشافعى فهؤلاء الذين بلغنا ممن صنف فى مناقبه شكر الله سعيهم وجزاهم عن الاسلام خيرا (وأما مالك رضى الله عنه) قال السيوطى فى تزيين الارائك فى مناقب الامام مالك ماحاصله هو امام الائمة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن الحرث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحرث هو ذو أصبح بن سويد بن عمرو بن سعيد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير الاكبر بن سبا الاكبر بن عبد شمس بن يعرب بن يشجب بن قحطان قال أبو مصعب مالك بن أنس من العرب وحلفه من قريش فى بنى تيم بن مرة قال الغافقى وأمه العالية ابنة شريك الازدية وقيل اسمها طليحة وذكر القاضى بكر بن العلاء القشيرى ان أباعامر جد مالك له صحبة وابنه مالك جد مالك من كبار التابعين ويقال ان جده أباعامر تابعى مخضرم ولد الامام مالك سنة ثلاث وتسعين فى ربيع الاول وقيل سنة أربع قاله محمد بن عبد الحكم وقيل سنة ثلاث وسبعين وقيل غير ذلك قال ابن سعيد وأخبرنا مطرف بن عبد الله قال كان مالك بن أنس طويلا عظيم الهامة أصلع أبيض الرأس واللحية أبيض شديد البياض الى الشقرة وكان لباسه الثياب المدنية الجياد وكان يكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثل وشيوخه كثيرون قد أفردوا بالتأليف منهم نافع والزهرى والمقرى وربيعة الرأى وغيرهم وروى عنه ألف رجل سوى سبعة عدهم الحافظ أبو بكر الخطيب مرتبا على حروف المعجم من كبارهم ابراهيم بن أدهم الزاهد والامام الشافعى والامام أبو حنيفة ومحمد بن الحسن الشيبانى ووالد البخارى صاحب الصحيح واسمعيل بن حماد بن أبى حنيفة واسحق بن ابراهيم الموصلى صاحب الاغانى وأشهب بن عبد العزيز

ناقصا بالاضافة الى غيره ماقدر على خلقه ولو لم يخلق لكان يظهر النقصان المدعى على هذا الوجود من خلقه كما يظهر على ماخلقه غير ذلك ويكون الجميع من باب الاستدلال على ماصنع من النقصان قطعا وما يحمل عليه من القدرة على الحل منه ظنا اذ خلق للخلق عقولا وجعل لهم فهوما وعرفهم ماأمكن وكشف لهم ماحجب وأجن فتكون من حيث عرفهم بكماله دلهم على نقصه ومن حيث أعلمهم بقدرته بصرهم بعجزه فتعالى الله رب العالمين الملك الحق المبين وأيضا فلا يعترض هنا ويتزر به الا من لايعرف مخلوقاته ولم يصرف الكلام الصحيح فى مشابه ذلك أصلا فى العلم أو كان نسخاله ومعنى نقيس عليه غيره وأما انكشافه بخبر ممن رزق علم ذلك كان بطلان العلم فى حق المخبر اذا فشاه لغير أهله وأهداه لمن لايستحقه كما روى عن عيسى على نبينا وعليه السلام لاتعلقوا الدر فى أعناق الخنازير وانما أراد اقطاع العلم غير أهله وقد جاء لاتمنعوا الحكمة أهلها

فى مناقب الشافعى رضى الله عنه وعن جميع المسلمين (وأما الامام مالك رضى الله عنه)

٧ هنا بياض بالاصل

فتظلموهم ولا تضعوها عند غير أهلها فتظلموها وأما سر العلم الذي يوجب كشفه بطلان الاحكام فان كان كشفه من الله سبحانه لقلوب ضعيفة بطلت الاحكام في حقها لمن يطلع عليه في ذلك

فانه كان أيضا متحليا بهذه الخصال الحسن فانه قيل له ماتقول يامالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الى الذي يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فالزمه وكان رحمه الله تعالى في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان اذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى * وأما ارادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله الجدال في الدين ليس بشئ ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله اني شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في اثنتين وثلاثين منها لاأدري

المصري وبشر بن الحرث أبو نصر الزاهد والحسن بن زياد اللؤلؤي وذو النون المصري وسفيان الثوري ومات قبله وسفيان بن عيينة والحسين الكرابيسي وابن المبارك وعبدالله بن عبد الحكم والاوزاعي وهو أكبر منه والاصمعي والليث بن سعد وهو من أقرانه والزهري وهو من شيوخه وابن أبي ذؤيب ومحمد الباقر ويحيي بن سعيد الانصاري وهو من شيوخه وتوفي في ربيع الاول سنة ١٧٩ وقال مصعب في صفر وصلى عليه عبدالله بن محمد بن ابراهيم الهاشمي أمير المدينة وكان أحد من حمل نعشه وخلف من الاولاد يحيي ومحمدا وحمادة وأم أبيها وبلغت تركته ثلاثة آلاف دينار وثلاثمائة دينار ونيفا (فانه كان متحليا بهذه الخصال الحسن) المذكورة (فانه سئل مايقول مالك) وفي نسخة يامالك ماتقول (في طلب العلم) المفهوم من حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم (فقال في جوابه) هو (حسن جميل ولكن انظر الذي يلزمك) تعلمه (من حين تصبح الى حين تمسي فالزمه) وهذه المقالة قد رويت عنه من أوجه ثلاثة الاول رواه ابن عبد البر في كتاب بيان العلم من طريق ابن وهب قال سئل مالك عن طلب العلم أهو فريضة على الناس فقال لا والله ولكن يطلب منه المرء ماينتفع به في دينه الثاني من طريق محمد بن معاوية الحضرمي قال سئل مالك وأنا أسمع عن الحديث الذي يذكر فيه طلب العلم فريضة على كل مسلم فقال ماأحسن طلب العلم فامافريضته فلا الثالث من طريق عبد الملك بن حبيب انه سمع عبد الملك بن الماجشون قال سمعت مالكا وسئل عن طلب العلم أواجب فقال أما معرفة شرائعه وسننه وفقهه الظاهر فواجب وغير ذلك منه من ضعف عنه فلا شئ عليه وهذه الاقوال مع غيرها ذكرناها مبسوطة فيما سلف عند ذكر الحديث المذكور (وكان رحمه الله في تعظيم علم الدين مبالغا حتى) روى عنه انه (كان اذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه) أي أعلاه (وسرح لحيته) بالمشط (واستعمل الطيب وتمكن في الجلوس) على ركبتيه (على وقار وهيبة) وخشوع وسكون (ثم يحدث فقيل له في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) وروى عن معن بن عيسى قال كان مالك اذا أراد أن يجلس للحديث اغتسل وتبخر وتطيب فان رفع أحد صوته في مجلسه زبره وقال قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي فمن رفع صوته عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم اه ومن هنا قال بعض الحفاظ ماأعهد من نفسي اني أمسكت جزأ من الحديث وأنا على غير طهارة (وقال مالك العلم نور) الهي (يجعله الله تعالى حيث يشاء) من عباده وفي نسخة فيمن يشاء (وليس) العلم (بكثرة الرواية) وهذه الجملة الاخيرة قد رويت عن عبد الله بن مسعود أخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عون بن عبدالله بن مسعود قال قال عبد الله بن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية لكن العلم الخشية وسيأتي ذلك (وهذا الاحترام والتوقير) للعلم (يدل على قوة معرفته بجلال الله عز وجل) وخوفه منه (وأما ارادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله الجدال في الدين) أي المعادات في علومه (ليس بشئ) أي لاثمرة له وهو مذموم عند السلف وأخرج الخطيب من رواية سعيد بن بشير بن ذكوان قال كان مالك اذا سئل عن مسئلة فظن أن صاحبها غير متعلم وانه يريد المغالطة نزع له بهذه الآية يقول قال الله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون (ويدل عليه) أيضا (قول الشافعي) فيما روى عنه (اني شهدت مالكا و) قد (سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال في اثنين وثلاثين منها لاأدري) وأجاب عن الباقي وهكذا كان عبد الله ابن عمر اذا سئل عن عشرة يجيب عن واحدة ويسكت عن تسعة وسيأتي أن لاأدري نصف العلم وفي رواية ثلث العلم وقال أحمد بن شيبان سمعت عبدالرحمن بن مهدي قال كنا عند مالك فجاءه رجل فقال من مسيرة ستة أشهر حملني أهل بلادي مسئلة قال سل فسأله عنها فقال لاأحسن قال فأي شئ أقول لاهل بلادي قال تقول قال مالك لاأحسن وأخرج أبو نعيم من طريق أبي مصعب قال سمعت مالكا

يقول

يقول ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك (ومن يريد غير وجه الله بعلمه فلا تسمح نفسه) بمقتضى جبلتها (بان يقر على نفسه بانه لا يدري) بل يحب أن يجيب في كل مسئلة مهما أمكن لئلا ينسب الجهل الى نفسه (فلذلك قال الشافعي) فيما رواه عنه يونس بن عبد الاعلى الصوفي (اذا ذكر العلماء فمالك نجم) ويروى اذا جاء مالك فمالك النجم وفي الحلية من طريقه اذا جاء الاثر فمالك النجم وقال يونس وسمعته يقول لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز وأخرج البخاري في تاريخه عن يحيى بن سعيد القطان قال مالك أمير المؤمنين في الحديث وقوله (الثاقب) ليس في الرواية المذكورة وقد سقط من بعض النسخ وقال ابن عساكر في تاريخه أنشدنا أبو بكر يحيى بن ابراهيم أنشدني والدي عن عبد الله الحميدي الاندلسي

اذا قيل من نجم الحديث وأهله * أشار أولو الالباب يعنون مالكا
اليه تناهى علم دين محمد * فوطأ فيه للرواة المسالكا
ونظم بالتصنيف أشتات نشره * وأوضح مالولاه قد كان حالكا
وأحيا دروس العلم شرقا ومغربا * تقدم في تلك المسالك سالكا
وقد جاء في الآثار من ذاك شاهد * على انه في العلم خص بذلكا
فمن كان ذا طعن على علم مالك * ولم يقتبس من نوره كان هالكا

وروى يونس عن الشافعي انه قال (ما أحد أمنّ عليّ من مالك) أي أكثر منة منه (وروى ان أبا جعفر من الخلفاء) وهو المنصور عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ثاني الخلفاء العباسية (منعه من رواية الحديث في طلاق المكره) هكذا في النسخ أبا جعفر والصحيح ان المانع له من ذلك هو جعفر بن سليمان الهاشمي لا أمير المؤمنين كما هو نص الحلية وغيرها (ثم دس عليه) خفية (من يسأله) عن هذا الحديث (فروى على ملأ من الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث) أخرج أبو نعيم في الحلية ان جعفر بن سليمان ضرب مالكا في طلاق المكره قال ابن وهب وحمل على بعير فقال ألا من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس بن عامر وأنا أقول طلاق المكره ليس بشئ فبلغ جعفر بن سليمان انه ينادي على نفسه بذلك فقال ادركوه وانزلوه وفي تاريخ الذهبي قال المفضل ابن زياد سألت أحمد من الذي ضرب مالكا قال ضربه بعض الولاة في طلاق المكره كان لا يجيزه فضربه لذلك وقال أبو داود السنجي ضرب جعفر بن سليمان العباسي مالكا في طلاق المكره فحدثني بعض أصحاب ابن وهب ان مالكا ضرب وحلق وحمل على بعير فقيل له ناد على نفسك فنادى فذكر مثل ما تقدم من سياق الحلية وعن اسحق الفروي وغيره قال ضرب مالك ونيل منه وحمل مغشيا عليه وعن مالك قال ضربت فيما ضرب فيه سعيد بن المسيب ومحمد بن المنكدر وربيعة ولا خير فيمن لا يؤذى في هذا الامر وعن الليث بن سعد قال اني لارجو أن يرفعه الله بكل سوط درجة في الجنة قال مصعب بن عبد الله ضربوه ثلاثين سوطا ويقال ستين سوطا وذلك في سنة ست وأربعين ومائة قال الاصمعي ضربه جعفر ابن سليمان ثم بعد مشيت بينهما حتى جعله في حل وقال الواقدي حسدوا مالكا وسعوا به الى جعفر ابن سليمان وهو على المدينة وقالوا انه لا يرى بيعتكم هذه شيأ ويأخذ بحديث في طلاق المكره انه لا يجوز فغضب ودعا به وجرد ومدت يده حتى انخلع كتفه وفي رواية يداه حتى انخلعت كتفاه قال الواقدي فوالله مازال بعد ذلك الضرب في علو ورفعة وروى الحافظ أبو الوليد الباجي قال حج المنصور فأقاد مالكا من جعفر بن سليمان فامتنع مالك وقال معاذ الله قلت وطلاق المكره غير صحيح وخالفهم أبو حنيفة فصححه ودليلهم ما رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن عائشة لا طلاق ولا عتاق في اغلاق وقال الحاكم بعد ما أخرجه من طريقين انه صحيح على شرط مسلم ورده الحافظ الذهبي بان فيه من احدى طريقيه

السر من معرفة مآل الاشياء وعواقب الخلق وكشف أسرار العباد وما بطن من مقدور فمن عرف نفسه مثلا انه من أهل الجنة لم يصل ولم يصم ولم يتعب نفسه في خير وكذلك لو انكشف له انه من أهل النار كل انهماكه فلا يحتاج الى تعب زائد ولا تصيبه مكابدة فلو عرف كل واحد عاقبته ومآله بطلت الاحكام الجارية عليه وان كان كشفها من تحير استروح الضعيف الى ما يسمع من ذلك فيتعطل وينخرم حاله وينحل قيده وبعد هذا فلا يحمل كلام سهل الاعلى ما يقدر لا على ما يوجد ولذلك جعله مقرونا بحرف لو الدال على امتناع الشئ لامتناع غيره كما

ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه اذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما أحد أمنّ علي من مالك وروى أن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملأ من الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث

محمد بن عبيد بن صالح لم يحتج به مسلم وضعفه أبو حاتم وفي الاخرى نعيم بن حماد صاحب مناكير ولذا
ضعفه الحافظ ابن حجر والاغلاق الاكراه قال ابن الاعرابي أغلق زيد عمرا على شئ يفعله اذا أكرهه
عليه واعتبر الامام أبو حنيفة وجود اللفظ المعتبر من أصله في محله ولم يعتبر وجود الرضا بثبوت الحكم
ومنهم من فسر الاغلاق بمعنى انه لاتغلق التطليقات كلها دفعة واحدة حتى لايبقى منها شئ ولكن يطلق
طلاق السنة وقيل غير ذلك ومحله كتب الفقه (وقال مالك ما كان رجل صادق في حديثه) أي عوّد
لسانه بالصدق (لايكذب) فيه (الا متع بعقله) أمتعه الله به (ولم يصبه مع الهرم) أي كبر السن (آفة)
في بدنه وحواسه (ولا خرف) أي فساد العقل وهذا ظاهر في أهل الحديث المشتغلين به يموت أحدهم
عن التسعين وأكثر وأقل ممتعا بحواسه ببركة صدقه في الحديث وروايته له (وأما زهده في الدنيا)
وتقلله منها (فيدل عليه ماروى أن المهدى أمير المؤمنين) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن علي بن
عبدالله بن عباس ثالث الخلفاء العباسية (سأله وقال هل لك دار) أي بالملك (فقال لا ولكن أحدثك
فيه حديثا سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن) هو أبو عثمان ربيعة بن فروخ مولى آل المنكدر فقيه
المدينة المعروف بالرأي روى عن أنس والسائب وربيعة بن عبدالله بن المهدى وعنه مالك والليث
والدراوردي وأبو حمزة توفي بالانبار سنة ١٣٠ (يقول نسب المرء داره) وهذا من قوله موقوف عليه
وسماه حديثا تجوّزا (وسأله الرشيد) هرون بن محمد بن عبدالله بن عباس رابع الخلفاء العباسية وذلك
في سنة حجه وهي السنة التي توفي فيها مالك (هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها
دارا) ووصله أيضا يحيى بخمسمائة دينار (فأخذها ولم ينفقها) أي لم يصرف منها شيأ (فلما أراد الرشيد
الشخوص) أي الخروج من الحجاز الى العراق بعد أداء نسكه (قال لمالك ينبغي أن تخرج معنا) الى
العراق (فاني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ) أي على العمل بما فيه (كما حمل) أمير المؤمنين
(عثمان) بن عفان (الناس على القرآن) وأبطل جميع المصاحف قال أبو الحسن بن فهر في كتاب فضائل
مالك أخبرنا أحمد بن ابراهيم بن فراس سمعت أبي يقول سمعت علي بن أحمد الخلنجي يقول سمعت بعض
المشايخ يقول قال مالك عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة فكلهم واطأني عليه
فسميته الموطأ قال ابن فهر ولم يسبق مالكا أحد الى هذه التسمية فان من ألف في زمانه بعضهم سمى
بالجامع وبعضهم سمى بالمصنف وبعضهم بالمؤلف والموطأ بمعنى الممهد المنقح المحرر المصفى قال الشافعي
مابعد كتاب الله أصح من الموطأ وفي رواية أصح من كتاب مالك وقال السيوطي أطلق جماعة على الموطأ
اسم الصحيح واعترضوا على ابن الصلاح في قوله أول من صنف في الصحيح البخاري بأن مالكا تقدمه وقال
النووي في التقريب أول من صنف في الصحيح المجرد فزاد المجرد احترازا عن الموطأ فان مالكا لم يجرد
فيه الصحيح بل أدخل فيه المرسل والمنقطع والبلاغات وقال الحافظ مغلطاي لافرق بين الموطأ
والبخاري في ذلك لوجوده أيضا في البخاري من التعاليق ونحوها قال الحافظ ابن حجر كتاب مالك
صحيح عنده وعند من يقلده على مااقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرهما لا على الشرط
الذي استقر عليه العمل في حد الصحة قال والفرق بين مافيه من المنقطع وبين مافي البخاري ان الذي
في الموطأ هو كذلك مسموع لمالك غالبا وهو حجة عنده والذي في البخاري قد حذف اسناده عمدا لاغراض
قررت في التعليق قال فظهر بهذا ان الذي في البخاري من ذلك لايخرجه عن كونه جرد فيه الصحيح
بخلاف الموطأ (فقال) مالك (أما حمل الناس على الموطأ فليس الى ذلك سبيل لان أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الامصار فحدثوا) وقد تقدم ان بالشام كانت عشرة آلاف عين رأت
رسول الله صلى الله عليه وسلم (فعند كل أهل مصر علم) ماليس عند أهل مصر أخرى (وقد قال
صلى الله عليه وسلم اختلاف أمتي رحمة) قال العراقي ذكره البيهقي في رسالته الاشعرية بغير اسناد بهذا

يقال لو كان للانسان جناحان لطار ولو كان للسماء درج لصعد عليها ولو كان البشر ملكا لفقد الشهوات فعلى هذا يخرج كلام سهل في ظاهر العلم *(فصل*) وأما خطاب العقلاء للجمادات فغير

وقال مالك رحمه الله ما كان رجل صادقا في حديثه ولا يكذب الا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف * وأما زهده في الدنيا فيدل عليه ماروى أن المهدى أمير المؤمنين سأله فقال له هل لك من دار فقال لا ولكن أحدثك سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا فأخذها ولم ينفقها فلما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك رحمه الله ينبغي أن تخرج معنا فاني عزمت على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس على القرآن فقال له أما حمل الناس على الموطأ فليس اليه سبيل لان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الامصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم وقد قال صلى الله عليه وسلم اختلاف أمتي رحمة

اللفظ وأسنده فى المدخل من رواية سليمان بن أبى كريمة عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رفعه فذكر حديثا فى آخره واختلاف أصحابى لكم رحمة وسليمان وجويبر ضعيفان جدا والضحاك بن مزاحم مختلف فيه وكان شعبة ينكر ان يكون سمع من ابن عباس اه قلت وأول الحديث الذى فى المدخل مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لاحد فى تركه فان لم يكن فى كتاب الله فسنة منى ماضية فان لم تكن سنة منى فما قال أصحابى ان أصحابى كالنجوم فى السماء فأيما أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابى لكم رحمة قال السخاوى ومن هذا الوجه أخرجه الطبرانى والديلمى فى مسنده بلفظه سواء قلت وكذا أبو نصر السجزى فى الابانة وقال غريب والخطيب وابن عساكر فى تاريخهما كذا فى الجامع الكبير للسيوطى وقال ابن السبكى فى تخريج أحاديث المنهاج هذا شئ لا أصل له وقال والده لم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع اه وأورده الحليمى فى كتاب الشهادات من تعليقه والقاضى حسين وامام الحرمين وقال ابن الملقن فى تخريج أحاديث المنهاج لم أر من خرجه مرفوعا بعد البحث الشديد عنه وانما نقله ابن الاثير فى مقدمة جامعه من قول مالك وقال الزركشى فى تذكرته رواه الشيخ نصر المقدسى فى كتاب الحجة مرفوعا ورواه البيهقى فى المدخل عن القاسم بن محمد قوله وعن يحيى بن سعيد نحوه وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يقول ما سرنى لو ان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا لانهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة اه كلام الزركشى وقال العراقى وله اسناد آخر مرسل رواه آدم بن أبى اياس فى كتاب العلم والحلم قال حدثنا بقية حدثنا أبو الحجاج مهدى حدثنى شيخ من لخم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف أصحابى لامتى رحمة وهذا اسناد فيه جهالة والمعروف ان هذا من قول القاسم بن محمد انه قال اختلاف أمة محمد صلى الله عليه وسلم رحمة رواه البيهقى فى المدخل اه قال السخاوى وقد عزاه الزركشى الى كتاب الحجة لنصر المقدسى مرفوعا من غير بيان لسنده ولصحابيه وكذا عزاه العراقى لآدم بن أبى اياس فى كتاب العلم والحلم قال هو مرسل ضعيف وبهذا اللفظ يعنى لفظ ابن اياس ذكره البيهقى فى رسالته الاشعرية بغير اسناد وفى المدخل من حديث سفيان عن أفلح بن حميد عن القاسم بن حميد قال اختلاف أصحاب محمد رحمة لعباد الله ومن حديث قتادة ان عمر بن عبد العزيز كان يقول ثم ساق بمثل سياق الزركشى ومن حديث الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد قال أهل العلم أهل توسعة وما برح المفتون يختلفون فيحل هذا ويحرم هذا ولا يعيب هذا على هذا ثم قال السخاوى وقرأت بخط شيخنا يعنى ابن حجر الحافظ انه أى هذا الحديث مشهور على الالسنة وقد أورده ابن الحاجب فى المختصر فى مباحث القياس بلفظ اختلاف أمتى رحمة للناس وكثر السؤال عنه وزعم كثير من الائمة انه لا أصل له لكن ذكره الخطابى فى غريب الحديث مستطردا وقال اعترض على هذا الحديث رجلان أحدهما ماجن والآخر ملحد وهما اسحق الموصلى وعمرو بن بحر الجاحظ وقالا جميعا لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابا ثم تشاغل الخطابى برد هذا الكلام ولم يقع فى كلامه شفاء فى عزو الحديث ولكنه أشعر بان له أصلا عنده اه ثم ان المراد من الامة فى الحديث المجتهدون منهم فى الفروع التى يسوغ الاجتهاد فيها قال السبكى ولا شك ان الاختلاف فى الاصول ضلال وسبب كل فساد كما أشار اليه القرآن وأما ما ذهب اليه جمع من ان المراد الاختلاف فى الحرف والصنائع فهو مردود اذ كان المناسب على هذا ان يقال اختلاف الناس رحمة اذ لا خصوص للامة بذلك فان كل الامم يختلفون فى الحرف والصنائع ولا بد من خصوصية قال وما ذكره الحليمى كامام الحرمين فى النهاية من ان المراد اختلافهم فى المناصب والدرجات والمراتب فلا ينساق الذهن من لفظ الاختلاف اليه ورحمة نكرة فى سياق الاثبات لا يقتضى العموم فيكفى فى صحته ان يحصل الاختلاف رحمة ما فى وقت ما فى حال ما على وجه ما اه ونقل السمهودى هذه القصة عن مالك وقال هو كالصريح فى ان المراد الاختلاف فى الاحكام كما نقله ابن الصلاح عن مالك انه قال فى اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مخطئ

الديار وسالوا الاطلال واستخبروا الآثار وقد جاء فى أشعار العرب وكلامها من ذلك كثير وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم أسكن أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان وقال بعضهم اسأل الارض تخبرك عمن شق انهارها وفجر بحارها وفتق أهواءها ورتق أجواءها وأرسى جبالها ان لم تجبك اجابتك اعتبارا وانما الذى يتوقف على الاذهان ويتحير فى قوله السامعون وتتعجب منه العقول هو كيفية كلام الجمادات والحيوانات الصامتات ففى هذا وقع الانكار واضطرب النظار وكذب فى تصحيح وجوده ذو السمع من الاعتبار ولكن لتعلم أن تلقى الكلام للعقلاء ممن لم يعقل عنه فى المشهود يكون على جهات من ذلك سماع الكلام الذاتى كما تتلقى من أهل النطق اذا قصدوا الى نظم اللفظ وذلك أكثر ما يكون للانبياء والرسل صلوات الله عليهم فى بعض الاوقات كحنين الجذع للنبى صلى الله عليه وسلم وكان حجر يسلم عليه فى طريقه قبل مبعثه ومنها تلقى الكلام فى حس السامع من غير ان يكون له وجود من خارج الحس ويعترى

ومصيب فعليك بالاجتهاد قال وليس كما قال ناس فيه توسعة على الامة انما هو بالنسبة الى المجتهد لقوله فعليك بالاجتهاد فالمجتهد مكلف بما أداه اليه اجتهاده فلا توسعة عليه فى اختلافهم وانما التوسعة على المقلد فقوله اختلاف أمتى رحمة للناس أى لمقلديهم وسياق قول مالك مخطئ ومصيب انما هو الرد على من قال من كان أهلا للاجتهاد فله تقليد الصحابة دون غيرهم وفى العقائد لابن قدامة الحنبلى ان اختلاف الامة رحمة واتفاقهم حجة (وأما الخروج معك) الى العراق (فلا سبيل اليه) لانه (قال صلى الله عليه وسلم المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) قال العراقى قد رواه كذلك ابن أبى حاتم فى مقدمة الجرح والتعديل عن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم بغير اسناد وهو مسند متصل من حديث مالك وغيره من حديث سفيان بن أبى زهير وأبى هريرة وسعد بن أبى وقاص وجابر وأبى أيوب وزيد بن ثابت وأبى أسيد أما حديث سفيان بن أبى زهير رضى الله عنه فأخرجه البخارى والنسائى من طريق مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن سفيان عن أبى زهير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفتح اليمن فيأتى قوم يبسون فيتحملون لاهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون الحديث رواه مسلم من رواية وكيع وابن جريج والنسائى من رواية عبدة بن سليمان ثلاثتهم عن هشام ابن عروة قلت لفظ مسلم يفتح الشام فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ثم ذكر اليمن ثم العراق بهذا اللفظ قال العراقى وأما حديث أبى هريرة فرواه مسلم فى افراده من رواية العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخاء هلم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون الحديث قلت أخرجه مسلم من طريق الدراوردى عن العلاء عن أبيه قال وأما حديث سعد فرواه مسلم والنسائى من رواية عثمان بن حكيم حدثنى عامر بن سعد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أحرم ما بين لابتى المدينة ان تقطع عضاهها أو يقتل صيدها وقال المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وأما حديث جابر فرواه أحمد فى المسند من طريق أبى الزبير عن جابر والبزار من طريق الجريرى عن أبى بصرة عن جابر ورجاله ثقات وأما حديث أبى أيوب وزيد بن ثابت وأبى اسيد فرواها الطبرانى فى الكبير بأسانيد جيدة (وقال) صلى الله عليه وسلم (المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد) الخبث محركة ما يلقى من وسخ الفضة والنحاس وغيرهما اذا أذيبت قاله ابن الاثير وقال العراقى وهو متصل من حديث مالك وغيره من حديث أبى هريرة وجابر وزيد بن ثابت أما حديث أبى هريرة فرواه البخارى ومسلم والنسائى من طريق مالك عن يحيى بن سعيد قال سمعت أبا الحباب سعد بن يسار يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهى المدينة تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد ورواه مسلم من رواية ابن عيينة وعبد الوهاب الثقفى كلاهما عن يحيى بن سعيد وأما حديث جابر فرواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طريق مالك عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ان اعرابيا بايع النبى صلى الله عليه وسلم فذكر حديثا فى آخره فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما المدينة كالكير تنفى خبثها وتنصع طيبها ورواه البخارى والنسائى من رواية سفيان الثورى عن ابن المنكدر وفى رواية لاحمد من رواية زهير عن زيد بن أسلم عن جابر فذكر حديثا فيه خروج المنافقين والمنافقات من المدينة الى الدجال ثم قال ذلك يوم تنفى المدينة الخبث كما ينفى الكير خبث الحديد وذكر بقية الحديث ورجاله رجال الصحيح وأما حديث زيد بن ثابت فرواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من رواية عبد الله بن زيد بن ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم انها طيبة يعنى المدينة وانها تنفى الخبث كما تنفى النار خبث الفضة اه قلت ولفظ البخارى من حديث جابر جاء اعرابى فبايعه يعنى النبى صلى

الله

هنا فى سائر الحواس كمثل ما يسمع النائم فى منامه من مثال شخص من غير مثال والمثال المرئى للنائم ليس له وجود فى سمعه واما ما يجده غير النائم فى اليقظة فمنها خاصة وعامة ٧ ينادى المسلم بالمسلم خلفى يهودى فاقتله وان لم يخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقا ويذهب عنه معنى الجرية أو يوكل بالحجر من يتكلم عنه ممن تستر عن الابصار فى العادة من الملائكة والجن ويكون كلام يخلقه الله عز وجل فى أذن السامع ليفيده العلم باختفاء اليهودى حتى يقتله وكما يقال فى العرض الاكبر يوم القيامة اذا نودى فيه باسم كل واحد على الخصوص وفى الخلائق مثل اسم المنادى به كثير وقد قالت العلماء انه لا يسمع النداء فى ذلك الجمع الا من نودى فيحتمل أن يكون ذلك النداء يخلق للمنادى فى حاسة اذنه ليتحرك الى الحساب وحده دون من يشاركه فى اسمه ولا يكون نداء من خارج

وأما الخروج معك فلا سبيل اليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال عليه الصلاة والسلام المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد

وهذه دنانيركم كما هي ان شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها يعني انك انما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطنعته الى فلا أوثر الدنيا على

الله عليه وسلم على الاسلام ثم جاء من الغد محموما فقال أقلني بيعتي فأبى ثم جاء فأبى ثم جاء فقال أقلني بيعتي فأبى فخرج الاعرابي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما المدينة الحديث قاله ابن السبكي في تخريج أحاديث المنهاج وقال ابن الملقن في تخريج أحاديث الكتاب المذكور أخرجه الشيخان في صحيحيهما من طرق أحدها عند أبي هريرة مطولا وفيه الا ان المدينة كالكير تخرج الخبث لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبثه الثاني عن جابر مطولا أيضا بقصة وفيه انما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها الثالث عن زيد بن ثابت ولفظه انها طيبة يعني المدينة وساق كسياق العراقي قال وفي بعض طرق البخاري تنفي الذنوب ذكره في المغازي (وهذه دنانيركم) موضوعة (كما هي ان شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها) أي اتركوها يعني انك انما تكلفني مفارقة المدينة بما اصطنعته لدي من المواساة بالمال (فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله) صلى الله عليه وسلم (فهكذا كان زهد مالك) رحمه الله في الدنيا وحقارتها في عينه (ولما حملت اليه الاموال) والهدايا الكثيرة (من أطراف الدنيا) خاصة من المغرب الاقصى (لانتشار علمه) وفضله (وأصحابه كان يفرقها في وجوه الخير) ولا يمسكها لنفسه الا بقدر الحاجة (ودل سخاؤه) وكرم نفسه (على زهده وقلة حبه للدنيا) ونزاهة ساحته فيها (وليس) حقيقة (الزهد) عندهم (فقد المال) وذهابه (وانما الزهد فراغ القلب عنه) أي خروج حبه عن القلب (فلقد كان سليمان عليه السلام في ملكه) الذي لا ينبغي ان يكون لاحد من بعده (من الزهاد) واشتغاله باعباء الملك ظاهرا لا يمنع الزهد (ويدل على احتقاره للدنيا ماروي عن الشافعي انه قال رأيت على باب مالك كراعا) الكراع اسم لجميع الخيل والسلاح (من افراس خراسان) كورة مشهورة بالعجم يجلب منها جياد الخيل (وبغال مصر) أي مما أرسلت اليه في الهدايا (ما رأيت أحسن منها فقلت لمالك ما أحسنه فقال هو هدية مني اليك يا أبا عبد الله فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال أما أستحي من الله ان أطأ تربة) أي أرضا (فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر الى سخاوته) وكرمه (اذوهب جميع ذلك) أي من الدواب للشافعي (دفعة واحدة) بمجرد قوله له ما أحسنه (والى توقيره لتربة المدينة التي فيها النبي صلى الله عليه وسلم) وانما نشأ هذا من مراقبة الله تعالى في أحواله كلها وعدم الالتفات الى زهرة الدنيا (ويدل على ارادته بالعلم وجه الله واستحقاره للدنيا ماروي عنه انه قال دخلت على هرون الرشيد) حين جاء اليه يحيى بن خالد يطلبه (فقال لي يا أبا عبد الله) وهي كنية مالك والشافعي وأحمد وسفيان (ينبغي ان تختلف الينا) أي تتردد (حتى يسمع صبياننا منك الموطأ قال قلت) له (أعز الله الامير ان هذا العلم منكم خرج) يعني قريشا (فان أنتم اعززتموه عز) أي صار عزيزا (وان أذللتموه ذل) صار ذليلا (والعلم يؤتى) اليه لرفعة قدره (ولا يأتي) وفي المدارك للقاضي عياض انه قال لهرون أدركت أهل العلم يؤتون ولا يأتون ومنكم خرج العلم وأنتم أولى الناس باعظامه ومن اعظامكم له ان لا تدعوا حملته الى أبوابكم وقال السخاوي في المقاصد العلم يسعى اليه هو من قول مالك ويروى العلم أولى ان يوقروه ويؤتى اليه قاله للمهدي حين استدعى به لولديه ليسمعا منه ويروى بلفظ العلم يزار ولا يزور ويؤتى ولا يأتي اهـ وقرأت في أمالي الحافظ ولي الدين أبي زرعة ابن العراقي قال أنشدنا أبو الحرم القلانسي حضورا في الثالثة واجازة أنشدنا أبو المعالي الابرقوهي حضورا في الرابعة واجازة أنبأنا أبو عبد الله محمد بن ظفر اليزدي لنفسه

ارع الحديث وعظم أهله أبدا * واعلم بان لهم فيه ولايات
ان كنت تطلبه قم فأت صاحبه * فالعلم يا سيدي يؤتى ولايات

(فقال صدقت) ثم قال للصبيان (اخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس) وهذه القصة أوردها ابن عساكر بسياق آخر فقال أخبرنا أبو الحسن المالكي أخبرنا أبو العباس الفقيه أخبرنا عبد

مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حملت اليه الاموال الكثيرة من أطراف الدنيا لانتشار علمه وأصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وانما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ماروي عن الشافعي رحمه الله أنه قال رأيت على باب مالك كراعا من أفراس خراسان وبغال مصر ما رأيت أحسن منه فقلت لمالك رحمه الله ما أحسنه فقال هو هدية مني اليك يا أبا عبد الله فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال اني أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة فانظر الى سخائه اذوهب جميع ذلك دفعة واحدة والى توقيره لتربة المدينة ويدل على ارادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاره للدنيا ماروي عنه أنه قال دخلت على هرون الرشيد فقال لي يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ قال فقلت أعز الله مولانا الامير ان هذا العلم منكم خرج فان أنتم أعززتموه عز وان أنتم أذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتي فقال صدقت اخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس

الوهاب أخبرنا أبو يعلى عبد العزيز الحرانى أخبرنا أبو بكر بن هرون أخبرنا ابراهيم بن نصر النهاوندى أخبرنا عتيق بن يعقوب الزبيرى قال قدم هرون الرشيد المدينة وكان قد بلغه ان مالك بن أنس عنده الموطأ يقرؤه على الناس فوجه اليه البرمكى فقال اقرأه السلام وقل له احمل الى الكتاب فتقرأه على فأتاه البرمكى فقال له مالك اقرأه السلام وقل له ان العلم يؤتى ولا يأتى فأتاه البرمكى فأخبره وكان عنده أبو يوسف القاضى فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى الزهرى عن خارجة بن زيد عن أبيه قال كنت اكتب الوحى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستوى القاعدون من المؤمنين وابن أم مكتوم عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى رجل ضرير وقد أنزل الله عليك فى فضل الجهاد ما علمت فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا أدرى وقلمى رطب فما جف حتى وقع فخذ النبى صلى الله عليه وسلم على فخذى ثم أغمى عليه ثم جلس فقال يا زيد اكتب غير أولى الضرر ويا أمير المؤمنين حرف واحد بعث فيه جبريل والملائكة عليهم السلام من مسيرة خمسين ألف عام ألا ينبغى له ان تعزه وتجله وان الله تعالى رفعك وجعلك فى هذا الموضع بعلمك فلا تكن أنت أول من يضيع عز العلم فيضيع الله عزك فقام الرشيد يمشى مع مالك الى منزله فسمع منه الموطأ وأجلسه معه على المنصة فلما أراد ان يقرأه على مالك قال تقرأه على قال ما قرأته على أحد منذ أزمان قال فيخرج الناس عنى حتى أقرأه انا عليك فقال ان العلم اذا منع عن العامة لاجل الخاصة لم ينفع الله به الخاصة فأمر له معن بن عيسى الغزانى ليقرأه عليه فلما بدا ليقرأه قال مالك لهرون يا أمير المؤمنين أدركت أهل العلم ببلادنا وانهم ليحبون التواضع للعلم فنزل هرون عن المنصة فجلس بين يديه (وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى فلقد كان أيضا عابدا) لله تعالى (زاهدا) للدنيا (عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله بعلمه) هو الامام الاعظم والمجتهد الافخم النعمان بن ثابت بن زوطى كسكرى بن ماه الكوفى الفقيه مولى بنى تيم الله بن ثعلبة على قول وقيل يتصل نسبه الى كسرى أحد الائمة الاربعة قال أبو نعيم الفضل بن دكين ولد أبو حنيفة سنة ثمانين ورأى أنس بن مالك غير مرة بالكوفة قاله ابن سعد فى الطبقات وروى عن عطاء بن أبى رباح قال ما رأيت أفضل منه وعن عطية العوفى ونافع وسلمة بن كهيل ومحمد الباقر وولده جعفر وعدى بن ثابت وقتادة وعبد الرحمن بن هرمز الاعرج وعمرو بن دينار ومنصور بن المعتمر وأبى الزبير وحماد بن أبى سليمان وربيعة بن أبى عبد الرحمن وشعبة بن الحجاج والاوزاعى وعاصم بن أبى النجود وغيرهم ينيفون على أربعة آلاف على اختلاف طبقاتهم وأما الرواة عنه فلا ينحصرون وفيهم من هو من رجال السنة وقد أوردهم البدر العينى وقاسم بن قطلوبغا على حروف المعجم منهم الامامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن ويعرفان بالصاحبين والحسن بن زياد اللؤلؤى وزفر بن الهذيل وابنه حماد بن أبى حنيفة وحفص ابن غياث وجرير بن حازم وحماد بن زيد بن درهم وخارجة بن مصعب وابراهيم بن أدهم الزاهد وشقيق ابن ابراهيم البلخى الزاهد وداود بن ناصر الطائى الزاهد وفضيل بن عياض الزاهد والليث بن سعد وعبد الله بن المبارك المروزى وأبو عاصم النبيل والقاسم بن معن وقتادة وهاشم بن القاسم والوليد بن مسلم ويحيى بن اليمان ويزيد بن زريع وأبو أحمد الزبيرى وأبو اسامة حماد بن اسامة وأبو معاوية الضرير ونوح بن أبى مريم المروزى وأبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخى وأسد بن عمرو ومغيرة بن معسم ومسعر وسفيان وزائدة وشريك والحسن بن صالح بن حى وعلى بن مسعر ووكيع واسحق الازرق وسعد بن الصلت وعبد الرزاق وعبيد الله بن موسى وهوذة بن خليفة وجعفر بن عوف وأبو عبد الرحمن المقرى وغيرهم وقد روى عنه الامام مالك أيضا كما ذكره السيوطى وابن حجر المكى قال محمد بن عمر الواقدى مات أبو حنيفة فى شعبان سنة خمسين ومائة فى خلافة أبى جعفر المنصور رضى الله عنه وعمن أحبه (فأما كونه عابدا فيعرف بما روى عن) عبد الله (ابن المبارك) ابن واضح الحنظلى مولاهم

والامثلة كثيرة فى الشرع وفيما سمعت غنية ومقنع ومنها تلق الكلام فى العقل وهو المستفاد بالمعرفة المسموع بالقلب المفهوم بالتقدير على اللفظ المسمى بلسان الحال كما قال قيس شعر

واجهشت للتوباد حين رأيته
وكبر للرحمن حين رآنى
فقلت له أين الذين عهدتهم
حواليك فى عيش وخفض زمانى
فقال مضوا واستودعونى بلادهم
ومن الذى يبقى على الحدثانى

وفى أمثال العوام قال الحائط للوتد لم تشقنى فقال الوتد للحائط سل من يدقنى فلو كانت العبارة يتأتى منها ما عبرت الا بما قد استعيرلها وعلى هذا المعنى حمل كثير من العلماء قوله تعالى اخبارا عن السماء والارض حين قالتا أتينا طائعين وفى قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما

(وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى) فلقد كان أيضا عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله تعالى بعلمه * فاما كونه عابدا فيعرف بما روى عن ابن المبارك

جهولا ومنها تلقي الكلام في الجبال مثل قوله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر الى يونس بن متى عليه السلام عباءتان قطوانيتان يلبي وتجيبه الجبال والله يقول لبيك يا يونس فقوله كأني تدل على انه تخيل حالة سبقت لم تكن لها في الحال وجود ذاتي لان يونس بن متى عليه السلام قد مات وتلك الحالة منه سلفت وفي هذا الحديث اخبار عن الوجود الخيالي في البصر والوجود الخيالي في السمع ومنها تلقي الكلام بالشبه وهو أن يسمع السامع كلاما أو صوتا من شخص حاضر فيلقي عليه شبه غيره مما غاب عنه كقوله عليه السلام في صوت أبي موسى الاشعري اذ سمعه يترنم بالقرآن لقد أعطى

أنه قال كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة وروى حماد بن أبي سليمان انه كان يحيي الليل كله وروى انه كان يحيي نصف الليل فمر يوما في طريق فاشار اليه انسان وهو يمشي فقال لآخر هذا هو الذي يحيي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وقال أنا أستحيي من الله سبحانه أن أوصف بما ليس في من عبادته

سلطان المحدثين أبو عبد الرحمن المروزي رحل الى اليمن ومصر والشام والبصرة والكوفة كان من رواة العلم وأهل ذلك كتب عن الصغار والكبار قال شعبة ماقدم علينا مثله وقال سفيان بن عيينة لما نعي اليه ابن المبارك رحمه الله لقد كان فقيها عالما عابدا زاهدا سخيا شجاعا شاعرا وصنف كتبا كثيرة في فنون العلم حملها عنه قوم وكتبها الناس عنهم توفي سنة ١٨١ عن ثلاث وستين وقيل غير ذلك وكان في عداد طبقات تلامذة الامام أبي حنيفة لازمه واستملى عنه فوائد ونقل قاسم بن قطلوبغا الحافظ عن البدر العيني ان ابن المبارك روى عن الامام حكاية فان كان المراد منه انه روى عنه حكاية بعينها فالامر سهل والا فظاهر سياقه دال على انه لم يروعنه سوى هذه كيف وقد أخرج الحافظ ابن عساكر في تاريخه أخبرني أبو بشر الوكيل وأبو الفتح الضبي قالا حدثنا عمر بن أحمد الواعظ حدثنا أحمد بن محمد عن عصمة الخراساني حدثنا أحمد بن بسطام حدثنا الفضل بن عبد الجبار سمعت أبا عثمان حمدون ابن أبي الطوسي سمعت عبد الله بن المبارك يقول قدمت الشام على الاوزاعي فقال لي ياخراساني من هذا الذي خرج بالكوفة يعني أبا حنيفة فرجعت الى بيتي فأقبلت على كتب أبي حنيفة فاخرجت منها مسائل من جياد المسائل وبقيت في ذلك ثلاثة أيام فجئته يوم الثالث وهو مؤذن مسجدهم وامامهم والكتاب في يدي فقال أي شئ هذا الكتاب فناولته فنظر في مسئلة منه وقف عليها قال النعمان بن ثابت فمازال قائما بعد ما أذن حتى قرأ صدرا من الكتاب ثم وضع الكتاب في كمه ثم أقام وصلى ثم أخرج الكتاب حتى أتى عليه فقال لي ياخراساني من النعمان بن ثابت هذا قلت شيخ لقيته بالعراق فقال هذا نبل من المشايخ اذهب فاستكثر منه فقلت هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه اه فقوله فاقبلت على كتب أبي حنيفة أي الفوائد التي تلقاها عنه في حال ملازمته له لانه لم يكن اذ ذاك كتاب خاص مؤلف في المسائل التي اجتهد فيها وانما حدثت الكتب بعد وفاته على أن عندي في سياق الخطيب نوع توقف فان الاوزاعي معدود من جملة مشايخه وهو من أقرانه ولد بعد الامام بسبع سنين ومات بعده بسبع سنين فاذا كان كذلك كيف يعقل منه من هذا الذي بالكوفة وكيف يخفى عليه اسمه اذ قال لابن المبارك من النعمان بن ثابت هذا ولم يكن اذ ذاك من يقال له ابن ثابت غير الامام أبي حنيفة فتأمل ذلك وفي تاريخ الذهبي قال حبان بن موسى سئل ابن المبارك امالك أفقه أم أبو حنيفة قال أبو حنيفة (قال كان أبو حنيفة له مروءة) وهي قوة للنفس هي مبدأ لصدور الافعال الجميلة منها المستتبعة للمدح شرعا وعقلا وعرفا (وكثرة صلاة) أي بالليل لما سيأتي انه كان يحيي الليل كله أو نصفه وروى عن شريك قال كان أبو حنيفة يسمى الوتد لكثرة صلاته (وروى) أبو اسمعيل (حماد بن سليمان) واسمه مسلم الاشعري الكوفي الفقيه مولى أبي موسى الاشعري روى عن ابراهيم النخعي وأنس بن مالك وابن المسيب وعنه ابنه اسمعيل وابن أبي خليفة ومسعر وشعبة امام مجتهد كريم جواد قال مغيرة قلت لابراهيم ان حمادا قعد يفتي فقال وما يمنعه وقد سألني هو وحده عما لم تسألوني كلكم عن عشره اه وعن أبي اسحق الشيباني قال ما رأيت أحدا أفقه منه قيل ولا الشعبي قال ولا الشعبي وقال شعبة كان صدوق اللسان وقال أبو حاتم صدوق لا يحتج بحديثه وهو مستقيم في الفقه فاذا جاء الاثر تشوش وقال العجلي والنسائي هو ثقة مات سنة عشرين ومائة وقال البخاري في الصحيح وقال حماد اذا أقر مرة عند الحاكم رجم يعني الزاني وروى له مسلم مقرونا بغيره والباقون ذكره ابن أبي العوام السعدي في مسنده فيمن روى عن أبي حنيفة قلت وقد ذكر أيضا في شيوخه كما تقدم (انه كان يحيي الليل كله) وذلك في أواخر عمره (وروى) عن غيره (انه كان يحيي نصف الليل) أولا (فمر في طريق) من طرق الكوفة (فسمع انسانا يقول) وروى فأشار اليه انسان وهو يمشي (هذا الذي يحيي الليل كله فلم يزل) أبو حنيفة (بعد ذاك يحيي كل الليل) وفي نسخة الليل كله (وقال أنا أستحيي من الله تعالى أن أوصف بما ليس في من عبادته) وفي رواية بعبادة ليست في يعني احترازا من

دخوله في قوله تعالى يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا وروى بشر بن الوليد عن أبي يوسف قال بينما أمشي مع أبي حنيفة اذ سمعت رجلا يقول لآخر هذا أبو حنيفة لا ينام الليل فقال أبو حنيفة والله لا يتحدث عني بما لم أفعل فكان يحيي الليل صلاة ودعاء وتضرعا وقد روى من وجهين انه ختم القرآن في ركعة كل ليلة رواه علي بن اسحق السمرقندي عن أبي يوسف وعن أسد بن عمرو أن أبا حنيفة صلى العشاء والصبح بوضوء واحد أربعين سنة وروى يحيي بن عبد الحميد الحماني عن أبيه انه صحب أبا حنيفة ستة أشهر قال فما رأيته صلى الغداة الا بوضوء العشاء الاخيرة وكان يختم القرآن في كل ليلة عند السحر وقال الحسين بن محمد السمناني في كتابه خزانة المفتين ووفاته سنة ١٧٤ حكى ان أبا حنيفة لما حج حجة الوداع دخل الكعبة وقام بين العمودين على رجله اليمنى حتى قرأ نصف القرآن وركع وسجد ثم قام على رجله اليسرى وقد وضع قدمه اليمنى على ظهر رجله اليسرى حتى ختم القرآن فلما سلم بكى وناجى وقال الهي ماعبدك هذا العبد الضعيف حق عبادتك ولكن عرفك حق معرفتك فهبه نقصان عبادته لكمال معرفته (وأما زهده فقد روى عن الربيع بن عاصم) لم أجده هكذا في الرواة عن أبي حنيفة وفي الميزان الربيع بن اسمعيل أبو عاصم عن الجعدي من ولد جعفر بن هبيرة وعنه بكر بن الاسود ومحمد ابن اسمعيل الاحمسي فلعله هو وهو تصحف على النساخ ثم وجدت بعد ذلك هذا السياق بعينه في كتاب التاريخ لابن أبي خيثمة أورده بسنده من طريق الربيع بن عاصم هكذا (قال أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة) والي الكوفة من قبل مروان بن محمد واليه نسب قصر ابن هبيرة بالكوفة (فقدمت بأبي حنيفة عليه فأراده) أن يوليه (على بيت المال) وقيل القضاء (فلم يله وضربه عشرين سوطا) وأخرج الخطيب من طريق أبي بكر بن عياش ان أبا حنيفة ضرب على القضاء زاد أبو معمر الراوي عن أبي بكر بن عياش مائة سوط في أيام باردة وذلك في ولاية مروان بن محمد فانه أمر ابن هبيرة على العراق فأكره أبا حنيفة فلم يل وأخرج العسكري من طريق يحيي بن أكثم عن أبي داود قال أراد ابن هبيرة أن يولي الامام قضاء الكوفة فأبى فحلف ان لم يقبله يضربه بالسياط على رأسه ويحبسه فحلف الامام على أنه لا يلي منه فقيل له انه حلف على أن يضربك فقال ضربه في الدنيا أهون من معالجة مقامع الحديد في العقبى والله لا أفعل ولو قتلني فقيل انه حلف لا يخليك وانه يريد بناء قصر فتولى له عد اللبن فقال لو سألني ان أعد له أبواب المسجد ما فعلت فذكر للامير فقال أبلغ قدره أن يعارضني في اليمين فدعاه فشافهه وحلف ان لم يقبل يضرب على رأسه عشرين سوطا فقال اذكر مقامك بين يدي الله تعالى فانه أذل من مقامي هذا ولا تهددني فاني أقول لا اله الا الله محمد رسول الله والله يسألك عني حيث لا يقبل منك الجواب الا بالحق فأومأ الى الجلاد أن أمسك وبات في السجن وأصبح وقد انتفخ وجهه ورأسه من الضرب وأخرجه الخطيب من هذا الطريق وزاد فرأى ابن هبيرة النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يعاتبه فيه فأخرجه من السجن فاستحله وروى عن أبي عبد الله بن حفص الكبير البخاري قال ان الفتنة لما ظهرت بخراسان دعا ابن هبيرة العلماء كابن أبي ليلى وابن شبرمة وداود بن أبي هند وولى كل واحد منهم شيأ من عمله وعرض على أبي حنيفة أن يكون الخاتم بيده ولا ينفذ كتابا الامن تحت يده وأمره بذلك فأبى فحلف الامير ان لم يله يضربه في كل جمعة سبعة أسواط فقال الفقهاء لابي حنيفة ان اخوانك يناشدونك على أن لا تهلك نفسك وكلنا نكره عمله ولكن لم نجد بدا منه فقال لو أراد مني أن أعد أبواب مسجد واسط لم أعدله فكيف وهو يريد أن يكتب في دم رجل وأختم له والله لا أدخل في ذلك فقال ابن أبي ليلى دعوه فانه مصيب فحبسه الشرطي وضربه أربعة عشر سوطا ثم اجتمع مع الامير فقال الا ناصح لهذا أن يستمهلني فاستمهله وقال أشاور اخواني فخلاه فهرب الى مكة سنة مائة وثلاثين اه وأخرج الخطيب من طريق الحسن بن المبارك عن اسمعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال مررت

مزمارا من مزامير آل داود ومزامير آل داود قد عدمت وذهبت وانما اشبه صوته بها وكما اذا سمع المريد صوت مزمار أو عود فجأة على غير قصد يتخيل صرير أبواب الجنة وشبهها بما يخالف صوته من ذلك فهذه مراتب الوجود فانت اذا أحسنت التصرف بين اسمائها ولم يعترك غلط في بعضها ببعض ولا اشتبهت عليك وسمعت عمن نظر بمشكاة نور الله تعالى الى كاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر فقال له مابال وجهك وقد كان أبيض أشقر مونقا والآن قد ظهر فيه السواد فلم سودت وجهك فقال سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلما وعدوانا فقال صدقت ثم أنت اذا سمعت أمثال هذه المراجعات اعمل الفكر وجدد النظر وحل الكلام الى أجزائه التي ينتظم منها جله ما بلغك فسأل عن معنى الناظر ومعنى المشكاة ومعنى نور

وأما زهده فقد روى عن الربيع بن عاصم قال أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بابي حنيفة عليه فأراده أن يكون حاكما على بيت المال فابى فضربه عشرين سوطا

مع أبي بالكناسة فبكى فقلت يا أبت ما يبكيك فقال يابني في هذا الموضع ضرب ابن هبيرة أبي عشرة أيام كل يوم عشرة أسواط على أن يلي القضاء فلم يفعل وأخرج ابن أبي العوام السعدي من رواية أبي عبدالله وسمعت محمد بن مقاتل يقول بلغني ان أباحنيفة حبس في الشمس وصب على رأسه الزيت فر به سفيان الثوري فقال قد علمت الآن انك طلبت هذا الشان لله عز وجل وفي تاريخ الذهبي عن أبي معاوية قال حب أبي حنيفة من السنة انه ضرب أياماليلي القضاء فأبى وقال أبوعبدالله الصيمري لم يقبل العهد بالقضاء فضرب وحبس ومات في السجن (فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب) وروى عن ابن المبارك انه قال ان الرجال في الاسم سواء حتى يقع في البلوى فقد ضرب أبوحنيفة على رأسه في السجن فصبر على الذل والضرب في الحبس طلبا للسلامة في دينه وروى ابن داسة قال سمعت أبا داود يقول رحم الله مالكا كان اماما رحم الله الشافعي كان اماما رحم الله أباحنيفة كان اماما (وقال الحكم بن هشام الثقفي) مولى آل عقيل كوفي نزل دمشق روى عن منصور وقتادة وعنه ابن عائذ وهشام وثقه جماعة (حدثت بالشام عن أبي حنيفة انه كان من أعظم الناس أمانة واراده السلطان) أي ابن هبيرة من قبل آل مروان (أن يتولى مفاتيح خزائنه) أي خزائن أمواله (أو يضرب ظهره) بالسياط (فاختار عذابهم) في الدنيا ولم يل العمل (على عذاب الله) في الآخرة (وروى انه ذكر أبو حنيفة) يوما (عند ابن المبارك) كأنه بسوء (فقال أتذكرون) بالسوء (رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها) أي بأجمعها (ففر منها) خوفا على دينه وأخرج ابن أبي العوام السعدي في مسنده من طريق ابن شجاع حدثنا الحسن بن أبي مالك سمعت عبدالله بن المبارك يقول وذكر أبو حنيفة بين يديه ماذا يقال في رجل عرضت عليه الدنيا والاموال العظيمة فنبذها وضرب بالسياط فصبر عليها ولم يدخل فيما كان غيره يستدعيه رحم الله أباحنيفة ما كان أشده في دين الله عز وجل وتقدم في خاتمة الفصول مانقله ابن عبد البر في كتاب العلم ان ابن المبارك قيل له فلان يتكلم في أبي حنيفة فأنشد

حسدوك لما رأوك فضلك الله بما فضلت به النجباء

وقيل لابي عاصم النبيل فلان يتكلم في أبي حنيفة فقال هو كما قال نصيب

في مثل هذا سلمت وهل حي من الناس سالم

وقال أبو الاسود الدؤلي   حسدوا الفتى اذلم ينالوا سعيه * فالقوم أعداء له وخصوم

قلت وأخرج ابن عساكر في ترجمة نصيب من رواية أبي الحسن على بن محمد السكري أنشدنا أبوعمر اللغوي الزاهد السياري عن الناشي لنصيب

وما زال بي الكتمان حتى كأنني * برجع جواب السائلي عنك أعجم

لاسلم من قول الوشاة وتسلمي * هديت وهل حي على الناس يسلم

(وروى عن محمد بن شجاع) الثلجي بالمثلثة والجيم الفقيه البغدادي الحنفي أبوعبدالله صاحب التصانيف قرأ على اليزيدي وروى عن ابن عسيلة ووكيع وتفقه بالحسن بن زياد اللؤلؤي وغيره وآخر من حدث عنه محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة وقد تكلم فيه ابن عدي بالوضع وزكريا الساجي بالكذب وقال الحاكم رأيت عند محمد بن أحمد بن موسى القمي عن أبيه عن محمد بن شجاع كتاب المناسك في نيف وستين جزأ كبارا دقاقا وقال أحمد بن كامل القاضي كان فقيه العراق في وقته وقال أبو الحسين بن النادي كان يتفقه ويقرئ الناس القرآن مات ساجدا في صلاة العصر سنة ٢٤٨ عن ست وثمانين سنة كذا في الميزان (عن بعض أصحابه) فيما أخرجه ابن أبي العوام السعدي عن أبي بشر عن محمد بن شجاع والمراد ببعض أصحابه هنا هو الحسن بن عمارة أبو محمد الكوفي الفقيه من رجال الترمذي وابن ماجه عن ابن أبي مليكة والحاكم وعنه شبابة وعبد الرزاق وولي قضاء بغداد للمنصور ومات سنة ١٥٣

الله سبحانه وماسبب انه لم يعرف الناظر الكتابة والمكتوب وبأي لسان خاطب الكاغد وكيف مخاطبة الكاغد وهو ليس من أهل النطق وفيما صدق الناطق الكاغد ولم صدقه بمجرد قوله دون دليل ولا شاهد فيبدو لك ههنا من الناظر هو ناظر القلب فيما أورده عليه الحسين والمشكاة استعارة تقلب من مشكاة الزجاجة التي أعمرت بسراج النار الى خبر المعرفة المقلب بسر القلب شبيها بها لانها مسرجة الرب سبحانه وتعالى شعلها بنوره ونوره المذكور ههنا عبارة عن صفاء الباطن واشتعال السر بطلوع نيران

فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب قال الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام حديثا في أبي حنيفة انه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم له على عذاب الله تعالى وروى أنه ذكر أبوحنيفة عند ابن المبارك فقال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وروى عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه

(انه قيل لابي حنيفة قد أمر لك أبو جعفر) (أمير المؤمنين) المنصور وذلك بعد رجوع أبي حنيفة من مكة (بعشرة آلاف درهم) وفي رواية أخرى وجارية وكان الرسول في ذلك الحسن بن قحطبة (قال فما رضي أبو حنيفة) أن يقبلها فلما أحس أبو حنيفة بانه يرسل بهذا اليه تمارض (فلما كان اليوم الذي توقع) أي ترجى (أن يؤتى) اليه (بالمال) فيه (صلى الصبح ثم تغشى بثوبه) أي اشتمل به من رأسه الى قدمه (فلم يتكلم) وفي رواية أصبح لا يكلم أحدا كأنه مغمى عليه (لجاء رسول) أبي الحسين (الحسن ابن قحطبة) ابن اياد بن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس بن قيس بن كلب بن سعد بن عمرو بن غنم بن مالك بن سعد بن نبهان الطائي أحد رجال الدولة العباسية وأخوه حميد أحد الدعاة السبعين بعد العشرين والاثني عشر واليه نسب ربض حميد ببغداد وأبوهما قحطبة أحد النقباء الاثني عشر (بالمال فدخل عليه فلم يكلمه) وأظهر المرض (فقال بعض من حضر) في مجلسه هو (ما يكلمنا الا بالكلمة بعد الكلمة أي هذه عادته) اعتذارا عن عدم كلامه وفي رواية فقالوا ما تكلم اليوم بكلمة (فقال) رسول الحسن لما أيس من كلامه (ضعوا المال في هذا الجراب) ثم خلوه (في زاوية البيت) وفي رواية فقال رسول الحسن كيف أصنع قالوا انظر ما ترى قال فوضعها في مسجد في ناحية البيت وانصرف قال فمكثت تلك البدرة في ذلك الموضع الى ان مات أبو حنيفة (ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته فقال) في وصيته (لابنه) وهو الامام ابن الامام حماد بن النعمان بن اسمعيل تفقه على أبيه فأفتى في زمنه وروى عنه وعن مالك وحماد بن أبي سليمان وكان الغالب عليه الورع قال الفضل بن دكين تقدم حماد ابن النعمان الى شريك بن عبد الله في شهادة فقال له شريك والله انك لعفيف البطن والفرج توفي سنة ١٧٩ (اذا مت) وقوله هذا كان في كتاب وصيته وذلك لان حمادا كان غائبا فقدم بعد موت والده فحمل البدرة فأتى بها باب الحسن بن قحطبة فاستأذن فأذن له فدخل فقال اني وجدت في وصية أبي اذا أنا مت (ودفنتموني فخذ هذه البدرة) التي في زاوية البيت (فاذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له هذه وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة) ويروى كانت عندنا (فقال الحسن) لما رأى البدرة (رحمة الله على أبيك لقد كان شحيحا على دينه) ويروى رحم الله أباك لقد شح على دينه اذ سخت به أنفس أقوام وذكر عبد القادر القرشي في ترجمة حماد من طبقاته ولما توفي أبوه كان عنده ودائع للناس كثيرة من ذهب وفضة وغير ذلك وأربابها غائبون وفيهم أيتام فحملها حماد الى القاضي ليتسلمها منه فقال له القاضي ما نقبلها منك ولا نخرجها من يدك فأنت أهل لوضعها فقال له حماد زنها واقبضها حتى تبرأ ذمة أبي حنيفة ثم افعل ما بدا لك ففعل القاضي ذلك وبقي في وزنها أياما فلما كمل وزنها استتر حماد فلم يظهر حتى دفعها الى غيره اه وأخرج ابن قطلوبغا الحافظ في شرح المسانيد من رواية محمد بن عبد الرحمن المسعودي عن أبيه ومن رواية هلال بن يحيى عن يوسف السمتي قالا ان أبا جعفر المنصور أجاز أبا حنيفة بثلاثين ألف درهم في دفعات فقال يا أمير المؤمنين اني ببغداد غريب وليس لها عندي موضع فاجعلها في بيت المال فأجابه المنصور الى ذلك فلما مات أبو حنيفة أخرجت ودائع الناس من بيته فقال المنصور خدعنا أبو حنيفة وأخرج أيضا من طريق مغيث بن مدرك قال قال خارجة بن مصعب أجاز المنصور أبا حنيفة بعشرة آلاف درهم فدعي لقبضها فشاورني وقال هذا رجل ان رددتها عليه غضب وان قبلتها دخل علي في ديني ما أكرهه فقلت ان هذا المال عظام في عينه فاذا دعيت لقبضها فقل له لم يكن هذا أملي من أمير المؤمنين فدعي لقبضها فقال ذلك ورفع اليه خبره فحبس الجائزة قال وكان أبو حنيفة لا يشاور أحدا في أمره سوى خارجة بن مصعب (وروى انه دعي الى ولاية القضاء) الا كبر ببغداد بعد ان أشخص من الكوفة في أيام المنصور فامتنع فحبسه فبقي خمسة عشر يوما ثم مات وقيل ستة أيام وقيل انه سقي سما في سويق فنال مرتبة الشهادة كل ذلك أخرجه الخطيب من طريق

الكواكب المعارف الذاهبة باذن الله تعالى ظلم جهالات القلوب ووجه اضافتهما الى الله تعالى على سبيل الاشارة بالذكر لاجل التخصيص بالشرف والكاغد والحبر كناية عن أنفسهما لا عن غيرهما وجعلهما مبدأ طريقه وأول سلوكه اذ هما في عالم الملك والشهادة الذي محل حيلة

انه قيل لابي حنيفة قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم قال فما رضي أبو حنيفة قال فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا الا بالكلمة بعد الكلمة أي هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه اذا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له خذ وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على أبيك فلقد كان شحيحا على دينه وروى انه دعي الى ولاية القضاء

الواقدى وفى رواية أخرى دعاه من الكوفة وأراده على القضاء (فقال أنا لا أصلح له ولا يحل لك أن تولينى) ذلك (فقيل له لم) ذلك (فقال ان كنت صادقا فلا أصلح له) لصدقى فى المقال (وان كنت كاذبا) كما تزعمون (فالكاذب لا يصلح للقضاء) لسقوط عدالته بالكذب وقد رويت هذه القصة من أوجه كثيرة ففى تاريخ الذهبى قال اسحق بن ابراهيم الزهرى عن بشر بن الوليد الكندى قال طلب المنصور أبا حنيفة فأراده على القضاء وحلف ليلين فأبى وحلف أن لا يفعل فقال الربيع حاجب المنصور ترى أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف قال أمير المؤمنين على كفارة يمينه أقدر منى فأمر به الى السجن فمات فيه وعن مغيث بن بديل قال دعا المنصور أبا حنيفة على القضاء فامتنع فقال أترغب عما نحن فيه فقال لا أصلح قال كذبت قال أبو حنيفة فقد حكم أمير المؤمنين على انى لا أصلح فان كنت كاذبا فلا أصلح وان كنت صادقا فقد أخبرتكم انى لا أصلح لنفسه وقال اسمعيل بن أبى ادريس سمعت الربيع بن يونس الحاجب يقول رأيت المنصور تناول أبا حنيفة فى أمر القضاء فقال والله ما أنا بمأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب فلا أصلح لذلك فقال كذبت بل تصلح فقال كيف يحل لك أن تولى من يكذب (وأما علمه بطريق) وفى نسخة بامور وفى أخرى بعلوم (الآخرة وطريق الدين ومعرفته بالله تعالى فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده فى الدنيا وقد قال) أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز (ابن جريج) القرشى مولاهم المكى الفقيه أحد الاعلام روى عن مجاهد والحسن وابن أبى مليكة وعطاء وعنه القطان وروح وحجاج بن محمد وهو أول من صنف الكتب وقال أحمد كان من أوعية العلم روى عن ست عجائز من عجائز المسجد الحرام توفى سنة تسع وأربعين ومائة وقد جاوز المائة (قد بلغنى عن كوفيكم هذا) يعنى (النعمان بن ثابت انه شديد الخوف لله تعالى) وفى تاريخ الذهبى قال يزيد ابن كميت سمعت رجلا يقول لابى حنيفة اتق الله فانتفض واصفر لونه وأطرق وقال جزاك الله خيرا ما أحوج الناس كل وقت الى من يقول لهم مثل هذا وروى محمد بن سماعة عن محمد بن الحسن عن القاسم بن معين ان أبا حنيفة قام ليلة يردد قوله تعالى بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ويبكى ويتضرع الى الفجر فكل ذلك يدل على شدة خوفه من الله تعالى (وقال) أبو عبد الله (شريك) ابن عبد الله بن أبى شريك وهو الحرث بن أوس بن الحرث بن الاذهل بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النخع (النخعى) الكوفى القاضى ولد ببخارى سنة ٩٥ وكان جده شهد القادسية وهو أحد الاعلام روى عن زياد بن علاقة وسلمة بن كهيل وعلى بن الاقمر وأبى اسحق ومنصور وعنه أبو بكر بن أبى شيبة وعلى بن حجر واسحق بن يوسف الازرق وغيرهم قال ابن معين ثقة زاد العجلى حسن الحديث مات سنة سبع وسبعين ومائة استشهد به البخارى وروى له مسلم فى المتابعات واحتج به الباقون (كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر) فى جلال الله وعظمته (قليل المحادثة للناس) أى الا فيما يعنيه وروى حماد قال كان أبى هيوبا لا يتكلم الا جوابا ولا يخوض فيما لا يعنيه (وهذا من أوضح الامارات) أى العلامات (على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين) وضرورياته (فمن أوتى الصمت والزهد فقد أوتى العلم كله) لانهما يدلان على العلم الباطن وسيأتى قول من أوتى صمتا نجا من السوء على ان الكامل اذا نطق نطق بحكمة واذا صمت صمت عن حكمة فجميع أحواله يدل على العلم الباطن وبقى من ترجمة الامام شئ أورده الذهبى فى تاريخه أوردته هنا ليكون كالذيل لما ذكره المصنف قال كان أبو حنيفة خزازا ينفق من كسبه ولا يقبل شيأ من جوائز السلطان تورعا وكان له دار وضياع ومعاش متسع وكان معدودا فى الاجواد الاسخياء والالباء الاذكياء مع الدين والعبادة والتهجد وكثرة التلاوة وقيام الليل قال خزاز بن صرد سئل يزيد بن هرون أيما أفقه أبو حنيفة أم الثورى فقال أبو حنيفة أفقه وسفيان أحفظ للحديث وقال الشافعى الناس فى الفقه عيال على أبى حنيفة وقال

الناظر فى حال نظره وأما سببانه لم يعرف الكتابة والمكتوب فلا جل انه كان أميا لا يقرأ الكتاب الصناعى وانما يروم معرفة قراءة الخط الالهى الذى هو أمين وأدل على فهم منه وأما مخاطبة الناظر الكاغد وهو جاد فسبق الكلام على مثله ومراجعة الكاغد له فعلى قدر حال الناظر ان كان مرادا فيلقى الكلام فى الحس مما ينبئه عن المطلوب من الحق وهو من باب الالقاء فى الروع فيود عه الحس

فقال أنا لا أصلح لهذا فقيل له لم فقال ان كنت صادقا فما أصلح لها وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفته بالله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده فى الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغنى عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى وقال شريك النخعى كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس فهذا من أوضح الامارات على العلم الباطنى والاشتغال بمهمات الدين فمن أوتى الصمت والزهد فقد أوتى العلم كله

يزيد بن هرون ما رأيت أحدا أورع ولا أعقل من أبي حنيفة وقال صالح جزرة سمعت يحيى بن معين يقول أبو حنيفة ثقة وعن النضر بن محمد قال كان أبو حنيفة جميل الوجه سري الثوب عطرا وقال أبو يوسف كان ربعا من أحسن الناس صورة وأبلغهم نطقا وأعذبهم نغمة وأبينهم عما في نفسه وعن ابن المبارك ما رأيت رجلا أوقر في مجلسه ولا أحسن سمتا وحلما من أبي حنيفة وروى ابراهيم بن سعد الجوهري عن المثنى بن رجاء قال جعل أبو حنيفة على نفسه ان حلف بالله صادقا أن يتصدق بدينار وكان اذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها وقال أبو بكر بن عياش لقي أبو حنيفة من الناس عنتا لاقلال مخالطته فكانوا يرونه من زهو فيه وانما كان غريزة وقال جبارة بن المغلس سمعت قيس بن الربيع يقول كان أبو حنيفة ورعا تقيا مفضلا على اخوانه وقال زيد بن أخزم حدثنا داود الحربي قال كنا عند أبي حنيفة فقال رجل له اني وضعت كتابا على خطك الى فلان فوهب لي أربعة آلاف درهم فقال أبو حنيفة ان كنتم تنتفعون بهذا فافعلوه وروى نوح الجامع انه سمع أبا حنيفة يقول ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وما جاء عن الصحابة اخترنا وما كان غير ذلك فهم رجال ونحن رجال وقال أبو حنيفة لا ينبغي للرجل أن يحدث الا بما يحفظه في وقت ما سمعه روى أبو يوسف ذلك عنه وقال أحمد بن الصباح قيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة قال نعم رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته وقال الحربي ما يقع في أبي حنيفة الا حاسد أو جاهل وقال يحيى القطان لا نكذب والله ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة وقد أخذنا بأكثر أقواله وقال علي بن عاصم لو وزن علم أبي حنيفة بعلم أهل زمانه لرجح عليهم وقال حفص بن غياث كلام أبي حنيفة في الفقه أدق من الشعر لا يعيبه الا جاهل وقال الحميدي سمعت ابن عيينة يقول شيآن ما ظننتهما يجاوزان قنطرة الكوفة قراءة حمزة وفقه أبي حنيفة وقد بلغا الآفاق وعن الأعمش انه سئل عن مسئلة فقال انما يحسن هذا النعمان بن ثابت وأظنه بورك له في علمه وقال جرير قال لي مغيرة جالس أبا حنيفة تفقه فان ابراهيم النخعي لو كان حيا لجالسه وأخبار أبي حنيفة كثيرة وترجمته واسعة وفيما ذكرناه كفاية (فهذه أحوال الائمة الثلاثة) الدالة على الخصال الخمس رضي الله عنهم (وأما أحمد بن حنبل وسفيان الثوري فأتباعهما أقل من) اتباع (هؤلاء وسفيان أقل اتباعا من أحمد) وأما الآن فليس لهم وجود ولا ذكر وشوكة الحنابلة ببغداد ونواحيها وبلاد الشام والنجد ولم يبق بمصر الآن مع انها حاضرة العلم من يفتي منهم أحد (ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر) وأكثر (وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أحوالهما وأقوالهما فلا حاجة الى التفصيل الآن) ولا بأس أن نلم بذكرهما تبركا لئلا يخلو الكتاب عن محاسنهما فالامام أحمد أبو عبد الله بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن ادريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الشيباني المروزي ثم البغدادي هكذا نسبه ابنه عبد الله واعتمده أبو بكر الخطيب وغيره وأما قول عباس الدوري وأبي بكر بن أبي داود انه كان من بني ذهل بن شيبان فغلط انما كان من بني شيبان بن ذهل بن ثعلبة وذهل بن ثعلبة عم ذهل بن شيبان بن ثعلبة وهو الامام الجليل صاحب المذهب الصابر على المحنة الناصر للسنة شيخ العصابة مقتدى الطائفة قال عبد الرزاق ما رأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولا أورع وقال أبو مسهر وقيل له هل تعرف أحدا يحفظ على هذه الامة أمر دينها قال لا أعلمه الا شابا في ناحية المشرق يعني أحمد بن حنبل ولد ببغداد سنة ١٦٤ اذ جيء به اليها من مرو حملا وسمع الحديث سنة تسع وسبعين ومن شيوخه هشيم وابن عيينة وابراهيم بن سعد وجرير بن عبد الحميد ويحيى القطان والوليد بن مسلم واسمعيل بن علية ومعتمر بن سليمان وغندر وبشر بن الفضل ويحيى بن أبي زائدة وأبو يوسف القاضي ووكيع وابن نمير وعبد

المشترك المحفوظ فيه على الانسان صورة الاشياء المحسوسة وان كان مريدا فيتلقاه بلسان الحال المسموع سمع القلب بواسطة المعرفة والعقل وتصديق الناظر للكاغد في عذره واحالته على الحبر لم يكن لمجرد قوله بل بشاهده أولى الرضا والعدل وهو البحث والتجربة لم يكن وشهادة النفس وهذا يسلك الى القدرة وهو آخرها سئل عن أجزاء عالم الملك وأما ما سمعته في حد عالم الجبروت وذلك من القدرة المحدثة الى العقل والعلم الموجودين في الانسان المستقرة في القوة الوهمية المدركة في جميع ما لا يستدعي وجوده جسما ولكن قد تعرض له انه في جسم كما ندرك السخلة عداوة الذئب وعطف أمها فتنبع العطف وتنفرد من العداوة وأما

فهذه نبذة من أحوال الائمة الثلاثة (وأما الامام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى) فأتباعهما أقل من أتباع هؤلاء وسفيان أقل أتباعا من أحمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة الى التفصيل الآن

الرحمن بن مهدى ويزيد بن هرون وعبد الرزاق والشافعى وممن روى عنه من شيوخه عبد الرزاق والحسن بن موسى الاشيب والشافعى لما يقول أخبرنا الثقة ومن أقرانه على بن المدينى ويحيى بن معين ورحيم وروى عنه البخارى بواسطة ومسلم وأبو داود وابناه صالح وعبد الله قال الخطيب ورحل الى الكوفة والبصرة والحرمين واليمن والشام والجزيرة وقال ابنه عبد الله كتب أبى عشرة آلاف ألف حديث لم يكتب سوادا فى بياض الا حفظه وألف مسنده وهو أصل من أصول هذه الامة أحاديثه ثلاثون ألفا وأما زهده وورعه فقد سارت به الركبان وقد أفرد جماعة فى مناقبه كالبيهقى وأبى اسمعيل الانصارى وابن الجوزى وابن المغراء وغيرهم وتوفى سنة ٢٤١ لاثنتى عشرة خلت من ربيع الاول وكان عدد المصلين عليه ألف ألف وثلاثمائة ألف سوى من كان فى السفن وقال ابن المغراء قال الربيع بن سليمان قال لى الشافعى أحمد امام فى الحديث امام فى الفقه امام فى القرآن امام فى الفقر امام فى الزهد امام فى الورع امام فى السنة وهذا القدر كاف فى معرفة علو مقامه رضى الله عنه * وأما سفيان الثورى فهو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة ابن أبى بن عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحرث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور الثورى الكوفى هكذا نسبه الهيثم بن عدى وقيل فى سياق نسبه مسروق بن حمزة بن حبيب وباسقاط منقذ والحرث ولد سنة سبع وتسعين وحدث وهو ابن ثلاثين سنة روى عن عمرو بن مرة وسلمة بن كهيل وحبيب بن ثابت وعبد الله ابن دينار وعمرو بن دينار وأبى اسحق ومنصور والاعمش وعبد الملك بن عمير وصالح مولى التوأمة وأبى الزناد واسمعيل بن أبى صالح وأيوب السختيانى ويقال انه أدرك مائة وثلاثة من التابعين روى عنه مسعر وابن جريج ومحمد بن عجلان والاوزاعى ومحمد بن اسحق وأبو حنيفة وهو أكبر منه وأقدم وشعبة والحمادان وابن أبى ذئب ومالك وسليمان بن بلال وزائدة وزهير بن معاوية وهم من أقرانه وابن المبارك ووكيع ويحيى القطان وأبو نعيم الفضل بن دكين وعبد الرحمن بن مهدى ومحمد بن يوسف الفريابى ويحيى بن يمان وعبيد الله الاشجعى وعبد الرزاق وقبيصة بن عقبة وأبو حذيفة النهدى ومحمد بن كثير وأحمد بن عبد الله بن يونس وعلى بن الجعد وغيرهم قال ابن الجوزى الذين رووا عنه أكثر من عشرين ألفا * وأما سعة علمه وآدابه وأخلاقه وشمائله وزهده وورعه وتواضعه وخموله وشدة خوفه وتفكره وبلائه وتعبده ومجاهدته والاقتصاد فى معيشته وصدعه بالحق وأمره بالمعروف وثناء أئمة العصر ومن بعدهم عليه فقد سارت بأخباره الركبان وقال على بن شيبان مرض سفيان بالكوفة فبعث بمائه الى ابن أبى ذئب فلما رآه قال ويلك بول من هذا قال ماتسأل قال أرى بول رجل قد أحرق الحزن والخوف قلبه وفى رواية أبى أسامة ذهبت ببوله الى الديرانى فنظر اليه فقال بول من هذا ينبغى أن يكون هذا البول بول زاهد هذا بول رجل فتت الحزن كبده ما أرى لهذا دواء قال أبو سعد أجمعوا على انه مات سنة احدى وستين ومائة فى أولها وقال الواقدى فى شعبان وأما قول خليفة انه فى اثنين وستين غلط رضى الله عنه وأرضاه عنا نقلت ذلك من كتاب الحافظ الذهبى الذى اختصره من كتاب ابن الجوزى فى ترجمته وهو مجلد (فانظر الآن) وتأمل (فى سير هؤلاء الائمة) وأحوالهم (وتأمل هذه الاحوال والاقوال والاعمال فى الاعراض عن الدنيا) والهروب منها (والتجرد لله تعالى هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والكفالة والظهار واللعان أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه وانظر الآن الى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا فى دعواهم أم لا والله أعلم)

(الباب الثالث)

(فيما تعده العامة) وتحسبه (من العلوم المحمودة) ويكبون على تحصيلها (و) الحال انه (ليس منها) وفى بعض النسخ منه وفى أخرى وليست منها (وفيه بيان الوجه الذى به يكون بعض العلوم مذموما وبيان

ماسميته فى حد عالم الملكوت وذلك من العلم الالهى الى ماوراء ذلك مما هو داخل فيه ومعدود منه فسر القلب الذى يأخذ به عن الملائكة ويسمع به ما بعد مكانه ورق معناه وعزب عن القلوب من جهة الفكر بصورة فاما أى شئ حقائق هذه المذكورات وما كنه كل واحد منها على نحو معرفتك لاجزاء عالم الملك والشهادة فذلك علم لا ينتفع بسماعه مع عدم المشاهدة والله قد عرفك باسمائها فان كنت مؤمنا فصدق بوجودها على الجملة لعلمك انك لا تخبر بتسميات ليس

فانظر الآن فى سير هؤلاء الائمة الثلاثة وتأمل ان هذه الاحوال والاقوال والافعال فى الاعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار والايلاء واللعان أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه وانظر الى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا فى دعواهم أم لا

(الباب الثالث) فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذى قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان

تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها) اعلم أن لفظ العلم كما يطلق على ماذكر بيانه في أول الكتاب يطلق على ما يراد به وهو أسماء العلوم المدونة كالنحو والفقه فيطلق كأسماء العلوم تارة على المسائل المخصوصة وتارة على التصديقات بتلك المسائل عن دليلها وتارة على الملكة الحاصلة من تكرر تلك التصديقات أي ملكة استحضارها فاطلاق لفظ العلم على كل منها اما حقيقة عرفية أو اصطلاحية أو مجاز مشهور وقد يطلق على مجموع المسائل والمبادي التصورية والتصديقية والموضوعات وقد يطلق أسماء العلوم على مفهوم كلي اجمالي يفصل في تعريفه فان فصل نفسه كان حدا رسميا وان بين لازمه كان رسما اسميا * وأما حده الحقيقي فانما هو بتصور مسائله أو بتصور التصديقات المتعلقة بها كذا في مفتاح السعادة (بيان علة ذم العلم المذموم لعلك تقول) أصل (العلم) ادراك الشيء على حقيقته وهو (معرفة الشيء على ما هو به) وعليه (وهو من صفات الله سبحانه) الذاتية (فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما) وهو اشكال ظاهر وبمثل هذا طعن بعض من لا خلاق له من العجم على العرب بانهم يمدحون شيأ ويذمونه والجواب ان مدحهم للشيء وذمه باعتبار الوجوه المختلفة كمدح الدينار من حيث تقضي الحاجة به وذمه لكونه مجلبة للاوصاف الذميمة مثلا فمدحه من وجه وذمه من وجه آخر وهذا لا بأس به كما بينه الشريشي في شرح المقامات الدينارية للحريري واليه أشار الشيخ بقوله (فاعلم ان العلم) من حيث هو هو (لا يذم لعينه) أي من حيث كونه علما (وانما يذم) لوجه آخر (في حق العباد لاحد أسباب ثلاثة الاول أن يكون مؤديا الى ضرر) أي نوع من أنواع الضرر (اما بصاحبه) وهو الحامل له (واما بغيره) فكما ان الضرر مذموم مطلقا فكذلك ما يتأذى بسببه فانما جاء ذمه من هذا الوجه (كما يذم علم السحر والطلسمات) تقدم بيانهما (وهو) أي علم السحر (حق) ثابت (اذ شهد القرآن له) في قصة هاروت وماروت قال تعالى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق وقال تعالى ولا يفلح الساحر حيث أتى وقال تعالى أفتأتون السحر وأنتم تبصرون وقال تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وقال تعالى ومن شر النفاثات في العقد والنفاثات السواحر (وانه سبب يتوصل به الى التفرقة بين الزوجين) كما شهد بذلك قوله تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه (و) قد (سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى أخبره جبريل وأخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر) قال العراقي متفق عليه من حديث عائشة اهـ قلت أخرجه البخاري في كتاب الطب من طريق عيسى بن يونس وسفيان بن عيينة وأبي أسامة ثلاثتهم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أما الطريق الاولى ففيها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الاعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل اليه انه يفعل الشيء وما فعله حتى اذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي دعا ودعا ثم قال ياعائشة أشعرت ان الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل فقال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في أي شيء قال في مشط أو مشاطة وجف طلع من نخلة ذكر قال وابن هو قال في بئر ذروان فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه فجاء فقال ياعائشة كان ماءها نقاعة الحناء وكان رؤس نخلها رؤس الشياطين قلت يارسول الله أفلا استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس شرا فأمر بها فدفنت قال البخاري تابعه أبو أسامة وأبو حمزة وابن أبي الزناد عن هشام وقال الليث

وابن

لها مسميات الى أن يلحقك الله باول المشاهدة وتحصل بمجالس الكرامات ومن كفر فان الله غني حميد (فصل) والفرق بين العلم المحسوس في عالم الملك وبين العلم الالهي في عالم الملكوت أن العلم كما اعتقدته مجسما بطيء الحركة بالفعل سريع الانتقال بالهلال مخلفا عن مثله في الظاهر مجعولا تحت

تبديل أسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها (بيان علة ذم العلم المذموم) لعلك تقول العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وانما يذم في حق العباد لاحد أسباب ثلاثة (الاول) أن يكون مؤديا الى ضرر ما اما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق اذ شهد القرآن له وانه سبب يتوصل به الى التفرقة بين الزوجين وقد سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك واخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر

وابن عيينة عن هشام من مشط ومشاقة و يقال المشاطة ما يخرج من الشعر اذا مشط والمشاقة من مشاقة الكتان * وأما الطريق الثانية ففيها قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم رجل من بنى زريق حليف ليهود كان منافقا وفيها فى جف طلعة ذكر تحت رعوفة فى بئر ذروان وفيها فقالت فقلت أفلا تنشرت فقال أما والله فقد شفانى وأكره ان أثير على أحد من الناس شرا والباقى سواء * وأما الطريق الثالثة ففيها فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فأين هو قال فى بئر ذروان قال فذهب النبى صلى الله عليه وسلم فى أناس من أصحابه الى البئر فنظروا اليها وعليها نخل وفيها فأمر بها فدفنت والباقى سواء وقد أخرجه كذلك مسلم والنسائى فى الكبرى وابن ماجه كلهم من رواية هشام قال العراقى وفى الباب عن ابن عباس وزيد بن أرقم أما حديث ابن عباس فأخرجه ابن مردويه فى تفسيره من رواية عصام عن سليمان بن عبد الله عن عكرمة عنه وعصام ضعيف وأما حديث زيد بن أرقم فرواه ابن سعد فى الطبقات من رواية الثورى عن الاعمش عن ثمامة المحلى عنه وقال ابن الملقن فى شرحه على البخارى فى تفسير المعوذتين و يقال ان العقد عقدها بنات لبيد وهى احدى عشرة عقدة فى وتر ومشط ومشاطة أعطاها لغلام يهودى يخدمه وصورة من عجين فيها ابر مغروزة فبعث عليا والزبير وعمارا فاستخرجوه وشفاه الله تعالى وقال المهلب فى شرحه مدار هذا الحديث على هشام بن عروة وأصحابه مختلفون فى استخراجه فأثبته سفيان فى رواية من طريقين وأوقف سؤال عائشة على النشرة ونفى الاستخراج عن عيسى بن يونس وأوقف سؤالها النبى صلى الله عليه وسلم على الاستخراج ولم يذكر انه جاوب على الاستخراج بشئ وحقق أبو أسامة جوابه صلى الله عليه وسلم اذ سألته عائشة عن استخراجه بلا فكان الاعتبار يعطى ان سفيان أولى بالقول لتقدمه فى الضبط وان الوهم على أبى أسامة فى أنه لم يستخرجه ويشهد لذلك انه لم يذكر النشرة وكذلك عيسى بن يونس لم يذكر انه صلى الله عليه وسلم جاوب على استخراجه بلا وذكر النشرة والزيادة من سفيان مقبولة لانه أثبتهم لاسيما فيما حقق من الاستخراج وفى ذكر النشرة هى جواب للنبى صلى الله عليه وسلم مكان الاستخراج و يحتمل أن يحكم بالاستخراج لسفيان ويحكم لابى أسامة بقوله لاعلى انه استخرج الجف بالمشاقة ولم يستخرج صورة مافى الجف لئلا يراه الناس فيتعلمونه ثم اعلم أن السحر مرض من الامراض وعارض من العلل غير قادح فى نبوته وطاح بذلك طعن الملحدة قاتلهم الله وانه كان يخيل اليه انه فعل الشئ وما فعله فذلك مما يجوز طروءه عليه فى أمر دنياه دون ما أمر بتبليغه وقد روى عن ابن المسيب وعروة سحر حتى كاد ينكر بصره وعن عطاء الخراسانى حبس عن عائشة سنة قال عبد الرزاق وحبس عنها خاصة حين أنكر بصره لكن رواية ثلاثة أيام أو أربعة هى أصوب (وهو نوع يستفاد بخواص الجواهر و بأمور حسابية فى مطالع النجوم) اعلم ان السحر هو علم يبحث فيه عن معرفة الكواكب وأحوال الاوضاع وارتباط كل منها بأمور أرضية وعن معرفة المواليد والبروج والمنازل ومقادير سير القمر فى كل منها دائرة يكون منها على وجه خاص ليظهر من ذلك الارتباط والامتزاج فيظهر من بين ذلك أفعال غريبة وأسرار عجيبة تخفى عللها وأسبابها على ذوى العقول بتركيب السحرة لها فى أوقات مناسبة للاوضاع الفلكية مع مقارنة الكواكب وتوافق المواليد الثلاث فيظهر عند ذلك ما خفى سببه مع اوضاع عجيبة بكيفية غريبة تحير العقول وتعجز عن حل خفاياها أفكار الفحول وقال الحرالى هو قلب الحواس فى مدركاتها عن الوجه المعتاد لها فى صحتها من سبب باطن لا يثبت مع ذكر الله عليه وقال السعد فى حاشية الكشاف هو مزاولة النفس الخبيثة لاقوال وأفعال يترتب عليها أمور خارقة للعادة وقال التاج السبكى السحر والكهانة والتنجيم والسيمياء من واد واحد وقال الجربطى فى كتابه غاية الحكيم وأحق النتيجتين بالتقديم مانصه السحر حقيقة على الاطلاق كل ما سحر العقول وانقادت اليه النفوس

قهر سلطان الآدمى الضعيف الجاهل فى أكثر أوقاته متصرف بين أحوال متنافية كالعلم والجهل والعدل والظلم والشك والصدق والافك والعلم الالهى عبارة عن خلق الله فى عالم الملكوت مختص بخلاف خصائص الجواهر الحسية الكائنة فى عالم الملك برى من أوصاف ما سمى به القلم المحسوس كليا مصرفا يتميز الخالق بحكم ارادته على ماسبق به علمه فى أزل الازل وانما سمى بهذا الاسم لاجل شبهه بمحل ما سمى به غيرانه لايكتب الاحقائق الحق والفرق بين يمين الآدمى ويمين الله عز وجل أن يمين الآدمى كما علمت مركبة من عصب استعصى بقاؤها وعطل تعطل أدواؤها وعظام بعظم بلاؤها ولحم ممتد وجلد غير ذى جلد موصولة كلها فى الضعف والانفعال ملقبة باليد وهى عاجزة على كل حال ويمين الله تعالى هى عند بعض أهل التأويل عبارة عن قدرته وعند بعضهم صفة الله تعالى غير قدرة وليست بجارحة ولا جسم وعند آخرين انها عبارة عن خلق الله هى

وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر و بأمور حسابية فى مطالع النجوم

من جميع الاقوال والاعمال وهو ما يصعب على العقل ادراكه وتستتر عن الفهم أشباهه وذلك انه قوة الهية بأسباب متقدمة موضوعة لادراكه وهو علم غامض ومنه أيضا عملي موضوعه روح في روح وهذا هو النرنج والتخييل كما ان موضوع الطلسم روح في جسد وموضوع الكيمياء روح في جسد فبالجملة السحر هو ما خفي على عقول الاكثر سببه وضعف استنباطه وحقيقة الطلسم أن يتطوّس اسمه وهو المسلط لانه من جوهر القمر وفي التسليط يفعل فيما ركب فعل غلبة وقهر بنسب عددية وأسرار ملكية موضوعة وأجساد مخصوصة في أزمنة موافقة وبخورات مقويات جالبات لروحانيات ذلك الطلسم فحاله كحال الاكسير الذي يحيل الاجساد الى نفسه ويقهرها اذ هو خمير ثم قال اعلم ان السحر على قسمين علمي وعملي فالعلمي هو معرفة مواضع الكواكب الثابتة اذ موضوعها محل الصور وكيفية القاء أشعتها على السيارة وهيآت بنسب الفلك عند طلب كون المراد وتحت هذا جميع ما وضعته الاوائل من الاختيارات والطلسمات والعملي هو الموقوف على المولدات الثلاث وما أثبتت فيها من قوى الكواكب السيارة وهي المعبر عنها بالخواص عند القائلين بها ولا يعلمون لها علة ولا حقيقة الى كشف سر الاوائل ثم مزاج بعضها مع بعض بالعمل ويتوخى بها حرارة عنصرته فذلك قبيل الدخنات كي يستعان بالقوى الكاملة على الناقصة أو يتوخى بها حرارة طبيعية فذلك قسم المطعومات وما كان لا يتعدى بهما ولا يستعان الا بالنفس الانسانية أو الحيوانية والحيل المسماة نيرنجات أحسن أنواع السحر العملي ثم قال ولم يكن للحكماء قدرة على هذا العلم الا بمعرفة علم الفلك اهـ (فيتخذ من ذلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص في طالع) مخصوص وفي بعض النسخ من المطالع (وتقرن به) أي عند عمله (كلمات) أعجمية لا يعرف معناها (يتلفظ بها) لقهر الملائكة الموكلة بهذه الاسماء على فعل ما أقسم به المقسم وتلك الكلمات لا تخلو (من الكفر) الصريح (والفحش المخالف للشرع) كما هو صريح في قسم دعوة الزهرة في كتاب السر المكتوم للرازي ويستثنى من ذلك ما ثبت صحته بمعنى الاسماء الحسنى عن كبار المشايخ الكاملين المقطوع لهم بالولاية مع العلوم الشرعية كما ورد في اهيا اشراهيا اذوناي اصباوت آل شداي هملوخيم والاسماء التي في أول الدائرة الشاذلية وهي طهور بدعى محببه صوره محببه سقفاطين سقاطيم أهون وادم حم هاء آمين والاسماء التي في أثناء حزب سيدي ابراهيم الدسوقي قدس سره والبرهتية المسماة بالعهد السلماني وأمثالها (ويتوصل بسببها الى الاستعانة بالشياطين) فيقهر بها الملائكة الموكلة بتلك الاسماء ثم ان لهم في السحر طرقا مختلفة فطريق الهند بتصفية النفوس بأنواع الرياضات وحبس الانفاس وطريق النبط بعمل العزائم في الاوقات المناسبة لها وطريق اليونان بتسخير روحانية الافلاك والكواكب وطريقة العبرانيين والقبط والعرب بذكر الاسماء التي تقدم ذكرها ولكل هؤلاء مؤلفات فمن المشهورات على طريقة العبرانيين الايضاح والبساتين في استخدام الانس والجن والشياطين وبغية الناشد ومطلب القاصد وعلى طريقة اليونانيين رسائل ارسطو وغاية الحكيم للمجريطي وكتاب طيماوس وكتاب الوقوفات وعلى طريقة الهند والنبط القماعيل الكبير والقماعيل الصغير ومراتب المعاني والبرهان وعلى طريقة القبط والعرب عالم المعاني في ادراس العالم الانساني وحقيقة المعارف وأسرار الاجرام وبهجة النفوس وغاية الامل والمقصد الاتم وسرور النفوس وغير ذلك (ويحصل من مجموع ذلك) مما ذكرناه (الحكم باجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور) تحير لها الافكار وتتلاشى منها العقول وكل ما كان ويكون بقضاء الله تعالى وقدره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويرضى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها معرفة ليست مذمومة) اذا احترز عن العمل بها الا ان قام شقي ساحر يدعي النبوة ويظهر بقوة السحر أمورا خارقة يقول هذه معجزتي على النبوة فعند ذلك يفترض وجود شخص قادر لدفعه بالعمل

ولذلك

واسطة بين القلم الالهي الناقش العلوم المحدثة وغيرها وبين قدرته التي هي صفة له صرف بها اليمين الكاتبة بالقلم المذكور بالخط الالهي المثبوت على صفحات المخلوقات الذي ليس بعربي ولا عجمي يقرؤه الاميون اذا شرحت صدورهم وتستعجم على القارئين اذا كانوا عبيد شهواتهم ولم يشارك عين الآدمي الا في بعض الاسماء لاجل الشبه اللطيف الذي بينهما بالفعل وتقريبا الى كل ناقص الفهم عساه يعقل ما أنزل على رسل الله تعالى من الذكر

(فصل) وحد عالم الملك ما ظهر للحواس ويكون بقدرة الله تعالى بعضه من بعض وصحة التعبير وحد

فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويرصد به وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها الى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها معرفة ليست بمذمومة

ولذلك قال بعض العلماء تعلم العلم خير من جهله ومن تعلمه بقصد دفع الضرر كان ذلك فى حقه فرض كفاية (ولكنها) أى تلك المعرفة (ليست تصلح الا للاضرار بالخلق) غالبا وهو حرام (والوسيلة الى الشرشر) أى مايتوسل به الى الشرشر (فكان ذلك هو السبب فى كونه مذموما) وقد وردت فى ذمه أحاديث مابين صحاح وحسان فنها ماأخرجه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة اجتنبوا الموبقات الشرك بالله والسحر وفى رواية مسلم وأبى داود والنسائى اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات والموبقات هى المهلكات وقول التاج السبكى الموبقة أخص من الكبيرة وليس فى حديث أبى هريرة انها الكبائر تعقبه الحافظ ابن حجر بالرد قال المناوى السحران اقترن بكفر فكفر والا فكبيرة عند الشافعى وكفر عند غيره وتعلمه ان لم يكن لذب السحرة عند نشره حرام عند الاكثر وعلى ذلك يحمل قول الامام الرازى فى تفسيره اتفق المحققون على أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولامحذور لان العلم شريف ولعموم هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولان السحر لولم يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة والعلم بكون المعجز معجزا واجب وما يتوقف عليه الواجب واجب قال فهذا يقتضى كون العلم به واجبا وما يكون واجبا فكيف يكون حراما أو قبيحا اه (بل من اتبع وليا من أولياء الله تعالى ليقتله وقد اختفى منه فى موضع حريز) أى منيع (اذا سأله الظالم عن محله) الذى هو فيه (لم يجز تنبيهه عليه) وتعريفه اياه (بل يجب الكذب فى ذلك) للمصلحة الشرعية (وذكر موضعه) له (ارشاد) فى الظاهر وصدق (وافادة علم بالشئ على ماهو عليه ولكنه مذموم لادائه الى الضرر) بقتل الرجل الصالح وأخرج ابن عساكر فى تاريخه فى ترجمة ميمون بن مهران من رواية ابن أبى الدنيا حدثنى أبى حدثنا اسمعيل بن علية أخبرنا سوار بن عبدالله قال بلغنى أن ميمون بن مهران كان جالسا وعنده رجل من قراء الشام فقال ان الكذب فى بعض المواطن خير من الصدق فقال الصدق فى كل موطن خير فقال ميمون أرأيت لورأيت رجلا يسعى وآخر يتبعه بالسيف فدخل الدار فانتهى اليك فقال أرأيت الرجل ما كنت قائلا قال كنت أقول لاقال فذاك اه وقول الشيخ بل يجب الكذب فى ذلك هو أحد المواضع التى تكلموا عليه فيه ونحن نبين لك حاصل ماقاله المحققون أخرج البخارى فى صحيحه من طريق الزهرى أن حميد بن عبد الرحمن أخبره أن أمه أم كلثوم بنت عقبة أخبرته انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرا أو يقول خيرا وزاد مسلم فى هذا الحديث قالت ولم أسمعه يرخص فى شئ مما تقول الناس الا فى ثلاث فى الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها وجعل يونس ومعمر هذه الزيادة عن الزهرى قال الخطيب القول قولهما والحق معهما وذكره أيضا موسى بن هرون وقال آخر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يقول خيرا يعنى كما عند البخارى وللترمذى لايحل الكذب الافى ثلاث يحدث الرجل امرأته ليرضيها والكذب فى الحرب والكذب ليصلح بين الناس قال ابن الملقن قال الطبرى واختلف العلماء فى ذلك فقال طائفة الكذب المرخص فيه فى هذه الثلاث هو جميع معانى الكذب وحمله قوم على الاطلاق وأجازوا قول مالم يكن فى ذلك لما فيه من المصلحة فان الكذب المذموم انما هو فيما فيه مضرة للمسلمين وقال آخرون لايجوز الكذب فى شئ من الاشياء ولا الخبر عن شئ بخلاف ماهو عليه وماجاء فى هذا انما هو على التورية وروى مجاهد عن أبى معمر عن ابن مسعود قال لايصلح الكذب فى جد ولاهزل وقال آخرون بل الذى رخص فيه هو المعاريض وهو قول سفيان وجمهور العلماء وقال المهلب ليس لاحد أن يعتقد اباحة الكذب وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الكذب نهيا مطلقا وأخبر انه يجانب الايمان فلايجوز استباحة شئ منه وانما أطلق عليه الصلاة والسلام للصلح بين الناس

عالم الملكوت ماأوجده سبحانه بالامر الازلى بلا تدريج وبقى على حالة واحدة من غير زيادة فيه ولا نقصان منه وحد عالم الجبروت هومابين العالمين مما يشبه أن يكون فى الظاهر من عالم الملك فحيز بالقدرة الازلية بما هو من عالم الملكوت

(فصل) ومعنى ان الله خلق آدم على صورته فذلك على ماجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وللعلماء فيه وجهان فنهم من يرى للحديث سببا وهو أن رجلا ضرب غلامه فرآه النبى صلى الله عليه وسلم فنهاه وقال ان الله تعالى خلق آدم على صورته وتأولوا عود الضمير على المضروب وعلى هذا لايكون للحديث مدخل

ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر فكان ذلك هو السبب فى كونه علما مذموما بل من اتبع وليا من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه فى موضع حريز اذا سال الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد وافادة علم بالشئ على ماهو عليه ولكنه مذموم لادائه الى الضرر

أن يقول ما علم من الخير بين الفريقين ويسكت عما سمع من الشر بينهم وبعد أن يسهل ما صعب ويقرب ما بعد لا انه يخبر بالشئ على خلاف ما هو عليه لان الله قد حرم ذلك ورسوله وكذلك الرجل يعد المرأة عنها وليس هذا من طريق الكذب لان حقيقة الكذب الاخبار عن الشئ على خلاف ما هو عليه والوعد لا يكون حقيقة حتى ينجز والانجاز مرجوّ في الاستقبال فلا يصلح أن يكون كذبا وكذلك في الحرب انما يجوز فيها المعاريض والايهام بألفاظ تحتمل وجهين يؤدي بهما عن أحد المعنيين ليغر السامع بأحدهما عن الآخر وليس حقيقة الاخبار عن الشئ بخلافه وضده قال الطبري والصواب من ذلك قول من قال الكذب الذي أذن فيه الشارع هو ما كان تعريضا ينحو به نحو الصدق وأما صريح الكذب فهو غير جائز لاحد كما قال ابن مسعود لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحريمه والوعيد عليه وأما ما رواه الاعمش عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن برة قال كنا عند عثمان وعنده حذيفة فقال له عثمان بلغني عنك انك قلت كذا وكذا فقال حذيفة والله ما قلته قال وقد سمعناه قال ذلك فلما خرج قلنا له أليس قد سمعناك تقوله قال بلى قلنا فلم حلفت قال اني اشترى ديني بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله فهذا خارج من معاني الكذب الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه أذن فيها وانما ذلك من جنس احياء الرجل نفسه عند الخوف كالذي يضطر الى الميتة ولحم الخنزير فيأكل ليحيي نفسه وكذلك الخائف له أن يخلص نفسه ببعض ما حرم الله عليه وله أن يحلف على ذلك ولا حرج عليه ولا اثم وقال الراغب في الذريعة ذهب كثير من المتكلمين ان الصدق يحسن لعينه والكذب يقبح لعينه وقال كثير من الحكماء والمتصوفة ان الكذب يقبح لما يتعلق به من المضار الحاصلة والصدق يحسن لما يتعلق به من المنافع الحاصلة وذلك ان الاقوال من جملة الافعال وشئ من الافعال لا يحسن ولا يقبح لذاته بل انما يحسن ما يحسن لما يتعلق به في النفع قالوا والكذب انما يقبح بثلاث شرائط أن يكون الخبر بخلاف المخبر عنه وأن يكون المخبر قد اختلقه قبل الاخبار به وأن لا يقصد ايراد ما في نفسه لاندفاع ضرر أعظم من ضرر ذلك الكذب مع شرط أن لا يمكن الوصول الى ذلك النفع بغيره ومع انه اذا ظهر كان للكاذب عذر واضح عاجلا وآجلا قالوا ولا يلزم على هذا أن يقال جوزوا الكذب فيما يرجى منه نفع دنيوي فالمنفعة الدنيوية ولو كانت ملك الدنيا بحذافيرها لا توفي على ضرر هذا بل الذي قلناه يتصور في نفع أخروي يكون الانسان فيه عاجلا وآجلا معذورا كمن سالك عن مسلم استتر في دارك وهو يريد قتله فيقول هل فلان في دارك فتقول لا فهذا يجوز فان نفع هذا الكذب موف على ضرره وهو فيه معذور وأما الصدق فانه يحسن حيث يتعلق به نفع ولا يلحق ضرر بأحد فمعلوم قبح النميمة والغيبة والسعاية وان كانت صدقا فاتضح بما ذكرناه صحة قول الشيخ رحمه الله تعالى ولا عبرة بجمهور المخالفين له فيه (الثاني أن يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر كعلم النجوم فانه في نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان) اعلم أن علم النجوم علم بأحكام يستدل بها الى معرفة الحوادث الكائنة في عالم الكون من الصلاح والفساد بالتشكلات الفلكية وهي أوضاع الافلاك والكواكب كالمقارنة والمقابلة والتثليث والتربيع الى غير ذلك وهو عند الاطلاق ينقسم الى ثلاثة أقسام (قسم حسابي) وهو يقيني في علمه شرعا (وقد نطق القرآن بان سير الكواكب محسوب اذ قال تعالى الشمس والقمر بحسبان) أي يجريان بحساب وتقدير لا يعلمه الا من أطاعه من خلقه عليه فلا يجاوزان ما قدر لهما من جريهما لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون قيل الحسبان جمع حساب والاصوب انه مصدر يقال حسب الشئ يحسبه حسبانا وأصل الحساب استعمال العد والتقدير قال عبد بن حميد في سننه حدثنا جعفر بن عون حدثنا سفيان عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي مالك الشمس والقمر بحسبان قال بحساب ومنازل وقال مجاهد في تفسيره فيما رواه عبد بن حميد عن شبابة عن ورقاء عن

في هذا الموضع لم يرده مورد آخر في غير هذا الموطن ويكون الايمان به الى غير هذا المعنى المذكور في السبب الحادث واثباته في غيره موطن ذلك السبب المنقول مما يعز ويعسر فليبق المسبب على حاله ولينظر في وجه الحديث غير هذا مما يحتمل ويحسن الاحتجاج به في هذا الموطن والوجه الآخر أن يكون الضمير الذي في صورته عائدا الى الله سبحانه ويكون معنى الحديث أن الله خلق آدم على صورة هي الى الله سبحانه وهذا العبد المضروب على صورة آدم فاذا هذا العبد المضروب على الصورة المضافة الى الله تعالى ثم ينحصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى هذه الاضافة وعلى أي جهة يحمل في الاعتقاد العلمي على الله سبحانه فنهما وجهان أحدهما ان اضافته اضافة ملك الى الله تعالى كما يضاف اليه

(الثاني) أن يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر كعلم النجوم فانه في نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابي وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب اذ قال عز وجل الشمس والقمر بحسبان

ابن أبي نجيح عنه قال كحسبان الرحى والقولان ذكرهما البخاري في صحيحه (وقال تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) منازل القمر ثمان وعشرون وهو السرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرفة والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانا والاكليل والقلب والشولة والنعايم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرع الدلو المقدم وفرع الدلو المؤخر والرشا والعرجون فعلون من الانعراج أي الانعطاف والمراد به عود الكباسة التي عليها الشماريخ للعذق فاذا قدم تقوس واصفر ولذلك شبه به الهلال في آخر الشهر وأوله *(والثاني) قسم طبيعي كالاستدلال بانتقال الشمس في البروج الفلكية على تغير الفصول بالحر والبرد والاعتدال وهذا ليس بمردود شرعا أيضا* والثالث قسم وهمي ويسمى علم (الاحكام) وفي مفتاح السعادة اعلم ان أحكام النجوم غير علم النجوم لان الثاني يعرف بالحساب فيكون من فروع الرياضة والاول يعرف بدلالة الطبيعة على الآثار فيكون من فروع الطبيعي واهما فروع منها علم الاختيارات وعلم الرمل وعلم الفال وعلم القرعة وعلم الطيرة والزجر اه وهذا الذي ذكره من الفرق لا بأس به ولكن هذا أهم متى أطلق في العقليات أريد به الاحوال الغيبية المنتجة من مقدمات معلومة هي الكواكب من جهة حركاتها ومكانها وزمانها (وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث الكونية بالاسباب) من اتصال الكواكب بطريق العموم والخصوص وهذا لا استناد له الى أصل شرعي فهو مردود شرعا (وهو يضاهي) أي يشبه (استدلال الطبيب بالنبض) أي بجسه (على ما سيحدث) للمريض (من المرض وهو معرفة بمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكنه مذموم في الشرع) قال المولى أبو الخير واعلم أن كثيرا من العلماء على تحريم علم النجوم مطلقا وبعضهم على تحريم اعتقاد أن الكواكب مؤثرة بالذات وقد ذكر عن الامام الشافعي رضي الله عنه قال ان اعتقد المنجم ان المؤثر الحقيقي هو الله تعالى لكن عادته تعالى جارية على وقوع الاحوال بحركاتها وأوضاعها المعهودة ففي ذلك لا بأس عندي وحديث الذم ينبغي أن يحمل على من يعتقد تأثير النجوم كذا ذكره ابن السبكي في طبقاته الكبرى وعلى هذا يكون اسناد ذلك الى النجم مذموما فقد قال العلماء ان اعتقاد التأثير لها في شئ ما حرام اذا أول واذا لم يؤول فهو كفر والعياذ بالله تعالى اه ونقل الخطيب من كتاب الانواء لابي حنيفة المنكر من النظر في النجوم نسبة الآثار الى الكواكب وانها هي المؤثرة وأما من زعم التأثير الى خالقها وزعم انه نصبها اعلاما على ما يحدثه فلا جناح عليه اه قلت وذكر صاحب مفتاح السعادة ان ابن القيم الجوزي أطنب في الطعن على مرتكبه بل ذهب الى تكفيره اه قلت وذكر بعضهم ان مما يشهد بصحة علم الاحكام بنية بغداد فقد أحكمها الواضع والشمس في الاسد والعطارد في السنبلة والقمر في القوس فقضى الحق أن لا يموت فيها ملك ولم يزل كذلك وهذا بحسب العموم وأما بالخصوص فمتى علمت مولد شخص سهل عليك الحكم لكل ما يتم له من مرض وعلاج وكسب وغير ذلك كذا في تذكرة داود ويمكن المناقشة في شاهده بعد الامعان في التواريخ لكن لا يلزم من الجرح بطلان دعواه فان قيل لم لا يجوز أن يكون بعض الاجرام العلوية أسبابا للحوادث السفلية فيستدل المنجم العاقل من كيفية حركات النجوم باختلاف مناظرها وانتقالاتها من برج الى برج على بعض الحوادث الكائنة قبل وقوعها كما يستدل الطبيب الحاذق بكيفية حركة النبض على حدوث العلة قبل وقوعها يقال يمكن هذا على طريق اجراء العادة أن يكون بعض الحوادث سببا لبعضها لكن لا دليل فيه على كون الكواكب أسبابا وعلامات للسعادة والنحوسة لا حسا ولا عقلا ولا سماعا أما عقلا فسيأتي بيانه قريبا في الوجه الثاني من الاوجه الثلاثة في الزجر عنه وأما سماعا فقد (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر أصحابي فامسكوا) قال العراقي أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود باسناد حسن اه أي في معجمه

العبد والبيت والناقة واليمين على أحد الاوجه والوجه الآخر أن تكون اضافة تخصيص به تعالى فمن حملها على اضافة الملك له رأى أن المراد بصورته هو العالم الاكبر بجملته وآدم مخلوق على مضاهاة صورة العالم الاكبر لكنه مختصر صغير فان العالم اذا فصلت أجزاؤه بالعلم وفصلت أجزاء آدم عليه السلام بمثله وجدت أجزاء آدم عليه السلام مشابهة للعالم الاكبر واذا تشابهت اجزاء جملة اجزاء جملة فالجملتان بلا شك متشابهتان فالذي نظر في تحليل صورة العالم الاكبر فقسمه على انحاء من القسمة وقسم آدم عليه السلام كذلك فوجد كل نحوين منهما شبيهين فمن ذلك ان العالم ينقسم الى قسمين

وقال عز وجل والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم والثاني الاحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكن قد ذمه الشرع قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكرت النجوم فأمسكوا واذا ذكر أصحابي فأمسكوا

الكبير من رواية مسهر بن عبد الملك بن سلع الهمدانى عن الاعمش عن أبي وائل عن عبدالله رفعه وفيه تقديم الجملة الاخيرة ثم الثانية ثم الاولى ورواه الخطيب فى كتاب القول فى علم النجوم بلفظ المصنف من رواية أبي مخذم عن أبي قلابة عن ابن مسعود وأبو مخذم اسمه النصر بن سعيد ليس بشئ قاله ابن معين وأبو قلابة لم يسمع من ابن مسعود ورواه الطبرانى أيضا من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نبه عليه الحافظ ابن حجر وابن عدى فى الكامل عن عمر بن الخطاب بسند ضعيف وقال الهيثمى فيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف ورواه أبو الشيخ فى كتاب الطبقات من رواية الحسن عن أبي هريرة مرفوعا فى اثناء حديث وقال ابن رجب روى من وجوه فى اسنادها كلها مقال وقد رمز السيوطى لحسنه تبعا لابن حصرى ولعله اعتضد قال المناوى فى شرح هذا الحديث أى لما فى الخوض فى الثلاثة من المفاسد التى لا تحصى (وقال صلى الله عليه وسلم أخاف على أمتى بعدى ثلاثا حيف الائمة وايمان بالنجوم وتكذيب بالقدر) قال العراقى أخرجه ابن عبد البر من حديث أبي محجن بسند ضعيف اه قلت هو من رواية على ابن يزيد الصدائى حدثنا ابو سعيد البقال عن أبي محجن قال أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فذكره وأخرجه ابن عساكر كذلك من طريقه وابو محجن اسمه عمرو بن حبيب الثقفى فارس شاعر صحابى والرواية ايمانا وتكذيبا بالنصب فيهما وانما نكر ايمانا ليفيد الشيوع فيدل على التحذير من التصديق بأى شئ كان من ذلك جزئيا أو كليا مما كان من أحد فسمى علم النجوم وهو علم التأثير لا التسيير فانه غير ضار كما تقدم وأخرج الطبرانى من حديث أبي امامة رفعه ان أخوف ما أخاف على أمتى فى آخر زمانها النجوم وتكذيب بالقدر وحيف السلطان وأخرج أحمد والبزار وأبو يعلى والطبرانى فى معاجمه الثلاثة من حديث جابر بن سمرة بلفظ ثلاثا أخاف على أمتى استسقاء بالانواء وحيف السلطان وتكذيب بالقدر وأخرج أبو يعلى فى مسنده وابن عدى فى الكامل والخطيب فى كتاب النجوم عن أنس بسند حسن أخاف على أمتى بعدى خصلتين تكذيبا بالقدر وتصديقا بالنجوم ومن شواهد الحديثين ما أخرجه الديلمى فى الفردوس وابن حصرى فى أماليه عن عمر بن الخطاب مرفوعا لا تسألوا عن النجوم ولا تماروا فى القدر ولا تفسروا القرآن برأيكم ولا تسبوا أحدا من أصحابى فان ذلك الايمان المحض هكذا أخرجه السيوطى فى الجامع الكبير قلت وأخرجه الخطيب فى ذم النجوم من حديث اسمعيل بن عياش عن البخترى بن عبيد عن أبيه عن أبي ذر عن عمر موقوفا كذا فى شرح ابن الملقن على البخارى (وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى البر والبحر ثم أمسكوا) عزاه الشيخ الى عمر بن الخطاب ووقفه عليه ولم يتعرض له العراقى فى تخريجه وقد روى ذلك مرفوعا عن ابن عمر أخرجه ابن مردويه فى التفسير والخطيب البغدادى فى كتاب ذم النجوم ولفظهم تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر ثم انتهوا قال المناوى قال عبد الحق وليس اسناده مما يحتج به انتهى وقال ابن القطان فيه من لا أعرف انتهى لكن رواه ابن زنجويه من طريق آخر وزاد وتعلموا ما يحل لكم من النساء ويحرم عليكم ثم انتهوا قال المناوى فى شرح قوله ثم انتهوا ما نصه فان النجامة تدعو الى الكهانة والمنجم كاهن والكاهن ساحر والساحر كافر والكافر فى النار كذا عله على كرم الله وجهه قال ابن رجب فالمأذون فى تعلمه علم التسيير لا علم التأثير فانه باطل محرم قليله وكثيره وفيه ورد الخبر من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من الكفر وأما علم التسيير فتعلم ما يحتاج اليه منه لاهتداء ومعرفة القبلة وما زاد عليه لا حاجة اليه لشغله عما هو أهم منه وربما أدى بتدقيق النظر فيه الى اساءة الظن بمحاريب المسلمين كما وقع من أهل هذا العلم قديما وحديثا وذلك مفض الى اعتقاد خطأ السلف فى صلاتهم وهو باطل اه قال الزمخشرى كان علماء بنى اسرائيل يكتمون علمين من أولادهم النجوم والطب لئلا يكون سببا لصحبة الملوك فيضمحل دينهم اه وفى صحيح البخارى قال قتادة هذه النجوم لثلاث جعلها

أحد القسمين ظاهر محسوس كعالم الملك والثانى باطن معقول كعالم الملكوت والانسان كذلك ينقسم الى ظاهر محسوس كالعظم واللحم والدم وسائر أنواع الجواهر المحسوسة والى باطن كالروح والعقل والعلم والارادة والقدرة واشباه ذلك (وقسم آخر) وذلك ان العالم قد انقسم بالعوالم الى عالم الملك وهو الظاهر للحواس والى عالم الملكوت وهو الباطن فى العقول والى عالم الجبروت وهو المتوسط الذى أخذ بطرف من كل عالم منهما والانسان كذلك انقسم الى ما شابه هذه القسمة فالمشابه لعالم الملك الاجزاء المحسوسة وقد علمتها والمشابهة لعالم الملكوت فمثل الروح والعقل والقدرة والارادة وأشباه ذلك والمشابه لعالم الجبروت فكالادراكات الموجودة بالحواس والقوى الموجودة باجزائه والوجه الثانى أن يكون معناه كفر السامع

وقال صلى الله عليه وسلم أخاف على أمتى بعدى ثلاثا حيف الائمة والايمان بالنجوم والتكذيب بالقدر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى البر والبحر ثم أمسكوا

والعاشر جرعنه من ثلاثة أوجه أحدها أنه مضر بأكثر الخلق فانه اذا ألقى اليهم ان هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم أن الكواكب هي المؤثرة وانها الآلهة المدبرة لانها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها ويرى الخير والشر محذورا أو مرجوا من جهتها وينمحي ذكر الله سبحانه عن القلب فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد أنه فعل القلم ولا ترتقي في نظرها الى مشاهدة الاصابع ثم منها الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى خالق اليد والقدرة والارادة فأكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب القريبة السافلة مقطوع من الترقي الى مسبب الاسباب فهذا أحد أسباب النهي عن النجوم وثانيها ان أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الاشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل

زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف مالا علم له به قال ابن الملقن هذا التعليق قد أخرجه عبد بن حميد في مسنده عن يونس عن سفيان عنه بلفظ فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه قال الداودي وهو قول حسن الا قوله أخطأ وأضاع فقصر فيه لان من قال فيه بالعصبية كافر اهـ وأخرج الخطيب في ذم النجوم من حديث عبيد الله بن موسى عن الربيع بن حبيبة عن قويد بن عبد الملك عن أبيه عن علي نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النظر في النجوم وعن أبي هريرة وعائشة وابن مسعود وابن عباس نحوه وعن الحسن ان قيصر سأل قس بن ساعدة الايادي هل نظرت في النجوم قال نعم نظرت فيما يراد به الهداية ولم أنظر فيما يراد به الكهانة وقد قلت في النجوم أبياتا وهي

علم النجوم على العقول وبال * وطلاب شئ لا ينال ضلال
ماذا طلابك علم شئ غيبت * من دونه الخضراء ليس ينال
هيهات ما أحد بغامض فطنة * يدري متى الارزاق والآجال
الا الذي من فوق عرش ربنا * فلوجهه الاكرام والاجلال

وقال المأمون علمان نظرت فيهما وامتنعت فلم أرهما يصحان النجوم والسحر (والعاشر جرعنه) أي عن تعلم علم النجوم (من ثلاثة أوجه أحدها انه مضر بأكثر الخلق) سيما من لم يحكم عقيدته على سنن السلف الصالحين (فانه اذا ألقى اليهم) في تفسير ماقرروه (ان هذه الآثار) من الحوادث والحركات (تحدث) وتقع (عقيب سير الكواكب) أو عند مقابلتها (وقع في نفوسهم) في أول وهلة (ان الكواكب هي المؤثرة) بأنفسها لتلك الحوادث (وانها) أي تلك الكواكب (الآلهة المؤثرة) في الكون كما وقع ذلك لكثير من جهلاء اليهود والنصارى والفلاسفة (لانها جواهر شريفة سماوية) فلا يبعد الظن عن نسبة التأثير والتدبير اليها (ويعظم وقعها في القلوب) لغرابتها ويحسن له الشيطان ويزينه في القلوب (فيبقى القلب ملتفتا اليها) أي الى الكواكب باستمالة الشيطان ويتمكن ذلك في اعتقاده (ويرى الشر والخير محذورا) أي ممنوعا (ومرجوا من جهتها و) حينئذ (ينمحي) أي يبعد (ذكر الله تعالى عن القلب) فانه ليس له الا وجهة واحدة (فان الضعيف) الايمان والاعتقاد (يقصر نظره) لقصوره (على الوسائط) ولا يتجاوز عنها (والراسخ) في العلم (هو الذي يطلع على) أسرار أقوال الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ويعتقد (ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره تعالى) أي جارية لمنافع العباد ويتدرج في معرفة ذلك الى معرفة سر التسخير الذي هو القهر والاذلال وانها لو كانت مؤثرة أو آلهة مدبرة لم تقهر ولم تسخر (ومثل نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثل النملة لو خلق لها عقل) مثلا اذ لها ادراك ما (و) فرض انها (كانت في سطح) أي موضع مسطح (في قرطاس) وفي بعض النسخ كانت في ظهر قرطاس وفي أخرى في سطح قرطاس (وهي تنظر الى سواد الخط يتحدر) وفي نسخة يتجدد (فتعتقد انه فعل القلم ولا يترقى نظرها الى مشاهدة الاصابع) التي تملك القلم (ثم منها الى اليد) التي تركبت فيها تلك الاصابع (ثم منها الى الارادة المحركة لليد) وهي القوة المركبة من شهوة وحاجة وأمل وهذا بالنظر الى أصل اللغة (ثم منها الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى خالق اليد والقدرة والارادة) فهو نظر خامس في الترقي (فأكثر نظر الخلق مقصور على) المرتبة الاولى وهي (الاسباب القريبة السافلة مقطوع) مقصور (عن) النظر في (الترقي الى مسبب الاسباب) جل وعز بادئ بدء (وهذا أحد أسباب النهي في) تعلم علم (النجوم) وفي نسخة عن النجوم (وثانيها ان أحكام النجوم) غالبها (تخمين محض) وحدس (ليس يدرك في حق آحاد الاشخاص لا يقينا ولا ظنا والحكم به حكم بجهل) لان أكثر القواعد التي قرروها تقديرية

عقلية فما تفرع منها من الاحكام فى الحوادث الكونيـة احرى ان تكون كذلك (فيكون ذمه) الواردفى الاحاديث المتقدمة (من حيث انه جهل لامن حيث انه علم) هذا وقد ورد من حديث بريدة الاسلمى رضى الله عنه ان من العلم جهلا كما سيأتى وفسر بكونه علما مذموما والجهل خير منه أوالمراد ان من العلوم مالايحتاج اليه فيشتغل به عن تعلم مايحتاج اليه فى دينه فيصير علمه بمالايعنيه جهلا بمايعنيه (ولقد كان ذلك) أى علم النجوم (معجزة لادريس صلوات الله عليه فيما يحكى) و يروى ان نبيا من الانبياء قد خط فمن وافق خطه خطه أصاب قيل هوادريس وقيل دانيال عليه السلام وان المراد بالخط هو علم النجوم أوعلم الرمل أوغير ذلك (وقد اندرس ذلك العلم) بعدوفاته (وانمحق وانمحى) وزال (و) أما (مايتفق من اصابة) أمر (المنجم على ندور) فى بعض الاحيان (فهواتفاق) ومصادفة (لانه قد يطلع على بعض الاسباب) بحسب ظاهر قواعده (ولايحصل المسبب عقيبها) كماوقع ذلك لبعضهم اثناء المائة انه أخبر عن يوم مخصوص فى شهر كذا تهب رياح شديدة لاتبقى شجرا ولابناء الاهدمتهما وحذر الناس بذلك وكتب قصيدته المتضمنة على الفضائح الى البلاد حتى وصلت الى المغرب وقد صدقه فى كلامه أكثر الناس من المشارقة والمغاربة وتهيؤا للجلاء عن بيوتهم واتخاذهم سراديب فى البوادى والقفار فاتفق ان جاء ذلك اليوم ولم يكن فيه مما ذكر شئ ذكره البلوى فى كتابه ألف با (الابعد شروط كثيرة) واحالات على أمور (ليس فى قدرة البشر الاطلاع عليها) وتفنى الاعمار دون تحصيلها فمن ذلك ماذكروه فى شروط عمل السحر معرفة الطالع من البروج المستقيمة والمعوجة الطالوع ومعرفة السعود والنحوس منها ومعرفة نقاء القمر من الاعراض التى تصيبه ومالكل كوكب وكل برج وماتصلح له ومعرفة كونه تحت شعاع القمر حتى يخل من العقدة ومعرفة احتراقه بملاقاة جرمه جرم الشمس وهو أشد المناحس واشباه ذلك من الخرافات التى يشترطونها فى كتبهم (فان اتفق ان قدر الله بقية الاسباب) مع توفيته الشروط (وقعت الاصابة وان لم يقدر أخطأ) فى حكمه ذلك (ويكون ذلك كتخمين الانسان فى ان السماء تمطر اليوم مهمارأى الغيم) فى آفاقها (يجتمع و ينبعث من الجبال) فيترا كم بعضه على بعض (فيتحرك ظنه لذلك) وتظهر له أمارات المطر فيحكم به (ور بما يحمى النهار بالشمس) وتأتى رياح مخالفة (و يتبدد) أى يتفرق ذلك (الغيم ور بما يكون بخلافه) أى تمطر ناحية والشمس مضيئة (ومجرد الغيم ليس كافيا فى) حصول (المطر وبقية الاسباب لاندرى) أى تعلم (وكذلك تخمين الملاح) وهو من يلازم خدمة السفن (ان السفينة تسلم) من الغرق (اعتمادا على ماألفه من) جارى (العادة فى الرياح ولتلك الرياح أسباب خفية) المدرك (هولايطلع عليها) الاقليلا ممن رسخ منهم (فتارة يصيب فى تخمينه) فيسلم (وتارة يخطئ) فيهلك (ولهذه العلة يمنع القوى) فى ايمانه واعتقاده (من) النظر فى (النجوم أيضا) وهوظاهر (وثالثها انه لافائدة فيه) ولا طائل تحته (فأقل أحواله انه خوض فى فضول) هو جمع فضل الاانه استعمل استعمال المفرد فيما لاخير فيه (لايغنى شيأ) وفى نسخة يغنى شأنه (وتضييع للعمر الذى هو أنفس بضاعة الانسان بغير فائدة) شرعية تترتب عليها المصالح (غاية الخسران) فان الوقت سيف ان لم تقطعه فى خير قطعك (فقدمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ماهذا) أى الاجتماع (فالوا رجل علامة فقال بماذا فقالوا بالشعر وانساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر) قال العراقى أخرجه ابن عبد البر من حديث أبى هريرة وضعفه وفى آخر الحديث انما العلم آية محكمة الخ اه قلت وقال ابن عبد البر نفسه لعمرى لم ينصف من زعم ان علم النسب علم لاينفع و جهل لايضر قال المناوى وكانه لم يطلع على كونه حديثا أو رأى فيه قادحا يقتضى الرد قلت كيف يقال انه لم يطلع على الحديث وهوالذى خرجه من حديث أبى هريرة فالوجه هوالقول الثانى الذى ذكره وأخرج الرشاطى من طريق ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة

ذلك العلم وانمحق ومايتفق من اصابة المنجم على ندور فهواتفاق لانه قد يطلع على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس فى قدرة البشر الاطلاع على حقائقها فان اتفق ان قدر الله تعالى بقية الاسباب وقعت الاصابة وان لم يقدر أخطأ ويكون ذلك كتخمين الانسان فى ان السماء تمطر اليوم مهمارأى الغيم يجتمع و ينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس و يذهب الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا فى مجىء المطر وبقية الاسباب لاندرى وكذلك تخمين الملاح ان السفينة تسلم اعتمادا على ماألفه من العادة فى الرياح ولتلك الرياح أسباب خفية هو لايطلع عليها فتارة يصيب فى تخمينه وتارة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوى عن النجوم أيضا وثالثها انه لافائدة فيه فاقل أحواله انه خوض فى فضول لايغنى وتضييع العمر الذى هو أنفس بضاعة الانسان [illegible] غير فائدة وذلك غاية الخسران فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ماهذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر

علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر وفى القوت وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق مرسل انه مر برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة قال بماذا قالوا بالشعر والانساب وأيام العرب فقال هذا علم لا يضر جهله وفى لفظ آخر علم لا ينفع وجهل لا يضر وأخرج الامام أحمد فى مسنده والترمذى فى البر والصدقة والحاكم عن أبى هريرة رفعه تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة فى الاهل مثراة فى المال منسأة فى الاثر وصححه الحاكم وأقره الذهبى وقال الهيثمى رجال أحمد وثقوا وقال الحافظ ابن حجر هذا الحديث له طرق أقواها ما أخرجه الطبرانى من حديث العلاء بن خارجة وجاء هذا عن عمر أيضا ساقه ابن حزم باسناد رجاله موثقون الا ان فيه انقطاعا اه قلت وأخرج ابن زنجويه من حديث أبى هريرة تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله ثم انتهوا وبهذا يظهر الجمع بين الحديثين وان محل النهى انما هو فى التوغل فيه والاسترسال بحيث يشتغل به عما هو أهم منه وفى التخريج الكبير للعراقى رواه أبو نعيم فى رياضة المتعلمين من رواية بقية عن ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة وفيه ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فرأى جمعا من الناس على رجل فقال ما هذا قالوا يا رسول الله رجل علامة قال وما العلامة قالوا اعلم الناس بانساب العرب واعلم الناس بالشعر وما اختلفت فيه العرب فقال هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر ثم قال العلم ثلاثة ما خلاهن فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة اه قلت وقال ابن حزم فى كتاب النسب علم النسب منه ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية ومنه مستحب فمن ذلك ان تعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ابن عبد الله الهاشمى فمن زعم انه غير هاشمى كفر وان يعلم ان الخليفة من قريش وان يعرف من يلقاه بنسب فى رحم محرم ليجتنب تزويج ما يحرم عليه وان يعرف ما يتصل به ممن يرثه أو يجب بره من صلة أو نفقة أو معاونة وان يعرف أمهات المؤمنين وان نكاحهن حرام وان يعرف الصحابة وان حبهم مطلوب ويعرف الانصار ليحسن اليهم لثبوت الوصية بذلك ولان حبهم ايمان وبغضهم نفاق ومن الفقهاء من يفرق فى الحرية والاسترقاق بين العرب والعجم فحاجته الى علم النسب آكد ومن يفرق بين نصارى بنى تغلب وغيرهم فى الحرية وتضعيف الصدقة وما فرض عمر الديوان الا على القبائل ولولا علم النسب ما تخلص له ذلك وتبعه على وعثمان وغيرهما اه (وقال) صلى الله عليه وسلم (انما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة) أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو وقد رواه ابن عبد البر مع الحديث السابق عن أبى هريرة قاله العراقى وفى تجريد الصحاح لرزين من طريق النسائى عن ابن عمر ورفعه العلم ثلاثة وما سوى ذلك فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة وفى القوت ويروى العلم ثلاثة آية محكمة وسنة قائمة ولا أدرى وأخرجه أبو نعيم فى رياضة المتعلمين بمثل رواية النسائى تقدم قريبا قبل هذا وهو آخر الحديث ورواه كذلك أبو داود وابن ماجه كما تقدم عن العراقى من رواية عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن ابن عمرو ورواه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الكتاب المذكور من رواية اسمعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد عن ابن عمرو قال العراقى وقد ورد موقوفا على ابن عمر نحوه رواه الطبرانى فى الاوسط من رواية حصين عن مالك عن نافع عن ابن عمر ورواه الدارقطنى من رواية عمر بن عصام عن مالك عن نافع عن ابن عمر العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة ماضية ولا أدرى وأخرجه الخطيب أيضا هكذا وقال تابعه أبو طاهر محمد بن موسى المقدسى وأبو حذافة السهمى قال وخالفهم سعيد بن داود الزبيرى فرواه عن مالك عن داود بن الحصين عن طاوس عن ابن عمر قلت ويحتمل ان المصنف أوردهما على انه حديث واحد فانه عقبه بقوله والله أعلم (فاذا الخوض فى) علم (النجوم) والتوغل فيه (و) فى (ما يشبهه اقتحام خطر) أى دخول فى خطر عظيم (وخوض

لا للمخبر بخلاف الوجه الاول ويكون هذا مطابقا. لحديث النبى صلى الله عليه وسلم لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله فمن حدث أحدا بما لم تصله عقوله ربما سارع الى التكذيب وهو الاكثر ومن كذب بقدرة الله تعالى وبما أوجدتها فقد كفر ولو لم يقصد الكفر فان أكثر اليهود والنصارى وسائر الكفار ما قصدت الكفر ولا تظنه بانفسها وهى كفار بلا ريب وهذا وجه واضح قريب ولا تلتفت الى ما مال اليه بعض لا يعرف وجوه التأويل ولا يعقل كلام أولى الحكمة والراسخين فى العلم حين ظن ان قائل ذلك اراد الكفر الذى هو نقيض الايمان والاسلام يتعلق بخبره ٧ وتلحق قائله وهذا لا يخرج الا على مذاهب أهل الاهواء الذين يكفرون بالمعاصى وأهل السنن لا يرضون بذلك وكيف يقال لمن آمن بالله واليوم الآخر وعبد الله بالقول الذى يتزيد به والعمل الذى يقصد به المتعبد

وقال صلى الله عليه وسلم انما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة فاذا الخوض فى النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض

لوجهــه الذى يستزيد به ايمانا ومعرفـة له سبحانه ثم يكرمه الله تعالى عـلى ذلك بفوائد المزيد وينيله ماشرف من المنح ويريه اعـلام الرضا ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليـه والايمان

في جهالة من غير فائدة فان ماقدر كائن والاحتراز منه غـير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسـة اليـه وأكثر أدلتـه مما يطلع عليه وبخلاف التعبير وان كان تخمينا لانه جزء من سـتة وأربعـين جزأ من النبوة ولاخطر فيه (السبب الثالث) الخوض فى عـلم لا يستفيد الخائض فيه فائدة عـلم فهو مذموم فى حقه كتعلم دقيق العـلوم قبل جليلها وخفيها قبـل جليها وكالبحث عن الاسرار الالهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها ولم يستقل بها وبالوقوف عـلى طرق بعضها الا الانبياء والاولياء فيجب كف النـاس عن البحث عنها وردهـم الى ما نطق به الشرع ففى ذلك مقنـع للموفق فكم من شخص خاض فى العلوم واستضر بها ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن فى الدين مما صار اليـه ولا تنكر كون

فى بحر (جهالة من غير فائدة) تترتب عليها المصالح الشرعيـة (فان ماقدر) أى قدره الله تعالى فى سابق علمه (كائن) لا محالة لا يدفعه دافع (والاحتراز) عنه (غير ممكن بخلاف) عـلم (الطب فان الحاجة اليه) والضرورة (ماسة) وفى نسخة داعية (اليه وأكثر أدلته مما يطلع عليها) وفى نسخة عليه (وبخلاف) عـلم (التعبير) للرؤيا (وان كان تخمينا) وحدسا (لانه مما يطلع عليه وهو جزء من سـتة وأربعين جزأ من النبوّة ولا خطر فيه) وأخرج البخارى عن أبى سعيد ومسلم عن ابن عمر وعن أبى هريرة والامام أحمد وابن ماجه عن ابن رزين والطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوّة وقد روى ذلك من حديث أنس أيضا عند الامام أحمد والبخارى والنسائى وابن ماجه ولفظهـم الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح وأخرجه الترمذى وصححه وزاد وهى على رجل طائر مالم يحدث بها واذا حدث بها وقعت وأخرجه أبو عوانة فى صحيحه والترمذى فى الشمائل وابن أبى شيبة فى مسنده وكذا أحمد والشيخان كلهم عن أنس ولفظهم رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوّة وأخرجه كذلك الدارى وأبوداود وأحمد والترمذى والشيخان عن أنس عن عبادة بن الصامت مثله وأخرج ابن النجار عن ابن عمر جزء من خمسة وعشرين جزأ من النبوّة وأخرج الامام أحمد وابن ماجه عن ابن عمر والامام أحمد أيضا عن ابن عباس جزء من سبعين جزأ من النبوّة ورواه ابن أبى شيبة عن أبى سـعيد فقال رؤيا المؤمن الصالح وأخرج الترمذى والحاكم فى الكنى والطبرانى فى الكبير والبيهقى عن أبى رزين رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزأ من النبوّة ثم اعلم أن علم الرؤيا من جملة الفراسة وقد عظم الله أمر الرؤيا فى جميع كتبه المنزلة وهى من فعل النفس الناطقة ولو لم تكن لها حقيقة لم يكن لايجاد هذه القوّة فى الانسان فائدة والله يتعالى عن الباطل وهى ضربان ضرب وهو الاكثر اضغاث أحلام وأحاديث النفس من الخواطر الرديئة وضرب وهو الاقل صحيح وذلك قسمان قسم لا يحتاج الى تأويل وقسم يحتاج الى تأويل ولهذا يحتاج المعبر الى مهارة الفرق بين الاضغاث وبين غيرها وليميز بين طبقات الناس اذ كان فيهم من لا يصح له رؤيا وفيهم من يصح رؤياه ثم من يصح له ذلك منهم من يرشح أن يلقى اليه فى المنام الاشياء الخطيرة ومنهم من لا يرشح لذلك وسيأتى لذلك تحقيق ان شاء الله تعالى (السبب الثالث الخوض فى علم) من العلوم اذا كان (لا يستقل الخائض به) أى لا يقدر على حمل اعبائه (فانه مذموم فى حقه) فانه مكلف نفسه مالا يطيقه (كتعلم دقيق العلوم) التى لا تعرف الا بدقة النظر والبحث (قبل جلها) أى واضحها وفى نسخة قبل جليلها وقالوا فى معنى الربانى هو الذى يعلم بصغار العلوم قبل كبارها ومن يتعلم خفايا العلوم قبل استكمال معرفة جلها كالمتزبب قبل أن يتحصرم (وكالبحث) والتنقير (عن الاسرار الالهية) المكتومة (اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها) وفى نسخة عليها (ولم يستقلوا بها) لانها ذوقية كشفية (ولا يسـتقل بها وبالوقوف على طرق بعضها الا) السادة (الانبياء) عليهم الصلاة والسلام بما يتلقون من الوحى (والاولياء) رحمهم الله تعالى بمجاهداتهم ورياضاتهم فيفيض الله على قلوبهم أنوارا يكشفون بها ماخفى عن كثيرين وسيأتى عن سهل أن للالهية سرا لو انكشف لبطلت النبوات وللنبوات سرا لو انكشف لبطل العلم وللعلم سرا لو انكشف لبطلت الاحكام (فيجب كف الناس) ومنعهم (عنها) وفى نسخة عن البحث عنها (وردهم الى ما نطق به الشرع) وأرشدنا لمعرفته (ففى ذلك مقنع) أى كفاية (للموقن) وفى نسخة للمؤمن وفى أخرى للموفق (وكم من شخص خاض فى العلوم واستضر بها) أى وجد الضرر بها بان استمالته الى فساد فى العقيدة أوحيرته فلم يجد له عنها مخلصا (ولو لم يخض فيها) ومشى على سنن ظاهر الشريعة (لكان حاله أحسن فى الدين منه قبل الخوض فيها ألبتة) أى قطعا ولان يعيش الانسان خلف البقر عاميا يصلى فرضه ويصوم شهره خير له من هذه العلوم التى يتضرر بها فى دينه (ولا تنكر) أيها المعاند (كون

العلم

العلم ضارا لبعض الناس) دون بعض (كما يضر لحم الطير) مطلقا (وأنواع الحلاوات) وفى نسخة الحلاوى (اللطيفة بالصبي الرضيع) وفى نسخة المرضع أى لضعف معدته (بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الامور) أحيانا (فلقد حكى أن بعض الناس شكا الى الطبيب) وكان حاذقا بصيرا بالامور (عقم زوجته وانها لا تلد) هذه مفسرة للاولى (فجس الطبيب نبضها) أى عرق يدها فرآها ليس بها من مرض يمنعها من الولادة (فقال لها لا حاجة بك الى دواء الولادة فانك ستموتين الى) انتهاء (أربعين يوما وقد دل النبض عليه) أى أماراته (فاستشعرت المرأة خوفا عظيما) أى لبست شعاره (وتنغص عليها عيشها) أى تكدر (وأخرجت أموالها) فى وجوه البر (وفرقتها) على الفقراء (وأوصت بوصايا وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة) الموعود بها (فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب وقال له) انها (لم تمت فقال الطبيب علمت ذلك فجامعها الآن فانها) تحمل و (تلد قال كيف ذلك) وفى نسخة وكيف ذلك أى ما السر فى ذلك (قال رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها) وهو أحد أسباب العقم فى المرأة كما ذكره الاطباء واذابته غير متيسرة بالادوية الا الهزال (وعلمت انها لا تهزل الا بخوف الموت) ولا خوف أعظم منه (فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة) ومثل هذه الحكاية نقل السخاوى فى المقاصد قال أورد البيهقى فى مناقب الشافعى من طريق الحسين بن ادريس الحلوانى عنه انه قال ما أفلح سمين قط الا أن يكون محمد بن الحسن فقيل ولم قال لانه لا يخلو العاقل من احدى حالتين اما أن يهتم لآخرته ومعاده أو لدنياه ومعاشه والشحم مع الهم لا ينعقد فاذا خلا من المعنيين صار فى حد البهائم ثم قال الشافعى كان ملك فى الزمان الاول وكان مثقلا كثير اللحم لا ينتفع بنفسه فجمع المتطببين وقال احتالوا لى حيلة يخف عنى لحمى هذا قليلا فما قدروا له على صنعة قال فنعت له رجل عاقل أديب متطبب فبعث اليه فأشخص فقال تعالجنى ولك الغنى قال أصلح الله الملك أنا رجل متطبب منجم دعنى أنظر الليلة فى طالعك أى دواء يوافق طالعك فأشفيك فغدا عليه فقال أيها الملك الامان قال لك الامان قال رأيت طالعك يدل على أن عمرك شهر فان أحببت حتى أعالجك وان أردت بيان ذلك فاحبسنى عندك فان رأيت لقولى حقيقة فخل عنى والا فاستقص على قال فحبسه ثم رفع الملك الملاهى واحتجب عن الناس وخلا وحده مغتما بعد أيامه كلما انسلخ يوم ازداد غما حتى هزل وخف لحمه ومضى لذلك ثمانية وعشرون يوما فبعث اليه فأخرجه فقال ماترى فقال أعز الله الملك أنا أهون على الله من ان أعلم بالغيب والله ما أعرف عمرى فكيف أعرف عمرك انه لم يكن عندى دواء الا الغم فلم أقدر أن أجتلب اليك الهم الا بهذه العلة فاذابت شحم الكلى فأجازه وأحسن اليه اهـ (فهذا) الذى ذكرناه (ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع) أخرجه ابن عبد البر من حديث جابر باسناد حسن وهو عند ابن ماجه بلفظ تعوذوا بالله كما تقدم قاله العراقى وفى القوت والخبر المشهور قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من علم لا ينفع فسماه علما اذ له معلوم واذ أصحابه علماء ثم رفع المنفعة عنه واستعاذ بالله عز وجل اهـ وفى الباب عن زيد بن أرقم وأبى هريرة وعبد الله بن عمرو وأنس وابن مسعود وابن عباس وقد تقدم فى أحاديث الخطبة (فاعتبر بهذه الحكاية) التى أسلفناها لك (ولا تكن بحاثا) كثير البحث والتنقير (عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها) وفى بعض النسخ وازدجر عنها (ولازم الاقتداء) الاتباع (بالصحابة) فى أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم (واقتصر على اتباع السنة) الشريعة مع التجنب عن البدع الحادثة (فالسلامة) كل السلامة (الاتباع والخطر) كل الخطر (فى البحث) عن العلوم الغريبة (والاشتغال) بما لا يعنى وفى نسخة والاستقلال ولقد سمعت غير واحد من الشيوخ يقول خير الدنيا والآخرة فى ثلاث كلمات اتبع ولا تبتدع اتضع ولا ترتفع اعتقد ولا تنتقد (ولا تكثر التبجح) أى التعظم والافتخار (برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك) فى نفسك (انى

العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلاوى اللطيفة بالصبي الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الامور فلقد حكى ان بعض الناس شكا الى طبيب عقم امرأته وأنها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال لا حاجة لك الى دواء الولادة فانك ستموتين الى أربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرقتها وأوصت وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب وقال له لم تمت فقال الطبيب قد علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذلك قال رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت انها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابة رضى الله عنهم واقتصر على اتباع السنة فالسلامة فى الاتباع والخطر فى البحث عن الاشياء والاستقلال ولا تكثر التبجح برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك انى

أبحث عن الاشياء لاعرفها على ماهي عليه فاى ضرر فى التفكر فى العلم فان مايعود عليك من ضرره أكثر وكم من شئ تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك فى الآخرة ان لم يتداركك الله برحمته * واعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار فى المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذلك الانبياء أطباء القلوب والعلماء باسباب الحياة الاخروية فلا تحكم على سننهم بعقولك فتهلك فكم

أبحث عن الاشياء) والعلوم (لاعرفها على ماهى عليه) وفى نسخة عليها أى أحق المعرفة بالغوص فى مشكلاتها (فأى ضرر) برى (فى التفكر فى العلم) والبحث عنه (فان) أى فاعلم ان (مايعود عليك من ضرره) آخرا (أكثر وكم من شئ تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد) ان (يهلكك فى الآخرة ان لم يتداركك الله تعالى برحمته) وعظيم عفوه (واعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق) الماهر فى صنعته (على أسرار المعالجات) الخفية التى (يستبعدها من لا يعرفها) من أهل الجهل بالحكمة (فكذلك الانبياء) صلوات الله عليهم (أطباء القلوب) المريضة (والعلماء) العارفون (بأسباب الحياة الاخروية) ومابه نجاتهم وهلاكهم (فلا تحكم على سننهم) التى سنوها للعباد (بعقولك) الفاسد (فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض) علة (فى أصبعه) مثلا (فيقتضى عقله أن يطليه) وفى بعض النسخ أن يطلبها وفى بعض أن يقطعها (حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلى الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الاعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن) ومن ذلك انهم يأمرون للذى تشققت شفته السفلى عن يبس أو برد باطلاء السرة بشئ من دهن اللوز أو الزبدة ولمن به صداع بغسل الرجلين بماء بارد فى الحمام ولمن به وجع العين عن حرارة بطلاء الحناء فى باطن القدمين وما أشبه ذلك ولهم فيه دقائق غريبة (فهكذا الامر فى طريق الآخرة وفى دقائق سنن الشرع وآدابه) الظاهرة والباطنة (وفى عقائدها التى تعبد الناس بها) أى كلفوا بمعرفتها (أسرار لطيفة) ورموز شريفة وفى بعض النسخ أسرار ولطائف (ليس فى سعة العقل وقوته الاحاطة بها) وانما ينفع التسليم لما أمر به والتفويض الى الشارع (كما ان فى خواص الاحجار) المتكونة فى المعادن (أمورا) غريبة وزاد فى بعض النسخ بعد قوله أمور اعجائب (غاب عن أهل الصنعة) الحكمية (علمها) فهم فى تحقيقها ومعرفة ما قيل فيها فى حيرة عظيمة (حتى لم يقدر أحد) من أهل الصنعة (أن يعرف السبب الذى به يجذب المغناطيس الحديد) لخاصية فيه (والعجائب والغرائب فى العقائد) الدينية (والاعمال) الشرعية (وافادتها صفاء القلوب ونقاءها) أى نظافتها (وطهارتها) عن الادناس المعنوية (وتزكيتها) أى تنميتها (واصلاحها للترقى) والوصول (الى جوار الله سبحانه) فى مقعد صدق (وتعرضها لنفحات فضله) ورشحات رحمته (أكثر وأعظم مما فى الادوية والعقاقير) قال الجوهرى هى أصول الادوية وقال الازهرى العقاقير الادوية التى يستمشى بها وقال غيره واحدها عقار ككتاب وعقير كسكيت وقال أبو الهيثم العقار كل نبت ينبت مما فيه شفاء قال ولا يسمى شئ من العقاقير فرها وفى اللسان هو ما يتداوى به من النبات والشجر (وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الادوية) على وجه الاستقصاء (مع ان التجربة سبيلا اليها) أى الى تلك المنافع على سبيل الادراك (فالعقول تقصر) أيضا (عن ادراك ما ينفع فى حياة الآخرة) وما ينشأ منها (مع ان التجربة غير متطرقة اليها) أى لا سبيل الى معرفتها بالتجارب (وانما كانت تتطرق اليها) التجربة (لو رجع الينا بعض الاموات فأخبرنا عن الاعمال المقبولة) عند الله (النافعة) للعبد (المقربة الى الله زلفى و) كذا أخبرنا (عن الاعمال المبعدة عنه) جل وعز (وكذلك عن العقائد) مما صح منها أو فسد (وذلك لا مطمع فيه) لاحد (فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك) ويرشدك (الى صدق النبى صلى الله عليه وسلم) وصدق ما جاء به (ويفهمك موارد اشاراته) فى كلامه (فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف) فيما لا يعنى (ولازم الاتباع) فقد نقل

من شخص يصيبه عارض فى أصبعه فيقتضى عقله أن يطليه حتى ينبهه الطبيب الحاذق ان علاجه أن يطلى الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الاعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الامر فى طريق الآخرة وفى دقائق سنن الشرع وآدابه وفى عقائده التى تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست فى سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما ان فى خواص الاحجار أمورا عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذى به يجذب المغناطيس الحديد فالعجائب والغرائب فى العقائد والاعمال وافادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها واصلاحها للترقى الى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما فى الادوية والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الادوية مع ان التجربة سبيل اليها فالعقول تقصر عن ادراك

ما ينفع فى حياة الآخرة مع ان التجربة غير متطرقة اليها وانما كانت التجربة تتطرق اليها لو رجع الينا بعض الاموات فاخبرنا عن الاعمال المقبولة النافعة المقربة الى الله تعالى زلفى وعن الاعمال المبعدة عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك الى صدق النبى صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد اشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع

رزين في جامعه عن عمر بن عبد العزيز يرفعه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال تركتم على الواضحة ليلها كنهارها كونوا على دين الاعراب والغلمان والكتاب قال ابن الاثير في جامع الاصول أراد بقوله دين الاعراب والغلمان الوقوف عند قبول ظاهر الشريعة واتباعها من غير تفتيش عن الشبه وتنقير عن قول أهل الزيغ والاهواء ومثله قوله عليكم بدين العجائز اه وعند الديلمي من حديث محمد بن عبد الرحمن ابن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا اذا كان في آخر الزمان واختلفت الاهواء فعليكم بدين أهل البادية والنساء وابن البيلماني ضعيف جدا أورده السخاوي في المقاصد (فلا تسلم) عن المهالك (الا به) أي بالاتباع (والسلام) على أهل التسليم وفي نسخة فانك لا تسلم الا به (ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من العلم جهلا وان من القول عيالا) قال العراقي أخرجه أبو داود من حديث بريدة وفي اسناده من يجهل اه قلت أخرجه في الادب من حديث أبي جعفر عبد الله بن ثابت عن صخر بن عبد الله ابن بريدة عن أبيه عن جده بريدة بن الحصيب قال عبد الله بينما هو يعني بريدة جالس بالكوفة في مجلس مع أصحابه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيالا وفي القوت وروينا خبران من العلم جهلا وان من القول عيا قلت وقد يروى من حديث علي أخرجه الهروي في ذم الكلام وفيه زيادة وقد وجد في بعض نسخ الكتاب عيا بدل عيالا كما هو نص القوت (ومعلوم أن العلم لا يكون جهلا ولكن يؤثر تأثير الجهل في الاضرار) بالناس كما تقدم في ذم النجوم قال المناوي ان من العلم جهلا أي لكونه علما مذموما والجهل به خير منه أو المراد ان من العلوم ما لا يحتاج اليه فيشتغل به عن تعلم ما يحتاجه في دينه فيصير علمه بما لا يعنيه جهلا بما يعنيه والعيال كسحاب عرض الحديث على من لا يريده قاله ابن الاثير وقال الراغب العيال جمع عيل لما فيه من الثقل (وقال صلى الله عليه وسلم أيضا قليل من التوفيق خير من كثير من العلم) قال العراقي لم أجد له أصلا وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء وقال العقل بدلا من العلم ولم يخرجه ولده في مسنده اه قلت وأخرجه ابن عساكر عن أبي الدرداء بمثل ما في الفردوس وزاد والعقل في أمر الدنيا مضرة والعقل في أمر الدين مسرة وروى الطبراني عن ابن عمرو قليل الفقه خير من كثير من العبادة وكفى بالمرء فقها اذا عبد الله وكفى بالمرء جهلا اذا أعجب برأيه وأورد ابن عبد البر كذلك في العلم وأبو نصر السجزي في الابانة وقال غريب عن ابن عمرو وأخرج البخاري في التاريخ عن ابن عمر وأبو موسى المديني في المعرفة عن رجاء غير منسوب قليل من العلم خير من كثير من العبادة تبع المصنف صاحب القوت فانه أورده هكذا وزاد وفي خبر غريب كل شئ يحتاج الى العلم والعلم يحتاج الى التوفيق قال المناوي في شرح الحديث الذي أورده المصنف ما نصه قال التوفيق هو رأس المال فعلى العاقل الاستيثاق بالله تعالى بزيادة العمل والتقوى والالتجاء اليه في افاضته عليه من ذلك السبب الاقوى وفي رواية قليل التوفيق خير من كثير العمل وفي أخرى من كثير العبادة قال بعض العارفين ما قل عمل برز من قلب موفق زاهد ولا كثر عمل برز من قلب غافل لاه وحسن الاعمال نتائج الاحوال (وقال عيسى عليه السلام ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع) أخرجه الخطيب في اقتضاء العلم العمل فقال أخبرنا أحمد بن الحسن الجوهري أخبرنا محمد ابن عمران المرزباني حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى المكي حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد حدثنا عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن وهب بن منبه أن عيسى بن مريم عليه السلام قال ويلكم يا عبيد الدنيا ماذا يغني عن الاعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها كذلك لا يغني عن العالم كثرة علمه اذا لم يعمل به ما أكثر أثمار الشجر وليس كلها ينفع ولا يؤكل وما أكثر العلماء وليس كلهم ينتفع بما علم فاحتفظوا من العلماء الكذبة الذين عليهم لباس الصوف منكسين رؤسهم للارض يرمقون من تحت حواجبهم

لا يخرج عنه الا بنبذه واطراحه وتركه واعتقاد ما لا يتم الايمان معه ولا يحصل بمقارنته وليس في افشاء سر الولي مما يحصل تناقض الايمان اللهم الا أن يريد بافشائه وقوع الكفر من السامع له فهذا عات متمرد وليس بولي ومن أراد بأحد من خلق الله أن يكفر بالله فهو لا محالة كافر وعلى هذا يخرج قوله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ثم انه من سب أحدا منهم على معنى ما يجد له من العداوة والبغضاء قيل له أخطأت وأثمت من غير تكفير وانه انما فعل ذلك وسب رسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بالاجماع (سؤال) فان قيل

فلا تسلم الا به والسلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم جهلا وان من القول عيا ومعلوم ان العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الاضرار وقال أيضا صلى الله عليه وسلم قليل من التوفيق خير من كثير من العلم وقال عيسى عليه السلام ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع

كما ترمق الذئاب قولهم مخالف فعلهم من يجتني من الشوك العنب ومن الحنظل التين كذلك لا يثمر قول العالم الكذاب الا زورا لان البعير اذا لم يوثقه صاحبه في البرية نزع الى وطنه وأهله وان العلم اذا لم يعمل به صاحبه خرج من صدره وتخلى منه وعطله وان الزرع الا بالماء والتراب كذلك لا يصلح الايمان الا بالعلم والعمل ويلكم يا عبيد الدنيا ان لكل شئ علامة يعرف بها ويشهد له أو عليه وان للدين ثلاث علامات يعرف بهن الايمان والعلم والعمل اه *(بيان مابدل من الفاظ العلوم* اعلم ان منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الاسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الاول وهى خمسة ألفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة) يتصف بكل واحدة منها فيقال هو الفقيه والعالم والموحد والمذكر والحكيم (فهى) وفى نسخة فهذه (أسام محمودة) فى الحقيقة (والمتصفون بها) هم (أرباب المناصب فى الدين) فى كل عصر (ولكنها نقلت الآن الى معان مذمومة وصارت القلوب تنفر) وتشمئز (عن مذمة من يتصف بمعانيها) تلك (لشيوع اطلاق هذه الاسامى عليهم) أى صار اطلاقها عليهم شائعا ظاهرا فى الامة (اللفظ الاول الفقه) فانهم (قد تصرفوا فيه بالتخصيص) قال الراغب هو تفرد بعض الشئ بما لا تشاركه فيه الجملة اه وعبر عنه الاصوليون بقولهم هو قصر العام على بعض افراده بدليل مستقل مقترن به واحترز بالمستقل عن الاستثناء والشرط والغاية والصفة فانها وان لحقت العام لا تسمى تخصيصا وبمقترن به عن النسخ نحو خالق كل شئ اذ يعلم ان البارى تقدس مخصوص منه (لا بالنقل والتحويل اذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة) من مسائله (فى الفتاوى) جمع فتوى وقد تقدم (والوقوف) أى الاطلاع (على دقائق عللها) الخفية (واستكثار الكلام فيها) من هنا وهنا (وحفظ المقالات المتعلقة بها) مع كثرتها (فمن كان أشد تعمقا فيها) أى دخولا فى عمقها (وأكثر اشتغالا بها يقال هو الافقه) أى أكثرهم فقها (ولقد كان اسم الفقه فى العصر الاول) كأنه يعنى عصر الصحابة (مطلقا على علم طريق الآخرة) وهو ما يحويه علم المكاشفة والمعاملة (و) على (معرفة دقائق آفات النفوس) وفى نسخة النفس (ومفسدات الاعمال و) على (قوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب) ولذا فسره الامام أبو حنيفة رحمه الله تعالى بمعرفة النفس مالها وما عليها أى سواء كان من الاعتقاديات أو الوجدانيات أو العمليات فدخل فى الاعتقاديات علم الكلام وفى الوجدانيات علم الاخلاق والتصوف كالزهد والصبر والرضا وحضور القلب فى الصلاة ونحو ذلك وفى العمليات الصلاة والزكاة والصوم والبيع ونحوها (ويدلك عليه قوله تعالى) فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة (ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) لعلهم يحذرون (وما يحصل به الانذار والتخويف هو هذا العلم وهذا الفقه) الذى أشرنا اليه وفى القوت فى الباب الثلاثين لان علم الايمان وصحة التوحيد واخلاص العبودية للربوبية واخلاص الاعمال من الهوى الدنيوية وما تعلق بها من أعمال القلب هو من الفقه فى الدين ونعت أوصاف المؤمنين اذ مقتضاه الانذار والتخويف لقوله تعالى ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم الآية (دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان) والظهار والايمان والكفارات والنذور (والسلم والاجارة) وما أشبهها (فذلك لا يحصل به انذار وتخويف) الذى فى الآية وفى القوت فى قوله ليتفقهوا فى الدين وصفان ظهرا عن الفقه أحدهما النذارة وهو مقام فى الدعوة الى الله تعالى ولا يكون المنذر الا مخوفا ولا يكون المخوف الا خائفا والخائف عالم والثانى الحذر وهو حال من المعرفة بالله عز وجل وهو الخشية له (بل التجرد له) أى الاشتغال به (على الدوام يقسى القلب) ويورث الغفلة عن تحصيل مقام الاخلاص فى الاعمال (وتنزع الخشية منه كما يشاهد) ذلك (من المتجردين له) وهذا فى زمان المصنف وهو فى القرن الخامس فما بالك بزماننا الآن اللهم وفقنا للخير واهدنا للصواب آمين

ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الاول وهى خمسة ألفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه أسام محمودة والمتصفون بها أرباب المناصب فى الدين ولكنها نقلت الآن الى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الاسامى عليهم (اللفظ الاول الفقه) فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل اذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة فى الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان أشد تعمقا فيها وأكثر اشتغالا بها يقال هو الافقه ولقد كان اسم الفقه فى العصر الاول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله عز وجل ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما يحصل به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسى القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له

آمين (وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها) أى لا يعلمون بها العلم الشرعى (وأراد به معانى الايمان دون) علم (الفتاوى) قال صاحب القوت فى حق الموسومين بالفقه ولا يشعر ان حسن الادب فى المعاملة بمعرفة و يقين هو من صفات الموقنين وذلك هو حال العبد من مقامه بينه و بين ربه عز وجل ونصيبه من ربه تعالى وحظه من مزيد آخرته وهو معقود بشهادة التوحيد الخالصة المقترنة بالايمان من خفايا الشرك وشعب النفاق بالفرائض وفرض فرضها الاخلاص بالمعاملة وان علم ماسوى هذا قد أشرب قلبه وحبب اليه من فضول العلوم وغرائب الفهوم وانما هو حوائج الناس ونوازلهم فهو حجاب عن هذا واشتغال عنه فآثر هذا الغافل بقلة معرفته بحقيقة العلم النافع مازين له طلبه وحبب اليه قصده وآثر حوائج الناس وأحوالهم على حاجته وحاله وعمل فى انصبتهم منه فى عاجل دنياهم من نوازل طوارقهم وفتياهم ولم يعمل فى نصيبه الاوفر من ربه الاعلى عز وجل لآجل آخرته التى هى خير وأبقى اذ مرجعه اليها ومثواه المؤبد فيها فآثر التقرب منهم على قربه عز وجل وترك الشغل بهم حظه من الله تعالى الاجزل وقدم التفرغ لهم على فراغ قلبه لما قدم لقوة عن تقواه بالشغل بخدمة مولاه وطلب رضاه واشتغل بصلاح ألسنتهم عن صلاح قلبه وظواهر أحوالهم عن باطن حاله وكان سبب ما بلى به حب الرياسة وطلب الجاه عند الناس والمنزلة بموجب السياسة والرغبة فى عاجل الدنيا وغيرها بقلة الهمة وضعف النية فى آجل الآخرة وذخرها فأفنى أيامه لايامهم وأذهب عمره فى شهواتهم ليسميه الجاهلون بالعلم عالما وليكون فى قلوب الطالبين عندهم فاضلا فورد القيامة مفلسا وعند ماراه من أنصبة المقربين مبلسا اذ فاز بالقرب العاملون وربح الرضا العالمون اهـ وقال فى موضع آخر من كتابه بعد ان ذكر حديث استفت قلبك وان أفتاك المفتون وهذا مخصوص لمن كان له قلب أو ألقى سمعه وشهد قيام شاهده وعرى عن شهواته لان الفقه ليس من أوصاف اللسان ألم تسمع قوله سبحانه وتعالى لهم قلوب لا يفقهون بها فمن كان له قلب سميع شهيد فقه به الخطاب فاستجاب لما سمع وأناب (ولعمرى ان الفقه والفهم فى اللغة اسمان لمعنى واحد) ونص القوت والفقه والفهم اسمان لمعنى واحد العرب تقول فقهت بمعنى فهمت اهـ قلت الفقه لغة الفهم قال ابن سيده فى المخصص فقه ككبر فقاهة وهو فقيه من قوم فقهاء وقال غيره فقه كعلم فقها بكسر وفتح معا و يعدى فيقال فقهته كما يقال علمته وقال سيبويه فقه فقها فهو فقيه كعلم علما فهو عليم وقد أفقهته وفقهته علمته وفهمته والتفقه تعلم الفقه وفقهت عليك فهمت وقال عيسى بن عمر شهدت عليك بالفقه أى بالفطنة وفى المحكم الفقه العلم بالشئ والفهم له وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم وفى الموعب لابى التيانى فقه فقها مثال حذر اذا فهم وأفقهة بينت له وفى الصحاح فاقهته باحثته فى العلم وقال القزاز فى جامعه تفقه الرجل كثر علمه وفلان ما يتفقه ولا يفقه أى لا يعلم ولا يفهم وقالوا كل عالم بشئ فهو فقيه به وفى الغريبين فقه فهم وفقه صار فقيها وقال ابن قتيبة يقال للعلم الفقه لانه عن الفهم يكون والعالم فقيه لانه انما يعلم بفهمه على تسمية الشئ بما كان له سببا وقال ابن الانبارى معنى قولهم فقيه أى عالم وقال السمين أصل الفقه الفهم وقيل فقه الاشياء الخفية فهو أخص من مطلق الفهم وقيل هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص أيضا من مطلق الفهم ولذلك قال تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم أى ليس فى وسعهم معرفة حقيقة ذلك و يقال فقه بالضم صار الفقه سجية له وطبعا وفقه بالكسر أى حصل له فهم وفقه بالفتح أى غلب غيره فى الفقه هذا ما تيسر لنا بيانه فى تحقيق لفظ الفقه وأما الفهم فقال الجوهرى فهمت الشئ علمته فالفهم والعلم بمعنى واحد وقال البدر العينى فى شرحه على البخارى تفسير الفهم بالعلم غير صحيح لان العلم عبارة عن الادراك الجلى والفهم جودة الذهن والذهن قوة تقتنص بها الصور والمعانى وتشمل الادراكات العقلية والحسية قال

فما معنى قول سهل رحمه الله تعالى ونسب اليه للالهية سر لو انكشف لبطلت النبوات وللنبوات سر لو انكشف لبطل العلم وللعلم سر لو انكشف بطلت الاحكام وجاء فى الاحياء على اثر هذا القول وقائل هذا القول ان لم يرد به ابطال النبوة فى حق الضعفاء فما قالوا ليس بحق فان الصحيح لا يتناقض والكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وهذا وان لم يكن من الاسئلة المرسومة فهو متعلق منها بما فرع من الكلام فيها آنفا ونظرا اليه اذ ما ادى افشاؤه الى ابطال النبوة والاحكام والعلم كفر (فالجواب) ان الذى قاله رحمه الله وان كان مستعجما فى الظاهر فهو قريب الشك باد للمتأمل الذى يعرف مصادر اغراضهم ومسالك أقوالهم الالهية ومن وصل اليه اليقين الذى لولاه لم يكن نبيا لايخلو أن يكون انكشافه من الله بما يطلع على القلوب من انوار

وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها وأراد به معانى الايمان دون الفتوى ولعمرى ان الفقه والفهم فى اللغة اسمان بمعنى واحد

الشمس التي غائبة عنها بان كانت القلوب ضعيفة طرأ عليها من الدهش والاصطلام والحيرة والتيه مايبهر العقول و يفقد الحس و يقطع عن الدنيا وما فيها وذلك لضعفه ومن انتهى الى هذه الحالة فتبطل النبوة فى حقه أن يعرفها أو يعقل ماجاء من قولها اذ قد شغله عنها فهو اعظم لديه منها وربما كان سبب موته لعجزه عن جهل ما انطوى عليه كما حكى ان شابا من سالكى طريق الآخرة عرض عليه أبو يزيد ولم يره من قبل فلما رآه انكشف له ذلك

وانما يتكلم فى عادة الاستعمال به قديما وحديثا قال تعالى لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله الآية فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى أو هو نتيجة عدم ماذكرناه من العلوم وقال صلى الله عليه وسلم علماء حكماء فقهاء الذين وفدوا عليه وسئل سعد بن ابراهيم الزهرى رحمه الله أى أهل المدينة أفقه فقال أتقاهم لله تعالى فكأنه أشار الى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى والاقضية

الليث يقال فهمت الشئ أى عقلته وعرفته قال العينى وهذا قد فسر الفهم بالمعرفة وهو غير العلم اهـ وقال ابن بطال التفهم للعلم هو التفقه فيه ولا يتم العلم الا بالتفهم ولذلك قال على رضى الله عنه والله ماعندنا الا كتاب الله أوفهم أوتيه رجل مؤمن فجعل الفهم درجة أخرى بعد حفظ كتاب الله لانه بالفهم له تتبين معانيه وأحكامه وقد نفى صلى الله عليه وسلم العلم عمن لافهم له بقوله رب حامل فقه لافقه له وقال صاحب القوت بعد ماذكر ان الفقه والفهم لمعنى واحد مانصه وقد فضل الله عز وجل الفهم عنه على العلم والحكمة ورفع الافهام على الاحكام والقضاء فقال عز من قائل ففهمناها سليمان فأفرده بالفهم عنه وهو الذى فضله به على حكم أبيه فى القضية بعد أن أشركهما فى الحكم والعلم (وانما تكلم فى عادة الاستعمال) بينهم (قديما وحديثا قال الله) (تعالى لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) أى خفى عليهم الفرق بين الخوفين فلم يعرفوا الله حق المعرفة (فأحال قلة خوفهم من الله) تعالى الناشئ عن عدم اليقين بالله (واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه) بل عدمه (فانظر ان كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى) فى الاحكام الشرعية (أو نتيجة ماذكرنا من العلوم) وقد فضل الحسن بن علماء الهداية الى الله الدالين عليه وسماهم العلماء وحققهم بالعلم فى كلام روى عنهم فى ذلك (وقال صلى الله عليه وسلم علماء حكماء فقهاء) قاله (للذين وفدوا عليه) وفى نسخة قدموا عليه قال العراقى أخرجه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث سويد بن الحرث باسناد ضعيف اهـ قلت وكذا أبو موسى المدينى فى كتابه فى الصحابة الذى ذيل به على ابن منده كلهم من رواية علقمة بن يزيد بن سويد الازدى حدثنى أبى عن جدى سويد ابن الحرث قال وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سبعة من قومى فلما دخلنا عليه وكلمنا أعجبه مارأى من سمتنا وزينا فقال ماأنتم قلنا مؤمنون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وايمانكم قال سويد قلنا خمس عشرة خصلة خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها وخمس منها أمرتنا رسلك أن نعمل بها وخمس منها تخلقنا بها فى الجاهلية فنحن عليها الا أن تكره منها شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الخمس التى أمرتكم رسلى أن تؤمنوا بها قلنا أمرتنا رسلك أن نؤمن بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال وما الخمس التى أمرتكم أن تعملوا بها قلنا أمرتنا رسلك أن نقول لااله الا الله ونقيم الصلاة ونؤتى الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت من استطاع اليه سبيلا قال وما الخمس التى تخلقتم بها أنتم فى الجاهلية قلنا الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والصدق فى مواطن اللقاء والرضا بمر القضاء والصبر عند شماتة الاعداء فقال النبى صلى الله عليه وسلم علماء حكماء كادوا من صدقهم أن يكونوا أنبياء وفى مشيخة الانصارى فقال أدباء حلماء عقلاء فقهاء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء وقال الحافظ ابن حجر هو فى كتاب المعرفة لابى نعيم من رواية أبى سليمان الدارانى عن زاهد بالشام سماه عن أبيه عن جده سويد اهـ قلت قال الذهبى فى الميزان علقمة بن يزيد بن سويد عن أبيه عن جده لايعرف وأتى بخبر منكر لايحتج به فلينظر (وسئل) أبو اسحق ويقال أبو ابراهيم (سعد بن ابراهيم) ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى قاضى المدينة أمه أم كلثوم بنت سعد بن أبى وقاص روى عن أنس وأبى امامة بن سهل وعنه أبو ابراهيم وشعبة وابن عيينة ثقة امام يصوم الدهر ويختم كل يوم توفى سنة ١٢٧ وحفيده سعد بن ابراهيم ابن سعد أبو اسحق قاضى واسط توفى سنة ٢٠١ قال صاحب القوت قال مسعر عن سعد بن ابراهيم وسأله سائل (أى أهل المدينة أفقه فقال أتقاهم لله) عز وجل (فكأنه أشار الى ثمرة الفقه) أى العلم الباطن (والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى والاقضية) وانظر الى قوله تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله وقولوا قولا سديدا فجعل مفتاح القول السديد والعلم الرشيد والسمع المكين التقوى وهى

وكان فى مقام الضعفاء من المريد بن فلم يطق حمله فمات به واما أن يكون انكشافه من عالم به على وجه المخبر عنه فتبطل النبوة فى حق المخبر حين نهى أن لا يفشى فافشى أو أمران لا يتحدث فلم يفعل فخرج بهذه المعصية عن طاعة النبى صلى الله عليه وسلم فهما فلهذا قيل فى ذلك بطلت النبوة فى حقه فان قيل فلم لا تكفروه على هذا الوجه اذا بطلت النبوة فى حقه

وقال صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ماسواه ولما روى أنس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم لان أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب قال فالتفت الى يزيد الرقاشى وزياد النميرى قال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه فى الدين ونعد نعم الله علينا تفقها

وصية الله عز وجل من قبلنا وايانا اذ يقول سبحانه وتعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله وهذه الآية قطب القرآن ومداره عليها كمدار الرضا على الحسبان (وقال صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ماسواه) قال العراقى أخرجه أبو بكر ابن لال فى مكارم الاخلاق وأبو بكر بن السنى فى رياضة المتعلمين وابن عبد البر فى العلم من حديث على كلهم من طريق ابن وهب قال أخبرنى عقبة بن نافع عن اسحق بن أسيد عن أبى مالك وأبى اسحق عن على رفعه وقال ابن عبد البر أكثرهم يوقفونه على على ولم يرو مرفوعا الا من هذا الاسناد اه قلت وفى رواية الثلاثة تقديم لم يؤيسهم على لم يؤمنهم مع زيادة فى آخره وهى ألا لاخير فى عبادة ليس فيها تفقه ولا فى علم ليس فيه تفهم ولا فى قراءة ليس فيها تدبر وهكذا هو فى الفردوس بتلك الزيادة (ولما روى أنس بن مالك) ابن النضر بن ضمضم بن حرام النجارى الانصارى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جاوز المائة توفى سنة ٩٣ روى عنه خلق كثير (قول رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفى القوت ورويناعن أنس بن مالك انه لما حدث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضل مجالس الذكر (لان أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب) أخرجه أبو داود باسناد حسن قاله العراقى قلت تبع المصنف صاحب القوت فى سياقه والحافظ العراقى سكت عليه وعزاه بهذا السياق الى أبى داود والذى فى سننه من رواية موسى بن خلف عن قتادة عن أنس رفعه لان أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب الى من أن أعتق أربعة من ولد اسمعيل ولان أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر الى أن تغرب الشمس أحب الى من أعتق أربعة وموسى بن خلف العمى قال فيه ابن مغيث ضعيف وقال مرة لابأس به ورواه أيضا هكذا أبو نعيم فى المعرفة والبيهقى فى السنن والضياء المقدسى فى المختارة كلهم عن أنس وأخرج أبو يعلى الموصلى فى سننه وفيه لان أقعد مع أقوام بدل قوم وفيه زيادة دية كل رجل منهم اثنا عشر ألفا فى الموضعين وأخرج أبو داود الطيالسى فى مسنده وابن السنى فى عمل يوم وليلة والبيهقى فى السنن عن أنس أيضا بلفظ لان أجالس قوما يذكرون الله من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الى مما طلعت عليه الشمس ولان أذكر الله من صلاة العصر الى غروب الشمس أحب الى من أن أعتق ثمانية من ولد اسمعيل دية كل واحد اثنا عشر ألفا كذا فى الجامع الكبير ورواه ابن السنى فى رياضة المتعلمين والخطيب فى الفقيه والمتفقه نحوه وفيه كلهم مسلم وليس عندهما ذكر الدية وفى الباب عن حسن بن على وسهل بن سعد والعباس بن عبد المطلب وابن عمر وابن عمرو وعتبة بن عبد الله وعلى وعمر بن الخطاب ومعاذ بن أنس وأبى امامة وأبى هريرة وعائشة سيأتى ذكرها حيث ذكرها المصنف فى كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى (قال) صاحب القوت (فالتفت) أى أنس (الى) صاحبيه (يزيد) ابن أبان (الرقاشى) القاص العابد روى عن أنس والحسن وعنه صالح المرى وحماد بن سلمة ضعيف (وزياد) ابن عبد الله (النميرى) روى عن أنس وعنه عمارة بن زاذان وأبو سعيد المؤدب وثقه ابن حبان (وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم) كذا فى النسخ وفى القوت يقص أحدهم (ويخطب على أصحابه) وفى بعض نسخ الكتاب يقص أحدهم وعظه على أصحابه وهو تصحيف (ويسرد الحديث سردا) وليس فى القوت سردا (انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه فى الدين ونعد نعم الله علينا) وأخرج الخطيب البغدادى من طريق يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أجلس مع قوم يذكرون الله من غداة الى طلوع الشمس أحب الى مما طلعت عليه الشمس ومن العصر الى غروبها أحب الى من كذا وكذا قال يزيد كان أنس اذا حدث

باخباره قلنا ما يطلق في حقه جميعا وانما يطل في حقه منها ما خالف الامر الثابت من قبلها وبعد هذا من الكلام على تغليظ حق الافشاء وقد سبق الكلام عليه في معنى افشاء سر الربوبية كفر وأما سر النبوّة الذي أوجب العلم لمن رزقها أو رزق معرفتها على الجملة اذ النبوّة لا يعرفها بالحقيقة الا نبي فان انكشف ذلك لقلب أحد بطل العلم في حقه بارتفاع المحنة له بالامر المتوجه عليه بطلبه والبحث

فسمى تدبر القرآن وعد النعم تفقها قال صلى الله عليه وسلم لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة وروى أيضا موقوفا على أبي الدرداء رضي الله عنه مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتا وقد سأل فرقد السبخي الحسن عن شئ فأجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن رحمه الله ثكلتك أمك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن اعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم

بهذا الحديث أقبل علي وقال والله ماهو بالذي تصنع أنت وأصحابك ولكنهم قوم يتعلمون القرآن والفقه كذا في تحذير الخواص للسيوطي وروى أبو يعلى في مسنده حدثنا خلف بن هشام حدثنا حماد بن زيد عن جعفر بن ميمون عن يزيد الرقاشي قال كان أنس اذا حدثنا هذا الحديث انه والله ماهو بالذي تصنع أنت وأصحابك يعني يقعد أحدكم فيجتمعون حوله فيخطب انما كانوا اذا صلوا الغداة قعدوا حلقا حلقا يقرؤن القرآن ويتعلمون الفرائض والسنن وفي القوت وكان عبد الله بن رواحة يقول لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالوا حتى نؤمن ساعة فيجلسون اليه فيذكرهم العلم بالله تعالى والتوحيد في الآخرة وكان يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قيامه فيجتمع الناس اليه ويذكرهم الله تعالى وأيامه ويفقههم فيما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فربما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم مجتمعون عنده فيسكتون فيقعد اليهم ويأمرهم أن يأخذوا فيما كانوا فيه ويقول صلى الله عليه وسلم بهذا أمرت والى هذا دعوت وروى نحو هذا عن معاذ بن جبل وكان يتكلم في هذا العلم وقد روينا هذا مفسرا في حديث جندب كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلمنا الايمان قبل أن نتعلم القرآن اهـ (فسمى تدبر القرآن وعد النعم فقها) كما سمى ابن رواحة علم الايمان ايمانا لان علم الايمان وصف الايمان والعرب تسمى الشئ بوصفه وتسميه بأصله كما في الحديث تعلموا اليقين أي علم اليقين وكما في قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن أي من البكاء فسماه بأصله لان الحزن أصل البكاء (وقال صلى الله عليه وسلم لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة) قال العراقي أخرجه ابن عبد البر من رواية عبد الله بن أبي مريم حدثنا عمرو بن أبي سلمة التنيسي حدثنا صدقة بن عبد الله عن ابراهيم بن أبي بكر عن أبان بن أبي عياش عن أبي قلابة عن شداد بن أوس وقال لا يصح مرفوعا اهـ قلت وهذا أورده الخطيب في المتفق والمفترق من حديث شداد أيضا ولفظه لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى لا يكون أحد أمقت اليه من نفسه (وروى أيضا موقوفا على أبي الدرداء) رضي الله عنه رواه ابن عبد البر من طريق عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء بلفظ لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها كثيرة ولن تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في ذات الله (مع) زيادة (قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتا) وعند ابن عبد البر ثم تقبل على نفسك فتكون لها أشد مقتا منك للناس وقد أخرجه أبو بكر بن لال في فوائده من رواية الحكم بن عبدة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن جابر وابن الديلمي في مسند الفردوس من طريقه ولفظه لا يفقه العبد كل الفقه حتى يبغض الناس في ذات الله ثم يرجع الى نفسه فتكون أمقت عنده من الناس أجمعين وفي المجلس الخامس عشر من امالي ابن منده من هذا الوجه بلفظ لا يكون المرء فقيها حتى يمقت الناس كلهم في ذات الله وحتى لا يكون أحد أمقت اليه من نفسه قال ابن منده وهو حديث غريب من حديث قتادة لا يعرف عنه مرفوعا الا من هذا الوجه (وسأل فرقد) ابن يعقوب (السبخي) بفتح الموحدة وكسر الخاء المعجمة نسبة الى السبخة موضع بالبصرة قاله ابن الاثير وهو البصري الحافظ الزاهد روى عن أنس وجمع وعنه الحمادان وهمام ضعفوه لكن قال عثمان الدارمي عن ابن معين ثقة يقال شغله التعبد عن حفظ الحديث مات بالبصرة سنة ١٣١ (الحسن) ابن يسار البصري سيد التابعين (عن شئ فأجابه) عنه (فقال) يا أبا سعيد (ان الفقهاء يخالفونك) أي فيما أفتيت (فقال الحسن ثكلتك أمك) يا (فريقد) صغر اسمه للترحم (وهل رأيت فقيها بعينك انما الفقيه) حقيقة هو (الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه) وفي بعض النسخ بذنبه (المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين) وفي بعض النسخ الناس (العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم)

ولم يقل فى جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست أقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا (٢٣٥) للفتاوى فى الاحكام الظاهرة ولكن كان

أورد هذه القصة هكذا صاحب القوت وقال جمعنا قوله هذا فى روايات عنه مختلفة فوصف وصف العارفين وأخرج أبو نعيم فى الحلية بسنده الى على بن معاذ عن ليث قال كنت أسأل الشعبى فيعرض عنى ويجبهنى بالمسئلة فقلت يامعشر الفقهاء تروون عنا أحاديثكم وتجبهونا بالمسئلة فقال الشعبى يامعشر العلماء يامعشر الفقهاء لسنا بفقهاء ولا علماء ولكنا قوم قد سمعنا حديثا فنحن نحدثكم بما سمعنا انما الفقيه من ورع عن محارم الله والعالم من خاف الله انتهى (ولم يقل فى جميع ذلك) الفقيه (هو الحافظ لفروع الفتاوى) والاحكام والاقضية (ولست أقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا) أى شاملا (للفتاوى فى الاحكام الظاهرة ولكن) كان (بطريق العموم والشمول) قال أبو البقاء هما بمعنى واحد وهو الاكثار وايصال الشئ الى جماعة وقال غيره العموم مايقع من الاشتراك فى الصفات وفى الليث العابس حد العام هو اللفظ المستغرق لما يصلح له من غير حصر والصحيح دخول الصور النادرة تحته وان لم تخطر بالبال (أو بطريق الاستتباع) بأن يجعل علم الفتاوى تابعا لبقية علوم الآخرة (و) لكن (كان اطلاقهم له) أى لعلم الفقه (على علم الآخرة أكثر) وذلك فى الصدر الاول (فثار من هذا التخصيص) بعلم الفتاوى خاصة أى قام منه وانبعث (تلبيس) تخليط (بعث الناس) وحملهم (على التجرد له) أى الانفراد لطلبه والاقبال عليه (والاعراض عن علم الآخرة و) علم (أحكام القلب ووجدوا على ذلك) أى على طلبه (معينا) مساعدا (من الطبع) والجبلة (فان علم الباطن) الذى سبق بيانه (غامض) خفى المدرك يحتاج الى رياضة (والعلم به) بالتوصل اليه (عسير) على غالب الناس وفى نسخة والعمل به عسير (والتوصل به الى طلب) المناصب الدنيوية مثل (الولاية والقضاء و) كذا التوصل به الى تحصيل (الجاه والمال) كل ذلك (متعذر) فقل من يصل الى ماذكر بعلم الباطن بل علمه ينهاه عن اختيار شئ من ذلك (فوجد الشيطان مجالا) فى اغوائه (لتحسين ذلك فى القلوب) وتزيينه (بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود فى الشرع) فلم يزل بأحدهم يحسن له فى ذلك حتى يوقعه فى هوّة الهلاك فيأتى يوم القيامة مفلسا من الاعمال ملجما بلجام الحيرة حيث لا تنفعه نسأل الله العفو والاحسان (اللفظ الثانى العلم وقد كان يطلق ذلك) فى العصر الاول (على العلم بالله تعالى وبآياته وأفعاله فى عباده وخلقه) وعلى المعرفة واليقين والاخلاص ومعرفة أحوال القلب وما يصلحه ويضره (حتى انه لما مات) أمير المؤمنين (عمر) ابن الخطاب (رضى الله عنه قال) عبد الله (ابن مسعود) الهذلى رضى الله عنه فيما رواه صاحب القوت بلا سند وأخرجه أبو خيثمة فى كتاب العلم فقال حدثنا جرير عن الاعمش عن ابراهيم قال قال عبد الله انى لاحسب انه قد (مات تسعة أعشار العلم) بموته ولفظ أبى خيثمة انى لاحسب عمر قد ذهب بتسعة أعشار العلم ثم قال صاحب القوت (فعرفه بالالف واللام) للعهد الذهنى (ثم فسره بالعلم بالله سبحانه) وذلك لما قيل له أتقول هذا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون فقال انى لست أعنى العلم الذى تذهبون اليه انما أعنى العلم بالله عز وجل (وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص) وهو قصر العام على بعض مسمياته (حتى شهروه) أى جعلوه مشهورا (فى الاكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم فى المسائل الفقهية وغيرها) ويحتج كل منهم باقوال الائمة ويخوضون فيه وربما صنفوا فى تلك المسائل رسائل غريبة (فيقال) لمن هذه صفته (هو العالم على الحقيقة وهو الفحل فى العلم) والليث الصادم فى مضايق الوهم (ومن لا يمارس ذلك) أى لا يتمرّن فيه (ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء) الجبناء الجهلاء وفى بعض النسخ من جملة الضعفة (ولا يعدونه فى زمرة أهل العلم) ولا يرفعون له رأسا (وهذا أيضا تصرف فيه بالتخصيص) كما عرفت (وقد كان) لفظ العلم (يطلق) عليه (على العموم) والشمول (وكل ماورد) وفى نسخة ولكن ماورد (فى فضائل العلم والعلماء) من الآيات والاخبار (أكثره فى العلماء بالله عز وجل وباحكامه وافعاله وصفاته)

بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستتباع فكان اطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك فى القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود فى الشرع (اللفظ الثانى العلم) وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله فى عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله لقد مات تسعة أعشار العلم فعرفه بالالف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص حتى شهروه فى الاكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم فى المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل فى العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه فى زمرة أهل العلم

وهذا أيضا تصرف بالتخصيص ولكن ماورد من فضائل العلم والعلماء أكثره فى العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبافعاله وصفاته

قال الحكيم الترمذي في نوادر الاصول العلم ثلاثة أنواع علم بالله وعلم بتدبير الله وبربوبيته وعلم بأمر الله وروى لنا عن عيسى بن مريم عليه السلام انه قال العلماء ثلاثة عالم بالله ليس بعالم بأمر الله وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله وعالم بالله عالم بأمر الله (وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشريعة بشئ سوى رسوم جدلية) يجادل بها الخصم (في مسائل خلافية) في المذهب (فيعد به) أي بمعرفة هذه الرسوم (من فحول العلماء) وأساطينهم ويشار اليه بالاصابع (مع جهله بالتفسير) وما يتفرع منه من العلوم (والاخبار) المروية (وعلم المذهب) من الفقه (وغيره) وان اشتغل فرد منهم بعلم التفسير والاخبار فعلى طريقة المعقوليين بحيث انه يقرر في كل آية وحديث وجوها من الاعراب والقرآت بوجوهها وتقاريعها فاذا سئل ان هذه الآية ما شأن نزولها وما معناها الباطن وما اشارتها أو كيف العمل بمضمونها لفتل أصابعه شزرا وكذا الحال في الاخبار مع عدم معرفة مخرجها ولا التمييز لصحيحها من سقيمها ولا من خرجها ولا أحوال رواتها كما هو مشاهد الآن والله المستعان (وصار ذلك) أي الاشتغال بالجدل والخلاف (سببا مهلكا لخلق كثير من الطلبة) وفي نسخة لحق كثيرا من الطلبة وفي نسخة من طلبة العلم (اللفظ الثالث التوحيد) وهو في الاصل معرفة وحدانية الله عز وجل بكمال نعوته (وقد جعل الآن عبارة عن صنعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة) مع الخصوم (والاحاطة بمناقضة) أدلة (الخصوم) اجمالا وتفصيلا (والقدرة على التمشدق) وفي نسخة على التشدق أي التكلم بملء الاشداق (فيها) أي في تلك المناقضة (بتكثير الاسئلة) عليهم (واثارة الشبهات) لارتداعهم (وتأليف الالزامات) التي تبهتهم وتسكتهم (حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد) وهم المعتزلة (وسمى المتكلمون) وهم علماء الكلام (العلماء بالتوحيد) خاصة (مع ان جميع ما هو خاصية هذه الصناعة) أعني الكلامية من ذكر البراهين وايراد الشبه (لم يكن يعرف منها شئ في العصر الاول) هو عصر الصحابة والتابعين (بل كان يشتد النكير) أي الانكار (منهم على من كان يفتح باب الجدل والمماراة) أي المخاصمة كما سيأتي ذلك عن سيدنا عمر وتقدم ضربه صبيغا بالدرة وكذا غيره من الصحابة ومن بعدهم فانهم كانوا يفرون من ذلك ويجعلون المشتغل به مبتدعا (فاما ما يشتمل عليه القرآن) ظاهره (من الادلة الظاهرة) والبراهين القاطعة الدالة على توحيده عز وجل (التي تسبق الاذهان) السليمة عن الشكوك (الى قبولها في أول السماع) والتلقي (فلقد كان معلوما للكل) لا يختلف فيه اثنان (وكان العلم بالقرآن) أي بما تضمنه من الاحكام (هو العلم كله) لا يخرج عنه شئ (وكان التوحيد عندهم) في العصر الاول (عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين) ولا يحومون حماه (وان) كشف لجماعة منهم و (فهموه لم يقوموا به) وفي نسخة لم يتصفوا به أي لم تظهر عليهم آثار ذلك الامر لعدم انفعال طبيعته المحجوبة لقبول ذلك الاثر (وهو ان ترى الامور كلها من الله) وهذا مشهد من يفرغ اناءه الذي هو القلب من الاغيار واليه الاشارة بقوله (رؤية تقطع التفاته عن الاسباب والوسائط) وهو أعلى درجات الموحدين السالكين يرجون رحمته أي رؤيته ويخافون عذابه أي حجابه وهم التاركون لمساوي الدينية المتلبسون بالمحاسن السنية هم أهل المحبة اللدنية ومحبة العبد هذه هي السبب في محبة الله له بشرط فنائه في رؤية هذا السبب وسائر الحظوظ بنفي نسبة شئ من ذلك كله اليه (فلا يرى الخير والشر الا منه) تعالى وللموحدين في هذا مراتب أعلاها هو التوحيد الخالص ويتحقق به الموحد بعد نفي رؤية الفناء لانها تسمى عندهم الشرك الاصغر (وهذا أمر شريف) يحصل به كل الهناء لان هذه الحضرة شرابها صرف وهي تسمى حضرة الجمال أي جمال ذات الله والتي قبلها مزاج وتسمى حضرة الجلال والسالكون ثلاثة جلالي وهو الى الشريعة أميل وجمالي الى الحقيقة أميل وكمال جامع لهما على حد سواء هو منهما أفضل وأكمل لترقيه الى حضرة الجمال والمشاهدة للوفاء بحقوق الحقيقة وتدليه الى حضرة الجلال للمجاهدة والقيام بحقوق الشريعة

وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشرع بشئ سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والاخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم (اللفظ الثالث التوحيد) وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسئلة واثارة الشبهات وتأليف الالزامات حتى لقب طوائف منهم أنفسهم باهل العدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شئ في العصر الاول بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح بابا من الجدل والمماراة فاما ما يشتمل عليه القرآن من الادلة الظاهرة التي تسبق الاذهان الى قبولها في أول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به وهو أن يرى الامور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الاسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر كله الا منه جل جلاله فهذا مقام شريف

(احدى ثمراته التوكل) على الله عز وجل (كما سيأتى فى كتاب التوكل) ان شاء الله تعالى (ومن ثمراته أيضا ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم) فى أمر من الامور لان الشكاية والغضب ينافيان التوحيد (و) من ثمرات التوحيد الخالص (الرضا) بما قدره الله تعالى (والتسليم لحكم الله تعالى) بانشراح صدر (وكان احدى ثمراته قول أبى بكر) الصديق (رضى الله عنه لما قيل له فى مرضه انطلب لك الطبيب قال الطبيب أمرضنى وقول آخر لما مرض وقيل له ماذا قال لك الطبيب فقال قال انى فعال لما أريد) قلت هذا القول الاخير الذى نسبه لآخر هو المروى الثابت عن حضرة الصديق أخرجه ابن الجوزى فى كتاب الثبات للممات وأبو نعيم فى الحلية كلاهما من طريق عبد الله بن أحمد حدثنى أبى حدثنا وكيع عن مالك بن مغول عن أبى السفر قال مرض أبو بكر فعاده الناس فقالوا الا ندعو لك الطبيب قال قد رآنى قالوا فأى شئ قال قال انى فعال لما أريد وأما القول الاول فلم أره لحضرة الصديق وقد أخرجه أبو عبد الله الثقفى فى فوائده من رواية أبى ظبية قال مرض عبد الله بن مسعود فعاده عثمان رضى الله عنهما فقال له ما تشتكى قال ذنوبى قال ما تشتهى قال رحمة ربى قال ألا ادعو لك الطبيب قال الطبيب أمرضنى الحديث بطوله وأخرجه الحرث بن أبى اسامة وأبو يعلى وابن السنى والبيهقى فى الشعب وابن عبد البر فى التمهيد والبقلى بأسانيد كلها تدور على السرى بن يحيى عن أبى شجاع عن أبى ظبية وقد تكلم فى الحديث بسبب انقطاعه فان ابا ظبية لم يدرك ابن مسعود أمليته فى جامع شيخو الغمرى وأخرج أبو نعيم فى ترجمة أبى الدرداء رضى الله عنه بسنده الى معاوية بن قرة ان أبا الدرداء اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا ما تشتكى قال اشتكى ذنوبى قالوا فما تشتهى قال اشتهى الجنة قالوا أولا ندعو لك طبيبا قال هو أضجعنى (وستأتى شواهده فى كتاب التوكل) ان شاء الله تعالى (وكان التوحيد جوهرا نفيسا) وفى بعض النسخ فكان التوحيد جوهر نفيس (وله قشران أحدهما أبعد عن اللب من الآخر فخص الناس الاسم) أى اسم التوحيد (بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر) أى الحفظ له (واهملوا) أى تركوا (اللب) الذى هو التوحيد الخالص (بالكلية) أى بمرة واحدة (فالقشر الاول ان تقول بلسانك هذه الكلمة المباركة (لا اله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذى يصرح به النصارى فى كتبهم) وهو قولهم ان الله ثالث ثلاثة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (لكنه) أى هذا التوحيد (قد يصدر عن المنافق الذى يخالف سره جهره) فيعد بذلك من أهل الاسلام ولكنه على غير ايقان واخلاص من قلبه (القسم الثانى ان لا يكون فى القلب مخالفة وانكار لمفهوم هذا القول) بل بانشراح الصدر وعدم التردد فيه (بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده ذلك) ولا يخالف اللسان (والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق) كما ان الاول لبعض العوام أيضا (والمتكلمون كما سبق حراس هذه القشرة) وفى نسخة هذا القشر (عن تشويش المبتدعة) أى عن ادخالهم الشبه فى هذا التوحيد ما يشوش بها أذهانهم والتشويش مولدة (الثالث وهو اللباب) المحض (ان يرى الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط) والاسباب كما تقدم قريبا (وان يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره) قال القشيرى فى الرسالة سئل ذو النون المصرى عن التوحيد فقال ان تعلم ان قدرة الله تعالى فى الاشياء بلا مزاج وصنعه للاشياء بلا علاج وعلة كل شئ صنعه ولا علة لصنعه ومهما تصور فى فهمك فنفسك شئ فالله تعالى بخلافه وسئل الجنيد عن التوحيد فقال افراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته انه الواحد الذى لم يلد ولم يولد بنفى الاضداد والانداد والاشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وسئل مرة عن توحيد الخاص فقال ان يكون العبد شبحا بين يدى الله عز وجل تجرى عليه تصاريف تدبيره فى مجارى أحكام قدرته فى لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته فى حقيقة قربه بذهاب حسه وحركة

احدى ثمراته التوكل كما سيأتى بيانه فى كتاب التوكل ومن ثمراته أيضا ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكانت احدى ثمراته قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لما قيل له فى مرضه أنطلب لك طبيبا فقال الطبيب أمرضنى وقول آخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب فى مرضك فقال قال لى انى فعال لما أريد وسيأتى فى كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك والتوحيد جوهر نفيس وله قشران أحدهما ابعد عن اللب من الآخر فخص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر واهملوا اللب بالكلية فالقشر الاول هو أن تقول بلسانك لا اله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذى صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذى يخالف سره جهره والقشر الثانى أن لا يكون فى القلب مخالفة وانكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة والثالث وهو اللباب أن يرى الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره

لقيام الحق له فيما أراد منه وهو ان يرجع آخر العبد الى أوّله فيكون كما كان قبل ان يكون وقال مرة التوحيد الذى انفرد به الصوفية هو افراد القدم عن الحدث والخروج عن الاوطان وقطع المحاب وترك ما علم وجهل وان يكون الحق مكان الجميع وقال أيضا علم التوحيد طوى بساطه منذ عشرين سنة والناس يتكلمون فى حواشيه وقال أبو سعيد الخراز اوّل مقام لمن وجد علم التوحيد وتحقق بذلك فناء ذكر الاشياء عن قلبه وانفراده بالله تعالى اه ما لخصته من الرسالة (ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى) وهو ميل النفس الى الشئ وقد غلب على الميل المذموم وأخرج القشيرى فى الرسالة من حديث جابر رفعه أخوف ما أخاف على أمتى اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الامل فينسى الآخرة وقال ذوالنون مفتاح العبادة الفكرة وعلامة الاصابة مخالفة النفس والهوى وعلامة مخالفتها ترك شهواتها وقال سهل ما عبد الله تعالى بمثل مخالفة النفس والهوى (وكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده) وهو ينافى توحيد الله تعالى (قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه) أى ما تميل اليه نفسه والاصل من اتخذ هواه الهه فقلب (وقال صلى الله عليه وسلم أبغض اله عبد فى الارض عند الله تعالى هو الهوى) قال العراقى أخرجه الطبرانى من رواية اسمعيل بن عياش عن الحسن ابن دينار عن الخطيب بن جحدر عن راشد بن سعد عن أبى امامة رفعه بلفظ ما تحت ظل السماء من اله يعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع ورواه أبو نعيم فى الحلية من رواية بقية عن عيسى ابن ابراهيم عن راشد وكل من الخطيب وعيسى متروكان انتهى (وعلى التحقيق من تأمل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما يعبد هواه) أى ما أمالته نفسه اليه (اذ نفسه مائلة الى دين آبائه) وجدوده (فيتبع ذلك الميل) فيكون عابدا له (وميل النفس الى المألوفات) والشهوات (أحد المعانى التى يعبر عنها بالهوى) أشار به الى اختلافهم فى معنى الهوى فقيل هو ميل النفس الى الشئ ومحبتها اياه وقد غلب على الميل المذموم قال تعالى ونهى النفس عن الهوى وقال بعضهم هو على الاطلاق مذموم ثم يضاف الى ما لا يذم فيقال هواى مع صاحب الحق أى ميلى وقيل هو ميل النفس الى المألوفات وقيل سمى بذلك لانه يهوى بصاحبه فى الدنيا الى كل داهية وفى الآخرة الى الهاوية قاله السمين ومما ذكره المصنف فسر قوله تعالى واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام وتقدمت الاشارة الى ذلك فى أحد فصول المقدمة فراجعه (ويخرج من هذا التوحيد) بالمعنى السابق (ترك التسخط) وهو التغضب على الخلق (والالتفات اليهم) فى أمر من الامور (فان من يرى) فى عقيدته (ان الكل من الله) تعالى (كيف يتسخط على غيره) أم كيف يلتفت الى ما سواه (فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين) واليه أشار رويم فقال التوحيد محو آثار البشرية وتجرد الالاهية وقال ابن عطاء حقيقة التوحيد نسيان التوحيد وهو ان يكون القائم به واحدا ويقال من الناس من يكون فى توحيده مكاشفا بالافعال يرى الحادثات بالله ومنهم من هو مكاشف بالحقيقة فيضمحل احساسه بما سواه فهو يشاهد الجمع سرا بسر وظاهره بوصف التفرقة وقد ذكر المصنف فى كتابه الاملاء على مشكل الاحياء سر انقسام التوحيد على أربعة أقسام تشبها بالجوز لانه لا يخلو العاقل ان يوجد فيه أثر التوحيد أولا يوجد ومن يوجد فيه لا يخلو ان يكون مقلدا فى عقده أو عالما به فالمقلدون هم العوام والعلماء بحقيقة عقدهم لا يخلو واحد منهم ان يكون بلغ الغاية المطلوبة التى أعدت لصنفه دون النبوّة أولم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ فالذى لم يبلغ وكان على قرب هم المقربون وهم أهل المرتبة الثالثة والبالغون هم الصديقون وهم أهل المرتبة الرابعة ثم قسم أرباب النطق الى أربعة أصناف أحدهم نطقوا بكلمة التوحيد ثم لم يعتقدوا معنى ما نطقوا به الثانى نطقوا ولكن أضافوا الى قولهم ما لا يحصل مع الايمان وهم الزنادقة الثالث نطقوا ولكنهم أسروا التكذيب واستبطنوا ما ظهر منهم من الاقرار وهم المنافقون

عنه والتفكر فيه فيكون كالنبى اذا سئل عن شئ لو وقعت له واقعة لم يحتج الى النظر فيها ولا الى البحث عنها بل ينتظر ما عود من كشف الحقائق باخبار ملك أوضرب مثل مفهم عنه أو اطلاع على اللوح المحفوظ أوالقاء فى روع فيعود مختبرعاته ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيب الآخرة عاما ولاعرف خواصها ولا ينتزه فى عجائبها ولالاحظ

ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم أبغض اله عبد فى الارض عند الله تعالى هو الهوى وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وانما يعبد هواه اذ نفسه مائلة الى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المألوفات أحد المعانى التى يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله عزوجل كيف يتسخط على غيره فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين

الرابع نطقوا وهم على الجهل بما يعتقدون فيها وحكم الصنف الاول والثانى والثالث من زمرة الهالكين ولما كان اللفظ المنبئ عن التوحيد اذا انفرد عن العقد لم يقع له فى حكم الشرع منفعة ولا لصاحبه نجاة الامدة حياته عن السيف واليد حسن فيه أن يشبه بقشر الجوز الاعلى ثم قسم أهل الاعتقاد المجرد الى ثلاثة أصناف الاوّل اعتقدوا مضمون ما أقروا به من غير ترديد غير عارفين بالاستدلال الثانى اعتقدوا مع ذلك ما قام فى نفوسهم انها أدلة وبراهين وليست كذلك الثالث مع ذلك استبعدوا طريق العلم وقنعوا بالقعود فى حضيض الجهل ثم ذكر فى أصناف أهل الاعتقاد تفصيلا آخر ثم قال ولما كان الاعتقاد المجرد عن العلم بحته ضعيفا ألقى عليه شبه القشر الثانى من الجوز لان ذلك القشر يؤكل مع ماهو عليه صوان واذا انفرد أمكن أن يكون طعاما للمحتاج ثم ذكر لتوحيد المقربين ثلاثة حدود والاسباب الموصلة اليه وحقيقته وثمراته ثم ذكر لارباب هذا المقام ثلاثة أصناف وقال انما سموا أهل هذه المرتبة المقربين لبعدهم عن ظلمات الجهل وقربهم من نيرات المعرفة ثم قال فى توحيد الصديقين وأما أهل المرتبة الرابعة فهم قوم رأوا الله تعالى وحده ثم رأوا الاشياء بعد ذلك به فلم يروا فى الدارين غيره ولا اطلعوا فى الوجود على سواه وأهل هذه المرتبة صنفان مريدون ومرادون فالمريدون فى الغالب لابد لهم أن يحلوا فى المرتبة الثالثة وهى توحيد المقربين ومنها ينتقلون الى المرتبة الرابعة وأما المرادون فهم فى الغالب مبتدؤن بمقامهم الاخير وهى المرتبة الرابعة ومتمكنون فيها ومن أهل هذا المقام يكون القطب والاوتاد والبدلاء ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء والشهداء والصالحون والله أعلم (فانظر الى ماذا حوّل) لفظ التوحيد وبأى قشر قنع (وكيف اتخذ هذا) الذى سموه توحيدا (معتصما) ومتمسكا (فى التمدح) به (والتفاخر بما) بالذى (اسمه محمود مع الافلاس) أى الخلو والفروغ وفى بعض النسخ على الاخلاص وهو بمعناه (عن المعنى الذى يستحق الحمد الحقيقى وذلك كافلاس من يصبح بكرة) أى يأتى فى أوّل النهار (ويتوجه) بعد تطهيره (الى القبلة) لصلاة الصبح (وهو يقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا) وما أنا من المشركين أى قصدت بعبادتى وتوجهى (وهو أوّل كذب يفاتح الله تعالى به كل يوم) عند قيامه الى الصلاة (ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله تعالى على الخصوص) أى بالاخلاص وتحرى الاستقامة بحيث لا يكون له التفات فى ذلك الى ماسواه (فانه ان أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجه) هو (وجهه الا الى الكعبة وما صرفه الا عن سائر الجهات) ما عدا مكة (والكعبة ليست جهة للذى فطر السموات والارض حتى يكون المتوجه اليها) خاصة (متوجها اليه تعالى ان تحده الجهات والاقطار وان أراد به وجه القلب) كما هو المتبادر (وهو المطلوب) من العبد (المتعبد به) وفى بعض النسخ للتعبد به (فكيف يصدق) فيه (وقلبه متردد فى أوطاره وحاجاته الدنيوية) كيف يفعل فى كذا وكيف يترك عن كذا (ومتصرف فى طلب الحيل فى جمع الاموال والجاه) وهو الحظوة عند الامراء (واستكثار الاسباب) والعوارض واسترباحها (ومتوجه بالكلية اليها) أى الى تلك الامور المذكورة (فمتى وجه وجهه للذى فطر السموات والارض وهذه الكلمة) الشريفة (خبر عن حقيقة التوحيد) لكونها مشيرة الى الاخلاص فى التوجه والاخلاص فى العبودية والتحرى فى الاستقامة ومن هنا قال الشبلى من اطلع على ذرة من علم التوحيد ضعف عن حمل بقيته لثقل ما حمل (فالموحد) الحقيقى (هو الذى لا يرى الا الواحد) أى لا يرى الشئ من حيث هو وانما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدرة وميزه بالارادة على سابق العلم القديم ثم أدام القطر عليه فى الوجود فصح قوله لا يرى الا الواحد (ولا يتوجه بوجهه الا اليه) ومن هنا قال بعض أهل التحقيق ان التوحيد هو نفى القسيم لذاته ونفى الشبيه فى حقه وصفاته ونفى الشريك معه فى افعاله ومصنوعاته (وهو امتثال) الامر فى (قوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) أصل الخوض الدخول فى الماء ثم استعير للدخول فى الحديث

فانظر الى ماذا حول وبأى قشر قنع منه وكيف اتخذوا هذا معتصما فى التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذى يستحق الحمد الحقيقى وذلك كافلاس من يصبح بكرة ويتوجه الى القبلة ويقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وهو أول كذب يفاتح الله به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله تعالى على الخصوص فانه ان أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه الا الى الكعبة وما صرفه الا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذى فطر السموات والارض حتى يكون المتوجه اليها متوجها اليه تعالى عن ان تحده الجهات والاقطار وان أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق فى قوله وقلبه متردد فى أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف فى طلب الحيل فى جمع الاموال والجاه واستكثار الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذى فطر السموات والارض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذى لا يرى الا الواحد ولا يوجه وجهه الا اليه وهو امتثال قوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون

والحرب ويقال فلان يخوض أي يتكلم بمالا ينبغي وغلب على الرديء من الكلام (وليس المراد به القول باللسان) فقط (انما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى) فلاعبرة به عند أهل الحق (وانما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه وهو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه) وتقدم حديث ان الله لا ينظر الى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم (اللفظ الرابع الذكر والتذكير وقد قال الله تعالى) في كتابه العزيز (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) الذكرى بمعنى التذكر وذكر بنفسه وذكر غيره والتذكير يكون بعد النسيان والذكر تارة يقال باعتبار هيئة للنفس بها يتمكن الانسان من حفظ ما يقتنيه من المعارف فهو كالحفظ الا أن الفرق بينهما انه يقال باعتبار حضوره بالقلب واللسان ومنه قيل الذكر ذكران ذكر بالقلب وذكر باللسان وكل منهما على نوعين ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان بل يقال باعتبار ادامة الحفظ (وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر) قال العراقي أخرجه الترمذي من حديث أنس وحسنه اه قلت هو من رواية محمد بن ثابت حدثني أبي عن أنس بن مالك وأورده أبو طالب المكي في القوت والقشيري في الرسالة كلاهما من غير سند الا ان في سياق الرسالة اذا رأيتم رياض الجنة والباقي سواء وقول العراقي انه أخرجه الترمذي فنصه في سننه اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر أخرجه هكذا الامام أحمد في مسنده والبيهقي في الشعب كلهم عن أنس وقال الترمذي حسن غريب من هذا الوجه وفي حديث ابن عباس فيما أخرجه الطبراني في الكبير من رواية مجاهد عنه وفيه قال مجالس العلم قال الهيثمي فيه رجل لم يسم أي قول الحرث بن عطية أحد رواته حدثنا بعض أصحابنا عن أبي نجيح عن مجاهد وفي حديث أبي هريرة فيما أخرجه الترمذي في الدعوات من رواية حميد المكي أن عطاء بن أبي رباح حدثه عنه وقال غريب وفيه قيل وما رياض الجنة قال المساجد قيل وما الرتع قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال القشيري في رسالته أخبرنا أبو الحسين علي بن بشر ببغداد أخبرنا أبو علي الحسين بن صفوان حدثنا ابن أبي الدنيا حدثنا الهيثم بن خارجة حدثنا اسمعيل بن عياش عن عثمان بن عبد الله ان خالد بن عبد الله بن صفوان أخبره عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ارتعوا في رياض الجنة قلنا يا رسول الله وما رياض الجنة قال مجالس الذكر قلت وأخرجه هكذا البزار وأبو يعلى في مسنديهما والطبراني في الاوسط والحاكم في المستدرك من رواية عمر بن عبد الله مولى غفرة قال سمعت أيوب بن خالد بن صفوان يقول قال جابر خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ان لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الارض فارتعوا في رياض الجنة قالوا وأين رياض الجنة قال مجالس الذكر فاغدوا وروحوا في ذكر الله وذكروه أنفسكم الحديث ثم انه فسر الرياض تارة بحلق الذكر وتارة بمجالسه وتارة بحلق العلم ومجالسه وتارة بالمساجد ولا مانع من ارادة الكل وانه انما ذكر في كل حديث بعضها لانه خرج جوابا عن سؤال معين فأجاب كلا بما يليق بحال سؤاله وقال السيوطي في تحذير الخواص وأخرج الخطيب عن ابن مسعود رفعه اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا اماني لا أعني حلق القصاص ولكن أعني حلق الفقه قلت هو في كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب وبمثل هذا روى عن عبد الله بن عمرو بن عمرو (وفي الحديث ان لله تعالى ملائكة سياحين في الهواء سوى ملائكة الخلق اذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا ألا هلموا الى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون ألا فاذكروا الله تعالى وذكروا أنفسكم) وفي نسخة واذكروا بأنفسكم قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله سياحين في الهواء وللترمذي سياحين في الارض وقال مسلم سيارة اه قلت أخرجه صاحب

الملكوت ببصر قلبه ولا جاوز التخوم الى أسفل من ذلك بسره ولبه ولا فهم ان الجنة أعلى النعيم وان النار اقصى العذاب الاليم وان النظر اليه منتهى الكرامات وان رضاه وسخطه غاية الدرجات والدركات وان منح المعارف والعلوم أسنى الهبات ويرى ان العالم باسره أخرجه من العدم الذي هو نفي محض الى الوجود

وليس المراد به القول باللسان فانما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى وانما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه (اللفظ الرابع الذكر والتذكير) فقد قال الله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث ان لله تعالى ملائكة سياحين في الدنيا سوى ملائكة الخلق اذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا ألا هلموا الى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون ألا فاذكروا الله وذكروا أنفسكم

القوت بلاسند ولفظه كلفظ المصنف الا انه قال فضلا عن كتاب الخلق اذا رأوا مجالس الذكر تنادوا بعضهم بعضا وفيه فيأتونهم حتى يجلسوا اليهم فيحفون بهم ويستمعون منهم والباقي سواء وأخرج البخاري من رواية الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال الترمذي أو عن أبي سعيد الخدري وقال البخاري ورواه شعبة عن الاعمش ولم يرفعه ورواه سهل عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا ورواه مسلم من هذا الوجه وليس في الصحيحين ولا عند الترمذي ماذكره المصنف في آخر هذا الحديث وقد تقدم في الحديث الذي قبله حديث جابر ولفظه فاغدوا وروحوا في ذكر الله وذكروه بأنفسكم وأخرج البيهقي في الشعب وابن ماجه من حديث أبي هريرة بأتم من هذا بلفظ ان لله ملائكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس يطوفون في الكون يلتمسون أهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم ما يقول عبادي فيقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك فيقول هل رأوني فيقولون لا والله فيقول كيف لو رأوني فيقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا فيقول فما يسألوني فيقولون يسألونك الجنة فيقول وهل رأوها فيقولون لا والله يارب مارأوها فيقول فكيف لو أنهم رأوها فيقولون لو أنهم رأوها لكانوا أشد لها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة قال مم يتعوذون فيقولون من النار فيقول الله وهل رأوها فيقولون لا والله يارب مارأوها فيقول كيف لو رأوها فيقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة فيقول فأشهدكم انى قد غفرت لهم فيقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة فيقول هم القوم لايشقى جليسهم كذا في الذيل للسيوطي وأخرجه السهروردي هكذا في عوارف المعارف من طريق الحافظ أبي نعيم من حديث الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأخرج البزار من رواية زائدة بن أبي الرقاد عن زياد النميري عن أنس رفعه ان لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر الحديث (فنقل ذلك الى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو) أربعة أشياء (القصص والاشعار والشطح والطامات اما القصص فهو بدعة) رواه أبو الاشهب عن الحسن قال ابن الحاج في المدخل مجلس العلم الذي يذكر فيه الحلال والحرام واتباع السلف لامجالس القصاص والوعاظ فان ذلك بدعة وأخرج ابن أبي شيبة والمروزي في كتاب العلم عن خباب انه رأى ابنه عبدالله عند قاص فلما رجع اتزر وأخذ السوط وقال أمع العمالقة هذا قرن قد طلع قال ابن الاثير في النهاية أراد قوما احداثا نبغوا بعد ان لم يكونوا يعني القصاص وقيل أراد بدعة حدثت لم تكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج الخطيب في تاريخه عن أبي جعفر الحلوى سمعت الجنيد يحكي عن الخواص سمعت بضعة عشر من مشايخ الصنعة أهل الورع والدين مجمعون على ان القصص في الاصل بدعة (وقد نهى السلف عن الجلوس الى القصاص) أخرج العقيلي وأبو نعيم في الحلية بسند صحيح عن عاصم بن بهدلة قال كنا نأتي أبا عبد الرحمن السلمي ونحن غلمة ايفاع فيقول لاتجالسوا القصاص وأخرج العقيلي من وجه آخر عن عاصم قال كان أبو عبدالرحمن السلمي يقول اتقوا القصاص وقال العلامة ابن أبي زيد المالكي في الجامع وأنكر مالك القصص في المسجد وقال ابن الحاج في المدخل سئل مالك عن الجلوس الى القصاص فقال ماأرى أن يجلس اليهم وان القصص لبدعة وقال ابن رشد كراهة القصص معلوم من مذهب مالك وقال الامام الطرطوشي قال مالك ونهيت اباقدامة أن يقوم بعد الصلاة فيقول افعلوا كذا وكذا وقال أبو ادريس الخولاني فيما أخرجه المروزي وأبو نعيم كلاهما من طريقه لان أرى في ناحية المسجد نارا تأجج أحب الى من أن أرى في ناحية قاصا يقص (وقالوا لم يكن ذلك) أى القص (في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة فظهر

الذي هو اثبات صحيح وقدره منازل وجعله لميقات فمن حي وميت ومتحرك وساكن وعالم وجاهل وشقي وسعيد وقريب وبعيد وصغير وكبير وجليل وحقير وغني وفقير ومأمور وأمير ومؤمن وكافر وجاحد وشاكر وذكر وأنثى وأرض وسماء ودنيا وأخرى وغير ذلك مما لايحصى والكل قائم به موجود بقدرته وباق بعلمه ومنته الى أجله ومصرف بمشيئته وذلك على بالغ حكمته فما أكمل من ٧جدبه الاقدماه ولا من يصرفه الا استبداده ولا ملكه الا ملكه فيعود المحدث قدما والمربوب ربا والمملوك مالكا فيعود الخلق من خلق الله كهو تعالى الله عن جهل الجاهلين وتخييل المعتوهين وزيغ الزائغين

(فصل) وأما حكم هذه العلوم المكتوبة في الطلب وسلوك هذه المقامات ورفق هذه الدرجات واستفهام هذه المخاطبات اهي من قبيل الواجبات

فنقل ذلك الى ماترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والاشعار والشطح والطامات أما القصص فهي بدعة وقد ورد نهي السلف عن الجلوس الى

والمنــدوبات أو المباحات فاعلم ان المسؤل عنه على ضربين أحدهما ماهو فى حكم المبادى والثانى فى حكم الغايات فأما الذى هو فى حكم المبادى فطلبه فرض على كل أحد بقدر بذل المجهود وافراغ الوسع وجميع مايقدر عليه من العبادة وذلك ماتضمنه أصول علم المعاملة مثل

القصاص وقالوا لم يكن ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا فى زمن أبى بكر ولا عمر رضى الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص وروى أن ابن عمر رضى الله عنهما خرج من المسجد فقال ماأخرجنى الا القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت لسفيان الثورى نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص ان يقصوا فقال وفق للصواب ودخل الاعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص و يقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر ابطه فقال القاص ياشيخ ألا تستحى فقال لم أنا فى سنة وأنت فى كذب أنا الاعمش وما

القصاص) هكذا أورده الطرطوشى فى جامعه وقال العراقى أخرجه ابن ماجه من رواية عبد الله بن عمر بن حفص العمرى عن نافع عن ابن عمر باسناد حسن اه قلت وهكذا ذكره العراقى أيضا فى كتابه الباعث على الخلاص قال وروى الامام أحمد والطبرانى عن السائب بن يزيد قال انه لم يكن يقص على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زمن أبى بكر ولا زمن عمر هكذا هو فى الكتاب المذكور وفى التخريج الكبير للعراقى من رواية الزهرى عن السائب فيما أخرجه أحمد والطبرانى الى قوله ولا زمن أبى بكر ثم قال وأول من قص تميم الدارى استاذن عمر بن الخطاب أن يقص قائما فاذن له اه قال السيوطى وأخرج الزبير بن بكار فى أخبار المدينة عن نافع وغيره من أهل العلم قالوا لم يقص فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم ولا زمان أبى بكر ولا زمان عمر وانما القصص محدث أحدثه معاوية حين كانت الفتنة فهذا موقوف على نافع وأخرج ابن أبى شيبة والمروزى عن ابن عمر قال لم يقص على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولا عهد أبى بكر ولا عهد عمر ولا عهد عثمان انما كان القصص حين كانت الفتنة وروى الحاكم فى مستدركه عن أبى عامر عبد بن يحيى قال حججنا مع معاوية بن أبى سفيان فلما قدمنا مكة أخبر بقصاص على أهل مكة مولى بنى فروخ فأرسل اليه فقال أمرت بهذا القصص قال لا قال فما حملك على أن تقص بغير اذن قال نفسر علما علمناه الله عز وجل قال معاوية لو كنت تقدمت عليك لقطعت منك طائفة (وروى ان ابن عمر خرج من المسجد وقال ما أخرجنى الا القاص ولولاه ماخرجت) أخرجه صاحب القوت من طريق الزهرى عن سالم عنه وأخرج المروزى من هذا الطريق ان ابن عمر كان يلقى خارجا من المسجد فيقول ماأخرجنى الاصوت قاصكم هذا وأخرج أيضا عن سعد ابن عبيدة ان ابن عمر قال لقاص يقص عنده قم عنا فقد آذيتنا وأخرج ابن أبى شيبة والمروزى عن عتبة بن حريث قال سمعت ابن عمر وجاءه رجل قاص فجلس فى مجلسه فقال له ابن عمر قم من مجلسنا فابى أن يقوم فارسل الى صاحب الشرط فارسل اليه شرطيا فأقامه وأخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل فى زوائد الزهد ان ابن عمر مر بقاص وقد رفعوا أيديهم فقال اللهم اقطع هذه الايدى (وقال ضمرة) ابن ربيعة الرملى أبو عبد الله مفتى أهل الشام فى زمانه (قلت للثورى) هو سفيان بن سعيد (نستقبل القاص بوجوهنا) وفى رواية بوجهنا (فقال أولوا البدعة ظهوركم) هكذا أورده صاحب القوت (وقال) محمد (ابن عون) الخراسانى (دخلت على) أبى بكر محمد (ابن سيرين) روى عن أبى هريرة وعمران بن حصين وعنه ابن عون وهشام بن حسان وداود بن أبى هند وقرة وجرير وآخرون وكان ثقة حجة (فقال ما كان اليوم من خبر فقال نهى الامير القصاص أن يقصوا) هكذا أورده صاحب القوت قال السيوطى وفى تاريخ الامام أبى جعفر بن جرير الطبرى فى حوادث سنة ٢٧٩ فى خلافة المعتضد نودى ببغداد أن لا يقعد على الطرائق ولا فى مسجد الجامع قاص ولا صاحب نجوم ولا زاجر وحلف الوراقون أن لا يبيعوا علم الكلام والجدل والفلسفة قال وفى سنة ٢٨٤ نودى فى المسجد الجامع بنهى الناس عن الاجتماع على قاص ويمنع القصاص عن القعود اه وأخرج ابن الجوزى فى كتاب القصاص والمذكرين بسنده الى جرير بن حازم قال سأل رجل محمد بن سيرين عن القصص فقال بدعة أول ما أحدث الحرورية القصص (ودخل) سليمان بن مهران (الاعمش) الحافظ أبو محمد الكاهلى أحد الاعلام عن ابن أبى أوفى وزر وأبى وائل وعنه شعبة ووكيع توفى سنة ١٤٨ (جامع البصرة) وكان فيها غريبا (فرأى قاصا) يقص فى المسجد و(يقول حدثنا الاعمش) عن أبى اسحق عن أبى وائل (فتوسط) الاعمش (الحلقة) ورفع يده (فأخذ فى نتف شعر ابطه) فبصر به القاص (فقال ياشيخ ألا تستحى) نحن فى علم وأنت تفعل هذا (قال) الاعمش الذى أنا فيه أفضل من الذى أنت فيه قال (لم) ويروى كيف قال (أنا) ويروى لانى (فى سنة وأنت فى كذب انا الاعمش ومتى

حدثتك) كذا فى النسخ والصواب وما حدثتك زاد بعضهم مما تقول شيأ فلما سمع الناس ذكر الاعمش انفضوا عن القاص واجتمعوا حوله وقالوا حدثنا ياأبا محمد أورده هكذا أبو طالب المكى فى قوته وأبو الوليد الطرطوشى فى الحوادث والبدع ونظير هذا ما أخرجاه أيضا واللفظ لصاحب القوت قال وحدثنا عن أبى معمر عن خلف بن خليفة قال رأيت سيارا أبا الحكم يستاك على باب المسجد وقاص يقص فى المسجد فجاءه رجل فقال ياأبا الحكم ان الناس ينظرونك فقال انى فى خير مما هم فيه أنا فى سنة وهم فى بدعة وأخرج أبو الحسن الفراء فى فوائده عن الفضل بن موسى الشيبانى قال أتيت الرقاشى وهو يقص فجعلت أستاك فقال أنت ههنا قلت أنا ههنا فى سنة وأنت فى بدعة (وقال) الامام (أحمد) ابن حنبل (أكثر الناس كذبا القصاص والسؤال) أورده صاحب القوت من طريق محمد ابن جعفران أبا الحرث حدثه انه سمع أحمد بن حنبل يقول أكذب الناس والباقى سواء قال السيوطى وأخرج السلفى فى الطيوريات من طريق الفضل بن زياد قال سمعت أحمد بن حنبل يقول أكذب الناس السؤال والقصاص وأخرجه الطرطوشى أيضا هكذا الا انه زاد فى آخره قيل له لو رأيت قاصا صدوقا أكنت تجالسهم قال لا (وأخرج على رضى الله عنه القصاص من جامع البصرة) حين دخلها وقال لا يقص فى المسجد أورده هكذا صاحب القوت والطرطوشى وأخرج أبو بكر المروزى فى كتاب العلم وأبو جعفر النحاس فى كتاب الناسخ والمنسوخ عن أبى البخترى قال دخل على بن أبى طالب المسجد فاذا رجل يخوف ولفظ المروزى يقص فقال ماهذا فقالوا رجل يذكر الناس فقال ليس برجل يذكر الناس ولكنه يقول أنا فلان بن فلان فاعرفونى فأرسل اليه فقال أتعرف الناسخ من المنسوخ فقال لا قال فقم من مسجدنا ولا تذكر فيه وأخرج ابن أبى شيبة وأبو خيثمة والمروزى معا فى كتاب العلم وأبو داود والنحاس فى كتاب الناسخ والمنسوخ عن أبى عبد الرحمن السلمى قال مر على ابن أبى طالب برجل يقص فقال أعرفت الناسخ من المنسوخ قال لا قال هلكت وأهلكت (ولما سمع كلام الحسن البصرى لم يخرجه) هذا السياق من كتاب القوت قال ولما دخل على رضى الله عنه البصرة جعل يخرج القصاص من المسجد ويقول لا يقص فى مسجدنا حتى انتهى الى الحسن وهو يتكلم فى هذا العلم فاستمع اليه ثم انصرف ولم يخرجه (اذ كان يتكلم فى علم الآخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الاعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله سبحانه ونعمائه وتقصير العبد فى شكره ويعرف حقارة الدنيا وتصرمها) أى انقطاعها وذهابها عن قريب (وقلة عهدها وعظم) وفى نسخة خطر (الآخرة وأهوالها) قال صاحب القوت وقد كان الحسن البصرى أحد الذاكرين وكان مجالسه مجالس الذكر يخلو فيها مع اخوانه وأتباعه من النساك والعباد فى بيته مثل مالك بن دينار وثابت البنانى وأيوب السختيانى ومحمد بن واسع وفرقد السبخى وعبد الواحد بن زيد فيقول هاتوا انشروا النور فيتكلم عليهم فى هذا العلم من علم اليقين والقدرة وفى خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس النفوس فربما قنع بعض أصحاب الحديث رأسه فاختفى من وراءهم ليسمع ذلك فاذا رآه الحسن قال له يالكع وأنت ما تصنع ههنا انما خلونا مع أصحابنا نتذاكر ثم قال وكان الحسن أول من أنهج سبيل هذا العلم وفتق الالسنة به ونطق بمعانيه وأظهر أنواره وكشف قناعه وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من اخوانه فقيل له ياأبا سعيد انك تتكلم فى هذا العلم بكلام نسمعه من أحد غيرك فمن أخذت هذا فقال من حذيفة بن اليمان قيل وقالوا لحذيفة نراك تتكلم فى هذا العلم بكلام لا نسمعه من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أخذته فقال خصنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقنى اه قلت وهذا الكلام الاخير أخرجه مسلم فى باب الامر بلزوم الجماعة

اخلاص التوحيد والصدق فى العمل والايخاف بالخوف والرجاء والتزين بالصبر والشكر لان هذه كلها وما يتعلق بها من علم الامر والنهى قال الله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقد سبق التنبيه عليه وأما الذى هو فى حكم الغايات مثل انقلاب الهيآت والنظر بالتوفيق بحكم الموافقة والرضا بالاثبات والتوكل بالتجريد وحقيقة علم معانى التوحيد وسير معانى التقرير وأوصاف أهل أبيات اليقين فهو درجات ومقامات ومنازل ومراتب ومنح يخص الله تعالى بها من شاء من عباده من غير أن ينال بطلب ولا

وما حدثتك وقال أحمد أكثر الناس كذبا القصاص والسؤال وأخرج على رضى الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصرى لم يخرجه اذ كان يتكلم فى علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الاعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد فى شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكث عهدها وخطر الآخرة وأهوالها

بحث ولا تعليم ولو كان ذلك قيل للناظر السالك حين اراد الارتقاء الى درجة أعلى من درجته بلسان السؤال ارجع لا تتخطى رقاب الصديقين لكنها مواهب أكرم الله تعالى بها أهل صفوته وولايته وهي مراتب الصدق في العلم وبركات الاخلاص في العمل فمن لم يرث من علمه وعمله المفترض عليه فطلبه والعمل به شتان من هذه المعاني فليس في شئ من الحقيقة وان كان حقا غير

فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي روى الحث عليه في حديث أبي ذر رضي الله عنه حيث قال حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة فقيل يارسول الله ومن قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن الا بالعلم وقال عطاء رحمه الله مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس الهوى فقد اتخذ المزخرفون هذه الاحاديث حجة على تزكية أنفسهم ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص

من طريق بشر بن عبد الله الحضرمي انه سمع أبا ادريس الخولاني يقول سمعت حذيفة بن اليمان يقول كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني الحديث بطوله وسيأتي هذا في آخر الباب السادس (فهذا هو التذكير) النافع (المحمود) عاقبة (شرعا) قال ابن الجوزي في كتاب القصاص والمذكرين في أوله سأل سائل فقال نرى كلام السلف يختلف في مدح القصاص وذمهم فبعضهم يحرض على الحضور عندهم و بعضهم ينهى عن ذلك ونحن نسأل أن تذكر لنا فصلا يكون فصلا لهذا الامر فاجبت لابد من كشف حقيقة هذا الامر ليبين المحمود منه والمذموم اعلم ان لهذا الفن ثلاثة أسماء قصص وتذكير ووعظ فالقصاص هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها وذلك القصص وهذا في الغالب عبارة عمن يروي أخبار الماضين وهذا لا يذم لنفسه لان في ذلك عبرة لمعتبر وعظة لمزدجر وانما كره بعض السلف القصص لاحد ستة أشياء فذكرها ثم قال وأما التذكير فهو تعريف الخلق نعم الله عز وجل عليهم وحثهم على شكره وتحذيرهم من مخالفته وأما الوعظ فهو تخويف يرق له القلب وحذار محمود ان قال وقد صار كثير من الناس يطلقون على الوعاظ اسم القاص وعلى القاص اسم المذكر والتحقيق ماذكرنا اه وقوله (الذي ورد الحث عليه في حديث أبي ذر) جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه (حيث قال حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم افضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة قيل يارسول الله ومن قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن الا بالعلم) هذا الحديث قد تقدم في أول الكتاب أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق عبيدة السلماني عن عمر وتقدم الكلام عليه والذي روى عن أبي ذر بمعناه ولفظه يا أبا ذر لان تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة الحديث هكذا أخرجه السيوطي في الجامع الكبير وفي الذيل على الصغير من طريق ابن ماجه والحاكم في التاريخ وقال ابن القيم وذكر ابن عبد البر عن معاذ مرفوعا لان تغدو فتعلم بابا من أبواب العلم خير لك من أن تصلي مائة ركعة وهذا لا يثبت رفعه ولكن المصنف تابع في أكثر ما أورده من الاحاديث صاحب القوت فانه هكذا أخرجه في كتابه فقال وقد روينا حديث أبي ذر فذكره وفي كتاب الايمان من موضوعات السيوطي قال الذهبي في الميزان الجويباري ممن يضرب به المثل بكذبه ومن طاماته عن اسحق بن نجيح الكذاب عن هشام بن حسان عن رجالة حضور مجلس علم خير من حضور ألف جنازة ومن ألف ركعة ومن ألف حجة ومن ألف غزوة اه قلت وأخرجه سعيد بن منصور في سننه وابن أبي داود في المصاحف وأبو طالب المكي في القوت من طريق عون بن موسى عن معاوية بن قرة قال سألت الحسن أعود مريضا أحب اليك أو أجلس الى قاص فقال عد مريضك قلت أشيع جنازة أحب اليك أو أجلس الى قاص فقال شيع جنازتك قلت وان استعان بي رجل على حاجة أعينه أو اجلس الى قاص قال اذهب في حاجتك حتى جعله خيرا من مجالس الفراغ قال صاحب القوت فلو كانت مجالس الذكر عندهم هي مجالس القصاص وكان القصص هو الذكر لما وسع الحسن أن يثبط عنه ولا يؤثر عليه كثيرا من الاعمال لان الذاكرين لله تعالى في أرفع مقام وحضور مجالس الذكر من مزيد الايمان ثم قال (وقال) بعض السلف حضور مجلس ذكر يكفر عشر مجالس من مجالس الباطل وأما (عطاء) فقال (مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو) وقد تقدم كلام هذا في أول الكتاب (فقد اتخذ المزخرفون هذه الاحاديث) الواردة في فضل الذكر وأهله ومجالسه (حجة على تزكية أنفسهم) وتطهيرها عن أن يتطرق اليها الوهم (ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم) التي يذكرونها والخرافات هي الاباطيل من الاحاديث (وذهلوا) أي غفلوا (عن طريق الذكر المحمود) وفي بعض النسخ المقصود (واشتغلوا بالقصص) والحكايات عن الامم السالفة (التي

يتطرق اليها الاختلاق والزيادة والنقصان) فان مثل ذلك مما يندر صحته خصوصا ماينقل عن بنى اسرائيل وفى قصة داود و يوسف من المحال الذى ينزه عنه الانبياء بحيث اذا سمعه الجاهل هانت عنده المعاصى (وتخرج عن القصص الواردة فى القرآن وتزيد عليهافان من القصص ماينفع سماعه) وأخرج الخطيب البغدادى عن حنبل بن اسحق قال قلت لعمى فى القصاص فقال القصاص الذين يذكرون الجنة والنار والتخويف ولهم نية وصدق الحديث فاما هؤلاء الذين أحدثوا وضع الاخبار والاحاديث الموضوعة فلا أراه (ومنها ما يضر سماعه وان كان صادقا) أخرج أحمد فى الزهد عن أبى المليح قال ذكر ميمون بن مهران القصاص فقال لايخطئ القاص ثلاثا اما أن يسمن قوله بمايهزل دينه واما يعجب بنفسه واما أن يأمر بمالا يفعل فلهذا قال صلى الله عليه وسلم القاص ينتظر المقت (ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فمن) أجل (هذا نهى عنه) وفى بعض النسخ فعن هذا نهى (ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله ما أحوج الناس الى قاص صادق) و يروى صدوق لانهم يذكرون الميزان وعذاب القبر قيل له أنت كنت تحضر مجالسهم قال لا هكذا أورده صاحب القوت وقد تقدم قريبا من رواية الطرطوشى قال صاحب القوت وأخبرونا عن محمد بن أبى هرون أن اسحق بن حنبل حدثه قال صليت مع أحمد بن حنبل صلاة العيد فاذا قاص يقص يلعن المبتدعة و يذكر السنة فلما قضينا الصلاة وصرنا ببعض الطريق ذكر أبوعبد الله القاص فقال ماأنفعهم للعامة وان كان عامة مايحدثونه كذبا اه (فان كانت القصة) التى يقصها القاص (من قصص الانبياء عليهم السلام (فيما يتعلق بأمور دينهم وكان القاص صادقا) فيماينقله (صحيح الرواية) غير مخلطها من طرق صحيحة (فلست أرى به بأسا) وليس بمذموم فى نفسه لان فى ذلك اقتداء بصواب لمتبع (فليحذر) القاص (الكذب) فيماينقله عن الشيوخ وليحذر (حكاية أحوال تومئ) أى تشير وفى نسخة تؤدى (الى هفوات) أى سقطات (أومساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها) فيفسد قلوبهم بذلك (و) يقصر فهمهم (عن) درك (كونها هفوة نادرة) الوقوع (ومردفة) أى متبعة (بتكفيرات) أى بما يكفرها (ومتداركة بحسنات تغطى عليها) هذا هو المناسب فى حضرات السلف (فان العامى) الجاهل حين يسمع (يعتصم بذلك فى مساهلاته وهفواته) مع نفسه (ويمهد لنفسه عذرا فيه) فيقع فى الخطا (ويحتج بانه حكى كيت وكيت عن المشايخ و بعض الاكابر وكلنا بصدد المعاصى) ومن الذى عصم منا (فلا غرو) أى لاعجب (ان عصيت الله فقد عصىَ أكبر منى) مقاما وحالا (و يفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لايدرى) وهذا الذى ذكره أحد الوجوه الستة لكراهة بعض السلف القصص وذكره بعد الكذب فهما وجهان من الوجوه الستة وقد أفصح عنها ابن الجوزى فى كتاب القصاص والمذكرين وسيأتى للمصنف مزيد على ذلك فى المهلكات فى ذم الغرور (فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين) وهما الكذب والمحالات (فلا بأس به) ولايكون مذموما (وعند ذلك ترجع القصص المحمودة الى مايشتمل عليه القرآن) أخرج ابن أبى شيبة والمروزى عن ابن سيرين قال بلغ عمر أن قاصا يقص بالبصرة فكتب اليه الر تلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص الى آخر الآيات قال فعرف الرجل فتركه وأخرج عبد بن حميد فى تفسيره عن قيس بن سعد قال جاء ابن عباس حتى قام على عبيد بن عمير وهو يقص فقال واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا واذكر فى الكتاب اسمعيل الآية واذكر فى الكتاب ادريس الآية ذكرنا بأيام الله وأثن على من أثنى الله عليه (و) الى (ماصح فى الكتب الصحيحة من الاخبار) كالكتب الستة الصحاح ومن كتب التفاسير ماوقع الاتفاق على صحتها والوثوق بها قال الحافظ العراقى الباعث على الخلاص من حوادث القصاص انهم ينقلون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير معرفة بالصحيح

التى تتطرق اليها الاختلافات والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة فى القرآن وتزيد عليها فان من القصص ماينفع سماعه ومنها ما يضر وان كان صدقا ومن فتح الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فمن هذا نهى عنه ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله ماأحوج الناس الى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الانبياء عليهم السلام فيمايتعلق بامور دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فلست أرى به باسا فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومئ الى هفوات أومساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطى عليها فان العامى يعتصم بذلك فى مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بانه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الاكابر فكلنا بصدد المعاصى فلاغرو ان عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر منى ويفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لايدرى فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا باس به وعند ذلك ترجع الى القصص المحمودة والى مايشتمل عليه القرآن و يصح فى الكتب الصحيحة من الاخبار

والسقيم قال وان اتفق انه نقل حديثا صحيحا كان آثما في ذلك لانه ينقل مالاعلم له به وان صادف الواقع كان آثما باقدامه على مالايعلم قال واذا نظر أحدهم في بعض التفاسير المصنفة لايحل له النقل منها لان كتب التفاسير فيها الاقوال المنكرة والصحيحة ومن لا يميز صحيحها عن منكرها لايحل له الاعتماد على الكتب قال وليت شعري كيف يقدم من هذه حاله على تفسير كتاب الله أحسن أحواله أن لا يعرف صحيحه من سقيمه قال وأيضا فلايحل لاحد ممن هو بهذا الوصف أن ينقل حديثا من الكتب بل ولو في الصحيحين مالم يقرأه على من يعلم ذلك من أهل الحديث وقد حكى الحافظ أبو بكر بن خير اتفاق العلماء على انه لايصح لمسلم أن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا حتى يكون عنده ذلك القول مرويا ولو على أقل وجوه الروايات اه قلت فالذي تلخص مما ذكرنا انه لاينبغي أن يقص على الناس الا العالم المتقن فنون العلم الحافظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم العارف بصحيحه وسقيمه ومسنده ومقطوعه ومنفصله العالم بالتواريخ وبسير السلف الحافظ لاخبار الزهاد الفقيه في دين الله العالم بالعربية واللغة ومدار كل ذلك على تقوى الله وانه يخرج الطمع في أموال الناس من قلبه كذا حققه ابن الجوزي وسيأتي لذلك مزيد في ربع المهلكات ان شاء الله تعالى (ومن الناس من يستجيز) أي يجوز (وضع الحكايات المرغبة في الطاعات) المزهدة عن الدنيا وآفاتها (و يزعم ان قصده فيه) حسن وهو (دعوة الخلق الى الحق) وترغيبهم اليه وردعهم عن الدنيا الفانية وأعظم من ذلك من جوز وضع الاحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأباح روايتها في الترغيب والترهيب تعلقا بما ورد في بعض روايات حديث من كذب علي متعمدا ليضل به الناس فليتبوأ مقعده من النار فاعلم ان كل ذلك باطل باتفاق الائمة (وهذا) الذي صار اليه بما زعمه لاشك في انه (من نزغات الشيطان) سول لهم بذلك وحسنه (فان في الصدق مندوحة عن الكذب) أي سعة ومنه حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب أي في التعريض في القول من الاتساع مايغني الرجل عن الاضطرار الى الكذب المحض وفي كتاب لحن العوام للزبيدي يقال له عن هذا مندوحة ومنتدح أي متسع وهو الندح أيضا وقال أبو عبيد المندوحة الفسحة والسعة (وفيما ذكر الله سبحانه) في كتابه العزيز من القصص العجيبة (و) ذكره (رسوله) صلى الله عليه وسلم من الاحاديث التي نقلها الثقات (غنية عن الاختراع) أي الابتداع (في الوعظ) والتذكير (كيف وقد كره تكلف السجع) وهو الكلام المقفى الموزون (وعد ذلك من التصنع) أي التكلف (قال سعد بن أبي وقاص) مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري فارس الاسلام وأحد العشرة روى عنه بنوه ابراهيم وعمر ومحمد وعامر ومصعب وعائشة أسلم سابع سبعة توفي سنة ٥٥ (لابنه عمر) روى عنه ابنه ابراهيم وأبو اسحق وأرسل عنه الزهري وقتادة قال ابن معين كيف يكون من قتل الحسين ثقة قتله المختار سنة ٦٧ (وقد سمعه يسجع) في كلام وفي نسخة يتسجع (هذا الذي يبغضك الي لاقضيت حاجتك أبدا) اذ رأى ذلك بدعة حدثت في الاقوال (وقد كان جاءه في حاجة) يتقضاها منه فقال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوتي امرؤ شرا من طلاقة في لسانه أورده صاحب القوت ثم قال (وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة) ابن ثعلبة الانصاري من بني الحرث بن الخزرج أبو محمد الامير بدري نقيب استشهد بمؤتة روى عنه أنس ابن مالك وابن عباس وأرسل عنه جماعة (في سجع) ونص القوت حين سجع فوالى (بين ثلاث كلمات) اي تابع بينها (اياك والسجع يا ابن رواحة) قال العراقي لم أجده مرفوعا ولاحمد وأبي يعلى وابن السني وأبي نعيم في كتابيهما رياضة المتعلمين باسناد صحيح من رواية الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لكاتب اياك والسجع فان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا لايسجعون زاد ابن السني بعد قولها اياك والسجع لاتسجع ورواه ابن حبان في صحيحه من رواية الشعبي عن ابن أبي

ان حاله معلول اما مفتون بدنياه أو محجوب بهواه وربك على كل شيء قدير

* (فصل) * ومالاى شيء ذكرت هذه العلوم بالاشارات دون العبارات و بالرموز دون التصريحات وبالمتشابه من الالفاظ دون المحكمات وان كان قد سبق هذا من الشارع فماله أن يتحرى به من كلف وتناول من بعيد ولكن العلم رجال مخصوصون فمابال من لم يجعل شارعا ولا يبعث لغير ان يسأل ذلك والجواب

ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات و يزعم أن قصده فيها دعوة الخلق الى الحق فهذه من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم غنية عن الاختراع في الوعظ كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذي يبغضك الي لاقضيت حاجتك أبدا حتى تتوب وقد كان جاءه في حاجة وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلاث كلمات اياك والسجع يا ابن رواحة

السائب قاص أهل المدينة قال قالت عائشة فذكر كلاما لها وفيه واجتنب السجع من الدعاء فانى عهدت النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يكرهون ذلك وروى البخارى من رواية عكرمة عن ابن عباس قال حدث الناس كل جمعة مرة فذكر الحديث وفيه وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فانى عهدت النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلون ذلك اه وفى القوت ومما أحدثوا السجع فى الدعاء والتغريب فيه ومالم يرد الكتاب به ولا نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة بل كانوا ينهون عن الاعتداء فى الدعاء وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع فى الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وماقرب اليها من قول وعمل وسمع عبدالله بن مغفل ابنه يدعو بما يعمق فيه فقال يا بنى اياك والحديث اياك والاعتداء (فكان السجع المحذور) أى الممنوع (المتكلف) المتصنع فيه (مازاد على كلمتين) وأصل السجع صوت الحمامة وهديرها وسمى السجع فى الكلام لكونه مشبها بذلك لتقارب فواصله وسجع الرجل كلامه كما يقال نظمه اذا جعل لكلامه فواصل كقوافى الشعر مالم يكن موزونا وتقدم ذكر أقسامه وأنواعه فى شرح الخطبة (ولذلك) قال صلى الله عليه وسلم (لما قال ذلك الرجل) من عصبة القاتلة يقال هو حمل بن النابغة الهذلى (فى دية الجنين كيف ندى) أى نعطى دية (من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل) الاستهلال أول صوت المولود (ومثل ذلك يطل) أى يهدر (فقال صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الاعراب) وهم أهل البادية وكانوا يستعملون الاسجاع فى كلامهم قال العراقى ورد من حديث المغيرة بن شعبة وأبى هريرة وابن عباس وجابر وأسامة بن عمير الهذلى وحمل بن مالك وعويم بن ساعدة الهذلى رضى الله عنهم أما حديث المغيرة فرواه مسلم وأبو داود والنسائى من رواية عبيد بن فضيلة الخزاعى عن المغيرة بن شعبة قال ضربت امرأة ضرتها بعمود فسطاط فذكر الحديث وفيه فقال رجل من عصبة القاتلة انغرم دية من لا أكل ولا شرب ولا استهل فمثل ذلك يطل الحديث بلفظ مسلم وفى رواية له أندى من لا طعم ولا شرب ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل الحديث وأصل الحديث عند البخارى والترمذى وابن ماجه مختصرا دون ذكر السجع المذكور وأما حديث أبى هريرة فرواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى من رواية ابن شهاب عن ابن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن ان أبا هريرة رضى الله عنه قال اقتتلت امرأتان من هذيل الحديث وفيه فقال حمل بن النابغة الهذلى يا رسول الله كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك يطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هذا من اخوان الكهان من أجل سجعه الذى سجع لفظ مسلم ولم يسم البخارى الرجل فانما قال فقال ولى المرأة ولم يقل من أجل سجعه الذى سجع قلت وأخرجه مسلم أيضا من رواية معمر عن الزهرى وفيه فقال قائل كيف نعقل ولم يسم حمل بن مالك اه ثم قال العراقى ورواه الترمذى وابن ماجه من رواية محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة ففيه فقال الذى قضى عليه أنعطى من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل فمثل ذلك يطل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا ليقول بقول الشاعر وأما حديث ابن عباس فرواه أبو داود والنسائى من رواية أسباط عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت امرأتان جارتان كان بينهما صخب الحديث وفيه فقال أبو القاتلة انه والله ما استهل ولا شرب ولا أكل فمثله يطل فقال النبى صلى الله عليه وسلم أسجع الجاهلية وكهانتها ان فى الصبى غرة قال ابن عباس كانت احداهما مليكة والاخرى أم عطيف لفظ النسائى ولم يقل أبو داود ولا أكل وقال فيه عن ابن عباس فى قصة حمل فادخله المزى فى الاطراف فى حديث حمل ولم يذكره فى حديث ابن عباس وليس بجيد وأما حديث جابر فرواه أبو يعلى فى مسنده من رواية مجالد بن سعيد قال حدثنى الشعبى عن جابر ان امرأتين من هذيل قتلت احداهما الاخرى الحديث وفيه فخاف عاقلة القاتلة أن يضمنهم قال فقالوا يا رسول الله

عنه ان العالم هو وارث النبى صلى الله عليه وسلم وانما ورث العلم ليتحمل به بعلمه ويحل فيه كمحله والنبى صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وحكم الوارث فيما ورث حكم الموروث فيما ورث عنه فما عرف فيه الحكم من فعل الموروث عنه امتثله ومالم يصل اليه فيه شئ كان له اجتهاده فان أخطا كان له أجر وان أصاب كان له أجران ثم ان الوارث رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصرح بعلوم المعاملات وأشار عما وراءها مما لا يفهمه الا أرباب التخصيص كما قال عز وجل وما يعقلها الا العالمون فلم يكن للوارث تعد عن حكم الموروث كما حكى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال انى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين أحدهما هو الذى بثثته

فكان السجع المحذور المتكلف مازاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل فى دية الجنين كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل فقال النبى صلى الله عليه وسلم أسجع كسجع الاعراب

لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجع الجاهلية والحديث عند أبي داود وابن ماجه وليس فيه ذكر السجع المذكور وأما حديث أسامة بن عمير وهو والد أبي المليح فرواه الطبراني باسناد جيد من رواية أيوب قال سمعت أبا المليح عن أبيه وكان قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت فينا امرأتان ضربت احداهما الاخرى الحديث وفيه فقال رجل من أهل القاتلة كيف نعقل يا رسول الله من لا أكل ولا شرب ولا صاح فاستهل فمثل ذلك يطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسجاعة أنت الحديث وفي رواية له من رواية سلمة بن تمام عن أبي المليح ان الذى قال السجع رجل يقال له عمران بن عويمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعنى من رجز الاعراب وأما حديث حمل بن مالك بن النابغة فرواه الطبراني من رواية مجاهد عن الهذلى انه كان عنده امرأة فتزوج عليها أخرى فذكر الحديث وفيه فجاء وليها فقال اندى من لا أكل ولا شرب ولا استهل فمثل ذلك يطل فقال رجز الاعراب وأما حديث عويم الهذلى فرواه الطبراني من رواية محمد بن سليمان بن مسمول عن عمرو بن تميم بن عويم عن أبيه عن جده قال كانت أختى مليكة وامرأة منا يقال لها أم عفيف بنت مسروح تحت حمل بن النابغة فضربت أم عفيف مليكة بمسطح بيتها وهى حامل فقتلتها وذا بطنها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها بالدية وفي جنينها بالغرة عبد أو أمة فقال أخوها العلاء ابن مسروح يا رسول الله انغرم من لا أكل ولا شرب ولا نطق ولا استهل فمثل هذا يطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الجاهلية ورواه ابن منده فى معرفة الصحابة ومحمد بن سليمان بن مسمول ضعيف وعمرو بن تميم وأبوه لم أجد لهما ذكرا فى مظان وجودهما (وأما الاشعار فتكثيرها فى المواعظ مذموم) قال السمين الشعر فى الاصل اسم للعلم الدقيق فى قولهم ليت شعرى وسمى الشاعر لفطنته ثم صار فى التعارف اسما للموزون المقفى من الكلام والشاعر المختص بصناعته وقوله تعالى حكاية عن الكفار بل افتراه بل هو شاعر حمله كثير من المفسرين على انهم رموه بكونه آتيا بشعر منظوم ومقفى حتى تأولوا ما جاء فى القرآن من كل لفظ شبيه الموزون وقال بعض المحصلين لم يقصدوا هذا القصد فيما رموه به وذلك انه ظاهر من هذا الكلام أنه ليس من أساليب الشعر ولا يخفى ذلك عليهم وانما رموه بالكذب فان الشعر يعبر به عن الكذب والشاعر الكاذب حتى سموا الادلة الكاذبة الشعرية (قال الله تعالى) فى وصف عامة الشعراء (والشعراء يتبعهم الغاوون الآية) أى الى آخرها وهو الم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون ولان الشعر مقر الكذب قالوا أحسن الشعر أكذبه وقال بعض الحكماء لم ير متدين صادق اللهجة مفلقا فى شعره ولذا لما أسلم منهم جماعة وكانوا مفلقين ضعف شعرهم كحسان ولبيد وقد فطن حسان من نفسه ذلك اه والغاوون جمع غاو وهو الضال المنهمك فى ضلاله لا يرده شئ وقد يعبر بالغى عن الجهل لانه سببه وقيل الغواية شدة الجهل (وقال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له) قال الراغب انبغى مطاوع بغى فاذا قيل ينبغى أن يكون كذا فهو باعتبارين أحدهما ما يكون مسخرا للفعل نحو النار ينبغى أن تحرق الثوب والثانى بمعنى الاستئهال نحو فلان ينبغى أن يعطى الكرامة وعلى المعنيين جاء قوله تعالى المتقدم ذكره أى لا يتسخر له ولا يستأهل قال ألا ترى لسانه لم يكن يجرى به قال السمين ولذلك كان اذا تمثل بشئ من الشعر أتى به على غير نظمه وقد نقل انه تكلم بشئ من الشعر على سبيل الاتفاق واختلفوا فى انه هل كان مصروفا عن ذلك بطبعه أو كان فى قدرته ولكنه لم يقله أقوال واختلفوا فى ذم الشعر ومدحه وأحسن ما قيل فيه قول الامام الشافعى رحمه الله حين سئل عن ذلك الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وقد روى مثل ذلك أيضا عن عائشة رضى الله عنها قال ابن السبكى فى الطبقات وقد سمع النبى صلى الله عليه وسلم الشعر وأجاز عليه وذلك برهان على انه لم يكن يمنع من ذلك وكذلك نطق به جماهير الصحابة وعدد بالغ من أحبار الامة وأما ما ورد

من

فيكم وأما الثانى فلو بثثته لحزتم السكين على هذا البلعوم وأشار الى حلقه وبعد كل شئ ففى القدوة بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه النجاة وفى اتباعه الفوز بحب الله ويد الله مع الجماعة وفوق كل ذى علم عليم وقد أفدناك من طرائف ما عندنا واهدينا اليك من غرائب الدنيا والى الله يرد العلم مما دق وجل وكثر وقل وعظم وصغر وظهر واستتر وانما ينطق الانسان بما أنطقه الله تعالى وهو مستعمل بما استعمله فيه اذ كل ميسر لما خلق له فاستنزل ما عند ربك وخالقك من خير واستجلب ما تؤمله منه من هداية وبر بقراءة السبع المثانى والقرآن العظيم التى أمرت بقراءتها فى كل صلاة وكذا عليك أن تعيدها فى كل ركعة وأخبرك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ان ليس فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الفرقان مثلها وفى هذا تنبيه بل تصريح بان يكثر منها بما ضمنت من الفوائد

وأما الاشعار فتكثيرها فى المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وقال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له

من الاحاديث فى ذم الشعر فالمراد منه الشعر الذى هو هجوله صلى الله عليه وسلم حملا لمطلق الحديث على مقيده على انه قد ثبت فى بعض طرق حديث أبى هريرة رفعه لان يملأ جوف أحدكم قيحا ودما خيرله من أن يمتلئ شعرا هجيت به رواه ابن عدى فى الكامل اه (وأكثر ما اعتاده الوعاظ من) انشاد (الاشعار) فى مواعظهم (ما يتعلق بالتواصف فى العشق) وهو الافراط فى المحبة (وجمال المعشوق) وهو المحبوب (وروح الوصال) والتشوق اليه (و) التشكى من (ألم الفراق) وما يترتب عليه (والمجلس ذاك (لايحوى) أى لايجمع غالبا (الا أجلاف العوام) والاغبياء الطغام (وبواطنهم) غير متهيئة لتلقى أسرار الحقائق بل (مشحونة بالشهوات) النفسانية (وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات) والميل (الى الصور المليحة) المستحسنة (ولا تحرك) تلك (الاشعار من قلوبهم) وخواطرهم (الا ماهى مستكنة) أى مستترة (فيها) من الخبث (فتشتعل فيها نيران الشهوات) لامحالة بتسويل الشيطان (فيزعقون) أى يصيحون من غير اختيار ومنهم من يتمكن منه ذلك الخاطر فيغيب عن احساسه (ويتواجدون) أى يتراقصون ويكونون سببا لضحكة الشيطان (وأكثر ذلك أوكله يرجع الى نوع فساد) فى الدين تترتب به جمل من المنكرات (فينبغى) للواعظ (أن لايستعمل) فى وعظه للعامة (من) انشاد (الشعر الا مافيه موعظة) ظاهرة يرتدع بها عن خبث الباطن (أو حكمة) نادرة يتعظ بها فى كشف السر الكامن (كل ذلك على سبيل استشهاد) لكلامه (واستئناس) لما ورد من أحكامه (وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة) قال العراقى رواه البخارى من حديث أبى بن كعب اه قلت وكذا الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه كلهم من رواية عبد الرحمن بن الاسود ان أبى بن كعب أخبره بلفظ ان من الشعر حكمة وأخرجه أبو القاسم الحسين بن محمد بن ابراهيم الحنائى فى جزء له من طريق هشام بن عروة عن جده عن أبيه الزبير رفعه وذكره الدارقطنى فى العلل فقال يرويه شيخ يعرف بعبد الملك بن محمد البلخى عن أبى برة عن هشام قال ووهم فيه ورواه الشافعى مرسلا عن عبد الرحمن بن الاسود بن عبد يغوث ورواه الترمذى وأبو يعلى من رواية عاصم عن أبى النجود عن زر عن ابن مسعود وقال الترمذى غريب من هذا الوجه انما رفعه أبو سعيد الاشج عن ابن عيينة وروى غيره عنه موقوفا رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه من رواية سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ ان من البيان سحرا وان من الشعر حكما قال الترمذى حسن صحيح وفى أوله قصة عند أبى داود ورواه ابن حبان فى صحيحه بلفظ حكمة وفى الباب عن بريدة وعبد الله بن عمرو وابن عمر وأبى بكرة وأبى موسى وعائشة وأنس وعمرو بن عوف (ولو حوى المجلس الخواص) من عباد الله العارفين المستكملين (الذين وقع الاطلاع) والاتفاق (على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى) أى امتلائها به (ولم يكن معهم) هناك (غيرهم) من الاجانب (فاذذاك) وفى نسخة فان أولئك (لايضر معهم الشعر الذى يشير ظاهره الى الخلق) بذكر الاوصاف المناسبة لهم من جمال ووصال وفراق (فان المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى على قلبه) بحسب المقامات فالالفاظ هى هى والمعانى مختلفة وكل اناء بالذى فيه يرشح (ولذلك كان) أبو القاسم (الجنيد) فى القوت وقال بعض الشيوخ كان الجنيد رحمه الله (يتكلم على بضعة عشر) ونص القوت على بضع عشرة (رجلا فان كثروا لم يتكلم) قال (وما تم أهل مجلسه قط عشرين) رجلا قال وكان أبو محمد سهل رحمه الله يجلس الى الخمسة أوستة الى العشرة (وحضر جماعة دار) أبى الحسن محمد (ابن سالم) البصرى أحد مشايخ أبى طالب المكى (فقيل له تكلم فقد حضر أصحابك) قال فى القوت وقد حدثت عن أبى الحسن بن سالم شيخنا رحمه الله ان قوما اجتمعوا فى مسجده فأرسلوا اليه بعضهم ان اخوانك قد حضروا ويحبون لقاءك والاستماع منك فان رأيت أن تخرج اليهم فعلت وكان المسجد على باب بيته ولم يكن يدخل عليه فى منزله فقال

وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق بالتواصف فى العشق وجمال المعشوق وروح الوصال وألم الفراق والمجلس لايحوى الا أجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور المليحة فلا تحرك الاشعار من قلوبهم الا ماهو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون وأكثر ذلك أوكله يرجع الى نوع فساد فلا ينبغى أن يستعمل من الشعر الا مافيه موعظة أو حكمة على سبيل استشهاد واستئناس وقد قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم فان أولئك لايضر معهم الشعر الذى يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولى على قلبه كما سيأتى تحقيق ذلك فى كتاب السماع ولذلك كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلا فان كثروا لم يتكلم وما تم أهل مجلسه قط عشرين وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقيل له تكلم فقد حضر أصحابك

للرسول بعدان خرج اليه من هم فقال فلان وفلان وسماهم (فقال ماهؤلاء أصحابي) ونص القوت ليس هؤلاء من أصحابي (انما هم أصحاب المجلس ان أصحابي هم الخواص) ونص القوت هؤلاء أصحاب المجلس ولم يخرج كأنه رآهم عموما لا يصلحون لتخصيص علمه فلم يذهب وقته بوقتهم وكذلك العالم وقته أعز عليه فان وافق خصوص اخوانه آثرهم على نفسه فكان ذلك مزيدا وان لم يوافق لهم لم يؤثر على خلوته و وقته غيره فيكون مناخا للطالبين وقد كان أبو الحسن رحمه الله يخرج لاخوانه ممن يراه أهلا لمكان علمه فيجلس اليهم و يذاكرهم وربما أدخلهم اليه نهارا أو ليلا ولعمري ان المذاكرة تكون بين النظراء والمحادثة مع الاخوان والجلوس للعلم يكون للاصحاب والجواب عن المسائل نصيب العموم وكان عند أهل هذا العلم ان علمهم مخصوص لا يصلح الا للمخصوص والخصوص قليل فلم يكونوا ينطقون به الا عند أهله و يرون ان ذلك من حقه وانه واجب عليه هذا كله كلام صاحب القوت (وأما الشطح) وهو عند أهل الحقيقة كلام يعبر عنه اللسان مقرون بالدعوى ولا يرتضيه أهل الطريقة من قائله وان كان محقا (فنعني به صنفين من الكلام) الذي (أحدثه بعض الصوفية) أي الغلاة منهم (أحدهما الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال) به (المغني عن الاعمال الظاهرة) المكلف بها (حتى ينتهي قوم) منهم (الى دعوى) الحلول و(الاتحاد) مع الله تعالى وهو كفر صريح وضلال مبين ولم يقل به أحد من المعتبرين وحاشاهم من ذلك بل مازال المعتبرون من الصوفية ينبهون على تضليل من قال به وتكفيره و يحذرون منه منهم المصنف كما سيأتي له في باب السماع ومنهم الحافظ أبو نعيم الاصبهاني في أول الحلية والقاضي تاج الدين البيضاوي في تفسير سورة المائدة والقاضي عياض في الشفاء وقال العز بن جماعة في شرح الكوكب الوقاد يجب أن ينزه الله تعالى عن الحلول خلافا للنصارى و بعض الصوفية جل الله وتعالى عن قولهم علوا كبيرا (و) من دعاويهم (ارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب) قال الجنيد المشاهدة اقامة الربوبية بازاء العبودية مع فقدان الكل دونه قال وهي على ثلاث طبقات مشاهدة بالحق وهي نظر الموجودات بوجوه الاستدلالات على وحدانية الذات ومشاهدة للحق وهي نظر الحق في قيام المصنوعات وتمام المبدعات وصيانتها عن الآفات ومشاهدة الحق وهي نظره قبل الاشياء ورؤيته سابقا على الاشياء وهي رؤية خالية عن الكيف عارية عن الوصف عالية عن الكشف وقال سهل بن عبد الله المشاهدة التبري عما سواه فهذه أقوال الاكابر الصوفية دالة على فساد دعاويهم (فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا و يتشبهون فيه بالحسين بن منصور) بن أبي بكر بن عمر بن عبد الله بن الليث بن أبي بكر بن أبي صالح الشامي بن عبد الله بن أبي أيوب الانصاري ابن مغيث وأبي عبد الله (الحلاج) صحب الجنيد والنوري وغيرهما من الطبقة وانما لقب بالحلاج لانه سأل قطانا حاجته فاعتذر بشغله فقال أنا أحلج عنك فلما عاد وجد قطنه كله محلوجا وقيل لانه كان حلاج الاسرار يعني يظهرها ومن ولده بالبيضاء من أعمال فارس الشهاب أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الصمد بن الحسين عرب يعرب وهم بيت رياسة وجلالة ومنهم بقية الى الآن واختلف الناس في شأن الحلاج فأفتى كثير من العلماء باباحة دمه وتوقف آخرون ولما استفتي أبو العباس بن سريج عنه وكان من أقرانه قال هذا رجل خفي على حاله فلا أقول فيه شيأ كأنه لم يثبت عنده انه ما قال تلك المقالة في صحو قتل يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٣٠٩ وكان آخر قوله حب الواحد افراد الواحد له (الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس و يستشهدون بقوله أنا الحق) وقد اعتذر عنه المشايخ بجواز أن يكون ذلك صدر منه في حال سكر وغيبة وان الله رفع التكليف عمن غاب عقله فلا يؤاخذ بذلك ولا يحل الوقيعة فيه بسبب ذلك وانما الانكار على من يتلقى ذلك الكلام على ظاهره و يعتقده و يعتمده فهذا

وخصصت به من الذخائر والفوائد مما لو سطر لكان فيه أوقار الجمال فافهم وانتبه واعقل ما خلقت له واعرف ما أعد لك والله تعالى سبحانه حسيب من أراده وهادي من جاهد في سبيله وكفى من توكل عليه وهو الغني الكريم انتهى الجواب عما سألت عنه وفرغنا منه بحسب الوسع من الكلام ونسأل الله تعالى المباعد بين حيلات قلوب البشر ان يصرف عنا حجب الكدورات والاهواء ومن اتب الغين فبيده مجاري المقدورات وهو الله من ظهر وغبر

فقال لاما هؤلاء أصحابي انما هم أصحاب المجلس ان أصحابي هم الخواص * وأما الشطح فنعني به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية (أحدهما) الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا و يتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس و يستشهدون بقوله أنا الحق

ينكر عليه أشد النكير قال السيوطي وهكذا الحال في كلام كثير ممن نسب الى السداد والاستقامة مايشعر بذلك فان حسن الظن بآحاد المسلمين واجب فضلا عمن تواترت الالسنة بالشهادة له بالولاية فان ثناء الناس بذلك شاهد صدق كما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوأ وأنت تجد لها في الخير محملا اه (و) من ذلك (مايحكون) وفي نسخة وبما يحكون (عن) القطب (أبي يزيد) طيفور بن عيسى بن سروشان (البسطامي) قال القشيري في الرسالة وكان جده مجوسيا أسلم وكانوا ثلاثة اخوة آدم وطيفور وعلي وكلهم كانوا زهادا عبادا وأبو يزيد كان أجلهم قيل مات سنة احدى وستين وقيل أربع وستين ومائتين اه (انه قال سبحاني سبحاني) وسيأتي الجواب عنه قريبا (وهذا فن من الكلام) أي ضرب منه (عظم ضرره في العوام) وتحيرت الافهام (حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة) أي الزراعة (فلاحتهم) وكذا أهل الصناعة صناعتهم (وأظهروا مثل هذه الدعاوى) تقليدا وتشبيها (فان هذا الكلام يستلذه الطبع) ويجد له راحة (اذ فيه البطالة من الاعمال) والاتكال على الاقوال (مع تزكية النفس) ونسبتها الى الطهارة (بدرك المقامات) العلية (والاحوال) السنية التي لا يحصلها السالك الا بعد رياضات ومجاهدات (ولا يعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم) من غير مجاهدة سبقت لهم ولا فازوا بشهود مقامه (ولا عن تلقف كلمات مختلفة المعنى) وفي نسخة مخبطة (مزخرفة) الظاهر (ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا أن يقولوا ان هذا انكار) على أهل الحقيقة (مصدره) أي منشؤه (العلم) الظاهر (والجدل و) ان (العلم حجاب) عن معرفة مثل هذا (والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق) قال القطب القسطلاني في كتابه اقتداء الفاضل باقتداء العاقل أما قولهم العلم حجاب الله وان طلبه من أعظم الحجاب فهي كلمة حق أريد بها باطل وصفة نقص تحلى بها من هو عن الكمال عاطل وانما ذكر أهل الطريق ذلك في قوم من صفتهم انهم حصلوا ماتميزوا به عند أهل هذا الشان من علمي الشريعة والحقيقة فنوحوا من الغيب بما يشهد لهم بنجاتهم فهم بالله مع الله معرضون عن ملاحظة صفاتهم فمن كان كذلك فانه مشغول بما هو فيه عن النظر في العلم وأما من هو عري عن علم الظاهر والباطن فحقه أن يعلم مايحتاج اليه في الطريق التي يسلكها فان أبى واستكبر فانه بعيد عن الوصول الى منهج السعادة اه (فهذا ونحوه) وفي نسخة وفنه (مما قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم ضرره) فليتنبه الفطن لذلك (ومن تكلم) وفي نسخة ومن نطق (بشيء منه فقتله أفضل في دين الله من احياء عشرة) لما في ابقاء مثله من لحوق الضرر العظيم والفساد العميم للامة المحمدية (وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه مايحكى) لجواز أن يكون مدسوسا عليه امامن عدو حاسد مريد شينه بذلك وتنقيصه كما وقع كثيرا للعلماء وامامن زائغ ملحد أراد ترويج أمره ونصرة معتقده فدس هذا الكلام ليأخذه الناس بالقبول لاحسانهم الظن بهؤلاء الاخيار قال السيوطي وقد أخبرني بعض القضاة ممن أثق به ان الشيخ عبد الكبير الحضرمي أحد السادة الكبار وقد اجتمعت أنا به بمكة المشرفة في مرض موته سئل عن بيت من كلام ابن الفارض وهو قوله

واذا سألتك أن أراك حقيقة * فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى

فقال ليس هذا من كلامه فان ابن الفارض عارف والعارف لا يقول مثل هذا (وان سمع ذلك منه) وصح عزوه اليه من طريق صحيح (فلعله كان يحكيه عن الله تعالى في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني فانه كان ينبغي أن لا يفهم ذلك منه الا على سبيل الحكاية) قال السهروردي في عوارف المعارف في ذكر من انتمى الى الصوفية وليس منهم مانصه ومن

وبما حكي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا تعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن ان يقولوا هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله مما قد استطار في البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء منه فقتله أفضل في دين الله من احياء عشرة وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه مايحكى وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني فانه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك الا على سبيل الحكاية

جملة أولئك قوم يقولون بالحلول والاتحاد ويزعمون أن الله تعالى فى الاجسام ويسبق الى مفهومهم قول النصارى فى اللاهوت والناسوت ومنهم من يستبيح النظر الى المستحسنات اشارة الى هذا الوهم ويتخايل له ان من قال كلمات فى بعض غلباته كان مضمرا لشئ مما زعموه مثل قول الحلاج أنا الحق وما يحكى عن أبي يزيد من قوله سبحانى وحاشى الله أن يعتقد فى أبي يزيد انه يقول ذلك الا على معنى الحكاية عن الله تعالى وهكذا ينبغي أن يعتقد فى الحلاج قول ذلك ولو علمنا انه ذكر هذا القول مضمرا لشئ من الحلول رددناه كما نردهم وقد أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشريعة بيضاء نقية يستقيم بها كل معوج وقد دلتنا عقولنا على ما يجوز وصف الله تعالى به وما لا يجوز والله تعالى منزه أن يحل به شئ أو يحل بشئ حتى لعل بعض المفتونين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية ويكون قد سمع كلمات تعلقت بباطنه فيتألف له فى فكره كلمات ينسبها الى الله تعالى وانها مكالمة الله تعالى اياه مثل أن يقول قال لى وقلت له وهذا اما رجل جاهل بنفسه وحديثها جاهل بربه وبكيفية المكالمة والمحادثة واما عالم ببطلان ما يقول يحمله هواه على الدعوى بذلك ليوهم انه ظفر بشئ وكل هذا ضلال ويكون سبب تجريه على هذا ما سمع من كلام بعض المحققين من مخاطبات وردت عليهم بعد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة وتمسكهم بأصول القوم من صدق التقوى وكمال الزهد فى الدنيا فلما صفت أسرارهم تشكلت فى سرائرهم مخاطبات موافقة للكتاب والسنة نزلت بهم تلك المخاطبات عند استغراق السرائر ولا يكون ذلك كلاما يسمعونه بل كحديث فى النفس يجدونه ويرونه موافقا للكتاب والسنة مفهوما عند أهله موافقا للعلم ويكون ذلك مناجاة لسرائرهم اياه فيثبتون لنفوسهم مقام العبودية ولمولاهم الربوبية فيضيفون ما يجدونه الى نفوسهم والى مولاهم وهم مع ذلك عالمون بان ذلك ليس كلام الله تعالى وانما هو علم حادث أحدثه الله تعالى فى بواطنهم فطريق الاصحاء فى ذلك الفرار الى الله تعالى من كل ما تحدث نفوسهم به حتى اذا برئت ساحتهم من الهوى وألهموا فى بواطنهم شيأ ينسبونه الى الله تعالى نسبة الحادثات الى المحدث لا نسبة الكلام الى المتكلم ليصانوا عن الزيغ والتحريف اه وقال السيوطى فى تأييد الحقيقة العلية وأما التأويل فبأمور ثم قال الثالث أن يكون ما وقع فى ألفاظهم مضافا الى أنفسهم وهو مما يضاف الى الله تعالى لم يقصدوا به حكاية عن أنفسهم وانما أوردوه موردا الحكاية عن الله فان الكلام ينقسم الى ما يحكيه المتكلم عن نفسه والى ما يحكيه عن غيره وان لم يصرح بالاضافة اليه كحديث البخارى عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما لعبدى المؤمن عندى جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة فهذا انما قاله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه وان لم يصرح به وقال تعالى وما منا الا له مقام معلوم فهذا على لسان الملائكة وقال وما نتنزل الا بأمر ربك فهذا على لسان جبريل وهذا نوع لطيف حررت الكلام فيه فى الاتقان وأما حسن الظن وعدم الوقيعة فذلك هو الذى دلت عليه الآيات والاحاديث والآثار ونصوص العلماء ولان يخطئ الانسان فى عدم السب خير من أن يخطئ فى السب وفى الحديث لان يخطئ الانسان فى العفو خير من أن يخطئ فى العقوبة والمقصد الشرعى من التحذير حاصل بالتنفير من ذلك الكلام من غير وقيعة فيمن نسب اليه وقد قال بعض الائمة لو عاش الانسان عمره كله لم يلعن ابليس فلا يسأله الله عن ذلك وقال السبكى فى فتاويه اعلم انا نستصعب القول بالتكفير لانه يحتاج الى تحرير المعتقد وهو صعب من جهة الاطلاع على ما فى القلب وتخليصه عما يشبهه وتحريره ويكاد الشخص يصعب عليه تحرير اعتقاد نفسه فضلا عن غيره واعتراف الشخص به هيهات أن يحصل وأما البينة فى ذلك فصعب قبولها لانها تحتاج الى ما قدمناه اه (الصنف الثانى من الشطح تلفيق (كلمات غير مفهومة) معانيها (لها ظواهر رائقة) معجبة (وفيها عبارات هائلة) عظيمة تهول سامعها (وليس وراءها طائل) فائدة يستفاد منها (وذلك) لا يخلو من حالين (اما أن تكون غير مفهومة

عند

والیه یرجع من آمن وكفر ومجازى الخلائق بنعيم أو سقر والصلاة على سيدنا محمد سيد البشر وكافى الضرر وعلى آله السادات الغرر وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين

(تم كتاب الاملا فى مشكلات الاحياء)

(الصنف الثانى) من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك اما أن تكون غير مفهومة

عند قائلها بل مصدرها) أى منشؤها (عن خلط فى عقله) وجهل فى مقامه (وتشويش) أى تخليط (فى خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه) وهذا هو الجهل بنفسه وحديثها والجهل بربه كما تقدم فى كلام السهروردى (وهذا هو الاكثر) من أحوالهم وان علم من نفسه جهله بتلك الكلمات وانما حمله على ذلك هواه ليوهم انه ظفر بشئ فالمصيبة أعظم (واما أن تكون) تلك الكلمات (مفهومة له) محققا بمعانيها (ولكنه لا يقدر على تفهيمها) لغيره (ولا) على (ايرادها) والقائها (بعبارة) سهلة (تدل على ضميره) وفحواه وذلك (لقلة ممارسته العلم) ومعاناته فيه (وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى الدقيقة (بالالفاظ) لرائقة (الرشيقة) فان العبارة عن المعانى المدركة بالوجدان على ماهى عليه عسيرة جدا ألا ترى أن الشخص لو أراد أن يصف لذة الجماع لمن لم يباشره بعبارة توصل ذلك الى فهمه على حقيقته لم يستطع ذلك أبدا وسيأتى للمصنف فى الفناء قال ان العلماء به قصرت عباراتهم عن ايضاحه وبيانه بعبارة مفهمة موصلة للغرض الى الافهام وكما قال ابن عباد فى مراتب الشهود ان التفرقة بين حقائقها على ماهى تعسر العبارة عنه وانه زلت بسبب ذلك أقدام كثير من الناس وقال صاحب التعرف مشاهدات القلوب ومشاهدات الاسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق بل تعلم بالمنازلات والمواجيد ولا يعرفها الا من نازل تلك الاحوال اه (و) لكن (لا فائدة لهذا الجنس من الكلام) لما يترتب عليه من الزيغ لكثيرين وهذا فى حد ذاته لا بأس به فى الجملة (الا انه يشوش القلب ويدهش العقول ويحير الاذهان ويحمل) الانسان (على أن يفهم منها معانى) بتأويلات (ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد) منها (على مقتضى هواه وطبعه) وهذا كذلك يتسبب لضرر عظيم كيف لا (وقد قال صلى الله عليه وسلم ماحدث أحدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم) قال العراقى أخرجه العقيلى فى الضعفاء وابن السنى وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم فى مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود نحوه وقال فى التخريج الكبير رواه أبو نعيم فى رياضة المتعلمين من رواية عبد الرحمن بن ثابت ابن ثوبان عن عثمان بن داود عن عكرمة عن ابن عباس رفعه بلفظ ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان على بعضهم فتنة وقد اختلف فيه عن ابن ثوبان فقال ابن السنى فى رياضة المتعلمين والعقيلى فى تاريخ الضعفاء من طريق ابن ثوبان قال حدثنى عثمان بن داود عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال قالوا يارسول الله مانسمع منك نحدث به كله قال نعم الا أن تحدث قوما لا تضبطه عقولهم فتكون على بعضهم فتنة قال ورواه ابن السنى أيضا فى الكتاب المذكور من رواية عباد بن كثير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رفعته من حدث بحديث لا يعلم تفسيره لاهو ولا الذى حدثه فانما هو فتنة عليه وعلى الذى حدثه ثم قال وانما يصح هذا الحديث موقوفا على ابن مسعود كما رواه مسلم فى مقدمة صحيحه من رواية عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ان عبد الله بن مسعود قال فساقه كسياق حديث ابن عباس بعينه (وقال صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله) قال العراقى أخرجه البخارى موقوفا على على وهو الصواب بلفظ حدثوا الناس والباقى سواء وهكذا رواه البيهقى فى المدخل بتقديم أتريدون على حدثوا ورفعه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم وسيأتى فى آخر الباب الخامس من حديث ابن عمر موقوفا أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم أى قدر ما تحتمله عقولهم وهو شاهد جيد وسيأتى الكلام عليه هنالك اه وقد ورد ما يقاربه من حديث المقدام مرفوعا رواه البيهقى فى المدخل بلفظ اذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يغرب عنهم ويشق عليهم وعند ابن عدى فى الكامل بما يفزعهم (وهذا فيما يفهمه صاحبه) ولا يقدر أن يعبره بلسانه لقصوره فى التعبير (ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فان كان يفهمه القائل دون السامع فلا يحل ذكره وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا

عند قائلها بل مصدرها عن خبط فى عقله وتشويش فى خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعانى بالالفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الاذهان أو يحمل على أن يفهم منها معانى ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه وقد قال صلى الله عليه وسلم ماحدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه الا كان فتنة عليهم وقال صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فان كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا

تمنعوها اهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق) الذى (يضع الدواء فى موضع الداء) هكذا أخرجه صاحب القوت قال (وفى لفظ آخر من وضع الحكمة فى غير أهلها جهل ومن منعها أهلها ظلم ان للحكمة حقاوان لها أهلا فاعط لكل ذى حق حقه) وفى الحلية من طريق سفيان بن عيينة قال عيسى عليه السلام ان للحكمة أهلا فان وضعتها فى غير أهلها ضيعت وان منعتها من أهلها ضيعت كن كالطبيب يضع الدواء حيث ينبغى اه وفى معنى ذلك روى عن سفيان الثورى انه سئل عن العالم من هو قال من يضع العلم موضعه ويؤتى كل شئ حقه قال صاحب القوت وقال بعض العارفين من كلم الناس مبلغ علمه وبمقدار عقله ولم يخاطبهم بقدر حدودهم فقد بخسهم حقهم ولم يقم بحق الله تعالى فيهم وحدثنى بعض أشياخنا من هذه الطائفة عن أبى عمران وهو المزين الكبير المكى قال سمعته يقول لابى بكر الكتانى وكان سمحا بهذا العلم بذولا له لجميع الفقراء فجعل أبو عمران يعاتبه وينهاه عن بذله وكثرة كلامه فيه الى أن قال أنا منذ عشرين سنة اسأل الله عز وجل أن ينسينى هذا العلم قال ولم قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فسمعته يقول ان لكل شئ عند الله حرمة ومن أعظم الاشياء حرمة الحكمة فمن وضعها فى غير أهلها طالبه الله تعالى بحقها ومن طالبه خاصمه وأورد أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة محمد بن كعب القرظى بسنده اليه قال حدثنا ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان عيسى بن مريم قام فى بنى اسرائيل فقال يابنى اسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم (وأما الطامات) جمع طامة وهى المصيبة التى تطم على غيرها أى تزيد (فيدخلها ماذكرناه فى الشطح) أوّلا (و) يدخلها (أمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع) الظاهرة (عن ظواهرها المفهومة) ومعانيها وفى نسخة عن ظواهر المفهوم (الى أمور باطنة لايسبق منها الى الافهام فائدة) وفى نسخة شئ يوثق به (كدأب الطائفة (الباطنية) وهم جماعة من الملاحدة نسبوا أنفسهم الى علم الباطن وحرفوا الالفاظ الى معان أخر غير مفهومة الا لهم بادعائهم فى ذلك (فى التأويلات) البعيدة (وهو أيضا حرام) فى الشرع (وضرره عظيم) على الامة (فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه) وتمسك (بنقل) صحيح (عن صاحب الشرع) صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه الذين شاهدوه رضى الله عنهم (و) كذلك اذا صرفت (من غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وسقط به منفعة كلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم) وقد تعبدنا الله سبحانه بالعمل بمفهوم ظاهر الالفاظ (فان ماسبق منه الى الفهم لا يوثق به) ان خرج عن جادة الشريعة (والباطن لاضبط له) ولا معوّل عليه فيما يخالف ظاهر الشرع (بل تتعارض فيه الخواطر) والهواجس (ويمكن تنزيله على وجوه شتى) بحسب اختلاف ما يطرأ عليها (وهذا أيضا من البدع) المنكرة (الشائعة) فى البلاد (العظيم ضررها) وفسادها على الامة (وانما قصد أصحابها الاغراب) الاتيان بشئ غريب (فان النفوس) على جبلتها (مائلة الى) الامر (الغريب) أى المستغرب الذى ما عهدته (ومستلذة له) أى واجدة به اللذة (وبهذا الطريق) وفى نسخة وهذا الطريق (توصل الباطنية) أولئك الطائفة (الى هدم) أركان (جميع الشريعة بتأويل ظواهرها) عن معانيها (وتنزيلها) على معان أخر (على رأيهم) الفاسد (كما حكيناه عن مذهبهم فى كتاب المستظهرى المصنف فى الرد على) دعاوى (الباطنية) ألفه باسم المستظهر بالله أبى العباس أحمد بن المقتدر بالله أبى القاسم عبد الله العباسى الثانى والعشرين من الخلفاء توفى سنة ٥١٣ وله كتاب آخر فى الرد عليهم سماه مواهم الباطنية قد تقدم ذكرهما فى أول هذا الكتاب ولما ألف السيوطى كتابه المتوكلى استغرب الناس هذا الاسم فاستشهد بان القدماء من العلماء قد وقع لهم مثل ذلك منهم الامام الغزالى ألف باسم الخليفة كتابا وسماه المستظهرى (ومثال

تمنعوها أهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء وفى لفظ آخر من وضع الحكمة فى غير أهلها فقد جهل ومن منعها أهلها فقد ظلم ان للحكمة حقا وان لها أهلا فاعط كل ذى حق حقه * وأما الطامات فيدخلها ماذكرناه فى الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى أمور باطنة لايسبق منها الى الافهام فائدة كدأب الباطنية فى التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ماسبق منه الى الفهم لايوثق به والباطن لاضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر وانما قصد أصحابها الاغراب لان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذاهبهم فى كتاب المستظهرى المصنف فى الرد على الباطنية ومثال

تأويل أهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى انه أشار الى قلبه) أى نفسه الامارة بالسوء (وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل انسان) وهذا القول قد نقل عن القاشانى الذى ملأ تفسيره بامثال هذه الطامات وقد طالعته كله فقضيت منه عجبا (و) قالوا (فى قوله تعالى الق عصاك أى كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله تعالى فينبغى أن يلقيه) عنه وكذا فى قوله تعالى اخلع نعليك أى نفسك كل ذلك مما نقله القاشانى فى تأويلاته والمبتدع ليس له قصد الا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد بحيث انه لو لاح له اشارة شاردة من بعيد اقتنصها أو وجد موضعا له فيه أدنى مجال سارع اليه والملحد فلا تسأل عن الحاده فى آيات الله تعالى وافترائه على الله تعالى مالم يقله كقول بعضهم انهى الا فتنتك ما على العباد أضر من ربهم تعالى الله علوا كبيرا ومن ذلك فى قوله تعالى ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به انه الحب والعشق ومن ذلك قولهم فى قوله ومن شر غاسق اذا وقب انه الذكر اذا قام وقولهم فى من ذا الذى يشفع عنده معناه من ذل أى من الذل ذى اشارة الى النفس يشف من الشفاء جواب وع أمر من وعى وسئل البلقينى عمن فسر بهذا فأفتى بأنه ملحد ثم ان التفسير هو كشف المراد عن اللفظ المشكل والتأويل رد أحد المحتملين أى ما يطابق الظاهر وقيل التفسير شرح ما جاء مجملا من القصص فى الكتاب الكريم وتعريف ما تدل عليه ألفاظه الغريبة وتبيين الامور التى أنزلت بسببها الآى والتأويل هو تبيين معنى المتشابه والمتشابه مالم يقطع بفحواه من تردد فيه وهو النص وأما تفسير الغاسق بالذكر ووقوبه بقيامه فقد نقله صاحب القاموس عن ابن عباس وجماعة من المفسرين وهو غريب وذكر فى وقب نقله عن الغزالى والنقاش وجماعة كلهم عن ابن عباس وقال ابن الصلاح فى فتاويه وجدت عن الامام الواحدى انه قال صنف السلمى حقائق التفسير ان كان قد اعتقد ان ذلك تفسير فقد كفر وقال النسفى فى عقائده النصوص تحمل على ظواهرها والعدول عنها الى معان يدعيها أهل الباطن الحاد وقال السعد فى شرحه سميت الملاحدة باطنية لادعائهم ان النصوص ليست على ظواهرها بل لها معان باطنة قال وأما ما يذهب اليه بعض المحققين من ان النصوص على ظواهرها ومع ذلك منها اشارات خفية الى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال العرفان ومحض الايمان وقال ابن عطاء الله فى لطائف المنن اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم بالمعانى الغريبة ليست احالة الظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه فى عرف اللسان وثم افهام باطنة يفهم منه الآية والحديث من فتح الله عن قلبه وقد جاء فى الحديث لكل آية ظهر وبطن فلا يصدنك عن تلقى هذه المعانى منهم أن يقول لك ذو جدل هذا احالة لكلام الله تعالى وكلام رسوله فليس ذلك باحالة وانما يكون احالة لو قال لا معنى للآية الا هذا وهم لا يقولون ذلك بل يفسرون الظواهر على ظاهرها مرادا بها موضوعاتها اهـ (و) قالوا (فى قوله صلى الله عليه وسلم تسحروا فان فى السحور بركة) قال العراقى متفق عليه من حديث أنس اهـ قلت هو من رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس وأخرجه هكذا الامام أحمد فى مسنده ومسلم أيضا والترمذى والنسائى وابن ماجه كلهم من رواية قتادة عن أنس وانفرد النسائى باخراجه عن أبى هريرة وعن ابن مسعود والامام أحمد عن أبى سعيد أما حديث أبى هريرة فرواه من رواية عبد الملك بن أبى سليمان وابن أبى ليلى فرقهما كلاهما عن عطاء عنه ومن رواية يحيى بن سعيد عن أبى سلمة وقال اسناده حسن وأما حديث ابن مسعود فرواه عن زرعة ورواه أيضا موقوفا على ابن مسعود وحكى المزى عنه فى الاطراف ان الموقوف أولى بالصواب وأما حديث أبى سعيد فرواه أحمد والطبرانى فى الاوسط من رواية ابن أبى ليلى عن عطية عنه وروى أحمد أيضا من رواية يحيى بن أبى كثير عن أبى رفاعة عن رفاعة عنه

تأويل أهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى انه اشارة الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل انسان وفى قوله تعالى وأن ألق عصاك أى كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فينبغى أن يلقيه وفى قوله صلى الله عليه وسلم تسحروا فان فى السحور بركة

بلفظ السحور بركة فلا تدعوه ولو ان يجرع أحدكم بجرعة من ماء وفى الباب عن جابر وابن عباس وعرباض أما حديث جابر فرواه ابن عدى فى الكامل من رواية محمد بن عبيد الله العزرمى عن ابن المنكدر عنه والعزرمى ضعيف وأخرجه أئمة السنن الاربعة والبخارى فى الادب من حديث أنس تسحروا ولو بجرعة من ماء وأخرجه ابن عساكر عن عبد الله بن سراقة تسحروا ولو بالماء وأخرج ابن عدى فى الكامل عن على تسحروا ولو بشربة من ماء وافطروا ولو على شربة من ماء وأخرج الطبرانى فى الكبير من حديث أبى الوليد عقبة بن عبد السلمى وأبى الدرداء تسحروا من آخر الليل هذا الغذاء المبارك (أراد به الاستغفار بالاسحار) وهو مردود بما ذكرناه فى الاحاديث ولو بجرعة من ماء ولا ينطبق المعنى (وأمثال ذلك) كقولهم فى حديث الايمان والاحسان فان لم تكن تراه أى ان أفنيت نفسك تشرفت بالرؤية مع مخالفته للقواعد العربية (حتى حرفوا القرآن من أوّله الى آخره عن ظاهره) كما هو مشاهد فى تأويلات القاشانى وغيره (وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء) أما تفسير ابن عباس فهو مختصر فى مجلد ممزوج ومن أصحابه مجاهد بن جبر المكى الذى قال عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة واعتمد على تفسيره الشافعى والبخارى ومن أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير عكرمة مولاه وطاوس وابن كيسان وعطاء بن أبى رباح ومن هذه الطبقة أصحاب ابن مسعود وهم علماء الكوفة وغيرهم (وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب) أو النفس (فان فرعون شخص محسوس) وهو الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبى شمس بن هلوان بن ليث بن قاران من بنى لاود بن سام بن نوح عليه السلام (تواتر الينا وجوده ودعوة) نبى الله (موسى) ابن عمران (عليه السلام له كأبى لهب) عبد العزى بن عبد المطلب كنى به لجماله أولماله (وأبى جهل) عمرو بن هشام كنى به لطغيانه وعتوه وجهله (وغيرهما من الكفار وليس) فرعون (من جنس الشياطين والملائكة ومالم يدرك بالحس حتى يتطرق الى ألفاظها) وفى نسخة ألفاظه ولذلك شنع على الشيخ الاكبر محيى الدين بن عربى قدس سره ما ينسب اليه فى كتابه الفصوص فى الفص الموسوى القول باسلام فرعون على الاطلاق وبالغوا فى النكير عليه حتى زلت أقدام جماعة من فحول العلماء فألفوا رسائل فى اثبات الايمان له كالجلال الدوانى وغيره نظرا الى ظاهر قوله مع ان الشيخ رحمه الله لم يقصد بذلك معارضة القرآن ولا ما أجمع عليه أهل الايمان مع الاجماع على صحة عقيدته التى ساقها فى أوّل كتابه الفتوحات وانما مراده اسلام فرعون النفس بدليل ماذكر فى الباب الثانى والستين من فتوحاته عند قوله وقسم آخر أبقاهم الله فى النار وهذا القسم هم أهل النار لايخرجون منها فذكر منهم فرعون وأمثاله ممن ادعى الربوبية لنفسه ونفاها عن الله تعالى وحكى الله عنه فى القرآن وقد أشار الى كفره فى كتابه عنقاء مغرب وفى شرح ترجمان الاشواق وفى تاج التراجم وقال فى كتاب الاسفار له مشيرا لذلك فان اله الخلق ربى قد قضى بموت عدوّ الدين فى غمة البحر فكل ذلك يدل انه انما أراد بفرعون النفس وأبقى الآيات على ظاهرها ولم يحلها الى ما يخالفها وقد نبه على ذلك الشيخ كريم الدين الخلوتى نفعنا به فى رسالة سماها البرهان القدسى (وكذلك حمل) لفظ (التسحر على الاستغفار فانه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام) مع أصحابه فى ذلك الوقت كما روى البخارى من حديث أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت تسحرا زاد ابن عاصم فى كتاب الصوم فأكلا تمرا وشربا ماء (و) كان (يقول تسحروا) فان فى السحور بركة وتقدم مثله من حديث أنس وابن مسعود وأبى هريرة وجابر وورد فيه أيضا عن على وابن عمرو وأبى سعيد وأبى امامة وعتبة بن عبد وأبى الدرداء وميسرة الفجر ٧

(و) كان يقول (هلموا الى الغذاء المبارك) يعنى السحور قال العراقى أخرجه أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث العرباض بن سارية وضعفه ابن القطان اهـ أى لضعف رواية الحرث بن زياد

أراد به الاستغفار فى الاسحار وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من أوّله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كأبى جهل وأبى لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل الى ألفاظه وكذلك حمل السحور على الاستغفار فانه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول تسحروا وهلموا الى الغذاء المبارك

عن أبي رهم عن العرباض وقال ابن عبد البر هو مجهول ولكن ذكره ابن حبان في الثقات وقوله يعني السحور كأنه مدرج من الراوي أخرجه كذلك الامام أحمد وابن حبان من حديث العرباض وفي الباب عن المقدام بن معدي كرب وعتبة بن عبد وأبي الدرداء وعائشة وعمر بن الخطاب ومعنى المبارك أي الكثير الخير لما يحصل بسببه من قوة وقدرة على الصوم (فهذه أمور تدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلا وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في أمور لا يتعلق بها الاحساس وذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق و) قد زلت أقدام كثيرين في ذلك فينبغي عدم الالتفات الى ما قالوا لانه (لم ينقل شئ من ذلك) عن صاحب الشرع ولا (عن الصحابة ولا عن التابعين) مع سعة رواياتهم وكثرة تلقيهم (ولا عن) سيد التابعين (الحسن) ابن يسار (البصري مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم) قال صاحب القوت مازال يبغي الحكمة أربعين سنة حتى نطق بها وقد لقي سبعين بدريا ورأى ثلاثمائة صحابي وكان كلامه يشبه بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أول من أنهج سبيل هذا العلم وفتق الالسنة به ونطق بمعانيه وأظهر أنواره وكشف قناعه وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من اخوانه (ولا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) قال العراقي أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند أبي داود في رواية ابن العبد وعند النسائي في الكبير اه قلت أخرجه الترمذي وصححه وابن الانباري في المصاحف والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب كلهم من رواية عبد الاعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بلفظ من قال في القرآن بغير علم بدل قوله برأيه وأخرجه أبو داود والترمذي وقال غريب والنسائي في الكبير وابن جرير والبغوي وابن الانباري وابن عدي والطبراني والبيهقي كلهم من رواية سهيل بن أبي حزم القطعي عن ابن عمران الجوني عن جندب بن عبد الله من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ وفي رواية للترمذي وغيره من قال في كتاب الله وفي رواية من تكلم في القرآن وفي الباب عن ابن عمرو وجابر وأبي هريرة فحديث ابن عمر لفظه من فسر القرآن برأيه فأصاب كتبت عليه خطيئة لو قسمت بين العباد لوسعتهم ولفظ حديث جابر من قال في القرآن برأيه فقد اتهمني ولفظ حديث أبي هريرة من فسر القرآن برأيه وهو على وضوء فليعد وضوءه أخرج هؤلاء الثلاثة أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وطرقهن ضعاف بل الاخير منكر جدا (معنى الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن اليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية ولا ينبغي ان يفهم منه انه يجب ان لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر في الآيات بل من الآيات) وفي نسخة فان من الآيات (ما نقل فيها عن الصحابة) والتابعين (و) من بعدهم من (المفسرين خمسة معان وستة وسبعة) وأكثر (ونعلم ان جميعها غير مسموع من النبي صلى الله عليه وسلم فانها قد تكون متنافية) مع بعضها (لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر) قال صاحب القوت التأويل اذا لم يخرج عن الاجماع داخل في العلم والاستنباط اذا كان مستودعا في الكتاب يشهد له المجمل ولا ينافيه النص فهو علم اه قال ابن الاثير النهي يحتمل وجهين احدهما ان يكون له في الشئ رأي واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفقه ليحتج به لغرضه ولو لم يكن له هوى لم يلح له منه ذلك المعنى وهذا يكون تارة مع العلم كمن يحتج بآية منه على تصحيح بدعته عالما بانه غير مراد بالآية وتارة يكون مع الجهل بان تكون الآية محتملة فيميل فهمه الى ما يوافقه غرضه ويرجحه برأيه وهواه فيكون فسر برأيه اذ لولاه لم يترجح عنده ذلك الاحتمال وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن فيستدل بما يعلم انه لم يرد به كمن يدعو الى مجاهدة القلب بقوله اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه ويومئ الى انه المراد بفرعون وهذا يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للسامع وهو ممنوع الثاني ان يسارع الى تفسيره بظاهر العربية بغير استظهار

فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلا وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في أمور لا يتعلق بها الاحساس فكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شئ من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار معنى الا هذا النمط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن اليه ويحمله عليه من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية ولا ينبغي ان يفهم منه انه يجب ان لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فان من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ويعلم ان جميعها غير مسموع من النبي صلى الله عليه وسلم فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر

بالسماع والنقل ٧ يتعلق بغرائب القرآن ومافيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة والاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير و بادر الى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل فى زمرة من فسر القرآن بغير علم فالنقل والسماع لابد منهما أولا ثم هذه تستتبع التفهم والاستنباط ولامطمع فى الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر اه قال الزمخشرى من حق تفسير القرآن ان يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وماوقع به التحدى سليما من القادح وأما الذين تأيدت فطرتهم النقية بالمشاهدات الكشفية فهم القدوة فى هذه المسالك ولايمنعون أصلا عن التوغل فى ذلك (ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس) رضى الله عنه فيمارواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما من رواية عبيد الله بن أبى يزيد عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل الخلاء فوضعت له وضوأ قال من وضع هذا فأخبر فقال (اللهم فقهه فى الدين) ولم يقل مسلم فى الدين وزاد الامام أحمد فى مسنده والحاكم من رواية عبيد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير (وعلمه التأويل) وقال الحاكم صحيح الاسناد قال العراقى ووهم أبومسعود الدمشقى فى الاطراف حيث عزا للصحيحين هذه الزيادة قلت وفى أول حديث هؤلاء زيادة وهى قول ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم وضع يده على كتفى أوعلى منكبى شك شعبة ثم قال اللهم الحديث وعند البخارى من رواية عكرمة عنه ضمنى النبى صلى الله عليه وسلم الى صدره وقال اللهم علمه الحكمة وفى رواية له اللهم علمه الكتاب ورواه ابن ماجه فقال اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب والتأويل هو التفسير على مانقله ثعلب عن ابن الاعرابى وقال آخرون بالفرق بينهما وقد ذكر قريبا (ومن يستجيز) أى يجوز (من أهل الطامات مثل هذه التأويلات) البعيدة عن فحوى المراد (مع علمه بانها غير مرادة بألفاظ القرآن) وانما حمله عليه ميله الى هواه (ويزعم) بعد ذلك (انه يقصد به دعوة الخلق الى الحق) فمثله مثل من (يضاهى) أى يشابه (من يستجيز الاختراع) أى الاختلاق (والوضع) فى الاخبار (على النبى صلى الله عليه وسلم بما هو فى نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع) ولاينقل عنه ذلك (كمن يضع فى كل مسئلة يراها حقا حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم) كما فعله الجويبارى وغيره من الوضاعين (وذلك ظلم) أى تعد عن الحدود (وضلال ودخول فى الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) قال العراقى متفق عليه من حديث أبى هريرة وعلى وأنس اه قلت هذا الحديث قد روى أيضا عن الزبير والمغيرة وسلمة بن الاكوع وعبد الله بن عمرو وابن مسعود وجابر وأبى قتادة وأبى سعيد وأبى بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعيد بن زيد ومعاوية بن أبى سفيان وخالد بن عرفطة وأبى موسى الغافقى وعقبة بن عامر وزيد بن أرقم وقيس بن سعيد وعمران بن حصين والبراء بن عازب وأبى موسى الاشعرى ومعاذ بن جبل وعمرو بن مرة ونبيط بن شريط وعمار بن ياسر وعمرو بن عتبة وعمرو بن حريث وابن عباس وعتبة بن غزوان والعرس بن عميرة ويعلى بن مرة وطارق بن أشيم وسلمان بن خالد الخزاعى وصهيب بن سنان والسائب بن يزيد وأبى امامة وأبى قرصافة ورافع بن خديج وأوس بن أوس الثقفى وحذيفة بن اليمان وأبى ميمون جابان وبريدة بن الحصيب وسعد بن الرحاس وعمرو بن عوف والمنقع التميمى وعبدالله بن عمرو وأبى كبشة الانمارى وأبى رافع وواثلة بن الاسقع وأبى الحمراء وأسامة بن زيد ومعاوية بن حيدة وعبد الله بن الزبير وأبى عبيدة بن الجراح وسلمان الفارسى وأبى ذر وحذيفة بن أسيد وعبد الله بن أبى أوفى وأبى رمثة ويزيد بن أسد وعفان بن حبيب وعائشة وأم أيمن والعباس بن عبد المطلب وسفينة وزيد ابن ثابت وكعب بن قطبة وجابر بن عابس وعبد الله بن زغب ووالد أبى العشراء فهؤلاء جميع من عزى اليهم هذا الحديث بألفاظ وان اختلفت فانها متقاربة المعنى ونحن نسوق لك تفصيل ذلك حسبما استفدته من مقدمة ابن الجوزى وكتاب العراقى فأما حديث أبى هريرة فأخرجه الشيخان والنسائى

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنه اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالالفاظ ويزعم انه يقصد بها دعوة الخلق الى الخالق يضاهى من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو فى نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع فى كل مسئلة يراها حقا حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول فى الوعيد المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار

من رواية أبي عوانة عن ابن حصين عن أبي صالح عنه ورواه ابن ماجه من رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة عنه بلفظ من يقول على مالم أقل وأما حديث علي فرواه الشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه من رواية ربعى بن حراش عنه بلفظ فانه من يكذب على يلج النار وقال البخارى من كذب ورواه أبو بكر بن الشخير بلفظ الكتاب من رواية ابن أبي ليلى عن علي وحديث أنس أخرجه الشيخان والنسائى من رواية عبد العزيز بن صهيب عنه بلفظ من تعمد على كذبا ورواه الترمذى وابن ماجه من رواية الزهرى عنه وزاد فيه حسبته قال متعمدا وقال الترمذى بيته بدل مقعده وقال حسن صحيح غريب من هذا الوجه ورواه النسائى من رواية سليمان التيمى عنه بلفظ الكتاب ورجاله رجال الصحيح وحديث الزبير رواه البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه من رواية ابنه عبد الله عنه وحديث المغيرة رواه الشيخان من رواية على بن ربيعة عنه وحديث سلمة بن الاكوع رواه البخارى عن بكر بن ابراهيم عن يزيد بن أبي عبيد عنه بلفظ من يقل على مالم أقل وهو أحد ثلاثياته وحديث عبد الله بن عمرو رواه البخارى والترمذى من رواية ابي كبشة السلولى عنه فى أثناء حديث بلغوا عنى وقد روى الطبرانى فى الاوسط فى أوله قصة هى سببه من رواية عطاء بن السائب عن أبيه عن ابن عمر وحديث عبد الله بن مسعود رواه الترمذى من رواية عاصم عن زر عنه ورواه أبو بكر بن الشخير فى العلم من رواية عاصم عن شقيق عنه ورواه ابن ماجه من رواية سماك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه ورواه البزار من رواية عمرو ابن شرحبيل عنه وزاد فيه ليضل به الناس وحديث جابر رواه ابن ماجه من رواية ابن الزبير عنه وحديث أبي قتادة رواه ابن ماجه من رواية ابن اسحق عن سعيد بن كعب عنه بلفظ من تقول على مالم أقل ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ورواه أيضا من وجه آخر بلفظ الاصل وحديث أبي سعيد رواه النسائى من رواية عطاء بن يسار عنه ورواه ابن ماجه من رواية عطية العوفى عنه وحديث أبي بكر رواه أبو يعلى والطبرانى فى الاوسط من رواية جارية بن هرم عن عبد الله بن بسر الحبرانى عن أبي كبشة الانمارى عنه ورواه ابن الشخير فى كتاب العلم من رواية القاسم بن عبد الله عن ابن المنكدر عن جابر عن عائشة عنه وفيه رواية صحابى عن صحابى عن صحابى وحديث عمر بن الخطاب رواه أبو يعلى من رواية دحين بن ثابت اليربوعى وأبو بكر بن الشخير فى كتاب العلم من رواية عبد الرحمن بن ثابت كلاهما عن أسلم عنه وحديث عثمان بن عفان رواه أحمد والبزار وأبو يعلى من رواية محمود بن لبيد عنه وعند الآخرين من رواية عامر بن سعد عنه بلفظ من قال على مالم أقل وحديث طلحة بن عبيد الله رواه أبو يعلى والطبرانى من رواية سليمان بن أيوب بن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده عن موسى بن طلحة عن طلحة ورواه الخطيب فى التاريخ من رواية محمد بن عمر بن معاوية بن يحيى بن معاوية بن اسحق بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده عن أبيه عن جده وحديث سعيد بن زيد رواه البزار وأبو يعلى من رواية رباح بن الحرث عنه وحديث معاوية بن أبي سفيان رواه أحمد والطبرانى من رواية أبي الفيض عنه وحديث خالد بن عرفطة رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من رواية مسلم مولاه عنه وحديث أبي موسى الغافقى رواه أحمد والبزار والطبرانى من رواية اسحق بن ميمون الحضرمى عنه بلفظ من قال على مالم أقل وحديث عقبة بن عامر رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى من رواية هشام بن أبي رقية عنه ورواه أحمد والطبرانى أيضا من رواية ابن عشانة عنه وحديث زيد ابن أرقم رواه أحمد والبزار والطبرانى من رواية يزيد بن حيان عنه ورواه الطبرانى فى الاوسط من رواية موسى بن عثمان الحضرمى عن ابى اسحق عنه وحديث قيس بن سعد بن عبادة رواه أحمد وأبو يعلى من رواية ابن لهيعة عن ابن هبيرة سمعت شيخا من حيرانه سمع قيس بن سعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كذب على كذبة متعمدا فليتبوأ مضجعا من النار أو بيتا فى جهنم وحديث عمران بن

حصين رواه الطبراني من رواية عبد المؤمن بن سالم المسمعي حدثنا هشام عن محمد بن سيرين عنه وحديث البراء بن عازب رواه أبو يعلى في مسنده رواية ابن المقرى من رواية محمد بن عبيد الله الفزارى وهو العرزمى عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عنه ورواه الطبراني في الاوسط من رواية موسى بن عثمان الحضرمى عن أبي اسحق عنه وعن زيد بن أرقم أيضا وقد تقدم وحديث أبي موسى الاشعرى رواه الطبراني من رواية خالد بن نافع عن سعيد بن أبي بردة عنه وحديث معاذ بن جبل رواه الطبراني في الاوسط والخطيب في التاريخ من رواية عبد الله بن سلمة عنه ورواه ابن الشخير من رواية خصيب بن جحدر عن النعمان بن نعيم عن عبد الرحمن بن غنم عنه وحديث عمرو بن مرة الجهنى رواه الطبراني من رواية الهيثم بن عدى عن الضحاك بن زميل السكسكى عن أبي أسماء السكسكى عنه وحديث نبيط بن شريط رواه الطبراني في الصغير عن أحمد بن اسحق بن ابراهيم بن نبيط بن شريط عن أبيه عن أبيه نبيط وحديث عمار بن ياسر رواه الخطيب في التاريخ من رواية على بن الحزور عن أبي مريم قال سمعت عمار بن ياسر يقول لابي موسى أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كذب على الحديث ورواه أبو يعلى والطبراني بلفظ ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وحديث عمرو بن عبسة رواه الطبراني من رواية محمد بن أبي النوار عن يزيد بن أبي مريم عن عدى بن ارطاة عنه وحديث عمرو بن حريث رواه الطبراني من رواية عبد الكريم بن أبي المخارق عن عامر بن عبد الواحد عنه وزاد فيه ليضل به وحديث ابن عباس رواه الطبراني من رواية عبد الاعلى الثعلبي عن سعيد بن جبير عنه وحديث عتبة بن غزوان رواه الطبراني من رواية غزوان بن عتبة عن أبيه عن أبيه وحديث العرس بن عميرة رواه الطبراني والبزار وابن عدى في مقدمة الكامل من رواية يحيى بن زهدم عن أبيه زهدم بن الحرث عنه وقيل يحيى عن أبيه عن جده عنه وحديث يعلى بن مرة رواه الدارمى في مسنده والطبراني وابن عدى من رواية عمرو بن عبد الله بن يعلى بن مرة عن أبيه عن جده وحديث طارق بن أشيم والد أبي مالك الاشجعى رواه البغوى والطبراني في معجمى الصحابة من رواية خلف بن خليفة عن أبي مالك الاشجعى عن أبيه طارق بن أشيم واسناده صحيح وحديث سلمان بن خالد الخزاعى رواه الطبراني من رواية عبد الله بن محمد بن الحنفية عنه وحديث صهيب بن سنان رواه أبو يعلى والطبراني من رواية عمرو بن دينار عن بعض ولد صهيب عنه ورواه أبو بكر بن الشخير في كتاب العلم من رواية الدفاع بن دغفل عن عبد الرحمن بن صيفى بن صهيب عن أبيه عن جده وحديث السائب بن يزيد رواه الطبراني من رواية محمد بن يوسف عنه وحديث أبي أمامة الباهلى رواه الطبراني من رواية شهر بن حوشب عنه بلفظ من حدث عنى حديثا كذبا متعمدا ورواه أيضا من رواية محمد بن الفضل بن عطية عن الاحوص بن حكيم عن مكحول عنه بلفظ مقعده بين عينى جهنم وحديث أبي قرصافة واسمه جندرة بن خيشنة رواه الطبراني من رواية عزة بنت عياض عنه بلفظ من كذب على أو قال على غير ما قلت بنى له بيت في جهنم وحديث رافع بن خديج رواه الطبراني من رواية أبي مدرك عن عباية بن رفاعة عنه بلفظ وليتبوأ من كذب على مقعده من جهنم وحديث أوس بن أوس الثقفى رواه الطبراني من رواية اسمعيل بن عياش عن عبد الله بن محيريز عنه بلفظ من كذب على نبيه لم يرح رائحة الجنة وحديث حذيفة بن اليمان رواه الطبراني من رواية أبي بلال الاشعرى حدثنا شريك عن منصور عن ربعى عنه ورواه أبو نعيم من رواية أبي عمار عن عمرو بن شرحبيل عنه وحديث أبي ميمون الكردى واسمه جابان رواه الطبراني في الاوسط من رواية أبي خلوة عن ميمون الكردى عن أبيه واسناده حسن وحديث بريدة بن الحصيب رواه أبو يعلى وابن عدى في مقدمة الكامل من رواية صالح بن حيان عن أبي بريدة عن أبيه وحديث سعد بن المدحاس رواه الطبراني من رواية ابن عائذ عنه ورواه ابن منده أيضا في الصحابة وحديث عمرو بن عون المزنى رواه

ابن الشخير من رواية الفضل بن عطية عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده وحديث المنقع التميمي رواه البخاري في التاريخ الكبير من رواية سيف بن هرون سمع عصمة بن بشر سمع المقرع سمع المنقع وحديث عبدالله بن عمر رواه أحمد والبزار والطبراني من رواية أبي بكر بن سالم عن أبيه عن جده ورواه أبو بكر بن الشخير في كتاب العلم من رواية جابر بن نوح عن عبيدالله بن عمر عن نافع عنه وحديث أبي كبشة الانماري رواه محمد بن جرير الطبري قال حدثنا عمرو بن مالك حدثنا جارية بن هرم حدثنا عبدالله بن بشر الجراني سمعت أبا كبشة وقد اختلف فيه على جارية مع ضعفه فقيل هكذا وقيل عن أبي كبشة عن أبي بكر وقد تقدم وحديث أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابن الشخير من رواية عاصم بن عبيدالله عن عبدالله بن رافع عن أبيه وحديث واثلة بن الاسقع رواه الطبراني من رواية ابنته خصلة عنه بلفظ ان من أكبر الكبائر أن يقول الرجل على مالم أقل وحديث أبي الجراء رواه ابن الشخير من رواية نفيع بن داود عنه وحديث أسامة بن زيد رواه الطبراني من رواية على بن ثابت الجزري عن الوازع بن نافع عن أبي سلمة عنه بلفظ من قال على مالم أقل وحديث معاوية ابن حيدة رواه أبو بكر بن المقرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وحديث عبد الله بن الزبير رواه الدارقطني من رواية الزبير بن خبيب عن أبيه عن عامر بن عبدالله بن الزبير عن ابيه وحديث أبي عبيدة بن الجراح رواه الخطيب من رواية ميسرة بن مسروق العبسي عنه ورواه ابن الشخير من رواية أبي عبيدة بن فلان عنه وحديث سلمان الفارسي رواه الطبراني من رواية هلال الوزان عن سعيد بن المسيب عنه ورواه الخطيب في التاريخ من رواية أبي البختري عنه وحديث أبي ذر الغفاري رواه المحاملي من رواية عبد الرحمن بن عمرو بن نضلة القسري عن أبيه عن جده عنه وحديث حذيفة بن أسيد رواه ابن الجوزي في مقدمة الموضوعات من طريق عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي حدثنا المثنى بن سعيد عن قتادة عن أبي الطفيل عنه وحديث عبدالله بن أبي أوفى رواه ابن الجوزي أيضا من طريق ابن قانع حدثنا يعقوب بن اسحق الحضرمي حدثنا سالم بن قادم حدثنا على بن ابراهيم عن فائد بن أبي العوام عنه وحديث أبي رمثة البلوي رواه الدارقطني في الافراد من رواية موسى بن اسمعيل عن حماد بن سالم عن عاصم بن عبيدالله عنه وحديث يزيد بن أسد القسري رواه الخطيب من رواية خالد بن يحيى بن سعيد بن خالد بن عبيدالله بن يزيد بن أسد القسري عن أبيه عن جده يزيد بن أسد وحديث عفان بن حبيب رواه الحاكم في تاريخ نيسابور من رواية ابنه داود ابن عفان عنه وقال في عفان انه كان ورد نيسابور مع عبدالله بن عامر وحديث عائشة رواه ابن الشخير من رواية حصين الدمشقي عن أبي سلمة عنها وحديث أم أيمن رواه الدارقطني من رواية بشر بن عاصم عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عنها وحديث سفينة رواه ابن المقرى من رواية بريدة ابن عمر بن سفينة عن أبيه عن جده وحديث زيد بن ثابت رواه ابن الشخير من رواية الفضل بن عبدالله الفارسي عن محمد بن جابر عن ابن المنكدر عنه وحديث كعب بن قطبة رواه أبو نعيم من رواية على بن ربيعة عنه وحديث جابر بن عابس و يقال حابس العبدي رواه ابن منده في معرفة الصحابة من رواية حصين بن حبيب عن أبيه عنه بلفظ من قال على مالم أقل ورواه أبو نعيم فقال حصين بن عمير عن أبيه عن جابر بن عابس بالعين وحديث عبدالله بن زغب رواه أبو نعيم من رواية عبد الرحمن بن عائذ عنه وحديث والد أبي العشراء رواه تمام في جزء له جمع فيه حديث أبي العشراء من رواية أبي عمير الضرير حدثنا حماد بن سلمة عن أبي العشراء الدارمي عن أبيه واسمه مالك بن قهطم على المشهور وقد روى الحديث أيضا عن النعمان بن بشير والعباس بن عبد المطلب وغزوان ومالك بن عتاهية وذكر ابن منده في مستخرجه انه ورد أيضا من رواية سمرة بن جندب والنواس بن سمعان وعبدالله بن الحرث

ابن جزء وعبدالله بن جعفر الهاشمي وعبدالله بن جراد وأبي بن كعب وسلمان بن صرد وعمرو بن الحق وعمرو بن العاصي وجندب بن عبدالله وجهجاه الغفاري وسبرة ومرة البهزي وسنجرة وأبي أسيد وأبي أيوب وحفصة بنت عمر وخولة بنت حكيم وذكر ابن الجوزي في نسخة الموضوعات الاولى رواه أحد وستون من الصحابة وقال في النسخة الثانية وهي أطول من الاولى رواه ثمانية وتسعون من الصحابة قال العراقي وحكى النووي في شرح مسلم عن بعضهم انه رواه مائتان من الصحابة قلت وقد روي أيضا من حديث الرجل الذي من أسلم رواه الطبراني وقد تقدم في ترجمة سليمان بن خالد الخزاعي وفي أوله قصة هي سبب الحديث وحديث الرجل الآخر الذي لم يسم رواه أحد من رواية عمرو بن مرة عنه والظاهر انه ابن مسعود وقد تقدم وحديث الآخر الذي لم يسم رواه ابن الجوزي في مقدمة الموضوعات من رواية خالد بن ذر بك عنه وفيه عن رجل آخر لم يسم بلفظ آخر من رواية عبد الاعلى بن هلال الحمصي عنه وبمجموع من ذكر يبلغ العدد الى قريب من المائة قال ابن الجوزي في الموضوعات باسناده الى أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الوهاب الاسفرايني ليس في الدنيا حديث اجتمع عليه العشرة غير هذا الحديث قلت وهذا قد رده العراقي فقال ليس كذلك فقد ذكر الحاكم والبيهقي في حديث رفع اليدين في الصلاة رواه العشرة وقال انه ليس حديث رواه العشرة غيره وذكر أبو القاسم بن منده أن حديث المسح على الخفين رواه العشرة أيضا اه ثم قال ابن الجوزي ماوقعت لي رواية عبد الرحمن ابن عوف الى الآن اه قلت قال العراقي حديث عبد الرحمن بن عوف رويناه من رواية ابنه ابراهيم عنه وفي اسناده أحمد بن منصور الشيرازي أحد الحفاظ الا أن الدارقطني رماه بانه كان يدخل على الشيوخ أحاديث بمصر اه قلت أورده الذهبي في الميزان ولفظه أدخل على جماعة من الشيوخ بمصر وأنا بها وكان يتقرب الي ويكتب الي كتبا وهكذا ذكره في ديوان الضعفاء قال السيوطي في تحذير الخواص لاأعلم شيأ من الكبائر قال أحد من أهل السنة بتكفير مرتكبه الا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الشيخ أبا محمد الجويني من أصحابنا وهو والد امام الحرمين قال ان من تعمد الكذب عليه صلى الله عليه وسلم يكفر كفرا يخرجه عن الملة وتبعه على ذلك طائفة منهم الامام ناصر الدين بن المنير من أئمة المالكية وهذا يدل على انه أكبر الكبائر لانه لاشئ من الكبائر يقتضي الكفر عند أحد من أهل السنة اه وقال ابن الصلاح في علوم الحديث لاتحل رواية الحديث الموضوع لاحد علم حاله في أي معنى كان الا مقرونا ببيان وضعه بخلاف غيره من الاحاديث الضعيفة التي يحتمل صدقها في الباطن حيث جاز روايتها في الترغيب وقال بعد ذلك يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الاسانيد ورواية ماسوى الموضوع من أنواع الحديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الاعمال اه قال السيوطي وقد أطبق على ذلك علماء الحديث فجزموا بانه لايحل رواية الحديث الموضوع في أي معنى كان الا مقرونا ببيان وضعه بخلاف الضعيف فانه يجوز روايته في غير الاحكام والعقائد وممن جزم بذلك الشيخ النووي في الارشاد والتقريب والبدر بن جماعة في المنهل الروي والطيبي في الخلاصة والسراج البلقيني في محاسن الاصطلاح والزين العراقي في ألفيته وشرحها (بل الشرفي تأويل هذه الالفاظ) وصرفها عن ظواهرها (أطم) أي أزيد وأكثر (وأعظم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ) أي للوثوق بها (وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية) واذا تأملت ماذكرنا (فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق) جمع داعية وهو مايدعو الانسان الى الشئ (عن العلوم المحمودة الى) العلوم (المذمومة وكل ذلك بتلبيس علماء السوء) وتخليطهم الحق بالباطل (بتبديل الاسامي) وتفسيرها (فان اتبعت هؤلاء) وسلكت سننهم (اعتمادا على الاسم المشهور) عندهم (من

بل الشرفي تأويل هذه الالفاظ أطم وأعظم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق عن العلوم المحمودة الى المذمومة وكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الاسامي فان اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من

غير

غير التفات الى ماعرف فى العصر الاوّل) ونهجه أهل الطريق الاعدل (كنت كمن طلب الشرف بالحكمة) الالهية (باتباع من يسمى حكيما فى هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل الفظ الخامس وهو الحكمة) اعلم أن لها تعريفا عند أهل الشرع من الفقهاء وتعريفا عند أهل الحقيقة وتعريفا عند الحكماء فتعريفها عند الفقهاء قالوا جاءت بازاء معان كثيرة فنها النبوّة قال تعالى وآتاه الله الملك والحكمة قيل النبوّة على المشهور ومنها السنة كما فى قوله تعالى ويعلمكم الكتاب والحكمة على أحد الاقوال وقيل المراد علوم القرآن وعلى هذا هو نظير قوله تعالى يؤتى الحكمة من يشاء على أحد الاقوال ومنها الموعظة كما فى قوله تعالى حكمة بالغة ومنها الفهم المصيب كما فى قوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة وهى تنقسم الى قولية وفعلية ولما أراد الله سبحانه أن يعرفنا كمال حكمته القولية ابتدأ سورة لقمان بقوله الم تلك آيات الكتاب الحكيم ناصا بذلك على الحكمة القولية وأدرج فى أثنائها ما يدل بالتصريح والتلويح على كمال الحكمة الفعلية وبسط سبحانه عقب كل من الامرين ماهو كالدليل على المذكور وكالشرح والبيان لمجمله فقال سبحانه عقب الجلة الاولى الدالة على الحكمة القولية هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون وهذا تقرير الاستدلال على كمال حكمته سبحانه فى وصفى الحكمة القولية والفعلية والحكيم من وضع الاشياء مواضعها وأما تعريفها عند أهل الحقيقة فانها تطلق عندهم على حقائق حكم سنية الاولى الحكمة المطلقة وهى العلم بحقائق الاشياء على ماهى عليه من حيث هى هى الثانية الحكمة المنطوق بها وهى العلوم الشرعية الثالثة الحكمة المسكوت عنها وهى أسرار الحقيقة الرابعة الحكمة المجردة وهى ماخفى علينا وجه الحكمة فى ايجاده كايلام بعض العباد وموت الاطفال والخلود فى النار والخامسة الحكمة الجامعة وهى معرفة الحق والعمل به ومعرفة الباطل والاجتناب عنه وأما فى اصطلاح الحكماء صناعة نظرية يستفيد منها الانسان تحصيل ماعليه الوجود كله فى نفسه وماعليه الواجب مما ينبغى أن يكتسب تعلمه لتشرف بذلك نفسه ويكمل ويصير عالما فضولا مضاهيا للعالم الموجود ويستعد للسعادة القصوى الاخروية وذلك بحسب الطاقة الانسانية وهى قسمان نظرى وعملى مجرد فالقسم النظرى هو الذى الغاية فيه الاعتقاد اليقينى بحال الموجودات التى لا تتعلق وجوداتها بفعل الانسان ولكن المقصود حصول رأى فقط مثل علم التوحيد وعلم الهيئة والقسم العملى هو الذى ليس الغاية منه حصول الاعتقاد اليقينى بالموجودات فقط وانما يكون المقصود منه حصول رأى فى أمر يحصل بالكسب ليكتسب ماهو الخير منه فغاية النظرى اعتقاد الحق وغاية العملى فعل الخير كل ذلك ذكره شيخ مشايخنا أبو الحسن الطولونى فى أماليه على البخارى وقد ذكر ابن خلدون فى مقدمة تاريخه تعريف الحكمة وقسمها الى العلمية والعملية والنظرية وقسم كلا منها الى أقسام وذكر حكمة الاشراق والمشائين وغير ذلك نقل ذلك كله يخرجنا عن المقصود فمن أراد الزيادة فليراجع كتابه (فان اسم الحكيم صار يطلق) الآن (على الطبيب) الماهر اذ الطب من جملة الصناعة النظرية (والشاعر والمنجم) وكل هؤلاء من أقسام الفلسفة كما تقدم (حتى على الذى يدحرج القرعة) ويلقيها (على أكف السوادية) وهم الاكارون نسبوا الى سواد الارض وريفها لملازمتهم له (فى شوارع الطرق) أى أسواقها (والحكمة) فى الحقيقة (هى التى أثنى الله عز وجل عليها) فى كتابه العزيز على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (فقال ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) وقد تقدم أن المراد بها علوم القرآن والسنة أو الفهم المصيب والفطنة أو غير ذلك قال صاحب القوت النور اذا جعل فى الصدر انشرح القلب بالعلم ونظر باليقين فنطق اللسان بحقيقة البيان كما جاء فى تفسير قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب أى الاصابة فى القول فكأنه يوفقه للحقيقة عنده بحسن التوفيق والاصابة فى العلم

غير التفات الى ماعرف فى العصر الاول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم فى هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل الالفاظ (اللفظ الخامس) وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذى يدحرج القرعة على أكف السوادية فى شوارع الطرق والحكمة هى التى أثنى الله عز وجل عليها فقال تعالى يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا

وقال صلى الله عليه وسلم كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خيرله من الدنيا ومافيها فانظر ماالذى كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذانقل وقس به بقية الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم يتذرع الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أبى وقال اللهم غفرا حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة فى أن تنظر لنفسك فتقتدى بالسلف أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل ماارتضاه السلف من العلوم قداندرس وما أكب الناس عليه فاكثره مبتدع ومحدث وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود كما بدا فطوبى للغرباء

مواهب من الله عز وجل وأثرة يخص بها من يشاء من عباده (وقال صلى الله عليه وسلم كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خيرله من الدنيا ومافيها) قال العراقى تقدم بنحوه اه وكأنه يشير الى ماذكره المصنف أولا باب من العلم يتعلمه الرجل خيرله من الدنيا ومافيها وذكر انه موقوف على الحسن البصرى أوالى حديث كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خيرله من عبادة سنة وذكر انه من مراسيل زيد بن أسلم وقد أخرج الديلمى عن أبى هريرة كلمة حكمة يسمعها الرجل خيرله من عبادة سنة وسنده ضعيف (فانظر ماالذى كانت الحكمة عبارة عنه) فى العصر الاول (والى ماذا نقل) الآن (وقس به بقية الالفاظ) التى لم تذكر (واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء) وارهاصاتهم (فان شرهم أعظم على الدين من شر الشياطين اذ الشياطين بواسطتهم) أى بواسطة علماء السوء (يتذرع) أى يتخذ ذريعة أى وسيلة (الى انتزاع الدين) وسلبه (من قلوب الخلق) أجمعين (ولهذا لما سئل صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق أبى) أى امتنع من الجواب (وقال اللهم غفرا) منصوب بفعل محذوف على انه مفعول مطلق (حتى كرر عليه) فى السؤال (ثم قال) عليه السلام (هم علماء السوء) قال العراقى أخرجه الدارمى بنحوه من حديث الاحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا وهو ضعيف ورواه البزار فى مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف اه قلت قال الدارمى فى مسنده حدثنا نعيم بن حماد حدثنا بقية عن الاحوص بن حكيم عن أبيه قال سأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم عن الشر فقال لا تسألونى عن الشر واسألونى عن الخير يقولها ثلاثا ثم قال الا ان شر الشر شرار العلماء وان خير الخير خيار العلماء وأحوص بن حكيم حمصى رأى أنسا وسمع خالد بن معدان وطاوسا وعنه بقية ومحمد بن حرب وعدة ضعيف كذا فى الكاشف للذهبى وأشار عليه لابن ماجه وأما أبوه فهو حكيم ابن عمير العنسى الحمصى روى عن عمر وثوبان وعنه ابنه أحوص ومعاوية بن صالح صدوق وأما حديث معاذ فقد أخرجه صاحب الحلية فقال حدثنا أحمد بن يعقوب بن المهرجان حدثنا الحسن بن محمد بن نصر حدثنا محمد بن عثمان العقيلى حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطغاوى حدثنا الخليل بن مرة عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال تصديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف فقلت يارسول الله أرنا شر الناس فقال سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر شرار الناس شرار العلماء فى الناس ورواه البزار من رواية الخليل بن مرة وفيه تعرضت أوقال تصديت وفيه وهو يطوف بالبيت وفيه أى الناس شر وفيه اللهم غفرا سل عن الخير ولاتسأل عن الشر والباقى سواء والخليل بن مرة ضعيف (فقد عرفت العلم المحمود والمذموم) وعرفت (مثار الالتباس) أى ما يوثر به الاختلاط (واليك الخيرة) أى الاختيار (فى أن تنظر لنفسك) وفى بعض النسخ بعد قوله مثار الالتباس والشك والحيرة فانظر الآن أترى خيرا لنفسك (فتقتدى بالسلف) الصالحين (أو تتدلى) أى تنزل الى أسفل متمسكا (بحبل الغرور) أى الاغترار بما يوهمك اعجابا (وتتشبه بالخلف) المتأخرين (فكل ماارتضاه السلف من العلوم) الجليلة (قداندرس) أثرها وعفا (وماأكب الناس عليه) مشتغلين بتحصيله (فأكثره) فى الحقيقة (مبتدع محدث) لم يكن يعرف فيما سلف قال صاحب القوت اعلم أن العلوم تسعة اربعة منها سنة معروفة من الصحابة والتابعين وخمسة محدثة لم تكن تعرف فيما سلف فأما الاربعة المعروفة فعلم الايمان وعلم القرآن وعلم السنن والآثار وعلم الفتاوى والاحكام وأما الخمسة المحدثة فالنحو والعروض وعلم المقاييس والجدل فى الفقه وعلم المعقول بالنظر وعلم علل الحديث وتطريق الطرقات اليه وتعليل الضعفاء وتضعيف النقلة للآثار فهذا العلم من المحدث الا انه علم لاهله يسمعه أصحابه منهم اه (وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود كما بدا فطوبى للغرباء) هكذا رواه مسلم وابن ماجه من رواية يزيد بن

كيسان عن حازم عن أبي هريرة ورواه مسلم من رواية عاصم بن محمد العمري عن أبيه عن ابن عمر بلفظ ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية الى جحرها وقال فيه البزار فطوبى للغرباء وروى الطبراني من رواية عيسى بن ميمون عن عون بن شداد عن أبي عثمان عن سلمان مختصرا هكذا الى قوله كما بدا وروى في الاوسط من رواية عطية العوفي عن ابي سعيد الخدري مثله الى قوله فطوبى للغرباء وروى ابن ماجه من رواية سنان بن سعد عن أنس هكذا مختصرا وقال السخاوي في المقاصد وأخرج البيهقي في الشعب من حديث شريح بن عبيد مرسلا وفيه زيادة وهي الا انه لا غربة على مؤمن من مات في أرض غربة غابت عنه بواكيه الابكت عليه السماء والارض (فقيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي والذين يحيون ما أماتوه من سنتي) رويت هذه الزيادة من طرق فأخرج الترمذي من رواية كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده رفعه فذكر الحديث وفيه ان الدين بدا غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي وقال هذا حديث حسن وروى عبد الله بن أحمد في زيادات المسند والطبراني في الكبير من رواية اسحق بن عبد الله بن أبي فروة عن يوسف بن سليمان عن جدته ميمونة عن عبد الرحمن بن سنة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بدا الاسلام غريبا ثم يعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء قيل يارسول الله ومن الغرباء قال الذين يصلحون اذا فسد الناس وأخرج الطبراني في معاجمه الثلاثة من رواية بكر بن سليم الصواف عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي رفعه ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء قالوا يارسول الله ومن الغرباء قال الذين يصلحون عند فساد الناس وأخرج أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتاب صفة الغرباء والطبراني في الكبير من رواية عبد الله بن يزيد بن آدم الدمشقي عن أبي الدرداء وأبي امامة وواثلة وأنس رفعوه وفيه فقالوا ومن الغرباء قال الذين يصلحون اذا فسد الناس وأخرج أحمد وأبو يعلى والبزار في مسانيدهم من رواية أبي صخر عن أبي حازم عن ابن سعد قال وأحسبه عامر بن سعد وقال أحمد وأبو يعلى سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الايمان بدا غريبا وسيعود قال أحمد غريبا ثم اتفقوا كما بدا فطوبى للغرباء يومئذ اذا فسد الناس ولم يقل البزار يومئذ الخ وقد عرف بمجموع ماسقناه ان قول المصنف والذين يحيون الخ ليس في سياقهم للحديث المذكور ونظر المصنف أوسع وأخرج الترمذي وابن ماجه من رواية أبي اسحق عن أبي الاحوص عن ابن مسعود رفعه ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا زاد الترمذي كما بدا ثم اتفقا فطوبى للغرباء زاد ابن ماجه قال قيل ومن الغرباء قال النزاع من القبائل قال الترمذي حسن صحيح غريب أي الذين نزعوا عن أهلهم وعشيرتهم قيل وهم أصحاب الحديث فان هذا المعنى صادق عليهم قال المناوي هو تخصيص بغير مخصص وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وأبي موسى الاشعري (وفي خبر آخر المتمسكون بما أنتم عليه اليوم) أي ورد ذلك في تفسير الغرباء المذكور في الحديث المتقدم قال العراقي لم أقف له على اسناد الآن في أثناء حديث أبي الدرداء وأبي امامة وواثلة وأنس وفيما أخرجه الطبراني في الكبير وأبو بكر الآجري في كتاب صفة الغرباء ذكر افتراق الامم كلهم على الضلالة الا السواد الاعظم قالوا ما السواد الاعظم قال من كان على ما أنا عليه وأصحابي الحديث اهـ قلت وبه يصح حملهم على أهل الحديث كما لا يخفى (وفي حديث آخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم أكثر ممن يحبهم) قال العراقي رواه أحمد في مسنده قال حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحرث بن يزيد عن جندب بن عبد الله انه سمع سفيان بن عوف يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن عنده طوبى للغرباء فقيل من الغرباء يارسول الله قال أناس صالحون في أناس سوء

فقيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي والذين يحيون ما أماتوه من سنتي وفي خبر آخرهم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفي حديث آخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم في الخلق أكثر ممن يحبهم

كثير من يعصيهم أ كثر ممن يطيعهم وابن لهيعة مختلف فيه اه قلت وهكذا أخرجه السيوطى فى الجامع الكبير عن ابن عمرو وعزاه لاحمد بلفظ طوبى للغرباء أناس صالحون فى أناس سوء كثير من يعصيهم أ كثر ممن يطيعهم (وقد صارت تلك العلوم) المشار اليها (غريبة) عن أهلها (بحيث عقت) أى يبغض (ذاكرها) بينهم (ولذلك قال) سفيان بن سعيد (الثورى) رحمه الله تعالى (اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط) هكذا نقله صاحب القوت عنه زاد المصنف (لانه اذا نطق بالحق أبغضوه) قال ابن الجوزى فى ترجمة سفيان بسنده الى سليمان بن داود حدثنا يحيى بن المتوكل سمعت سفيان الثورى يقول اذا أثنى على الرجل جيرانه أجمعون فهو رجل سوء قيل كيف ذلك قال يراهم يعملون بالمعاصى فلا يغير عليهم ويلقاهم بوجه طلق وقال فضيل بن عياض سمعت سفيان يقول اذا رأيت القارئ محببا الى اخوانه محمودا فى جيرانه فاعلم أنه مداهن وفى القوت وقال أيضا اذا رأيت الرجل محببا الى اخوانه محمودا فى جيرانه فاعلم أنه مراء وفى تاريخ الذهبى قبيصة عن سفيان قال كثرة الاخوان من سخافة الدين

(بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة)

(اعلم أن العلم بهذا الاعتبار) الذى عرفته ينقسم على (ثلاثة أقسام) منها (قسم هو مذموم قليله وكثيره) وقد ذكر ابن ساعد فى ارشاد القاصد ان العلم من حيث هو علم ليس بمذموم وانما ذمه لعدم اعتبار الشروط التى تجب مراعاتها فى العلم والعلماء فان لكل علم حدا لا يتجاوز ولكل عالم ناموس لا يخل به (و) منها (قسم هو محمود قليله وكثيره) نظرا الى موضوعه وغاياته (و) هذا القسم (كل ما كان أ كثر كان أحسن وأفضل) فان ما حمدت عواقبه فالكثرة منه فضيلة حسنة (و) منها (قسم يحمد منه مقدار الكفاية) لا غير (ولا يحمد الفاضل) أى الزائد (عليه) ولا يحمد (الاستقصاء فيه) أى بذل الجهد لتحصيله على أقصى مراتب الكمال (وهو) هذه الاقسام الثلاثة مثلها (مثل أحوال البدن) من الانسان (فان منه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال) قال صاحب المصباح الصحة فى البدن حالة طبيعية تجرى أفعاله معها على المجرى الطبيعى اه والجمال رقة الحسن ذكره سيبويه وقال الراغب هو الحسن الكثير (و) منه (ما يذم قليله وكثيره كالقبح) أى قبح الصورة (وسوء الخلق) فانهما مذمومان كذلك فالقبح ذمه نظرا الى الظاهر وسوء الخلق نظرا الى الباطن كما ان الجمال محمود مطلقا نظرا الى الظاهر وهو يقتضى غالبا حسن الخلق وصحة البدن نظرا الى الباطن (ومنه ما يحمد الاقتصاد) أى التوسط (فيه كبذل المال) أى صرفه (فان التبذير) وهو بذله فى غير موضعه (لا يحمد فيه) أى فى المال (وهو بذل) فى الجملة (وكالشجاعة) وهى هيئة حاصلة للقوة الغضبية بها يقدم على أمور ينبغى أن يقدم عليها (فان التهور) وهو الوقوع فى أمر بقلة مبالاة وفكر (لا يحمد) لكونه على غير بصيرة فيه (وان كان من جنس الشجاعة) وقال بعض الشجاعة ما بين التهور والجبن (فكذلك العلم) فان القدر المذموم منه وان كان من جنسه الا أنه لا يحمد (فالقسم المذموم قليله وكثيره ما لا فائدة فيه) ولا عاقبة جيدة (فى دين ولا دنيا اذ فيه ضرر) اما بصاحبه أو بغيره (يغلب نفعه كعلم الطلسمات والسحر والنجوم) والكيمياء والسيمياء والشعبذة وما أشبهها (فبعضه لا فائدة فيه أصلا وصرف العمر الذى هو أنفس ما يملكه الانسان اليه) أى الى تحصيل مثله (اضاعة) له وقالوا الوقت سيف ان لم تقطعه فى الخير قطعك (واضاعة النفائس مذمومة) عند أهل الحق (ومنه ما فيه ضرر يزيد) ويظهر (على ما يظن انه يحصل به من قضاء وطر) أى حاجة أو نفع (فى الدنيا فان ذلك لا يعتد به) ولا يعتبر (بالاضافة) أى بالنسبة (الى الضرر الحاصل منه) قال ابن ساعد ومن الوجوه الموهمة كون العلم ضارا أن يظن بالعلم فوق غايته أو فوق مرتبته أو ان يقصد بالعلم غير غايته وأن يتعاطاه من

ليس

وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث عقت ذاكرها ولذلك قال الثورى رحمه الله اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق أبغضوه

(بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة)

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان أ كثر كان أحسن وأفضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل أحوال البدن فان منها ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد فيها وان كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم * فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو ما لا فائدة فيه فى دين ولا دنيا اذ فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه أصلا وصرف العمر الذى هو أنفس ما يملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة النفيس مذمومة ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطر فى الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل عنه

ليس منا كفائه (وأما القسم المحمود الى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله سبحانه و بصفاته وأفعاله وسنته فى خلقه وترتيب الآخرة على الدنيا) وهو علم اليقين والمعرفة والتبصر فى فقه القلوب وكان سهل يقول العلم ثلاثة علم بالله وعلم لله وعلم بحكم الله أشار بالاول الى علم اليقين وبالثانى الى علم الاخلاص والاحوال والمعاملات و بالثالث الى تفصيل الحلال والحرام (فان هذا علم مطلوب لذاته) لشرف موضوعه وأشار الى سر غايته بقوله (والتوصل الى سعادة الآخرة) الباقية (و بذل المقدور أى صرفه (فيه) أى فى تحصيله (الى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر) الزاخر (الذى لايدرك) آخره ولا يسبر (غوره وانما يحوم) أى يدور و يطوف (المحومون) وفى نسخة الحائمون يقال حام على الماء اذا ورده وكذلك حوم (على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه) المنتهية (الا الانبياء) صلوات الله عليهم وسلامه (والاولياء) فى عباده الصالحين (والراسخون فى العلم) قال أبو يزيد البسطامى خضت بحرا وقف الانبياء بساحله قال أبو العباس المرسى انما يشكو بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالانبياء ومراده ان الانبياء خاضوا بحر التوحيد ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون الخلق الى الخوض أى فلو كنت كاملا لوقفت حيث وقفوا قال ابن عطاء الله وهذا الذى فسر به الشيخ كلام أبى يزيد هو اللائق بمقام أبى يزيد فان المشهور عنه التعظيم لمراسم الشريعة والقيام بكمال الادب ثم ان هذه العبارة التى ذكرها المصنف من ذكر الاولياء بعد الانبياء وتقديمهم على العلماء الراسخين سيأتى نظيرها فى ذكر معرفة الله والعلم به ان الرتبة العليا فى ذلك للانبياء ثم للاولياء العارفين ثم للعلماء الراسخين ثم للصالحين فقدم الاولياء على العلماء وفضلهم عليهم وقد سئل عن ذلك العز بن عبد السلام هل هو صحيح أم لا فأجاب لا يشك عاقل ان العارفين بما يجب لله من أوصاف الجلال ونعوت الكمال أفضل من العارفين بالاحكام فان العارفين بالله أفضل من أهل الفروع والاصول وكيف يسوى بين العارفين والفقهاء والعارفون أفضل الخلق وأتقاهم لله سبحانه وأما قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فانما أراد العارفين به و بصفاته وأفعاله دون العارفين بأحكامه ولا يجوز حمل ذلك على علماء الاحكام لان الغالب عليهم عدم الخشية وخبر الله تعالى صدق ولا يحمل الاعلى من عرفه وخشيه هذا حاصل ما قاله فى الجواب (على اختلاف درجاتهم) عند الله تعالى (بحسب اختلاف قربهم) منه سبحانه (وتفاوت تقدير الله تعالى فى حقهم وهذا هو العلم المكنون الذى لا يسطر فى الكتب) وهو المشار اليه فى الحديث المتقدم ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله الحديث وهذا من جملة المواضع التى أنكر عليه أبو عبد الله المازرى وغيره من المالكية وتقدم الجواب عنه فى مقدمة الكتاب (و يعين على التنبه له) والتفطن لاسراره (التعلم) من أهله بشروطه (ومشاهدة أحوال علماء الآخرة) قال صاحب القوت وكان ذو النون يقول اجلس الى من تعلمك أفعاله ولا تجلس الى من يخاطبك مقاله وقد كان طائفة يصحبون كثيرا من أهل المعرفة للتأدب والنظر الى هديهم وأخلاقهم وان لم يكونوا علماء لان التأدب يكون بالافعال والتعلم يكون بالمقال (هذا فى أول الامر) وابتدائه حين شروعه فى السلوك (و يعين عليه فى الآخر) أى آخر الامر (المجاهدة) فى النفس (والرياضة) الشرعية بمنعها عن كل ما تميل اليه من المباحات (وتصفية القلب) عن الاوصاف الذميمة (وتفريغه) أى تخليته (عن علائق الدنيا) وشواغلها الصارفة عن الحضور مع الله تعالى (والتشبه فيه) وفى نسخة فيها (بأنبياء الله تعالى وأوليائه) والصالحين من أخصائه (ليتضح منه لكل ساع الى طلبه (بقدر الرزق) أى بقدر ما رزقه الله تعالى و يسره له فى نصيبه من الازل (لا بقدر الجهد) والاستطاعة (ولكن لاغنى فيه عن الاجتهاد) و بذل الوسع (فالمجاهدة مفتاح الهداية) قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (لا مفتاح لها)

*وأما القسم المحمود الى اقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى و بصفاته وأفعاله وسنته فى خلقه وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به الى سعادة الآخرة و بذل المقدور فيه الى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذى لا يدرك غوره وانما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه الا الانبياء والاولياء والراسخون فى العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى فى حقهم وهذا هو العلم المكنون الذى لا يسطر فى الكتب و يعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتى علاماتهم هذا فى أول الامر و يعين عليه فى الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالانبياء والاولياء ليتضح منه لكل ساع الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لاغنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها

سواها * وأما العلوم التى لايحمد منها الا مقدار مخصوص فهى العلوم التى أوردناها فى فروض الكفايات فان فى كل علم منها اقتصارا وهو الاقل واقتصادا وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لامرد له الى آخر العمر فكن أحد رجلين اما مشغول بنفسك واما متفرغ لغيرك بعد الفراغ من نفسك واياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك

أى لابواب الهداية الربانية (سواها) أى سوى المجاهدة ولنذكر هنا مايتعلق بالمجاهدة والجهاد ونبين مراتب ذلك ليكون السالك على بصيرة قال ابن القيم فى الهدى النبوى الجهاد أربع مراتب جهاد النفس وجهاد الشيطان وجهاد الكفار وجهاد المنافقين فجهاد النفس أربع مراتب أيضا احداها أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذى لافلاح لها ولا سعادة فى معاشها ومعادها الا به ومتى فاتها علمه شقيت فى الدارين الثانية أن يجاهدها على العمل به بعد علمه والا فمجرد العلم بلا عمل ان لم يضرها لم ينفعها الثالثة أن يجاهدها على الدعوة اليه وتعليمه لمن لا يعلمه والا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله الرابعة أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة الى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله واذا استكمل هذه المراتب الاربع صار من الربانيين فان السلف مجمعون على ان العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه فمن علم وعمل وعلم فذاك يدعى عظيما فى ملكوت السماء وأما جهاد الشيطان فمرتبتان احداهما جهاده على رفع مايلقى الى العبد من الشبهات والشكوك القادحة فى الايمان والثانية جهاده على دفع ما يلقى اليه من الارادات والشهوات فالجهاد الاول يكون بعد اليقين والثانى بعد الصبر قال تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون فاخبر ان امامة الدين انما تنال بالصبر واليقين فبالصبر تدفع الشهوات والارادات واليقين يدفع الشكوك والشبهات وأما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب بالقلب واللسان والمال والنفس وجهاد الكفار أخص باليد وجهاد المنافقين أخص بالبيان وأما جهاد أرباب الظلم والمنكرات والبدع فثلاث مراتب الاولى باليد اذا قدر فان عجز انتقل الى اللسان فان عجز جاهد بقلبه فهذه ثلاث عشرة مرتبة من الجهاد ثم قال وفرض عليه جهاد نفسه فى ذات الله وجهاد شيطانه وهذا كله فرض عين لا ينوب فيه أحد عن أحد وأما جهاد الكفار والمنافقين فقد يكتفى فيه ببعض الامة اذا حصل منهم مقصوده وأكمل الخلق عند الله من كمل مراتب الجهاد كلها والخلق متفاوتون فى منازلهم عند الله تعالى تفاوتهم فى مراتب الجهاد ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله تعالى خاتم أنبيائه ورسله فانه كمل مراتب الجهاد وجاهد فى الله حق جهاده صلى الله عليه وسلم ثم قال والمقصود ان الله تعالى اقتضت حكمته انه لابد أن يمتحن النفوس ويبتليها ويخلصها بكير الامتحان كالذهب الذى لا يصفو ولا يخلص من غشه الا بالامتحان اذ النفس فى الاصل جاهلة ظالمة وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث مايحتاج خروجه الى السبك والتصفية فان خرج فى هذه الدار والا ففى كير جهنم فاذا هذب العبد ونقى أذن له فى دخوله الجنة اه وهذا هو الذى أشار اليه الشيخ بالمجاهدة والرياضة ليكون بها أهلا للدخول فى حضرة المشاهدة ومن جاهد فى الله هدى الى صراط مستقيم وفاز بالنعيم المقيم (وأما العلوم التى لا يحمد منها) للمشتغل (الا مقدار مخصوص) لا يتجاوز عنه (فهى العلوم التى أوردناها) ببيانها (فى فروض الكفايات) فى أول الباب (فان فى كل علم) وفى بعض النسخ فان لكل علم (منها اقتصارا) على القدر الواجب (هو الاقل) مما يحتاج اليه (واقتصادا هو الوسط) بتحريك السين وهو ماله طرفان متساويا القدر ويقال ذلك فى الكمية المتصلة كالجسم الواحد وفى الكمية المنفصلة كشئ يفصل بين جسمين والطرفان قد يكونان مذمومين فيستعمل استعمال القصد المصون عن الافراط والتفريط فيمدح به وتارة يقال فيما له طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشر (واستقصاء وراء الاقتصاد) وهى المرتبة الثالثة (لامرد له الى آخر العمر) أى شئ لانهاية له يعجز العمر عن تحصيله (فكن أحد رجلين) وفى نسخة أحد الرجلين (اما رجل (مشغول بنفسك) فى اصلاحها (واما) رجل (متفرغ الى غيرك بعد الفراغ من نفسك) وفى بعض النسخ اما مشغولا واما متفرغا بالنصب فيهما (واياك) ثم اياك (أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك) فان

اصلاح

اصلاح النفس مقدم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول قال صاحب القوت العبد يسئل غدا فيقال ماذا عملت فيما علمت ولا يقال له فيما علم غيرك اه فالاشتغال بما يصلح علم الغير قبل الاشتغال بما يصلح النفس مضر مهلك كيف وقد قال الله تعالى وقال الذين أوتوا العلم والايمان ففرق بينهما فمن أوتى ايمانا ويقينا أوتى علما كما أن من أوتى علما نافعا أوتى ايمانا وهذا لا يحصل الا بمعرفة خواطر النفس وازالة ما يهلكها (فان كنت مشغولا بنفسك) باصلاحها وفى نسخة فان كنت المشغول بنفسك (فلا تشتغل الا بالعلم الذى هو فرض عينك) مافرض الله عليك (بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة) المتعلقة بالجوارح (من تعلم الصلاة والطهارة والصوم) وما يصحح كلا من ذلك وما يفسده وقدم الصلاة هنا فى الذكر لكونها المقصود الاعظم وان كانت الطهارة تقدمها تقدم الوسائل وكذا تعلم الحج ان وجب عليه وغير ذلك (وانما الاهم الذى أهمله الكل) وأعرضوا عنه (علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم) اذ علم الالسنة والفتيا مردود الى علم القلوب وقد درس معرفة هذا العلم فصار كل من نطق بكلام غريب على السامعين لا يعرف حقه من باطله سمى عالما وكل كلام مستحسن زخرف ونقه لا أصل له يسمى صاحبه عالما لجهل العالم بالعلم أى شئ هو (اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة) التى ركبت فيه (من الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها) مما سيأتى بيانها فى المهلكات (وجميع ذلك) صفات (مهلكات) للانسان (واهمالها) رأسا (مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهى) أى يشابه (الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذى بالجرب) والحكة (والدماميل) جمع دمل وهو الخراج (والتهاون باخراج المادة) التى نشأ منها ذلك العارض (بالفصد) وهو اخراج الدم وفى معناه الحجامة بحسب اختلاف أمزجة البلاد (والاسهال) بالادوية المناسبة لاخراج تلك المادة (وحشوية العلماء) وهم الذين يقتنعون بالقشر عن اللباب وينظرون الى ظاهر الامور دون الاطلاع على الاسرار الباطنة (يشيرون بالاعمال الظاهرة) ويحثون الناس على تحصيلها (كما يشير الطرقية من الاطباء) وهم الذين يجلسون على الطرق ويداوون الناس على جهل منهم (بطلاء ظاهر البدن) فيما لا يتم النفع به فهؤلاء علماء الدنيا الذين يتأكلون الدين بالدنيا (و) أما (علماء الآخرة) فانهم (لا يشيرون) على الناس (الا بتطهير الباطن) كما ان الكمل من الاطباء لا يشيرون على المرضى الا بمداواة الباطن (وقطع مواد الشر بافساد مبانيها) وفى نسخة منابتها (و) هو المناسب لقوله (قلع مغارسها) والضمير فيهما راجع الى مواد الشر (من القلب) ثم اعتذر عنهم فقال (وانما فزع الاكثرون) من العلماء والتجؤا (الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلب) وتزكيته (لسهولة أعمال الجوارح) على كل أحد (واستصعاب أعمال القلوب) لتوقفها على وجود مرشد كامل يريه الطرق (كما يفزع الى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الادوية المرة) المنفرة (فلا يزال) من حاله كذلك (يتعب فى الطلاء) الظاهر (وتزيد المواد) وتجتمع فى اعماق البدن (وتتضاعف الامراض) فيكون سببا لاهلاك البدن بالمرة (فان كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة) من الهلاك (وهاربا من هلاك الابد فاشتغل بعلم العلل الباطنة) وكيف طروّها على القلب (و) معرفة (علاجها) فى ازالتها (على ما فصلناه فى ربع المهلكات ثم ينجر ذلك بك الى) معرفة (المقامات المحمودة المذكورة فى ربع المنجيات) والتحلى بها (لا محالة فان القلب اذا فرغ) أى خلا (من) الخلق (المذموم امتلأ بالمحمود) كما قالوا القلب اذا خلا من الكفر دخله الايمان وضرب لذلك مثلا لاجل فهم العامة فقال (فالارض اذا نقيت) ونظفت (من الحشيش) الذى يضر بالارض ويأخذونها ولا ينتفع به (نبتت فيها) أى صلحت لان تنبت فيها (أصناف الزروع) المنتفع بها (و) أنواع (الرياحين) الطيبة (فان لم يفرغ) أى ان لم يخل القلب (من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات) اشتغالا كليا (لا سيما وفى الخلق من قد قام به)

فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذى هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وانما الاهم الذى أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها وجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهى الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذى بالجرب والدماميل والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالاعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الاطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها من القلب وانما فزع الاكثرون الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب كما يفزع الى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الادوية المرة فلا يزال يتعب فى الطلاء ويزيد فى المواد وتتضاعف به الامراض فان كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من الهلاك الابدى فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه فى ربع المهلكات ثم ينجر بك ذلك الى المقامات المحمودة المذكورة فى ربع المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش نبت فيها أصناف الزروع والرياحين وان لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذلك فلا تشتغل بفروض الكفاية لا سيما وفى زمرة الخلق من قد قام بها

كثيرا وهى فيها صلاح الغير (فان مهلك نفسه فى طلب صلاح غيره سفيه) ناقص العقل والرشد (فما أشد حماقة) أى فسادا فى العقل (من دخلت الافاعى) وهى الحيات (والعقارب داخل ثيابه وهمت) أى قصدت (بقتله) بالنهش واللسع (وهو يطلب) لنفسه (مذبة) وهى بكسر الميم المنشة (يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه) ولا يخلصه (مما يلاقيه من) ضرر (تلك الحيات والعقارب اذا هممن) وقصدن اتلافه (فان تفرغت من) النظر الى (نفسك وتطهيرها وقدرت) بتوفيق الله تعالى وحسن اعانته (على ترك ظاهر الاثم وباطنه) قال السمين ظاهر الاثم ما يطلع عليه الخلق وباطنه ما يختص بعلمه تعالى (وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة) أى مسهلة (فيك وما أبعد ذلك) عنك الا ان صادفتك العناية الربانية (فاشتغل بفروض الكفايات) حينئذ (وراع التدريج) والترتيب (فيها) وقدم الاهم فالاهم بحسب الاقتضاء (فابدأ بكتاب الله تعالى) بالترتيل والتدبر فى معانيه وحكمه واشاراته (ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) بتلقيها عن أربابها حفظا فى كل منهما وضبطا (ثم بعلم التفسير) بما تيسر لك من الكتب المؤلفة فيه كما سيأتى بيانها واياك ثم اياك من مطالعة مثل الكشاف وتفسير الفخر ففى كل منهما اشكالات وتشكيكات لا ينبغى سماعها فانها تحير وتمرض وتردى ولا تشفى غليلا وأقوال السلف فى التفسير ما لحمة لكنها ثلاثة أقوال وأربعة أقوال فيضيع الحق بين ذلك فان الحق لا يكون فى جهتين وربما احتمل اللفظ معنيين فأكثر عبر كل منهم عن واحد منها فهذا لا بأس به (وسائر علوم القرآن) المتعلقة به (من علم الناسخ والمنسوخ) قال الراغب النسخ ازالة شئ بشئ يعقبه فتارة يفهم منه الازالة وتارة يفهم منه الاثبات وتارة الامران ونسخ الكتاب ازالة حكم بحكم يعقبه وقال الاصوليون النسخ رفع الحكم الشرعى بخطاب وقد ألف فى ناسخ القرآن ومنسوخه مكى بن أبى طالب القيسى وأبو جعفر النحاس وأبو بكر بن العربى وأبو داود السجستانى وأبو عبيدة القاسم بن سلام وأبو سعيد عبد القاهر بن طاهر التميمى وأبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن على المفسر وأبو الحسين بن المناوى والجلال السيوطى وغيرهم (والمفصول والموصول) وقد ألف فيه مكى بن أبى طالب القيسى وغيره (والمحكم والمتشابه) المحكم ما خلا المراد به عن التبديل والتغيير أى التخصيص والتأويل والنسخ كقوله تعالى ان الله بكل شئ عليم والنصوص الدالة على ذات الله وصفاته لان ذلك لا يحتمل النسخ فان اللفظ اذا ظهر منه المراد فان لم يحتمل النسخ فمحكم والا فان لم يحتمل التأويل فمفسر والا فان سيق الكلام لاجل ذلك المراد فنص والا فظاهر واذا خفى فان خفى لعارض أى لغير الصيغة فخفى وان خفى أى لنفس الصيغة وأدرك عقلا فمشكل أو نقلا فمجمل أو لم يدرك أصلا فمتشابه وأول من ألف فى متشابه القرآن الكسائى كما قاله السيوطى فى الاتقان وقد نظمه أبو الحسن السخاوى المقرى ومن الكتب المؤلفة فيه البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للبرهان أبى القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى المقرى الشامى المعروف بتاج القراء ودرة التأويل فى متشابه التنزيل لابى القاسم حسين بن محمد بن المفضل الراغب الاصبهانى ودرة التنزيل وغرة التأويل للامام فخر الدين الرازى وكشف المعانى للبدر بن جماعة وقطف الازهار للجلال السيوطى وغيرها وكل ذلك من فروع علم التفسير لكن آكدها وأهمها معرفة علم الناسخ والمنسوخ (وكذلك فى السنة) من الناسخ والمنسوخ والمتشابه فممن ألف فى ناسخ الحديث ومنسوخه أبو محمد قاسم بن أصبغ القرطبى وأبو بكر محمد بن عثمان المعروف بالجعد الشيبانى أحد أصحاب ابن كيسان وأحمد بن اسحق الانبارى وأبو جعفر النحاس وأبو بكر الحازمى وأبو القاسم هبة الله بن سلامة المفسر وأبو حفص عمر بن شاهين البغدادى والامام أبو القاسم القشيرى ومحمد بن بحر الاصبهانى وبدل بن أبى المعمر التبريزى وآخرون وممن جمع بين متشابه القرآن والحديث شمس الدين محمد بن اللبان فى مجلد صغير نافع فى بابه قال بدل بن أبى المعمر فى كتابه المذكور أول من دون فى علم ناسخ الحديث

فان مهلك نفسه فيما به صلاح غيره سفيه فما أشد حماقة من دخلت الافاعى والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اذا همت به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك فى السنة

ومنسوخه

ومنسوخه الزهرى ثم لانعلم أحدا جاء بعده تصدى لهذا الفن وخصه الامام وجد من بعض الائمة فى
عوص الكلام عن آحاد الائمة حتى جاء الامام أبو عبدالله الشافعى فانه كشف أسراره واستفتح بابه
ثم ذكر بسنده الى أبى عبد الرحمن السلمى انه مر على قاص فقال تعرف الناسخ من المنسوخ قال لا قال
هلكت وأهلكت ومثل ذلك قد روى عن ابن عباس أيضا ثم قال والآثار فى هذا الباب كثيرة وانما
أوردنا نبذة منها لتعلم شدة اعتناء الصحابة بمعرفة الناسخ والمنسوخ فى كتاب الله تعالى وسنة نبيه
صلى الله عليه وسلم اذ شأنهما واحد (ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه) مما يتعلق
بالعبادات الظاهرة ومما تحتاج اليه (دون) السلم والكفارات والايمان والنذور والظهار والاجارة ودون
(الخلاف) والجدل مع مخالفى المذهب (ثم أصول الفقه) على قدر مسيس الحاجة وهذا ان تطلعت نفسك
الى مرتبة الاجتهاد وانفت التقليد لامامك وأما ان زعمت أن الاجتهاد قد انقطع فلا فائدة فى تعلم هذا
العلم الا لمن يصير محصله مجتهدا به فاذا عرفه ولم يفك تقليد امامه لم يصنع شيأ بل أتعب نفسه وركب
على نفسه الحجة فى مسائل وان كان تحصيله لاجل الوظائف وليقال فهذا من الوبال وضرب من الخبال
والكتب المؤلفة فيه كثيرة تغنى شهرتها عن ذكرها فمن الكتب المتوسطة فيه المنار للنسفى وجمع
الجوامع لابن السبكى والمنهاج للبيضاوى (وهكذا الى بقية العلم على ما يتسع لك العمر ويساعد فيه
الوقت) وتحتاج اليه مع زيادة ونقص حسب اقتضاء الحال (ولاتستغرق عمرك فى فن واحد منه) أى
مما ذكر حالة كونك (طالبا الاستقصاء) فيه والبلوغ الى نهايته (فان العلم كثير) بأقسامه وأنواعه
(والعمر قصير) فخذ من كل شئ أحسنه (وهذه العلوم) التى ذكرناها كلها (آلات) ووسائل
(ومقدمات) يصل بها الانسان الى المقاصد (وليست) هى (مطلوبة بعينها) أى لذاتها (بل لغيرها) التى
هى المقاصد (وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغى أن ينسى فيه المطلوب) الاعظم (ويستكثر منه فاقتصر من
علم اللغة على) قدر (ما تفهم به كلام العرب وتنطق به) فعليك بمطالعة مختصر الصحاح للرازى والمصباح
للفيومى وان أردت الزيادة فلا تعدون عيناك عن الصحاح للجوهرى أو العباب للصاغانى أو المجمل لابن
فارس وان أردت الزيادة فالقاموس المحيط للفيروزابادى الجامع للغات العرب فصيحة وغريبة وحواشيه
أو التهذيب للازهرى أو المحكم لابن سيده (و) اقتصر (من غريبه) أى علم اللغة (على غريب القرآن
وغريب الحديث) قال الخطابى الغريب من الكلام هو الغامض البعيد من الفهم وهو على وجهين
أحدهما أن يراد به انه بعيد المعنى غامضه لا يتناوله الفهم الا عن بعد ومعاناة فكر والثانى أن يراد به
كلام من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب فاذا وقعت الينا الكلمة من كلامهم استغربناها اهـ ومن
الكتب المؤلفة فى غريب القرآن لابى عبيدة معمر بن المثنى والعزيزى وأما غريب الحديث فقد
اعتنى كثيرون بتأليفه وتهذيبه أشهرهم الحربى وأبو عبيد وأبو موسى المدينى وممن جمع بينهما أبو
سليمان الخطابى وأبو عبيد الهروى وابن الاثير صاحب النهاية والزمخشرى فى الفائق وغير هؤلاء
(ودع التعمق فيه) فانه لانهاية له (واقتصر من) علم (النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة) بقراءة
كتاب صغير فيه كمقدمة الآجرومية مثلا وان أردت الزيادة فيه فالكافية لابن الحاجب أو الالفية لابن
مالك ثم مراجعة شروح كل من ذلك وأما الاكثار منه فانه يورث الجمود فى القلب كما نقله صاحب
القوت وقال الذهبى الاكثار منه يورث التحامق والتكبر على الناس (فما من علم الاوله) ثلاث مراتب
(اقتصار واقتصاد واستقصاء) وفى الاولين جناس محرف (ونحن نشير اليها) أى الى تلك المراتب (فى
الحديث والتفسير والفقه والكلام) ذكر الثلاثة الاول لشرفها وذكر علم الكلام لشهرته أو نظرا
الى الاصل باعتبار الموضوع وهو أشرف من علم الفقه (ليعبر بها عن غيرها) وفى بعض النسخ لتقيس بها
غيرها (فالاقتصار فى) علم (التفسير) تحصيل (ما يبلغ ضعف القرآن فى المقدار) وفى بعض النسخ ما يبلغ

ثم اشتغل بالفروع وهو علم
المذهب من علم الفقه دون
الخلاف ثم بأصول الفقه
وهكذا الى بقية العلوم على
ما يتسع له العمر ويساعد
فيه الوقت ولا تستغرق
عمرك فى فن واحد منها طالبا
للاستقصاء فان العلم كثير
والعمر قصير وهذه العلوم
آلات ومقدمات وليست
مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل
ما يطلب لغيره فلا ينبغى
ان ينسى فيه المطلوب
ويستكثر منه فاقتصر من
شائع علم اللغة على ما تفهم
منه كلام العرب وتنطق
به ومن غريبه على غريب
القرآن وغريب الحديث
ودع التعمق فيه واقتصر
من النحو على ما يتعلق
بالكتاب والسنة فما من علم
الا وله اقتصار واقتصاد
واستقصاء ونحن نشير اليها
فى الحديث والتفسير والفقه
والكلام لتقيس بها غيرها
فالاقتصار فى التفسير ما يبلغ
ضعف القرآن فى المقدار كما
صنفه على الواحدى
النيسابورى وهو الوجيز
والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة
أضعاف القرآن

فى المقدار ضعف القرآن وفى أخرى نصف القرآن وهو خطأ (كما صنفه) الشيخ الامام أبو الحسن (على) ابن أحمد بن محمد بن على (الواحدى) المفسر (النيسابورى) أصله من ساوة كان واحد عصره فى التفسير لازم أبا اسحق الثعلبى المفسر وأخذ العربية عن أبى الحسن القهنوزى الضرير واللغة عن أبى الفضل العروضى صاحب الازهرى وسمع الحديث من أبى محمش الزيادى وأبى بكر الحيرى وخلق روى عنه أحمد بن عمر الارغيانى وعبد الجبار بن محمد الخوارى وآخرون صنف التصانيف الثلاثة فى التفسير البسيط والوسيط والوجيز وأسباب النزول والتحبير فى شرح الاسماء الحسنى وشرح ديوان المتنبى وكتاب الدعوات وكتاب المغازى وكتاب الاعراب فى الاعراب وكتاب تفسير النبى صلى الله عليه وسلم وكتاب نفى التحريف عن القرآن الشريف توفى بنيسابور فى جمادى الاخيرة سنة ٤٦٨ (وهو الوجيز) أحد كتبه الثلاثة وعلى نمطه تفسير الجلالين (والاقتصاد) فيه (ما يبلغ ثلاثة أضعاف) وفى نسخة أرباع (القرآن) فى المقدار (كما صنفه من الوسيط فيه) وهو الكتاب الثانى من كتبه وعلى أسماء هذه الكتب الثلاثة سمى المصنف كتبه الثلاثة فى الفقه كما سيأتى بيانها (وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه ولا مرد له الا انتهاء العمر) وفى نسخة الى آخر العمر وهذا الذى ذكره بالنظر الى زمانه وأما الآن فلا يعرف من تلك الكتب شئ فالاقتصار الآن فيه تفسير الجلالين والتوسط فيه تفسير الخطيب الشربينى وتفسير ملا على ومن أراد الزيادة فيه فتفسير أبى السعود والمدارك للنسفى وتفسير القاضى البيضاوى (وأما) علم (الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما فى الصحيحين) صحيح الامام أبى عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابراهيم ابن المغيرة بن بردزبه الجعفى مولاهم البخارى وصحيح الامام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى رحمهما الله تعالى ويعرفان بالصحيحين لاتفاق الامة على قبول ما فيهما (بتصحيح نسخة) منهما (على رجل) من الحفاظ أو المحدثين (يعلم متن الحديث) على أحد رواة الكتابين أما البخارى فاتصلت رواية كتابه من طريق المستملى والسرخسى والكشميهنى وابن على بن السكن والاخسيكثى وأبى زيد المروزى وأبى على بن شبويه وأبى أحمد الجرجانى والكشانى وهو آخر من حدث عن الفربرى بالصحيح وأما مسلم فالمشهور من رواة كتابه ابراهيم بن سفيان الزاهد ورواه عنه أيضا مكى بن عبدان وأبو حامد بن الشرقى وأبو محمد القلانسى (وأما حفظ أسامى الرجال) المذكورة فيهما (فقد كفيت فيه ما تحمله غيرك) وفى بعض النسخ فقد يكفيك فيه ما حمله عنك (من قبلك) كأبى طاهر المقدسى وغيره ممن صنف فى أسماء رجالهما (ولك أن تعوّل) وتعتمد (على كتبهم) فى المراجعة عند الاشتباه (وليس يلزمك) أيضا (حفظ متون الصحيحين) على ظهر قلبك (ولكن) المطلوب (ان تحصله تحصيلا تقدر) به (على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة) وهو فى كتاب مسلم أسهل من كتاب البخارى لتفريقه الحديث الواحد فى مواضع شتى (وأما الاقتصاد فيه فان تضيف اليهما ما خرج عنهما مما أورد فى المسندات الصحيحة) وفى نسخة فى مسندات الصحيح أى كبقية السنن الاربعة والمستخرج عليهما للحافظ أبى نعيم وللاسماعيلى ولابن منده (وأما الاستقصاء) فيه (فما وراء ذلك الى استيفاء) وفى نسخة الى استيعاب (كل ما نقل من الضعيف والقوى والصحيح والسقيم) والمتواتر والمشهور والحسن والصالح والمضعف والمرفوع والمسند والموقوف والموصول والمرسل والمقطوع والمعضل والمعلق والغريب والمعلل والعالى والنازل (مع معرفة الطرق الكثيرة) للحديث الواحد (فى النقل ومعرفة أحوال الرجال) جرحا وتعديلا (و) معرفة (أسمائهم) وكناهم وبلدانهم (وأوصافهم) فكل ذلك داخل فى حد الاستقصاء وبما ذكره المصنف من حد الاقتصار والاقتصاد لا يسمى المشتغل بهما محدثا فقد قال ابن السبكى فى كتابه معيد النعم ومبيد النقم المحدث من عرف الاسانيد والعلل وأسماء الرجال والعالى والنازل وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون وسمع الكتب الستة ومسند الامام أحمد وسنن البيهقى ومعجم

كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له الى انتهاء العمر وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما فى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث وأما حفظ أسامى الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك أن تعوّل على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر منه على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة وأما الاقتصاد فيه فان تضيف اليهما ما خرج عنهما مما ورد فى المسندات الصحيحة وأما الاستقصاء فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوى والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة فى النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم

الطبراني وضم الى هذا القدر ألف جزء من الاجزاء الحديثية كان هذا أقل درجاته فاذا سمع ماذكرناه وكتب الطباق ودار على الشيوخ وتكلم فى العلل والوفيات والاسانيد عد فى اول درجات المحدثين ثم يزيد الله تعالى من شاء ماشاء اه قال السخاوى فى الجواهر والدرر والمقتصر على السماع لا يسمى محدثا ويروى عن مالك ان المقتصر على السماع لا يؤخذ عنه العلم وقال الامام أبو شامة علوم الحديث الآن ثلاثة أشرفها حفظ متونه ومعرفة غريبها وفقهها والثانى حفظ أسانيدها ومعرفة رجالها وتمييز صحيحها من سقيمها وهذا كان مهما وقد كفيه المشتغل بالعلم بما صنف وألف فى ذلك فلا فائدة تدعو الى تحصيل ماهو حاصل الثالث جمعه وكتابته وسماعه وتطريقه وطلب العلو فيه والرحلة بسببه الى البلدان والمشتغل بهذا مشتغل عما هو الاهم من علومه النافعة فضلا عن العمل فيه الذى هو المطلوب الاول اه قال الحافظ ابن حجر وهذا فى بعضه نظر لان قوله وهذا قد كفيه المشتغل بالعلم بما صنف فيه قد أنكره العلامة أبو جعفر بن الزبير وغيره ويقال عليه ان كان التصنيف فى الفن يوجب الاتكال على ذلك وعدم الاشتغال به فالقول كذلك فى الفن الاول فان فقه الحديث وغريبه لايحصى كم صنف فيه بل لوادعى مدع ان التصانيف التى جمعت فى ذلك أجمع من التصانيف التى جمعت فى تمييز الرجال وكذا فى تمييز الصحيح من السقيم لما أبعد بل ذلك هو الواقع فان كان الاشتغال بالاول مهما فالاشتغال بالثانى أهم الى آخر ماقاله وسيجىء لنا بحث ان شاء الله تعالى فى ذم غرور المحدثين ونوسع الكلام هنالك (وأما الفقه فالاقتصار فيه على ما يحويه مختصر) الامام أبى ابراهيم اسمعيل بن يحيى ابن عمرو بن اسحق (المزنى) ولد سنة ١٧٥ وحدث عن الشافعى ونعيم بن حماد وغيرهما روى عنه خزيمة والطحاوى وزكريا وأبو الساجى وابن جوصاء وابن أبى حاتم قال الشافعى المزنى ناصر مذهبى ومن تآليفه هذا المختصر والجامع الكبير والجامع الصغير والمنثور والمسائل المفيدة والترغيب فى العلم وكتاب الوثائق وكتاب نهاية الاختصار وتوفى لست بقين من رمضان سنة ٢٦٤ ومختصره هذا أكثر الكتب المتداولة السائرة فى كل الامصار على ماذكره النووى فى التهذيب وقد شرحه كثير من العلماء كابن سريج وأبى الطيب الطبرى وأبى الفتوح بن عيسى وأبى اسحق المروزى وأبى حامد المروزى وابن سراقة وأبى عبد الله المسعودى وأبى على الطبرى وأبى بكر الشاشى وأبى على السنجى وابن عدلان والشرف يحيى المناوى وزكريا الانصارى وغيرهم (وهو الذى رتبناه فى) كتابنا المسمى (خلاصة المختصر) وهو مفيد جدا ملخص من أصله مع زيادات نافعة ويسمى خلاصة الوسائل الى علم المسائل كما تقدم وهو غير عنقود المختصر ونقاوة المقتصر للمصنف أيضا (والاقتصاد فيه مايبلغ ثلاثة أمثاله) فى المقدار (وهو القدر الذى أوردناه فى) كتابنا (الوسيط من المذهب) وهو ملخص من بسيطه مع زيادات واحد الكتب الخمس المتداولة بين الشافعية ذكره النووى فى تهذيبه وقد شرحه تلميذه الخبوشانى وسماه المحيط فى ستة عشر مجلدا وابن الرفعة فى ستين مجلدا سماه البحر المحيط والموفق الحموى سماه منتهى الغايات والظهير الترمنتى ومحمد بن عبد الحاكم والعز المدلجى وأبو الفتوح العجلى وابن أبى الدم وابن الصلاح على الربع الاول فى جزأين وابن الاستاذ فى أربع مجلدات ويحيى بن أبى الخير اليمنى وغير هؤلاء وخرج أحاديثه السراج بن الملقن فى مجلد (والاستقصاء) فيه (ما أوردناه فى) كتابنا المسمى (البسيط) وهو كالمختصر لنهاية المطلب فى رواية المذهب لشيخه امام الحرمين الذى جمعها بمكة وأتمها بنيسابور قال ابن خلكان فى حق النهاية ماصنف فى الاسلام مثله (الى ماوراء ذلك من التطويلات) وقال ابن ساعد فى ارشاد القاصد من كتب الشافعية المختصرة التعجيز والتنبيه والتحرير ومختصر الوسيط للبيضاوى ومن المتوسطة المهذب والوسيط والروضة للنواوى ومن المبسوطة الحاوى للماوردى والكافى والوافى والبسيط وبحر المهذب والنهاية وشرح الوجيز ومن كتب الحنفية

وأما الفقه فالاقتصار فيه على مايحويه مختصر المزنى رحمه الله وهو الذى رتبناه فى خلاصة المختصر والاقتصاد فيه مايبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذى أوردناه فى الوسيط من المذهب والاستقصاء ما أوردناه فى البسيط الى ماوراء ذلك من المطولات

المختصرة البداية والنافع ومختار الفتوى ومختصر القدورى وله تكملة مهمة ومن المتوسطة الهداية والمشتملة ومن المبسوطة المحيط والمبسوط والتحرير ومن كتب المالكية المختصرة التلقين والجلاب ومختصر ابن الحاجب ومن المتوسطة نظم الدر للشارمساحى والتهذيب ومن المبسوطة الذخيرة وابن يونس والبيان والتحصيل ومن كتب الحنابلة المختصرة العمدة والنهاية الصغرى لابن رزين ومن المتوسطة المقنع والكافى ومن المبسوطة المغنى لابن قدامة اه وهذا الذى ذكره كالمصنف بالنظر الى زمانهم فأما الآن فالاعتماد فى مذهب الشافعى من الكتب المختصرة على مختصر أبى شجاع وشروحه ومتن الزبد وشروحه والارشاد لابن المقرى ومن المتوسطة على الروض والمنهج كلاهما لشيخ الاسلام زكريا وعلى شرح ٧ الاخير للرملى ولابن حجر فالاول عليه اعتماد المصريين وعلى الثانى اعتماد الحرمين وفى مذهب أبى حنيفة من الكتب المختصرة على الكنز للنسفى والملتقى لابن نجيح وشروحهما والمقدمة وشروحها وفى مذهب مالك من المختصرة على رسالة ابن تركى ومختصر خليل وشروحهما وفى مذهب سيدنا أحمد من المختصرة على دليل الطالب للشيخ مرعى الحنبلى والاقناع وغيرهما وهذا كله يختلف باختلاف البلدان فى المذاهب فرب كتاب يكون كثير الاستعمال والانتفاع فى بلد لم يشتهر فى بلد آخر وهذا ظاهر ثم ان المقتصر على ما ذكر وكذا المقتصد لا يكون فقيها كما ان المقتصد على سماع الصحيحين لا يسمى محدثا فقد قال ابن السبكى ان المقتصر على ما عليه الفتيا هو المضيع للفقه فان المرء اذا لم يعرف الخلاف والمآخذ لا يكون فقيها الى أن يلج الجمل فى سم الخياط وانما يكون رجلا ناقلا نقلا محبطا حامل فقه الى غيره لا قدرة له على تخريج حادث بموجود ولا قياس مستقبل بحاضر ولا الحاق شاهد بغائب وما أسرع الخطأ اليه وأكثر تزاحم الغلط عليه وأبعد الفقه لديه اه (وأما) علم (الكلام فمقصوده حماية) أى حفظ (المعتقدات التى نقلها أهل السنة) والجماعة (من السلف الصالحين (لا غير وما وراء ذلك) فانه (طلب لكشف حقائق الامور) وافشاء لسر الربوبية (من غير طريقه) من ايراد نقل البراهين والحجج وجلب الكلام من كل جهة (ومقصود حفظ السنة تحصل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو الذى أوردناه فى كتاب قواعد العقائد) وهو الكتاب الثانى (من جملة هذه الكتب) العشرة من الاحياء وسيأتى بيانه (والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة) فى المقدار (وهو الذى أوردناه فى كتاب) لنا يسمى (الاقتصاد فى الاعتقاد) ذكره ابن السبكى وغيره من جملة كتبه كما مرت الاشارة اليه فى مقدمة هذا الشرح وأما الآن فاشتغالهم الكثير فى المختصرة على أم البراهين لمحمد بن يوسف السنوسى وهو مختصر مفيد وعلى شروحه للمصنف وللشهاب القاسمى وعلى الجوهرة للشيخ ابراهيم اللقانى وشروحه الثلاثة وشروح ولده الشيخ عبد السلام (ويحتاج اليه) أى الى الاقتصاد فيه (لمناظرة مبتدع) ودفع شبهه (ومعارضة بدعته) التى يورد حججها (بما يفسدها) وينقضها (وينزعها عن قلب العامى) الذى لم ينظر فى العلوم (وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم) فى الدين (أما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل) ويتعلم طرق المناظرة (ولو شيأ يسيرا) أى قليلا (فقلما ينفع معه الكلام) فى المعتقدات (فانك ان أفحمته) أى أسكته بايراد البراهين عليه (لم يترك مذهبه) الذى اليه يذهب ولا مورده الذى اليه يرد ومنه يشرب (وأحال بالقصور) عن الجواب (على نفسه وقدر أن عنده جوابا وهو عاجز عنه) أى عن بيانه وفى بعض النسخ وقال ان عند غيره جوابا ما وهو عاجز عنه (وانما أنت ملبس بقوة المجادلة عليه) هكذا شأن المبتدعة اذا أفحموا (وأما العامى اذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد اليه) أى الى الحق (بمثله) ولكن ذلك (قبل أن يشتد التعصب) منه (للاهواء) المتصلة بفراغ قلبه عن الهوى وتزلزله فأى معتقد ورد عليه قبله ثم عن قريب اذا ورد الى شئ آخر قبله كذلك (فاذا اشتد تعصبهم) للاهواء ورسخوا على

وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التى نقلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الامور من غير طريقها ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذى أوردناه فى كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو الذى أوردناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامى وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيأ يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فانك ان أفحمته لم يترك مذهبه وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جوابا ما وهو عاجز عنه وانما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة وأما العامى اذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد اليه بمثله قبل ان يشتد التعصب للاهواء فاذا اشتد تعصبهم

ذلك

وقع الياس منهم اذ التعصب سبب برسخ العقائد فى النفوس وهو من آفات العلماء السوء فانهم يبالغون فى التعصب للحق و ينظرون الى
المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة
الباطل ويقوى غرضهم فى التمسك بما انسبوا اليه ولو جاؤا من جانب اللطف والرحمة والنصح فى الخلوة لافى معرض التعصب والتحقير لانجعوا فيه ولكن لما كان الجاه لايقوم الا بالاستتباع ولا يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة فى النفوس وأما الخلافيات التى أحدثت فى هذه الاعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات مالم يعهد مثلها فى السلف فاياك وان تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانها الداء العضال وهو الذى رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهاة على ماسيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس أعداء ماجهلوا فلا تظن ذلك فعلى الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا و زاد فيه على
الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه فلا يغرنك قول من يقول الفتوى
عماد الشرع ولا يعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة فى المذهب

ذلك وتمكن فيهم ذلك المعتقد الفاسد (وقع الياس منهم) ولم ينفع العلاج فيهم (اذ التعصب سبب قوى (يرسخ) أى يثبت (العقائد فى النفوس) و يركزها فيها (وهذا أيضا من آفات العلماء السوء الآكلين بدنياهم (فانهم يبالغون للتعصب للحق) أى لاظهاره (و ينظرون الى المخالفين) لهم (بعين الازدراء والاستحقار) والانكار الشديد (فينبعث) أى يتحرك (منهم) من المخالفين (الدواعى) المهيجة (بالمكافأة) أى المجازاة (والمقابلة) فيسبوا الله عدوا بغير علم (وتتوفر بواعثهم على نصرة باطلهم) وفى نسخة نصرة الباطل (ويقوى غرضهم) وقصدهم (فى التمسك بما انسبوا اليه) من فساد العقيدة وهذا منشؤه من سوء النظر فى البحث وتشنيعهم عليهم فى المجالس على ملا من الناس (ولو جاؤا من جانب اللطف والرحمة) والشفقة عليهم مع خلوص القلب من التعصبات (والنصح فى الخلوة) عن الناس (لا فى معرض التعصب) عليهم (والتحقير) لشأنهم (لانجعوا فيه) وأفادوا (ولكن لما كان الجاه لايقوم) ركنه (الا بالاستتباع) أى طلب الاتباع (ولا يستميل) خواطر (الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم) والازدراء بهم بكل ماأمكن (واتخذوا التعصب عادتهم) وتساوى فى ذلك صغارهم وقادتهم (و) جعلوا ذلك (آلتهم) وحرفتهم (وسموه) بحسب ظنهم الفاسد (ذبا عن الدين) أى دفعا عنه (ونضالا) أى مناضلة ومدافعة (عن المسلمين وفيه على التحقيق) اذا تأملوا (هلاك الخلق) لتقليدهم اياه فى ذلك (ورسوخ البدعة فى النفوس) فلا حول ولا قوة الا بالله (وأما الخلافيات) وهى المسائل التى فيها خلاف المذاهب (التى أحدثت فى هذه الاعصار) أى الازمان (المتأخرة) وهو القرن الرابع (وأبدع فيها من التحريرات) المستقصية (والتصنيفات) المستفيضة (والمجادلات) الهائلة (مالم يعهد مثلها) ولم يعرف (فى) أيام (السلف) المتقدمين (فاياك) أيها السالك طريق الآخرة (وأن تحوم حولها) وتتعب فى تحصيلها وتعول عليها (فاجتنبها اجتناب السم القاتل) ولو حسنت عباراتها وراقت معانيها فانما مثل من يحاولها كمن يحاول حية نظر اللين مجسها وحسن شكلها فجعلها طوقا فى عنقه فتلدغه (فانه الداء العضال) الذى لابرء له (وهو الذى رد الفقهاء كلهم) وصرفهم بسببه (الى طلب المنافسة) والاعجاب والكبر (والمباهاة) أى المفاخرة مع التعصب الشديد (على ماسيأتيك تفصيل غوائلها) أى مهلكاتها (وآفاتها) فى كتاب ذم الغرور (وهذا الكلام ربما يسمع من قائله) المنكر لذلك (فيقال الناس أعداء ماجهلوا) فينزل قائله غير منزلته و ينسبه الى الجهل والتسفيه وعدم الذوق السليم من الفطرة وهى كلمة حق أريد بها باطل (فلا تظن ذلك) بالقائل فان بعض الظن اثم (فعلى الخبير) العارف الماهر (سقطت) أى نزلت (فيه) وهو مثل مشهور (واقبل هذه النصيحة) المحضة (ممن ضيع العمر) ونقد صرفه (فيه زمانا) واشتغل به كثيرا (وزاد فيه على الاولين) ممن سبق فى كل فن (تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا) حتى فى علم السحر والسيمياء والنجوم والكيمياء كما هو معروف لمن أمعن فى ترجمته (ثم ألهمه الله رشده) و بصره بنفسه (وأطلعه على عيبه) بتوفيق من الله تعالى وحسن عنايته وذلك بعد رجوعه من أرض الحرمين (فهجره) أى تركه كله وساح وتجرد (واشتغل بنفسه) باستعمال الرياضات والمجاهدات والاقتناع باقل الاقوات مع كثرة من يعظمه من أرباب الدنيا و يأتون اليه بالاموال فلم يرفع رأسه اليهم ولا اليها ومضى على ذلك الى آخر عمره على جميل وسداد وهو يشير الى قول من قال سل المجرب ولا تسأل طبيبا (ولا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع) وركنه الذى يأوى اليه (ولا تعرف علله) الحكمية (الا بعلم الخلاف) ولا تظهر ثمرتها الا به (فان علل المذهب مذكورة فى) كتب (المذهب)

لم يغادر شيأ منها (والزيادات عليها مجادلات) وخصومات (لم يعرفها الاولون) من السلف فى عصر اتباع التابعين ومن فوقهم عصر التابعين (ولا الصحابة) رضوان الله عليهم بل كانوا ينكرون على من يجادل ويحسمون مادة الخلافيات كما هو مشهور من سيرتهم (وكانوا أعلم الناس بعلل الفتاوى من غيرهم) لتنوّر بصائرهم واقتباسهم من مشكاة النبوّة (بل هى) أى علل الفتاوى (مع انها غير مفيدة فى علم المذهب) لعدم احتياجه اليها (فهى ضارة) للفقيه (مفسدة لذوق الفقه) وسره (فان الذى يشهد له حدس المفتى) وتخمينه (اذا صح ذوقه فى الفقه) وتمكن منه (لايمكن تمشيته على شروط الجدل) التى يذكرونها (فى أكثر الامر فمن ألف طبعه) من أصل جبلته (رسوم الجدل) وتعلق بها (اذعن ذهنه) وانقاد (لمقتضيات الجدل) والخلافيات (وجبن) أى تأخر ونكص (عن الاذعان لذوق الفقه) والانقياد له (و) الحق (انما يشتغل به) صارما عمره اليه (من يشتغل بطلب الصيت) وشهرة الاسم (و) تحصيل (الجاه) والمنزلة عند الامراء والملوك (و يتعلل) للناس (بأنه يطلب علل المذهب) لاغير وان قصده بذلك رفع عماد المذهب ونصرته (وقد ينقضى عليه العمر) النفيس (ولا يصرف همته الى علم المذهب) الا قليلا (فكن من شياطين الجن فى أمان) فانهم ينطردون عنك بالآيات والاذكار ولا يقربونك بحضرة وعداوتك لهم وعداوتهم لك ظاهرة فيمكن دفعهم بأيسر شئ (واحترز من شياطين الانس) وهم العلماء السوء (فانهم أراحوا شياطين الجن من التعب) والمشقة (فى الاغواء والاضلال) ولكثرة مخالطتهم مع الناس وكونهم على سمة العلماء ولايمكن الاحتراز عنهم فيستفيد معاشرهم الانحياد عن السلوك السوى ويقع فى مخاطرة عظيمة واعلم أن الشياطين على نوعين نوع يرى عيانا وهو شيطان الانس وهم العلماء السوء ونوع لايرى وهو شيطان الجن وقد أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكتفى من شيطان الانس بالاعراض عنه والعفو والدفع بالتى هى أحسن ومن شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه وجمع بين النوعين فى سورة الانعام وسورة فصلت والاستعاذة والقراءة والذكر أبلغ فى دفع شياطين الجن والاعراض والدفع بالاحسان أبلغ فى دفع شياطين الانس

فما هو الا الاستعاذة ضارعا * أو الدفع بالحسنى هما خير مطلوب
فهذا دواء الداء من شر من ترى * وذاك دواء له من شر محجوب

(و بالجملة) أى حاصل الكلام (فالمرضى) المقبول (عند العقلاء) العرفاء (الاكياس ان تعد) وفى بعض النسخ أن تقدر (نفسك فى العالم وحدك مع الله تعالى) انه العليم البصير المطلع على أمورك وحركاتك وسكناتك (وبين يديك الموت) كأنه اقترب (والعرض) بين يديه كأنك وقفت له (والحساب) على القليل والكثير (والجنة والنار) كأنهما قد أزلفتا (وتأمل) بفكرك (فيما يعنيك) فى تلك الاهوال الكائنة (فيما بين يديك) وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما قال له ابن عباس عند موته كأنه يزيل جزعه ويهون عليه الامر بذكر محاسنه لو أن تلاع الارض ذهبا لافتديت به من هول المطلع كما رواه البخارى من حديث ابن أبى مليكة عنه وأخرج الخطيب فى اقتضاء العلم من طريق يزيد بن ابراهيم سمعت الحسن يقول قال أبو الدرداء ابن آدم اعمل كأنك تراه واعدد نفسك فى الموتى واتق دعوة المظلوم (ودع عنك ماسواه) فانه مضمحل وآيل الى البطلان وهذه الكلمة القليلة جامعة لمحاسن علم التصوف ولقد أحسن من قال

دع ماسوى الله فالاكوان قاطبة * ظل يزول فلا تغررك زينتها

وقال آخر
اذا رمت من تهوى * دع الدنيا وأهملها

وقال آخر
فمن سره أن لا يرى مايسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

(والسلام) على أهل التسليم (وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء) ونص القوت ورأى بعض

والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الاولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هى مع انها غير مفيدة فى علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذى يشهد له حدس المفتى اذا صح ذوقه فى الفقه لايمكن تمشيته على شروط الجدل فى أكثر الامر فمن ألف طبعه رسوم الجدل اذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب وقد ينقضى عليه العمر ولا تنصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن فى أمان واحترز من شياطين الانس فانهم أراحوا شياطين الجن من التعب فى الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضى عند العقلاء ان تقدر نفسك فى العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ماسواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء

أهل الحديث بعض فقهاء أهل الكوفة بعد موته (في المنام فقال له) ونص القوت قال فقلت له ما فعلت فيما كنت عليه من الفتيا والرأي قال فكره وجهه وأعرض عني وقال ما وجدناه شيأ ولا حمدنا عاقبته وحدثونا عن نصر بن علي الجهضمي عن أبيه قال رأيت الخليل بن أحمد في النوم بعد موته فقلت ما أحد أعقل من الخليل لا سألنه فقال لي رأيت ما كنا فيه فاني لم أره شيأ ما رأيت أنفع من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وحدثونا عن بعض الاشياخ قال رأيت بعض العلماء في المنام فقلت (ما خبر) ونص القوت ما فعلت (تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها) ونص القوت كانجادل فيها ونناظر عليها قال (فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت) أي ذهبت (كلها هباء منثورا ما انتفعت الا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل) وفي القوت حصلتا لي وهذا الذي أوردناه عن صاحب القوت في سياق قصة الخليل فقد أخرجه الحافظ أبو بكر الخطيب في كتاب الاقتضاء من وجهين أحدهما من طريق عبد الله بن أحمد حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثني محمد بن خالد حدثني علي بن نصر يعني اباه قال رأيت الخليل فساقه كما هو في القوت ومن طريق أحمد بن عبد الله الترمذي سمعت نصر بن علي يقول سمعت أبي يقول رأيت الخليل بن أحمد في المنام فقلت له ما فعل بك ربك قال غفر لي قلت بما نجوت قال بلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قلت كيف وجدت علمك أعني العروض والادب والشعر قال وجدته هباء منثورا (وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون) هكذا أورده صاحب القوت بلا اسناد وقال العراقي أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي امامة قال الترمذي حسن صحيح اه قلت أخرجاه من رواية حجاج بن دينار عن أبي غالب عن أبي امامة وأبو غالب اسمه حزور وقيل سعيد بن حزور وقد أخرجه أيضا الامام أحمد في مسنده والحاكم في التفسير وصححه والطبراني في الكبير والضياء المقدسي في المختارة واللالكائي في السنة كلهم من رواية ابن غالب عن أبي امامة رضي الله عنه واقتصروا على الحديث وليس في سياقهم ثم قرأ الخ الا اللالكائي فانه ساقه بتمامه وأقره الذهبي في التلخيص قال المناوي يعني من ترك سبيل الهدى وركب سنن الضلال لم عش حاله الا بالجدل أي الخصومة بالباطل وقال القاضي في تفسيره المراد التعصب لتخريج المذاهب الفاسدة والعقائد الزائغة لا المناظرة لاظهار الحق واستكشاف الحال واستعلام ما ليس معلوما عنده فانه فرض كفاية خارج عما نطق به الحديث اه (وفي الحديث في معنى قوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ) فيتبعون ما تشابه منه (قال هم أهل الجدل الذين عناهم الله تعالى بقوله فاحذرهم) هكذا أورده صاحب القوت بلا سند وقال العراقي متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها اه قلت وكذا أبو داود والترمذي كلهم من رواية ابن أبي مليكة عن القاسم عنها بلفظ تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب الى قوله أولوا الالباب قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم وقد رواه ابن ماجه من رواية أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة وفيه فقال يا عائشة اذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم الحديث فلم يذكر بين ابن أبي مليكة وعائشة القاسم والزيغ الميل عن الاستقامة والجدل هو المخاصمة والمقاومة على سبيل المغالبة وأصله من جدلت الحبل اذا فتلته فتلا محكما فكأن كلا المتجادلين يفتل صاحبه عن قوله الى قوله وقيل أصله من الجدل وهو القوة فكأن كلا المتجادلين يقوي قوله و يضعف قول صاحبه وقيل أصله من الجدالة وهي الارض فكأن كلا منهما يريدان يصرع صاحبه ويجعله بمنزلة من يلقيه بالجدالة (وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل) أورده صاحب القوت هكذا ونصه وعن بعض السلف يكون في آخر الزمان علماء بدل قوم والباقي سواء (وفي بعض الاخبار انكم في زمان الهمتم فيه وسيأتي قوم يلهمون

في المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا وما انتفعت الا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وفي الحديث في معنى قوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ الآية هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى فاحذرهم وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل و يفتح لهم باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون

الجدل) هكذا أورده صاحب القوت بلا اسناد وقال العراقى لم أجدله أصلا اهومن شواهده ما أخرجه الخطيب فى الاقتضاء من طريق العباس بن الوليد بن مزيد قال أخبرنى أبى سمعت الاوزاعى يقول اذا أراد الله بقوم شرا فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل وأخرج اللالكائى فى السنة من رواية يحيى بن معين قال حدثنا عثمان بن صالح حدثنا بكر بن مضر عن الاوزاعى فساقه الا انه قال ألزمهم الجدل والباقى سواء وأخرج الخطيب من طريق عبدالله بن حنيف سمعت ابراهيم البكاء يقول سمعت معروف بن فيروز الكرخى يقول اذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل واذا أراد الله بعبد شرا فتح له باب الجدل وأغلق عنه باب العمل (وفى الخبر المشهور) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أبغض الخلق الى الله الالد الخصم) قال العراقى متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها اه قلت هكذا أورده صاحب القوت بلا اسناد وقد أخرجه أيضا الامام أحمد والترمذى والنسائى كلهم من رواية ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن عائشة وسياقهم كلهم أبغض الرجال وقال الترمذى حديث حسن قال المناوى وانما خص الرجال لان اللدد فيهم أغلب ولان غيرهم تبع لهم فى جميع المواطن والالد هو الشديد الخصومة بالباطل الآخذ فى كل لدد أى فى كل شق من المراء والجدال والخصم المولع بالجدال الماهر فيه الحريص عليه المتمادى فيه بالباطل وهو يظهرانه على الحسن الجميل و يوجه لكل شئ من خصامه وجها بحيث صار ذلك عادته فالاول ينبئ عن الشدة والثانى عن الكثرة (وفى الخبر ما أوتى قوم المنطق الا منعوا العمل) قال العراقى لم أجدله أصلا اه قلت أورده صاحب القوت من طريق الحكم بن عيينة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى رفعه قلت عبد الرحمن بن أبى ليلى تابعى عالم الكوفة روى عن أبيه وعمر ومعاذ وعنه ابنه عيسى وحفيده عبدالله وثابت مات سنة ٨٣ والصحبة لابن أبى ليلى فهذا الحديث مرسل

(الباب الرابع فى سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط اباحتها)

أما علم الخلاف فهو علم يعرف به كيفية ايراد الحجج الشرعية ودفع الشبهة وقوادح الادلة الخلافية بايراد البراهين القطعية وهو الجدل الذى هو قسم من المنطق الا انه خص بالمقاصد الدينية وقد يعرف بانه علم يقتدر به على حفظ أى وضع وهدم أى وضع كان بقدر الامكان ولهذا قيل الجدل اما مجيب يحفظ وضعا أو سائل يهدم وضعا وذكر ابن خلدون فى مقدمة تاريخه ان الفقه المستنبط من الادلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وانظارهم خلافا لابد من وقوعه واتسع فى الملة اتساعا عظيما وكان للمقلدين ان يقلدوا من شاؤا ثم لما انتهى ذلك الى الائمة الاربعة وكانوا بمكان من حسن الظن اقتصر الناس على تقليدهم فأقيمت هذه الاربعة أصولا للملة وأجرى الخلاف بين المتمسكين بها مجرى الخلاف فى النصوص الشرعية وجرت بينهم المناظرات فى تصحيح كل منهم مذهب امامه يجرى على أصول صحيحة و يحتج بها كل على صحة مذهبه فتارة يكون الخلاف بين الشافعى ومالك وأبو حنيفة يوافق أحدهما وتارة بين غيرهم كذلك وكان فى هذه المناظرات بيان مآخذ هؤلاء فيسمى الخلافيات ولابد لصاحبه من معرفة القواعد التى يتوصل بها الى استنباط الاحكام كما يحتاج اليه المجتهد الاول والمجتهد يحتاج اليها للاستنباط وصاحب الخلاف يحتاج اليها لحفظ تلك المسائل من ان يهدمها المخالف بادلته وهو علم جليل الفائدة وكتب الحنفية والشافعية أكثر من تآليف المالكية لان أكثرهم أهل المغرب وهو بادية وللغزالى فيه كتاب المأخذ ولابى بكر بن العربى كتاب التلخيص جاء به من المشرق ولابى زيد الدبوسى كتاب التعليقة ولابن القصار من المالكية عيون الادلة اه ومن الكتب المؤلفة فيه أيضا المنظومة النسفية وخلافيات الامام الحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى جمع فيه المسائل المختلف فيها بين الشافعى وأبى حنيفة وأما علم الجدل فهو علم باحث عن الطرق التى يقتدر بها على ابرام ونقض وهو أحد أجزاء علم المنطق لكنه خص بالعلوم الدينية ومباديه بعضها نظرية و بعضها خطابية و بعضها أمور عادية وله

الجدل وفى الخبر المشهور أبغض الخلق الى الله تعالى الالد الخصم وفى الخبر ما أوتى قوم المنطق الا منعوا العمل والله أعلم

(الباب الرابع فى سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط اباحتها)

استمداد من علم المناظرة المشهور بآداب البحث ولا يبعد ان يقال ان علم الجدل هو علم المناظرة لان المآل منهما واحد الا ان الجدل أخص منهما و يؤيده كلام ابن خلدون فى مقدمة كتابه حيث قال الجدل هو معرفة آداب المناظرة التى تجرى بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم فانه لما كان باب المناظرة فى الرد والقبول المستفاد من الاستدلال مايكون صوابا ومايكون خطأ فاحتاج الى وضع آداب وقواعد يعرف منه حال المستدل والمجيب ولذلك قيل فيه انه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب فى الاستدلال التى يتوصل بها الى حفظ رأى أوهدمه كان ذلك الرأى من الفقه أوغيره وهو طريقان طريق البزدوى وهى خاصة بالادلة الشرعية من النص والاجماع والاستدلال وطريق ركن الدين العميدى وهى عامة فى كل دليل يستدل به من أى علم كان والمغالطات فيه كثيرة واذا اعتبر بالنظر المنطقى كان فى الغالب أشبه بالقياس المغالطى والسوفسطائى الا ان صور الادلة والاقيسة فيه محفوظة مراعاة تتحرى فيها طرق الاستدلال كما ينبغى وهذا العميدى أول من كتب فيها ونسبت الطريقة اليه ووضع كتابه المسمى بالارشاد مختصرا وتبعه من بعده من المتأخرين كالنسفى وغيره وكتب فى الطريقة التآليف وهى لهذا العهد مهجورة لنقص العلم فى الامصار وهى مع ذلك كمالية وليست ضرورية اه وقال المولى أبو الخير والناس فيه طرق أحسنها طريق ركن الدين العميدى وأول من صنف فيه من الفقهاء أبو بكر القفال الشاشى المتوفى سنة ٣٣٦ وقال بعض العلماء اياك ان تشتغل بهذا الجدل الذى ظهر بعد انقراض الاكابر من العلماء فانه يبعد عن الفقه ويضيع العمر ويورث الوحشة والعداوة وهو من اشراط الساعة كذا فى حديث ولله در القائل

أرى الفقهاء فى ذا العصر طرا * أطاعوا العلم واشتغلوا بلم لم

اذا ناظرتهم لم تلق منهم * سوى حرفين لم لم لانسلم

وأما علم المناظرة المعروف الآن بآداب البحث فقد ذكر ابن طاشكبرى فى مفتاح السعادة والمولى لطفى فى موضوعاته انه علم يبحث فيه عن كيفية ايراد الكلام بين المناظرين وموضوعه الادلة من حيث انها يثبت بها المدعى على الغير ومباديه أمور بينة بنفسها والغرض منه تحصيل ملكة طرق المناظرة لئلا يقع الخبط فى البحث فيتضح الصواب وفى الخاقانية لابن صدر الدين وهذا العلم كالمنطق يخدم العلوم كلها لان البحث والمناظرة عبارة عن النظر فى الجانبين فى النسبة بين الشيئين اظهارا للصواب والزاما للخصم الا انه بشرائط معتبرة والا كان مكابرة غير مسموعة فلابد من قانون تعرف به مراتب البحث على وجه يتميز به المقبول عما هو المردود وتلك القوانين هى آداب البحث اه وفيه مؤلفات أكثرها مختصرات وشروح للمتأخرين وأول من صنف فيه الشمس محمد بن شرف الحسينى السمرقندى المتوفى سنة ٦١٠ والعلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الايجى المتوفى سنة ٧٥٦ (اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون) وهم الخلفاء الاربعة وعمر بن عبد العزيز (وكانوا أئمة) على الحق (وعلماء بالله تعالى) أى بذاته وصفاته (فقهاء فى أحكامه) وأوامره (مشتغلين) بأنفسهم (بالفتاوى فى الاقضية) أى الاحكام (فكانوا لايستعينون بالفقهاء) من الصحابة (الانادرا فى) بعض (وقائع) ونوازل (لايستغنى فيها عن المشاورة) كمسئلة الجد والاخوات وغيرها كما سيأتى فكان الذى يتولى أمور الناس هو الذى يفتى فى الاحكام (فتفرغوا) وفى نسخة فتفرغ العلماء (لعلم الآخرة) كعلم الايمان واليقين المستفادين من القرآن والحديث (وتجردوا له) بهممهم وكليتهم (وكانوا يتدافعون الفتاوى ومايتعلق بأحكام الخلق من الدنيا) قال صاحب القوت وروينا عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال أدركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنهم من أحد يسأل عن حديث أوفتيا الاود ان أخاه كفاه ذلك وفى لفظ آخر كانت المسئلة تعرض على أحدهم فيردها الى

اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء فى أحكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى فى الاقضية فكانوا لايستعينون بالفقهاء الانادرا فى وقائع لايستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام الخلق من الدنيا

الآخر و يردها الآخر الى الآخر حتى ترجع الى الذى سئل عنها أول مرة وسيأتى انهم كانوا يتدافعون أربعة أشياء الامامة والوديعة والوصية والفتوى وكان شغلهم فى خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر (واقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم) أى خالصه وحقيقته (كما نقل من سيرهم) وشمائلهم ومن طالع كتاب الحلية لابى نعيم وجد ما يشفى الغليل (فلما أفضت الخلافة بعدهم الى أقوام) تغلبوا عليها بالمال والجاه (وتولوها بغير استحقاق) لها ولا أهلية للقيام بأركانها (ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام) الشرعية لغلبة الجهل عليهم أو لاشتغالهم باللذات النفسية (اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء) واحتاجوا لهم (والى استصحابهم) ومرافقتهم (فى جميع أحوالهم) سفرا وحضرا (لاستفتائهم فى مجارى أحكامهم) وفى القوت قال عبد الرحيم الاسود وغيره من العلماء ان علم الاحكام والفتاوى كان الولاة والامراء يقومون به وترجع العامة اليهم فيه ثم ضعف الامر وعجزت الولاة عن ذلك لميلهم الى الدنيا وشغلهم بالحروب عنها فصاروا يستعينون على ذلك بعلماء الظاهر وبالمفتين فى الجوامع وكان الامير اذا جلس للمظالم قعد عن يمينه وشماله مفتيان يرجع اليهما فى القضاء والاحكام ويأمر الشرط بمثل ذلك فكان من الناس من يتعلم علم الفتيا والقضاء ليستعين بهم الولاة على الاحكام والقضاء حتى كثر المفتون رغبة فى الدنيا وطلبا للجاه والرياسة ثم أخلق الامر بعد ذلك حتى تركت الولاة الاستعانة بالعلماء اه (وكان قد بقى من) طبقة (علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول) أصل الطراز علم الثوب ثم استعير للنمط والطريقة وبه فسر قول حسان

بيض الوجوه كريمة احسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

(وملازم صغو الدين) هو بكسر الصاد المهملة وسكون الغين المعجمة الجانب والناحية (ومواظب على سمت) اى طريقة (علماء السلف) من الصحابة (وكانوا اذا طلبوا) لتولية القضاء والفتيا فى الاحكام (هربوا) من بلد الى بلد ومنهم من أظهر الجنون والتحامق (واعرضوا) عن ذلك بالكلية كما سيأتى تفصيله عن زيد بن أبى خراش ان الثورى لقى شريكا فقال بعد الفقه والخير تلى القضاء قال يا أبا عبد الله وهل بد للناس من قاض فقال سفيان وهل بد للناس من شرطى (واضطر الخلفاء) والامراء (الى الالحاح) والحث فى طلبهم (لتولية القضاء والحكومات) فى أمور الخلق فلم يمكنهم ذلك ومنهم من أدرك وولى كرها (فرأى أهل تلك الاعصار) الموجودين (عز العلماء) بالله تعالى (واقبال الائمة والولاة عليهم) والاصغاء لقولهم (مع اعراضهم عنهم) وعدم التفاتهم اليهم كما هو معلوم لمن طالع تراجم الامام أبى حنيفة وسفيان الثورى ومن فى عصرهما من الائمة (فاشرأبوا) أى مالت نفوسهم (لطلب العلم) أى علم الفتيا والاحكام (توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة) والحكام (فاكبوا) أى واظبوا وفى نسخة فاقبلوا (على علم الفتيا) وما يتعلق به تحصيلا واكتسابا (و) حين توشحوا بذلك (عرضوا بأنفسهم) وفى نسخة نفوسهم (على الولاة) ليولون تلك المناصب (وتعرفوا اليهم) بالوسائط والشفاعات (وطلبوا الولايات) للاعمال (والصلاة) أى العطايا (منهم فمنهم من حرم) قصده أى منع (ومنهم من أنجح) أى اعطى له ما تمناه (والمنجح) منهم (لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الابتذال) لانها لوازم السائل (فأصبح) السادة (الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا أعزة بالاعراض عن) الملوك و(السلاطين) والامراء يقربون منهم (أذلة بالاقبال عليهم) والاتصال بحواشيهم وكم من فرق بين المطلوب والطالب والعزيز والذليل (الا من وفقه الله عز وجل فى كل عصر من علماء دينه) وفى نسخة من العلماء بالله تعالى وهذا فى زمانه وأما الآن فقد أخلق الامر جدا وتضعضع ركن العلماء فصاروا أذل من كل ذليل وترك الاستعانة بهم فلا حول ولا قوة الا بالله والله المستعان (وقد كان أكثر الاقبال فى تلك الاعصار على علم الفتاوى والاقضية) دون غيره (لشدة الحاجة) أى

وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما نقل من من سيرهم فلما أفضت الخلافة بعدهم الى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم فى جميع أحوالهم لاستفتائهم فى مجارى أحكامهم وكان قد بقى من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صغو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء الى الالحاح فى طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من أنجح والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا أعزة بالاعراض عن السلاطين أذلة بالاقبال عليهم الا من وفقه الله تعالى فى كل عصر من علماء دين الله وقد كان أكثر الاقبال فى تلك الاعصار على علم الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة

حاجة الامراء (اليها فى الولايات والحكومات) والعامة تبع لهم (ثم ظهر بعدهم من الصدور) أى الاكابر الذين يتصدرون فى المجالس (والامراء من يسمع مقالات الناس) أى أقاويلهم (فى قواعد العقائد) الاسلامية (ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها) والتطلع الى أقوال المخالفين والرد على كلامهم بالبراهين (فغلبت رغبته الى المناظرة) أى ميله الى المباحثة على قواعد النظر (والمجادلة) على قواعد الجدل (فى الكلام فانكب الناس) أى اجتمعوا مشتغلين (على علم الكلام) وتحصيله (واكثروا فيه التصانيف) وفى نسخة التعاليق (ورتبوا فيه طرق المجادلات) على طريقة ركن الدين العميدى (واستخرجوا فنون المناقضات فى المقالات) بتكثير الكلام فيها (وزعموا) قائلين (ان غرضنا) من هذا (الذب) أى الدفع (عن دين الله عز وجل) وحماية حوزته (والنضال) أى المدافعة (عن السنة) الشريفة (وقمع) الطائفة (المبتدعة) من المعتزلة والقدرية وغيرهما من الفرق الضالة (كما زعم من قبلهم) من المشتغلين (ان غرضهم الاشتغال بفتاوى الدين) حسبة لله تعالى (وتقلد أمور المسلمين) بحسن التوسط بينهم (اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم) وربما تعلقوا بحديث النصح لكل مسلم ونزلوا معناه على افعالهم (ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض) أى لم ير الخوض (فى الكلام وفتح باب المناظرة) والمجادلة (فيه) صوابا (لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة) والحميات الشيطانية (والخصومات الفاشية) الظاهرة وفى نسخة الناشئة بالنون (المفضية) أى الموصلة (الى اهراق الدماء واخراب البلاد) ومن أعظمها فتنة الوزير أبى نصر منصور بن محمد الكندى الذى كان معتزليا خبيث العقيدة متعصبا للكرامية والمجسمة فى زمن السلطان طغرلبك السلجوقى فادت الى خروج امام الحرمين والحافظ البيهقى والامام أبى القاسم القشيرى وغيرهم من أئمة السنة من نيسابور وقد طار شرر هذه الفتنة فملأ الآفاق وطال ضررها فشمل خراسان والشام والحجاز والعراق وعظم خطبها ونهبت البلاد وأخربت البلدان وفى ذلك صنف القشيرى رسالة الى البلاد سماها شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة وقد جالت هذه الرسالة فى البلاد وانزعجت نفوس أهل العلم بسببها حسبما أوردها مع تفصيل الفتنة ابن السبكى فى طبقاته فراجعه ان شئت (ومالت نفسه) لذلك (الى المناظرة فى الفقه) فقط بالرد والنقض على المخالفين (و) اختار من ذلك (بيان الاولى) والارجح (من مذهب) الامام (الشافعى) والامام (أبى حنيفة رضى الله عنهما على الخصوص) لشهرتهما وكثرة من قلد مذهبهما فى غالب الاقطار (فترك الناس الكلام وفنون العلم وأقبلوا) وفى نسخة انثالوا (على المسائل الخلافية بين الشافعى وأبى حنيفة على الخصوص) وقد تقدم عن ابن خلدون قال فى مقدمة تاريخه لما انتهى الامر الى الائمة الاربعة وكانوا بمكان من حسن الظن اقتصر الناس على تقليدهم فأقيمت هذه الاربعة أصولا للملة وأجرى الخلاف بين المتمسكين بها مجرى الخلاف فى النصوص الشرعية وجرت بينهم المناظرات فى تصحيح كل منهم مذهب امامه يجرى على أصول صحيحة ويحتج بها كل على صحة مذهبه اهـ (وتساهلوا فى الخلاف مع مالك رحمه الله) لان أكثر مقلدى مذهبه مغاربة وهم بادية فلذلك لم يصنفوا فيه كتبا الا ما كان من المتأخرين منهم (وسفيان) ابن سعيد الثورى (وأحمد) ابن حنبل لقلة مقلدى مذهبهما بالنسبة الى الاولين (وغيرهم) من الائمة (وزعموا أن غرضهم) من ذلك (استنباط) أى استخراج (دقائق الشرع) وبيان المأخذ (و) معرفة القواعد التى يعرف منها (تفريع) وفى نسخة تقرير (علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى) مع المحافظة عليها من هدم مخالف أو نقض مصادم (فأكثروا فيها التصانيف) والتعاليق منظومة ومنثورة (والاستنباطات الغريبة (ورتبوا فيها أنواع المجادلات) والخصومات (والتصنيفات) فمن ذلك تعليقة أبى زيد الدبوسى من الحنفية وخلافيات الحافظ البيهقى وغير هؤلاء (وهم مستمرون عليه الى الآن) أى الى زمان تأليف

الحجج فيها فغلبت رغبته الى المناظـرة والمجادلة فى الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات فى المقالات وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد أحكام المسلمين اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض فى الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة فى الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعى وأبى حنيفة رضى الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعى وأبى حنيفة على الخصوص وتساهلوا فى الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه الى الآن

وليس ندرى ما الذى يحدث الله فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس أرباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة أو الى علم آخر من العلوم لمالوا أيضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين

(بيان التلبيس فى تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف)

اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بان غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون على النظر فى العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر هكذا كان عادة الصحابة رضى الله عنهم فى مشاوراتهم كتشاورهم فى مسئلة الجد والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا أخطأ كما نقل من اجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضى الله عنه وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعى وأحمد ومحمد بن الحسن ومالك وأبى يوسف وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى و يطلعك على هذا التلبيس ما أذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين

الكتاب وهو سنة ثمان وتسعين وأربعمائة (وليس ندرى ما الذى قدر الله تعالى فيما بعدنا من الاعصار) قلت ثم تعاظم الامر فى ذلك وأوسعوا فيه الكلام ومالوا اليه مرة واحدة بحيث لا يعد العالم فيما بينهم الا اذا استكمل الخلاف والجدل وحصلت المناظرات بين الحنفية والشافعية وترتب على ذلك تخريب بعض البلاد واجلاء بعض العلماء ومن أعظمها ما حصل بمرو أم مدن خراسان بسبب ابن السمعانى وغيره (فهذا) الذى ذكرت (هو الباعث) لهم (على الاكباب) والاقدام (على الخلافيات والمناظرة) والجدل (لا غير ولو مالت نفوس أرباب الدنيا) وأمرائها (الى الخلاف مع امام آخر من الائمة) غير من ذكروا (أو الى علم آخر من العلوم لمالوا أيضا معهم) كما اتفق لملوك الروم وميلهم الى علوم الفلاسفة فاشتغل الناس بتحصيلها من كل وجه وامتلأت المدارس الشرعية بمن يحصلها وأوسعوا فيها من التآليف ووقعت الحكومات والمنافسات وأعطوا على ذلك أموالا فوجب صرف العناية اليها ولم تندثر تلك العلوم من بلاد الروم الا عن قريب وهذا كما قيل الناس على دين ملوكهم (ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به هو علم الدين وان لا مطلب لهم) من تحصيله (سوى التقرب الى رب العالمين) وقد أخطؤا فيما زعموا

وكل يدعى وصلا بليلى * وليلى لا تقر لهم بذاك

ثم ان الشيخ رحمه الله تعالى ذكر سبب الاقبال على علم الخلاف والانكباب عليه ولم يذكر الاسباب الموجبة للخلاف فى هذه الملة وهى ثمانية الاول اشتراك الالفاظ والمعانى الثانى الحقيقة والمجاز والثالث الافراد والتركيب والرابع الخصوص والعموم والخامس الرواية والنقل والسادس الاجتهاد فيما لا نص فيه والسابع الناسخ والمنسوخ والثامن الاباحة والتوسيع وتفصيل ذلك فى كتاب ألفه أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسى وهو حسن فى بابه فراجعه ان شئت *(بيان التلبيس)* أى التخليط (فى تشبيه هذه المناظرات) التى تجرى بينهم (بمشاورات الصحابة رضى الله عنهم ومفاوضات السلف) الصالحين (اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك) أى يأخذونهم على طريق الاستدراج (بان غرضنا من المناظرة المباحثة عن الحق) والتفحص عنه لنتبعه (وليتضح) وضوحا كليا (فان الحق مطلوب) لا محالة (والتعاون على النظر) أى طلب المعنى بالقلب من جهة الفكر كما يطلب ادراك المحسوس بالعين (وتوارد الخواطر) بعضها على بعض (مفيد ومؤثر) تأثيرا بليغا (و) يزعمون انه (هكذا كانت عادة الصحابة) الكرام رضى الله عنهم (فى مشاوراتهم) مع بعضهم فى مسائل اذا اختلف فيها (كتشاورهم) أى كما تشاوروا (فى مسئلة الجد والاخوة) فأفتى فيها أبو بكر الصديق بمشاورة الصحابة بان أنزله أبا وبه أفتى ابن الزبير لاهل الكوفة كما فى البخارى فى مناقب الصديق وبه أخذ الامام أبو حنيفة وأفتى زيد بن ثابت بان له مع الاخوة خير الامرين من المقاسمة وأخذ ثلث المال وبه أخذ الشافعى وباقى الائمة (وحد شرب الخمر) فقيل أربعين كما فى صحيح مسلم وقيل ثمانين كما فى البخارى وفى مسلم ان عبد الله بن جعفر جلد الوليد بن عقبة بين يدى عثمان وكان أخا لامه وعلى يعده حتى بلغ أربعين فقال أمسك ثم قال جلد النبى صلى الله عليه وسلم أربعين وأبو بكر أربعين وعثمان ثمانين وكل سنة وهذا أحب الى (ووجوب الغرم على الامام اذا أخطأ) فى اجتهاده (كما نقل من اجهاض) أى القاء (امرأة جنينها) من بطنها لغير تمام (خوفا من عمر) رضى الله عنه فوداه من عنده (وكما نقل فى مسائل الفرائض) وهى كثيرة (وغيرها) مما تشاور فيه الصحابة رضى الله عنهم (وما نقل عن الشافعى ومحمد بن الحسن) الشيبانى (ومالك) ابن أنس (وأبى حنيفة) النعمان (وأبى يوسف) يعقوب (وغيرهم من العلماء) كأحمد واسحق بن راهويه وأبى ثور فى مناظراتهم مع بعضهم و بعض ذلك مذكور فى الطبقات الكبرى لابن السبكى فهذا هو الذى أوقع الناس فى التلبيس (و يطلعك على هذا التلبيس ما أذكره لك) مفصلا (وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين) وقد ورد فى الحديث

طلب

ولكن له شروط وعلامات ثمان الاول ان لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الاعيان ومن عليه فرض
عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو كذاب ومثاله من يترك الصلاة فى نفسه ويتجرد فى تحصيل الثياب ونسجها
ويقول غرضى أستر عورة من يصلى عريانا ولا يجد ثوبا فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر
التى عنها البحث فى الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرات مهملون لامور هى فرض عين باتفاق ومن توجه عليه رد وديعة فى الحال فقام وأحرم بالصلاة التى هى أقرب القربات الى الله تعالى عصى به فلا يكفى فى كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات مالم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب الثانى أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فان رأى ماهو أهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على احيائهم بان يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم انه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس واذا قيل له فى البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال
المشتغل بالمناظرة وفى البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها فاما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها وأقربها الطب اذ لا يوجد فى أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء فى الاشتغال به وكذا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون المناظر فى مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا

طلب الحق غربة (ولكن له شروط وعلامات) بها ينتظم أمره وبها يظهر حقه من باطله (الاول) من الشروط (أن لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات) كما تقدم (من لم يتفرغ عن) تحصيل (فروض الاعيان) الواجبة عليه (ومن) كان (عليه فرض عين) فتركه (واشتغل بفرض كفاية وزعم ان مقصوده) طلب (الحق فهو كذاب) وفى نسخة كاذب (ومثاله) مثال (من يترك الصلاة المفروضة عليه (فى نفسه ويتجرد) وفى نسخة يتجرد (فى تحصيل الثياب ونسجها) وخياطتها (ويقول غرضى به ستر عورة من يصلى عريانا ولا يجد ثوبا) يستتر به (فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن) فى الخارج (كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر التى عنها البحث فى الخلاف ممكن) الوقوع (والمشغولون فى المناظرة مهملون) وفى بعض النسخ والمستغرق بالمناظرة مهمل (لامور) أى تارك لها (هن) وفى نسخة هى أى تلك الامور (فرض عين) عليه (بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة فى الحال) وترك ذلك (فقام يحرم بالصلاة) وفى نسخة فقام وتحرم بالصلاة (التى هى أقرب القربات الى الله تعالى) مع بقاء وقتها (عصى) الله (بذلك فلا يكفى فى كون الشخص مطيعا) لله تعالى (كون فعله من جنس الطاعات مالم يراع فيه الوقت) الذى يؤدى فيه (والشرط) الذى يتم به (والترتيب) الذى به يقبل (الثانى) من الشروط (أن لا يرى فرض كفاية) من فروض الكفايات التى ذكرت (أهم من المناظرة) وأكثر اعتناء منها (فان رأى ماهو أهم عصى بفعله) هذا (وكان مثاله) مثال (من رأى جماعة من العطاش) جمع عطشان قد (أشرفوا على الهلاك) لعدم الماء (وقد أهملهم الناس) أى تركوهم (وهو قادر على احيائهم بان يسقيهم الماء) وترك ذلك (فاشتغل بتعليم الحجامة) مثلا (وزعم انه من فروض الكفايات) وانه مما ينبغى الاعتناء بها (و) انه (لو خلا البلد عنها لهلك الناس واذا قيل) له (فى البلد جماعة من الحجامين) قد قاموا بهذا العلم (وفيهم غنية) وكفاية (فيقول) مناظرا (وهذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل) أى يترك (الاشتغال بالواقعة الملمة) أى الحادثة النازلة (لجماعة العطاش من المسلمين) وقد أشرفوا على الهلاك (كحال المشتغل بالمناظرة وفى البلد) جملة من (فروض كفايات مهملة) متروكة (لا قائم بها) ولا سائل عنها (وأما الفتوى فقد قام بها جماعة) من العلماء (ولا يخلو بلد) من البلاد (عن جملة من الفروض المهملة) قد تركوها (ولا يلتفت الفقهاء اليها) أصلا (وأقربها) وفى نسخة وأكبرها (الطب) فقد ضيعوه رأسا (اذ لا يوجد فى أكثر البلاد طبيب مسلم) عارف ماهر (يجوز اعتماد شهادته فيما) يصف من الادوية و(يعوّل فيه على قول الطبيب فيه شرعا) كما هو مشاهد فى هذه الازمان والبلاد (ولا يرغب أحد من العلماء فى الاشتغال به) لما تقدم انه لا تحصل به المشيخة والرياسة ولا الوصايا وحيازة الاموال قال صالح جزرة عن الربيع قال الشافعى لا أعلم بعد الحلال والحرام انبل من الطب الا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه وقال حرملة كان الشافعى يلتهف على ماضيع المسلمون من الطب ويقول ضيعوا ثلث العلم ووكلوه الى اليهود والنصارى (وكذا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو من فروض الكفايات) كما تقدم (وربما يكون المناظر فى مجلس مناظرته مشاهدا الحرير مفروشا وملبوسا) وهو

من جملة المنكرات الشرعية ولكن فى المفروش خلاف لابى حنيفة كما سيأتى بيانه فيما بعد (وهو ساكت) لا ينهى عن ذلك وروى أبو محمد البستى السختيانى نزيل مكة حدثنى الحرث بن شريح قال دخلت مع الشافعى على خادم الرشيد وهو فى بيت قد فرش بالديباج فلما وضع الشافعى رجله على العتبة أبصره فرجع ولم يدخل فقال له الخادم ادخل فقال لا يحل افتراش هذا فقام الخادم متبسما حتى دخل بيتاله فرش بالارمنى فدخل الشافعى ثم أقبل عليه فقال هذا حلال وذاك حرام وهذا أحسن من ذاك وأكثر ثمنا منه فتبسم الخادم وسكت (و) الحال انه (يناظر فى مسئلة) نادرة (لا يتفق وقوعها وان وقعت قام بها جماعة من الفقهاء) وكفوه مؤنتها (ثم يزعم) فى معتقده (انه يريد أن يتقرب الى الله تعالى بفرض الكفاية) ٢ قلت هكذا أورده ابن عبد البر من طريق ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن أبى أمية وأورد أبا أمية فى الصحابة وذكر هذا الحديث له وقال لا أعرفه بغير هذا وقال ذكره بعضهم فى الصحابة وفيه نظر وأخرج الخطيب فى كتاب الاقتضاء فقال أخبرنا أبو نصر أحمد بن على بن عبدوس الاهوازى اجازة قال سمعت محمد بن ابراهيم الاصبهانى يقول سمعت عبدالله بن الحسين الملطى يقول سمعت محمد بن هرون يقول سمعت ابن أبى أويس يقول حضر رجل من الاشراف عليه ثوب حرير قال فتكلم مالك بكلام لحن فيه قال فقال الشريف ما كان لابوى هذا درهمان يعلمانه النحو قال فسمع مالك كلام الشريف فقال لان تعرف مايحل لبسه مما يحرم عليك خير لك من ضرب عبدالله زيدا وضرب زيد عبدالله (وقد روى أنس) رضى الله عنه (قيل يارسول الله متى يترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال اذا ظهرت المداهنة) وفى رواية اذا ظهر الادهان أى الملاينة وترك المجادلة وأصل ذلك من الدهن الذى يمسح به الرأس ثم جعل عبارة عما ذكرنا (فى خياركم والفاحشة فى شراركم وتحول الملك فى صغاركم والفقه فى أرذالكم) وفى نسخة فى رذالكم وفى أخرى فى أراذلكم قال العراقى أخرجه ابن ماجه باسناد حسن وقال فى التخريج الكبير رواه أحمد وابن ماجه وابن عبد البر فى بيان آداب العلم واللفظ له باسناد حسن من رواية أبى معبد حفص بن غيلان عن مكحول عن أنس بزيادة فى أوله وقال ابن ماجه اذا ظهر فيكم ما ظهر فى الامم قبلكم قالوا يارسول الله وما ظهر فى الامم قبلنا قال الملك فى صغاركم والفاحشة فى كباركم والعلم فى رذالكم قال زيد بن يحيى أحد رواة الحديث معنى والعلم فى رذالكم اذا كان العلم فى الفساق اه قلت ويروى هذا الحديث عن عائشة وجدته فى الاول من مشيخة أبى يوسف يعقوب بن سفيان القوسى قال حدثنا الحسن بن الخليل بن يزيد المكى حدثنا الزبير بن عيسى حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت يارسول الله متى لا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر قال اذا كان البخل فى خياركم واذا كان العلم فى رذالكم واذا كان الادهان فى كباركم واذا كان الملك فى صغاركم اه ومن شواهد هذا ما أخرجه البخارى فى أول صحيحه من حديث أبى هريرة رفعه اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة وفى الرقاق منه اذا أسند قال الحافظ فيه اشارة الى ان اسناد الامر الى غير أهله انما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم وذلك من جملة الاشراط ومعناه أن العلم مادام قائما ففى الامر فسحة وكأنه أشار الى أن العلم انما يؤخذ من الاكابر تلميحا لما روى عن أبى أمية الجمحى رفعه قال من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الاصاغر (الثالث أن يكون المناظر) فى مباحثته (مجتهدا) الاجتهاد عرفا استفراغ الفقيه وسعه لتحصيل ظن بحكم شرعى (يفتى برأيه لا بمذهب الشافعى وأبى حنيفة وغيرهما) من الائمة (حتى اذا ظهر له الحق) فى مثله بعد ارتياض الفكر فيه (من مذهب أبى حنيفة) مثلا (ترك ما يوافق) مذهب امامه (الشافعى) مثلا (وأفتى بما ظهر له) من استنباطه (كما كان يفعله الصحابة) رضوان الله عليهم لتلقيهم من أنوار النبوة (والائمة) المتقدمون (فاما من ليس له رتبة الاجتهاد) وهو الاستقلال فى الاجتهاد وهو شئ قد عدم منذ اعصار تلك أمة

وهو ساكت ويناظر فى مسئلة لا يتفق وقوعها قط وان وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم انه يريد أن يتقرب الى الله تعالى بفروض الكفايات وقد روى أنس رضى الله عنه انه قيل يارسول الله متى يترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال عليه السلام اذا ظهرت المداهنة فى خياركم والفاحشة فى شراركم وتحول الملك فى صغاركم والفقه فى أراذلكم الثالث أن يكون المناظر مجتهدا يفتى برأيه لا بمذهب الشافعى وأبى حنيفة وغيرهما حتى اذا ظهر له الحق من مذهب أبى حنيفة ترك ما يوافق رأى الشافعى وأفتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة رضى الله عنهم والائمة فاما من ليس له رتبة الاجتهاد

٢ هذه الزيادة من قوله قلت الى قوله وأخرج الخ لا معنى لها هنا والصواب اسقاطها كما فى بعض النسخ اه مصححه

قدخلت (وهو حكم أهل هذا العصر) أى عصر المصنف (وانما يفتى فيه ناقلا) بطريق التقليد (عن مذهب صاحبه) وامامه الذى قلده (فلوظهر له) فيما تأمله (ضعف مذهبه لم يجز له ان) ينسب الضعف اليه ولا ان (يتركه) والعمل به والافتاء للناس (فاى فائدة له فى المناظرة) مع خصمه (ومذهبه معلوم مدوّن (ليس له الفتوى بغيره) لتقيده فيه (وما يشكل عليه) من المسئلة ويتوقف فيه (يلزمه أن يقول) لم يظهر لى الآن وجه الصواب فى هذه المسئلة (ولعل عند صاحب مذهبى) أى امامى الذى أقلده (جوابا) واضحا (عن هذا فانى لست مستقلا بالاجتهاد) أى لست مجتهدا مستقلا (فى أصل الشرع) وقواعده فيتعلل بذلك وقوله هذا صحيح واعتذاره ظاهر (ولو كانت مباحثته) فى مناظراته (عن المسائل التى فيها وجهان أوقولان لصاحبه) كما هو مشاهد فى كثير من المسائل فى مذهبى أبى حنيفة والشافعى (لكان أشبه) بالصواب (فانه ربما يفتى باحدهما فيستفيد من البحث) مع صاحبه (ميلا الى أحد الجانبين) وركونا الى أحد القولين واستنادا الى أحد الوجهين (و) أنت (لاترى المناظرات) والمباحثات الآن (جارية فيها قط) لان مثل تلك المسائل عندهم كأنها لا طائل تحتها (بل ربما ترك المسئلة التى فيها وجهان أوقولان) والوجه فى المسئلة أن تكون المسئلة غير مصرح بها فى نصوص الامام مقاسة على أصول قواعد المذهب وأما القول فما كان مصرحا به من الامام فهذا الفرق بين الوجه والقول (وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا) لكثرة الكلام وصحبة المجادلة مع المخالفين وسيأتى بيان ذلك قريبا بعد هذا وبيان هذا المحل يستدعى الى بسط فى العبارة ليكون المناظر عند معرفتها على بصيرة فنقول ذكر العماد أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد العلى السكرى مدرس منازل العز فى كتابه الارشاد الى طريق الاجتهاد مانصه ان رعاع الفقهاء وضعفة الطلبة يخيل اليهم ان النظر فى مسائل الشرع قد انسدت طرقه وعميت مسائله وان الغاية القصوى عندهم أن يسئل واحد منهم عن مسئلة فيقول فيها وجهان أوقولان وقال الشافعى فى القديم كذا وفى الجديد كذا وقال أبوحنيفة كذا ومالك كذا ويرى انه علم قد أبرزه وتراهم أبدا يقدحون فى المجتهدين ويجادلون الطالبين ويحثون على تحصيل الام للشافعى أولباب المحاملى أو غير ذلك من الكتب المبسوطة حتى اذا وقعت واقعة كشف الكتاب فان رأى المسئلة مسطورة حكم بها وان رأى مسئلة أخرى فزعم انها تشابهها حكم بحكم تلك المسئلة فهم حشوية الفروع كما ان المشبهة حشوية الاصول والعجب انهم لا يقنعون بقصورهم حتى يضيفوا القصور الى من سبق من الائمة ويقول بعضهم مابقى بعد الشافعى مجتهد ويقول مابقى بعد ابن شريح مجتهد فانظروا الى قدح هؤلاء فى الائمة المبرزين وانهم كانوا يقدمون على مالا يعلمون فان الائمة مازالوا فى جميع الاقطار يراجعون فى الفتاوى ويفتون باجتهادهم مع اختلاف أصنافهم كالمعروفين بنشر مذهب الشافعى كأبى اسحق صاحب المهذب وأشياخه من أئمة العراق كلهم مبرزون مفتون وكذلك أئمة خراسان كامام الحرمين وأشياخه وتلامذه أبى حامد الغزالى والكيا والخوافى وكذلك أتباعهم كمحمد بن يحيى ومن كان فى درجته من أصحاب الغزالى وكلهم قد طبق فتاويهم وجه الارض مع صريح من فقه الشافعى ومن تأمل فتاويهم رأى ماذكرناه وكذلك الائمة المشهورون فى مذهب مالك وأبى حنيفة لم يزالوا يفتون ويجتهدون فى جميع الاقطار والمناكرة فى ذلك مكابرة ثم قال واعلم انه لا يجوز الكلام فى أحكام الله تعالى بمحض الشهوة والرأى بل لابد من طريق نصبها الشارع وللشارع طريقان نصبهما طريق فى حق المجتهد وطريق فى حق العامى المقلد وطريق المجتهد النظر فى الادلة الشرعية المنصوصة من قبل الشارع والتوصل بها الى أحكام الله تعالى كما كان دأب الصحابة والتابعين وطريق فى حق العوام هو تقليد أرباب الاجتهاد كما كان فى زمن الصحابة والتابعين وهذان متفقان على نصبهما ثم أطال العبارة وذكر مسائل مهمة لابد من معرفتها

وهو حكم كل أهل العصر وانما يفتى فيما يسئل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلوظهر له ضعف مذهبه لم يجز له أن يتركه فاى فائدة له فى المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه أن يقول لعل عند صاحب مذهبى جوابا من هذا فانى لست مستقلا بالاجتهاد فى أصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التى فيها وجهان أوقولان لصاحبه لكان أشبه به فانه ربما يفتى بأحدهما فيستفيد من البحث ميلا الى أحد الجانبين ولا ترى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسئلة التى فيها وجهان أو قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا

* الاولى اذا نقلت لكم أقوال الشافعي في الواقعة الواحدة أتعملون بكل قول أم بالبعض دون البعض فان قالوا نعمل بكل قول سقطت مقالتهم فان الفعل الواحد كيف يكون حلا لا حراما في وقت واحد من وجه واحد بالنسبة الى شخص واحد فهذا مما لا يمكن أن يقال به فان قالوا نعمل بالمتأخر دون المتقدم فنقول ما بالكم تنقلون المتقدم وتقولون في أكثر محاوراتكم يصح على قول وبيع الغائب صحيح على قول الشافعي وتعتمدون عليه وهذا لا يجوز أن يفعل على هذا الوجه بل ينبغي اذا نقلتموه لمن سأل لكم أن تقولوا هو قول مرجوع عنه لا يجوز الاعتماد عليه وانما ذكرناه لفقهه لا للحكمة فيكونون ملتبسين بهذا الاطلاق مع أني رأيت بعضهم اذا أنكر عليه أمر فعله اعتذر بأنه قول الشافعي * الثانية العمل بالارجح فالارجح من الاقوال فيقول الترجيح طرف من اطراف الاجتهاد فلاحظ لك فيه لانك اعترفت انك من جملة العوام المقلدين وترجيح أحد القولين على الآخر ان كنت تنقله عن الشافعي أو من عندك ولا يمكنك نقل الترجيح الى الشافعي فلزم الثاني فانت اذا تعمل باجتهادك لا باجتهاد الشافعي ولعل الامام ترجح عنه القول الآخر بترجيح آخر لم تطلع عليه أنت ولعله لا يدري ماذكرته مرجحا فقد تعذر عليهم تقليد الشافعي في مثل هذه المسائل ووجب عليهم الكف عن الحكم فيها فانهم ليسوا مجتهدين وقد تعذر عليهم التقليد وكذلك الكلام في المسائل ذوات الوجوه المنقولة عن الاصحاب وعند ذلك يجب عليهم الكف عن الكلام في معظم مسائل المذهب ثم ان قولهم ترجيح أحد القولين على الآخر على الاطلاق خطأ فان الترجيح لا يتصور في المذاهب بوجه من الوجوه فان كون هذا حراما أو مباحا فما في التحريم نقصان ولا في الاباحة زيادة ولا يتصور الزيادة والنقصان في الاحكام بوجه من الوجوه وانما يكون الترجيح بزيادة في أحد الامرين لم توجد في الثاني وهذا انما يتصور في الادلة بأن يختص أحدهما بزيادة تؤكد الظن الحاصل فيه ولم توجد في الآخر فان أرادوا هذا المعنى فقد أصابوا في المراد وأخطؤا في الاطلاق واذا آل الامر الى الترجيح في الادلة فلابد للمرجح من معرفة الدليل وشروطه وأوصافه وبعد هذا يتحقق عنده مقابل الادلة والا كيف يتصور ممن لا يعرف الادلة وشروطها أن يكون يحكم مقابلها ثم يخوض بعد ذلك في ترجيح بعضها على بعض وأنتم قد حكمتم على أنفسكم بالعجز عن استخراج الادلة واذا فقد معرفة الادلة التي هي شرط معرفة الترجيح لزم ضرورة انتفاء الشرط وهي معرفة الترجيح ثم ان المسئلة اذا كان فيها قولان مختلفان يحرم على العامي العمل بها اذا لم يعرف المتقدم من المتأخر وتصير في حقه كان لم يكن للمنقول فيها عنه قول أصلا وتعين عليه أن يراجع المنقول عنه ان أمكن أو تقليد غيره ممن يجوز الاعتماد عليه والمسائل التي قد نقل فيها قولان عن أبي حنيفة والشافعي كثيرة وربما يكون معظم المذهب وكان يجب عليكم الكف عن الكلام فيها ولو فعلتم ذلك لذهبت شهامتكم واختلت مناصبكم ونسبتم الى قلة العلم * فان قيل كيف يجوز لكم الفتوى فيما لم ينقل عن مقلدكم فيه حكم وأنتم لستم باهل الاجتهاد باعترافكم قالوا نقيسها على مسئلة مسطورة وربما تحدث فحدث ويقول أصول الشافعي تقتضي كذا في هذه المسئلة فيقال لهم أتردون الحكم الى اجتهادكم أو الى اجتهاد الشافعي الاول لا تعرفون به وأما الثاني فيقال عليه قد افتريتم على الشافعي فانه لم يتكلم في هذه المسئلة فكيف يحل لكم أن تنسبوا اليه ما لم يقل فان قالوا نعني بكونها منسوبة اليه انها مقاسة على ما نص عليه فاعلم ان في هذا الاطلاق تدليسا فانه يفهم منه حكم الشافعي وقد علمتم ان سائلكم انما سأل عما ذكره الامام الشافعي فحق لكم أن لا تطلقوا النسبة اليه وأيضا قولكم هذا ان كان عن اجتهاد فلا يمكنكم أو عن تقليد فلا يمكن أيضا لانه انطوى بساط الاجتهاد بالشافعي أو بابن سريج كما زعمتم فما بعدهما لا يجوز الاعتماد على اجتهاده ثم قال اعلم أن الاجتهاد جنس تندرج تحته أنواع متعددة لان الاجتهاد في المسائل القياسية

غير الاجتهاد فى المسائل التى مستندها ألفاظ الشارع وغير الاجتهاد فى المسائل التى مستندها أفعال النبى صلى الله عليه وسلم وكل نوع من هذه الانواع يمكن العلم به مع عدم العلم بغيره فيمكن أن يكون الواحد ماهرا فى القياس وشروطه ومراتبه وموارده ولا يكون عالما بتفاصيل الاخبار ولا مطلعا على صحيحها وفاسدها و بالعكس هذا بالنظر الى جملة الانواع وكل نوع مشتمل على صور أيضا فان القياس يستعمل فى مسائل متعددة فى البيوع والنكاح والقصاص فيمكن أن يكون الواحد منا مطلعا على مسائل النكاح عالما بأقيستها معتنيا فيها ولا يكون مطلعا على مسائل البيع فليس الاجتهاد خطة واحدة لاتتعدد أنواعه ولا تتكثر مسائله فعند هذا يمكن أن يكون الواحد مجتهدا فى بعض المسائل مجيبا عن البعض ولا يكون عالما بالبعض فليس من شرط المجتهد أن يكون مجيبا عن كل ما يسئل عنه ولذلك توقف كثير من الائمة فى الجواب عن بعض المسائل فلا يجوز لاحد أن يفتى فى مسئلة من المسائل الااذا كان محيطا بأدلتها والا فيمسك عن الفتيا فيها ولا يبقى بعد هذه الحالة الاتحصيل الادلة الجزئية فى آحاد المسائل من نصوص أوأقيسة فاذا اطلع على دليل مسئلة كان من أهل الفتيا فى تلك المسئلة ولا يضره كونه غير مطلع على دليل المسئلة الاخرى ثم قال واعلم أن الاجتهاد عبارة عن بذل الجهد فى طلب حكم من الاحكام الشرعية ممن هو عارف بسلوك طرقها وله شروط وهى قسمان قسم فى المنظور فيه وقسم فى الناظر اما المنظور فيه فيشترط فيه أن لا يكون فى محل القطع فان محال القطع لامجال للاجتهاد فيها كأصل وجوب الصلاة والزكاة والحج وغير ذلك مما يحكم فيه بادلة قطعية لايسوغ خلافها وأما الناظر فيشترط فيه أمران أحدهما أن يكون عارفا بقوانين الادلة وشروطها وكيفية استخراجها والثانى أن يكون متمكنا من استخراج الدليل خاصا فى المسئلة التى يجتهد فيها ثم أطال الكلام فى ذلك ونحن قد اختصرنا لك ما ناسب فى هذا المقام وعلى نمطه ألف السيوطى كتاب الاصعاد الى رتبة الاجتهاد وذكر الشهاب أحمد بن محمد بن الهائم المصرى نزيل بيت المقدس فى كتابه نزهة النفوس مانصه فائدة قال أبو عمرو بن الصلاح المفتون قسمان مستقل وغيره ثم بين المستقل قال وهو شئ قدعدم من اعصار * والقسم الثانى الذى ليس بمستقل وهذا أيضا قد عدم من دهر طويل وصارت الفتوى الى المنتسبين الى المذاهب المتبوعة وللمفتى المنتسب أربعة أحوال احداها أن لا يكون مقلدا لامامه لا فى المذهب ولا فى دليل لاتصافه بصفة المستقل وانما ينسب اليه لسلوك طريقته فى الاجتهاد ثم حكى من قال ذلك من أئمة أصحابنا ثم قال ودعوى انتفاء التقليد عنهم مطلقا لايستقيم ولا يلائم المعلوم من حالهم أو حال أكثرهم قال ثم فتوى المفتى فى هذه الحالة كفتوى المستقل فى العمل بها فى الاجماع والخلاف قال الاذرعى وهذا شئ قد انطوى أيضا * الحالة الثانية أن يكون مجتهدا مقيدا فى مذهب امامه مستقلا بتقرير أصوله بالدليل غير انه لايتجاوز فى أدلته أصول امامه وقواعده وشرطه كونه عالما بالفقه وأصوله وأدلة الاحكام تفصيلا بصيرا بمسالك الاقيسة والمعانى تام الارتياض فى التخريج والاستنباط قيما بالحاق ماليس منصوصا لامامه بأصوله ولايعرى عن شوب تقليد له لاخلاله ببعض أدوات المستقل الى أن قال وهذه صفة أصحاب الوجوه لكنه فقيه النفس حافظ مذهب امامه عارف بأدلته قائم بتقريرها يصور ويحرر ويقرر ويمهل و يزيف و يرجح لكنه قصر عن أولئك لقصوره عنهم فى حفظ المذهب او الارتياض فى الاستنباط أومعرفة الاصول أو نحوها من أدواتهم وهذه صفة كثير من المتأخرين الى أواخر المائة الرابعة الذين رتبوا المذهب وحرروه وصنفوا فيه تصانيف فيها معظم اشتغال الناس اليوم ولم يلحقوا الذين قبلهم فى التخريج * الحالة الرابعة أن يقدم المذهب ونقله وفهمه فى الواضحات والمشكلات ولكن عنده ضعف فى تقرير أدلته وتحرير أقيسته فهذا يعتمد نقله وفتواه فيما يحكيه من مسطورات مذهبه من نصوص امامه وتفريع

الرابع أن لايناظر الافى مسئلة واقعة أو قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة رضى الله عنهم ماتشاوروا الافيما تجدد من الوقائع أومايغلب وقوعه كالفرائض ولاترى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التى تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التى يتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الامر وربما يتركون مايكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية أوهى من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب أن يكون المطلب هوالحق ثم يتركون المسئلة لانها خبرية ومدرك الحق فيها هوالاخبار ولانها ليست من الطبول فلا نطول فيها الكلام والمقصود فى الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول * الخامس أن تكون المناظرة فى الخلوة أحب اليه وأهم من المحافل وبين أظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفى حضور الجمع مايحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان أو مبطلا

المجتهدين فيه ومالايجده منقولا ان وجد فى المنقول معناه بحيث يدرك بغير كبير فكر انه لافرق بينهما جاز الحاقه به والفتوى به وهكذا مايعلم اندراجه تحت ضابط ممهد فى المذهب ومماليس كذلك يجب امساكه عن الفتوى فيه قال النووى فهذه أصناف المفتين وكل صنف منها يشترط فيه حفظ المذهب وفقه النفس فمن تصدى للفتيا وليس بهذه الصفة باء بأمر عظيم قال ابن الهمام بعد نقله هذا الكلام وليت ابن الصلاح أثبت حالة خامسة على طريق الرخصة بحسب همم أهل هذا العصر وقصور قواهم عن بلوغ هذه المرتبة الرابعة فلا تكاد تجد مفتيا بالشرط الذى اعتبره فى المرتبة الرابعة اهـ (الرابع أن لايناظر الافى مسئلة واقعة) أونازلة مهمة احتاج الامر الى الكشف عن حقيقتها ومعانيها اضطرارا (أو) فى مسئلة (قريبة الوقوع غالبا) بحيث يخاف انها تقع فيحتاج الى التنبيه لوقوعها وهذا هو الشرط الاكمل لمن يناظر بالاخلاص وحسن النية (فان الصحابة) رضوان الله عليهم (ماتشاوروا) مع بعضهم برد الفتوى اليهم (الا فيما تجدد من الوقائع) والنوازل (أومايغلب وقوعه كالفرائض) وقد تقدمت الاشارة اليه وأما فى غير ذلك فانهم كانوا يفتون بما اقتبسوه من مشكاة النبوة ولايمتنع أحد منهم من اباحة العلم أشار لذلك العماد السكرى فى الارشاد (وأنت) الآن (لاترى المناظرين يهتمون) ويفتنون (بانتقاد المسائل التى تعم البلوى بالفتوى فيها) ولا يحومون حولها (بل يطلبون المسائل (الطبوليات) التى يدق لها بالطبل وهى كناية عن الاشتهار والاجتماع لها وهى (التى يتسع مجال الجدل) ومثار نقع الخلاف (فيها كيفما كان الامر) لاجل الشهرة فقط وان يقال فلان مناظر جدلى عالم كبير فيرتفع قدره عند عوام الناس لاجل تكالبه على حطام الدنيا (وربما يتركون البحث فى (مايكثر وقوعه) فى الزمان ويقولون (هذه مسئلة خبرية) قد أخبر بها فلان من الشيوخ ونص عليها فلان فى الكتاب الفلانى (أوهى من) مسائل (الزوايا) التى من شأنها أن لايحدث بها الا فى الخلوة ومادر وا ... فى الزوايا من خبايا (و) يقولون انها (ليست من) مسائل (الطبول) التى يضرب لها بالطبل (فمن العجائب أن يكون المطلب) والمقصد بذلك البحث (هو) تحقيق (الحق) فى نفس الامر (ثم تترك المسئلة لانها خبرية و) الحال ان (مدرك الحق) ومقطعه (الاخبار) عما جاء من السلف الصالحين (أو) تترك (لانها) من مسائل الزوايا و (ليست من الطبول ولا يطول فيها الكلام) مع الخصم لوقوف كل منهما عند النصوص وليس من شرط الناظر المجتهد المناقشة فى مجال القطع اذ لامجال للاجتهاد فيها كما تقدم (و) الحال ان (المقصود فى) اظهار (الحق) والصواب عند العارفين (أن يقصر الكلام) ويقل الجدال (ويبلغ) مع ذلك (الغاية) التى يريدها من تلك المسئلة بالوقوف على ماهو الحق فيها سواء وافق مقلده أولم يوافق (لاان يطول) وبالميدان يجول لانه قلما مناظر طال كلامه فى بحثه الاوخرج عن حد الاعتدال واحتاج الى ايراد الغث والسمين ومن كان بهذه الاوصاف بعيد عن اخلاص النية وحسن الطوية أجارنا الله من ذلك بمنه وكرمه آمين (الخامس أن تكون المناظرة فى الخلوة) عن الناس (أحب اليه) حبا لازما (وأهم من) المناظرة فى (المحافل) جمع محفل وهو مجمع الناس (و) من (بين أظهر الاكابر) من الامراء (والسلاطين) والملوك أى فى حضورهم وبين أيديهم (فان الخلوة أجمع للفهم) وفى نسخة للهم أى تجمع هم المرء ولا تشتته (وأحرى) أى أليق (بصفاء الفكر) لجلاء الذهن فيها (و) أقرب الى (درك الحق) وقد أشار الى ذلك التقى السبكى فى كتاب الى ولده التاج يحرضه بذلك ويشير الى مافى الخلوة من الفوائد ويمنعه عن مباحثته فى المحاضر فانها تشتت الاذهان (وفى حضور الجمع) الكثير والجماء الغفير (مايحرك دواعى الرياء) أى مايستدعيه الى ارتكاب المرا آة والمباهات (ويوجب الحرص) والميل (على نصرة كل واحد لنفسه) حتى لايقال بين هؤلاء أفحم فلان فى مناظرته عن فلان (محقا كان أو مبطلا) وربما اذا كان محقا ونوى نصرة

نفسه فانه كذلك وبال عظيم (وأنت تعلم) الآن (ان حرصهم) وميلهم (على حضور المحافل والمجامع) والمحاضر لايناظرون الا فيها (وان الواحد) منهم (يخلو بصاحبه مدة فلا يكلمه) ولا يعتني به (ور بما يقترح عليه) مسئلة (فلا يجيب) ولا يبدى فيه ولا يعيد (فاذا ظهر مقدم) مصدر ميمي أى قدوم أحد من الرؤساء فاجتمعوا لملاقاة القادم (أو انتظم مجمع) الناس كالولائم والدعوات وحضور الجنائز والموالد (لم يغادر) أى لم يترك (في قوس الاحتيال) أى الحيلة (منزعا) الا نزعه (حتى يكون هو المتخصص بالكلام) من غير أن يلقى الله أو يقترح عليه يقال نزع في القوس ينزعها نزعا ومنزعا اذا مدها بالوتر أو جذب الوتر بالسهم (السادس أن يكون) المناظر (في طلب الحق) وانشاده حيث كان (كمنشد ضالة) أى كطالبها والضالة كل متاع ضل للانسان أى غاب بعيرا أو غيره والجمع ضوال (لايفرق) بحسن اخلاصه (بين أن تظهر) تلك الضالة (على يده) فيبينها (أو على يد من يعاونه) على وجدانها (ويرى رفيقه) الذى يناظره (معينا) له في الحقيقة على طلب الحق (لاخصما) يجادله (ويشكره اذا عرفه) في تقريره (الخطأ) عن الصواب أو الغفلة (وأظهر له الحق) فقد ورد لايشكر الله من لايشكر الناس وتعريفه الخطأ لصاحبه نعمة جليلة حيث نبهه عليه وأرشده فلذا ألزمه الشكر وهو ظاهر ثم أوضح ذلك بمثال فقال (كما لو أخذ) أحدكم (طريقا) وسار (في طلب ضالته) مع كمال حيرته (فنبهه صاحبه) الناصح (على ضالته) المطلوبة (في موضع آخر فانه) لامحالة (يشكره) على هذه النعمة (ولا يذمه) وهذا أقل الدرجات (أو يفرح به ولا يكرهه) وهذا أقل الدرجات (فهكذا كانت مشاورات الصحابة) ومفاوضاتهم رضوان الله عليهم (حتى ردت امرأة) من قريش (على) أمير المؤمنين (عمر) ابن الخطاب رضى الله عنه في مسئلة صداق النساء (ونبهته على الحق) فيها (وهو) على المنبر (في خطبته على ملا من الناس فقال) منصفا ولم يتوقف (أصابت امرأة وأخطأ رجل) قال السخاوى في المقاصد رواه الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبد الله عن جده قال قال عمر لاتزيدوا في مهور النساء فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال ثم ذكر رد امرأة عليه وفيه فقال عمر امرأة أصابت ورجل أخطأ قلت وليس فيه ذكر المنبر والخطبة وقرأت في مناقب عمر للحافظ الذهبي مانصه مجالد عن الشعبي عن مسروق قال خطب عمر فقال ما اكثاركم في صدقات النساء فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصدقات فيما بين أربعمائة درهم فما دونها فلا عرفن مازاد رجل في صداق على ذلك فنزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت أنهيت الناس أن يزيدوا النساء في صداقهن على أربعمائة أو ما سمعت ما أنزل الله في القرآن قال وأين ذلك قالت وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ فقال اللهم غفرا كل انسان أفقه من عمر ثم رجع فركب المنبر وقال أيها الناس انى كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة فمن شاء أن يعطى ما أحب فليفعل اه وقال السخاوى في مقاصده رواه أبو يعلى في مسنده الكبير من طريق مجالد وفي آخره قال أبو يعلى وأظنه قال فمن طابت نفسه فليفعل وسنده جيد وهو في سنن البيهقى من هذا الوجه بدون مسروق ولذا قال عقبه انه منقطع ولفظه قريب من الاول وأخرجه عبد الرزاق من جهة أبى العجماء السلمى قال خطبنا عمر فذكر نحوه فقامت امرأة فقالت له ليس ذلك لك ياعمر ان الله يقول وآتيتم احداهن قنطارا الآية فقال ان امرأة خاصمت عمر فخصمته ورواه ابن المنذر من طريق عبد الرزاق أيضا بزيادة قنطارا من ذهب قال وكذلك في قراءة ابن مسعود اه ويقرب من ذلك ماذكره السمين في عمدة الحفاظ ويحكى ان عمر سمع رجلا يقول في دعائه اللهم اجعلني من عبادك القليل فقال ياأخى ما هذا الدعاء فقال ياأمير المؤمنين سمعت الله يقول وقليل من

وأنت تعلم ان حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله وان الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب واذا ظهر مقدم أو انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام السادس أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لايفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لاخصما ويشكره اذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق كما لو أخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في طريق آخر فانه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله عنهم حتى ان امرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملا من الناس فقال أصابت امرأة وأخطأ رجل

وسأل رجل عليا رضي الله عنه فاجابه فقال ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم واستدرك ابن مسعود على أبي موسى الاشعري رضي الله عنهما فقال أبو موسى لا تسألوني عن شئ وهذا الحبر بين أظهركم وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال أعده على الامير فلعله لم يفهم فأعادوا عليه فأعاد الجواب فقال ابن مسعود وأنا أقول ان قتل فاصاب الحق فهو في الجنة فقال أبو موسى الحق ما قال وهكذا يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لاقل فقيه لانكره واستبعده وقال لا يحتاج الى أن يقال أصاب الحق فان ذلك معلوم لكل أحد فانظر الى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم اذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاحدته باقصى قدرته وكيف يذم من أفحمه طول عمره ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة رضي الله عنهم في تعاونهم على النظر في الحق السابع أن لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل الى دليل

عبادي الشكور فأنا أطلب أن أكون من أولئك القليل فقال كل الناس أعلم من عمر (و) من ذلك (سأل رجل عليا) عن مسئلة (فأجاب) بما ظهر له (فقال ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال أصبت) أنت في فهمك (وأخطأت) أنا في جوابي (وفوق كل ذي علم عليم واستدرك) عبد الله (ابن مسعود) الهذلي (على أبي موسى الاشعري) رضي الله عنهما وأبو موسى على الكوفة (فقال أبو موسى لا تسألوني عن شئ وهذا الحبر بين أظهركم وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل) ونص القوت عن رجل قتل نفسه في سبيل الله مقبلا غير مدبر أين هو (فقال هو في الجنة) ونص القوت قال في الجنة (وكان) أبو موسى (أمير الكوفة) أي متوليا عليها بالامارة (فقال ابن مسعود) للسائل (أعد على الامير) فتيالك (فلعله لم يفهم فأعاد) السائل وقال أيها الامير ما قولك في رجل قاتل في سبيل الله فقتل مقبلا غير مدبر أين هو (وأعاد) أبو موسى الجواب وقال هو في الجنة فقال ابن مسعود أعد على الامير فلعله لم يفهم فأعاد عليه ثلاثا كل ذلك يقول أبو موسى في الجنة ثم قال ما عندي غير هذا فما تقول أنت (فقال ابن مسعود) لكن لا أقول هكذا قال فما قولك قال (أنا أقول ان قتل) في سبيل الله (فأصاب الحق فهو في الجنة فقال أبو موسى هو ما قال) وفي القوت صدق لا تسألوني عن شئ مادام هذا الحبر بين أظهركم هكذا ذكره صاحب القوت بتمامه قلت وفي الحلية من طريق مجالد عن عامر قال أبو موسى لا تسألوني عن شئ مادام هذا الحبر فيكم يعني ابن مسعود ونظير هذه القصة ما قال أبو داود في سننه حدثنا عبد السلام بن مظهر ان سليمان بن المغيرة حدثهم عن أبي موسى عن أبيه عن ابن لعبد الله بن مسعود عن ابن مسعود قال لا رضاع الا ما شد العظم وأنبت اللحم فقال أبو موسى لا تسألونا وهذا الحبر فيكم قال صاحب القوت فهؤلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يردون الامور في الفتيا في علم اللسان الى من هو دونهم في القدر والمنزلة وهو في علم التوحيد والمعرفة والايمان فوقهم درجات فهذا كما قيل العلم نور يقذفه الله تعالى في قلوب أوليائه فقد يكون ذلك تفضيلا للنظراء بعضهم على بعض وقد يكون تخصيصا للشباب على الشيوخ ولمن جاء بعد السلف من التابعين وربما كان تكرمة للخاملين المتواضعين لينبه عليهم ليرفعوا اهـ (فهكذا يكون انصاف صاحب الحق) برد العلم الى أهله ولا يستأنف (ولو ذكر الآن مثل هذا لاقل فقيه) له دراية في العلم (لانكر) ذلك (واستبعد) وانتصب للخصام (وقال لا يحتاج الامر) (الى ان يقال أصاب الحق) أي لا حاجة الى ذكر هذا القيد (فان ذلك معلوم) بديهة (لكل أحد) ثم ان هذا القيد الذي أتى به ابن مسعود هو المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم على ما أخرجه البخاري من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في الجنة وقد فهم أبو موسى ذلك فرجع عن اطلاق القول بأن القتل قد يكون رياء وقد يكون سمعة وقد يكون لغير ذلك وهذا القيد هو مناط الفائدة والجواب الذي يصح عليه السكوت فمن قال باستبعاده وكونه معلوما مجادلة فتأمل (فانظر) الآن (الى مناظري زمانك) اذا اجتمعوا في محفل وتكلم بعضهم مع بعض (كيف يسود وجهه) من تغير طبعه (اذا اتضح الحق على لسان خصمه) وعلم الحاضرون ذلك (وكيف يخجل به) باحمرار لونه عندهم (وكيف يجتهد) على الامكان (في مجاحدته) ومناكرته على طريق المكابرة (باقصى قدرته) أي نهاية ما يقدر عليه (وكيف يذم) لسانا وقلما (من أفحمه) في المجلس وأسكته (طول عمره) ويعاديه ويقع في مقاتله (ثم لا يستحي) هذا (من تشبيه نفسه) الخسيسة (بالصحابة) والسلف الصالحين (في تعاونهم على النظر في الحق) وتفاوضهم فيما بينهم هيهات كيف تقاس الملائكة بالحدادين (السابع ان لا يمنع معينه في النظر) وهو الذي يبحث معه وهو المعين له في صورة الخصم (من الانتقال من دليل الى دليل) آخر والدليل عند الاصوليين ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى مطلوب خبري أي فاذا أورد دليلا على اقامة مسئلة فوجده منقوضا

فانتقل

فانتقل الى دليل آخر ليس لخصمه ان يمنعه من ذلك (و) كذا ليس له ان يمنعه من الانتقال (من اشكال الى اشكال) آخر اذ المراد طلب الضالة فبأى وجه طلب لا يمنع فيه (فهكذا كانت مناظرات السلف) الصالحين فمن ذلك مناظرة اسحق بن راهويه مع الشافعى وأحمد بن حنبل حاضر قرأت فى كتاب الناسخ والمنسوخ للحافظ أبى الحسن بدل بن أبى المعمر التبريزى الشافعى ما نصه وأخبرنى أبو بكر محمد بن ابراهيم بن على الخطيب أخبرنا يحيى بن عبد الوهاب العبدى أخبرنا محمد بن أحمد الكاتب أخبرنا أبو الشيخ الحافظ قال حكى ان اسحق بن راهويه ناظر الشافعى وأحمد بن حنبل حاضر فى جلود الميتة اذا دبغت فقال الشافعى دباغها طهورها فقال له اسحق ما الدليل فقال حديث الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن ميمونة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال هلا انتفعتم باهابها فقال له اسحق حديث ابن عكيم كتب الينا النبى صلى الله عليه وسلم قبل موته بشهر ان لا تنتفعوا من الميتة لا باهاب ولا عصب فهذا يشبه ان يكون ناسخا لحديث ميمونة لانه قبل موته بشهر فقال الشافعى هذا كتاب وذاك سماع فقال اسحق ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى وقيصر فكانت حجة بينهم عند الله فسكت الشافعى فلما سمع بذلك أحمد ذهب الى حديث ابن عكيم وأفتى به ورجع اسحق الى حديث الشافعى قلت وقد حكى الخلال فى كتابه ان أحمد توقف فى حديث ابن عكيم لما روى تزلزل الرواة فيه وقال بعضهم رجع عنه وطريق الانصاف فيه ان يقال ان حديث ابن عكيم ظاهر الدلالة فى النسخ لو صح ولكنه كثير الاضطراب ثم لا يقاوم بحديث ميمونة فى الصحة وقال أبو عبد الرحمن النسوى أصح ما فى هذا الباب حديث ميمونة وروينا عن عباس انه قيل ليحيى بن معين أيما أعجب اليك من هذين الحديثين فاشار الى حديث ميمونة اه وهذه المناظرة قد اوردها التاج السبكى فى طبقاته كما سقناه وقال فى آخر ذلك فانظر الى سكوت الشافعى ومحبته لظهور الحق وربما يظن به قاصر الفهم ان الشافعى انقطع فيها مع اسحق ولو تأمل رجوع اسحق اليه لظهر له الحق وتحقيق هذا ان اعتراض اسحق فاسد الموضع لا يقابل بغير السكوت بيانه ان كتاب عبد الله بن عكيم كتاب عارضه سماع ولم يتيقن انه مسبوق بالسماع وانما ظن ذلك ظنا لقرب التاريخ ومجرد هذا الامر لا ينهض بالنسخ وأما كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر فلم يعارضها شئ فعضدتها القرائن وساعدتها بالتواتر الدال على ان هذا النبى صلى الله عليه وسلم جاء بالدعوة الحمافى هذا الكتاب فلاح بهذا ان السكوت من الشافعى تسجيل على اسحق بان اعتراضه فاسد الموضع فلم يستحق عنده جوابا وهذا شأن الخارج عن البحث عند الجدليين فانه لا يقابل بغير السكوت ورب سكوت أبلغ من نطق ومن ثم رجع اليه اسحق فافهم (ويخرج من كلامه) الذى يقرره (جميع دقائق الجدل المبتدعة) على طريقة العميدى أو البزدوى (فساله ولقوله) فيما بعد (هذا) القول (لا يلزمنى ذكره) فى هذا البحث (وهذا) ان تأملت (يناقض كلامك الاول فلا يقبل منك) والانتقال من دليل الى دليل قد يوجد فيه ذلك (فان الرجوع الى الحق أبدا يكون مناقضا للباطل ويجب قبوله) ولا عبرة بمناقضة الكلام الثانى الاول والجدلى لا يسلم ذلك (وأنت ترى ان جميع المجالس) فى زمانك (تنقضى) على غير طائل (فى المدافعات والمجادلات) مع الخصوم لالفتهم فى العناد وضراوة الاعتياد على داعية المخالفة (حتى يقيس المستدل على أصل) من الاصول (بعلة) موجبة له (بظنها فيقال له وما الدليل ان الحكم فى الاصل معلل بهذه العلة) قال المناوى العلة عند الاصوليين المؤثر للحكم وقيل المؤثر بذاته باذن الله تعالى وقيل الباعث عليه والعلة القاصرة عندهم هى التى لا تتعدى محل النص اه وقد أورد ما يتعلق بالعلة ومسائلها المصنف فى كتاب مستقل سماه شفاء الغليل فى بيان مسائل التعليل وذكر فيه ان العلة القاصرة صحيحة عند الشافعى باطلة عند أبى حنيفة (فيقول هذا ما ظهر لى) فى هذا الحكم (فان ظهر لك) فيه (ما هو أوضح وأولى منه فاذكره)

ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فساله ولقوله هذا لا يلزمنى ذكره وهذا يناقض كلامك الاول فلا يقبل منك فان الرجوع الى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله وأنت ترى أن جميع المجالس تنقضى فى المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصل بعلة يظنها فيقال له ما الدليل على أن الحكم فى الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لى فان ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى فاذكره

حتى أنظر فيه فيصر المعترض و يقول فيه معان سوى ماذكرته وقد عرفتها ولا أذكرها اذلا يلزمني ذكرها و يقول المستدل عليك اراد ماتدعيه وراء هذا و يصر المعترض على انه لا يلزمه و يتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولا يعرف

هذا المسكين ان قوله انى أعرفه ولا أذكره اذلا يلزمني كذب على الشرع فانه ان كان لا يعرف معناه وانما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وان كان صادقا فقد فسق باخفائه ما عرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه المسلم ليفهمه و ينظر فيه فان كان قويا رجع اليه وان كان ضعيفا أظهرله ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل الى نور العلم ولا خلاف أن اظهار ما علم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني أى فى شرع الجدل الذى أبدعناه بحكم التشهى والرغبة فى طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني والا فهو لازم بالشرع فانه بامتناعه عن الذكر اما كاذب واما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضى الله عنهم هل سمعت فيها ما يضاهى هذا الجنس وهل منع أحد من الانتقال من دليل الى دليل ومن قياس الى أثر ومن خبر الى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس

لى (حتى أنظر فيه) فان كان حقا تبعته (فيصر) أى يبقى مصرا (للتعرض) أى على التعرض وفى نسخة فيصر المعترض (و يقول فيه معان) أخرى (سوى ماذكرته وقد عرفتها ولا أذكرها) لك أو يقول (ولا يلزمني ذكرها) لك (و يقول المستدل عليك ابراز) اظهار (ماتدعيه) وفى نسخة ادعيته (وراء هذا و يصر المعترض على انه لا يلزمه) ابرازه (ويترجى) وفى نسخة و يتوخى وفى أخرى (فتنقضى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله) و يتبجح بذلك بين اقرانه المناضلين (ولا يعرف هذا المسكين) فى عقله وفهمه (ان قوله انى أعرف ولا أذكره أولا يلزمني) ذكره (كذب) محض (على الشرع فانه ان كان لا يعرف معنى) حقيقة (وانما يدعيه) ادعاء (ليعجز خصمه) و يسكته (فهو) حينئذ (فاسق) فى فعله (عصى الله تعالى وتعرض لسخطه) ومقته (بدعواه معرفة) معنى (هو خال) منها وعار (عنها وان كان صادقا) فيما يقول (فقد فسق باخفائه ما عرفه من أمر الشرع) فكيف يكتم علما (وقد سأله أخوه المسلم) استشفاء لغليله (ليفهم و ينظر) نظر تدبر (فان كان قويا) راجحا (رجع اليه وان كان ضعيفا) مرجوحا (أظهر له ضعفه) و بين له مرجوحيته (وأخرجه عن ظلمة الجهل والحيرة (الى) مقام (نور العلم) فكان مرشداله لا محالة (ولا خلاف ان اظهار ما علم من علم الدين) وتعليمه (بعد السؤال) والبحث عنه (واجب لازم) وقد ورد فى كتمان العلم للسائلين وذمه أحاديث تقدم ذكرها فى أول الكتاب (فمعنى قوله لا يلزمني أى فى شرع الجدل الذى أبدعناه) وجعلناه أركانا وقواعد (بحكم التشهى) النفسانى (والرغبة) المردية الى مهاوى الضلال (فى طريق الاحتيال) والمكر (والمصارعة بالكلام) أى المواثبة به (لا يلزمني) ذكره (والا فهو لازم فى الشرع) المحمدى (فانه بامتناعه عن الذكر اما كاذب) فى قوله (واما فاسق) بفعله (فتفحص) رحمك الله (عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف) رحمهم الله تعالى (هل سمعت فيها ما يضاهى) أى يشبه (هذا الجنس) من المجادلات (وهل منع أحد من الانتقال من دليل الى دليل) آخر (ومن قياس) عقلى (الى أثر نبوى ومن خبر الى آية) كلا والله (بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس اذ كانوا يذكرون) ما عندهم (كلما يخطر لهم) فى افهامهم (كما يخطر وكانوا ينظرون فيه) نظر تدبر فان رأوا حقا رجعوا اليه وانظر رجوع اسحق بن راهويه الى قول الشافعى بعد مناظرته فى اهاب الميتة المدبوغة واستدلاله بحديث ابن عكيم كما تقدم له ظهر له الحق فيه وتصمم أحمد فلم يرجع ثم لما ظهر له ترجيح حديث ميمونة رجع اليه كما نقل عنه (الثامن ان يناظر) مع (من يتوقع) أى يرجو (الاستفادة منه ممن هو مستقل بالعلم) كامل الاحوال عارف الاصول الدينية متمحض فى خدمة العلم غير راكن الى الدنيا وأربابها (والغالب) على مناظرى الزمان (انهم يحترزون) و يتجنبون (من مناظرة الفحول) من العلماء (والاكابر) من الفضلاء (خوفا من ظهور الحق على لسانهم) فلا محالة من اتباعه وترك مذهب مقلده أو خوفا من تبكيته والتسجيل عليه بكونه صار مغلوبا (و يرغبون فيمن دونهم) من أوساط الطلبة وصغارهم (طمعا فى ترويج الباطل عليهم) وهم لقصور افهامهم لا يطيقون على رد ذلك الباطل فيدخلون عليهم بهذه التمويهات المزخرفة فيتحيرون و يروج عليهم ذلك الكلام فهذه شروط فى المناظرة ثمانية (و وراء هذا شروط) أخر (دقيقة) يطول الكلام فى بيانها (ولكن فى هذه الشروط الثمانية) المذكورة (ما يهديك) و يرشدك (الى) الفرق بين (من يناظر لله) تعالى وقصده ظهور الحق واتباعه (و) بين (من يناظر لعلة) دنيوية واغراض فاسدة ثم لما فرغ من بيان الشروط الثمانية

اذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه * الثامن أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعا فى ترويج الباطل عليهم و وراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن فى هذه الشروط الثمانية ما يهديك الى من يناظر لله ومن يناظر لعلة

واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدوّله ولا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره فى المسائل التى المجتهد فيها مصيب أومساهم للمصيب فى الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التى نعددها ونذكر تفاصيلها فنسأل الله حسن العون والتوفيق

(بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق)

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هى منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدوّ الله ابليس ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما أن الذى خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش فى سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة فى المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك الى اضمار الخبائث كلها فى النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة وهذه الاخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الاخبار والآيات فى ربع المهلكات

الثمانية شرع فى ذكر الآفات التى تحدث فى المناظرة بمناسبة لطيفة ودخول غريب فقال (واعلم بالجملة) فان التفصيل مما يملّ منه (ان من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه) بوساوسه وشركه وشركه (وهو أعدى أعدائه) وأكبر خصمائه اعلم ان جهاد أعداء الله فى الخارج فرع على جهاد العبد نفسه فى ذات الله كما قال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه فى ذات الله والمهاجر من هجر عما نهى الله عنه ولذلك كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدوّ فى الخارج واضلاله فانه مالم يجاهد اولا نفسه و يناظرها لتفعل ما أمرت به وتترك مانهيت عنه و يحاربها فى الله لم يمكنه جهاد عدوه فى الخارج وكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه وعدوه الذى بين جنبيه قاهر له متسلط عليه (ولا يزال يدعوه) ويحمله (الى هلاكه) ملاحظ له فى حركاته وسكناته لا ينفك عنه ولا يفتر امابسلب اعانه ان أمكنه والا بالقائه فى المعاصى التى هى بريد الكفر ثم يثبطه عن التوبة فمن لم يناظره فى الله لم يمكنه مناظرة عدوّه فى الخارج فهذان عدوان قد امتحن العبد بجهادهما ومناظرتهما و بينهما عدوّ ثالث لا يمكنه جهادهما الا بجهاده وهو واقف بينهما يخذل العبد عن جهادهما ولا يزال يخيل له الخداع والمكر ويحسن له اللذات والشهوات فكان جهاده ومناظرته هو الاصل بجهادهما وهو الشيطان قال الله تعالى ان الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّا فالامر باتخاذه عدوّا تنبيه على استفراغ الوسع فى مجاهدته فانه عدوّ لا يفتر ولا يقصر عن محاربته العبد على عدد الانفاس فمن ترك الجهاد والمناظرة مع هذا العدو الخبيث (ثم يشتغل بمناظرة غيره فى مسائل) معلومة (المجتهد فيها مصيب) الاجر (أو يساهم) أى يشارك فى السهم (للمصيب فى الاجر فهو ضحكة للشياطين) أى يضحكون عليه و يستهزؤن به والضحكة بضم فسكون من يضحك عليه وأما الضحكة بضم ففتح هو من يضحك على الناس كثيرا (وعبرة للمخلصين) يعتبرون بأحواله (ولذلك شمت) أى فرح (الشيطان به بما غمسه فيه) واغرقه (فى) بحار (ظلمات الآفات) العشرة التى (نعددها ونذكر تفصيلها) ان شاء الله تعالى

(بيان آفات المناظرة وما يتولد منها)

فى الجانبين (من مهلكات الاخلاق) وقواتلها (اعلم) أيها الانسان (وتحقق) فى نفسك (ان المناظرة الموضوعة) التى ابتدعوها الآن (لقصد الغلبة) على الخصم (والافحام) أى الاسكات (واظهار الفضل) والمزية (والتشرف) وفى نسخة والشرف (عند الناس) فى المحافل (وقصد المباهاة) أى المفاخرة (والمماراة) أى المخاصمة (واستمالة) أى طلب ميل وصرف (وجوه الناس) بالالتفات (هى منبع جميع الاخلاق المذمومة) المعكوسة (عند الله) تعالى (المحمودة عند عدوّ الله ابليس) لعنه الله والشئ قد يكون محمودا ومذموما باختلاف النسب والاضافات (ونسبتها) أى المناظرة (الى الفواحش الباطنة) المعقولة (من) نحو (الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها) على ما سيأتى بيانها فى المهلكات (نسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة) المحسوسة (من) نحو (الزنا والقذف والقتل والسرقة) وغيرها (وكما ان الذى خير بين الشرب) أى بين ان يشرب الخمر (و) بين ارتكاب (سائر الفواحش) كقتل وزنا وغير ذلك (استصغر الشرب) أى عده صغيرا (فاقدم عليه) فشربه (فدعاه ذلك) وحمله (الى ارتكاب بقية الفواحش فى سكره) فزنى وقتل وفعل ما فعل وذلك لكونه جماع الاثم ومفسد العقل ومفسد الدنيا والدين وقد ورد فى شربه أحاديث يأتى بيانها فى مواضعها (وكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة فى المناظرة وطلب الجاه) عند ذويه (والمباهاة به دعاه ذلك) وجره (الى اضمار الخبائث كلها فى النفس وهيج فيه) أى فى الانسان (جميع الاخلاق) الرذيلة (المذمومة) المعكوسة (وهذه الاخلاق) بتمامها (سيأتى) بيانها وتأتى (أدلة مذمتها) المستنبطة (من الاخبار) الواردة (والآيات فى ربع المهلكات) ان شاء الله

تعالى (ولكنا نشير الآن) بحسب المقام (الى مجامع ما تهيجه المناظرة) وتبعثه عليه (فنها الحسد) وهو تسخط قضاء الله والاعتراض عليه وهو مذموم قال الله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد (وقد قال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) لانه اعتراض على الله فيما لاعذر للعبد فيه لانه لايضره نعمة الله على عبده فالله لايعبث ولايضع الشئ فى غير محله فكانه نسب ربه للجهل والسفه ولم يرض بقضائه والحاسد معاقب بالغيظ الدائم فى الدنيا وفى الآخرة باحباط الحسنات قال العراقى أخرجه أبوداود من حديث أبى هريرة قال البخارى لايصح وهو عند ابن ماجه من حديث أنس باسناد ضعيف وفى تاريخ بغداد باسناد حسن اه قلت أما أبوداود فاخرجه من رواية ابراهيم بن أبى أسيد عن جده عن أبى هريرة بلفظ اياكم والحسد فان الحسد فذكره وجده قال الذهبى لعله سالم البراد ثقة وقول البخارى لايصح هو فى تاريخه الكبير وأما حديث أنس الذى أخرجه ابن ماجه فن رواية عيسى الحناط عن أبى الزناد عنه وعيسى الحناط ضعيف وفى ترجمته رواه ابن عدى فى الكامل وقال هو متروك الحديث وفى هذا الحديث زيادة فى آخره والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار والصلاة نور المؤمن والايمان جنة من النار وقال ابن عدى فى الكامل ورواه واقد بن سلامة وقيل سلمة عن يزيد الرقاشى عن أنس هكذا ورواه الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عنه عن يزيد ورواه ابن لهيعة عن محمد ابن واقد عن أنس ولايصح قال أبو بكر بن أبى داود والصواب عن يزيد عن أنس وفيه زيادات ذكر الصلاة والصيام والصدقة اه ورواه الخطيب فى تاريخ بغداد وليس فيه عيسى الحناط وفى الباب عن ابن عمر ومعاوية بن حيدة فحديث ابن عمر رواه الدارقطنى فى غرائب مالك من رواية مالك والليث عن نافع عنه وقال باطل ورواية معاوية أخرجه الديلمى عن معاوية بن حيدة الحسد يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وفى الباب أيضا حديث الزبير أخرجه ابن عبد البر فى كتاب العلم بلفظ دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء (ولاتنفك المناظرة عن الحسد فانه) أى المناظر (تارة يغلب) على خصمه (وتارة يغلب) منه (وتارة يحمد كلامه وأخرى) وفى نسخة وتارة (يحمد كلام غيره) بحسب المقامات (فادام يبقى فى الدنيا واحد) أى فى الحياة (يذكر بقوة العلم) حدة (النظر) وحسن الفهم (أو يظن انه أحسن منه كلاما) وسياقا وسردا (أوأقوى نظرا) فى المسائل (فلابد أن يحسده) ويتسخط عليه باطنا (ويحب زوال النعم عنه وانصراف الوجوه والقلوب عنه اليه) بل يحب هلاكه كيف أمكن ليخلوله الميدان وهذا محسوس مشاهد (والحسد) فى الحقيقة (نار محرقة) واليه يشير قول الشاعر

اصبر على غصص الحسو * د فان صبرك قاتله * كالنار تأكل نفسها * ان لم تجد ما تأكله

(من بلى به فهو فى العذاب الدائم فى الدنيا) معاقب بغيظه لاينفك عنه (ولعذاب الآخرة أشد وأعظم) باحباط الحسنات ومن ثم كان من الكبائر وقال بعضهم ينشأ من الحسد افساد الطاعات وفعل المعاصى والشرور والتعب والهم بلا فائدة وغم القلب حتى لا يكاد يفهم حكما من أحكام الله تعالى والحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراد (ولذا قال ابن عباس) رضى الله عنه فيما روى من قوله (خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم فى بعض فانهم يتغارون كما تتغاير التيوس فى الزريبة) رواه ابن عبد البر فى كتاب العلم بلفظ استمعوا قول القراء ولا تصدقوا بعضهم على بعض فوالذى نفسى بيده لهم أشد تغايرا من التيوس فى زروبها قال وعن مالك بن دينار يؤخذ بقول العلماء والقراء فى كل شئ الا قول بعضهم فى بعض اه وقال ابن السبكى رأيت فى كتاب معين الحكام لابن عبد البر المالكى وقع فى المبسوطة عن قول عبد الله بن وهب انه لايجوز شهادة القارئ على القارئ يعنى العلماء لانهم أشد الناس تحاسدا وتباغضا وقاله سفيان ومالك بن دينار اه قال ابن السبكى وليس هذا على الاطلاق ولكن من ثبتت عدالته لايلتفت فيه الى قول من تشهد القرائن بانه متحامل عليه اما التعصب مذهبى أوغيره اه قلت والجلة الاولى

ولكنا نشير الآن الى مجامع ما تهيجه المناظرة فنها الحسد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ولاينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره فادام يبقى فى الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر أو يظن انه أحسن منه كلاما وأقوى نظرا فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه اليه والحسد نار محرقة فن بلى به فهو فى العذاب فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولاتقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتغارون كما تتغاير التيوس فى الزريبة

ومنها التكبر والترفع على الناس فقد قال صلى الله عليه وسلم من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته

من قول ابن عباس لها شاهد قوى من قوله فيما رواه سليمان بن معاذ عن عكرمة عنه خذوا الحكمة ممن سمعتموه وفى المدخل للبيهقى من رواية حسن بن صالح عن عكرمة عنه خذ الحكمة ممن سمعت وأما قول مالك بن دينار فأورده أبو نعيم فى الحلية بسنده اليه قال تجوز شهادة فى كل شئ الا شهادة القراء بعضهم على بعض فانهم أشد تحاسدا من التيوس فى الزروب وأخرج فى ترجمة كعب الاحبار من قوله يوشك ان تروا جهال الناس يتباهون فى العلم ويتغايرون عليه كما تتغاير النساء على الرجال فذلك حظهم من العلم اه والتغاير تفاعل من الغيرة والزريبة حظيرة للغنم تتخذ من خشب كالزرب والجمع الزرائب وجمع الزرب الزروب (ومنها التكبر) أن يرى نفسه أكبر من غيره وفى نسخة ومنها الكبر (و) فى معناه (الترفع على الناس) وأعظم التكبر التكبر على الله تعالى بالامتناع من قبول الحق والاذعان وأصل التكبر يقال على وجهين أحدهما أن تكون الافعال حسنة كثيرة فى الحقيقة وزائدة على محاسن غيره وعليه وصف الله بالمتكبر الثانى أن يكون متكلفا لذلك متشبعا وذلك وصف عامة الناس ومن وصف بالتكبر على الوجه الاول فمحمود وعلى الثانى فمذموم (وقد قال صلى الله عليه وسلم من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله) قال العراقى أخرجه الخطيب من حديث عمر باسناد صحيح وقال غريب من حديث الثورى ولابن ماجه نحوه من حديث أبى سعيد بسند حسن اه قلت هو فى تاريخ الخطيب بلفظ خفضه الله مكان وضعه وفى الاوسط للطبرانى قصمه الله مكان وضعه أخرجاه هكذا من رواية عابس ابن ربيعة قال سمعت عمر بن الخطاب يقول أيها الناس تواضعوا فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكراه وقال الخطيب غريب ولفظ ابن ماجه من رواية ابن لهيعة عن أبى الهيثم عن أبى سعيد من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله وهكذا أورده أيضا أحمد وأبو يعلى فى مسنديهما وقال ابن حجر فى الفتح خرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد رفعه بلفظ من تواضع لله رفعه الله حتى يجعله فى أعلى عليين قال وصححه ابن حبان بل خرجه مسلم فى الصحيح والترمذى فى الجامع بلفظ ما تواضع أحد لله الا رفعه الله هكذا خرجاه معا عن أبى هريرة مرفوعا ورواه أحمد والبزار عن عمر بلفظ من تواضع لله رفعه الله وقال انتعش نعشك الله فهو فى أعين الناس عظيم وعند الله كبير وفى الاوسط للطبرانى من رواية أبى معشر عن المقرى عن أبى هريرة من تواضع لاخيه المسلم رفعه الله ومن ارتفع عليه وضعه الله وأخرجه أبو نعيم وكذا القضاعى كلاهما عن أبى هريرة مرفوعا وزاد أبو نعيم فى الحلية فى رواية ومن تكبر على الله وضعه الله حيث يجعله فى أسفل سافلين ووجدت أيضا فى الحلية فى ترجمة سلمان من طريق الاعمش عن أبى ظبيان عن جرير قال قال سلمان ياجرير تواضع لله فانه من تواضع لله فى الدنيا رفعه الله يوم القيامة وفى الباب عن طلحة وابن عباس ومعاذ بن جبل وأوس بن خولى ثم معنى قوله تواضع لله أى لاجل عظمة الله تواضعا حقيقيا وهو كما قال ابن عطاء الله ما كان ناشئا عن شهود عظمة الحق وتجلى صفته فالتواضع للناس مع اعتقاد عظمة فى النفس واقتدار ليس بتواضع حقيقى بل هو بالتكبر أشبه وقيل التواضع لله أن يضع نفسه حيث وضعها الله من العجز وذل العبودية تحت أوامره سبحانه بالامتثال وزواجره بالانزجار وأحكامه بالتسليم للاقدار ليكون عبدا فى كل حال فيرفعه بين الخلائق وان تعدى طوره وتجاوز حده وتكبر وضعه بين الخلائق (وقال) صلى الله عليه وسلم (حكاية عن الله عز وجل العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته) هكذا فى النسخ وفى بعضها بتقديم الكبرياء على العظمة وهى نسخة العراقى قال العراقى أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة وهو عند مسلم بلفظ الكبرياء رداؤه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد اه وفى المقاصد أخرجه مسلم وابن حبان وأبو داود وابن ماجه كلهم عن أبى هريرة مرفوعا يقول الله الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فيهما ألقيته فى النار ولفظ ابن ماجه فى جهنم وعند أبى داود قذفته

فى النار وعند مسلم عذبته وقال رداؤه وازاره بالغيبة وزاد مع أبى هريرة أباسعيد ورواه الحاكم فى مستدركه من وجوه أخر بلفظ قصمته وبدون ذكر العظمة وقال صحيح على شرط مسلم وممن أخرجه بلفظ الترجمة القضاعى فى مسنده من حديث عطاء بن السائب عن أبيه عن أبى هريرة بزيادة يقول الله وللحكيم الترمذى عن أنس رفعه يقول الله عز وجل لى العظمة والكبرياء والفخر والقدر سرى فن نازعنى واحدة منهن كببته فى النار اه قلت أخرجه مسلم وأبوداود وابن ماجه من رواية الاغر بن مسلم عن أبى هريرة الا ان لفظهما فن نازعنى واحدا منهما وقد رواه أحمد من رواية الثورى عن عطاء بن السائب عن أبيه بلفظ ألقيته فى النار والحاكم رواه من رواية ابن المسيب عن أبى هريرة وفى الباب عن ابن عباس وعبدالله بن عمرو وعلى بن أبى طالب (ولا تنفك المناظرة) والمباحثة (عن لحوق وصف (التكبر على الاقران) من مناظريه (والامثال) منهم (والترفع) فى حالاته (الى فوق قدره) فيقع فى التجاوز عن الحدود (حتى انهم) أى أولئك المناظرين (ليقتاتلون) ويدافعون بمناكبهم (على مجلس من المجالس) وتراهم (يتنافسون فيها) ويتفاخرون (فى الارتفاع) فى جلوسهم (والانخفاض) عن مرتبتهم (و) يتباهون (فى القرب من وسادة الصدور) والاكابر وهو الموضع الذى يتوسد فيه الصدور ويتكئ عليه والمراد به صدر المجلس (و) يتنزهون عن (البعد منه) ويرون ذلك ازدراء لشأنهم واحتقارا لهم (و) تراهم يؤثرون (التقدم فى الدخول) فى المجالس (عند مضايق الطرق) ومصاعبها فيختارون أن لا يتقدم عليهم أحد فى حالة مشيهم (وربما يتعلل) وفى نسخة يتغابن (الغبى) الذى أشرب قلبه هوى الجاه والرفعة (أو المكار الخداع منهم) الذى كثر كلامه وارهاصاته وخدع الناس بظاهر حاله وفى نسخة والمكار الخداع وهو قريب فى المعنى ويحتج فى فعله هذا (بانه يبغى) أى يطلب (صيانة العلم) وحفظ حوزته وحمايته وفى نسخة صيانة عن العلم (وان المؤمن منهى عن اذلال نفسه) ورد ذلك من حديث حذيفة وعلى وأبى بكرة وابن عمر أما حديث حذيفة فرواه الترمذى وابن ماجه من رواية على بن زيد عن الحسن عن جندب عنه رفعه لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه قال الترمذى حسن صحيح غريب قاله العراقى قلت وكذلك رواه الامام أحمد وزاد أبو يعلى فى مسنده والضياء فى المختارة قيل كيف يذل نفسه قال يتعرض من البلاء لما لا يطيق وفى بعض رواياتهم لا ينبغى للمسلم وأخرجه ابن عدى فى الكامل فقال حدثنا محمد بن عبد السلام البصرى السلمى عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن الحسن عن جندب عن حذيفة فذكره قال وهذا ليس عند هدبة انما يعرف هذا لعمرو بن عاصم عن حماد وقد ادعاه عمر بن موسى الحارثى عن الكديمى وهو ضعيف وابن عبد السلام أبطل روايته هذا الحديث عن هدبة عن حماد اه وأما حديث على فرواه الطبرانى فى الاوسط من رواية عاصم ابن ضمرة عن على رفعه ليس للمسلم أن يذل نفسه قالوا يارسول الله وكيف يذل نفسه قال يتعرض من البلاء لما لا يطيق وقال لا يروى عن على الا بهذا الاسناد تفرد به الجارود وأما حديث أبى بكرة فرواه الحرث بن أبى أسامة عن الخليل بن زكريا عن حبيب بن الشهيد عن الحسن عنه رفعه ليس للمؤمن أن يذل نفسه والخليل بن زكريا البصرى ضعيف وأما حديث ابن عمر فرواه ابن عدى فى الكامل فى ترجمة أبى حفص عمر بن موسى بن سليمان الحارثى عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عنه رفعه لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه وقال ضعيف يسرق الحديث قال وهذا يعرف بعمرو بن عاصم عن حماد فسرقه منه عمر هذا قال العراقى وله طريق آخر رواه البزار والطبرانى فى الكبير والاوسط من رواية مجاهد عن ابن عمر مثله وزاد فيه قلت يارسول الله كيف يذل نفسه الحديث واسناده جيد قلت وقد روى أيضا من حديث أبى سعيد الخدرى رواه أبو يعلى فى مسنده أشار له الخلال فى جامعه الكبير وقرأت فى الحلية لابى نعيم فى ترجمة الفضيل بن عياض قال له الفضل بن الربيع وهو مع هرون الخليفة ودق عليه الباب

ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران والامثال والترفع الى فوق قدره حتى انهم ليقتاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه فى الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم فى الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغبى والمكار الخداع منهم بانه يبغى صيانة عز العلم وان المؤمن منهى عن الاذلال لنفسه

فلم يفتح ابليس قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس للمؤمن أن يذل نفسه فنزل ففتح الباب اه (فيعبر عن التواضع الذى أثنى الله) عليه فى مواضع من كتابه كقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (وسائر أنبيائه) عليهم الصلاة والسلام كما هو مشهور فى أقوالهم وكلماتهم (بالذل) على حسب زعمه (ويعبر عن التكبر) الوارد فى ذمه أحاديث (الممقوت) أى المبغوض (عند الله) أشد البغض (بعز الدين) وهذا من فساد معقوله (تحريفا للاسم) وتغييرا لمعانيه ووضعه اياه فى غير مواضعه (واضلالا للخلق به) واهلاكا لهم بهذا الوصف الذميم (كما فعل فى اسم الحكمة والعلم وغيرهما) كالوعظ والتذكير والفقه على ما عرف فى أول الكتاب (ومنها) أى ومن آفات المناظرة (الحقد) وهو الانطواء على العداوة والبغضاء (ولا يكاد المناظر) وفى نسخة ولا تكاد المناظرة (يخلو عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود) قال العراقى لم أقف له على أصل اه وتبعه على ذلك الحافظ السخاوى فى مقاصده (و) قد (ورد فى ذم الحقد) من الاحاديث (ما لا يخفى) على المتبصر وسيأتى ذكر شئ من ذلك فى الربع الثالث (و) أنت (لا ترى مناظرا) فى مجلس من المجالس (يقدر على أن لا يضمر) أى يكتم فى نفسه (حقدا على من يحرك رأسه) ويشير به (على كلام خصمه) الذى يناظره (ويتوقف فى كلامه) ولو كان صريحا (فلا يقابله) وفى نسخة ولا يقابله (بحسن الاصغاء) والاستماع لما يورده (بل يضطر اذا شاهد ذلك) منه ولم يجد محيصا (الى اضمار الحقد وتربيته فى النفس) أى تسكينه فيها وفى نسخة وتزيينه من الزينة (وغاية تماسكه) عن اظهار ما فى نفسه (الاخفاء بالنفاق) المذموم المنهى عنه (ويترشح منه) أى من هذا الحال من باطنه (الى الظاهر لامحالة فى غالب الامر) من كلامه وحركاته وسكناته فمن أسر سريرة ألبسه الله رداءها (وكيف ينفك) المناظر (عن هذا) الوصف (ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين) حوله (على ترجيح كلامه) على المخالف (واستحسان جميع أحواله فى) حالتى (ايراده واصداره) لابد من نقص فى ذلك الا من عصمه الله (ثم لو صدر من خصمه) فى حالة مناظرته (أدنى تشبث) كذا فى النسخ وفى أخرى أدنى تشتيت من الشت وهو الخلاف والتباعد وفى أخرى أدنى سبب (فيه قلة مبالاة) وفى نسخة واعتناء بكلامه (انغرس فى صدره) وثبت وفى نسخة فى قلبه (حقد لا تقطعه يد الدهر) أبدا (الى آخر العمر) نسأل الله السلامة من ذلك بمنه وكرمه (ومنها) أى ومن آفات المناظرة (الغيبة) أن تذكر أخاك بما يكرهه أو ذكر العيب بظهر الغيب (وقد شبهها الله تعالى) فى كتابه العزيز (بأكل الميتة) فقال أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال تعالى هماز مشاء بنميم وسيأتى ما يتعلق بذلك فى الربع الثالث (ولا يزال المناظر) فى المجالس (مثابرا) أى مجتهدا صابرا (على) هذا الوصف الذميم الذى هو (أكل الميتة واستذواق الجيفة) (فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه) وايراده اياه فى المجلس (ومذمته) اياه (وغاية تحفظه) وتماسكه (أن يصدق عليه) فيما ينقله عنه ويحكيه (ولا يكذب فى الحقيقة فيحكى عنه لامحالة ما يدل على قصور) فهمه وفتور (كلامه وعجزه) فى تقريره (ونقصان فضله و) هذا (هو الغيبة) التى مر تعريفها (فاما الكذب فبهتان) أى ان كان فيه ذلك الوصف الذى ذكره فقد اغتابه والا فقد بهته أى قال عليه ما لم يفعله (وكذلك لا يقدر) المناظر (على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه) ولا يميل اليه (ويصغى الى خصمه ويقبل عليه) بأنواع الوقيعة بلسانه والذام (حتى ينسبه الى الجهل والحماقة) أى فساد العقل (وقلة الفهم والبلادة) ولو كان هو على صريح الحق نعوذ بالله من الخذلان (ومنها) أى ومن آفات المناظرة (تزكية النفس) وهو ثناؤها بمدحها (قال الله تعالى فى كتابه العزيز (فلا تزكوا أنفسكم) هو أعلم بمن اتقى أى لا تنسبوها الى التطهير المقتضى لان تكونوا

به كما فعل فى اسم الحكمة والعلم وغيرهما ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود وورد فى ذم الحقد مالا يخفى ولا نرى مناظرا يقدر على ان لا يضمر حقدا على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف فى كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار الحقد وتربيته فى نفسه وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه الى الظاهر لامحالة فى غالب الامر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله فى ايراده واصداره بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس فى صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر الى آخر العمر ومنها الغيبة وقد شبهها الله بأكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على أكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب فى الحكاية عنه فيحكى عنه لامحالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة فاما الكذب

وبهتان وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغى الى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة ومنها تزكية النفس قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى

عدولا أتقياء ولذلك قال بل الله يزكي من يشاء أي ينسب من يشاء من عباده الى ذلك ومن هذا قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا كنتم خير أمة أخرجت للناس فهذه والله التزكية قاله السمين (وقيل لحكيم) من الحكماء (ما الصدق القبيح) مع ان الصدق لا يوصف بالقبح ولكن قد يكون ذلك (فقال ثناء المرء على نفسه) فانه في الجملة صدق مطابق لما هو الواقع الا انه لنفسه قبيح وفي الذريعة واما ثناء المرء على نفسه فشناعة وفظاعة فقد قيل لحكيم ما الذي لا يحسن وان كان حقا فقال مدح الرجل نفسه وقال معاوية رضي الله عنه لرجل من سيد قومك قال أنا قال لو كنته لما قلته ولقد أحسن ابن الرومي حيث اعتذر عن مدح نفسه قصدا الى الدلالة على مكانه فقال

وعزيز علي مدحي لنفسي * غير اني حسمته للدلاله
وهو عيب يكاد يسقط فيه * كل حر يريد اظهار آله

(ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه) بحسن أوصافه وكثرة كمالاته (بالقوة) في العلم (والغلبة) على الخصم (والتقدم على الاقران) والامثال أبدا (بالفضل ولا ينفك في أثناء المناظرة من قوله) اذا قال له خصمه قولا ينبهه عليه أو دليلا لم يخطر بباله (لست ممن يخفى عليه هذه الامور) ينسب بذلك الى نفسه الكمال والاجلال (ويقول) في أثناء كلامه (أنا المتفنن في العلوم) العقلية والنقلية (وأنا المستقل بالاصول) الدينية أي حامل أعبائها على وجه الاستقلال (و) أنا المتوحد في (حفظ الاحاديث) النبوية (وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف) والتكبر (وتارة للحاجة) الداعية (الى ترويج) أي تزيين (كلامه ومعلوم ان) كلا (من الصلف والتمدح) وفي نسخة البذخ (مذموم شرعا وعقلا) فينبغي التجنب عن ذلك نسأل الله الاعانة والتوفيق (ومنها) أي ومن آفات المناظرة (التجسس) وهو التعبير عن بواطن الامور وأكثر ما يقال في الشر ولذلك يقال الجاسوس لصاحب سر الشر (و) قيل التجسس هو (تتبع عورات الناس) ومساويهم (وقد قال تعالى ولا تجسسوا) أي لا تتبعوا عورات الناس ولا تطلعوا على سرائرهم وقال مجاهد في تفسيره خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله وورد في الحديث لا تجسسوا ولا تحسسوا بالجيم والحاء (والمناظر) في أغلب حالاته (لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه) والعثرة ما يسقط الانسان في عثار قال الشاعر

يموت الفتى من عثرة بلسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل

(وتتبع عورات خصومه) والعورة هو ما يلحق الانسان العار عند ظهورها (حتى انه ليخبر) أي يعطى خبرا (بورود مناظر الى بلده) قادما (فيطلب) من الناس (من يخبره) ه (بواطن أحواله) من حال نشأته (ويستخرج بالسؤال) والبحث (مقابحه) ومذامه (حتى يعده ذخيرة لنفسه) يدخرها عنده الى حين حضوره في مجلس المناظرة (في افضاحه) على رؤس الاشهاد (وتخجيله) وتبكيته (اذا مست اليه حاجته) ودعت ضرورته (حتى انه ليستكشف) ويبحث (عن أحوال صباه) ونشأته (وعن عيوب) في (بدنه فعساه) ولعله (يعثر) أي يطلع (على هفوة) نادرة (أو على عيب) في بدنه (من قرع) وهو بالتحريك سقوط شعر الرأس وهو من علة (أو غيره) كبرص وما أشبهه من الامراض الخفية تحت الثياب (ثم اذا أحس) وعلم (بأدنى غلبة من جهته عرض به) أي حكاه من باب التعريض (ان كان متماسكا) في نفسه (ويستحسن ذلك منه) عند من حضر (ويعد من لطائف التسبب) وفي نسخة التشذيب بل يعده بعض العوام الهاما وكرامة (ولا يمتنع عن الافضاح) تصريحا وفي نسخة عن الافصاح بالمهملة (ان كان متبجحا) مفتخرا (بالسفاهة) وطول اللسان (والاستهزاء) والاحتقار (كما يحكى عن جماعة من أكابر المناظرين والمعدودين من فحولهم) الاجلة فانه نقلت عنهم في مناظراتهم الطامات من التسافه والتفاحش فاللائق بعلماء الآخرة الاعراض عن ذلك نسأل الله الهداية والتوفيق (ومنها) أي ومن

فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك في أثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الامور وأنا المتفنن في العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الاحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج كلامه ومعلوم أن الصلف والتمدح مذمومان شرعا وعقلا ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى ولا تجسسوا والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر الى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في افضاحه وتخجيله اذا مست اليه حاجة حتى انه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة أو على عيب به من قرع أوغيره ثم اذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرض به ان كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويعد من لطائف التسبب ولا يمتنع عن الافصاح به ان كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما حكي عن قوم من أكابر المناظرين المعدودين من فحولهم ومنها

آفات المناظرة (الفرح بمساءة الناس) أى بما يسوءهم (و) حصول (الغم) والكدب (مما يسرهم) وذلك لان خصمه ان بهت فى مناظرته واسكت خصمه يفرح لذلك وان اسكت هو فذلك مما يسر خصمه فيضيق صدره لذلك وليس ذلك من صفات المؤمنين (ومن لايحب لاخيه المؤمن مايحب لنفسه) من الخير (فهو بعيد من أخلاق المؤمن) الكامل وفى نسخة المؤمنين لما ورد فى الصحيحين من الايمان ان تحب لأخيك كل ماتحب لنفسك (وكل من يطلب المباهاة) والمفاخرة (باظهار الفضل) والكمال (يسره لامحالة مايسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه فى الفضل) وهذه حال المناظرين فى الاغلب (ويكون التباغض بينهم) جاريا (كما بين الضرات) جمع ضرة وتجمع أيضا على الضرائر (وكما ان احدى الضرائر اذا رأت صاحبتها) مقبلة (ارتعدت) اضطربت (فرائصها) جمع فريصة وهى اللحمة المتدلية على القلب وتسمى البوادر أيضا (واصفر لونها) وتغير حالها (فكذا ترى المناظر اذا رأى مناظرا) من بعيد (يربد) أى يتغير (لونه ويضطرب عليه فكره) لما داخله منه خوف المغلوبية (وكأنه شاهد) فى صورته هذه (شيطانا ماردا) (أوسبعا ضاريا) أى لهجا بأخذ الصيد (فأين الاستئناس) مع الاخوان على صراط الحب المستقيم (والاسترواح الذى كان يجرى بين علماء الدين) فى الخلوة والمحافل (عند اللقاء) مع بعضهم فكانوا يرتاحون بمذاكرة العلم و يستأنسون بمسامعهم ويحب أحدهم لايفارق صاحبه مدى الدهر (وما نقل عنهم) فى سيرهم (من المؤاخاة) والموازرة والتعاون (والتناصر والتساهم) أى التقاسم (فى) حالتى (السراء والضراء) والمنشط والمكره (حتى قال) الامام (الشافعى) رحمه الله تعالى (العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل) والرحم فى الاصل مايشتمل على الولد من أعضاء التناسل ومنه استعير للرحم بمعنى القرابة لخروجهم من رحم واحد فمعنى قول الامام ان العلم هو سبب القرابة والمؤانسة بينهم فصاروا فى الاتصال كأنهم خرجوا من رحم واحدة (ولا أدرى كيف يدعى) بزعمهم (الاقتداء) أى الاتباع (بمذهبه جماعة صار العلم بينهم) بتباغضهم (عداوة قاطعة) ومجافاة مانعة (فهل يتصور أن يستتب) أى يستتم (الانس) والحب (مع طلب) الغلو و (الغلبة والمباهاة) والترفع (هيهات هيهات) بعيد منهم ذلك (فناهيك) أى كافيك بالشئ (شرا) وبعدا ومقتا (أن يلزمك) و يورثك (أخلاق المنافقين) والكاذبين (و يبرئك) أى يبعدك (عن أخلاق المؤمنين والمتقين) من أهل اليقين (ومنها) أى ومن آفات المناظرة (النفاق) وهو ابطان غير الظاهر وقيل هو الدخول فى الشرع من باب والخروج من باب آخر وفى تسمية المنافق منافقا وجوه ثلاثة ذكرها أئمة اللغة (ولا يحتاج الى ذكر الشواهد) المتعلقة به وما ورد (فى ذمه) فانه كثير والكتب محشونة بذكره (وهم) أى المناظرون (مضطرون) أى محتاجون (اليه) ضرورة (فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم) ومن تودد اليهم (وأشياعهم) أى أتباعهم الملازمين لهم بوجه طلق (ولا يجدون بدا من التودد) اليهم (باللسان) واللين فى الكلام وأنواع المؤانسات (واظهار الشوق) فى أثناء المحاورات (والاعتداد) أى الاعتبار (بمكانهم) وشأنهم (و) سائر (أحوالهم) بغاية التفحص والاعتناء (و يعلم المخاطب) بفتح الطاء (والمخاطب) بكسرها (وكل من يسمع ذلك منهم) أى من المتخاطبين وأشياعهم (ان ذلك) أى اظهار التودد والبشاشة (كذب) منهم غير مطابق لسانهم بما فى قلوبهم (وزور) محض (ونفاق) خالص (وفجور) هو شق ستر الديانة قاله الراغب (وانهم متوددون بالالسنة) فى الظواهر (متباغضون بالقلوب) فى البواطن (نعوذ بالله منه) فانه وصف قبيح لايتحلى به مؤمن يخشى الله تعالى كيف وقد (قال صلى الله عليه وسلم اذا تعلم الناس العلم وتركوا

الفرح بمساءة الناس والغم لمسارهم ومن لايحب لاخيه المسلم مايحب لنفسه فهو بعيد من اخلاق المؤمنين فكل من طلب المباهاة باظهار
الفضل يسره لامحالة مايسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه فى الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما ان
احدى الضرائر اذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها فهكذا ترى المناظر اذا رأى مناظرا تغير لونه واضطرب عليه فكره فكأنه يشاهد شيطانا ماردا أو سبعا ضاريا فأين الاستئناس والاسترواح الذى كان يجرى بين علماء الدين عند اللقاء ومانقل عنهم من المواخاة والتناصر والتساهم فى السراء والضراء حتى قال الشافعى رضى الله عنه العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل فلا أدرى كيف يدعى الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور أن ينسب الانس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات وناهيك بالشر شرا أن يلزمك أخلاق المنافقين و يبرئك عن أخلاق المؤمنين والمتقين ومنها النفاق فلا يحتاج الى ذكر الشواهد فى ذمه وهم مضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم وأشياعهم ولايجدون بدا من التودد اليهم باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم و يعلم ذلك المخاطب والمخاطب وكل
من يسمع منهم ان ذلك كذب و زور ونفاق وفجور فانهم متوددون بالالسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله العظيم منه فقد قال
صلى الله عليه وسلم اذا تعلم الناس العلم وتركوا

العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا بالارحام لعنهم الله عنـد ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم) فهذا حال النفاق وترك العمل بما علم واظهار مايخالف باطنه من الحب والبغض ومقاطعة الارحام التى أمروا بوصلها وهى أرحام العلم فالمتصف به يستحق الطرد والبعد من رحمة الله وقوله فاصمهم أى عن استماع الحق وأعمى أبصارهم أى عند رؤية الحق (رواه الحسن) أى البصرى فانه هو المراد عند اطلاقه عند المحدثين فالحديث مرسل وقال العراقى أخرجه الطبرانى من حديث سلمان باسناد ضعيف نحوه اهـ وقال فى التخريج الكبير وقد ورد متصلا من حديث سلمان وابن عمر أما حديث سلمان فأخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير والاوسط من رواية الحجاج بن مرافعة عن ابن عمر وعن سلمان رفعه اذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الالسن وتباغضت القلوب وقطع كل ذى رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم واسناده حسن وقد رويناه فى الخبر الثالث من حديث أبى عمرو بن حمدان من وجه آخر وفى اسناده محمد بن عبدالله بن علاثة مختلف فيه ورواه البيهقى فى المدخل موقوفا على سلمان ورجاله ثقات الا أن فيه انقطاعا وأما حديث ابن عمر رويناه فى الجزء الثالث المذكور من رواية أبى عمرو عنه بلفظ يوشك أن يظهر العلم ويخزن العمل ويتواصل الناس بألسنتهم ويتباعدون بقلوبهم فاذا فعلوا ذلك طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وفى سنده بشر بن ابراهيم الخلوع ضعيف جدا وفى ترجمته رواه ابن عدى فى الكامل قلت وهكذا أخرجه الديلمى أيضا فى مسند الفردوس عن ابن عمر (وقد صح ذلك) أى ماذكرناه (مشاهدة) فلامجال للانكار فيه وفى نسخة بمشاهدة الحال (ومنها) أى ومن آيات المناظرة (الاستكبار عن) قبول (الحق) والامتناع منه (وكراهته) له (والحرص على المعاداة) أى المخاصمة (فيه حتى ان أبغض شئ) يكون (الى المناظر أن يظهر الحق) الصريح (على لسان خصمه) ويأبى ذلك (ومهما ظهر) الحق على لسان خصمه (تشمر) أى تهيأ (لجحده وانكاره) ومنعه (بأقصى) أى نهاية (جهده) وطاقته (وبذل) أى صرف (غاية امكانه على المخادعة) والمراوغة (و) أنواع (المكر و) نصب (الحيلة لدفعه) وازالته ويستمر على ذلك زمانا (ثم تصير المماراة) والمجادلة بهذا الوجه (عادة) مستمرة له (طبيعية) غريزية جبلية (فلايسمع كلاما) من الخصم فيما يورده (الا وينبعث) أى يعتور ويتحرى من طبعه (داعية الاعتراض عليه) من كل الجهات (حتى يغلب ذلك على قلبه) ويستمر عليه فينشأ من ذلك الخوض والمماراة (فى أدلة القرآن) الظاهرة (وألفاظ الشرع) الباهرة التى هى مقاطع الحق (فيضرب البعض منها بالبعض) ويركض على هذا المنوال أى ركض (والمراء فى مقابلة الباطل محذور) وغوائله كثيرة (اذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم) وحث أمته (الى ترك المراء بالحق على الباطل) فكيف فى المراء فى مقابلة الباطل (فقال من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة) الربض محركة الساحة قال العراقى أخرجه الترمذى وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف قال الترمذى حديث حسن اهـ قلت هكذا أخرجاه من رواية سلمة بن وردان عن أنس بلفظ من ترك الكذب وهو باطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى وسطها ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها وحسنه الترمذى وقال لانعرفه الامن حديث سلمة بن وردان عن أنس وضعفه ابن عدى فى الكامل وأخرجه ابن منده عن مالك بن أوس بن الحدثان عن أبيه وأخرجه أبوداود بسند جيد من حديث أبى امامة رفعه أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا وببيت فى وسطها لمن ترك الكذب وان كان مازحا وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه وأخرج الطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس رفعه أنا الزعيم ببيت فى رباض الجنة وببيت فى أعلاها وببيت فى أسفلها لمن ترك الجدال وهو محق وترك الكذب وهو لاعب وحسن خلقه وأخرج الطبرانى فى

العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا فى الارحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم وأعمى أبصارهم رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحالة ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى ان أبغض شئ الى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ومهما ظهر تشمر لجحده وانكاره بأقصى جهده وبذل غاية امكانه فى المخادعة والمكر والحيلة لدفعه حتى تصير المماراة فيه عادة طبيعية فلايسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه فى أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء فى مقابلة الباطل محذور اذ ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ترك المراء بالحق على الباطل قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة

كذب بالحق لما جاءه وقال تعالى فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد فى استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذى يدعو الى أكبر الكبائر كما سيأتى فى كتاب الرياء والمناظر لا يقصد الا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خصال من أمهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدى الى الضرب واللكم واللطم وتمزيق الثياب والاخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الاستاذين والقذف الصريح فان أولئك ليسوا معدودين فى زمرة الناس المعتبرين وانما الاكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ولا ينفك أحد منهم عنه مع اشكاله المقارنين له فى الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطوّل بذكرها

الكبير من رواية عبد الله بن يزيد الدمشقى قال حدثنى أبو الدرداء وأبو امامة وواثلة بن الاسقع وأنس بن مالك قالوا خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ونحن نتمارى فذكر حديثا فيه ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات فى الجنة فى رباضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق الحديث (وقد سوى الله تعالى) فى كتابه العزيز (بين من افترى على الله كذبا) بان نسب اليه ما لا يليق بجلاله وعظمته (وبين من كذب بالحق) المنزل (فقال ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه) أليس فى جهنم مثوى للكافرين (وقال) فى موضع آخر من كتابه العزيز (فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ومنها) أى ومن آفات المناظرة (الرياء) هو الفعل المقصود به (ملاحظة الخلق) ورؤيتهم غفلة عن الخالق وعماية عنه (و) فى معنى ذلك بذل (الجهد فى استمالة) اى طلب ميل (قلوبهم وصرف وجوههم) اليه (والرياء) على ما سيأتى فى الربع الثالث (هو الداء العضال) أى الشديد من أعضل الامر اذا اشتد (الذى يدعو) ملتبسه (الى أكبر الكبائر) والفواحش (كما سيأتى) تفصيله (فى كتاب الرياء) من المهلكات (والمناظر) غالبا (لا يقصد الا الظهور) والشهرة (عند الخلق) إبتجحاته وترهاته (وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه) بأنه أعلم العلماء وسيد المناظرين والمناضلين (فهذه) التى ذكرت (عشر خلال من أمهات الفواحش الباطنة) وأصولها وهى مخفية عن عيون الناس راسخة فى الطبائع (سوى ما يتفق) غيرها (لغير المتماسكين منهم) والمستقلين باعباء العلوم الراسخين فيها (من) خلال ذميمة كذلك نحو (الخصام المؤدى) أى الموصل (الى الضرب) بآلات الحرب (واللكم) باليد والفرق بينه وبين اللطم ان اللطم ما كان بالكف مبسوطة وقد يطلق أحدهما على الآخر توسعا (وتخريق الثياب) وتمزيقها بالتجاذب (والاخذ باللحى) جمع لحية معروفة (وسب الوالدين) بما لا يليق بهما (وشتم الاستاذين) أى المشايخ والاستاذ لفظة أعجمية (والقذف الصريح) وأصل القذف الرمى البعيد ثم استعير للشتم والعيب (فان أولئك) أى المتصفين بهذه الاوصاف (ليسوا معدودين) محسوبين (فى زمرة) أى جماعة (المعتبرين) من العلماء والاشياخ (وانما الاكابر) جمع كبير على غير قياس أو جمع أكبر (والعقلاء) ذووا الفطانة (منهم لا ينفكون) أى لا يفارقون (عن هذه الخصال العشرة) المذكورة فان قال قائل هذا الذى ذكره على اطلاقه غير متجه فانا نرى بعضا منهم لا يظهر عليه عند المناظرة أثر من هذه الخلال * فأجاب بقوله (نعم قد يسلم بعضهم عن بعضها) أى بعض تلك الخلال لكن (مع من هو ظاهر الانحطاط) أى النزول (عنه) فى المرتبة (أو ظاهر الارتفاع عليه) فى المنزلة (أو) مع من هو (بعيد عن بلده) فى المسافة (أو) بعيد (عن أسباب معيشته) فان غالب التقاطع لا يكون الا عن حسد فى المعايش من جهة القلة والكثرة (ولا ينفك أحد منهم عنه) أى عن ذلك الخصام (مع اشكاله) وأشباهه (المقارنين له) المحاذين (فى الدرجة) والمنزلة كالمدرسين مع المدرس والمفتين مع المفتى وشيخ مدرسة مع شيخ مدرسة أخرى (ثم يتشعب) أى يتفرع وفى نسخة يتشعب وفى أخرى ينبعث (من كل واحدة من هذه الخصال العشر) المذكورة (عشرة أخرى من الرذائل) المستقبحة (لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها) وانما نلم على تعديدها على سبيل الاجمال وهى (مثل الانفة) محركة هى الحمية (والغضب) نسبا الى الانف وهى الجارحة حتى قالوا شمخ فلان بأنفه للمتكبر (والبغضاء) هو نفور النفس عن الشئ الذى يرغب عنه (والطمع) وهو نزوع النفس الى الشئ شهوة له (وحب طلب المال والجاه) عند الرؤساء (والتمكن من الغلبة) على الاخصام (والمباهاة) أى المفاخرة (والاشر) وهو كفر النعمة (والبطر) ويقال الاشر شدة البطر والبطر أبلغ من الفرح اذ الفرح وان كان مذموما غالبا فقد يحمد على قدر ما يجب وفى الموضع الذى يجب فبذلك فليفرحوا وذلك لان الفرح قد يكون من سرور بحسب قضية العقل والاشر

وتفصيل آحادها مثل الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والاشر والبطر

لايكون الافرحا بحسب قضية الهوى (وتعظيم الاغنياء) من ذوى الاموال نظرا لما بايديهم (و) تعظيم (السلاطين) ومن فى حكمهم من النواب والوزراء نظرا الى جاههم وشوكتهم (والتردد اليهم) لحصول ذلك (والاخذ من خزائنهم) من الاموال وأنواع البر والصلة (والتجمل) أى التزين (بالخيول) المسوّمة (والمراكب) الفارهة وفى حكمها البغال المثمنة (والثياب المخطورة) أى ذوات الخطر وهى المثمنة وفى حكمها لبس الفراوى والتشاريف السلطانية (واستحقار الناس) واستصغارهم (بالفخر والخيلاء) أى التكبر (والخوض) أى الدخول (فيما لايعنى) من الكلام (وكثرة الكلام) من غير داع ولاموجب (وخروج الرحمة) أى رقة القلب (والخشية) أى الخوف من الله تعالى (من القلب واستيلاء الغفلة وتحكمها (عليه) أى على القلب (حتى لايدرى المصلى منهم) اذا دخل (فى صلاته) مفروضة كانت أونافلة كم صلى و (ماالذى يقرؤه) فى صلاته (ومن الذى يناجيه) فى توجهه ويخاطبه (ولا يحس) أى لايدرك (بالخشوع) الذى هوروح العبادة (من قلبه) فاذا كان هذا حاله فى الصلاة مضى غافلا فهو فى غيرها أشغل من ذات النحيين (واستغراق العمر) واستيفائه (فى) تحصيل (العلوم العقلية النظرية (التى تعين) وتساعد (فى المناظرة) مع الخصم فيتقنون النحو والمنطق والكلام والجدل والفرائض والحساب لانها هى التى تفتق ألسنتهم فى المحافل ويلقون العلوم الشرعية سواها وراء ظهورهم (مع انها) أى تلك العلوم التى يحصلونها (لاتنفع فى الآخرة) أصلا وانما هى وبال على صاحبها وقد مضت حكاية نصر بن على الجهضمى حين رأى الخليل بن أحمد فى المنام وجوابه له وكذلك حكاية بعض المحدثين حين رأى بعض فقهاء الكوفة فى منامه وجوابه له (حتى تحسين العبارة) وتلخيصها اذا كان بتكلف واعمال نظر (وتسجيع اللفظ) حتى فى الدعاء كما مرت اليه الاشارة وما ورد فيه من النهى الصريح فان كل ذلك مما يمنع منه (وحفظ النوادر) والحكايات الغريبة مما توجد فى المجالس بقصد الاستغراب منثورة أومنظومة (الى غير ذلك فى أمور لاتحصى) يدركها المتأمل الحاذق (والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم) ورتبهم (ولهم درجات شتى) عالية ونازلة (فلا ينفك أعظمهم دينا) أى معرفة فيه (وأكثرهم عقلا) وذكاء (عن) تحمل (جمل) كثيرة (من مواد هذه الاخلاق) المذكورة (وانما غايته) التى ينتهى اليها (اخفاؤها) فى النفس (ومجاهدة النفس فيها) فان غاب عليها نجا من تلك الرذائل وان غلبت عليه أخلدته الى الهون والمقاتل نسأل الله سبحانه الاعانة عليها والتوفيق لما يرضاه (واعلم) أيها السالك (ان هذه الرذائل) التى ذكرت ليست خاصة فى حق المناظرين فقط بل (لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ) على الكراسى على ملا من الناس (أيضا اذا كان قصده طلب القبول) والشهرة عند الناس (واقامة) ركن (الجاه) والحشمة (ونيل الثروة) أى الغنى (والعز) من ذوى الاموال (وهى لازمة أيضا للمشتغل بعلم) فقه (المذهب و) كتابة (الفتاوى اذا كان قصده) بذلك (طلب) منصب (القضاء والفتاوى وولاية الاوقاف) السلطانية وفى حكم ذلك مشيخة المدارس والزوايا (والتقدم على الاقران) والنظراء ولا يخفى ان الذى يشتغل بعلم المذهب الآن فانه لايتصوّر منه الانفكاك عن هذه النيات (وبالجملة هى لازمة لكل من طلب بالعلم) أى بتحصيله (غير ثواب الآخرة) الموعود به آجلا (والعلم) من حيث هو هو من خواصه انه (لايهمل) أى لايترك (العالم) أى حامله المتلبس به (بل) اما أن (يهلكه هلاك الابد) اذا لم يعمل بما علم (او يحييه حياة الابد) اذا عمل بما علمه (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لاينفعه الله بعلمه) قد تقدم هذا الحديث فى المقدمة وانه أخرجه الطبرانى فى الصغير والبيهقى فى شعب الايمان عن أبى هريرة باسناد ضعيف ولفظهم لم ينفعه الله بعلمه وأخرجه ابن عدى أيضا ولفظه لم ينفعه علمه وقال الحافظ ابن حجر غريب الاسناد والمتن وأورده الذهبى فى

بالفخر والخيلاء والخوض فيما لايعنى وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لايدرى المصلى منهم فى صلاته ماصلى وما الذى يقرأ ومن الذى يناجيه ولايحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر فى العلوم التى تعين فى المناظرة مع انها لاتنفع فى الآخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الى غير ذلك من أمور لاتحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولاينفك أعظمهم دينا وأكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الاخلاق وانما غايته اخفاؤها ومجاهدة النفس بها واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضا اذا كان قصده طلب القبول واقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهى لازمة أيضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى اذا كان قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف والتقدم على الاقران وبالجملة هى لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى فى الآخرة فالعلم لايهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد أويحييه حياة الابد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لاينفعه الله بعلمه

الميزان فى ترجمة عثمان بن عقيم وهو ضعيف قال ابن عدى حديثه لا يتابع عليه اسنادا ومتنا ولكن للحديث أصل أصيل قد روى الحاكم فى مستدركه من حديث ابن عباس مرفوعا ان أشد الناس عذابا يوم القيامة من قتل نبيا أوقتله نبى والمصورون وعالم لا ينتفع بعلمه قال المناوى لان عصيانه عن علم ولذا كان المنافقون فى الدرك الاسفل لكونهم جحدوا بعد العلم وكان اليهود شرا من النصارى لكونهم أنكروا بعد المعرفة قال عبد الحق ومفهوم الحديث ان أعظمهم ثوابا عالم ينفعه علمه (فلقد ضره) علمه ضررا كثيرا حيث كان أشد الناس عذابا (مع انه لم ينفعه) لعدم انفتاح عين بصيرته مع عذاب الحجاب عن مشاهدة الحق تعالى فعذاب الحجاب انما يحصل للعلماء الذين تنبهوا للذة لقاء الله فى الجملة ولم يتوجهوا الى تحصيل ذلك واتبعوا الشهوات الحسية المانعة لذلك (وليته نجا منه رأسا برأس) لا عليه ولا له (وهيهات) ذلك (لخطر العلم عظيم) ووباله جسيم واليه الاشارة بقولهم العلم حجاب الله الاكبر أى للذى لم ينتفع به فانه مانع له عن مشاهدته وعذابه أعظم من عذاب الجحيم (وطالبه طالب آلة الملك المؤبد والنعيم السرمد) أى الدائم (فلا ينفك عن الملك أو الهلك) وفى بعض النسخ وطالبه طالب الملك المؤبد أو العذاب السرمد لا ينفك عن الملك أو الهلك (وهو يطلب) وفى بعض النسخ وهو كطالب (الملك فى الدنيا فان لم يتفق الاصابة) له فيها (لم يطمع فى سلامة الارذال) أى الذين يعيشون سالمين من الاكدار لعدم توجه الاعين اليهم (بل لابد من فضوح الاحوال) فى ذلك اليوم الشديد الاهوال وفى نسخة بل لابد من لزوم أفضح الاحوال فنسأل الله السلامة (فان قلت) قد بالغت فى النكير على المناظرة والمناظرين ومن يختار هذه الطريقة مع ان (فى الرخصة فى المناظرة فائدة) ظاهرة (وهو ترغيب الناس) وتنشيطهم (فى طلب العلم) وتحصيله وكثرة الطلبة واظهار كلمة الحق (اذ لولا حب الرياسة) فى مناصب العلوم (لاندرست العلوم) وانطمست آثارها (قلت فقد صدقت فيما ذكرته وأوردته (من وجه) أى من هذا الوجه فقط (ولكنه غير مفيد) ولا محمود (اذ لولا الوعد) أى وعد الآباء أو المعلمين للصبيان (بالكرة والصولجان) الكرة هى العصاة يضرب بها الصولجان وهو يكبب من غزل أو خرق أو غير ذلك يلعب بها الصبيان وكانت هذه من ملاعب الجاهلية وبقيت رسومها فى بلاد العجم (واللعب بالعصافير) والحمام (ما رغب الصبيان فى) دخولهم (المكتب) وهو محل قراءتهم ويقال له أيضا الكتاب (وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة) لكونه باعثا لتعليم الاطفال بل هو مذموم من وجوه كثيرة ومع النظر الى هذه الوجوه الكثيرة الدالة على ذمه لا ينظر الى هذا الوجه الواحد لقلته وندرته (و) قولك (لولا حب الرياسة لاندرس العلم) صحيح (و) لكنه (لا يدل) وفى نسخة وليس فيه دليل (على أن طالب الرياسة ناج) خالص من عذاب الله كلا والله (بل هو من الذين قال) فى حقهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم) يؤيد أى يقوّى وينصر من الايد وهو القوة كأنه يأخذ معه بيده فى الشئ الذى يقوى فيه وذكر اليد مبالغة فى تحقق الوقوع وهذا الدين أى الدين المحمدى والخلاق فى الاصل ما اكتسبه الانسان بخلقه من الفضيلة واستعير لمطلق الحظ والنصيب وقيده بعضهم بالنصيب الوافر قاله السمين وهذا الحديث لم يذكره العراقى فى تخريجه وهو موجود فى سائر النسخ الموجودة من الاحياء وقد أخرجه ابن عدى فى الكامل من طريق جعفر بن جبير بن فرقد عن أبيه عن الحسين عن أبى بكرة قال وجعفر هذا يروى المناكير وأبوه ضعيف وأخرج أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة مالك بن دينار عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليؤيدن الله هذا الدين بقوم لاخلاق لهم قلت يا أبا سعيد عمن قال عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وله شاهد قوى من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص أخرجه الطبرانى فى الكبير ولفظه ان الله تعالى ليؤيد الاسلام برجال ما هم من

فلقد ضره مع أنه لم ينفعه وليته نجا منه رأسا برأس وهيهات هيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك أو الهلك وهو كطالب الملك فى الدنيا فان لم يتفق له الاصابة فى الاموال لم يطمع فى السلامة من الاذلال بل لابد من لزوم أفضح الاحوال فان قلت فى الرخصة فى المناظرة فائدة وهى ترغيب الناس فى طلب العلم اذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان فى المكتب وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال صلى الله عليه وسلم فيهم ان الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم

أهله (وقال) صلى الله عليه وسلم (ان الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) وهو الشاق ستر الديانة أخرجه الطبراني في الكبير عن عمرو بن النعمان بن مقرن المزني قال ابن عبد البر له صحبة وأبوه من أجلة الصحابة قتل النعمان شهيدا بوقعة نهاوند سنة احدى وعشرين ولما جاء نعيه خرج عمر فنعاه على المنبر وبكى هكذا هو في الجامع الصغير للسيوطي قال المناوي في شرحه وظاهر صنيعه ان هذا لا يوجد مخرجا في الصحيحين ولا أحدهما وهو ذهول شنيع وسهو عجيب فقد قال الحافظ العراقي انه متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ ان الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر رواه البخاري في القدر وفي غزوة خيبر ورواه مسلم مطولا وممن رواه الترمذي في العلل عن أنس مرفوعا ثم ذكر انه سأل عنه البخاري فقال حديث حسن حدثنا محمد بن المثنى اه فعزو المصنف الحديث للطبراني وحده لا يرتضيه المحدثون فضلا عمن يدعي الاجتهاد اه وقد رد عليه شيخ مشايخ شيوخنا الحافظ شهاب الدين العجمي فقال هو غير متجه من وجوه أولا فانه لم يقل ما رواه الا الطبراني بصيغة الحصر ولم يلتزم في كل حديث ان يذكر جميع من رواه وثانيا ان ما نقله عن العراقي انه متفق عليه انما هو من حديث أبي هريرة فهو في الصحيحين لا من حديث عمرو بن النعمان وثالثا ان المصنف نفسه قد نسبه في درر البحار للصحيحين من حديث أبي هريرة وللطبراني من حديث عمرو المذكور ومن حديث ابن مسعود فأفاد فيه ان الحديث رواه ثلاثة من الصحابة وبذلك تضمحل جميع هذه الخرافات والله أعلم بالنيات قال ثم رأيت في المشارق للصغاني هذا الحديث من رواية البخاري عن أبي هريرة والنعمان بن مقرن وقال شارحه ابن عبد الملك انفرد البخاري برواية هذا الحديث عن النعمان بن مقرن اه قلت حديث أبي هريرة اتفقا عليه فأخرجه البخاري في الجهاد وغزوة خيبر والقدر ومسلم في الايمان وأما حديث النعمان بن مقرن فليحرر أين أخرجه البخاري فانه ليس في الاطراف ولا في جمع عبد الحق ومختصره اه قلت أخرجه البخاري ومسلم من رواية الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة في أثناء حديث الرجل الذي قال فيه انه من أهل النار فتلخص من مجموع ذلك ان هذا الحديث روي من طرق خمسة من الصحابة أبي هريرة وابن مسعود وأنس وعمرو بن النعمان وأبيه النعمان بن مقرن هكذا وقع عمرو بن النعمان والنعمان هو ابن مقرن وقيل النعمان بن عمرو بن مقرن كما وقع عند الطبراني هنا في الاسناد وسماه في الترجمة عمرو بن النعمان بن مقرن وهو وهم نبه عليه العراقي وقد ذكر الحافظ ابن حجر في ترجمة عمرو بن النعمان من الاصابة ان روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلة قاله أبو حاتم الرازي وطريق ابن مسعود ظفرت به في الكامل لابن عدي رواه حميد بن الربيع عن أبي داود الحفري عن الثوري عن عاصم عن ذر عن عبد الله قال ابن عدي وهذا بهذا الاسناد غير محفوظ لا يرويه غير حميد بن الربيع وهو كذاب وقد رواه الطبراني أيضا في الكبير وفي اسناده ضعف وورد هذا الحديث أيضا عن كعب ابن مالك وهو أيضا في المعجم الكبير للطبراني (وطالب الرياسة) الدنيوية (في نفسه هالك) بمرة (وقد يصلح بسببه) وعلى يده وفي نسخة بسعيه (غيره) وهو لا يخلو عن حالتين (فان كان) بعلمه (يدعو) غيره ويرغبه (الى ترك الدنيا) ودواعيها (وذلك فيمن حاله) وديدنه (في ظاهر الامر حال علماء السلف) الماضين فانهم كانوا كذلك في أحوالهم (ولكنه يضمر) في نفسه قصد (الجاه) وطلب الرياسة (فمثاله الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره) وقد أخرج الطبراني في الكبير من طريقين والضياء المقدسي في المختارة عن جندب رضي الله عنه رفعه مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه أي يضيء للناس في الدنيا ويحرق نفسه في الآخرة (فصلاح غيره في هلاكه) هذا اذا لم يدع الى طلب الدنيا (فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا) والرياسة (فمثاله النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها فالعالم) وفي نسخة فالعلماء (ثلاثة اما مهلك نفسه وغيره وهم

وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن كان ظاهر حاله في ظاهر الامر ظاهر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة اما مهلك نفسه وغيره وهم

المصرحون بطلب الدنيا) الداعون اليها (والمقبلون عليها) سعيا واهتماما فى تحصيلها (واما منقذ) أى مخلص (نفسه وغيره وهم الراغبون الى الله تعالى) بحسن اخلاصهم فى أعمالهم (المعرضون عن الدنيا) ودواعيها (ظاهرا وباطنا) سرا وجهرا (واما مهلك نفسه) بميله اليها باطنا (منقذ غيره) بتعليمه الاحكام (وهو الذى يدعو الى الآخرة) ويشوق اليها (وقد رفض الدنيا) وتركها (فى ظاهره و) لم يعمل بعلمه انما (قصده فى الباطن) حصول (قبول) له من (الخلق واقامة) ركن (الجاه) واستمالة وجوه الناس اليه وهذا وعيد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وكان علماء الصحب على غاية من الخوف والوجل ولذلك قالت عائشة لفتى اختلف اليها يسألها وتحدثه فجاءها ذات يوم فقالت أى شئ عملت بعد ما سمعت قال به قالت فما تستكثر من حجج الله علينا وعليك (فانظر من أى الاقسام أنت) والى أى طائفة ملت (ومن الذى اشتغلت بالاعتذار له) وهو عالم سرك ونجواك (ولا تظن أن الله يقبل غير الخالص لوجهه) الكريم (من العلم والعمل) انما لكل امرئ مانوى (وسيأتيك فى كتاب الرياء) خاصة (بل فى جميع ربع المهلكات) من الاقوال الصريحة (ماينفى) و يزيل (عنك الريبة) والشك (فيه ان شاء الله وحده) جل جلاله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

(الباب الخامس)

من هذا الكتاب (فى) بيان (آداب المتعلم والمعلم) مما ينبغى لهما أن يستعملاه (اما المتعلم) وتقديمه باعتبار الاولية والسابقية لانه مبدأ أحوال المعلم وكل معلم فقد كان متعلما (فآدابه ووظائفه كثيرة) اختصت بالتأليف (ولكن ينظم تفاريقها) أى أقسامها المفرعة منها (تسع جمل) وما عداها يرجع اليها (الوظيفة الاولى) وأصل الوظيفة ماوظفه الانسان أى يقدره لآخر فى زمان معين من طعام أو رزق أو علف للدابة ذكره شراح الشفاء قال شيخنا و يبقى النظر هل هو عربى أو مولد والاظهر الثانى والجمع وظائف (تقديم طهارة النفس) وتنظيفها (عن رذائل الاخلاق) المعنوية (ومذموم الاوصاف) من نحو شهوة وكبر وحسد وميل الى الدنيا و بغض وحقد وغل وغش وغير ذلك مما تقدم ذكر بعضها و يأتى ذكر بقيتها (اذ العلم) من حيث هو هو (عبادة القلب) وعمارته (وصلاة السر وقربة الباطن) الذى لا يصل (الى الله تعالى) الابه (وكما لا تصح الصلاة) المعروفة (التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة) نظرا الى القيام والقعود والقراءة (الابتطهير الظاهر) من بدن المصلى (عن الاحداث) وسيأتى الفرق بينهما فى كتاب أسرار الطهارة (فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف) وهذا ظاهر (قال عليه) الصلاة و (السلام بنى الدين على النظافة) قال العراقى لم أجده هكذا وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود تخللوا فانه نظافة والنظافة تدعو الى الايمان اهـ قلت وأورد الجلال فى جامعه ورمز للخطيب عن عائشة ان الاسلام نظيف فتنظفوا فانه لا يدخل الجنة الا نظيف والمعنى الاسلام نقى من الدنس فنقوا ظواهركم من دنس نحو مطعم وملبس حرام وملابسة قذر و بواطنكم باخلاص العقيدة ونفى الشرك ومجانبة الاهواء وقلوبكم من غل وحقد وحسد فانه لا يدخل الجنة الا طاهر الظاهر والباطن ومن لم يكن كذلك طهرته ثم لابد من حشر عصاة الموحدين مع الابرار فى دار القرار فالمنفى الدخول الاولى قاله المناوى وأشار الى ضعف الحديث قال السخاوى وعند الطبرانى فى الاوسط والدارقطنى فى الافراد من حديث نعيم بن مورع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعا بلفظ الاسلام نظيف ثم ساق كما عند الخطيب ونعيم ضعيف وأخرج الترمذى وغيره من حديث مهاجر بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه مرفوعا ان الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الجود وقال غريب وللدارقطنى من حديث عبد الله بن ابراهيم الغفارى

المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق الى الله سبحانه ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذى يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا فى ظاهره وقصده فى الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر من أى الاقسام أنت ومن الذى اشتغلت بالاعتداد له فلا تظنن ان الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل وسيأتيك فى كتاب الرياء بل فى جميع ربع المهلكات ماينفى عنك الريبة فيه ان شاء الله تعالى

(الباب الخامس فى آداب المتعلم والمعلم)

(أما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل) (الوظيفة الاولى) تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف قال صلى الله عليه وسلم بنى الدين على النظافة

عن المنكدر بن محمد عن أبيه ومن حديث عبد الله بن أبى بكر بن المنكدر عن عمه محمد عن جابر مرفوعا
ان الله يحب الناسك النظيف ولابى نعيم من حديث الاوزاعى عن حسان بن عطية عن محمد بن المنكدر
عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وسخة ثيابه فقال أما وجد هذا شيأ ينقى به ثيابه ورأى
رجلا شعث الرأس فقال أما وجد هذا شيأ يسكن به شعره وفى لفظ رأسه وفى هذا المعنى أحاديث كثيرة
شواهد لما ذكره المصنف (وهو كذلك ظاهرا) من الاحداث والاخباث (وباطنا) من تطهير الاخلاق
(وقال) الله (تعالى انما المشركون نجس) أى ذو نجس وقيل جعلهم نجسا مبالغة والنجس كل مستقذر
(تنبيها للعقول) السليمة (على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس) ولذا
قال بعضهم النجاسة ضربان ضرب يدرك بالحاسة وضرب يدرك بالبصيرة وعلى الثانى وصف الله المشركين
بالنجاسة (فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن) فى الظاهر (ولكنه نجس الجوهر أى
باطنه متلطخ بالخبائث) من الشرك بالله وفساد العقيدة (والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد
منه) نظرا الى أصل المعنى ثم أطلق على القذارة لكونها مما يطلب البعد منها (وخبائث صفات الباطن)
من نحو غل وحسد وكبر وكفر (أهم بالاجتناب) والردع عنها (فانها مع خبثها فى الحال) الراهن
(مهلكات فى المآل) فى آخر الامر (ولذلك قال عليه) الصلاة و(السلام لاتدخل الملائكة بيتا فيه
كلب) ونص الذريعة حق المترشح لتعلم الحقائق أن يراعى ثلاثة أمور الاول أن يطهر نفسه من
رديء الاخلاق تطهير الارض للبذر من خبائث النبات وقد تقدم ان الطاهر لايسكن الابيتا طاهرا
وان الملائكة لاتدخل بيتا فيه كلب اه فانظر هذا الكلام المختصر المفيد وقد زاد عليه المصنف فى تقريره
وبسطه كما ترى والحديث قال العراقى متفق عليه من حديث أبى طلحة الانصارى اه قلت وبقية
الحديث ولاصورة وهكذا أخرجه أيضا الامام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه كلهم من طريق
أبى طلحة وأخرجه الطبرانى فى الكبير والضياء فى المختارة عن أبى أيوب رفعه مثله وعند أبى داود
والنسائى والحاكم عن على مرفوعا لاتدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب وعند الامام
أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن ابن عباس عن أبى طلحة لاتدخل الملائكة
بيتا فيه كلب ولاصورة تماثيل وفى الباب عن ابن عمر وعائشة وميمونة وابن عباس وأسامة وبريدة
وابن عمرو وأبى أمامة وأبى رافع قال المناوى المراد بالملائكة ملائكة الرحمة والبركة والطائفون على
العباد للزيارة واستماع الذكر لاالكتبة فانهم لايفارقون المكلف فهو عام أريد به الخصوص والمراد
بالكلب ولو لنحو زرع أوحرث كما رجحه النووى خلافا لما جزم به القاضى لان كلب وصورة نكرتان
فى سياق النفى اه وقد أورد المصنف هذا الحديث فى كتابه الذى سماه الاملاء على الاحياء اذ كتب
على أسئلة وردت عليه فى مواضع معينة من مشكلاته وانجر الى هذا البحث استطرادا فى الجواب عن
أول الاسئلة ونحن نورده لك ممزوجا بكلامه هنا حسب المناسبة قال فان قلت فما الذى ضر هؤلاء
الاصناف الثلاثة من أهل النطق عن النظر والبحث حتى يعلوا أوعن الاعتقاد حتى يخلصوا من عذاب
الله وهم فى الظاهر قادرون على ذلك وما المانع الخفى الذى أبعدهم عنه وهم يعلمون أن ماعليهم فى
ذلك كبير مؤنة ولاعظيم مشقة واعلم أن هذا السؤال يفتح بابا عظيما ويجر قاعدة كبرى يخاف من
التوغل فيها أن نخرج عن المقصود ولكن لابد اذ وقع فى الاسماع ووعته قلوب الطالبين واشرأبت
الى سماع الجواب عنه أن نورد فى ذلك قدر مايقع به الكفاية وتقنع به النفوس بحول الله عزوجل
نعم ماسبق فى العلم القديم لاتجرى المقادير بخلافه فى الحديث منعهم من ذلك ارادة الله عز وجل
واختصاص قلوبهم بالاخلاق الكلابية والشيم الذئابية والطباع السبعية وغلبتها عليها والملائكة
لاتدخل بيتا فيه كلب (والقلب بيت) تولى الله بناءه بيده و(هو منزل الملائكة) الكرام (ومهبط أثرهم

وهو كذلك ظاهرا وباطنا قال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر أى باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب فانها مع خبثها فى الحال مهلكات فى المآل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم

ومحل استقرارهم) أعده أن يكون خزانة علمه ومسرب مكنوناته ومغشى أنواره ومهب نفحاته ومحل مكاشفاته ومجرى رحمته وهيأه لتحصيل المعرفة (والصفات الرديئة) والاخلاق المذمومة (مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب) والغل والغش (وأخواتها كلاب نابحة) وذئاب عادية وسباع ضارية (فانى) وفى نسخة فلا (تدخله الملائكة وهو مشحون) أى مملوء (بالكلاب) أى بصفاتها اى متى كان فيه شئ من تلك الاخلاق لم تدخله الملائكة ولم ينزل عليه شئ من الخير من قبله (ونور العلم لايقذفه الله فى القلب الا بواسطة الملائكة) اذ هى الوسائط بين الله تعالى و بين خلقه وهم الوفود منه بالخيرات والواصلون اليه وعنه بالباقيات الصالحات قال الله عز وجل (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه) أى ما يرد عن الله عز وجل اما بواسطة ملك أو القاء فى روع أو مكاشفة بحقيقة أو ضرب لمثل مع العلم بتأويله (فهكذا) وفى نسخة وهكذا فى جميع (ما يرسل من رحمة العلوم) المفاضة (الى القلوب انما يتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون) من الادناس (المبرؤن عن المذمومات فلا يلاحظون) بوارداتهم (الا طيبا) من الاصل (ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله الا طاهرا) فى الباطن والظاهر قال ولولا تلك الاخلاق المذمومة التى حلت فيهم وهى التى ذم الكلب لاجلها لما احترمت الملائكة باذن الله عز وجل عن حلولها فيها وهى لاتخلو من خير تنزل به و يكون معها بحيث ما حلت حل الخير فى ذلك القلب بحلولها وانما هى مرتصدة لها فحيثما وجدت قلبا خاليا ولو حينا من الدهر وزمنا نزلت عليه ودخلته وثبت ما عندها من الخير حوله فان لم يطرأ على الملائكة ما يزعجها عنه من تلك الاخلاق بواسطة الشياطين الذين هم فى مقابلة الملائكة ثبتت عنده وسكنت فيه ولم تبرح عنه وعمرته بقدر سعة البيت وانشراحه من الخير فان كان البيت كبير الاتساع أكثرت فيه من متاعها واستعانت بغيرها حتى يمتلئ القلب من متاعها وجهازها وهو الايمان والصلاح وضروب المعارف النافعة عند الله تعالى فاذا طرق ذلك البيت المعمور طارق شيطان ليسرق من ذلك الخير الذى هو متاع الملك ونكت فيها خلقا مذموما لا يوجد الا فى الكلب وهو متاع الشيطان قابله الملك وطرده عن ذلك المحل فان جاء للشيطان مدد من الهوى من قبل النفس ولم يجد الملك نصرة من عزم اليقين من قبل الروح انهزم الملك وأخلى البيت ونهب المتاع وخرب بعد عمارته وأظلم بعد انارته وضاق بعد انشراحه وهكذا حال من آمن وكفر وأطاع وعصى واهتدى وضل قال فان قلت كيف آمن من كفر وأطاع من عصى واهتدى من ضل اذ كانت الشياطين لاتفارق قلب الكافر والعاصى والضال بما يبثون فيه من الاخلاق المذمومة وأصناف الخير انما ترد من الله عز وجل بواسطة الملائكة وهى لاتدخل موضعا يحل فيه شئ مما ذكر واذا لم تدخل لم يصل الى الخير الذى يكون معها ولم تصل اليه فعلى هذا يجب أن يبقى كل كافر على حاله ومن لم يخلق مؤمنا معصوما فلا سبيل له الى الايمان على هذا المفهوم فالجواب ان للشياطين غفلات وللاخلاق المذمومة عزفات كما ان للملائكة غيبات ولتواتر الخير عليها فترات فاذا وجد الملك قلبا خاليا ولو زمنا فردا حل فيه وأراه ما عنده من الخير فان صادف منه قبولا ولما عرض عليه تشوقا ونزوعا أورد عليه ما يملؤه و يستغرق لبه وان صادف منه ضجرا وسمع منه لجنود الشياطين استغاثة وبالاخلاق الكلابية استعانة رحل عنه وتركه (ولست أقول المراد بلفظ البيت) فى الحديث (هو القلب و بالكلب هو الغضب و) بقية (الصفات) المذمومة (ولكن أقول هو) أى ما ذكر من التأويل (تنبيه عليه) لأهل الباطن (وفرق بين تغيير الظواهر الى البواطن و بين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر) على ما هى عليها وعلى هذا (يفارق الباطنية) وهم طائفة من الملاحدة (بهذه الدقيقة) وقد ذكر شئ مما يتعلق بتأويلاتهم فى أول الكتاب (فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك) السادة من (العلماء والابرار) ومن

ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى فى القلب الا بواسطة الملائكة وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤن عن الصفات المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله الا طيبا طاهرا ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكنى أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تغيير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والابرار

نحا منحيهم من أهل الاسرار (اذ معنى الاعتبار أن يعبر) أي يتجاوز (مما ذكر الى غيره ولا تقتصر عليه) هذا هو الاصل نظرا الى أنه افتعال من العبور (كما يرى العاقل مصيبة) نزلت (بغيره فيكون له فيها عبرة بان يعبر منها الى) حال (التنبه) من الغفلة (لكونه أيضا عرضة) أي معروضا (للمصائب والنوازل) (وكون الدنيا بصدد الانقلاب) والزوال ولقد أجاد من قال من حلقت لحية جاره * فليسكب الماء على لحيته (فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه الى أصل الدنيا عبرة محمودة) عند أهل الحق (فاعتبر أنت من) لفظ (البيت الذي هو بناء الخالق) من اللبن والطين (الى القلب الذي هو بيت من بناء الله سبحانه) ومهبط أنواره وملائكته (و) اعتبر أيضا (من) لفظ (الكلب الذي هو ذم لصفته لا لصورته) الظاهرة (وهو ما فيه من سبعية ونجاسة الى الروح الكلبية وهو السبعية) وقد أورد الشيخ المصنف رحمه الله هذا البحث في املائه الذي تقدم ذكره فقال فان قلت فأي بيت فهم عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وأي كلب أراد هل بيت القلب وكلب الخلق أو بيت اللبن وكلب الحيوان فاعلم ان الحديث خارج على سبب ومعناه وجملته ان المقصود بالاخبار بيت اللبن وكلب الحيوان المعلوم ولا شك في ذلك ولكن يستقرأ منه ما قلناه لك ويستنبط من مفهومه ما نبهناك عليه وتتخطى منه الى ما أشرنا لك نحوه ولا نكير في ذلك اذ دل عليه العلم وجلة الاستنباط ولم تمجه القلوب المستفتاة ولم يصادم به شئ من أركان الشريعة فلا تكن جامدا ولا تجزع من تشنيع جاهل ولا من نفور مقلد وكثيرا ما ورد شرع مقرون بسبب فرأى أهل الاعتبار وجه تعديه عن سببه الى ما هو في معناه ومشابه له من الجهة التي يصلح أن يتعدى بها اليها ولولا ذلك ما قال عليه الصلاة والسلام رب مبلغ علم أوعى من سامع ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ثم قال فان قلت قد علم السبب الذي جاء هذا الحديث عليه وفيه فهل يعدى عن سببه ويترقى منه الى مثل ما ترقى من الحديث الآخر فالجواب نعم يترقى منه الى قريب من ذلك وشبهه ويكون هذا الحديث منها عليه وهو ان الصورة المنحوتة قد اتخذت آلهة وعبدت من دون الله عز وجل وقد نبه الله تعالى قلوب المؤمنين على عيب فعل من رضى بذلك ونقص ادراك من دان به قال تعالى مخبرا عن ابراهيم صلى الله عليه وسلم أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون فكان امتناع دخول الملائكة من دخول بيت فيه صورة لاجل ان فيه ما عبد من دون الله تعالى أو ما يكون به ما هو على مثاله ويترقى من ذلك المعتبر الى أن القلب الذي هو بيت بناه الله تعالى ليكون مهبط الملائكة ومحلا لذكره ومعرفته وعبادته وحده دون غيره واذا أدخل فيه معبود غير الله تعالى وهو الهوى لم تقربه الملائكة أيضا فان قيل فظاهر الحديث يقتضي منافرة الملائكة لكل صورة عملوها وما ذكرته الآن تعليلا ينبغي أن لا يقتضي الا منافرة ما عبد وما نحت على مثاله قلت ان مشابهة الصورة المنحوتة كلها في المعنى الذي قصد بها القصور من أجله وهو مضارعة ذوات الارواح وما نحت للعبادة انما قصد به تشبيه ذوي روح فلما كان هذا المعنى هو الجامع لها وجب تحريم كل صورة ومنافرة الملائكة لها فان قيل فما وجه الترخيص فيما هو رقم في ثوب قلت ان ذلك لاجل انها ليست مقصودة في نفسها وانما المقصود الثوب الذي رقمت فيه هذا آخر ما أورد المصنف في املائه فتأمل (واعلم أن القلب المشحون) أي المعلق (بالغضب والتشرف) أي التطلع وفي نسخة والشره (الى الدنيا والتكالب عليها) أي على تحصيلها (والحرص على التمزيق) أي التشقيق (لاعراض الناس كلب في المعنى) لاشتماله على هذه الصفات الثلاثة المذمومة فهو اياه نظرا الى ذلك (وقلب في الصورة) الظاهرة (ونور البصيرة) الذي قذف فيه (يلاحظ المعاني) المعقولة (دون الصورة) المحسوسة (والصور في هذا العالم) بفتح اللام (غالبة على المعاني) لظهورها (والمعاني باطنة فيها) بطون الماء في العود (وفي) عالم (الآخرة) تنكشف الحجب (وتتبع الصور المعاني وتغلب المعاني) عليها (فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية) التي

اذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر الى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها الى التنبه لكونه أيضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه الى أصل الدنيا عبرة محمودة فاعتبر أنت أيضا من البيت الذي هو بناء الخالق الى القلب الذي هو بيت من بناء الله تعالى ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة الى الروح الكلبية وهي السبعية واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة فنور البصيرة يلاحظ المعاني لا الصور والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية

مات عليها (فيحشر الممزق لاعراض الناس) فى الدنيا (كلبا ضاريا) أى على صورته (و) يحشر (الشره) النهم (الى أموالهم) أخذا واختلاسا وفى نسخة وآخذ أموالهم (ذئبا) عاديا (و) يحشر (المتكبر عليهم فى صورة نمرو) يحشر (طالب الرياسة) فيهم (فى صورة أسد) واختص كل حيوان بهذه الاوصاف فمن وجدت فيه صفة وفارق الدنيا عليها ولم ينفصل عنها حشر على صورته و يشير الى ذلك مارواه ابن ماجه عن جابر رفعه يحشر الناس على نياتهم (وقد وردت بذلك الاخبار) والآثار (وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والابصار) قال العراقى أما حديث حشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا فقد أخرجه الثعلبى فى التفسير من حديث البراء بسند ضعيف وقال فى تخريجه الكبير لم أجد لذلك أصلا الا مارواه الثعلبى فى التفسير باسناد ضعيف من حديث البراء بن عازب بنحو من ذلك اه قلت وقد وجدت فى حشر المتكبر حديثا الا أنه ليس كما أورده المصنف انه فى صورة نمر وذلك فيما رواه الامام أحمد والترمذى وحسنه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى سجن فى جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال وأخرجه أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة كعب الاحبار من ثلاثة طرق احداهن عن معمر عن أبى مصعب عن أبيه عن كعب بنحو هذا السياق والثانية والثالثة من رواية موسى بن عقبة عن عطاء بن أبى غروان عن أبيه عن كعب والذى فلق البحر لموسى ان فيما أنزل الله فى التوراة انه يحشر المتكبرون يوم القيامة فساق نحوه (فان قلت كم من طالب ردىء الاخلاق) ذميم الاوصاف اجتهد فى هذا الطريق و (حصل العلوم) وفى نسخة العلم وسمى عالما واقتدى به الناس (فهيهات ما أبعدك عن) معرفة (العلم الحقيقى النافع فى الآخرة الجالب للسعادة) الكبرى (فان من أوائل ذلك) وعلاماته الصادقة (أن يظهرله) بتوفيق من الله تعالى (ان المعاصى) فى اعسالها (سموم مهلكة) قتالة لاتقبل البرء (وهل رأيت) فى العقلاء (من يتناول سما باختياره (مع علمه بكونه سما) قاتلا فهذا الذى حصله من العلوم مما بعثه على تحصيل الحطام الفانى لامما قربه وأدناه الى الحبيب الدانى وقد أورد هذا الحديث ابن القيم فى كتابه مفتاح دار السعادة بأبسط من هذا فقال فضيلة الشئ تعرف بضده ولاريب ان الجهل أصل كل فساد وكل ضرر يلحق فهو نتيجة الجهل والا فمع العلم التام بان هذا الطعام مثلا مسموم من أكله قطع أمعاءه فى وقت معين لايقدم على أكله وان قدرانه أقدم عليه بغلبة جوع أواستعجال وفاة فهو لعلمه بموافقة أكله لمقصوده الذى هو أحب اليه من العذاب بالجوع أو بغيره ثم ذكر الاختلاف فى مسألة هل العلم يستلزم الاهتداء أم لا اختلف المتكلمون وأرباب السلوك واحتج كل فرقة بدليل من الآيات والاحاديث ثم قال المقتضى قسمان قسم لايتخلف عنه موجبه ومقتضاه لقصوره فى نفسه بل يستلزمه استلزام العلة التامة لمعلولها ومقتض غير تام يتخلف عنه مقتضاه لقصوره فى نفسه عن التمام أولفوات شرط اقتضائه أوقيام مانع منع تأثيره فان أريد بكون العلم مقتضيا للاهتداء الاقتضاء التام الذى لايتخلف عنه أثره بل يلزمه الاهتداء بالفعل فالصواب قول الطائفة الثانية وانه لايلزم من العلم الاهتداء المطلوب وان أريد كونه موجبا انه صالح للاهتداء مقتض وقد تخلف عنه مقتضاه لماذكر فالصواب قول الطائفة الاولى ثم ذكر أسباب التخلف وهو نفيس فراجعه (وانما الذى تسمعه من المترسمين) الآخذين برسوم العلم الظاهرية وفى نسخة المتوسمين (حديث تلقفوه) أى اخذوه بأفواههم ولقف الفم شدته وفى نسخة بألسنتهم و بقلوبهم بصيغة الجمع فيهما (وليس ذلك من العلم) النافع الموصل (فى شئ) أصلا (قال) الامام الجليل عبدالله (ابن مسعود) رضى الله عنه (ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم نور يقذف فى القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية اذقال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء) قلت الذى فى

فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره الى أموالهم ذئبا عاديا والمتكبر عليهم فى صورة نمر وطالب الرياسة فى صورة اسد وقد وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والابصار (فان قلت) كم من طالب ردىء الاخلاق حصل العلوم فهيهات ما أبعده عن العلم الحقيقى النافع فى الآخرة الجالب للسعادة فان من أوائل ذلك العلم أن يظهر له ان المعاصى سموم قاتلة مهلكة وهل رأيت من يتناول سما مع علمه بكونه سما قاتلا انما الذى تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بالسنتهم مرة و يرددونه بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم فى شئ قال ابن مسعود رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف فى القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء

وكأنه أشار الى أخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم أن يكون الا لله ان العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه وألفاظه (فان قلت) انى أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا فى الفروع والاصول وعدوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك ان ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى اذا قصد به التقرب الى الله تعالى وقد سبقت الى هذا اشارة وسيأتيك فيه مزيد بيان وايضاح ان شاء الله تعالى (الوظيفة الثانية) ان يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه

الحلية لابى نعيم فى ترجمة عبد الله بن مسعود مانصه حدثنا أبو أحمد الغطريفى حدثنا أبو خليفة حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا قرة بن خالد عن عون بن عبد الله قال قال عبد الله ليس العلم بكثرة الرواية لكن العلم الخشية فعلم من سياقه ان الجملتين من كلام ابن مسعود فيكون المراد من قوله وبعضهم هو هو وقوله اذ قال تعالى الخ هذه الزيادة ليست عند أبى نعيم وقوله انما العلم نور الخ قد أورده صاحب القوت فى سياق كلامه فى أحوال السلف مانصه نهذا كما قيل العلم نور يقذفه الله تعالى فى قلوب أوليائه كما تقدم ذلك فى سادس شروط المناظرة أى فليس كل قلب يقذف فيه النور (وكأنه) أى صاحب هذا القول (أشار) بذلك (الى أخص ثمرات العلم) وأعلاها وأتمها كما دل على ذلك الحصر بانما وقد تقدم البحث فى معنى الآية والخشية فى أول الكتاب (ولذلك قال بعض المحققين) من السلف ان (معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون الا لله) وطالما كنت أسمع الشيوخ يعزون هذه المقالة الى المصنف وانه أبو عذرتها وكنت أفهم من تقاريرهم فى معناها أن تعلمنا فى المبادى لم يكن يخلو من عدم الاخلاص فى تحصيله فأبى الا أن يجرنا الى طريق السلوك والهداية الى الله تعالى وتقدم فى أثناء ترجمة المصنف حين أمره وأخاه وصيهما أن ينزلا مدرسة من المدارس ليتقوتا فيها ويحصلان العلم وكان ما كان فقال المصنف هذا الكلام اذ ذاك والآن قد ظهر من سياق المصنف ان المقالة المذكورة لاحد من المتقدمين ليست له وانما هو ناقل بل هو مقلد لصاحب القوت فانه هو الذى نقلها هكذا وفسرها بما يأتى وان تفسيرها (أى ان العلم أبى وامتنع علينا) بحسب قصورنا فى الاجتهاد وعجزنا عن كثير من الشروط (فلم تنكشف لنا حقيقته) من حيث هو هو (وانما حصل لنا حديثه) الظاهر (وألفاظه) ومثله ورسومه فقط فهذا تأويل آخر لتلك المقالة غير ما كنا نسمعه من الشيوخ ونفهمه (فان قلت انى أرى جماعة) كثيرة (من الفقهاء المحققين) المدققين (برزوا فى الفروع والاصول) أى ظهروا على الناس فى معرفتها واستنباط الاحكام الشرعية منها (وعدوا) بذلك (من جملة الفحول) مع ذلك (أخلاقهم) التى جبلوا عليها (ذميمة) ردية (ولم يتطهروا منها) ولم يتخلصوا من أدناسها (فيقال) فى الجواب عن ذلك (اذا عرفت مراتب العلوم) النافعة (وعرفت مقاديرها) بميزان الاخلاص (بحكم الآخرة) لا بحكم الدنيا (استبان) أى ظهر (لك ان ما اشتغلوا به) وتعبوا عليه كثير العناء (قليل الغناء) أى الجدوى (من حيث كونه علما وانما غناؤه) وفائدته (من حيث كونه عملا لله تعالى) موصلا اليه (اذا قصد به التقرب الى الله تعالى) لا ما اذا قصد به غير الله من نحو تحصيل جاه أو حطام دنيوى أو مباهاة أو غير ذلك (وقد سبقت الى هذا اشارة) فى عدة مواضع (وسيأتيك فيه بيان مزيد وايضاح) ان شاء الله تعالى فى ذكر العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة وفى مواضع أخر غيرها والله أعلم (الوظيفة الثانية أن يفرغ) المتعلم بعد تقديم طهارة النفس (علائقه) جمع علاقة بكسر العين وفى بعض النسخ أن يقلل علائقه (من أشغال الدنيا) جمع شغل بالضم وهو ما يشغله وفى بعض النسخ من اشتغال الدنيا أى من الاشتغال وهو صرف نفائس الاوقات فى أمورها وعلى النسخة الاولى أمر بتطهير نفسه للعلائق الدنيوية بحيث لا يشغله منها شئ وهذا أوثق للمتجرد وعلى النسخة الثانية أمر بقطع الاطماع فى أمورها فيقلل منها على التدريج وهذا أوفق للمتزوج (و) على كل حال لا يتمكن من ذلك كل منهما حتى (يبعد عن الاهل) والاقارب (والوطن) والدار والرباع ويهاجر عنهم وعنها حتى يثبت له أجر المهاجرة وفى ذلك قال بعض المقادسة

ما للمعيل وللمعالى انما * يسعى اليهن الفريد الفارد

(فان العلائق) وهى على قسمين ظاهرية وباطنية وهى بأنواعها (شاغلة وصارفة) عن تحصيل المطلوب (و) قد قال الله تعالى فى كتابه العزيز فى سورة الاحزاب (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) أصل

ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا أعطيته كلك فانت من عطائه اياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزارع (الوظيفة الثالثة) أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم بل يلقى اليه زمام أمره بالكلية فى كل تفصيل ويذعن لنصيحته اذعان المريض الجاهل للطبيب

الجوف الخلاء ثم استعير لما يقبل الشغل والفراغ فقيل جوف الدار لداخلها وباطنها وجوف الانسان بطنه واختلف فى سبب نزول هذه الآية فقال الحافظ السيوطى فى الدر المنثور وأخرج أحمد والترمذى وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والضياء فى المختارة عن ابن عباس قال قام النبى صلى الله عليه وسلم يوما يصلى فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا ترى ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فأنزل الله هذه الآية وأخرج ابن أبى حاتم من طريق حصين عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة قالوا كان رجل يدعى ذا القلبين فأنزل الله تعالى هذه الآية وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس قال كان رجل من قريش يسمى من دهائه ذا القلبين فانزل الله هذا فى شأنه وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن الحسن قال كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى ذا القلبين كان يقول نفسى تأمرنى ونفسى تنهانى فأنزل الله فيه وأخرج الفريابى وابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد قال ان رجلا من بنى فهر قال ان فى جوفى قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى انها نزلت فى رجل من قريش من بنى جمح يقال له جميل بن معمر وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فسهى فيها فخطرت منه كلمة فسمعها المنافقون وأكثروا فقالوا ان له قلبين ألم تسمعوا الى قوله وكلامه فى الصلاة ان له قلبا معكم وقلبا مع أصحابه فنزلت يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين الى قوله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وأخرج عبد الرزاق وابن جرير عن الزهرى قال بلغنا ان ذلك كان فى زيد بن حارثة ضرب له مثلا تقول ابن رجل آخر ابنك ونص الذريعة الثانى أن يقال من الاشغال الدنيوية ليتوفر فراغه عن العلوم الحقيقية وقد قال الشاعر

فيا صاحب التطواف يعمر منهلا * وربعا اذا لم يخل ربعا ومنهلا

وقد قال الله تعالى ما جعل الله لرجل الآية (ومهما توزعت) أى تقسمت (الفكرة) المستجمعة فى نفسها وهى القوة المطرقة للعلم (قصرت عن درك الحقائق) العلمية وفهمها واشتغال البال بالعلائق من أعظم الموانع لطالب العلم (ولذلك قيل) فيما مضى (العلم لا يعطيك بعضه) أى بعضا من حقائقه وغرائبه (حتى تعطيه كلك) أى تتوجه الى تحصيله بكليتك غير ناظر الى أهل ووطن ولا مال وجاه مع جوع وعرى وغربة (فاذا أعطيته كلك) أى صرفت اليه همتك الكلية (فأنت من اعطائه اياك بعضه على خطر) اما أن تحصله أولا فاذا لم تعطه كلك لم تظفر منه بشئ أبدا أورده صاحب الذريعة هكذا قال وكأنما عنى من قال خدم العلى فخدمته وهى التى * لا تخدم الاقوام ما لم تخدم

(والفكرة المتوزعة) أى المنقسمة (على أمور متفرقة) انما مثلها عند الاعتبار (كجدول) وهو نهر صغير يسقى الحائط (تفرق ماؤه) فى أماكن شتى وليس يجتمع فى موضع واحد (فتنشف الارض بعضه) لقلته (واختطف الهواء) من الجو (بعضه ولا يبقى منه ما يجتمع) مع بعضه (ويبلغ المزارع) المطلوب سقيها ونص الذريعة والفكرة متى توزعت تكون كجدول يفرق ماؤه فينشفه الحر وتشربه الارض فلا يقع به نفع وان جمع بلغ المزروع فانتفع به اهـ ولذا كرهوا للمتعلم من الاشتغال فى درسين فى علمين مستقلين لئلا تتوزع الفكرة ومن الانتقال من فن الى فن آخر قبل استكمال الاول كما يأتى بيانه (الوظيفة الثالثة أن لا يتكبر) المتعلم (على العلم) نفسه بأن يراه بعين الازدراء ولا تقع مهابته وشرفه وكرامته عنده موقعا (ولا يتأمر) أى لا يصير أميرا (على المعلم) فانه ثمرة عدم معرفة حقه (بل يلقى اليه زمام أمره بالكلية) وأصل الزمام ما يزم به البعير بحبل فيقاد والمراد هنا تدبير أموره (فى كل تفصيل) واجمال (ويذعن) أى ينقاد (لنصحه) وما يبديه من اشاراته (اذعان المريض الجاهل للطبيب

المشفق الحاذق) فى صنعته وانما قيد المريض بالجاهل لان العارف من المرضى ربما خالف طبيبه فى دواء من الادوية فلم يتلق منه بالقبول فلا ينجع فيه ذلك الدواء وقيد الطبيب بوصفين الاشفاق والحذق ولعمرى هما وصفان جليلان لا يوجدان فى أكثر الاطباء وانما ضرب المثل فى ذلك لان المعلم يشفيه من أمراضه الباطنة التى أعظمها الجهل كما ان الطبيب يداويه لاذهاب الامراض العارضة فى الظاهر واذا وجد فى المعلم الكمال فى نفسه وتهذب لتكميل الغير مع الاشفاق والفطانة وجب على المتعلم أن يكون بين يديه مثل ذلك المريض الجاهل بل كالميت بين يدى الغاسل أو القشة فى جرية الماء (وينبغى أن يتواضع) بعين قلبه (لمعلمه) ومرشده (و يطلب الثواب) والاجر (والشرف) الاكبر والسعادة العظمى (بخدمته) والملازمة لسدته (قال) الامام المتفق على ورعه وجلالة قدره أبو عمرو عامر بن شراحيل (الشعبى) من شعب همدان قال مكحول ما رأيت أفقه منه مات بعد المائة وله نحو من ثمانين أخرج حديثه الجماعة (صلى زيد بن ثابت) ابن الضحاك بن لوذان الانصارى النجارى أبو سعيد وأبو خارجة صحابى مشهور كتب الوحى قال مسروق كان من الراسخين فى العلم مات سنة ثمان أو خمس وأربعين وقيل بعد الخمسين (على جنازة) هى جنازة أمه كما وقع التصريح بذلك فى الرواية الآتية (فقربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس) رضى الله عنهما (فأخذ بركابه) تبركا وتشرفا (فقال زيد خل عنه) وفى رواية ذر (يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء) والكبراء أى ذوى الاسنان والشيوخ (فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال العراقى فى التخريج الصغير أخرجه الطبرانى والحاكم والبيهقى فى المدخل الا انهم قالوا هكذا نفعل قال الحاكم صحيح الاسناد على شرط مسلم اه وقال فى التخريج الكبير رواه الطبرانى فى الكبير وابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما رياضة المتعلمين والبيهقى فى المدخل من رواية رزين الرمانى عن الشعبى ان زيد بن ثابت كبر على أمه أربعا وناشدها خيرا ثم أتى بدابته فأخذ ابن عباس بالركاب فقال زيد بن ثابت دعه أوذره فقال ابن عباس هكذا نفعل بالعلماء الكبراء لفظ الطبرانى واسناده صحيح ورواه الحاكم فى المستدرك من رواية أبى سلمة عن ابن عباس انه أخذ بركاب زيد بن ثابت فقال له تنح ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا هكذا نفعل بكبرائنا وعلمائنا وقال صحيح الاسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه اه وقد تقدم الكلام على هذا فى أول الكتاب ورزين الرمانى هو رزين بن حبيب الجهنى الكوفى بياع الانماط أخرج له الترمذى ووثقه أحمد وابن معين (وقال صلى الله عليه وسلم ليس من أخلاق المؤمن الملق الا فى طلب العلم) قال العراقى أخرجه ابن عدى من حديث معاذ وابى أمامة باسنادين ضعيفين اه وقال ابن القيم قال ابن قتيبة جاء فى الحديث ليس الملق من أخلاق المؤمن الا فى طلب العلم ثم قال وهذا أثر عن بعض السلف قلت قال ابن الجوزى فى الموضوعات فيه عن معاذ وأبى أمامة وأبى هريرة فأما حديث معاذ فأخرجه ابن عدى من طريق الحسن بن واصل عن الخصيب بن جحدر عن النعمان بن نعيم عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ رفعه بالسياق السابق قلت هكذا هو بزيادة عبد الرحمن بن غنم بين النعمان ومعاذ فى نسخ الموضوعات وفى بعضها باسقاطه وهو الاشبه وهكذا رواه باثباته أبو بكر بن السنى من رواية بقية بن الوليد عن اسمعيل بن عياش عن الحسن بن دينار وهو الحسن بن واصل الذى فى نص ابن الجوزى ودينار زوج أمه فنسب اليه واسم أبيه واصل قال ابن الصلاح وكان هذا خفى على ابن أبى حاتم حيث قال الحسن بن دينار بن واصل قال العراقى وعكس ذلك أبو العرب فى كتاب الضعفاء فروى عن يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام عن أبيه قال الحسن بن واصل بن دينار ودينار جده وهذا وهم ورواه الديلمى من طريق أبى نعيم من رواية عمر بن ابراهيم الكردى عن الحسن بن صالح عن النعمان بن نعيم ورواه القضاعى فى مسند الشهاب من رواية عبد العزيز بن أبان عن الحسن بن دينار عن النعمان

المشفق الحاذق وينبغى أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبى صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا أمرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم ليس من أخلاق المؤمن التملق الا فى طلب العلم

فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده الى الهرب مشهور أو خامل وضراوة سباع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها

ابن نعيم ثم قال ابن الجوزى وأما حديث أبي أمامة فأخرجه ابن عدى أيضا من طريق عمر بن موسى الوجيهي عن القاسم عن أبي أمامة رفعه مثله وأما حديث أبي هريرة فأخرجه ابن عدى أيضا من طريق ابن علاثة عن الاوزاعى عن الزهرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعا لاحسد ولا ملق الا فى طلب العلم قال ليس شئ من هذه الاحاديث يصح اما الاول فداره على الخصيب وقد كذبه شعبة والقطان وابن معين وقال ابن حبان يروى الموضوعات عن الثقات قلت وأيضا الحسن بن واصل ضعيف جدا منسوب الى الكذب وأما الثانى فان عمر بن موسى الوجيهي قال النسائى والدارقطنى متروك وأما الثالث فان ابن علاثة اسمه محمد بن عبد الله بن علاثة لا يحتج به قال ابن حبان يروى الموضوعات عن الثقات قال الحافظ السيوطى فى كتابه اللآ لئ المصنوعة بعد نقله لما تقدم ابن علاثة روى له أبو داود والنسائى وابن ماجه ووثقه ابن معين وقال أبو سعيد ثقة ان شاء الله تعالى وقال أبو زرعة صالح وقال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به وقال الذهبى هذا الحديث لعل آفته من عمرو فانه متروك قال وقد أورد لابن علاثة أحاديث حسنة وقال أرجو أنه لا بأس به وقال الازدى حديثه يدل على كذبه قال الخطيب أفرط الازدى وأحسبه وقعت اليه روايات عمرو بن الحسين عنه فكذبه لاجلها وانما الآفة من ابن الحصين فانه كذاب وأما ابن علاثة فقد وصفه يحيى بن معين بالثقة قال ولم أحفظ لاحد من الائمة خلاف ماوصفه به يحيى اه وهذا الحديث أخرجه البيهقى فى شعب الايمان وقال هذا الاسناد ضعيف وكذا حديث معاذ وقال ضعيف قال وقد روى من أوجه كلها ضعيفة اه وورد هذا الحديث أيضا عن ابن عمر قال العراقى روى من طريق هشام بن بشير وأزهر بن سعد السمان عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن ابن عمر قال ابن طاهر فى الكشف عن أخبار الشهاب وهو منكر من حديث ابن عون قال والحمل فيه على من قبل هشام فانهم الى الجهالة أقرب اه وقال السيوطى قد أورد الديلمى فى مسند الفردوس من طريق ابن السنى حدثنا الحسين بن عبد الله القطان عن عامر بن سيار عن أبي الصباح عن عبد العزيز بن سعيد عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم من غض صوته عند العلماء كان يوم القيامة من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى من أصحابي ولا خير فى التملق والتواضع الا ما كان فى الله أو طلب العلم اه واذا عرفت ذلك (فلا ينبغى للطالب) فى طريق الحق (أن يتكبر على المعلم) بوجه من الوجوه بل يتملق له ويتواضع بمحا لفته للنفس والهوى فى ذلك (ومن) جملة (تكبره على المعلم أن يستنكف) أى يتكبر ويأنف (عن الاستفادة) والاخذ (الا عن المرموقين) أى المنظور اليهم من (المشهورين) من أهل التدريس والجاه (وهو عين الحماقة) أى فساد العقل نقله الازهرى (فان العلم) من حيث هو هو (سبب النجاة) من عذاب الجهل والضلال (و) سبب (السعادة) الكبرى فى الدنيا والاخرى (ومن يطلب مهربا) أى هروبا (من سبع ضار) رام ان (يفترسه) وينشب فيه مخالبه (لم يفرق بين أن يرشده الى الهرب) والخلاص منه (مشهور او خامل) الذكر وذلك معلوم بالضرورة لكل أحد (وضراوة سباع النار) أى ولعهم ولهجهم (بالجهال بالله عز وجل أشد) وأقوى (من ضراوة كل سبع) فى كل وقت (والحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها) والجملة الاولى وقعت فى حديث رواه الترمذى فى أواخر باب العلم من جامعه من طريق ابراهيم بن الفضل عن سعيد المقرى عن أبي هريرة رفعه الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها وقال انه غريب وابراهيم يضعف وعند البيهقى فى المدخل من حديث سعيد بن أبي بردة قال كان يقال الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها وقد تقدم شئ من ذلك فى أول الكتاب وفى شرح المناوى على الجامع الصغير قال النووى رحمه الله تعالى فى الحكمة أقوال كثيرة مضطربة اقتصر كل من قائلها على بعض صفاتها وقد صفا لنا منها انها عبارة عن العلم المتصف بالاحكام المشتمل على المعرفة بالله المصحوب بنفاذ

البصيرة وتهذيب النفس والاخلاق وتحقيق الحق والعمل به والصد عن اتباع الهوى والباطل والحكيم من له ذلك اهـ (ويتقلد المنة) أى الشكر (لمن ساقها اليه) أى أوصلها له (كائنا من كان) وقد روى العسكرى من حديث عتبة بن عبد الرحمن عن شبيب بن بشير عن أنس رفعه العلم ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها وعند القضاعى فى آخر هذا الحديث حيثما وجد المؤمن ضالة فليجمعها اليه وروى عن ابن عمر رفعه خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت ونحو هذا يروى عن قول على رضى الله عنه قال العسكرى أراد صلى الله عليه وسلم أن الحكيم يطلب الحكمة أبدا وينشدها فهو بمنزلة المضل ناقة يطلبها ثم أسند عن مبارك بن فضالة قال خطب الحجاج فقال ان الله أمرنا بطلب الآخرة وكفانا مؤنة الدنيا فليته كفانا مؤنة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا فقال الحسن ضالة المؤمن عند فاسق فليأخذها وعن يوسف بن أسباط قال كنت مع سفيان الثورى وحازم بن خزيمة يخطب فقال فى خطبته ان يوما أسكر الكبار وشيب الصغار ليوم عسير شره مستطير فقال سفيان حكمة من جوف خرب ثم أخرج سريحة يعنى لوحا فكتبها انتهى له السخاوى فى المقاصد ومن كلام على رضى الله عنه انظر الى ما قال ولا تنظر الى من قال ومن أمثالهم المشهورة العق العسل ولا تسل (ولذلك قيل) فيما مضى

(العلم حرب للفتى المتعالى * كالسيل حرب للمكان العالى)

أى ان العلم عدو والمتكبر حرب عليه لا يجتمعان معا والمتعالى هو المفتخر المتكبر بما عنده كما ان السيل عدو المكان المرتفع المحدودب فانه لم يزل بأمواجه وهيجانه حتى يوطئه وذلك مشاهد (فلا ينال) العلم يا أخى (الا بالتواضع) والتملق والانقياد للمعلم (والقاء السمع) وهذا شرط ثان بعد التواضع فانه اذا انقاد وتملق له ولكنه لم يلق سمعه لما يقوله لم يستفد شيأ (قال الله تعالى) فى كتابه العزيز (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) قال الراغب والسمين فى تفسير قوله لمن كان له قلب أى عقل وفهم وقد يعبر بالقلب عن المعانى التى تختص به من العلم وعليه خرجت الآية والقاء السمع هو الاصغاء باذن قلبه وهو شهيد أى يشهد ما يسمعه بقلبه على حد من قيل فيهم أولئك ينادون من مكان بعيد اهـ وقال ابن القيم تأمل ما تحت هذه الالفاظ من كنوز العلم وكيف تفتح مراعاتها للعبد أبواب العلم والهدى وكيف ينغلق باب العلم عنه من اهمالها وعدم مراعاتها فانه سبحانه ذكر ان آياته المسموعة والمرئية المشهورة انما تكون تذكرة لمن كان له قلب فان من عدم القلب الواعى عن الله لم ينتفع بكل آية تمر عليه ولو مرت به كل آية فاذا كان له قلب كان بمنزلة البصير اذا مرت به المرئيات فهو يراها ولكن صاحب القلب لا ينتفع بقلبه الا بأمرين أحدهما أن يحضره ويشهده لما يلقى اليه فاذا كان غائبا عنه مسافرا فى الامانى والشهوات والخيالات لا ينتفع به فاذا أحضره وأشهده لم ينتفع الا بأن يلقى سمعه ويصغى بكليته الى ما يوعظ به قال ابن عطية القلب هنا عبارة عن العقل اذ هو محله وقال بعض المتأولين فى معنى وهو شهيد أى شاهد مقبل على الامر غير معرض عنه وقال قتادة هى اشارة الى أهل الكتاب كأنه قال لمن سمعها من أهل الكتاب فشهد بصحتها لعلمه بها فشهيد على الاول من المشاهدة وعلى الثانى من الشهادة وهذا القول عن قتادة نقله ابن عطية وأشار له الزجاج والزمخشرى ولم يختلفوا فى أن المراد بالقلب القلب الواعى وان المراد بالقاء السمع اصغاؤه واقباله على الذكر وانما اختلفوا فى الشهيد على أربعة أقوال أحدها انه من المشاهدة وهى الحضور وهذا أصح الاقوال ولا يليق بالآية غيره والثانى انه من الشهادة وفيه على هذا ثلاثة أقوال أحدها انه شاهد على صحته بما معه من الايمان الثانى انه شاهد من الشهداء على الناس يوم القيامة الثالث انه شهادة من الله عنده على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما علمه من الكتب المنزلة والصواب القول الاول فان قوله وهو شهيد جملة حالية والواو فيها واو الحال أى ألقى السمع فى هذه الحال وهذا يقتضى أن يكون حال القائه السمع شهيدا

ويتقلد المنة لمن ساقها اليه
كائنا من كان فلذلك قيل
العلم حرب للفتى المتعالى
كالسيل حرب للمكان العالى
فلا ينال العلم الا بالتواضع
والقاء السمع قال الله تعالى
ان فى ذلك لذكرى لمن
كان له قلب أو ألقى السمع
وهو شهيد

ومعنى كونه ذاقلب أن
يكون قابلا للعلم فهما ثم
لاتغنيه القدرة على الفهم
حتى يلقى السمع وهو شهيد
حاضر القلب ليستقبل كل
ماألقى اليه بحسن الاصغاء
والضراعة والشكر والفرح
وقبول المنة فليكن المتعلم
لمعلمه كارض دمثة نالت
مطرا غزيرا فتشربت جميع
أجزائها وأذعنت بالكلية
لقبوله ومهما أشار عليه
المعلم

وهذا هو المشاهدة والحضور ولو كان المراد به الشهادة فى الآخرة أو فى الدنيا لما كان لتقييدها بالقاء السمع معنى اذ يصير الكلام ان فى ذلك لآية لمن كان له قلب أو ألقى السمع حال كونه شاهدا بما معه فى التوراة أو حال كونه شهيدا يوم القيامة ولا ريب ان هذا ليس هو المراد بالآية وأيضا فالآية عامة فى كل من له قلب وألقى السمع فكيف يدعى تخصيصها بمؤمنى أهل الكتاب الذين عندهم شهادة فى كتبهم على صفة النبى صلى الله عليه وسلم وأيضا فالسورة مكية والخطاب فيها لايجوز أن يختص باهل الكتاب ولاسيما مثل هذا الخطاب الذى علق فيه حصول مضمون الآية ومقصودها بالقلب الواعى والقاء السمع فكيف يقال هى فى أهل الكتاب فان قيل المختص بهم قوله وهو شهيد فهذا أفسد وأفسد لان قوله وهو شهيد يرجع الضمير فيه الى جملة من تقدم وهو من له قلب أو ألقى فكيف يدعى عوده الى شئ غايته أن يكون بعض المذكور أولا ولادلالة فى اللفظ عليه فهذا فى غاية الفساد وأيضا فان المشهود به محذوف ولادلالة فى اللفظ عليه فلو كان المراد وهو شاهد بكذا لذكر المشهود به اذ ليس فى اللفظ مايدل عليه وهذا بخلاف ما اذا جعل من الشهود وهو الحضور فانه لايقتضى مفعولا مشهودا به فيتم الكلام بذكره وحده وأيضا فان الآية تضمنت تقسيما وترديدا بين قسمين أحدهما من كان له قلب والثانى من ألقى السمع وحضر بقلبه ولم يغب فهو حاضر القلب شاهد لاغائب وهذا والله أعلم سر الاتيان بأو دون الواو اه والى هذا أشار المصنف حيث قال (ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلا للعلم) باستعداده الازلى ومحلا له (فهما) بحسن ادراكه وتصوره قادرا عليه (ثم لا تغنيه القدرة على الفهم) أى لايكفيه مجرد استعداده وادراكه لما يلقى اليه (حتى يلقى السمع) بحسن اصغائه مع التدبر (وهو شهيد) أى (حاضر القلب) غير غائبه (يستقبل) بثواقب أذهانه الصافية (كل ماألقى اليه) من المعلم (بحسن الاصغاء) أى الاستماع (والضراعة) أى التواضع (والشكر) فى مقابلة هذه النعمة بل النعم فان الطالب اذا تفكر فى نفسه بان الله تعالى أراد به خيرا حيث وفقه من الازل لطلب ماينجيه من عذابه ويوصله اليه ثم يتفكر بانه أنعم عليه بالعقل والفهم وتوجه القلب الى تعلم ذلك فيجدها كلها نعما جليلة مطوية فى مضمرها نعم أخرى (و) اذا انصبغ بهذا المعنى ظهرت عليه أمارات (الفرح) والسرور اللذين هما صقيلا الفهم فان الطالب اذا فهم بين يدى معلمه مايقوله ظهر السرور فى وجهه وهذه علامة وقوعه على القلب وقبوله له من حيث الفهم ويحكى ان جالينوس كان يقرر يوما فى مسئلة مشكلة والطلبة به محدقون فقال لهم فهمتم قالوا نعم قال لا لو فهمتم لظهر السرور على وجوهكم (وقبول المنة) من المعلم باب كبير للمتعلم وهو فى معنى الضراعة للمعلم فانه ان لم يقبل منة استاذه بقى على جهله (فليكن المتعلم لمعلمه) أى بين يديه كالريشة الملقاة فى الفلاة تقلبها الرياح كيف شاءت أو الحشيشة اليابسة فى الماء الجارى تجرى بها الامواج حيث أرادت أو الميت بين يدى الغاسل يحركه كيف شاء (أو كارض ميتة) أى جدبة (نالت مطرا غزيرا فشربته بجميع أجزائها) وعروقها (واذعنت) أى انقادت (بالكلية لقبوله) وهذا يستدعى الى فراغ ذهنه عما يخالفه على حد قولهم

* فصادف قلبا خاليا فتمكن * حتى يتم التشبيه بما ذكره الشيخ ونص الذريعة الثالث أن لا يتكبر على معلمه ولا على العلم فالعلم حرب للمتعالى * كالسيل حرب للمكان العالى * ولهذا قيل العلم لا يعطيك بعضه الخ وهذه الجملة بتمامها قد ذكرها المصنف فى التى قبلها ثم قال الراغب ومتى لم يكن المتعلم من معلمه كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتتلقاه بالقبول لم ينتفع به فحقه أن يتفرغ له كما قال تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أى لمن له بنفسه علم يستغنى به أو تذلل لاستماع الحق واقتباسه من عند المعلم وقال بعض العلماء فى قوله عليه السلام اليد العليا خير من اليد السفلى اشارة الى فضل المعلم على المتعلم وفى تبيين فضل المعلم حث المتعلم على الانقياد له اه (ومهما أشار عليه المعلم) وفى معناه

المرشد فى المواضع كلها (بطريق) من الطرق (فى التعليم) خاص به أو عام (فليقلده) وليهتد به (وليدع) أى يترك (رأيه) وان كان صوابا (فان خطأ مرشده) على الفرض والتقدير (أنفع له من صوابه فى نفسه) بحسب الظاهر (اذ التجربة) فى الاشياء كلها (تطلع) الانسان (على دقائق) ونكات (يستغرب سماعها) ولذلك قيل من جرب المجرب حلت به الندامة وقال آخر سل المجرب ولا تسأل طبيبا وقالوا أكبر منك بشهر أعقل منك بسنة (مع انه يعظم نفعها) فى الحقيقة (فكم من مريض محرور) المزاج اذا أصابه المرض (يعالجه الطبيب) الحاذق (فى بعض أوقاته بالحرارة) أى بالادوية الحارة (ليزيد فى قوته الى) أن يصل الى (حد يحتمل صدمة العلاج) فيعالجه بما يزيل الحرارة ويقطعها عنه استئصالا وذلك لان الادوية المبردة اذا وردت على حرارة ضعيفة صدمتها فجأة ولم تحتملها فربما أورث ذلك الى أمراض أخر عسرة البرء (فيتعجب منه من لا خبرة له) ولا علم فى دقائق الطب والاطباء ونص الذريعة وكما ان من حق المريض أن يكل الى الطبيب الناصح الذى وقف على دائه ليطلب الطبيب دواءه وعزله فانه ان يشته لم يشته الا ما فيه دواؤه ولم يختر الا ما فيه شفاؤه كذلك حق المتعلم اذا وجد معلما ناصحا أن يأتمر له ولا يتأمر عليه ولا يراده فيما ليس بصدد تعلمه اه (وقد نبه الله تعالى) فى كتابه العزيز على الحرص على لقاء العالم وعلى التعلم منه ثم على آدابه التى يستعملها عند لقائه (بقصة الخضر وموسى عليهما السلام) ونص الذريعة وكفى على ذلك تنبيها ما حكى الله تعالى عن العبد الصالح انه قال لموسى الخ اه وذلك فيما روى أن موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخول مصر خطبة بليغة فأعجب بها فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك فقال لا فأوحى الله اليه بلى عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر فى أيام افريدون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى أيام موسى وقيل ان موسى سأل ربه أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك أعلم منى فدلنى عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحين فقدته فهو هنالك (حيث قال الخضر) عليه السلام حين رحل اليه سيدنا موسى عليه السلام ليزداد علما الى علمه وقال لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا حرصا منه على لقائه والتعلم منه فلما لقيه سلك مسلك المتعلم مع معلمه فبدأ بعد السلام بالاستئذان على متابعته وانه لا يتبعه الا باذنه وقال له هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا فلم يجئ مستمحنا ولا متعنتا وانما جاء متعلما مستزيدا علما الى علمه فلما لقيه وعرفه بنفسه قال له الخضر (انك لن تستطيع معى صبرا) نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله (وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) أى كيف تصبر وأنت نبى على ما أتولى من أمور ظواهرها مناكر وبواطنها لم يحط بها خبرك وحينئذ قال فى الجواب ستجدنى ان شاء الله صابرا أى معك غير منكر عليك ولا أعصى لك أمرا فعلق وعده بالمشيئة اما للتيمن أو لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفاسد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلاف فيه (ثم شرط عليه السكوت والتسليم) والاذعان كما هو عادة المعلم مع متعلمه (فقال فان اتبعتنى) كما أمرتك (فلا تسألنى) أى لا تفاتحنى بالسؤال (عن شئ) أنكرته منى ولم تعلم وجه صحته (حتى أحدث لك منه ذكرا) ى حتى ابتدأك ببيانه (ثم) لما انطلقا الى الساحل يطلبان السفينة فلما ركباها أخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها (لم يصبر) على ذلك حتى سأله فاعتذر له وقال لا تؤاخذنى بما نسيت أى لا تعترض على بنسيانى اياها وهو اعتذار بالنسيان أخرجه فى معرض النهى عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل أراد بالنسيان الترك أى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك أول مرة وقيل هو من معاريض الكلام

بطريق فى التعلم فليقلده وليدع رأيه فان خطأ مرشده أنفع له من صوابه فى نفسه اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب فى بعض أوقاته بالحرارة ليزيد فى قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيتعجب منه من لا خبرة له به وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر انك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر

ولم يزل في مراددته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران (فان قلت) فقد قال الله تعالى فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فالسؤال مأمور به (فاعلم) أنه كذلك ولكن فيما يأذن المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ مرتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال أي دع السؤال قبل أوانه فالمعلم أعلم بما أنت أهل له وبأوان الكشف ومالم يدخل أوان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه وقد قال علي رضي الله عنه ان من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تأخذ بثوبه اذا نهض ولا تفشي له سرا

والمراد شئ آخر نسيه (ولم يزل في مراددته) ثانيا وثالثا بقتل الغلام واقامة الجدار بغير أجرة وانكاره عليه فيهما ثم طلب العذر من قبله لما خالفه ثلاث مرات بعدم مصاحبته له (الى ان كان ذلك سبب فراق ما بينهما) وهو المفهوم من قوله تعالى قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموقور بقوله فلا تصاحبني أو الى الاعتراض الثالث أو الوقت واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله أخي موسى استحيي فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لابصر أعجب الاعاجيب قال ابن القيم وكفى بهذا شرفا وفضلا للعلم فان نبي الله وكليمه سار ورحل حتى لقي النصب في سفره في تعلم ثلاث مسائل من رجل عالم ولما سمع به لم يقر له قرار حتى لقيه وطلب منه متابعته وتعلمه وفي قصتها عبر وآيات وحكم ليس هذا موضع ذكرها (وبالجملة) أي حاصل الكلام ان (كل متعلم) في أي علم كان ان (استبقى لنفسه رأيا واختيارا) براءه ويختاره (دون اختيار المعلم فاحكم عليه) قطعا (بالاخفاق) أي الخيبة والحرمان (والخسران) نعوذ بالله من الخذلان (فان قلت) ان المتبادر الى الاذهان في قصة الخضر وموسى عليهما السلام عدم السؤال حيث شرط الخضر على موسى السكوت والتسليم وقوله فلا تسألني عن شئ حيث دل على عدم المفاتحة بالسؤال وهذا على ظاهره غير متجه (فقد قال الله تعالى) في موضع آخر من كتابه العزيز (فاسألوا أهل الذكر) أي أهل العلم (ان كنتم لا تعلمون فالسؤال مأمور به) بمقتضى هذه الآية وكذلك الخبر الذي من طريق أهل البيت العلم خزائن ومفتاحها السؤال والخبر الآخر لا ينبغي للجاهل أن يستقر على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه وقال ذو النون المصري حسن سؤال الصادقين مفتاح قلوب العارفين (فاعلم) أيها السالك (انه كذلك) أي ما ذكرته صحيح وان السؤال مطلوب لما ورد شفاء العي السؤال (ولكن) ليس في كل حال بل (فيما يأذن) به (المعلم في السؤال عنه) ويرى شفاء جهله به (فان السؤال الى ما لا تبلغ) عداه بالى بتضمن السؤال معنى الاحتياج أي عما لا تصل (رتبتك) ومقامك (الى فهمه) وادراكه (مذموم) كالعويصات والغوامض التي لا يدركها الا العارفون الكاملون وليس للمبتدئ الخوض في مسالكها (ولذلك) أي لهذا السر (منع الخضر موسى) عليهما السلام (عن السؤال) أي عن مفاتحته فان افشاء سر الربوبية صعب (أي دع السؤال قبل أوانه) فمن استعجل الشئ قبل أوانه عوقب بحرمانه ولذلك قيل لو صبر موسى عليه السلام لابصر أعجب العجائب كما ورد (فالمعلم أعلم بما أنت أهله) لتلقيه (وبأوان الكشف) عن مضاربه (ومالم يدخل أوان الكشف) عن الاسرار (في كل درجة من مراقي الدرجات) في الحضرات الالهية (لا يدخل أوان السؤال) فلا يؤذن للمعلم بالكشف عن تلك الاحوال ونص الذريعة وقول الله تعالى فقال لا تسألني عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا نهي عن المراجعة وليس ذلك نهيا عن الذي حث تعالى عليه بقوله فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وذلك النهي انما هو نهي عن نوع من العلم الذي لم يبلغ منزلته بعد والحث انما هو عن سؤال تفاصيل ما خفي عليه من النوع الذي هو بصدد تعلمه وحق من هو بصدد تعلم علم من العلوم أن لا يصغي الى الاختلافات المشككة مالم يتهذب في قوانين ما هو بصدده لئلا تتولد له شبهة تصرفه عن التوجه فيه فيؤدي الى الارتداد اهـ كيف (وقد قال علي) ابن أبي طالب (رضي الله عنه) وكرم وجهه فيما روي عنه فيما يجب على المتعلم لمعلمه (ان من حق العالم) الكامل المرشد الى الله تعالى بأنوار علومه (أن لا تكثر عليه في السؤال) لان كثرة السؤال يسقط حرمته عنده بل يكون سببا لغرور النفس ولا سيما اذا كان على الملأ (ولا تعنته في الجواب) أي لا تشدد عليه فيه وتلزمه بما يصعب عليه هذا معنى التعنت في الاصل كما قاله ابن الانباري (ولا تلح عليه) من الالحاح (اذا كسل) وفتر عن أداء الجواب لعذر ما أو هو بالجيم من اللجاج والمعنى صحيح (ولا تأخذ بثوبه) أي طرف ردائه وما أشبه ذلك (اذا نهض) الى القيام فانه يؤدي الى التضجر والتبرم (ولا تفش له سرا) عمن لا يحبه ولذلك قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين سأله أن يتزوج ابنته حفصة حين تأيمت من خنيس بن حذافة السهمي

فصمت ولم يجب وفى آخره لم أكن لافشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لانه سمعه يذكرها وقد أخرجه
البخارى فى النكاح وفى غزوة بدر وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية الشعبى عن ابن عباس قال قال لى ابى
أى بنى أرى أمير المؤمنين يقربك و يدعوك و يستشيرك مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظ
عنى ثلاث خصال اتق لايجربن عليك كذبة ولاتفشين له سرا ولاتغتابن عنده أحدا قال الشعبى فقلت كل
واحدة خير من ألف فقال كل واحدة خير من عشرة آلاف (ولا تغتابن عنده) أى فى مجلسه سواء كان
الخطاب له أولغيره ممن فى مجلسه (أحدا) من المسلمين لاتصريحا ولاتعريضا (ولاتطلبن عثرته) أى سقوطه
أى لاتكون رقيبا تعد عثراته فى سائر أحواله (وان ذل) عن اصابة الحق (قبلت معذرته) وحملته على
العادة البشرية (وعليك أن توقره) وتبجله (وتعظمه لله تعالى) لالعلة أخرى (مادام يحفظ أمر الله تعالى)
متأدبا باآداب الشريعة (ولاتجلس) فى حضرته (امامه) الا عند التلقى ولافوقه الالعذر (وان كانت له
حاجة) عرضت من المهمات الدينية أو الدنيوية (سبقت القوم الى خدمته) وقضاء حاجته فهذه اثناعشر
جملة تضمنت الآداب وكشفت عن وجه الحق النقاب والمقصود من ايراد هذا الكلام هو الجملة الاولى
المشتملة على النهى عن كثرة السؤال عليه ومفهومها أن كثرة السؤال ليس بممنوع وانما الممنوع منه
الكثرة الموجبة للملل المعلم وحدوث الغرور فى نفس المتعلم والمفهوم من سياق المصنف عدم المفاتحة بالسؤال
عليه مطلقا فيما لم يأت أوانه ولعله فهم من قول سيدنا على فى النهى عن كثرة السؤال فى مثل هذا واضرابه
فتأمل وأما بقية الجمل فانها دلت كذلك على جملة من الآداب ساقها بتمامها لما فيها من الحكم والنصائح وقد
اندرج بيانها فى أثناء هذه الوظائف التسعة وقد اقتصر صاحب الذريعة على هذه الوظائف الثلاثة وزاد
المصنف عليه ماسيأتى ذكره (الوظيفة الرابعة) من الوظائف التسعة (ان يحترز الخائض فى العلم) أى
الواغل فى تحصيله وقد تقدم مرارا ان أصل الخوض هو الدخول فى الماء ثم استعير لغيره (فى مبدا الامر)
أى فى أوله (عن الاصغاء) أى الاستماع والميل (الى اختلافات الناس) وتشعب آرائهم (سواء كان ماخاض
فيه من علوم الدنيا) كهذه العلوم التى ولع المتأخرون بتحصيلها وسموها بزعمهم أسبابا موصلة الى علوم
الآخرة (أوعلوم الآخرة) كعلم معرفة القلب وما يرد عليه وعلم محاسبة النفس والدقائق وغير ذلك (فان
ذلك) أى النظر الى اختلاف الناس فيه (يذهل) وفى نسخة يذهب (عقله) بتشتته (ويحير ذهنه)
بالوساوس (ويفتر رأيه) عن الاقبال الى الحق (ويؤيسه عن الادراك) الحقيقى (والاطلاع) لما هو
بصدده وكل من الذهول والتحير وفتور الرأى واليأس من أسباب الحرمان للطالب (بل ينبغى ان يتقن أولا
الطريقة الواحدة) أى يحكمها فى عقله بقوة همته وصرف جهده الى تحصيلها وهى (المرضية عند أستاذه)
المقبولة لديه (ثم بعد ذلك) أى بعد اتقانها وحلولها فى القلب قبل كل شئ كالاساس المحكم على حد قولهم

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

(يصغى الى) معرفة اختلافات (المذاهب) وكيفية حججها ودلائلها (والشبه) وتقريرها وكيف ردها (وان
لم يكن استاذه) أى معلمه (مستقلا باختيار رأى واحد) ولا متضلعا فى تلك الطريقة التى يتعلمها منه (وانما
عادته) وطريقته (نقل المذاهب) الى أقوالها (وماقيل فيها) من الحجج والبراهين (فليحذر منه) الطالب
ولا يصاحبه (فان اضلاله أكثر من ارشاده) فان كل متعلم يحذو حذو معلمه فاذا كان المعلم بذلك الوصف
فهو كالمتحير الذى لم يبصر الطريق فمتى حذاه المتعلم وصار ينقل طريقته فهو فى الحيرة أكثر فاستمر الاضلال
الى ماشاء الله تعالى ولذا منع فيما سبق من الزمان من تدريس العلوم من لم يتدرب بين يدى الرجال ولم يتقنه
الابطال خوفا بان يضر العوام ويهلك بجهله الطغام (فلا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم) أى لايصلح
الجاهل لارشاد الجهال ولذلك قيل

ومن عجب الدنيا طبيب مصفر * وأعمش كحال وأعمى منجم

ولاتغتابن احدا عنده ولا تطلبن عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى ولا تجلس أمامه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته *(الوظيفة الرابعة)* أن يحترز الخائض فى العلم فى مبدأ الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ماخاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغى أن يتقن أولا الطريقة الجيدة الواحدة المرضية عند أستاذه ثم بعد ذلك يصغى الى المذاهب والشبه وان لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأى واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فان اضلاله أكثر من ارشاده فلا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم

(ومن هذا حاله فهو بعد في عمى الحيرة ورتبة الجهل) فلا يصلح منه الارشاد والتسليك بحال من الاحوال ولهذا فسد الاوان وعم الطغيان وقد ورد في الحديث اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظروا الساعة (ومنع المبتدئ) في العلوم (من الشبه) والغوامض (يضاهي) أي يشبه (منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار) ومجالستهم كيلا يسري اليه بعض تهويلاتهم فيتمكن في قلبه لضعفه (وندب القوي) في العلم أي حثه وحمله (الى النظر في الاختلافات) مع كثرتها (يضاهي حث القوي) الكامل أداة سلاحه (على مخالطة الكفار) اذ قد تمكن فيه العلم بالله تعالى فلا تزلزله عقائد الكفار فلو خالطهم لم يضروه بتمويهاتهم وتهويلاتهم (ولذلك يمنع العاجز) وهو عادم القوة الجبان (عن التقحم) أي الدخول وفي نسخة عن التهجم (على صف الكفار) وهم أقوياء (ويندب الشجاع له) أي للتقحم لشجاعته وقوته وهذا السياق في كتاب الذريعة ونصه وحق من هو بصدد تعلم علم من العلوم أن لا يصغي الى الاختلافات المشكلة والشبه الملبسة مالم يتهذب في قوانين ماهو بصدده لئلا يتولد له شبهة تصرفه عن التوجه فيه فيؤدي ذلك الى الارتداد ولذلك نهى الله سبحانه من لم يكن بقوي في الاسلام عن مخالطة الكفار فقال يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا وقال لاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ومن أجل ذلك كره للعامة أن يجالسوا أهل الاهواء لئلا يغووهم والعامي اذا خلا بذوي البدع كالشاة اذا خلت بالسبع وقال بعض الحكماء انما حرم الله تعالى في الابتداء لحم الخنزير لانه تعالى أراد أن يقطع العصمة بين العرب وبين الذين كانوا يشاكلونهم باجتماعهم معهم من اليهود والنصارى فحرم على المسلمين ذلك اذ هو معظم مأكولاتهم وعظم الامر في تناوله ومسه لينتهي المسلمون عن الاجتماع في المواكلة والانس وقال عليه السلام في المؤمن والكافر لاتتراءى ناراهما لذلك وأما الحكيم فانه لا باس بمجالسته أياما فانه جار مجرى سلطان ذي عدة وأجناد وعتاد لايخاف عليه العدو وحيثما توجه له الاستماع الى لشبه بل أوجب عليه أن يتبع بقدر جهده كلامهم ويسمع شبههم ليجاهدهم ويدافعهم فالعالم أفضل المجاهدين الذابين عن الدين فالجهاد جهادان جهاد باللسان وجهاد بالبنان ولما تقدم سمى الله تعالى الحجة سلطانا في غير موضع من كتابه كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام اني آتيكم بسلطان مبين اه (ومن الغفلة) الظاهرة (عن هذه الدقيقة) الفاخرة (ظن بعض الضعفاء) أي ضعفاء العقول (أن الاقتداء) أي الاتباع (بالاقوياء) أي أصحاب القوى الراسخة (فيما ينقل عنهم) ويروى (من المساهلات) في الاعمال والاقوال (جائز ولم يدر) وفي نسخة ولم يدرك (ان وظائف الاقوياء تخالف وظائف الضعفاء) وذلك بحسب اختلاف مقاماتهم وقربهم من الحضرة وبعدهم فكما لايقاس أحدهما بالآخر فكذلك لا تقاس وظائفهما (ولذلك قال بعضهم) أي من العارفين (من رآني) أي أبصرني بعين اعتباره مع الاتباع لطريقتي (في البداية) أي في أول السلوك (صار صديقا) أي بلغ هذه المرتبة العلية وهي مرتبة التكاليف الشاقة (ومن رآني في النهاية) أي في منتهى سلوكي (صار زنديقا) ثم علله بقوله (اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن) فتكون العبادة كلها تفكرا ونقل السراج البلقيني في شرحه على البخاري قولا لبعض في ان عبادته صلى الله عليه وسلم كانت الفكر وقال غيره معنى قولهم ان النهاية ترد الاعمال الى الباطن أي يشتغل السالك حينئذ بالاذكار القلبية والافكار في الصفات الالهية والمصنوعات الآفاقية والانفسية والتهذيب بالاخلاق السنية والشمائل البهية من الرحمة والتحمل والصبر والشكر والرضا والتفويض والتوكل والتحقق بحال الفناء ومقام البقاء وهذا مقام كمل الاصفياء (وتقبض الجوارح) وفي نسخة وتسكن عن سائر الاعمال الشاقة (الا عن رواتب الفرائض) وقد قيل بداية الانبياء نهاية الاولياء هذا هو المعروف عند السادة الصوفية وأما مانقل عن بعضهم في ان بداية الولي نهاية النبي فانما هو باعتبار التكاليف الشرعية من الاوامر الفرضية في الزواجر المنهية فلما لم يتصف السالك بما انتهى أمر

ومن هذا حاله بعد في عمى الحيرة ورتبة الجهل ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب القوي الى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالاقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر أن وظائف الاقوياء تخالف وظائف الضعفاء وفي ذلك قال بعضهم من رآني في البداية صار صديقا ومن رآني في النهاية صار زنديقا اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرائض

دينه صلى الله عليه وسلم لم يدخل فى باب الولاية ولا يكون له حظ من حسن الرعاية وحفظ الحماية وهو تأويل حسن ان صح هذا القول عنهم ويشير اليه قول الجنيد رحمه الله تعالى كما سبق طريقتنا هذه مربوطة بالكتاب والسنة ومن هنا قال بعض السادة بدايتنا نهاية غيرنا (فيتراءى للناظر) فى أول وهلته (انها) أى تلك الحالة (بطالة وكسل) وفتور عن الاعمال المأمور بها (واهمال) لاصل العبادات (وهيهات فذلك) الذى هو عليه هو بعينه (مرابطة للقلب) الصنوبرى عن حضور ماسوى الله تعالى (فى عين الشهود) الالهى (والحضور) القربى فهو قائم مع الحقيقة وملحظه الفضل والتزام الحرمة كما هو شأن أهل النهاية كما ان شأن أهل البداية القيام مع الشرع ومبنى أمرهم على المجاهدة والخدمة وشتان بين مقامى المجاهدة والمنة فصاحب المجاهدة غارق فى الفرق وهو بمعاملته محجوب وصاحب المنة غارق فى الفضل وهو فى سائر حركاته وسكناته محبوب ان نطق فبالله وان عمل فلله وان رجع فمن الله وان ذهب فالى الله فهو بالله ولله ومن الله والى الله لا يعرف الا الله ولا يشهد الا الله كما قيل من عرف الله شهده فى كل شئ فيستوحش من كل شئ ويأنس به كل شئ صار مشهوده معنى فأينما تولوا فثم وجه الله سجية وحقيقة وهو معكم أينما كنتم منطوية فى قلبه (وملازمته للذكر) والتفكر (الذى هو أفضل الاعمال) للعبد (على الدوام) لما ورد من طرق ضعيفة تفكر ساعة خير من عبادة الثقلين وهذه هى العبادة الباطنية التى كانت عليها كمل الاصفياء وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ولقد كانت الصحابة رضوان الله عليهم يتفكرون ويتذكرون وقد روى الاصبهانى فى ترغيبه وأبو نعيم فى الحلية من طريق شهر بن حوشب عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال ما جمعكم فقالوا اجتمعنا نذكر ربنا ونتفكر فى عظمته فقال تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره (وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره انه هفوة) ونقص مقام (يضاهى) أى يشابه (اعتذار من يلقى نجاسة يسيرة) أى قليلة (فى كوز ماء) مثلا (بان أضعاف هذه النجاسات) على كثرتها (قد يلقى فى البحر) ويرمى فيه فلا يكدره (و) لاشك ان (البحر أعظم من الكوز) جرما وأكثر ماء (فما جاز للبحر) من عدم حمله للنجاسة (فهو للكوز أجوز) أى أكثر جوازا ولعمرى هذا قياس لكنه باطل (ولا يدرى المسكين ان البحر لقوته) وسعته (يحيل النجاسة ماء) بتلاشى أجزائها (فتنقلب النجاسة باستيلائه) اى غلبته وقوته يعنى البحر (الى صفته) أى البحر التى هى الطهورية فى نفسه والتطهير لغيره (والقليل من النجاسة يغلب) الماء الذى فى (الكوز) لضعفه (ويحيله الى صفته) التى هى التنجس فى نفسه فقد بان بذلك بطلان قياس القائس (وبمثل هذا جوز للنبى صلى الله عليه وسلم) خاصة مما يتعلق به (مالم يجوز لغيره) من سائر أمته (حتى أبيح له) الجمع بين (تسع نسوة) بنكاح صحيح وهو معروف قال العراقى وفى الصحيحين من حديث ابن عباس كان عند النبى صلى الله عليه وسلم تسع نسوة كان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة ورواه النسائى كذلك كلهم من رواية ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال وأخرج البخارى والنسائى من رواية سعد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسائه فى ليلة واحدة وله تسع نسوة وفى رواية لهما من رواية هشام الدستوائى عن قتادة كان يدور على نسائه فى الساعة الواحدة فى الليل والنهار وهن احدى عشرة قلت لانس أكان يطيقه قال كنا نتحدث انه أعطى قوة ثلاثين (اذ كان له) صلى الله عليه وسلم (من القوة) التى أعطيها (ما تتعدى) أى تتجاوز (منه صفة العدل) الذى هو أحسن الصفات وهو الامر المتوسط بين الافراط والتفريط (الى نسائه وان كثرن) وأما ما اشتهر عند العامة من انه صلى الله عليه وسلم شكا الى جبريل من ضعف الباه فأنزل له من السماء الكفيت وهى قدر فيها هريسة فأكل منها فعادت قوته فهذا شئ لا أصل له ولا يعتمد عليه وأما القوة المطلقة من غير أن تتعدى صفة العدل فقد أعطيها جماعة من آحاد أمته كما بلغنا عن شيخ من السادة

فيتراءى للناظر بن انها بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب فى عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذى هو أفضل الاعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوى فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهى اعتذار من يلقى نجاسة يسيرة فى كوز ماء ويتعلل بان أضعاف هذه النجاسة قد يلقى فى البحر والبحر أعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز ولا يدرى المسكين أن البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه الى صفته والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله الى صفته ولمثل هذا جوز للنبى صلى عليه وسلم ما لم يجوز لغيره حتى أبيح له تسع نسوة اذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل الى نسائه وان كثرن

النقشبندية وهو حي الآن انه غاب عن زوجته أياما فلما رجع طالبته بحقها في الجماع فقال لها كم نقص لك من العدد قالت أربعين فجامعها أربعين مرة على التوالي من غير نقص ولا فتور (وأما غيره فلا يقدر على العدل) والمساواة (بل يتعدى ما بينهن من الضرار) أي المضارة (اليه حتى ينجر) الحال منه (الى) ارتكاب (معصية الله) تعالى (في طلب رضاهن) وهذا مشاهد وروى أصحاب السنن الاربعة وابن حبان في صحيحه من رواية عبدالله بن يزيد عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل فيقول اللهم هذه قسمتي فيما أملك ولا تلمني فيما تملك ولا أملك لفظ الترمذي وقال ومعنى قوله فيما تملك ولا أملك انما يعني به الحب والمودة (فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين) شتان بينهما ووجدت في هامش النسخة بخط الشمس الحريري مانصه المراد بالحدادين المشاعلي الذي يقيم الحد أو السجان أو على ظاهره أقوال (الوظيفة الخامسة أن لا يدع) أي لا يترك (طالب العلم فنا من فنون (العلوم المحمودة) الذي تقدم ذكرها (ولا نوعا من أنواعه) والفن في الاصل اسم للغصن من الشجرة ويطلق ويراد به النوع فهما مترادفان (الا وينظر فيه) بتدبر وتأمل (نظرا يطلع به على مقصده) الذي اشتمل ذلك الفن عليه (وغايته) التي ينتهي اليها وانما اقتصر عليهما لانه بهما يدرك شرف الفن فتارة بالمقصد وتارة بالغاية فلابد من الاطلاع عليهما (ثم ان ساعده العمر) بأن طال والوقت بأن صفا (طلب التبحر) أي التوسع (فيه) ولا بأس بذلك (والا) أي ان لم يساعده العمر والوقت بأن خاف على نفسه بالموت العاجل أو ابتلي بالمحن والاكدار (اشتغل بالاهم) فالاهم (فاستوفاه) فهما وحفظا ومدارسة (وتطرف من البقية) أي أخذ منها الطرف والنوادر المحتاج اليها في حال طلبه (فان العلوم) وان تفاوتت (متعاونة) يعين بعضها بعضا (وبعضها مرتبط بالبعض) ارتباطا كليا تارة وجزئيا أخرى (ويستفيد من ذلك في الحال) أي عند معرفته ولو على المشاركة (الانفكاك) أي الانفصال (عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله) وهذا أقل المراتب فيه (فان الناس اعداء ما جهلوا) يروى ذلك من قول سيدنا علي رضي الله عنه (قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) المراد بهم قريش وقيل بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع وقيل اليهود على اختلاف في ذلك والاهتداء هنا التوفيق أي اذ لم يوفقوا بالايمان وبما أتى به محمد صلى الله عليه وسلم فسيقولون هذا افك قديم والافك لغة صرف الشئ عما يحق أن يكون عليه والمراد هنا أشد الكذب والقديم السابق وهو مثل قولهم أساطير الاولين وفي كتاب الذريعة للراغب حق الانسان أن لا يترك شيأ من العلوم أمكنه النظر فيه واتسع العمر له ويتجر بشمه عرفه وبذوقه طعمه ثم ان ساعده القدر على التغذي به والتروي منه فبها ونعمت والا لم يصر بجهله بجهله وغباوته عن منفعته الا معاديا له بطبعه كما قال القائل وأنشد البيت الآتي ثم قال ومن جهل شيأ عاداه والناس أعداء ما جهلوا بل قال الله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وحكي عن بعض فضلاء القضاة أنه رؤي بعدما طعن في السن وهو يتعلم أشكال الهندسة فقيل له في ذلك فقال وجدته علما نافعا فكرهت أن أكون بجهلي معاديا له ولا ينبغي للعاقل أن يستهين بشئ من العلوم بل يجب أن يجعل لكل واحد حظه الذي يستحقه ومنزله الذي يستوجبه ويشكر من هداه لفهمه وصار سببا لعلمه فقد حكي عن بعض الحكماء انه قال يجب أن نشكر أيادي الذين ولدوا لنا الشكوك امتنانا لمن حرك خواطرنا بالنظر في العلم عن شكر من أفادنا طرفا من العلم ولولا مكان فكر من تقدمنا لاصبح المتأخرون حيارى قاصرين عن معرفة مصالح دنياهم فضلا عن مصالح أخراهم فمن تأمل حكمة الله تعالى في أقل آلة يستعملها الناس كالمقراض جمع بين سكينين مركبا على وجه يتوافى احدهما على نمط واحد للقرض أكثر تعظيم الله وشكره وقال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كناله مقرنين (وقال الشاعر) وهو أبو الطيب احمد بن الحسين المتنبي الكوفي في قصيدة له لامية خمسون بيتا يمدح الامير بدر بن عمار بن اسمعيل الاسدي وقبل

وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه حتى ينجر الى معصية الله تعالى في طلبه رضاهن فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين *(الوظيفة الخامسة)* أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم قال الشاعر

هذا البيت أرى المتشاعرين غروا بذمي * ومن ذا يحمد الداء العضالا
(ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا)

أى لا يعادى الانسان شيأ الا بعلة ناشئة منه هى المانعة له عن محبته اياه ألا ترى الى الماء الزلال وهو البارد العذب الصافى اذا شربه من به غلبة الصفراء أو مرض آخر بغير لذة الفم فانه يجده مرا على غير صفته فهذا الوجدان راجع الى الشارب والمشروب على صفته لم يتغير وقال شارح الديوان هذا مثل ضربه يقول مثلهم معى كمثل المريض مع الماء الزلال يجده من المرارة فيه كذلك هؤلاء يذموننى لنقصانهم وجهلهم لفضلى فالنقص فيهم لافى ولو صحت حواسهم لعرفوا فضلى (فالعلوم) كلها (على) تفاوت (درجاتها) على أقسام (اما سالكة بالعبد الى الله عزوجل) سلوكا حقيقيا كعلم معرفة الله سبحانه وما يتعلق به (أو معينة له على السلوك) الى الله تعالى كل الاعانة أو (نوعا من الاعانة) فالاول كمعرفة الخواطر وما يردعليها من الهواجس الملكية والشيطانية اذ بتفريغ باطنه عن الهواجس تكون فيه القابلية لمعرفة الله تعالى والثانى كعلم الاعراب (ولها منازل) ودرجات (مرتبة) ترتيبا غريبا (فى القرب والبعد من المقصود) الاعظم فمنها ما يقرب من المقصود قربا كليا لشدة الارتباط بينهما ومنها ما يقرب قربا جزئيا وكذلك فى البعد ولكل من هذه المراتب مراتب (والقوام بها) أى القائمون بخدمتها وتحصيلها (حفظة) لحوزتها يمنعون عن تطرق الخلل والفساد اليها فهم قائمون بازائها واقفون على حدودها (كحفظة الرباطات والثغور) وهى المواضع التى يرابط فيها المجاهدون حفظا لحوزة الاسلام كيلا يهجم عليه العدو وغرة (ولكل واحد) من هؤلاء الطلبة (رتبة) معلومة (وله بحسب درجته) واجتهاده (أجر) عند الله (فى الآخرة اذا قصد به وجه الله) تعالى فان قصد به المباهاة أو المفاخرة أو التوثب فى المجالس فليس له ثواب عند الله تعالى وتعبه ضائع وهذا السياق بعينه لصاحب الذريعة كما سيأتى نص حروفه فى آخر الوظيفة التى تليها وقد فرقها المصنف فى الموضعين كما ترى وستقف عليه ان شاء الله تعالى * (الوظيفة السادسة) * من وظائف المتعلم التسعة اعلم (أن العمر) ولو طال (اذا كان لا يتسع لجميع العلوم) أى لتحصيلها على طريق الحصر والاستيعاب (غالبا) كما هو مشاهد ولو مارسه ألف سنة (فالحزم) كل الحزم أى الرأى الوثيق (ان يأخذ) الطالب فى اثناء طلبه (من كل شئ أحسنه) والاخذ أعم من التلقى والكتابة والحفظ فيتلقى من كل علم أحسنه ويكتب منه أحسن ما يكتب مما ينتفع به هو وغيره ويحفظ منه أحسن ما يحفظ وأنفعه واليه يشير قول القائل

ما حوى العلم جميعا أحد * لا ولو مارسه ألف سنه
انما العلم كبحر زاخر * فخذوا من كل شئ أحسنه

(ويكتفى منه بشمة) أى بقليل مما يكون له معينا وزادا للآخرة وفى الذريعة للراغب من كان قصده الوصول الى جوار الله تعالى وتوجه نحوه كما قال تعالى ففروا الى الله وكما فى الحديث سافروا تغنموا فحقه أن يجعل أنواع العلم كزاد موضوع فى منازل السفر فيتناول منه فى كل منزل قدر البلغة فلا يعرج على تقصيه واستفراغ ما فيه فتقصى الانسان نوعا واحدا من العلوم على الاستقصاء يستفرغ عمرا بل أعمارا ثم لا يدرك قعره ولا يسبر غوره وقد نبهنا البارى تعالى على أن نفعل ذلك بقوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقال على رضى الله عنه العلم كثير فخذوا من كل شئ أحسنه وقال الشاعر

قالوا خذ العين من كل فقلت لهم * فى العين فضل ولكن ناظر العين

(ويصرف جمام قوته) بكسر الجيم أى كل قوته وتمامها (فى الميسور من علمه) أى مما تيسر منه (الى) متعلق بيصرف أى يصرف جمام قوته الى (استكمال العلم الذى هو أشرف العلوم) أى الى تحصيله بطريق الاستيعاب والتكميل (وهو علم الآخرة) وأشرفيته باعتبار ما يؤول اليه من ثمراته وغاياته ثم

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالعبد الى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة فى القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر فى الآخرة اذا قصد به وجه الله تعالى

(الوظيفة السادسة) أن لا يخوض فى فن من فنون العلم دفعة بل يراعى الترتيب ويبتدئ بالاهم فان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم أن يأخذ من كل شئ أحسنه ويكتفى منه بشمة ويصرف جمام قوته فى الميسور من علمه الى استكمال العلم الذى هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة

فسره بقوله (أعنى) أى أقصد بذلك العلم اى هو أشرف العلوم (قسمين المعاملة والمكاشفة) ولما كان شرفهما بالغايات أشار لذلك بقوله (فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى) من غير افتقار الى تأمل البرهان (ولست أعنى به) أى بغاية المكاشفة (الاعتقاد الذى تلقفه) من التلقف وهو الاخذ بالفم وفى نسخة تلقنه بالنون وهو الاصح (العامى وراثة) من شيوخه (وتلقفا) من فم الى فم (ولا) أعنى أيضا (طريق تحرير الكلام) بالبراهين الدالة على مقصوده (والمجادلة) بأقيسة ظنية (فى تحصين ذلك) الاعتقاد وحمايته (من مراوغات الخصوم) ومطاولاتهم (كما هو غاية) حال (المتكلم) عند استكماله (بل) أعنى به (نوع يقين) هو رؤية العيان بقوة الايمان لا بالحجة والبرهان أو مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب بل ملاحظة الاسرار بمحافظة الافكار (وهو ثمرة نور) ربانى (يقذفه الله تعالى) بواسطة ملائكته (فى قلب عبد) أحبه الله قد (طهر) ظاهره عن الاحداث المذمومة (بالمجاهدة) الحقيقية والخروج عن المألوفات النفسية ونزه (باطنه) المعمور بأسرار الله المغمور بأنواره (عن الخبائث) الابليسية والرذائل الخسيسة (حتى ينتهى) فى سيره مع الملازمة على مجاهدته (الى رتبة ايمان) أمير المؤمنين (أبى بكر) الصديق رضى الله عنه (الذى) ما سبق الناس بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشئ وقر فى صدره وهو الذى (لو وزن) ايمانه (بايمان العالمين) أجمعين (لرجح كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه وسلم) قال العراقى لو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالمين لرجح أخرجه ابن عدى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه البيهقى فى الشعب موقوفا على عمر باسناد صحيح اه قلت الذى رواه البيهقى فى الشعب من قول عمر لفظه لو وزن ايمان أبى بكر بايمان الناس لرجح ايمان أبى بكر وهكذا هو فى مسند اسحق بن راهويه قال الحافظ السخاوى وراويه عن عمر هزيل بن شرحبيل قلت وهو الاودى الكوفى ثقة مخضرم من رجال البخارى والاربعة اه قال وهو عند ابن المبارك فى الزهد ومعاذ ابن المثنى فى زيادات مسند مسدد اه ورأيت فى ذخيرة الحفاظ لابن طاهر المقدسى الذى رتب فيه الكامل لابن عدى وهو بخط المصنف ما نصه لو وزن ايمان أبى بكر بايمان أهل الارض لرجح رواه عبد الله بن عبد العزيز بن أبى رواد عن أبيه عن نافع عن ابن عمر وعبد الله لم يتابع عليه وهذا الذى أشار له العراقى انه باسناد ضعيف ولكن ليس فيه بايمان العالمين وكذا أخرجه ابن عدى فى ترجمة عيسى بن عبد الله بن سليمان العسقلانى عن رواد بن الجراح عن عبد العزيز بن أبى رواد عن نافع وعيسى ضعيف الحديث ولفظه لو وضع ايمان أبى بكر على ايمان هذه الامة لرجح بها قلت وقد رواه الديلمى أيضا فى مسند الفردوس من هذه الطريق بهذا اللفظ وقول السخاوى ان عيسى وان كان ضعيفا لكنه لم ينفرد به فقد أخرجه ابن عدى من طريق آخر اه كأنه يشير الى طريق عبد الله بن عبد العزيز بن أبى رواد فربما يفهم من سياق هذا انه طريق صحيح وليس كذلك فان عبد الله لم يتابع عليه كما تقدم فعلى كل حال حديث ابن عمر من طريقيه لا يخلو من ضعف فتأمل قال الحافظ السخاوى وله شاهد فى السنن أيضا عن أبى بكرة مرفوعا ان رجلا قال يا رسول الله رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت ثم وزن أبو بكر بمن بقى فرجح الحديث (فما عندى) أى ليس عندى (ان ما يعتقده العامى) أى يجعله عقيدة له (و) يرتبه (المتكلم) ترتيبا بالبراهين والادلة (الذى لا يزيد على العامى) فى عقيدته (الا فى الكلام) من البحث فى ذات الله وصفاته وأحوال الممكنات من المبدا والمعاد (ولهذا سميت صناعته كلاما) اشارة الى وجه تسميته وقد تقدم ما يتعلق به فى أول الكتاب (كان يعجز عنه عمر وعلى وسائر الصحابة) رضوان الله عليهم أجمعين ولكنهم لم يكونوا ملتفتين لمثل ذلك وانما كانوا فى حضرة الشهود والكشف الاتم فلو كلفوا ايراد مثل هذه الدقائق التى أبدتها المتكلمون فى محاولاتهم لاعجبوا وشتان بين من توحيده عن كشف وعيان وبين من هو رهين أسر البراهين (حتى كان) وفى

أعنى قسمى المعاملة والمكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست أعنى به الاعتقاد الذى يتلقفه العامى وراثة أو تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة فى تحصين الكلام من مروغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى فى قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهى الى رتبة ايمان أبى بكر رضى الله عنه الذى لو وزن بايمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه وسلم فما عندى أن ما يعتقده العامى ويرتبه المتكلم الذى لا يزيد على العامى الا فى صنعة الكلام ولاجله سميت صناعته كلاما كان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم حتى كان

يفضلهم أبو بكر بالسر الذي وقر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الاقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدري ما يسمعه على وفقه ويزعم أنه من ترهات الصوفية وان ذلك غير معقول فينبغي أن تتئد في هذا فعنده ضيعت رأس المال فكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك اليه الا حرصك في الطلب وعلى الجملة فاشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره وأقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء ثم الاولياء ثم الذين يلونهم وقد روي أنه رؤي صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد وفي يد أحدهما رقعة فيها ان أحسنت كل شئ فلا تظنن انك أحسنت شيأ حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء وفي يد الآخر كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظمأ حتى اذا عرفته رويت بلا شرب

نسخة حين كان (يفضلهم) سيدنا (أبو بكر) رضي الله عنه (بالسر الذي وقر في صدره) اشارة الى ما ورد ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشئ وقر في قلبه قال العراقي لم أجده مرفوعا وقال السخاوي وهو عند الحكيم الترمذي في نوادره من قول بكر بن عبد الله المزني وقد سبق الايماء الى ذلك (والعجب ممن يسمع هذه الاقوال) مثل وزن ايمان أبي بكر وسبقه على الناس ورجحانه بما أعطيه (من صاحب الشرع صلوات الله عليه) وسلامه (ثم يزدري) أي يحتقر وفي نسخة ثم يرد (ما يسمعه على وفقه) ولا يعتبره ولا يقيم له رأسا (ويزعم انه من ترهات الصوفية) وخرافاتهم والترهات الاباطيل (وان ذلك غير معقول) أي غير داخل في العقل وفي نسخة غير مقبول (فينبغي) لك أيها الطالب (أن تتئد) أي تتأنى (في هذا) المقام والق سمعك لفهمه (فعنده ضيعت) وفي نسخة ضيعة (رأس المال) وهو مثل ضرب به فان من ضيع رأس ماله لم يستفد شيأ (فكن) أيها الطالب (حريصا على معرفة ذلك السر) الذي فضل به أبو بكر على العالمين (الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين) لكونه غير محتاج الى تركيب الادلة والبراهين وانما هو نور يقذفه الله في قلب من شاء من عباده بعد تطهيره من الخبائث الظاهرية والمعنوية ونقل صاحب القوت عن بعض العارفين قال من نظر في توحيده الى عقله لم ينجه توحيده من النار ومن كان توحيده في الدنيا معلقا بعقوله لم يحمل توحيده معه الى اليقين (فلا يرشدك اليه الا حرصك في الطلب) وهمتك في انشاد هذه الضالة من درج ودب (وعلى الجملة فأشرف العلوم) على الاطلاق (وغايتها) التي تنتهي اليها الهمم (معرفة الله عز وجل) عارية عن شوائب الحجج والبراهين (وهو بحر لا يدرك منتهى قعره) قد تاهت فيه ألباب العارفين وكل منهم نال فيه مقاما بحسب همته وقوته وتطهيره وتقربه وليس كل معرفة معرفة ألا ترى الى الذي رأى الله تعالى سبعين مرة فقيل له لو رأيت أبا يزيد لأغناك عن رؤيتك الله تعالى فتعجب من هذا القول فلما وقع بصره عليه ظهر له سر المعرفة على غير الوجد الذي كان عرف فاندهش ولم يتحمل فمات لوقته وسبب هذا صدقه في مقام المعرفة وسيأتي هذا للمصنف في آخر الكتاب وتقدم الايماء اليه في خلال فصول المقدمة (واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء) صلوات الله عليهم اذهم الفائزون بالقدح المعلى في ذلك (ثم الاولياء) ودخل فيهم الصديقون (ثم الذين يلونهم) من العلماء على حسب درجاتهم ومقاماتهم فأولئك الذين صفى قلبهم بنور اليقين وأيد عقلهم بالتوفيق والتمكين وتجرد هممهم من تعلق الخلق وتأله سرهم بالعكوف على الخالق وخلت نفوسهم عن الهوى وسرت أرواحهم فجالت في الملكوت الاعلى فشهدوا على الكشف أوصاف ما عرفوا فقاموا حينئذ بشهادة ما عرفوا (وقد) روي انه (رؤي صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين) أي فيما سبق من الزمان وكأنهم من حكماء اليونان وفي نسخة المتعبدين (في مسجد) أي في معبد من معابدهم ونص الذريعة والنهاية من العلوم النظرية معرفة الله تعالى على الحقيقة المصدوقة والعلوم كلها خادم لها وهي حرة وروي انه رؤي صورة حكيمين من القدماء المتألهين في بعض مساجدهم (في يد أحدهما رقعة) مكتوبة (وفيها) ما نص ترجمته (ان أحسنت كل شئ) أي اتقنت في صنعته (فلا تظنن انك أحسنت شيأ حتى تعرف الله) حق معرفته (وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشياء) وهذا هو التوحيد الخالص فكأنه يقول منتهى المعارف كلها معرفة الله بوحدانيته ومن لا يصل اليه فلا يظن في نفسه انه أحسن شيأ (وفي يد الآخر) رقعة فيها مكتوب (كنت قبل ان عرفت الله سبحانه أشرب فأظمأ) فلا يحصل لي الري (حتى اذا عرفته رويت بلا شرب) زاد في الذريعة بعد هذا ما نصه بل قد قال الله تعالى ما أشار به الى ما هو أبلغ من حكمة كل حكيم قل الله ثم ذرهم أي اعرفه حق المعرفة ولم يقصد بذلك أن يقول قولا باللسان اللحمي فذلك قليل الغناء ما لم يكن عن طوية خالصة ومعرفة حقيقية وعلى ذلك قوله عليه السلام من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة اه قلت وقول الحكيم رويت بلا شرب هذا هو الشرب المعنوي الذي لا ظمأ بعده

والعارف بالله تعالى ريان دائما وان لم يشرب ومن لم يعرفه فهو ظمآن دائما وان شرب وفى ذلك قيل

من عرف الله فلم تغنه * معرفة الله فذاك الشقى
يزعم أن العز فى ماله * والعز كل العز للمتقى

وفى القوت قال بعضهم فى الدنيا جنة من دخلها لم يشتق الى شئ ولم يستوحش قيل وماهى قال معرفة الله تعالى ويروى عن على رضى الله عنه ما يسرنى ان الله تعالى أماتنى طفلا وأدخلنى الدرجات العلى من الجنة قيل ولم قال لانه أحيانى حتى عرفته وقال مالك بن دينار خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شئ منها قيل وماهو قال المعرفة ثم أنشأ يقول

ان عرفان ذى الجلال لعز * وضياء وبهجة وسرور
وعلى العارفين أيضا بهاء * وعليهم من المحبة نور
فهنيأ لمن عرفك الهى * هو والله دهره مسرور

(الوظيفة السابعة) من وظائف المتعلم التسعة (أن تعرف السبب الذى به) أى بتحصيله (يدرك شرف العلوم) وكمالها ومزيتها (وان ذلك يراد به شيآن) لا غير (أحدهما) وهو أفضلهما (شرف الثمرة) والنتيجة (والثانى وثاقة الدليل) أى متانته (وقوته) عطف تفسير قال الحرانى الوثاقة شد الربط وقوة ما به يربط (وذلك كعلم الدين) وعلوم الدين ثلاثة التفسير والحديث والفقه (وكعلم الطب) بأنواعه (فان ثمرة أحدهما) الوصول الى (الحياة) الابدية وهو علم الدين (وثمرة الآخر) الوصول الى الحياة الدنيوية المنقطعة (الفانية) وهو علم الطب لانه به يحصل تعديل المزاج وتقويمه ليجرى على مجارى الصحة وينقطع ذلك بالموت بخلاف علوم الدين فان ثمراتها لا تنقطع (فيكون علم الدين أشرف) نظرا الى ذلك (و) من القسم الثانى وهو الذى يراد به وثاقة الدليل (مثل علم الحساب) بأنواعه (وعلم النجوم) بقسميه المأذون فى الاشتغال بهما دون باقى الاقسام على ما تقدم وفى نسخة وعلم النحو (فان) علم (الحساب أشرف) نظرا (لوثاقة أدلته وقوتها) وترتيبها على قواعد مضبوطة (واذا نسب) علم (الحساب الى) علم (الطب كان) علم (الطب أشرف من) علم (الحساب باعتبار ثمرته) التى هى الحياة (و) علم (الحساب أشرف) من علم الطب (باعتبار) وثاقة (أدلته) ومتانتها (و) لا يخفى ان (ملاحظة الثمرة أولى) من النظر الى وثاقة الدليل (ولذلك كان) علم (الطب أشرف وان كان أكثره بالتخمين) والحدس والتجارب قد تخطئ مع اختلاف الامزجة والاهوية فى الذريعة ورب علم يوفى على غيره فى أحد وجهين وذلك الغير يوفى عليه بالوجه الآخر كالطب مع الحساب فالطب شريف الثمرة اذ هو يفيد الصحة والحساب وثاقة الدلالة اذ كان العلم به ضروريا غير مفتقر الى التجربة اهـ (وبهذا يتبين) ويتضح (ان أشرف العلوم) مطلقا علم الدين بأنواعه وأجلها (العلم بالله) تعالى أى بوحدانيته وقيوميته وانه موجد الاشياء كلها ومسبب الاسباب بأسرها (وملائكته) بانهم عباد الله المعصومون لا يتصفون بذكورة ولا أنوثة وانهم الوسائط فى الافاضات (وكتبه) بتصديق ما أنزل فيها من الاحكام والقصص والامثال (ورسله) بانهم أمناء الله على خلقه فى تبليغ ما أمروا به (والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم) فان حكم ذلك كحكم أصله (فاياك وان ترغب الا فيه) وان تميل الا اليه (و) ان (تحرص الا عليه) وان تحوم الا حوله جاه فهو رأس مالك واليه مآلك وأورد ابن القيم هذا البحث فى كتابه مفتاح دار السعادة بأبسط من ذلك فقال شرف العلم تابع لشرف معلومه ولا ريب ان العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأشرفها ونسبته الى سائر العلوم كنسبة معلومه الى سائر المعلومات فكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها كما أن كل موجود فهو مستند فى وجوده الى الملك الحق ومفتقر

(الوظيفة السابعة) أن لا يخوض فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله فان العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا وبعضها طريق الى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أى لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علما وعملا وليكن قصده فى كل علم يتحراه الترقى الى ماهو فوقه فينبغى أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلاف بين أصحابه فيه ولا بخطأ واحد أو آحاد فيه ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل فترى جماعة تركوا النظر فى العقليات والفقهيات متعللين فيها بانها لو كان لها أصل لادركه أربابها وقد مضى كشف هذه الشبه فى كتاب معيار العلم وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لآخر والكل خطأ بل ينبغى أن يعرف الشئ فى نفسه فلا كل علم يستقل بالاحاطة به كل شخص ولذلك قال على رضى الله عنه لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله *(الوظيفة الثامنة)* أن يعرف السبب الذى به يدرك أشرف العلوم وان ذلك يراد به شيآن أحدهما شرف الثمرة والثانى وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة أحدهما الحياة الابدية وثمرة الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته وقوتها وان نسب الحساب الى الطب كان الطب أشرفه باعتبار ثمرته والحساب أشرف باعتبار أدلته وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وان كان أكثره بالتخمين وبهذا تبين ان أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك وان ترغب الا فيه وأن تحرص الا عليه

وجد هنا فى نسخ المتن المنقول منها الهامش زيادة الوظيفة السابعة ولعلها نسخة لم يطلع عليها الشارح فلذا لم يكتب عليها ونبه آخر ان المتن أسقط الوظيفة العاشرة اهـ

اليه فى تحقق ذاته اليه فالعلم به أصل كل علم كما انه سبحانه رب كل شئ ومليكه وموجده ولاريب ان كمال العلم بالسبب التام وكونه سببا يستلزم العلم بمسببه كما ان العلم بالعلة التامة ومعرفة كونها علة مستلزم العلم بمعلولها وكل موجود سوى الله فهو مستند فى وجوده اليه استناد المصنوع الى صانعه والمفعول الى فاعله فالعلم بذاته سبحانه وصفاته وأفعاله يستلزم العلم بما سواه فمن عرف الله عرف ماسواه ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل اه *(الوظيفة الثامنة)* من الوظائف التسعة (أن يكون قصد المتعلم فى الحال) مصحوبا بصدق نية وخلوص عزم وبقصد (تحلية باطنه) من الشوائب النفسية (وتجميله) وفى نسخة تحليته (بالفضيلة) والاوصاف النفسية (و) ان يكون قصده (فى المآل القرب من الله تعالى) أى بما يوصله اليه (والترقى الى جوار الملأ الاعلى من الملائكة والمقربين) من عباده (ولا يقصد به الرياسة) فى الدنيا (و) جمع (المال) وتحصيل (الجاه) (ومماراة السفهاء) ومجاراتهم فى كلامهم وفى نسخة مباراة (ومباهاة الاقران) فان كلا من ذلك يجر الى الدنيا ويركنه الى حبها والسعى فى تحصيلها فيحرم من الوصول الى المقصود الاعظم (واذا كان هذا مقصده) يعنى الوصول الى الله تعالى (طلب لامحالة) أى البتة (الاقرب الى مقصوده) والمعين على أصوله (وهو علم الآخرة) ومايتعلق به ومايوصله اليه (ومع هذا فلا ينبغى) له (أن ينظر بعين الحقارة) والنقص (الى سائر العلوم) التى هى سوى علم الآخرة (أعنى علم الفتاوى) والاقضية (وعلم النحو و) علم (اللغة) بأنواعهما (المتعلقين بالكتاب والسنة) تعلقا شديدا بحيث لاطريق لى وصول الفهم فيهما الابهما (وغير ذلك) من العلوم (مما أفردناه) وذكرناه (فى المقدمات والمتممات من ضروب العلم الذى هو فرض كفاية) وقد ذكر الشهاب السمين فى مقدمة تفسيره ان أصح علوم القرآن وآكدها بعد تجويد ألفاظه بالتلاوة خمسة علوم علم الاعراب وعلم التصريف وعلم اللغة وعلم المعانى والبيان وهى متجاذبة شديدة الاتصال بعضها ببعض لايحصل للناظر فى بعضها كبير فائدة بدون الاطلاع على باقيها فان من عرف كون هذا فاعلا أو مفعولا أو مبتدأ مثلا ولم يعرف كيفية تصريفه ولا اشتقاقه ولا كيف موقعه من النظم لم يحل بطائل وكذا لو عرف موقعه من النظم ولم يعرف باقيها اه أقول وآكد هذه الخمسة أولا التصريف ثم الاعراب ثم اللغة ثم المعانى ثم البيان على هذا الترتيب (ولا يفهمن) فاهم (من غلونا) أى تجاوزنا (فى الثناء على علم الآخرة) وتحسينه بالاجمال تارة وبالتفصيل أخرى (تهجين هذه العلوم) التى ذكرت أى تشيينها والحط عليها (فالمتكفلون بالعلوم) التى ذكرت أى الحاملون لها (كالمتكفلين) أى المحافظين (للثغور) الاسلامية التى تحاذى الكفار (والمرابطين لها) ولما كانت هذه العلوم صارت الآن مقصودة بالذات سمى المغاربة طالب العلم مرابطا نظرا الى هذا المعنى وهو غريب (والغزاة) كلهم (مجاهدون فى سبيل الله) لاعلاء كلمة الله (ومنهم المقاتل) بنفسه (ومنهم الردء) أى العون لهم والمدد (ومنهم الذى يسقيهم الماء) ومنهم الذى يربط على جراحاتهم ويداويها (ومنهم الذى يحفظ دوابهم ويتعهدها) كيلا تنفر ومنهم الذى يحفظ أثاثهم وأمتعتهم وخيامهم كيلا يكسبها العدو (ولا ينفك واحد منهم عن أجر) وثواب من الله (اذا كان قصده) مصحوبا هو (اعلاء كلمة الله) عز وجل (دون حيازة الغنائم) ودون الرياء والسمعة ودون اظهار الشجاعة ليقال انه شجاع كما صرح بذلك الحديث الصحيح الذى تقدم ذكره (وكذلك العلماء) بمراتبهم ودرجاتهم يتفاوتون تفاوت الغزاة فى سبيل الله وبين تلك المراتب مسافات وغايات تنقطع دونها الاكباد

كيف الوصول الى سعاد ودونها * قلل الجبال ودونهن حتوف

(قال الله تعالى) فى كتابه العزيز فى سورة المجادلة (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) قال ابن عباس فى تفسيره فيما أخرجه ابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقى فى المدخل عنه قال يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات وعن ابن مسعود فيما أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه قال يرفع الله الذين آمنوا منكم وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات

(الوظيفة التاسعة) أن يكون قصد المتعلم فى الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفى المآل القرب من الله سبحانه والترقى الى جوار الملأ الاعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لامحالة الاقرب الى مقصده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغى له ان ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم أعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه فى المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التى هى فرض كفاية ولا تفهمن من غلونا فى الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين فى سبيل الله فمنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذى يسقيهم الماء ومنهم الذى يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك أحد منهم عن أجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات

واخرج

وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود أيضا قال ما خص الله العلماء في شئ من القرآن كما خصهم في هذه الآية فضل الله الذين آمنوا وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم (و) قال تعالى في سورة آل عمران أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير (هم درجات عند الله) والله بصير بما يعملون قال البيضاوى شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب أوهم ذو درجات اه وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن انه سئل عن هذه الآية فقال للناس درجات في أعمالهم في الخير والشر وأخرج ابن المنذر عن الضحاك هم درجات عند الله قال أهل الجنة بعضهم فوق بعض فيرى الذى فوق فضله على الذى أسفل منه ولا يرى الذى أسفل منه انه فضل عليه أحد (والفضيلة) بين هؤلاء (نسبية) اضافية (واستحقارنا) طائفة (الصيارفة) الذين ينقدون الدراهم والدنانير ويميزون بين جيدها ورديئها (عند قياسهم بالملوك) والامراء وأحوالهم (لا يدل على حقارتهم) ونقص منزلتهم (اذا قيسوا بالكناسين) والزبالين مثلا (ولا تظنن) في نفسك (ان ما نزل عن المرتبة القصوى) في الدرجة (ساقط القدر) والمنزلة مطلقا (بل الرتبة العليا) في معرفة الله سبحانه التى هى أشرف المعلومات (للانبياء) صلوات الله عليهم (ثم الاولياء) العارفين (ثم العلماء الراسخين) في علومهم (ثم الصالحين) من عباده (على تفاوت درجاتهم) بحسب اختلاف قربهم منه سبحانه وهذا السياق أعنى تقديم ذكر الاولياء على العلماء مر له في بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة واستشكلوه على المصنف وسئل عنه العز بن عبد السلام فأجاب بصحة العبارة بما تقدم اجماله وهو بطوله في كتاب تأييد الحقيقة العلية للحافظ السيوطى (وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) الذرة النملة الصغيرة وقيل الهباء قيل أراد بهما حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر انهما تؤثران في نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله أشتاتا قاله البيضاوى وهذه الآية هى الفاذة الجامعة كما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه وفي الدر المنثور للسيوطى أخرج ابن مردويه عن أبي أيوب الانصارى رضى الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه يأكلان اذ نزلت هذه السورة فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم يده عن الطعام ثم قال من عمل منكم خيرا فجزاؤه في الآخرة ومن عمل منكم شرا يره في الدنيا مصيبات وأمراضا ومن يكن فيه مثقال ذرة من خير دخل الجنة وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم دفع رجلا الى رجل يعلمه فعلمه حتى بلغ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره قال حسبى فقال النبى صلى الله عليه وسلم دعه فقد وفق (ومن قصد الله) عز وجل أى أراد السلوك الى معرفته (بالعلم أى علم كان) بشرط الاخلاص فيه (نفعه) في دنياه وآخرته (ورفعه) فيهما (لا محالة) البتة وهذا الفصل أيضا بتمامه في كتاب الذريعة ونصه العلم طريق الى الله تعالى ذو منازل قد وكل الله بكل منزل منها حفظة كحفظة الرباطات والثغور في طريق الحج والغزو فمن منازله معرفة اللغة التى عليها مبنى الشرع ثم حفظ كلام رب العزة ثم سماع الحديث ثم الفقه ثم علم الاخلاق والورع ثم علم المعاملات وما بين ذلك من الوسائط من معرفة أصول البراهين والادلة ولهذا قال تعالى هم درجات عند الله وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وكل واحد من هؤلاء الحفظة اذا عرف مقدار نفسه ومنزلته ودنا وفى حق ما هو بصدده فهو في جهاد يستوجب من الله لحفظ مكانه ثوابا على قدر عمله لكن قلما ينفك كل منزل منها من شرير في ذاته وشره في مكسبه وطالب في رياسته وجاهل معجب بنفسه بصير لاجل تنفق سلعته صارفا عن المنزل الذى فوق منزلته من العلم وعائبا له فلهذا ترى كثيرا ممن حصل في منزل من منازل العلوم دون الغاية عائبا لما فوقه وصارفا عنه من رآه فان قدر أن يصرف عنه الناس بشبهة من صرفه فعل من قال الله تعالى فيهم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الآية وما أرى من هذا صنعه الا من الذين وصفهم الله تعالى بقوله الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة * (الوظيفة التاسعة) * من

وقال تعالى هم درجات عند الله والفضيلة نسبية واستحقارنا للصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين فلا تظنن ان ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للانبياء ثم الاولياء ثم العلماء الراسخين في العلم ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن قصد الله تعالى بالعلم أى علم كان نفعه ورفعه لا محالة * (الوظيفة العاشرة) *

أن يعلم نسبة العلوم الى المقصد كيما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم مايهمك ولا يهمك الاشأنك فى الدنيا والآخرة واذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر مايجرى مجرى العيان فالاهم ما يبقى أبد الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الالقاء الله تعالى ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف فى هذا العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى سعادة لقاء الله سبحانه والنظر الى وجهه الكريم أعنى النظر الذى طلبه الانبياء وفهموه دون مايسبق الى فهم العوام والمتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو أن العبد الذى علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له ان حججت وأتممت وصلت الى العتق والملك جميعا وان ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك فى الطريق مانع ضرورى فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل * الاول تهيئة الاسباب بشراء الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة والثانى السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل والثالث الاشتغال باعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد الفراغ والنزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة

وظائف المتعلم التسعة (أن يعلم بنسبة العلوم) كلها (الى المقصد) الاعظم ويميز بين كل من ذلك (كيما يؤثر) أى يختار (الرفيع القريب على البعيد) الوضيع (والمهم) المقصود بالذات (على غيره ومعنى المهم) لغة (ما) يهمك أى يحزنك فيما نويته وأردته وعزمت عليه فى نفسك (ولا يهمك الاشأنك) الذى أنت فيه وعليه (فى الدنيا والآخرة) أى فيما يتعلق بهما ولذا أجاب الشافعى حين قال ما أفلح سمين قط الا محمد بن الحسن وسئل عن ذلك ان المرء لا يخلو اما أن يكون مهتما فى أمور دنياه أو فى أمور آخرته ولا خير فى غيرهما وهما لا يبقيان شحما هكذا ذكره غير واحد وأورده الخطيب فى تاريخه ولذا كان أصدق الاسماء همام والحرث (واذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة) لان ملاذ الدنيا زائلة فمن آثرها على نفسه حرم نعيم الآخرة فهما كالمتضادين لا يجتمعان بحسب الكمال فما نقص من الملاذ الدنيوية زيد له فى النعيم الاخروى ومن اختار النعيم الاخروى لم ينظر الى ملاذ الدنيا وهذه أغلبية والا فمنهم من يجمع الله له بينهما فهو سعيد الدنيا والآخرة كما ان منهم من يشقى فيهما جميعا فأحرق دنياه وآخرته (كما نطق به القرآن) فى غير ماموضع (وشهد له) أى لصدقه (من نور البصائر مايجرى مجرى العيان) والمشاهدة (فالاهم) فى الحقيقة (ما يبقى) نفعه (أبد الآباد) بلا نفاد (وعند ذلك تصير الدنيا) فى التشبيه والتمثيل (منزلا) نزله ليتجاوز الى غيره (و) هذا (البدن) الذى ركب فيه الروح (مركبا) يركبه ليوصله الى مراده (والاعمال) الصادرة منه (سعيا) يسعى بها (الى المقصد) الاعظم (ولا مقصد) فى الحقيقة (الالقاء الله تعالى) والفناء فيه دونه تقطع الاعناق ويضيق عن وصفه النطاق (ففيه النعيم كله) وما عداه زائل لا يعتد به (وان كان لا يعرف فى هذا العلم) كما ينبغى وفى نسخة فى هذا العالم قدره (الا الاقلون) وقليل ماهم (والعلوم بالاضافة) والنسبة (الى سعادة لقاء الله عزوجل) فى دار كرامته ورضوانه (والنظر الى وجهه الكريم) من غير حجاب (أعنى) أى أريد بالنظر (النظر الذى طلبه الانبياء) صلوات الله عليهم بما يليق بمقاماتهم العلية (وفهموه) ارشادا من الله الكريم وهى المعرفة الخاصة بعد الفحص (دون ماسبق الى فهم العوام والمتكلمين) قال بعضهم استعمال النظر فى البصر وهو تقليب الحدقة وتوجيهها الى المنظور اليه أكثر عند العامة وفى البصيرة أكثر عند الخاصة فنظر الخواص غير نظر العوام (على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال) أى بضرب مثال يوازنها ليكون أدخل فى الاذهان وأسرع الى معرفتها (وهو ان العبد) مثلا (الذى علق عتقه) من الرقبة (وتمكينه من الملك) بضم الميم (بالحج) متعلق بقوله علق (و) قد فسر ذلك بقوله (قيل له) أى لذلك العبد (ان حججت) بيت الله الحرام (وتممت) المناسك كلها أداء (وصلت الى العتق والملك جميعا) أى الى المقصدين العظيمين (وان ابتدأت) شرعت السفر (بطريق الحج والاستعداد له) باحضار الزاد والراحلة (وعاقك) أى منعك (فى الطريق مانع) وفى نسخة عائق وهو بمعناه (ضرورى) اضطرك الى ذلك (فلك العتق فقط و) هو (الخلاص من شقاء الرق) وتعبه (دون سعادة الملك) وبين السعادة والشقاء تضاد (فله) أى لهذا العبد المذكور (ثلاثة أصناف من الشغل) الشغل (الاول تهيئة الاسباب) والاستعداد لها (بشراء الناقة) أو مافى حكمها (وخرز الراوية) لحمل الماء أو شرائها مخروزة (واعداد الزاد) مايقوت به نفسه فى الطريق على قدر الحال فمجموع ماذكر أول أشغاله وتندرج فى تلك أشغال أخرى (والآخر) أى الشغل الثانى (السلوك) أى المشى (ومفارقة الوطن) والاهل والاصحاب (بالتوجه الى) سمت (الكعبة) المشرفة (منزلا بعد منزل) ومنهلا بعد منهل (الثالث الاشتغال باعمال الحج) جميعا (ركنا بعد ركن) على الترتيب المعروف (ثم بعد النزوع) أى الخروج والفراغ (عن هيئة الاحرام وطواف الوداع) وهو آخر أركان الحج وهل هو داخل فيه أم لا فيه خلاف يأتى بيانه فى ربع العبادات (استحق) الخلاص من الرق و (التعرض للملك والسلطنة) أى استحق

وله في كل مقام منازل من أوّل اعداد الاسباب الى آخره ومن أول سلوك البوادي الى آخره ومن أول أركان الحج الى آخره وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل هو أقرب منه

الوصول لهذين المقصدين (وله في كل مقام) من هذه المقامات (منازل) ومراتب (من أوّل اعداد الاسباب الى آخره) وذلك أوّل الشغل (ومن أوّل سلوك البوادي) والقفار (الى آخره) وهو الشغل الثاني (ومن أوّل أركان الحج الى آخرها) وهو الشغل الثالث (وليس قرب من ابتدا في أركان) وفي نسخة بأركان (الحج) وشرع في اتمام المناسك (من السعادة) الكبرى (كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة) وهو الشغل الاول (ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك) في الفيافي وهو الشغل الثاني (بل أقرب منه) لان تلك وسائل للوصول الى هذه المقاصد (فالعلوم أيضا ثلاثة أقسام قسم) أوّل من ذلك (يجري مجرى) أي يقوم مقام (اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة) كذا في سائر النسخ وكأنه عطف تفسير لما قبله (وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بصالح البدن في الدنيا) فان كلا من ذلك وسائل فعلم الطب به صلاح البدن الذي لا تقوم العبادات الا به وعلم الفقه فيه صلاح الظاهر من جهة التطهير وغيره (وقسم) ثان (يجري مجرى سلوك البوادي) جمع بادية وهي الصحراء (وقطع العقبات) وهي الثنايا بين الجبال (وهو تطهير الباطن) بالرياضات (عن كدورات الصفات) الذميمة (وطلوع تلك العقبات الشامخة) أي المرتفعة العالية (التي عجز عنها) اي عن رقيها (الاوّلون والآخرون الا الموفقون) الذين وفقهم الله تعالى لقطعها بلطف الهداية وخفي العناية في كل عصر لا يخلو منهم وقت ولا زمان (فهذا سلوك الطريق) الباطني والظاهر عنوان الباطن (وتحصيل علمه) أي علم تطهير الباطن (كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله) وشعابه ومناهله وأوديته وما توصل السالك وما تضله (وكما لا يغني علم المنازل) والمجاهل (و) علم (طرق البوادي) المضلة (دون سلوكها) وقطع رسومها فكذلك (لا يغني علم تهذيب الاخلاق) وتصفيتها من الرذائل (دون مباشرة التهذيب) بتدريب من المرشد الناصح اللبيب (لكن المباشرة) في أمر (دون العلم) به أوّلا (غير ممكن) ولذلك أجرى علم الطب والفقه مجرى اعداد الزاد والراحلة (وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج وأركانه) الذي هو المقصود لذاته من اعداد الزاد وقطع البوادي (وهو العلم بالله وصفاته وملائكته وأفعاله) وما في ذلك من الاسرار الغريبة والمشاهد العجيبة بل (وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وههنا) أيها السالك (نجاة) من الهلاك (وفوز بالسعادة) الابدية أي فالتنكير فيهما اشارة للتقليل (والنجاة حاصلة لكل سالك) في هذا (الطريق) بعد المباشرة (اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة) من الهلاك الابدي (وأما الفوز بالسعادة) الكبرى (ف) انه (لا يناله الا العارفون) المتمكنون في معرفتهم باعتبار المقامات وبحسب الدرجات (فهم المقربون) في حضرة الله جل جلاله وهم السابقون المشار اليهم بقوله والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم (المنعمون في جوار الله) وكنفه (بالروح) الاستراحة وقرئ بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وفسر أيضا بالحياة الدائمة وبالفرح من الغم والتعب (والريحان) الرزق والطيب وقيل ريحان الجنة (وجنة النعيم وأما الممنوعون دون ذروة الكمال) أي لم ينتهضوا الى تحصيله بالكلية فمنعوا من الوصول (فلهم النجاة والسلامة) من العذاب والمقت (كما قال تعالى فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة) ذات (نعيم) ثم ان المراد بالسابقين الذين ثبت لهم التقريب هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان أو سبقوا في حيازات الفضائل والكمالات أو هم الانبياء صلوات الله عليهم فانهم متقدمو أهل الاديان (وأما ان كان من أصحاب اليمين) أصحاب المنزلة السنية أو الذين يؤتون صحفهم بايمانهم (فسلام لك) يا صاحب اليمين أي نجاة لك (من أصحاب اليمين) من اخوانك وأصحاب

فالعلوم أيضا ثلاثة أقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بصالح البدن في الدنيا وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبة الشامخة التي عجز عنها الاوّلون والآخرون الا الموفقين فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها كذلك لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج وأركانه وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق اذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة وأما الفوز بالسعادة فلا يناله الا العارفون بالله تعالى وهم المقربون المنعمون في جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم وأما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله عز وجل فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين

وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض له أو انتهض الى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم واعلم ان هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعنى انهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هى أقوى وأجلى من مشاهدة الابصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من أخبر فصدق ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التى هى سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة ووراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك فى ذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذى يتوصل به الملبس والمطعم والمسكن

اليمين هم الذين أخبر الله عنهم فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة وفرش مرفوعة وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية قال تأتيه الملائكة من قبل الله تعالى وتسلم عليه وتخبره انه من أصحاب اليمين وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة بن النعمان رضى الله عنه قال سلام من عذاب الله وتسلم عليه ملائكة الله (وكل من لم يتوجه الى المقصد) نوع توجه (ولم ينتهض له) بكليته ووسع رجائيته (أو انتهض الى جهته) بكليته لكن (لا على قصد الامتثال والعبودية) وهو الانقياد والتذلل لاوامر الله تعالى (بل لغرض عاجل) وعلة دنيوية (فهو من أصحاب الشمال) الذين هم مشائيم على أنفسهم بمعصيتهم منزلته خسيسة بل (ومن) المكذبين (الضالين) الذين ضل سعيهم (فله نزل) وهو مايقدم بين يدى الضيف (من حميم) ماء حار يكلف بشربه لايقدر على اساغته (وتصلية جحيم) أى ادخال فى جحيم النار وأخرج أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة رضى الله عنها انا لنكره الموت فقال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شئ أحب اليه مما امامه وأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شئ أكره عليه مما امامه وكره لقاء الله وكره الله لقاءه وأخرج ابن مردويه والديلمى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن ميت يموت الا وهو يعرف غاسله ويناشد حامله ان كان بخير فروح وريحان وجنة نعيم أن يعجله وان كان بشر فنزل من حميم وتصلية جحيم أن يحبسه (واعلم أن هذا) قد بين المشار اليه فيما بعد بقوله أعنى الخ (هو حق اليقين) وهو مأخوذ من قوله تعالى ان هذا لهو حق اليقين أى المذكور فى السورة لهو حق الخبر اليقين وعن ابن عباس ان هذا أى ماقصصناه عليك فى هذه السورة لحق اليقين (أعنى انهم أدركوه بمشاهدة) ومطالعة (من) أنوار (الباطن) بعد تصفيته وهو (أقوى وأجلى) أى أكثر جلاء عند أهل الاعتبار (من مشاهدة الابصار) ومطالعتها (وترقوا فيه) على قدر هممهم على مراتب علياء ووسطى (عن حد التقليد) المحض (بمجرد السماع) من غير تلعثم ولاتوان وهذا من افاضة الحق سبحانه عليهم حيث أهلهم لوصول هذا المقام (وحالهم) عند التحقيق (حال من أخبر) عن الشئ مثلا (فصدق) أولا (ثم شاهد) بعين بصيرته (فحقق) بفحواه وانصبغ بمعناه وكم بين التخلق التقليدى والتحقق الشهودى واليه أشار بقوله (وحال غيرهم) من السالكين (حال من قبل) الحكم مثلا (بحسن التصديق والايمان) كأنه أراد بذلك الاذعان لما صدقه اشارة الى ماذكره السعد فى شرح العقائد انه ليس حقيقة التصديق تصديق حكم الخبر أو المخبر بل الاذعان لذلك كما سيأتى البحث فى ذلك عند ذكر الايمان والاسلام (ولم يحظ بالمشاهدة والعيان) أى لم يحط بهذا المقام بتخصيص من الله المنان اذ الله يختص برحمته من يشاء (والسعادة) الكبرى والنيل بها (وراء علم المكاشفة) وتحصيله (وعلم المكاشفة) عند أهل السلوك (وراء علم) (المعاملة التى هى سلوك طريق الآخرة) قيده بذلك لئلا يتوهم من المعاملة ماهو المشهور بين الناس من سلوك الطرق التى عليها مدار أمور الدنيا (وقطع عقبات الصفات) بمراتبها (وسلوك طريق محق) وفى نسخة محو (الصفات المذمومة ووراء) تحصيل (علم الصفات وعلم طريق المعالجة) لازاحة تلك الصفات المذمومة (وكيفية السلوك) والتحلى به بعد ذلك التخلى (وذلك) أى معرفة ماذكر (وراء علم) أى معرفة ما به (سلامة البدن ومساعدة أسباب) تحصل بها (الصحة) للمزاج (وسلامة البدن) من الآفات المانعة على أنواعها (بالاجتماع والتعاون الذى يتوصل به الى) تحصيل (الملبس والمطعم والمسكن) وقدم الملبس الذى به ستر العورات على المطعم لشدة الاحتياج اليه فى حال الاجتماع ومابعده على

المسكن لانه به قوام البدن والمشرب داخل فيه لكونه من لوازمه غالبا (وهو منوط بالسلطان) الاعظم أو من ينوب منابه (وقانونه) الشرعى والعرفى (فى ضبطه) أحوال (الناس) على اختلافها (على نهج العدل) والاستقامة (والسياسة) الشرعية التى بها يحصل انتظام أمر الملك والرعية (فى ناحية الفقيه) فانه الذى يعرفهم بقوانينها (وأما أسباب الصحة ففى ناحية الطبيب) فهو الذى يعرفهم بقوانين ذلك من تشخيص أمراض ومعرفة العلل وازالتها بالادوية (ومن قال) فى تفسير القول المشهور الدائر على الالسنة (العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان) والمشهور انه حديث الا أنه موضوع كما فى الخلاصة نقله منلا على فى موضوعاته والصحيح انه من قول الامام الشافعى نقله غير واحد (وأشار) بالجملة الاخيرة (الى) علم (الفقه) انما (أراد به العلوم الظاهرة الشائعة) فى المدارس المبوّبة فى المصنفات من السلم والظهار والاجارة والكفارات وغيرهما (لا العلوم العزيزة الباطنة) مما يؤول نفعها فى تصفية القلب وسلوك طريق الآخرة (فان قلت لم شبهت علم الفقه والطب باعداد الزاد والراحلة) تحرير السؤال حيث ذكرت ان العلم بأنواعه منحصر فى الاثنين فدل مقتضاه على انهما أشرف العلوم وأساسها فما السر فى تشبيههما فى أوّل كلامك باعداد الزاد والراحلة فان ما كان مشبها به جدير أن يكون غير مقصود للذات (فاعلم أن الساعى) فى سلوكه باجتهاده (الى) الوصول لمعرفة (الله) جل وعز (لينال) بذلك (قربه هو القلب) خاصة (دون البدن) كما يرى فى الظاهر (ولست أعنى بالقلب) الساعى (اللحم) الصنوبرى (المحسوس) المشاهد (بل) هو (سر من أسرار الله تعالى) غامض (لا يدركه الحس) لقصوره عن ادراكه (ولطيفة من لطائفه) المعنوية لا تعتورها الافهام الا بعد التوقيف من مرشد كامل (وتارة يعبر عنه بالروح) الانسانى وبه فسر قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وهذا هو الظاهر فى تفسيره وقيل العقل وأنكره الراغب وتحقيق المقام ان القلب لغة التصريف سمى به لكثرة تقلبه ويعبر به عن المعانى التى تختص به والروح والعلم والشجاعة فمن الاول قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر ومن الثانى قوله تعالى لمن كان له قلب أى علم وفهم ومن الثالث قوله تعالى ولتطمئن به قلوبكم أى تثبت به شجاعتكم (وأخرى) يعبر (بالنفس المطمئنة) أى الساكنة لما علمت من رضا ربها بامتثال أمره واجتناب نهيه والانفس ثلاثة أمارة ولوّامة ومطمئنة وأعلاها الثالثة وأدناها الاولى وسيأتى التفصيل فى ذلك عند ذكر النفوس (والشرع يعبر عنه بالقلب) لنكتة خاصة وهى (لانه المطية الاولى لذلك السر) الذى لا يدركه الحس (وبواسطته صار جميع البدن مطية) لسريان سره فيه (وآلة لتلك اللطيفة) يتوصل الى معرفتها بسببه (وكشف الغطاء) باللسان (عن ذلك السر) الغامض (من) جملة (علم المكاشفة وهو مضنون به) أى مبخول به فى الذكر (بل لا رخصة فى ذكره) وقد روى عن الحسن عن حذيفة سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن علم الباطن ما هو فقال سألت جبريل عنه فقال عن الله هو سر بينى وبين أحبائى وأوليائى وأصفيائى أودعه فى قلوبهم لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبى مرسل وقد تكلم فى سماع الحسن عن حذيفة وحكم على هذا الحديث بالوضع (وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز) أراد بالجوهر المعنى اللغوى لمناسبة ما بعده لا المعنى الذى ذكره الحكماء هو انه ماهية اذا كانت فى الاعيان كانت لا فى موضوع وحصروه فى خمسة هيولى وصورة وجسم ونفس وعقل (أشرف من هذه الاجرام) أى المشاهدة والاجرام الاجساد وقد يطلق الجرم على اللون أيضا كقولهم نجاسة لا جرم لها (وانما هو أمر الهى كما قال تعالى) فى سورة بنى اسرائيل (ويسألونك عن الروح) قال البيضاوى أى الروح الذى يحيا به بدن الانسان وتدبره (قل الروح من أمر ربى) من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة تولد من أصل كأعضاء جسده أو وجد بأمره وحدث بتكوينه عن السؤال من قدمه وحدوثه وقيل مما استأثر الله بعلمه لما روى ان اليهود قالوا لقريش

وهو منوط بالسلطان وقانونه فى ضبط الناس على منهج العدل والسياسة فى ناحية الفقيه وأما أسباب الصحة ففى ناحية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان وأشار به الى الفقه أراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة (فان قلت) لم شبهت علم الطب والفقه باعداد الزاد والراحلة فاعلم ان الساعى الى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ولست أعنى بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا رخصة فى ذكره وغاية المأذون فيه ان يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من هذه الاجرام المرئية وانما هو أمر الهى كما قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى

سألوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان أجاب عنها أو سكت فليس بنبى وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم قصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التوراة وقيل الروح جبريل وقيل خلق أعظم من الملك وقيل القرآن ومن أمره معناه من وحيه اهـ وقال ابن الكمال الروح الانسانى اللطيفة العالمة المدركة من الانسان الراكبة على الروح الحيوانى نازل من عالم الامر تعجز العقول عن ادراك كنهه وتلك الروح قد تكون مجردة وقد تكون منطبعة على البدن وأما الروح الحيوانى فجسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسمانى وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر أجساد البدن والروح الاعظم الذى هو الروح الانسانى مظهر الذات الالهية من حيث ربوبيتها ولذلك لايمكن أن يحوم حولها حائم ولا يروم وصالها رائم لايعلم كنهها الاالله ولا ينال هذه البغية سواه وهو العقل الاول والحقيقة المحمدية والنفس الواحدة والحقيقة الاسمائية وهو أول موجود خلقه الله تعالى على صورته وهو الخليفة الاكبر وهو الجرم النورانى جوهر يته مظهر للذات النورانية وسمى باعتبار الجوهرية نفسا واحدة وباعتبار النورانية عقلا أولا وكما ان له مظاهر وأسماء من العقل الاول والعلم الاعلى والنور والنفس الكلية واللوح المحفوظ وغير ذلك له فى العالم الصغير الانسانى مظاهر بحسب ظهوراته ومراتبه فى اصطلاح أهل الله وهى السر والخفاء والروح والقلب والكلمة والفؤاد والصدر والعقل والنفس فتأمل ذلك ترشد (و) ان قال قائل (كل المخلوقات منسوبة الى الله تعالى) فما وجه تخصيصه بالاضافة اليه فأجاب بقوله (ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن) فالاضافة هنا تشريفية كما يقال بيت الله وناقة الله (ولله) عزوجل (الخلق والامر جميعا) لايشاركه أحد فيهما سبحانه وتعالى قال تعالى ألاله الخلق والامر أى فانه الموجد والمتصرف خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال ثم أنشأ المواليد الثلاثة بتركيب موادها أولا وتصويرها ثانيا ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالى والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقدير ونتيجته فقال ألاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين (والامر أعلى من الخلق) نظرا الى ماذكرنا (وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لامانة الله تعالى) قيل هى كلمة التوحيد وقيل العقل وقيل الطاعة قاله الحسن وقيل العبادة وقيل حروف التهجى وقيل غيرذلك (المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والارض والجبال اذ أبين) أى امتنعن (أن يحملنها) لثقلها (وأشفقن منها) أى خفن بمهابة (من عالم الامر) ولذا أضيف الى الله تعالى (ولايفهم من هذا) الذى أوردناه (تعريضا) وتلويحا (بقدمه) أى الروح نظرا الى كونه من أمر الرب (فالقائل بقدم الارواح) كالفلاسفة ومن على قدمهم (مغرور) فى زعمه (جاهل) فيما بيديه (لايدرى مايقول) ولايميز خطأه من صوابه ولما أطال فى بحث هذه المسئلة أداه تحقيقها الى الخروج عن أصل كلامه الذى أبداه فأشار لذلك وقال (ولنقبض عنان البنان) أى نمسك (عن) التوغل فى (هذا الفن) الذى هو الكلام (فهو وراء مانحن بصدده) أى طلبه وبيانه (والمقصود) من ذلك كله (ان هذه اللطيفة) الحاملة لامانة ربها (هى الساعية الى قرب الرب) عزوجل (لانه من أمر الرب) تعالى (فمنه مصدره واليه مرجعه) ومآله (وأما البدن فطيته التى تركبها) فى قطع بوادى السلوك (وتسعى بواسطتها) الى ملك الملوك (فالبدن لها) أى للروح (فى) سلوك (طريق الله) عزوجل (كالناقة) مثلا (للبدن فى طريق الحج أو كالراوية الحاوية) أى الحاملة وفى نسخة الخازنة (للماء الذى يفتقر) أى يحتاج (اليه البدن) فى حفظ صحته (فكل علم مقصده) الاعظم (صحة) وفى نسخة مصلحة (البدن فهو من جملة مصالح) تلك (المطية) المذكورة (ولا

وكل المخلوقات منسوبة الى الله تعالى ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن فلله الخلق والامر جميعا والامر أعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لامانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والارضين والجبال اذ أبين أن يحملنها وأشفقن منها من عالم الامر ولايفهم من هذا انه تعريض بقدمها فان القائل بقدم الارواح مغرور جاهل لايدرى مايقول فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء مانحن بصدده والمقصود أن هذه اللطيفة هى الساعية الى قرب الرب لانها من أمر الرب فمنه مصدرها واليه مرجعها وأما البدن فطيتها التى تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها فى طريق الله تعالى كالناقة للبدن فى طريق الحج وكالراوية الخازنة للماء الذى يفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا

يخفى ان) علم (الطب كذلك فانه يحتاج اليه) أحيانا (في حفظ الصحة على البدن) اذا خالف المزاج (ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه) في حفظ الصحة (و) علم (الفقه يفارقه في انه لو كان الانسان وحده) مثلا (ربما كان يستغني عنه) ولا يحتاج اليه (ولكنه) أي الانسان (خلق) مدني الطبع (على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده) لابد من افتقاره الى الغير (اذ) من المعلوم البين انه (لا يستقل) أي لا ينفرد بنفسه (بالسعي) والاهتمام (في تحصيل طعامه) الذي يتناوله (بالحراثة والزرع والخبز والطبخ) فافتقر الى أكار وزراع وخباز وطباخ وكأنه أراد بالحراثة حفر الارض وتهيئتها للزرع فلذلك قلنا الى أكار والا فهي والزرع من واد واحد (وفي تحصيل الملبس والمسكن) الذي يأوي اليه (وفي) تحصيل (اعداد آلات ذلك كله) فلحفر الارض آلات من حديد فاحتاج الى الحداد ومن خشب كالجبان ونحوه فاحتاج الى نجار وللطبخ آلات متعددة أعظمها الاواني ان كانت من طين فالى فخار أو من نحاس فالى نحاس وآلات الملبس والمسكن كثيرة ويندرج بعضها في بعض (فاضطر) قطعا (الى المخالطة) مع الناس (والاستعانة) في أموره بهم وهذا البحث قد أورده صاحب الذريعة في الفصل السادس منه فقال لما صعب على كل أحد أن يحصل لنفسه أدنى ما يحتاج اليه الا بمعاونة عدة له فلقمة طعام لو عددنا عدد تحصيلها من الزرع والطحن والخبز وصناع آلاتها لصعب حصره فلذلك احتاج الناس أن يجتمعوا فرقة متظاهرين ولاجل ذلك قيل الانسان مدني بالطبع لا يمكنه التفرد عن الجماعة لعيشه بل يفتقر بعضهم الى بعض في مصالح الدين والدنيا وعلى ذلك نبه عليه السلام بقوله المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا وقوله مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد اذا تألم بعضه تداعى سائره وقيل الناس كجسد واحد متى عاون بعضه بعضا استقل ومتى خذل بعضه بعضا اختل اه (ومهما اختلط الناس) بعضهم ببعض على اختلاف مراتبهم (وثارت) أي هاجت (شهواتهم) التي جبلوا عليها (تجاذبوا أسباب الشهوات) وتعاوروها بمقتضى بشريتهم من ترفع وتكبر وتحاسد (وتنازعوا) لذلك وتخاصموا بل (وتقاتلوا) بالاسلحة (وحصل من قتالهم) مع بعضهم (هلاكهم) بزهاق الارواح من الاجساد (بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط) الاربعة (من داخل) أي من داخل البدن (وبالطب) أي بمعرفته (يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنازعة من داخل) البدن (وبالسياسة والعدل) أي بمعرفتهما (يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طريق اعتدال الاخلاط) وجريها على نهج الصحة (طب) اصطلاحا (وعلم طريق اعتدال أحوال الناس) بتباينها (في المعاملات) الدنيوية (والافعال) الصادرة منهم (فقه) اذ به حراستهم عن الوقوع فيما لا ينبغي (وكل ذلك لحفظ البدن) اما من داخل أو من خارج (الذي هو مطية للوصول في السير (فالمتجرد) بهمته (لعلم الفقه أو الطب اذا لم يجاهد نفسه) بالرياضات الشاقة (ولم يصلح قلبه) باخلائه عما سوى الله تعالى (كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها) وما تحتاج اليه (وشراء الراوية وخرزها) ودهنها (اذا لم يسلك بادية الحج) بنفسه (و) مثل (المستغرق عمره) الباذل جهده (في) تحصيل (دقائق الكلمات) ونكاتها ومشكلاتها (التي تجري في مجادلات الفقه) ومباحثاته (كالمستغرق عمره في دقائق الاسباب التي بها تستحكم الخيوط) والسيور (التي) بها (تخرز) أي تخاط (راوية الحج ونسبة هؤلاء) أي المشتغلين بالفقه (من السالك لطريق اصلاح القلب) بالرياضات الشرعية (والواصل الى علم المكاشفة) في منتهى سيره (كنسبة أولئك) أي المشتغلين بشراء الناقة والراوية (الى سالكي طريق الحج أو ملابسي أركانه) الاول بالنسبة لى اصلاح القلب والثاني بالنسبة الى علم المكاشفة (فتأمل) بفكرك الصحيح (هذا أولا) مع قطع النظر عن الحال التي درج عليها مشايخك ولا تقل انا وجدنا آباءنا هكذا وانا على آثارهم مقتدون (واقبل النصيحة) الخالصة (مجانا) بلا عوض (ممن) أي من مرشد مخلص مجرب (قام

يخفى ان الطب كذلك فانه قد يحتاج اليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه في انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي وحده في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والخبز والطبخ وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي اعداد آلات ذلك كله فاضطر الى المخالطة والاستعانة ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طريق اعتدال الاخلاط طب وعلم طريق اعتدال أحوال الناس في المعاملات والافعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه أو الطب اذا لم يجاهد نفسه ولا يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره في دقائق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الاسباب التي بها تستحكم الخيوط التي تخرز بها راوية الحج ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق اصلاح القلب الموصل الى علم المكاشفة كنسبة أولئك الى سالكي طريق الحج أو ملابسي أركانه فتأمل هذا أولا واقبل النصيحة مجانا ممن قام

عليه) أى على وجدانه وفى نسخة قامت عليه (غالبا) على نفسه (ولم يصل اليه الابعد جهد شديد) ومعاناة الامور (وجراءة تامة) أى اقدام كامل (على مباينة الخلق) من (الخاصة والعامة فى النزوع) أى الاقلاع (من تقليدهم) المحض (بمجرد الشهوة) النفسية وهذا فى زمانه والشريعة رطبة غضة والدين غاص باركانه واعلامه فما بالك فى زماننا الآن والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (فهذا القدر) الذى حررناه (كاف فى وظائف المتعلم) لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وقد ترك المصنف وظيفة عاشرة من وظائف المتعلم ذكرها صاحب الذريعة وهى انه يجب أن لا يخوض فى فن حتى يتناول من الفن الذى قبله على الترتيب بلغته ويقضى منه حاجته فازدحام العلم فى السمع مضلة الفهم وعلى هذا قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أى لا يتجاوزون فنا حتى يحكموه علما وعملا فيجب أن يقدم الاهم فالاهم من غير اخلال فى الترتيب وكثير من الناس منعوا الوصول لتركهم الاصول وحقه أن يكون قصده من كل علم يتحراه التبلغ به الى ما فوقه حتى يبلغ النهاية ثم شرع فى بيان وظائف المعلم فقال

(بيان وظائف المعلم المرشد)

وفى بعض النسخ بتقديم المرشد على المعلم وفى أخرى بواو العطف وانما وصفه بالمرشد لان القصد من التعليم فى الحقيقة هو الارشاد فى سبيل الله تعالى ومتى فارقه لم ينفعه وذهب نصبه مجانا وقد يكون المراد بالمعلم لطريق الظاهر وبالمرشد لطريق الباطن وجمع بينهما ليعم جميع أنواع التعليم (اعلم أن للانسان فى علمه) اذا أراد تحصيله ونص الذريعة فى استفادة العلم وافادته (أربعة أحوال) لا يخلو منها (كما له فى اقتناء الاموال) وتحصيلها أربعة أحوال أيضا (اذ لصاحب المال حالة استفادة) من أى وجه كان (فيكون) بها (مكتسبا و) له أيضا (حال ادخار) وجمع (لما اكتسبه) وحصله (فيكون به غنيا عن السؤال) أى يحصل له بذلك حالة عفة عن التطلع الى الغير (وحال انفاق على نفسه) بصرفه فيما يحتاج اليه من مطعم ومشرب وملبس ومنكوح ومسكن ومركوب (فيكون به منتفعا) قاصرا ذلك على نفسه وفى معناه اذا انفق على عياله فيما يحتاجون اليه لانهم فى الحقيقة بمنزلة نفس الانسان (وحال بذل لغيره) من المستحقين وذوى الحاجات ونص الذريعة وحال افادته غيره (فيكون به سخيا متفضلا) والسخاء اعطاء ما ينبغى لما ينبغى وتحته أنواع والتفضل هو التطوع زاد المصنف (وهو أشرف أحواله) وأكملها وأجلها التعدى نفعه الى الغير قاله صاحب الذريعة (فكذلك العلم يقتنى) ويجمع (كالمال فله) أى للعلم أربعة أحوال أيضا (حال طلب واكتساب) من هنا ومن هنا (وحال تحصيل) وادخار (يغنى عن السؤال) والالتفات الى الغير (وحال استبصار) واستنارة (وهو التفكر) والتدبر (فى المحصل) أى فيما حصله (والتمتع) أى الانتفاع (به وحال تبصير) لغيره وهو التعليم وهو بمنزلة انفاق المال للغير (وهو أشرف الاحوال) وأكملها التعدى نفعه اما شرف العلم فظاهر بما سبق واما شرف العمل فان العلم انما يراد له فانه بمنزلة الدليل للسائر فاذا لم يسر خلف الدليل لم ينتفع بدلالته فنزل منزلته من لم يعلم شيأ كما ان من ملك ذهبا وفضة وجاع وعرى ولم يشتر منهما ما يأكل ويلبس فهو بمنزلة الفقير العادم كما قيل

ومن ترك الانفاق عند احتياجه * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

فاذا ثبت للمرء العلم والعمل وهما شريفان فالتعليم أشرف كما قال وقد أشار الى مقام التحصيل والتمتع والتبصير بقوله (فمن علم) أى حصل العلم باكتسابه (وعمل) أى انتفع به بعد تحصيله (وعلم) أى انفقه على غيره (فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السماء) وهذا قد تقدم للمصنف فى باب فضيلة التعليم وعزاه الى سيدنا عيسى عليه السلام وذكرنا هنالك أن العراقى لم يخرجه ولم يشر اليه وقد أخرجه أبو خيثمة زهير ابن حرب فى كتاب العلم من طريق عبد العزيز بن ظبيان قال قال المسيح عيسى بن مريم من تعلم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيما فى ملكوت السماء (فانه كالشمس) المنيرة (تضىء لغيرها) بأنوارها (وهى مضيئة

فى

عليه ذلك غالبا ولم يصل اليه الابعد جهد جهيد وجراءة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة فى النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف فى وظائف المتعلم

(بيان وظائف المرشد المعلم)

اعلم أن للانسان فى علمه أربعة أحوال كحاله فى اقتناء الاموال اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال انفاق على نفسه فيكون منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو أشرف أحواله فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغنى عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر فى المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو أشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السموات فانه كالشمس تضىء لغيرها وهى مضيئة

في نفسها) وقد كثر تشبيه العلماء العاملين المفيدين بالشمس و بالقمر في كلامهم وسياقاتهم نظما ونثرا (وكالمسك) أيضا وهو طيب معروف وقد ورد أطيب الطيب المسك (الذي يطيب) غيره بمجرد المجاورة ولو لم يلامسه (وهو طيب) في نفسه واقتصر في تشبيهه لهم بالشمس والمسك لكون كل منهما أشرف في جنسه وأعم نفعا فالشمس أشرف الاجرام العلوية ونفعها بين والمسك أشرف الارواح الطيبة ومنافعه مشهورة واما تضرر بعضهم منه فلضعف المزاج ونص الذريعة ومن أصاب مالا فانتفع به ونفع مستحقيه كان كالشمس تضيء غيرها وهي مضيئة والمسك الذي يطيب وهو طيب وهذا أشرف المنازل ثم بعده من استفاد علما فاستبصر به (والذي يعلم) أي يحصل العلم (ولا يعمل به) فانه (كالدفتر) كجعفر وحكى كسر الدال عن الفراء وحكاه كراع عن اللحياني وهو عربي صحيح كما في المصباح فيلحق بنظائر درهم وهو جماعة الصحف المضمومة وقال الجوهري واحد الدفاتر وهي الكراريس وفي القاموس جماعة الصحف المضمومة وقال ابن دريد ولا يعرف له اشتقاق و بعض العرب يقول تفتر بالتاء على البدل وقيل هو جريدة الحساب ونص الذريعة فاما من أفاد غيره علمه ولم ينتفع هو به كالدفتر (الذي يفيد غيره) بالمطالعة فيه والاستفادة منه (وهو خال عن العلم) بنفسه ونص الذريعة يفيد غيره الحكمة وهو عادمها ثم قال وهو أيضا (مثل المسن) بكسر الميم حجر معروف يسن عليه الحديد جمعه مسان (الذي يشحذ) أي يسن (غيره) من الحديد (ولا يقطع) بنفسه ولذلك قيل

فما أنت الا كشبه المسن * يسن الحديد ولا يقطع

(و) هو أيضا مثل (الابرة) وهي المخيط (التي تكسو غيرها) بعملها (وهي عارية) دائما ونص الذريعة وكالمغزل يكسو ولا يكتسي ثم قال (و) هو أيضا مثل (ذبالة المصباح) بالضم أي فتيلته وفي معناه ذبالة الشمع (تضيء لغيرها) بأنوارها (وهي تحترق) بنفسها من غير فائدة لها (كما قيل) في معناه (ماهي الاذبالة وقدت) وفي مختصر الاصل للمراغي

صرت كأني ذبالة نصبت * (تضيء للناس وهي تحترق)

وقد أخرج الطبراني في الكبير وابن ماجه والضياء المقدسي في المختارة من حديث جندب رضي الله عنه رفعه مثل العالم الذي يعلم الناس الخير و ينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس و يحرق نفسه وأخرج الطبراني أيضا والبزار عن أبي برزة الاسلمي بسند فيه ضعف مثل الذي يعلم الناس الخير و ينسى نفسه مثل الفتيلة التي تضيء للناس وتحرق نفسها وقد ترك المصنف قسما ثالثا ذكره صاحب الذريعة وهو من استفاد علما ولم ينتفع به هو ولا غيره فانه كالنخل يشرع شوكا لا يذود به عن جله كف جار ولا منتهب (ومهما اشتغل بالتعليم) بعد تهذيب نفسه بالعلم (فقد تقلد أمرا عظيما) أي تحمل أمرا يعظم وقعه في النفوس (وخطرا جسيما) الخطر بالتحريك في الاصل السبق يتراهن عليه ثم استعير للشرف والمزية وقدر الرجل و يقال هو على خطر عظيم أي اشراف على الهلاك والجمع الاخطار (فليحفظ آدابه) اللازمة له (و) يستعمل (وظائفه) التي نذكرها هنا *(الوظيفة الاولى)* من الوظائف السبعة (الشفقة على المتعلمين) بصرف الهمة الى ازالة المكروه عنهم (وانه يجريهم مجرى بنيه) في تلك الشفقة (قال صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم مثل الوالد) قال العراقي أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة اه قلت ونص أبي داود في سننه في باب كراهة استقبال القبلة عند الحاجة حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي حدثنا ابن المبارك عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فاذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه وكان يأمر بثلاثة أحجار و ينهى عن الروث والرمة قال الحافظ المنذري في مختصره وأخرجه أيضا مسلم مختصرا والنسائي وابن ماجه تاما اه قلت قال السيوطي في جامعه أخرجه الامام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان أي كلهم في الطهارة عن أبي هريرة قال المناوي وفيه محمد بن عجلان وفيه كلام اه قلت وفي

في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق كما قيل

ماهو الاذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه و وظائفه *(الوظيفة الاولى)* الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنا لكم مثل الوالد

ولده بأن يقصد انقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من انقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية ولولا المعلم لانساق ماحصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدائمة أعني معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه وكما ان حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون الا كذلك ان كان مقصدهم الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء

ترتيب الكامل لابن عدى للحافظ أبي طاهر المقدسي رواه معدان بن عيسى عن محمد بن عجلان عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة ومعدان هذا قال ابن عدى لا أعرفه حدث عن محمد بن عجلان بأحاديث الكثار حدثناعنه أبو عيسى الدارمي محمد بن غسان بن خالد ولا أعلم حدث عنه غيره وهذه أحاديث صفوان بن عيسى عن محمد فحدثنا بها أبو عيسى قال حدثنا معدان ولم يتهيأ له أن يذكر صفوان بن عيسى لانه لم يلحق أيامه فقال معدان بن عيسى اهـ قال المناوى فى شرح هذا الحديث انما أنا لكم أى لاجلكم بمنزلة الوالد فى الشفقة والحنو لا فى الرتبة والعلو فعلى تعليم مالا بدمنه فكما يعلم ولده الاب فانا أعلمكم مالكم وماعليكم وقدم هذا امام المقصود اعلاما بانه يجب عليه تعليمهم أمر دينهم كما يلزم الوالد وايناسا للمخاطبين لئلا يحتشموا عن السؤال عما يعرض لهم ومما يستحيا منه اهـ وقوله (ولده) ليس فى سياق النسائى وابن حبان كذا قاله العراقى قلت وكذا ليس فى سياق أبى داود (بان يقصد انقاذهم) أى تخليصهم (من) عذاب (نار الآخرة وهو أهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا) أى من مشاقها (ولذلك صار حق المعلم) لطريق الخير (أعظم من حق الوالدين) اذا تعارضا (فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية) وهما يضمحلان (والعلم سبب الحياة الباقية) الابدية (ولولا المعلم لانساق ماحصل من جهة الاب) وفى نسخة من جهة الوالدين (الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدائمة) والسبب الاكبر للانعام عليه بتلك الحياة والخلود فى دار النعيم فأبو الافادة أقوى من أبى الولادة وهو الذى أنقذه الله به من ظلمة الجهل الى نور الايمان وقال ابن الحاج فى المدخل أمة النبى صلى الله عليه وسلم فى الحقيقة أولاده لانه السبب للانعام عليهم بالنعمة السرمدية فحقه أعظم من حقوق الوالدين قال عليه الصلاة والسلام ابدأ بنفسك فقدم نفسه على غيره والله قدمه فى كتابه على نفس كل مؤمن ومعناه اذا تعارض حقان حق لنفسه وحق لنبيه فآكدهما وأوجبهما حق النبى صلى الله عليه وسلم ثم يجعل حق نفسه تبعا للحق الاول واذا تأملت الامر فى الشاهد وجدت نفع المصطفى صلى الله عليه وسلم أعظم من نفع الآباء والامهات وجميع الخلق فانه أنقذك وأنقذ آباءك من النار وغاية أمر أبويك انهما أوجداك فى الحس فكانا سببا لاخراجك الى دار التكليف والبلاء والمحن اهـ ويلحق به صلى الله عليه وسلم كل معلم لطريقته على وجه الارشاد والاصلاح والهداية وبهذا التقرير يظهر لك سر كلام المصنف وبدؤه بحديث أبى هريرة فتأمل ذلك ترشد وعبارة الذريعة حق المعلم أن يجرى متعلميه مجرى بنيه فانه فى الحقيقة لهم أشرف الابوين كما قال الاسكندر وقد سئل عن ذلك أمعلمك أكرم عليك أم أبوك فقال معلمى لانه سبب حياتى الباقية ووالدى سبب حياتى الفانية وقد نبه النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله انما أنا لكم مثل الوالد فحق معلم الفضيلة أن يقتدى بالنبى صلى الله عليه وسلم اذ هو فى ارشاد الناس خليفة ويشفق عليهم اشفاقه ويتحنن عليهم تحننه كما قال الله تعالى فى وصفه عليه السلام حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم اهـ (أعنى) بذلك (معلم علوم الآخرة) على وجه الارشاد والتربية والتسليك على طريقته صلى الله عليه وسلم اذ العلماء ورثة الانبياء فهم فى مقام ارشاد الامة (أو) معلم (علوم الدنيا على قصد) الوصول الى ماينفع فى (الآخرة لا على قصد) الوصول الى حصول أمور (الدنيا فأما التعليم) والتعلم (على قصد) تحصيل حطام (الدنيا) والتمكن فى زينتها والتفاخر بها فى الملابس والمآكل والمراكب (فهو هلاك) فى نفسه (واهلاك) لغيره (نعوذ بالله منه) آمين (وكما ان حق أبناء الرجل الواحد) من الاب والام (أن يتحابوا) بالالفة المعنوية (ويتعاونوا على المقاصد) غير متحاسدين (فحق تلامذة الرجل الواحد) جمع تلميذ وهو المتعلم (التحاب) مع البعض (والتواد) (ولا يكون) الحال (الا كذلك ان كان مقصودهم) من اجتماعهم على الشيخ الاستفادة والاهتداء الى طريق (الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض) وقطع الاعراض والاعراض مع المفاخرة (ان كان مقصدهم) طلب (الدنيا فان العلماء) بالله تعالى

(وأبناء الآخرة مسافرون) على مطاياهممهم (الى الله تعالى وسالكون اليه الطريق) على تباين مراتبهم فى سلوكهم قوة وضعفا (من الدنيا وسنوها) جمع سنة (وشهورها) وجمعها (منازل الطريق) بمثابة منازل الحج المعلومة (والترافق فى الطريق) بمقتضى الرفيق قبل الطريق (بين المسافرين) سفرا ظاهريا (الى الامصار) والقرى لاغراض معلومة (سبب التواد والتحاب) لانه الذى يجمع كلمتهم ويضم شملهم هذا حال السفر فى منازل الدنيا (فكيف) حال (السفر) المعنوى الذى يحتاج الى اهتمام زائد الى عالم البرزخ أولا ثم الى الجنة ثم (الى الفردوس الاعلى) الذى هو أعلى منازلها وقد ورد اذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس الاعلى (و) انظر كيف يكون (الترافق فى طريقه) والتعاون على الوصول اليه (ولا ضيق فى سعادات الآخرة) لكونها افاضات والمهيع واسع (فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع) ولا تنافس وكل وارد على ذلك المهيع على قدر اجتهاده (ولا سعة فى سعادات الدنيا) لكونها مشوبة بالاكدار ممزوجة بركوب الاخطار (فلذلك لا ينفك أبدا (عن ضيق التزاحم) والتنافس والتوثب على البعض بموجب الشهوات النفسية على قلة وكثرة واختلاف مراتب حسب الدواعى (والعادلون) أى المائلون (الى طلب الرياسة) والوجاهة ومتاع الدنيا الزائلة (بالعلوم) أى بتحصيلها (خارجون عن موجب قوله تعالى انما المؤمنون اخوة) فاصلحوا بين أخويكم قال السمين وفى الآية اشارة الى الحق وتشاركهم فى الصفة المقتضية لذلك وقال ابن عرفة الاخوة اذا كانت فى غير الولادة كانت المشاركة والاجتماع فى الفعل (داخلون فى مقتضى قوله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) والموجب والمقتضى واحد اذ ان مقتضى النص مالا يدل اللفظ عليه ولا يكون ملفوظا لكن يكون من ضرورة اللفظ أعم من أن يكون شرعيا أو عقليا ونص الذريعة كان من حق أولاد الاب الواحد أن يتحابوا فيتعاضدوا ولا يتباغضوا كذلك حق بنى المعلم بل بنى الدين الواحد أن يكونوا كذلك فاخوة الفضيلة فوق اخوة الولادة ولذلك قال تعالى انما المؤمنون اخوة وقال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين اهـ فهذا أصل العبارة وزاد المصنف عليه كما ترى * (الوظيفة الثانية) * من الوظائف السبعة (أن يقتدى) المعلم (بصاحب الشرع صلوات الله عليه) وسلامه فى تبليغه وافادته (فلا يطلب على افادة العلم أجرا) أى عوضا لما ورد فى النهى عن أخذ الاجرة على التعليم أحاديث منها ما أخرجه الحسين بن محمد التفليسى فى كتاب الاعداد بسند فيه مجاهيل عن أنس رفعه ألا أحدثكم عن أجر ثلاثة فقيل من هم يارسول الله قال أجر المعلمين والمؤذنين والائمة حرام وقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وسكت عليه الحافظ السيوطى (ولا يقصد به جزاء) يصل اليه من قبل المتعلم وهذا أعم مما قبله (ولا شكرا) أى ثناء بلسانه فى مقابلة تلك النعمة التى هى الافادة وقال الراغب الجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه اشارة الى قول الله تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (بل يعلم) وقصده فى تعليمه (لوجه الله) تعالى أى لذاته (وطلبا لمرضاته وحسن مثوبته و (للتقرب اليه) بهذه الوسيلة العظيمة (ولا يرى لنفسه) فى نفسه (منة عليهم) يمتن بها (وان كانت المنة لازمة عليهم) لزوم الاطواق على الاعناق لانه السبب الاكبر لهدايتهم الى الحق (بل يرى الفضل) والمنة (لهم اذ هدفوا) أى رموا (قلوبهم) اليه بكمال الانقياد (لان تتقرب الى الله) تعالى (بزراعة العلوم فيها) أى فى تلك القلوب المشبهة بالاراضى وأراد بزراعة العلوم وضعها فيها كما يوضع الحبة فى الارض (كالذى يعيرك الارض) أى يعطيكها على سبيل العارية (لتزرع فيها لنفسك) والارض له (زراعة) تنتفع بها ولاريب ان (منفعتك بها) أى بالقلوب بوضع العلم فيها (تزيد على منفعة صاحب الارض) التى أعارها لغيره وشتان بينهما (وكيف تقلده) أى بالتعليم (منة) تمنن بها (وثوابك فى التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله) تعالى لما ورد فى ذلك أحاديث تقوى بعضها (ولولا المتعلم)

وأبناء الآخرة مسافرون الى الله تعالى وسالكون اليه الطريق من الدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق والترافق فى الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق فى طريقه ولا ضيق فى سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة فى سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى انما المؤمنون اخوة وداخلون فى مقتضى قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين * (الوظيفة الثانية) * أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على افادة العلم أجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذى يعيرك الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض فكيف تقلده منة وثوابك فى التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم

مانلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله تعالى كما قال عز وجل وياقوم لا أسئلكم عليه مالا ان أجرى الا على الله فان المال وما فى الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على أم الراس ومثله هو الذى يقوم فى العرض الاكبر مع المجرمين ناكسى رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى أمر الدين الى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب الى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفى غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل فى خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له فى كل نائبة وينصر وليه ويعادى عدوه

وجلوسه بين يديك (مانلت هذا الثواب) الموعود به وفى الذريعة وأى عالم لم يكن له من يفيده العلم صار كعقيم لانسل له فيموت ذكره بموته ومتى استفيد علمه كان فى الدنيا موجودا وان فقد شخصه كما قال على العلماء باقون مابقى الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم فى القلوب موجودة وقال بعض الحكماء فى قوله تعالى هب لى من لدنك وليا يرثنى و يرث من آل يعقوب انه سأله نسلا يرث علمه لامن يرث ماله فاعراض الدنيا اهون عند الانبياء أن يشفقوا عليها وكذا قوله تعالى وانى خفت الموالى من ورائى أى خفت أن لا يراعوا العلم وعلى هذا قال عليه السلام العلماء ورثة الانبياء اه (ولا تطلب الاجر الا من الله) تعالى فانه الذى وعدك به وهو الذى يثيبك عليه (قال الله تعالى) فى كتابه العزيز (قل) يا محمد (لا أسألكم عليه) أى على تبليغ الرسالة واداء الامانة (أجرا) أى عوضا وفى الذريعة ومن حق المعلم مع من يفيده العلم أن يقتدى بالنبى صلى الله عليه وسلم فيما علمه الله تعالى حيث قال قل لا أسألكم عليه أجرا فلا يطمع فى فائدة من جهة من يفيده علما ثوابا لما يوليه اه (فان المال) بأجناسه وأنواعه بل (ومافى الدنيا خادم البدن) وتابعه فى مصالحه (و) قد تقدم ان (البدن مركب النفس) الروحانى (ومطيته) التى بها يبلغ الى الوصول (والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس) وكماله وقد ثبتت مخدومية العلم على المال ومافى الدنيا بمرتبتين لانه مخدوم النفس والنفس مخدوم البدن والبدن مخدوم المال (فمن طلب العلم بالمال) فقد قلب الموضوع و (كان كمن مسح أسفل مداسه ونعله) عطف مرادف واختلف فى ميم المداس فقيل زائدة وهو الاشبه وقيل أصلية (بمحاسنه) هكذا فى سائر النسخ وفى بعضها بوجهه واليه يعود معنى المحاسن (لينظفه) عما تكون به (فجعل المخدوم) الذى هو الوجه (خادما والخادم) الذى هو النعل (مخدوما) وفى الذريعة وليعلم ان من باع علما بعرض دنيوى فقد صادم الله تعالى فى ذلك ان الله تعالى جعل المال خادما للمطاعم والملابس وجعل المطاعم والملابس خادما للبدن وجعل البدن خادما للنفس وجعل النفس خادمة للعلم والعلم مخدوم غير خادم والمال خادم غير مخدوم فمن جعل العلم ذريعة الى اكتساب المال فقد جعل ماهو مخدوم غير خادم خادما لما هو خادم غير مخدوم اه (وذلك) اذا تأملت (هو الانتكاس) أى السقوط منكوسا (على أم الرأس) أى الدماغ (ومثله) أى الذى يفعل ذلك (هو الذى يقوم) يوم الحشر (فى العرض الاكبر مع المجرمين) أى المذنبين حالة كونهم (ناكسى رؤسهم) وهو اشارة الى قول الله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم (عند ربهم) قال السمين أى مميلوها مطرقين بها ذلا وخجلا وأصل النكس القلب وهو أن تجعل أعلى رجل الانسان الى فوق ورأسه الى تحت فبولغ فى وصف المجرمين بذلك ويجوز أن يكونوا كذلك حقيقة (وعلى الجملة) مع قطع النظر عن التفصيل (فالفضل) الاوفى (والمنة) الكبرى (للمعلم وانظر كيف انتهى أمر الذين يزعمون) فى أنفسهم (ان مقصدهم التقرب الى الله) ورفع الدرجات (بما هم فيه من علم الفقه والكلام) بالاكباب على كل منهما باختلاف انظارهم (والتدريس فيهما وفى غيرهما) كالمنطق والمعانى والبيان وربما تجد اشتغالهم بالكلام فى بعض البلاد كالمغرب ومصر أكثر من اشتغالهم بالفقه وغيره (فانهم يبذلون) أى يصرفون (المال) بأنواعه (والجاه ويتحملون أصناف الذل) والترمى على الابواب (فى خدمة السلاطين) وفى معنى ذلك الامراء ومن دونهم من ذوى الجاه (لاستطلاق الجرايات) لخلوصها على اسمه طلقا من غير مشاركة والجراية بالكسر ما يجرى من الرواتب المعلومة على الانسان من نقد وغلة وغير ذلك (ولو تركوا ذلك) أى الدخول الى بيوت الامراء (لتركوا) أى تركهم الناس (ولم يختلف اليهم) كما هو مشاهد (ثم) من البلايا الموقعة فى الهلاك أن (يتوقع المعلم) أى يرجو الوقوع (من المتعلم أن يقوم له) ومعه (فى كل نائبة) أى واقعة شديدة وقعت له دنيوية (وينصر) فيها (وليه) الذى يواليه ولو على غير الحق (ويعادى) فيها (عدوه) ولو على الحق

(و) يطلب منه في حالاته كلها أن (ينتهض) أي يقوم (جاراله) أي بمنزلة الجار (في) التردد الى (حاجاته) الواقعة (ومسخرا) أي مذللا (بين يديه في أوطاره) وسائر شؤنه (فان قصر منه) وفي بعض النسخ فيه ولو في حاجة واحدة (ثار عليه) أي قام عليه منكرا ومشددا ومفشيا عيوبه في المجالس (وصار) بذلك (من أعدى أعدائه) أي أكبر مبغضيه (فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة) الخسيسة و يطمئن اليها (ثم يفرح بها) مفتخرا على أقرانه (ثم لا يستحي) من الله ورسوله (من أن يقول) مصرحا انما (غرضي من التدريس) والتعليم (نشر العلم) وافادته (تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه) وطلبا لمرضاته (فانظر) أيها المتأمل (الى الامارات) الدالة على قبح سيرتهم وفساد النيات (كيف ترى) فيها (صنوف الاغترارات) الشيطانية المهلكات أعاذنا الله منها *(الوظيفة الثالثة أن لا يدخر)* أي لا يبقي المعلم (من نصح المتعلم شيأ) ما والتنكير للتقليل (وذلك بأن يمنعه من التصدي) أي التعرض (لرتبة قبل استحقاقها) أي قبل الاستئهال لها كالتدريس مثلا لما في الحديث اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة (والتشاغل بعلم) من العلوم (خفي) المدرك بعيد الغور (قبل الفراغ من) العلم (الجلي) وتحصيله وذلك كان يتشاغل بمعرفة دقائق أسرار الشريعة قبل تكميل ظواهرها وكذلك التعرض لاسرار الحقيقة لمن لم يتهذب في ظاهر العلوم وهذا ضرر كبير فسد به جملة من الطالبين ومنعوا عن الوصول الى المطلوب وهذا الذي يقال فيه ظفر طفرة النظام وتزبب قبل أن يتحصرم (ثم) على المعلم (أن ينبهه) مرة بعد مرة (على ان مطالب العلوم) والقصد من تحصيلها انما هو (القرب من الله) تعالى والوصول اليه (دون الرياسة) الظاهرية (والمباهاة) (والمفاخرة) (والمنافسة) مع الاقران في مجالس الامراء والكبار ليقال انه عالم وانه مبرز وانه فارس الميدان (ويقدم تقبيح ذلك في نفسه) أي المتعلم (بأقصى ما يمكن) ونهاية ما يستطيع بلطف تدبير وحسن احتيال في ايصال ذلك الى ذهنه اذ النفوس بجبلتها مائلة الى الرياسة ومشغوفة بتحصيل الشهرة فلا يمكن اخراج ذلك منه الا بما ذكرنا وهذا هو عين الارشاد (فليس ما يصلحه العالم الفاجر) وهو الشاق ستر الديانة أو الذي يباشر الامور على خلاف الشرع والمروءة (بأكثر مما يفسده) لان طلب الرياسة هلاك في نفسه وصاحبها اذا صلح على يده غيره فهو نادر بالنسبة الى ما يترتب على فساده وافساده من التداعي الى الدنيا والجاه ظاهرا أو الى تركها ظاهرا وحبها باطنا وكلاهما مهلكان وقد تقدم شئ من ذلك في كلام المصنف في أثناء آفات المناظرة وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة وهيب بن الورد المكي بسنده اليه قال بلغنا ان العلماء ٧ ثلاثة فعالم يتعلمه لنفذ به عند التجار وعالم يتعلمه لنفسه لا يريد به الا أنه خاف أن يعمل بغير علم فيكون ما يفسد أكثر مما يصلح (فان علم) المعلم (من باطنه) أي المتعلم (انه لا يطلب العلم) ويشتغل به عليه (الا للدنيا) أي تحصيلها وفي معناه طلب الرياسة والجاه فان علمهما مدار حصول الدنيا (نظر) المعلم (الى العلم الذي يطلبه) ويشتغل به (فان كان هو علم الخلاف في الفقه) أي علم خلاف فقهاء الامصار أو فقهاء المذهب خاصة وهو علم الفروع (و) علم (الجدل في الكلام) الذي يتوصل بمعرفته الى معرفة مذاهب الموافق والمخالف والردود على الفرق الضالة التي أفسدت عقائدها (و) علم (الفتاوى في الخصومات) الحاصلة بين الناس (و) معرفة (الاحكام) المتعلقة بذلك (فيمنعه من ذلك) باللطف والتدريج (فان هذه العلوم) التي ذكرت (ليست من العلوم التي قيل فيها) فيما سلف (تعلمنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله) وقد تقدم هذا القول في كلام المصنف وذكرنا ما يتعلق به (وانما ذلك) العلم (علم التفسير وعلم الحديث) ومتعلقاتهما (وما كان الاولون) من السلف (يشتغلون به) من العلوم النافعة (وعلم) معرفة (الآخرة) وأحكامها (و) علم (معرفة أخلاق النفس) ممدوحها ومذمومها (وكيفية تهذيبها) بالرياضات الشرعية (فاذا تعلمه الطالب) واشتغل به

وينتهض جارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في أوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من أن يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى ضروب الاغترارات *(الوظيفة الثالثة)* أن لا يدع من نصح المتعلم شيأ وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان الغرض بطلب العلوم القرب الى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب

٧ قوله ثلاثة هكذا في النسخ باسقاط الثاني ولينظر ما هو اه مصححه

وقصده الدنيا فلا بأس أن يتركه (٣٤٠) فانه يتشمر له طمعا في الوعظ والاستتباع ولكن قد يتنبه في أثناء الامر أو آخره اذ فيه العلوم المخوفة
من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك يوشك أن يؤدي الى الصواب في الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره و يجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالي الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق أيضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فاما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله تعالى وتماديا في الضلال وطلبا للجاه الا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله المستعان وقد روى سفيان الثوري رحمه الله حزينا فقيل له مالك فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا أحدهم حتى اذا تعلم جعل قاضيا أو عاملا أو قهرمانا *(الوظيفة الرابعة)* وهي من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف و يهيج الحرص على الاصرار   من

(و) لكن (قصده) حصول متاع (الدنيا فلا بأس أن يتركه) وفي نسخة أن يترك أي على قصده (فانه يتشمر له) أي يتهيؤ لتحصيله (طمعا في الوعظ) أي يكون واعظا (والاستتباع) أي طلب تبع الناس له (ولكن قد يتنبه) من غير قصد منه (في أثناء الامر) وتضاعيفه (أو آخره) على اختلاف نيته (اذ فيه العلوم المخوفة) أي في مجموع ما ذكر علوم تورث الخوف والخشية من الله (المحقرة للدنيا) ومتاعها (المعظمة للآخرة) وما أعد الله فيها (وذلك يوشك) بكسر الشين وفتحها لغة ضعيفة أي يقرب (أن يرد) وفي نسخة يؤدي (الى الصواب في الآخرة) وفي نسخة بالآخرة (حتى يتعظ) بنفسه (بما يعظ به غيره) عملا بما يعلم غيره (ويجري) بذلك (حب القبول) في الخلق (والجاه) عندهم (كالحب الذي ينثر) و يرمى (حوالي الفخ) الذي ينصب (ليقتنص به الطير) أي يصطاد (وقد فعل الله) عز وجل (ذلك بعباده) حكمة بالغة (اذ خلق الشهوة) في أصل التركيب وأودعها فيه (ليصل الخلق بها) وفي نسخة به وهو خلاف الظاهر (الى بقاء) نظام العالم بوجود (النسل) والذرية (وخلق أيضا حب الجاه) والقبول وركزها في بعض النفوس (ليكون سببا لاحياء العلوم) ولولا ذلك لاندرست وهذه العبارة منتزعة من سياق القوت ولفظه وقال الحسن رحمه الله يتعلم هذا العلم قوم لا نصيب لهم منه في الآخرة يحفظ الله بهم العلم على الامة لئلا يضيع وقال المأمون لولا ثلاث لخربت الدنيا لولا الشهوة لانقطع النسل ولولا حب الجمع لبطلت المعايش ولولا طلب الرياسة لذهب العلم اهـ (وهذا متوقع) ومرجو (في هذه العلوم) التي ذكرت (فأما) معرفة (الخلاف المحض ومجادلة الكلام ومعرفة التفريعات الغريبة) من المسائل الفقهية الفرعية (فلا يزيد التجرد لها) والاهتمام بها (مع الاعراض) الكلي (عن غيرها الا قسوة في القلب) وظلمة (وغفلة عن الله) تعالى لان هذه العلوم لا تكاد أن يوجد فيها ذكر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ما عدا الخطب (وتماديا في الضلال وطلب الجاه) وتطاولا فيهما (الا من تداركه الله تعالى برحمته) فعصمه من الغفلة والقسوة (أو مزج به غيره من العلوم الدينية) غير متفرد عليه (ولا برهان على هذا) أي الذي ذكرت (كالتجربة) في نفسه (والمشاهدة) في علماء عصره وأقرانه (فانظر) يا أخي (واعتبر) بفكرك (واستبصر) بعين قلبك (لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد) مع اختلافهم وتباينها (والله المستعان) وعليه التكلان (وقد روى) الامام الزاهد الورع (سفيان) بن سعيد بن مسروق (الثوري) رحمه الله تعالى (حزينا) أي مغموما (فقيل) أي قال له بعض أصحابه (مالك) أي لاي شئ أراك محزونا (فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا فيلزمنا أحدهم) في طلب علم الحديث (حتى اذا تعلم) رغب الى الدنيا ورغب اليه الناس فاما (جعل عاملا) على الخراج السلطاني (أو قاضيا) يقضي بالاحكام (أو قهرمانا) يلي أمور السلطان أخرجه الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في مناقب سفيان بالسند وهي في حلية الاولياء لابي نعيم الحافظ في ترجمته وأوردها كذلك صاحب القوت وعنه أخذ المصنف ولفظه قال بعض أصحاب الحديث رأيت سفيان الثوري حزينا فسألته فقال وهو مبرم ما صرنا الا متجرا لابناء الدنيا فقلت وكيف قال يلزمنا أحدهم حتى اذا عرف بنا وجل عنا جعل عاملا أو جابيا أو قهرمانا *(الوظيفة الرابعة)* من وظائف المعلم (وهي من دقائق صناعة التعليم) تستدعي المحافظة عليها (وهي أن يزجر المتعلم) و ينهاه (عن) ارتكاب (سوء الاخلاق) لكن (بطريق التعريض ما أمكن) بان يفهمه مراده بكناية (ولا يصرح و) يورد زجره (بطريق الرحمة) والشفقة عليه (لا بطريق التوبيخ) وهو اللوم والتقريع الشديد العنيف (فان التصريح) باللوم (يهتك حجاب الهيبة) خصوصا اذا كان على ملا من الناس (و) ربما (يورث الجراءة) والاقدام (على الهجوم بالخلاف) على مقتضى الجبلية البشرية المنطوية على الكبر (و) ذلك (يهيج الحرص) و يثيره (على الاصرار) والبقاء على ما ليم عليه ونص الذريعة وحق المعلم أن يصرف

من يريد ارشاده عن الرذيلة الى الفضيلة بلطف فى المقال وتعريض فى الخطاب فالتعريض أبلغ من التصريح لوجوه أحدها ان النفس الفاضلة لميلها الى استنباط المعنى تميل الى التعريض شغفا باستخراج معناه بالفكر ولذلك قيل رب تعريض أبلغ من تصريح * الثانى أن التعريض لا تنهتك به سجف الهيبة ولا يرتفع ستر الحشمة * الثالث ان ليس للتصريح الا وجه واحد وللتعريض وجوه فمن هذا الوجه يكون أبلغ * والرابع للتعريض عبارات مختلفة فيمكن ايراده على وجوه مختلفة ولا يمكن ايراد التصريح الا على وجه واحد اذ ليس له الا عبارة واحدة * والخامس ان صريح النهى داع الى الاعتداء ولذلك اللوم اغراء قال الشاعر دع اللوم ان اللوم يغرى وانما * أراد صلاحا من يلوم فافسدا

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مرشد لكل معلم) اذ به عرف طريق التعليم والارشاد بنصحه لامته وشفقته عليهم (لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شئ) ونص الذريعة لو نهى الناس والباقى سواء قال العراقى لم أجده الا من حديث الحسن مرسلا وهو ضعيف رواه ابن شاهين اهـ قلت ووجدت بخط الداودى ما نصه ولفظ ابن شاهين لو منع الناس فت الشوك لفتوا فيه الند وفى المعنى حديث أبى جحيفة لو نهيتم أن تأتوا الحجون لأتيتموها الحديث اهـ قلت للسيوطى فى الجامع الكبير لو نهيت رجالا أن يأتوا الحجون لأتوها ومالهم بها حاجة أخرجه أبو نعيم عن عبدة بن حرب اهـ قلت رواه الطبرانى من رواية أبى اسحق عن أبى جحيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا ذات يوم وقدامه قوم يصنعون شيأ يكرهونه من كلامهم ولغطا فقيل يا رسول الله ألا تنهاهم فقال لو نهيتهم عن الحجون لأوشك أحدهم أن يأتيه وليست له حاجة قال العراقى ورجاله ثقات الا أنه اختلف فيه على الاعمش فقيل عنه عن أبى اسحق هكذا وقيل عن أبى اسحق وعن عبدة السوائى ورواه الطبرانى أيضا وعبدة السوائى مختلف فى صحبته (وينبهك على هذا قصة آدم وحوّاء عليهما السلام وما نهيا عنه) بقوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة وقول الشيطان ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ومن هذه القصة يؤخذ معنى حديث الحسن ونص الذريعة وكفى بذلك شهادة ما كان من أمر آدم وحواء فى نهى الله تعالى اياهما عن أكل الشجرة اهـ (فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا) أى يحكى بها فى المسامرة (بل لتتنبه بها على سبيل العبرة) أى الاعتبار وفى الذريعة سئل بعض الحكماء عن الفكرة والعبرة فقال الفكرة أن تجعل الغائب حاضرا والعبرة أن تجعل الحاضر غائبا (ولان التعريض) أى افهام المراد بالكناية (أيضا يميل النفوس الفاضلة) هى المهذبة بالآداب الشرعية المجملة بالافاضات الرحمانية (والاذهان الذكية) هى المصقلة بالانوار المحفوفة بالاسرار (الى استنباط) اى استخراج (معانيه) واستكشاف غوامضه المبهمة (فيفيد فرح التفطن لمعناه) والسرور بذلك أبدا (رغبة فى العمل به) أى بمقتضاه (ليعلم ان ذلك مما لا يعزب) أى لا يغيب (عن فطنته) الوقادة وقريحته المستجادة وهذا الذى ذكره المصنف أحد وجوه أبلغية التعريض على التصريح كما تقدم نقلا عن الذريعة وهذا كما قاله المصنف من دقائق هذه الصناعة والله الموفق للصواب *(الوظيفة الخامسة)* من وظائف المعلم (أن يعلم) المعلم (أن المتكفل) أى الحامل والمشتغل (ببعض العلوم) أى بتحصيلها واحاطتها بالمعرفة الصحيحة (لا ينبغى أن يقبح فى نفس المتعلم) أى يرى قبيحا مذموما (العلوم التى وراءه) أى ما عداه (كمعلم) علم (اللغة) والمشتغل به (اذ عادته تقبيح) علم (الفقه) والازدراء بحال مشتغله (ومعلم) علم (الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير) مع انهما مأخذاه (و) يقول فى أثناء ذلك (ان ذلك نقل محض) قال مالك قال الشافعى قال أبو حنيفة (وسماع) فلان عن فلان (وهو شأن العجائز) أى النسوة العاجزات عن كثير من الامور (و) ان (لا نظر) ولا مجال (للعقل فيه) فالمشتغل بهما معقول بعقال النقل لا يتجاوزه (ومعلم) علم (الكلام) والجدل (ينفر عن) الاشتغال فى (الفقه) وينهاه (ويقول ذلك فرع) والكلام أصل

اذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شئ وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولان التعريض أيضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان الذكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة فى العلم به ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته

(الوظيفة الخامسة)

ان المتكفل ببعض العلوم ينبغى أن لا يقبح فى نفس المتعلم العلوم التى وراءه كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح علم الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شان العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع

والاشتغال بالاصل أولى من الفرع (و) يقول أيضا هو مع كونه فرعا (كلام في حيض النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن) جل جلاله وما يجب في حقه وما يستحيل ثم ان تقبيح تلك الطوائف بعضهم بعضا انما يخرج مخرج الغالب وقد يوفق الله من يتكفل ببعض العلوم ثم يعلى شأن علوم أخر ليس له بها اشتغال ولا ميل (فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين) لا يكون المتصف بها مرشدا في الحقيقة (و ينبغي أن يجتنب) تلك الاخلاق حتى يكون تعليمه على الحق الرضى والنهج العدل السوى (بل المتكفل بعلم واحد) أى علم كان (ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعليم في غيره) بان يريه من يتعلم عليه (وان كان) بنفسه (متكفلا بعلوم) كثيرة (ينبغي أن يراعى التدريج) والترتيب (في ترقية المتعلم) وتكميله (من رتبة الى رتبة) فازدحام العلم في السمع مضلة الفهم ووجد هنا في بعض النسخ زيادة قوله (والله أعلم) أتى به للتبرك *(الوظيفة السادسة)* من وظائف المعلم (أن يقتصر) المعلم (بالمتعلم على قدر فهمه) وذلك هو الجلى اللائق بحاله من تقريراته (فلا يلقى عليه مالا يبلغه عقله) ولا ينتهى اليه ولا يسعه لصعوبته ودقته (فينفره) فيكون ذلك سببا لقطعه عن طريق العلم (أو يخبط عليه عقله) فيقع في مقام الحيرة والذهول (اقتداء في ذلك) واتباعا (بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الانبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم) قال العراقى رويناه في جزء من حديث أبى بكر بن الشخير من حديث ابن عمر أخصر منه وعند أبى داود من حديث عائشة انزلوا الناس منازلهم اه فهما حديثان مستقلان أوردهما المصنف في سياق واحد وربما وهم انهما حديث واحد قال الحافظ السخاوى في كتابه الجواهر والدرر في مناقب شيخه الحافظ ابن حجر بعد ان ساق لفظ المصنف ما لفظه ما وقفت عليه بهذا اللفظ في حديث واحد بل الشق الاول في حديث عائشة كما سيأتى بيانه والثانى رويناه في الجزء الثانى من حديث ابن الشخير من حديث ابن عمر مرفوعا أمرنا معاشر الانبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم اه أما حديث عائشة ففي الحلية لابى نعيم من طريق ابن هشام الرفاعى وفي جزء لابى سعد الكنجرودى من طريق اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قالا واللفظ لابن الشهيد ثنا يحيى بن يمان عن الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن ميمون بن أبى شبيب قال جاء سائل الى عائشة رضى الله عنها فأمرت له بكسرة وجاء رجل ذو هيبة فاقعدته معها فقيل لها لم فعلت ذلك قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم قال الحافظ السخاوى هذا حديث حسن أورده مسلم في مقدمة صحيحه بلا اسناد حيث قال ويذكر عن عائشة الخ فقال النووى نقلا عن ابن الصلاح ما معناه ان ذلك لا يقتضى الحكم له بالصحة نظرا العدم الجزم في ايراده ويقتضيه نظرا الاحتجاجه بروايته لا بايراده ايراد الاصول والشواهد اه قال السخاوى لكن قد جزم الحاكم بتصحيحه في النوع السادس عشر من معرفة علوم الحديث له فقال صحت الرواية عن عائشة وساقها بلا اسناد وكذا صححه ابن خزيمة حيث أخرجه في كتاب السياسة من صحيحه وكذا أخرجه البزار في مسنده كلاهما عن اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد وأخرجه أبو داود في الادب من سننه عن على بن اسمعيل وابن أبى خلف ثلاثتهم عن ابن يمان به ثم قال أبو داود وميمون لم يدرك عائشة وأخرجه أبو أحمد العسكرى في كتاب الامثال له عن عبد الوهاب بن عيسى وصالح بن أحمد فرقهما كلاهما عن محمد بن يزيد الرفاعى هو أبو هشام ورواه أبو يعلى في مسنده عن ابى هشام ورواه البيهقى في الادب من طريق أبى هريرة محمد بن أيوب الجبلى عن يحيى بن يمان بالمتن فقط قلت ومن طريق أبى هريرة هذا أخرجه أبو نعيم في الحلية بسياق يأتى للمصنف نظيره في أثناء الكتاب يذكر هناك ان شاء الله تعالى وقال البزار عقب تخريجه لهذا الحديث وروى عن عائشة من غير هذا الوجه موقوفا قال السخاوى ويشير الى ما رواه أبو أسامة عن أسامة بن زيد عن عمر بن مخراق عن عائشة لكن قد أخرجه الخطيب في المتفق والمفترق والجامع كلاهما له والبيهقى في الشعب والطبرانى كلهم من طريق أحمد بن راشد الجلى الكوفى والبيهقى والطبرانى أيضا من طريق محمد بن عمار الموصلى

وهو كلام في حيض النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وان كان متكفلا بعلوم ينبغي ان يراعى التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة *(الوظيفة السادسة)* أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى اليه مالا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الانبياء أمرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم

والبيهقي وحده من طريق مسروق بن المرزبان ثلاثتهم عن يحيى بن يمان عن الثوري عن أسامة مرفوعا وقال الامام أحمد ان رواية عمر عن عائشة مرسلة وكذا قال البيهقي في الشعب وقال السخاوي عمر بن مخراق عن رجل عن عائشة مرسل روى عنه أسامة وقال البيهقي في الادب وكان يحيى رواه على الوجهين جميعا قال السخاوي وفي الباب عن معاذ وجابر رضي الله عنهما فأما الاول فرواه الخرائطي في مكارم الاخلاق له من رواية عبد الرحمن بن غنم عن معاذ رضي الله عنه رفعه أنزل الناس منازلهم من الخير والشر وأحسن أدبهم على الاخلاق الصالحة ولا يصح اسناده وأما الثاني فرويناه في جزء الفسوي بسند ضعيف ولفظه جالسوا الناس على قدر احسابهم وخالطوا الناس على قدر أديانهم وأنزلوا الناس على قدر منازلهم وداروا الناس بعقولكم وفي مسند الفردوس من حديث جابر أنزلوا الناس على قدر مروآتهم (فليبث) أي يظهر (اليه) أي المتعلم (الحقيقة اذا علم انه يستقل فهمه لها) أي يتحمله فهمه لمعرفتها (قال صلى الله عليه وسلم ما أحد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم) قد تقدم هذا الحديث عند ذكر الصنف الثاني من الشطح وقال العراقي هناك ما لفظه أخرجه العقيلي في الضعفاء وابن السني وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود نحوه قلت لفظ الحديث الذي تقدم في الباب الثالث ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم ولفظ حديث ابن عباس ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان على بعضهم فتنة (وقال علي كرم الله وجهه) في حديث طويل يأتي ذكره قريبا ثم تنفس الصعداء (وأشار الى صدره) الشريف وقال هاه (ان ههنا علوما جمة) أي كثيرة ونص القوت علما جما (لو وجدت لها حملة) ونص القوت لو أجد لها حملة أي من يحملها ويفهمها ويعمل بها وهذا في زمانه مع كثرة العارفين ووفرة أنوارهم واخلاصهم ثم قال رضي الله عنه بل أجد لقنا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله تعالى على أوليائه ويستظهر بحججه على خلقه أو منقادا لاهل الحق منزوع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له وليسا من وعاة الدين في شئ لا ذا ولا ذاك الى آخر ما قال (وصدق عليه السلام) في قوله هذا (فقلوب الابرار قبور الاسرار) وهذه الجملة رويت كذلك من جملة كلماته البديعة أي ان الاسرار المكتومة التي أفاض الله بها على قلوب عبيده الابرار والمتقين الاخيار قد قبرت ودفنت في تلك الصدور لعدم حامليها فدثرت لذلك من غير افشائها (فلا ينبغي أن يفشي) أي يظهر (العالم كل ما يعلمه) من معلوماته الى كل أحد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به فكيف (فيما لا يفهمه) هكذا في النسخ وفي بعضها هذا اذا كان من يفهمه من المستقلين ولم يكن أهلا للانتفاع به والباقي سواء وهو قريب من الاول وهذا الذي أورده المصنف منتزع من سياق عبارة القوت فانه قال بعدما أورد من انقباض شيخه أبي الحسن بن سالم من الاجتماع ما لفظه وقد كان أبو الحسن رحمه الله تعالى يخرج الى اخوانه ممن يراه أهلا لمكان علمه فيجلس اليهم ويذاكرهم وربما أدخلهم اليه نهارا أو ليلا ولعمري ان المذاكرة تكون بين النظراء والمحادثة مع الاخوان والجلوس للعلم يكون للاصحاب والجواب عن المسائل نصيب العموم وكان عند أهل هذا العلم ان علمهم مخصوص لا يصلح الا للخصوص والخصوص قليل فلم يكونوا ينطقون به الا عند أهله ويرون ان ذلك من حقه وانه واجب عليه كما وصفهم علي رضي الله عنه في قوله حتى يودعوه أمثالهم ويزرعوه في قلوب اشكالهم وكذلك جاءت الآثار بذلك عن نبينا صلى الله عليه وسلم (وقال عيسى) ونص القوت وفي حديث عيسى (عليه السلام لا تعلقوا الجواهر) ونص القوت الجوهر (في أعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير) ونص القوت من الخنزير وهكذا هو في نسخة أيضا وأخرج الخطيب عن كعب قال اطلبوا العلم لله

فليبث اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها وقال صلى الله عليه وسلم ما أحد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال علي رضي الله عنه وأشار الى صدره ان ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغي أن يفشي العالم كل ما يعلم الى كل أحد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير

وتواضعوا له ثم ضعوه فى أهله فانه قال بعض الانبياء لاتلقوا دركم فى أفواه الخناز ير يعنى بالدر العلم كذا فى اللآلئ المصنوعة للسيوطى وأورد صاحب القوت هنا قولا آخر لسيدنا عيسى عليه السلام وهو لاتضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها الخ قد تقدم ذكره للمصنف عند الصنف الثانى من الشطح مع ذكر أحاديث أخر مناسبة للمقام وذكر صاحب القوت عن أبى عمران المكى انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فسمعه يقول ان لكل شئ عند الله حرمة ومن أعظم الاشياء حرمة الحكمة فمن وضعها فى غير أهلها طالبه الله بحقها ومن طالبه خصمه وقد سبق شئ من ذلك وذكر أيضا بعد نقله قول سيدنا عيسى المتقدم ذكره مالفظه وكان بعض هذه الطائفة يقول نصف هذا العلم سكوت ونصفه تدرى أين تضع وقد قال بعض العارفين من كلم الناس مبلغ علمه و بمقدار عقله ولم يخاطبهم بمقدار حدودهم فقد بخسهم حقهم ولم يقض بحق الله تعالى فيهم ثم ان المراد بالجوهر فى قول سيدنا عيسى عليه السلام علم الباطن وقد أخرج الخطيب فى تاريخه من طريق يحيى بن عقبة بن أبى الغرار عن محمد بن جحادة عن أنس رفعه لاتعلقوا الدر فى اعناق الخناز ير وفى لفظ لاتطرحوا الدر فى أفواه الكلاب يعنى العلم ويحيى ضعيف وله متابع عند الخليلى فى الارشاد من طريق شعبة العباب عن محمد بن جحادة عن أنس ولفظه لاتطرحوا الدر فى أفواه الخناز ير يعنى العلم وعند ابن ماجه و واضع العلم عند غير أهله كمقلد الخناز ير الجوهر والدر والذهب (ولهذا قيل) ونص القوت وكان يحيى بن معاذ يقول اغرف لكل واحد من نهرك واسقه بكأسه ونحن نقول بمعناه (كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان علمه) وفى بعض النسخ بميزان فهمه (حتى تسلم منه و ينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار) هذا كله نص القوت وعلم بذلك ان المراد بهذا القائل هو صاحب القوت لانه قال ونحن نقول بمعناه أى معنى قول يحيى ابن معاذ الرازى أحد العارفين الاكابر واليه يشير قول الحريرى صاحب المقامات

وكلت للخل كما كال لى * على وفاء الكيل أو بخسه
ولم أخسره وشر الورى * من يومه أخسر من أمسه

وفى القوت (سئل بعض العلماء عن شئ فلم يجب) عنه (فقال السائل أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) أى أما بلغك قوله (من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال) فى جوابه (اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه) وفى نسخة يفهمه ثم سألنى (وكتمته فليلجمنى) فان ايداع الاسرار لايكون الالمن تلقن بفهمه ثم انتفع به (فقد قال الله عز وجل) فى كتابه العزيز (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم) التى جعل الله لكم قياما والسفيه من لايعرف رشده فلايمكن بالاموال فانه يتصرف فيها بالتبذير وسوء التدبير فاذا كانت الاموال وهى عوار ظاهرة منعت عن تمكن السفهاء فيها فالعلوم الالهية التى من عمل الباطن بطريق الاولى ومن هنا ظهر ان السائل انما سأله عن دقيقة من دقائق الحقيقة ولما لم يجده أهلا لتحملها قال ماقال ثم رأيت هذا الفصل برمته فى كتاب الذريعة للراغب الاصبهانى وفيه فوائد زوائد والمصنف انما انتزعه من كتاب القوت ولا بأس أن نلم بكلام الذريعة فان سياقها أتم من سياق القوت قال واجب على الحكيم والعالم النحرير أن يقتدى بالنبى صلى الله عليه وسلم فيما قال انا معاشر الانبياء فذكر الحديث وان يتصور ماقاله على لكميل بن زياد وأومأ بيده الى صدره فذكره و روى هو عن النبى صلى الله عليه وسلم كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ماينكرون الى آخر الحديث وقال صلى الله عليه وسلم ما أحد يحدث قوما الخ وقال عيسى عليه السلام لاتضعوا الحكمة الخ وقيل تصفح طلاب علمك كما تتصفح طلاب حرمك وبهذا ألم أبو تمام

وما أنا بالغيران من دون جارتى * اذا أنا لم أصبح غيورا على العلم

وقيل لبعض الحكماء مابالك لاتطلع كل أحد على حكمة يطلبها منك فقال اقتداء بالبارى عز وجل

ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه و ينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء عن شئ فلم يجب فقال السائل أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه وكتمته فليلجمنى فقد قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم

حيث قال ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم الآية فبين انه منعهم لما لم يكن فيهم خير وبين ان فى اسماعهم ذلك مفسدة لهم وسأل جاهل حكيما مسئلة من الحقائق فأعرض عنه ولم يجبه فقال أما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما الخ فقال نعم سمعته اترك اللجام هنا واذهب فاذا جاء من ينفعه ذلك وكتمته فليلجمني به وقال بعض الحكماء فى قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء أموالكم الآية انه نبه به على هذا المعنى وذلك انه لما منعنا عن تمكين السفيه من المال الذى هو عارض حاضر يأكل منه البر والفاجر تعاديا انه ربما يؤدّيه الى الهلاك الدنيوى فكان يمنع من تمكينه من حقائق العلوم الذى اذا تناوله السفيه أدّاه الى ضلال واضلال وهلاك واهلاك أولى فانه

اذا ما اقتنى العلم ذو شره * تضاعف ماذم من مخبره

وصادف من علمه قوّة * يصول بها الشر من جوهره

وكما انه واجب على الحكام اذا وجدوا من السفهاء رشدا أن يدفعوا اليهم أموالهم فواجب على الحكماء اذا وجدوا من المسترشدين قبولا أن يدفعوا اليهم العلوم بقدر استحقاقهم فالعلم قنية يتوصل بها الى الحياة الاخروية كما ان المال قنية فى المعاونة على الحياة الدنيوية اه والحديث قال العراقى أخرجه ابن ماجه من حديث أبى سعيد فلفظه عند السيوطى فى الجامع الكبير من كتم علما مما ينفع الله به الناس فى أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار وأما حديث أبى هريرة الذى تقدم فلفظه من علم علما فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه وقال الترمذى حديث حسن وقد تقدم الكلام عليه فى أوّل الكتاب وقد أخرجه أيضا ابن النجار فى تاريخه عن عبدالله بن عمرو بهذا اللفظ والاسناد مصريون وفى الباب عن جابر وابن مسعود وابن عباس وأنس تقدم بيان ألفاظهم فى أوّل الكتاب عند ذكر حديث أبى هريرة فليراجع وفى لفظ ابن مسعود من كتم علما عن أهله وتنكير علم فى حيز الشرط يوهم شمول العلوم لكل علم حتى غير الشرعى وفى رواية ابن ماجه تقييده بنافع وخصه بعضهم بالشرعى والمراد به ما أخذ من الشرع أو توقف هو عليه توقف وجود أوكمال والحديث نص فى تحريم الكتم وخصه آخرون بما يلزمه تعليمه وتعين عليه (فنبه على ان حفظ العلم) وصيانته (ممن يفسده) أى يفسد حاله (ويضره) لعدم استئهاله له (أولى) بل واجب دل على ذلك قوله فى بعض الروايات المتقدمة عن أهله (وليس الظلم فى اعطاء غير المستحق باولى) وفى بعض النسخ بأقل (من الظلم فى منع المستحق) ولله در القائل

فمن منح الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

قال المناوى وجعل بعضهم حبس كتب العلم من صور الكتم سيما ان عزت نسخة وأخرج البيهقى عن الزهرى اياك وغلول الكتب قيل وما غلولها قال حبسها اه وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية حماد بن عبد الله قال سمعت الشعبى يقول لا تمنعوا العلم أهله فتأثموا ولا تحدثوا غير أهله فتأثموا

(الوظيفة السابعة) من وظائف المعلم (ان المتعلم القاصر) فهمه (ينبغى) للمعلم (أن يلقى اليه الجلى الواضح المبين (اللائق به) أى بحاله وحال أمثاله ويكتفى بما ألقاه اليه (ولا يذكر له ان وراء هذا تدقيقا) وتحقيقا غير ماذكره (و) يوهمه فى مطاوى كلامه (انه يدخره) ويكتمه (عنه) لعدم تأهله بحمله (فان ذلك يفتر) أى يسكن (رغبته فى) ماهو (الجلى ويشوش قلبه) ويصرف همته (ويوهم اليه البخل به) أى انما ادخره عنه ضنا به وبخلا عليه (اذ يظن كل أحد) فى نفسه (انه أهل كل علم دقيق) ولو كان فى الحقيقة قاصر الفهم (فما من أحد الا وهو راض عن الله عز وجل فى كمال عقله) قد أقامه الله على ذلك ولولا ذلك لفسد نظام الكون (وأشدهم حماقة) أى فسادا فى العقل (وأضعفهم) وفى نسخة وأصغرهم (عقلا هو أفرحهم) أشدهم فرحا (بكمال عقله) وتصويب رأيه

تنبيها على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى وليس الظلم فى اعطاء غير المستحق بأقل من الظلم فى منع المستحق (شعر)

أأنثر درا بين سارحة النعم
فأصبح مخزونا براعية الغنم
لانهم أمسوا بجهل لقدره
فلا أنا أضحى ان أطوّقه البهم
فان لطف الله اللطيف بلطفه
وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
نشرت مفيدا واستفدت مودة
والا فمخزون لدى ومكتتم

فمن منح الجهال علما أضاعه
ومن منع المستوجبين فقد ظلم

(الوظيفة السابعة) أن المتعلم القاصر ينبغى أن يلقى اليه الجلى اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته فى الجلى ويشوش عليه قلبه ويوهم اليه البخل به عنه اذ يظن كل أحد انه أهل لكل علم دقيق فما من أحد الا وهو راض عن الله سبحانه فى كمال عقله وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله

وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ فى نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سيرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغى ان يشوّش عليه اعتقاده بل ينبغى أن يخلى وحرفته فانه لوذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذى بينه وبين المعاصى وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغى أن يخاض مع العوام فى حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الامانة فى الصناعات التى هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة فى الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك وبالجملة لا ينبغى أن يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التى بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص * (الوظيفة الثامنة) * أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لان العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالابصار وأرباب الابصار أكثر

(وبهذا يعلم) هذه العبارة منتزعة من كتاب الذريعة للراغب قال واذا ثبت ذلك وجب (أن يكون من تقيد من العوام) ولفظ الذريعة من العامة (بقيد الشرع) بحسب حاله (ورسخ) أى ثبت (فى نفسه) اعتقاد (العقائد المأثورة) المنقولة (عن السلف) الصالحين (من غير تشبيه) فيه بما لا يليق ولا تعطيل (ومن غير تأويل) لظاهر ما ورد (وحسن مع ذلك سيرته) وطريقته (ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك) لقصوره (فلا ينبغى أن يشوّش عليه اعتقاده) فان ذلك موجب لحرمانه (بل ينبغى أن يخلى) أى يترك (وحرفته) أى صنعته التى هو فيها وطريقته التى هو سالكها (فانه لو ذكر له تأويلات الظواهر) وما اختلف فيها بالدلائل والبراهين (انحل عنه عقد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص) فبقى مذبذبا بين هؤلاء وهؤلاء (فيرتفع عنه الستر) وفى نسخة السد (الذى بينه وبين المعاصى) فيرتكبها متهاونا بها فيقع فى محظور (وينقلب) فى أفعاله (شيطانا مريدا) متمردا وحينئذ (يهلك نفسه) بما يصدر منه من المخالفات (و) يهلك (غيره) لانهم يرونه فيقتدون به فيهلكون (بل لا ينبغى أن يخاض) أى يفاوض (بالعوام فى حقائق العلوم الدقيقة) مداركها وهذا مشاهد فى عوام الصوفية اذ يسمعون من مشايخهم بعض كلمات دقيقة فى علم الحقيقة فيتمشدقون بها فيهلكون ويهلكون (بل يقتصر معهم) الخائض (على تعليم العبادات) الدينية كالصلاة والصوم والحج والزكاة ومتعلقات كل ذلك من غير تدقيق فى مسائلها ولا اختلاف فى نقولها (و) بعد ذلك يفاوضهم (فى تعليم الامانة) خاصة (فى الصناعة التى هو بصددها) ليكون ذلك أوقع فى قلوبهم وأنفع بحسب ما هم فيه (و) فى أثناء ذلك (يملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة بالجنة والنار) أى بذكر كل منهما بما فيهما من النعيم المقيم الابدى والعقاب الاليم السرمدى (بما نطق به القرآن) وصرحت به الاحاديث والآثار ممزوجة بأقاويل السادة الاخيار (ولا يحرك عليه شبهة) أى لا يفتح عليه فى خلال ذلك باب شبهة ورد واشكال (فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه) لحلوه (ويعسر عليه حلها) والجواب عنها (فيهلك) أى فيكون سببا لهلاكه (ويشقى) أى سببا لشقاوته (وبالجملة لا ينبغى أن يفتح للعوام) عامة (باب البحث والجدال (فانه يعطل عليهم صناعاتهم التى بها قوام الخلق) ونظامهم (و) بها (دوام عيش الخواص) لافتقارهم ضرورة الى تلك الصناعات وعبارة الذريعة وجب على من تقيد بقيد العامة أن لا يصرف عما هو بصدده فيؤدى ذلك الى انحلاله عن قيده ثم لا يمكن أن يقيد بقيد الخواص فيرتفع السد الذى بينه وبين الشرور ومن اشتغل بعمارة الارض من بين تجارة أو مهنة فحقه أن يقتصر به من العلم على مقدار ما يحتاج اليه من هو فى مرتبته فى عبادة الله المعافية وأن يملأ نفسه من الرهبة والرغبة الوارد بهما القرآن ولا يولد له الشبه والشكوك وان اتفق اضطراب نفس بعضهم اما بانبعاث شبهة تولدت أو ولدها ذو بدعة دفع اليه فتاقت نفسه الى معرفة حقيقتها فحقه أن يختبره فان وجده ذا طبع للعلم موافق وفهم ثاقب وقصد صائب خلى بينه وبين التعلم وسوعد عليه بما يوجد من السبيل اليه فان وجد شريرا فى طبعه أو ناقصا فى فهمه منع أشد المنع ففى اشتغاله بما لا سبيل له الى ادراكه مفسدتان تعطله عما يعود بنفع الى العباد والبلاد واشتغاله بما تنتشر منه شبهة وليس فيه نفعه وكان بعض الامم السالفة اذا ترشح أحدهم ليتخصص بمعرفة الحكم وحقائق العلوم والخروج من جملة العامة الى الخاصة اختبره فان لم يوجد خيرا فى الخلق أو غير متهيئ للعلم منعه أشد المنع فان وجده كذلك شورط أن يقيد قيدا فى دار الحكمة ويمنع أن يخرج حتى يحصل له العلم أو يأتى عليه الموت ويزعمون ان من شرع فى حقائق العلوم ثم لم يفرغ منها تولدت له الشبه وكثرت فيصير ضالا مضلا فيعظم على الناس ضرره وبهذا النظر تعوذ بالله من نصف متكلم * (الوظيفة الثامنة) * من وظائف المعلم (أن يكون المعلم) بنفسه (عاملا بعلمه) ظاهرا أثر ذلك على جوارحه (فلا يكذب قوله فعله) ولا يخالف باطنه ظاهره (لان العلم) نور الهى (يدرك بالبصائر) وهو محجوب عن الاحساس (والعمل) شغل الجوارح وهو (يدرك) ظاهرا (بالابصار وأرباب الابصار) المشاهدون باحساساتهم (أكثر) من

أرباب البصائر (فاذا خالف العمل العلم) ولو في بعض الجزئيات (منع الرشد) في نفسه والارشاد لغيره
لامحالة ونص الذريعة والواعظ مالم يكن مع مقاله فعاله لا ينتفع به وذلك أن عمله يدرك بالبصر وعلمه يدرك
بالبصيرة وأكثر الناس أصحاب الابصار دون البصائر فيجب أن تكون عنايته باظهار عمله الذي يدركه
جماعتهم أكثر من عنايته بالعلم الذي لا يدرك الا بالبصيرة اه (ومن) المعلوم (كل من تناول شيأ) وتعاطاه
واختاره لنفسه (وقال الناس لاتتناولوه) ولا تقربوا منه (فانه سم مهلك) يضر باخرتكم أو دنياكم (سخر
الناس به) واستهزؤا به (واتهموه) في دينه وعلمه وورعه (وزاد حرصهم عليه) أي على تناول المنهي عنه
وكذلك بالعكس اذا نهى عن شئ ثم ارتكبه وهذا أصل أصيل في ارشاد الطالبين وتسليك المبتدئين ولاسيما
في الوعظ ومجالس العامة فان الائتمار بما يأمرهم لهم أولا والانصباغ به أوقع في قلوب السامعين وأقرب
الى اذهان الراغبين ولذلك كان بعض الوعاظ لايذكرلهم في فضائل العتق حتى أمكنه الله من شراء رقيق
فأعتقه فذكرلهم فضل من أعتق لله تعالى حتى يكون له تأثير في قلوبهم ومن لم يكابد الليل وسهره وقيامه
فكيف يسمع منه فضل من قامه وأحياه ومتى اختار لنفسه وصفا ونهاهم عن ارتكابه يحبون (فيقولون
لولا انه أعظم الاشياء وألذها) عنده (لما كان يستأثر به) ويختص لنفسه ونص الذريعة ومنزلة الواعظ
من الموعوظ منزلة المداوي من المداوى فكما أن الطبيب اذا قال للناس لاتأكلوا هذا فانه سم ثم رأوه آكلا
له عد سخرية وهزوا كذلك الواعظ اذا أمر بما لايعمله وبهذا النظر قيل ياطبيب طب نفسك (و) انما (مثل
المعلم المرشد من) المتعلم (المسترشد مثل النقش من الطين) الذي يبنى به الجدار ونحوه (و) مثل (العود)
أي عود الشجرة (من الظل وكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج فاذا
اعوج العود اعوج الظل) وفي الذريعة وأيضا فالواعظ من الموعوظ يجري مجرى الطابع من المطبوع فكما
انه محال أن ينطبع الطين على الطابع بما ليس منتقشا به كذلك محال أن يحصل في نفس الموعوظ ماليس
بموجود من الواعظ فاذا لم يكن الواعظ الا ذا قول مجرد من الفعل لم يتلق عنه الموعوظ الا القول دون الفعل
وأيضا فان الواعظ يجري مجرى الظل من ذي الظل وكما انه محال أن يعوج ذو الظل والظل مستقيم كذلك
محال أن يعوج الواعظ ويستقيم الموعوظ اه وقال ابن السمعاني قرأت في كتاب كتبه الغزالي الى أبي حامد
أحمد بن سلامة بالموصل فقال في خلال فصوله أما الوعظ فلست أرى نفسي أهلا له لان الوعظ زكاة نصابه
الاتعاظ فمن لانصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد النور كيف يستنير به غيره ومتى يستقيم الظل والعود
أعوج الى آخر ماذكر وقد ذكر في خلال فصول المقدمة وسيأتي شئ من ذلك في الباب السادس ولايخفى
ان هذا ومافي الذريعة في مورد الوعظ وقاس المصنف عليه التعليم والارشاد لقرب منزلتهما وقوله متى يستقيم
الخ مصراع بيت كامل جرى مجرى الامثال المشهورة المفيدة (ولذلك قيل في المعنى

لاتنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى) في كتابه العزيز (أتأمرون الناس بالبر) قال البيضاوي تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر
يتناول كل خير (وتنسون أنفسكم) وتتركونها قال ابن عباس نزلت في أحبار المدينة كانوا يأمرون سرا من
نصحوه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولايتبعونه وأنتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وأنتم تعلمون أي تتلون
التوراة وفيها الوعيد على العناد ومخالفة القول العمل ومثله في قوله عز وجل بذم الشعراء فقال وانهم
يقولون مالا يفعلون وكذلك قوله ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا
تفعلون وأخرج عبد بن حميد عن أبي خالد الوالبي قال جالسنا عند خباب بن الارت فسكتنا فقلنا ألا تحدثنا فانما
جالسنا اليك لذلك فقال أتأمرون أن أقول مالا أفعل (ولذلك كان وزر العالم) بكسر اللام (في معاصيه)
اذا ارتكبها (أكبر) من وزر الجاهل لما سيأتي من قول أبي الدرداء رضي الله عنه ويل للجاهل مرة وويل
للعالم سبع مرات (اذ يزل بزلته عالم فيقتدون به) مقرين عليه ومنه زلة العالم زلة العالم وفي العالم والعالم

فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيأ وقال الناس لاتتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على مانهوا عنه فيقولون لولا انه أطيب الاشياء وألذها لما كان يستأثر به ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج ولذلك قيل في المعنى لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكبر من وزر الجاهل اذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به

جناس كامل (و) قد ورد (من سن) في الاسلام (سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها) وهي قطعة من حديث وتمامه من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيأ أخرجه الامام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق والدارمي وأبو عوانة وابن حبان كلهم عن جرير وأوله من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيأ وفي الباب عن حذيفة وأبي جحيفة وأبي هريرة وواثلة رضي الله عنهم وقد تقدم في خطبة هذا الشرح ايماء الى ذلك فراجعه ولم يذكره الحافظ العراقي في تخريجه وكأنه لعدم ذكر المصنف في أوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ساقه مساق كلامه والا فلا يخفى مثل ذلك عليه وقد ساق صاحب الذريعة هذا السياق وفيه زيادة لم يذكرها المصنف فقال وأيضا فكل شئ له حالة يختص بها فانه يجر غيره الى نفسه بقدر وسعه بارادة منه أو غير ارادة كالماء الذي يحيل ما يتلقاه من العناصر الى نفسه بقدر وسعه وكذلك النار والارض والهواء فالواعظ اذا كان غاديا جر بغيه غيره الى نفسه فمن ترشح للوعظ ثم فعل فعلا قبيحا اقتدى به غيره فقد جمع وزره ووزرهم كما قال عليه السلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وقال تعالى ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم وقال تعالى وليحملن أثقالهم الآية اه (ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه) هذا الاثر لم أجده في الحلية بلفظه وفي القوت وروينا عن علي رضي الله عنه ما قطع ظهري في الاسلام الا رجلان عالم فاجر ومبتدع ناسك فالعالم الفاجر يزهد الناس في علمه لما يرون من فجوره والمبتدع الناسك يرغب الناس في بدعته لما يرون نسكه اه ونص الذريعة حق الواعظ أن يتعظ ثم يعظ ويبصر ثم يبصر ويهتدي ثم يهدي ولا يكون دفترا يفيد ولا يستفيد ومسنا يشحذ ولا يقطع بل يكون كالشمس التي تفيد القمر الضوء ولها أفضل مما تفيده وكالنار التي تحمي الحديد ولها من الحر أكثر مما تفيد ويجب أن لا يخدج مقاله بفعاله ولا يكذب لسانه بحاله فيكون ممن وصفهم الله تعالى بقوله ومن الناس من يعجبك قوله الآية ونحو ما قال علي رضي الله عنه قصم ظهري فساقه الخ ولكن بتقديم الجاهل على العالم والباقي سواء

(الباب السادس في آفات العلم)

والعلماء (وبيان علامات) فارقة بين (علماء الآخرة و) بين (العلماء السوء) وهم علماء الدنيا فاعلم انه (قد ذكرنا) فيما سبق بعض (ما ورد) في الآيات والاحاديث والآثار (في فضائل العلم والعلماء) بما فيه مقنع للطالب المجد (و) الآن عن لنا أن نذكر شيأ مما يتعلق بعلماء الدنيا فاعلم انه (قد ورد في) حق (العلماء السوء تشديدات) وتهديدات (عظيمة) في الآيات والاحاديث والآثار (دلت على انهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة) كما سيأتي بيانه (فمن المهمات العظيمة معرفة العلامة الفارقة) المميزة (بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة) ليكون السامع لما يتلى عليه من ذلك على بصيرة تامة فلا يحمل ما ورد في علماء الآخرة من الفضائل على علماء الدنيا (ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء) وصفهم بذلك لخسة منزلتهم عند الله تعالى ودناءة همتهم حيث استعملوا ما به يمدح فيما يذم وهم (الذين قصدهم من) تحصيل (العلم التنعم بالدنيا) والترفه بزخارفها بتزيين المنازل بالفرش الطيبة وتعليق الستور عليها وتزيين الملابس الفاخرة والتجمل بالمراتب الفارهة (والتوصل) بذلك (الى الجاه والمنزلة) الرفيعة (عند أهلها) أي الدنيا (قال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه) قد تقدم في خطبة الكتاب الكلام على تخريج هذا الحديث وانه رواه أبو هريرة رضي الله عنه وما يتعلق به من المعنى وهو أول حديث ذكره في الخطبة وقد كرره في ثلاثة مواضع هذا ثالثها (وروي عنه صلى الله عليه وسلم لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا) قال العراقي في التخريج الكبير لم أجده مرفوعا ورواه ابن حبان في كتاب روضة العقلاء والبيهقي في المدخل موقوفا على أبي الدرداء بزيادة في أوله انك لن تكون عالما حتى تكون متعلما ولن

ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه والله أعلم

(الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء) قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا

وقال صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم فى القلب فذلك العلم النافع وقال صلى الله عليه وسلم يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال صلى الله عليه وسلم لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار

تكون عالما حتى تكون لما علمت عاملا اللفظ للبيهقى وفيه انقطاع اه قلت وأخرج الخطيب فى كتاب الاقتضاء من رواية هشام الدستوائى عن برد عن سليمان قاضى عمر بن عبد العزيز قال قال أبو الدرداء لا تكون عالما حتى تكون متعلما ولا تكون بالعلم عالما حتى تكون به عاملا وأما ما عزاه العراقى لابن حبان والبيهقى فقد أخرجه الخطيب فى الكتاب المذكور من رواية وكيع عن جعفر بن برقان عن فرات بن سلمان عن أبى الدرداء (وقال صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله عزوجل على ابن آدم وعلم فى القلب فذلك العلم النافع) أورده صاحب القوت فى خلال كلامه فقال روينا عن الحسن البصرى يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلم علمان فعلم باطن فى القلب فذلك هو النافع وعلم ظاهر على اللسان فذلك حجة الله على خلقه اه وقد رواه الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم من رواية قتادة عن أنس رفعه العلم علمان فعلم ثابت فى القلب فذلك العلم النافع وعلم فى اللسان فذلك حجة الله على عباده وفى اسناده أبو الصلت الهروى اسمه عبد السلام بن صالح اتهمه الدارقطنى بالوضع وبنحوه هذا أخرجه الخطيب فى تاريخه باسناد جيد من رواية الحسن عن جابر رفعه وأعله ابن الجوزى برواية يحيى بن اليمان قال أحمد ليس بحجة ولكن قال العراقى فى تخريجه احتج به مسلم وقال يحيى بن معين ثقة وقال ابن المدينى صدوق قال العراقى وقد جاء من حديث الحسن مرسلا دون ذكر جابر باسناد صحيح رواه الحكيم الترمذى فى النوادر وابن عبد البر فى العلم من رواية هشام عن الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم قلت وكذلك ابن أبى شيبة فى المصنف قال وفى الباب عن على وعائشة رضى الله عنهما (وقال صلى الله عليه وسلم يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق) هكذا أخرجه أبو نعيم فى الحلية من رواية يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس رفعه ثم قال هذا حديث ثابت لم نكتبه الا من حديث يوسف بن عطية عن ثابت وهو قاض بصرى فى حديثه نكارة اه وأخرجه كذلك من طريقه الحاكم فى الرقاق من المستدرك وابن عدى فى الكامل ولفظهما وعلماء فسقة وابن النجار فى تاريخه كما فى الكبير للسيوطى ولفظه وقراء فسقة وقال الحاكم صحيح وشنع عليه الذهبى والعراقى قال الاول يوسف بن عطية الصفار هالك وقال الثانى مجمع على ضعفه وفى الميزان عن البخارى منكر الحديث وساق له هذا الخبر وفى الديوان قال أبو زرعة والدارقطنى ضعيف ورواه البيهقى فى الشعب من هذا الوجه وقال يوسف كثير المناكير ومن شواهده ما أخرجه الحكيم الترمذى فى النوادر من رواية أبان عن أنس رفعه يكون فى آخر الزمان ديدان القراء فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهم الانتنون وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من طريق سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن أسامة رفعه الا انه قال ذبان القراء بدل ديدان وقال غريب من حديث سليمان أفادناه الدارقطنى الحافظ ونقل القرطبى عن مكحول يأتى على الناس زمان يكون عالمهم أنتن من جيفة حمار وأخرج الخطيب عن أبى هريرة يكون فى آخر الزمان أمراء ظلمة ووزراء فسقة وقضاة خونة وفقهاء كذبة فمن أدركهم فلا يكونن لهم عريفا ولا جابيا ولا خازنا ولا شرطيا (وقال صلى الله عليه وسلم لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء وتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار) أخرجه ابن ماجه من رواية بشير بن ميمون عن أشعث بن سوار عن ابن سيرين عن حذيفة رضى الله عنه رفعه ولفظه لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء أو لتماروا به السفهاء أو لتصرفوا والباقى سواء قال العراقى وبشير بن ميمون الخراسانى متهم بالوضع قاله البخارى وأشعث بن سوار مختلف فيه ولكن أخرج ابن ماجه أيضا من رواية ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر رفعه لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا لتخيروا به فى المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار قال العراقى واسناده على شرط مسلم قلت وأخرجه كذلك الحاكم وابن حبان والضياء المقدسى فى المختارة وبه يتقوى حديث حذيفة السابق قال العراقى وفى الباب عن عبد الله بن عمر وكعب بن مالك وأبى هريرة ومعاذ وأنس وأم سلمة رضى الله عنهم فحديث ابن عمر رواه ابن ماجه من رواية أبى كرب

الازدى عن نافع عنه رفعه من طلب العلم ليمارى به السفهاء أو ليباهى به العلماء أو ليصرف وجوه الناس اليه فهو فى النار وأبو كرب مجهول وروى الترمذى من حديث خالد بن دريك عن ابن عمر رفعه من تعلم علما لغير الله وأراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار واسناده جيد وأما حديث كعب بن مالك فرواه الترمذى من رواية اسحق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله قال حدثنى ابن كعب بن مالك عن أبيه رفعه من طلب العلم ليجارى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو يصرف وجوه الناس اليه أدخله الله النار وقال غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه واسحق بن يحيى تكلم فيه من قبل حفظه قلت وأخرجه ابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة والطبرانى من هذا الطريق ولفظهما من طلب العلم لاحدى ثلاث ليجارى به العلماء أو ليمارى به السفهاء او يصرف وجوه الناس اليه أدخله الله النار وأما حديث أبى هريرة فرواه ابن ماجه أيضا من رواية عباد بن سعيد المقبرى عن جده عنه رفعه من تعلم العلم ليباهى به العلماء و يبارى به السفهاء و يصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله جهنم وعباد بن سعيد المقبرى ضعيف قاله العراقى وأما حديث معاذ فرواه الطبرانى من رواية شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عنه رفعه من طلب العلم ليباهى به العلماء و يبارى به السفهاء فى المجالس لم يرح رائحة الجنة وشهر بن حوشب مختلف فيه وأما حديث أنس فرواه أبو بكر البزار والطبرانى فى الاوسط من رواية سليمان بن زياد بن عبد الله حدثنا سفيان أبو معاوية عن قتادة عن أنس رفعه من طلب العلم ليباهى به العلماء و يمارى به السفهاء و يصرف به وجوه الناس اليه فهو فى النار قال البزار لا نعلمه يروى عن أنس الا بهذا الاسناد تفرد به سليمان ولم يتابع عليه و رواه عنه غير واحد قاله العراقى قلت وأخرجه أيضا ابن عساكر فى تاريخه وأبو نعيم فى المعرفة من هذا الطريق الا انهما قالا ليمارى به السفهاء أو يكاثر به العلماء أو يصرف وجوه الناس اليه فليتبوأ مقعده من النار وأخرجه ابن أبى عاصم فى الوحدان والدارقطنى فى الافراد والديلمى فى مسند الفردوس من هذا الوجه ولفظهم من تعلم العلم والباقى سواء وأخرج ابن عساكر أيضا من رواية نافع بن مالك أبى سهل عم مالك بن أنس قال قلت للزهرى أما بلغك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من طلب شيأ من هذا العلم الذى يراد به وجه الله ليطلب به شيأ من عرض الدنيا دخل النار فقال الزهرى لا ما بلغنى فساقه وفيه قصة تقدمت فى خاتمة الفصول قال العراقى وأما حديث أم سلمة فرواه الطبرانى من رواية عبد الخالق ابن زيد عن أبيه عن محمد بن عبد الملك بن مروان عن أبيه عنها رفعته من تعلم العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء فهو فى النار وعبد الخالق بن زيد بن واقد منكر الحديث قاله البخارى وعبد الملك بن مروان أورده الذهبى فى الميزان وقال أنى له العدالة وقد سفك الدماء وفعل الافاعيل قلت عبد الخالق المذكور قال الذهبى فى الديوان قال النسائى ليس بثقة وقوله أنى له العدالة الخ صحيح ولكن قد يقال يحتمل انه تحمل هذا الحديث فى حال استقامته قبل ان تصدر منه الافاعيل وهكذا أخرجه تمام الرازى فى فوائده أيضا وأخرج ابن النجار فى تاريخه عن أم سلمة من طلب علما ليباهى به العلماء فهو فى النار وأخرجه ابن عساكر أيضا ولكن عنده من طلب علما يباهى به الناس والباقى سواء وأخرجه الدارمى فى مسنده من رواية مكحول عن ابن عباس رفعه من طلب العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يريد ان يقبل بوجوه الناس اليه أدخله الله جهنم (وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار) تقدم هذا الحديث قريبا وفى الباب الاول من هذا الكتاب دون قوله عنده قال العراقى وهذه اللفظة فى بعض طرق حديث أبى هريرة رواها ابن الجوزى فى العلل المتناهية وأعلها باسمعيل بن عمرو وذكر قول الدارقطنى فيه انه ضعيف الا ان ابن حبان ذكره فى الثقات (وقال صلى الله عليه وسلم لانا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذاك فقال من الائمة المضلين) وفى نسخة فقال أئمة مضلون أخرجه الامام أحمد من رواية أبى تميم الجيشانى واسمه عبد الله بن مالك قال سمعت أبا ذر يقول كنت مخاضر النبى صلى الله عليه

وسلم

وقال صلى الله عليه وسلم من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار وقال صلى الله عليه وسلم لانا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذاك فقال من الائمة المضلين

وسلم الى منزله فسمعته يقول غير الدجال أخوف على أمتى من الدجال فلما خشيت ان يدخل قلت يارسول الله أى شئ أخوف على أمتك من الدجال قال الائمة المضلون قال العراقى فى اسناده عبد الله بن لهيعة مختلف فيه ورواه أبو يعلى من رواية جابر عن عبد الله بن يحيى عن على بن أبى طالب رفعه غير الدجال أخوف عليكم أئمة مضلون وجابر هو أبو يزيد الجعفى ضعفه الجمهور وروى أحمد من طريق أبى المخارق زهير بن سالم عن عمير بن سعد الانصارى ان عمر قال لكعب ما أخوف شئ تخوفه على أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال أئمة مضلون قال عمر صدقت قد أسر الى ذلك وأعلمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو المخارق ذكره ابن حبان فى الثقات وعمير بن سعد معدود فى الصحابة والظاهر انه منقطع بينه وبين أبى المخارق وأخرج مسلم وأصحاب السنن من رواية جبير بن نفير عن النواس بن سمعان فى حديثه الطويل فى الدجال وفيه فقال غير الدجال أخوفنى عليكم وأخرج الامام أحمد والطبرانى فى الكبير عن أبى الدرداء رفعه ان أخوف ما أخاف على أمتى الائمة المضلون قال الهيثمى فيه راويان لم يسميا وأخرج العلائى بسنده الى ابن عمر قيل له ما يهدم الاسلام قال زلة عالم وجدال المنافق وحكم الائمة المضلين وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية صفوان ابن عمرو عن أبى المخارق عن كعب عن عمر رفعه أخوف ما أخاف على أمتى الائمة المضلون فقال كعب فقلت والله ما أخاف على هذه الامة غيرهم قال الشيخ غريب من حديث كعب تفرد به صفوان رواه عنه بقية بن الوليد والقدماء (وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا) أخرجه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق موسى بن ابراهيم عن موسى بن جعفر الصادق عن آبائه عن على رضى الله عنه رفعه الا انه قال ولم يزدد فى الدنيا زهدا مكان هدى كذا فى الجامع الكبير للسيوطى وأشار له العراقى وقال وقد رويناه من طريق ابراهيم بن عبد الله عن عبد الله بن الحسن عن أبيه عن جده رفعه من ازداد بالله علما ثم ازداد بالدنيا حبا ازداد الله عليه غضبا قال والمشهور ان هذا الحديث من قول الحسن البصرى رواه ابن حبان فى روضة العقلاء وابن عبد البر فى بيان العلم بلفظ من ازداد علما ثم ازداد على الدنيا حرصا لم يزدد من الله الا بعدا لفظ ابن حبان وقال ابن عبد البر بغضا بدل بعدا وزاد ولم يزدد من الدنيا الا بعدا قال وقد روى مثل قول الحسن هذا مرفوعا وكأنه أشار الى حديث على المتقدم قلت وحديث على المتقدم سنده ضعيف لان موسى بن ابراهيم قال الذهبى قال الدارقطنى متروك كذا قاله المناوى وعندى فى ذلك نظر لان الذى قال فيه الدارقطنى متروك هو مروزى روى عن ابن لهيعة كما هو نص الديوان للذهبى والذى روى عن موسى بن جعفر رجل من أهل البيت فتأمل والحديث الذى بعده رواه أبو الفتح الازدى فى الضعفاء ومن الشواهد ما أخرجه أبو نعيم فى الحلية حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا الحسن بن ابراهيم بن يسار حدثنا سليمان بن داود حدثنا ابن عيينة قال كان يقال ان العاقل اذا لم ينتفع بقليل الموعظة لم يزدد على الكثير منها الا شرا وفى معنى ذلك قول مالك بن دينار من لم يؤت من العلم ما يقمعه فما أوتى من العلم ما ينفعه (وقال عيسى عليه السلام) فيما أخرجه الخطيب فى اقتضاء العلم العمل له حدثنا محمد بن أحمد بن رزقويه حدثنا جعفر بن محمد الخلدى حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا عباس العنبرى حدثنى عبد الصمد قال سمعت سعيد بن عطارد وكان يبكى حتى قرح قال قال عيسى بن مريم (الى متى تصفون الطريق) أى الى الله تعالى (الى المدلجين) ولفظ الخطيب الى الدالجين أى لهم وهم السائرون بالليل والمراد بهم الزهاد السالكون الى الله تعالى (وأنتم مقيمون) أى باعمالكم (مع المتحيرين) الواقفين أى فلا يصح وصف الطريق الامن المتصف بالسير والسلوك فى طريق الحق زاد الخطيب بعد قوله المتحيرين انما ينبغى من العلم القليل ومن العمل الكثير (فهذا) الذى ذكرناه لك (وغيره من الاخبار) الكثيرة (يدل على عظيم خطر العلم و) على (ان العالم) من حيث هو هو (متعرض) بعلمه (اما لهلاك الابد) فيكون أشقى الاشقياء (أو لسعادة الابد) فيكون أسعد السعداء (وانه بالخوض) والاشتغال (فى العلم قد حرم) منع (السلامة) من

وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه السلام الى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظيم خطر العلم فان العالم اما متعرض لهلاك الابد أو لسعادة الابد وانه بالخوض فى العلم قد حرم السلامة

الهلاك (ان لم يدرك السعادة) بمنة من الله تعالى وتوفيق منه وتحقيق هذا المقام ان أصل العلم الرغبة وثمرته السعادة وأصل الزهد الرهبة وثمرته العبادة فاذا اقترن العلم والزهد فقد تمت السعادة وعمت الفضيلة وان افترقا فياويح مفترقين ما أضر افتراقهما وأقبح انفرادهما وقد فصل المصنف في ذلك تفصيلا حسنا يأتي في أثناء كتابه الناس في طلب العلم ثلاثة رجل طلبه ليتخذه زاده الى المعاد لم يقصد الا وجه الله فهذا من الفائزين ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال به الجاه والمال ومع ذلك يعتقد خسيسة مقصده وسوء فعله فهذا من المخاطرين فان عاجله أجله قبل التوبة خيف عليه سوء الخاتمة وان وفق لها فهو من الفائزين ورجل استحوذ عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة الى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الاتباع وهو مع ذلك يضمر انه عند الله بمكان لاتسامه بسمة العلماء فهذا من الهالكين المغرورين اذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه انه من المحسنين (وأما الآثار فقد قال عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه ان أخوف ما أخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا كيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل) اتخذ العلم حرفة يتأكل بها وهيئة وابهة يتعزز بها يدعو الناس الى الله ويفر هو منه ويستقبح عيب غيره ويفعل ما هو أقبح منه ويظهر للناس النسك والتعبد ويسارر به بالعظائم ذئب من الذئاب لكن عليه ثياب فهذا هو الذي حذر منه الشارع صلى الله عليه وسلم حذرا من ان يخطفك بحلاوة لسانه ويحرقك بنار عصيانه ويقتلك بفتن باطنه وجنانه وقال الطيبي أضاف أفعل الى ما وهي نكرة موصوفة ليدل على انه اذا استقصى الاشياء المخوفة لم يوجد أخوف منه قال العراقي وهذا الذي ذكره أثرا فقد ذكره أحمد مرفوعا من حديث عمر باسناد صحيح من رواية أبي عثمان النهدي قال اني لجالس تحت منبر عمر بن الخطاب وهو يخطب الناس فقال في خطبته سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أخوف ما أخاف على هذه الامة كل منافق عليم اللسان قلت وهكذا أخرجه ابن عساكر في تاريخه من رواية مالك بن دينار عن ميمون الكردي عن أبي عثمان النهدي قال خطبنا عمر بن الخطاب قال حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل منافق عليم اه ثم قال العراقي وصح أيضا من حديث عمران بن حصين رواه الطبراني من رواية عبد الله ابن بريدة عنه رفعه ان أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان اه قلت وبمثل رواية أحمد رواه ايضا البزار وأبو يعلى قال المنذري رواتهم محتج بهم في الصحيح وقال الهيثمي رجاله موثوقون في بعض نسخ المسند على أمتي بدل هذه الامة وفي القوت وعن عمر ورويناه مسندا أيضا اتقوا كل منافق عليم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون وكان المصنف لم ينظر الى قوله ورويناه مسندا أيضا تقوية لجانب الموقوف وسيأتي عن الدارقطني انه قال الموقوف أشبه بالصواب (وقال) أبو محمد (الحسن) بن سعيد البصري (لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء) أي ممن عمله يخالف قوله فانه عين الهلاك (وقال رجل لابي هريرة) رضي الله عنه (أريد أن أتعلم العلم وأخاف ان أضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة له) هذا موقوف على أبي هريرة رضي الله عنه ويعضده ما روى عن الاعمش معضلا آفة العلم النسيان واضاعته ان تحدث به غير أهله أخرجه الدارمي في مسنده والعسكري في الامثال وابن عدي من عدة طرق وروي عن علي مرفوعا آفة العلم النسيان أخرجه الدارقطني في مسنده وابن عدي في الكامل وروي ذلك عن ابن مسعود أيضا موقوفا أشار له البيهقي في المدخل والنسيان ترك ضبط ما استودع (وقيل لابراهيم بن عتبة) أحد الزهاد (أي الناس أطول ندما قال أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره) أي لا يجازيه على معروفه ولو بالثناء (وأما عند الموت فعالم مفرط) أي الذي فرط في نفسه في عدم عمله لما علمه (وقال) امام النحو واللغة (الخليل بن أحمد) بن عبد الرحمن الفراهيدي البصري شيخ العربية والعروض أحد الاعلام روى عن أيوب وعاصم الاحول والعوام بن حوشب وغالب القطان وجماعة وعنه سيبويه والاصمعي والنضر بن شميل وهرون بن موسى ووهب بن

ان لم يدرك السعادة (وأما الآثار) فقد قال عمر رضي الله عنه ان أخوف ما أخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال رجل لابي هريرة رضي الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العلم اضاعة له وقيل لابراهيم ابن عتبة أي الناس أطول ندما قال أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل ابن أحمد

حريروعلى بن نصر الجهضمي وكان رأسافى علم اللسان خيرامتواضعا ذازهد وعفاف ولدسنة مائة وتوفى سنة سبعين ومائة وقيل ستين وقيل خمس وسبعين وقيل غيرذلك كذا فى تاريخ الذهبي (الرجال أربعة رجل يدرى ويدرى انه يدرى) المراد به العامل بعلمه فانه اذا درى انه عالم لزمه اتباع علمه ضرورة (فذلك عالم) حقا (فاتبعوه) واستفيدوا منه (ورجل يدرى) فى نفس الامر (ولايدرى انه يدرى) بل شبه عليه (فذلك نائم) أى غافل (فايقظوه) أى نبهوه (ورجل لايدرى ويدرى انه لايدرى) أى جاهل جهلا بسيطا (فذلك مسترشد) أى طالب الرشد (فعلموه ورجل لايدرى ولايدرى انه لايدرى فذلك جاهل) جهلا مركبا (فارفضوه) أى اتركوه وتحقيق هذا المقام ما أورده أبو القاسم الراغب فى كتاب الذريعة مالفظه وأما التقصير فأربعة أشياء الاول ان يكون انسانا لايعرف الحق من الباطل والجميل من القبيح فيبقى غفلا ودواؤه سهل وهو التعليم الصائب * الثانى ان يكون من قد عرف ذلك لكن لم يتعوّد فعل الصالح وزين له سوء عمله فرآه حسنا فاقتعاطاه وأمره أصعب من الاول لكن يمكن ان يقهر على العادة الجميلة حتى يتعوّدها وان كان قد قيل ترك العادة شديد * والثالث ان يعتقد فى الباطل والقبيح انه حق وجميل فتربى على ذلك ومداواة ذلك أصعب جدا فقد صار ممن طبع على قلبه اذ قد ينقش بنقش خسيس كالكاغد كتب فيه ما يؤدى حذفه الى خرقه وفساده والرابع أن يكون مع جهله وتربيه على الفساد شديدا فى نفسه يرى الخلاف وقهر النفس فضيلة وذلك أصعب الوجوه والى نحوه قصد من قال من التعذيب تأديب الذيب ليتهذب وغسل المسح ليتبيض فالاول من هؤلاء الاربعة يقال له جاهل والثانى يقال له جاهل وضال والثالث يقال له جاهل وضال وفاسق والرابع يقال له جاهل وضال وفاسق وشديد (وقال) سفيان بن سعيد (الثورى) رحمه الله (يهتف العلم بالعمل فان أجابه والا ارتحل) وعزاه صاحب القوت الى سهل التسترى وأورده الخطيب فى كتاب الاقتضاء من وجهين الاول من طريق الحرث بن عبيد الله قال سمعت ابن أبى ذئب يحدث عن ابن المنكدر قال العلم يهتف بالعمل مثل لفظ الثورى والثانى من طريق أبى الفرج عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي عن آبائه مسلسلا بالسماع عن على رضى الله عنه قال هتف العلم بالعمل فان أجابه والا ارتحل قال الخطيب عدد الآباء تسعة (وقال) أبو عبد الرحمن عبد الله (ابن المبارك) بن واضح المروزى تقدمت ترجمته (لايزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل) ووجهه انه اذا ظن فى نفسه انه صار عالما كسل عن طلب العلم وهو عمل فانقطع عن العمل فصار علمه منفكا عن العمل وهذا جهل (وقال) الامام الزاهد أبو على (الفضيل) بن عياض بن منصور بن بشر التميمي المروزى المكى روى عن الاعمش وابن المعتمر أدرك أنس بن مالك وعبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما ومنهم عطاء بن السائب وحصين بن عبد الرحمن ومسلم الاعور وأبان بن أبى عياش وكلهم أدركوا أنس بن مالك روى عنه الائمة الثورى وابن عيينة ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدى والحسين بن على الجعفى ومؤمل بن اسمعيل وعبد الله بن وهب المصرى وأسد بن موسى وثابت بن محمد العابد ومسدد ويحيى بن يحيى النيسابورى وقتيبة بن سعيد فى أشكالهم ونظرائهم وترجمته فى الحلية طويلة وفى تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ثقة عابد امام مات سنة سبع وثمانين ومائة وقيل قبلها بمكة وقبره بالمعلى مشهور خرج حديثه الجماعة ماعدا ابن ماجه (انى لارحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما تلعب به الدنيا) وهذا قد روى مرفوعا من حديث ابن عباس وأنس وأبى هريرة أما حديث ابن عباس فأخرجه ابن عدى من طريق وهب بن وهب عن ابن جريج عن عطاء عنه ولفظه ارحموا ثلاثة عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما يتلاعب به الصبيان وأما حديث أنس فاخرجه الخطيب من طريق سمعان بن مهدى عنه ولفظه ارحموا ثلاثة غنى قوم افتقر وعزيز قوم ذل وفقيها يتلاعب به الجهال وأخرج ابن حبان من طريق عيسى بن طهمان عنه ولفظه مثل الاول الا انه قال وعالما بين جهال وقد حكم ابن الجوزى على هذه الاحاديث بالوضع فقال وهب كذاب وسمعان مجهول وعيسى

الرجال أربعة رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدرى ولايدرى أنه يدرى فذلك نائم فأيقظوه ورجل لايدرى ويدرى أنه لايدرى فذلك مسترشد فارشدوه ورجل لايدرى ولايدرى أنه لايدرى فذلك جاهل فارفضوه وقال سفيان الثورى رحمه الله يهتف العلم بالعمل فان أجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لايزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل بن عياض رحمه الله انى لارحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا

وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشترى دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم ان العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه أراد به العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وانما يضاعف عذاب العالم فى معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلاثة الا انهم أنكروا بعد المعرفة اذ قال الله يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وقال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين

ينفرد بالمناكير عن المشاهير ولا يحتج به وانما يعرف هذا من قول الفضيل بن عياض اه وأما حديث أبي هريرة فأخرجه الديلمى من طريق ابن علية عن أيوب عن الحسن عنه ولفظه بكت السموات السبع ومن فيهن ومن عليهن لعز يذل وغنى افتقر وعالم تلعب به الجهال هكذا أورده السيوطى فى اللآلئ المصنوعة وهو شاهد قوى لما تقدم واسناده جيد (وأنشدوا فى) هذا (المعنى لبعض الشعراء)

(عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى * ومن يشترى دنياه بالدين أعجب)

والابتياع هو الشراء وأشار صاحب هذا القول الى عالم السوء الذى يأكل دينه بدنياه (وقال صلى الله عليه وسلم ان العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه) قال العراقى لم أجده بهذا اللفظ وهو بمعنى حديث أسامة بن زيد الآتى بعده (أراد به العالم الفاجر) أى ان اللام فى العالم ليست للجنس وانما هى للعهد (وقال أسامة بن زيد) بن حارثة بن شراحيل الكلبى الامير أبو محمد وأبو زيد حب رسول الله وابن حب رسول الله صحابى مشهور مات سنة أربع وخمسين وهو ابن خمس وسبعين (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه) وفى بعض النسخ بعد قوله اقتابه يعنى أمعاءه وهو مدرج من الراوى قال العراقى أخرجه البخارى ومسلم من رواية أبى وائل شقيق بن سلمة عن أسامة بن زيد واللفظ لمسلم الا أنه قال يؤتى بالرجل وقال اقتاب بطنه وقال فيجتمع اليه الناس فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه ولفظ البخارى يجاء برجل فيطرح فى النار فيطحن بها كما يطحن الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون أى فلان ألست كنت تأمر بالمعروف فذكره الا أنه قال ولا أفعله وقال وأفعله وفى رواية لاحمد فى مسنده فيقولون مالك يا فلان ما أصابك وفى رواية له يؤتى بالرجل الذى يطاع فى معاصى الله الحديث وفيه فيقول كنت آمركم بأمر وأخالفكم الى غيره اه قلت وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن أسامة بن زيد يجاء بالامير يوم القيامة فيلقى فى النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار بطاحونته فيقال له ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر قال بلى ولكن لم أكن لافعله كذا فى الذيل للسيوطى وأخرج أبو نعيم فى ترجمة الشعبى من الحلية من طريق سفيان عن اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى قال يشرف قوم دخلوا الجنة على قوم دخلوا النار فيقولون مالكم فى النار وانما كنا نعمل بما تعلموننا فيقولون انما نعلمكم ولا نعمل به واخرج فى ترجمة منصور بن زاذان بسنده اليه قال نبئت ان بعض من يلقى فى النار يتأذى أهل النار بريحه فيقال له ويلك ما كنت تعمل أما يكفينا ما نحن فيه من النتن حتى ابتلينا بك وبنتن ريحك فيقول كنت عالما أنتفع بعلمى (وانما يضاعف عذاب العالم فى معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال) الله (عز وجل) فى كتابه العزيز (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) قال صاحب القاموس فى البصائر الدرك اسم فى مقابلة الدرج وبمعنى ان الدرج مراتب باعتبار الصعود والدرك مراتب باعتبار الهبوط ولهذا عبروا عن منازل الجنة بالدرجات وعن منازل جهنم بالدركات وقول الله تعالى السابق قرأ الكوفيون غير الاعمش والبرجمى بسكون الراء والباقون بفتحها (لانهم جحدوا) أى أنكروا (بعد العلم) والمعرفة (وجعل اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا) أى أكثرهم ولو انه قال بعضهم فى عزير هو ابن الله لما رأوه حفظ التوراة عن ظهر قلبه (ولا قالوا ثالث ثلاثة) وهذا القول خاصة للنصارى (ولكن أنكروا) النبى صلى الله عليه وسلم (بعد المعرفة اذ قال تعالى يعرفونه) أى النبى صلى الله عليه وسلم (كما يعرفون أبناءهم) أى غاية المعرفة (وقال عز وجل فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) وقد تقدم للمصنف ان من لم ينفعه علمه لا ينجو به رأسا برأس

هيهات

هيهات خطره عظيم ووباله جسيم (وقال تعالى فى) حق (بلعم بن باعوراء) ابن برم بن برهم بن ماز ر بن هاران بن تارح بن ناحور بن سروع بن ارغو ابن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام من عشيرة سيدنا لوط بن هاران عليه السلام ونقل السهيلى عن ابن عباس ومجاهد هو بلعم بن باعوراء ويقال بلعام وأصله من بنى اسرائيل اه وقال محمد بن على الاوسى فى كتابه التكميل لتعريف السهيلى الاظهر انه لم يكن من بنى اسرائيل وحكى المسعودى فى نسبه انه بلعام بن باعور بن سموم بن فرستم بن ماب بن لوط ابن هاران وكان بقرية من قرى البلقاء من بلاد الشام وقال الاوسى ويقال فيه بلعام بن عابر ويقال آبر وسياتى للمصنف فى أثناء هذا الكتاب وسمعت بعض العلماء يقول انه كان فى أول أمره بحيث يكون فى مجلسه اثناعشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه العلم ثم صار بحيث كان أوّل ما صنف كتابا ان ليس للعالم صانع نعوذ بالله من ذلك وذلك عيله الى الدنيا واتباعه للهوى ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى (واتل عليهم) أى على اليهود (نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) أى من الآيات بان كفر بها وأعرض عنها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين وهذا الذى ذهب اليه المصنف انه فى حق بلعم المذكور هو قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان الآية نزلت فى أمية بن أبى الصلت الثقفى وكان قد قرأ التوراة والانجيل فى الجاهلية وكان يعلم بأمر النبى صلى الله عليه وسلم قبل بعثته فطمع أن يكون هو فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرفت النبوّة عن أمية حسد وكفر (حتى قال) بعد قوله ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه (فمثله) أى صفته التى هى مثل فى الخسة (كمثل الكلب) كصفته فى أخس أحواله (ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون (وكذلك العالم الفاجر) المعرض عن آيات الله بعد معرفته بها (فان بلعم) المذكور (أوتى كتاب الله عز وجل) وقال البيضاوى أوتى علم بعض كتاب الله وقال السهيلى كان أوتى اسم الله الاعظم وقال محمد بن على الاوسى وكانت له حمارة اذا ركبها وذكر الاسم الاعظم الذى علمه الله سارت مسيرة خمسمائة يوم فى يوم واحد وروى فى ساعة واحدة ذكره الطبرى وكان بحيث اذا نظر رى العرش وقال السهيلى وكان مع الجبارين فسألوه أن يدعو على موسى وجيشه فأبى وأرى فى المنام أن لا يفعل فلم يزالوا به حتى فتنوه فقلب لسانه فأراد الدعاء على موسى فدعا على قومه وخلع الايمان من قلبه ونسى الاسم الاعظم (فأخلد الى الشهوات) أى مال اليها واتبع هواه فى ايثار الدنيا واسترضى قومه وأعرض عن مقتضى الآيات (فشبه بالكلب) الذى هو أخس الحيوانات (أى سواء أوتى الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث) وامآء (الى الشهوات) كالكلب يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع أى اخراجه من العطش قال البيضاوى والشرطية فى موضع الحال والمعنى لاهثا فى الحالتين وقال السمين مثل الله تعالى حال بلعام بحال كلب هذه صفته فاذا كان لاهثا لم يملك دفع ضر ولا جلب نفع فلم يكتف بأن جعل مثله مثل الكلب بل مثل كلب متصف بما ذكر فقوله ان تحمل عليه فى محل الحال لان الكلب لا يزال كذلك دائما فنبهك بذلك لان بعض الناس قد توهمه اه (وقال عيسى عليه السلام) ونص القوت وروينا عن عيسى عليه السلام (مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لاهى شربت) وفى القوت لاهى تشرب (الماء ولا هى تترك الماء يخلص) أى يصل (الى الزرع) وكذلك علماء الدنيا قعدوا على طريق الآخرة فلاهم نفذوا ولا تركوا العباد يسلكون الى الله تعالى وأخرج الخطيب فى كتابه الاقتضاء بسنده الى محمد بن يزيد بن خنيس قال سمعت وهيب بن الورد يقول ضرب مثل للمعلم السوء

وقال تعالى فى قصة بلعام بن باعوراء واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين حتى قال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فكذلك العالم الفاجر فان بلعام أوتى كتاب الله تعالى فاخلد الى الشهوات فشبه بالكلب أى سواء أوتى الحكمة أولم يؤت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لاهى تشرب الماء ولاهى تترك الماء يخلص الى الزرع

ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الاخبار والآثار تبين أن العالم الذى هو من أبناء الدنيا أخس حالا وأشد عذابا من الجاهل وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فان أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادتان وانهما كالضرتين مهما أرضيت احداهما أسخطت الاخرى وانهما ككفتى الميزان مهما رجحت احداهما خفت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر وانهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ما تصب منه فى الآخر حتى يمتلئ يفرغ الآخر

فقيل انما مثل العالم السوء كمثل حجر وقع فى ساقية فلا هو يشرب من الماء ولا هو يخلى عن الماء فيحيا به الشجر اهـ قال (ومثل علماء السوء مثل قناة الحش) أصل الحش النخل المصطف ثم استعير لموضع قضاء حاجة الانسان (ظاهرها جص) أى مطلى بالنورة (وباطنها نتن) أى نجس قذر ومنه قول الحريرى فما أنت فى جثة باطنك الا كروث مفضض أو كنيف مبيض قال (و) مثل علماء السوء (مثل القبور) المشيدة (ظاهرها عامر) بالبناء والتراكيب والستور والقناديل (وباطنها عظام الموتى) الى هنا كلام سيدنا عيسى عليه السلام على ما أورده صاحب القوت وأورده كذلك فى مواضع أخر ولفظه وكان عيسى عليه السلام يمثل علماء الدنيا بالكنف فيقول ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة حش ظاهرها جص وباطنها نتن ويلكم علماء السوء انما أنتم مثل قبور مشيدة ظاهرها مشيد وباطنها عظام الموتى يا علماء الدنيا انما أنتم مثل شجرة الدفلى نورها حسن وطعمها مر أو قال سم يقتل يا علماء الدنيا مثلكم مثل صخرة فى فم النهر فذكره وأورد أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة الفضيل بن عياض بسنده الى عبد الصمد قال سمعت الفضيل يقول اذا ظهرت الغيبة ارتفعت الاخوة فى الله انما مثلكم فى ذلك الزمان مثل شئ مطلى بالذهب والفضة داخله خبيث وخارجه حسن (فهذه الاخبار) الشريفة (والآثار) المنيفة (تبين) وتصرح لك (ان العالم الذى من أبناء الدنيا) وعلمه لاجل تحصيلها (أخس) الناس (حالا) وأرداهم (وأشد عذابا) يوم القيامة (من الجاهل) وقال بعض السادة الصوفية وانما كان عذابه أشد لانه مضاعف فوق عذاب مفارقة الجسد بقطعه عن اللذات الحسية المألوفة ولعدم وصوله الى ما هو أكمل منها لعدم انفتاح بصيرته مع عذاب الحجاب عن مشاهدة الحق تعالى فعذاب الحجاب انما يحصل للعلماء الذين تنبهوا اللذة لقاء الله فى الجملة ولم يتوجهوا لتحصيل ذلك واتبعوا الشهوات الحسية المانعة لذلك وأما غيرهم فلا يعذب عذاب الحجاب الذى هو أعظم من عذاب الجحيم لعدم تصورهم له بالكلية وعدم ذوقهم له رأسا (وان الفائزين) بمشاهدة الحق تعالى (المقربين) عنده (هم علماء الآخرة ولهم علامات) تميزهم عن غيرهم ذكر المصنف اثنى عشر علامة (فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه) والدنيا أعم من أن تكون مالا أو جاها (فأقل درجات العالم) المتبين فى أمره (أن يدرك) بفهمه (حقارة الدنيا) عند الله عز وجل (وخستها) ودناءتها (وانصرامها) وانصرام لذتها (و) أن يدرك (عظم) أمر (الآخرة) وما أعد الله فيها (ودوامها وصفاء نعيمها) من الكدر (وجلالة ملكها) الابدى (و) أن (يعلم انهما) أى الدنيا والآخرة (متضادتان) يستحيل اجتماعهما كالخير والشر والسواد والبياض وشرط فى المتضادين أن يكونا تحت جنس واحد وينافى كل الآخر فى أوصافه الخاصة ثم بين ذلك بقوله (وانهما كالضرتين) ومن شأنهما انك ان (أرضيت احداهما أسخطت الاخرى) أخرج ابو نعيم فى الحلية فى ترجمة وهب بن منبه بسنده اليه قال مثل الدنيا والآخرة كمثل ضرتين ان أرضيت احداهما سخطت الاخرى ثم زاد ايضاحا فقال (وانهما ككفتى الميزان مهما رجحت احداهما خفت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت من الآخر) وهذه الثلاثة الامثال فى الدنيا من كلام على رضى الله عنه كما قاله الراغب فى الذريعة (وانهما كقدحين أحدهما مملوء) من الماء مثلا (والآخر فارغ) منه (فبقدر ما تصبه فى الآخر حتى يمتلئ يفرغ الآخر) وهذه الجملة الاخيرة وجدتها فى القوت فى آخر المجلد الاول ما لفظه وكان ابن عمر يقول اذا ذكر الدنيا والآخرة والله انهما بمنزلة قدحين ملئ أحدهما فما هو الا أن تفرغ أحدهما فى الآخر قال صاحب القوت يعنى انك ان امتلأت بالدنيا تفرغت من الآخرة وان امتلأت بالآخرة فرغت من الدنيا وان كان لك ثلث قدح الآخرة أدركت ثلثى قدح الدنيا وان كان لك ثلثا قدح الآخرة يكون لك ثلثه فى الدنيا وحينئذ قال وهذا تمثيل حسن وتعديل صحيح اهـ وهذه أمثلة

ضربها

ضربها في مباينة الدنيا مع الآخرة ومباينة سالكيها وان كانت الدنيا جعلت وسيلة للآخرة فما يصح عليه وصف الضدية الذي هو شغل العبد عن مولاه وقطعه عن السلوك اليه وما الافليس بضد فان من امورها ما يتوسل به الى الله تعالى وقد تقدم تحقيقه في أثناء كلام المصنف في أوائل الكتاب (فان من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها) الحسية (بألمها) الابدى (ثم انصرام مايصفو منها) سريعا (فهو فاسد العقل) محتاج الى الارشاد والتهذيب (فان المشاهدة) بعين البصر (والتجربة) من أهلها (ترشد الى ذلك) ولا برهان أعظم منها (فكيف يكون من العلماء) أي كيف يعد في زمرتهم (من لا عقل له) صحيح (ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها) وانصرام أمور الدنيا بأجمعها (فهو) اذا (كافر مسلوب الايمان) أي قد نزع منه الايمان وانسلخ عن أموره باتباعه لشهوات نفسه وايثاره الدنيا على الآخرة (فكيف يكون من العلماء من لا ايمان له) وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة محمد ابن كعب القرظي بسنده اليه عن أبي هريرة رفعه لا ايمان لمن لا عقل له ولا دين لمن لا عقل له (ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة و) من لا يعلم (ان الجمع بينهما طمع في غير مطمع) أي في غير محله وفيه رد على من يزعم انه يجمع بينهما مع اعطاء كل منهما حقه كلا والله (فهو جاهل بشريعة الانبياء عليهم السلام كلهم) أي بأسرارها واذ قد ركز في قلبه ذلك فازالته مستصعب الا بتوفيق من الله وعنايته (بل هو كافر بالقرآن كله من أوله الى آخره) لانه مصرح من أوله الى آخره بأحكامه وقصصه وأمثاله ومواعظه على حقارة الدنيا وعظم أمر الآخرة فهو يقرؤه باللسان ولا يجاوز الى قلبه (فكيف يعد هذا الذي شأنه كذا (من زمرة العلماء) الابرار كلا والله حتى يلج الجمل في سم الخياط (ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو اسير) حبائل (الشيطان) مغرور في نفسه قد مسخه الله تعالى لا يبالي الله به بالة بأي واد هلك (قد أهلكته شهوته) النفسانية بغلبتها عليه وأوثقته معاصيه (وغلبت عليه شقوته) فلا يقبل العلاج (فكيف يعد من احزاب العلماء من هذه درجته) عند الله وهذه رتبته ومنزلته

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادى

(وفي أخبار) النبي (داود) ابن ايشا بن عبيد بن بهيس بن قارب بن يهوذا بن يعقوب عليهم السلام وذلك فيما أورده صاحب القوت ما لفظه ان الله تعالى أوحى اليه يا داود (ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا آثر) أي اختار (شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسأل عني عالما) ولفظ القوت لا تسألن عني عالما قد (أسكرته الدنيا) أي جعلته كهيئة السكران (فيصدك) أي يمنعك (عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي) ولفظ القوت قطاع طريق عبادي المريدين (يا داود اذا رأيت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد الى هاربا كتبته) عندي (جهبذا) هو بالكسر النقاد الخبير بغوامض الامور البارع العارف بطرق النقد وهو معرب صرح به الشهاب الخفاجي وابن التلمساني كذا في شرحي على القاموس وفي عبارات بعضهم هو الحاذق الكيس (ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا) هذا كله نص القوت الا أنه بتقديم الجملة الثانية على الاولى (ولذلك قال الحسن رضي الله عنه) كذا في النسخ فالمراد به الحسن بن علي بن أبي طالب (عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة) والاشبه أن يكون هذا من كلام الحسن البصري (وقال يحيى بن معاذ) الرازي الآتي ترجمته (انما يذهب بهاء العلم والحكمة) أي نورهما (اذا طلبت الدنيا بهما وقال عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه اذا رأيتم العالم محبا للدنيا) أي مائلا اليها (فاتهموه على دينكم) الذي تستفيدونه منه (فان كل محب يخوض فيما أحب) فان حبك للشئ يعمي ويصم (وقال مالك بن دينار) البصري أحد الزهاد المشهورين كنيته أبو يحيى أخرج له البخاري في التاريخ والائمة الاربعة قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب هو من موالي بني ناجية أبوه من سبي سجستان وقيل من كابل روى عن أنس بن مالك والحسن وابن سيرين

ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون من العلماء من لا ايمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وان الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشرائع الانبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله الى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته وفي أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتي ان أحرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود اذا رأيت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد الى هاربا كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا ولذلك قال الحسن رحمه الله عقوبة العلماء موت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ انما يذهب بهاء العلم والحكمة اذا طلب بهما الدنيا وقال سعيد بن المسيب رحمه الله اذا رأيتم العالم يغشى الامراء فهو لص وقال عمر رضي الله عنه اذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما أحب وقال مالك بن دينار رحمه الله

وعكرمة وعطاء بن أبي رباح والقاسم بن محمد بن أبي بكر وأبي غالب صاحب أبي امامة وغيرهم روى عنه أخوه عثمان وأبان بن يزيد العطار وسعيد بن أبي عروبة وعبد السلام بن حرب وآخرون قال النسائي ثقة وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ١٣٠ قال أبو نعيم في الحلية حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثني محمد بن عبد الله العبدي حدثنا جعفر عن مالك (قرأت في بعض الكتب) أي التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه عليهم السلام ونص الحلية ان في بعض الكتب (ان الله عز وجل يقول ان أهون ما أصنع) ونص الحلية ما أنا صانع (بالعالم اذا أحب الدنيا ان أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه) ونص الحلية حلاوة ذكري وكأنه عنى به ما خاطب الله تعالى به داود عليه السلام كما تقدم قريبا (وكتب رجل الى أخ له انك قد أوتيت) من الله (علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم) وهذا بعينه قد تقدم للمصنف في ترجمة الشافعي (وكان يحيى بن معاذ) بن جعفر أبو زكريا الرازي أوحد وقته في زمانه أقام ببلخ مدة ثم عاد الى نيسابور ومات بها سنة ٢٥٨ قال صاحب القوت وهو أول من جلس على كرسي للوعظ في مصر (يقول لعلماء الدنيا) متعجبا من حالهم (يا أصحاب العلم) (قصوركم قيصرية) أي عالية تشبه قصور قيصر ملك الروم وفيهما جناس اشتقاق (وبيوتكم كسروية) أي مثل بيوت كسرى ملك الفرس في زخارفها (وأثوابكم) جمع ثوب (طاهرية) منسوبة الى عبد الله بن طاهر بن الحسين الوزير وكان يتغالى في الثياب أي رفيعة (وأخفافكم جالوتية) أي مزينة كأخفاف جالوت وكان جبارا من الجبابرة جاء ذكره في القرآن (ومراكبكم قارونية) أي كمراكب قارون في التفاخر بها لكونها مزينة بالذهب والفضة والحرير (وأوانيكم فرعونية) أي فاخرة ثمينة كأواني فرعون (ومآتمكم جاهلية) أي من أفعال الجاهلية وفي بعض النسخ موائدكم (ومذاهبكم شيطانية) تتبعون النفس والهوى والشيطان فتذهبون الى ما مالت به النفوس فبطاعة الشيطان صارت مذاهبكم منسوبة اليه (فأين) الطريقة (المحمدية) فان اعلاء القصور وزخرفة المساكن والتزين بالمراكب والملابس والفرش والاواني كل ذلك من أفعال الجبابرة والمترفهين المؤثرين الدنيا على الآخرة ليس شئ من ذلك في طريقته صلى الله عليه وسلم يؤثر الخمول على نفسه ويقنع بالقليل ويزهد في الدنيا وجدرحجرته الشريفة لم تبلغ ما فوق القامة وركب الحمار باكاف وغير اكاف ويردف خلفه انسانا وكان فراشه ادم حشوه ليف وكان له قدح من خشب يشرب منه الى غير ذلك من أحواله وأموره صلى الله عليه وسلم يعرفها من مارس كتب الحديث فمن كان مدعيا اتباع بسنته السنية فعليه أن يتبع طريقته ويتبع أحواله حتى يكون محمديا وفي أحواله مرضيا (وأنشدوا) في هذا المعنى

(وراعي الشاة يحمي الذئب عنها * فكيف اذا الرعاة لها ذئاب)

أي ان العلماء هم الرعاة للناس يصلحون من أمورهم ما أفسدوا فاذا تلبست العلماء بأمور الدنيا وتفاخروا بها كانوا ذئابا وكيف تصلح الذئاب أن تكون رعاة أصلا (وقيل) في معنى ذلك (أيضا)

(يامعشر القراء ياملح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد)

المراد بالقراء العلماء شبههم بالملح بجامع الاصلاح وأخرج أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا أحمد بن اسحق حدثنا عبد الله بن أبي داود حدثنا عمرو بن عثمان ومحمود بن خالد قالا حدثنا الوليد عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال العلماء مثل الملح هو صلاح كل شئ فاذا فسد الملح لم يصلحه شئ وينبغي أن يوطأ بالاقدام ثم يلقى وقال في ترجمة سفيان بن عيينة حدثنا أبو بكر حدثنا عبد الله حدثني أبو معمر عن سفيان قال قال عيسى عليه السلام انما أعلمكم لتعلموا اليس لتعجبوا ياملح الارض لا تفسدوا فان الشئ اذا فسد انما يصلح بالملح وان الملح اذا فسد لم يصلح بشئ (وقيل لبعض العارفين أترى ان من تكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله) تعالى أي معرفة كاملة أولا يذوق لذة معرفته (قال) مجيبا (ما أشك أن من تكون الدنيا عنده آثر) أي أخص

(من

قرأت في بعض الكتب السالفة ان الله تعالى يقول ان أهون ما أصنع بالعالم اذا أحب الدنيا ان أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل الى أخ له انك قد أوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم وكان يحيى ابن معاذ الرازي رحمه الله يقول لعلماء الدنيا يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية وأثوابكم طاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية ومآتمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة المحمدية قال الشاعر

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها
فكيف اذا الرعاة لها ذئاب

(وقال آخر)

يامعشر القراء ياملح البلد
ما يصلح الملح اذا الملح فسد

وقيل لبعض العارفين أترى ان من تكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله فقال لا أشك ان من تكون الدنيا عنده آثر

(من الآخرة لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير) أى فكيف يعرف الله تعالى من كانت المعاصى قرة عينه فان ايثار الدنيا دون من أقر عينه بعصيان وأخرج أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة هشام الدستوائى بسنده اليه قال قرأت فى كتاب بلغنى انه من كلام عيسى عليه السلام فقال كيف يكون من أهل العلم من دنياه آثر عنده من آخرته وهو فى دنياه أفضل رغبة (ولا تظنن) فى نفسك (ان ترك المال) صامتا أو ناطقا هو ترك الدنيا وانه (يكفى فى اللحوق بعلماء الآخرة) وقد وقع فى ذلك كثير من العلماء فظنوا أن اللحوق بأهل الآخرة يتم بالزهد عما ملكت يد الانسان والتخلى عنه وركنوا الى ذلك فأبطؤا فى سيرهم ولم يعرفوا أن هنالك ما هو أضر منه (فان الجاه) عند الامراء والملوك والاغنياء (أضر من المال) يفسد الاعمال (ولذلك قال) الامام أبو نصر (بشر) بن الحرث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال المروزى نزيل بغداد الشهير بالحافى الزاهد الجليل المشهور ثقة عابد قدوة روى عن حماد بن زيد وابراهيم بن سعد وفضيل بن عياض ومالك وأبى بكر بن عياش وعبد الرحمن بن مهدى وغيرهم وعنه أحمد بن حنبل وابراهيم الحربى وابراهيم بن هانئ وعباس العنبرى ومحمد بن حاتم وأبو خيثمة وخلق وقال ابن سعد طلب الحديث وسمع سماعا كثيرا ثم أقبل على العبادة واعتزل عن الناس فلم يحدث وذكره ابن حبان فى الثقات وقال ثورى المذهب فى الفقه والورع وقال الدارقطنى ثقة زاهد ليس يروى الاحديثا صحيحا مات سنة سبع وعشرين ومائتين وله ست وسبعون أخرج له أبو داود فى كتاب المسائل له والنسائى فى كتاب مناقب على له (حدثنا) وأخبرنا (باب من أبواب الدنيا) هكذا نقله صاحب القوت عنه (و) قال أيضا (اذا سمعت الرجل يقول حدثنا) وأخبرنا (فانما يقول أوسعوا لى) نقله صاحب القوت عنه ويروى عن على أو ابن مسعود انه مر على رجل يتكلم فقال هذا يقول اعرفونى (ودفن بشر) ولفظ القوت وحدثنا عن بعض أشياخنا عن بعض شيوخه قال دفناله (بضعة عشر ما بين قوصرة وقمطرة من الكتب) ولفظ القوت كتبا لم يحدث منها بشئ الا ما سمع منه نادرا فى الفرد الى هنا نص القوت وقال الخطيب فى تاريخه كان كثير الحديث الا انه لم ينصب نفسه للرواية كان يكرهها ودفن كتبه لاجل ذلك وكل ما سمع منه فانما هو على طريق المذاكرة اه والقوصرة بتشديد الراء وتخفف وعاء للتمر من قصب وقيل من البوارى وقيد صاحب المغرب بانها قوصرة مادام بها التمر ولا تسمى زنبيلا فى عرفهم هكذا نقله شيخنا فى حاشية القاموس قلت وهو المفهوم من كلام الجوهرى والقمطر بكسر ففتح فسكون شبه سفط يسوّى من قصب يصان فيه الكتب كالقمطرة وأنشد الخليل بن أحمد

ليس بعلم ما حواه القمطر * انما العلم ما حواه الصدر

وبالتشديد شاذ (وكان) بشر (يقول أنا أشتهى أن أحدث ولو ذهبت عنى شهوة الحديث لحدثت) هكذا نقله عنه صاحب القوت وزاد ما نصه وأنا أجاهد نفسى منذ أربعين سنة (وقال هو وغيره) أيضا (اذا اشتهيت أن تحدث فلا تحدث واذا لم تشته) أن تحدث (فحدث) هكذا نقله صاحب القوت وأخرج الخطيب فى كتاب شرف أصحاب الحديث قال أخبرنا أبو بكر البرقانى قال قرأت على محمد بن على بن النضر حدثكم أحمد بن عمرو ابن عثمان حدثنا عبد الله بن أبى سعد حدثنا محمد بن عبد الله بن علوان قال قلت لبشر بن الحرث الا تحدث قال أنا أشتهى أحدث واذا اشتهيت شيأ تركته اه وزاد صاحب القوت وقال رحمه الله مرة الحديث ليس من زاد الآخرة اه وأخرج الخطيب فى كتاب اقتضاء العلم العمل بسنده الى عباس بن عبد العظيم العنبرى قال قال بشر بن الحرث ان أردت أن تنتفع بالحديث فلا تستكثر منه ولا تجالس أصحاب الحديث وأخرج أيضا فيه بسنده الى اسحق بن الضيف قال قال لى بشر بن الحرث انك قد أكثرت مجالستى ولى اليك حاجة انك صاحب حديث فأخاف أن تفسد على قلبى فأحب أن لا تعود علىّ فلم أعد اليه (وهذا لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد) والتعليم (أعظم من كل نعيم فى الدنيا) فقد أخرج الخطيب فى كتاب شرف أصحاب الحديث بسنده الى القاضى يحيى بن أكثم قال قال لى الرشيد ما انبل المراتب قلت ما أنت فيه قال لكنى

من الآخرة انه لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير ولا تظنن ان ترك المال يكفى فى اللحوق بعلماء الآخرة فان الجاه أضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من أبواب الدنيا فاذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول أوسعوا لى ودفن بشر بن الحرث بضعة عشر ما بين قمطرة وقوصرة من الكتب وكان يقول أنا أشتهى أن أحدث ولو ذهبت عنى شهوة الحديث لحدثت وقال هو وغيره اذا اشتهيت أن تحدث فاسكت فاذا لم تشته فحدث وهذا لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد أعظم لذة من كل تنعم فى الدنيا

اعرفه رجل فى حلقة يقول حدثنا فلان عن فلان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا أمير المؤمنين هذا خير منك وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى عهد المسلمين قال نعم ويلك هذا خير منى لان اسمه مقترن باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت أبدا نحن نموت ونفنى والعلماء باقون ما بقى الدهر وأخرج أيضا بسنده الى عمر بن حبيب العدوى القاضى قال قال لى أمير المؤمنين المأمون ما طلبت منى نفسى شيأ الا وقد نالته ما خلا هذا الحديث فانى كنت أحب أن أقعد على كرسى ويقال من حدثك فأقول حدثنى فلان قال فقلت يا أمير المؤمنين فلم لا تحدث قال لا تصلح الخلافة مع الحديث للناس قال الحافظ أبو بكر الخطيب كان المأمون أعظم خلفاء بنى العباس عناية بالحديث كثير المذاكرة به شديد الشهوة لروايته مع انه قد حدث أحاديث كثيرة لمن كان يأنس به من خاصته وكان يحب املاء الحديث فى مجلس عام يحضر سماعه كل أحد وكان يدافع نفسه بذلك حتى عزم على فعله وأخرج أيضا بسنده الى الحرث بن أبى أسامة قال قال بعض أصحابنا سمعت يحيى بن أكثم القاضى يقول وليت القضاء وقضاء القضاة والوزارة وكذا وكذا ما سررت بشئ كسرورى بقول المستملى من ذكرت رضى الله عنك (فمن أجاب شهوته فيه فهو فى أبناء الدنيا) لانه أعطى النفس مشتهاها (ولذلك قال) سفيان (الثورى) رحمه الله تعالى (فتنة الحديث أشد من فتنة الاهل والمال والولد) وكانت رابعة العدوية تقول نعم الرجل سفيان لولا انه يحب الحديث وقالت مرة لولا انه يحب الدنيا يعنى اجتماع الناس حوله للحديث هذا نص القوت بتمامه وأخرج الخطيب فى شرف أصحاب الحديث أخبرنا محمد بن الحسين القطان حدثنا عبد الله بن جعفر بن درستويه حدثنا يعقوب بن سفيان حدثنى أبو سعيد الاشج حدثنا ابن يمان قال سمعت سفيان يقول فتنة الحديث أشد من فتنة الذهب والفضة ونقل مثل ذلك عن بشر بن الحرث فيما أخرجه الخطيب فى كتاب الاقتضاء بسنده الى حمزة بن الحسين بن عمر قال سمعت ابراهيم بن هانئ النيسابورى يقول سمعت بشر بن الحرث يقول مالى وللحديث مالى وللحديث انما هو فتنة الا لمن أراد الله به ومثل كلام رابعة فى سفيان يروى عن يحيى بن سعيد انه قال ما أخشى على سفيان شيأ فى الآخرة الا حبه للحديث ويروى عن محمد بن هرون بن شيبة الحربى قال لقينى بشر بن الحرث فى الطريق فنهانى عن الحديث وأهله وقال أقبلت الى يحيى بن سعيد القطان فبلغنى انه قال أنا أحب هذا الفتى وأبغضه فقيل له لم تحبه وتبغضه فقال أحبه لمذهبه وأبغضه لطلبه الحديث كل ذلك فى كتاب الاقتضاء للخطيب وفى كتاب شرف أصحاب الحديث له بسنده الى على بن قادم قال سمعت الثورى يقول لوددت انى لم أكن دخلت فى شئ منه يعنى الحديث ولوددت انى أفلت منه لا على ولا لى وقال محمد بن بشر سمعت سفيان يقول ليتنى أنجو منه كفافا يعنى الحديث (وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد البشر صلى الله عليه وسلم ولولا ان ثبتناك) وقرنا صدرك بنور اليقين (لقد كدت تركن) أى تميل (اليهم شيأ قليلا) وقد رويت مثل مقالة سفيان وبشر أخبار عن أساطين العلماء فربما أشكلت على سامعها ونحن نبين لك ونجيب عنه على حسب الاختصار فمن ذلك يذكر عن الفضيل قال قال المغيرة ما طلب أحد هذا الحديث الا قلت صلاته ويروى عن شعبة بن الحجاج ان هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ويروى عن الشعبى انه قال لوددت انى لم أتعلم من هذا العلم شيأ ويروى عن الاعمش لان أتصدق بكسرة أحب الى من أن أحدث بسبعين حديثا ويروى عنه أيضا ما فى الدنيا شر من أصحاب الحديث قال أبو بكر بن عياش الراوى عنه فأنكرتها عليه حتى رأيت منهم ما أعلم ويروى عن محمد بن هشام العيشى قال كنا نأتى أبا بكر بن عياش فاذا كان طيب النفس قال حين رآنا خير قوم على وجه الارض يحيون سنة النبى صلى الله عليه وسلم فاذا أتيناه على غير ذلك يقول شر قوم على وجه الارض عقوا الآباء والامهات وتركوا الصلوات فى الجماعات الى غير ذلك من أقوال رويناها بالاسانيد أما الجواب عن كلام بشر بن الحرث فقد تقدم فى ترجمته انه دفن كتبه وترك الحديث وأقبل على العبادة فلكراهته ذلك قال ما قال وأخرج

فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا ولذلك قال الثورى فتنة الحديث أشد من فتنة الاهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا

الخطيب فى شرف أصحاب الحديث بسنده الى محمد بن نعيم بن الهيصم قال رأيت بشر بن الحرث وقد جاء أصحاب الحديث فقال لهم بشر ماهذا الذى أرى معكم قد أظهرتموه قالوا يا أبا نصر نطلب العلم لعل الله ينفع به قوما قال علمتم انه يجب عليكم فيه زكاة كما يجب على أحدكم اذا ملك مائتى درهم خمسة دراهم فكذلك يجب على أحدكم اذا سمع مائتى حديث فليعمل منها بخمسة أحاديث والا فانظروا ايش يكون هذا عليكم غدا وأخرج أيضا فى كتاب الاقتضاء بسنده الى أبى بكر عبد الله بن جعفر قال سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن رجل يطلب الحديث فيكثر قال ينبغى أن يكثر العمل به على قدر زيادته فى الطلب ثم قال سبيل العلم سبيل المال ان المال اذا زاد زادت زكاته فذم بشر للحديث وطلبه ليس لذاته بل لما يعرض له من عدم القيام بحقوق واجباته وأما سفيان فانما قال ماقال منعا للناس عن الشهوة الخفية والركون اليها وخوفا على نفسه أن لايكون قام بحق الحديث والعمل به نخشى أن يكون ذلك حجة عليه كما خاف من ذلك بشر بن الحرث وكان حب الاسناد وشهوة الرواية غلباء على قلب سفيان حتى كان يحدث عن الضعفاء ومن لايحتج بروايته فخاف على نفسه من هذا ومن ذلك قول شعبة نعم الرجل سفيان لولا انه يقمش يعنى يأخذ من الناس كلهم وكأنه أراد بقوله ذم من يطلب شواذ الحديث وغرائبه والاكثار من طلب الاسانيد الغريبة والطرق المستنكرة وليس يجوّز الظن بالثورى انه قصد بقوله الذى قاله صحاح الحديث ومعروف السنن وكيف يكون ذلك وهو القائل أكثروا من الاحاديث فانها سلاح وقال ينبغى للرجل أن يكره ولده فى طلب الحديث فانه مسؤل عنه وقال ماأعلم شيأ يطلب به الله هو أفضل من الحديث فقال له انسان فانهم يطلبونه بغير نية قال طلبهم له نية وكان ربما حدث بعسقلان وصور فيبتدؤهم ثم يقول انفجرت العيون انفجرت العيون يعجب من نفسه وربما حدث الرجل فيقول له هذا خير لك من ولايتك عسقلان وصور وأما قول المغيرة فانه خرج منه على حال نفسه ولعله كان يكثر صلاة النوافل فاذا سعى فى طلب الحديث الى المواضع البعيدة كان ذلك قاطعا له عن بعض نوافله ولو أمعن المغيرة النظر لعلم أن سعيه فى طلب الحديث أفضل من صلاته كيف وقد قال ابن المبارك لو علمت أن الصلاة أفضل من الحديث ماحدثتكم وصح عن الشافعى طلب العلم أفضل من صلاة النافلة وأما قول شعبة فقد سئل عنه ابن حنبل فأجاب لعل شعبة كان يصوم فاذا طلب الحديث وسعى فيه يضعف فلا يصوم فهو أخبر عن حال نفسه وليس يجوز لاحد أن يقول ان شعبة كان يثبط عن طلب الحديث وكيف يكون ذلك وقد بلغ من قدره ان سمى أمير المؤمنين فى الحديث كل ذلك لاجل طلبه له واشتغاله به ولم يزل على ذلك حتى مات على غاية الحرص فى جمعه لايشتغل بشئ سواه و يروى عنه انه قال انى لاذاكر الحديث فيفوتنى فأمرض وأما الاعمش فانه مع جلالة قدره وصدقه وحفظه فانه كان سيء الخلق جدا عسرا على استماع الحديث وأخباره فى ذلك مشهورة فالذى قاله تبرأ من طلبة الحديث فلذا كان يستقبلهم بالذم ثم يصالحهم بعد بالاسماع كيف و يروى عنه انه قال من لم يطلب الحديث أشتهى أن أصفعه بنعلى وقال سفيان سمعت الاعمش يقول لولا هذه الاحاديث لكنت مع البقالين بالسوية ولو كنت باقلانيا لاستقذرتمونى وأما أبو بكر بن عياش فانه كان عسرا فى اسماع الحديث كالاعمش فلما أضجره أصحاب الحديث قال ماقال وقد يروى عنه قول ظاهر بفضلهم قال حمزة بن سعيد المروزى سمعت أبا بكر بن عياش وضرب بيده على كتف يحيى بن آدم فقال ويلك يايحيى فى الدنيا قوم أفضل من أصحاب الحديث فهذا الذى ذكرناه مختصرا كاف فى الجواب عما عسى أن يستشكل من أقوال بعض الائمة و بالله التوفيق (وقال) الامام أبو محمد (سهل) بن عبد الله بن يونس التسترى سكن البصرة صاحب كرامات صحب ذا النون المصرى بمكة سنة خروجه للحج توفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقيل ثلاث وسبعين (العلم كله دنيا الاما أريد به الآخرة) كذا فى نسختنا وفى بعضها والآخرة منه العمل به وهكذا أخرجه الخطيب فى كتاب الاقتضاء فقال أخبرنا محمد بن الحسن الاهوازى سمعت ابن دينار الصوفى يقول سمعت محمد بن المنذر يقول سمعت

وقال سهل رحمه الله العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به

سهل بن عبد الله يقول العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به وهكذا هو في القوت أيضا لكن من غير اسناد و يروى عنه أيضا فيما أخرجه الخطيب بالسند الى بشر بن حسن الصابوني قال قال سهل العلم أحد لذات الدنيا فاذا عمل به صار للآخرة وزاد صاحب القوت بعد قوله السابق (والعمل كله هباء الا الاخلاص) وهذه الزيادة لم أجدها في قول سهل وانما هي في قوله الآتي فيما بعد والمصنف تابع في ايراده صاحب القوت الا انه بدون لفظة كله (وقال) سهل أيضا (الناس كلهم موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلصون على وجل حتى يعلم بما يختم لهم به) هكذا أورده صاحب القوت الا انه قال والمخلص على وجل حتى يختم له به وقال الخطيب في كتاب الاقتضاء أخبرنا أبو محمد الحسن ابن محمد الخلال أخبرنا أبو المفضل الشيباني قال سمعت عبد الكريم بن كامل الصواف يقول سمعت سهل ابن عبد الله التستري يقول الناس كلهم سكارى الا العلماء والعلماء كلهم حيارى الا من عمل بعلمه ثم قال أخبرنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد النيسابوري بالري أخبرنا أبو أحمد الغطريفي حدثنا أبو سعيد العبدي بالبصرة قال قال سهل بن عبد الله الدنيا جهل وموات الا العلم والعلم كله حجة الا العمل به والعمل كله هباء الا الاخلاص (وقال) الامام الزاهد (أبو سليمان) عبد الرحمن بن أحمد بن عطية (الداراني) منسوب الى داريا قرية بغوطة دمشق من رجال الرسالة واسطي سكن دمشق وروى عن الربيع بن صبيح وأهل العراق وعنه صاحبه أحمد بن أبي الحواري والقاسم الجوعي مات سنة خمسة عشر ومائتين قلت وهو غير أبي سليمان الداراني الكبير فان هذا اسمه عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون العنسي الدمشقي له رحلة في الحديث روى عن الاعمش وليث بن أبي سليم ويحيى بن سعيد الانصاري واسمعيل بن أبي خالد وعنه هشام ابن عمار وعبد الله بن يوسف التنيسي وصفوان بن صالح وجماعة وثقه رحيم قال الذهبي بقي الى قرب التسعين ومائة (اذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا) هكذا أورده صاحب القوت ولفظه من تزوج أو طلب الحديث أو طلب معاشا وفي موضع آخر أو سافر كالمصنف ولم يذكر في طلب المعاش والباقي سواء زاد المصنف في تفسيره (وانما أراد به الاسانيد العالية) أي انما أراد بطلبه للحديث طلب أسانيده العالية الغريبة والاستكثار من الطرق المستنكرة كأسانيد حديث الطائر وحديث المغفر وغسل الجمعة وقبض العلم ومن كذب ولا نكاح الا بولي وغير ذلك مما يتتبع أصحاب الحديث طرقه و يعتنون بجمعه والصحيح من طرقه أقلها وأكثر من يجمع ذلك الاحداث منهم فيتحفظون بها و يتذاكرون ولعل أحدهم لا يعرف من الصحاح حديثا وتراه يذكر من الطرق الغريبة والاسانيد العجيبة التي أكثرها موضوع وجلها مصنوع مما لا ينتفع به وهذه العلة هي التي قطعت أكثر العلماء عن التفقه واستنباط الاحكام كفعل من رغب عن سماع السنن من المحدثين وشغلوا أنفسهم بتصانيف المتكلمين فكلا الطائفتين ضيع ما يعنيه وأقبل على ما لا فائدة فيه ثم ان علو الاسناد عند حذاق المحدثين انما يعتبر بعدالة رجال الاسناد لا القرب مطلقا والا فقد يكون نزولا ففي مشيخة عبد الرحمن بن علي الثعلبي تخريج الحافظ العراقي بسنده الى ابن المبارك قال ليس جودة الحديث قرب الاسناد جودة الحديث صحة الرجال وأنشد الحافظ أبو طاهر السلفي لنفسه

ليس حسن الحديث قرب رجال * عند أرباب علمه النقاد
بل علو الحديث بين أولي الحفـ * ـظ والاتقان صحة الاسناد
واذا ما تجمعا في حديث * فاغتنمه فذاك أقصى المراد

(وتطلب الحديث) الشاذ المنكر واليه يشير قول عبد الله بن ادريس كانقول الاكثار من الحديث جنون قال الطنافسي الراوي عنه صدق وكذا تطلب (الذي لا يحتاج اليه في طريق الآخرة) قال ابن وهب يذكر عن مالك قال ما أكثر أحد من الحديث فأنجح وقال عبد الرزاق كنا نظن ان كثرة الحديث خير فاذا

والعمل كله هباء الا الاخلاص وقال الناس كلهم موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون كلهم مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يدري ماذا يختم له به وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله اذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وانما أراد به طلب الاسانيد العالية أو طلب الحديث الذي لا يحتاج اليه في طلب الآخرة

وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من أهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن كيسان البصرى أدركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب علما مما يبتغى به وجه الله تعالى ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال عز وجل فى علماء الدنيا واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وقال تعالى فى علماء الآخرة وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم

هو شركاه وقال المروزى سمعت أحمد بن حنبل يقول تركوا الحديث وأقبلوا على الغرائب ما أقل الفقه فيهم وقد سبق انكار ابن القيم قول الدارانى هذا وتقرير المصنف اياه وسبق أيضا الجواب عنه فى خلال فصول المقدمة (وقال) أبو نعيم فى الحلية حدثنا أبى حدثنا محمد بن ابراهيم بن الحكم حدثنا يعقوب بن ابراهيم الدورقى حدثنا سعيد بن عامر حدثنا هشام صاحب الدستوائى قال قرأت فى كتاب بلغنى انه من كلام (عيسى) ابن مريم (عليه السلام) تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير العمل ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها الا بالعمل ويلكم علماء السوء الاجر تأخذون والعمل تضيعون يوشك رب العمل أن يطلب عمله (كيف يكون من أهل العلم من سيره الى آخرته وهو مقبل على دنياه) وما يضره أشهى اليه أو قال أحب اليه مما ينفعه (و) قال أبو نعيم أيضا حدثنا أبى حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا أبو عبيدة الحداد عن هشام الدستوائى قال كان عيسى عليه السلام يقول معشر العلماء (كيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به) و (لا) يطلبه (ليعمل به) والعلم فوق رؤسكم والعمل تحت أقدامكم فلا أحرار كرام ولا عبيد أتقياء (وقال صالح بن حسان) أبو الحرث (البصرى) كذا فى النسخ والصواب النضرى بفتح النون والضاد المعجمة المحركة منسوب الى بنى النضير قاله ابن أبى حاتم وهو مدنى نزيل البصرة روى عن أبيه وغيره ومحمد بن كعب وهشام بن عبدة وغيرهم وعنه سعيد بن محمد الورانى وعابد بن حبيب وعبد الحميد الجانى وأبو داود الحفرى قال ابن عدى بعض أحاديثه فيها انكار وهو الى الضعف أقرب وقال الحافظ ابن حجر له ذكر فى مقدمة مسلم ونقل عن ابن حبان انه كان صاحب قينات وسماع وممن يروى الموضوعات عن الاثبات (أدركت الشيوخ) أى بالمدينة وغيرها (وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة) هكذا أورده صاحب القوت الا انه قال أدركت المشيخة والفجور كما تقدم خرق ستر الديانة وهو مثل قول سيدنا عمر رضى الله عنه السابق أخاف على هذه الامة كل منافق عليم اللسان (وروى أبو هريرة) رضى الله عنه واسمه عبد الرحمن بن صخر فى أشهر الاقوال وهو من مكثرى الصحابة رواية وزهدا وورعا وترجمته واسعة (انه صلى الله عليه وسلم قال من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) قال العراقى رواه أبو داود وابن ماجه من رواية سعيد بن يسار عن أبى هريرة بلفظ من تعلم وقال لا يتعلمه الا ليصيب واسناده صحيح رجاله رجال البخارى اه قلت وقد رواه كذلك الامام أحمد والحاكم والبيهقى وأخرج الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى سعيد رفعه من تعلم الاحاديث ليحدث بها الناس لم يرح رائحة الجنة وان ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام قال العراقى وفى الباب عن ابن عمر رواه الترمذى وابن ماجه وقول المنذرى فى مختصر السنن ان الترمذى روى حديث أبى هريرة وهو انما روى حديث ابن عمر ولفظهما مختلف فيه اه قلت الذى عن ابن عمر فى هذا المعنى من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار رواه الترمذى وقال حسن غريب ولعل هذا الحديث الذى أشار له العراقى (و) فى القوت ما نصه (قد وصف الله تعالى) فى كتابه (علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم) أى بأكلهم اياها به وطلبهم بتحصيله اياها (ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد) قال الليث الخشوع قريب المعنى من الخضوع الا أن الخضوع فى البدن والخشوع فى القلب والبصر والصوت اه والزهد فى الشئ قلة الرغبة فيه والقناعة بقليله (فقال فى حق (علماء الدنيا واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى قوله ثمنا قليلا) الى قوله فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون فقوله فنبذوه أى تركوه ورموه وراء ظهورهم ولم يعملوا به وطلبوا به متاع الدنيا الفانية فهذا أكلهم الدنيا بالعلم (وقال فى) وصف (علماء الآخرة وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم) أى من الاحكام وغيرها (خاشعين لله الى قوله أجرهم عند ربهم) اى قوله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم

وقال بعض السلف العلماء يحشرون فى زمرة الانبياء والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين وفى معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه و روى أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أوحى الله عز وجل الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر ايای يخادعون وبی يستهزؤن لأتيحن لهم فتنة تذر الحليم حيرانا وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما

وأخرج أبو نعيم فى الحلية بسنده الى الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله تعالى ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا قال لا تأخذ على ما علمته أجرا فانما أجر العلماء والحكماء والحلماء على الله وهم يجدونه مكتوبا عندهم يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا وقال صاحب القوت ومما يدلك على الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ان كل عالم بعلم اذا رآه من لا يعرفه لم يتبين عليه أثر علمه ولا عرف انه عالم الا العلماء بالله عز وجل فانما يعرفون بسيماهم للخشوع والسكينة والتواضع والذلة فهذه صبغة الله لاوليائه ولبسة للعلماء به ومن أحسن من الله صبغة كما قال ما ألبس الله عز وجل لبسة أحسن من خشوع فى سكينة هى لبسة الانبياء وسيما العلماء فمثلهم فى ذلك كمثل الصناع اذ كل صانع لو ظهر لمن لا يعرفه لم يعرف صنعته دون سائر الصنائع ولم يفرق بينه وبين الصناع الا الصناع فانه يعرف بصنعته لانها ظاهرة عليه اذ صارت له لبسة وصلة لالتباسها بمعاملته فكانت سيماه (وقال بعض السلف) أى من العلماء المتقدمين (العلماء يحشرون فى زمرة الانبياء) أى لكونهم ورثتهم (والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين) لكونهم حكاما بين الناس فسبيلهم سبيل الملوك والسلاطين هكذا أخرج هذا القول صاحب القوت قال المصنف (وفى معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه) أى فيكون حشره مع السلاطين وقال صاحب القوت ومثل العالم مثل الحاكم وقد قسم النبى صلى الله عليه وسلم الحكام ثلاثة أقسام فقال القضاة ثلاثة الحديث (وروى أبو الدرداء) عويمر ابن عامر رضى الله عنه تقدمت ترجمته (انه صلى الله عليه وسلم قال أوحى الله الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش) جمع مسك بالفتح فالسكون هو الجلد اشارة الى لباس الصوف (وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل) أى فى الفصاحة (وقلوبهم أمر من الصبر ایای يخادعون وبی يستهزؤن لأتيحن) أى لاقدرن (لهم فتنة تذر الحليم فيهم حيرانا) قال العراقى رواه ابن عبد البر فى العلم باسناد ضعيف فيه عثمان ابن عبد الرحمن الوقاصى قال البخارى تركوه وقال يحيى بن معين ليس بشئ وقال النسائى والدارقطنى متروك اهـ قلت هو عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبى وقاص أبو عمرو المدنى ويقال له المالكى أيضا نسبة الى جده الاعلى أبى وقاص مالك مات فى خلافة الرشيد روى عن عمة أبيه عائشة وابن أبى مليكة والزهرى ومحمد الباقر ومحمد بن كعب القرظى وغيرهم وعنه يونس بن بكر الشيبانى وحجاج بن نصر والهذيل بن ابراهيم الجمانى واسمعيل بن أبان الوراق وصالح بن مالك الخوارزمى ومحمد بن يعلى بن زنبور وأبو عمر الدورى ويحيى بن بشر الحريرى وآخرون روى له الترمذى حديثا واحدا فى ذكر ورقة بن نوفل قال البخارى فى التاريخ سكتوا عنه وجده عمر بن سعد من رجال النسائى نزيل الكوفة صدوق لكنه مقته الناس لكونه كان أميرا على الجيش الذين قتلوا الحسين بن على قال العراقى وفى الباب عن أبى هريرة رواه ابن المبارك فى الزهد نحوه دون ذكر كونه وحيا الى بعض الانبياء وعن أنس رواه الطبرانى فى الكبير بلفظ آخر مختصرا وكلاهما ضعيف اهـ قلت وجدت هذا الحديث فى الحلية فى ترجمة وهب بن منبه ولفظه حدثنا عبد الله حدثنا على حدثنا حسين حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا بكار بن عبد الله قال سمعت وهب بن منبه يقول قال الله عز وجل فيما يعتب به أحبار بنى اسرائيل تتفقهون لغير الدين وتتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة تلبسون جلود الضأن وتخفون أنفس الذئاب وتنقون الغذاء من شرابكم وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام وتثقلون الدين على الناس أمثال الجبال ثم لا تعينونهم برفع الخناصر تطيلون الصلاة وتبيضون الثياب تقتنصون بذلك مال اليتيم والارملة فبعزتى حلفت لاضربنكم بفتنة يضل فيها رأى ذوى الرأى وحكمة الحكيم وأخرجه الخطيب فى الاقتضاء فقال أخبرنا الحسن بن على الجوهرى حدثنا محمد ابن العباس الخراز حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزى أخبرنا ابن المبارك فذكره سواء (وروى الضحاك) ولفظ القوت وقد روينا عن الضحاك (عن ابن عباس) رضى الله عنهما

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علماء هذه الامة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما في الدنيا فضن به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتي يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادي مناد على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما في الدنيا فضن به على عباده وأخذ به طمعا واشترى به ثمنا فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس وأشد من هذا ما روى أن رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثني موسى صفي الله حدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى أثرى وكثر ماله ففقده موسى عليه السلام فجعل يسأل عنه ولا يحس له خبرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل أسود فقال له موسى عليه السلام أتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يارب أسألك أن ترده الى حاله حتى أسأله بم أصابه هذا فاوحى الله عز وجل اليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكن أخبرك لم صنعت هذا به لانه كان يطلب الدنيا بالدين وأغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل رضي الله عنه موقوفا ومرفوعا في رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم

(عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال علماء هذه الامة رجلان فرجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا) أي أجرة (ولم يشتر به ثمنا) أي عوضا (فذلك الذي) يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله تعالى يوم القيامة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما في الدنيا فضن به) أي بخل به (على عباد الله وأخذ به طمعا واشترى به ثمنا) فذلك الذي (يأتي يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادي مناد على رؤس الخلائق) وفي نسخة الاشهاد (هذا فلان ابن فلان آتاه الله علما فضن به على عباده) وفي نسخة على عباد الله عز وجل (وأخذ به طمعا واشترى به ثمنا يعذب حتى يفرغ من حساب الناس) وفي نسخة الخلق هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقي رواه الطبراني في الاوسط من رواية عبد الله بن خراش عن العوام بن حوشب عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره الا انه قال فذلك يستغفر له حيتان البحر ودواب البر والطير في جو السماء ولم يقل والكرام الكاتبون وقال فبخل وقال فذلك يلجم يوم القيامة بلجام من نار وقال هذا الذي آتاه الله علما فبخل به وقال كذلك حتى يفرغ من الحساب وعبد الله بن خراش بن حوشب متفق على ضعفه وشهر بن حوشب مختلف فيه وذكر المصنف انه من رواية الضحاك عن ابن عباس والمعروف رواية شهر بن حوشب عنه وقال الطبراني بعد تخريجه لم يروهذا الحديث عن العوام الا عبد الله بن خراش ولا يروى عن ابن عباس الا بهذا الاسناد اهـ قلت قد علمت ان المصنف تبع في قوله هذا صاحب القوت فلعله وقع له طريق الى ابن عباس غير الذي أشار اليه الطبراني لكونه ثقة والضحاك المذكور هو ابن مزاحم الهلالي أبو القاسم الخراساني روى عن ابن عمر وابن عباس وأبي سعيد وزيد بن أرقم وأنس بن مالك وقد تكلم في سماعه عن ابن عباس بل من الصحابة وروى أيضا عن الاسود بن يزيد النخعي وعطاء وأبي الاحوص والنزال بن سبرة وعبد الرحمن بن عوسجة وعنه جويبر بن سعيد وسلمة بن نبيط وعبد العزيز بن أبي رواد واسمعيل بن أبي خالد وعمارة بن أبي حفصة وأبو حباب الكلبي ومقاتل بن حيان وجماعة ذكره ابن حبان في الثقات وقال لقي جماعة من التابعين ولم يشافه أحدا من الصحابة ومن زعم انه لقي ابن عباس فقد وهم وقال ابن عدي عرف بالتفسير وأما رواياته عن ابن عباس وأبي هريرة ففيه نظر مات سنة ست ومائة (وأشد من هذا ماروى) ولفظ القوت ومن أغلظ ما سمعت من أكل الدنيا بالعلم ما حدثونا عن عبيد بن واقد عن عثمان بن أبي سليمان قال (ان رجلا) ولفظ القوت (كان) رجل (يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثني موسى نبي الله حدثني موسى كليم الله) ولفظ القوت صفي الله بدل نبي الله وزاد حدثني موسى نجي الله قبل الجملة الاخيرة (حتى أثرى وكثر ماله ففقده) وفي القوت وفقده (موسى عليه السلام فسأل عنه فلا يحس) أي لم يجد (له موسى خبرا) ولفظ القوت فجعل يسأل عنه فلا يحس منه أثرا (حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير في عنقه حبل أسود فقال له ياموسى) كذا في النسخ ولفظ القوت فقال له موسى عليه السلام (أتعرف فلانا قال) الرجل (نعم هو هذا الخنزير) هكذا في القوت ونسخ الكتاب كلها قال نعم قال هو هذا الخنزير وهذه الحكاية انما أخذها المصنف من الكتاب المذكور فالعهدة في الاختلاف عليه (فقال موسى عليه السلام يارب أسألك أن ترده الى حاله حتى أسأله بما) وفي القوت فيما (أصابه هذا فأوحى الله عز وجل اليه) ياموسى (لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكن) وفي القوت ولكني (أخبرك لم صنعت هذا به) وفي القوت ولكني أخبرك صنعت هذا به لانه (كان يطلب الدنيا بالدين) وفي عدم اجابة دعوة موسى عليه السلام فيه تغليظ على حال مثله (وأغلظ من هذا ماروى عن معاذ بن جبل) رضي الله عنه (موقوفا) عليه (ومرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم) ولفظ القوت وقد روينا في مقامات علماء السوء حديثا شديدا نعوذ بالله من أهله ونسأله أن لا يبلونا بمقام منه وقد روينا مرة

مسندا من طريق ورويناه موقوفا على معاذ بن جبل رضى الله عنه وانما أذكره موقوفا أحب الى حدثونا عن مندل بن على عن أبى نعيم السامى عن محمد بن زياد عن معاذ بن جبل يقول فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفته أنا على معاذ (قال من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع وفى الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفى الصمت سلامة وعلم) كذا فى النسخ ومثله فى القوت وقد أصلح العراقى فى نسخته التى قرأها عليه ولده وقال سلامة وغنم (ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك فى الدرك الاول من النار) قد تقدم أن الدركات مثل الدرجات الا ان الدرجات استعملت فى الجنة والدركات فى النار (ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شئ من علمه أو تهون بشئ من حقه غضب فذلك فى الدرك الثانى من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه) ولفظ القوت من يجعل حديثه فى غرائب علمه (لاهل الشرف واليسار) أى النعمة (ولا يرى أهل الحاجة) أى الاحتياج والفقر (له) أى لاستماع حديثه ذاك (أهلا فذلك فى الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتوى) وفى القوت للفتيا (فيفتى بالخطأ والله) عز وجل (يبغض المتكلفين فذلك فى الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك فى الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروأة ونبلا وذكرا فى النا) أى شهرة (فذلك فى الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه) أى يحمله (الزهو) أى التكبر (والعجب فان وعظ) غيره (عنف) فى وعظه (وان وعظ أنف) أى استكبر عن قبول وعظه (فذلك فى الدرك السابع من النار عليك بالصمت فيه) أى بالصمت (تغلب الشيطان واياك أن تضحك من غير عجب) وقد يروى عن معاذ من المقت الضحك من غير عجب (أو تمشى فى غير ارب) أى حاجة هكذا أورده بطوله صاحب القوت قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم الاصبهانى قال حدثنا أبو الهيثم أحمد بن محمد الكندى حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا جبارة بن المغلس حدثنا مندل بن على عن أبى نعيم السامى عن محمد بن زياد عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من فتنة العالم فذكره وقال فان رد عليه شئ من قوله وقال من يجعل حديثه وغرائب علمه وقال من يتعلم من اليهود والنصارى وجبارة بن المغلس ومندل بن على ضعيفان وأبو نعيم السامى مجهول ومحمد بن زياد الحصى لم يدرك معاذا ورواه الديلمى أيضا فيه من رواية خالد بن يزيد أبى الهيثم المقرى عن مندل بن على مثله وخالد بن يزيد ثقة احتج به البخارى ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات وهذا الكلام معروف من قول يزيد بن أبى حبيب رواه ابن المبارك فى الزهد والرقائق فى الباب الثانى منه اهـ قلت أخرجه ابن الجوزى فقال أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه أخبرنا محمد بن أحمد الحافظ أخبرنا محمد بن عبد الله الشافعى حدثنا جعفر الصائغ حدثنا خالد بن يزيد أبو الهيثم حدثنا جبارة بن مغلس فذكره فقول العراقى ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات أى من رواية خالد بن يزيد عن مندل بن على كما يعطيه ظاهر سياقه فيه نظر وقال ابن الجوزى خالد كذاب وجبارة ومندل ضعيفان اهـ وقال الذهبى فى الديوان خالد بن يزيد أبو الهيثم المكى قال أبو حاتم كذاب فينظر هذا مع قول العراقى انه ثقة واحتج به البخارى وقوله أيضا محمد بن زياد الحصى لم يدرك معاذا قد جاء وصفه بالسلمى وعده الذهبى فى المجاهيل وقوله وهذا الكلام معروف من قول يزيد بن حبيب الخ قلت وقد روى من طريق يزيد بن أبى حبيب مرفوعا وموقوفا اما مرفوعا فقد أخرجه ابن مردويه فقال حدثنا أحمد بن عبد الله حدثنا على بن الحسن حدثنا أبو الازهر النيسابورى حدثنا فردوس الكوفى حدثنا طلحة بن رجاء الحصى عن عمرو بن الحرث عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى يوسف المعافرى عن معاذ فذكره بمعناه موقوفا قاله ابن الجوزى أى موقوفا على معاذ ثم قال باطل طلحة متروك قلت لم أر له ذكرا فى ديوان الضعفاء للذهبى وشيخه عمرو بن الحارث بن الضحاك الزبيدى بالضم الحصى مقبول من السابعة أخرج له البخارى فى

التاريخ

قال من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع وفى الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفى الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك فى الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان ان رد عليه شئ من علمه أو تهون بشئ من حقه غضب فذلك فى الدرك الثانى من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك فى الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطأ والله تعالى يبغض المتكلفين فذلك فى الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك فى الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروأة ونبلا وذكرا فى الناس فذلك فى الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ أنف فذلك فى الدرك السابع من النار فعليك يا أخى بالصمت فبه تغلب الشيطان واياك أن تضحك من غير عجب أو تمشى فى غير أرب

التاريخ وأبوداود قال الحافظ السيوطي في اللآلئ المصنوعة أخرجه المرهبي في فضل العلم قال أخبرنا أبي قراءة عليه حدثنا جبارة به فزالت تهمة خالد ثم قال وأخرجه ابن المبارك في الزهد قال أخبرنا رجل من أهل الشام عن يزيد بن أبي حبيب قال ان فتنة العالم فذكره موقوفا على يزيد وأخرجه ابن عبد البر في العلم من طريق ابن المبارك ثم قال روي مثل قول يزيد بن أبي حبيب هذا كله من أوله الى آخره عن معاذ بن جبل من وجوه منقطعة اه (وفي خبر آخران العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة) هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقي لم أجد له أصلا بهذا اللفظ وفي الصحيحين من رواية أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رفعه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة اه قلت قد تقدم في أول الكتاب عند ذكره حديث ان من العلم كهيئة المكنون ما ذكره الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في ترجمة شيخه عتيق نقلا عن قضيب البان الموصلي انه قال من الرجال من يرفع صوته ما بين المشرق والمغرب ولا يسوى عند الله جناح بعوضة (وروى ان) ونص القوت وروينا عن (الحسن) هو البصري انه (انصرف يوما) (من مجلسه) الذي كان يذكر فيه (فحمل اليه رجل من خراسان) ونص القوت فاستأذن عليه رجل من أهل خراسان فوضع بين يديه (كيسا فيه خمسة آلاف درهم و) أخرج من حضنه رزمة فيها (عشرة أثواب من رقيق ابز) أي بز خراسان فقال الحسن ما هذا (فقال يا أبا سعيد هذه نفقة) وأشار الى الدراهم (وهذه كسوة) وأشار الى الرزمة (فقال) له (الحسن عافاك الله ضم اليك كسوتك ونفقتك) وفي القوت بتقديم نفقتك (فلا حاجة لنا بذلك) وفي القوت لا حاجة بلا فاء (انه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله عز وجل يوم القيامة) وفي القوت يوم يلقاه (ولا خلاق له) أي لا حظ له ولا نصيب له (وروى عن جابر) بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه (موقوفا) عليه (ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) ونص القوت وروينا عن شقيق بن ابراهيم عن عباد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر ذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقفته انا على جابر (انه قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عالما يدعوكم من خمس) خصال (الى خمس) خصال يدعوكم (من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة) قال العراقي رواه أبو نعيم في الحلية من رواية شقيق عن عباد عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجلسوا مع كل عالم فذكره وقدم العداوة ثم الكبر على الرياء وآخرهما من الرغبة الى الرهبة وعباد بن كثير البصري نزيل مكة كان رجلا صالحا ولكنه متروك قاله النسائي وغيره وشقيق أحد الزهاد العباد من أهل المجاهدة والجهاد قال صاحب الميزان منكر الحديث ثم قال لا يتصوّر ان نحكم عليه بالضعف لان النكارة من جهة الرواة عنه اه قلت نص أبي نعيم في الحلية أسند شقيق عن جماعة فمما يعرف بغرابته ما حدثناه أبو القاسم زيد بن علي بن أبي بلال حدثنا علي بن مهرويه حدثنا يوسف بن حمدان حدثنا أبو سعيد البلخي حدثنا شقيق بن ابراهيم الزاهد حدثنا عباد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ثم أبو سعيد اسمه محمد بن عمرو ابن حجر ورواه أيضا أحمد بن عبد الله عن شقيق حدثناه أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد الادريسي حدثنا أحمد بن نصر الاعمشي البخاري حدثنا سعيد بن محمود حدثنا عبد الله بن محمد الانصاري حدثنا أحمد بن عبد الله حدثنا شقيق بن ابراهيم الزاهد عن عباد بن كثير مثله رواه يحيى بن خالد المهلبي عن شقيق فخالفهما حدثناه أبو سعد الادريسي حدثنا محمد بن الفضل القاضي بسمرقند حدثنا محمد بن زكريا الفارسي ببلخ حدثنا يحيى بن خالد حدثنا شقيق حدثنا عباد عن أبان عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله وفي هذا الحديث كلام كان شقيق كثيرا ما يعظ به أصحابه والناس فوهم فيه الرواة فرفعوه وأسندوه اه كلام أبي نعيم قلت قال الحافظ السيوطي نقلا عن اللسان أحمد بن عبد الله هو الجويباري أحد الكذابين ثم

وفي خبر آخران العبد لينشر له من الثناء ما ملأ ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وروى أن الحسن حمل اليه رجل من خراسان كيسا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز وقال يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله تعالى ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له وعن جابر رضي الله عنه موقوفا ومرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجلسوا عند كل عالم الا الى عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة

قال العراقى ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات ثم قال ليس هذا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر كلام أبى نعيم المذكور اهـ قلت وقد وجدت لهذا الحديث طريقا آخر قال السيوطى قال ابن النجار فى تاريخه أخبرنا أبو القاسم الازجى عن أبى الرجاء أحمد بن محمد الكسائى قال كتب الى أبو نصر عبد الكريم بن محمد الشيرازى حدثنى أبو القاسم عمر بن محمد بن خزيم الخويبى حدثنا أبو بكر عمر بن على بن عيسى الخويبى حدثنا أبو عبد الله الحسين بن هلال الخويبى حدثنا أبو يوسف يعقوب بن نعيم البغدادى حدثنا يحيى بن محمد بن أعين المروزى حدثنا شقيق بن ابراهيم البلخى أخبرنا عباد بن كثير عن أبى الزبير عن جابر مرفوعا لاتقعدوا مع كل ذى علم الاعالم يدعوكم من الخمس الى الخمس من الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى المحبة ومن الجهل الى العلم ومن الغنى الى التقلل ووجدت له طريقا آخر من طريق أهل البيت قال السيوطى وقال العسكرى فى المواعظ حدثنا الحسن بن على بن عاصم حدثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا على بن موسى الرضى حدثنى أبى عن أبيه جعفر عن أبيه محمد عن أبيه على بن الحسين عن أبيه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقعد الا الى عالم يدعوك من الخمس الى الخمس من الرغبة الى الزهد ومن الرياء الى الاخلاص ومن الكبر الى التواضع ومن المداهنة الى المناصحة ومن الجهل الى العلم اهـ فبهذه الطرق يتقوى جانب الرفع فى حديث شقيق (وقال) الله (تعالى) فى كتابه العزيز فى قصة قارون (فخرج) أى قارون (على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم) وهو علم القلوب والمشاهدات الذى هو نتيجة التقوى وعلم المعرفة واليقين الذى هو مزيد الايمان وثمرة الهدى (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) ثم قال ولا يلقاها الا الصابرون أى لا يلقى هذه الحكمة الا الصابرون عن زينة الدنيا التى خرج فيها قارون (فعرف) الله عز وجل (أهل العلم) المشار اليه (بايثار الآخرة على الدنيا) والزهد فيها والاستصغار لها ووصفهم بعمل الصالحات للايمان بها كما وصف أهل الدنيا بالرغبة فيها والاستعظام لها (ومنها) أى ومن علامات علماء الآخرة (أن لا يخالف فعله قوله) لان مخالفة الفعل القول من جملة موانع الارشاد (بل لا يأمر بالشئ مالم يكن هو أول عامل به) ليكون قوله أوقع فى قلوب السامعين (قال الله تعالى) فى كتابه العزيز (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) أى تتركونها فتخالفون بأقوالكم أعمالكم وقد تقدم فى آخر الباب الخامس ان الآية نزلت فى احبار المدينة قاله ابن عباس (وقال عز وجل) يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون (كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون) قال السيوطى فى الدر المنثور وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن ميمون ابن مهران قيل له أرأيت قول الله تعالى هذا أهو الرجل يقرظ نفسه فيقول فعلت كذا وكذا من الخير أم هو الرجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وان كان فيه تقصير فقال كلاهما ممقوت وأخرج عبد بن حميد عن أبى خالد الوالبى قال جلسنا عند خباب بن الارت فسكتنا فقلنا ألا تحدثنا فانا جلسنا اليك لذلك فقال أتأمرون ان أقول مالا أفعل (وقال تعالى فى قصة) سيدنا (شعيب) ابن نويب عليه السلام (وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) أى أمنعكم عنه (وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله) هما جملتان مستقلتان طلبية وهى الامر بالتقوى وخبرية أى والله يعلمكم ما تتقون وليست جوابا للامر ولو أريد الجزاء لاتى بها مجزومة مجردة من الواو (وقال) تعالى (واتقوا الله واسمعوا) واتقوا الله وقولوا قولا سديدا فجعل مفتاح القول السديد والعلم الرشيد والسمع المكبر التقوى وهى وصية الله عز وجل من قبلنا وايانا اذ يقول سبحانه ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وهذه الآية قطب القرآن ومداره عليها كمدار الرحى على الحسبان (وقال) الله (عز وجل لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك) أى أولا (فان اتعظت) هى (فعظ الناس والا فاستحى منى) قال ابن السمعانى

قال تعالى فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن الآية فعرف أهل العلم بايثار الآخرة على الدنيا ومنها أن لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشئ مالم يكن هو أول عامل به قال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقال تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون وقال تعالى فى قصة شعيب وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال تعالى واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا وقال تعالى لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى

قرأت فى كتاب كتبه الغزالى الى أبى حامد أحمد بن سلامة بالموصل فقال فى خلال فصوله أما الوعظ فلست أرى نفسى أهلا له لان الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد النور كيف يستنير به غيره ومتى يستقيم الظل والعود أعوج وقد أوحى الله تعالى الى عيسى بن مريم عليه السلام فذكره (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونأتيه) قال العراقى أخرجه ابن حبان فى صحيحه من رواية مالك بن دينار عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة اسرى بى رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالخير وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون قال ابن حبان رواه أبو عتاب الدلال عن هشام عن المغيرة عن مالك بن دينار عن ثمامة عن أنس قال ووهم فيه لان يزيد بن زريع أتقن من مائتين من مثل ابن عتاب وذويه قال العراقى قلت طريق ابن عتاب هذه رواها أبو نعيم فى الحلية وأبو عتاب احتج به مسلم ووثقه أحمد وأبو زرعة وأبو حاتم واسمه سهل بن حماد اهـ قلت نص أبى نعيم فى الحلية حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا ابراهيم بن هشام حدثنا محمد بن المنهال حدثنا هشام الدستوائى عن المغيرة بن حبيب عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت ليلة اسرى بى الى السماء فاذا أنا برجال تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هم خطباء من أمتك تفرد به يزيد بن زريع عن هشام ورواه أبو عتاب سهل بن حماد عن هشام عن المغيرة عن مالك عن ثمامة عن أنس بن مالك كذلك رواه صدقة عن مالك حدثنا محمد بن أحمد ابن على بن مخلد حدثنا أحمد بن الهيثم الوزان حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا صدقة بن موسى عن مالك بن دينار عن ثمامة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت ليلة اسرى بى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرؤن كتاب الله ولا يعملون اهـ قلت وأخرج الخطيب من طريق مسلم بن ابراهيم عن صدقة والحسن بن أبى جعفر قالا حدثنا مالك بن دينار عن ثمامة فذكره وأخرج فى ترجمة ابراهيم بن أدهم الزاهد فقال حدثنا أبو نصر النيسابورى حدثنا ابراهيم أبو الحسن حدثنا محمد بن سهل العطار حدثنا أحمد بن سفيان النسائى حدثنا ابن مصفى حدثنا ابراهيم بن أدهم حدثنا مالك بن دينار عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فساقه بمثل سياق ابن حبان وقال مشهور من حديث مالك عن أنس غريب من حديث ابراهيم عنه ثم قال العراقى وللحديث طرق أخرى أحدها من رواية حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أنس رواه أحمد والبزار والثانى من رواية عيسى بن يونس عن سليمان التيمى عن أنس رواه الطبرانى فى الاوسط باسناد صحيح والثالث من رواية عمر بن نبهان عن قتادة عن أنس رواه البزار اهـ قلت ورواه أيضا الامام أحمد وعبد بن حميد فى مسنديهما وأبو داود الطيالسى وسعيد بن منصور وأبو يعلى وألفاظ كلهم متقاربة ففى بعضها مررت ليلة اسرى بى على قوم وفيها قال خطباء من أهل الدنيا ويأمرون الناس بالبر بدل الخير والباقى سواء (وقال صلى الله عليه وسلم هلاك أمتى عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء) قال العراقى أما أول الحديث فلم أجد له أصلا وأما آخره فرواه الدارمى فى مسنده من رواية بقية عن الاحوص بن حكيم عن أبيه قال سأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم عن الشر فقال لا تسألونى عن الشر وسلونى عن الخير يقولها ثلاثا ثم قال الا ان شر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء وهذا مرسل ضعيف فبقية مدلس وقد رواه بالعنعنة والاحوص ضعفه ابن معين والنسائى وأبوه تابعى لا بأس به اهـ قلت ومن الشواهد للجملة الاولى ما أورده صاحب القوت وروينا عن عمر وغيره كم من عالم فاجر وعابد جاهل فاتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدين

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه وقال صلى الله عليه وسلم هلاك أمتى عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء

وأخرج أبو نعيم فى ترجمة معاذ من رواية ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن مالك بن يخامر عن معاذ قال تصديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف فقلت يارسول الله ارنا شر الناس فقال سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر شرار الناس شرار العلماء فى الناس و يروى معضلا من طريق سفيان عن مالك بن مغول قال قيل يارسول الله فاى الناس شر قال اللهم غفرا قالوا أخبرنا يارسول الله قال العلماء اذا فسدوا (وقال) أبو عمرو وعبد الرحمن بن عمرو بن أبى عمرو (الاوزاعى) الفقيه الثقة الجليل مات سنة سبع وخمسين ٧ ومائتين (شكت النواويس) جمع ناوس هى القبور (ماتجد من نتن جيف الكفار) من الاذى (فأوحى الله تعالى اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه) فلما سمعت ذلك سكتت (وقال) أبو على (الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى (بلغنى ان الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان) قلت هذا قد جاء مرفوعا قال الطبرانى حدثنا موسى بن محمد بن كثير حدثنا عبد الملك بن ابراهيم الجدى حدثنا عبد الله بن عبد العزيز العمرى عن أبى طوالة عن أنس مرفوعا للزبانية أسرع الى فسقة حملة القرآن منهم الى عبدة الاوثان فيقولون يبدأ بنا قبل عبدة الاوثان فيقال لهم ليس من يعلم كمن لا يعلم وأخرج الجوزقانى من طريق قتيبة بن سعيد حدثنا جابر بن مرزوق الجدى شيخ من أهل جدة حدثنا عبد الله بن عبد العزيز العمرى الزاهد عن أبى طوالة عن أنس مرفوعا اذا كان يوم القيامة يدعى بفسقة العلماء فيؤمر بهم الى النار قبل عبدة الاوثان ثم ينادى مناد ليس من علم كمن لا يعلم قال ابن الجوزى موضوع جابر ليس بشئ ولعل عبد الملك أخذه منه اه قال السيوطى ولذا قال ابن حبان انه باطل وجابر متهم حدث بما لا يشبه حديث الاثبات ولم أر لعبد الملك ذكرا فى الميزان ولا فى اللسان وقد أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن الطبرانى وقال غريب من حديث أبى طوالة عن أنس تفرد به العمرى اه قلت وهذا غريب من الحافظ السيوطى عبد الملك الجدى ثقة من رجال البخارى وأبى داود والترمذى والنسائى فالصواب الحكم على حديث الطبرانى بعدم البطلان لان رجاله ثقات غير شيخ الطبرانى موسى بن محمد بن كثير فقد ذكره الذهبى فى الميزان وأورد له هذا الحديث وقال منكر وله شاهد صحيح رواه الترمذى وحسنه وابن خزيمة وابن حبان عن أبى هريرة قلت ومسلم أيضا نحوه وأشار له الحافظ المنذرى ثم قال السيوطى وأخرج المرهبى فى فضل العلم من رواية عمرو بن جميع بن جعفر عن أبيه عن على بن الحسين رفعه للزبانية الى فسقة حملة القرآن أسرع فساقه كسياق حديث الطبرانى الا ان فيه يارب بدئ بنا يارب سورع الينا وأخرجه الديلمى فى مسند الفردوس من رواية عمرو بن الحارث حدثنا عكرمة بن عمار عن طاوس عن ابن عباس رفعه يدخل فسقة حملة القرآن قبل عبدة الاوثان بألفى عام وأخرج الخطيب فى الاقتضاء من طريق زكريا بن يحيى المروزى حدثنا معروف الكرخى قال قال بكر بن خنيس ان فى جهنم واديا ثم ساق حديثا طويلا وفى آخره يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون أى رب بدئ بنا قبل عبدة الاوثان قيل ليس من يعلم كمن لا يعلم (وقال أبو الدرداء) رضى الله عنه (ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات) قال الخطيب فى كتاب الاقتضاء حدثنا محمد بن أحمد أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق حدثنا حسين بن أبى معشر أخبرنا وكيع عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال أبو الدرداء فذكره الا أنه قال ويل للذى بدل لمن فى الموضعين وأخرج من طريق عبد الله بن داود الحزبى قال حدثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال قال أبو الدرداء ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة وويل لمن علم ولم يعمل سبع مرات وقد يروى ذلك أيضا عن عبد الله بن مسعود موقوفا عليه أخرج أبو نعيم فى ترجمته من طريق معاوية بن صالح عن عدى بن عدى قال قال ابن مسعود ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه وويل لمن يعلم ثم لا يعمل سبع مرات وقد يروى هذا القول مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعه حذيفة بن اليمان فيما أخرجه الخطيب فى كتابه المذكور من طريق أبى أحمد الزبيرى قال حدثنا

وقال الاوزاعى رحمه الله شكت النواويس ماتجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه وقال الفضيل بن عياض رحمه الله بلغنى أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات

وقال الشعبي يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم ما أدخلكم النار وانما أدخلنا الله الجنة بفضل تاديبكم وتعليمكم فيقولون انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونفعله وقال حاتم الاصم رحمه الله ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففاز وابسببه وهلك هو وقال مالك بن دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وأنشدوا

ياواعظ الناس قد أصبحت متهما
اذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا
فالموبقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها
وأنت أكثرهم رغبة فيها
(وقال آخر

قيس بن الربيع عن الاعمش عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان فيما أعلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن لا يعلم وويل لمن يعلم ثم لا يعمل ثلاثا وكذا رفعه سليمان بن الربيع مولى العباس روى الخطيب بسنده الى اسمعيل بن عمرو البجلي قال حدثنا عوج ابن فضالة عن سليمان بن الربيع مولى العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق سفيان بن عيينة قال سمعت الفضيل بن عياض يقول يغفر للجاهل سبعون ذنبا مالم يغفر للعالم ذنب واحد (وقال) أبو عمرو عامر بن شراحيل (الشعبي) الفقيه الفاضل المشهور قال مكحول ما رأيت أفقه منه مات بعد المائة وله نحو من ثمانين (يطلع قوم من أهل الجنة الى قوم من أهل النار فيقولون ما أدخلكم النار وانما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم فيقولون انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله) أورد المصنف هذا القول موقوفا على الشعبي وهكذا أورده صاحب الحلية في ترجمته من طريق ابن حنبل قال حدثنا علي بن حفص حدثنا سفيان عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال يشرف قوم دخلوا الجنة على قوم دخلوا النار فيقولون مالكم في النار وانما كنا نعمل بما تعلمونا فيقولون انا كنا نعلمكم ولا نعمل به اهـ وقد جاء مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريقه قال الخطيب في كتاب الاقتضاء حدثنا أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد الاصبهاني قال حدثنا أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن يحيى بن جبلة الرقي حدثنا زهير بن عباد حدثنا أبو بكر الداهري عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن الوليد بن عقبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أناسا من أهل الجنة يتطلعون الى أناس من أهل النار فيقولون لم دخلتم النار فوالله ما دخلنا الجنة الا بما تعلمنا منكم فيقولون انا كنا نقول ولا نفعل قال الطبراني لم يروه عن ابن أبي خالد الا الداهري تفرد به زهير قلت والوليد بن عقبة هو ابن أبي معيط القرشي أخو عثمان لامه له صحبة وعاش الى خلافة معاوية وأخرج من طريق أبي الضياء قال حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن ابن الزبير عن جابر رفعه اطلع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فقالوا بم دخلتم النار وانما دخلنا الجنة بتعليمكم قالوا انا كنا نأمركم ولا نفعل قلت وأخرجه أبو علي بن شاذان من هذا الطريق وقال فيه غريب تفرد به أبو الضياء عن أبي عاصم والحديث في أول المشيخة الصغرى له وهذا السياق أقرب الى سياق المصنف الذي عزاه للشعبي (وقال) أبو عبد الرحمن (حاتم) بن علوان ويقال ابن يوسف (الاصم) قال القشيري في رسالته من أكابر مشايخ خراسان كان تلميذا لشقيق وأستاذ أحمد بن خضرويه قيل لم يكن أصم انما تصامم مرة فسمي به وقال أبو نعيم في الحلية هو مولى للمثنى بن يحيى المحاربي قليل الحديث (ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففاز وابسببه وهلك) ويشهد له ما أخرجه ابن عساكر في تاريخه عن أنس رفعه أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل أمكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه ورجل علم علما فانتفع به من سمعه منه دونه (وقال مالك بن دينار) فيما أخرجه الخطيب في كتاب الاقتضاء أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الله المحاملي حدثنا عبد الرحمن بن العباس البزاز من لفظه وأصله حدثنا محمد بن ابراهيم الخزاز حدثنا عبد الله يعني ابن أبي زياد حدثنا سيار عن جعفر عن مالك قال قرأت في التوراة (ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا) ثم قال وأخبرنا أبو سعيد الحسن بن محمد الاصبهاني حدثنا أحمد بن جعفر السمسار حدثنا أبو بكر بن النعمان حدثنا زيد بن عمرو حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال العالم الذي لا يعمل بمنزلة الصفا اذا وقع عليها القطر زل عنه (ولذلك قيل

ياواعظ الناس قد أصبحت متهما * اذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها)

أي أصبحت متهما في دينك اذ نهيت الناس بما أتيت به فخالف قولك العمل (وقال آخر

لاتنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذافعلت عظيم)

وقد تقدم للمصنف انشاد هذا البيت في الباب الذي قبله أعاده هنا لشدة المناسبة ولاضرر فيه اذا كان المقصود الافادة وقال محمد بن العباس اليزيدي أنشدنا أبو الفضل الرقاشي

مامن روى علما ولم يعمل به * فكيف عن وقع الهوى بأريب

حتى يكون بما تعلم عاملا * من صالح فيكون غير معيب

ولقلما تجدى اصابة صائب * أعماله أعمال غير مصيب

(وقال) الامام الزاهد أبو اسحق (ابراهيم بن أدهم) ابن منصور العجلي وقيل التميمي البلخي صدوق مات سنة اثنين وستين ومائة (مررت بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فاذا عليه أنت بما تعلم لاتعمل فكيف تطلب علم مالاتعلم) والذي في كتاب الاقتضاء للخطيب أنبأنا القاضي أبو العلاء الواسطي أخبرنا أبو الفتح الموصلي أنبأنا عبدالله بن علي العمري أنبأنا الفتح بن شخرف حدثنا عبدالله بن خبيب قال أنبأنا عبدالله بن السفري السندي عن ابراهيم بن أدهم قال خرج رجل يطلب العلم فاستقبله حجر في الطريق فاذا فيه منقوش اقلبني ترى العجب وتعتبر قال فأقلبت الحجر فاذا فيه مكتوب أنت بما تعلم لاتعمل كيف تطلب مالاتعلم قال فرجع الرجل انتهى وأخرج أبو نعيم في الحلية بسنده الى ابراهيم بن بشار خادم ابراهيم بن أدهم قال وحدثني ابراهيم بن أدهم قال مررت في بعض بلاد الشام فاذا حجر مكتوب عليه نقش بين بالعربية والحجر عظيم

كل حي وان بقي * فمن العيش يستقي فاعمل اليوم واجتهد * واحذر الموت ياشقي

قال فبينا أنا واقف أقرؤه وأبكي فاذا أنا برجل أشعث أغبر عليه مدرعة من شعر فسلم علي فرددت عليه السلام ورأى بكائي فقال مايبكيك فقلت قرأت هذا النقش فأبكاني قال وانت لاتتعظ وتبكي حتى توعظ ثم قال سر معي حتى أقرئك غيره فمضيت معه غير بعيد فاذا بصخرة عظيمة شبيهة بالمحراب فقال اقرأ وابك ولاتعص ثم قام يصلي وتركني واذا في أعلاه نقش بين عربي

لاتبغين جاها وجاهك ساقط * عند المليك وكن لجاهك مصلحا

وفي الجانب الآخر ماأزين التقى وماأقبح الخنا * وكل مأخوذ بماجنى

وعند الله الجزاء * وفي أسفل المحراب فوق الارض بذراع أو أكثر * انما العز والغنى * في تقى الله والعمل * فلما تدبرته وفهمته التفت الى صاحبي فلم أره فلاأدري مضى أوحجب عني (وقال) أبو العباس محمد بن صبيح مولى بني عجل (ابن السماك) المذكر زاهد حسن الكلام روى عن اسمعيل بن أبي خالد وهشام والاعمش وعنه أحمد وحسين بن علي الجعفي مات سنة ثلاث وثمانين ومائة (كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جريء على الله وكم من مقرب الى الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال لكتاب الله منسلخ عن آيات الله) أي فلا ينفع التذكير والتخويف والتقريب والدعاء الا بالتحلي بالاعمال الصالحة كان تلاوة الكتاب لاتصلح للمنسلخ من آيات الله تعالى وجهه فيكون مثل بلعام بن باعوراء وأخرج البخاري في تاريخه في ترجمة عمر بن الحسن المناطقي بسنده اليه قال حدثنا جعفر بن محمد الخالدي حدثنا الحرث بن أبي أسامة حدثنا داود حدثنا عباد عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر رفعه كم من عاقل عقل عن أمر الله وهو حقير عند الناس ذميم المنظر ينجو غدا وكم من ظريف جميل المنظر عند الناس يهلك غدا في القيامة (وقال ابراهيم بن أدهم) فيما أخرجه الخطيب في الاقتضاء فقال حدثنا أبو القاسم الازهري حدثنا محمد بن العباس الخزاز حدثنا ابن أبي داود حدثنا عبدالله بن حنيف قال سمعت شيخا من أهل دمشق يقول قال ابراهيم بن أدهم (لقد) هكذا هو في القوت وليس هو عند الخطيب (أعربنا في كلامنا فلم نلحن) وعند الخطيب في الكلام فما نلحن (ولحنا في

لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله مررت بحجر بمكة مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فاذا عليه مكتوب أنت بما تعلم لاتعمل فكيف تطلب علم مالم تعلم وقال ابن السماك رحمه الله كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جريء على الله وكم من مقرب الى الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله لقد أعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في

أعمالنا فلم نعرب) وعند الخطيب فى الاعمال فما نعرب وأخرج أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر حدثنا أحمد بن الحسين حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا الحكم بن موسى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا بعض اخواننا قال دخلنا على ابراهيم بن أدهم فسلمنا عليه فرفع رأسه الينا فقال اللهم لا تمقتنا فاطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه فقال انه اذا لم يمقتنا أحببنا ثم قال تكلمنا أو نطقنا بالعربية فما نكاد نلحن ولحنا بالعمل فما نكاد نعرب وسياق المصنف أخرجه الخطيب بعينه لبعض الزهاد فقال بسنده الى المرزبانى قال أخبرنى الصولى قال قال بعض الزهاد أعربنا فى كلامنا فما نلحن ولحنا فى أعمالنا فما نعرب وأخرج أيضا من طريق سلمة بن كلثوم قال سمعت ابراهيم بن أدهم عن مالك بن دينار قال تلقى الرجل وما يلحن حرفا وعمله لحن كله وأنشد الخطيب

لم نؤت من جهل ولكننا * نستر وجه العلم بالجهل
نكره أن نلحن فى قولنا * ولانبالى اللحن فى الفعل

وأنشد لهلال بن العلاء الباهلى

سبيلى لسان كان يعرب لفظه * فياليته فى وقعة العرض يسلم
وما ينفع الاعراب ان لم يكن تقى * وماضر ذاتقوى لسان معجم

وأخرج أبو نعيم فى الحلية بسنده الى أحمد بن أبى الحوارى قال حدثنا مروان بن محمد قال قيل لابراهيم بن أدهم ان فلانا يتعلم النحو قال هو الى أن يتعلم الصمت أحوج وأخرج الخطيب بسنده الى الضحاك بن أبى حوشب قال سمعت القاسم بن مخيمرة يقول تعلم النحو أوله شغل وآخره بغى (وقال) أبو عمرو (الاوزاعى) رحمه الله تعالى (اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع) نقله صاحب القوت (وروى) أبو عبد الله (مكحول) الشامى فقيه ثقة كثير الارسال مات سنة بضع عشرة ومائة (عن عبد الرحمن بن غنم) بن كريب بن هانئ بن ربيعة الاشعرى ذكره ابن سعد فى الطبقة الاولى من تابعى أهل الشام وذكره ابن حبان فى ثقات التابعين قيل له صحبة ولم تثبت وقال ابن عبد البر كان مسلما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره ولازم معاذ بن جبل الى أن مات وكان أفقه أهل الشام مات سنة ثمان وسبعين روى عن جماعة من الصحابة يأتى ذكرهم قريبا وروى عنه ابنه وعطية بن قيس ومالك بن أبى مريم وأبو سلام الاسود ومكحول وشهر بن حوشب ورجاء بن حيوة وعبادة بن نسى وصفوان بن سليم وجماعة (انه قال حدثنى عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) الذين سمع منهم من الصحابة عمر وعثمان وعلى وأبو ذر ومعاذ وأبو عبيدة بن الجراح وأنس بن مالك ٧ الاشعرى وأبو موسى الاشعرى وأبو هريرة وعمرو بن خارجة وشداد بن أوس وعبادة بن الصامت وثوبان ومعاوية جلتهم أربعة عشر نفسا (أنا كنا ندرس العلم فى مسجد قباء اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله عز وجل حتى تعملوا) قال العراقى ذكره ابن عبد البر فى بيان العلم هكذا من غير أن يصل اسناده وقد روى من حديث معاذ وابن عمر وأنس أما حديث معاذ فرواه الخطيب فى كتاب الاقتضاء من رواية عثمان بن عبد الرحمن الجمحى عن يزيد بن يزيد بن جابر عن أبيه عن معاذ عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكر مثله وأخرجه أيضا من رواية بكر بن خنيس عن حمزة النصيبى عن يزيد بن يزيد بلفظ فلن ينفعكم مكان يأجركم وهكذا رواه ابن عدى فى الكامل وأبو نعيم فى الحلية ثم قال وقد رواه الدارمى فى مسنده وابن المبارك فى الزهد والرقائق موقوفا على معاذ باسناد صحيح اﻫ قلت الذى فى الحلية حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر حدثنا على بن اسحق حدثنا الحسين بن الحسن حدثنا عبدالله ابن المبارك حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن يزيد بن يزيد بن جابر قال قال معاذ قال اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلم حتى تعملوا قال الشيخ رفعه حمزة النصيبى عن ابن جابر عن أبيه عن معاذ ثم ساق

أعمالنا فلم نعرب وقال الاوزاعى اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع وروى مكحول عن عبدالرحمن بن غنم أنه قال حدثنى عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا كنا ندرس العلم فى مسجد قباء اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا

وقال عيسى عليه السلام مثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت فى السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الاشهاد وقال معاذ رحمه الله احذروا زلة العالم لان قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر رضى الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال عمر رضى الله عنه ثلاث بهن يهدم الزمان احداهن زلة العالم وقال ابن مسعود سيأتى على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا توجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفئ مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر فى عمله فما أخصب الالسن يومئذ وما أجدب القلوب فوالله الذى لا اله الا هو ماذلك الا لأن المعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى

سنده اليه كسياق الخطيب ثم قال العراقى وأما حديث ابن عمر فرواه الدارقطنى فى غرائب مالك ومن طريقه الخطيب فى أسماء الرواة عن مالك بسند فيه محمد بن روح وهو ضعيف ولا يصح هذا عن مالك وأما حديث أنس فروى عنه مرفوعا وموقوفا رواه ابن عبد البر فى العلم من رواية عباد بن عبد الصمد عن أنس موقوفا قال وهو أولى من رواية من رواه مرفوعا قال وعباد متفق على تركه اهـ قلت وقد أخرج ابن عساكر فى التاريخ عن أبى الدرداء اشار له السيوطى وسياقه كسياق الخطيب ورواه الحسن ابن الاخرم المدينى فى أماليه عن أنس أشار له السيوطى وسياقه كسياق الخطيب وأخرج الخطيب فى الاقتضاء من طريق وكيع عن جعفر بن برقان عن فرات بن سلمان عن أبى الدرداء قال انك لن تكون عالما حتى تكون متعلما ولن تكون متعلما حتى تكون بما علمت عاملا وأخرج من طريق هشام الدستوائى عن برد عن سلمان قاضى عمر بن عبد العزيز قال قال أبو الدرداء لا تكون عالما حتى تكون متعلما ولا تكون بالعلم عالما حتى تكون به عاملا (وقال عيسى عليه السلام مثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت فى السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تبارك وتعالى يوم القيامة على رؤس الاشهاد) نقله صاحب القوت (وقال معاذ) رضى الله عنه (احذروا زلة العالم) بكسر اللام (لان قدره عند الخلق عظيم) أى يهابونه اجلالا (فيتبعونه على زلته) لمهابته عندهم وذكره الطبرانى فى الاوسط مرفوعا انى أخاف عليكم ثلاثا وهى كائنات زلة عالم الحديث كما سيأتى ومن كلامه رضى الله عنه أيضا واحذركم زيغة الحكيم فان الشيطان يقول على فى الحكيم كلمة الضلالة وقد يقول المنافق كلمة الحق فاقبلوا الحق فان على الحق نورا (وقال عمر) بن الخطاب (رضى الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق) وبين العالم والعالم جناس (وقال) أيضا (ثلاث) خصال (بهن يهدم الاسلام) فذكرهن وقال (احداهن زلة العالم) وهى أشدهن لانه يقتدى به فى الحلال والحرام وقد جاء ذكر هذه الثلاثة فى حديث معاذ زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تفتح عليكم كما سيأتى قريبا ومثله فى حديث أبى الدرداء ولكن فيه الثالث التكذيب بالقدر وسيأتى أيضا (وقال) أبو عبد الرحمن عبد الله (بن مسعود) بن غافل بن حبيب الهذلى رضى الله عنه من السابقين الاولين صاحب علوم وأمره عمر على الكوفة ومات سنة اثنين وثمانين أو فى التى بعدها بالمدينة (سيأتى على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب) أى تنقلب حلاوة القلوب التى هى ثمرة الايمان الكامل مرارة وملوحة (فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه) واذا لم ينتفع (فتكون قلوب علمائهم) اذ ذاك (مثل السباخ) جمع سبخة وهى الارض المالحة (من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا توجد لها عذوبة) وفى نسخة له فكذلك اذا صادف القلوب التى نزعت منها حلاوة الايمان ثم بين ذلك بقوله (وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا) أى والجاه والرياسة (وايثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة وتطفأ مصابيح الهدى من قلوبهم) أى فلا يكاد يصدر منهم الارشاد حينئذ (فيخبرك عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله) يقول ذلك (بلسانه والفجور) هو خرق ستر الديانة (بين) أى ظاهر (فى عمله فما أخصب الالسن يومئذ) وأوطها بالفصاحة وكثرة الكلام (وأجدب القلوب) وأيبسها (فوالله الذى لا اله الا هو ماذلك الا لان المعلمين علموا) العلم (لغير الله والمتعلمين تعلموا لغير الله) فحل بهم ما حل وكأنه رضى الله عنه نطق بما هو واقع الآن بل وقبلنا بكثير فلا حول ولا قوة الا بالله وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية ابراهيم النخعى عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رفعه كيف أنتم اذا لبستكم فتنة فتتخذ سنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير واذا ترك منها شئ قيل تركت سنة قالوا ومتى ذلك يارسول الله قال اذا كثر قراؤكم وقلت علماؤكم وكثرت أمراؤكم وقلت أمناؤكم والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتفقه لغير الله قال عبد الله فأصبحتم فيها قال الشيخ كذا

روى

روى مرفوعا والمشهور من قول عبد الله موقوف (وفى الانجيل مكتوب لاتطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم) هكذا أورده صاحب القوت وأخرج أبونعيم فى ترجمة محمد بن كعب القرظى عن ابن عباس قال رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فقال قال موسى عليه السلام يابنى اسرائيل ورآهم يبكون فقال كم تعلمون ولاتعملون وأنتم لاتعلمون ولاتعملون وأخرج فى ترجمة مالك بن دينار بسنده اليه قال كنت مولعا بالكتب أنظر فيها فدخلت ديرا من الديارات ليالى الحجاج فأخرجوا كتابا من كتبهم فنظرت فيه فاذا فيه يا ابن آدم لم تطلب علم مالم تعلم وأنت لما تعمل فيما تعلم (وقال حذيفة رضى الله عنه) ولفظ القوت وروينا عن حذيفة بن اليمان (انكم) اليوم (فى زمان من ترك فيه عشر مايعلم هلك وسيأتى زمان) ولفظ القوت ويأتى بعدكم زمان (من عمل فيه) ولفظ القوت من عمل منهم (بعشر مايعلم نجا) وقال صاحب القوت فى موضع آخر وفى حديث أبى هريرة يأتى على الناس زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا وفى بعضها بعشر مايعلم وفى حديث على يأتى على الناس زمان ينكر الحق تسعة اعشار اعشارهم لاينجو منه يومئذ الا كل مؤمن نؤمة يعنى صموتا متغافلا وذكر فى موضع آخر قال بعض التابعين من عمل بعشر مايعلم علمه الله تعالى مايجهل ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار اهـ وأخرج أبونعيم فى ترجمة العلاء ابن زياد بسنده اليه قال انكم فى زمان أقلكم الذى ذهب عشر دينه وسيأتى عليكم زمان أقلكم الذى يبقى عشر دينه (وذلك لكثرة البطالين) هكذا فى النسخ ولفظ القوت عقيب كلام حذيفة هذا لقلة العاملين وكثرة الطالبين وقال فى موضع آخر وقال بعض الخلف أفضل العلم فى آخر الزمان الصمت وأفضل العمل النوم يعنى لكثرة الناطقين بالشبهات فصار الصمت للجاهل علما ولكثرة الغافلين بالشهوات فصار النوم عبادة البطال ولعمرى ان الصمت والنوم أدنى أحوال العالم وهما أعلى حال الجاهل (واعلم ان مثل العالم مثل القاضى) وهذا مثل قوله فيما سبق قريبا وفى معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا فاللام فى العالم للعهد وقد أخذ هذه العبارة من القوت ونصه ومثل العالم مثل الحاكم (وقد) قسم الحاكم على ثلاثة أقسام (قال صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك فى الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم أولا يعلم فهو فى النار وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو فى النار) قال المناوى قال فى المطامح هذا تقسيم بحسب الوجود لابحسب الحكم ومعروف ان مرتبة القضاء شريفة ومنزلته رفيعة منيفة لمن اتبع الحق وحكم على علم بغير هوى وقليل ماهم وقيل معناه من كان الغالب على أقضيته العدل والتسوية بين الخصمين فله الجنة ومن غلب على أحكامه الجور والميل الى أحدهما فله النار والحاصل انه فيه انذار عظيم للقضاة التاركين للعدل والاعمال والمقصرين فى تحصيل رتب الكمال قالوا والمفتى أقرب الى السلامة من القاضى لانه لايلزم بفتواه والقاضى يلزم بقوله فخطره أشد فيتعين على كل من ابتلى بالقضاء أن يتمسك من أسباب التقوى بما يكون له جنة اهـ قال العراقى رواه بريدة بن الحصيب وعبد الله بن عمر أما حديث بريدة فرواه أبوداود والترمذى والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية ابن بريدة عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة رجل قضى بغير الحق فعلم ذاك فذلك فى النار وقاض لايعلم فأهلك حقوق الناس فهو فى النار وقاض قضى بالحق فذلك فى الجنة لفظ رواية الترمذى ورجالها رجال الصحيح واسناد النسائى وابن ماجه أيضا صحيح اهـ قلت ورواه الحاكم كذلك وصححه قال الذهبى والعهدة عليه ولفظ الحاكم القضاة ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة رجل علم الحق فقضى به فهو فى الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار قال العراقى وابن بريدة الذى لم يسم فى روايتهم هو عبد الله بن بريدة كذا ذكره ابن عساكر والمزنى كلاهما فى الاطراف ثم قال

وفى التوراة والانجيل مكتوب لاتطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة رضى الله عنه انكم فى زمان من ترك فيه عشر مايعلم هلك وسيأتى زمان من عمل فيه بعشر مايعلم نجا وذلك لكثرة البطالين واعلم ان مثل العالم مثل القاضى وقد قال صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك فى الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم أولا يعلم فهو فى النار وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو فى النار

وقال كعب رحمه الله يكون فى آخر الزمان علماء يزهدون الناس فى الدنيا ولا يزهدون ويخوفون الناس ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ويؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بألسنتهم يقربون الاغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب أحدهم على جليسه اذا جالس غيره أولئك الجبارون أعداء الرحمن وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ربما يسوّفكم بالعلم فقيل يارسول الله وكيف ذلك قال صلى الله عليه وسلم يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال للعلم قائلا وللعمل مسوّفا حتى يموت وما عمل وقال سرى السقطى اعتزل رجل للتعبد كان حريصا على طلب علم الظاهر فسألته فقال رأيت فى النوم قائلا يقول لى الى كم تضيع العلم ضيعك الله فقلت انى لاحفظه فقال حفظ العلم العمل

وأما حديث ابن عمر فرواه الطبرانى فى الكبير من رواية محارب بن دثار عن ابن عمر رفعه القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة قاض قضى بالهوى فهو فى النار وقاض قضى بغير علم فهو فى النار وقاض قضى بالحق فهو فى الجنة واسناده جيد رجاله رجال الصحيح قلت وكذا رواه أبو يعلى فى معجمه وقال الهيثمى رجاله ثقات وقد أفرد الحافظ ابن حجر فيه جزأ (وقال كعب) ابن مانع الحميرى ولقبه (الاحبار) على المشهور كنيته أبو اسحق ثقة مخضرم كان من أهل اليمن فسكن الشام مات فى آخر خلافة عثمان وقد زاد على المائة قال الحافظ ابن حجر وليس له فى البخارى رواية ولا فى مسلم الاحكاية وروى كذلك عن على وابن عباس (يكون فى آخر الزمان علماء يزهدون الناس فى الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم) ونص القوت ولا ينهون ويؤثرون الدنيا على الآخرة (يأكلون) وفى القوت ويأكلون الدنيا (بألسنتهم) أكلا (ويقربون الاغنياء دون الفقراء) ونص القوت يقربون الاغنياء ويباعدون الفقراء (يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب أحدهم على جليسه اذا جالس غيره) ذلك حظهم من العلم هكذا أورده صاحب القوت ثم قال وفى حديث على رضى الله عنه علماؤهم شر الخليقة منهم بدت الفتنة وفيهم تعود وفى حديث ابن عباس (أولئك الجبارون أعداء الرحمن) فعلم من سياق القوت ان هذه الجملة الاخيرة ليست من كلام كعب وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية ابن عبد الحكم ان ابن وهب أخبرهم عن عبد الله بن عياش عن يزيد بن قورد قال قال كعب يوشك ان ترواجهال الناس يتباهون بالعلم ويتغايرون عليه كما تتغاير النساء على الرجال فذلك حظهم من العلم وأخرج الخطيب فى الاقتضاء من رواية سفيان الثورى عن ثور بن فاختة عن يحيى بن جعدة عن على قال ياحملة العلم اعملوا به فانما العالم من عمل وسيكون قوم يحملون العلم يباهى بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس الى غيره أولئك لا تصعد أعمالهم الى السماء (وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان ربما يسبقكم بالعلم) هكذا فى نسخ الكتاب التى بأيدينا وفى نسخة بخط الكمال الدميرى ربما سبقكم بلفظ الماضى وهو هكذا نص القوت وعوارف المعارف ووجدت فى نسخة المغنى للحافظ العراقى التى قرئت عليه وعليها خطه ربما يسبعكم بالعين المهملة مكان القاف وعليه التصحيح ولم أجد له معنى (فقيل يارسول الله وكيف ذلك قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال فى العلم قائلا وللعمل مسوّفا حتى يموت وما عمل) من شئ أورده صاحب القوت ولفظه وقد روينا فى خبر وفيه قلنا يارسول الله كيف يسبقنا بالعلم والباقى سواء وقال العراقى أخرجه الخطيب فى كتاب الجامع لآداب الراوى والسامع من رواية عمرو ابن عبد الجبار بن حسان السنجارى عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أنس رفعه ولفظه ان الشيطان ليسبقكم بالعلم قالوا كيف يسبقنا به يارسول الله قال لا يزال العبد للعلم طالبا وللعمل تاركا حتى يأتيه الموت قال واسناده غريب وعمرو بن عبد الجبار ذكره ابن عدى فى الكامل وأورد له أحاديث وقال كلها غير محفوظة والراوى محمد بن المغيرة أورده الذهبى فى الميزان وقال روى خبرا باطلا متنه فى الجنة نهر يقال له رجب اه قلت الذى ذكره الذهبى فى الديوان فى عمرو بن الجبار قال ابن عدى روى عن عمه مناكير وعنه على بن حرب فمقتضى سياقه ان النكرة مقيدة فيما اذا روى عن عمه وهنا ليس كذلك وقال فى ذيل الديوان محمد بن المغيرة بن بسام عن منصور بن يزيد وعنه البخارى صاحب الصحيح حديث فى الجنة نهر يقال له رجب وسكت عنه (وقال سرى السقطى) بن المغلس تقدمت ترجمته (اعتزل للتعبد رجل كان حريصا على طلب العلم الظاهر فسألته) ولفظ القوت وحدثونا عن سرى السقطى قال كان شاب يطلب علم الظاهر ويواظب عليه ثم ترك ذلك وانفرد واشتغل بالعبادة فسألت عنه فاذا هو قد اعتزل الناس وقعد فى بيته يتعبد فقلت كنت حريصا على طلب العلم الظاهر فمالك انقطعت (فقال) لى (رأيت فى المنام قائلا يقول الى كم) وفى القوت يقول لى كم (تضيع العلم ضيعك الله فقلت انى لاحفظه قال حفظ العلم العمل

به فتركت الطلب وأقبلت على العمل) ولفظ القوت وأقبلت على النظر فيه للعمل (وقال ابن مسعود) ولفظ القوت وقد كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول (ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية) أخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية قرة بن خالد عن عون بن عبد الله قال قال عبد الله فذكره الا انه قال لكن مكان انما وهذا القول قد تقدم للمصنف في أثناء الوظيفة الاولى من وظائف المتعلم (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى فيما رواه صاحب القوت قال كان يقول (اعلموا ماشئتم ان تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا) وهذا قد روي مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث معاذ أخرجه أبو نعيم والخطيب كما تقدم (فان السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الدراية) وهذه الجملة أخرجها الخطيب في الاقتضاء من رواية لوين قال حدثني أبو محمد الاطرابلسي عن أبي معمر عن الحسن قال همة العلماء الرعاية وهمة السفهاء الرواية وأخرج من طريق صالح بن رستم قال قال أبو قلابة لايوب يا أيوب لا تكونن انما همك أن تحدث به الناس وفي القوت وقد كان الحسن يقول ان الله لا يعبأ بصاحب رواية انما يعبأ بصاحب فهم ودراية وقال أيضا من لم يكن له عقل يسوسه لم تنفعه كثرة رواية الحديث (وقال مالك) بن أنس رحمه الله تعالى حين سئل عن حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم فقال في الجواب (ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي) ومن حين تمسي الى حين تصبح (فلا تؤثرن عليه شيأ) وقد روي عنه هذا الكلام من ثلاثة طرق بألفاظ مختلفة والمعنى واحد من رواية ابن وهب وابن الماجشون ومحمد بن معاوية الحضرمي وقد تقدم في أول الكتاب أورده صاحب القوت في الفصل الثاني من كتاب العلم من رواية ابن وهب قال ذكر طلب العلم عند مالك فقال فذكره (وقال) أبو عبد الرحمن عبد الله (بن مسعود) رضي الله عنه (نزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يثقفونه) أي يعدلونه باخراج الحروف من مخارجها (مثل القنا) أي الرمح حين يثقف الرماح أولئك (ليسوا بخياركم) هكذا أورده صاحب القوت قال وفي لفظ آخر يقيمونه اقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه وأخرج الخطيب في كتاب الاقتضاء من رواية عبد الصمد بن يزيد قال سمعت الفضيل يقول انما نزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس قراءته عملا قال قيل كيف العمل به قال أي ليحلوا حلاله ويحرموا حرامه ويأتمروا بأوامره وينتهوا عن نواهيه ويقفوا عند عجائبه (و) مثل (العالم الذي) يعلم و (لا يعمل) بعلمه (كالمريض الذي يصف الدواء) بلسانه عن علم فيه ولا يستعمله (وكالجائع الذي يصف لذائذ الاطعمة) بأنواعها ويصف كيفية صنعتها وتركيبها (ولا يجدها و) قال صاحب القوت فمثل العالم يعلم غيره مثل الواصف لاحوال الصالحين العارف بمقامات الصديقين ولا حال له ولا مقام فليس يعود عليه من وصفه الا الحجة بالعلم والكلام وسبق العلماء بالله في المحجة بالاعمال والمقام و (في مثله قال تعالى ولكم الويل مما تصفون) وقال تعالى كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا الا يرجع الى بصيرة في طريقه بما اشتبه عليه من ظلمات الشبه مما اختلف العلماء فيه ولا يتحقق بوجه منه يجده عن حال ألبسها بوجده وانما هو واجد بتواجد غيره فغيره هو الواجد وشاهد على شهادة سواه فالسوى هو الشاهد (وفي الخبر مما أخاف على أمتي زلة العالم وجدال منافق في القرآن) قال العراقي فيه عن أبي الدرداء ومعاذ وعمر وعلي وعمران بن الحصين أما حديث أبي الدرداء فرواه الطبراني من رواية أبي ادريس الخولاني عنه رفعه أخاف على أمتي ثلاثا زلة عالم وجدال المنافق بالقرآن والتكذيب بالقدر وأما حديث معاذ فرواه الطبراني في معجمه الصغير والاوسط من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عنه رفعه اني أخاف عليكم ثلاثا وهن كائنات زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تفتح عليكم ورواه في الاوسط من رواية عمرو بن مرة عن معاذ رفعه اياكم وثلاثة زلة عالم وجدال منافق بالقرآن الحديث ثم فسرها وعمرو بن مرة لم يسمع من معاذ وذكره الدارقطني في العلل من رواية عبد الله بن سلمة بكسر اللام عن معاذ رفعه قال ان أخوف ما أخاف عليكم

به فتركت الطلب وأقبلت على العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن تعلموا ماشئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية وقال مالك رحمه الله ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فلا تؤثرن عليه شيأ وقال ابن مسعود رضي الله عنه أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الاطعمة ولا يجدها وفي مثله قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون وفي الخبر انما أخاف على أمتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن

ثلاث جدال منافق بالقرآن وزلة عالم ودنيا تقطع أعناقكم وأعله ابن الجوزي في العلل المتناهية براويه
المذكور قال الدارقطني وقد وقفه شعبة عن عمرو بن مرة يعني على معاذ قال والوقف هو الصحيح وأما
حديث عمر رواه أحمد من رواية أبي عثمان النهدي عنه بلفظ ان أخوف ما أخاف على هذه الامة كل
منافق عليم اللسان وقد ذكره المصنف فيما تقدم موقوفا على عمر قال الدارقطني والموقوف أشبه بالصواب
قلت حديث عمر هذا رواه عبد بن حميد وأبو يعلى مرفوعا بلفظ انما أخاف عليكم كل منافق عليم يتكلم
بالحكمة ويعمل بالجور ورواه اسحق بن راهويه والحرث بن أبي أسامة ومسدد بسند صحيح عن عبد الله
ابن بريدة ان وفدا قدموا على عمر فقال الاذنه فساق الحديث وهو طويل وفي آخره ثم قال عمر عهد الينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخشى عليكم منافق عليم اللسان واللفظ لمسدد ثم رواه مسدد
موقوفا من طريق أبي عثمان النهدي سمعت عمر بن الخطاب يقول وهو على المنبر منبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم أكثر من أصابعي هذه ان أخوف ما أخاف على هذه الامة المنافق العليم قال وكيف يكون
منافق عليم يا أمير المؤمنين قال عالم اللسان جاهل القلب وقال حماد وقال ميمون الكردي عن أبي عثمان عن
عمر نحوه وروى اسحق في مسنده من رواية حماد عن أبي سويد عن الحسن قال لما قدم أهل البصرة على
عمر فيهم الاحنف بن قيس سرحهم وحبسه عنده ثم قال أتدري لم حبستك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حذرنا كل منافق عالم اللسان واني أتخوف أن تكون منهم وأرجو أن لا تكون منهم فالحق بأهلك ثم قال
العراقي وأما حديث علي رواه الطبراني في الصغير والاوسط من رواية الحرث الاعور عنه رفعه اني
لا أتخوف على أمتي مؤمنا ولا مشركا أما المؤمن فيحجزه ايمانه وأما المشرك فيقمعه كفره ولكن أتخوف
عليكم منافقا عالم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون وقال لا يروى عن علي الا بهذا الاسناد
والحرث الاعور ضعيف قلت لكن وثقه ابن حبان وكذلك رواه اسحق بن راهويه في مسنده بسند
ضعيف لجهالة التابعي ورواه أيضا من طريق اسحق الفروي وهو ضعيف عن سعيد بن المسيب قال قال
رجل بالمدينة في حلقة أيكم يحدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فقال علي أنا سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول فذكره وفيه ولكن رجلا بينهما يقرأ القرآن حتى اذا دلق به يتأوله على غير
تأويله فقال ما تعلمون وعمل ما تنكرون فضل وأضل ثم قال العراقي وأما حديث عمران بن حصين رواه
أحمد وابن حبان من رواية عبد الله بن بريدة عنه رفعه بلفظ أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم
اللسان اللفظ لاحمد وقال ابن حبان جدال المنافق عليم اللسان وذكر الدارقطني في العلل انه رواه عن
معاذ بن معاذ عن حسين المعلم عن ابن بريدة عن عمران رفعه قال ووهم فيه قال ورواه عبد الوهاب بن عطاء
وروح بن عبادة وغيرهما عن حسين عن ابن بريدة عن عمر وهو الصواب في قصة طويلة قال العراقي وهو
عند ابن حبان من رواية خالد بن الحرث عن حسين المعلم مثل رواية معاذ اه قلت تقدم رواية ابن بريدة
عن عمر وهكذا رواه اسحق بن راهويه والحرث ومسدد (ومنها) أي ومن العلامات المميزة بين علماء الدنيا
والآخرة (أن تكون عنايته) وهمته (بتحصيل العلم النافع في الآخرة) لا غير (و) كذلك العلم
(المرغب في الطاعة) حالة كونه (مجتنبا للعلوم التي يقل نفعها) ولا يحتاج اليها في أكثر الحالات (و) هي
العلوم التي (يكثر فيها الجدال) والخصومات (والقيل والقال) حتى يؤدي الى تمزيق الثياب والمسافهة
والمصافعة بالاكف والنعال (فمثال من يعرض عن علم الاعمال ويشتغل) عنها (بالجدال) وعلم القيل
والقال (مثال رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف) أي وجد (طبيبا حاذقا) أي ماهرا بفنه (في وقت
ضيق يخشى فواته) بسفره أو غيره (فاشتغل بالسؤال عن) مسائل مثل (خاصية العقاقير والادوية)
أي مفرداتها (وغرائب الطب) ونوادره التي لا يحتاج اليها (وترك مهمه الذي هو) مقصود له و(مؤاخذ
به) لدفع علله (وذلك محض السفه) وعين الحماقة وقلة الادراك في تصوره (وروى أن رجلا جاء الى رسول

ومنها أن تكون عنايته
بتحصيل العلم النافع في
الآخرة المرغب في الطاعة
مجتنبا للعلوم التي يقل
نفعها ويكثر فيها الجدال
والقيل والقال فمثال من
يعرض عن علم الاعمال
ويشتغل بالجدال مثل رجل
مريض به علل كثيرة وقد
صادف طبيبا حاذقا في وقت
ضيق يخشى فواته فاشتغل
بالسؤال عن خاصية العقاقير
والادوية وغرائب الطب
وترك مهمه الذي هو
مؤاخذ به وذلك محض
السفه وقد روى أن رجلا
جاء رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقال علمني من غرائب العلم فقال له ماصنعت في رأس العلم فقال ومارأس العلم قال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الرب تعالى قال نعم قال فما صنعت في حقه قال ماشاء الله فقال صلى الله عليه وسلم هل عرفت الموت قال نعم قال فما أعددت له قال ماشاء الله قال صلى الله عليه وسلم اذهب فاحكم ماهنالك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم * بل ينبغي أن يكون المتعلم من جنس ماروى عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي رضي الله عنهما أنه قال له شقيق منذ كم صحبتني قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه المدة قال ثماني مسائل قال شقيق له انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثماني مسائل قال يا أستاذ لم أتعلم غيرها واني لا أحب أن أكذب فقال هات هذه الثماني مسائل حتى أسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر فاذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال أحسنت يا حاتم فما الثانية فقال نظرت في قول الله عز وجل وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فعلمت ان قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى الثالثة اني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل من معه شئ له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت الى قول الله عز وجل ماعندكم ينفد وماعند الله باق فكلما وقع معي شئ له قيمة ومقدار وجهته الى الله ليبقى عنده محفوظا الرابعة اني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال والى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فاذا هي لاشئ ثم نظرت الى قول الله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فعملت في التقوى حتى أكون

الله صلى الله عليه وسلم وقال له علمني من غرائب العلم فقال له ماصنعت في رأس العلم قال ومارأس العلم فقال له صلى الله عليه وسلم هل عرفت الرب سبحانه قال نعم قال فما صنعت في معرفته قال ماشاء الله قال هل عرفت الموت قال نعم قال فما أعددت له قال ماشاء الله قال اذهب فاحكم ماهنالك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم) قال العراقي رواه أبو بكر بن السني وأبو نعيم كل واحد في كتابه رياضة المتعلمين وابن عبد البر في بيان العلم من رواية خالد بن أبي كريمة عن عبد الله بن المسور قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أتيتك لتعلمني من غرائب العلم فذكره وهو مرسل ضعيف جدا قال ابن أبي حاتم عبد الله بن مسور بن عبد الله بن عون بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي المدائني سألت أبي عنه فقال الهاشميون لايعرفونه وهو ضعيف الحديث يحدث بمراسيل لايوجد لها أصل في أحاديث الثقات وقال أحمد بن حنبل أحاديثه موضوعة كان يضع الحديث ويكذب اهـ قلت وفي الديوان للذهبي عبد الله بن مساور تابعي مجهول وأما الراوي عنه خالد بن أبي كريمة فمن رجال النسائي وابن ماجه وثق وقال أبو حاتم ليس بالقوي ثم انه قد يكون المراد بغرائب العلم الاحاديث الغرائب التي لاخير في روايتها وقد ورد عن جماعة من العلماء كراهية الاشتغال بها وذهاب الاوقات في طلبها فقد أخرج الخطيب في مناقب شرف أصحاب الحديث له من طريق محمد بن جابر عن الاعمش عن ابراهيم قال كانوا يكرهون غريب الكلام وغريب الحديث وأخرج من طريق بشر بن الوليد قال سمعت أبا يوسف يقول لاتكثروا من الحديث الغريب الذي لايجيء به الفقهاء وآخر أمر صاحبه أن يقال كذاب وأخرج من طريق المروزي قال سمعت أحمد بن حنبل يقول تركوا الحديث وأقبلوا على الغرائب ماأقل الفقه فيهم فعلم من ذلك أن السؤال في غرائب الكلام والحديث مذموم والمدار على معرفة رأس العلم الذي هو معرفة الله سبحانه ثم ثم (بل ينبغي أن يكون التعلم) في العلم (من جنس ماروى عن حاتم) بن علوان (الاصم تلميذ شقيق) بن ابراهيم (البلخي) الزاهد رحمهما الله تعالى (انه قال له شقيق منذ كم صحبتني) أي في السلوك (قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه المدة قال ثماني مسائل قال شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثماني مسائل قال يا أستاذ لم أتعلم غيرها ولا أحب أن أكذب) في قولي (فقال) شقيق (هات هذه الثماني مسائل حتى أسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا) له (فهو مع محبوبه الى القبر فاذا وصل القبر فارقه) ورجع الى مافيه (فجعلت الحسنات محبوبي) وهي الاعمال الصالحة (فاذا دخلت القبر دخل معي محبوبي) فهي لاتفارقني دنيا وأخرى (قال أحسنت ياحاتم فما الثانية قال نظرت في قول الله عز وجل وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فعلمت ان قوله سبحانه هو الحق فاجهدت نفسي) وكلفتها (في دفع الهوى) المذكور في الآية (حتى استقرت) وثبتت (على طاعة الله تعالى) واطمأنت بها (الثالثة نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل من معه شئ له قيمة ومقدار عنده رفعه) في أحسن المحل (وحفظه) وصانه عن وصول اليد اليه (ثم نظرت في قول الله تعالى ماعندكم ينفد) أي يفرغ (وماعند الله باق) أي لايفنى ولا ينفد (فكلما وقع معي شئ له) عندي (مقدار وقيمة وجهته اليه) ذخيرة (ليبقى عنده الرابعة اني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع) في الكرم (الى المال) فيقتنيه ويضن به (و) الى (الحسب) فيفتخر به وفي نسخة والنسب والشرف (فاذا هو لاشئ ثم نظرت الى قوله عز وجل ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وعرفت سره (فعملت في التقوى حتى أكون

عندالله كريما الخامسة انى نظرت الى هـذا الخلق وهم يطعن بعضهم فى بعض و يلعـن بعضـهم بعضا وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قول الله عزوجل نحن قسمنا بينهم

معيشتهم فى الحياة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان القسمة عند الله

عند الله كريما) وفى نسخة شريفا كريما (الخامسة نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم فى بعض) بذكر المعايب والمخازى (و يلعن بعضهم بعضا وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قول الله عزوجـل نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا فتركت) ماهو سبب لذلك وهو (الحسد) واجتنبت الخلق (وعلمت أن القسم من الله تعالى وتركت عداوة الخلق عنى السادسة نظرت الى هذا الخلق يبغى بعضـهم على بعض) بالتعدى (و يقاتل بعضهم بعضا) على حب المال والجاه والرياسة (فرجعت الى قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحـده) اذ هو رأس الاعداء وأصل كل بلاء (واجتهدت فى أخـذ حذرى منه) واتقيته (لان الله تعالى شهد عليه) فى كتابه العزيز (انه عدولى فتركت عداوة الخلق) وسلمت من شره (السابعة نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة) من الخبز (فيبذل نفسه) فى تحصيلها (و يدخل فيما لايحل له) الدخول فيه (ثم نظرت الى قوله تعالى ومامن دابة فى الارض الاعلى الله رزقها فعلمت) ان الله قد تكفل بالرزق و (انى واحد من هذه الدواب التى على الله رزقها فاشتغلت بما لله على) من الائتمار بأوامره والانتهاء عن مناهيه (وتركت مالى عنده) فاسترحت (الثامنة نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد) منهم (متوكلا) ومستندا (هذا على ضيعته) أى قريته التى يستغل منها الرزق (وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه) فيستغل بالاجرة (وكل مخلوق متوكل على مخلوق) معتمد عليه فى حوائجه ومهماته (فرجعت الى قوله عزوجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كافيه عن غيره (فتوكلت على الله وهو حسبى) وتركت التوكل على المخلوق (قال شقيق يا حاتم وفقك الله فانى نظرت فى التوراة والانجيل والزبور والقرآن العظيم وهم يدورون) وفى نسخة فهى تدور (على هذه الثمان المسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة) هكذا أورده المصنف بهذا السياق وساقها أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة حاتم الاصم بما يخالفه قال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا حدثنا أبو تراب قال قال شقيق لحاتم الاصم مذ أنت صحبتنى أى شئ تعلمت قال ست كلمات قال ماأولهن قال رأيت كل الناس فى شك من أمر الرزق وانى توكلت على الله تعالى قال ومامن دابة فى الارض الاعلى الله رزقها فعلمت انى من هذه الدواب واحد فلم أشغل نفسى بشئ قد تكفل لى به ربى قال أحسنت فما الثانية قال رأيت لكل انسان صديقا يفشى اليه سره و يشكو اليه أمره فقلت أنظر من صديقى فكل صديق راح رأيته قبل الموت فاردت ان أعد صديقا يكون لى بعد الموت فصادقت الخير ليكون معى الى الحساب و يكون معى على الصراط و يثبتنى بين يدى الله عزوجل قال أصبت فما الثالثة قال رأيت كل الناس لهم عدو فقلت أنظر من عدوى فأمامن اغتابنى فليس هو عدوى وأمامن أخذ منى شيأ فليس هو عدوى ولكن عدوى الذى اذا كنت فى طاعة الله أمرنى بمعصية الله فرأيت ذلك ابليس وجنوده فاتخذتهم عدوا فوضعت الحرب بينى وبينهم ووترت قوسى ووصلت سهمى فلاأدعه يقربنى قال أحسنت فما الرابعة قال رأيت كل الناس لهم طالب كل واحد منهم واحدا فرأيت ذلك ملك الموت ففرغت له نفسى حتى اذا جاء لا ينبغى ان أمسكه فامضى معه قال أحسنت فما الخامسة قال نظرت فى هذا الخلق فاحببت واحدا وأبغضت واحدا فالذى أحببته لم يعطنى والذى أبغضته لم يأخذ منى شيأ فقلت من أين أتيت هذا فرأيت انى أتيت هذا من قبل الحسد فطرحت الحسد من قلبى فأحببت الناس كلهم فكل شئ لم أرضه لنفسى لم أرضه لهم قال أحسنت فما السادسة قال رأيت الناس كلهم لهم بيت ومأوى ورأيت مأواى القبر فكل شئ قدرت عليه من الخير قدمته لنفسى حتى أعمر قبرى فان القبر اذا لم يكن عامرا لم يستطع القيام فيه فقال شقيق عليك بهذه الخصال الستة

سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عنى السادسة نظرت الى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض و يقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قول الله عـز وجـل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عـدوا فعاديته وحـده واجتهدت فى أخذ حذرى منه لان الله تعالى شـهد عليـه أنه عدولى فتركت عداوة الخلق غيره السابعة نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه و يدخـل فيما لايحل له ثم نظـرت الى قوله تعالى ومامن دابة فى الارض الاعلى الله رزقها فعلمت انى واحد من هذه الدواب التى على الله رزقها فاشـتغلت بما لله تعالى على وتركت مالى عنده الثامنة نظرت الى هذا الخلق فرأيتهـم كلهـم متوكلين على مخلوق هـذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهـذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثـله فـرجعت الى قوله تعالى ومن يتوكل عـلى الله فهو حسبه فتوكلت على الله عزوجـل فهو حسبى قال شقيق يا حاتم وفقـك الله تعالى فانى نظرت فى علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهى تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة

فانك لاتحتاج الى علم غيره انتهى (فهذا الفن) والنوع (من العلم) انما (يهتم بادراكه) ويقوم باودتحصيله (والتفطن له) والانصباغ به (علماء الآخرة) كحاتم واضرابه (وأما علماء الدنيافيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه) والرياسة (ويهملون) أى يتركون (أمثال هذه العلوم) النفيسة (التى بعث بها الانبياء والرسل كلهم عليهم) الصلاة و (السلام وقال الضحاك) بن مزاحم الهلالى أبو القاسم ويقال أبو محمد الخراسانى صدوق كثير الارسال مات بعد المائة (أدركتهم ومايتعلم بعضهم من بعض الاالورع) المرادعصر الصحابة فان الضحاك تابعى (وهم اليوم يتعلمون الكلام) ويتركون السؤال عن الورع وهذا القول أورده صاحب القوت (ومنها) أى ومن علامات علماء الآخرة (ان يكون غير مائل الى الترفه فى المطاعم) فيعطى للنفس منه مناها (و) لا (التنعم فى الملبس) بان يلبس رقاق الثياب ورفيعها اومايشار اليها بالبنان (و) لا (التجمل فى الاثاث) فرش البيت (والمسكن) بسعته ورفعة بنائه وكذا التجمل فى المركب وقد نهى عن كل من ذلك (بل يؤثر) يختار (الاقتصاد) أى التوسط (فى جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف) الصالحين (ويميل فيه بالاكتفاء بالاقل فى جميع ذلك) فهذه علامة علماء الآخرة وقد أشار لذلك القطب سيدى على وفا فى بعض مؤلفاته وبين الاقتصاد فى كل ذلك وزاد فأفاد قال رضى الله عنه يكفيك من الغذاء مامكن لتركه القوى ومن الملبس مالايستهجنه العاقل ولا يزدريك به الغافل ومن المركب ماحمل رحلك وأراح رجلك ولا يزدرى بركوبه مثلك ومن المسكن ماواراك عمن لاتريده ان يراك ومن الحلائل الودود الولود ومن الخدم الامين المطيع ومن الاصحاب من يعينك على كمالك فى جميع أحوالك ومن الادب مايقيك غضب الكريم والعالم وجراءة اللئيم والظالم ومن العلم ماطابق الذوق الصحيح ومن الاعتقاد مايعينك على طاعة المعتقد من غير اعتراض ومن معرفة الحق ماأسقط اختيارك لغيره ومن معرفة الباطل مامنعك من اختياره ومن المحبة ماحققتك بايثار محبوبك على سواه ومن حسن الظن بالخلق مالايقبل معه سوء التأويل ولاقول العائب بغير دليل ومن الحذر مايمنع من مراكنة تجر الى مباينة ومن الظن بالله مالايجر الى معصيته ولايؤيس من رحمته ومن اليقين ماتعصم به من صرف وجه الطالب عن حيرة ومن التوحيد مالايبقى معه أثر لغيره ومن الفكر ماوصل الى فهم مراده ومن الخواطر مابعث على تعظيم ماعظم وهضم ماهضم وقد وضحت لك الانوار فان شئت فاقتبس وقد بينت الاصول فافهم الجامع واتق المانع ثم قس انتهى أوردته بتمامه تبركابه وان كانت الانفاس متفاوتة لكن المآل الى واحد (وكلما ازداد الى طرف القلة) من جميع ذلك (منزلة) وفى نسخة ميله (ازداد من الله سبحانه قربة) ومرتبة (وارتفع فى علماء الآخرة درجة) وفضيلة (ويشهد لذلك ماحكى عن أبى عبد الله الخواص) فيما أخرجه أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة حاتم ومن طريقه أخرجه الشهاب السهروردى بطوله فى عوارف المعارف قال أبو نعيم حدثنا محمد بن أحمد بن محمد حدثنا العباس بن أحمد الشاشى حدثنا أبو عقيل الرصافى حدثنا أبو عبد الله الخواص (وكان من أصحاب حاتم الاصم) وتلامذته (قال دخلت مع) أبى عبد الله (حاتم الى الرى) وهى من أكبر مدن خراسان (ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا نريد الحج) الى بيت الله الحرام (وعليهم) الصوف و (الزرنبانقات) بضم الزاى وفتح الراء وسكون النون وبعد الموحدة المفتوحة ألف ثم نون مكسورة ثم قاف هى الجبب من الصوف (ليس معهم جراب ولاطعام) أى على قدم التوكل (فدخلنا) الرى فدخلنا (على رجل من التجار متقشف يحب المساكين) ونص الحلية متنسك يحب المتقشفين (فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم) ياأباعبد الرحمن (ألك حاجة فانى أريد ان أعود فقيها) أى عالما (لنا) أى فى بلدنا (هو عليل) أى مريض (فقال حاتم عيادة مريض فيها فضل) ونص الحلية فقال حاتم ان كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل (والنظر الى الفقيه عبادة) أما عيادة المريض فقد ورد فى فضلها أحاديث تدل على فضلها وكون النظر الى الفقيه عبادة لانه يذكر الله

فهذا الفن من العلم لايهتم بادراكه والتفطن له الا علماء الآخرة فاماعلماء الدنيافيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التى بعث الله بها الانبياء كلهم عليهم السلام وقال الضحاك بن مزاحم أدركتهم ومايتعلم بعضهم من بعض الاالورع وهم اليوم مايتعلمون الا الكلام ومنها أن يكون غير مائل الى الترفه فى المطعم والمشرب والتنعم فى الملبس والتجمل فى الاثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد فى جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ويميل الى الاكتفاء بالاقل فى جميع ذلك وكلما ازداد الى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع فى علماء الآخرة حزبه ويشهد لذلك ماحكى عن أبى عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الاصم قال دخلت مع حاتم الى الرى ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا نريد الحج وعليهم الزرنبانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم ألك حاجة فانى أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل قال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر الى الفقيه عبادة

وأنا أيضا أجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا الى الباب فاذا قصر مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحالة ثم أذن لهم فدخلوا فاذا دار حسناء قوراء واسعة نزهة واذا بزة وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذي هو فيه واذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ اليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا أجلس فقال لعل لك حاجة فقال نعم قال وماهي قال مسئلة أسألك عنها قال سل قال قم فاستو جالسا حتى أسألك فاستوى جالسا قال حاتم علمك هذا من أين أخذته فقال من الثقات حدثوني به قال عمن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل قال حاتم ففيما أداه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأداه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصحابه وأصحابه الى الثقات وأداه الثقات اليك هل سمعت فيه من كان في داره اشراف وكانت سعتها أكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة أكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت انه من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كانت له عند الله المنزلة قال له حاتم فأنت بمن اقتديت أبالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم والصالحين رحمهم الله أم بفرعون ونمروذ أول من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة أفلا أكون انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل الري ماجرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ان الطنافسي بقزوين

عز وجل (وأنا أيضا أجيء معك وكان) ذلك (العليل محمد بن مقاتل) الرازي (قاضي الري) حدث عن وكيع ومحمد بن الحسن وجرير وأبي معاوية وغيرهم روى عنه عيسى بن محمد المروزي وأحمد بن عيسى الاشعري ومحمد بن علي الحكيم الترمذي وغيرهم وهو ضعيف سمع منه البخاري ولم يحدث عنه فروى الخليل في الارشاد من طريق مهيب بن سليم سمعت البخاري يقول حدثنا محمد بن مقاتل فقيل له الرازي فقال لان أخر من السماء الى الارض أحب الي من ان أحدث عن محمد بن مقاتل الرازي ذكره الخطيب في المتفق والمفترق وأورده الحافظ في التقريب لاجل التمييز بينه وبين محمد بن مقاتل المروزي فقال التاجر مر بنا يا أبا عبد الرحمن (فلما جئنا الى الباب) أي باب محمد بن مقاتل (فاذا هو بشرف حسنه) وفي نسخة فاذا هو مشرف حسن وهكذا هو نص الحلية (فبقي حاتم متفكرا يقول يارب يارب عالم على هذه الحال ثم أذن لهم فدخلوا فاذا دار قوراء) أي واسعة (واذا بزة) حسنة (وأمتعة) وفي الحلية ومنعة (وستور) وجمع (فبقي حاتم متفكرا) من هذه الحالة (ثم دخلوا الى المجلس الذي هو فيه فاذا بفرش وطيئة) أي لينة (و) اذا (هو راقد عليها) أي على تلك الفرش (وعند رأسه غلام) أي وضيء الوجه (بيده مذبة) بكسر الميم وهي المروحة (فقعد الزائر) وهو التاجر (عند رأسه وسلم) وسأل (وحاتم) الاصم (قائم) لم يقعد (فأومأ اليه ابن مقاتل ان اجلس) وفي الحلية اقعد (فقال لا أجلس) وفي الحلية لا أقعد (فقال) ابن مقاتل (لعل لك حاجة قال نعم قال) و (ماهي قال مسئلة أسألك عنها قال سل) وفي الحلية سلني (قال قم فاستو جالسا) وفي الحلية قال نعم فاستو (حتى أسألك عنها) وفي الحلية حتى أسألكها (فاستوى جالسا) وفي الحلية فأمر غلمانه فأسندوه (قال) وفي الحلية فقال له (حاتم علمك هذا من أين أخذته) وفي الحلية من أين جئت به (قال من الثقات) وفي الحلية قال الثقات (حدثوني به قال عمن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوه عمن قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن جبريل عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى) وفي الحلية ورسول الله صلى الله عليه وسلم من أين جاء به قال عن جبريل (قال حاتم ففيما أداه جبريل عن الله سبحانه وتعالى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأداه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصحابه وأداه أصحابه الى الثقات وأداه الثقات اليك هل سمعت فيه) وفي الحلية في العلم (من كان في داره أميرا) وفي نسخة من كانت داره دار أمير (وكانت سعته أكثر كانت له عند الله المنزلة أكبر قال لا قال فكيف سمعت قال من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله المنزلة أكبر قال حاتم فأنت بمن اقتديت أبالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصالحين أم بفرعون ونمروذ أول من بنى بالجص والآجر اذ قال ياهامان ابن لي صرحا (يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المكب) وفي نسخة المتكالب (على الدنيا) وفي نسخة الطالب للدنيا (الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شرا منه) قال هذا الكلام (وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا) على مرضه (وبلغ أهل الري ماجرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا) له يا أبا عبد الرحمن (ان الطنافسي) بفتح الطاء والنون وكسر الفاء والسين نسبة الى بيع الطنفسة (بقزوين) بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخا والمنسوب هكذا عبيد بن أبي أمية الكوفي الحنفي مولاهم حدث وأولاده أبو حفص عمر المتوفى سنة سبع وثمانين ومائة وأبو عبد الله محمد الاحدب ويعلى وابراهيم وادريس حدثوا قال الدارقطني كلهم ثقات ولعل المراد من

النسبة

أكثر توسعا منه فسار حاتم متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات اناء فيه ماء فأتى به فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ فقال حاتم مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعا أربعا فقال الطنافسي يا هذا أسرفت قال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك أربعا فقال حاتم يا سبحان الله العظيم أنا في كف من ماء أسرفت وأنت في جميع هذا كله لم تسرف فعلم الطنافسي أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج الى الناس أربعين يوما فلما دخل حاتم بغداد اجتمع اليه أهل بغداد فقالوا يا أبا عبد الرحمن انت رجل ألكن أعجمي وليس يكلمك أحد الا قطعته قال معي ثلاث خصال أظهر بهن على خصمي أفرح اذا أصاب خصمي وأحزن اذا أخطأ وأحفظ نفسي أن لا أجهل عليه فبلغ ذلك الامام أحمد ابن حنبل فقال سبحان الله ما أعقله قوموا بنا اليه فلما دخلوا عليه قال له يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك عنهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كنت هكذا سلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال يا قوم أية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلي فيه قالوا ما كان له قصر انما كان له بيت لاطئ بالارض قال فأين قصور أصحابه رضي الله عنهم قالوا ما كان لهم قصور انما كان لهم بيوت لاطئة بالارض قال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فأخذوه وذهبوا به الى السلطان وقالوا هذا العجمي

النسبة المذكورة أحد أولاد عبيد ممن تولى قضاء قزوين وأكبر ظني انه محمد الاحدب فقد كان بقزوين وروى عنه من أهلها محمد بن رافع وغيره (أكثر شأنا منه) أي من قاضي الري قال (فسار حاتم) اليه (متعمدا) أي قاصدا لنصحه (فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمي أحب ان تعلمني مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة) لعينيك (هات اناء فيه ماء فأتي به) فأتاه فيه ماء (فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال) يا هذا (هكذا فتوضأ قال حاتم مكانك) يرحمك الله (حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد فقام الطنافسي) من موضعه (وقعد حاتم فتوضأ) ثلاثا ثلاثا (ثم غسل) وفي الحلية حتى اذا بلغ غسل (الذراعين) غسل (أربعا أربعا فقال) له (الطنافسي يا هذا أسرفت قال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك أربعا فقال حاتم يا سبحان الله أنا في كف من ماء أسرفت وأنت في جميع هذا كله لم تسرف) وفي الحلية وأنت في هذا الجمع كله لم تسرف وهكذا هو في نسخة أيضا (فعلم الطنافسي انه قصد ذلك دون التعلم) وفي الحلية انه أراده بذلك لم يرد ان يتعلم منه شيأ (فدخل) الى (البيت فلم يخرج الى الناس أربعين يوما) كانه وجد لقوله تأثيرا عظيما في قلبه فرجع الى حال نفسه قال أبو نعيم فكتب تجار الري وقزوين بما جرى بينه وبين ابن مقاتل والطنافسي (فلما دخل بغداد اجتمع عليه) وفي نسخة اليه (أهل بغداد فقالوا يا أبا عبد الرحمن أنت رجل) الكن (أعجمي ليس يكلمك أحد الا قطعته) أي أسكته (قال معي ثلاث خصال بهن أظهر) أي أغلب (على خصمي) قالوا أي شئ هي قال (افرح اذا أصاب) خصمي (واحزن اذا أخطأ واحفظ نفسي ان لا أجهل) وفي الحلية ان لا أتجهل (عليه فبلغ ذلك) الامام (أحمد بن حنبل) رحمه الله (فقال يا سبحان الله ما أعقله) ثم قال لاصحابه (قوموا بنا) حتى نسير (اليه فلما دخلوا عليه قالوا له يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال) حاتم (يا أبا عبد الله) يعني به الامام أحمد (لا تسلم من الدنيا حتى تكون معك أربع خصال) قال أي شئ هي يا أبا عبد الرحمن قال (تغفر للقوم من جهلهم) ولفظ الحلية للقوم جهلهم وهكذا في نسخة أيضا (وتمنع جهلك عنهم) ومنه قول عنترة

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

(وتبذل لهم شيئك) أي تعطيهم ما ملكت يداك من المال وغيره (وتكون من شيئهم) مما في أيديهم (آيسا) غير طامع فيه (فاذا كنت هكذا سلمت) وفي نسخة فاذا كان هكذا سلمت ومثله في الحلية الى هنا ثم سياق عوارف المعارف قال أبو نعيم (ثم ساق) حاتم من بغداد (الى المدينة) المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام (فاستقبله أهل المدينة فقال) لما نظر الى أبنيتها وقصورها (يا قوم أية مدينة هذه) وفي الحلية أي مدينة هذه (قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأين قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصلي فيه) وفي الحلية فأصلي فيه ركعتين (قالوا ما كان له قصر انما كان له بيت لاطئ بالارض) أي لاصق بها (قال فأين قصور أصحابه) بعده (قالوا ما كانت لهم قصور انما كانت لهم بيوت لاطئة بالارض فقال حاتم فهذه مدينة فرعون) وجنوده لكون فرعون أول من طبخ الطين وعمل الآجر وبنى الصرح وأخرج أبو نعيم في ترجمة ابن عيينة قال بلغ عمر ان رجلا بنى بالآجر فقال ما كنت أحسب ان في هذه الامة مثل فرعون قال يريد قوله ابن لي صرحا وأوقد لي يا هامان على الطين وأخرج أيضا في ترجمة من رواية اسحق بن ابراهيم قال سمعت سفيان يقول بلغني ان الدجال يسأل بناء الآجر هل ظهر بعد (فأخذوه فذهبوا به الى السلطان) أي الامير الذي يتولاها من طرف الخليفة (فقالوا هذا الاعجمي

يقول هذه مدينة فرعون) وجنوده (قال الوالى) المذكور لحاتم (ولم ذاك قال) حاتم (لا تعجل على أنا رجل أعجمى غريب دخلت البلد) وفى الحلية المدينة (فقلت مدينة من هذه قالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أين) وفى الحلية قلت فأين (قصره حتى أصلى فيه) فقالوا ما كان له قصر (وقص القصة) أى أوردها بتمامها (ثم قال) حاتم (ولقد قال الله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة فأنتم بمن تأسيتم) أى اقتديتم (أبرسول الله صلى الله عليه وسلم) وأصحابه (أم بفرعون) وفرعون (أول من بنى بالجص والآجر) فأسكتهم (فخلوا عنه وتركوه) وفى الحلية وعرفوه بدل وتركوه (هذه حكاية حاتم (الاصم) وزاد أبو نعيم بعد قوله وعرفوه ما نصه فكان حاتم كلما دخل المدينة يجلس عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم يحدث ويدعو فاجتمع علماء المدينة فقالوا تعالوا حتى نخجله فى مجلسه فجاؤه ومجلسه غاص بأهله فقالوا يا أبا عبد الرحمن مسئلة نسألك قال سلوا قالوا ما تقول فى رجل يقول اللهم ارزقنى قال حاتم متى طلب هذا العبد الرزق فى الوقت أم قبل الوقت قالوا ليس نفهم هذا يا أبا عبد الرحمن قال ان كان هذا العبد طلب الرزق من ربه فى وقت الحاجة فنعم والا فأنتم عندكم خرق ودراهم فى أكمامكم وطعام فى منازلكم وأنتم تقولون اللهم ارزقنا قد رزقكم الله فكلوا واطعموا اخوانكم حتى اذا بقيتم ثلاثا فاسألوا الله حتى يعطيكم أنت عسى تموت غدا وتخلف هذا للاعداء وأنت تسأله ان يرزقك زيادة فقال أهل المدينة نستغفر الله يا أبا عبد الرحمن انما أردنا بالمسئلة تعنتا اه قال القشيرى فى الرسالة لم يكن حاتم أصم وانما تصامم مرة فسمى به سمعت الاستاذ أبا على الدقاق يقول جاءت امرأة فسألت حاتما عن مسئلة فاتفق انه خرج منها فى تلك الحالة صوت فخجلت فقال حاتم ارفعى صوتك فأرى من نفسه انه أصم فسرت المرأة بذلك وقالت انه لم يسمع الصوت فغلب عليه اسم الاصم اه (وسيأتى من سيرة السلف) الصالحين وطريقتهم التى سلكوها (فى البذاذة) هى رثاثة الهيئة (وترك التجمل) فى سائر الاسباب الضرورية (ما يشهد لذلك) أى لما ذكرناه (فى مواضعه) من هذا الكتاب على حسب المناسبات (والتحقيق فيه ان التزين بالمباح ليس بحرام) وذلك عام فى كل المأكل والملبس والمسكن بدليل قوله تعالى قل من حرم زينة الله الآية (ولكن الخوض فيه يوجب الانس به) والميل اليه (حتى يشق تركه) ويصعب هجره لتمرن النفس عليه حتى تصير عادة غير منفكة وترك العادة صعب وأصل الزينة تحسين الشئ بغيره من لبسته أو حليته أو هيئته وقال الراغب الزينة الحقيقية ما لا يشين الانسان فى شئ من أحواله لا فى الدنيا ولا فى الآخرة أما ما يزينه فى حالة دون حالة فهو من وجه شين وهى على ثلاثة أقسام نفسية وبدنية وخارجية الاولى كالعلم والاعتقادات الحسنة والثانية كالقوة وطول القامة وحسن الوسامة والثالثة المال والجاه والآية محمولة على القسم الاخير (واستدامة الزينة) على الوجه الذى يرومها المزين (لا تمكن) ولا تتصور (الا بمباشرة أسباب) وأمور خارجية (فى الغالب يلزم من مراعاتها) والالتفات اليها (ارتكاب) أنواع (المعاصى من) أكبرها (المداهنة) فى الحق (و) منها (مراعاة الخلق) فى أحوالهم اجتماعا وافتراقا (ومراآتهم) فى أحواله ليكون معظما عندهم (وأمور أخر هى محظورة) شرعا (والحزم) كل الحزم (اجتناب ذلك) التزين الذى يؤدى الى ما ذكر والعود الى الاقتصاد فبه ملاك رأس الامر (لان من خاض فى الدنيا) وآثر أسبابها واشتغل بها (لا يسلم منها البتة) فلا بد لوارد العسل من لعق الاصابع (و) اعلم انه (لو كانت السلامة) منها (مبذولة) أى حاصلة (مع الخوض) فيها (لكان النبى صلى الله عليه وسلم أولى بذلك وكان لا يبالغ فى ترك الدنيا) ورفض أسبابها (حتى نزع القميص المطرز بالعلم) أى المعلم بعلم قال العراقى المعروف م عه الخميصة المعلمة اه قلت اطلاق القميص على الخميصة مجاز فان القميص هو الثوب المخيط بكمين غير مفرج يلبس تحت الثياب ولا يكون من الصوف غالبا والخميصة كساء أسود مربع له علمان فان لم يكن معلما فليس بخميصة كما قاله الجوهرى وكانت من

يقول هذه مدينة فرعون قال الوالى ولم ذلك قال حاتم لا تعجل على أنا رجل أعجمى غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت فأين قصره وقص القصة ثم قال وقد قال الله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة فأنتم بمن تأسيتم أبرسول الله صلى الله عليه وسلم أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر فخلوا عنه وتركوه فهذه حكاية حاتم الاصم رحمه الله تعالى وسيأتى من سيرة السلف فى البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك فى مواضعه والتحقيق فيه ان التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا تمكن الا بمباشرة أسباب فى الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصى من المداهنة ومراآتهم وأمور أخر هى محظورة والحزم اجتناب ذلك لان من خاض فى الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ فى ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم

ونزع خاتم الذهب فى أثناء الخطبة الى غير ذلك مما سيأتى بيانه وقد حكى ان يحيى بن يزيد النوفلى كتب الى مالك بن أنس رضى الله عنهما بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد فى الاولين والآخرين من يحيى ابن يزيد بن عبد الملك الى مالك ابن أنس أما بعد فقد بلغنى انك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطىء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وقد ضربت اليك المطى وارتحل اليك الناس واتخذوك اماما ورضوا بقولك فاتق الله تعالى يامالك وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة منى كتابا ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام فكتب اليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم من مالك ابن أنس الى يحيى بن يزيد سلام الله عليك أما بعد فقد وصل الى كتابك فوقع منى موقع النصيحة والشفقة والادب أمتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا واسأل الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فاما ماذكرت لى انى آكل الرقاق وألبس الدقاق واحتجب وأجلس على الوطىء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى فقد قال

لباس الناس قديما قال العراقى وحديث الخميصة أخرجه البخارى ومسلم وأبوداود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية الزهرى عن عائشة رضى الله عنها قالت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خميصة لها اعلام فنظر الى اعلامها نظرة فلما سلم قال اذهبوا بخميصتى هذه الى أبى جهم فانها ألهتنى آنفا عن صلاتى وائتونى بانبجانية أبى جهم بن حذيفة لفظ البخارى اهـ قلت ورويناه فى أول الحربيات من حديث سفيان بن عيينة عن الزهرى وهشام بن عروة كلاهما عن عروة به (ونزع الخاتم الذهب ونبذه (فى أثناء الخطبة) قال العراقى رواه ابن عمر وابن عباس أما حديث ابن عمر فأخرجه الائمة الستة الا ابن ماجه فاتفق عليه الشيخان والنسائى من رواية الليث ورواه البخارى من رواية جويرية ومسلم والترمذى من رواية موسى بن عقبة ثلاثتهم عن نافع أن عبد الله بن عمر حدثه ان النبى صلى الله عليه وسلم اصطنع خاتما من ذهب وجعل فصه فى بطن كفه اذا لبسه فاصطنع الناس خواتيم من ذهب فرقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقال انى كنت اصطنعته وانى لا ألبسه فنبذه فنبذ الناس لفظ رواية البخارى من رواية جويرة عن نافع واتفقا عليه وأبوداود والنسائى من رواية عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر دون ذكر المنبر وكذا رواية مسلم وأبوداود والنسائى من رواية أيوب بن موسى عن نافع والبخارى من طريق مالك والنسائى من رواية اسمعيل بن جعفر كلاهما عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر دون ذكر المنبر وأما حديث ابن عباس فرواه النسائى من رواية سليمان الشيبانى عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما فلبسه قال شغلنى هذا عنكم منذ اليوم اليه نظرة واليكم نظرة ثم ألقاه (الى غير ذلك مما سيأتى) فى أثناء هذا الكتاب (فقد حكى ان يحيى بن يزيد) ابن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم (النوفلى) المدنى روى عن أبيه أورده الحافظ الذهبى فى الميزان وقال قال أبو حاتم منكر الحديث وقال ابن عدى الضعف على أحاديثه وأورد أباه كذلك وقال روى عن المقبرى ويزيد بن رومان وعنه ابنه يحيى وعبد العزيز الاوسى وخالد بن مخلد ضعفه أحمد وغيره وقال أبو زرعة ضعيف وقال ابن عدى عامة ما يرويه غير محفوظ وقال النسائى متروك الحديث مات سنة خمس وستين ومائة (كتب الى) الامام (مالك بن أنس) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته والمكتوب مانصه (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد سيد الاولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن أنس أما بعد فقد بلغنى) عنك (انك تلبس الدقاق) أى الثياب الرفيعة وهى دق الثياب من كتان وقطن ولو روى بالراء لكان له معنى (وتأكل الرقاق) بالضم أى الخبز المرقق الذى يعجن من دقيق منخول (وتجلس على الوطىء) أى الفرش اللين (وتجعل على بابك حاجبا) لايدع الناس من الدخول عليك الا باذن (و) الحال انك (قد جلست مجلس العلم) تنشره للناس وتفيده (وضربت اليك المطى) أى أكبادها (وارتحل الناس) اليك لاخذ العلم (فاتخذوك اماما) وقدوة فى دينهم (ورضوا بقولك) الذى تذهب اليه (فاتق الله) فى نفسك (يامالك وعليك بالتواضع) وقد (كتبت اليك بالنصيحة منى كتابا) هو هذا الكتاب (مااطلع عليه الا الله تعالى) وهكذا تكون النصائح اذا كانت لله تعالى لا لغرض ولا علة (والسلام) عليك (فكتب اليه مالك) لان من السنة رد جواب الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن أنس الى يحيى بن يزيد سلام عليك أما بعد فقد وصل الى كتابك) فقرأته (فوقع منى موقع النصيحة والاشفاق والادب) أى مع الله تعالى (أمتعك الله بالتقوى) أى أطال ايناسك به (وجزاك بالنصيحة) فى الله (خيرا وأسال الله التوفيق) أى لمرضاته (ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فأما ماذكرت لى) أى فى كتابك (انى آكل الرقاق والبس) الثياب (الدقاق واحتجب) عن الناس (واجلس على) الفرش (الوطىء فنحن نفعل ذلك) أى يصدر منا ذلك أحيانا من غير تصميم عليه (ونستغفر الله) تعالى من ذلك كله (وقد قال

الله تعالى قل من حرم زينة الله التي (٣٨٦) أخرج لعباده والطيبات من الرزق واني لاعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك

فلسنا ندعك من كتابنا والسلام فانظر الى انصاف مالك اذ اعترف ان ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بانه مباح وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك في منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراآة والمداهنة والتجاوز الى المكروهات وأما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله تعالى الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر ومنها أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة مادام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز عن مخالطتهم وان جاؤا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما أن يلتفت الى تجملهم فيزدري نعمة الله عليه أو يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا لهم أو يتكلف في كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح

الله عز وجل) في كتابه العزيز (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) وقد استدل بهذه الآية على قول الاصوليين ان الاصل في المنافع الاباحة وفي المضار التحريم فانه يدل على الذم بسبب تحريم زينة الله المخرجة لعباده واذا ورد الذم على التحريم لم يكن حراما فيكون مباحا والمراد من الطيبات ما يستطاب طبعا وهو النافع فيكون مباحا وليس المراد منها الحلال والالزم التكرار في قوله أحل لكم الطيبات قاله القزويني في شرح المنهاج (واني لأعلم) يقينا (ان ترك ذلك) جملة (خير من الدخول فيه) والركون اليه (ولا تدعنا) أي لا تهملنا (من كتابك) أي من ارساله الينا (فلسنا ندعك) نتركك (من كتابنا والسلام) هذا آخر الجواب (فانظر) وتأمل (الى انصاف) الامام (مالك) وأدبه مع الله تعالى (اذ اعترف) بما نسب اليه ولو كتب هذا الى أقل علماء زماننا بأقل من ذلك لاشمأز واحتد غضبا ولم يرد الجواب فقال من جملة اعترافه واني لأعلم (ان ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بأنه مباح) أي مما أباح الله به لعباده وليس هو في حد المحرمات (وقد صدق) رحمه الله تعالى (فيهما جميعا) أي في الاباحة المفهومة من نص الآية الشريفة وفي أولوية ترك الخوض والدخول في العلائق الدنيوية وان كانت مباحة (ومثل مالك) وناهيك به (اذا سمحت نفسه بالانصاف) منها (والاعتراف) بالانكسار (في مثل هذه النصيحة) المفيدة (فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح) فلا يتجاوزها (حتى لا يحمله ذلك على المراآة) مع الخلق (والمداهنة) في الحق (و) على (التجاوز) منها (الى) الوقوع في (المكروهات) لعلو مقامه واستغراقه في حضرة الحق سبحانه (وأما غيره فلا يقدر عليه) فان من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه (فالتعريج) أي الميل (على التنعم في المباح) والوقوف عليه (خطر عظيم) ووبال جسيم الامن عصمه الله وأيد بالتوفيق وكملت بصيرته بالتأييد (وهو بعيد من) مقامي (الخوف) من الله (والخشية) له (وخاصية علماء الله تعالى) التي لا تنفك عنهم في حال من الاحوال (الخشية) اذ هي ثمرة علمهم بالله تعالى (وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر) والاقتصار على أقل الضرورات وهو مقام النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ففي الحديث لا يكون العبد من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس وفي تاريخ الذهبي قال اسمعيل ابن أبي أويس كتب عبد الله بن عبد العزيز العمري الى مالك وابن أبي ذئب وغيرهما بكتب أغلظ لهم فيها وقال أنتم علماء تميلون الى الدنيا وتلبسون اللين وتدعون التقشف فكتب له ابن أبي ذئب كتابا أغلظ له وجاوبه مالك جواب فقيه (ومنها) أي ومن العلامات اللازمة لعلماء الآخرة (أن يكون منقبضا عن) مخالطة (السلاطين) ومن في معناهم من الامراء والحكام (بل لا يدخل عليهم البتة) أي بوجه من الوجوه (مادام يجد الى الفرار عنهم سبيلا) ومخلصا وممكنا (بل ينبغي أن يحترز من مخالطتهم) ومخالتهم (وان جاؤا اليه) اي لزيارته (فان الدنيا حلوة خضرة) نضرة (وزمامها) في الحقيقة (بأيدي السلاطين) اذهم حياتها واليهم مآلها (والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم) كما هو مشاهد (واستمالة قلوبهم) اليه بما أمكن (مع انهم ظلمة) على رقابهم مظالم العباد وظلموا انفوسهم بارتكاب المحظورات (ويجب على كل متدين) أي متقيد بالدين (الانكار عليهم) بلسانه وقلبه (وتضييق قلوبهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم) تصريحا ان أمكن كما فعله أبو حازم حين دخل على سليمان ابن عبد الملك وعنده الزهري وكما فعله شقيق حين جاءه هرون الرشيد زائرا فان لم يتمكن من التصريح فالتعريض (فالداخل عليهم) في مجالسهم لا يخلو (اما أن يلتفت الى تجملهم) وتزينهم في الملابس والفرش والستور فيخزل باطنا وتميل نفسه الى حصول مثل ذلك أو بعضه (فيزدري) أي يستحقر (نعمة الله) عز وجل التي أنعمها (عليه أو يسكت عن الانكار) عليهم مع وجوبه (فيكون مداهنا) بسكوته (أو يتكلف في كلامه) الذي يورده طلبا (لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح)

والافتراء الخالص (أو يطمع فى أن ينال) و يصيب (من دنياهم) التى بأيديهم (وذلك هو السحت) أى الحرام الخالص وقد يجتمع بعض الاحيان فى بعض الاشخاص من الذين يداخلونهم من هذه الاوصاف الخمسة اثنان وثلاثة وأكثر وأقل وعلى كل حال تقرب السلاطين نار محرقة ان لم تحترق تكون تحت رق (وسيأتى فى كتاب الحلال والحرام) فى أثناء هذا الكتاب (مايجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين ومالايجوز من الادرار) أى الوظائف والجرايات (والجوائز) أى العطايا (وغيرها) كالباس الخلع والتشاريف (وعلى الجملة) مع قطع النظر عن التفصيل (فمخالطتهم مفتاح للشرور) وأصل أصيل للوقوع فى النكد والغرور (وعلماء الآخرة طريقتهم الاحتياط) أى الاخذ بالاحوط فى أمور دينهم ودنياهم كيف (وقد قال صلى الله عليه وسلم من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلاطين افتتن) لانه ان وافقه على مرامه فقد خاطر بدينه وان خالفه فقد خاطر بروحه وربما استخدمه فلا يسلم من الاثم فى الدنيا والعقوبة فى العقبى أخرجه الامام أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والبيهقى فى الشعب والطبرانى فى الكبير ومن طريقه أبو نعيم فى الحلية وأبو قرة كلهم من رواية سفيان عن أبى موسى عن وهب بن منبه عن ابن عباس رفعه ولفظهم كلهم ماعدا الترمذى ومن أتى السلطان والباقى سواء ولفظ الترمذى ومن أتى أبواب السلطان وقال حسن غريب لانعرفه الا من حديث الثورى وقال سفيان مرة لاأعلمه الا عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال أبو نعيم فى الحلية أبو موسى هو اليمانى لانعرف له اسما وقال الذهبى فى الميزان شيخ يمانى يجهل ماروى عنه غير الثورى ولعله اسرائيل بن موسى والا فهو مجهول ونقل المنذرى فى مختصر السنن قال الكرابيسى حديثه ليس بالقائم وفى الباب عن أبى هريرة والبراء بن عازب ولفظ حديث أبى هريرة من بدى فقد جفا والباقى سواء و زاد فى آخره ومالزداد أحد من السلطان قربا الاازداد من الله بعدا رواه أبو يعلى فى مسنده وابن عدى فى الكامل وابن حبان فى الضعفاء كلهم من رواية الحسن بن الحكم النخعى عن عدى بن ثابت عن أبى حازم عن أبى هريرة وضعفوه كالمنذرى فى مختصر السنن ولكن حسنه العراقى قال وقد رواه أبو داود فى رواية ابن داسة وابن العبد من طريق الحسن بن الحكم هذا الاأنه قال عن عدى بن ثابت عن شيخ من الانصار عن أبى هريرة بلفظ حديث وهب بن منبه عن ابن عباس وقد رواه أيضا أبو يعلى فى مسنده هكذا وأما حديث البراء فرواه أحمد مختصرا من طريق شريك عن الحسن بن الحكم عن عدى بن ثابت عنه رفعه من بدى جفا وذكره الدارقطنى فى العلل فقال تفرد به شريك واختلف فيه على الحسن بن الحكم فرواه شريك عنه هكذا وخالفه اسمعيل بن زكريا فرواه عنه عن عدى بن ثابت عن أبى حازم عن أبى هريرة كما تقدم وخالفهما محمد بن عبيد الطنافسى فرواه عنه عن عدى بن ثابت عن شيخ من الانصار لم يسمه اه قلت وأخرجه العقيلى فى الضعفاء والرويانى وسعيد بن منصور كلهم عن البراء نحوه بزيادة ومن تبع الصيد غفل (وقال صلى الله عليه وسلم ستكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع أبعده الله قيل أفلا نقاتلهم قال لاماصلوا) قال العراقى أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى من رواية ضبة بن محصن عن أم سلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال واللفظ للترمذى الاأنه قال أئمة بدل أمراء ولم يقل أبعده الله وقال حسن صحيح وفى رواية لمسلم انه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم فذكره دون قوله أبعده الله وفيه قالوا يارسول الله بدل قيل وفى رواية له فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم وفى رواية له ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ ومن أنكر سلم اه قلت وأخرج ابن أبى شيبة عن عبادة بن الصامت رفعه ستكون عليكم أمراء يأمرونكم بما تعرفون و يعملون بما تنكرون فليس لاولئك عليكم طاعة وأخرج ابن جرير والطبرانى فى الكبير والحاكم عن عبادة بن

أو أن يطمع فى ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتى فى كتاب الحلال والحرام مايجوز ان يؤخذ من أموال السلاطين وما لايجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط وقد قال صلى الله عليه وسلم من بدا جفا يعنى من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن وقال صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع أبعده الله تعالى قيل أفلا نقاتلهم قال صلى الله عليه وسلم لاماصلوا

الصامت أيضا ولفظهم سيلى أموركم من بعدى رجال يعرفونكم بما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون فمن أدرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله عز وجل وأخرج ابن ماجه وابن عساكر عن أبي هريرة رفعه سيكون بعدى خلفاء يعملون بما لا تعلمون ويفعلون مالا يؤمرون فمن أنكر عليهم برئ ومن أمسك يده سلم ولكن من رضى وتابع (وقال سفيان) بن سعيد الثورى (في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوّارون) أى الكثير والزيارة (للملوك) أخرجه البيهقى عن بكر بن محمد العابد قال سمعت سفيان الثورى يقول فذكره بلفظ ان فى جهنم لجبا تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء الزائرين للسلاطين وقد تقدم عن بكر بن خنيس ما يعضده وقال السيوطى مارواه الاساطين من عدم المجيء الى السلاطين مانصه وأخرج ابن عدى عن أبى هريرة رفعه ان فى جهنم واديا تستعيذ منه كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين بأعمالهم وان أبغض الخلق الى الله تعالى عالم السلطان (وقال حذيفة) ابن اليمان رضى الله عنه فيما أخرجه أبو نعيم فى الحلية فقال حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن اسحق عن عمارة بن عبد عن حذيفة قال (اياكم ومواقف الفتن قيل وماهى) يا أبا عبد الله (قال أبواب الامراء يدخل أحدهم) ونص الحلية أحدكم ومثله فى نسخة أخرى (فيصدقه بالكذب ويقول ماليس فيه) وأخرجه كذلك البيهقى فى الشعب وابن أبى شيبة فى المصنف (وقد قال صلى الله عليه وسلم العلماء أمناء الرسل على عباد الله) فانهم استودعهم الشرائع التى جاؤا بها وهى العلوم والاعمال وكلفوا الخلق طلب العلم فهم أمناء عليه وعلى العمل به (مالم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل) فى أماناتهم لان مخالطتهم لا يسلم من النفاق والمداهنة والاطراء فى المدح وفيه هلاك الدين (فاحذروهم) أى خافوا من شرهم (واعتزلوهم) أى تأهبوا لما يبدو منهم من الشر (رواه) أبو جعفر العقيلى فى الضعفاء فى ترجمة حفص الابرى عن اسمعيل بن سميع الحنفى عن (أنس) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال العقيلى وحفص كوفى حديثه غير محفوظ قال العراقى وقد رواه الديلمى فى مسند الفردوس من طريق الحاكم ومن طريق أبى نعيم الاصبهانى من رواية ابراهيم بن رستم عن أبى حفص العبدى عن اسمعيل بن سميع عن أنس وزاد بعد قوله مالم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا وقال فى آخره فاحذروهم واخشوهم اهـ قلت لفظ الحاكم ويدخلوا فى الدنيا فاذا دخلوا فى الدنيا وخالطوا السلطان وفى آخره فاعتزلوهم وأخرجه الحسن بن سفيان فى مسنده عن محمد بن مالك عن ابراهيم بن رستم قال العراقى ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات من رواية ابراهيم بن رستم عن عمر بن حفص العبدى عن اسمعيل بن سميع قال تابعه محمد بن معاوية النيسابورى عن محمد بن يزيد عن اسمعيل ثم قال وأما عمر العبدى قال يحيى ليس بشئ وقال النسائى متروك وأما ابراهيم ابن رستم فقال ابن عدى ليس بمعروف ومحمد بن معاوية قال فيه أحمد كذاب الى هنا كلام ابن الجوزى قال العراقى أما ابراهيم بن رستم فقال فيه عثمان بن سعيد الدارمى عن يحيى بن معين انه ثقة اهـ قال السيوطى الحديث ليس بموضوع وابراهيم بن رستم معروف مروزى جليل قال الحافظ بن حجر فى لسان الميزان عن أبى حاتم يذكر بفقه وعبادة ومحله الصدق وذكره ابن حبان فى الثقات وقال يخطئ وقال الدارقطنى مشهور وليس بالقوى وله طريق آخر أخرجه الديلمى من رواية محمد بن النضر حدثنا محمد بن يزيد بن سابق حدثنا نوح بن أبى مريم عن اسمعيل بن سميع وقد ورد هذا الحديث بهذا اللفظ عن على بن أبى طالب مرفوعا أخرجه العسكرى وورد موقوفا على جعفر بن محمد أخرجه أبو نعيم فى الحلية وله شاهد نحوه من حديث عمر بن الخطاب أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس وله شواهد بمعناه كثيرة صحيحة وحسنة فوق الاربعين حديثا وهذا الحديث الذى نحن فى الكلام عليه نحكم له على مقتضى صناعة الحديث بالحسن والله أعلم اهـ قلت والموقوف الذى أخرجه أبو نعيم فى الحلية رواه من طريق

وقال سفيان فى جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وماهى قال أبواب الامراء يدخل أحدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ماليس فيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء أمناء الرسل على عباد الله تعالى مالم يخالطوا السلاطين فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه أنس

هشام بن عباد قال سمعت جعفر بن محمد يقول الفقهاء أمناء الرسل فاذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا الى السلاطين فاتهموهم (وقيل للاعمش) وهو سليمان بن مهران الاسدى الكاهلى مولاهم أبو محمد الكوفى رأى أنس بن مالك وأبا بكرة الثقفى وأخذله بالركاب فقال له يابنى انما أكرمك ربك عز وجل قال ابن معين كل ماروى الاعمش عن أنس فهو مرسل وقال عيسى بن يونس مارأيت الاغنياء والسلاطين عند أحد أحقر منهم عند الاعمش مع فقره وحاجته مات سنة ثمان وأربعين ومائة (لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذ عنك) أى فيبقى فى صدورهم فيلقونه الى من يأخذ عنهم (فقال لاتعجلوا ثلث) منهم (يموتون قبل الادراك) أى قبل أن يدركوا ثمرة العلم التى هى العمل (والثلث) الثانى (يلزمون أبواب السلاطين فهم شرار الخلق والثلث الباقى لايفلح منهم الا القليل) فأشار بقوله فهم شرار الخلق ان مخالطة السلاطين شر محض وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية أحمد بن شيبان قال سمعت سفيان بن عيينة يقول ونظر الى كثرة أصحاب الحديث ثلث يتبعون السلطان وثلث لايفلحون وثلث يموتون (ولذلك قال) أحد العلماء الاثبات (سعيد بن المسيب) بن حزن بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم القرشى المخزومى قال ابن المدينى لاأعلم فى التابعين أوسع علما منه مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين (اذا رأيتم العالم يغشى أبواب الامراء فاحترزوا منه فانه لص) بتثليث اللام أى سارق محتال على اقتناء الدنيا وجذبها اليه من حرام وغيره كما يحاول السارق اخراج المتاع عن الحرز وهذا الذى ذكره المصنف عن سعيد بن المسيب فقد ورد مرفوعا عن أبى هريرة بلفظ اذا رأيتم العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم انه لص أخرجه الديلمى أى قد سلب وصف الامانة وكسى ثوب الخيانة فلا يؤتمن على أداء العلم الذى من أسرار الله تعالى ويروى عن سفيان الثورى اذا رأيت القارئ يلوذ بالسلطان فاعلم انه لص واذا رأيته يلوذ بالاغنياء فاعلم انه مراء أخرجه البيهقى عن يوسف بن أسباط قال قال لى الثورى فذكره وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية محمد بن على بن الحسن قال قال عمر بن الخطاب اذا رأيتم القارئ يحب الاغنياء فهو صاحب الدنيا واذا رأيتموه يلزم السلطان من غير ضرورة فهو لص (وقال) عبد الرحمن بن عمرو (الاوزاعى مامن شئ أبغض على الله من عالم يزور عاملا) أى من عمال الملوك وشاهده من حديث أبى هريرة رفعه أخرجه ابن ماجه ان أبغض الخلق الى الله العالم يزور العمال وسيأتى فى الذى بعده (وقال صلى الله عليه وسلم شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين يأتون العلماء) قال العراقى لم أره بهذا اللفظ وروى ابن ماجه من رواية أبى معاذ البصرى عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أثناء حديث أوله تعوذوا بالله من جب الحزن الى أن قال وان أبغض القراء الى الله الذين يأتون الامراء وأول الحديث عند الترمذى دون هذه الزيادة الا انه قال أبو معان بالنون وهو الصحيح ثم قال وروى أبو بكر أحمد بن على بن لال الفقيه فى كتاب مكارم الاخلاق من رواية عصام بن داود العسقلانى عن بكير بن شهاب الدمغانى عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رفعه ان أبغض الخلق الى الله عز وجل العالم يزور العمال اهـ قلت وهكذا هو فى مسند الفردوس للديلمى وتاريخ قزوين للرافعى وأخرجه أبو الفتيان الحافظ فى كتاب التحذير من علماء السوء بلفظ ان أهون الخلق على الله وفى هذا المعنى قال حكيم من الحكماء وسيأتى للمصنف انه محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن حالا من العالم على باب هؤلاء وقالوا نعم الامير على باب الفقير وبئس الفقير على باب الامير وقال أبو حازم فيما وعظ به سليمان بن هشام ان بنى اسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقى حيث كان أمراؤهم يأتون الى علمائهم رغبة فى علمهم فلما نكسوا وتعسوا وسقطوا من عين الله عز وجل وآمنوا بالجبت والطاغوت كان علماؤهم يأتون الى أمرائهم فشاركوهم فى دنياهم وشركوا فى فتنتهم أورده أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة أبى حازم وقال أيضا بسنده الى يوسف بن أسباط أخبرنى مخبر ان بعض الامراء أرسل الى أبى حازم فأتاه وعنده الافريقى

وقيل للاعمش لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذ عنك فقال لاتعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقى لايفلح منه الا القليل ولذلك قال سعيد بن المسيب رحمه الله اذا رأيتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص وقال الاوزاعى مامن شئ أبغض الى الله تعالى من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين يأتون العلماء

والزهرى وغيرهما فقال له تكلم يا أبا حازم فقال أبو حازم ان خير الامراء من أحب العلماء وان شر العلماء من أحب الامراء وانه كان فيما مضى اذا بعث الامراء الى العلماء لم يأتوهم واذا أعطوهم لم يقبلوا منهم واذا سألوهم لم يرخصوا لهم وكان الامراء يأتون العلماء فى بيوتهم فيسألونهم فكان فى ذلك صلاح للعلماء وصلاح للامراء فلما رأى ذلك ناس من الناس قالوا مالنا لانطلب العلم حتى نكون مثل هؤلاء فطلبوا العلم فأتوا الامراء فحدثوهم فرخصوا لهم وأعطوهم فقبلوا منهم فخربت العلماء على الامراء وخربت الامراء على العلماء (وقال) أبو عبد الله (مكحول الدمشقى) الفقيه (من تعلم القرآن وتفقه فى الدين وصحب السلطان تملقا اليه) أى تخضعا له (وطمعا لما فى يديه) من المال وغيره (خاض فى جهنم بعدد خطاه) جزاء وفاقا وهذا قد روى مرفوعا من حديث معاذ أخرجه أبو الشيخ فى كتاب الثواب له وكذا الحاكم فى تاريخه بلفظ اذا قرأ الرجل القرآن وتفقه فى الدين ثم أتى باب السلطان تملقا اليه وطمعا لما فى يده خاض بقدر خطاه فى نار جهنم ولفظ الحاكم ثم أتى صاحب سلطان كذا أفاده الجلال السيوطى (وقال) أبو الحسن ويقال أبو القاسم (سمنون) بن حمزة تلميذ السرى ومات قبل الجنيد وفى كتاب السيوطى وقال اسحق بدل سمنون (ما أسمج بالعالم) أى ما أقبح (أن يؤتى الى مجلسه فلا يوجد) فيه (فيسأل عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت أسمع انه يقال اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم) أى فانه كالسارق المحتال على جمع الحطام الى نفسه من حيث أمكن (حتى جربت) ذلك قال (ومادخلت قط على السلطان الا حاسبت نفسى بعد الخروج) من عنده فى سائر أحوالها بالتدقيق (فأرى عليها الدرك) أى فى بعض أمرها (وأنتم ترون ما ألقاه) أى السلطان (به من الغلظة) فى الكلام (والفظاظة) فى الخلق (وكثرة المخالفة لهواه) أى لهوى نفسه فيما يخالف ظاهر الشريعة (ولوددت أن أنجو) أى أخلص (من الدخول) عليه (كفافا) لاعلىّ ولالى (مع انى لا آخذ منهم شيأ) من الاموال وغيرها (ولا أشرب عندهم شربة ماء) فضلا عن الاكل أى فكيف حال الداخل اليه وهو يطمع فى دنياه أو يتناول عنده شيأ وهكذا ساقه السيوطى الا ان فى سياقه حتى جربت اذ مادخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت وفيه مع ما أواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم والباقى سواء (قال وعلماء زماننا شر من علماء بنى اسرائيل) فانهم (يخبرون السلاطين) اذا سئلوا فى الواقعات (بالرخص) والمساهلات (وما يوافق هواهم) فيفتون لهم بذلك (ولو أخبروهم بالذى عليهم وفيه نجاتهم) من العذاب (لاستثقلوهم وكرهوا دخولهم عليهم وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم) حيث بلغوا ما أمروا به وأخرج أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة أبى حازم ما نصه قال سليمان بن هشام لابى حازم يا أبا حازم ما تقول فيما نحن فيه قال أو تعفينى يا أمير المؤمنين قال بل نصيحة تلقيها الى قال ان آباءك غصبوا الناس هذا الامر فأخذوه عنوة بالسيف من غير مشورة ولا اجتماع من الناس وقد قتلوا فيه مقتلة عظيمة وارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وقيل لهم قال رجل من جلساء سليمان بئسما قلت قال أبو حازم كذبت فان الله تعالى أخذ على العلماء الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه وأخرج فى ترجمة الفضيل من رواية ابراهيم بن الاشعث قال سمعت الفضيل بن عياض يقول لان يدنو الرجل من جيفة منتنة خير له من أن يدنو الى هؤلاء يعنى السلطان وسمعته يقول رجل لايخالط هؤلاء ولا يزيد على المكتوبة أفضل عندنا من رجل يقوم بالليل ويصوم بالنهار ويحج ويعتمر ويجاهد فى سبيل الله ويخالطهم اه (وقال الحسن) بن سعيد البصرى (كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم فى الاسلام) أى سبق وتقدم (وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك) راوى هذا الاثر (عنى) الحسن (به) أحد العشرة أبا اسحق (سعد بن أبى وقاص) مالك بن أهيب الزهرى أبهمه الحسن وفسره ابن المبارك فهو مدرج (قال وكان لايغشى السلاطين ولا يقعد عندهم) أراد بهم خلفاء زمانه كالصديق والفاروق وذى النورين ولعل هذا فى آخر أمره والا ففى أول أمره كان ابتلى بالامارة والسياسة والجباية والحراسة ففتح

وقال مكحول الدمشقى رحمه الله من تعلم القرآن وتفقه فى الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا فيما لديه خاض فى بحر من نار جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما أسمج بالعالم أن يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال هو عند الامير قال وكنت أسمع أنه يقال اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك اذ مادخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسى بعد الخروج فأرى عليها الدرك وأنتم ترون ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت أن أنجو من الدخول عليه كفافا مع انى لا آخذ منه شيأ ولا أشرب له شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بنى اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم فى الاسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك عنى به سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه قال وكان لايغشى السلاطين وينفر عنهم

الله على يديه السواد والبلدان ومنع عدة من الاناث والذكران ثم رغب عن ذلك كله وآثر العزلة والرعاية وتلافي ما بقي من عمره بالعناية وكان مجاب الدعوة مشهورا بذلك وكان أميرا على الكوفة فعزله عمر وولى عمارا ثم عزله وأعاد سعدا فأبى عليه ورام ابنه عمر بن سعد أن يدعو الى نفسه بعد قتل عثمان فأبى وكذلك رامه ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص فأبى فلحق هاشم بعلي وكان سعد ممن قعد ولزم بيته في الفتنة وأمر أهله أن لا يخبروه بشيء من أخبار الناس حتى تجتمع الامة على امام (فقالوا له بنوه) ابراهيم وعامر وعمر ومحمد ومصعب (يأتي هؤلاء) أي الملوك (من ليس له مثالك) أي مثل مالك (في الصحبة) لرسول الله صلى الله عليه وسلم (والقدم) في الاسلام (فلو أتيتهم) أي واستفدت منهم (فقال يا بني) بفتح الموحدة وكسر النون (ان الدنيا جيفة) أي مآلها كذلك (وقد أحاط بها قوم) يتجاذبونها (والله لئن استطعت لا أشاركهم) أي الداخلين على الامراء (فيها) أي في تحصيلها (قالوا يا أبانا اذا نهلك هزلا) أي فقرا وقلة (قال يا بني لان أموت مؤمنا مهزولا أحب الي من أن أموت منافقا سمينا) فلم يزل رضي الله عنه في حال التقشف والصبر حتى لحق بربه معتزلا في قصره بالعقيق في سنة خمس وخمسين على المشهور وحمل على الاعناق ودفن بالبقيع وهو آخر العشرة موتا فهو قدوة من ابتلي في حاله بالتلوين وحجة من تحصن بالوحدة والعزلة من الفتنتين (قال الحسن) راوي الاثر (خصمهم والله) أي غلبهم في الخصومة (اذ علم ان التراب يأكل اللحم والسمن) في القبر (دون الايمان) فانه محفوظ (وفي هذا اشارة الى ان الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق) والمداهنة (البتة وهو) أي النفاق (مضاد الايمان) الكامل لا يجتمعان معا (وقال أبو ذر) جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه من السابقين أول من تكلم في علم البقاء والفناء وثبت على المشقة والعناء وحفظ العهود والوصايا وصبر على المحن والرزايا واعتزل البرايا الى ان حل بساحة المنايا مات معتزلا بالربذة سنة اثنين وثلاثين وصلى عليه عبد الله بن مسعود وكان يوازيه في العلم وقدم ابن مسعود المدينة فمات بعده بعشرة أيام (لسلمة) بن عمرو بن الاكوع الاسلمي أبي مسلم ويقال أبو اياس ويقال أبو عامر له صحبة ورواية قال أبو نعيم استوطن الربذة بعد قتل عثمان وتوفي سنة أربع وتسعين (يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فانك لا تصيب من دنياهم شيأ الا أصابوا من دينك أفضل منه) أي مما أصبت من دنياهم وهو كما قال الثوري واياك أن تخدع فيقال تدفع عن مظلوم فان هذه خدعة ابليس اتخذها القراء سلما (وهذه) أي المخالطة للملوك (فتنة للعلماء عظيمة) طار شررها في الآفاق (وذريعة) أي وسيلة (صعبة للشيطان عليهم) يخدعهم بلطف احتياله بذلك (لاسيما من له) بهجة مرموقة و(لهجة مقبولة) أي فصاحة اللسان (وكلام حلو) يورده على ترتيب حسن ومناسبات قريبة مما تليق بمجالسهم (لا يزال الشيطان يلقي اليه) في روعه (ان في وعظك لهم) بهذه الصفة (ودخولك عليهم) بالاستمالة (ما يزجرهم) أي يخرجهم (من) ارتكاب أنواع (الظلم) ويمنعهم من المحرمات (ويقيم من شعائر الاسلام) ويثبت حبه في قلوبهم (الى أن يخيل اليه) في تخيلاته (ان الدخول اليهم من) جملة أمور (الدين) فلا حول ولا قوة الا بالله (ثم اذا دخل) باغواء ابليس (لم يلبث ان) يظهر الفصاحة ورفعة شأنه في العلم وفي أثنائه (يتلطف في الكلام) ويرققه (ويداهن) ويستميل (ويخوض في الثناء) عليه (والاطراء) بمدحه (وفيه) أي من مجموع ما ذكر (هلاك الدين) والخسران المبين (وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا) أي بالله تعالى وهو نتيجة العمل الصادق (فاذا شغلوا) بالله (فقدوا) عن الاوصاف البشرية واتصفوا بالاوصاف الملكوتية (فاذا فقدوا) وحصلت لهم هذه المرتبة انزل الله حبهم في قلوب أهل السماء والارض و(طلبوا فاذا طلبوا هربوا) من الخلق سلامة لدينهم وجمعا لخواطر قلوبهم أورده صاحب القوت عن سفيان الثوري ولفظه كان الناس اذا طلبوا العلم عملوا فاذا عملوا أخلصوا فاذا أخلصوا هربوا وقال آخر العالم اذا هرب من الناس فاطلبه واذا طلب الناس فاهرب منه اهـ وأخرج

فقال له بنوه يأتي هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الاسلام فلو أتيتهم فقال يا بني آتي جيفة قد أحاط بها قوم والله لئن استطعت لا أشاركهم فيها قالوا يا أبانا اذا نهلك هزلا قال يا بني لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب الي من ان أموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الايمان وفي هذا اشارة الى ان الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للايمان وقال أبو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فانك لا تصيب شيأ من دنياهم الا أصابوا من دينك أفضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو ولا يزال الشيطان يلقي اليه أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع الى ان يخيل اليه أن الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى الحسن أما بعد فاشر على باقوام استعين بهم على أمر الله تعالى فكتب اليه أما أهل الدين فلا يريدونك واما أهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة هذا فى عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان أزهد اهل زمانه فاذا كان شرط أهل الدين الهرب منه فكيف يستتب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثورى وابن المبارك والفضيل وابراهيم بن أدهم ويوسف بن اسباط يتكلمون فى علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم اما لميلهم الى الدنيا واما لمخالطتهم السلاطين ومنها ان لا يكون مسارعا الى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو اجماع أو قياس جلى افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا أدرى وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان فى غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم

أبو نعيم فى الحلية وابن عساكر فى التاريخ من رواية الوليد بن مسلم عن الاوزاعى قال قدم عطاء الخراسانى على هشام فنزل على مكحول فقال لمكحول ههنا أحد يحركنا قال نعم يزيد بن ميسرة فأتوه فقال عطاء حركنا رحمك الله قال نعم كانت العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا قال أعد على فأعاد فرجع عطاء ولم يلق هشاما (وكتب) أمير المؤمنين أبو حفص (عمر بن عبد العزيز) بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية القرشى الاموى المدنى ثم الدمشقى أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ذكره ابن سعد فى الطبقة الثالثة من تابعى أهل المدينة وصلى أنس خلفه وقال ما رأيت أحدا أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى وكان ثقة مأمونا له فقه وعلم وورع وروى حديثا كثيرا وكان اماما عادلا رحمه الله ورضى عنه ومات سنة احدى ومائة بدير سمعان (الى الحسن) البصرى (رحمهما الله تعالى) قال صاحب القوت حدثونا عن زكريا بن يحيى الطائى قال حدثنى عمى زحر بن حصين ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الحسن (اما بعد فاشر على بقوم) أى عرفنى بهم أصاحبهم و(أستعين بهم على أمر الله فكتب اليه) الحسن بعد الحمدلة والصلاة (اما أهل الدين فلا يريدونك) أى لما أنت فيه من تحمل اعباء الملك (وأما أهل الدنيا فلا تريدهم) لميلهم اليها فلا ينصحونك (ولكن عليك بالاشراف) ذوى الانساب الصريحة (فانهم يصونون شرفهم) أى يحفظونه (من أن يدنسوه) أى يوسخوه (بالخيانة) فى النصح فى أوامر الله تعالى (هذا فى عمر بن عبد العزيز وكان أزهد أهل زمانه) وأعبدهم وأعلمهم قال خصيف ما رأيت رجلا قط خيرا منه وقال مجاهد أتيناه نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه وقال ميمون بن مهران ما كانت العلماء عنده الا تلامذة (فاذا كان شرط أهل الدين) والعلماء المتقين (الهرب منه) والفرار من مخالطته (فكيف يستتب) أى يستقيم (طلب غيره ومخالطته) وليس فيه شئ من تلك الاوصاف (ولم يزل السلف) الصالحون (مثل الحسن) البصرى (و) سفيان (الثورى و) عبد الله (ابن المبارك والفضيل) بن عياض (وابراهيم بن أدهم) الزاهد (ويوسف بن أسباط يتكلمون فى علماء الدنيا من أهل مكة والشام) ونص القوت بعد ذكره جواب الحسن لعمر بن عبد العزيز ما نصه وكان الحسن يتكلم فى بعض علماء البصرة ويذمهم وكان أبو حازم وربيعة المدنيان يذمان علماء بنى مروان وقد كان الثورى وابن المبارك وأيوب وابن عون يتكلمون فى بعض علماء الدنيا من أهل الكوفة وكان الفضيل وابراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون فى بعض علماء الدنيا من أهل مكة والشام كرهنا ان نسمى المتكلم فيهم لان السكوت أقرب الى السلامة الى هنا كلامه وقد اختصره المصنف كما ترى وهو اختصار مضر اذ الثورى وابن المبارك لم يتكلما فى علماء مكة والشام وتفصيل ذلك يظهر لمن طالع تراجمهم فى الحلية وغيرها ثم قال المصنف (اما لميلهم الى الدنيا) وايثارهم اياها على الآخرة (أو لمخالطتهم السلاطين) والامراء فكان كلامهم فى هؤلاء نصيحة لهم فى دين الله تعالى لا لغرض نفسانى جازاهم الله تعالى من ذلك (ومنها) أى ومن علامات علماء الآخرة (أن لا يكون متسارعا الى الفتوى) اذا سئل (بل يكون متوقفا) عن الاقدام عليه (ومحترزا) أى صائنا نفسه عنه (ما وجد الى الخلاص) منه (سبيلا) ومخلصا (فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص) ظاهر (من كتاب الله) عز وجل (أو بنص) من (حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) مما جاء عنه من طريق موثوق (أو اجماع) من فقهاء الامصار (أو قياس جلى) دون الخفى (أفتى) لانه أقدم عليه ببصيرة وتمكين وقطع بالامر على علم وخبر وهذا هو اليقين وهذه صفة العلماء الموثوق بعلمهم (وان سئل عما يشك فيه) ولم يحققه (قال لا أدرى) اخبارا عن صدق وهو مأجور فيه (وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين) وفى نسخة اجتهادا (احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره) ولا أوقع نفسه فى حرج (وان كان فى غيره غنية) أى كفاية لمثل هذا المهم (هذا) الذى ذكرناه فى أمر الفتيا (هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم) وله شروط وأركان ذكرناها بالتفصيل

فى

فى باب بيان التلبيس فى تشبيه هذه المناظرات من الكتاب وكذلك ذكرنا هنالك مراتب المفتين (وفى الخبر العلم ثلاثة كتاب ناطق) أى بين واضح (وسنة قائمة) أى ثابتة دائمة محافظ عليها معمول بها عملا متصلا وفى رواية ماضية أى جارية مستمرة (ولاأدرى) أى قول المجيب لمن سأله عن مسئلة لا يعلم حكمها لاأدرى هكذا أورده صاحب القوت قال العراقى أخرجه الدارقطنى فى غرائب مالك والخطيب فى أسماء من روى عن مالك من رواية عمر بن عصام عن مالك عن نافع عن ابن عمر موقوفا عليه وقد رواه ابن عدى فى الكامل فى ترجمة أبى حذافة السهمى عن مالك قال وهذا من منكرات أبى حذافة سرقه من عمر قال العراقى ولم يصرح المصنف بانه مرفوع وانما قال وفى الخبر والظاهر انه أراد هذا فذكره احتياطا لاحتمال أن يكون روى مرفوعا اه قلت المصنف تبع فى ذلك صاحب القوت فانه هو الذى قال وفى الخبر ثم ان الحديث المذكور رواه أيضا الديلمى فى الفردوس موقوفا وكذلك أبونعيم والطبرانى فى الاوسط وقال الحافظ ابن حجر والموقوف حسن الاسناد ثم قال العراقى وأوّل الحديث مرفوع من حديث عبدالله بن عمر رواه أبوداود وابن ماجه من رواية عبدالرحمن بن زياد بن أنعم عن عبدالرحمن بن رافع عن عبدالله بن عمر ورفعه العلم ثلاثة وماسوى ذلك فهو فضل آية محكمة أوسنة قائمة أوفريضة عادلة اه وسكت عليه وقد أخرجه أيضا الحاكم فى الرقاق وقد قال الذهبى فى المهذب وتبعه الزركشى فيه عبدالرحمن بن أنعم ضعيف وقال فى المنارفيه أيضا عبدالرحمن بن رافع التنوخى فى أحاديثه مناكير قال المناوى وفى طريق ابن ماجه رشد بن سعد وهو ضعيف ومن ثم قال ابن رجب فيه ضعفاء مشهورون (قال الشعبى) وهو عامر ابن شراحيل تقدم (لاأدرى نصف العلم) هكذا أورده صاحب القوت عقب الحديث وزاد يعنى انه من الورع والمرء اذا قال لاأدرى فقد عمل بعلمه وقام بحاله فله من الثواب بمنزلة من درى فقام بحاله وعمل بعلمه فأظهر فلذلك كان قول لا أدرى نصف العلم اه وأخرج أبونعيم فى الحلية فى ترجمة الشعبى من رواية وهب بن اسمعيل الاسدى عن داود الاودى قال قال الشعبى ألا أحدثك بثلاثة أحاديث لها شأن قلت بلى قال اذا سئلت عن مسئلة فأجبت فيها فلا تتبع مسئلتك أرأيت أوأيت فان الله تعالى قال فى كتابه العزيز أرأيت من اتخذ الهه هواه حتى فرغ من الآية وحديث آخر أحدثك به اذا سئلت عن شئ فلا تقس بشئ فتحرم حلالا وتحل حراما والثالث لها شأن اذا سئلت عما لاعلم لك فقل لاأعلم وأنا شريكك وأخرج أيضا من رواية أبى عبيدة عن أبى سلمة الواسطى عن أبى زيد قال سألت الشعبى عن شئ فغضب وحلف أن لايحدثنى فذهب فلست على بابه فقال ياأبازيد انما وقعت على نبىّ فرغ لى قلبك واحفظ عنى ثلاثا لاتقولن لشئ لاتعلمه انى اعلمه وذكر البقية ثم قال قم عنى ياأبازيد اه قال المناوى اخذ من الحديث المتقدم ان على العالم اذا سئل عما لايعلمه أن يقول لاأدرى ولاأتحققه أولاأعلم أوالله أعلم وقول المسؤل لاأعلم لايضع من قدره كما يظنه بعض الجهلة لان العالم المتمكن لايضره جهله ببعض المسائل بل يرفعه قوله لاأدرى انه دليل على عظم محله وقوّة دينه وتقوى ربه وطهارة قلبه وكمال معرفته وحسن نيته وانما يأنف من ذلك من ضعفت ديانته وقلت معرفته لانه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين ولايخاف من سقوطه من عين رب العالمين وهذا جهالة ورقة دين اه وقال الزمخشرى فى قوله تعالى آلله أذن لكم أم على الله تفترون كفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عند التجوّز فيما يسأل عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيها وأن لايقول أحد فى شئ الابعد اتقان وايقان فمن لم يتقن ولم يوقن فليتق الله وليصمت والافهو مفتر على الله عزوجل (ومن سكت) اذا سئل فى مسئلة (حيث لايدرى) ولايتحققه تعظيما (لله سبحانه) وايكالا للعلم اليه (ليس بأقل أجرا ممن ينطق) بل هو مساوله فى الاجر (لان الاعتراف بالجهل أشد على النفس) لانها مجبولة على الاغترار بالفخر فتى مقتها فى الله تعالى فانه مأجور وفى القوت ولان حسن من سكت لاجل الله تعالى تورعا كحسن من نطق لاجله بالعلم تبرعا اه وقال ابن

وفى الخبر العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولاأدرى قال الشعبى لاأدرى نصف العلم ومن سكت حيث لايدرى لله تعالى فليس باقل أجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل أشد على النفس

عطاء الله من علامة جهل السالك لطريق علم الظاهر أو الباطن أن يجيب عن كل ما يسئل عنه و يعبر عن كل ما شهد ويذكر كل ما علم لدلالته على انه لم يكن بالله ولالله بل كان لنفسه اذ النفس مع العقل والتمييز ومن طلب الحق بالعقل ضل وكان دليلا على جهله وقال أبو الحسن الماوردى ليس يعتناه فى العلم الا ويجد من هو أعظم منه بشئ اذ العلم أكثر من أن يحيط به بشر وقال الشعبى ما رأيت ولا٧ آخر رجلا أعلم منى الا اتبعته وهذا لم يقله تفضيلا لنفسه بل تعظيما للعلم أن يحاط به وقلما تجد بالعلم معجبا وبما أدركه منه مفتخرا الا من كان فيه مقلا مقصرا لانه يجهل قدره و يظن انه نال بالدخول فيه أكثره وأما من كان فيه متوجها ومنه مستكثرا فهو يعلم من بعد غايته والعجز من ادراك نهايته ما يصده عن العجب به وقالوا العلم ثلاثة أشبار فمن نال منه شبرا شمخ بأنفه وحلف انه هو ومن نال منه الثانى صغرت اليه نفسه وعلم انه ما ناله وأما الثالث فهيهات أين يناله أحد ثم قال فليس لمن تكلف ما لا يحسن غاية ينتهى اليها ولا له حد يقف عنده ومن كان تكلفه غير محدود فأخلق به أن يضل و يضل واذا لم يكن الى الاحاطة بالعلم من سبيل فلا عار أن تجهل بعضه واذا لم يكن فى جهل بعضه عار فلا تستحى أن تقول لا أعلم فيما لا تعلم الى هنا كلام الماوردى (فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف) الصالحين (رضى الله عنهم) ثم بين ذلك بقوله (كان) عبد الله (بن عمر) بن الخطاب رضى الله عنهما (اذا سئل عن الفتوى قال اذهب الى هذا الامير الذى تقلد أمور الناس فضعها فى عنقه) لان الولاة هم الذين يقومون به واليهم ترجع العامة هكذا نقله صاحب القوت زاد وروى مالك عن أنس بن مالك ثم عن جماعة من الصحابة والتابعين اهـ وأخرج الدارمى فى مسنده ان رجلا سأل ابن عمر عن مسئلة فقال لا علم لى بها فولى الرجل فقال ابن عمر نعم ما قال ابن عمر وأخرج أبو داود فى الناسخ والمنسوخ وابن مردويه عن خالد بن أسلم قال خرجنا نمشى مع ابن عمر فلحقنا اعرابى فسأله عن ارث العمة فقال لا أدرى قال أنت ابن عمر ولا تدرى قال نعم اذهب الى العلماء فلما أدبر قبل ابن عمر يديه قال نعم ما قلت (وقال ابن مسعود) ونص القوت وكان ابن مسعود يقول (ان الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون) أخرجه أبو خيثمة فقال حدثنا محمد بن حازم حدثنا الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال والله ان الذى يفتى الناس فى كل ما يسألونه لمجنون قال الاعمش قال لى الحكم لو كنت سمعت منك هذا الحديث قبل اليوم ما كنت أفتى فى كثير مما أفتى اهـ اذ العلم أكثر من أن يحيط به بشر فالنطق فى كل مسئلة لا يخلو عن جنون فيه ومثله قول مالك بن أنس من ازالة العلم أن يجيب عن كل ما يسئل عنه (وقال) أيضا (جنة العالم) التى يستتر بها قوله (لا أدرى) وأخرج الهروى عن ابن مسعود واذا سئل أحد كم عما لا يدرى فليقل لا أدرى فانه ثلث العلم وأخرج البخارى عنه من علم شيأ فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم ورواه الدارمى بلفظ اذا سئل العالم عما لا يعلم قال الله أعلم (فان أخطأها) ونص القوت فى موضع آخر وقال على بن الحسين ومحمد بن عجلان اذا أخطأ العالم قول لا أدرى (أصيبت مقاتله) قلت وهذا القول قد أخرجه الحازمى فى سلسلة الذهب عن أحمد عن الشافعى عن مالك عن ابن عجلان وقال أبو نعيم فى الحلية حدثنا ابراهيم حدثنا محمد قال سمعت محمد بن الصباح يقول أخبره سفيان بن عيينة قال اذا ترك العالم لا أدرى أصيبت مقاتله وأخرج الدارمى فى مسنده من طرق عن على رضى الله عنه أنه سئل عن مسئلة فقال لا علم لى بها ثم قال وابردها على كبدى اذا سئلت عما لا علم لى به فقلت لا أعلم (وقال ابراهيم بن أدهم) الزاهد المشهور (ليس شئ أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم و يسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته أشد على من كلامه) والذى فى القوت وقد قال ابراهيم بن أدهم وغيره سكوت العالم أشد على الشيطان من كلامه لانه يسكت بحلم و ينطق بعلم فيقول الشيطان انظروا الى هذا سكوته أشد على من كلامه اهـ أخرجه أبو نعيم فى الحلية فى ترجمته فقال حدثنا القاضى أبو أحمد محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا أحمد بن محمد بن السكن حدثنا عبد الرحمن بن يونس حدثنا بقية بن الوليد عن ابراهيم بن أدهم قال كان يقال ليس شئ أشد على ابليس من العالم الحليم

فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضى الله عنهم كان ابن عمر اذا سئل عن الفتيا قال اذهب الى هذا الامير الذى تقلد أمور الناس فضعها فى عنقه وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا أدرى فان أخطأها فقد أصيبت مقاتله وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله ليس شئ أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم و يسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته أشد على من كلامه

ان

ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم ثم قال حدثنا أبو محمد بن حيان حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن حدثنا محمد بن عمرو بن حبان حدثنا بقية حدثنا ابراهيم بن أدهم عن ابن عجلان قال ليس شئ أشد على ابليس من عالم حليم ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم وقال ابليس لسكوته أشد على من كلامه ثم قال حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد حدثنا عبد الرحمن بن داود حدثنا سلمة بن أحمد حدثنا جدى حدثنا بقية حدثنى ابراهيم بن أدهم عن ابن عجلان مثله (ووصف بعضهم الابدال) وهم طائفة من الاولياء قال أبو البقاء كأنهم أرادوا انهم ابدال الانبياء وخلفاؤهم وهم عند القوم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون وفى تحقيق ذلك اختلاف كثير (فقال أكلهم فاقة) أى لا يأكلون الا عن شدة الحاجة (وكلامهم ضرورة) أى لا يتكلمون الا فيما اضطروا فيه وقال المصنف فى تفسيره (أى ما يتكلمون حتى يسئلوا) أى فلا يبتدؤن بالكلام (واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم) مؤنة ذلك السؤال (سكتوا) وأحالوا عليه (فان اضطروا أجابوا) هكذا أورده صاحب القوت الا أنه قال بعد الجملة الثانية وكانوا لا يتكلمون حتى يسئلوا عن شئ فيجيبوا ولم يقل واذا سئلوا الخ ثم قال ومن لم يتكلم حتى يسئل فليس بعد لاغيا ولا متكلما فيما لا يعنيه لان الجواب بعد السؤال كالفرض بمنزلة رد السلام وكما قال ابن عباس انى لارى رد الجواب واجبا كرد السلام وقال أبو موسى وابن مسعود من سئل عن علم فليقل به ومن لا فيسكت والا كتب من المتكلفين وروينا عن ابن عباس أيضا مرق من الدين (وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام) وفى القوت وقد يكون الابتداء بالشئ من خفايا الشهوات والشهوات من الدنيا وقال مالك بن أنس من ازالة الكلام أن ينطق به قبل أن يسئل عنه وكان يقال اذا تكلم بالعلم قبل أن يسئل عنه ذهب ثلثا نوره وعن القاسم بن محمد قال من اكرام المرء نفسه أن يسكت على ما عنده حتى يسئل عنه وكذلك هو لعمرى لانه اذا تكلم بعد السؤال فهو صاحبها وربما كان فرضا وليس الحاجة الى القيام بالفرض من الشهوات قال (ومر على وعبد الله) ابن عباس (رضى الله عنهما برجل يتكلم على الناس) أى يقص عليهم (فقالا) أى قال كل واحد منهما (هذا يقول) أى بلسان حاله (اعرفونى) هكذا أورده صاحب القوت وفى بعض الروايات أوسعوا الى (وقال بعضهم انما العالم الذى اذا سئل عن المسئلة فكأنما يقلع ضرسه) أى من شدة ما يجده فى اداء الجواب والذى فى القوت وقال بعضهم انما العالم الذى اذا سئل عن العلم كأنما يسعط الخردل ثم قال وقد روينا عن الاعمش وقد كان محمد بن سوقة يسأله عن الحديث فيعرض عنه ولا يجيبه فالتفت الاعمش الى رقبة فقال هو اذا أحمق مثلك ان كان يدع فائدته بسوء خلقى فقال محمد بن سوقة ويحك انما أجعله بمنزلة الدواء أصبر على مرارته لما أرجو من منفعته قلت وهذا الذى ذكره صاحب القوت عن بعضهم فقد أخرج الخطيب فى كتاب شرف أصحاب الحديث أخبرنا أبو الحسن الاهوازى أخبرنا محمد بن مخلد حدثنا على بن سهل حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة قال جاء رقبة بن مصقلة الى الاعمش فسأله عن شئ فكلح وجهه فقال له رقبة أما والله ما علمتك لدائم القطوب سريع الملال مستخف بحق الزوار لكأنما تسعط الخردل اذا سئلت الكلمة (و) فى القوت و (كان ابن عمر) رضى الله عنهما (يقول تريدون أن تجعلونا جسرا تعبرون عليه) وفى نسخة علينا (الى) ونص القوت فى (جهنم) تقولون أفتى لنا ابن عمر بهذا (وقال أبو حفص) عمر بن سالم الحداد (النيسابورى) من قرية يقال لها كوزداباد على باب مدينة نيسابور على طريق بخارى أحد الائمة والسادة مات سنة نيف وستين ومائتين كذا فى الرسالة للقشيرى ونص القوت وحدثنى بعض علماء خراسان عن شيخ له عن أبى حفص النيسابورى الكبير وكان هذا هناك نظيرا للجنيد هنا انه قال (العالم هو الذى) ونص القوت انما العالم الذى (يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت) ونص القوت الذى يسئل عن مسئلة فى الدين فيغتم حتى لو جرح لم يخرج منه دم من الفزع ويخاف أن يسئل فى الآخرة عما سئل عنه فى الدنيا ويفزع أن لا يتخلص من السؤال الآن يرى انه قد

ووصف بعضهم الابدال فقال أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة أى لا يتكلمون حتى يسئلوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا أجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومر على وعبد الله رضى الله عنهما برجل يتكلم على الناس فقالا هذا يقول اعرفونى وقال بعضهم انما العالم الذى اذا سئل عن المسئلة فكأنما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون أن تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم وقال أبو حفص النيسابورى العالم هو الذى يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت

افترض عليه الجواب لفقد العلماء الى هنا كلامه وكان المصنف اختصره ورواه بالمعنى (وكان ابراهيم) ابن يزيد بن شريك (التيمي) تيم الرباب أبو سماء الكوفي وكان من العباد روى عنه الاعمش ويونس بن عبيد قال ابن معين ثقة وكان يقول لى لامكث ثلاثين يوما لا آكل مات ولم يبلغ أربعين سنة وذلك سنة اثنين وتسعين ومائة (اذا سئل عن مسئلة يبكى و يقول لم تجدوا غيرى حتى احتجتم الى) ونص القوت لم تجد من تسأله غيرى أو احتجتم الى قال وجهدنا بابراهيم النخعى أن نسنده الى سارية فأبى وكان اذا سئل عن شئ بكى وقال قد احتاج الناس الى (وكان أبو العالية) نفيع (الرياحى) من بنى رياح بن يربوع روى عن ابن عباس وغيره وعنه قتادة وغيره (وابراهيم بن أدهم) الزاهد (و) سفيان (الثورى يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا) ونص القوت وأما أبو العالية الرياحى فكان يتكلم على الاثنين والثلاثة فاذا صاروا أربعة قام وكذلك كان ابراهيم والثورى وابن أدهم رحمهم الله تعالى يتكلمون على النفر فاذا كثر الناس انصرفوا وكان أبو محمد سهل يجلس الى خمسة أو ستة الى العشرة وقال لى بعض الشيوخ كان الجنيد يتكلم على بضع عشرة قال وما تم لاهل مجلسه عشرون اهـ (و) قول المسؤل لا أدرى أو لا أعلم لا يضع من قدره بل دليل على كمال معرفته ومن ثم (قال صلى الله عليه وسلم) فى مسائل سئل عنها فقال لا أدرى وناهيك بهذا مستندا فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما أدرى أعزير نبى أم لا وما أدرى اتبع ملعون أم لا وما أدرى ذو القرنين نبى أم لا) أخرجه أبو داود والحاكم من رواية ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رفعه الا أن فيه تقديم تبع على عزير ولم يذكر أبو داود الجملة الاخيرة انما ذكرها الحاكم فقال وما أدرى ذا القرنين أنبيا كان أم لا ولم يذكر عزيرا وزاد وما أدرى الحدود كفارات لاهلها أم لا وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعلم له علة ولم يخرجاه نقله العراقى قلت و بمثل رواية الحاكم رواه البيهقى وابن عساكر و بمثل رواية أبى داود مع ذكر الجملة الاخيرة رواه ابن عساكر أيضا كلاهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه الا أن فى روايتهم لعينا كان أم لا بدل ملعون وتبع الحميرى أول من كسا الكعبة وذو القرنين اختلف فى اسمه وأخبارهما مشهورة فى كتب السير والتواريخ (و) من ذلك (لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير البقاع وشرها فقال صلى الله عليه وسلم لا أدرى حتى نزل جبريل عليه السلام فسأله فقال لا أدرى الى أن أعلمه الله عز وجل ان خير البقاع المساجد) لانها محل فيوض الرحمة وامداد النعمة (وشرها السوق) ولفظ الحديث الاسواق وانما قرن المساجد بالاسواق مع ان غيرها قد يكون شرا منها ليبين ان الدينى يرفعه الامر الدنيوى فكأنه قال خير البقاع محصلة لذكر الله مسلمة من الشوائب الدنيوية فالجواب من أسلوب الحكيم فكأنه سئل أى البقاع خير فأجاب به و بضده قال العراقى وهذا الحديث رواه ابن عمر وجبير بن مطعم وأنس أما حديث ابن عمر فرواه ابن حبان فى صحيحه من رواية جرير بن عبد الحميد عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم أى البقاع شر قال لا أدرى حتى أسأل جبريل فسأل جبريل فقال لا أدرى حتى أسأل ميكائيل فجاء فقال خير البقاع المساجد وشرها الاسواق وأما حديث جبير بن مطعم فرواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى من رواية زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أى البلدان شر قال لا أدرى فلما أتاه جبريل قال يا جبريل أى البلدان شر قال لا أدرى حتى أسأل ربى عز وجل فانطلق جبريل فمكث ماشاء الله ان يمكث ثم جاء فقال يا محمد انك سألتنى أى البلدان شر فقلت لا أدرى وانى سألت ربى عز وجل أى البلدان شر فقال أسواقها لفظ أحمد وقال أبو يعلى فلما جاءه جبريل ولم يقل ان يمكث وقال البزار ان رجلا قال يارسول الله أى البلدان أحب الى الله تعالى وأى البلدان أبغض الى الله تعالى فقال لا أدرى حتى أسأل جبريل فأتاه جبريل فاخبره ان أحب البقاع الى الله عز وجل المساجد وأبغض البلاد الى الله عز وجل الاسواق

وكان ابراهيم التيمى اذا سئل عن مسئلة يبكى و يقول لم تجدوا غيرى حتى احتجتم الى وكان أبو العالية الرياحى وابراهيم بن أدهم والثورى يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال صلى الله عليه وسلم ما أدرى أعزير نبى أم لا وما أدرى أتبع ملعون أم لا وما أدرى ذو القرنين نبى أم لا ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير البقاع فى الارض وشرها قال لا أدرى حتى نزل عليه جبرائيل عليه السلام فساله فقال لا أدرى الى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشرها الاسواق

الاسواق ورواه الطبراني أيضا من رواية قيس بن الربيع عن عبد الله بن محمد بن عقيل باللفظ الاول الا أنه قال أى البلاد فى المواضع الاربعة ولم يقل يارسول الله وقال فلما أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل يا جبريل ولم يقل ان مكث وأما حديث أنس فرواه الطبراني فى الاوسط من رواية عمار بن عمارة الازدى قال حدثنى محمد بن عبد الله عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل أى البقاع خير قال لا أدرى قال فسل عن ذلك ربك عز وجل قال فبكى جبريل وقال يا محمد ولنا أن نسأله هو الذى يخبرنا بما شاء فعرج الى السماء ثم أتاه فقال خير البقاع بيوت الله عز وجل فى الارض قال فأى البقاع شر فعرج الى السماء ثم أتاه فقال شر البقاع الاسواق وقد روى الحديث أيضا عن أبى هريرة رواه مسلم فى صحيحه من رواية عبد الرحمن بن مهران عنه وليس فيه موضع الاستدلال به من قوله لا أدرى (وكان ابن عمر رضى الله عنهما يسئل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسعة) هكذا أورده صاحب القوت وذلك لشدة الاحتياط (وكان ابن عباس رضى الله عنهما) بخلاف ذلك (يجيب عن تسعة ويسكت عن واحدة) وكل منهما على هدى والاغراض تختلف باختلاف المسائل والسائلين وأوقات الاحتياج وعدمها (وكان فى الفقهاء من يقول لا أدرى أكثر من أن يقول أدرى) تأدبا مع الله تعالى وصيانة لجانب العلم اذ يخاف على نفسه الوقوع فى الخطأ فيكل أمره الى الله تعالى (منهم سفيان الثورى) وأبو حنيفة (ومالك بن أنس) والشافعى (وأحمد بن حنبل) والشعبى (والفضيل بن عياض) وعلى بن الحسين ومحمد بن عجلان (وبشر بن الحرث) الحافى وغير هؤلاء من أئمة الدين زاد صاحب القوت وكانوا فى مجالسهم يجيبون عن بعض ويسكتون فى بعض ولم يكونوا يجيبون فى كل ما يسئلون عنه (وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى) واسمه يسار وقيل بلال الانصارى المدنى ثم الكوفى من ثقات التابعين ولد لست بقين من خلافة عمر ومات بوقعة الجماجم غريقا بدجيل سنة ثلاث وثمانين ومائة (أدركت فى هذا المسجد) اى بالمدينة (مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) منهم أبوه وعمر وعثمان وعلى وسعد وحذيفة ومعاذ والمقداد وابن مسعود وأبو ذر وأبى بن كعب وبلال بن رباح وسهل بن حنيف وابن عمر وعبد الرحمن بن أبى بكر وقيس بن سعد وأبو أيوب وكعب بن عجرة وعبد الله بن زيد بن عبد ربه وأبو سعيد وأبو موسى وأنس والبراء وزيد بن أرقم وسمرة بن جندب وصهيب وعبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عكيم هؤلاء الذين روى عنهم وأما الذين رآهم ولم يرو عنهم فكثيرون وفى سماعه من عمر وعبد الله بن زيد خلاف وهذا القول الذى ذكره المصنف تبعا لصاحب القوت رواه الخطيب فى التاريخ فقال أخبرنا محمد بن عيسى بن عبد العزيز ثم ساق سنده الى سفيان ابن عيينة قال أخبرنى عطاء بن السائب عن ابن أبى ليلى قال أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من الانصار ففى هذا القول تخصيص بالانصار وقال عبد الملك بن عمير لقد رأيت عبد الرحمن فى حلقة فيها نفر من الصحابة منهم البراء يستمعون لحديثه وينصتون اليه (مافيهم أحد) ونص القوت مامنهم من أحد (يسئل عن حديث أو فتوى الا ود أن أخاه كفاه ذلك) زاد صاحب القوت (وفى لفظ آخر كانت المسئلة تعرض على أحدهم فيردها الى الآخر ويردها الآخر الى الآخر حتى تعود الى الاول) ونص القوت حتى ترجع الى الذى سئل عنها أول مرة وقال فى موضع آخر وقال مرة أدركت ثلاثمائة يسئل أحدهم عن الفتيا والحديث فيرد ذلك الى الآخر ويحيل الآخر على صاحبه وعند الخطيب بالسند المتقدم ان كان أحدهم يسئل عن المسئلة فيردها الى غيره فيردها هذا الى هذا وهذا الى هذا حتى ترجع الى الاول وان كان أحدهم ليقول فى شئ وانه ليرتعد (وروى ان أصحاب الصفة) وهم جماعة من فقراء الصحابة كانوا يلازمون صفة المسجد على قدم التجريد والتوكل وكانوا يزيدون تارة وينقصون تارة وقد ذكرهم أبو نعيم فى الحلية على التفصيل وحقق الخلاف فى عددهم وروى مجاهد عن أبى هريرة قال أهل الصفة أضياف الاسلام لا يلوون على أهل ولا مال اذا أتت النبى صلى الله عليه وسلم صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيأ واذا أتته

وكان ابن عمر رضى الله عنهما يسئل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان ابن عباس رضى الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان فى الفقهاء من يقول لا أدرى أكثر ممن يقول أدرى منهم سفيان الثورى ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر ابن الحرث وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى أدركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنهم أحد يسئل عن حديث أو فتيا الا ود أن أخاه كفاه ذلك وفى لفظ آخر كانت المسئلة تعرض على أحدهم فيردها الى الآخر ويردها الآخر الى الآخر حتى تعود الى الاول وروى أن أصحاب الصفة

هدية أرسل اليهم وأصاب منها وأشركهم فيها صحيح متفق عليه فما ذكر من ايثارهم (أهدى الى واحد منهم رأس مشوى) أى رأس كبش قد شوى أو عجل (وهم فى غاية الضر) والجهد والفاقة فلم يأكله (فأهداه الى الآخر) من أصحابه ايثارا (وأهدى الآخر الى الآخر هكذا دار بينهم حتى رجع الى الاول) فهذا هو مقام الايثار ولقد كانوا رضى الله عنهم مع ضيق عن الحطام الزائل البائد معتصمين بما جاءهم به الوافى الزائد فاجتزؤا من الدنيا بالفلق ومن ملبوسها بالخرق لم يعدلوا الى أحد سواه ولم يعولوا الا على محبته ورضاه وكبت الملائكة فى زيارتهم وخلتهم وأمر الرسول بالصبر على محادثتهم ومجالستهم وانما أورد المصنف هذه القصة هنا ليقاس عليه أمر الفتوى حتى يعيدها الى الآخر (فانظر كيف انعكس أمر العلماء) اليوم (فصار المهروب منه مطلوبا والمطلوب) الحقيقى (مهروبا عنه) وذلك فى زمان المصنف وأما الآن فالله المستعان وعليه التكلان (و يشهد لحسن الاحتراز من تقليد الفتوى) والاجتناب من الاقدام عليه (ماروى مسندا) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (انه قال) وعبارة القوت وروى عن ابن مسعود وابن عمر وغيرهما من التابعين وقد رويناه مسندا (لا يفتى الناس الا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف) تفصيل ذلك أن الامير هو الذى يتكلم فى علم الفتيا والاحكام كذلك كان الامراء يسئلون و يفتون والمأمور الذى يأمره الامير بذلك فيقيمه مقامه فيستعين به لشغله بالرعية والمتكلف هو القاص الذى يتكلم فى القصص السالفة و بعض أخبار من مضى لان ذلك لا يحتاج اليه فى الحال ولم يندب اليه المتكلم وقد يدخله الزيادة والنقصان والاختلاف فلذلك كره القصص فصار القاص من المتكلفين وقد جاء فى لفظ الحديث الآخر بتأويل معناه لا يتكلم على الناس الا ثلاثة أمير أو مأمور أو مراء هذا كله كلام صاحب القوت وأما تخريج الحديث وتحقيقه فقد تقدم مبسوطا فى الباب الثانى (وقال بعضهم) ونص القوت وقال بعض العلماء (كان الصحابة) والتابعون باحسان (يتدافعون أربعة أشياء) أى يدافعون أنفسهم عن ارتكابها (الامامة) وهو التقدم على المصلين (والوديعة) من المال وغيره (والوصية) عن الاموات (والفتوى) هكذا هو نص القوت (وقال بعضهم كان أسرعهم الى الفتيا أقلهم علما وأشدهم دفعا) لها وتوقفا عنها (أورعهم) هكذا نص القوت وأخرج الدارمى فى مسنده من طريق عبيد الله بن أبى جعفر المصرى مرسلا أجرؤكم على الفتيا اجرؤكم على النار قال المناوى أى أقدمكم على دخولها لان المفتى يبين عن الله حكمه فاذا أفتى على جهل أو بغير ما علمه أو تهاون فى تحريره أو استنباطه فقد تسبب فى ادخال نفسه النار لجراءته على المجازفة فى أحكام الجبار وقال ابن المنكدر المفتى يدخل بين الله وبين عباده فلينظر كيف يفعل فعليه التوقف والتحرز لعظم الخطر وقال الحكماء من العلم أن لا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من لا يعلم فحسبك خجلا من نفسك وعقلك أن تنطق بما لا تفهم (وكان شغل الصحابة والتابعين) لهم باحسان (فى خمسة أشياء قراءة القرآن) دراسة وتعلما (وعمارة المساجد) بالصلوات فى الجماعات (وذكر الله تعالى) سرا وجهرا فى كل أحيان (والامر بالمعروف والنهى عن المنكر) شرعا نقله صاحب القوت عن بعض السلف قلت أخرج اللالكائى فى كتاب السنة من رواية صبيح بن عبد الله الفرغانى قال حدثنا أبو اسحق الفزارى عن الاوزاعى قال كان يقال خمس كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والتابعون باحسان لزوم الجماعة واتباع السنة وعمارة المساجد وتلاوة القرآن والجهاد فى سبيل الله (وذلك لما سمعوا من قوله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلاث أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى) هكذا أورده صاحب القوت بلا سند وقال العراقى رواه الترمذى وابن ماجه من رواية صفية بنت شيبة عن أم حبيبة رضى الله عنها رفعته فذكرته دون قوله ثلاث وقال ابن ماجه الا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بالتعريف قال الترمذى حديث غريب لا نعرفه الا من حديث محمد بن يزيد بن خنيس قال العراقى وهو ثقة وذكره ابن حبان فى كتاب الثقات قلت وأخرجه ابن السنى والطبرانى فى الكبير وابن شاهين فى الترغيب فى الذكر والعسكرى

فى

أهدى الى واحد منهم رأس مشوى وهو فى غاية الضر فأهداه الى الآخر وأهداه الآخر الى الآخر هكذا دار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار المهروب منه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه و يشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ماروى مسندا عن بعضهم أنه قال لا يفتى الناس الا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء الامامة والوصية والوديعة والفتيا وقال بعضهم كان أسرعهم الى الفتيا أقلهم علما وأشدهم دفعا لها أورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين رضى الله عنهم فى خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلاثة أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى

في الامثال والحاكم والبيهقي من هذا الطريق ولفظهم كلام ابن آدم كله عليه لاله الا أمر بمعروف أونهي عن منكر أوذكر الله عزوجل (وقال الله تعالى لاخير في كثير من نجواهم الآية) وتمامها الا من أمر بصدقة أومعروف أواصلاح بين الناس هكذا أورد صاحب القوت هذه الآية هنا بعد الحديث (ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأى من الكوفة) ونص القوت ورأى بعض أهل الحديث بعض فقهاء أهل الكوفة من أهل الرأى بعد موته (في المنام فقال مارأيت فيما كنت عليه) ونص القوت قال فقلت له مافعلت فيما كنت عليه (من الفتيا والرأى) قال (فكره وجهه وأعرض عنه) ونص القوت عني (وقال ماوجدناه شيأ) ونص القوت ماوجدناه شيأ (وماحمدنا عاقبته) ثم ذكر صاحب القوت هنا منام نصر بن علي الجهضمي في حق الخليل بن أحمد وقد تقدم ذكره للمصنف وشرحناه هنالك ثم قال وحدثونا عن بعض الاشياخ قال رأيت بعض العلماء في المنام فقلت مافعلت تلك العلوم التي كنا نجادل فيها ونناظر عليها قال فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا ماانتفعت الا بركعتين خلصتالي في جوف الليل ثم قال وحدثونا عن أبي داود السجستاني قال كان بعض أصحابنا كثير الطلب للحديث حسن المعرفة به فمات فرأيته في النوم فقلت مافعل الله بك فسكت فأعدت عليه فسكت فقلت غفر الله لك قال لا قلت لم قال الذنوب كثيرة والمناقشة دقيقة ولكن قد وعدت بخير وأنا أرجو خيرا قلت أى الاعمال وجدتم افيما هنالك أفضل قال قراءة القرآن والصلاة في جوف الليل قلت فأيما أفضل ما كنت تقرأ أوتقرئ فقال ما كنت أقرأ قلت وكيف وجدت قولنا فلان ثقة وفلان ضعيف فقال ان خلصت فيه النية لم يكن لك ولا عليك ثم ذكر بعد ذلك مناما آخر عن أحمد بن عمر الخلقاني أعرضت عن ذكره هنا لطوله (وقال أبو حصين) كأمير هكذا هو في القوت وهكذا ضبطه ابن حبيب عن الكلبي وهو عثمان بن عاصم بن حصين الاسدي الذي روى عنه سفيان الثوري وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة الشعبي من رواية مالك بن مغول قيل للشعبي أيها العالم فقال ماأنا بعالم وماأرى عالما وان أباحصين رجل صالح وفي بعض نسخ الكتاب وقال ابن حصين وفي بعضها وقال أبو حفص وكل ذلك خطأ والصواب الاول قال الواقدي عداده في مرة بن الحرث وهو من بني جشيم بن الحرث توفي سنة ثمان وعشرين ومائة قال البخاري سمع سعيد بن جبير والشعبي وشريحا وسمع منه الثوري وشعبة وابن عيينة أثنى عليه أحمد وابن معين (ان أحدهم ليفتي في المسئلة) ونص القوت في مسئلة (لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر) هكذا أورده صاحب القوت أى يتسارعون في الفتيا من غير مشورة ومن غير اتقان ومن غير ايقان قات وهذا القول أورده الامام أبو بكر البيهقي عن الحاكم أبي عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا عباس بن محمد حدثنا منصور ابن سلمة أخبرنا أبو شهاب قال سمعت أباحصين يقول ان أحدهم ليفتي في المسئلة ولو وردت ثم ساقه كسياق المصنف هكذا أخرجه ابن عساكر في التاريخ عن أبي المعالي محمد بن اسمعيل عن البيهقي بالاسناد السابق وأخرج أيضا من طريق الحميدي عن سفيان قال كان أبو حصين اذا سئل عن مسئلة قال ليس لي بها علم والله أعلم وفي رواية ليس لي علم والله بها أعلم اه زاد صاحب القوت وقال غيره يسئل أحدهم عن الشئ فيسرع الفتيا ولو سئل عنها أهل بدر لاعضلتهم اه وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية أحمد بن حنبل عن سفيان عن الشعبي انه اذا سألوا عن المتيس قال زباءذات وبر لاتنقاد ولا تنساق ولو سئل عنها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لعضلت بهم (فلم يزل السكوت دأب أهل العلم) والمعرفة (الا عند الضرورة) الداعية فيحل لهم الكلام بل يجب في بعض المقام كما تقدم (وفي الخبر اذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة) كذا في نسخ الكتاب والرواية يلقى الحكمة هكذا أورده صاحب القوت بلا اسناد وقال العراقي رواه ابن ماجه من رواية أبي فروة عن أبي خلاد وكانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره بلفظ قد أعطي زهدا في الدنيا وقلة منطق وأبو فروة تكلم في سماعه عن أبي خلاد وأشار

وقال تعالى لاخير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أومعروف أواصلاح بين الناس الآية ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأى من أهل الكوفة في المنام فقال مارأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأى فكره وجهه وأعرض عنه وقال ماوجدناه شيأ وما حمدنا عاقبته وقال أبو حصين ان أحدهم ليفتي في مسئلة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر فلم يزل السكوت دأب أهل العلم الا عند الضرورة وفي الحديث اذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة

البخاري في التاريخ الكبير فقال أبو فروة عن ابن مريم عن أبي خلاد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهذا أصح قلت وأخرجه كذلك أبو نعيم في الحلية والبيهقي الا ان في رواية أبي نعيم اذا رأيتم العبد يعطي والباقي مثل سياق ابن ماجه والمعنى من اتصف بذلك فأعماله منتجة وأفعاله محكمة وينظر بنور الله ومن كان هذا وصفه أصاب في منطقه (وقيل العالم اما عالم عامة) ونص القوت وقال بعض العلماء كان أهل العلم على ضربين عالم عامة وعالم خاصة فاما عالم العامة (وهو) ونص القوت فهو (المفتي) في الحلال والحرام (وهم) ونص القوت فهؤلاء (أصحاب الاساطين) جمع اسطوانة وهي سواري المسجد (أو عالم خاصة وهم العلماء) ونص القوت واما عالم الخاصة فهو العالم (بالتوحيد وأعمال القلوب) ونص القوت بعلم المعرفة والتوحيد (وهم أرباب) ونص القوت وهؤلاء أهل (الزوايا) جمع زاوية وهم (المنفردون) أي عن الناس (وكان يقال) ونص القوت وقد كانوا يقولون (مثل) الامام (أحمد بن حنبل) رحمه الله (مثل دجلة) بفتح الدال النهر المعروف (كل واحد منها يغرف) ونص القوت كل أحد يغرفها (ومثل بشر) بن الحرث الحافي (مثل بئر عذبة) الماء في فلاة (مغطاة) بالحجارة ونحوها (لا يقصدها الا واحد بعد واحد) وهذا لان الامام أحمد كان يفتي للعامة والخاصة وأما بشر فانه كان بعيد الغور لا يستفيد منه الا كل عارف (و) قد (كانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان أكثر كلاما) الى هنا نص القوت زاد المصنف (وفلان أكثر علما) زاد صاحب القوت وقال حماد بن زيد قيل لايوب العلم اليوم أكثر أو فيما مضى فقال العلم فيما مضى كان أكثر والكلام اليوم أكثر ففرق بين العلم والكلام (وقال أبو سليمان) عبد الرحمن بن عطية الداراني ونص القوت وكان أبو سليمان يقول (المعرفة الى السكوت أقرب منها الى الكلام) وقال بعض العارفين هذا العلم على قسمين نصفه صمت ونصفه تدري أين تضعه وزاد آخر نصفه جد ونصفه نظر يعني تفكر واعتبار وسئل سفيان عن العالم من هو قال من يضع العلم في مواضعه ويوفي كل شئ حقه (وقيل) ونص القوت وقال بعض الحكماء (اذا كثر العلم قل الكلام) ومن ذلك قول بعض العارفين من عرف الله قل كلامه وكان ابراهيم الخواص يقول الصوفي كلما زاد علمه نقصت طينته كذا (وكتب) أبو عبد الله (سلمان) الفارسي الملقب بالخير أصله من أصبهان له صحبة وأول مشاهده الخندق توفي سنة أربع وثلاثين يقال بلغ ثلاثمائة سنة وفي الحديث اشتاقت الجنة الى أربعة علي والمقداد وعمار وسلمان وكان أميرا بالمدائن على زهاء ثلاثين ألفا من المسلمين ولا يأكل الا من كد يده وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها (الى أبي الدرداء) رضي الله عنهما (وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم) فممن آخى أخرجه البخاري من رواية عون بن أبي جحيفة عن أبيه وفيه فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة الحديث ورواه الترمذي وقال حسن صحيح قاله العراقي قلت وأخرجه أبو نعيم في الحلية من هذا الطريق الا انه ليس فيه ذكر المؤاخاة وقد أنكر المؤاخاة الحافظ ابن تيمية في كتابه الذي ألفه في الرد على المطهر الرافضي ونسبه الى وضع الروافض وهذا ورده عليه الحافظ ابن حجر في فتح الباري وأوسع فيه الكلام فراجعه (يا أخي بلغني انك قعدت) كذا في النسخ ونص القوت أقعدت (طبيبا تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل) عن شئ هكذا أورده صاحب القوت وقال كتب سلمان من المدائن الى أبي الدرداء الخ زاد وسأله انسان فأجابه ثم قال ردوه فقال أعد علي فأعاد فقال متطبب والله فرجع في جوابه ثم قال صاحب القوت ولعمري انه قد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطبب ولم يعلم منه طب فقتل فهو ضامن قلت وهذا الذي ذكره المصنف تبعا لصاحب القوت فقد أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة سلمان فقال حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني مصعب بن عبد الله حدثني مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد ان أبا الدرداء كتب الى سلمان هلم الى الارض المقدسة فكتب اليه سلمان

وقيل العالم اما عالم عامة وهو المفتي وهم أصحاب الاساطين أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون وكان يقال مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل أحد يغترف منها ومثل بشر بن الحرث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان أكثر كلاما وفلان أكثر علما وقال أبو سليمان المعرفة الى السكوت أقرب منها الى الكلام وقيل اذا كثر العلم قل الكلام واذا كثر الكلام قل العلم وكتب سلمان الى أبي الدرداء رضي الله عنهما وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أخي بلغني انك قعدت طبيبا تداوي المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل

أن الارض لا تقدس أحدا وانما يقدس الانسان عمله وقد بلغني انك جعلت طبيبا فان كنت تبرئ فنعما لك وان كنت متطببا فاحذر أن تقتل انسانا فتدخل النار فكان أبو الدرداء اذا قضى بين اثنين فادبرا عنه نظر اليهما وقال متطبب والله ارجعا الى أعيدا قصتكما رواه جرير عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن ميسرة ان سلمان كتب اليه فذكره ثم قال حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي حدثنا عبد الصمد بن حسان حدثنا السرى بن يحيى عن مالك بن دينار ان سلمان كتب الى أبي الدرداء انه بلغني انك أجلست طبيبا تداوي الناس فانظر ان تقتل مسلما فتجب لك النار (وكان أنس) بن مالك (رضي الله عنه يقول اذا سئل) عن مسألة (سلوا مولانا الحسن) يعني البصري فانه قد حفظ ونسينا هكذا أورده صاحب القوت زاد غيره قالوا يا أبا حمزة نسألك فتقول سلوا الحسن مولانا قال سلوا مولانا الحسن فانه سمع وسمعنا وحفظ ونسينا وانما قال مولانا الكون ولائه للانصار قيل لزيد بن ثابت وقيل لجابر بن عبد الله وقيل لجميل بن قطبة وقيل لابي اليسر ويقال من سبي ميسان فاشترته الربيع بنت النضر عمة أنس فأعتقته فلذلك قال مولانا (وكان ابن عباس رضي الله عنهما) اذا سئل (يقول سلوا جابر بن زيد) فلو نزل أهل البصرة على فتياه لوسعهم وكان من صالحي التابعين هكذا أورده صاحب القوت قلت وجابر بن زيد هو الازدي ثم الجوفي البصري أبو الشعثاء مشهور بكنيته ثقة فقيه مات سنة ثلاث وتسعين وهذا الذي أورده صاحب القوت وتبعه المصنف فقد أخرج أبو نعيم في الحلية من رواية سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت عطاء قال قال ابن عباس لو نزل أهل البصرة بجابر بن زيد لاوسعهم علما عن كتاب الله تعالى وقال عمرو بن دينار ما رأيت أحدا أعلم بالفتيا من جابر بن زيد وأخرج من رواية عزرة بن البرند حدثني تميم بن حدير السلمي عن الرباب قال سألت ابن عباس عن شئ فقال تسألوني وفيكم جابر بن زيد وأخرج من طريق زياد بن جبير قال سألت جابر بن عبد الله الانصاري عن مسئلة فقال فيها ثم قال تسألوني وفيكم أبو الشعثاء (و) كان (ابن عمر رضي الله عنهما يقول سلوا سعيد بن المسيب) هكذا أورده صاحب القوت وهو من فقهاء التابعين (ويحكى انه روى صحابي في مجلس فيه الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها) ونص القوت وقال بعض البصريين قدم علينا رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتينا الحسن فقلنا ألا نذهب الى هذا الصحابي فنسأله عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجيء معنا قال نعم فاذهبوا قال فجعلنا نسأله عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يحدثنا حتى حدثنا عشرين حديثا قال والحسن ينصت يستمع اليه ثم جثا الحسن على ركبتيه فقال يا صاحب رسول الله أخبرنا بتفسير ما رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نفقه فيه فسكت الصحابي (فقال ما عندي الا ما رأيت) ونص القوت وقال ما سمعت بدل ما رأيت (فأخذ الحسن في تفسيرها حديثا حديثا) وفي القوت فابتدأ الحسن تفسير ما رواه فقال أما الحديث الذي حدثتنا به فان تفسيره كيت وكيت والحديث الثاني تفسيره كذا وكذا حتى سرد عليه الاحاديث كلها كما حدثنا بها وأخبرنا بتفسيرها (فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه) ونص القوت قال فلا ندري نعجب من حسن حفظه اياه وأدائه للحديث أومن علمه وتفسيره قال (فأخذ الصحابي كفا من حصى ورماهم به) ونص القوت وحصبنا به (وقال) ونص القوت ثم قال (تسألوني عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم) زاد صاحب القوت فهؤلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يردون الامور في الفتيا وعلم اللسان الى من هو دونهم في القدر والمنزلة وهم في علم التوحيد والمعرفة والايمان فوقهم درجات ولا يرجعون اليهم في الشبهات ولا يردون اليهم في علم المعرفة واليقين فهذا كما قيل العلم نور يقذفه الله تعالى في قلوب أوليائه فقد يكون ذلك تفضيلا للنظراء بعضهم على بعض وقد يكون تخصيصا للشباب على الشيوخ ولمن جاء بعد السلف من السابقين وربما كان تكرمة للخاملين المتواضعين لينبه عليهم ويعرفوا ليرفعوا كما قال الله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة اه وأخرج أبو

وكان أنس رضي الله عنه اذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس رضي الله عنهما اذا سئل يقول سلوا جارية بن زيد وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول سلوا سعيد بن المسيب وحكى أنه روى صحابي في حضرة الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي الا ما رويت فأخذ الحسن في تفسيرها حديثا حديثا فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه فأخذ الصحابي كفا من حصى ورماهم به وقال تسألوني عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم

نعيم في الحلية من رواية علي بن المديني قال كان سفيان بن عيينة اذا سئل عن شئ يقول لا أحسن فيقول من نسأل فيقول سل العلماء وسل الله التوفيق (ومنها) أي ومن علامات علماء الآخرة (أن يكون أكثر اهتمامه) واعتنائه (بعلم الباطن) وهو العلم بالله عز وجل الدال على الله الشاهد بالتوحيد له من علم الايمان واليقين وعلم المعرفة والمعاملة دون سائر علوم الفتيا والاحكام وبذلك فضل على العمل وفضل صاحبه على غيره في قولهم ذرة من علم أفضل من كذا وكذا من العمل وركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من عابد وغير ذلك من الاحاديث والآثار التي تقدم ذكرها في أول الكتاب (و) من علاماته أن يكون مهتما في (مراقبة القلب) ومحافظته من مداخلة الوساوس ومخالطة النفثات الشيطانية (و) أن يكون مهتما في (معرفة طريق الآخرة و) كيفية (سلوكه) بواسطة مرشد كامل أو عارف حاذق يستفيد ذلك بمجالسته (وصدق الرجاء) وتحقيق الامنية (في انكشاف ذلك) وتحصيله (من المجاهدة) الباطنية بالرياضات الشرعية (والمراقبة) مع الله تعالى بذكره دائما (فان المجاهدة) أساس هذا السلوك ولا يتم الامر الا بها وهي (تفضي) وتوصل (الى) مقام (المشاهدة في دقائق) أسرار (علم القلب وتنفجر بها) أي بالمجاهدة (ينابيع الحكمة من القلب) واليه الاشارة بما ورد من أخلص لله أربعين يوما تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه لان اخلاص العبودية للربوبية واخلاص الاعمال من الهوى الدنيوي هو عين المجاهدة والنور اذا جعل في الصدر انشرح القلب بالعلم ونظر باليقين فنطق به اللسان بحقيقة البيان وهو الحكمة التي أودعها الله عز وجل في قلوب أوليائه (أما كتب التعليم) وما استودع فيها انما جمعه من غيره ممن قدم من طريقه السمع ومفتاحه الاستدلال وخزائنه العقل يتلقاها الصغير عن الكبير باقية ببقاء الاسلام وهي محجة العموم من خلق الله تعالى (فلا تفي بذلك) ولا ترشد السالك (بل الحكمة) الالهية (الخارجة عن الحصر والعد انما تنفتح) وتنكشف (بالمجاهدة والمراقبة) في القلب (ومباشرة الاعمال الظاهرة) على قوانين الشريعة (والباطنة) على ميزان الطريقة (والجلوس مع الله تعالى) بغاية الخشوع والخشية (مع حضور القلب) لكونه خزانة الملكوت وهو باب علم الباطن ويكون ذلك (بصافي الفكر) وخالصه عن المكدرات الظاهرية والباطنية (والانقطاع الى الله تعالى) في جميع أحواله (عما سواه فذلك مفتاح الالهام) الرباني (ومنبع الكشف الصمداني) يرشدك اليه قوله عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (وكم من متعلم) في العلوم الظاهرة (طال تعلمه) وامتد طلبه حتى أضاع لياليه وأيامه (ولم يقدر على مجاوزة مسموعه) الذي تلقفه عن الشيوخ والكتب (بكلمة) واحدة كما هو مشاهد في كثير من علماء العصر فتراهم يقفون فيما سمعوه ويترددون بأنواع المحاورات ولا يكادوا أن يتجاوزوا (وكم من مقتصر على) تحصيل (المهم في) قوانين (التعلم ومتوفر على العمل) أي مباشرته (و) مقبل على (مراقبة القلب) بخالص فكره (فتح الله عز وجل عليه) في أدنى زمان وأقرب أوان (من لطائف الحكم) ودقائقها (ما تحار فيه عقول ذوي الالباب) موهبة من الله تعالى كما اتفق ذلك لكثير من الاولياء العارفين ممن علومهم مأخوذة عن الله تعالى وفي القوت أهل الذكر لله تعالى وأهل التوحيد والعمل لله تعالى لم يكونوا يتلقون هذا العلم دراسة من الكتب ولا يتلقاه بعضهم عن بعض بالالسنة انما كانوا أهل عمل وحسن معاملات وكان أحدهم اذا انقطع الى الله تعالى واشتغل به واستعمله المولى بخدمته بأعمال القلوب وكانوا عنده في الخلوة بين يديه لا يذكرون سواه ولا يشتغلون بغيره فاذا ظهروا للناس فسألوهم ألهمهم الله تعالى رشدهم ووفقهم لتسديد قولهم وآتاهم الحكمة ميراثا لاعمالهم الباطنة عن قلوبهم الصافية وعقولهم الزاكية وهممهم العالية فأمرهم بحسن توفيقه اذ ألهمهم حقيقة العلم وأطلعهم على مكنون السر حتى آثروه بالخدمة وانقطعوا اليه بحسن المعاملة فكانوا يجيبون عما عنه يسئلون بحسن اثرة الله تعالى وجميل اثره

ومنها أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضي الى المشاهدة ودقائق علوم القلوب تتفجر بها ينابيع الحكمة من القلب وأما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد وانما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والانقطاع الى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الالباب

عندهم فتكلموا بعين القدرة وأظهروا وصف الحكمة ونشروا علوم الايمان وكشفوا بواطن القرآن وهذا هو العلم النافع الذي يقربه الى ربه ويكون من الموقنين (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم) رواه ابو نعيم فى الحلية من حديث أنس وضعفه قال العراقى وأورده صاحب القوت بلا سند الا أنه قال بما يعلم بدل بما علم وأخرج أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة أحمد بن أبى الحوارى بسنده اليه قال التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن أبى الحوارى بمكة فقال أحمد حدثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبى سليمان الدارانى فقال يا أحمد قل سبحان الله بلا عجب فقال ابن حنبل سبحان الله وطوّلها بلا عجب فقال ابن أبى الحوارى سمعت أبا سليمان يقول اذا اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت فى الملكوت وعادت الى ذلك العبد بطرائق الحكمة من غير أن يؤدى اليها عالم علما قال فقام أحمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ما سمعت فى الاسلام حكاية أعجب من هذه الى ثم قال أحمد بن حنبل حدثنى يزيد بن هرون عن حميد الطويل عن أنس رفعه من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم ثم قال لابن أبى الحوارى صدقت يا أحمد وصدق شيخك قال أبو نعيم ذكر أحمد هذا الحديث عن بعض التابعين عن عيسى ابن مريم فظن بعض الرواة انه ذكره عن النبى صلى الله عليه وسلم ومن شواهده ما أخرج أبو نعيم من رواية نصير بن حمزة عن أبيه عن جعفر بن محمد عن محمد بن على بن الحسين عن الحسين بن على عن على رفعه من زهد فى الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيرا وكشف عنه العمى (وفى الكتب السالفة) ونص القوت وروينا فى بعض الاخبار ان فى بعض الكتب المنزلة (يابنى اسرائيل لا تقولوا العلم فى السماء من ينزل به ولا فى تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر) ه (يأتى به العلم مجعول فى قلوبكم تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين) أى الملائكة (وتخلقوا الى بأخلاق الصديقين أظهر العلم فى قلوبكم حتى يغطيكم فيغمركم) كذا فى النسخ ونص القوت حتى يغطيكم ويستركم (وقال) أبو محمد (سهل) بن عبد الله التسترى (خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة) أى عليها أقفال الغفلة (ولم تفتح الاقلوب الصديقين والشهداء ثم تلا قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) أورده صاحب القوت وزاد يعنى مقفلة عن مفتاح المعرفة وعين التوحيد واعلم ان الفقه صفة القلب والخوف موجب الفقه وعلم العقل داخل فى علم الظاهر والعلم بالله داخل فى علم اليقين (ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم استفت قلبك) وان أفتاك المفتون فردّه الى فقه القلب وصرفه عن فتيا المفتين فلولا ان القلب فقيه لم يجز أن يدله صلى الله عليه وسلم على غير فقيه ولولا ان علم الباطن حاكم على علم الظاهر مارده اليه ولا يجوز أن يرده من فقيه الى فقيه دونه كيف وقد جاء فى بعض الروايات بلفظة مؤكدة بالتكرير والمبالغة فقال (وان أفتوك وأفتوك) وهذا مخصوص لمن كان له قلب وألقى سمعه وشهد قيام شاهده وعرى عن شهواته ومعهوده لان الفقه ليس من وصف اللسان حققه صاحب القوت وتخريج الحديث قد تقدم فى الباب الثانى (وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا الحديث) أى الى آخر الحديث وهو قوله يدا ومؤيدا أخرجه أبو نعيم بهذا اللفظ فى الحلية من حديث أنس واسناده ضعيف وأخرجه البخارى فى صحيحه وأبو نعيم فى أوّل الحلية وهو أوّل أحاديث الكتاب كلاهما من رواية محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبى نمر عن عطاء عن أبى هريرة رفعه ان الله عز وجل قال من عادى لى وليا فقد آذنى بالحرب وما تقرب الى عبدى بشئ أحب الى مما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم وفى بعض الكتب السالفة يابنى اسرائيل لا تقولوا العلم فى السماء من ينزل به الى الارض ولا فى تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر يأتى به العلم مجعول فى قلوبكم تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا لى بأخلاق الصديقين أظهر العلم فى قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وقال سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الاقلوب الصديقين والشهداء ثم تلا قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو الآية ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وأفتوك وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به الحديث

فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين واذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم العالية الموجهة اليه وكذلك فى علوم المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه وبحسب ما وفق له من حسن العمل وفى وصف هؤلاء العلماء قال على رضى الله عنه فى حديث طويل

الموت وأكره مساءته ولابد له منه قال الحافظ الذهبى فى الميزان فى ترجمة خالد بن مخلد الراوى عن ابن كرامة هذا حديث غريب جدا ولاهيبة الجامع الصحيح لعد من منكرات خالد بن مخلد وذلك لغرابة لفظه ولانه مما تفرد به شريك وليس بالحافظ اه وروى البيهقى فى الزهد من رواية ابن زحر عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى امامة رفعه قال ان الله عز وجل يقول ما زال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فأكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به وقلبه الذى يعقل به فاذا دعانى أجبته واذا سألنى أعطيته واذا استنصرنى نصرته وأحب ما يعبد به عبدى النصح لى وفى الباب عن عائشة وميمونة رضى الله عنهما فحديث عائشة عند البزار وحديث ميمونة عند أبى يعلى (فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن) وخواصه (تخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين) قال سيدى على وفا قدس سره من داوم اخلاص الذكر بفؤاده صار ما بين العرش والفرش طوع مراده وقال أيضا الوسائل مدد مصابيح المقاصد فبحسب صفاء المدد يكون ضياء المصباح (فاذا انكشف ذلك للمراقب وعرض على المفسرين) المنصفين المحفوظين من علائق الشهوة (استحسنوه) وقبلوه (وعلموا ان ذلك من تنبيهات القلوب الزكية) وارداتها الالهية (والطاف الله تعالى) ومواهبه المفاضة (بالهمم المتوجهة اليه) عما سواه هذه العبارة بتمامها منتزعة من القوت بتغيير يسير ونص القوت ولم يكونوا اذا سئل احدهم عن مسئلة من علم القرآن أو علم اليقين والايمان يحيل على صاحبه ولا يسكت عن الجواب وقد قال الله تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فهم أهل الذكر لله وأهل التوحيد والعمل لله عز وجل ولم يكونوا يلقنون هذا العلم دراسة من الكتب ولا يتلقاه بعضهم عن بعض بالالسنة انما كانوا أهل عمل وحسن معاملات وكان أحدهم اذا انقطع الى الله تعالى فاشتغل به واستعمله المولى لخدمته بأعمال القلوب وكانوا عنده فى الخلوة بين يديه لا يذكرون سواه ولا يشتغلون بغيره فاذا ظهروا للناس فسألوهم ألهمهم الله رشدهم ووفقهم لسديد قولهم وآتاهم الحكمة ميراثا لاعمالهم الباطنة عن قلوبهم الصافية وعقولهم الزاكية وهممهم العالية فأمدهم بحسن توفيقه اذ ألهمهم حقيقة العلم وأطلعهم على مكنون السر حين آثروه بالخدمة وانقطعوا اليه بحسن المعاملة فكانوا يجيبون عما عنه يسألون بحسن اثرة الله سبحانه وجميل اثره عندهم فتكلموا بعين القدرة وأظهروا وصف الحكمة ونطقوا بعلوم الاعمال وكشفوا بواطن القرآن وهذا هو العلم النافع الذى بين العبد وربه وهو الذى يلقاه به ويسأله عنه ويثيبه عليه وهو ميزان جميع الايمان وعلى قدر علم العبد بربه ترجح أعماله وتضاعف حسناته وبه يكون عند الله من المقربين لانه لربه من الموقنين اه فمن ذلك كلام القطب سيدى على وفا على قصة سيدنا موسى فى سورة القصص وشرحه لحديث أم زرع بلسان القوم فكل من طالعهما بعين الانصاف قضى عجبا وفى المتأخرين القطب أبو الحسن البكرى أملى بالجامع الازهر على سورة الفاتحة نحو ثلاثمائة مجالس كل ذلك مشحون بالاسرار والمعارف ومثل هذا الفيض لا ينكره الا من حرمه (وكذلك) الحال (فى علوم المكاشفة) بتجلى الذات واظهار الافعال الدالة على معانى الاوصاف الباطنة (وأسرار علوم المعاملة) وعلوم الورع والاخلاص (ودقائق خواطر القلوب) وتلوينات الشواهد على المريدين وتفاوت مشاهدات العارفين (فان كل علم من هذه العلوم بحر) واسع (لا يدرك عمقه) ولا ينتهى الى غوره (وانما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق) من سعة همته وقوة اجتهاده (وبحسب ما وفق له من حسن العمل) بتأييد من ربه وعصمة منه (وفى وصف هؤلاء العلماء) أى علماء الآخرة (قال) أمير المؤمنين (على) بن ابى طالب (رضى الله عنه فى حديث طويل) أورده ابن القيم فى مفتاح دار السعادة وأبو طالب المكى فى القوت والراغب فى الذريعة مفرقا كلهم من غير سند وأخرجه ابو نعيم فى الحلية فى ترجمة على فقال حدثنا حبيب بن الحسن حدثنا موسى بن اسحق وحدثنا سليمان بن أحمد

حدثنا

القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير والناس ثلاثة عالم ربانى ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع لكل ناعق يميلون مع كل

حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قالا حدثنا ابونعيم ضرار بن صردح وحدثنا ابواحمد محمد بن محمد بن أحمد الحافظ حدثنا احدثنا محمد بن الحسين الخثعمى حدثنا اسماعيل بن موسى الفزاري قالا حدثنا عاصم بن حميد الخياط حدثنا ثابت بن ابى صفية ابوحمزة الثمالى عن عبد الرحمن بن جندب عن كميل بن زياد قال أخذ على بن ابى طالب بيدى فأخرجنى الى ناحية الجبان فلما اصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال يا كميل بن زياد (القلوب أوعية وخيرها) كذا فى النسخ والرواية تخيرها (أوعاها و) احفظ ما أقول لك (الناس ثلاثة) وليس فى نص الحلية الواو بعد أوعاها (عالم ربانى) ونص الحلية فعالم ربانى (ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيؤا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال العلم يزكيه العمل) ونص الحلية يزكو على الانفاق وفى رواية على العمل (والمال تنقصه النفقة محبة) ونص الحلية ومحبة (العلم دين يدان به) ونص الحلية بها (تكتسب به الطاعة) ونص الحلية العلم يكسب العالم الطاعة (فى حياته وجميل الاحدوثة بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه) وجدت هذه الجملة فى بعض الروايات (ومنفعة) هكذا فى النسخ والرواية وضيعة (المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم أحياء والعلماء باقون مابقى الدهر) أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة (ثم تنفس الصعداء وقال) ليست هذه فى رواية الحلية ولا عند ابن القيم ووجدت فى كتاب الذريعة والقوت والذى عند الاولين بعد قوله مابقى الدهر (هاه) مرة واحدة وعند ابن القيم مرتين (ان ههنا) وأشار بيده الى صدره (علما جما) وليس فى الحلية جما ولا عند ابن القيم (لو وجدت) وعند أبى نعيم وابن القيم لو أصبت (له حملة بل أجد طالبا) كذا فى النسخ وعند أبى نعيم وابن القيم بلى اصبته لقنا (غير مأمون) عليه وفى بعض نسخ الحلية لقنا من اللقف بدل لقنا (يستعمل آلة الدين فى طلب الدنيا) وفى الحلية للدنيا (ويستطيل بنعم الله عز وجل على أوليائه) هذه الجملة هكذا فى القوت وليست عند أبى نعيم ولا ابن القيم (ويستظهر بحججه على خلقه) هكذا فى القوت والذى عند أبى نعيم وابن القيم يستظهر بحجج الله على كتابه وبنعمه على عباده (أومنقادا لاهل الحق) لابصيرة له فى احنائه (ينقدح) كذا فى نسخة ومثله عند ابن القيم وفى القوت ينزرع وفى الحلية يتقدح (الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة) لابصيرة له (لاذا ولاذاك) وفى القوت بعد قوله لابصيرة له وليسا من وعاة الدين فى شئ لاذا ولاذاك ونص الحلية بعد قوله من شبهة لاذا ولاذاك كما عند المصنف (فمنهوم باللذة سلس القياد فى طلب الشهوات أومغرم) وفى القوت أوجرىء (بجمع الاموال والادخار منقاد لهواه) ونص الحلية بعد قوله لاذا ولاذاك أومنهوما باللذات سلس القياد للشهوات أومغرى بجمع الاموال والادخار وليسا من دعاة الدين فى شئ (أقرب شبها بهم) كذا عند ابن القيم وفى الحلية والقوت بهما (الانعام السائمة ثم قال اللهم هكذا) وليس فى القوت ثم قال وفى الحلية بعد قوله السائمة كذلك (يموت العلم اذا مات حاملوه) وفى الحلية يموت حامليه (بل لاتخلو) كذا فى القوت وفى الحلية اللهم بلى لن تخلو (الارض من قائم لله بحجة اما ظاهر مكشوف واما خائف مقهور) كذا فى القوت وهذه الجملة ليست فى الحلية بل قال ابن القيم هذه زيادة الكذابين من الروافض فى الحديث ونصه اما ظاهرا مشهورا واما خفيا مستورا قال وظنوا ان ذلك دليل لهم على القول بالمنتظر والحديث مشهور عن على لم ينقل أحد عنه هذه المقالة الا كذاب وحجج الله لاتقوم بخفى مستور لايرى له شخص ولا تسمع منه كلمة ولا يعلم له مكان ولقد أحسن القائل

ما آن للسرداب أن يلد الذى * حملتموه بزعمكم ما آنا
فعلى عقولكم الصفاء فانكم * ثلثتم العنقاء والغيلانا

ونص الحلية بعد قوله بحجة لكيلا (تبطل حجج الله وبيناته وكم وأين) كذا فى النسخ وفى القوت من غير وكم (أولئك) هم (الاقلون عددا الاعظمون) عند الله (قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب

ريح لم يستضيؤا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه الانفاق والعلم دين يدان به تكتسب به الطاعة فى حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعه المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم أحياء والعلماء أحياء باقون مابقى الدهر ثم تنفس الصعداء وقال هاه ان ههنا علما جما لو وجدت له حملة بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين فى طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه أومنقادا لاهل الحق لكن ينزرع الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة لابصيرة له لاذا ولا ذاك أومنهوما باللذات سلس القياد فى طلب الشهوات أومغرى بجمع الاموال والادخار منقادا لهواه أقرب شبها بهم الانعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه ثم لاتخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهر مكشوف واما خائف مقهور لكى لاتبطل حجج الله تعالى وبيناته وكم وأين أولئك هم الاقلون عددا الاعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب

موجودة) هذه الجملة هكذا وقعت هنا في القوت وهي في رواية الحلية في أول الحديث وقد أشرنا لذلك (يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم) كذا في القوت ونص الحلية بعد قوله قدرا بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها الى نظرائهم (ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر) كذا في الحلية وفي القوت على حقائق الامر (فباشروا روح اليقين) هكذا هذه الجملة في القوت وليست في الحلية (فاستلانوا ما استوعره المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون) كذا في القوت وفي الحلية الجاهلون (صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى) كذا في القوت وفي الحلية بالمنظر الاعلى وعند ابن القيم بالملأ الاعلى (أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه والدعاة الى دينه) كذا في القوت ونص الحلية أولئك خلفاء الله في بلاده ودعاته الى دينه (ثم بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم) كذا في القوت وفي الحلية بعد قوله الى دينه هاه هاه شوقا الى رؤيتهم وأستغفر الله لي ولكم اذا شئت فقم هذا آخر الحديث على ما في الحلية وعند ابن القيم (فهذا الذي ذكره آخرا هو وصف علماء الآخرة) الذين هم أهل الحقائق وفضلهم على على الخلائق (وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل) المقرون بالاخلاص (والمواظبة على المجاهدة) ولنتكلم على الحديث الماضي ذكره قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة قال أبو بكر الخطيب هذا حديث حسن من أحسن الاحاديث معنى وأشرفها لفظا وتقسيم أمير المؤمنين للناس في أوله تقسيم حسن في غاية الصحة ونهاية السداد لان الانسان لا يخلو من أحد الاقسام التي ذكرها مع كمال العلم وازاحة العلل اما أن يكون عالما أو متعلما أو مهملا للعلم وطلبه ليس بعالم ولا طالب له فالعالم الرباني هو الذي لا زيادة على فضله لفاضل وأما المتعلم على سبيل النجاة فهو الطالب بتعلمه والقاصد به نجاته من التفريط في تضييع الواجبات وأما القسم الثالث فهم المهملون لانفسهم الراضون بالمنزلة الدنية وما أحسن ما شبههم بالهمج الرعاع والرعاع المتبدد المتفرق والناعق الصائح وهو في هذا الموضع الراعي ثم قال ابن القيم ونحن نشير الى بعض ما في الحديث من الفوائد وأنا أذكر ذلك اختصارا قال فقوله رضي الله عنه القلوب أوعية القلب يشبه بالوعاء والاناء والوادي لانه وعاء الخير والشر وقوله خيرها أوعاها أي أكثرها وأسرعها وأثبتها وأحسنها وعيا أي حفظا ويوصف بالوعي القلب والاذن كقوله تعالى وتعيها أذن واعية لما بين القلب والاذن من الرباط فالعلم يدخل من الاذن الى القلب فهي بابه وانما توصف بذلك لانها اذا وعت وعى القلب وقوله الناس ثلاثة اعلم أن العبد اما أن يكمل في العلم والعمل أولا فالاول العالم الرباني والثاني اما أن تكون نفسه متحركة في طلب ذلك الكمال أولا والثاني هو المتعلم على سبيل النجاة والثالث هو الهمج الرعاع فالاول هو الواصل والثاني هو الطالب والثالث هو المحروم ولا يكون العالم ربانيا حتى يكون عاملا بعلمه والثاني متعلم على سبيل نجاة أي على الطريق التي تنجيه وليس حرف على وما عمل فيه متعلقا بمتعلم الاعلى وجه التضمين أي يفتش مطلع على سبيل نجاته ليسلكه فبعلمه يفتش على سبيل نجاته لا للمباراة أو غيره فانه على سبيل هلكة والقسم الثالث المحروم المعرض فلا عالم ولا متعلم بل همج رعاع والهمج من الناس حمقاؤهم وجهلتهم والرعاع الذين لا يعتد بهم اتباع كل ناعق أي صائح بهم سواء دعاهم الى هدى أو ضلال فانهم لا علم بالذي يدعون اليه أحق هو أم باطل فهم مستجيبون لدعوته وهؤلاء من أضر الخلق على الاديان ويسمى داعيهم ناعقا تشبيها بالانعام التي ينعق بها الراعي فتذهب معه أينما ذهب قوله يميلون مع كل ريح وفي رواية مع كل صائح شبه عقولهم الضعيفة بالغصن الضعيف وشبه الاهوية والآراء بالرياح فعقولهم تذهب مع كل ذاهب ولو كانت كاملة كانت كالشجرة الكبيرة التي لا تتلاعبها الرياح لثباتها قوله لم يستضيؤا الخ بين السبب الذي جعلهم بتلك المثابة وهو انه لم يحصل لهم من العلم نور يفرقون به بين الحق والباطل ويمتنعون من دعاة الباطل فان الحق متى استقر في القلب قوي به وامتنع مما يضره والعلم والقوة قطبا السعادة وفيه معنى أحسن من هذا وهو الاشبه بمراد علي

موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من وراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعرمنه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى أولئك اولياء الله عز وجل من خلقه وأمناؤه وعماله في أرضه والدعاة الى دينه ثم بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم فهذا الذي ذكره أخيرا هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة

رضى الله عنه وهو أن هؤلاء ليسوا من أهل البصائر الذين استضاؤا بنور العلم ولا لجؤا الى عالم مستبصر فقلدوه ولا متبعين لمستبصر فان الرجل اما أن يكون بصيرا أو أعمى متمسكا ببصير يقوده أو أعمى يسير بلا قائد قوله العلم خير من المال تقدم شرحه فى أول الكتاب وكذا قوله العلم يزكو على الانفاق والمال تنقصه النفقة وكذا قوله العلم حاكم والمال محكوم عليه قوله محبة العلم يدان بها أى لانه ميراث الانبياء والعلماء وراثهم فمحبة العلم وأهله من علامات السعادة وهذا فى علم الرسل الذى جاؤا به وورثوه للامة لا فى كل ما يسمى علما وأيضا فان محبة العلم تحمل على تعلمه واتباعه وذلك هو الدين قوله العلم يكسب العالم الطاعة فى حياته يقال كسبه واكتسبه لغتان أى يجعله مطاعا فكل أحد محتاج الى طاعته لكونه يدعو الى طاعة الله ورسوله فالعالم العامل أطوع فى أهل الارض من كل أحد قوله وجميل الاحدوثة أى اذا مات العالم أحيا الله ذكره ونشر له فى العالمين أحسن الثناء فالعالم بعد وفاته ميت وهو حى بين الناس والجاهل فى حياته حى وهو ميت بين الناس كما قيل

وفى الجهل قبل الموت موت لاهله * وليس لهم حتى النشور نشور
وأرواحهم فى وحشة من قبورهم * وأجسامهم قبل القبور قبور

وقال الآخر

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم * وعاش قوم وهم فى الناس أموات

وقال آخر

ومادام ذكر العبد بالفضل باقيا * فذلك حى وهو فى الترب هالك

ومن تأمل أحوال أئمة الاسلام تحقق انه لم يفقد الاصورهم والا فذكرهم والثناء عليهم غير منقطع وهى هذه الحياة حقا حتى عد ذلك حياة ثانية كما قال المتنبى

ذكر الفتى عيشه الثانى وحاجته * مافاته وفضول العيش اشغال

قوله وصنيعة المال تزول بزواله أى كل صنيعة صنعت للرجل من أجل ماله من اكرام وتقديم واحترام وغير ذلك فانما هى مراعاة لماله فاذا زال زالت وهجر حتى ممن كان يختص به وفيه قال بعض العرب

وكانوا بنى عمى يقولون مرحبا * فلما رأونى معسرا مات مرحبا

وهذا أمر لا ينكر فى الناس حتى انهم ليكرمون لثيابهم فاذا نزعت لم يكرموا وهذا بخلاف صنيعة العلم قوله مات خزان المال تقدم شرحه فى أول الكتاب قوله وأمثالهم فى القلوب موجودة المراد بأمثالهم صورهم العلمية فهى لا تفارق القلوب وهذا هو الوجود الذهنى العلمى لان محبة الناس لهم وانتفاعهم بعلومهم يوجب أن لا يزالوا نصب عيونهم وقبلة قلوبهم وقوله هاه ان ههنا علما وأشار الى صدره فيه جواز اخبار الرجل بما عنده من الخير والعلم ليقتبس منه وينتفع به لا للمباهاة فانه مذموم واذا أثنى الرجل على نفسه ليخلص بذلك من مظلمة أو يستوفى بذلك حقا له يحتاج فيه الى التعريف بحاله أو عند خطبة الى من لا يعرفه فلا بأس فيه والاحسن أن يوكل فى مثله الى غيره فان لسان المرء على نفسه قصير وهو فى الغالب مذموم ثم ذكر أصناف حملة العلم الذين لا يصلحون لحمله وهم أربعة أحدهم من ليس هو بمأمون عليه وهو الذى أوتى ذكاء وحفظا لكن جعل العلم آلة الدنيا يستجلبها به وهذا غير أمين على ما حمله من العلم فقد خان الله وخان عباده فان الامين المأمون هو الذى لا غرض له ولا ارادة لنفسه الا اتباع الحق وموافقته فلهذا قال غير مأمون عليه قوله يستظهر بحجج الله الخ هذه صفة هذا الخائن ومعنى استظهاره بالعلم على كتاب الله تحكيمه عليه وتقديمه واقامته دونه واشتغاله بغيره وهذه حال كثير من العلماء الذى يجعل كتاب الله وراء ظهره فالمستظهر به على كل ماسواه موفق سعيد والمستظهر عليه مخذول شقى الصنف الثانى من حملة العلم المنقاد الذى لم يثلج له صدره ولم يطمئن به قلبه بل هو ضعيف البصيرة فيه لكنه منقاد لاهله وهذا حال اتباع الحق من مقلديهم وهؤلاء وان كانوا على سبيل نجاة فليسوا من دعاة الدين قوله لا بصيرة له فى احنائه جمع حنو بالكسر وهى الجوانب والنواحى يقولون

ازجر أحناء طيرك أى أمسك جوانب خفتك وطيشك قلت الاولى أن يفسر الاحناء هنا بالمتشابهات والمعنى الذى ذكره هو الذى فى الصحاح والذى ذكرته من كتاب العباب قوله ينقدح الشك الخ هذا لضعف علمه وقلة بصيرته اذا وردت على قلبه أدنى شبهة قدحت فيه الشك والريب بخلاف الراسخ فى العلم لو وردت عليه أمواج البحار ما أزالت يقينه ولا قدحت فيه شكا بل يردها بقوة يقينه وضعيف اليقين ان تداركها والا تتابعت على قلبه أمثالها حتى يصير مرتابا الصنف الثالث رجل نهمته فى نيل لذته فهو منقاد لداعى الشهوة أين كان ولا ينال درجة وراثة النبوة مع ذلك فمن آثر الراحة فاتته الراحة وقال ابراهيم الحربى أجمع عقلاء كل أمة أن النعيم لا يدرك بالنعيم فمن لم يغلب لذة ادراكه للعلم على شهوة نفسه لم ينل درجة العلم أبدا الصنف الرابع من حرصه وهمته فى جمع الاموال وتثميرها وادخارها فلا يرى شيأ أطيب له مما هو فيه فمن أين له درجة العلم فهؤلاء الاصناف الاربعة ليسوا من دعاة الدين ولا من طلبة العلم الصادقين ومن تعلق منهم بشئ فهو من المشتاقين عليه المتشبهين بحملته المدعين لوصاله المبتوتين من حباله وفتنة هؤلاء فتنة لكل مفتون قوله أقرب شبها بالانعام السائمة هو كقوله تعالى ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا والسائمة الراعية شبهوا بها فى رعى الدنيا وحطامها قوله كذلك يموت العلم بموت حامليه أى ذهاب العلم انما هو بذهاب العلماء وهو مأخوذ من حديث قبض العلم فى البخارى قوله اللهم بلى لن تخلو الارض الخ يدل عليه حديث لا تزال طائفة من أمتى على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من ناواهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك واعلم أن هذه الامة أكمل الامم جعل الله العلماء فيها خلفاء الانبياء لئلا تطمس أعلام الهدى كما كان بنو اسرائيل كلما هلك نبى خلفهم نبى فكانت تسوسهم الانبياء والعلماء لهذه الامة كانبياء بنى اسرائيل والفرق بين الحجج والبينات أن الحجج هى الادلة العلمية التى يعقلها القلب وتسمع بالآذان والبينات الآيات التى أقامها الله تعالى دلالة على صدقهم من المعجزات قوله أولئك الاقلون عددا الخ وهذا سبب غربتهم فانهم قليلون فى الناس والناس على خلاف طريقتهم واياك أن تعترف بانهم لو كانوا على حق لم يكونوا أقل الناس عددا فاعلم أن هؤلاء هم الناس ومن سواهم فمشبهون بهم ليسوا بناس قوله حتى يردوها الى نظرائهم ويزرعوها فى قلوب أشباههم أى ما أقام الله بهذا الدين من يحفظه ثم قبضه اليه الا وقد زرع ما علمه من العلم والحكمة اما فى قلوب أمثاله واما فى كتب ينتفع بها الناس بعده وبهذا وبغيره فضلوا على غيرهم قوله هجم بهم العلم الخ الهجوم على الرجل الدخول عليه بلا اذن أى انهم لكمال علمهم وقوته تقدم بهم الى حقيقة الامر فعاينوا ببصائرهم واطمأنت قلوبهم به وعملوا على الوصول اليه لما باشرها من روح اليقين رفع لهم علم السعادة فشمروا اليه وزهدوا عما سواه واستيقنت قلوبهم ما أعد لأوليائه من كرامة الله ومن وصل الى هذا استلان ما يستوعره المترفون وأنس بما يستوحش منه الجاهلون وهذا هو العلم التام والحب الخالص فهذا تفسير الحديث وقد اختصرت فى العبارة كثيرا وحذفت ما رأيت الاستغناء عنه (ومنها) أى ومن علامات علماء الآخرة (أن يكون شديد العناية) كثير الاهتمام (بتقوية اليقين فان اليقين هو رأس مال الدين) وهو من جملة علوم الايمان متضمن له بكل ما يجب الايمان به ومن ثم قال جمع اليقين قوة الايمان بالقدر والسكون اليه واذا باشر القلب اليقين امتلأ نورا وانتفى عنه كل ريب فالعلم أوّل درجات اليقين ولهذا قيل العلم يستعملك واليقين يحملك فاليقين أفضل مواهب الرب لعبده ولا يثبت قدم الرضا الا على درجة اليقين (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليقين الايمان كله) قال العراقى رواه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد وأبو القاسم اللالكائى فى كتاب السنة من رواية يعقوب بن حميد بن كاسب قال أخبرنا محمد بن خالد المخزومى عن سفيان بن سعيد عن زبيد عن أبى وائل عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم وزادوا فى أوّله الصبر نصف الايمان هكذا قال أبو نعيم والبيهقى

ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو رأس مال الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليقين الايمان كله

فلابد من تعلم علم اليقين أعني أوائله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوى يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال صلى الله عليه وسلم مامن آدمي الاوله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال مافاته من قيام الليل وصيام النهار

في اسناده وقال اللالكائي عن زبيد عن مرة عن عبدالله قال البيهقي تفرد به يعقوب بن حميد عن محمد ابن خالد وقد أعله ابن الجوزي في العلل المتناهية بهما فقال محمد بن خالد مجروح و يعقوب بن حميد ليس بشئ قال العراقي اما محمد بن خالد المخزومي فلم أجد أحدا من الائمة جرحه واما يعقوب فأورده ابن حبان في الثقات ثم قال والصحيح المعروف ان هذا من قول ابن مسعود وهكذا ذكره البخاري في صحيحه تعليقا موقوفا عليه ووصله الطبراني والبيهقي في الزهد من رواية الاعمش عن أبي ظبيان عن علقمة عن عبدالله قوله قال البيهقي هذا هو الصحيح موقوف اه قال المراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين معرفة أن المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فكان الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار (فلابد من تعلم علم اليقين أعني أوائله) وذلك في حق المبتدئ (ثم ينفتح للعبد طريقه) بالامداد الباطني مع المجاهدة ومخالطة الكمل من العارفين (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين) قال صاحب القوت (ومعناه جالسوا الموقنين) أي المتصفين بعلم اليقين (واسمعوا منهم علم اليقين) لانهم علماؤه الى هنا نص القوت زاد المصنف (وواظبوا على الاقتداء بهم) أي بأفعالهم في حركاتهم وعند سكونهم (ليقوى يقينكم كما قوى يقينهم) قال العراقي الحديث رواه أبو نعيم عن ثور بن يزيد مرسلا وهو معضل وهو مروي من قول خالد بن معدان ورويناه في كتاب اليقين لابن أبي الدنيا من رواية بقية عن العباس ابن الاخنس عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال تعلموا اليقين كما تعلمون القرآن حتى تعرفوه فاني أتعلمه والعباس بن الاخنس مجهول قاله الذهبي في الميزان (وقليل من اليقين خير من كثير من العمل) لان اليقين هو رأس المال وهو يصحح الاعمال وما قل عمل برز من قلب مؤمن ولا كثر عمل برز من قلب غافل وحسن الاعمال حسن نتائج الاحوال وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن أبي الدرداء رفعه قليل من التوفيق خير من كثير العمل وهو قريب الى سياق المصنف (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قيل له) ونص القوت وقد روينا مسندا قيل يارسول الله (رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال مامن آدمي الاوله ذنوب ولكن من كانت) وفي نسخة من كان (غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه و يبقى له فضل يدخل به الجنة) هكذا أخرجه صاحب القوت بلا اسناد وقال العراقي رواه الحكيم الترمذي في الاصل السادس بعد المائتين من نوادر الاصول قال حدثنا مهدي هو ابن عباس حدثنا الحسين هو ابن حازم عن منصور عن الرازي عن أنس قال قيل يارسول الله رجل يكون قليل العمل كثير الذنوب قال كل بني آدم خطاء فمن كانت له سجية عقل وغريزة يقين لم تضره ذنوبه شيأ قيل وكيف ذلك يارسول الله قال كلما أخطأ لم يلبث أن يتوب فتمحى ذنوبه و يبقى فضل يدخل به الجنة واسناده مجهول اه قلت وأخرج الامام أحمد وعبد بن حميد والترمذي والدارمي والحاكم والبيهقي كلهم عن أنس رفعه كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون وهذا يصلح أن يكون شاهدا لبعض الحديث المذكور وفي القوت جاء رجل الى معاذ بن جبل فقال أخبرني عن رجلين أحدهما مجتهد في العبادة كثير العمل قليل الذنوب الا انه ضعيف اليقين يعتريه الشك في أموره فقال معاذ ليحبطن شكه أعماله قال فأخبرني عن رجل قليل العمل الا انه قوي اليقين وهو في ذلك كثير الذنوب فسكت معاذ وقال الرجل والله لئن أحبط شك الاول أعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها قال فأخذ معاذ بيده وقام قائما ثم قال مارأيت الذي هو أفقه من هذا اه فهذا وان كان موقوفا على معاذ شاهد جيد بمعناه لما أورده المصنف (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال مافاته من قيام الليل وصيام النهار) قال العراقي لم أجد له أصلا في الاحاديث المرفوعة هكذا اه قلت أورده صاحب القوت فقال وروينا في

وفي وصية لقمان لابنه يابني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد أحرق لسيآت الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين وأراد به اليقين وقد أشار الله تعالى في القرآن الى ذكر الموقنين في مواضع دل بها على ان اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات (فان قلت) فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلابد من فهمه أولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك اذ ميل النفس الى التصديق بالشئ له أربع مقامات الاول أن يعتدل التصديق والتكذيب و يعبر عنه بالشك كما اذا سئلت عن شخص معين ان الله تعالى يعاقبه أم لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل الى الحكم فيه باثبات ولا نفي بل يستوى عندك امكان الامرين فيسمى هذا شكا

حديث أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أقل ما أوتيتم الخ هكذا بزيادة الواو وهو يدل على ان هذا ليس بأول الحديث ثم رأيته بعد أورده في شرح مقام الصبر فقال روى شهر بن حوشب الاشعرى عن أبي أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال مافاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب الى من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكن أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضا و ينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون اه قال العراقي وروى ابن عبد البر في كتاب العلم من حديث معاذ رفعه قال ما أنزل شئ أقل من اليقين ولا قسم شئ أقل من الحلم ولا يصح اسناده وقد روى نحوه مختصرا من قول بعض الاشياخ رويناه في كتاب اليقين لابن أبي الدنيا قال أخبرنا ابراهيم بن سعيد أخبرنا خالد بن خراش أخبرنا بشير بن بكر عن أبي بكر بن أبي مريم عن الاشياخ قال ما نزل في الارض شئ أقل من اليقين ولا قسم بين الناس أقل من الحلم هذا حديث مقطوع ضعيف اه (وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يفتر عامل حتى ينقص يقينه) هكذا أورده صاحب القوت الا انه قال ولا قصر عامل بدل ولا يفتر والباقي سواء وزاد وقد يكون يعمل العمل الضعيف اذا كان مستيقنا أفضل من العمل القوى الضعيف في يقينه ومن يضعف يقينه تغلبه المحقرات من الاثم (وقال يحيى بن معاذ) الرازى (ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد أحرق لسيآت الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين) اورده صاحب القوت هكذا بلفظ وكان يحيى بن معاذ يقول فساقه زاد المصنف فقال (وأراد) أي يحيى بن معاذ بنور التوحيد (اليقين) دل على ذلك سياق صاحب القوت هذا القول في هذا المبحث (وقد أشار القرآن) المجيد (الى ذكر الموقنين في) عدة (مواضع دل به على ان اليقين هو الرابطة) والواسطة (للخيرات) العالية (والسعادات) الباقية فمن ذلك قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وقوله تعالى لآية لقوم يوقنون وكذلك في السنة وردت عدة أحاديث في رفع شأن أهل الايقان فنبهت على انهم من خلاصة أهل الايمان (فان قلت) أيها السائل قد ذكرت اليقين ورفعت من شأنه وذكرت انه يقوى ويضعف (فما معنى اليقين) لغة واصطلاحا (وما معنى قوته وضعفه فلابد من فهمه أولا) كما ينبغي (ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا تفهم صورته) بمدرك الحس (لا يمكن طلبه) فالجواب ما تراه وهو قوله (فاعلم ان اليقين لفظ مشترك) أي وضع لمعنى كثير بوضع كثير ومعنى الكثرة هنا ما يقابل الوحدة لا ما يقابل القلة (يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين أما النظار) وهم أهل النظر في المعقولات (والمتكلمون) هم أهل الكلام (فيعنون به عدم الشك) فالشك نقيضه وهذا هو مذهب أهل اللغة قال الجوهرى اليقين العلم وزوال الشك يقال يقنت الامر بالكسر يقينا واستيقنت وأيقنت وتيقنت كله بمعنى واحد وفي القاموس يقن كفرح يقنا ويحرك وأيقنه وتيقنه واستيقنه وبه علمه وتحققه واليقين ازاحة الشك وفي عبارات بعض اللغويين اليقين العلم الذى لا يشك معه وهذا الذى ذكرناه هو المشهور عند أصحابنا من أئمة اللغة وعباراتهم وان اختلفت فمآلها الى ما ذكر بقي ان الجوهرى وجماعة من المتقدمين قالوا وربما عبروا عن الظن باليقين وباليقين عن الظن واستدلوا بآيات وقول الشعراء وهذا قد نورده لك ان شاء الله تعالى عند ذكر المصنف القسم الثاني منه قريبا المسمى بالظن ثم قال (اذ ميل النفس الى التصديق بالشئ له) في الحقيقة (أربع مقامات) لا يتعدى العقل الى غيرها (الاول ان يعتدل التصديق والتكذيب) سواء (ويعبر عنه بالشك) ثم أتى له بمثال ليتضح فقال (كما اذا سئلت عن شخص معين ان الله يعاقبه أم لا وهو مجهول الحال عندك) غير معلومه (فان نفسك لا تميل فيه الى الحكم باثبات ونفي بل يستوى عندك امكان الامرين فهذا يسمى) عندهم (شكا) وفي اللمع لابي

اسحق الشيرازي الشك تجوز أمرين لا مزية لاحدهما على الآخر كشك الانسان في الغيم غير المسف انه يكون منه المطر أم لا اه وقيل هو الوقوف بين النقيضين من شك العود فيما ينفذ فيه لانه يقف بذلك الشك بين جهتيه وقيل هو وقوف بين المعنى ونقيضه وقيل هو المتردد بين النقيضين لا ترجيح لاحدهما عند الشاك وقال الراغب في مفرداته هو اعتدال النقيضين عند الانسان وتساويهما قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عنده في النقيضين أو لعدم الامارة والشك ربما كان في الشئ هل هو موجود أم لا وربما كان في جنسه من أي جنس هو وربما كان في صفة من صفاته وربما كان في الغرض الذي لاجله وجد ثم قال والشك ضرب من الجهل وهو أخص منه لان الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأسا فكل شك جهل ولا عكس والشك خرق الشئ وكأنه بحيث لا يجد الرأي مستقرا يثبت فيه ويعتمد عليه ولذلك يعدى بفي ويجوز كونه مستعارا من الشك وهو لصوق العضد بالجنب وذلك ان يتلاصق النقيضان فلا مدخل للرأي والفهم لتخلل ما بينهما ويشهد له قولهم التبس الامر واختلط وأشكل ونحو ذلك من الاستعارات (الثاني أن تميل نفسك الى أحد الامرين) اما التصديق واما التكذيب (مع الشعور) أي العلم (بامكان) وجود (نقيضه) أي رافعه (ولكنه امكان لا يمنع ترجيح) الامر (الاول) ومثاله (كما اذا سئلت عن) حال (رجل) معين (تعرفه بالصلاح والتقوى) وغير ذلك من أعمال البر (انه بعينه لو مات على هذه الحالة) التي أنت تعرفها فيه (هل يعاقب) أم لا (فان نفسك تميل الى انه لا يعاقب أكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح) وأماراته (ومع هذا فأنت تجوز اختفاء أمر يوجب العقاب في باطنه وسريرته) أي تجعل ذلك جائزا في نفسك لان الامارات انما يستدل بها على الظواهر (وهذا التجويز مساو لذلك الميل) أي قد سبق له (ولكنه غير دافع رجحانه) على الطرف الثاني (فهذه الحالة تسمى ظنا) ومثله صاحب اللمع بقوله كظن الانسان في الغيم المسف الثخين انه سيجيء منه المطر وان جوز انه ينقشع من غير مطر وكاعتقاد المجتهدين فيما يفتون به من مسائل الخلاف وان جوزان يكون الامر بخلاف ذلك وغير ذلك مما لا يقطع به اه وقال السمين الظن ترجح أحد الطرفين نفيا واثباتا وقد يعبر به عن اليقين والعلم كما يعبر بالعلم عنه مجازا وقال غيره الظن الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ويستعمل في اليقين والشك وقال الراغب الظن ما يحصل عن أمارة فاذا قويت أدت الى العلم ومتى ضعفت لم تتجاوز حد الوهم وقال بعضهم انما جاز استعمال كل من الظن والعلم في موضع الآخر لعلاقة ان كلا منهما فيه رجحان أحد الطرفين اما جزما وهو العلم أو وهما وهو الظن فمن استعمال العلم بمعنى الظن قوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات ليس الوقوف على الاعتقادات يقينا ومن استعمال العكس قوله الذين يظنون انهم ملاقو ربهم أي يتيقنون اذ لا يناسب حالهم وصفهم بظن ذلك حقيقة ولو شكوا في ذلك لم يكونوا موقنين فضلا عن ان يمدحوا بهذا المدح وكذا قوله تعالى قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله الآية وكذا قوله تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها واستدل الجوهري بقول أبي سدرة الهجيمي

تحسب هواس وأيقن انني * بها مفتد من واحد لا اغامره

يقول تشمم الاسد ناقتي يظن انني أفتدي بها منه واستحمي نفسي فاتركها له ولا اقتحم المهالك بمقاتلته واستدل غيره بقول دريد بن الصمة

فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج * سراتهم في الفارسي المسرد

أي أيقنوا بهذا العدد فان المقام يقتضي ذلك وأبى ذلك طائفة وقالوا لا يكون اليقين الا للعلم وأما الظن فنهم من وافق على انه يكون بمعنى العلم ومنهم من قال لا يكون الظن في موضع اليقين وأجابوا عما احتج به من جوز ذلك بان قالوا هذه المواضع التي زعمتم ان الظن وقع فيها موضع اليقين كلها على بابها فانا لم نجد ذلك الا في علم بمغيب ولم نجدهم يقولون لمن رأى الشئ ولا لمن ذاقه أظنه وانما يقال لغائب قد عرف بالظن

الثاني أن تميل نفسك الى أحد الامرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه امكان لا يمنع ترجيح الاول كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل الى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فانت تجوز اختفاء أمر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا

الثالث أن تميل النفس الى التصديق بشئ بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة اذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والاصغاء الى التشكيك والتجويز لاتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها اذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها واصابة امامها ومتبوعها ولو ذكر لاحدهم امكان خطأ امامه نفر عن قبوله الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فاذا امتنع وجود الشك وامكانه يسمى يقينا عند هؤلاء ومثاله أنه اذا قيل للعاقل هل في الوجود شئ هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لان القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شئ قديم أوليا ضروريا مثل العلم بان الاثنين أكثر من الواحد بل مثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا أيضا ضروري فحق غريزة العقل ان تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقا جازما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو ان يقال له ان لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فان كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال فالمؤدي الى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شئ قديم بالضرورة لان الاقسام ثلاثة وهي أن تكون الموجودات كلها قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديمة وبعضها حادثة فان كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم وان كان الكل حادثا فهو محال اذ يؤدي الى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثالث أو الاول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا عند هؤلاء سواء حصل بنظر مثل

والعلم فاذا صار الى المشاهدة امتنع اطلاق الظن عليه قالوا وبين العيان والخبر مرتبة متوسطة باعتبارها أوقع على العلم بالغائب الظن لفقد الحال التي تحصل المدركة بالمشاهدة وعلى هذا خرجت سائر الادلة التي ذكرت وفي ابداء الجواب عن كل آية تقدمت وتقريرها اطول يخرجنا عن المقصود ولذا وقع الاكتفاء بما ذكرت (الثالث ان تميل النفس الى التصديق بشئ بحيث يغلب عليها) أي ذلك التصديق على النفس ويغمرها (ولا يخطر بالبال غيره) أي غير ذلك المعنى الذي حصل للنفس وفي نسخة نقيضه بدل غيره (ولو) فرض انه (خطر بالبال) نقيضه (تأبى) أي تمتنع (النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة تحقيق) وفي نسخة عن معرفة محققة (اذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل و) أعار اذن فهمه الى (الاصغاء الى التشكيك والتجويز) وهما المقامان الاولان (اتسعت نفسه للتجويز) أي مالت اليه وانشرحت له (وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين) لانه قد عقد قلبه عليه وأثبته في نفسه (وهو اعتقاد العوام) من الامة (في الشرعيات كلها اذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع) من أفواه الشيوخ (حتى ان كل فرقة) من فرق المذاهب على كثرتها (يثق بصحة مذهبه) ويعتمد عليه (واصابة امامه) الذي قلده (و) اصابة (متبوعه واذا ذكر له) وفي نسخة لاحدهم (امكان خطأ امامه نفر عن قبوله) واستبعده الى الغاية (الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان) والاستدلال (الذي لا شك فيه) في حد ذاته (ولا يتصور الشك فيه) وفي نسخة التشكيك بدل الشك (فاذا امتنع وجود الشك وامكانه يسمى يقينا عند هؤلاء) أي النظار والمتكلمين (ومثاله اذا قيل للعاقل هل في الوجود شئ هو قديم فلا يمكنه) اذا (التصديق به) أي بهذا القول (بالبديهة) والارتجال (لان القديم غير محسوس) بالابصار (لا كالشمس والقمر) وغيرهما من الكواكب (فانه يصدق بوجودهما بالحس) والمشاهدة (وليس العلم بوجود شئ قديم أوليا ضروريا) وفي نسخة أزليا ضروريا أي ليس العلم به يدرك باول وهلة من غير برهان (مثل العلم بان الاثنين أكثر من الواحد) فانه ضروري لا محالة (بل مثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا أيضا ضروري) لا يحتاج الى النظر فيه وفي نسخة ومثل العلم بدل بل مثل العلم (فمن غريزة العقل ان يتوقف عن) قبول (التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة) ويتطلع الى النظر في البرهان (ثم من الناس من يسمع ذلك) من الافواه والكتب (ويصدق بالسماع تصديقا جازما) قاطعا عن الشبهات (ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد) كأنه عقد قلبه عليه ولم يعل الى سواه (وهو حال جميع العوام) من الامة (ومن الناس من يصدق به بالبرهان) والنظر فيه (وهو ان يقال له ان لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة) لا محالة (وان كانت كلها حادثة فهي) كلها (حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك) أي حدوث الكل أو البعض بلا سبب (محال فالمؤدي الى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شئ قديم بالضرورة) نظرا الى ما ذكر (لان الاقسام ثلاثة وهو) اما (ان تكون الموجودات كلها قديمة أو) تكون (كلها حادثة أو بعضها قديمة وبعضها حادثة فان كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم) لان السؤال انما كان عن شئ هو قديم في الوجود (وان كان الكل حادثا) وهو الشق الثاني (فهو محال اذ يؤدي الى حدوث بغير سبب) وما يؤدي الى المحال محال (فيثبت القسم الثالث) وهو ان بعضها قديمة وبعضها حادثة (أو) القسم (الاول) الذي يفهم منه ثبوت القديم في الجملة (وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا) عند هؤلاء (سواء حصل) ذلك العلم (بنظر) واستدلال (مثل

ماذ كرناه أوحصل بحس) كالعلم بالشمس والقمر مثلا (أو بغريزة العقل) وبجبلته (كالعلم باستحالة حادث بلاسبب أو) حصل (بتواتر) وتتابع (كالعلم بوجود مكة) مثلا (أو) حصل (بتجربة صحيحة (كالعلم بأن المطبوخ) هو كل دواء طبخ لقصد الاسهال (مسهل) ولو قال السقمونيا بدل المطبوخ كان أظهر (أو) صح (بدليل) وبرهان (كماذ كرنا) آنفا (فشرط اطلاق الاسم عندهم عدم) وجود (الشك) فيه بأى وجه كان (فكل علم لاشك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء) ولذا عرفوه بانه اعتقاد الشئ بانه كذا مع اعتقاد انه لايمكن الا كذا مطابق للواقع غير ممكن للزوال فالقيد الاول جنس يشمل الظن والثانى يخرجه والثالث يخرج الجهل المركب والرابع يخرج اعتقاد المقلد المصيب (وعلى هذا لايوصف اليقين بالضعف) والنقص والفتور والقلة (اذ لاتفاوت فى نفى الشك) وقسم صاحب القوت مقامات اليقين الى ثلاثة فقال بعد ان ذكر المقامين والمقام الثالث من اليقين هو يقين ظن يقوى بدلائل العلم والخبر وأقوال العلماء ويجد هؤلاء المزيد من الله عز وجل والنصيب منه لهم ويضعف بفقد الادلة وصمت القائلين وهذا يقين الاستدلال وعلوم هـذا فى المعقول وهو يقين المتكلمين من علوم المسلمين من أهل الرأى وعلوم القياس والعقل والنظر اه وهذا السياق ظاهره دال على قبوله الضعف والقوة على رأى المتكلمين أيضا ولكن ماحرره المصنف هو الاقوى فتأمل (الاصطلاح الثانى) فى اليقين (للفقهاء) عامة (والمتصوفة وأكثر العلماء) رحمهم الله تعالى (وهو) أى اليقين (ان لايلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك) المتقدم ذكرهما (بل الى استيلائه وغلبته على القلب) حتى يغمره على سائر جهاته (حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لايشك فيه) بانه واقع لامحالة (ويقال فلان قوى اليقين) مع الله (فى اتيان الرزق) وحصوله (مع انه قد يجوز) فى نفسه (انه لايأتيه فهما مالت النفس الى التصديق بشئ وغلب ذلك على القلب واستولى) عليه (حتى صار هو المتحكم المتصرف فى النفس بالتجويز والمنع) كما هو شأن المستولى (سمى ذلك يقينا) وقد أشارت الى ذلك المعنى عباراتهم فقال سيد الطائفة الجنيد هو استقرار العلم الذى لاينقلب ولايتحول ولايتغير فى القلب وقال سهل حرام على قلب ان يشم رائحة اليقين وفيه سكون الى غير الله وقال غيره من علامات اليقين الالتفات الى الله فى كل نازلة والرجوع اليه فى كل أمر والاستعانة به فى كل حال وارادة وجهه بكل حركة وسكون وقال القشيرى قال الجنيد سئل بعض العلماء عن التوحيد فقال هو اليقين فقال السائل بين لى ماهو فقال هو معرفتك ان حركات الخلق وسكونهم فعل الله تعالى وحده لاشريك له فاذا عرفت ذلك فقد وحدته قال شارح الرسالة أجاب أولا بانه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله لاشريك له فلما لم يفهم نزل له قليلا نزل الى الافعال خاصة وكلمه على حسب فهمه وخاطبه بالافعال دون الذات والصفات اه وقال السرى اليقين سكونك عند جولان المراد فى صدرك لتيقنك ان حركتك فيها لاتنفعك ولاترد عنك مقضيا قال ابن القيم عند ذكره لقول السرى هذا الم تكن الحركة مأمورابها فاذا كانت مأمورابها فاليقين فى بذل الجهد فيها واستفراغ الوسع وقال بعضهم هو رؤية العيان بقوة الايمان لابالحجة والبرهان وقيل مشاهدة الغيوب بصفات القلوب وملاحظة الاسرار بمخالطة الاذكار وقيل اذا استكمل المرء حقيقة اليقين صار البلاء عنده نعمة والمحنة منحة وقال تعالى ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال ابن مسعود هو العبد تصيبه المصيبة فيعلم انها من الله فيرضى ويسلم فهـذا لم يحصل له هداية القلب والرضا والتسليم الا بيقينه (ولاشك فى أن الناس مشتركون فى القطع بالموت) بانه حق وواقع (والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من يلتفت اليه والى الاستعداد له) أى لنزوله (وكأنه غير مؤمن به) أى غير مصدق به وهم المنهمكون على لذات الدنيا والمؤثرون بشهواتها على لذات الآخرة (ومنهم من استولى ذلك) أى ذكره (على قلبه حتى استغرق همه) وتوجهت عنايته (بالاستعداد له) بأنواع الطاعات (ولم يغادر) أى لم يترك (فيه متسعا لغيره) كما هو معلوم من سيرة فضلاء

ماذ كرناه أوحصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلاسبب أو بتواتر كالعلم بوجود مكة أو بتجربة كالعلم بان السقمونيا المطبوخ مسهل أو بدليل كماذ كرنا فشرط اطلاق هذا الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لاشك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء وعلى هذا لايوصف اليقين بالضعف اذ لاتفاوت فى نفى الشك (الاصطلاح الثانى) اصطلاح الفقهاء والمتصوفة وأكثر العلماء وهو أن لايلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لاشك فيه ويقال فلان قوى اليقين فى اتيان الرزق مع انه قد يجوز أنه لايأتيه فهما مالت النفس الى التصديق بشئ وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف فى النفس بالتجويز والمنع سمى ذلك يقينا ولاشك فى ان الناس مشتركون فى القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لايلتفت اليه ولا الى الاستعداد له وكأنه غير موقن به ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره

الصحابة وأكابر التابعين ومن بعدهم طبقة بعد طبقة وجيلا بعد جيل يعلم ذلك من شاهد سيرتهم وسير مناقبهم المسطرة فى الكتب (فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين) ومن عداهم متصف بضعف اليقين (ولذلك قال بعضهم) أى من العلماء العارفين (ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت) وهذا القول مشهور عن المصنف نسبه اليه غير واحد من العلماء قال ملا على فى شرحه على الشمائل قال الغزالى ما رأيت يقينا أشبه بالشك من الموت والصحيح ان المصنف ناقل لهذا القول وليس أبا عذره وقد فسر غالب المفسرين قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين بالموت وهو معنى صحيح ذكره أئمة اللغة ومال كثيرون الى انه اطلاق حقيقى وصوب بعضهم انه مجازى من تسمية الشئ بما يتعلق به حققه شيخنا فى حاشية القاموس وهذا التفسير الذى ذكرناه متفق عليه عند المفسرين خلافا للزنادقة فانهم قالوا ان العبد اذا وصل الى مقام حقيقته ارتفعت عنه العبادة وهذا تلبيس وافتراء منهم على أهل الله العارفين ثم ان المراد بمفاد الآية الكريمة ان دم على طاعة ربك كما حققه غير واحد (وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة) وقال صاحب القوت واليقين على ثلاث مقامات يقين معاينة وهذا لا يختلف خبره والعالم به خبير وهو للصديقين والشهداء ويقين تصديق واستسلام وهذا فى الخبر والعالم به مخبر مستسلم وهذا يقين المؤمنين وهم الابرار منهم الصالحون ومنهم دون ذلك لقوله عز وجل وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقد يضعف هؤلاء بعدم الاسباب ونقصان المعتاد ويقوون بوجودها وجريان العادة ويحجبون بنظرهم الى الوسائط ويكاشفون بها ويجعل مزيدهم وأنسهم بالخلق ويكون نقصهم ووحشتهم بفقدهم ويكون من هؤلاء الاختلاف لتلون الاشياء وتغييرها عليهم ثم ذكر المقام الثالث الذى قدمنا ذكره آنفا ثم قال بعد ذلك وكل مؤمن بالله عز وجل فهو على علم من التوحيد والمعرفة به ولكن علمه ومعرفته على قدر يقينه ويقينه من نحو صفاء ايمانه وقوته وايمانه على معنى معاملته ورعايته فأعلى العلوم علم المشاهدة عن عين اليقين وهذا مخصوص بالمقربين فى مقامات قربهم ومحادثات مجالستهم ومأوى أنسهم ولطيف تملقهم وأدنى العلوم علم التسليم والقبول بعدم الانكار وفقد السكون وهذا العموم المؤمنين وهو من علم الايمان ومزيد التصديق وهذا لاصحاب اليمين وبين هذين مقامات لطيفات من أعلى طبقات المقربين الى أوسط المقامات ومن أدنى طبقات أصحاب اليمين الى أعالى أواسط الاعلين اهـ سياق القوت وهنا فوائد يحتاج الى التنبيه عليها وهو الفرق بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وما للقوم فيه من العبارات قال القشيرى فى رسالته هذه عبارات عن علوم جلية فاليقين هو العلم الذى لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف فعلم اليقين هو اليقين وكذلك عين اليقين نفس اليقين وحق اليقين نفس اليقين فعلم اليقين على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان وعين اليقين ما كان بحكم البيان وحق اليقين ما كان بنعت العيان فعلم اليقين لارباب العقول وعين اليقين لاصحاب العلوم وحق اليقين لاصحاب المعارف قال شارحها اليقين عند أهل اللغة توالى العلم بالمعلوم حتى لا يكاد يغفل عنه يقال أيقن الماء اذا صفا من كدورته وما يخالطه مما ينجر مع الماء فاذا استقر فى مفيضه واستقر قراره وصفا يقال أيقن الماء فتبين من هذا أن العلم فى الاصطلاح يباين اليقين وذلك أن الشخص قد يعلم مرة واحدة فلا يسمونه موقنا الا اذا توالى ولم يتخلله غفلة فاذا تقرر ذلك قلنا فعلم اليقين ما كان العلم به ثابتا عن البرهان فسمى علم يقين لتحقيق كونه علما لانه قد يسمى الظن علما للسكون الى أحد المحتملين فاذا قالوا علم اليقين أرادوا العلم المتيقن الذى لا يقبل الاحتمال ولذلك كان بشرط البرهان وعين اليقين حصول العلم وتوالى أمثاله من غير نظر فى دليل بل صار العلم مذكورا وقلت الغفلات فى تواليه على القلب فلم يحتج صاحبه الى تأمل برهان وحق اليقين هو حصول اليقين بالمعلوم الذى صار غالبا على القلب حتى لا يبقى لغيره ذكر منه وبهذا الاعتبار سموه حق اليقين

فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة

لثبوت

لثبوت الحقيقة لمن تحقق به فحاصل ماذكران علم اليقين اشارة للعلم الحق الذى لايقبل الاحتمال وان لم يتوال على القلب وعين اليقين هو المتوالى على القلب ذكره حتى قلت غفلات المتصف به عنه وان كان قد يذكر غيره وحق اليقين هو الذى غلب ذكر معلومه على القلب حتى شغل عن غيره وثبتت حقيقته فمن تحقق به وهذه الاصطلاحات الثلاثة فى مراتب العلم الحق وانما اختلفت فى دوامها وعدم دوامها وفى غلبتها على القلب حتى شغلته عن ذكر غيره اه وفى عبارات بعضهم علم اليقين ما أعطاه الدليل بتصور الامر على ماهو عليه وعين اليقين ما أعطته المشاهدة والكشف وحق اليقين ماحصل من العلم بما أريد له ذلك الشهود وقال غيره حق اليقين فناء العبد فى الحق والبقاء به علما وشهودا فعلم كل عاقل بالموت علم يقين فاذا عاين الملائكة فعين يقين فاذا فارق الروح فهو حق اليقين وقال صاحب القوت المعرفة على مقامين معرفة سمع ومعرفة عيان فمعرفة السمع فى الاسلام وهوانهم سمعوابه فعرفوه وهذا هو التصديق من الايمان ومعرفة العيان فى المشاهدة وهو عين اليقين والمشاهدة أيضا على مقامين مشاهدة الاستدلال ومشاهدة الدليل فشاهدة الاستدلال قبل المعرفة وهذه معرفة الخبر وهو فى السمع لسانها القول والواجد بها واجد بعلم علم اليقين من قوله تعالى بنبأ يقين انى وجدت فهذا العلم قبل الوجد وهو علم السمع وقد يكون سببه التعليم ومنه الحديث تعلموا اليقين أى جالسوهم فاسمعوا منهم وأما مشاهدة الدليل فهى بعد المعرفة التى هى العيان وهو اليقين لسانه الوجد والواجد بها واجد قرب وبعد هذا الوجد علم من عين اليقين وهذا يتولاه الله تعالى بنوره عن يده بقدرته ومنه الحديث فوجدت بردها فعلمت فهذا التعليم بعد الوجد من عين اليقين باليقين وهذا من أعمال القلوب وهؤلاء علماء الآخرة وأهل الملكوت وأرباب القلوب وهم المقربون من أصحاب اليمين وعلم الظاهر من علم الملك وهو من أعمال اللسان والعلماء به موصوفون بالدنيا وصالحوهم أصحاب اليمين اه وهذا كله الذى ذكرناه لك كالمقدمة لما سيأتى فى سياق المصنف بعد قال (ونحن أردنا بقولنا ان من شأن علماء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين باقسام فى المعنيين جميعا وهو نفى الشك) والريب والتردد عن القلب أولا وهو أول المعنيين (ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب) المستولى عليه (وهو المتصرف) والمتحكم فيه دون غيره فلا يصدر منه الا بشاهد منه ولا يعرض له شئ الا وهو دافعه عنه (واذا فهمت هذا) القدر (علمت أن المراد من قولنا اذا قلنا ان اليقين ينقسم) باعتبار مايعتريه (الى ثلاثة أقسام بالقوة والضعف) هذا هو القسم الاول (والقلة والكثرة) وهو القسم الثانى (والخفاء والجلاء) وهو القسم الثالث (فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثانى) وهو اصطلاح الفقهاء والصوفية (وذلك فى الغلبة والاستيلاء على القلب) حتى يغمره (ودرجات اليقين فى القوة والضعف لاتتناهى) باختلاف الاسباب والمعتاد (وتفاوت الخلق فى استعدادهم للموت) بالقوة والضعف (بحسب تفاوت اليقين بهذه المعانى) على ماتقدم ذكره (وأما التفاوت) فيه (بالخفاء والجلاء فلا ينكر أيضا) فقد يكون خفيا بحجاب صاحبه والالتفات الى الانس بالخلق وقد يكون جليا بزوال ذلك عنه (أما فيما يتطرق اليه التجويز) وهو المقام الثانى من الاصطلاح الاول (فلا ينكر أعنى الاصطلاح الثانى) للصوفية (وفيما انتفى الشك عنه) وهو المقام الثالث من الاصطلاح الاول (أيضا لاسبيل الى انكاره فانك تدرك) فى نفسك (تفرقة بين تصديقك بوجود مكة) شرفها الله تعالى (ووجود فدك مثلا) وهى قرية من قرى خيبر (وبين تصديقك بوجود موسى صلى الله) على نبينا و (عليه وسلم ووجود يوشع) فتاه عليه السلام (مع انك لاتشك فى الامرين جميعا) أى فى مكة وفدك وموسى ويوشع عليهما السلام (اذ مستندهما) واحد وهو (التواتر) أى تتابع الاخبار (ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح فى قلبك من الثانى) ضرورة (لان السبب فى أحدهما أقوى) من الثانى (وهو كثرة المخبرين) عن مكة وموسى

ونحن انما أردنا بقولنا ان من شأن علماء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفى الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم عليها المتصرف فيها فاذا فهمت هذا علمت ان المراد من قولنا ان اليقين ينقسم ثلاثة أقسام بالقوة والضعف والكثرة والقلة والخفاء والجلاء فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثانى وذلك فى الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات معانى اليقين فى القوة والضعف لاتتناهى وتفاوت الخلق فى الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعانى وأما التفاوت بالخفاء والجلاء فى الاصطلاح الاول فلا ينكر أيضا أما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر أعنى الاصطلاح الثانى وفيما انتفى الشك أيضا عنه لاسبيل الى انكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع انك لاتشك فى الامرين جميعا اذ مستندهما جميعا التواتر ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح فى قلبك من الثانى لان السبب فى أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين

وكذلك يدرك الناظر هذا فى النظريات المعروفة بالادلة فانه ليس وضوح مالاح له بدليل واحد كوضوح مالاح له بالادلة الكثيرة مع تساويهما فى نفى الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذى يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الاحوال وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان أكثر علما من فلان أى معلوماته أكثر ولذلك قد يكون العالم قوى اليقين فى جميع ماورد الشرع به وقد يكون قوى اليقين فى بعضه (فان قلت) قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفى الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فانى مالم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه * فاعلم أن جميع ما ورد به الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله الى آخره هو من مجارى اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات التى وردت بها الشرائع فلا مطمع فى احصائها ولكنى أشير الى بعضها وهى أمهاتها فمن ذلك التوحيد وهو أن يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا موقن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد المعنيين فان غلب على قلبه مع الايمان غلبة أزالت عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط فى قلبه منزلة القلم واليد فى حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثانى وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهى مسخرات بأمره حسب تسخير القلم فى يد الكاتب وان القدرة الازلية هى المصدر للكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم

(وكذلك يدرك الناظر هذا فى النظريات) التى هى (المعلومة بالادلة) أى بالنظر فيها (فانه ليس وضوح مالاح له بدليل واحد) فقط (كوضوح مالاح له بأدلة كثيرة مع تساويهما فى نفى الشك وهذا) ظاهر لاغبار عليه ولكن (قد ينكره المتكلم الذى يأخذ العلم من الكتب والسماع) ويدفعه فى تقريره (ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الاحوال) ولو راجع نفسه لسلم (وأما القلة والكثرة فذلك) لا ينكر أيضا لانه يكون (بكثرة متعلقات اليقين) وبقلتها ومتعلقاته يأتى بيانها قريبا فقد يعرض لصاحبه التلون بالاختلاف فيكون سببا لقلته وقد يقوى فى المتعلقات فيكون أكثر (كما يقال فلان اعلم أى (أكثر علما من فلان أى معلوماته أكثر) فكذلك متعلقات اليقين كلما ازدادت اتصف صاحبه بالاكثرية (فلذلك قد يكون العالم قوى اليقين فى جميع ماورد الشرع به) من الاوامر والمنهيات وقد يكون ضعيف اليقين فى جميعه (وقد يكون قوى اليقين فى بعضه) ضعيفه فى بعضه (فان قلت فقد فهمت اليقين) وأقسامه الثلاثة (و) هى (قوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاؤه وخفاؤه) وما اصطلحوا عليه فى اطلاقاتهم (بمعنى نفى الشك) والتردد (وبمعنى الاستيلاء على القلب) وقد ذكرت فى بيان قسمه الثالث ان قلته وكثرته بالنظر الى المتعلقات (فما متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فانى مالم أعرف) وفى نسخة متى لم أعرف (ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه) والجهد فى تحصيله (فاعلم أن جميع ماورد به الانبياء عليهم) الصلاة و(السلام) فى شرائعهم (من أوله الى آخره) من الاوامر والنواهى (هو من مجارى اليقين) ومتعلقاته (فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة) وهو الذى لا يتداخل صاحبه ريب ولا يقبل الاحتمال (ومتعلقه المعلومات التى وردت بها الشرائع) على كثرتها (فلا مطمع فى احصائها) فى الصحائف على حسب الاستقراء (ولكن أشير الى بعض أمهاتها) أى أصولها (فمن ذلك التوحيد) وهو من أمهات الشرائع التى اتفقت فيها الملل (وهو) أى اليقين فيه (أن يرى الاشياء كلها من) الله تعالى وحده لا شريك له (مسبب الاسباب) أى جاعل الاسباب سببا (و) من علامة هذه الرؤية أن (لا يلتفت الى الوسائط) الظاهرة (بل يرى الوسائط مسخرة) مذللة (لا حكم لها) فى الحقيقة واليه يشير كلام الجنيد وغيره من العارفين فيما تقدم (فالمصدق بها موقن) أى متصف بصفة اليقين (فان انتفى من قلبه مع الايمان امكان الشك) والتردد (فهو موقن باحد المعنيين) المتقدم ذكرهما (وان غلب) ذلك (على قلبه غلبة) قوية بحيث (أزال منه الغضب على الوسائط) اذا تأخرت عن التسخير (والرضا عنهم والشكر لهم) اذا جرت على خدمته (ونزل الوسائط فى قلبه منزلة القلم) للكاتب (و) منزلة (اليد فى حق المنعم بالتوقيع) وهو أثر الكتابة فى الكتاب (فانه لا يشكر القلم ولا اليد) ان أحسن اليه بسببهما (ولا يغضب عليهما) ان لم يحسن اليه (بل يراهما آلتين وواسطتين) فاذا انصبغ بهذا المقام (فقد صار موقنا بالمعنى الثانى) من المعنيين (وهذا) المقام (هو الاشرف) فى مقامات اليقين (وهو ثمرة اليقين الاول) وخلاصته (وروحه وفائدته) وقوامه (ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم و) كذلك (الجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق) لله تعالى (فهى مسخرات) مذللات (بامره) حسب تسخير القلم فى يد الكاتب وان القدرة الازلية هى المصدر للكل) منها بدت واليها تعود (استولى عليه) نور مقامات اليقين (التوكل والرضا والتسليم) وهذه الثلاثة من مقامات اليقين التسعة على

وصار موقنا يأمن الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا أحد أبواب اليقين * ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واليقين بان ذلك يأتيه وان ما قدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على مافاته وأثمر هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك أن يغلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك فكما يحرص على التحصيل للخبز طلبا للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجتنب المعاصي قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها فاليقين بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المؤمنين أما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والتحرز عن كل السيئات وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمر أبلغ * ومن ذلك اليقين بان الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك وأما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته أن يكون الانسان في خلوته متأدبا في جميع أحواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا متأدبا في جميع أعماله متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الادب

ما يأتي بيانها في مواضعها (وصار يأمن الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق) وغيرهما من الاخلاق المذمومة (فهذا أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة) أي الوثوق (بضمان الله سبحانه وتعالى بالرزق) أي انه ضامن وكفيل بايصال الرزق اليه (في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) فيتحقق انه دابة من جملة الدواب بالمعنى اللغوي (واليقين) فيه (بأن ذلك يأتيه) ألبتة (وان ما قدر له) في الازل (يساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه) واستولاه (كان مجملا في الطلب) أي كان طلبه في الرزق بطريق جميل ومنه الحديث فأجملوا في الطلب (ولم يشتد حرصه وشرهه) وهو أشد الطمع (وتأسفه) أي تحزنه (على مافاته) من رزق معلوم (وأثمر هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات) والعبادات (والاخلاق الحميدة) والاوصاف الزكية (ومن ذلك) أي من ثمرات اليقين (أن يغلب على قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك) فانه يتسبب منها ذلك (وكما يحرص) ويدأب (على تحصيل الخبز طالب الشبع فيحفظ قليله وكثيره) بمباشرة أنواع الاسباب (فكذلك) ينبغي أن (يحرص على الطاعات قليلها وكثيرها) فانها متسببة له الى حصول الثواب (وكما يجتنب قليل السم وكثيره فكذلك يجتنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها) فانها سميات (واليقين بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المؤمنين) وهم الابرار منهم الصالحون ومنهم دون ذلك (أما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون) من أصحاب اليمين وهؤلاء هم علماء الآخرة وأهل الملكوت وأرباب القلوب (وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة) أي الصدق في المراقبة مع الله تعالى (في) كل من (الحركات والسكنات والخطرات) مما تخطر على القلب وهي الواردات (والمبالغة في) تحصيل (التقوى) بتوثيق عرى أسبابها (و) كمال (الاحتراز) والامتناع (عن) التحوم حول حمى (السيآت) والبعد عما يقرب اليها (كلما كان اليقين) في ذلك (أغلب كان الاحتراز) مما ذكر (أشد) وأعظم (والتشمر) والتهيئة (أبلغ) وبين أغلب وأبلغ جناس (ومن ذلك اليقين بان الله) عز وجل (مطلع عليك في كل حال) ومراقب (ومشاهد لهواجس ضميرك) أي مما يخطر به من الواردات (وخفايا خواطرك وفكرك) مما ينتقش فيها من خير وشر (فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك) والتردد في ذلك (وأما بالمعنى الثاني وهو المقصود) بالذات (فهو عزيز) الوجود واليه الاشارة في الحديث أقل ما أوتيتم اليقين (يختص به الصديقون) والشهداء ويسمى يقين معاينة والعالم به خبير كما تقدمت الاشارة اليه عن القوت (وثمرته أن يكون الانسان في) حال (خلوته) أي اختلائه عن أعين الناس (متأدبا في جميع أحواله) بالآداب الشرعية (كالجالس بمشهد) أي بمحضر (من ملك عظيم ينظر اليه) ويرمق أحواله في حركاته وسكناته (فلا يزال مطرقا) خافضا بصره الى الارض (متأدبا متمسكا) كذا في النسخ أي لبعضه ولو كان بزيادة النون بعد الكاف ناسب السياق ويؤيد ما في النسخ قوله بعد (محترزا عن كل هيئة تخالف الادب) ومن جملة الحركات التي تخالف هيئات الادب ادارة البصر وتكريره الى نحو السقف والحيطان والتلاعب بثيابه أو بملبوسه أو بشيء موضوع عنده والجلوس متربعا والى غير القبلة وتمديد الرجل لغير علة والاتكاء لغير حاجة والتغني بأبيات وهذه وغيرها هيئات تخالف الادب في الظاهر وأما باطنا فاستعمال الفكر وتسريحه

و يكون فى فكرته الباطنة كهو فى أعماله الظاهرة اذ يتحقق ان الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته فى عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكالئة أشد من مبالغته فى تزيين ظاهره لسائر الناس وهذا المقام فى اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق المحمودة وهذه الاخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة فاليقين فى كل باب من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق فى القلب مثل الاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار وكالانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاصل والاساس وله مجار وأبواب أكثر مما عددناه وسيأتى ذلك فى ربع المنجيات ان شاء الله تعالى وهذا القدر كاف فى معنى اللفظ الآن ومنها أن يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الاوكان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله

من موضع الى موضع و وقوفه على محل الشهوة والتأمل فى محاسن ما تميل نفسه اليه ونسيان الذكر والموت والقبر وما يؤل الحال اليه فى الحشر والنشر فهذه كلها مما يتعلق بالباطن ولذلك قال (ويكون فى فكرته الباطنة كهو فى أعماله الظاهرة) أى تكون أعماله الظاهرة مساوية لاعماله الباطنة فى صدق الاخلاص والخضوع للمولى بحيث لا يميز أحدهما عن الآخر (اذ تحقق) وفى نسخة اذ يتحقق (ان الله تعالى مطلع على سريرته) وباطنه (كما يطلع الخلق على ظاهره) فاذا علم ذلك (فتكون مبالغته فى عمارة باطنه وتطهيره) من الارجاس والادناس (والتزين لعين الله سبحانه الكالئة) أى الحافظة له (أشد مبالغة فى تزين ظاهره لسائر الناس) ومتى وصل هذا المقام ذاق ثمرة مقام الاحسان الذى ورد فيه فان لم تكن تراه فانه يراك وللسادة الصوفية فى هذا المقام تقريرات شريفة كل منهم فيه قال وجال فى المجال بحسب ما أفاض عليه المولى المتعال (وهذا المقام فى اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الاخلاق الجيدة) والاوصاف الجميلة (وهذه الاخلاق) اذا ثبت فيها وتمكن (تورث أنواعا من الطاعات رفيعة) المقدار جليلة الاعتبار (فاليقين فى كل باب من هذه الابواب) المذكورة مثله (مثل الشجرة) العظيمة الكثيرة الغصون وهى المرتبة الاولى (وهذه الاخلاق فى القلب مثل الاغصان المتفرعة منها) وهى المرتبة الثانية (وهذه الاعمال) الصالحة (والطاعات المقبولة) (الصادرة من الاخلاق كالثمار والانوار المتفرعة من الاغصان) وهى المرتبة الثالثة (فاليقين هو الاساس والاصل) والاعمال والاخلاق والاوصاف كلها من لواحقه ومنشآته وقد تقدم عن القوت بيان مقامات اليقين الثلاثة وانه قال بعد ذلك اذ كل موقن بالله فهو على علم من التوحيد والمعرفة به ولكن علمه ومعرفته على قدر يقينه و يقينه من نحو صفاء ايمانه وقوته وايمانه على معنى معاملته ورعايته فأعلى العلوم علم المشاهدة عن عين اليقين وقال أيضا ومثل المشاهدة من المعرفة من اليقين من الايمان كمثل النشا من الدقيق من السويق من الحنطة والحنطة تجمع ذلك كله كذلك الايمان أصل ذلك والمشاهدة أعلى فروعه كالحنطة أصل هذه المعانى والنشا أعلى فروعها فهذه المقامات موجودة فى أنوار الايمان عدها علم اليقين (وله مجار وأبواب أكثر مما عددنا) هنا (وسيأتى فى ربع المنجيات ان شاء الله تعالى) ونلم هنالك على تحقيقات بحول الله وقوته اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا فسهل يا كريم (وهذا القدر) الذى ذكرناه (كاف فى تفهيم معنى اللفظ الآن) لانه انما ذكره استطرادا (ومنها) أى ومن علامات علماء الآخرة (أن يكون) فى نفسه فى أكثر أحواله (حزينا) فقد أخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال اذا لم يكن فى القلب حزن خرب كما اذا لم يكن فى البيت ساكن خرب اه (منكسرا) والانكسار من علامة الحزن (مطرقا) أى جاعلا رأسه ونظره الى الارض (صامتا) أى ساكتا سكوت تفكر فى عظمة الله وجلاله ولا يضره الكلام اذا احتاج اليه أو لضرورة خاصة وأخرج أبو نعيم من رواية عمرو بن محمد بن أبى رزين قال سمعت وهيبا يقول ان العبد ليصمت فيجتمع له لبه (يظهر أثر الخشية) والخوف (على هيئته) الظاهرة (وكسوته) بان لا تكون من ثياب الشهرة ولا رفيعة الاثمان ولا من دق الثياب فان كل ذلك ليست من ثياب علماء الآخرة (وسيرته) الباطنة أى طريقته بل (و) فى جميع (حركته وسكونه ونطقه وسكوته) وسائر شؤنه (لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره) له (مذكرا لله تعالى) فانه اذا كان متصفا بما ذكر من الاوصاف فكل من وقع نظره عليه فانه يميل له ويحبه فاذا رآه ذكر الله الذى أعطاه هذه الاوصاف وجمله بها ويتوجه بكليته الى الله تعالى فى أن يكون مثل هذا وأشباه ذلك فانه ذكر الله تعالى وهذا شأن الاولياء العارفين اذا رؤا ذكر الله وهم علماء الآخرة وأخرج أبو نعيم من رواية زهير بن محمد عن هدبة عن حزم سمعت مالك بن دينار يقول يا عالم انت عالم تفخر بعلمك لو كان هذا العلم طلبته لله عز وجل لرؤى فيك وفى عملك (وكانت صورته دليلا على عمله)

فالجواد عينه فراره وعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم فى السكينة والذلة والتواضع وقد قيل ما ألبس الله عبدا لبسة أحسن من خشوع فى سكينة فهى لبسة الانبياء وسيما الصالحين والصديقين والعلماء وأما التهافت فى الكلام والتشدق والاستغراق فى الضحك والحدة فى الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا لان العلماء ثلاثة كما قاله سهل التسترى رحمه الله عالم بامر الله تعالى لا بايام الله وهم المفتون فى الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله تعالى لا بامر الله ولا بايام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله تعالى وبامر الله تعالى وبأيام الله تعالى وهم الصديقون والخشية والخشوع انما تغلب عليهم وأراد بايام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التى أفاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه .

أى صورته الظاهرة تكون كالمرآة يرى فيها ما أبطن من أعماله فالعمل اذا كان حسنا يظهر ذلك فى صورته وهيئته فلذا تكون الصور دلائل على الاعمال حسنا وقبحا (فالجواد عينه فراره) وهو مثل يضرب لمن يدل ظاهره على باطنه وفى الصحاح ان الجواد عينه فراره أى يغنيك شخصه ومنظره من أن تختبره وان تفر أسنانه * وفى الاساس فر الجواد عينه أى علامات الجود فيه ظاهرة فلا يحتاج الى ان تفره اه و يقال أيضا الخبيث عينه فراره أى تعرف الخبيث فى عينه اذا أبصرته (فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم) ويتميزون تميز الورد من السلم (فى السكينة والذلة والتواضع) فهذه الاوصاف الثلاثة من لوازمهم لا تفارقهم فى الاحيان كلها وهى من ثمرات اليقين (وقد قيل ما ألبس الله تعالى عبدا لبسة أحسن من خشوع فى سكينة) أى مع سكينة هذه العبارة منتزعة من القوت قال ومما يدل على الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ان كل عالم بعلم اذا رآه من لا يعرفه لم يتبين عليه أثر علمه ولا عرف انه عالم الا العلماء بالله عز وجل فانهم يعرفون بسيماهم للخشوع والسكينة والتواضع والذلة فهذه صبغة الله تعالى لأوليائه ولبسته للعلماء به ومن أحسن من الله صبغة كما قيل ما ألبس الله عز وجل عبدا الخ ثم قال (فهى لبسة الانبياء وسيما الصالحين والصديقين والعلماء) فمثلهم فى ذلك كمثل الصناع اذ كل صانع لو ظهر لمن لا يعرفه لا يعرف صنعته دون سائر الصنائع ولم يفرق بينه و بين الصناع الا الصناع فانه يعرف بصنعته لانها ظاهرة عليه اذ صارت له لبسة وصنعة لالتباسها بمعاملته فكانت سيماه (وأما التهافت فى الكلام) أى التساقط فيه والتزاحم عليه (والتشدق) أى ادارة الشدقين فيه بالفصاحة (والاستغراق فى الضحك) أى الامتلاء فيه (والحدة) أى العجلة (فى الحركة والنطق) بأن يبتدئ فى الكلام قبل صاحبه ويبادره به (فكل ذلك من آثار البطر) أى من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها (والامن) أى ومن آثار الامنية كأنه أزيل عنه الخوف وصار مأمونا فى نفسه (والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه) فان من تيقن ذلك لم يطع نفسه فى غفلاتها (وهذا دأب أبناء الدنيا) وطريقتهم (الغافلين عن الله تعالى) المنسحبين تحت امارة النفس الامارة (دون العلماء به عز وجل) (وهذا لان العلماء ثلاثة) أقسام (كما قال) أبو محمد (سهل التسترى) فيما نقله عنه صاحب القوت فقال عالم بالله تعالى وعالم لله تعالى وعالم بحكم الله تعالى معنى العالم بالله تعالى العارف الموقن والعالم لله هو العالم بعلم الاخلاص والاحوال والمعاملات والعالم بحكم الله هو العالم بتفصيل الحلال والحرام فسرنا ذلك على معانى قوله ومعرفة مذهبه وقد قال مرة فى كلام أبسط من هذا (عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله تعالى وهم المفتون فى الحلال والحرام) وهذه الجملة متأخرة فى نص القوت زاد المصنف (وهذا العلم لا يورث الخشية) هذه الزيادة ليست فى القوت ثم قال سهل (وعالم بالله لا بأمر الله ولا بأيام الله وهم عموم المؤمنين) هذه الجملة أول الاقسام ونص القوت وهم المؤمنون (وعالم بالله تعالى وبأيام الله تعالى وهم الصديقون) زاد المصنف (والخشية والخشوع انما تغلب عليهم) لا على غيرهم قال صاحب القوت (وأراد) سهل بقوله (بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة) ونص القوت بنعمه الباطنة و بعقوباته الغامضة زاد المصنف (التى افاضها على القرون السالفة) الماضية (واللاحقة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه) قلت وأصل ذلك فى قوله تعالى وذكرهم بأيام الله أى بنعمائه وشدائده والايام يعبر بها عن الشدائد والوقائع ومنه أيام العرب وقال بعضهم اضافة الايام الى الله للتشريف طالما أفاض عليهم من نعمه فيها وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية على بن خيشوم قال سمعت سفيان بن عيينة يقول قال بعض الفقهاء كان يقال العلماء ثلاثة عالم بالله وعالم بأمر الله وعالم بالله و بأمر الله فأما العالم بأمر الله فهو الذى يعلم السنة ولا يخاف الله وأما العالم بالله فهو الذى يخاف الله ولا يعلم السنة وأما العالم بالله و بأمر دينه فهو الذى يعلم السنة و يخاف الله فذلك يدعى عظيما فى

ملكوت السموات وأخرج أيضا من رواية محمد بن جهضم قال أخبرنا سفيان بن عيينة قال أفضل العلم العلم بالله والعلم بأمر الله فاذا كان العبد عالما بالله وعالما بأمر الله فقد بلغ ولم يصل الى العباد نعمة أفضل من العلم بالله والعلم بأمر الله ولم يصل اليهم عقوبة أشد من الجهل بالله والجهل بأمر الله اه وأورد صاحب القوت هذا القول عن سفيان ولم يصرح انه الثورى أو ابن عيينة فقال وفرقوا بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة فقال سفيان العلماء ثلاثة عالم بالله تعالى و بأمر الله تعالى فذلك العالم الكامل وعالم بالله تعالى غير عالم بأمر الله تعالى فذلك التقى الخائف وعالم بأمر الله تعالى غير عالم بالله تعالى فذلك العالم الفاجر وقيل أيضا عالم لله تعالى وهو العامل بعلمه وعالم بأيام الله تعالى وهو الخائف الراجي وكان سهل يقول طلاب العلم ثلاثة واحد يطلبه للعمل به وآخر يطلبه ليعرف الاختلاف فيتورع و يأخذ بالاحتياط وآخر يطلبه ليعرف التأويل فيتأول الحرام فيجعله حلالا فهذا يكون هلاك الخلق على يديه (وقال عمر) بن الخطاب (رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم) هكذا أورده صاحب القوت بلا سند قال و روينا عن عمر أيضا فساقه قال العراقى ورد هذا مرفوعا رواه ابن عدى فى ترجمة عباد بن كثير البصرى عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم و روى من حديث عمر أيضا مرفوعا مختصرا رواه أبو نعيم من رواية عبد المنعم بن بشير عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم وتعلموا للعلم الوقار وعباد بن كثير متروك الحديث وعبد المنعم بن بشير المصرى يكنى أبا الخير منكر الحديث اه قلت أخرجه أبو نعيم من حديث حبوش بن رزق الله عن عبد المنعم بن بشير وقال فى آخره غريب من حديث مالك لم نكتبه الا من حديث حبوش عن عبد المنعم والسياق الاول فقد أخرجه أيضا الطبرانى فى الاوسط من حديث أبى هريرة الا انه الى قوله لمن تعلمون منه ولم يذكر شيأ بعد ذلك وتعلمون بحذف احدى التاءين والسكينة الطمأنينة والوقار الحلم والرزانة أى ينبغى للعالم أن يلزم هذه الاوصاف فى مراقبته مع الله تعالى فى سائر حركاته وسكناته فانه أمين على ما استودع من العلوم قال ابن المبارك كنت عند مالك فلدغته عقرب ست عشرة مرة فتغير لونه وتصبر ولم يقطع الحديث فلما فرغ سألته فقال صبرت اجلالا لحديثه صلى الله عليه وسلم وليتواضع لمن يتعلم منه لانه رفعة له وزيادة عز لكونه من ورثة الانبياء (و يقال ما آتى الله عز وجل عبدا علما الا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا) هكذا أورده صاحب القوت ثم قال (فذلك هو) ونص القوت فذلك علامة (العلم النافع وفى الخبر) ونص القوت وقد روينا معناه فى الاثر (من آتاه الله زهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين) هكذا أورده صاحب القوت وتبعه المصنف ولم يتعرض له العراقى ولا وجدته فى غير كتاب القوت (وفى الخبران من خيار أمتى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله عز وجل و يبكون سرا من خوف عذاب الله ابدانهم فى الارض وقلوبهم فى السماء أرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة) لانه لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه والدنيا سجنه حقا فلذا يجد المؤمن بدنه فى الدنيا وروحه فى السماء وفى الحديث المرفوع اذا قام العبد وهو ساجد باهى الله به الملائكة فيقول انظروا الى عبدى بدنه فى الارض وروحه عندى رواه تمام وغيره وهذا معنى قول بعض السلف القلوب جوّالة فقلب حول الحشر وقلب يطوف مع الملائكة حول العرش قال ابن القيم ولا يبادر الى انكار كون البدن فى الدنيا والروح فى الملا الاعلى فللروح شأن وللبدن شأن والنبى صلى الله عليه وسلم كان بين أظهر أصحابه وهو عند ربه يطعمه و يسقيه فبدنه بينهم و روحه وقلبه عند ربه وقال أبو الدرداء اذا نام العبد عرج بروحه الى تحت العرش فان كان طاهرا أذن له بالسجود فان لم يكن طاهرا لم يؤذن له بالسجود فهذه والله أعلم هى العلة التى أمر الجنب لاجلها أن يتوضأ اذا أراد النوم وهذا الصعود انما

قال عمر رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم و يقال ما آتى الله عبدا علما الا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفى الاثر من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وفى الخبران من خيار أمتى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله و يبكون سرا من خوف عذابه أبدانهم فى الارض وقلوبهم فى السماء أرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة

يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله وقال بشر ابن الحرث من طلب الرياسة بالعلم فتقرب الى الله تعالى ببغضه فانه ممقوت فى السماء والارض وروى فى الاسرائيليات أن حكيما صنف ثلثمائة وستين مصنفا فى الحكمة حتى وصف بالحكيم فأوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض بقاقا ولم تردنى من ذلك بشئ وانى لا أقبل من بقاقك شيأ فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى فى الاسواق وواكل بنى اسرائيل وتواضع فى نفسه فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له الآن وفقت لرضاى وحكى الاوزاعى رحمه الله عن بلال بن سعد أنه كان يقول ينظر أحدكم الى الشرطى

كان لتجرد الروح عن البدن بالنوم فاذا تجردت بسبب آخر حصل لها من الترقى والصعود بحسب ذلك التجرد وقد يقوى الحب بالمحب حتى لا يشاهد منه بين الناس الاجسمه وروحه فى موضع آخر عند محبوبه (يمشون بالسكينة) وهو السكون والاطمئنان (ويتقربون بالوسيلة) قال العراقى رواه الحاكم فى المستدرك والبيهقى فى شعب الايمان بزيادة فيه واللفظ له من رواية حماد بن أبى حميد عن مكحول عن عياض بن سليمان وكانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار أمتى فيما أنبأنى العلى الاعلى قوم يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف شدة عذاب ربهم يذكرون ربهم فى الغداة والعشى فى البيوت الطيبة المساجد ويدعونه بألسنتهم رغبا ورهبا ويسألونه بأيديهم خفضا ورفعا ويقبلون بقلوبهم عودا وبدأ فؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يدبون فى الارض حفاة على أقدامهم كدبيب النمل بلا مرح ولا بذخ يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة ويقرؤن القرآن ويقربون القربان ويلبسون الخلقان من الله شهود حاضرة وعين حافظ يتوسمون العباد ويتفكرون فى البلاد أرواحهم فى الدنيا وقلوبهم فى الآخرة ليس لهم هم الا أمامهم أعدوا الجهاز لقبورهم والجواز لسبيلهم والاستعداد لمقامهم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد قال البيهقى تفرد بهذا حماد بن أبى حميد وليس بالقوى عند أهل العلم قال العراقى ولم ينفرد به حماد كما قال البيهقى بل روى أيضا من رواية خالد بن المغيرة بن قيس عن مكحول رواه أبو نعيم فى الحلية وخالد بن المغيرة لم أر له ذكرا فى مظان وجوده وكذلك راويه عنه شيبان بن مهران والله أعلم اهـ قلت أورده الحافظ السيوطى فى الجامع الكبير وعزاه لابى نعيم والحاكم قال وتعقب والبيهقى وضعفه وابن النجار كلهم عن عياض بن سليمان وكانت له صحبة قال الذهبى هذا حديث عجيب منكر وعياض لا يدرى من هو وقال ابن النجار ذكره أبو موسى المدينى فى الصحابة (وقال الحسن) البصرى (الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله) هكذا أورده صاحب القوت بلفظ وكان الحسن يقول فساقه والسربال بالكسر القميص أو كلما لبس (وقال بشر بن الحرث) الحافى (من طلب الرياسة بالعلم فتقرب الى الله ببغضه فهو ممقيت فى السماء والارض) أورده صاحب القوت ولفظه من العلماء بدل بالعلم وفيه فانه ممقيت بدل فهو والمقيت الممقوت وهو المبغوض أشد البغض وأخرج أبو نعيم من رواية محمد بن السماك عن سليمان عن مالك بن دينار انه قال من طلب العلم للعمل وفقه الله تعالى ومن طلب العلم لغير العمل يزداد بالعمل فخرا (وروى فى الاسرائيليات) وفى القوت وروينا فى الاسرائيليات (ان حكيما من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين مصنفا) كذا فى النسخ ونص القوت مصحفا (فى الحكمة حتى وصف بالحكيم فأوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض بقاقا) هو بقافين كسحاب كثرة الكلام وقيل الهذيان (ولم تردنى بشئ من ذلك) أى لم تردوجهى (وانى لم أقبل من بقاقك شيأ فندم الرجل وترك ذلك) ونص القوت قال فسقط فى يديه وحزن فترك ذلك (وخالط العامة) من الناس (ومشى فى الاسواق وواكل بنى اسرائيل وتواضع فى نفسه فأوحى الله عز وجل الى نبيهم) ونص القوت الى النبى عليه السلام (قل له الآن) ونص القوت قل لفلان الآن (وافقت رضاى) وأخرج أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة أبى يوسف يزيد بن ميسرة فقال حدثنا أبو على محمد بن أحمد بن الحسن حدثنا بشر بن موسى حدثنا سعيد بن منصور حدثنا اسمعيل بن عياش عن سليمان بن سالم الكنانى عن يحيى بن جابر الطائى عن يزيد بن ميسرة ان حكيما من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين مصحفا حكما فبثها فى الناس فأوحى الله اليه أنك ملأت الارض بقاقا وان الله لم يقبل من بقاقك شيأ (وحكى الاوزاعى) عبد الرحمن بن عمرو فقيه أهل الشام (عن بلال بن سعد) بن تميم الاشعرى أو الكندى أبو عمرو أو أبو زرعة الدمشقى ثقة فاضل مات فى خلافة هشام (انه كان يقول ينظر أحدكم الى الشرطى) قال فى المصباح الشرط على لفظ الجمع أعوان السلطان لانهم جعلوا لانفسهم علامات يعرفون

فيستعيذ بالله منه وينظر الى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين الى الرياسة فلا يمقتهم وهم أحق بالمقت من ذلك الشرطي وروى انه قيل يارسول الله أى الاعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى قيل فاى الاصحاب خير قال صلى الله عليه وسلم صاحب ان ذكرت الله أعانك وان نسيته ذكرك قيل فاى الاصحاب شر قال صلى الله عليه وسلم صاحب ان نسيت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فاى الناس أعلم قال أشدهم لله خشية قيل فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال صلى الله عليه وسلم الذين اذا رؤا ذكر الله قيل فاى الناس شر قال اللهم غفرا قالوا أخبرنا يارسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقال صلى الله عليه وسلم ان أكثر الناس أمانا يوم القيامة أكثرهم فكرا فى الدنيا وأكثر الناس ضحكا فى الآخرة أكثرهم بكاء فى الدنيا وأشد الناس فرحا فى الآخرة أطولهم حزنا فى الدنيا وقال على رضى الله عنه فى خطبة له ذمتى رهينة وأنا به زعيم انه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل وان أجهل الناس من لا يعرف قدره وان أبغض الخلق الى الله تعالى رجل قمش علما أغار به فى أغباش الفتنة

به الاعداء الواحد شرطة مثل غرفة وغرف فاذا نسب الى هذا قيل شرطى بالسكون ردا الى الواحد (فيستعيذ بالله منه و ينظر الى علماء الدنيا المتصنعين) أى المتكلفين فى صنعهم (الى الخلق المتشوفين) أى المتطلعين (الى الرياسة فلا يمقته هذا أحق بالمقت من ذلك الشرطى) أورده صاحب القوت ولفظه وكان الاوزاعى يروى عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر أحدكم الى الشرطى والعون فيستعيذ بالله من حاله ويمقته و ينظر الى عالم الدنيا قد تصنع للخلق وتشوف للطمع والرياسة فلا يمقته هذا العالم أحق بالمقت من ذلك الشرطى (وروى انه قيل يارسول الله أى الاعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى قيل فأى الاصحاب خير قال صاحب ان ذكرت أعانك وان نسيت ذكرك قيل فاى الاصحاب شر قال صاحب ان نسيت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فاى الناس أعلم قال أشدهم لله خشية قيل فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين اذا رؤا ذكر الله تعالى قالوا فأى الناس شر قال اللهم غفرا قالوا أخبرنا يارسول الله قال العلماء اذا فسدوا) قال العراقى لم أجده هكذا مجموعا بطوله وهو ملفق بعضه من أحاديث فروينا فى كتاب الزهد والرقائق لابن المبارك من رواية محمد بن عدى عن يونس عن الحسن قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل قال ان تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله وروى ذلك أيضا من حديث عبد الله بن بسر المازنى مرفوعا أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس واسناده جيد وروى أيضا من حديث معاذ بن جبل وذكر المصنف فى آداب الصحبة حديثا متنه اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له أخا صالحا ان نسى ذكره وان ذكر أعانه وسيأتى ذلك فى بابه وروى الثعلبى باسناده عن الشعبى انما العالم من يخشى الله وروى البزار من رواية جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رجل يارسول الله من أولياء الله قال الذين اذا رؤا ذكر الله عز وجل وروى البزار أيضا من حديث معاذ قال قلت يارسول الله أى الناس شر فقال اللهم غفرا سل عن الخير ولا تسأل عن الشر شرار الناس شرار العلماء واسناده ضعيف وروى الدارمى فى مسنده من رواية الاحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا وقد تقدم فى الباب الثالث قلت هذا الحديث بطوله أورده صاحب القوت واياه تبع المصنف ولفظه وقد روينا حديثا حسنا مقطوعا عن سفيان عن مالك بن مغول قال قيل يارسول الله فساقه وفيه وصاحب ان سكت بدل نسيت والباقى سواء (وقال صلى الله عليه وسلم ان أكثر الناس أمانا) وفى نسخة أمنا (يوم القيامة أكثرهم فكرا فى الدنيا وأكثر الناس ضحكا فى الآخرة أكثرهم بكاء فى الدنيا وأشد الناس فرحا فى الآخرة أطولهم حزنا فى الدنيا) أورده صاحب القوت عن عامر بن عبد الله المقبرى وكان من أقران الحسن سمعت مشيختنا فيما يروون عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه كان يقول ان أصفى الناس ايمانا يوم القيامة أكثرهم فكرة فى الدنيا وأكثر الناس ضحكا فى الجنة والباقى سواء قال العراقى لم أجد له أصلا بجملته فى الاحاديث المرفوعة ولاول الجملة شاهد فى صحيح ابن حبان من حديث أبى هريرة رفعه فيما يروى عن ربه جل وعلا وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين وأمنين اذا خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة واذا أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة وللجملة الاخيرة من رواية مالك بن دينار قال رأيت الحسن فى منامى مشرق اللون وفى آخره أطول الناس حزنا فى الدنيا أطولهم فرحا فى الآخرة رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الهم والحزن (وقال على كرم الله وجهه فى خطبته ذمتى رهينة وأنا زعيم) هكذا فى القوت وفى رواية وأنا زعيم لمن صرحت له العبرات (لا يهيج) أى لا يذوى و ييبس (على التقوى زرع قوم ولا يظمأ) أى لا يعطش (على الهدى سنخ) بكسر السين المهملة وسكون النون وآخره خاء معجمة هو الاصل (أصل وان أجهل الناس من لا يعرف قدره) هكذا فى القوت وزاد وكفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره وفى رواية أخرى بعد قوله سنخ أصل ألا (وان أبغض الخلق الى الله) وفى أخرى أبغض خلق الله الى الله (رجل قمش علما) التقميش جمع الشئ من هنا وهنا (أغار فى أغباش الفتنة) هكذا فى القوت والاغباش جمع غبش وهى

الظلمة

الظلمة وفى رواية غارافى غباش الفتنة زادفى القوت عمى عما فى غيب الهدنة وفى رواية عميابمافى غيب الهدنة (سماه اشباه الناس وأراذلهم عالما) وفى القوت ورذلاهم وفى رواية سماه اشباهه من الناس عالما (ولم يعش) كذافى النسخ والصواب ولم يعن أى لم يهتم (فى العلم يوماسالمابكر) أى غدافى تحصيله وفى بعض النسخ تكثر وهوغلط (فاستكثر) أى أخذ بالكثرة (فماقل منه وكفى خير مما كثر والهى) هكذافى النسخ والرواية فماقل منه فهو خير مما كثر (حتى اذا ارتوى من ماء آجن) أى متغير شبه به العلم الذى لاينتفع به (وأكثر من غير طائل جلس) وفى رواية قعد (للناس مفتيا لتخلص) كذافى النسخ والرواية لتخليص (ماالتبس على غيره) أى اشتبه (وان نزلت به احدى المهمات) كذافى النسخ والرواية المبهمات أى المشكلات (هيأ) لها (حشوالرأى من رايه) وفى رواية هيالها حشوا من رأيه (فهو من قطع الشبهات فى مثل غزل العنكبوت) أى فى غاية الضعف والوهى واذا أرادوا فساد أمر وعدم انتظامه شبهوه بحق الكهدل وهى العنكبوت يقولون هى أضعف من حق الكهدل أى بيت العنكبوت (لايدرى أخطأ أم أصاب) وفى رواية لايعلم اذا أخطأ لانه لايعلم أخطأ أم أصاب (ركاب جهالات خباط عشوات) وفى بعض الروايات بالتقديم والتأخير أى كثير الركوب على متن عمياء وكثير الخبط للعشواء وكلاهما مثل (لايعتذر مما لايعلم فيسلم) أى لايكل علم مالايعلمه الى الله تعالى فيسلم من الورطة استنكافا عن نسبة الجهل اليه فيقدم فى جواب كل مسئلة (ولايعض على) وفى رواية فى (العلم بضرس قاطع فيغنم) أى لم يأخذ من العلم بحظه الوافر واجتهاده القوى فينال غنيمة وزادفى رواية (ذر الرواية ذر الريح الهشيم) أى ليس عنده الا الرواية من غير العمل بما علمه فهو يذرها على الاسماع كما ذرت الريح العاصف اليابس من الكلأ (تبكى منه الدماء) أى لانه يفتى فيها بغير وجه شرعى بل بجهل منه (وتستحل بقضائه) أى بحكمه (الفروج الحرام) أى لجهله فى مسائل النكاح وفى رواية قبل هذه الجملة وتصرخ منه المواريث (لامليء والله باصدار ماورد عليه) وهو مثل فى تنزيل الشئ غير موضعه وأنشدوا

أوردها سعد وسعد مشتمل * ماهكذا ياسعد تورد الابل

(ولاهو أهل لمافوّض اليه) وفى رواية ولاأهل لمافرط به زاد فى القوت (أولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت عليهم (النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا) قال السيوطى فى القسم الثانى من الجامع الكبير رواه المعافى بن زكريا ووكيع وابن عساكر فى التاريخ قلت وأورده صاحب القوت فقال وقد وصف علىّ كرّم الله وجهه علماء الدنيا الناطقين عن الرأى والهوى بوصف غريب رواه خالد ابن طليق عن أبيه عن جده وجده عمران بن الحصين رضى الله عنه قال خطبنا على رضى الله عنه فقال فساقه (وقال على رضى الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب) هكذا أورده صاحب القوت وعزاه السيوطى فى الجامع الكبير فى القسم الثانى منه الى عبدالله بن الامام أحمد والخطيب فى الجامع الكبير ولفظه تعلموا العلم فاذا علمتموه فاكظموا عليه ولاتخلطوه بضحك وباطل فتمجه القلوب (وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج من العلم مجة) هكذا أورده صاحب القوت وأخرجه أبو نعيم من قول على رضى الله عنه (واذا جمع المعلم ثلاثا) أى ثلاثة أوصاف فقد (تمت النعمة بها) وفى نسخة به (على المتعلم الصبر) على تعليمه (والتواضع) لمن يتعلم (وحسن الخلق) معه (واذا جمع المتعلم ثلاثا) فقد (تمت النعمة بها) وفى نسخة به (على المعلم العقل) الكامل لما يتعلمه (والادب) مع علمه (وحسن الفهم) لما يتلقاه هكذا أورده صاحب القوت (وعلى الجملة فالاخلاق التى ورد بها القرآن لاينفك عنها علماء الآخرة) أى عن العمل بها (لانهم يتعلمون القرآن للعمل) بما فيه (لاللرياسة) والافتخار والمباهاة (وقال ابن عمر رضى الله عنهما عشنا برهة) أى زمانا (من الدهر وان

سماه أشباه له من الناس وارذالهم عالما ولم يعش فى العلم يوما سالما بكر فاستكثر فماقل منه وكفى خير مما كثر وألهى حتى اذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس معلما لتخليص ماالتبس على غيره فان نزلت به احدى المهمات هيألها من رأيه حشو الرأى فهو من قطع الشبهات فى مثل نسج العنكبوت لايدرى أخطأ أم أصاب ركاب جهالات خباط عشوات لايعتذر مما لايعلم فيسلم ولايعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكى منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لامليء والله باصدار ماورد عليه ولا هو أهل لمافوّض اليه أولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا وقال على رضى الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولاتخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف العالم اذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل اذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المعلم العقل والادب وحسن الفهم وعلى الجملة فالاخلاق التى وردبها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لانهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة وقال ابن عمر رضى الله عنهما لقد عشنا برهة من الدهر وان

أحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة فيعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغى أن يتوقف عنده منها ولقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لايدرى ما آمره ولا زاجره وما ينبغى أن يقف عنده وينثره نثر الدقل) هكذا أورده صاحب القوت ولفظه وروينا عن ابن عمر وغيره لقد عشنا برهة من دهرنا وفيه فيتعلم بدل فيعلم وفيه بعد قوله يتوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن والباقى سواء قال العراقى أخرجه الطبرانى فى الاوسط والحاكم فى المستدرك من رواية قاسم بن عوف الشيبانى قال سمعت ابن عمر يقول فساقه كسياق القوت وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه اه قلت وأخرج ابن جرير فى تفسيره عن حذيفة بن اليمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ان فى أمته قوما يقرؤن القرآن ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله لايجاوز تراقيهم تسبق قراءتهم ايمانهم والدقل محركة أردأ التمر وقال السرقسطى هو تمر الروم (وفى خبر آخر بمثل معناه) ونص القوت بمعناه (كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الايمان قبل القرآن وسيأتى بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان ويقيمون حروفه ويضيعون حدوده ويقولون قرأنا القرآن فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم منه (وفى لفظ آخر أولئك شرار هذه الامة) هكذا أورده صاحب القوت بعد ايراده حديث جندب البجلى وقال العراقى روى ذلك من حديث جندب بن عبدالله البجلى رواه ابن ماجه مختصرا مقتصرا على القدر المرفوع منه من رواية أبى عمران الجونى عن جندب قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الايمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا به ايمانا واسناده صحيح زاد الطبرانى فيه وانكم اليوم تعلمون القرآن قبل الايمان وهو صحيح أيضا وروى مسلم وابن ماجه من رواية عبدالله ابن الصامت عن أبى ذر ورافع بن عمرو الغفارى مرفوعا ان بعدى من أمتى يقرؤن القرآن لايجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لايعودون فيه هم شر الخلق والخليقة وروى البيهقى فى سننه فى أبواب الامامة من حديث حذيفة نحو حديث جندب اه وأورد صاحب القوت حديث جندب المتقدم ثم قال وعن ابن مسعود قال أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتى قوم يثقفونه تثقيف القناء ليسوا بخياركم وفى لفظ آخر يقيمونه اقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه وهذا قد تقدم للمصنف (وقيل خمس من الاخلاق هن من علامات علماء الآخرة مفهومة من) سياق (خمس آيات) ونص القوت لابد للعالم بالله تعالى من خمس هن علامة علماء الآخرة (الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد وهو الاصل) الاكبر الذى تتفرع منه الاخلاق الطيبة (أما الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء) أى العلماء بالله هم الذين يخشون الله حق خشيته فهى مقصورة عليهم (وأما الخشوع فمن قوله تعالى خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا وأما التواضع فمن قوله واخفض جناحك للمؤمنين) وقل انى أنا النذير المبين أى تواضع لهم وهذا مما أمر به صلى الله عليه وسلم فما كان له فلورثته من بعده (وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم) ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فهو دال على لين جانبه صلى الله عليه وسلم وهو ينشأ من حسن الخلق (وأما الزهد) فى الدنيا (فمن قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) فمن وجد فيه هذه الاخلاق فهو من العالمين بالله عز وجل هكذا أورده صاحب القوت والمصنف أخذه بالمعنى بتغيير يسير (ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم) قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل) يا رسول الله (ماهذا الشرح فقال ان النور اذا قذف فى القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال نعم التجافى)

رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لايدرى ما آمره وما زاجره وما ينبغى ان يقف عنده ينثره نثر الدقل وفى خبر آخر بمثل معناه كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الايمان قبل القرآن وسيأتى بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن اقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم وفى لفظ آخر أولئك شرار هذه الامة وقيل خمس من الاخلاق هى من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد فاما الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واما الخشوع فمن قوله تعالى خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا واما التواضع فمن قوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين واما حسن الخلق فمن قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وأما الزهد فمن قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل له اى ماهذا الشرح فقال ان النور اذا قذف فى القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال صلى الله عليه وسلم نعم التجافى

أى التباعد (عن دار الغرور والانابة) أى الرجوع (الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله) أورده صاحب القوت هكذا وزاد فذكر سببه الزهد فى الدنيا والاقبال على خدمة المولى فحسن التواضع والاصابة فى العلم مواهب من الله عز وجل وأثرة يخص بها من يشاء وقال العراقى رواه الحاكم فى المستدرك من رواية عدى بن الفضل عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يارسول الله هل لذلك من علم يعرف قال نعم فذكره قال وقد سكت عليه الحاكم وهو ضعيف ورواه البيهقى فى الزهد من رواية عمرو بن مرة عن عبد الله ابن الحرث عن ابن مسعود ورواه ابن المبارك فى الزهد والرقائق قال أخبرنا عبد الرحمن المسعودى عن عمرو بن مرة عن أبى جعفر رجل من بنى هاشم وليس بمحمد بن على قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فذكر مثل رواية الحاكم الاانه قال قيل هل لذلك من آية يعرف بها وقال فى آخره قبل الموت وهذا مرسل ضعيف وهو الصواب فى رواية هذا الحديث وما قبله ضعيف كما بينه الدارقطنى فى العلل وسئل عنه فقال يرويه عمرو بن مرة واختلف فيه عنه فرواه مالك بن مغول عن عمرو بن مرة عن عبيدة عن عبد الله قاله عبد الله بن محمد بن المغيرة تفرد بذلك ورواه زيد بن أبى أنيسة عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن عبد الله قاله أبو عبد الرحيم عن زيد وخالفه يزيد بن سنان فرواه عن زيد عن عمرو ابن مرة عن أبى عبيدة عن عبد الله وكلاهما وهم والصواب عن عمرو بن مرة عن أبى جعفر عبد الله بن المسور مرسلا عن النبى صلى الله عليه وسلم كذلك قاله الثورى قال وعبد الله بن المسور هذا متروك (ومنها) أى ومن علامات علماء الآخرة (أن يكون أكثر بحثه) وسؤاله وطلبه (فى علوم الاعمال) أى العلوم المتعلقة بها اصلا وفرعا (عما يفسد الاعمال) ويصححها على قانون الشرع (و) عما (يشوش القلوب) ويزيلها عن مواضعها بطروق الخواطر (و) عما (يهيج الوسواس) الشيطانى فيها (ويثير الشر) ويحركه (فان أصل الدين) وأساسه (التوقى) أى التحفظ (من الشر) فان الخير كل أحد يسأل عنه ويطلبه وسيأتى من قول حذيفة ما يؤكده (ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر * لكن لتوقيه) أى عرفت الشر لاتجنبه وأتحفظ من سلوك مناهجه لالاتلبس به (ومن لا يعرف الشر * من الناس يقع فيه) أى من لا يعرف الشر الحاصل من اختلاط الناس فيوشك أن يقع فيه ولا يدرى ولا يمكنه التخلص منه لعدم معرفته بأصله (ولان الاعمال الفعلية) أى التى متعلقها الافعال (قريبة) المأخذ (وأقصاها المواظبة) أى المداومة (على ذكر الله تعالى) لما تقدم انه صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل الاعمال فقال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله وذكر الله تعالى اما (بالقلب و) اما (باللسان) وكل منهما مطلوب وأحدهما أفضل من الآخر فاما ذكر اللسان فله آداب وشروط مذكورة فى رسائل السادة الصوفية وأما ذكر القلب فاختصت به السادة النقشبندية وكان شيخ المصنف أبو على الروذبارى أحد أركان هذه الطريقة وله آداب تختص به وشروط غريبة يقطع بها السالك سفر سنين فى ليلة واحدة والحاصل أن هذه الاعمال أمرها سهل والسالكون يتلقون ذلك عن أفواه شيوخهم (وانما الشأن) كل الشأن (فى معرفة ما يفسدها ويشوشها) وهو أهم ما يكون عند أهل المعرفة فى الطريق ويشيرون الى ذلك فى نبذ من الكلام ولا يحوم حوله الا الافراد (وهذا) الذى أشرنا اليه (مما يكثر شعبه ويطول تفريعه) لانه يستدعى الى ذكر مقدمات وابراز فصول مهمات (وكل ذلك مما يغلب) ويكثر (مسيس الحاجة اليه ويعم به البلوى فى سلوك طريق الآخرة) اذ هو حقيقة العلم النافع المقرب الحريه لا يعتنى به الا علماء الآخرة (وأما علماء الدنيا فانهم) لا يحومون حوله انما (يتبعون غرائب التفريعات) ونوادرها (فى) مسائل (الحكومات والاقضية) ويحفظونها فى صدورهم للافتاء بها (ويتعبون) بسهر الليالى

عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله * ومنها أن يكون أكثر بحثه عن علم الاعمال وعما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر فان أصل الدين التوقى من الشر ولذلك قيل
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه
ولان الاعمال الفعلية قريبة وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وانما الشأن فى معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة اليه وتعم به البلوى فى سلوك طريق الآخرة وأما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريعات فى الحكومة والاقضية ويتعبون

وايداع البصر والفكر (فى وضع صور) مجهولة الاثر (تنقضى الدهور) وتمضى الاعصار (ولا تقع) منها واحدة (وان وقعت) فرضا (انما تقع لغيرهم) فى عصر آخر (لا لهم) فقد بذلوا نفيس أعمارهم مجانا لعمارة الغير انما مثلهم مثل الذى يترد و يأكله الغير ومن يبنى بيتا فيسكنه الغير ويتمتع به ويخرج بنفسه صفر اليدين فيا ضلالة سعى هؤلاء (واذا وقعت) تقديرا (كان فى القائمين بها كثرة) وبركة (و) من العجب انهم (يتركون ما يلزمهم) لزوما كليا (ويتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار فى خواطرهم) وهواجسهم (ووساوسهم وأعمالهم) فى حركاتهم وسكناتهم (وما أبعد عن السعادة) الابدية (من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر) كلا تلك صفقة غير رابحة ونتيجة غير صالحة انما هو (ايثار للقبول) لدى العامة (والتقرب من الخلق) بصفة ذلك (على القرب من الله تعالى وشرها) أى طمعا (فى أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا) للعلوم العقلية (عالما بالدقائق) من العبارات والمسائل (وجزاؤه من الله تعالى أن لا ينتفع فى الدنيا) بعلمه ولا يمتع (بقبول الخلق) الذى جعله نصب عينيه (بل يتكدر عليه صفوه) وأنسه (بنوائب الزمان) ومكدراته وشدائده بتسليط من يعينه فى أموره عليه أحيانا وتنغيص عيشه بعدم وجدان مطلوبه أحيانا فان الذى يرجو القبول معه اما صاحب جاه أو صاحب مال وصاحب الجاه لا يمكن استعارة جاهه فى كل الامور وصاحب المال اما أن يفيده أو يمنعه فان أفاده مرة تطلعت نفسه لمثلها وصارت عادة ثابتة ولا يمكنه بذل ماله له فى كل مرة لان المال حبيب نفسه فيبغض عليه بالعداوة وان منعه فهو مبغوض عنده على كل حال وبالجملة فالمراعى لهم أحواله لا تخلص من أنواع الاكدار (فيرد القيامة) مع من ورد (مفلسا) من الاعمال الصالحة يقال أفلس الرجل اذا عدم فلوسه (فيتحسر) غاية التحسر و يندم غاية التندم (على ما يشاهده من ربح) العلماء (العاملين) لله تعالى (و) من (فوز المقربين) لديه فى أصحاب اليمين (وذلك) فى الحقيقة (هو الخسران المبين) وقد انتزع المصنف رحمه الله تعالى هذه العبارة من القوت ورواها بالمعنى وسياق القوت أتم وأجلى فلا بأس ان نلم بذكره ليكشف ماعسى التبس فى سياق المصنف و يزيده وضوحا قال واعلم انه انما يستبين العالم عند المشكلات فى الدين ويحتاج اليه العارف عند حك الشبهات فى الصدر وقد حصلنا فى زماننا هذا لو وردت فى معانى التوحيد مشكلة واختلجت فى صدر مؤمن من معانى صفات الوحدة وأردت كشف ذلك على حقيقة الامر مما يشهده القلب الموقن و يثلج له الصدر المشروح بالهدى لكان ذلك عزيزا فى وقتنا هذا ولكنت فى استكشاف ذلك بين خمسة نفر مبتدع ضال يخبرك برأيه عن هواه فيزيدك حيرة أو متكلم يفتيك بقياس معقوله على ظاهر الدين أو صوفى شاطح يجيبك بالحدس والتخمين و يسقط العلم والاحكام ويذهب الاسماء والرسوم وهؤلاء تائهون ليسوا على المحجة أو مفت عالم عند نفسه مرسوم بالفقه عند أصحابه يقول لك هذا من أحكام الآخرة ومن علم الغيب لا نتكلم فيه لانا لم نكلفه وهو فى أكثر مناظرته يتكلم فيما لم يكلف و يجادل فيما لم ينطق فيه السلف و يتعلم و يعلم ما علمه بتكلف ولا يعلم المسكين انه كلف علم يقين الايمان وحقيقة التوحيد ومعرفة اخلاص المعاملة وعلم ما يقدح فى الاخلاص ويخرج من جملته قبل ما هو فيه وانه متكلف لبعض ما هو يبتغيه لان علم الايمان وصحة التوحيد واخلاص العبودية للربوبية واخلاص الاعمال من الهوى الدنيوية وما تعلق بها من أعمال القلب من الفقه فى الدين ونعت أوصاف المؤمنين ولا يشعر ان حسن الادب فى المعاملة بمعرفة و يقين هو من صفات الموقنين وذلك هو حال العبد من مقامه بينه و بين ربه عز وجل ونصيبه من ربه وحظه من مزيد آخرته وهو معقود بشهادة التوحيد الخالصة المقترنة بالايمان من خفايا الشرك وشعب النفاق بالفرائض وفرض فرضها الاخلاص بالمعاملة وان علم ما سوى هذا مما قد أشرب قلبه وحبب اليه من فضول العلوم وغرائب الفهوم انما هو حوائج الناس ونوازلهم فهو حجاب عن هذا واشتغال عنه فاكثر هذا الغافل بقلة

فى وضع صور تنقضى الدهور ولا تقع أبدا وان وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم واذا وقعت كان فى القائمين بها كثرة و يتركون ما يلازمهم و يتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار فى خواطرهم و وساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه وشرها فى أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع فى الدنيا بقبول الخلق يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين

ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاما بكلام الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هديا من الصحابة رضي الله عنهم اتفقت الكلمة في حقه على ذلك وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس

معرفته بحقيقة العلم النافع ما زين له طلبه وحبب اليه قصده آثر حوائج الناس وأحوالهم على حاجته وحاله وعمل في أنصبتهم منه في عاجل دنياهم من نوازل طوارقهم وفتياهم ولم يعمل في نصيبه الاوفر من ربه عزوجل لاجل آخرته التي هي خير وأبقى اذ مرجعه اليها ومثواه المؤبد فيها فاثر التقرب منهم على القرب من ربه عزوجل وترك للشغل بهم حظه من الله تعالى الاجزل وقدم التفرغ لهم على فراغ قلبه لما قدم لغده من تقواه بالشغل بخدمة مولاه وطلب رضاه واشتغل بصلاح ألسنتهم عن صلاح قلبه وظواهر أحوالهم عن باطن حاله وكان سبب ما بلى به حب الرياسة وطلب الجاه عند الناس والمنزلة بموجب السياسة والرغبة في عاجل الدنيا وغيرها بقلة الهمة وضعف النية في آجل الآخرة وذخرها فأفنى أيامه لايامهم واذهب عمره في شهواتهم ليسميه الجاهلون بالعلم عالما وليكون في قلوب الطالبين عندهم فاضلا فورد القيامة مفلسا وعند ما يراه من أنصبة المقربين مبلسا اذ فاز بالقرب العاملون وربح بالرضا العاملون ولكن انى له وكيف بنصيب غيره وقد جعل الله تعالى لكل عمل عاملا ولكل علم عالما أولئك ينالهم نصيبهم من الكتب كل ميسر لما خلق له هذا فصل الخطاب والرجل الخامس من العلماء هو صاحب حديث وآثار ونوافل ورواية الاخبار يقول لك اذا سألته اعتقد التسليم وأمر الحديث كما جاء ولا تفتش وهذا يتلو المفتي في السلامة وهو أحسنهم طريقة وأشبههم بسلف العامة خليقة ليس عنده شهادة يقين ولا معرفة بحقيقة ما رواه ولا هو شاهد واصف لمعنى ما نقله انما هو للعلم راوية وللخبر والاثر ناقلة فهو على بينة من ربه وليس يتلوه شاهد منه اه (ولقد كان الحسن) هو ابن أبي الحسن واسمه يسار (البصري) أبو سعيد (رحمه الله تعالى) مولى الانصار وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر فيذكرون ان أمه كانت ربما غابت فيبكي فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به الى أن تجيء أمه فدر عليه ثديها فشربه فلذا كان (أشبه الناس كلاما بكلام الانبياء) في الحكمة والفصاحة ويروى ان ذلك من بركة تلك الشربة ونشأ الحسن بوادي القرى ورأى عليا وطلحة وعائشة ولا يصح له سماع من أحد منهم (و) كان (أقربهم هديا من الصحابة) يروى ان أم سلمة كانت تخرجه الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير وكانوا يدعون له فأخرجته الى عمر فدعا له فقال اللهم فقهه في الدين وحببه الى الناس (اتفقت الكلمة في حقه على ذلك) فقال بلال بن أبي بردة سمعت أبي يقول والله لقد أدركت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما رأيت أحدا أشبه بأصحاب محمد من هذا الشيخ يعني الحسن وعن أبي قتادة الزموه فما رأيت أحدا أشبه رأيا بعمر بن الخطاب منه وسئل أنس بن مالك عن مسئلة فقال سلوا مولانا الحسن وهذا قد تقدم للمصنف وعن العوام بن حوشب ما أشبه الحسن الا بنبي أقام في قومه ستين عاما يدعوهم الى الله عزوجل قال ابن سعد قالوا كان الحسن جامعا عالما رفيعا فقيها ثقة مأمونا عابدا ناسكا كثير العلم فصيحا جميلا وسيما (وكان) الحسن أحد المذكرين وكانت مجالسه مجالس الذكر يخلو فيها مع أصحابه واتباعه من النساك والعباد في بيته مثل مالك بن دينار وثابت البناني وأيوب السختياني ومحمد بن واسع وفرقد السبخي وعبد الواحد بن زيد فيقول هاتوا انشروا النور فيتكلم عليهم وكان (أكثر كلامه) في هذه المجالس والخلوات (في) علم اليقين والقدرة وفي (خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس النفوس و) في (الشهوات الخفية الغامضة من شهوات النفس) فربما تقنع بعض أصحاب الحديث رأسه فاختفى من ورائهم ليسمع ذلك فاذا رآه الحسن قال له يا لكع وأنت ما تصنع ههنا انما خلونا مع أصحابنا نتذاكر قال صاحب القوت والحسن رحمه الله تعالى امامنا في هذا العلم الذي نتكلم به أثره نقفو وسبيله نتبع ومن مشكاته نستضيء أخذنا ذلك باذن الله تعالى اماما عن امام الى ان ينتهي ذلك اليه وكان من خيار التابعين باحسان قيل ما زال يعي الحكمة أربعين سنة حتى نطق بها ولقد لقي سبعين بدريا ولقي ثلاثمائة صحابي وكانوا يقولون كأنه شبه بهدي ابراهيم الخليل صلوات الله عليه في حلمه وخشوعه

وشمائله (و) كان أول من أنهج سبيل هذا العلم وفتق الالسنة به ونطق بمعانيه وأظهر أنواره وكشف به قناعه وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من اخوانه ف(قيل له يا أبا سعيد انك تتكلم) في هذا الفن (بكلام لا يسمع من) أحد (غيرك) من أقرانك (فمن أين أخذته) ونص القوت فمن أخذت هذا (فقال من حذيفة بن اليمان) بن جابر بن ربيعة بن عمرو ويقال حذيفة بن حسيل بن جابر بن أسيد بن عمرو العبسي أبو عبد الله حليف بني عبد الاشهل واليمان لقب جده جروة لانه أصاب دما في الجاهلية فهرب الى المدينة وحالف الانصار وقيل هو لقب والده حسيل توفي سنة ست وثلاثين قبل قتل عثمان بأربعين ليلة (وقيل) قالوا (لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة) رضوان الله عليهم (فمن أين) ونص القوت فمن (أخذته فقال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة ان أقع فيه) رواه البخاري ومسلم هكذا مختصرا وفي آخره زيادة من رواية أبي ادريس الخلاني انه سمع حذيفة بن اليمان يقول كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة ان يدركني فقلت يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم قلت فهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن الحديث بطوله قاله العراقي قلت أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال حدثنا محمد بن أحمد بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثنا محمد بن المثنى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن جابر حدثني بسر بن عبيد الله الحضرمي انه سمع أبا ادريس الخولاني يقول سمعت حذيفة يقول فساقه بطوله (وعلمت ان الخير لا يسبقني) هكذا هو في القوت وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية أبي داود الطيالسي قال حدثنا سليمان بن المغيرة حدثني حميد بن هلال حدثنا نصر بن عاصم الليثي قال أتيت اليشكري في رهط من بني ليث فقال قدمت الكوفة فدخلت المسجد فاذا فيه حلقة كأنما قطعت رؤسهم يستمعون الى حديث رجل فقمت عليهم فقلت من هذا فقيل حذيفة بن اليمان فدنوت منه فسمعته يقول كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر فعرفت ان الخير لم يسبقني ثم ساق الحديث بطوله قال أبو نعيم ورواه قتادة عن نصر بن عاصم وسمى اليشكري خالدا اهـ وقال العراقي ورواه أبو داود من رواية سبيع بن خالد قال أتيت الكوفة زمن فتحت تستر الحديث وفيه بعد ذكر الشر الاول قلت فما العصمة من ذلك فساقه الى آخره وسمى التابعي في رواية أخرى خالد بن خالد اليشكري وروى مسلم من رواية أبي سلام قال قال حذيفة قلت يا رسول الله انا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه فهل وراء ذلك الخير شر قال نعم قلت كيف قال تكون بعدي أئمة الحديث بطوله وروى البخاري من رواية قيس بن أبي حازم عن حذيفة قال تعلم أصحابي الخير وتعلمت الشر اهـ وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية خلاد بن عبد الرحمن ان أبا الطفيل حدثه انه سمع حذيفة يقول يا أيها الناس ألا تسألون فان الناس كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر أفلا تسألوني عن ميت الاحياء فساق الحديث بطوله (وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير) هكذا أورده صاحب القوت وأخرج ابن عساكر في تاريخه من رواية ابي البختري قال حذيفة لو حدثتكم بحديث لكذبني ثلاثة أثلاثكم ان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر فقيل له ما حملك على ذلك قال ان من اعترف بالشر وقع في الخير وأخرج ابن ماجه في الزهد وابن عساكر في التاريخ عن حذيفة قال كنتم تسألونه عن الرخاء وكنت أسأله عن الشدة لاتقيها قال الدارقطني في الافراد تفرد به عيسى الحناط عن الشعبي عن حذيفة وتفرد به عبد الله بن سيف عنه وأخرج ابن أبي شيبة في مسنده ونعيم بن حماد في الفتن عن حذيفة قال هذه فتن قد أطلت جباه البقر يهلك فيها أكثر الناس الا من كان يعرفها قبل ذلك (وفي لفظ آخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن يعمل كذا وكذا يسألونه عن الاعمال وفضائل الاعمال وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني أسأل عن آفات

وقد قيل له يا أبا سعيد انك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته قال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته قال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة ان أقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني علمه وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كانوا يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الاعمال وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني أسأله عن آفات

الاعمال خصني بهذا العلم) هكذا أورده صاحب القوت ولم أرهذا السياق عند غيره (وكان حذيفة رضي الله عنه أيضا قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن) ونص القوت وكان حذيفة قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وسرائر العلم ودقائق الفهم وخفايا اليقين من بين الصحابة فان كان لفظ الفتن في سياق المصنف تصحيفا من الكاتب لمناسبة اليقين بالمقام أو قصد بذلك المصنف وهو صحيح أيضا فانه كان أعطى علم الفتن كلها كما أعطى علم اليقين روى مسلم من رواية قيس بن أبي حازم عن عمار أخبرني حذيفة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابي اثنا عشر منافقا منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وروى البخاري من رواية زيد بن وهب عن حذيفة قال ما بقي من أصحاب هذه الآية ولا من المنافقين الا أربعة الحديث وروى أبو داود من رواية قبيصة بن ذؤيب عن أبيه قال قال حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته وروى مسلم من رواية أبي ادريس الخولاني كان يقول قال حذيفة والله اني لاعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة وروى البخاري ومسلم وأبو داود من رواية شقيق عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك فيه شيأ يكون في مقامه الى قيام الساعة الا حدث حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء الحديث قاله العراقي قلت وأخرج الامام في المسند ونعيم بن حماد في الفتن والروياني بسند حسن عن حذيفة قال انا أعلم الناس بكل فتنة هي كائنة الى يوم القيامة ومالي ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر الي في ذلك شيأ لم يحدث به غيري ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث مجلسا أنباهم فيه عن الفتن منها صغار ومنها كبار فذهب أولئك الرهط كلهم غيري وأخرج الدارقطني من رواية هبيرة قال شهدت عليا وسئل عن حذيفة قال سأل عن أسماء المنافقين فأخبر بهم وأخرج الطبراني في الكبير من رواية صلة بن زفر قال قلنا لحذيفة كيف عرفت أمر المنافقين ولم يعرفه أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر قال اني كنت أسير خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام على راحلته فسمعت ناسا منهم يقولون لو طرحناه عن راحلته فاندقت عنقه فاسترحنا منه فسرت بينهم وبينه وجعلت أقرأ وأرفع صوتي فانتبه النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذا قلت حذيفة قال من هؤلاء قلت فلان وفلان حتى عددتهم قال وسمعت ما قالوا قلت نعم ولذلك سرت بينك وبينهم فقال أما انهم منافقون فلان وفلان لا تخبرن أحدا قلت وعن نافع بن جبير قال لم يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسماء المنافقين الذين نخسوا به ليلة العقبة بتبوك غير حذيفة وهم اثنا عشر رجلا ليس منهم قريشي وكلهم من الانصار أو من حلفائهم وقد ذكرهم الزبير بن بكار في كتاب النسب فقال مغيب بن قشير بن مليل وهو الذي قال لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا ووديعة بن ثابت وهو الذي قال انما كنا نخوض ونلعب وجد بن عبد الله بن نبتل والحرث بن يزيد الطائي وهو الذي سبق الى الوشل بتبوك وأوس بن قيظي وهو الذي قال ان بيوتنا عورة والجلاس بن سويد بن الصامت قال وبلغنا انه تاب بعد ذلك وسعد بن زرارة وكان أصغرهم سنا وأخبثهم وقيس بن فهد وسويد وداعس وقيس بن عمرو بن سهل وزيد بن اللصيت وكان من يهود قينقاع وسلالة بن الحمام (فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة) ويرجعون اليه في العلم الذي خص به فروى الائمة الستة خلا أبا داود من رواية شقيق عن حذيفة قال كنا عند عمر فقال أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة قلت انا الحديث قاله العراقي وأخرج أبو نعيم من رواية ربعي ابن خراش عن حذيفة انه قدم من عند عمر فقال لما جلسنا اليه سأل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أيكم سمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتن التي تموج موج البحر فاسكت القوم وظننت انه اياي يريد قال فقلت انا قال أنت لله أبوك قلت تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير فساق الحديث وفي آخره وحدثته

الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة رضي الله عنه أيضا قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة

ان بينك و بينها بابا مغلقا يوشك ان يكسر كسرا فقال عمر كسرا لا أبالك قال الدارقطني في الافراد غريب من حديث الشعبي عن ربعي تفرد به مجالد عنه (وكان يسئل عن المنافقين فيخبر باعداد من بقي ولا يخبر بأسمائهم) ولفظ القوت و يسألونه عن المنافقين وهل بقي من ذكر الله سبحانه وأخبرتهم أحد فكان يخبر باعدادهم ولا يذكر أسماءهم اه وذلك لما سبق في حديث الطبراني لا تخبرن أحدا (وكان عمر رضي الله عنه يسأله) ونص القوت يستكشفه (عن نفسه هل يعلم فيه شيأ من النفاق فيبرئه من ذلك) ثم يسأله عن علامات النفاق وآية المنافق فيخبره من ذلك بما يصلح مما أذن له فيه و يستعفي عما لا يجوز ان يخبر به فيعذر في ذلك (وكان عمر رضي الله عنه اذا دعي الى جنازة ليصلي عليها نظر فان رأى حذيفة صلى عليها والا تركها) هكذا أورده صاحب القوت الا ان فيه فان حضر حذيفة وفيه وان لم ير حذيفة لم يصل عليها وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن حذيفة قال مر بي عمر بن الخطاب وأنا جالس في المسجد فقال لي يا حذيفة ان فلانا قد مات فاشهده ثم مضى حتى اذا كاد ان يخرج الى المسجد التفت الي فرآني وأنا جالس فعرف فرجع فقال يا حذيفة أنشدك الله أمن القوم أنا قلت اللهم لا ولن ابرئ أحدا بعدك فرأيت عيني عمر جادتا (وكان) حذيفة (يسمى صاحب السر) كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئلوا عن علم يقول أحدهم تسألوني عن هذا وصاحب السر فيكم يعني حذيفة كذا في القوت وروى البخاري ان أبا الدرداء قال لعلقمة أليس فيكم أو منكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره يعني حذيفة (فالعناية) أي صرف الهمة (بمقامات القلب وأحواله) التي تعرضه (هو دأب علماء الآخرة) وطريقتهم (لان القلب هو الساعي الى قرب الرب عز وجل) والبدن مطيته كما سبق ذلك للمصنف أولا (و) لعمري (قد صار هذا الفن غريبا) وطلابه غرباء (مندرسا) عفت آثاره وطمست (واذا تعرض العالم لشئ منه) يحصله لنفسه (استبعد واستغرب) أي عد بعيد عن الافهام وطالبه غريبا (وقيل له هذا تزويق المذكرين) أي الواعظين والقصاص (فأين التحقيق في دقائق المجادلات) ورقائق المخاصمات (ولقد صدق القائل) هو عبد الواحد بن زيد قال صاحب القوت وقد قال عبد الواحد بن زيد امام الزاهدين كلاما في هذا المعنى يفرد العلماء بالله تعالى و يرفع طريقهم فوق كل طريق أنشدونا عنه

(الطرق شتى وطرق الحق مفردة * والسالكون طريق الحق افراد
* لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم) * ونص القوت ولا تسلك بدل تدرى (فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم * فجلهم عن سبيل الحق رقاد)

والى البيت الاخير أشار الطغرائي في لاميته

قد رشحوك لامر لو فطنت له * فاربأ بنفسك ان ترعى مع الهمل

(وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق) في تحصيلاتهم (الا الى الاسهل والارفق) والاوفق (الى طباعهم) وهم اذا منعوا مما هم فيه لأبوا قبوله (فان الحق مر) الطعم (والوقوف عليه صعب) المرام (وادراكه شديد) أي ينال بالشدة (وطريقه مستوعر) لا سبيل الى سلوكه لكل أحد وهي علوم الايمان (لاسيما معرفة صفات القلب) الجيدة (وتطهيره عن الاخلاق الذميمة) حتى يستقر فيه نور الايمان وضياء المعرفة (فان ذلك نزوع للروح على الدوام) وتنزل عن الفخر والاحتشام (وصاحبه ينزل منزلة شارب الدواء) المر (يصبر على مرارته) و يعض على مثل الجمر من حرارته (رجاء الشفاء) من امراضه الباطنة (و ينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه) و ينقطع عن لذائذ المأكولات (فهو يقاسي الشدائد) و يعانيها (ليكون فطره عند الموت) بتلقي الملائكة له الى الجنة (ومتى تكثر الرغبة في) تحصيل (هذه الطريق) مع ماذكر (ولذلك قيل) ونص القوت وقال بعض علمائنا (كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الوعظ والتذكير)

وكان يسئل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقي منهم ولا يخبر باسمائهم وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيأ من النفاق فبرأه من ذلك وكان عمر رضي الله عنه اذا دعي الى جنازة ليصلي عليها نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لان القلب هو الساعي الى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا واذا تعرض العالم لشئ منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فاين التحقيق و يرون ان التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال

الطرق شتى وطرق الحق مفردة
والسالكون طريق الحق افراد
لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم
فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم
فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق الا الى الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وادراكه شديد وطريقه مستوعر ولاسيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الاخلاق المذمومة فان ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة في هذا الطريق ولذلك قيل انه كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الوعظ والتذكير ولفظ

ولفظ القوت فى الذكر والوعظ (ولم يكن منهم من يتكلم فى علم) المعرفة و(اليقين) والمقامات (وأحوال القلوب وصفات الباطن الا ثلاثة) ولفظ القوت الاستة منهم أبو محمد (سهل) بن عبد الله التسترى (والصبحى) بالضم منسوب الى جده صبح (وعبد الرحيم) بن يحيى الاسود (وكان يجلس الى هؤلاء) أى أهل الوعظ والتذكير (الخلق الكثير الذى لا يحصى) ولفظ القوت وكان يجتمع فى مجالس القصاص والمذكرين والواعظين مئون من عهد الحسن الى وقتنا هذا (و) يجلس (الى هؤلاء) يعنى أهل علم صفات القلب (عدد يسير قلما يجاوز العشرة) فكان سهل يجلس عنده خمسة أو ستة الى العشرة وكان الجنيد يتكلم على بضع عشرة وما تم أهل مجلسه عشرون ولم يرفى مجالس أهل هذا العلم فيما سلف ثلاثون رجلا ولا عشرون الا نادرا غير لزام ولا دوام انما كانوا بين الاربعة والعشرة و بضعة عشر وقال الاوزاعى مات عطاء بن أبى رباح يوم مات وهو أرضى أهل الارض عند الناس وما كان يشهد مجلسه الا سبعة أو ثمانية قال صاحب القوت فهذا أيضا من الفرق بينهما (لان النفيس العزيز لا يصلح الا لاهل الخصوص) من اختصهم الله لقربه (وما يبذل للعموم فأمره قريب) وفى القوت ان العلم مخصوص لقليل وان القصص عام لكثير وقال فى موضع آخر ولعمرى ان المذاكرة بين النظراء والمحادثة بين الاخوان والجلوس للعلم يكون للاخوان والجواب فى المسائل نصيب العموم وكان عند أهل هذا العلم ان علمهم مخصوص لا يصلح الا للخصوص والخصوص قليل فلم يكونوا ينطقون به الا عند أهله و يرون ان ذلك من حقه وانه واجب عليه (ومنها) أى ومن العلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة (ان يكون اعتماده فى) أخذ (العلوم) وتلقيها (على بصيرته) التى ترى حقائق الاشياء و بواطنها (وادراكه) أى معرفته وتحققه (بصفاء قلبه) المنور بنور القدس (لا على الصحف) جمع صحيفة (والكتب) جمع كتاب أى لا يكون عمدة أخذه فى العلوم من الاوراق المكتتبة وانما يكون اعتماده على ما أدركه بقوة قلبه ونوره مما قابله بصفائه وظهر فى مرآته فان هذا هو النافع له فى علوم الاعمال الموصلة الى درجات الآخرة (ولا) يكون اعتماده أيضا (على تقليد ما يسمعه من غيره) و يروونه (وانما المقلد) الذى أمرنا باتباعه (صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه) لا غير (فيما أمر به وقاله) أى فى الاوامر والنواهى (وانما يقلد الصحابة) رضى الله عنهم (من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم عن النبى صلى الله عليه وسلم) أى تلقوا ذلك الفعل بمشاهدة منه صلى الله عليه وسلم فهم وسائط فى ايصال التلقى الينا فى المأمورات والمنهيات (ثم اذا قلد صاحب الشرع) صلى الله عليه وسلم (من تلقى أقواله وأفعاله بالقبول) وأجمع نفسه على ذلك فليبحث عن الاخبار الصحيحة الدالة على تلك الاقوال والافعال من طرق صحيحة أمنت من الكذابين والوضاعين ثم من معرفة الناسخ من ذلك من منسوخه فاذا تمت له هذه النعمة (فينبغى ان يكون حريصا) منشوقا (على فهم أسراره) ولطائفه ونكاته ودقائقه (فان المقلد) بكسر اللام (انما يفعل الفعل لان النبى صلى الله عليه وسلم فعله) وانما ينتهى عن منهى لانه صلى الله عليه وسلم نهى عنه (ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم فعله لا بد أن يكون لسر فيه) خفى عن المدرك (فينبغى أن يكون شديد البحث) والتطلب (عن أسرار الاعمال والاقوال) ليكون اتباعه كاملا ولتحصيل الاجور كافلا (فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال) و يكتب فى الصحف (كان وعاء للعلم) أى ظرفا حافظا له (ولم يكن عالما) حقيقة (ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم ولا يسمى عالما) هذا قول الزهرى كما سيأتى قريبا (اذ كان من شأنه الحفظ) والجمع فقط (من غير اطلاع على الاسرار والحكم) قال صاحب القوت ولم يكن العالم عند العلماء من كان عالما بعلم غيره ولا حافظا لفقه سواه هذا كان اسمه واعيا وراوية وناقلا وكان أبو حازم الزاهد يقول ذهب العلماء و بقيت علوم فى أوعية سوء وكان الزهرى يقول كان فلان وعاء للعلم وحدثنى فلان وكان من أوعية العلم ولا يقول وكان عالما وكذلك جاء الخبر رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه وكانوا يقولون

ولم يكن من يتكلم فى علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن الا ثلاثة منهم سهل التسترى والصبحى وعبد الرحيم وكان يجلس الى أولئك الخلق الكثير الذى لا يحصى والى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لان النفيس العزيز لا يصلح الا لاهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب

* ومنها ان يكون اعتماده فى علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله وانما يقلد الصحابة رضى عنهم من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا قلد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فى تلقى أقواله وأفعاله بالقبول فينبغى أن يكون حريصا على فهم أسراره فان المقلد انما يفعل الفعل لان صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فعله وفعله لا بد وأن يكون لسر فيه فينبغى أن يكون شديد البحث عن اسرار الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء العلم ولا يكون عالما ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالما اذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والاسرار

حماد الراوية يعنون انه كان راويا اه قلت أبو حازم هو سلمة بن دينار الاعرج من كبار التابعين أخرج أبو نعيم من رواية يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية قال حدثنا زمعة بن صالح قال قال الزهري لسليمان بن هشام ألا تسأل أبا حازم ما قال في العلماء قال ماعسيت أن أقول في العلماء الاخيرا اني أدركت العلماء وقد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا ولم يستغن أهل الدنيا بدنياهم عن علمهم فلما رأى ذلك هذا وأصحابه تعلموا العلم فلم يستغنوا به واستغنى أهل الدنيا بدنياهم عن علمهم فلما رأوا ذلك قذفوا بعلمهم الى أهل الدنيا ولم ينلهم أهل الدنيا من دنياهم شيأ ان هذا وأصحابه ليسوا علماء انما هم رواة وأما قول الزهري فأخرج أبو نعيم أيضا من رواية ابراهيم بن سعيد قال سمعت سفيان يقول كنت أسمع الزهري يقول حدثني فلان وكان من أوعية العلم ولا يقول كان عالما (ومن) تأدب بآداب الله وخالط أهل المعرفة (كشف عن قلبه الغطاء) أي الحجاب (واستنار بنور الهداية) واليقين و (صار في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي أن يقلد غيره) لان الفقيه في العلماء هو الفقيه بفقه علمه وقلبه لاحديث سواه ومثل العالم بعلم غيره مثل الواصف لاحوال الصالحين العارف بمقامات الصديقين ولا حال له ولا مقام فليس يعود عليه من وصفه الا الحجة بالعلم والكلام وسبق العلماء بالله في الحجة بالاعمال والمقام فمثله كما قال تعالى ولكم الويل مما تصفون وكقوله كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا لا يرجع الى بصيرة في طريقه بما اشتبه عليه من ظلمات الشبه مما اختلف العلماء فيه ولا يتحقق بوجد منه يجده عن حال ألبسها بوجده وانما هو واجد بتواجد غيره فغيره هو الواجد وشاهد على شهادة سواه فالسوى هو الشاهد وقد كان الحسن يقول ان الله لا يعبأ بصاحب رواية انما يعبأ بذي فهم ودراية وقال أيضا من لم يكن له عقل يسوسه لم ينفعه كثرة رواية الحديث (ولذلك قال ابن عباس) رضي الله عنهما (ما من أحد الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أورده صاحب القوت بلفظ ليس أحد الا يؤخذ من قوله ويترك والباقي سواء وقال العراقي رواه الطبراني في الكبير من رواية مالك بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس رفعه فساقه بلفظ القوت واسناده حسن (وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه) هو زيد بن ثابت ابن الضحاك بن زيد بن لوذان الانصاري النجاري أبو سعيد ويقال أبو خارجة المدني أحد كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشعبي وابن سيرين غلب زيد على اثنين الفرائض والقرآن وكان من أصحاب الفتوى من الصحابة اليه انتهى علمهم وقال سعيد بن المسيب لما دلي زيد في قبره قال ابن عباس من سره أن يعلم كيف ذهاب العلم فهكذا ذهاب العلم والله لقد دفن اليوم علم كثير ووفاته سنة خمس وأربعين وهو ابن ست وخمسين وقيل غير ذلك (وقرأ على أبي بن كعب) القرآن هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد ابن زيد الانصاري النجاري المدني أبو المنذر ويقال أبو الطفيل سيد الاقران واحد من جمع القرآن توفي في خلافة عثمان على الصحيح (ثم خالفهما) فخالف زيدا (في الفقه) أي أفتى في بعض المسائل بخلاف ما أفتى به زيد (و) خالف أبيا (في القراءة) أي في بعض الوجوه (وقال بعض) الفقهاء من (السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ ونترك وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال) قالوا ونقول هكذا أورده صاحب القوت وهذا القول قد عزي الى الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى قال صاحب القوت واعلم أن العبد اذا كاشفه الله تعالى بالمعرفة وعلم اليقين لم يسعه تقليد أحد من العلماء وكذلك كان المتقدمون اذا أقيموا هذا المقام خالفوا من حملوا عنه العلم لمزيد اليقين والافهام ثم أورد قول ابن عباس وقول بعض السلف المتقدم ذكرهما قال ولاجل ذلك كان الفقهاء يكرهون التقليد ويقولون لا ينبغي لرجل أن يفتي حتى يعرف اختلاف العلماء أي فيختار منها على علمه الاحوط للدين والاقوى باليقين فلو كانوا لا يستحسنون أن يفتي العالم بمذهب غيره لم يحتج أن يعرف الاختلاف ولكان اذا عرف مذهب صاحبه كفاه ومتى قيل ان العبد يسئل غدا فيقال ماعملت

ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي أن يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما ما من أحد الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد ابن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة جميعا وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة رضي الله عنهم فنأخذ منه ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال

فيما

فيما علمت ولا يقال له فيما علم غيرك وهذا العالم الذى هو من أهل الاستنباط والاستدلال من الكتاب والسنة فأما الجاهل والعامى الغافل فله أن يقلد العلماء ولعالم العموم أيضا أن يقلد عالم الخصوص وللعالم بالعلم الظاهر أن يقلد من فوقه ممن جل عن علم باطن من القلوب اهـ (وانما فضل الصحابة) رضى الله عنهم بخصوص التقليد (بمشاهدتهم) معاينة (قرائن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم) لملازمتهم له فى أكثر الاوقات (واعتلاق قلوبهم أمور الادراك) مع البصيرة النافذة (فسددهم ذلك الى الصواب) ومعرفة الحق (من حيث لايدخل فى الرواية والعبارة اذفاض عليهم من نور النبوة) باشراقه فى صدورهم (مايحرسهم) ويمنعهم (فى الاكثر) من أحوالهم (عن) الوقوع فى (الخطا) فلاجل هذه الخصوصية خصوا بالتقليد لهم دون غيرهم من بعدهم لانهم بعد واقليلا من تلك الانوار فلم ينالوا مقام أولئك الابرار (واذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضى) كما قرر (فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد) من أن يكون مرضيا (بل الكتب والتصانيف محدثة) أى أحدثت فيما بعد (لم يكن شئ منها فى زمن الصحابة وصدر التابعين وانما حدثت بعد) ولفظ القوت لان الكتب المجموعات محدثة والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب الواحد من الناس واتخاذ قوله والحكاية له فى كل شئ والتفقه على مذهبه محدث لم يكن الناس قديما على ذلك فى القرن الاول والثانى وهذه المصنفات من الكتب حادثة بعد (مائة وعشرين من الهجرة) الشريفة (وبعد وفاة جميع الصحابة و) علية (التابعين) وآخر من مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك بالبصرة وسهل بن سعد الساعدى بالمدينة وأبو الطفيل بمكة وعبد الله بن أبى أوفى بالكوفة وأبيض بن حمال المازنى باليمن وأبو قرصافة بالشام وبريدة الاسلمى بخراسان وعبد الله بن الحرث الزبيدى بمصر (و) انما وضع الكتب (بعد وفاة سعيد بن المسيب) بن حزن بن أبى وهب المخزومى القرشى أبو محمد المدنى سيد التابعين وأفقههم وأعلمهم وكان يسمى راوية عمر لانه كان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته مات سنة أربع وتسعين وهى سنة الفقهاء لكثرة من مات منهم فيها (و) بعد وفاة (الحسن) بن أبى الحسن البصرى مات سنة عشر ومائة فى خلافة هشام (وخيار التابعين) من أقرانهما كعمرو بن دينار وأبى حازم الاعرج وغيرهما وفيهم كثرة زاد صاحب القوت بعد قوله وخيار التابعين وبعد سنة عشرين أو ثلاثين ومائة من تاريخ الهجرة (بل كان الاول) الذين هم أئمة هؤلاء العلماء من طبقات الصحابة الاربعة ومن بعد موت الطبقة الاولى من خيار التابعين الذين انقرضوا قبل وضع الكتب كانوا (يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغلوا بها عن الحفظ) فى الصدور (وعن القرآن وعن التدبر) فى معانيه وأسراره (و) التذكر و (التفكر وقالوا احفظوا) ماتسمعون منا (كما كنا نحفظ) وأخرج أبو نعيم من رواية داود بن رشيد قال حدثنا أبو المليح قال كنا لانطمع أن نكتب عند الزهرى حتى أكره هشام الزهرى فكتب لبنيه فكتب الناس يعنى الحديث وأخرج أيضا من رواية ابراهيم بن سعيد قال سمعت سفيان يقول قال الزهرى كنا نكره الكتاب حتى أكرهنا هشام عليه فكرهنا أن نمنعه الناس قال صاحب القوت (و) لئلا يشتغلوا عن الله تعالى برسم ولا وسم (و) لذلك ونص القوت كما (كره أبو بكر) عبد الله بن عثمان الصديق (رضى الله عنه وجماعة من الصحابة) ونص القوت وعلية الصحابة (شكل القرآن فى المصحف) وفى نسخة تصحيف القرآن فى مصحف وهو بعينه نص القوت (وقالوا) كيف نفعل شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشوا اشتغال الناس بالصحف واتكالهم على المصاحف فقالوا (نترك القرآن يتلقاه بعضهم عن بعض) تلقيا (بالتلقين والاقراء ليكون) هو (شغلهم وهمهم) وفكرهم (حتى أشار) عليه (عمر رضى الله عنه وبقية الصحابة فكتب القرآن) فى المصاحف (خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم) فى جمعه وحفظه (وحذرا من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع اليه فى كلمة أو قراءة من المتشابهات) ولفظ

فسددهم ذلك الى الصواب من حيث لايدخل فى الرواية والعبارة اذفاض عليهم من نور النبوة مايحرسهم فى الاكثر عن الخطا واذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضى فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شئ منها فى زمن الصحابة وصدر التابعين وانما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين رضى الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم تصحيف القرآن فى مصحف وقالوا كيف نفعل شيأ مافعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم حتى أشار عمر رضى الله عنه وبقية الصحابة بكتب القرآن خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من ان يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع اليه فى كلمة أوقراءة من المتشابهات

القوت حتى أشار اليه عمرو بقية الصحابة أن تجمع القرآن فى المصاحف لانه أحفظ له وليرجع الناس الى المصحف لما لايؤمن من الاشتغال بأسباب الدنيا عنه (فانشرح) وفى القوت فشرح الله (صدر أبى بكر لذلك فجمع القرآن) من الصحف المتفرقة (فى مصحف واحد) وكذلك كانوا يتلقون العلم بعضهم من بعض و يحفظونه حفظا هذا لطهارة القلوب من الريب وفراغهما من أسباب الدنيا وقوة الايمان وصفاء اليقين وعلو الهمة وحسن النية وقوة العزيمة (وكان أحمد بن حنبل) الامام (ينكر على مالك) الامام (تصنيفه الموطا ويقول ابتدع مالم تفعله الصحابة) ولعل هذا الانكار كان فى مبادى أمره والا فقد جمع حديثه بنفسه على المسانيد وذلك لما رأى احتياج الناس الى ذلك (وقيل أول كتاب صنف فى الاسلام كتاب) عبد الملك بن عبد العزيز (ابن جريج) القرشى الاموى مولاهم مات سنة تسع وأربعين ومائة (فى الآثار) سئل أحمد بن حنبل من أول من صنف الكتب قال ابن جريج وابن أبى عروبة وعن ابن جريج قال ما دوّن العلم تدوينى أحد وقال يحيى بن سعيد كانسمى كتب ابن جريج كتب الامانة وان لم يحدثك ابن جريج من كتابه لم تنتفع به وأخرج أبو نعيم من رواية الزبير بن بكار قال حدثنى محمد بن الحسن بن زبالة عن مالك بن أنس قال أول من دوّن العلم ابن شهاب (وحروف التفاسير عن عطاء ومجاهد وأصحاب ابن عباس بمكة) هكذا أورده صاحب القوت أما عطاء فهو ابن أبى رباح أبو محمد المكى كان أسود أعور أفطس أشل أعرج ثم عمى وكان ثقة فقيها عالما كثير الحديث اليه انتهت الفتيا بمكة فى زمانه أدرك مائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم ابن عمر مكة فسألوه فقال أتسألونى وفيكم ابن أبى رباح مات سنة أربع عشرة ومائة وأما مجاهد فهو ابن جبر المكى أبو الحجاج مولى بنى مخزوم قال الفضل بن ميمون سمعت مجاهدا يقول عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة وقال خصيب كان أعلمهم بالتفسير مجاهد وبالحج عطاء مات سنة اثنين ومائة بمكة (ثم كتاب معمر بن راشد الصغانى باليمن جمع فيه سننا منثورة مبوبة) هكذا أورده صاحب القوت ومعمر بن راشد هو أبو عروة بن أبى عمرو الازدى مولاهم الحدانى البصرى سكن اليمن وكان شهد جنازة الحسن وقال أبو حازم انتهى الاسناد الى ستة نفر أدركهم معمر وكتب عنهم لا أعلم اجتمع لاحد غيره من الحجاز الزهرى وعمرو بن دينار ومن الكوفة أبو اسحق والاعمش ومن البصرة قتادة ومن اليمامة يحيى ابن أبى كثير وقال ابن معين أثبت الناس فى الزهرى مالك ومعمر ويونس وعقيل وشعيب وابن عيينة وقال ابن جريج عليكم بهذا الرجل فانه لم يبق أحد من أهل زمانه أعلم منه وذكره ابن حبان فى كتاب الثقات وقال كان فقيها متقنا حافظا ورعا مات سنة أربع وخمسين ومائة (ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس) الاصبحى الامام تقدمت ترجمته توفى سنة تسع وسبعين ومائة وشأن كتابه الموطا مشهور وفيه قال الشافعى ماتحت أديم السماء كتاب أصح من الموطأ (ثم جامع سفيان) بن سعيد (الثورى) فى الفقه والاحاديث ثم جمع ابن عيينة كتاب الجامع فى السنن والابواب وكتاب التفسير فى أحرف من علم القرآن فهذه أول ما صنف و وضع من الكتب بعد وفاة ابن المسيب والحسن وقال الحافظ ابن حجر فى أول مقدمة فتح البارى واعلم ان آثار النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن فى عصر أصحابه وكبار تبعهم مدونة فى الجوامع ولا مرتبة لامرين أحدهما انهم كانوا فى ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك كما ثبت فى صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم وثانيهما لسعة حفظهم وسيلان اذهانهم ولان أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة حتى حدث فى أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الاخبار لما انتشرت العلماء فى الامصار وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكرين الاقدار فأول من جمع ذلك الربيع ابن صبيح وسعيد بن أبى عروبة وغيرهما وكانوا يصنعون كل باب على حدة الى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدوّنوا الاحكام فصنف مالك الموطأ وتوخى فيه القوى من حديث أهل الحجاز ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم وصنف ابن جريج بمكة والاوزاعى بالشام والثورى بالكوفة وحماد

ابن

فانشرح صدر أبى بكر رضى الله عنه لذلك فجمع القرآن فى مصحف واحد وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك فى تصنيفه الموطأ ويقول ابتدع مالم تفعله الصحابة رضى الله عنهم *وقيل أول كتاب صنف فى الاسلام كتاب ابن جريج فى الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس رضى الله عنهم بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعانى باليمن جمع فيه سننا مأثورة نبوية ثم كتاب الموطا بالمدينة لمالك بن أنس ثم جامع سفيان الثورى

ابن سلمة بالبصرة ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم في النسج على منوالهم الى أن رأى بعض الائمة منهم أن يفرد حديث النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وذلك على رأس المائتين فصنف عبيدالله بن موسى العبسي الكوفي مسندا وصنف مسدد بن مسرهد البصري مسندا وصنف أسد بن موسى الاموي مسندا وصنف نعيم بن حماد الخزاعي نزيل مصر مسندا ثم اقتفى الائمة بعد ذلك أثرهم فقل امام من الحفاظ الا وصنف حديثه على المسانيد كالامام أحمد واسحق بن راهويه وعثمان بن أبي شيبة وغيرهم من النبلاء ومنهم من صنف على الابواب والمسانيد معا كأبي بكر بن أبي شيبة اهـ (ثم) بعد سنة مائتين وبعد تقضي ثلاثة قرون (في القرن الرابع) المرفوض (حدثت) وظهرت (مصنفات الكلام) وكتب المتكلمين بالرأي والمعقول والقياس (وكثر الخوض في الجدال) مع القدرية والجهمية والروافض (والغوص في ابطال المقالات) بالبراهين والادلة (ثم مال الناس اليه) أخذا وتحصيلا (والى القصص والوعظ بهما) على الكراسي (فأخذ علم اليقين) والمعرفة وفي نسخة علم التيقن (في الاندراس) والاضمحلال وغابت معرفة الموقنين من علم التقوى والهام الرشد فخلف من بعدهم خلف فلم نزل في الخلوف الى هذا الوقت (فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس) الامارة (ومكايد الشيطان) وحيله (وأعرض عن ذلك الا الاقلون) من القليل ثم اختلط الامر بعد ذلك في زمانك هذا (فصار المجادل) والمتكلم يسمى (عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة) الرائقة (عالما) عارفا والراوي للحديث والناقل له يسمى عالما من غير فقه في دين ولا بصيرة من يقين قال صاحب القوت وروينا عن ابن أبي عبلة قال كنا نجلس الى عطاء الخراساني بعد الصبح فيتكلم علينا فاحتبس ذات غداة فتكلم رجل من المؤذنين لا بأس به بمثل ما كان يتكلم به عطاء فأنكر صوته رجاء بن حيوة فقال من هذا المتكلم فقال أنا فلان فقال اسكت فانه يكره أن يسمع العلم الا من أهله الزاهدين في الدنيا وكرهوا أن يسمعوه من أبناء الدنيا وزعموا انه لا يليق بهم اهـ (وهذا لان العوام) من الناس (هم المستمعون اليهم) في حلق دروسهم (وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم عن غيره) لقصور مرتبتهم (ولم تكن سيرة الصحابة) وطريقتهم (وعلومهم) وما كانوا عليه (ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها) أي بتلك السيرة وفي نسخة به (مباينة هؤلاء لهم) في الاقوال والاحوال (فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا) وفي القوت ثم درس معرفة هذا أيضا فصار كل من نطق بكلام وصفه غريب على السامعين لا يعرف حقه من باطله يسمى عالما وكل كلام مستحسن مزخرف ونقه لا أصل له يسمى عالما لجهل العامة بالعلم أي شئ هو ولقلة معرفة السامع بوصف من سلف من العلماء كيف كانوا فصار كثير من متكلمي الزمان فتنة المفتون وصار كثير من الرأي والمعقول الذي حقيقته جهل كأنه علم عند الجاهلين (وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام) وبين المتكلم والعالم (الا عن الخواص منهم كانوا اذا قيل لهم فلان أعلم من فلان) وفي نسخة أم فلان (يقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما فكان الخواص) منهم (يدركون الفرق) والتمييز (بين العلم وبين القدرة على الكلام) وبين العالم والمتكلم وخصوص الجهال يشبهون العلماء فيشتبهون على مجالسهم في الحال فاعلم الناس في زمانك أعرفهم بسيرة المتقدمين وأعلمهم بطرائق السالكين ثم أعلمهم بالعلم أي شئ هو وبالعالم من هو وبالمتعلم من هو وهذا كالفرض على طالبي العلم أن يعرفوه حتى يطلبوه اذ لا يصح طلب ما لا يعرف ثم معرفة العالم من هو ليطلبوا عنده العلم اذ العلم عرض لا يقوم الا بجسم فلا يوجد الا عند أهله (هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا) في القرن الخامس (وقد انتهى الامر الى أن مظهر الانكار) في شئ من ذلك (يستهدف) ويرمى (بنفسه الى الجنون) وقلة العقل والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (فالاولى أن يشتغل الانسان بنفسه) في توجهه الى المولى جل وعز (ويسكت) فانه لا فائدة في نصحته

* ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والغوص في ابطال المقالات ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان وأعرض عن ذلك الا الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لان العوام هم المستمعون اليهم فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره ولم تكن سير الصحابة رضي الله عنهم وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام الا عن الخواص منهم كانوا اذا قيل لهم فلان أعلم أم فلان يقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الامر الى أن مظهر الانكار يستهدف لنسبته الى الجنون فالاولى أن يشتغل الانسان بنفسه ويسكت

ومنها أن يكون شديد التوقى من محدثات الامور وان اتفق عليها الجمهور فلا يغرنه اطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثرهمهم أكان فى التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولى الاوقاف والوصايا وأكل مال الايتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم فى العشرة أم كان فى الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الاثم وجليله والحرص على ادراك خفايا شهوات النفوس ومكايد الشيطان الى غير ذلك من علوم الباطن واعلم تحقيقا أن اعلم أهل الزمان وأقربهم الى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فمنهم أخذ الدين ولذلك قال على رضى الله عنه خيرنا أتبعنا لهذا الدين لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغى أن يكترث بمخالفة أهل العصر فى موافقة أهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم اليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا انه لاسبيل الى الجنة سواه ولذلك قال الحسن محدثان أحدثا فى الاسلام رجل ذو رأى سئ زعم ان الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار وان رجلا أصبح فى هذه الدنيا بين مترف يدعوه الى فكذلك دنياه وصاحب هوى يدعوه الى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن الى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويقتفى آثارهم متعرض لاجر عظيم

ولاسامع لها ولاحامل لحديثه ولا ناقل له ويفوض أمره الى الله تعالى فهو المطلع على سرائر عباده وهو المجازى لهم (ومنها) أى ومن العلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة (أن يكون شديد التوقى) أى التحرز (من محدثات الامور) التى أحدثها الناس فيما بعد (وان اتفق عليه الجمهور) جميع الناس ومعظمهم (فلا يغرنه اطباق الخلق) واجماعهم (على ما أحدث) وابتدع (بعد) عصر (الصحابة) والقرون الاول فاخرج اللالكائى فى السنة من رواية شبابة قال حدثنا هشام بن الغاز عن نافع عن ابن عمر قال كل بدعة ضلالة وان رآها الناس حسنة (وليكن حريصا على التفتيش) والبحث (عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم) وما كانوا عليه من ايثار الآخرة على الدنيا (وما كان فيه أكثرهممهم) ورغباتهم (أكان) ذلك (فى التصنيف والتدريس والمناظرة) مع الاقران (و) تولية (القضاء والولاية) للاعمال (وتولى الاوقاف) بالنظر والتحدث فيها (والوصايا و) تولية (مال الايتام ومخالطة السلاطين) والامراء والتجار (ومجاملتهم فى العشرة) ومؤانستهم اياهم فيها (أو) كان (فى الخوف) من الله تعالى (والحزن) فى أنفسهم (والتفكر) فى نعم الله تعالى (والمجاهدة) مع النفس (ومراقبة الباطن والظاهر واجتناب دقيق الاثم وجليله والحرص على ادراك خفايا شهوات النفس و) معرفة (مكايد الشيطان) ومدافعته (الى غير ذلك من علوم الباطن) كعلم الورع فى المكاسب والمعاملات والفرق بين نفاق العلم والعمل والفرق بين خواطر الروح والنفس وبين خاطر الايمان واليقين والعقل وتفاوت مشاهدات العارفين وعلم القبض والبسط وغير ذلك مما يأتى كل ذلك مصرحا مبسوطا فى كلام المصنف (واعلم تحقيقا ان اعلم أهل الزمان وأقربهم الى الحق) والتوفيق والرشد (أشبههم بالصحابة) أى بطرائقهم (وأعرفهم بطرائق السلف فنهم أخذ الطريق) ونص القوت فاعلم الناس فى هذا الوقت وأقربهم من التوفيق والرشد اتبعهم لمن سلف وأشبههم بشمائل صالحى الخلق كيف وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل من أعلم الناس قال أعرفهم بالحق اذا اشتبهت الامور وقال بعض السلف اعلم الناس أعرفهم باختلاف الناس (ولذلك قال على كرم الله وجهه خيرنا اتبعنا لهذا الدين لما قيل له) انك (خالفت فلانا) فى كذا هكذا أورده صاحب القوت زاد وكما قيل لسعد ابن المسيب يقرأ ما ننسخ من آية أوننساها فقال ان القرآن لم ينزل على المسيب ولا على ابنه ثم قرأ أوننسها (فلا ينبغى أن تكترث بمخالفة أهل العصر فى موافقة أهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الناس رأوا رأيا فيما هم فيه) كذا فى أكثر النسخ وفى بعضها رأوا الفضل فيما هم فيه (لميل طباعهم اليه) بمجرد حظ (ولم تسمح طباعهم) وفى نسخة نفوسهم (بالاعتراف) والتسليم لطريقة السلف (فان ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا انه لاسبيل الى الجنة سواه) أى سوى طريقه الذى سلكه وأخرج اللالكائى فى السنة من رواية ابراهيم بن أبى حفصة قال قلت لعلى بن الحسين ناس يقولون لاننكح الا من كان على رأينا ولانصلى الا خلف من كان على رأينا قال على بن الحسين ننكحهم بالسنة ونصلى خلفهم بالسنة (ولذلك قال الحسن) البصرى رحمه الله تعالى ولفظ القوت وكان الحسن البصرى يقول (محدثان أحدثا فى الاسلام رجل ذو رأى سوء زعم ان الجنة لمن رأى مثل رأيه) وفى بعض النسخ برأيه (ومترف) أى متنعم (يعبد الدنيا) حيث جعلها أكبر همه (لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار) أى اتركوهما فان مصيرهما الى النار زاد فى القوت اعرفوا انكارهم لربهم بأعمالهم (ان رجلا أصبح فى الدنيا بين مترف يدعو الى دنياه وصاحب هوى يدعو الى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما) أى من اتباعهما (يحن الى) طريقة (السلف الصالح) ويميل الى شمائلهم (يسأل عن أفعالهم) وفى القوت عن فعالهم (ويقتص) أى يتتبع (آثارهم متعرض لاجر) وفى القوت لتعرض لاجر (عظيم

فكذلك) وفى القوت وكذلك (فكونوا) وأخرج اللالكائى فى السنة من رواية سعيد بن عامر قال أخبرنا حزم عن غالب القطان قال رأيت مالك بن دينار فى النوم وهو قاعد فى مقعده الذى كان يقعد فيه وهو يشير بأصبعيه وهو يقول صنفان فى الناس لاتجالسوهما فان مجالستهما مفاسدة لقلب كل مسلم صاحب بدعة قد غلا فيها وصاحب دنيا مترف فيها قال ثم قال حدثنى بهذا حكيم وكان رجلا من جلسائه قال وكان معنا فى الحلقة قال قلت يا حكيم أنت حدثت مالكا بهذا الحديث قال نعم فات عمن قال عن المتقانع من المسلمين (وقد روى عن ابن مسعود) رضى الله عنه (موقوفا) عليه (و) روى أيضا (مسندا) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (انما هما اثنان الكلام والهدى) أى السيرة والطريقة (فأحسن الكلام كلام الله عز وجل) المنزل على رسله فى الكتب وأعظمها الكتب الاربعة (وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم الا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها وان كل محدثة بدعة) أى خصلة محدثة (وان كل بدعة ضلالة الا لا يطولن عليكم الامد) بالدال محركة الزمان ومن رواه بالراء فقد صحف (فتقسو قلوبكم) وهو من قوله عز وجل ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم (الا كل ماهو آت قريب الا ان البعيد ماليس بآت) هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقى رواه ابن ماجه من رواية أبى اسحق السبيعى عن أبى الاحوص عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكره الا انه قال وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وقال الان ماهو آت قريب وانما البعيد ماليس بآت وزاد الا انما الشقى من شقى فى بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره الحديث واسناده جيد وزاد الطبرانى بعد قوله وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار اهـ والحديث طويل وفى آخره بعد قوله من وعظ بغيره الا ان قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث الا واياكم والكذب فان الكذب لا يصلح لا بالجد ولا بالهزل الا لا يعد الرجل صبيه فلا يفى له وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وانه يقال للصادق صدق وبر ويقال للكاذب كذب وفجر الا وان العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا هكذا عند ابن ماجه بطوله وأخرجه اللالكائى فى السنة من هذا الطريق الى قوله فتقسو قلوبكم وفيه ان كل محدثة بلا واو وفيه الا لا يطول من غير نون ثقيلة وأخرج أيضا من رواية الاعمش عن جامع بن شداد عن الاسود بن هلال قال قال عبد الله ان أحسن الهدى هدى محمد وان أحسن الكلام كلام الله وانكم ستحدثون ويحدث لكم فكل محدثة ضلالة وكل ضلالة فى النار وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية عمرو بن ثابت عن عبد الله بن عابس قال قال عبد الله بن مسعود ان أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة ابراهيم وأحسن السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم وخير الهدى هدى الانبياء وأشرف الحديث ذكر الله وخير القصص القرآن وخير الامور عواقبها وشر الامور محدثاتها الحديث بطوله قال العراقى وفى الباب عن جابر بن عبد الله رواه مسلم والنسائى وابن ماجه من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه الحديث وفيه ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة قلت وأخرج أبو داود والترمذى واللالكائى وأبو بكر الآجرى وعياض فى الشفاء من طريقه كلهم من حديث العرباض بن سارية رضى الله عنه صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فساقوا الحديث وفيه واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وأخرج اللالكائى فى السنة من رواية سفيان بن عيينة عن هلال الوزان حدثنا عبد الله بن حكيم وكان قد أدرك الجاهلية قال أرسل اليه الحجاج يدعوه فلما أتاه قال كيف كان عمر يقول قال كان عمر يقول ان أصدق القيل قيل

فكذلك كونوا وقد روى عن ابن مسعود موقوفا ومسندا انه قال انما هما اثنان الكلام والهدى فاحسن الكلام كلام الله تعالى وأحسن الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها وان كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة الا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم الا كل ماهو آت قريب الا ان البعيد ماليس بآت

الله الاوان أحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل محدثة ضلالة الاوان الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم ولم يقم الصغير على الكبير فاذا قام الصغير على الكبير فقد وأخرج أيضا من رواية واصل الاحدب عن عاتكة بنت جزء قالت أتينا ابن مسعود فسألناه عن الدجال قال أنا لغير الدجال أخوف عليكم من الدجال أمور تكون من كبرائكم فأيما مرية ورجيل أدرك ذلك الزمان فالسمت الاول السمت الاول فانا اليوم على السنة وأخرج أيضا من حديث معاذ ستكون فتنة الحديث وفيه فاياكم وما ابتدع فان ما ابتدع ضلالة (وفي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من أقواله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة) هكذا أورده صاحب القوت بلفظ وفي خطبة النبي صلى الله عليه وسلم التي رويناها وفيه بعد قوله وخالط أهل الفقه والحكمة زيادة وجانب أهل الذل والمعصية وقال العراقي فيه عن الحسين بن علي وأبي هريرة وركب المصري أما حديث الحسين ابن علي فرواه أبو نعيم في الحلية من رواية القاسم بن محمد بن جعفر عن آبائه من أهل البيت الى الحسين ابن علي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا على أصحابه فذكره بزيادة في أوله وهي كأن الموت في هذه الدنيا على غيرنا كتب الحديث وفيه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى البدعة وأما حديث أبي هريرة فرواه ابن لال في مكارم الاخلاق من رواية عصمة بن محمد الخزرجي عن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار عن أبي هريرة رفعه فساقه بمثل حديث الحسين بن علي وأما حديث ركب المصري فرواه الطبراني والبيهقي من رواية اسمعيل بن عياش عن عنبسة بن سعيد الكلاعي عن نصيح العبسي عن ركب المصري رفعه طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة وأنفق مالا جمعه في غير معصية ورحم المساكين وخالط أهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل في نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله وأما حديث أنس فرواه البزار في مسنده مختصرا باسناد ضعيف ولفظه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى البدعة اهـ قلت وحديث ركب أخرجه أيضا البخاري في التاريخ والبغوي في معجم الصحابة والباوردي وابن قانع وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية كثير بن هشام عن جعفر بن برقان قال بلغنا أن وهب بن منبه كان يقول طوبى لمن فكر في عيبه عن عيب غيره وطوبى لمن تواضع لله عز وجل من غير معصية وجالس أهل العلم والحلم وأهل الحكمة ووسعته السنة ولم يتعدها الى البدعة وقال صاحب القوت بعد ان أورد الخطبة المذكورة ما نصه وقال بعض العلماء الادباء كلاما منظوما في وصف زماننا هذا كأنه شاهده

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم * بعضا ليدفع معور عن معور
أبني ان من الرجال بهيمة * في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله * فاذا أصيب بدينه لم يشعر
فسل اللبيب تكن لبيبا مثله * من يسع في علم بلب يظفر

(وكان ابن مسعود يقول حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل) هكذا أورده صاحب القوت أي حسن السيرة والطريقة بمجانبة أهل البدع وأخرج اللالكائي في السنة من رواية الاعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة (وقال) ايضا

وفي خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكم وجانب أهل الزلل والمعصية طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال أنتم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور وسيأتي بعدكم

أيضا فى وصف زمانه باليقين وفى وصف زماننا بالشك وأنتم فى زمان خيركم فيه المسارع فى الامور وسيأتى بعدكم (زمان يكون خيرهم) فيه (المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات) هكذا أورده صاحب القوت ولم يقل فى الامور (ولقد صدق) ابن مسعود (فمن لم يتثبت فى هذا الزمان) على دينه (ووافق الجماهير) فى آرائهم (فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا هلك كما هلكوا وقال حذيفة) بن اليمان رضى الله عنه (أعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان قد يأتى وانكم لن تزالوا بخير ماعرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به) هكذا أورده صاحب القوت من غير لفظة به فى آخره وأراد من قوله غير مستخف من الخفاء لامن الخفة كما يقتضيه سياق المصنف وزاد وكان يقول أيضا يأتى على الناس زمان يكون العالم بينهم بمنزلة الحمار الميت لايلتفتون اليه يستخفى المؤمن فيهم كما يستخفى المنافق فينا اليوم المؤمن فيهم أذل من الامة وفى حديث على يأتى على الناس زمان ينكر الحق تسعة أعشارهم لاينجو منه يومئذ الا كل مؤمن نومة يعنى صموتا متغافلا وفى الخبر يأتى على الناس زمان من عرف فيه الحق نجا قيل فأين العمل قال لاعمل يومئذ لاينجو فيه الامن هرب من شاهق الى شاهق وفى حديث أبى هريرة يأتى على الناس زمان من عمل منهم بعشر ماأمر به نجا وفى بعضها بعشر مايعلم وقال بعض الخلف أفضل العلم فى آخر الزمان الصمت وأفضل العمل النوم يعنى لكثرة الناطقين بالشبهات فصار الصمت للجاهل علما ولكثرة الناطقين بالشبهات فصار النوم عبادة البطال ولعمرى ان الصمت والنوم أدنى أحوال العالم وهما أعلى حال الجاهل وكان يونس بن عبيد يقول أصبح اليوم من يعرف السنة غريبا وأغرب منه من يعرفه يعنى طريقة السلف يقول فمن عرف طريق من مضى فهو غريب أيضا لانه قد عرف غريبا وقال حذيفة المرعشى كتب الى يوسف بن أسباط ذهبت الطاعة ومن يعرفها وكان أيضا يقول مابقى من يؤنس به وقال ماظنك بزمان مذاكرة العلم فيه معصية قيل ولم ذلك قال لانه لايجد أهله وقد كان أبو الدرداء يقول انكم لن تزالوا بخير ماأحببتم خياركم وقيل فيكم الحق فعرف وبل لكم اذا كان العالم فيكم كالشاة النطيح وأخرج اللالكائى فى السنة من رواية حميد بن هلال قال حدثنى مولى لابن مسعود قال دخل ابن مسعود على حذيفة فقال اعهد الى ألم يأتك اليقين قال بلى وعزة ربى قال فاعلم أن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ماكنت تنكر وان كنت تنكر ماكنت تعرف واياك والتلون فى دين الله فان دين الله واحد (ولقد صدق) حذيفة (فأكثر معروفات هذه الاعصار) من الاقوال والافعال كانت (منكرات فى عصر الصحابة) رضوان الله عليهم (اذ من غرر المعروف فى زماننا تزيين المساجد) وفى نسخة فرش المساجد (وتجميرها) أى تزويقها بأنواع الصباغات والفسيفساء والرخام الملون (وانفاق الاموال العظيمة) وصرفها (فى دقائق عمارتها وفرش البسط) الرومية والانماط (الرفيعة) الاثمان (فيها) وكذلك تلوين القبلة بالزخرف لان ذلك يشغل القلب ويلهى عن الخشوع والتدبر والحضور مع الله تعالى وأخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول وابن المبارك فى الزهد عن أبى الدرداء رفعه اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مساجدكم فالدبار عليكم قال المناوى والذى عليه الشافعية أن تزويق المسجد ولو الكعبة بذهب أوفضة حرام مطلقا وبغيرهما مكروه وان تحلية المصحف بذهب يجوز للمرأة لا للرجل وبالفضة يجوز مطلقا (ولقد كان) اخراج الحصى والرمل و(فرش البوارى) جمع بورياء وهى الحصير فارسية معربة (فى المسجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج) بن يوسف الثقفى المشهور كما روى ان قتادة سجد فدخل فى عينه قصبة وكان ضريرا فقال لعن الله الحجاج ابتدع هذه البوارى يؤذى بها المصلين (وقد كان الاولون) من السلف (مايجعلون بينهم وبين التراب حاجزا) ويستحبون السجود عليه تواضعا لله تعالى وتخشعا وذلا وهذا الذى ذكره المصنف من بدع الافعال ويدخل فى ذلك تشييد البناء بالجص والآجر يقال أول من طبخ الطين هامان أمره به

زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتوقف فى هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا وقال حذيفة رضى الله عنه أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم اليوم معروف زمان قد أتى وانكم لاتزالون بخير ماعرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فان أكثر معروفات هذه الاعصار منكرات فى عصر الصحابة رضى الله عنهم اذ من غرر المعروفات فى زماننا تزيين المساجد وتجميرها وانفاق الاموال العظيمة فى دقائق عمارتها وفرش البسط الرفيعة فيها ولقد كان يعد فرش البوارى فى المسجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا

فرعون و يقال هو بناء الجبابرة وكذلك النقوش والتزويق فى السقوف والابواب سواء فى المساجد أو البيوت وكانوا يغضون النظر عن النظر الى ذلك غاب الاحنف بن قيس غيبة فرجع وقد خضروا سقف بيته وصفروه فلما نظر اليه خرج من منزله وحلف أن لايدخله حتى يقلعوا ذلك منه و يعيدوه كما كان وقال يحيى بن يمان كنت أمشى مع الثورى فى طريق فمررنا بباب منقوش مزوق فنظرت اليه فجذبنى سفيان حتى جزت فقلت ماتكره من النظر فقال انما بنوه لينظر اليه ولو كان كل من مربه لاينظر اليه مابنوه فكأنه خشى أن يكون بنظره معاونا له على بنيانه (وكذلك) من محدثات الاقوال (الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة) والتدقيق فى القياس والتبحر فيها وهذا (من أجل علوم الزمان) وأرفعها قدرا لديهم (ويظنون انه) أى الاشتغال به (من أعظم القربات) عند الله تعالى (وقد كان ذلك) عند الاولين (من المنكرات) ويدخل فى ذلك التبحر فى علوم العربية والنحو قال بعض السلف النحو يذهب الخشوع من القلب وقال بعضهم من أراد أن يزدرى بالناس فليتعلم النحو وذكرت العربية عند القاسم بن مخيمرة فقال أولها كبر وآخرها بغى (ومن ذلك) أى من محدثات الاقوال (التلحين فى) قراءة (القرآن) حتى لايفهم التلاوة وحتى تجاوز اعراب القرآن والكلمة بمد المقصور وقصر الممدود وادغام المظهر واظهار المدغم ليستوى بذلك التلاحن ولايبالى باعوجاج الكلم واحالته عن حقيقته فهذا بدعة ومكروه استماعه قال بشر بن الحارث سألت عبدالله بن أبى داود الحربى أمر بالرجل يقرأ فاجلس اليه قال يقول بطرب قلت نعم قال لاهذا قد أظهر بدعة (و) من ذلك التلحين فى (الاذان) وهو من البغى فيه والاعتداء وقال رجل من المؤذنين لابن عمر انى لاحبك فى الله تعالى فقال لكن أبغضك فى الله تعالى قال ولم يا أباعبد الرحمن قال لانك تبغى فى أذانك وتأخذ عليه أجرا وكان أبو بكر الآجرى يقول خرجت من بغداد ولم يحل لى المقام بها قد ابتدعوا فى كل شئ حتى فى قراءة القرآن وفى الاذان يعنى الادارة والتلحين (ومن ذلك) أى من محدثات الافعال (التعسف) أى مجاوزة الحد (فى النظافة والوسوسة فى الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة فى نجاسات الثياب) والتشديد فيها بكثرة غسلها من عرق الجنب ولبس الحائض ومن أبوال مايؤكل لحمه وغسل يسير الدم ونحو ذلك وكان السلف يرخصون فى كل هذا (مع التساهل فى حل الاطعمة وتحريمها) وأمر المكاسب وترك التحرى فيها (الى نظائر ذلك) كالكلام فيما لايعنى والخوض فى الباطل والغيبة والنميمة والاستماع اليهما والنظر الى الزور واللهو ومجالسه والمشى فى هوى نفسه والتعصب وشدة الحرص على الدنيا فهذا كله تساهلوا فيه كان السلف والقدماء يشددون فيه وقد اقتصر المصنف على هذا الذى أورده من ذكر الحوادث والبدع وهى كثيرة ولم يذكر من بدع الحجاج الافرش البوارى فى المسجد وهى كثيرة أيضا فلابأس أن نلم بما لم يذكره فأقول من جملة بدع الاقوال والافعال قولهم كيف أصبحت كيف أمسيت هذا محدث انما كانوا اذا التقوا قالوا السلام عليكم ورحمة الله وانما حدث هذا زمان طاعون عمواس كان الرجل يلقى أخاه غدوة فيقول كيف أصبحت من الطاعون و يلقاه عشية فيقول كيف أمسيت منه لان أحدهم كان اذا أصبح لم يمس واذا أمسى لم يصبح فبقى هذا الى اليوم ونسى سببه وكان من عرف حدوثه من المتقدمين يكره ذلك قال رجل لابى بكر بن عياش كيف أصبحت أوكيف امسيت فلم يكلمه وقال دعونا من هذه البدعة وروى أبو معشر عن الحسن انما كانوا يقولون السلام عليكم سلمت والله القلوب فأما اليوم كيف أصبحت أصلحك الله كيف أنت عافاك الله فان أخذنا بقولهم كانت بدعة الاولا كرامة فان شاؤا غضبوا علينا ومن هذا قولهم الله معكم وقويت وفى الخبر من بدأكم بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه ومن ذلك الاشارة بالسلام باليد أو الرأس من غير نطق به فكل ذلك من المحدثات ومن ذلك ابتداء الرجل فى عنوان الكتاب باسم المكتوب اليه وانما السنة ان يبتدئ بنفسه فيكتب من فلان الى فلان و يقال أول من أحدثه زياد فعابه العلماء عليه

وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من أجل علوم أهل الزمان و يزعمون انه من أعظم القربات وقد كان من المنكرات ومن ذلك التلحين فى القرآن والاذان ومن ذلك التعسف فى النظافة والوسوسة فى الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة فى نجاسة الثياب مع التساهل فى حل الاطعمة وتحريمها الى نظائر ذلك

وعدوه من احداث بنى أمية وقد بقى سنة هذا فى كتب الامراء والملوك اليوم ومنها قول الرجل اذا جاء منزل أخيه يا غلام أو يا جارية فقد كان السلف يقرع أحدهم باب أخيه ثم يسلم ثلاثا يقف بعد كل تسليمة فان أذن له دخل وقد لا يحب صاحب البيت ان يدخل عليه فى ذلك الوقت لعذر أو سبب فيقول وعليكم السلام ورحمة الله ارجع عافاك الله فانى على شغل فيرجع غير كاره لرجوعه غير مؤثر فى قلبه من ذلك شيأ فربما رجع فى اليوم مرتين أو ثلاثا بعد رده وهذا الوفعل ببعض الناس من أهل عصرنا لكرهه ولعله لا يعود يومه ذلك هؤلاء عامة الناس وأما العلماء فكان من الناس من لا يستأذن عليهم الا لمهم لا بد منه بل كانوا يقعدون على أبوابهم أو فى مساجدهم ينتظرون خروجهم لاوقات الصلاة اجلالا للعلم وهيبة للعلماء ومن ذلك استقصاء أحدهم فى المسئلة عن حال الرجل وخبره وقد كره ذلك وكان الاعمش يقول يلقى أحدكم أخاه فيسأله عن كل شئ حتى عن الدجاج فى البيت ولو سأله درهما ما أعطاه ومن ذلك قول الرجل لصاحبه اذا لقيه ذاهبا فى الطريق الى أين تريد أو من أين جئت فقد كره هذا وليس من السنة والادب وهو داخل فى التجسس والتحسس ومن ذلك بيع المصاحف وشراؤها وكان بعضهم لبيعها اكره منه لاشترائها ومن ذلك أخذ القرآن بالادارة وتنازع الآيتين أو تنازع الرجلين الآيتين فى مكان واحد بمنزلة الاختلاس والنهبة من غير خشوع للقرآن ولا هيبة ومن ذلك أخذ المقرى على الاثنين وليته قام بقراءة الواحد لسهو القلب ومن ذلك دخول النساء الحمام من غير ضرورة ودخول الرجل بغير مئزر وهو فسوق وقال بعض العلماء يحتاج داخل الحمام الى مئزرين مئزر لوجهه ومئزر لعورته والا لم يسلم فى دخوله ومنها جلوس العلماء على الكراسى وأول من قعد على كرسى يحيى بن معاذ الرازى بمصر وتبعه أبو حمزة ببغداد فعاب الاشياخ عليهما ذلك ومنها جلوس العلماء متربعين فى الدروس انما هى جلسة المتكبرين والنحويين وأبناء الدنيا ومن التواضع الاجتماع فى الجلسة ومن ذلك طرح السنور والدابة على المزابل فى الطرقات فيتأذى المسلمون بروائح ذلك وكان شريح وغيره اذا مات لهم سنور دفنوها فى بيوتهم ومن ذلك اخراج الميازيب الى الطرقات فانه بدعة وكان أحمد بن حنبل وأهل الورع يجعلون ميازيبهم الى داخل بيوتهم ومن ذلك الصلاة فى المقصورة وهى أول بدعة أحدثت فى المساجد ومنها كثرة المساجد فى المحلة الواحدة وقد كرهه أنس بن مالك وغيره من الصحابة ويقال أول ما حدث من البدع أربع الموائد والمناخل والاشنان والشبع وكانوا يكرهون ان تكون أوانى البيت غير الخزف ولا يتوضؤن فى آنية الصفر ومن ذلك لبس الثياب الرقاق وكانوا يقولون هى من لباس الفساق ومن رق ثوبه رق دينه وهى من كتان مصر وقطن خراسان وانما كانت ثياب السلف السنبلانى والقطوانى وعصب اليمن ومعافرى مصر والقباطى مثل كسوة الكعبة والثياب السحولية والكرابيس الحضرمية وهذه غلاظ كلها كثيفة قليلة أثمانها ومن ذلك البيع والشراء على الطريق وكان الورعون لا يشترون شيأ ممن قعد يبيعه على طريق وكذلك اخراج الرواشن فى البيوت وتقويم العضايد بين يدى الحوانيت الى الطريق وكذلك البيع والشراء من الصبيان لانهم لا يملكون وكلامهم غير مقبول وأما منكرات الحجاج ومحدثاته التى صارت الآن معارف فكان الشعبى يقول يأتى على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج اى يترحمون عليه وهذا قد أتى من منذ زمان لان الحجاج ابتدع أشياء أنكرها الناس عليه فى زمانه وهى اليوم سنن معروفة يترحم الناس على من أحدثها ويحسبون انه مأجور عليها ولانه ظهرت بعده ولاة جور فابتدعوا بدعا من الفسوق وصارت سننا بعدهم فوجب بذلك الترحم على الحجاج الى جنب ما أظهروا فمما أحدث هذه المحامل والقباب التى خالف بها هدى السلف وانما كان الناس يخرجون على الرواحل والزوامل ليكثر رفاهية ابلهم وينالوا أجر التعب فصار وايخرجون فى بيوت ظليلة مع الحمل على الابل ما لا تطيق فيكون سببا لتلفها وفيه يقول القائل

أول من اتخذ المحاملا * عليه لعنة ربى عاجلا وآجلا

وفى معناه الشقادف والمسطحات وابتدع أيضا الاخماس والعواشر ورؤس الآى وجر السواد وصفره وخضره فادخل فى المصحف ماليس فيه من الزخرف وكان السلف يقولون جردوا القرآن كما أنزله الله تعالى ولا تخلطوا به غيره فانكر العلماء عليه ذلك حتى قال أبو رزين يأتى على الناس زمان ينشأ فيه نش يحسبون ان ما أحدث الحجاج فى المصاحف هكذا أنزله الله تعالى يذمه بذلك وكان ابن سيرين يكره النقط فى القرآن وقال فراس بن يحيى وجدت ورقا منقوطا بالنحو فى سجن الحجاج فعجبت منه وكان أول نقط رأيته فأتيت الشعبى فقال لى اقرأ عليه ولا تنقطه أنت بيدك ومنها انه جمع من القراء ثلاثين رجلا فكانوا يعدون حروف المصحف وكلمه شهرا ولو رآهم عمر أو عثمان أو على يصنعون هذا لاوجعهم ضربا وهذا الذى كرهته الصحابة ووصفوا به قراء آخر الزمان انهم يحفظون حروفه ويضيعون حدوده وكان الحجاج اقرأ القراء وأحفظهم لحروف القرآن كان يقرأ القرآن فى كل ثلاث وكان أضيع الناس لحدوده (ولقد صدق ابن مسعود) رضى الله عنه (حيث قال أنتم اليوم فى زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتى عليكم زمان يكون العلم تابعا للهوى) هكذا أورده صاحب القوت قال والمراد بالعلم هو نص القرآن والسنة أو ما دلا عليه واستنبط منهما أو وجد فهمهما اسمه ومعناه من قول وفعل والتأويل اذا لم يخرج من الاجماع داخل فى العلم والاستنباط اذا كان مستودعا فى الكتاب شهد به المجمل ولا ينافيه النص فهو علم والمراد من الهوى ما عدا ذلك من العلوم (وكان أحمد) بن حنبل رحمه الله تعالى (يقول تركوا العلم واقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم والله المستعان) أورده صاحب القوت هكذا الا انه قال ما أقل الفقه فيهم وأخرج الخطيب فى شرف أصحاب الحديث فقال حدثنا عبد العزيز بن الحسن القرميسينى حدثنا عبد الله بن موسى الهاشمى حدثنا ابن بدينا قال سمعت المروزى يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول فساقه كسياق القوت وليس فى آخره والله المستعان وأخرج أيضا من رواية بشر بن الوليد قال سمعت أبا يوسف يقول لا تكثروا من الحديث الغريب الذى لا يجىء به الفقهاء فآخر أمر صاحبه ان يقال كذاب (وقال مالك بن أنس) الامام رحمه الله تعالى (لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الامور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حلال و) لا (حرام) فى أكثر الامور (أدركتهم يقولون مكروه ومستحب) وقد كان مالك كثير التوقف فى الاجوبة اذا سئل ويكثر ان يقول لا أدرى سل غيرى وقال رجل لعبد الرحمن بن مهدى الا ترى الى قول فلان فى العلم حلال وحرام وقطعه فى الامور بعلمه يعنى رجلا من أهل الرأى والى قول مالك أحسب أحسب اذا سئل فقال عبد الرحمن ويحك قول مالك أحسب أحب الى من قول فلان اشهد اشهد (معناه انهم كانوا ينظرون فى دقائق الكراهية والاستحباب فاما الحرام فكان تجنبه ظاهرا) بما كانوا يتكلمون فيه (وكان هشام بن عروة) بن الزبير بن العوام القرشى أبو المنذر المدنى رأى أنسا وجابرا وسهل بن سعد وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومسح رأسه ودعا له وكان صدوقا مات ببغداد عند أبى جعفر المنصور سنة سبع وأربعين ومائة (يقول لا تسألوهم اليوم عما أحدثوا بأنفسهم قد أعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها) هكذا أورده صاحب القوت الا انه ليس فيه بأنفسهم وفيه سلوهم عن السنن وكان الشعبى اذا نظر ما أحدث الناس من الرأى والهوى يقول لقد كان القعود فى هذا المسجد أحب الى مما يعدل به فذ صار فيه هؤلاء الرائيون فقد بغضوا الى الجلوس فيه ولان أقعد على مزبلة أحب الى من أن أجلس فيه وكان يقول ما حدثوك عن السنن والآثار فخذ به وما حدثوك بما أحدثوا من رأيهم فامخط عليه وقال مرة فبل عليه (وكان أبو سليمان) عبد الرحمن بن عطية (الدارانى) رحمه الله تعالى (يقول لا ينبغى لمن ألهم شيأ من الخير أن يعمل به حتى يسمع به فى الاثر فيحمد الله تعالى عليه اذا وافق ما فى نفسه) هكذا أورده صاحب القوت الا انه قال اذا وافق ولم يقل ما فى نفسه وقال بعض العارفين ما قبلت خاطرا من قلبى حتى يفتح لى شاهدى عدل من كتاب وسنة وقال سهل التسترى لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى

ولقد صدق ابن مسعود رضى الله عنه حيث قال أنتم اليوم فى زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتى عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد كان أحمد بن حنبل يقول تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم والله المستعان وقال مالك بن أنس رحمه الله لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الامور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ولكن أدركتهم يقولون مستحب ومكروه ومعناه انهم كانوا ينظرون فى دقائق الكراهة والاستحباب فأما الحرام فكان فحشه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فانهم قد أعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله يقول لا ينبغى لمن ألهم شيأ من الخير أن يعمل به حتى يسمع به فى الاثر فيحمد الله تعالى اذ وافق ما فى نفسه

تكون

تكون فيه هذه الاربع أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الممات (وانما قال) أبو سليمان (هذا) الذي ذكره (لان ما أبدع) وأحدث (من الآراء) المختلفة (قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب) الامن عصمه الله كيف وقد قال ابن مسعود يظهر المنكر والبدع حتى اذا غير منها قيل غيرت السنة وقال في آخر حديثه أكيسهم في ذلك الزمان الذي يروغ بدينه روغان الثعالب (فربما يشوش صفاء القلوب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار) والسنن (ولهذا لما أحدث مروان) ولفظ القوت وروينا ان مروان لما أحدث (المنبر في صلاة العيد عند المصلى) وهو مروان بن الحكم بن أبي العاص الاموي ولد بعد الهجرة بسنتين وليس يصح له سماع وكان كاتبا لعثمان وولي امرة المدينة لمعاوية بالموسم وبويع له بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية بالجابية ومات بالشام سنة خمس وستين (قام اليه أبو سعيد) مالك بن سنان (الخدري) رضي الله عنه (فقال يا مروان ماهذه البدعة فقال انها ليست بدعة هي خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فأردت ان يبلغهم الصوت فقال أبو سعيد والله لا تأتون) ولفظ القوت لا تأتوني (بخير مما أعلم أبدا و) (الله لا صليت وراءك اليوم) فانصرف ولم يصل معه صلاة العيد والخطبة على منبر في صلاة العيد وخطبة الاستسقاء بدعة (وانما أنكر ذلك) أبو سعيد على مروان (لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ في خطابة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا لا على المنبر) روى أبو داود من رواية شعيب بن زريق الطائفي قال جلست الى رجل له صحبة يقال له الحكم بن حزن الكلبي فأنشأ يحدثنا فذكر حديثا فيه فأقمنا بها أياما شهدنا فيها الجمعة مع النبي صلى الله عليه وسلم فقام يتوكأ على عصا أو قوس فحمد الله وأثنى عليه وروى الطبراني في الصغير من رواية عبد الرحمن بن سعد بن عمار بن قرظ قال حدثني أبي عن جدي عن أبيه سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب في العيد بن خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصا ورواه ابن ماجه بلفظ كان اذا خطب في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصا ورواه الحاكم في المستدرك من رواية عبد الله بن عمار بن سعد القرظي قال حدثني أبي عن جدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديثا طويلا فيه وكان اذا خطب في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصا وروى الطبراني في الكبير من رواية أبي خباب الكلبي قال حدثني يزيد بن البراء عن أبيه قال كنا جلوسا ننتظر النبي صلى الله عليه وسلم يوم أضحى الى ان قال ثم أعطى قوسا أو عصا اتكأ عليه الحديث قاله العراقي والحافظ ابن حجر قلت وبمثل رواية الحاكم وأبي داود أخرجه البيهقي في السنن وأخرج الشافعي في مسنده في باب ايجاب الجمعة عن عطاء مرسلا كان اذا خطب يعتمد على عنزة أو عصا قال ابن القيم ولم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم انه توكأ على سيف خلافا لبعض الجهلة (وفي الحديث المشهور) على الالسنة (من أحدث في ديننا ماليس فيه فهو رد) أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه من رواية سعد بن ابراهيم عن القاسم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ في أمرنا ماليس منه وقال أبو داود ماليس فيه وفي رواية لمسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد قاله العراقي قلت الذي في روايتهم في أمرنا هذا وقوله رد أي مردود وهذا الحديث معدود من أصول الاسلام وقاعدة من قواعده قال النووي ينبغي حفظه واستعماله في ابطال المنكرات (وفي حديث آخر من غش أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل يارسول الله وماغش أمتك قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها) هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقي والسيوطي أخرجه الدارقطني في الافراد من رواية محمد بن المنكدر بن محمد عن أبيه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره الا انه قال قيل يارسول الله وما الغش قال ان يبدع لهم بدعة ضلالة فيعمل بها قال الدارقطني غريب من حديث محمد بن المنكدر عن أنس تفرد به ابنه المنكدر (وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا ينادي

وانما قال هذا لان ماقد أبدع من الآراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب وربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما أحدث مروان المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام اليه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال يامروان ماهذه البدعة فقال انها ليست بدعة انها خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت فقال أبو سعيد والله لا تأتون بخير مما أعلم أبدا ووالله لاصليت وراءك اليوم وانما أنكر ذلك عليه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا لا على المنبر وفي الحديث المشهور من أحدث في ديننا ماليس منه فهو رد وفي خبر آخر من غش أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل يارسول الله وماغش أمتك قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وقال صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل ملكا ينادي

كل يوم من خالف سنة محمد صلى الله عليه وسلم لم ينل شفاعته) قال العراقى لم أقف له على أصل قلت أورده هكذا صاحب القوت بلفظ وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم وفيه من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعة رسول الله وفى بعض النسخ لم تنله شفاعته ووجدت بخط بعض المحدثين ما نصه رواه الخطيب فى أثناء حديث بسند فيه مجهول وقال الذهبى هو خبر كذب (ومثال الجانى على الدين بابداع) أى احداث (ما يخالف السنة) الماضية (بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثال) ولفظ القوت ومثل من ابتدع فى الامة مخالفا لطريق الائمة الى من أساء بالذنوب الى نفسه مثل (من عصى الملك فى قلب دولته) وتظاهر عليه فى ملكه بالازالة (بالنسبة الى من) ولفظ القوت الى جنب من (خالف أمره فى خدمة معينة) ولفظ القوت من عصا أمره وقصر فى حقه من الرعية (وذلك قد يغفر وأما قلب الدولة فلا) وقد قال الحكماء ثلاث من الملك لا يحسن ان يغفرها من قلب دولة من رعيته أو عمل فيما يوهن الملك أو أفسد حرمة من حرمه (وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف) هكذا أورده صاحب القوت والتكلف ان يتأول السنن بالرأى والمعقول أو ينطق بما لم يسبق اليه السلف من القول أو بمعناه (وقال آخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى) هكذا أورده صاحب القوت والمراد بالوقوف معه ان يدور معه حيث دار ولا يتعدى عن حدوده فيفرط ولا يقصر عن قبوله فيفرط (وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط الاوسط الذى يرجع اليه العالى ويرتفع اليه التالى) قال العراقى لم أجده مرفوعا وانما هو موقوف على على بن أبى طالب رضى الله عنه رواه أبو عبيد فى غريب الحديث بلفظ خير هذه الامة النمط الاوسط يلحق بهم التالى ويرجع اليهم الغالى ورجال اسناده ثقات الا ان فيه انقطاعا اهـ قلت والمصنف أخذه من القوت ولفظه وقال على كرم الله وجهه فساقه وأورده الجوهرى فى الصحاح فقال وفى الحديث فساقه كسياق أبى عبيد وقد جاء فى حديث مرفوع خير الناس هذا النمط الاوسط وقد ذكرته فى شرح القاموس وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية اسمعيل بن عبد الكريم قال حدثنى عبد الصمد سمعت وهبا يقول ان لكل شئ طرفين ووسطا فاذا أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر واذا أمسكت بالوسط اعتدل الطرفان ثم قال عليكم بالاوسط من الاشياء اهـ والنمط الطريقة يقال الزم هذا النمط أى هذا الطريق والغالى ان كان بالغين المعجمة فمن الغلو وهو التجاوز والافراط وان كان بالعين المهملة فمن العلو بمعنى ارتفاع الشأن والتالى من تلاه وقال أبو عبيد معنى قول على انه الغلو والتقصير فى الدين اذا تبعه (وقال ابن عباس) رضى الله عنهما (ان الضلالة لها حلاوة فى قلوب أهلها قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) هكذا أورده صاحب القوت بلفظ ان الضلالة حلاوة وزاد فى آخره كما قال الله تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه فالعلم رحمك الله هو الذى كان عليه السلف الصالح المقتفى آثارهم والخلف التابع المقتدى بهديهم وهم الصحابة أهل السكينة والرضا ثم التابعون لهم باحسان من أهل الزهد والنهى والعالم هو الذى يدعو الناس الى مثل حاله حتى يكونوا مثله فاذا نظروا اليه زهدوا فى الدنيا لزهده فيها (فكل ما أحدث) وابتدع (بعد) عصر (الصحابة) والتابعين لهم باحسان (مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللهو واللعب) داخل فى منطوق الآية الكريمة (وحكى عن ابليس لعنه الله تعالى انه بث جنوده) أى نشر أعوانه (فى وقت الصحابة) رضوان الله عليهم ليغووهم (فرجعوا اليه محسورين) ممنوعين لم يقدروا على فعل شئ من الاغواء ولفظ القوت محصورين بالصاد المهملة (فقال ما شأنكم فقالوا ما رأينا مثل هؤلاء) القوم (ما نصيب منهم شيأ وقد أتعبونا فقال) ابليس (انكم لا تقدرون عليهم) انهم (قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزل الوحى) ولفظ القوت تنزيل ربهم (ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون)

بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك فى قلب دولته بالنسبة الى من خالف أمره فى خدمة معينة وذلك قد يغفر له فاما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال غيره الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط الاوسط الذى يرجع اليه العالى ويرتفع اليه التالى وقال ابن عباس رضى الله عنهما الضلالة لها حلاوة فى قلوب أهلها قال الله تعالى وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فكل ما أحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو وحكى عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده فى وقت الصحابة رضى الله عنهم فرجعوا اليه محسورين فقال ما شأنكم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيأ وقد أتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون

آى عصرهم (بث جنوده) فيهم (فرجعوا اليه) منكسرين (منكسين) ولفظ القوت منكوسين (فقالوا) ولفظ القوت فقال ماشأنكم قالوا (مارأينا أعجب من هؤلاء) القوم (نصيب منهم الشئ بعد الشئ من الذنوب فاذا كان) من (آخر النهار أخذوا فى الاستغفار فتبدل سيآتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيأ لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سيأتى بعدهم قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة أهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفرلهم ولا يتوبون فتبدل سيآتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرون الاول) كذا لفظ القوت وفى بعض النسخ بعد القرن الاول (فبث فيهم الاهواء) وحسنها لهم (وزين لهم البدع فاستحلوها) بتشديد اللام وبتخفيفها (واتخذوها) أى تلك البدع (دينا) وطريقة (لايستغفرون منها ولا يتوبون) الى الله تعالى (عنها) قال (فسلط) كذا فى النسخ ولفظ القوت فتسلطت (عليهم الاعداء وقادتهم أين شاؤا) هكذا ساق هذه الحكاية بطولها صاحب القوت وهى دالة على أن الاحداث والابتداع فى الدين ضلالة واضلال وفساد وافساد وقد ورد فى ذلك أحاديث وآثار غير ماساقها المصنف مما هو فى الحلية لابى نعيم والقوت لابى طالب والسنة للالكائى وغيرها ولو استوفينا الكل أطال علينا الكتاب وامتلأ الوطاب ولكن اقتصرنا على تبيين ماأورده المصنف فقط (فان قلت من أين عرف قائل هذا ماقاله) أى هذه الحكاية التى أوردها عن ابليس من أين مأخذها (و) ذلك فانه معلوم قطعا بانه (لم يشاهد ابليس ولاحدثه بذلك) فى نشر جنوده (فاعلم ان) هذا وأمثاله يعد فى جملة مكاشفات أرباب القلوب لان (أرباب القلوب) الصافية (يكاشفون بأسرار الملكوت) ويشاهدونها والملكوت مابطن من الكون ولا تدركه الحواس الخمس ولا يقبل القسمة والتجزى ويقابله الملك ويعبران بالغيب والشهادة أيضا (تارة على سبيل الالهام) الربانى (بأن يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لايعلمون) وهو صنف من أصناف الوحى الثلاثة (وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة) فى النوم وهو أيضا صنف من أصناف الوحى التسعة (وتارة فى اليقظة على سبيل كشف المعانى بمشاهدة الامثلة) وذلك فان الانسان اذا ارتقى من قوة الحس الى قوة التخيل ومنها الى قوة الفكر ومنها الى ادراك حقائق الامور التى فى العقل وهذه القوى متصلة اتصالا روحانيا فربما عرض لها من قوة قبول بعضها من بعض الآثار أن ينعكس فى بعض الامزجة منحطة كما تصاعدت على سبيل الفيض فيؤثر حينئذ العقل فى القوة الفكرية والقوة الفكرية فى القوة المتخيلة وتؤثر القوة المتخيلة فى الحس فيرى الانسان أمثلة الامور المعقولة أعنى حقائق الاشياء ومباديها وأسبابها كأنها خارجة عنه وكأنها يراها ببصره ويسمعها باذنه (كما يكون فى المنام) أى كما ان النائم يرى أمثلة الاشياء المحسوسة فى القوة المتخيلة ويظن انه يراها من خارج وربما كانت صحيحة مبشرة أو منذرة فى المستأنف وربما رأى الامور بأعيانها من غير تأويل وربما رآها مرموزة تحتاج الى تأويل كذلك حال هذا المستيقظ اذا استقرت فيه هذه القوة العالية أخذته عن المحسوسات حتى كانت غابت عنها فيشاهد فى القوة المتخيلة ماانحدر اليها من علوانحطا بارادة الله اياه الى العقل ومن العقل الى الفكر ومن الفكر الى المتخيلة ويسمع مالايشك فيه وتلك الامور ليست فى زمان فمستقبلها وماضيها واحد لانها حاضرة معا فالامور لائحة فيه له فيشاهد مستقبلها كما يشاهد ماضيها واذا أخبربها كانت صحيحة وكانت وحيا والله أعلم (وهذا أعلى الدرجات) لانه من مقام الانبياء وهو غاية شرف الانسانية والافق الاعلى منه فلم يبق له الارتقاء من هذا المقام بسعيه وجهده بل تنحط اليه الامور الالهية والجذبات الربانية وحيا والهاما (وهى من درجات النبوة العالية) الشأن والقدر (كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة) أخرجه الامام أحمد وابن ماجه عن ابن عمر والامام أحمد أيضا عن ابن عباس ولفظهم الرؤيا الصالحة وقد تقدم تخريج هذا الحديث فى أول الكتاب واعلم أن الانسان اذا

بث جنوده فرجعوا اليه منكسين فقالوا مارأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشئ من الذنوب فاذا كان آخر النهار أخذوا فى الاستغفار فيبدل الله سيآتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيأ لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم ولكن سيأتى بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة أهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفرلهم ولا يتوبون فيبدل الله سيآتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرن الاول فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لايستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعداء وقادوهم أين شاؤا فان قلت من أين عرف قائل هذا ماقاله ابليس ولم يشاهد ابليس ولاحدثه بذلك فاعلم ان أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لايعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة فى اليقظة على سبيل كشف المعانى بمشاهدة الامثلة كما يكون فى المنام وهذا أعلى الدرجات وهى من درجات النبوة العالية كما ان الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة

جعل أقصى سعيه بما يستفيده من حواسه ترقية قواه الى مايقرب من الرب عز وجل بطريق الرياضات النفسانية والمجاهدات الشرعية أيده الله تعالى بحقيقة الضد واستكملت صورة الانسانية فيه وتصورت نفسه بحقائق الاشياء فيبلغ فى هذه المرتبة متصاعدا فيها الى غاية أفقه التى ان تجاوزها لم يكن انسانا بل صار ملكا كريما الى أن تدركه العناية الازلية وتهب نفحات ألطاف الحق فتخرق الحجب النورانية ويشاهد الانوار الربانية ويتقوى بقوة لم تكن فى استعداد الانسان مجبولة تسمى خفيا لانها كانت متمكنة لم يخرجها من القوة الى الفعل الا سطوات الانوار الربانية فبالارتقاء الى مقام الخفى يستعد للترقى من أواخر الافق الانسانى الى أوائل آفاق مافوقها فيستعد لقبول الفيض الربانى بلا واسطة وهذا مقام الانبياء بأن ينبئه الحق تعالى باراءة آياته فى آفاق نفسه عما يشاء كما يشاء اما الاولياء بالالهام واما الانبياء بالوحى بحسب استعداد كل واحد منهم وقد ذكرنا آنفا أن الالهام صنف من أصناف الوحى الثلاثة والرؤيا الصادقة صنف من أصناف الوحى التسعة فربما تتشوّف نفسك الى معرفة ذلك تفصيلا فاعلم أن الله جل شأنه جعل أقسام كلامه مع عباده ثلاثة وحيا بلا واسطة وكلاما من وراء حجاب وارسال الرسول وهو جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة ثم جعل أصناف الوحى ثلاثة وحيا للجماد بالاحياء والتسخير ووحيا للاولياء بالالهام ووحيا للانبياء تارة بواسطة وتارة بغير واسطة ولكل ذلك أمثلة وأدلة ليس هذا محل ذكرها وقال بعض الحكماء الاسلاميين ان أصناف الوحى يجب أن يكون بعد أصناف قوى النفس وذلك ان الفيض الذى يأتى النفس اما أن تقبله بجميع قواها أو ببعضها وقوى النفس تنقسم الى قسمين وهما الحس والعقل وكل واحد من هذين ينقسم الى أقسام كثيرة وأقسامها الى أقسام كثيرة حتى ينتهى الى الجزئيات التى لانهاية لها وانما عرض هذا الانقسام بحسب الآلات والمدركات الكثيرة فأما قواها التى هى الحواس فنهاماهو فى أفق الحيوان البهيمى ومنهاماهو فى أفق الانسان وأعلاها مرتبة ماهو فى أفق الانسان أعنى حس البصر والسمع الى آخر ماذكره وأيد به قوله وأما ماجاء على لسان العلم من أصناف الوحى على نبينا صلى الله عليه وسلم فمنها الرؤيا الصالحة ومنها مايبدو فى اليقظة فيسمع صوتا أو يرى ضوأ ومنها مايرى ملكا فيكلمه ومنها مايظهر الملك فى أفق الملكية ومنها ماينفث الملك فى الروع ومنها مانزل به جبريل على قلبه ومنها مايلقيه الله فى القلب من غير واسطة ومنها مايأتى الملك متمثلا فى صورة انسان ومنها ما كان سرا بينه وبين ربه فلم يحدث به أحدا ومنها مايحدث به الناس وذلك على صنفين فنه ما كان مأمورا بكتبه قرآنا ومنه مالم يكن مأمورا بكتبه قرآنا فلم يكن قرآنا والله أعلم (واياك) أيها السامع لما أوردناه (أن يكون حظك) ونصيبك (من العلم) الذى حملته فى باطنك (انكار كل ماجاوز حد قصورك) وتعدى عن طور فهمك (ففيه هلك المتحذلقون من العلماء) أى المتكيسون والحذلقة والتحذلق التصرف بالظرف وقيل المتحذلق هو الذى يريد أن يزداد على قدره وانه ليتحذلق فى كلامه ويتبلتع أى يتظرف ويتكيس (الزاعمون انهم أحاطوا) على المعلومات باسرها (بعلم المعقول) ولو وكل مالايحيط به ادراكه الى علم الله تعالى لكان أحسن الحالين له (والجهل خير من عقل يدعو) ويتسبب (الى انكار مثل هذه الامور لاولياء الله تعالى) لان أشرف أقوال الجاهلين التسليم والتفويض لما لايعلمون وهو أقل أحوال العالمين فبالنظر الى ذلك كان بعض الجهل خيرا من العلم (ومن أنكر ذلك لاولياء الله تعالى) ولم يثبت لهم ذلك (لزمه انكار الانبياء) لان طريق الفيض واحد وانما يختلف تلقيه بحسب الاستعدادات فما كان للانبياء فهو للاولياء مع مباينة الاستعداد ماعدا مرتبة النبوة التى لايلحقها لاحق ولايشق غبارها سابق فانكار ماللاولياء يورثه الانكار لما للانبياء (و) متى ارتسم ذلك فى صورته الطبيعية رد الى أرذل الاحوال و(كان خارجا عن) ربقة (الدين بالكلية) وهذا يسقط معه الكلام (قال بعض العارفين انما

فاياك ان يكون حظك من هذا العلم انكاره ماجاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمون انهم أحاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لاولياء الله تعالى ومن أنكر ذلك للاولياء لزمه انكار الانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية قال بعض العارفين انما

انقطع

انقطع الابدال فى أطراف الارض واستتروا عن أعين الجهور لانهم) ولفظ القوت ويقال ان الابدال انما انقطعوا لاطراف الارض واستتروا عن أعين الجهور (لايطيقون النظر الى علماء الوقت) ولا يصبرون على استماع كلامهم (لانهم عندهم جهال بالله تعالى) أى العلماء عند الابدال (وهم) أى العلماء (عند أنفسهم وعند الجاهلين) والعامة (علماء) وقد ذكر السادة الصوفية ان الابدال فى كل زمن سبعة لا يزيدون كل واحد فى اقليم والاوتاد أربعة لا يزيدون والنجباء ثمانية لا يزيدون والنقباء اثنا عشر لا يزيدون ولكل هؤلاء أحوال ليس هذا محل ذكرها قال صاحب القوت وقد صاروا من أهل الجهل بالجهل على الوصف الذى (قال) أبو محمد (سهل التسترى رحمه الله تعالى) ان (من أعظم المعاصى الجهل بالجهل) أى أن يجهل أن يجهل فجهله بسيط وقد تم كلام سهل ثم ابتدأ صاحب القوت فقال (والنظر الى) أحوال (العامة واستماع كلام أهل الغفلة) أيسر عندهم أى عند الابدال لانهم لا يعدمون ذلك حيث كانوا من أطراف الارض وقد ظهر لك مما تقدم ان كلام سهل التسترى من أعظم المعاصى الجهل بالجهل هو هذا القدر وأما ما بعده فانه من مراد صاحب القوت وظن المصنف كله من كلام سهل فأورد الجمل الثلاثة معا وحذف الخبر الذى هو قوله أيسر عندهم فليتفطن لذلك وهذا لا يعرفه الا من أطلعه الله تعالى على مآخذ عبارات المصنف (وكل عالم) ناطق بظواهر العلوم (خائض فى) أمور (الدنيا) محب لها فانه آكل للمال بالباطل وكل من أكل أموال الناس بالباطل فانه يصد عن سبيل الله لامحالة وان لم يظهر ذلك فى مقالته ولكنا نعرفه فى لحن معناه بدقائق الصد عن مجالسة غيره وبلطائف المنع من طرقات الآخرة (فلا ينبغى أن يصغى) أى يمال الاذن (الى) استماع (قوله بل ينبغى أن يتهم فى كل مايقول لان كل انسان) انما (يخوض فيما أحب) ومالت اليه نفسه (ويدفع مالا يوافق محبوبه) لحب الدنيا وغلبة الهوى بحكان عليه بالصد عن سبيل الحق شاء أم أبى (ولذلك قال تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) أى مضيعا متهاونا به وقال أبو عبيدة أى ندما وقيل سرفا (والعوام) من الناس (العصاة أسعد حالا) وأقرب الى الرحمة (من) خواص العلماء (الجهال بطريق الدين) والصراط المستقيم (المعتقدين) فى أنفسهم وعند العامة (انهم من العلماء لان العامى العاصى) لاعوه فى الدين ولا يغر المؤمنين ولا يدعى انه عالم لانه يتعلم و (معترف) بالجهالة و (بتقصيره) مقر (فيستغفر ويتوب) فهو الى الرحمة أقرب ومن المقت أبعد (وهذا الجاهل الظان) فى نفسه (انه عالم وان ماهو مشتغل به من العلوم التى هى وسائل الى الدنيا) ووسائط وأسباب لتحصيلها (عن سلوك طريق الدين فلا يتوب) الى الله تعالى (ولا يستغفر) فهو (لا يزال مستمرا) على حاله (الى الموت) وكان سهل التسترى يقول قسوة القلب بالجهل أشد من القسوة بالمعاصى لان الجاهل بالعلم تارك ومدع والعاصى بالفعل معترف بالعلم وكان يقول أيضا العلم دواء يصلح الادواء فهو يزيل فساد الاعمال بالتدارك والجهل داء يفسد الاعمال بعد صلاحها فهو يزيل الحسنات ويجعلها سيآت فكم بين مايصلح الفساد وبين مايفسد الصالحات وقد قال الله تعالى ان الله لا يصلح عمل المفسدين وقال تعالى انا لا نضيع أجر المصلحين (واذا غلب هذا) الوصف (على أكثر الناس) من المتسمين بسمة العلم (الا من عصمه الله تعالى) وهم أقل من القليل (انقطع) الرجاء من ارشادهم وخاب (الطمع من اصلاحهم) لانه داء نجيس لا يرجى برؤه (فالاسلم) الاحوط (لدين المحتاط) الوجل المشفق على حاله (العزلة والانفراد عنهم) كيلا يراهم ولا يروه (كما سيأتى فى كتاب العزلة) من هذا الكتاب (بيانه ان شاء الله تعالى ولذلك كتب) أبو محمد (يوسف بن أسباط) المتوفى سنة نيف وتسعين ومائة (الى حذيفة المرعشى) المتوفى سنة سبع ومائتين وكلاهما من أكابر العارفين (ماظنك بمن بقى لايجد أحدا يذكر الله تعالى معه الا كان آثما وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لايجد أهله) هكذا أورده صاحب

بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التسترى رضى الله عنه ان من أعظم المعاصى الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام أهل الغفلة وكل عالم خاض فى الدنيا فلا ينبغى ان يصغى الى قوله بل ينبغى ان يتهم فى كل مايقول لان كل انسان يخوض فيما أحب ويدفع مالا يوافق محبوبه ولذلك قال الله عز وجل ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا والعوام العصاة أسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العامى العاصى معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم فان ماهو مشتغل به من العلوم التى هى وسائل الى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت واذا غلب هذا على أكثر الناس الا من عصمه الله تعالى وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم لذى الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سيأتى فى كتاب العزلة بيانه ان شاء الله تعالى ولذلك كتب يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشى ماظنك بمن بقى لايجد أحدا يذكر الله تعالى معه الا كان آثما وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لايجد أهله

ولقد صدق فان مخالطة الناس لاتنفك عن (٤٤٨) غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر وان أحسن أحواله أن يفيد علما أو يستفيده
ولو تأمل هذا المسكين وعلم ان افادته لاتخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة علم ان المستفيد انما يريد أن يجعل ذلك آلة الى طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له على ذلك وردأ وظهيرا ومهيئا لاسبابه كالذى يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لايرخص له فى البيع ممن يعلم بقرائن أحواله انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف فكن أحد رجلين اما متصفا بهذه الصفات أو معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك بان بدلت آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشيطان فبها هلاك الجهور فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لاتغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور

(الباب السابع فى العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه)

(بيان شرف العقل) اعلم ان هذا مما لايحتاج الى تكلف فى اظهاره لاسيما وقد ظهر شرف العلم من قبل والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين

القوت وزاد قلت ليوسف يا أبا محمد وتعرفهم قال يخفون علينا وقوله قلت الخ انما هو حكاية صاحب القوت عمن روى ذلك عن يوسف بن أسباط لانه أدركه وسأله وذلك لان صاحب القوت وفاته سنة ست وثمانين وثلاثمائة ويوسف بن أسباط متقدم عنه بكثير وقال فى موضع آخر وقال حذيفة المرعشى كتب الى يوسف بن أسباط ذهبت الطاعة ومن يعرفها وكان أيضا يقول مابقى من يؤنس به وقال ماظنك بزمان مذاكرة العلم فيه معصية قيل ولم ذاك قال لانه لايجد أهله (ولقد صدق) يوسف بن أسباط فى قوله (فان مخالطة الناس) ومجالستهم (لاتنفك عن) كثير من الغوائل من نحو (غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر) وكل من الثلاثة مهلكات (وأحسن أحواله أن يفيد علما) للغير (ولو تأمل) حق التأمل (علم أن المستفيد) من ذلك العلم (انما يريد أن يجعل ذلك آلة الى طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معيناله) فى سائر أحواله (وردأ وظهيرا) وناصرا (ومهيئا) حاضرا (لاسبابه) المنوطة به وهذا فى الحقيقة (كالذى يبيع السيف) ومافى معناه من آلات الحرب (من قطاع الطريق) على المسلمين واللصوص (فالعلم كالسيف) بجامع كل منهما فى كونه آلة للحرب فالعلم آلة لحرب أعداء الباطن والسيف آلة لحرب أعداء الظاهر (وصلاحه للخير) ببذله لاهله (كصلاح السيف للغزو) والجهاد (وذلك لا يرخص) أى لايجوز (فى البيع من يعلم بقرائن الاحوال) القائمة الدالة على (انه يريد) به (الاستعانة على قطع الطريق) والضرر بالمسلمين (فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة) منها (جملا من أخلاق علماء السلف) وأحوالهم وسيرهم (فكن) أيها السامع لذلك (أحد رجلين اما متصفا بهذه الصفات) بعد التخلية عن الاوصاف المذمومة بالمجاهدات الشرعية وهو أعلى المقام (أو معترفا بالتقصير) عن لحوق ذلك لموانع وقواطع (مع الاقرار به) والتسليم لمافيه وهو المقام الثانى (واياك أن تكون الثالث) أى لامتصفا ولامعترفا بل منكرا (فتلبس على نفسك) أى تشبه عليها (بان بدلت آلة الدنيا بالدين وسيرة البطالين) عن الاعمال الصالحة (بسيرة العلماء الراسخين) الثابتين القدم فى علومهم ومعارفهم وأذواقهم (وتلحق بجهلك) فى نفسك (وانكارك) بمقاماتهم (بجملة الهالكين) فى عذاب الله (الآيسين) من رحمة الله قال القطب سيدى على وفا قدس سره سبقت كلمة الله التى لاتتبدل وجرت سنة الله التى لاتتحول أن لاينفخ روح علمه فى خصوص الا انقسم الخلق له بين ملكى ساجد وشيطانى حاسد فاحرص على أن تكون لاهل النعم العلمية محبا خاضعا لتسلم أو تنعم أو ترحم واياك أن تكون لهم مبغضا أو حاسدا فتسلب أو ترجم أو تحرم (نعوذ بالله من خدع الشيطان فبها هلاك الجهور) معظم الناس (ونسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لاتضره الحياة الدنيا) بزينتها وزهرتها (ولا يغره بالله الغرور) وهو كما قال ابن عرفة ما رأيت له ظاهرا تحبه وفيه باطن تكرهه أو تجهله وبه ختم المصنف الباب السادس من كتاب العلم

(الباب السابع فى العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه)

(بيان شرف العقل)

قدم بيان شرفه على بيان حقيقته وأقسامه لان مالا يعرف شرفه لايدرك حقيقته وأقسامه فقال (اعلم أن هذا) يعنى بيان شرفه (لايحتاج الى تكلف) بجلب البراهين والادلة (فى اظهاره) اذ هو كالضرورى (لاسيما وقد ظهر) واستبان (شرف العلم من قبل) بالشواهد النقلية والعقلية (والعقل) فى الحقيقة (منبع العلم) الذى ينتشر منه (ومطلعه) الذى من أفقه يطلع (وأساسه) الذى تنبنى عليه أركانه (والعلم يجرى فيه) أى فى العقل (مجرى الثمر من الشجر) مجرى النور من الشمس ومجرى (الرؤية من العين) واذا كان العلم نتيجة العقل وحال النتيجة فى العلو والشرف ماعرف فالاصل كيف يكون وتحقيق

فكيف لا يشرف ماهو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة أوكيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان أعظم البهائم بدنا وأشدها ضراوة وأقواها سطوة اذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته

هذا المقام ان العقل هو الشرف فى الانسان وهو المتهيئ لقبول الوحى والايمان به يحصل عنه العلم والمعرفة والدراية والحكمة والذكاء والذهن والفهم والفطنة وجودة الخاطر وجودة الوهم والخيال والبديهة والروية والكياسة والخبرة واصابة الظن والفراسة والزكانة والكهانة ودقة النظر والرأى والتدبير وصحة الفكر وسرعة الذكر وجودة الحفظ والبلاغة والفصاحة فهذه سبع وعشرون من توابع العقل والعقل أساس لكل واحد منها ومطلع لاسرار معارفها واقتصر المصنف على واحد منها وهو العلم ولكل منها حدود وتعاريف لانطوّل بها الكتاب ولعلنا نلم ببعض من ذلك فى أثناء شرح كلام المصنف حيث اتفق الحال بحسب المناسبة فالعلم ادراك الشئ بحقيقته وهو ضربان أحدهما حصول صور المعلومات فى النفس والثانى حكم النفس على الشئ بوجود شئ له هو موجود أونفى شئ عنه هو غير موجود له نحو الحكم على زيد بانه خارج أوليس هو طائرا فالاوّل هو الذى قد يسمى فى الشرع وفى كلام الحكماء العقل المستفاد وفى النحو المعرفة ويتعدى الى مفعول واحد والثانى يسمى العلم دون العقل ويتعدى الى مفعولين ولا يجوز الاقتصار على أحدهما من حيث ان القصد اذا قيل علمت زيدا منطلقا اثبات العلم بانطلاق زيد دون العلم بزيد ثم ان العلم والعقل بقياس أحدهما على الآخر على ثلاثة أوجه أحدها عقل ليس بعلم وهذا العقل الغريزى والثانى علم ليس بعقل وهو المتعدى الى مفعولين والثالث عقل هو علم وعلم هو عقل وهو العقل المستفاد والعلم الذى يقال له المعرفة ولم يصح أن يعدى العقل الى مفعولين فيقال عقلت زيدا منطلقا كما يقال فى علمت لكون العقل موضوعا للعلم البسيط دون المركب وسمى عقلا من حيث انه مانع لصاحبه أن تقع أفعاله على غير نظام ويسمى علما من حيث انه علامة على الشئ وهذا اذا اعتبر حقيقته مما يتبين به شرف اللغة العربية حققه الراغب فى الذريعة (وكيف لا يشرف ماهو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة) أما السعادة الدنيوية فمن أعظمها ان الانسان به يصير خليفة الله فى أرضه وأما الاخروية فانه به يحصل حرث الآخرة المذكور فى قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه وثمرة حرث الآخرة على التفصيل سبعة أشياء بقاء بلا فناء وقدرة بلا عجز وعلم بلا جهل وغنى بلا فقر وأمن بلا خوف وراحة بلا شغل وعز بلا ذل (أوكيف يستراب) ويشك (فيه والبهيمة على قصور تمييزها تحتشم العقل) قال الشيخ نجم الدين دايه اعلم ان الله تعالى خص العقل برتبة هى أعلى مراتب المبدعات وان جميعها محتاجة اليه وهو الذى عدها بفضائله وان كان بعضها الاجل بعده عنه وقلة حظه منه يتمرد عليه وعلى ذلك فانه لامحالة يخضع له اذا ظهر له أدنى ظهور فمثله كمثل الملك الذى يحتجب عن بعض عبيده ويطلع عليهم من حيث لا يرونه ولا يعلمون انه يراهم فان أحسوا به أدنى احساس انقبضوا ضرورة وهابوا طبعا ويظهر هذا المعنى ظهورا تاما فى البهائم فانها تخدم الانسان وتهابه بالطبع وتتبع العدة الكثيرة الراعى الواحد وربما كانت قوة واحد منها تزيد على قوى عدة كثيرة منهم (حتى ان أعظم البهائم بدنا وأشدهم ضراوة وأقواهم سطوة) نحو الجمل والفيل (اذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه) خافه (لشعوره) وادراكه (باستيلائه عليه) وغلبته (لما خص به من ادراك الحيل) وقال الراغب فى الذريعة العقل حيثما وجد كان محتشما حتى ان الحيوان اذا رأى انسانا احتشمه بعض الاحتشام وانزجر بعض الانزجار ولذلك تنقاد الابل للراعى اهـ (ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته) قال السخاوى فى المقاصد جزم شيخنا وغيره بأنه موضوع وانما هو من كلام بعض السلف وربما أورد بلفظ الشيخ فى جماعته كالنبى فى قومه يتعلمون من علمه ويتأدبون من آدابه وكله باطل اهـ وقال العراقى وسئل عنه الشيخ تقى الدين ابن تيمية فى جملة أحاديث فأجاب بانه لا أصل له ثم قال العراقى وقد روى من حديث ابن عمر وأبى رافع أما حديث ابن عمر فرواه ابن حبان فى تاريخ الضعفاء ومن رواية عبد الله بن عمر بن غانم عن مالك عن نافع عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال

فذكره أورده في ترجمة ابن غانم المذكور قاضي افريقية وقال روى عن مالك مالم يحدث به مالك قط لايحل ذكر حديثه ولا الرواية عنه في الكتب الاعلى سبيل الاعتبار قال العراقي روى له أبوداود في سننه وقال أحاديثه مستقيمة وذكره ابن يونس في تاريخ مصر وقال انه أحد الثقات الاثبات ومع ذلك فالحديث باطل ولعل الآفة فيه من الراوي عن ابن غانم وهو عثمان بن محمد بن خشيش القيرواني قاله الذهبي في الميزان وأما حديث أبي رافع فرواه ابن عساكر في معجمه والديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن عبد الملك الكوفي حدثنا اسمعيل بن ابراهيم عن أبيه عن رافع بن أبي رافع عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ في أهله كالنبي في قومه ومحمد بن عبد الملك يعرف بالقناطري كذاب وفي الميزان حديث باطل اهـ قلت وحديث أبي رافع هذا أخرجه أيضا الخليلي في مشيخته وابن النجار في تاريخه كلاهما من حديث أحمد بن يعقوب القرشي الجرجاني عن القناطري وقال ابن حبان هو موضوع وقال الزركشي ليس هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وفي اللسان قال الخليلي هو موضوع وأما حديث ابن عمر فأخرجه أيضا الشيرازي في الالقاب ولفظه الشيخ في بيته كالنبي في قومه هذا حال الحديث من جهة رواته قد حكم عليه بالوضع ولكن معناه صحيح يؤيده قوله تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون وقوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وغير ذلك (وليس ذلك لكثرة ماله) ومتاعه (ولا لكبر شخصه) وجثته (ولا لزيادة قوته) وكثرة جراءته وبطشه (بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله) أي لتناهي عقله وكماله فيتعلمون من علمه ويتأدبون من آدابه وقد وجدت هذه الزيادة في بعض كما أشار له السخاوي ومنهم من شرح الحديث بغير ماذهب اليه المصنف فقال أي يجب له من التوقير مثل ما للنبي في أمته وهو وان كان صحيحا ولكن المعنى الاول أنسب للمقام وقد قال الشيخ الاكبر قدس سره الشيوخ نواب الحق كالرسل في زمانهم فهم ورثوا الشريعة وعليهم حفظها والقيام بما فيها لا التشريع وحفظ القلوب ورعاية الآداب فهم من العلماء بالله بمنزلة الطبيب من العالم بعلم الطبيعة والطبيب لايعرف الطبيعة الابما هي مدبرة للبدن والعالم بالطبيعة يعرفها مطلقا وان لم يكن طبيبا وقد يجمع الشيخ بينهما ومهما نقص عما يحتاجه المريد في تربيته فلا يحل له القعود على منصة الشيخوخة فانه يفسد أكثر مما يصلح ويفتن كالمتطبب يعل الصحيح ويقتل المريض اهـ المقصود منه ونعود الى شرح كلام المصنف ولما سبق ان العقل أشرف المبدعات وان جميعها محتاجة اليه حتى ان البهائم ظهر فيها هذا المعنى من الانقياد لصاحب العقل والاحتشام له ذكر ان على هذا يجري أمر الناس بعضهم مع بعض فان عامتهم اذا وجدوا بينهم واحدا أكثر حظا من العقل فانهم يهابونه ويخضعون له ويتبعونه منقادين مستسلمين كشبه البهائم اذا الطينة واحدة بعينها فقال (ولذلك ترى الاتراك) وهم جيل من الناس معروفون الواحد تركي (والاكراد) جيل من الناس معروفون مساكنهم الجبال وفي نسبتهم اختلاف كثير بيناه في شرحنا على القاموس (واجلاف العرب) وهم الجفاة منهم الذين لم يتزيوا بزي أهل الحضر في رفقهم ولين أخلاقهم مأخوذ من جلف الشاة أو البعير كان المعنى عربي بجلده كما يقال غلام بغباره أي لم يتغير عن جهته (وسائر الخلق) أي من سائر الاجناس (مع قرب رتبتهم من) رتبة (البهائم) وتحقيق المقام ان الانسان وان كان هو بكونه انسانا هو أفضل موجود فذلك بشرط أن يراعي مابه صار انسانا وهو العلم والعمل المحكم فبقدر وجود ذلك المعنى فيه يفضل فأما من حيث مايتغذى وينسل فنبات ومن حيث مايتحرك ويحس فحيوان ومن حيث الصورة التخطيطية فكصورة في جدار وانما فضيلته بالنطق وقواه ومقتضاه ولهذا قيل ما الانسان لولا اللسان الابهيمة مهملة أوصورة ممثلة فمن صرف همته كلها الى رتبة القوة الشهوية باتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الانعام فخليق بان يلحق بأفق البهائم فيصير اماغمرا كثور أوشرها كخنزير أوضرعا ككلب أوحقودا كجمل أومتكبرا كنمر أوذا روغان كثعلب أو

وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الاتراك والاكراد واجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم

بجمع ذلك كله فيصير كشيطان مريد فهذه الاوصاف غالبا توجد في الاصناف التي ذكرها المصنف اما على الانفراد أو على الاشتراك أو الجمعية (يوقرون المشايخ بالطبع) والجبلة ويعظمونهم اجلالا لمقامهم ويتبعون آراءهم خاضعين منقادين وفي الذريعة وكذلك جماعة الرعاة اذا رأوا منهم من كان أوفر عقلا وأغزر فضلا فيما هم بصدده انقادوا له طوعا فالعلماء اذا لم يعاندوا انقادوا ضرورة لا كثرهم علما وأكبرهم وأفضلهم نفسا وأوفرهم عقلا ولا ينكر فضله الا متدنس بالمعايب ومتطلب للرياسة وحافظ على غرض دنيوي وقد جعل عقله خادما لشهوته فلحفظه لرياسته ينكر فضل الفاضل اه وقال الشيخ نجم الدين دايه وكذلك يفعل العقلاء لمن فوقهم في العقل من الطاعة والانقياد وشدة التهيب ولقوة هذا الامر الطبيعي ربما ظن بواحد من الناس أكثر مما فيه من العقل فينقاد له فقد بان بما ذكرنا ان العقل ملك مطاع بالطبع (ولذلك) أي لفضيلة العقل الوافر (قصد قتل النبي صلى الله عليه وسلم كثير من المعاندين) لجفاء طباعهم وقسوة قلوبهم (فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته) أي غرة وجهه (الكريمة هابوه) واحتشموه (وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة) المضيء (وان كان باطنا في نفسه بطون العقل) وسيأتي في ذلك المزيد في أخلاق النبوة من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ونص الذريعة ولفضيلة العقل كان كثير ممن كانوا يعاندون النبي صلى الله عليه وسلم قصدوه ليقتلوه فما كان الا أن وقع طرفهم عليه فيتراءى لهم نور الله تعالى معربا عنه فالقي في قلوبهم منه روعة فهابوه فمن مذعن له طائع وخبيث لا ينكره بعد الا جاحدا ولهذا قال الشاعر

لو لم تكن فيه آيات منزلة * كانت بداهته تغنيك عن خبره

وبين السياقين تفاوت لا يخفى للمنصفين (وشرف العقل) وجلالته (مدرك بالضرورة) فلا يحتاج الى التطويل في جلب الكلام فيه من هنا ومن هنا (وانما المقصد أن نورد ما وردت به الاخبار) الصحيحة (والآيات) الصريحة (في ذكر شرفه وقد سماه الله تعالى نورا في قوله الله نور السموات والارض وانما سمي بذلك لنورانيته) وهذا قد ذكره الراغب في كتابيه الذريعة والمفردات ونصه في الذريعة والى العقل أشار بقوله تعالى الله نور السموات والارض أي منورهما والنور هو العقل ونقله في المفردات عن ابن عرفة وقال الشيخ نجم الدين دايه وقد سماه الله تعالى في القرآن نورا في قوله قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين فالنور محمد صلى الله عليه وسلم اه ونقل الراغب في أول الذريعة ما نصه جعل المصباح مثلا للعقل والمشكاة مثلا لصدر المؤمن والزجاجة لقلبه والشجرة المباركة وهي الزيتونة الدين وجعلها لا شرقية ولا غربية تنبيها على انها مصونة عن التفريط والافراط والزيت القرآن وبين ان القرآن مد العقل مد الزيت المصباح وانه يكاد يكفي لوضوحه وان لم يعاضده العقل ثم قال نور على نور أي نور القرآن ونور العقل وبين انه يخص بذلك من يشاء اه واعلم أن الانسان لم يتميز عن الحيوان والبهائم الا بالعقل ولم يشرف الا بالعلم ومن شرف العلم ان كل حياة انفكت عنه فهي غير معتد بها بل ليست في حكم الموجودة فان الحياة الحيوانية لا تحصل ما لم يقارنها الاحساس فيلتذ بما يوافقه ويطلبه ويتألم مما يخالفه فيهرب منه وذلك أحسن المعارف فلا جل ان الحياة تقارب العلم (سمى) الله تعالى (العلم المستفاد منه) أي من العقل روحا لانه يحيا به الناس الحياة الاخروية ولما كان مقتضى الحياة الانسانية انها اذا تعرت من المعارف المختصة بها أن لا يعتد بها لهذا سمى الله ذلك العلم المستفاد (حياة فقال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا ومن هنا سمى القرآن أيضا روحا لكونه أساس العلوم كلها يحصل بها الحياة ويتسبب الى الحياة الاخروية المشار اليها بقوله تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان وكذلك فسر قوله تعالى كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه والضمير عائد الى الله تعالى على أحد الوجوه أو عائد الى الايمان أي قواهم بعلم الايمان فعلم الايمان هو روحه

يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه بطون العقل فشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد أن نورد ما وردت به الاخبار والآيات في ذكر شرفه وقد سماه الله نورا في قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحياة فقال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا

(وقال تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس) فقد سمى من لم يكن له روح القلب ميتا وكذلك قوله تعالى انك لا تسمع الموتى (وحيث ذكر النور والظلمة أراد به) أي بالنور (العلم) وبالظلمة (الجهل) أو أراد بهما الايمان والشرك وأصل الظلمة عدم النور وهما متقابلان وهما من أحسن الاستعارات لهذين الضدين (كقوله) تعالى الله ولي الذين آمنوا (يخرجهم من الظلمات الى النور) وقد يعبر بالظلمة عن الفسق أيضا كما يعبر عن اضداد هؤلاء الثلاثة أعني الشرك والجهل والفسق بالنور (وقد قال صلى الله عليه وسلم أيها الناس اعقلوا عن ربكم) أي اعلموه وافهموه منه يقال عقلت عنه كذا (وتواصوا بالعقل) أي بكماله (تعرفوا به ما أمرتم به وما نهيتم عنه واعلموا أنه) أي العقل (يجدكم عند ربكم) هكذا في نسخة العراقي وفي بعضها يجدكم عند ربكم (واعلموا أن العاقل من أطاع الله وان كان دميم) بالدال المهملة أي قبيح (المنظر) بالنسبة الى ما يظهر منه (حقير الخطر) أي القدر والقيمة (دنيء المنزلة) أي خسيسها (رث الهيئة) بالنسبة الى ملبوسه وما يلحقه من العناء والمشقة فيحصل له بذلك التشعيث (وان الجاهل) أورده في مقابلة العاقل لان العلم والعقل يتواردان موردا واحدا كما أشرنا اليه آنفا (من عصى الله وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة) وهذه أربعة أوصاف في مقابلة أربعة أوصاف وان أول ما يروع الانسان جمال منظره فاذا عظم مع ذلك خطره فهي مرتبة علياء وبها تكون منزلته شريفة وهيئته حسنة ثم زاد في أوصافه وصفين فقال (فصيحا نطوقا) فما أقبح بالمرء أن يكون حبس جسمه باعتبار قبح نفسه جنة يعمرها بوم وحرمة يحرسها ذئب كما قال حكيم لجاهل صبيح الوجه أما البيت فحسن وأما الساكن فردىء وما أقبح به أن يكون اعتباره بكثرة ماله وحسن أثاثه فقد سمى بعض الحكماء الاغنياء تيوسا صوفها درر وحجر اجلالها حبر (والقردة والخنازير أعقل عند الله ممن عصاه) اذ قبيح بذي العقل أن يكون بهيمة وقد أمكنه أن يكون انسانا أو انسانا وقد أمكنه أن يكون ملكا

فلم أر في عيوب الناس نقصا * كنقص القادرين على التمام

(ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا اياكم فانهم من الخاسرين) قال العراقي رويناه في كتاب العقل لداود بن المحبر من رواية أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فذكره الا أنه قال فانهم عدوا من الخاسرين ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده عن داود بن المحبر وداود بن المحبر اختلف فيه فروى عباس الدوري عن يحيى بن معين انه قال ما زال معروفا بالحديث ثم تركه وصحب قوما من المعتزلة فأفسدوه وهو ثقة وقال أبو داود ثقة شبه الضعيف وقال أحمد لا يدري ما الحديث وقال الدارقطني متروك وروى عبد الغني بن سعيد الازدي المصري عن الدارقطني قال كتاب العقل وضعه أربعة أولهم ميسرة بن عبد ربه ثم سرقه منه داود بن المحبر فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة وسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء فركبه بأسانيد اخر ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي فأتى بأسانيد أخر أو كما قال وعلى ما ذكره الدارقطني فقد سرقه عن داود عبد العزيز بن أبي رجاء فاختصره وجعل له اسنادا آخر فرواه عن مالك عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن آدم أطع ربك تسمى عاقلا ولا تعصه تسمى جاهلا رواه أبو نعيم في الحلية والخطيب في أسماء من روى عن مالك من رواية ابن أبي رجاء المذكور وقال الخطيب منكر من حديث مالك وقال الدارقطني عبد العزيز بن أبي رجاء متروك وقال الذهبي في الميزان هذا باطل على مالك اه قلت داود بن المحبر بن مخرم البكراوي يكنى أبا سليمان البصري نزيل بغداد مات سنة ست ومائتين والمحبر محدث روى أبوه عن هشام بن عروة وروى ابنه داود عن شعبة وهمام وجماعة وعن مقاتل بن سليمان وعنه أبو أمية والحرث بن أبي اسامة وجماعة وأورد الذهبي في الميزان من طريقه حديثا في فضل قزوين أخرجه ابن ماجه في سننه ثم قال فلقد شان ابن ماجه سننه بادخاله هذا الحديث الموضوع فيها اه وكل من ميسرة وابن أبي رجاء وسليمان بن عيسى متروكون (وقال رسول

وقال سبحانه أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه يجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من أطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دنيء المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله تعالى وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير أعقل عند الله تعالى ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا اياكم فانهم من الخاسرين وقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم أوّل ماخلق الله العقل فقال له أقبل فاقبل ثم قال له أدبر فادبر ثم قال وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أكرم علىّ منك بك آخذ وبك أعطى وبك أثيب وبك أعاقب) قال الشيخ نجم الدين رازى رحمه الله تعالى استدل به على ان العقل متهيئ لقبول الوحى والايمان به وفى رواية وبك أعبد اذ كان هو أوّل من اختص من الله بالوحى والخطاب والمحبة والمعرفة والعبادة والعبودية والنبوّة بانباء الحق تعالى اذ نبأه عن معرفة نفسه ومعرفة ربه واذا أمعنت النظر وأيدت بنور الله تحقق لك ان المعرفة بالعقل والموصوف باختصاص الوحى والخطاب والمحبة والمعرفة والعبادة والعبودية والنبوّة هو روح حبيب الله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانه الذى قال أوّل ماخلق الله روحى وفى رواية نورى فروحه جوهر نورانى ونوره هو العقل وهو عرض قائم بجوهره ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد أى لم يكن بعد روحا ولاجسدا ومن هنا قال من عرف نفسه فقد عرف ربه لانه عرف نفسه بتعريف الله اذ قال له ماخلقت خلقا أحب الىّ منك وعرف الله أيضا بتعريف الله نفسه اياه اذ قال وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أحب الىّ منك فعرف انه الاله الذى من صفاته العزة والجلال والخالقية والمحبة وهو المعروف لكل عارف وله القدرة والحكم على الاخذ والعطاء والثواب والعقاب وهو المستحق للعبادة وقد جاء عن بعض الكبراء من الائمة ان أوّل المخلوقات ملك كروبى يسمى العقل وهو صاحب القلم بدليل توجه الخطاب اليه فى قوله أقبل فاقبل ثم قال له أدبر فادبر والاسماء قلما قال له أخبر بما هو كائن الى يوم القيامة وتسميته قلما كتسمية صاحب السيف سيفا ولايبعد ان يسمى روح النبى صلى الله عليه وسلم ملكا لغلبة صفات الملكية عليه كما يسمى جبريل عليه السلام روحا لغلبة الروحانية عليه كقوله فلان شعلة نار لحدة ذهنه ويسمى عقلا لوفور عقله وقلما لكتابة المكونات ونورا لنورانيته وقد يكون العقل فى اللغة بمعنى العاقل فعلى هذا التقدير والتأويل يكون روح النبى صلى الله عليه وسلم هو المخلوق الاوّل ولكنه بهذه الاعتبارات ملك وعقل ونور وقلم والقلم قريب المعنى من العقل قال الله تعالى علم بالقلم جاء فى التفسير عن بعضهم أى بالعقل لان الاشياء تعلم بالعقل وفى قوله أقبل الخ اشارة الى ان للعقل اقبالا وادبارا فورث اقباله المقبلون وهم السابقون المقربون من الانبياء والاولياء وهم أصحاب الميمنة وهم أهل الجنة وورث ادباره المدبرون وهم أصحاب المشأمة وهم أهل النار يدل عليه قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة الآية والله أعلم اهـ كلامه سقته بتمامه لارتباط بعضه ببعض ولمافيه من الفوائد وأما الكلام على تخريج الحديث فقال العراقى روى من حديث أبى امامة وعائشة وأبى هريرة وابن عباس والحسن عن عدة من الصحابة فأما حديث أبى امامة فرواه الطبرانى فى الاوسط وأبو الشيخ فى كتاب فضائل الاعمال من رواية سعيد بن الفضل القرشى حدثنا عمر بن أبى صالح العتكى عن أبى غالب عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لماخلق الله العقل الحديث ولم يقل وجلالى وقال أعجب الىّ منك وقال وبك الثواب وبك العقاب وعمر بن أبى صالح ذكره العقيلى فى الضعفاء وأورد له هذا الحديث وقال الذهبى فى الميزان لايعرف قال ثم ان الراوى عنه من المنكرات قال والخبر باطل اهـ قلت ونص العقيلى فى الضعفاء هذا حديث منكر عمر وسعيد الراوى عنه مجهولان جميعا بالنقل ولايتابع على حديثه ولايثبت ثم قال العراقى وأما حديث عائشة فرواه أبو نعيم فى الحلية قال أخبرنا أبو بكر عبد الله بن يحيى بن معاوية الطلحى بافادة الدارقطنى عن سهل بن المرزبان بن محمد التميمى عن عبد الله بن الزبير الحميدى عن ابن عيينة عن منصور عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل ماخلق الله العقل فذكر الحديث هكذا أورده فى ترجمة سفيان بن عيينة ولم أجد فى اسناده أحدا مذكورا بالضعف ولاشك ان هذا مركب على هذا الاسناد ولا أدرى ممن وقع ذلك والحديث منكر اهـ قلت ولفظ حديث عائشة على مافى الحلية قالت عائشة حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أوّل ماخلق الله العقل قال أقبل فاقبل ثم قال له أدبر فادبر ثم قال ماخلقت شيأ أحسن

الله صلى الله عليه وسلم أوّل ماخلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فادبر ثم قال الله عز وجل وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا أكرم علىّ منك بك آخذ وبك أعطى وبك أثيب وبك أعاقب

منك بك آخذ وبك أعطى قال أبو نعيم غريب من حديث سفيان ومنصور والزهرى لا أعلم له راويا عن الجيدى الا سهلا وأراه واهيا فيه ثم قال العراقى وأما حديث أبى هريرة فرواه الحكيم الترمذى فى الاصل السادس بعد المائتين قال حدثنا الفضل بن محمد حدثنا هشام بن خالد الدمشقى حدثنا يحيى وهو عندى يحيى الغسانى حدثنا أبو عبد الله مولى بنى أمية عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ماخلق الله القلم ثم خلق النور وهى الدواة الحديث وفيه ثم خلق الله العقل فقال وعزتى لا كملنك فيمن أحببت ولا نقصنك فيمن نقصت وأبو عبد الله هذا لا أدرى من هو اه قلت وأخرج ابن عساكر فى تاريخه فقال وأخبرنا أبو العز أحمد بن عبد الله أخبرنا محمد بن أحمد بن حسنون أخبرنا أبو الحسين الدارقطنى حدثنا القاضى أبو طاهر محمد بن أحمد بن نصر حدثنا جعفر بن محمد الغريانى حدثنا أبو مروان هشام بن خالد الازرق حدثنا الحسين بن يحيى الخشنى عن أبى عبد الله مولى بنى أمية عن أبى صالح عن أبى هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أوّل شئ خلق الله القلم ثم خلق النون وهى الدواة ثم قال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب مايكون وماهو كائن من عمل او أثر أو رزق أو أجل فكتب مايكون وماهو كائن الى يوم القيامة فذلك قوله ن والقلم ومايسطرون ثم ختم على القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة ثم خلق العقل فقال وعزتى لا كملنك فيمن أحببت ولا نقصنك فيمن أبغضت فهذه متابعة جيدة لشيخ الحكيم الترمذى الا ان فى شيخ هشام اختلافا كما ترى قلت أبو عبد الله مولى بنى أمية اسمه ناصح ذكره ابن عساكر وقد رواه عن أبى صالح أيضا سمى قال ابن عدى حدثنا عيسى بن أحمد الصوفى بمصر حدثنا الربيع ابن سليمان الجيزى حدثنا محمد بن وهب الدمشقى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا مالك بن أنس عن سمى فساقه الا ان فيه من عمل أو أجل أو أثر فجرى القلم بماهو كائن الى يوم القيامة وفيه فقال الجبار ماخلقت خلقا أعجب الى منك والباقى سواء قال ابن عدى باطل منكر آفته محمد بن وهب له غير حديث منكر وقال فى الميزان صدق ابن عدى فى ان هذا الحديث باطل وقد أخرجه الدارقطنى فى الغرائب عن على بن أحمد الازرق عن أحمد بن جعفر بن أحمد الفهرى عن الربيع بن سليمان الجيزى به وقال هذا الحديث غير محفوظ عن مالك ولا عن سمى والوليد بن مسلم ثقة ومحمد بن وهب ومن دونه ليس بهم بأس وأخاف ان يكون دخل على بعضهم حديث فى حديث وأخرج ابن عدى والبيهقى كلاهما من رواية حفص بن عمر حدثنا الفضل بن قيس الرقاشى عن أبى عثمان النهدى عن أبى هريرة رفعه فساقه بمثل سياق حديث أبى امامة السابق والفضل قال فيه يحيى رجل سوء وحفص بن عمر قاضى حلب قال ابن حبان روى الموضوعات عن الثقات لا يحل الاحتجاج به وأخرجه الدارقطنى من رواية الحسن بن عرفة حدثنا سيف بن محمد عن سفيان الثورى عن الفضيل بن عثمان عن أبى هريرة به وسيف كذاب بالاجماع ثم قال العراقى وأما حديث الحسن عن عدة فرواه الترمذى الحكيم أيضا قال حدثنا عبد الرحيم بن حبيب حدثنا داود بن المحبر حدثنا الحسن بن دينار قال سمعت الحسن قال حدثنى عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما خلق الله العقل الحديث وزاد فيه ثم قال له اقعد فقعد ثم قال له انطلق فانطلق ثم قال له اصمت فصمت فقال وعزتى وجلالى وعظمتى وكبريائى وسلطانى وجبروتى ماخلقت خلقا أحب الى منك ولا اكرم على منك بك أعرف وبك أحمد وبك أطاع وبك آخذ وبك أعطى واياك أعاتب ولك الثواب وعليك العقاب ورجاله كلهم هلكى الا الحسن البصرى وعبد الرحيم بن حبيب القاريابى ليس بشئ قاله يحيى بن معين وقال ابن حبان لعله وضع أكثر من خمسمائة حديث وداود تقدم والحسن بن دينار ضعيف أيضا وقد رواه داود بن المحبر فى العقل مرسلا فقال حدثنا صالح المرى عن الحسن بن أبى الحسين فذكره أخصر من هذا وبالجملة فطرقه كلها ضعيفة اه قلت وقال الترمذى الحكيم أيضا وحدثنا الفضل بن محمد حدثنا هشام بن خالد عن بقية عن الاوزاعى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم به وقوله وقد رواه داود بن

المحبر فى العقل مرسلا الخ أخرجه البيهقى بعد ان ساق الحديث من رواية حفص بن عمر السابق وقال اسناد غير قوى وهو مشهور من قول الحسين أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش أخبرنا أبو طاهر المحمداباذى حدثنا الفضل بن محمد بن المسيب حدثنا عبد الله بن محمد العابسى حدثنا صالح المرى عن الحسن قال لما خلق الله تعالى العقل فساقه وقال عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد حدثنا على بن مسلم حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار عن الحسن رفعه لما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال ما خلقت شيأ أحسن منك بك آخذ وبك أعطى فهذا كما ترى سند جيد فقول الحافظ العراقى وبالجملة فطرقه كلها ضعيفة محل تأمل وكذا ايراد ابن الجوزى فى الموضوعات وتبعه ابن تيمية والزركشى وغيرهؤلاء فغاية ما يقال فيه انه ضعيف فى بعض طرقه وقد روى الحديث أيضا عن على رضى الله عنه قال الحافظ السيوطى فى اللآلئ المصنوعة وقال الخطيب أخبرنى على بن أحمد الرزاز أخبرنا الفرج على بن الحسين الكاتب أخبرنى أبو جعفر أحمد بن محمد بن نصر القاضى حدثنى محمد بن الحسن الرقى حدثنى موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب حدثتنى فاطمة ابنة سعيد بن عقبة بن شداد بن أمية الجهنى عن أبيها عن زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أول ما خلق الله القلم ثم خلق الدواة فساقه وفيه وخلق العقل فاستنطقه فأجابه ثم قال له اذهب فذهب ثم قال له اقبل فاقبل ثم استنطقه فأجابه ثم قال وعزتى وجلالى ما خلقت من شئ أحب الى منك ولا أحسن منك الى آخر ما ذكره (فان قلت فهذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام) لان الاعراض لا تقوم بأنفسها (وان كان جوهرا فكيف يكون قائما بنفسه لا يتحيز فاعلم ان هذا فى) مسائل (علم المكاشفة ولا ينبغى ذكره) وفى نسخة ولا يليق ذكره (بعلم المعاملة وغرضنا) الآن هنا (علم المعاملة) وهذا البحث قد أورده الراغب فى الذريعة مختصرا فقال العقل أول جوهر اوجده الله تعالى وشرفه بدليل الحديث المرفوع أول ما خلق الله العقل الخ ولو كان على ما توهمه قوم انه عرض لما صح ان يكون أول مخلوق لانه محال وجود شئ من الاعراض قبل وجود جوهر يحمله اه وتحقيق المقام ان الجوهر ماهية اذا وجدت فى الاعيان كانت لا فى موضوع وهو منحصر فى خمسة هيولى وصورة وجسم ونفس وعقل لانه اما ان يكون مجردا أولا والاول اما ان لا يتعلق بالبدن تعلق تدبير وتصريف أو يتعلق والاول العقل والثانى النفس وغير المجرد اما ان يكون مركبا أم لا والاول الجسم والثانى اما حال أو محل الاول الصورة والثانى الهيولى وتسمى الحقيقة فالجوهر ينقسم الى بسيط روحانى كالعقول والنفوس المجردة والى بسيط جسمانى كالعناصر والى مركب فى العقل دون الخارج كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس والفصل والى مركب منهما كالمولدات الثلاثة (وقال) داود بن المحبر فى كتاب العقل حدثنا سلام بن المنذر عن موسى بن جابان عن (أنس) بن مالك رضى الله عنه قال (اثنى قوم على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا) ولفظ داود حتى أبلغوا فى الثناء فى خصال الخير (فقال) النبى صلى الله عليه وسلم (كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده فى العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الاحمق يصيب بجهله) كذا فى النسخ وعند العراقى بحمقه (أعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا فى الدرجات الزلفى) كذا فى النسخ وعند العراقى زلفى (من ربهم على قدر عقولهم) ولفظ داود وينالون الزلفى من ربهم قال العراقى سلام هو ابن أبى الصهباء ضعفه ابن معين وقال البخارى منكر الحديث وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به اذا انفرد وأما أحمد فقال انه حسن الحديث ورواه الحكيم الترمذى فى نوادره مختصرا قال حدثنا مهدى حدثنا الحسين عن عبد ربه عن موسى بن أبان عن أنس بن مالك رفعه ان الاحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس الزلف على قدر عقولهم وفى اسناده جهالة اه (وقال) داود بن المحبر أيضا فى كتابه المذكور حدثنا عباد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن (عمر) بن الخطاب (رضى الله عنه ان رسول

فان قلت فهذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهرا قائما بنفسه ولا يتحيز فاعلم ان هذا من علم المكاشفة فلا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا الا ان ذكر علوم المعاملة وعن أنس رضى الله عنه قال أثنى قوم على رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال صلى الله عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده فى العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال صلى الله عليه وسلم ان الاحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا فى الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم وعن عمر رضى الله عنه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال ما اكتسب رجل مثل فضل عقل) ولفظ داود ما اكتسب أحد مكتسبا مثل فضل العقل (يهدى صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله) قال العراقى ورواه الحرث بن أبى اسامة فى مسنده عن داود بن المحبر اه قلت وأخرجه البيهقى عن عمر ولفظه ما اكتسب المرء مثل عقل يهدى صاحبه الى هدى أو يرده عن ردى وأخرجه الطبرانى فى الاوسط عنه أيضا ولفظه ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه الى هدى أو يرده عن ردى ولا استقام دينه حتى يستقيم عقله (وقال) داود بن المحبر أيضا فى كتابه المذكور حدثنا مقاتل بن سليمان عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده عن (النبى صلى الله عليه وسلم) قال (ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك يتم ايمانه) كذا فى النسخ وعند العراقى تم ايمانه (وأطاع ربه وعصى عدوه ابليس) ولفظ داود يعنى ابليس قال العراقى ومقاتل بن سليمان المفسر ليس بشئ قاله يحيى بن معين وقال الجوزجانى كان دجالا جسورا وقال البخارى سكتوا عنه وقال النسائى وابن حبان كان يكذب وقال ابن عيينة سمعت مقاتلا يقول ان لم يخرج الدجال فى سنة خمسين ومائة فاعلموا انى كذاب فيقال له قد علمنا ذلك وأول الحديث صحيح رواه أبو داود من رواية المطلب بن عبد الله بن حنطب عن عائشة دون قوله ولا يتم الخ واسناده صحيح اه قلت وأخرج الطبرانى فى الكبير عن أبى امامة بلفظ ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل الظامئ بالهواجر وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف ورواه الحاكم من حديث أبى هريرة وقال هو على شرطهما وأقره الذهبى فى التلخيص (و) قال داود بن المحبر أيضا فى كتابه المذكور حدثنا عباد حدثنا سهل عن أبيه (عن أبى سعيد الخدرى) رضى الله عنه (انه صلى الله عليه وسلم قال لكل شئ دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته) لربه عز وجل (أما سمعتم قول الفاجر) عند ندامته (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) قال البيضاوى لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات أو نعقل فنفكر فى حكمه ومعانيه فكر المستبصرين ما كنا فى عداد أصحاب السعير ومن جملتهم قال العراقى ورواه الحرث ابن أبى اسامة فى مسنده عن داود اه (و) قال داود بن المحبر أيضا فى كتابه المذكور حدثنا عباد عن زيد ابن أسلم عن أبيه (عن عمر) بن الخطاب (رضى الله عنه انه قال لتميم) بن أوس بن خارجة (الدارى) أبى رقية صحابى مشهور مات سنة أربعين (ما السودد فيكم) السودد كقنفذ بغير همز ومهموزا فى لغة طيئ وكجندب السيادة والشرف (قال العقل قال) عمر (صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك فقال كما قلت ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السودد فقال العقل) ولفظ داود سألت جبريل عن السودد فى الناس قال العراقى ورواه الحرث بن أبى اسامة فى مسنده عن داود ورواه أبو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق عن عبد الرحمن بن حمدان الجلاب عن الحرث (و) قال داود بن المحبر أيضا فى كتابه المذكور حدثنا غياث بن ابراهيم عن الربيع بن لوط الانصارى عن أبيه عن جده (عن البراء بن عازب) بن الحرث ابن عدى الاوسى صحابى ابن صحابى نزل الكوفة مات سنة اثنتين وسبعين (قال كثرت المسائل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم) ولفظ داود كثرت المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم (فقال يا أيها الناس ان لكل شئ مطية وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا) وعند العراقى أحسنهم وأفضلهم بضمير الغائب فى الموضعين ولفظ داود ان لكل شئ سبيل مطية وثيقة ومحجة واضحة وأوثق الناس مطية وأحسنهم دلالة ومعرفة بالمحجة الواضحة أفضلهم عقلا قال العراقى ورواه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده عن داود وغياث بن ابراهيم النخعى أحد الوضاعين (و) قال داود بن المحبر أيضا فى كتابه المذكور حدثنا عباد بن عبد الله بن طاوس (عن أبى هريرة) رضى الله عنه (قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد) وكانت فى شوّال سنة ثلاث من الهجرة (سمع الناس يقولون)

الله صلى الله عليه وسلم ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه وأطاع ربه وعصى عدوه ابليس وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار فى النار لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير وعن عمر رضى الله عنه أنه قال لتميم الدارى ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك فقال كما قلت ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السودد فقال العقل وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال كثرت المسائل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ان لكل شئ مطية ومطية المرء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون

فلان أشجع من فلان وفلان أبلى مالم يبل فلان ونحو هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوا على قدر ماقسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فاصيب منهم من أصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم وعن البراء ابن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال جد الملائكة واجتهدوا فى طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بنى آدم على قدر عقولهم فاعملهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلا وعن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله بم يتفاضل الناس فى الدنيا قال بالعقل قلت وفى الآخرة قال بالعقل قلت أليس انما يجزون باعمالهم فقال صلى الله عليه وسلم ياعائشة وهل عملوا الا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل فبقدر مااعطوا من العقل كانت أعمالهم و بقدر ماعملوا يجزون وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل ولكل شئ مطية ومطية المرء العقل ولكل شئ دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعى العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة و بضاعة المجتهدين

كان (فلان أشجع من فلان) زاد داود هنا وكان فلان أجرأ من فلان (وفلان أبلى) أى امتحن فى ذات الله (مالم يبل غيره ونحو هذا) زاد داود بطرونهم (فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما هذا فلا علم لكم به) ولفظ داود ولا علم لكم به (قالوا وكيف ذلك يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوا على قدر ماقسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم) ولفظ داود على قدر حسن نياتهم قال العراقى ولعله سقط منه ذكر طاوس والا فعبد الله بن طاوس انما روى عن التابعين (و) قال داود ابن المحبر أيضا فى كتابه المذكور حدثنا ميسرة عن حنظلة بن وداعة الدولى عن أبيه (عن البراء بن عازب) رضى الله عنهما (انه قال) ولفظ داود سمعت النبى (صلى الله عليه وسلم) يقول (جد الملائكة واجتهدوا فى طاعة الله سبحانه بالعقل وجد المؤمنون من بنى آدم) زاد داود هنا واجتهدوا فى طاعة ربهم (على قدر عقولهم فاعملهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلا) قال العراقى ورواه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده عن داود وهكذا غير داود عما حدث به ميسرة بن عبد ربه فجعله داود عن البراء بن عازب وانما هو أبو عازب رجل آخر ذكر فى الصحابة هكذا رواه أبو القاسم البغوى فى معجم الصحابة قال حدثنى محمد ابن على الجوزجانى حدثنا حسين بن محمد أبو أحمد حدثنا ميسرة بن عبد ربه وحسين بن المروروزى البغدادى ماعلمنا فيه جرحا وقد أتاه أبو حاتم الرازى يسمع منه تفسير شيبان فلم يتفق فهو أولى من داود ابن المحبر والله أعلم اهـ قلت وقد تقدم شئ من حال ميسرة وهو ميسرة بن عبد ربه الفارسى ثم البصرى التراس الاكال فى الميزان قال ابن حبان كان يروى الموضوعات عن الاثبات وهو واضع أحاديث فضائل القرآن وقال أبو داود أقر بوضع الحديث وقال أبو زرعة وضع فى فضل قزوين أربعين حديثا وكان يقول احتسب فى ذلك (و) قال داود فى كتابه المذكور أيضا حدثنا ميسرة عن محمد بن زيد عن عمرو (عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله بم) وفى نسخة العراقى باى شئ (يتفاضل الناس فى الدنيا قال بالعقل قلت وفى الآخرة قال بالعقل قلت أليس انما يجزون بأعمالهم) ولفظ داود بقدر أعمالهم (فقال ياعائشة وهل عملوا الا بقدر ماأعطاهم الله من العقل فبقدر ماأعطوا من العقل كانت أعمالهم و بقدر ماعملوا يجزون) قال العراقى رواه الحكيم الترمذى فى نوادره فقال حدثنا محمد بن الحسن حدثنا أبى عن هشام ابن القاسم عن ميسرة عن عباد بن كثير عن محمد بن زيد فزاد فى اسناده بين ميسرة ومحمد بن زيد عباد بن كثير ولفظه بأى شئ يتفاضل الناس قال بالعقل فى الدنيا والآخرة قلت أليس يجزى الناس بأعمالهم قال ياعائشة وهل يعمل بطاعة الله الا من عقل فبقدر عقولهم يعلمون وعلى قدر مايعملون يجزون اهـ قلت وفى اللآلئ المصنوعة للحافظ السيوطى الحرث بن أبى أسامة حدثنا داود بن المحبر حدثنا عباد بن كثير عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس انه دخل على عائشة فقال ياأم المؤمنين الرجل يقل قيامه و يكثر رقاده وآخر يكثر قيامه و يقل رقاده أيهما أحب اليك فقالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتنى فقال أحسنهما عقلا فقلت يارسول الله أسألك عن عبادتهما فقال ياعائشة انما يسألان عن عقولهما فمن كان أعقل كان أفضل فى الدنيا والآخرة قال ابن الجوزى موضوع (و) قال داود بن المحبر أيضا فى كتابه المذكور حدثنا ميسرة عن غالب عن ابن جبير (عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل) ولفظ داود وان آلة المؤمن وعدته العقل (ولكل شئ مطية ومطية المرء العقل) وفى نسخة العراقى ومطية المؤمن العقل (ولكل شئ دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوة) وفى بعض النسخ قوم بدل قوة وفى نسخة العراقى ولكل شئ (غاية وغاية العباد) كذا فى النسخ وفى نسخة العراقى العبادة (العقل ولكل قوم داع وداعى العابدين) هكذا بالدال فى سائر النسخ فى الموضعين وعند العراقى بالراء فيهما (العقل ولكل تاجر بضاعة و بضاعة المجتهدين

العقل ولكل أهل بيت قيم) كسيد وهو من يقوم بأمور البيت (وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب اليه) ولفظ داود وعمل وعقب ينسب اليه (ويذكر به وعقب الصديقين الذى ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط) وهى الخيمة (وفسطاط المؤمنين العقل) ولفظ داود ولكل سفر فسطاط يلجؤن اليه قال العراقى ورواه الحرث بن أبى أسامة فى مسنده عن داود (وقال) داود بن المحبر أيضا فى كتابه المذكور وحدثنا ميسرة عن محمد عن سالم بن عبد الله عن أبيه ان النبى (صلى الله عليه وسلم) قال (ان أحب المؤمنين الى الله عز وجل من نصب فى طاعة الله ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه) وعند داود بعد قوله عقله وتفقه وصح يقينه (فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح) ولفظه داود وعمل لله بدل به قال العراقى رواه الديلمى فى مسند الفردوس من رواية حبيب كاتب مالك عن محمد بن عبد السلام عن الزهرى عن سالم عن أبيه فعله من حديث عبد الله بن عمر وحبيب بن أبى حبيب كاتب مالك متفق على ضعفه وقال أبو داود كان من أكذب الناس اهـ قلت وزاد فى الميزان قال ابن عدى أحاديثه كلها موضوعة وقال ابن حبان كان يورق بالمدينة على الشيوخ ويروى عن الثقات الموضوعات كان يدخل عليهم ماليس من حديثهم (وقال) داود بن المحبر أيضا فى كتابه المذكور وحدثنا ميسرة عن محمد بن زيد عن أبى سلمة عن أبى قتادة رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أرأيت قول الله عز وجل أيكم أحسن عملا فقال (صلى الله عليه وسلم أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظرا) ولفظ داود فيما أمر الله به ونهى عنه (وان كان) ولفظ داود وان كانوا (أقلكم تطوعا) وأخرج ابن عدى من رواية محمد بن وهب الدمشقى عن الوليد بن مسلم عن مالك عن سمى عن أبى صالح عن أبى هريرة رفعه أكمل الناس عقلا أطوعهم لله وأعلمهم بطاعته وأنقص الناس عقلا أطوعهم للشيطان وأعلمهم بطاعته قال فى الميزان هو حديث باطل منكر آفته من محمد بن وهب وقال الدارقطنى هو حديث غير محفوظ والله أعلم

(بيان حقيقة العقل وأقسامه)

حقيقة الشئ مابه الشئ هو هو كالحيوان الناطق للانسان بخلاف نحو الضاحك والكاتب مما يتصور الانسان بدونه وقد يقال ان مابه الشئ هو هو باعتبار تحققه حقيقة وباعتبار تشخصه هوية ومع قطع النظر عن ذلك ماهية (اعلم أن الناس اختلفوا فى حد العقل وحقيقته) على أقوال شتى (وذهل الاكثرون) أى غفلوا (عن علم هذا الاسم) ومعرفته (لكونه يطلق على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم) فيه ولم يقتصروا على الخلاف فى حقيقته فقط بل اختلفوا فيه من جهات هل له حقيقة تدرك اولا قولان وعلى انه له حقيقة هل هو جوهر او عرض قولان وهل محله الرأس والقلب قولان وهل العقول متفاوتة أو متساوية قولان وهل هو اسم جنس أو جنس أو نوع ثلاثة أقوال فهى احد عشر قولا ثم القائلون بالجوهرية أو العرضية اختلفوا فى اسمه على أقوال أعدلها قولان فعلى انه عرض هو ملكة للنفس تستعد بها للعلوم والادراكات وعلى انه جوهر هو جوهر لطيف تدرك به الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدات خلقه الله فى الدماغ وجعل نوره فى القلب نقله الابشيطى وأما الاختلاف فى حده وحقيقته فالعقل العلم وعليه اقتصر كثيرون وفى الصحاح والعباب هو الحجر والنهية وفى المحكم ضد الحمق أوهو علم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها أو هو علم بخير الخيرين وشر الشرين أو مطلق الامور أو لقوة يكون بها التمييز بين القبح والحسن ولمعان مجتمعة فى الذهن يكون بمقدمات يستتب بها الاغراض والمصالح ولهيئة محمودة فى الانسان فى حركاته وكلامه الى غير ذلك من الحدود والتعاريف (والحق الكاشف للغطاء) أى الحجاب (فيه) أى فى هذا البحث (ان العقل اسم ينطلق بالاشتراك على أربعة معان مختلفة كما يطلق اسم العين) بالوضع الكثير (مثلا على معان عدة) أى كثيرة ومعنى الكثرة مايقابل

الوحدة

العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذى ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل وقال صلى الله عليه وسلم ان أحب المؤمنين الى الله عز وجل من نصب فى طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح وقال صلى الله عليه وسلم أتمكم عقلا أشدكم لله تعالى خوفا وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظرا وان كان أقلكم تطوعا

(بيان حقيقة العقل وأقسامه)

اعلم أن الناس اختلفوا فى حد العقل وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة

الوحدة لا ما يقابل القلة (وما يجرى هذا المجرى فلا ينبغى أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد) يجمعه (بل يفرد كل قسم) من أقسامه (بالكشف عنه) والبحث فيه (فالاول من معانيه) هو (الوصف الذى يفارق الانسان) ويتميز به (عن سائر البهائم وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية) أى الخفية المدرك الدقيقة التى تحتاج الى اعمال الفكر (وهو الذى أراده) أى عنى به الامام أبو عبد الله الحرث بن أسد (المحاسبى) رحمه الله تعالى وقد تقدمت ترجمته فى أول الكتاب (حيث قال) فى كتابه الرعاية (فى حد العقل انه غريزة يتهيأ به ادراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد لادراك الاشياء) وأخرج ابن السبكى فى طبقاته فى ترجمة الحرث المذكور من رواية أبى سعد الماليني قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد النسائى أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الملطى أخبرنا محمد بن أحمد بن أبى شيخ قال قال لى أحمد بن حسن الانصارى سألت الحرث المحاسبى عن العقل فقال نور الغريزة مع التجارب يزيد ويقوى بالعلم والحلم قال ابن السبكى هذا الذى قاله الحرث فى العقل قريب مما نقل عنه انه غريزة يتأتى بها ادراك العلوم وقال امام الحرمين فى البرهان عند الكلام فى معرفة العقل وما حوّم عليه أحد من علمائنا غير الحرث المحاسبى فانه قال العقل غريزة يتأتى بها ادراك العلوم وليست منها اهـ وقد ارتضى الامام كلام الحرث هذا كما ترى وقال عقبه انه صفة اذا ثبتت يتأتى بها التوصل الى العلوم النظرية ومقدماتها من الضروريات التى هى مستند النظريات اهـ قال ابن السبكى وهو منه بناء على ان العقل ليس بعلم والمرد الى الشيخ أبى الحسن الاشعرى انه العلم وقال القاضى أبو بكر انه بعض العلوم الضرورية والامام حكى فى الشامل مقالة الحرث هذه التى استحسنها وقال انا لا أرضاها ونتهم فيها النقلة عنه ثم قال ولو صح النقل عنه فمعناه ان العقل ليس بمعرفة الله تعالى وهذا اذا أطلق المعرفة أراد بها معرفة الله تعالى فكأنه قال ليس العقل بنفسه معرفة الله تعالى ولكنه غريزة وعنى بالغريزة انه عالم لامر جبل الله عليه العاقل ويتوصل به الى معرفة الله تعالى اهـ كلامه فى الشامل قال ابن السبكى والمنقول عن الحرث ثابت عنه وقد نص عليه فى كتاب الرعاية وكان امام الحرمين نقل كلام الحرث بعد ذلك ثم لاحت له صحة ذلك بعد ما كان لا يرضاه اهـ سياق ابن السبكى قلت واختلف كلام امام الحرمين فى كتابه الارشاد فنقل شيخنا عن ابن مرزوق قال قال الامام فى الارشاد العقل هو علوم ضرورية بها يتميز العاقل عن غيره اذا اتصف وهى العلم بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات وجواز الجائزات قال وهو تفسير العقل الذى هو شرط فى التكليف ولسنا نذكر تفسيره بغير هذا وهو عند غيره من الهيآت والكيفيات الراسخة من مقولة الكيف فهو صفة راسخة توجب لمن قامت به ادراك المدركات على ما هى عليه ما لم يتصف بضدها اهـ وقال فى موضع آخر من كتابه العقل علوم ضرورية والدليل على انه من العلوم استحالة الاتصاف به مع تقدير الخلو من جميع العلوم وليس العقل من العلوم النظرية اذ شرط النظر تعذر العقل وليس العقل جميع العلوم الضرورية فان الضرير ومن لا يدرك يتصف بالعقل مع انتفاء علوم ضرورية عنه فبان بهذا ان العقل من العلوم الضرورية وليس كلها اهـ والى هذا الكلام الاخير نظر المصنف فقال (ولم ينصف من أنكر هذا) أى مقالة المحاسبى (ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية) وقال ابن السبكى فى الطبقات واعلم انه ليس فى ارتضاء مذهب الحرث واعتقاده ما ينتقد ولا يلزمه قوله بالطبائع ولا شئ من مقالات الفلاسفة كما ظنه بعض شراح البرهان وقول امام الحرمين انه أراد معرفة الله ممنوع فقد قدمنا عن الحرث بالاسناد قوله نور الغريزة يقوى ويزيد بالتقوى نعم الحرث لا يريد بكونه نورا ما تدعيه الفلاسفة اهـ (فان الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما) واتصاف كل منهما بها (مع فقد العلوم) الضرورية (وكما ان الحياة) وهى صفة توجب للمتصف بها العلم والقدرة (غريزة بها يتهيؤ) ويستعد (بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز أن يسوى بين الانسان والحمار

وما يجرى هذا المجرى فلا ينبغى أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه (فالاول) الوصف الذى يفارق الانسان به سائر البهائم وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذى أراده الحرث بن أسد المحاسبى حيث قال فى حد العقل انه غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد لادراك الاشياء ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم وكما ان الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز أن يسوى بين الانسان والحمار

الغريزة والادراكات الحسية فيقال لا فرق بينهما الا أن الله تعالى بحكم اجراء العادة يخلق فى الانسان علوما وليس يخلقها فى الحمار والبهائم لجاز أن يسوى بين الحمار والجماد فى الحياة ويقال لا فرق الا أن الله عز وجل يخلق فى الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بان كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب أن يقال لم يكن مفارقته للجماد فى الحركات الا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الانسان البهيمة فى ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التى تفارق غيرها من الاجسام فى حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها وهى الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة فى صفات وهيآت بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة فى سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغى أن تفهم هذه الغريزة (الثانى) هى العلوم التى تخرج الى الوجود فى ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين أكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد وهو الذى عناه بعض المتكلمين حيث قال فى حد العقل انه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو أيضا صحيح فى نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم (الثالث) علوم تستفاد من التجارب بمجارى الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل فى العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال انه غبى غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا

فى الغريزة ويقال لا فرق الا أن الله تعالى بحكم اجراء العادة يخلق فى الانسان علوما وليس يخلقها فى الحمار والبهائم لجاز أن يسوى بين الحمار والجماد فى الحياة) نظرا الى القوة النامية (ويقال لا فرق الا أن الله عز وجل يخلق فى الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب أن يقال لم يكن مفارقته للجماد فى الحركة الا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الانسان البهيمة فى ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل) فثبت بما ذكر تصحيح قول المحاسبى (وهو) أى العقل (كالمرآة) المجلوة (التى تفارق غيرها من الاجسام فى حكاية الصور والالوان) كما هى (بصفة اختصت بها وهى الصقالة) والجلاء (وكذلك العين تفارق الجبهة) وهى ما بين الجبينين (فى صفات وهيآت بها استعدت) وتهيأت (للرؤية) ترى بها المرئيات على اختلاف أنواعها وأجناسها (ونسبة هذه الغريزة الى العلوم نسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة فى سياقها الى انكشاف العلوم لها) بالظهور التام (كنسبة نور الشمس الى البصر فهكذا ينبغى أن تفهم هذه الغريزة) ولا عليك ممن أنكرها وقال الراغب فى الذريعة والمصنف والفخر فى كتاب أسرار التنزيل العقل عقلان غريزى وهو القوة المتهيئة لقبول العلوم ووجوده فى الطفل كوجود النخل فى النواة والسنبلة فى الحبة اهـ وسيأتى ذكر القسم الثانى قريبا (الثانى) من معانى العقل (هى العلوم التى تخرج الى الوجود فى ذات الطفل) وهو الولد الصغير (المميز) يقال يبقى عليه هذا الاسم حتى يميز ثم لا يقال له بعد ذلك طفل بل صبى ونوزع بما فى التهذيب انه يقال له طفل حتى يحتلم (بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات) ووجوب الواجبات (كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون فى مكانين) مختلفين (وهو الذى عناه بعض المتكلمين) وكأنه أشار بذلك الى امام الحرمين (حيث قال فى حد العقل انه بعض العلوم الضرورية) لا كلها قال والدليل على انه من العلوم استحالة الاتصاف به مع تقدير الخلو من جميع العلوم وليس العقل جميع العلوم الضرورية فان الضرير ومن لا يدرك يتصف بالعقل مع انتفاء علوم ضرورية عنه فبان بهذا ان العقل من العلوم الضرورية وليس كلها كما تقدم ذلك نقلا عن الارشاد وقال فيه أيضا ان العقل علوم ضرورية بها يتميز العاقل من غيره اذا اتصف (كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات) ووجوب الواجبات (وهو أيضا صحيح فى نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد ان تنكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم الثالث) من معانى العقل (علوم تستفاد) وتحصل (من التجارب بمجارى الاحوال) وتصاريفها (فان من حنكته التجارب) أى فعلت به ما يفعل بالفرس اذا حنك حتى عاد مجربا مذللا (وهذبته المذاهب) بالتقلب فيها (يقال انه عاقل فى العادة ومن لا يتصف به يقال انه غبى) من الغباوة وهى الغفلة (غمر) بالضم هو الجاهل فقوله (جاهل) بعد ذكر الغمر من العطف المترادف (فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا) وهذا القسم الذى جعله المصنف ثالثا جعله الراغب فى الذريعة ثانيا فقال ومستفاد وهو الذى تتقوى به تلك القوة وهذا المستفاد ضربان ضرب يحصل للانسان حالا فحالا بلا اختيار منه وضرب باختيار منه فيعرف كيف حصله ومن أين حصله وحصوله بقدر اجتهاده فى تحصيله ويقال له العلم الضرورى والعقل الغريزى للنفس بمنزلة البصر للجسد والمستفاد لها بمنزلة النور فكما ان الجسد متى لم يكن له بصر فهو أعمى كذلك النفس متى لم

يكن لها بصيرة أي عقل غريزي فهي عمياء وكما ان البصر متى لم يكن له نور من الحق لم يفد بصره كذلك النفس متى لم يكن لها نور من العلم مستفاد لم تجد بصيرتها اهـ (الرابع أن تنتهي قوة تلك الغريزة الى أن يعرف عواقب تلك الامور ويقمع الشهوات الداعية الى) تحصيل (اللذة العاجلة) وهي الدنيوية (ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة) في انسان (سمي صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه) أي كفه (بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب) أي عواقب الامور وسمي تدبيرا وهو من جملة توابع العقل وقد سمي به مجازا كما سيأتي قريبا (لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضا من خواص الانسان التي يتميز بها عن الحيوان) واليه يشير قول الشاعر

ومن ترك العواقب مهملات * فأكثر سعيه أبدا تبار

فهذه أربعة أقسام في العقل وقسمه بعضهم من وجه آخر فقال العقل هيولاني وبالملكة وبالفعل ومستفاد فالعقل الهيولاني الاستعداد المحض لادراك المعقولات وهو قوة محضة خالية عن الفعل كما في الاطفال وانما نسب الى الهيولى لان النفس في هذه المرتبة تشبه الهيولى الاولى الخالية في حد ذاتها عن الصور كلها والعقل بالملكة العلم بالضروريات واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات والعقل بالفعل أن تصير النظريات مخزونة عند القوة العاقلة بتكرار الاكتساب بحيث تحصل لها ملكة الاستحضار متى شاءت من غير تجشم كسب جديد والعقل المستفاد أن تحضر عنده النظريات التي أدركها بحيث لا تغيب عنه اهـ وهو تفصيل حسن (فالاول) من الاقسام (هو الاس) بتثليث الهمزة (والسنخ) بكسر السين المهملة وسكون النون وآخره حاء مهملة وهو الاصل (والمنبع) لانه بمنزلة البصر من الجسد والثاني من الاقسام (هو الفرع الاقرب اليه) اذ بقوة الغريزة تدرك العلوم الضرورية (والثالث) من الاقسام (فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع) من الاقسام (هي الثمرة الاخيرة وهي الغاية القصوى) ومن هنا قال من قال في حقيقة الحق انه نور روحاني يقذف في القلب أو الدماغ به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية فاقتصاره على هذا انما هو نظرا الى انه الغاية (فالاوليان) أي الغريزة والعلوم الضرورية (بالطبع والجبلة فهو مبدع (والاخريان) أي التجارب ومعرفة عواقب الامور (بالاكتساب) فهو مكتسب قال صاحب الذريعة ولاختلاف النظرين قال قوم هو مبدع وقال قوم هو مكتسب وكلا القولين صحيح من وجه وفاسد من وجه (ولذلك) أي لكون العقل غريزيا ومستفادا (قال علي كرم الله وجهه) فيما أورده صاحب القوت والذريعة والفخر في أسرار التنزيل (رأيت العقل) هكذا في نسخ الكتاب وفي الذريعة ثم العقل وفي المفردات وأسرار التنزيل العقل (عقلين *) وفي القوت العلم علمان بدل العقل عقلان (فمطبوع ومسموع) ولا ينفع مطبوع اذا لم يك مسموع كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع) وفي الذريعة اذا لم يك مسموع كما لا ينفع ضوء الشمس (والاول) أي العقل الغريزي المطبوع (هو المراد) ولفظ الذريعة فالى الاول أشار (بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله عز وجل خلقا أكرم عليه من العقل) قال العراقي رواه الحكيم الترمذي في النوادر باسناد ضعيف من رواية الحسن البصري قال حدثني عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديثا فيه ان الله تعالى قال ما خلقت خلقا أحب الي منك ولا أكرم علي منك الحديث وقد تقدم في ثالث حديث الباب اهـ قلت وأشار الى انه ضعيف لكون الترمذي المذكور رواه عن عبد الرحمن بن حبيب عن داود بن المحبر عن الحسن بن دينار قال سمعت الحسن ورجاله ما عدا الحسن هلكى وقد رواه داود أيضا في كتابه مرسلا فقال حدثنا صالح المري عن الحسن فذكره (والاخير) أي العقل المستفاد (هو المراد بقوله) ولفظ الذريعة والمفردات والى الثاني أشار بقوله (صلى الله عليه

(الرابع) أن تنتهي قوة تلك الغريزة الى أن يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضا من خواص الانسان التي بها يتميز عن سائر الحيوان فالاول هو الاس والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب اليه والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة الاخيرة وهي الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي كرم الله وجهه

رأيت العقل عقلين
فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع
اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس
وضوء العين ممنوع

والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله عز وجل خلقا أكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله صلى الله عليه

وسلم اذا تقرب الناس بأبواب البر والاعمال الصالحة فتقرب أنت بعقلك وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء رضي الله عنه ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بأبي أنت وأمي وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله سبحانه تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل في آجل العقبى بها من ربك عز وجل القرب والعز وعن سعيد ابن المسيب ان عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال صلى الله عليه وسلم العاقل قالوا فمن أعبد الناس قال العاقل قالوا فمن أفضل الناس قال العاقل قالوا أليس العاقل من تمت مروأته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال صلى الله عليه وسلم وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا ذليلا قال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه أن يكون أصل الاسم في أصل اللغة لتلك الغريزة وكذا في الاستعمال وانما أطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشئ بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم

وسلم) لعلي رضي الله عنه (اذا تقرب الناس بأبواب البر فتقرب أنت بعقلك) ولفظ الذريعة اذا تقرب الناس الى خالقهم بالبر فتقرب اليه أنت بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الله في الدنيا والآخرة اه وأخرج أبو نعيم باسناد ضعيف من رواية عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها الى ربنا عز وجل فاكتسب أنت أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقربة وفي الجزء الثالث من أمالي أبي القاسم بن عليك النيسابوري قال أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي أخبرنا محمد بن منصور العتكي حدثنا محمد بن أشرس السلمي حدثنا سليمان بن عيسى السنجري عن سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اكتسب الناس الى خالقهم بأنواع البر فاكتسب اليه بأنواع العقل تسبقهم بالقربة والراحة والدرجات في الدنيا (وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء) رضي الله عنه فيما أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر فقال حدثنا مهدي حدثنا الحسن عن منصور عن موسى عن أبان عن لقمان بن عامر عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عويمر (ازدد عقلا تزدد قربا) ولفظ النوادر حبا بدل قربا (فقال بأبي أنت وأمي وكيف لي بذلك) ولفظ النوادر قلت يا رسول الله من لي بالعقل (فقال صلى الله عليه وسلم اجتنب محارم الله) ولفظ النوادر مساخط الله (وأد فرائض الله تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعزة) ولفظ النوادر ثم تنفل بالصالحات من الاعمال تزدد في الدنيا عقلا ومن ربك قربا وعليه عزا قال العراقي وأبان بن أبي عياش ضعيف وقد رواه بسياق المصنف داود ابن المحبر في كتاب العقل ومن طريقه رواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده اه قلت وأخرج البيهقي وابن عدي من حديث ابن مسعود رفعه أد ما افترض الله عليك تكن من أعبد الناس واجتنب ما حرم الله عليك تكن من أورع الناس وارض بما قسمه الله لك تكن من أغنى الناس (و) روى داود بن المحبر في كتاب العقل فقال حدثنا ميسرة عن محمد بن زيد (عن سعيد بن المسيب) بن حزن المخزومي من كبار التابعين (ان عمر) بن الخطاب (وأبي بن كعب وأبا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال العاقل) ولفظ داود قال العاقل (فقالوا) ولفظ داود قالوا (من أعبد الناس فقال العاقل قالوا فمن أفضل الناس قال العاقل قالوا أليس العاقل من تمت مروأته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته) اشارة الى الفضائل النفسية وهذه الاربعة خيارها فتمام مروأة الانسان جمال معنوي وحسن النطق جمال ظاهري والسخاء من المتممات ورفعة المنزلة عند الناس من الغايات (فقال صلى الله عليه وسلم ان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين) ولفظ داود بعد قوله الحياة الدنيا الى آخر الآية (ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا ذليلا) ولفظ داود خسيسا قصيا قال العراقي وقول المصنف عن ابن المسيب يريد انه مرسل وهو كذلك (وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر) رواه ابن المحبر في العقل فقال حدثنا عدي عن ابن أبي ذئب عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال أشرف النبي صلى الله عليه وسلم على خيبر فذكر زيادة في أوله ثم قال (انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته) ولفظ داود بطاعة الله عز وجل وهو مرسل أيضا كالذي قبله وفي الذريعة قال رجل لمن وصف نصرانيا بالعقل مه انما العاقل من وحد الله وعمل بطاعته (ويشبه أن يكون الاسم) أي اسم العقل (في أصل اللغة لتلك الغريزة) التي تقدم وصفها (وكذا في الاستعمال) الخاص والعام (وانما أطلق على العلوم) الضرورية كما ذهب اليه المتكلمون (من حيث انها ثمرتها) ونتيجتها (كما يعرف الشئ بثمرته فيقال) مثلا (العلم هو الخشية) ومعلوم انه ليس بحد له حقيقة (و) اذا ثبت ذلك ثبت قولهم (العالم

من

من يخشى الله تعالى فان الخشية ثمرة العلم فتكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود ان هذه

من يخشى الله تعالى فان الخشية) وهو الخوف المشوب بتعظيم (ثمرة العلم) ونتيجته (فيكون كالمجاز) اذا أطلق (لغير تلك الغريزة) وانما قال كالمجاز ولم يقل مجازا لانه أورده بحثا ولذا قال فى أوّله و يشبه وهذا بظاهره لاغبار عليه الا انه خالف فيه سائر أئمة اللغة وغالب المتكلمين فانهم ما فسروه الا بالعلم ولا أحد منهم جعل الغريزة أصلا فى معناه حتى يكون اطلاقه على العلوم مجازا ولذا أنكروا على المحاسبي مقالته المذكورة آنفا (ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة) أشار بهذه الى انه خالفهم فيما أطبقوا عليه (والمقصود أن هذه الاقسام الاربعة موجودة) كما عرفت (و) هذا (الاسم) أى اسم العقل (يطلق على جميعها) اطلاقا صحيحا (الا القسم الاوّل) أى الغريزة فمختلف فيه (والصحيح وجودها) أى الغريزة (بل هى الاصل) للاقسام الثلاثة (وهذه العلوم كأنها منضمنة فى تلك الغريزة) مركوزة فيها (بالفطرة) الاصلية (ولكن تظهر فى الوجود اذا جرى سبب) قوى (يخرجها) من أصل الفطرة (الى الوجود حتى كان هذه العلوم ليست بشئ وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة) أى مختفية (فيها فظهرت) وبرزت (ومثاله) فى الظاهر (الماء فى الارض فانه) يختفى فيها وانما (يظهر بحفر القنى) بضم القاف وكسر النون وتشديد التحتية جمع قناة وهى الجدول الصغير (ويجتمع مع بعضه (ويتميز) ذلك (بالحس) والمشاهدة (لابان يساق اليه شئ جديد) من خارج (وكذلك الدهن) فانه مستكن (فى) قلب (اللوز) وهو ثمر شجر معروف (وماء الورد) فانه مستكن (فى الورد) وانما يخرجان منهما بسبب قوى فى الاخراج (ولذلك قال تعالى) فى كتابه العزيز (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فالمراد به اقرار نفوسهم) المجردة عن الهياكل (لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا فى اقرار الالسنة حيث وجدت الالسنة والاشخاص) على قسمين فمنهم من بقى على اقراره الاصلى من أوّل وهلة ومنهم من راجع اقراره فيما بعد بتوفيق من الله تعالى ومنهم من لم يقر مطلقا فالاقرار ثابت بنص الآية ولكن لا بالالسنة وهذا الذى أورده المصنف أشار به الى ثمرة العقل من معرفة الله الضرورية وغاية ما يبلغ اليه الانسان من ذلك فأشرف ثمرة العقل معرفة الله سبحانه وتعالى وحسن طاعته والكف عن معصيته فمعرفة الله الضرورية مركوزة فى النفس وهى معرفة كل أحد انه مفعول وان له فاعلا فعله ونقله من الاحوال المختلفة واليه أشار بقوله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم الآية فهذا القدر من المعرفة فى نفس كل أحد وتنبيه الغافل عنه اذا تنبه عليه فيعرفه كما يعرف أن من هو مساو لغيره فذلك الغير مساو له (ولذلك) أى من هذا الوجه (قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) وكذا قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وقال فى مخاطبة المؤمنين والكافرين ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم الآية (معناه ان اعتبرت أحوالهم المختلفة (شهدت بها نفوسهم وبواطنهم) واليه الاشارة بقوله تعالى (فطرة الله التى فطر الناس عليها) وقوله صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة (أى كل آدمى فطر) وجبل (على الايمان بالله عزوجل) والانقياد لطاعته (بل على معرفة الاشياء على ما هى عليها) ولم يقل بل على معرفة الله تعالى فانه انما عنى بالايمان معرفة الله الضرورية وهى معرفة كل أحد انه مفعول وان له فاعلا فعله ونقله من الاحوال المختلفة لا المعرفة المكتسبة فانه قد تقدم بيانها فى أوّل الكتاب (أعنى انها كالمتضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك) ونهيئها لقبوله (ثم لما كان الايمان مركوزا فى النفوس) مودوعا فيها (بالفطرة) الاصلية (انقسم الناس الى من أعرض) عنه (فنسى) لتمادى العهد وهم الكفار (والى من أجال خاطره) وأداره بحسن تفكره (فتذكر) ما كان منسيا (فكان كمن حمل شهادة فنسيها

الاقسام الاربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف فى وجود جميعها الا فى القسم الاول والصحيح وجودها بل هى الاصل وهذه العلوم كأنها مضمنة فى تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر فى الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشئ وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء الارض فانه يظهر بحفر البئر ويجتمع ويتميز بالحس لابان يساق اليها شئ جديد وكذلك الدهن فى فى اللوز وماء الورد فى الورد ولذلك قال تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فالمراد به اقرار نفوسهم لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا فى اقرار الالسنة حيث وجدت الالسنة والاشخاص الى مقر والى جاحد ولذلك قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله معناه ان اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم فطرة الله التى فطر الناس عليها أى كل آدمى فطر على الايمان بالله عزوجل بل على معرفة الاشياء على ما هى عليه أعنى أنها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا فى النفوس بالفطرة انقسم الناس الى قسمين الى من أعرض فنسى وهم الكفار والى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها

بغفلة) عنها (فتذكرها) فيما بعد فان أصل التذكر محاولة القوة العقلية لاسترجاع مافات بالنسيان (ولذلك قال عز وجل لعلهم يتذكرون) وقال تعالى (وليذكر أولوا الالباب) أى العقول وقال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به) وقال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وغير ذلك من الآيات التى فيها الذكر والتذكر (وتسمية هذا النمط) أى النوع (تذكرا ليس ببعيد) لغة (وكان التذكر ضربان) وتحقيق المقام ان التذكر فرع عن الذكر والذكر هو وجود الشئ فى القلب أوفى اللسان وذلك أن الشئ له أربع درجات وجوده فى ذاته ووجوده فى قلب الانسان ووجوده فى لفظه ووجوده فى كتابته فوجوده فى ذاته هو سبب لوجوده فى لسانه ولوجوده فى كتابته ويقال للوجودين أى الوجود فى القلب والوجود فى اللسان الذكر ولا اعتداد بذكر اللسان مالم يكن ذلك عن ذكر فى القلب بل لايكون ذلك ذكرا والذكر بالقلب ضربان (أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود فى قلبه) باستثباته لها (لكن غابت) عنه (بعد الوجود) وانمحت عنه بنسيان أوغفلة فيستعيدها وهذا هو فى الحقيقة الذكر (والآخر أن يكون) التذكر (عن صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة) المراد ثبات وجودها فى القلب من غير نسيان أوغفلة وذكر الله تعالى على نحو الاول غير مرتضى عند الاولياء وانما يحمد اذا كان على النوع الثانى ثم ان ذكر الله تارة يكون لعظمته فيتولد منه الاجلال والهيبة وتارة يكون لقدرته فيتولد منه الخوف والحزن وتارة لفضله فيتولد منه الرجاء وتارة لنعمه فيتولد منه الشكر وتارة لافعاله الباهرة فيتولد منه العبرة ومن القسم الرابع قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم (وهذه حقائق) جليلة (ظاهرة للناظر بنور البصيرة) لامترى فيها ولا يتلعثم بدركها بأول وهلة (ثقيلة على) افهام (من يستروجه السماع والتقليد) أى يكون التقليد والسماع من الافواه والاقتصار عليه يكون رانحا عنده فمثله لايدرك تلك الحقائق (دون الكشف والعيان) أى المشاهدة وهو مقام اليقين (ولذلك تراه) أبدا (يتخبط فى مثل هذه الآيات) أى يختلف كلامه فيها لعدم بصيرته (ويتعسف) أى يركب العسف والجور (فى تأويل التذكر) والذكر (واقرار النفوس) عند أخذ العهود (أنواعا) ضروبا (من التعسفات) الباطلة عند أهل الحق (وتخايل اليه فى الاخبار) النبوية (والآيات) الالهية (ضروب) أنواع (من المناقضات) الباطلة (وربما يغلب ذلك عليه) فيصير طبعا مركوزا فيه (حتى ينظر اليها بعين الاستحقار) والمذلة (ويعتقد فيها) من عدم بصيرته (التهافت) والتناقض فيقدم على الجمع بينهما بقوة علمه الظاهر ولم يستضئ من نور المشاهدة والمعرفة عقله فيقع فى محظور عظيم ضرره على العامة أكثر من ضرر غيره (ومثاله مثال الاعمى) فاقد البصر (الذى يدخل دارا) عظيمة المبنى مصفوفة فيها صفوف الامتعة فى مواضعها (فيعثر) برجله (فيها بالاوانى المصفوفة) من الخزف الصينى والزجاج وغيرها (فيقول) بلسانه الذى يعبره عن عقله القاصر (مالهذه الاوانى لاترفع من الطرق وترد الى مواضعها فيقال له هى موضوعة فى مواضعها) التى تليق بها (وانما الخلل فى البصر وكذلك خلل البصيرة يجرى مجراه) أى مجرى خلل البصر بل (وأطم منه) أى أكثر (وأعظم) لان بارتفاع البصيرة ارتفاع النفع بالبصر (اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس) يتبعه حيث يريد (وعمى الفارس) بنفسه (أضر) أى أشد ضررا (من عمى الفرس والمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى) فى كتابه العزيز فى حق حبيبه صلى الله عليه وسلم (ما كذب الفؤاد مارأى) قال البيضاوى أى مارأى ببصره من صورة جبريل أو الله تعالى أى ما كذب بصره ماحكاه له فان الامور القدسية تدرك أوّلا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر (وقال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) وليكون من الموقنين واعلم أن النفوس القدسية اذا اطمأنت الى الله تعالى تشعشعت بصيرتها كشعاع البصر وعند تعطيل الحواس بالنوم

واثقكم به ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد فكأن التذكر ضربان أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود فى قلبه لكن غابت بعد الوجود والآخر أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من يستروجه السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط فى مثل هذه الآيات ويتعسف فى تأويل التذكر واقرار النفوس أنواعا من التعسفات ويتخايل اليه فى الاخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمى الذى يدخل دارا فيعثر فيها بالاوانى المصفوفة فى الدار فيقول مالهذه الاوانى لاترفع من الطريق وترد الى مواضعها فيقال له انها فى مواضعها وانما الخلل فى بصرك فكذلك خلل البصيرة يجرى مجراه واطم منه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر من عمى الفرس والمشابهة بصيرة

الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى ما كذب الفؤاد مارأى وقال تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض الآية او

وسمى ضده عمى فقال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا وهذه الامور التى كشفت للانبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان (٤٦٥) بالبصيرة وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين الا قشوره وأمثلته دون لبابه وحقائقه فهذه أقسام ماينطلق اسم العقل عليها

*(بيان تفاوت الناس فى العقل) قد اختلف الناس فى تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الاولى والاهم المبادرة الى التصريح بالحق والحق الصريح فيه ان يقال ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم الثانى وهو العلم الضرورى بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من عرف ان الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضا استحالة كون الجسم فى مكانين وكون الشئ الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل مايدركه ادراكا محققا من غير شك وأما الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لايخفى فى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت فى العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من

أو بالمراقبة ترجع النفس الى عالم الملكوت ولها عروج فى العلويات بحسب قوتها فى الترقى والسير فى عالم الملكوت فيعلو شعاع بصيرتها الى عالم الروحانيات كشعاع البصر فى السموات وقد أثبت الله تعالى للعقل رؤية فى هاتين الآيتين وكذا فى قوله ألم ترالى ربك كيف مد الظل وأثبت له ابصارا فى قوله وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون (وسمى ضده عمى فقال تعالى فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال تعالى ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا) قد فهم بفقدان البصيرة تنبيها ان فقدانه اختيارى اذ هو بتركهم استفادة العلم وأكثر فقدان البصر ضرورى قال الله تعالى الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى فلولا أن العين أراد بها البصيرة لما قال تعالى عن ذكرى لان الذكر لايدرك بحاسة العين وقال ابن عباس لمن عيره بفقدان البصر انا نصاب بابصارنا وأنتم تصابون فى بصائركم (وهذه الامور التى كشفت للانبياء) عليهم السلام (بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمى الكل رؤية) كما فى الآية المتقدمة وكذا فى قوله تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم لان للنفوس القدسية فى سيرهم وترقيهم الى عالم الملكوت معارج على قدر تبدل صفاتها بالسير عن خصائصها وبحسب تلطف ذاتها بالتزكية عن أوصافها (وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة) أى متوقدة مضيئة (لم يعلق به من الدين الا قشوره وأمثلته) أى رسومه الظاهرة (دون لبابه وحقائقه) ومحضه وخلاصته (وهذه حقائق ماينطلق عليه اسم العقل) وفى أثناء ذلك الاشارة الى ثمراته ومايتولد منه

(بيان تفاوت الناس فى العقل)

اعلم انه (قد اختلف الناس فى تفاوت العقل) فمنهم من منعه مطلقا ومنهم من أثبته والمثبتون اختلفوا كذلك على انحاء شتى هل يتطرق الى بعض أقسامها أو كلها (ولا ينبغى الاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله) فرمى عن قوس علم الظاهر من غير تأييد باطنى ولا مشاهدة أمر يقينى فتحرير كلام مثله لايجدى نفعا وانما هو تسويد فى بياض (بل الاولى المبادرة) أى المسارعة (الى التصريح بالحق) والتبيين له (والحق الصريح) أى الخالص (فيه ان التفاوت) فيه (يتطرق الى الاقسام الاربعة) منه (سوى القسم الثانى) من أقسامه (وهو العلم الضرورى بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من عرف) بعقله (ان الاثنين أكثر من واحد عرف أيضا استحالة كون الجسم) الواحد (فى مكانين) مختلفين (و) استحالة (كون الواحد قديما حادثا) لمضادتهما (وكذا سائر النظائر وكل مايدركه العاقل ادراكا محققا من غير شك) فهذا لايتطرق اليه التفاوت (وأما الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها) كما يأتى بيانه (أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات) وردعها (فلا يخفى تفاوت الناس فيه) بالقلة والكثرة حتى ترى واحدا كعشرة بل واحدا كمائة وعشرة أخرى هدر دون واحد (بل لايخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد) فى نفسه (وهذا التفاوت تارة يكون لتفاوت الشهوة) فى حد ذاتها (اذ قد يقدر العاقل) بقوة عقله (على ترك بعض الشهوات دون بعض) كأن يترك الشهوة الظاهرة ولا يقدر على ترك الشهوة الخفية (ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا) لشدة شبقه وثوران شهوته (واذا كبر وتم عقله قدر عليه) وارتدع منه بمقتضى السن (وشهوة الرياء) والسمعة (والرياسة) وما أشبهها (تزداد قوة) وتنمو (بالكبر) أى بالطعن فى السن (لا ضعفا) لما ورد يشيب ابن آدم وتشب فيه خصلتان الحرص وطول الامل (وقد يكون سببه التفاوت فى العلم المعرف) المبين (لغائلة تلك الشهوة) ومضراتها (ولهذا يقدر الطبيب) الماهر العارف (على الاحتماء عن بعض الاطعمة) والاشربة (المضرة) المؤدية الى الضرر (وقد لايقدر) على ذلك (من

يساويه فى العقل على ذلك اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن اذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة له فى قمع الشهوات وكسرها وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصى من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصى وأعنى به العالم الحقيقى دون أرباب الطيالسة وأصحاب الهذيان فان كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا أيضا فانه يقوى غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون بمجرد التفاوت فى غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لامحالة أشد وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وسرعة الادراك ويكون سببه اما تفاوتا فى الغريزة واما تفاوتا فى الممارسة فاما الاول وهو الاصل أعنى الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل الى جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادى اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفى التدريج الى أن يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان أوائله يخفى خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج الى الزيادة الى أن يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الاعمش و بين حاد البصر بل سنة الله عز وجل جارية فى جميع خلقه بالتدريج فى الايجاد حتى ان غريزة الشهوة لا تظهر فى الصبى عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيأ فشيأ على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات ومن أنكر تفاوت الناس فى هذه الغريزة فكأنه منخلع

يساويه) ويماثله (فى العقل اذا لم يكن طبيبا) لعدم معرفته بالخواص والطبائع (وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن اذا كان علم الطبيب اتم) وأكثر (كان خوفه أشد) وأعظم (فيكون الخوف جندا للعقل وعدة له فى قمع الشهوات وكسرها) اذ لولا خوفه لما منعه عنها (وكذلك يكون العالم) العامل بعلمه (أقدر على ترك المعاصى) وكسر شهوتها عنه (من العامى لقوة علمه بضرر المعاصى) وما يترتب عليه منها (وأعنى به العلم الحقيقى) الذى علمه لله ولامر الله (دون أرباب الطيالسة) جمع طيلسان وهو كساء أسود مربع والمراد به علماء الدنيا والقضاة والمخالطون على الملوك والامراء أصحاب السوارى (وأصحاب الهذيان) محركة هو الكلام الكثير والمراد به أرباب الجدال والمناظرات (فان كان التفاوت من جهة الشهوة) وهو القسم الاول (لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان) سبب التفاوت (من جهة العلم) المعرف بغائلة المضرة وهو القسم الثانى (فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا فانه يقوى غريزة العقل) ويشدها (فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون بمجرد التفاوت فى غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لامحالة أشد) وأكثر (وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم) أى أهل هذه العلوم المستفادة (يتفاوتون) تارة (بكثرة الاصابة و) تارة (بسرعة الادراك ويكون سببه اما تفاوت) فى (أصل الغريزة واما تفاوت فى) نفس (الممارسة) والتجربة (واما الاول وهو الاصل) أى أصل هذه الاقسام (أعنى الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل الى جحده) وانكاره (فانه نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادى اشراقه عند بدو سن التمييز) أى البلوغ (ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفى التدريج الى أن يتكامل بقرب الاربعين سنة) هذا هو المشهور وقد ذكر صاحب القاموس تبعا لبعض الحكماء ان ابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو ويزيد الى أن يكمل عند البلوغ فظاهره ان كماله يكون عند سن البلوغ وهو محل تأمل وقد ورد فى الحديث ما من نبى الا نبئ بعد الاربعين وقول ابن الجوزى انه موضوع لان عيسى عليه السلام رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة كما فى حديث آخر فاشتراط الاربعين ليس بشرط مردود لكونه مستندا الى زعم النصارى والصحيح انه رفع وهو ابن مائة وعشرين وما ورد فيه غير ذلك فلا يصح كذا فى تذكرة المجدولى (ومثاله نور الصبح فان أوائله يخفى) عن الاعين (خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج الى الزيادة) تدريجا (الى أن يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر) فى القلة والكثرة والزيادة والنقص (والفرق مدرك بين الاعمش) الذى بعينه عمش وهو سيلان الدمع فى أكثر الاوقات مع ضعف البصر (و بين الحاد البصر) السالم من العلل (بل سنة الله جارية فى جميع خلقه بالتدريج فى الايجاد) فمن ذلك ايجاد الانسان فى المراتب السبعة المشار اليها بقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين (حتى ان غريزة الشهوة لا تركب فى الصبى عند البلوغ دفعة) واحدة (وبغتة بل تظهر شيأ فشيأ على التدريج وكذا جميع القوى والصفات) منها قوة الغذاء وقوة الحس وقوة التخيل وقوة النزوع وقوة التفكر فهذه خمس قوى ركبها الله تعالى فى الانسان وجعل المدركة خمسا الحواس والخيال والتفكر والعقل والحفظ وجعل الحواس خمسا ظاهرية وخمسا باطنية وجعل للبدن خمس قوى وهى الجاذبة والممسكة والهاضمة والدافعة وباعتدالها تكمل الصحة وأما الصفات فمحمودة ومذمومة ولكل منهما أقسام (ومن أنكر تفاوت الناس فى هذه الغريزة فكأنه منخلع

عن

عن ربقة العقل) لم يتحل بها (ومن ظن أن عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل) عقل (آحاد السوادية) وهم أهل الارياف (أو أجلاف البوادى) الذين يلازمون البادية (فهو أخس فى نفسه من آحاد السوادية) وأخرج أبو نعيم فى الحلية من رواية الحرث بن أبى أسامة عن داود بن المحبر حدثنا عباد ابن كثير عن أبى ادريس عن وهب بن منبه قال قرأت أحدا وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها ان الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقل محمد صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من جميع رمال الدنيا وان محمدا صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا (وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس فى فهم العلوم) الخفية المدرك (ولما انقسموا الى) ثلاثة أقسام (بليد) جامد الطبع غير فطن (لا يفهم) ما يلقى اليه (بالتفهيم الا بعد تعب طويل من التعليم والى ذكى) يتوقد ذهنه ذكاء (يفهم بأدنى رمز و) أقرب (اشارة) من غير تعب فى مراجعته (والى كامل مهذب (تنبعث من نفسه حقائق الامور) وتتفجر دقائقها (دون التعليم) وفى مثله قال الله تعالى (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء عليهم السلام اذ تتضح لهم فى باطنهم) المقدس (أمور غامضة من غير تعلم وسماع) من ملك وغيره وقال ابن عرفة هذا مثل ضربه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره وان لم يتل قرآنا وأنشد فى المعنى لعبدالله بن رواحة

لو لم تكن فيه آيات مبينة * كانت بديهته تغنيك بالخبر

(ويعبر عن ذلك بالالهام) وهو القاء الشئ فى الروع بطريق الفيض ويختص بما كان من جهة الله تعالى أو من جهة الملأ الاعلى وقيل هو ايقاع شئ فى القلب يطمئن له الصدر يخص الله به بعض أصفيائه (وعن مثله عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان روح القدس) المراد به جبريل عليه السلام وقيل هو الله تعالى (نفث) أى ألقى وهو مجاز من النفخ وقيل معناه أوحى الى ذلك (فى روعى) أى نفسى ويعبر عن ذلك بلمة الملك أيضا وبقية هذا الحديث ان نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فأجلوا فى الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية فان الله تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته هكذا أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن أبى أمامة الباهلى ورواه ابن أبى الدنيا والحاكم عن ابن مسعود وقال البيهقى فى المدخل انه منقطع وسيأتى بيان الحديث حيث ذكره المصنف فى الباب الاول من آداب الكسب والمعاش وأخرج الطبرانى فى الصغير والاوسط من طريق أهل البيت من رواية حسن بن الحسين بن زيد العلوى عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن على عن على بن الحسين عن الحسين بن على عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى جبريل عليه السلام يا محمد (أحبب من أحببت فانك مفارقه) ورواية الطبرانى من شئت بدل من أحببت (وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به) وعند الطبرانى فانك ملاقيه وفيه تقديم هذه الجملة على الثانية وفى آخره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجز لى جبريل فى الخطبة قال ولا يروى عن على الا بهذا الاسناد وقد روى هذا الحديث عن سهل بن سعد وسياق المصنف أشبه به الا ان فيه تقديما وتأخيرا وزيادة فى الآخر أخرجه الطبرانى أيضا فى الاوسط من رواية زافر بن سليمان عن محمد بن عيينة عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد عش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به واحبب من شئت فانك مفارقه واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس ورواه عن زافر تابعه محمد بن حميد الرازى وتابعه عليه اسمعيل بن توبة فيما رواه الشيرازى فى الالقاب الا انه قال واجمع ما شئت فانك تاركه بدل واعمل ما شئت (وهذا النمط من تعريف الملائكة للانبياء) عليهم السلام (يخالف الوحى الصريح الذى هو سماع الصوت بحاسة الاذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك أخبر عن هذا بالنفث فى

عن ربقة العقل ومن ظن ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عقل آحاد السوادية واجلاف البوادى فهو أخس فى نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس فى فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل من المعلم والى ذكى يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الامور بدون التعليم كما قال تعالى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور وذلك مثل الانبياء عليهم السلام اذ يتضح لهم فى بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال ان روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزى به وهذا النمط من تعريف الملائكة للانبياء يخالف الوحى الصريح الذى هو سماع الصوت بحاسة الاذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك أخبر عن هذا بالنفث فى

الروع) وظاهره يؤذن باختصاصه بالانبياء اذجعله من أقسام الوحي ولكن صرح الشيخ الاكبر قدس سره بانه يقع للاولياء أيضا وعبارته العلوم ثلاث مراتب علم العقل وهو كل علم يحصل ضرورة أو عقب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل الثاني علم الاحوال ولا سبيل له الا بالذوق فلا يمكن العاقل وجدانه ولا اقامة دليل على معرفته كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والوجد والشوق فهذه علوم لا يعلمها الا من يتصف بها و يذوقها الثالث علم الاسرار وهو فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس في الروع و يختص به النبي والولي وهو نوعان والعالم به يعلم العلوم كلها و يستغرقها وليس أصحاب تلك العلوم كذلك اه (ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة) اعلم أن الله تعالى جعل أقسام كلامه مع عباده ثلاثة وحيا بلا واسطة كما أخبر عن حال النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى وكلاما من وراء حجاب كما أخبر عن حال موسى عليه السلام بقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما والذي يدل على انه كلمه من وراء حجاب قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام قال رب أرني أنظر اليك أي ارفع الحجاب عني أنظر اليك وارسال الرسول وهو جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة يرسلهم الى الرسل عليهم السلام ثم جعل أصناف الوحي ثلاثة وحيا للعجماء وهو بالاجراء والتسخير كما أخبر عن حال النحل بقوله وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا الآية ووحيا للاولياء وهو بالالهام كما قال تعالى واذ أوحيت الى الحواريين وأوحينا الى أم موسى ووحيا للانبياء وذلك تارة بواسطة وتارة بغير واسطة في النوم فمن الاول نزل به الروح الامين على قلبك ومن الثاني اني أرى في المنام أني أذبحك وقال صلى الله عليه وسلم نوم الانبياء وحي ومن أصناف هذا الوحي ما يبدو في اليقظة فيسمع صوتا أو يرى ضوأ ومنها ما يرى ملكا فيكلمه كما وقع في غار حراء ومنها ما يظهر الملك في أفق الملائكة ومنه حديث البخاري زملوني زملوني ومنها ما ينفث الملك في الروع وتقدم شاهده ومنها ما نزل جبريل به على قلبه ومنها ما يلقيه الله تعالى في القلب من غير واسطة جبريل كالذي ورد في الاحاديث القدسية ومنها ما يأتي به جبريل متمثلا في صورة انسان كدحية والاعرابي ومنها ما يأتي به غيره من الملائكة كما جاء في بعض الاحاديث ومنها ما كان سرا بين الله و بين رسوله فلم يحدث به أحدا ومنها ما يحدث الناس وذلك على صنفين فمنه ما كان مأمورا بكتابته قرآنا ومنه ما لم يكن مأمورا بكتابته قرآنا فلم يكن من القرآن وقال الرافعي واحتج بالحديث المتقدم الشافعي على أن من الوحي ما يتلى قرآنا ومنه غيره كما هناوله نظائر فهذه درجات الوحي التي أشار المصنف الى انه من علوم المكاشفة (ولا تظنن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي) كلا والله (اذ لا يبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة) ومعرفة القوى التي باعتدالها تدرك الصحة (و) يعرف (العالم الفاسق درجات العدالة) والتزكية (وان كان) الفاسق (خاليا عنها) أي عن درجات العدالة لفسقه (فالعلم شئ ووجود المعلوم شئ آخر) ولا يلزم من وجود العلم بشئ وجود ذلك المعلوم (ولا كل من عرف النبوة والولاية) بدرجاتهما ومراتبهما (كان نبيا ولا وليا) وانى له ذلك (ولا كل من عرف التقوى) وحقيقته وشروطه وثمراته (و) عرف (الورع ودقائقه كان تقيا) وورعا (وانقسام الناس الى من يتنبه من نفسه و يفهم) بنور من الله تعالى (والى من لا يفهم الا بتنبيه وتعليم) وارشاد (والى من لا ينفعه التعليم أيضا ولا التنبيه كانقسام الارض الى ما يجتمع فيها الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا) تجري على الارض فتنتفع بها المزارع والمنابت وسائر الحيوانات (والى ما يحتاج الى الحفر) بالآلات (فيخرج في القنوات) أي الجداول لكنه بسبب قوي مخرج (والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس) المستحجر يكدي حافره و يتعب نابطه (وذلك لاختلاف جواهر الارض في صفاتها) وكذلك الاختلاف في سائر الجواهر على هذه الصفة (فكذلك هذا

الروع ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن ان معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي اذ لا يبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة و يعلم العالم الفاسق درجات العدالة وان كان خاليا عنها فالعلم شئ ووجود المعلوم شئ آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس الى من يتنبه من نفسه و يفهم والى من لا يفهم الا بتنبيه وتعليم والى من لا ينفعه التعليم أيضا ولا التنبيه كانقسام الارض الى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج الى القنوات والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض في صفاتها فكذلك

الاختلاف

الاختلاف فى النفوس وغريزة العقل) على ماعرفت (ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ماروى أن ابن سلام) هو عبدالله بن سلام بن الحرث الاسرائيلى أبو يوسف حليف القواقلة من الانصار أسلم عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وشهدله بالجنة وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين (سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وان الملائكة قالت يارب هل خلقت شيأ أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا ومابلغ من قدره قال هيهات لايحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لاقال تعالى فانى خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى الثلاث والاربع ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم أكثر من ذلك) قال العراقى رواه داود بن المحبر فى كتاب العقل فقال حدثنا ميسرة عن موسى بن جابان عن أنس بن مالك فذكره مع اختلاف يسير ورواه الترمذى الحكيم فى النوادر مختصرا فقال حدثنا مهدى حدثنا الحسن عن منصور عن موسى بن خالد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق العقل أكثر من عدد الرمل فمن الناس من أعطى حبة من ذلك ومنهم من أعطى حبتين ومنهم من أعطى مدا ومنهم من أعطى صاعا ومنهم من أعطى فرقا وبعضهم وسقا فقال ابن سلام من هم يارسول الله قال العمال بطاعة الله على قدر عقولهم ويقينهم وجدهم والنور الذى فى قلوبهم اه (فان قلت فمابال أقوام من المتصوفة) والعباد (يذمون العقل والمعقول) ويتمسكون فى ذلك بالنقول فهل لذمهم اياه من سبب (فاعلم أن السبب الباعث لذمهم (فيه ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات) مع الخصوم (والالزامات) عليهم (وهو صنعة الكلام) الذى يأتى بيان ذمه فى الكتاب الذى يليه (فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم) ويثبتوا (انكم أخطأتم فى التسمية) هذه (اذ كان ذلك لاينمحى عن قلوبهم) ولا يزول بوجه من الوجوه (بعد تداول الالسنة) وتلقى الخلف عن السلف (فذموا العقل والمعقول وهو المسمى عندهم) فهم يذمون غير مذمم (فامانور البصيرة الباطنة) فى القلب (التى بها يعرف الله ويعرف صدق رسله) عليهم السلام (فكيف) يكون مذموما أم كيف (يتصور ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه) فى عدة مواضع فى كتابه العزيز فمن ذلك قوله تعالى ومايعقلها الا العالمون (وان ذم) أى أريد به اياه (فما الذى يحمد) فى الدنيا (فان كان المحمود هو الشرع) الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم (فبم علم صحة الشرع فان) قال (علم بالعقل المذموم الذى لايوثق به) ولا يعبأ (فيكون الشرع أيضا مذموما) فان ماتوقف عليه صحة شئ اذا كان واهيا فالمتوقف عليه نفسه واه كذلك وقد عقد لذلك صاحب الذريعة بابا فقال تعذر ادراك العلوم النبوية على من لم يتهذب فى الامور العقلية اعلم أن المعقولات تجرى مجرى الادوية الجالبة للصحة والشرعيات تجرى مجرى الاغذية الحافظة وكما ان الجسم متى كان مريضا لم ينتفع بالاغذية بل يستضربها كذلك من كان مريض النفس لم ينتفع بسماع القرآن الذى هو موضوع الشرعيات بل صار ذلك ضارا مضرة الغذاء للمريض وأيضا فالجهل بالمعقولات جار مجرى ستر مرخى على البصر وغشاء على القلب ووقر فى الاذن والقرآن لايدرك خفياته الا من كشف غطاؤه ورفع غشاؤه وأزيل وقره وأيضا فالمعقولات كالحياة التى بها الابصار والاسماع والقرآن كالمدرك بالسمع والبصر وكما انه من المحال أن يسمع ويبصر الميت قبل أن يجعل الله فيه الروح ويجعل له السمع والبصر كذلك من المحال أن يدرك من لم يحصل المعقولات حقائق الشرعيات اه (ولا يلتفت الى من يقول انه) أى الشرع (يدرك بعين اليقين ونور الايمان) وصفائه (لابالعقل) كما ذهب اليه بعض الصوفية (فانا نريد بالعقل مانريده بعين اليقين ونور الايمان وهى الصفة الباطنة التى يتميز بها الآدمى عن البهائم حتى أدرك

صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وان الملائكة قالت يا ربنا هل خلقت شيأ أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا ومابلغ من قدره قال هيهات لايحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال الله عز وجل فانى خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من اعطى حبتين ومنهم من اعطى الثلاث والاربع ومنهم من اعطى فرقا ومنهم من اعطى وسقا ومنهم من أعطى أكثر من ذلك فان قلت فمابال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول فاعلم ان السبب فيه ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على ان يقرروا عندهم انكم أخطأتم فى التسمية اذ كان ذلك لاينمحى عن قلوبهم بعد تداول الالسنة ورسوخه فى القلوب فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم فامانور البصيرة الباطنة التى بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه وان ذم فما الذى بعده يحمد فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذى لايوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما ولا يلتفت الى من يقول انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لابالعقل فانا نريد بالعقل مانريده بعين اليقين ونور الايمان وهى الصفة الباطنة التى يتميز بها الآدمى عن البهائم حتى أدرك

بها) بتلك الصفة (حقائق الامور) وشاهد عرائس الستور فقولهم انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان صحيح وقوله لا بالعقل غير صحيح وهذا الذى أنكر عليهم الشيخ (وأ كثر هذه التخبيطات) والتعسفات (انما تأثرت) وحصلت (من جهل أقوام طلبوا الحقائق) المعنوية (من) ظاهر (الالفاظ فتخبطوا) تخبطا واسعا (تخبط اصطلاحات الناس فى الالفاظ) لكون كلهم تكلم فى الحقائق على مشربه وذوقه الذى أدركه فنزلها فى قوالب الالفاظ كابن عربى والقاشانى تراهما يفسران الالفاظ بحسب ما عندهم فقد يكون مطابقا لما عند غيره وقد يكون مخالفا وهذا الحرانى وابن الكمال تكلما فى حدود الالفاظ وحقائقها فترى هذا يشرق وهذا يغرب ومن أحاط بكلامهم وجد ذلك فيه (وهذا القدر) الذى ذكرته (كاف فى بيان العقل) وشرفه وجلالته وثمرته (والله أعلم) وبه تم كتاب العلم وهنا مهمات هى للباب متمات لم يشر اليها المصنف أردت أن أختم بها الباب * الاولى بيان منازل العقل واختلاف أسمائها بحسبها اعلم أن العقل اسم عام لما يكون بالقوة و بالفعل ولما يكون غريزيا ومكتسبا كما تقدم ذلك وهو فى اللغة قيد البعير لئلا يند وسمى هذا الجوهر به تشبيها على عادتهم فى استعارة أسماء المحسوسات للمعقولات ويخص ببناء المصدر به لما كان يستعمل مرة للحدث ومرة للفاعل نحو عدل وصوم وزور ومرة للمفعول نحو خلق وأمر لكن يتصور منه كونه سببا لتقييد الانسان به وكونه مقيدا له عن تعاطى مالا يجمل وكونه مقيدا به من بين الحيوان وأشار ابن الهمام فى التحرير انه مأخوذ من المعقل وهو الملجأ لالتجاء صاحبه اليه والنهى فى الاصل جمع نهية اسم مفرد نحو جعل وصرد أو وصف نحو دليل ختع وسائق حطم وجعل اسما للعقل الذى انتهى من المحسوسات الى معرفة مافيه من المعقولات ولهذا أحيل أربابه على تدبر معانى المحسوسات فى قوله أولم يهد لهم كم أهلكنا الآية وقال وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى الى قوله لاولى النهى والحجر أصله من الحجر أى المنع وهو اسم لما يلزم الانسان من خطر الشرع والدخول فى أحكامه وعلى ذلك قوله تعالى هل فى ذلك قسم لذى حجر وسمى العقل حجا من حجاه أى قطعه سمى بذلك لكونه للانسان قاطعا عما يقبح وأما اللب فهو الذى خلص من عوارض الشبه وترشح لاستفادة الحقائق من دون المفزع الى الحواس ولذلك علق الله فى كل موضع ذكره بحقائق المعقولات دون الامور المحسوسة ومن أسمائه القلب لانه لما كان مبدأ تأثير الروحانيات والفضائل سمى به ولذلك عظم الله أمره لاختصاصه بما قد أوجد الله لاجله وقال تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فنبه ان القلب انما يكون فى الحقيقة قلبا اذا كان مختصا بما أوجد لاجله وما أوجد لاجله هو المعارف الحقيقية ولما كان أشرف المعارف هو ما يختص به القلب قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك فخصه بالذكر ومن أسمائه النور والروح وقد تقدم ذكرهما والماء فى قوله تعالى وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى على قول بعض المفسرين * الثانية أشار المصنف الى فضائل العقل الكثيرة فما يقول فى حديث أكثر أهل الجنة البله وهو جمع أبله من لاعقل له فكيف يكون من لاعقل له من أكثر أهل الجنة والجواب عنه بوجوه الاول ان المراد بالبله الجاهلون بأمر الدنيا العالمون بأمر الآخرة الثانى ان من عبد الله للجنة فهو أبله فى جنب من يعبده لكونه ربا مالكا الثالث المراد بهم أهل المعاصى الذين عفا الله عنهم وأما العقلاء المطيعون فهم أهل الدرجات العلى * الثالثة العقل المكتسب ضربان أحدهما التجارب الدنيوية والثانى المعارف الالهية وطريقاهما متنافيان ومن تصور اختلاف الطريقين لم تعترض له الشبهة التى اعترضت لقوم وقالوا لو أن ما هنا حق لما جهله الذين لا يلحق شأوهم فى تدبير الدنيا ودقائق الصناعات ووضعوا الحكم والسياسات وذلك انه كما من المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما لا يوجد الا فى طريق المغرب أو يظفر سالك طريق المغرب بما لا يوجد الا فى طريق المشرق كذلك من المحال أن يظفر سالك طريق معارف الدنيا بمعارف طريق الآخرة ولا يكاد يجمع بين معرفة طريق الدنيا والآخرة معا على التحقيق

بها حقائق الامور وأكثر هذه التخبيطات انما تأثرت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الالفاظ فتخبطوا فيها تخبط اصطلاحات الناس فى الالفاظ فهذا القدر كاف فى بيان العقل والله أعلم

تم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد لله وحده أولا وآخرا

والتصديق

والتصديق الا من وشحهم الله لتهذيب الناس فى أمور معاشهم ومعادهم كالانبياء جميعا وبعض الحكماء * الرابعة المعقول اختلف فيه هل هو مصدر أو صفة فالاول ظاهر سياق اللغويين يقولون عقل الرجل عقلا ومعقولا ويقولون ذهب طولا وعدم معقولا وما لفلان منقول ولا معقول وأنشد ابن برى

فقد أفادت لهم حلماء موعظة * لمن يكون له ارب ومعقول

وأنكر سيبويه ذلك وقال هو صفة وكان يقول ان المصدر لا يأتى على بناء مفعول ألبتة ويتأول المعقول فيقول كأنه عقل له شئ أى حبس عليه عقله وأيد وسدد قال ويستغنى بهذا عن الفعل الذى يكون مصدرا كما فى الصحاح والعباب * الخامسة فى بيان منازعة الهوى للعقل اعلم أن مثل الانسان فى بدنه كمثل وال فى بلدة وقواه وجوارحه بمنزلة صناع وعملة والعقل له كمشير ناصح عالم والشهوة فيه كعبد سوء جالب للميرة والحمية له كصاحب شرطة والعبد الجالب للميرة خبيث ماكر يتمثل للوالى بصورة الناصح وفى نصحه دبيب العقرب ويعارض الوزير فى تدبيره ولا يغفل ساعة عن منازعته ومعارضته وكما ان الوالى فى مملكته متى استشار فى تدبيراته وزيره دون هذا العبد الخبيث وأدب صاحب شرطته وجعله مؤتمرا لوزيره وسلطه على هذا العبد وتباعه حتى يكون هذا العبد مسوسا لا سائسا ومدبرا لا مدبرا استقام أمر بلده كذا النفس متى استعانت بالعقل فى التدبير وأدبت الحمية وسلطتها على الشهوة وقوتها استتب أمرها والا فسدت ولهذا حذرنا الله تعالى غاية الحذر من اتباع الهوى فقال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال فى ذم من اتبعه أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وقال تعالى أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال فى مدح من عصاه وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى والعقل وان كان أشرف القوى وبه صار الانسان خليفة الله فى العالم فليس دأبه الا الاشارة الى الصواب كطبيب يشير الى المريض بما يرى فيه برأه فان قبل منه والا سكت عنه ولذلك جعل له الحمية لتكون نائبة عنه فى المدافعة ولهذا لا تتبين فضيلة العقل لمن لا حمية له وبهذا النظر قيل المهين من لا سفيه له وقال الشاعر

تعدو الذئاب على من لا كلاب له * وتتقى مربض المستأسد الحامى

وأيضا مثل النفس فى البدن مثل المجاهد بعث الى ثغر لكى يرعى أحواله وعقله خليفة مولاه ضم اليه ليسدده ويرشده ويشهد له وعليه فيما يفعله اذا عاد الى حضرة الملك وبدنه بمنزلة فرس دفع اليه ليركبه وشهوته كسائس حيث ضم اليه ليتفقد فرسه ولا قدر لهذا السائس عند المولى والقرآن بمنزلة كتاب أتاه من مولاه وقد ضمن كل ما يحتاج اليه عاجلا وآجلا والنبى صلى الله عليه وسلم آتاه الكتاب وبين له ما يشكل عليه مما يقرؤه من الكتاب ويقبح أن ينسى هذا الولى مولاه ويهمل خليفته فلا يراجعه فيما يبرمه وما ينقضه ويصرف همه كله الى تفقد فرسه وسائسه ويقيم سائس فرسه مقام خليفته به ومن وجه آخر ان الانسان من حيث ما جعله الله عالما صغيرا وجعل بدنه كمدينة والعقل كملك مدبر فيها وقواه من الفكرة والخيال والحواس كجنده وأعوانه والاعضاء كرعيته والشهوة كعدو ينازعه فى مملكته ويسعى فى اهلاك رعيته صار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه فهزمه فأسره وقهره على ما يجب وكما يجب جد أثره اذا عاد الى حضرته وان ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره اذا عاد اليه كما جاء فى الحديث ان الله تعالى يقول للكافر يوم القيامة يا راعى السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم أنتقم منك وأيضا مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه معلما كان قمينا بادراك حاجته من الصيد ومتى كان أخرق وفرسه جموحا أو حرونا وكلبه عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل معه مطيعا فهو قمن أن يعطب فضلا عن أن يدرك ما طلب وهذه الامثلة ما عدا الثانى ستأتى للمصنف فى شرح عجائب القلب

وللانسان مع هواه ثلاثة أحوال الاولى أن يغلبه الهوى فيهلكه الثانية أن يغالبه فيقهرها مرة وتقهره مرة الثالثة أن يغلب هواه ككثير من الانبياء و بعض صفوة الاولياء وهذا المعنى قصد بقوله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى الآية وقصد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما من أحد الا وله شيطان وان الله قد أعانني على شيطاني حتى ملكته فان الشيطان يتسلط على الانسان بحسب وجود الهوى فيه السادسة فى الفرق بين ما يسومه العقل وما يسومه الهوى اعلم أن من شأن العقل أن يرى و يختار أبدا الافضل والاصلح فى العواقب وان كان على النفس فى المبدا مؤنة ومشقة والهوى على الضد من ذلك فانه يؤثر ما يدفع به المؤذى فى الوقت وان كان يعقبه مضرة من غير نظر منه فى العواقب كالصبي الرمد الذى يؤثر أكل الحلاوات واللعب فى الشمس على أكل الهليلج والحجامة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وأيضا فان العقل يرى صاحبه ماله وما عليه والهوى يريه ماله دون ما عليه ويعمى عليه ما يعقبه من المكروه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم حبك للشيء يعمي و يصم ولذلك ينبغي للعاقل أن يتهم رأيه أبدا فى الاشياء التى هى له لا عليه و يظن انه هوى لا عقل و يلزمه أن يستقصي النظر فيه قبل امضاء العزيمة وحتى قيل اذا عرض لك أمران فلم تدر أيهما أصوب فعليك بما تكرهه لا بما تهواه فأكثر الخير فى الكراهة قال الله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيا وهو شر لكم وقال وعسى أن تكرهوا شيأ و يجعل الله فيه خيرا كثيرا وأيضا فان ما يرى العقل يتقوى عليه اذا فزع فيه الى الله عز وجل بالاستخارة وتساعد عليه العقول الصحيحة اذا فزع اليها بالاستشارة وتنشرح له الصدور اذا استعين فيه بالعبادة وما يشير به الهوى فبالضد من ذلك وأيضا فان العقل يرى ما يرى بحجة وعذر والهوى يرى ما يرى بشهوة وميل وربما تشبه الهوى بالعقل فيتعلق بشبهة مزخرفة ومعذرة مموهة كالعاشق اذا سئل عن عشقه والمتناول لطعام ردىء اذا سئل عن فعله قال بعض العلماء اذا مال العقل نحو مؤلم جميل والهوى نحو ملذ قبيح فتنازعا بحسب عرضهما وتحاكما الى القوة المدبرة بادر نور الله الى نصرة العقل ووساوس الشيطان الى نصرة الهوى كما قال الله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات فمن كانت القوة المدبرة فيه من أولياء الشيطان وحيبه لم تر نور الحق فعميت عن نفع الآجل واغترت بلذة العاجل فنحت الى الهوى كما قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه الآية ومتى كانت من حزب الله وأوليائه اهتدت بنوره واستهانت بلذة العاجل وطلبت الآجل كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف الآية ومما نبه على فساد الهوى قوله تعالى ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن أى لو أعطى كل انسان ما يهواه مع أن كل واحد يهوى أن يكون أغنى الناس وأعلاهم منزلة وأن ينال فى الدنيا الخير الابدى بلا مزاولة ولا تعلم لكان فى ذلك فساد العالم وقيل فى قوله تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة الآية ضرب الله الشجرة الطيبة مثلا للعقل والخبيثة مثلا للهوى ففرع الطيبة النور والاسلام وفرع الخبيثة الكفر والضلال ان قيل ما الفرق بين الشهوة والهوى قيل الشهوة ضربان محمودة ومذمومة فالمحمودة من فعل الله تعالى وهى قوة جعلت فى الانسان لينبعث بها النفس لنيل ما يظن فيه صلاح البدن والمذمومة من فعل البشر وهى استجابة النفس لما فيه لذتها البدنية والهوى هو هذه الشهوة الغالبة اذا استتبعت الفكرة وذلك ان الفكرة بين العقل والشهوة والعقل فوقها والشهوة تحتها فمتى ارتفعت الفكرة ومالت نحو العقل صارت رفيعة فولدت المحاسن واذا اتضعت ومالت نحو الهوى والشهوة صارت وضيعة فولدت القبائح والنفس قد تريد ما تريد بمشورة العقل تارة و بمشورة الهوى تارة ولهذا قد تسمى الهوى ارادة السابعة قال بعض الحكماء خير ما أعطى الانسان عقل يردعه فان لم يكن فحياء يمنعه

فان لم يكن نخوف يقمعه فان لم يكن فمال يستره فان لم يكن فصاعقة تحرقه فتريح منه العباد والبلاد وتحقيقه ان البواعث على فعل الخيرات الدنيوية ثلاث أدناها الترغيب والترهيب ممن يرجى نفعه ويخشى ضره والثانى رجاء الحمد وخوف الذم ممن يعتد بحمده وذمه والثالث تحرى الخير وطلب الفضيلة وكذلك البواعث الى الخيرات الاخروية ثلاث* الاولى الرغبة فى ثواب الله والمخافة من عقابه وتلك منازل العامة والثانية رجاء حمده ومخافة ذمه وتلك منزلة الصالحين والثالثة طلب مرضاة الله فى المتحريات وتلك منزلة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهى أعزها وجودا ولذلك قيل لرابعة ألا تسألين فى دعائك الجنة فقالت الجار قبل الدار وبهذا النظر قال بعضهم من عبد الله بعوض فهو لئيم* الثامنة اورد المصنف فى فضل العقل أحاديث غالبها من كتاب داود بن المحبر وقد تقدم مايتعلق به وبكتابه وبقيت عليه أحاديث من الكتاب المذكور ومن غيره لم يوردها* فمن ذلك مارواه المذكور فى كتابه حدثنا عباد عن ابن جريج عن عطاء عن أبى سعيد مرفوعا قسم الله العقل ثلاثة أجزاء فمن كن فيه كمل عقله ومن لم يكن فيه فلا عقل له حسن المعرفة بالله وحسن الطاعة لله وحسن الصبر على أمر الله وهكذا أخرجه الحرث فى مسنده من طريقه ورواه أبو نعيم من طريقين احداهما من رواية سليمان بن عيسى عن ابن جريج به والثانية من رواية عبد العزيز بن أبى رجاء حدثنا ابن جريج به وأخرجه الترمذى الحكيم فى نوادره عن مهدى بن ميمون حدثنا الحسن بن منصور عن ابن جريج به وفى طرق الكل مقال وقال داود أيضا حدثنا ميسرة عن موسى بن جابان عن لقمان عن عامر عن أبى الدرداء مرفوعا ان الجاهل لاتكشفه الاعن سوأة وان كان حصيناظريفا عند الناس والعاقل لاتكشفه الاعن فضل وان كان عييا مهينا عند الناس موضوع آفته ميسرة وقد تقدم التعريف بحاله وقال داود أيضا حدثنا ميسرة عن موسى بن عبيدة عن الزهرى عن أنس رفعه من كانت له سجية من عقل وغريزة يقين لم تضره ذنوبه شيأ قيل وكيف ذلك يارسول الله قال لانه كلما أخطأ لم يلبث أن يتوب توبة تمحو ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة فالعقل نجاة للعاقل بطاعة الله وحجة على أهل معصية الله موضوع آفته ميسرة وأخرجه العقيلى فى الضعفاء من طريقه وأخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر عن مهدى بن عامر حدثنا الحسن بن حازم عن منصور عن الربذى وهو موسى بن عبيدة به وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من رواية سليمان بن عيسى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن أنس قال قلت يارسول الله ماتقول فى القليل العمل الكثير الذنوب فقال كل ابن آدم خطاء فمن كانت له سجية عقل وغريزة يقين لم تضره ذنوبه شيأ وذكر بقية الحديث قال أبو نعيم تفرد به سليمان بن عيسى وهو السجزى وفيه ضعف قلت وقد تقدم التعريف بحاله وقال داود أيضا فى كتابه حدثنا عباد بن كثير عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس انه دخل على عائشة فقال أم المؤمنين الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده أيهما أحب اليك فقالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتنى فقال أحسنهما عقلا فقلت يارسول الله أسألك عن عبادتهما فقال ياعائشة انما يسئلان عن عقولهما فمن كان أعقل كان أفضل فى الدنيا والآخرة وقال داود أيضا فى كتابه حدثنا عباد بن كثير عن أبى ادريس عن وهب بن منبه انى وجدت فى بعض ما أنزل الله تعالى على أنبيائه ان الشيطان لم يكابد شيأ أشد عليه من مؤمن عاقل وانه يكابد مائة ألف جاهل فيشدهم حتى يركب رقابهم فينقادون له حيث شاء ويكابد المؤمن العاقل فيصعب عليه حتى ينال منه شيأ من صاحبه وبهذا الاسناد قال وهب أيضا لازالة الجبل صخرة صخرة وحجرا حجرا أيسر على الشيطان من مكايدة المؤمن العاقل لانه اذا كان مؤمنا عاقلا ذا بصيرة فلهو أثقل على الشيطان من الجبال وأصعب من الحديد وانه ليزاوله بكل حيلة فاذا لم يقدر على أن يستزله قال ياويله ماله ولهذا لاحاجة لى بهذا ولاطاقة لى بهذا فيرفضه ويتحول الى الجاهل فيستأسره ويتمكن من قياده حتى يسلمه الى الفضائح التى يتعجل بها فى عاجل الدنيا وان الرجلين ليستويان

فى أعمال البر فيكون بينهما كما بين المشرق والمغرب أو أبعد اذا كان أحدهما أعقل من الآخر أخرجه أبو نعيم فى الحلية هكذا من طريق الحرث بن أبى أسامة عن داود المذكور وأما من غير كتاب داود فأخرج الخطيب من رواية أبى سمعان عن الزهرى والطبرانى من رواية منبه بن عثمان حدثنى عمر بن محمد بن زيد كلاهما عن سالم عن أبيه عن عمر مرفوعا ان لكل شئ معدنا ومعدن التقوى قلوب العارفين وأخرج الخطيب أيضا من رواية عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رفعه ان الرجل ليكون من أهل الجهاد ومن أهل الصلاة والصيام وممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وما يجزى يوم القيامة الا على قدر عقله وأخرج الخطيب أيضا من رواية اسحق بن عبد الله بن أبى فروة عن نافع عن ابن عمر رفعه لا تعجبوا باسلام امرئ حتى تعرفوا عقدة عقله وأخرج البيهقى فى الشعب من رواية خليد بن دعلج عن معاوية بن قرة رفعه الناس يعملون بالخير وانما يعطون أجورهم على قدر عقولهم خليد ضعيف وأخرج ابن عدى من رواية الربيع الجيزى حدثنا محمد بن وهب الدمشقى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا مالك بن أنس عن سمى عن أبى صالح عن أبى هريرة رفعه أكمل الناس عقلا أطوعهم لله وأعملهم بطاعته وأنقص الناس عقلا أطوعهم للشيطان وأعملهم بطاعته قال ابن عدى هو باطل منكر وأخرج البيهقى وابن عدى من رواية أحمد بن بشير حدثنا الاعمش عن سلمة بن كهيل عن عطاء عن جابر بن عبد الله رفعه تعبد رجل فى صومعته فمطرت السماء واعشبت الارض فرأى حمارا له يرعى فقال يارب لو كان لك حمار رعيته مع حمارى فبلغ ذلك نبيا من أنبياء بنى اسرائيل فاراد أن يدعو عليه فاوحى الله تعالى اليه انما أجازى العباد على قدر عقولهم قال البيهقى تفرد به أحمد بن بشير وقد روى من وجه آخر موقوفا على جابر وهو الاشبه وقد ورد فى فضل العقل غير ما حديث وهذا الذى ذكرت فيه كفاية * التاسعة قال الزين العراقى وهذه الاحاديث التى ذكرها المصنف فى العقل كلها ضعيفة وتعبير المصنف فى بعضها بصيغة الجزم مما ينكر عليه وبالجملة فقد قال غير واحد من الحفاظ انه لا يصح فى العقل حديث ذكره عمر بن بدر الموصلى فى كتاب له سماه المغنى عن الحفظ والكتاب بقولهم لم يصح شئ فى هذا الباب وبعض ما ذكره فيه منتقض وقد ورد فى العقل أحاديث صححها بعض الائمة والله أعلم الى هنا انتهى بنا الكلام على شرح كتاب العلم من احياء علوم الدين للامام حجة الاسلام الغزالى قدس الله سره ونفع به وأرجو من فضل الله وحسن توفيقه ومعونته أن يعيننى على اتمام شرح باقى الكتاب انه جواد مفضال وهاب والحمد لله رب العالمين على نعمائه والصلاة والسلام على سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه وسائر أوليائه نجز ذلك فى يوم الجمعة بعد الصلاة لخمس بقين من محرم الحرام افتتاح سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف على يد مؤلفه أبى الفيض محمد مرتضى الحسينى أفاض الله عليه حامدا لله ومصليا ومسلما ومستغفرا

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله كتاب قواعد العقائد)

(فهرست الجزء الاول من اتحاف السادة المتقين شرح اسرار احياء علوم الدين)

(تمت)

